

المثل السائر

في أدب الكاتب والشاعر
لضياء الدين بن الأثير

قدمه وعلق عليه

دكتور أحمد الحومى و دكتور بدوى طبانة

القسم الأول

دار نهضة مصر للطبع والنشر
الغزالة - القاهرة

فهرس

القسم الأول

من كتاب « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر »

تصدير ٢٦ .

- الحاجة الى نشر الكتاب

- عقلية ابن الأثير وثقافته

- مصادر الكتاب

- أثر عصر ابن الأثير وفنه في المثل السائر

- منهج ابن الأثير في البحث البياني

- النقد والبلاغة في المثل السائر.

ترجمة ابن الأثير ٢٧ - ٢٩ .

كتاب المثل السائر

١ - خطبة الكتاب ٣٣ - ٣٦ .

أهمية علم البيان - كلمة في كتب السابقين

اشاداته بكتابي الموازنة وسر الفصاحة

منهج البحث .

٢ - مقدمة الكتاب ٣٧ - ١٦٢ .

الفصل الأول: في موضوع علم البيان ٣٧ .

الفصل الثاني: في آلات علم البيان وأدواته ٣٨ .

النوع الأول: معرفة علم العربية من النحو والتصريف ٤١ .

النوع الثاني: معرفة ما يحتاج إليه من اللغة ٥٠ .

النوع الثالث: معرفة أيام العرب وأمثالهم ٥٣ .

النوع الرابع: الاطلاع على المنظوم والمنثور ٥٩ .

النوع الخامس: معرفة الأحكام السلطانية ٥٩ .

٦٠	النوع السادس : حفظ القرآن الكريم
٦١	النوع السابع : حفظ الأخبار النبوية
٦١	النوع الثامن : معرفة علمي العروض والقوافي
٦٢	<u>الفصل الثالث : في الحكم على المعاني</u>
٧٠	<u>الفصل الرابع : في الترجيح بين المعاني</u>
٧٨	<u>الفصل الخامس : في جوامع الكلم</u>
٨١	<u>الفصل السادس : في الحكمة التي هي ضالة المؤمن</u>
٨٤	<u>الفصل السابع : في الحقيقة والمجاز</u>
٩٠	<u>الفصل الثامن : في الفصاحة والبلاغة</u>
٩٦	<u>الفصل التاسع : في أركان الكتابة</u>
١٠٠	<u>الفصل العاشر : في الطريق إلى تعلم الكتابة</u>
١٠٣	<u>حل الأبيات الشعرية</u>
١٣٤	<u>حل آيات القرآن الكريم</u>
١٤٩	<u>حل الأخبار النبوية</u>

المقالة الأولى

في الصناعة اللفظية

القسم الأول : في اللفظة المفردة

١٦٣	ما يحتاج إليه صاحب الصناعة في تأليفه
١٦٤	<u>التفاوت بين الألفاظ</u>
١٧١	<u>تباعد مخارج الحروف وتعارفها</u>
١٧٥	<u>الوحشي من الألفاظ</u>
١٨٦	<u>تقسم الألفاظ إلى جزلة ورقيقة</u>
١٩٦	<u>المبتذل من الألفاظ</u>
٢٠١	<u>الألفاظ المشتركة</u>
٢٠٤	<u>عدد حروف الكلمة</u>
٢٠٦	<u>خفة الحركات</u>

القسم الثاني : في الألفاظ المركبة

٢٠٩	<u>أنواع تأليف الألفاظ</u>
٢١٠	<u>النوع الأول : المسجع</u>
٢١٠	<u>اختلاف الآراء في السجع - السجع في القرآن</u>

٢١١ <u>السجع في الحديث النبوي</u>
٢١٢ <u>ذم سجع الكهان</u>
٢١٤ <u>السجع الجيد</u>
٢٥٥ <u>أقسام السجع من حيث تساوى الفصول</u>
٢٥٧ <u>أقسام من حيث الطول والقصر : السجع القصير</u>
٢٥٧ <u>السجع الطويل</u>
٢٥٨ <u>التصرع في الشعر</u>
٢٦٢ <u>النوع الثاني : في التجنيس</u>
٢٦٣ <u>حقيقة التجنيس</u>
٢٦٨ <u>ما يشبه بالتجنيس</u>
٢٧٧ <u>النوع الثالث : في الترصيع</u>
٢٨١ <u>النوع الرابع : في لزوم ما لا يلزم</u>
٢٨٩ <u>ما يلحق بالزوم</u>
٢٩١ <u>النوع الخامس : في الموازنة</u>
٢٦٣ <u>النوع السادس : في اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها</u>
٣٠٥ <u>النوع السابع : في المعاطلة اللفظية</u>
٣٠٥ <u>رأى قدامه في المعاطلة</u>
٣٠٦ <u>- رأى آخر</u>
 <u>- أقسام المعاطلة :</u>
٣٠٧ <u>(١) ما يختص بالأدوات</u>
٣٠٩ <u>(٢) ما يختص بتكرير الحروف</u>
٣١١ <u>(٣) ورود صيغ الفعل متتابعة</u>
٣١٣ <u>(٤) ما يتضمن مضافات كثيرة</u>
٣١٣ <u>(٥) ورود الصفات المتعددة على نحو واحد</u>
٣١٥ <u>النوع الثامن : في المنافرة بين الألفاظ في السبك</u>
٣١٦ <u>المنافرة في اللفظ المفرد</u>
٣١٨ <u>المنافرة في الألفاظ المتعددة</u>
٣١٩ <u>استدراكات القسم الأول</u>
٣٢١ <u>فهرس الكتاب</u>

محتويات القسم الثاني من كتاب المثل السائر

في أدب الكتاب والشاعر لضياء الدين بن الأثير

المقالة الثانية

في الصناعة المعنوية توطئة في دعائي الخطابة

والشعر والكتابة (٣ - ٦٩)

صفحة

بين الطبع والتحصيل ، هل أفاد أدباء العرب من كتب علماء اليونان ٤

المعاني المبتدعة ، والمعاني المقلدة ، عوامل الابتداع : أثر الحوادث

٧

المتجددة والأحوال الشاهدة

أمثلة من ابتداع أبي تمام (٨) والبحري (٩) والمتنبي (١٠) وأبي نواس

(١٣) وجلييلة البكرية (١٦)

من معاني ابن الأثير المبتكرة :

في وصف حسان - من كتاب يتضمن منازلة بلد ، ووصف

١٨

القتال بالمنجنق

معنى مبتدع مستخرج من حديث نبوي - في وصف مغارة - ١٩

٢٠

من كتاب في وصف نزول العدو على حصار بلد

٢٠

فصل من كتاب إلى ديوان الخلافة ببغداد

٢١

بين عهد الملك والحجاج ، واستخراج معنى من كتاب الله

أمثلة من شعر أبي نواس (٢٢ ، ٢٢) ومسلم بن الوليد (٢٢)

وعلى بن جبلة (٢٣) وابن الرومي (٢٥) والمتنبي (٢٧) وشعراء

آخرين (٣٠)

من كتابة ابن الأثير :

٣٤

في وصف صورة مليحة (٣٤) في ذم الشيب

كتابان في المعابة والهزل (٣٥) فصل من كتاب يتضمن وصف هزيمة

٣٦

الكفار

- ٣٦ من كتاب فى وصف القلم
- ٣٨ كتاب مع هدية من رطب
- ٤١ رقعة من هدية من ثياب ودراهم إلى بعض حجاب السلطان
- ٤٢ رقعة أخرى مع هدية من المسك
- ٤٥ رقعة من عاشق إلى معشوق
- ٤٧ كتاب فى التعزية بوفاة زوجة بعض الملوك وولدها
- ٥٠ كتاب عن الملك الأفضل إلى أخيه الملك الظاهر غازي
- ٥٤ من جملة رسالة طردية فى وصف قسى البندق وحاملها
- ٥٦ استخراج المعانى من كتاب الله ومن حديث النبي
- ٥٧ فصل من كتاب إلى بعض المنعمين - من كتاب فى وصف القلم
- الضرب الذى يحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطروق ، والرد
- ٥٨ عل القائلين باستنفاد المعانى وصعوبة الاختراع
- ٥٩ مناقشة ابن أفلح البغدادي فى دعواه اختصاص المحدثين بالابتداع
- ٦٣ المتعصبون للألفاظ والرد عليهم

النوع الأول

فى الاستعارة (٧٠ - ١١٥)

- ٧٠ الأوصاف الخاصة والأوصاف العامة للفصاحة والبلاغة
- أقسام المجاز : التوسع ، والتشبيه التام ، والتشبيه المخفض
- ٧١ (الاستعارة)
- ٧٢ الفرق بين التشبيه والاستعارة
- ٧٨ التوسع فى الكلام (٧٨) ضربه : ما يرد على وجه الإضافة
- ٨١ ما يرد على وجه الإضافة
- ٨٣ حد الاستعارة ، التعريف المشهور ونقده ، تعريف ابن الأثير

- ٨٤ القرينة فى الاستعارة — قول ابن جنى فى المجاز والرد عليه
- ٨٧ أقسام المجاز عند الغزالى ، واعتراضات ابن الأثير
- ٩٥ أمثلة للاستعارة المفيدة : من القرآن الكريم
- ٩٦ من الأخبار النبوية — من كلام العرب — من كلام ابن الأثير
- من الشعر العربى : لمسكين الدارمى (٩٨) لرجل من بنى يسار (٩٩)
- لديك الجن — لأبى تمام (١٠١) للبحتري (١٠٤) للمتنبى (١٠٥)
- والشريف الرضى (١٠٨)
- ١٠٩ خلط الاستعارة بالتشبيه ، ومناقشة الخفاجى والآمدى
- الاستعارة المرضية والاستعارة المطرحة ، الاستعارات التى ينبئ بعضها
- ١١٣ على بعض .

النوع الثانى

فى التشبيه (١١٥ — ١٥٨)

- نقد علماء البيان فى تفريقهم بين التشبيه والتَّمثيل . قسما التشبيه :
- ١١٥ التشبيه المظهر والتشبيه المضمّر ، أقسام التشبيه المضمّر ، وأمّثلها
- ١٢١ التشبيه المضمّر أبلى وأوجز من التشبيه المظهر
- ١٢٣ فائدة التشبيه ومحاسنه
- أقسام التشبيه : تشبيه معنى بمعنى ، تشبيه صورة بصورة ، تشبيه
- ١٢٧ معنى بصورة ، تشبيه صورة بمعنى
- ١٣١ الطرفان من حيث الإفراد والتركيب (١٢٨) تشبيه المفرد بالمفرد
- ١٣٦ تشبيه المركب بالمركب
- ١٤٦ تشبيه المفرد بالمركب
- ١٤٩ تشبيه المركب بالمفرد

١٥١ من معيب التشبيه

١٥٦ الطرد والعكس « غلبة الفروع على الأصول »

النوع الثالث

في التجريد (١٥٩ - ١٦٧)

١٥٩ حد التجريد ، معناه اللغوى : والمعنى البلاغى

١٦٠ فائدة التجريد - قسما التجريد : المحض ، وغير المحض

١٦١ القسم الأول : تعريفه ، أمثله

١٦٣ التجريد غير المحض : تعريفه ، أمثله

١٦٤ رأى أبى على الفارسى ، والرد عليه

النوع الرابع

في الالتفات (١٦٧ - ١٨٦)

١٦٧ معناه اللغوى ، معناه البلاغى ، من أسمائه « شجاعة العربية »

أقسام الالتفات :

القسم الأول : فى الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ؛ ومن الخطاب إلى

١٦٨ الغيبة ، رأى الزمخشري ومناقشته

القسم الثانى : فى الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ، وعن

١٧٩ الفعل الماضى إلى فعل الأمر

القسم الثالث : فى الإخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل وعن الفعل

١٨١ المستقبل بالفعل الماضى

النوع الخامس

فى توكيد الضميرين (١٨٦ - ١٩٣)

١٨٦ بين النحو والبلاغة - معنى توكيد الضميرين

١٨٩ توكيد المتصل بالمتصل (١٨٨) توكيد المصل بالمنفصل

١٩١ توكيد المنفصل بالمنفصل

النوع السادس

في عطف المظهر على ضميره والإفصاح به بعده

(١٩٣ - ١٩٦)

فائده - أمثلة من كلام العرب ، ومن القرآن الكريم

النوع السابع

في التفسير بعد الإيهام

(١٩٦ - ٢٠٣)

١٩٦ فائده - أمثلة من القرآن الكريم

١٩٧ الفرق بين عطف المظهر على ضميره والتفسير بعد الإيهام

١٩٩ الإيهام من غير تفسير ، أمثلة من القرآن ومن كلام العرب ومن الشعر

النوع الثامن

في استعمال العام في النفي والخاص في الإثبات

(٢٠٣ - ٢١٠)

ما يدخل تحت هذا النوع (٢٠٣) الخاص والعام (٢٠٣) الأوصاف

الخاصة إذا وقعت على شيئين - الأسماء المفردة الواقعة على

الجنس (٢٠٤) الصفتان الواردتان على شيء واحد (٢٠٥)

الصفات المتعددة الواردة على شيء واحد (٢٠٨)

النوع التاسع

في التقديم والتأخير

(٢١٠ - ٢٢٧)

٢١٠ ضربه : ما يغير المعنى ، وما لا يغير المعنى

الضرب الأول : بلاغة التقديم : تقديم المفعول على الفعل - تقديم

٢١٠ الخبر على المبتدأ - تقديم الظرف

- ٢١١ غرضاً التقديم : الاختصاص . مراعاة نظم الكلام
- ٢١٩ المعاظلة المعنوية : أمثلتها ، تفاوت درجاتها في القبح
- الضرب الثاني : تقديم السبب على المسبب (٢٢٣) تقديم الأكثر
- ٢٢٤ على الأقل
- ٢٢٦ تقديم الأعجب فالأعجب (٢٢٥) تقديم الأفضل والمفضول
- النوع العاشر
- في الحروف العاطفة والجارّة
- (٢٢٧ — ٢٣٣)
- ٢٢٧ بين النحو والبلاغة — حروف العطف
- التباس مواضع الفاء والواو — فعل المطاوعة — ما يلتبس بأفعال
- ٢٣١ المطاوعة
- ٢٣٢ حروف الجر : معاني بعض الحروف الجارة
- ٢٣٣ العدول عن بعض الحروف إلى بعض
- النوع الحادى عشر
- في الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق بينهما
- (٢٣٤ — ٢٤٠)
- ٢٣٤ العدول عن أحد الخطابين إلى الآخر وفائدته
- ٢٣٥ ورود لام التوكيد فى الكلام
- النوع الثانى عشر
- فى قوة اللفظ لقوة المعنى
- (٢٤١ — ٢٤٧)
- ٢٤١ اختلاف الأوزان والصيغ واختلاف المعنى
- ٢٤٣ زيادة التصغير
- ٢٤٤ النقل من صيغة إلى صيغة ، وفائدته

النوع الثالث عشر

في عكس الظاهر (٢٤٨ — ٢٥٠)

معناه — أمثله — الغرض منه

النوع الرابع عشر

في الاستدراج (٢٥٠ — ٢٥٥)

استخراج ابن الأثير إياه من كتاب الله — معناه — فائدة الاستدراج
أمثلة من القرآن الكريم — من حديث بين الحسين بن علي
ومعاوية بن أبي سفيان

النوع الخامس عشر

في الإيجاز (٢٥٥ — ٣٤١)

معناه — النظر إلى المعاني لا الألفاظ ٢٥٥

معاني القرآن : المعاني الأصول (٢٥٦) — المعاني الفروع ٢٥٦

رأى لبعض علماء البيان في مواضع الإيجاز والتطويل والرد عليه ٢٥٨

حد الإيجاز — الإيجاز والتطويل — أمثلة للإيجاز وللتطويل ٢٥٩

قسما الإيجاز : الإيجاز بالحذف والإيجاز بغير الحذف ، التنبيه إلى

المحذوف في الأول أيسر ٢٦٤

(١) الإيجاز بالحذف : بلاغته ، ضرباه : حذف الجمل ، وحذف

المفردات ٢٦٨

القسم الأول : حذف الجمل ، ضروبه :

١ — حذف السؤال المقدر ، ويسمى (الاستئناف) ٢٦٩

(١) إعادة الأسماء والصفات (٢٧٠)

(ب) الاستئناف بغير إعادة الأسماء والصفات (٢٧٠)

٢ — الاكتفاء بالسبب عن المسبب ، وبالمسبب عن السبب ٢٧٢

٣ — الإضمار على شريطة التفسير ٢٧٥

٢٧٥ (أ) ما يرد على طريق الاستفهام

٢٧٥ (ب) ما يرد على حد النفي والإثبات

٢٧٦ (ج) ما يرد على غير هذين الوجهين

٤ - ما ليس بسبب ولا مسبب ؛ ولا إضمار على شريطة التفسير ،
ولا استئناف

٢٧٧

القسم الثاني : حذف المفردات : ضروبه :

الضرب الأول : حذف الفاعل والاكتفاء في الدلالة عليه بذكر
الفعل

٢٨٣

٢٨٥ الضرب الثاني : حذف الفعل وجوابه

٢٩١ الضرب الثالث : حذف المفعول به

الضرب الرابع : حذف المضاف والمضاف إليه ؛ وإقامة كل واحد
منهما مقام الآخر

٢٩٥

الضرب الخامس : حذف الموصوف والصفة ؛ وإقامة كل منهما
مقام الآخر

٢٩٨

٣٠٤ الضرب السادس : حذف الشرط وجوابه

٣٠٦ الضرب السابع : حذف القسم وجوابه

٣٠٧ الضرب الثامن : حذف (لو) وجوابها

٣١١ الضرب التاسع : حذف جواب (لولا)

٣١٢ الضرب العاشر : حذف جواب (لما) وجواب (أما)

٣١٢ الضرب الحادى عشر : حذف جواب (إذا)

٣١٣ الضرب الثانى عشر : حذف المبتدأ والخبر

٣١٤ الضرب الثالث عشر : حذف (لا) من الكلام ، وهى مرادة

٣١٥ الضرب الرابع عشر : حذف الواو من الكلام وإثباتها

٣١٩ (ب) الإيجاز بغير الحذف : ضرباه

الضرب الأول : ما ساوى لفظه معناه (الإيجاز بالتقدير) ٣٢٠
الضرب الثاني : ما زاد معناه على لفظه (الإيجاز بالقصر) - قسمه :

(١) ما يدل على احتمالات كثيرة ٣٣٥

(٢) ما لا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها ٣٣٨
النوع السادس عشر

في الإطناب (٣٤١ - ٣٨٣)

فائدة الإطناب ٣٤١

اختلاف علماء البيان في الإطناب : رأى العسكري والغامبي ٣٤٢

حقيقة معنى الإطناب في استعمال أهل اللغة ٣٤٣

حد الإطناب : الفرق بين الإطناب والتطويل والتكرير ٣٤٤

قسما الاطناب :

١ - الإطناب في الجملة الواحدة : الحقيقة والحجاز ٣٤٦

٢ - الإطناب في الجمل : ضروبه ٣٥١

(أ) ذكر الشيء بمعان متداخلة ، كل معنى يختص بما ليس للآخر ٣٥١

(ب) النفي والإثبات ٣٥٢

(ج) ذكر المعنى الواحد تاماً ، ثم يضرب له مثال من التشبيه ٣٥٤

(د) استيفاء معاني الغرض المقصود ٣٥٥

أمثلة للإيجاز والإطناب ٣٥٥

كتاب لابن الأثير عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى
ديوان الخلافة ببغداد ، يتضمن فتح بيت المقدس ، واستنفاذه من

أيدي الكفار ٣٦٠

صورة تقليد أنشأه ابن الأثير لمنصب الحسبة ٣٧١

محتويات القسم الثاني من المثل الثائر ٣٨٤

فهرس القسم الثالث من كتاب

المثل السائر

في أدب الكاتب والشاعر
يضياء الدين بن الأشير

صفحة

النوع السابع عشر

(٣ - ٤٠)

في التكرار

حده . قسماه : تكرار في اللفظ والمعنى . تكرار في المعنى

دون اللفظ ٣

وكل منها : تكرار مفيد ، وتكرار غير مفيد . ٤

التكرير في اللفظ والمعنى

ينقسم إلى مفيد وغير مفيد :

١ - للفيد فرعان : (١) مقصود به فرضان مختلفان . أمثلة هـ

٩ (٢) مقصود به فرض واحد . أمثلة هـ

فائدة تكرير (أن) في قوله تعالى : « فلما أن أراد

١٢ أن يبطش »

١٣ لوم النحاة في قولهم بزيادة الحروف

من هذا القسم الثانی إضافة المعنى إلى نفسه مع اختلاف اللفظ ١٥

صفحة

أمثلة من القرآن الكريم والشعر ، وبيان الفائدة من	
هذه الإضافة	١٦
اعتداد المؤلف بأنه أول من نبه على هذا النوع	١٦
قد يدخل في التكرير ما ليس بتكرير . اعتداد المؤلف بأنه	
أول من تنبه إلى ذلك	١٦
أمثلة من القرآن الكريم والشعر ، وبيان السبب في	
التكرير بها	١٧
التكرير لطول الفصل بين اسم إن وخبرها	١٧
التكرير إذا كان خبر إن تاملا في معمول يطول ذكره	١٨
التكرير للاستعانة	١٩
التكرير للتنبيه	١٩
التكرير لعدد النعم	٢٠
التكرير لتأكيد الدح	٢٠
دفاع عن بيت للمعنى	٢١
قد آخر البيت	٢١
(٢) التكرير غير المفيد	٢٣
أمثلة له من الشعر	٢٣
<u>التكرير في المعنى دون اللفظ</u>	٢٥

ضرباه : مفيد وغير مفيد

(١) المفيد نوحان : الأول الدلالة على معنيين مختلفين	٢٥
أمثلة له من النثر والقرآن والشعر	٢٦
النوع الثاني : الدلالة على معنى واحد	٢٩
أمثلة له من القرآن والشعر	٢٩

- تفصيل القول في الآية الكريمة (فصيام ثلاثة أيام في الحج
وسبعة إذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة) ٣٠
- (٢) غير المفيد ٣٥
- أمثلة له من الشعر ٣٥
- رأى بعض البلاغيين في أنه لا عيب فيه إذا تفارقت ٣٥
- الألفاظ ٣٥
- رأى ابن الأثير أنه معيب في صدور الآيات الشعرية . ٣٦

النوع الثامن عشر

(٤٠ - ٤٩)

في الاعتراض

- حده ٤٠
- قسماه : قسم يأتي لفائدة ، وقسم لغير فائدة ٤٠
- (١) القسم المفيد ٤٠
- أمثلة له من القرآن الكريم ، وبيان فائدته ٤٢
- أمثلة له من الشعر وبيان فائدته ٤٣
- (٢) القسم غير المفيد : ضربان : ٤٦
- الضرب الأول لا يكسب الكلام قبحا ولا حسنا ٤٧
- أمثلة له ٤٧
- الضرب الثاني يفسد الكلام ٤٧
- أمثلة له ٤٧

النوع التاسع عشر

(٧٥ - ٤٩) في الكناية والتعريض

- ٤٩ . . . خلط علماء البيان بين الكناية والتعريض
عـمـيـز ابـن الأـثـير أحـدهـما من الأخر
٥٠ تعريفه للكناية - اشتقاقها
٥٦ تعريفه للتعريض
٥٧ فروق بينهما

الكناية

- ٥٨ تقسيمها إلى حسن وقبيح
٥٨ تقسيمها إلى غنـيـل وإرداف ومجاورة
٥٩ نقد ابن الأثير للتقسيم الثاني
٦٢ أمثلة من النثر والشعر للكناية
٧٠ ما يقبح ذكره من الكناية
٧٢ أمثلة للتعريض

النوع العشرون

(٨٤ - ٧٦) في المغالطات المعنوية

- ٧٦ حقيقة هذا النوع
٧٦ (١) المغالطة المتالية أو التورية بعـالـه مـثـل فـي الـألفاظ المـشـتركة
٧٦ . . . أمثلة لهذا النوع من الشعر ومن الحديث النبوي
٧٩ . . . كتاب لابن الأثير في وصف البرد والتلج

المنفعة

٨٠	كتاب له في وصف كريم
٨٠	كتاب إلى بعض إخوانه
٨١	كتاب له في وصف شخص بمال الأمور
٨١	كتاب إلى بعض إخوانه
٨١	كتاب له في وصف الحمى
٨٢	(٢) المناظرة النقيضية أو التورية بالنقيض
٨٢	أمثلة لها
٨٢	كتاب لابن الأثير في وصف فتح

النوع الحادى والمشرون

(٨٤ - ٩٦)

في الأحاجى

٨٤	مفها
٨٤	أمثلة لها
٨٥	الفرق بين الأحاجى والمناظرة والتمريض والكتابة
٨٦	أنواع الأحاجى : المصحف ، المكوس
٨٦	فائدة الأحاجى والألغاز
٨٦	أمثلة أخرى من الشعر
٨٨	مسألة ملفزة من مقامات الحريري ، وحل ابن الأثير لها
٩٠	الحسن من الأحاجى والألغاز
٩٠	القصيح منها
٩٠	أمثلة من النثر
٩١	خلو القرآن الكريم من هذا النوع
٩٣	أمثلة أخرى من الشعر

النوع الثانى والعشرون

فى المبادئ والافتتاحات (٩٦ - ١٢٠)

- ٩٦ حقيقة هذا النوع
- ٩٦ فائدته
- ٩٦ واجب الشاعر فى الافتتاح
- ٩٨ الابتداءات فى أوائل الصور القرائية
- ٩٨ أمثلة من قبيل الابتداء
- ١٠٣ أمثلة للابتداءات الحسنة من شعر أبى تمام والمقنبى
- ١٠٦ أمثلة من شعر غيرها
- ١٠٨ ملامة التعميدات فى أوائل الكتب السلطانية لموضوعها
- ١١٠ محميد لأبن الأمير فى تولية ولاية
- ١١٠ نهنته بفتح
- ١١٢ نهنته بمولود
- ١١٢ كتاب له إلى ديوان الخلافة
- ١١٣ » إلى بعض الإخوان
- ١١٤ كتاب آخر إلى بعض الإخوان
- ١١٤ » إلى بعض إخوانه
- ١١٥ كتاب إلى بعض إخوانه
- ١١٥ » » » »
- ١١٦ كتاب من الملك نور الدين إلى الملك الأفضل
- ١١٧ كتاب إلى بعض إخوانه
- ١١٧ كتاب إلى بعض إخوانه
- ١١٧ كتاب له فى التمزية

الصفحة

١١٨	من عاين هذا الباب الافتتاح بآية أو بحديث أو بشعر
١١٨	كتاب له في البشرى بفتح
١١٨	كتاب له في التقليد بالحسبة
١١٩	كتاب له في رجاء
١٢٠	توقيع له

النوع الثالث والمشمرون

(١٢١ - ١٤٢) في التخلص والاعتضاب

١٢١	التخلص والاعتضاب
١٢١	<u>التخلص</u>
١٢٢	أمثلة لبراعة المحدثين في التخلص
١٢٦	اعتضاب البعثرى
١٢٨	الرد على الناعى في قوله إن القرآن خال من التخلص
١٢٨	أمثلة للتخلص من القرآن الكريم
١٣٣	نماذج لتخلص ابن الأثير في رسائله
١٣٥	أمثلة أخرى من التخلص الحسن في الشعر
١٣٧	أمثلة للتخلص القبيح
١٣٩	<u>الاعتضاب</u>
١٣٩	أمثلة له : أما بعد . لفظة هذا
١٤١	أمثلة له من جيد الشعر

النوع الرابع والمشرون
في التناسب بين المعاني
(١٤٣ - ١٧٧)

أقسام هذا النوع :

(١) المطابقة أو المقابلة

- ١٤٣ حقيقة المطابقة والآراء فيها
١٤٣ رأى ابن الأثير
١٤٤ (١) المقابلة في اللفظ والمعنى
١٤٤ أمثلة لها
١٤٦ أمثلة من نثر ابن الأثير
١٤٦ أمثلة أخرى من الشعر
١٥١ (٢) المقابلة في المعنى دون اللفظ
١٥١ (٣) مقابلة الشيء بما ليس بضده
١٥٣ المواخاة بين المعاني
١٥٦ المواخاة بين المباني

(٢) مقابلة الشيء بمثله

- ١٥٩ مقابلة المفرد بالمفرد
١٦٢ مقابلة الجملة بالجملة

(٣) صحة التقسيم وفساده

- ١٦٦ أمثلة له
١٧٣ ترتيب التفسير

النوع الخامس والمشرون

في الاقتصاد والتفريط والإفراط (١٧٧-١٩٥)

١٧٧ حقيقة كل منها

١٧٨ التفريط

١٧٩ أمثلة من التفريط

١٨٠ عيب ذكر اسم الأم في المدح

١٨٣ عيب التعليق على شرط لا يليق

١٨٥ أغلاط في المدح

١٨٦ دفاع عن بيت لحسان بن ثابت

١٨٧ خطاب المدوح بكاف الخطاب جائر

١٨٨ أمثلة من القرآن الكريم ، والشعر الجيد

١٨٩ مجنب الخطاب بالأمر والنهي في المدح

١٩٠ ألفاظ تليق بالمدح وأخرى تليق بالقبح

١٩١ الإفراط

١٩١ جواز استعماله

١٩١ أمثلة له

١٩٤ الاقتصاد

١٩٤ توسطه بين التفريط والإفراط

١٩٤ أمثلة له من القرآن الكريم والشعر

الصفحة

النوع السادس والعشرون

في الاشتقاق

(١٩٥-١٩٩)

١٩٥	<u>الفرق بينه وبين التجنيس</u>
١٩٦	<u>نوعان : صغير وكبير</u>
١٩٦	<u>أمثلة للصغير</u>
١٩٨	<u>الاشتقاق الكبير</u>

النوع السابع والعشرون

في التضمين

(٢٠٠-٢٠٥)

٢٠٠	<u>التضمين الحسن</u>
٢٠٠	<u>نوعان : كلي وجزئي</u>
٢٠٠	<u>التضمين الكلي</u>
٢٠٠	<u>جواز التضمين الكلي من القرآن الكريم</u>
٢٠١	<u>التضمين الميب عند بعض البلاغيين</u>
٢٠١	<u>جوازه في رأى ابن الأثير</u>
٢٠١	<u>أمثلة له</u>
٢٠٣	<u>تضمين الفرض منه تأكيد المعنى</u>
٢٠٣	<u>أمثلة له</u>

النوع الثامن والعشرون

في الإحصاء

(٢٠٦-٢١٦)

٢٠٦	<u>حقيقته</u>
-----	---	---	---	---	---	---------------

الصفحة

٢٠٦	أمثلة له
٢٠٧	تسمية أبي هلال له بالتوشيح
٢٠٨	خلط علماء البيان في المصطلحات
٢١٠	بعض ألاعب الحريري ليست من علم البيان
	الرد على ابن سنان في حظر استعمال مصطلحات النحويين
٢١٢	والتكلمين والمهندسين ومما نهم
٢١٤	أمثلة من جيد الشعر في الرد عليه

النوع التاسع والمشرون

(٢١٦-٢١٧) في التوشيح

٢١٦	حقيقته
٢١٦	أمثلة له

النوع الثلاثون

(٢١٨-٢٩٢) في السرقات الشعرية

٢١٨	فائدة دراسة هذا النوع
٢١٨	وسيلته
٢١٩	لا معنى لنفاذ المعاني لأن الابتداء ممكن
٢١٩	المعاني الشائعة لا ابتداء فيها
٢٢٠	لا سرقة في المعاني الشائعة
٢٢٠	أمثلة لمعان مبتدعة

الصفحة

أقسام السرقات الشعرية

- النسخ ، والسلخ ، والضيخ ، وأخذ للمنى مع الزيادة عليه ،
وعكس المنى إلى ضده ٢٢٢
وسيلة الوقوف على السرقات حفظ الأسماء . . . ٢٢٣
أمثله مما حدث للمؤلف ٢٢٣
اعتماده في هذه الدراسة على شعر أبي تمام والبحتري والغني ٢٢٥
رأيه في كل منهم ٢٢٧

النسخ

- ٢٣٠
٢٣٠ حقيقته
٢٣٠ نوماه
٢٣٠ ١ - وقوم الحافر على الحافر
٢٣٠ بين طرفه وامرئ القيس
٢٣٠ بين جرير والفرزدق
٢٣٢ بين أبي نواس والحسين بن الضحاك
٢٣٣ ٢ - أخذ المنى وأكثر اللفظ
٢٣٣ بين أبي تمام وبعض المتقدمين

السلخ

أقسامه

- ٢٣٤ ١ - أخذ المنى واستخراج ما يشبهه

الصفحة

٢٣٤	• • • • •	<u>بين المتنبى والطرماح</u>
٢٣٥	• • • • •	<u>بين البحترى وأبى عام</u>
٢٣٥	• • • • •	<u>مثال آخر من شعرها</u>
٢٣٦	• • • • •	٢ — <u>أخذ المتنبى مجرداً من اللفظ</u>
٢٢٦	• • • • •	<u>بين أبى عام وعروة بن الورد</u>
٢٣٧	• • • • •	<u>بين شاعر وعبدالله بن المقفع</u>
٢٣٨	• • • • •	<u>بين المتنبى وجبرير</u>
٢٣٨	• • • • •	٣ — <u>أخذ المتنبى ويسير من اللفظ</u>
٢٣٨	• • • • •	<u>بين البحترى وأبى نواس</u>
٢٣٨	• • • • •	<u>بين البحترى وطى بن جبلة</u>
٢٣٩	• • • • •	<u>مثال آخر من شعرها</u>
٢٣٩	• • • • •	<u>بين أبى عام وعبد السلام بن رغبان</u>
٢٤٠	• • • • •	<u>بين أبى عام وحسان بن ثابت</u>
٢٤٠	• • • • •	<u>بين ابن الرومى وأبى عام</u>
٢٤١	• • • • •	<u>مثال آخر من شعرها</u>
٢٤١	• • • • •	<u>بين ابن الرومى ومنصور النمرى</u>
٢٤١	• • • • •	<u>بين المتنبى والفرزدق</u>
٢٤٢	• • • • •	<u>بين المتنبى وبشار</u>
٢٤٢	• • • • •	<u>بين المتنبى وابن الرومى</u>
٢٤٣	• • • • •	<u>متى يليق هذا الضرب من الأخذ</u>
٢٤٣	• • • • •	<u>متى يزداد قبضه</u>
٢٤٣	• • • • •	<u>أمثلة للأخذ القبيح</u>
٢٤٣	• • • • •	<u>بين للمتنبى وأبى تمام</u>

الصفحة

٢٤٤ ٤ — أخذ المني ثم قلبه وعكسه

٢٤٤ . . . بين مسلم بن الوليد وأبي نواس

٢٤٥ بين شاعر وطى بن جعفر

٢٤٥ بين المتنبي وأبي الشيص

٢٤٥ بين ابن الأثير وأبي تمام

٢٤٦ ٥ — أخذ بمض المني

٢٤٦ . . . بين أبي تمام وعبد الله بن جدهان

٢٤٧ بين المتنبي وطى بن جبلة

٢٤٧ بين البحتري وأبي تمام

٢٤٨ بين البحتري وشاعر متقدم

٢٤٨ بين المتنبي وابن الرومي

٢٤٩ ٦ — أخذ المني ثم الزيادة عليه

٢٤٩ . . بين مسلم بن الوليد والأخض بن شهاب

٢٤٩ بين أبي تمام وجريز

٢٥٠ . . . بين أبي تمام وولد مسلمة بن فهد الملك

٢٥٠ . . بين أبي تمام وابن المنذر

٢٥١ بين البحتري وأبي نواس

٢٥١ بين البحتري ومسلم بن الوليد

٢٥٢ بين أبي نواس وجريز

٢٥٣ بين أبي نواس والفرزدق

٢٥٣ بين المقنى وأبي نواس

٢٥٤ بين ابن الأثير والمتنبي

المنحة

٧ - أخذ المعنى والتعبير منه بمباراة أحسن من الأولى • ٢٥٤

- ٢٥٤ • • • • بين البحتري وأبى تمام
٢٥٥ • • • • • مثال آخر لها
٢٥٥ • • • • • بين المتنبى وأبى نواس
٢٥٦ • • • • • بين ابن نباتة السعدي والمتنبى
٢٥٦ • • • • • بين القيسراني وأبى الملاء
٢٥٦ • • • • • بين أبى هلال العسكري وابن الرومي
٢٥٧ • • • • • بين أبى تمام وشاعر سابق
٢٥٧ • • • • • بين البحتري وأبى تمام

٨ - أخذ المعنى وسبك سبكا موجزا • ٢٥٧

- ٢٥٨ • • • • • بين سلم الخامس وبشار
٢٥٨ • • • • • بين ابن الرومي وأبى تمام
٢٥٩ • • • • • بين ابن الرومي وأبى نواس
٢٥٩ • • • • • بين ابن قسيم الحموي وابن الرومي
٢٦٠ • • • • • بين أبى تمام وأبى المقاهية
٢٦٠ • • • • • بين المتنبى وأبى تمام
٢٦١ • • • • • مثال آخر لهما
٢٦١ • • • • • بين المتنبى وشاعر سابق

٩ - تخصيص العام وتعميم الخاص • ٢٦٢

- ٢٦٢ • • • • • بين أبى تمام والأخطل
٢٦٣ • • • • • بين المتنبى وأبى تمام

المنحة

- ١٠ - أخذ المني وزادته بيانا بمثال يوضحه ٢٦٣ . . .
- بين المتني وأبي تمام ٢٦٣
- مثال آخر من شعرها ٢٦٤
- بين البحتري وأبي تمام ٢٦٥
- ١١ - اتحاد الطريق واختلاف المقصد ٢٦٥
- المراد بهذا الضرب ٢٦٥
- موازنة بين قصيدتين في الرثاء لأبي تمام والمتني ٢٦٥
- المعاني التي انفقا فيها ٢٦٧
- المعاني التي اختلفا فيها ٢٦٨
- استطرد إلى الرد على من منعوا المفاضلة بين المعاني المختلفة ٢٧٠
- الرد على الذين فضلوا بعض الشعراء بأحكام خطائية عامة ٢٧٠
- الرد على بشار في تفضيل نفسه ٢٧٢
- مثال من التمعيب للقدمات ٢٧٣
- رأى ابن الأثير في المفاضلة بين الشعراء ٢٧٤
- الفرزدق وجريير والأخطل أشعر العرب ٢٧٤
- أبو تمام والبحتري والمتني أشعر منهم ٢٧٤
- الرد على دعوى أن جريراً اقتصر في هجاء الفرزدق على أربعة معانٍ ٢٧٥
- أمثلة شتى من هجائه بعمان أخرى ٢٧٦
- قدرة جريير على التصرف في المني الواحد ٢٨٠

الصفحة

عودة إلى النوع الحادى عشر من الصلخ

٢٨١ . . . أمثلة من اتحاد الطريق واختلاف المقصد

٢٨١ . . . بين النابغة وأبى نواس ومسلم وأبى تام والمتنبي

٢٨٤ بين المتنبي والبحترى

٢٨٤ . . . موازنة بين قصيدتهما فى وصف الأسد

٢٨٨ بين المتنبي والبحترى فى الرثاء

٢٨٩ بين الشريف الرضى والبحترى

٢٩٠ المسوخ

٢٩٠ تمريفه

٢٩٠ بين المتنبي وأبى تمام

٢٩١ بين المتنبي وابن رغبان

قلب الصورة القبيحة إلى حسنة لا يسمى سرقة

٢٩٢ بين ابن نباتة السعدي والمتنبي

٢٩٢ بين المتنبي وأبى نواس

فهرس الموضوعات

بقية المثل السائر

١

٢

تكملة باب السرقات

٣

فضيلة الفصاحة والبلاغة

٤

مزايا النثر على النظم

٥

الفرق بين الكتابة والشعر

فهرس الفلك الدائر

تصدير : ابن أبي الحديد ، حياته (١٥) مؤلفاته (١٦) شعره (١٧) .

الفلك الدائر : لماذا ألفه ؟ (٢١) طريقتنا في إخراجه (٢٢) الطابع العام

لفقد ابن أبي الحديد : بعضه حق (٢٣) بعضه بجانب للاحق (٢٨) بعضه متحامل
قاس (٢٩) .

موضوعات الكتاب :

مقدمة ابن أبي الحديد (٣١)

المسائل التي عرصه لها .

١ - التعبير عن الحمد (٣٥)

٢ - تعليم البيان (٣٦)

- ٣ - عطف الفعل على الاسم (٣٧)
- ٤ - ادعاء فضيلة الأحسان (٣٧) .
- ٥ - موضوع علم النحو (٣٨) .
- ٦ - مفسرو الأشعار (٣٩) .
- ٧ - علاقة الأدب بالعلوم (٤٠) .
- ٨ - أثر العلامة الإعرابية في فهم المعنى (٤١) .
- ٩ - تصغير الاسم الحماسي (٤٢)
- ١٠ - هل غلط أبو نواس في استعمال مُقَلَّى؟ (٤٣)
- ١١ - هل غلط أبو تمام في استعمال أطادت؟ (٤٥)
- ١٢ - هل لحن أبو نواس في للمستننى؟ (٤٥) .
- ١٣ - هل خفي على المتنبي الجمع في حال التثنية؟ (٤٦) .
- ١٤ - الحاجة إلى الإدغام (٤٧) .
- ١٥ - الترادف (٤٧) .
- ١٦ - الاشتراك (٤٨) .
- ١٧ - علاقة المشترك بالتجنيس (٤٩) .
- ١٨ - هل في القرآن كلمات مشتركة؟ (٥١) .
- ١٩ - هل الأسماء المشتركة من وضع قبائل مختلفة؟ (٥٢) .
- ٢٠ - حد المثل (٥٣) .
- ٢١ - بين ابن أبي الحديد والفاضي الفاضل (٥٤) .

- ٢٢ - فائدة من فوائد معرفة الإدغام (٥٦) .
- ٢٣ - تأويل اللفظ في المعنى وضده (٥٦) .
- ٢٤ - تفسير بيت المتنبي (٥٨) .
- ٢٥ - تفسير بيت آخر له (٦٠) .
- ٢٦ - ما يدل على الشيء وغيره من القرآن الكريم (٦٥) .
- ٢٧ - تعبير يدل على الشيء وغيره (٦٦) .
- ٢٨ - تعبير آخر يدل على الشيء وغيره (٦٧) .
- ٢٩ - تعبير من التوراة يحتمل وجهين (٦٨) .
- ٣٠ - تعبير لأفلاطون يحتمل وجهين (٦٩) .
- ٣١ - بيت لأبي صخر الهذلي يحتمل وجهين (٧٠) .
- ٣٢ - لا علاقة بين الكهانة والوزن (٧١) .
- ٣٣ - الفرق بين الترجيح البياني والترجيح الفقهي (٧٢) .
- ٣٤ - وسيلة الترجيح بين الحقيقة والمجاز (٧٣) .
- ٣٥ - بيان الترجيح بين الحقيقة والمجاز (٧٣) .
- ٣٦ - دلالة القرينة الدقيقة على مراد المتكلم (٧٦) .
- ٣٧ - دلالة القرينة المتقدمة على المنى المراد (٧٨) .
- ٣٨ - حد الحقيقة (٧٩) .
- ٣٩ - الفرق بين الحقيقة والمجاز اعتماداً على تبادر الأفهام (٨١) .
- ٤٠ - الفرق بينهما جواز الحقيقة على العموم في نظائرها (٨٣) .

- ٤١ — هل لكل مجاز حقيقة؟ (٨٥) .
- ٤٢ — الفرق بين الفصاحة والبلاغة (٨٦) .
- ٤٣ — رأى ابن أبي الحديد في حد الفصاحة (٨٨) .
- ٤٤ — هل الفصاحة مختصة بالألفاظ دون المعاني؟ (٨٩) .
- ٤٥ — علاقة الفصاحة بالكلام المركب (٩٠) .
- ٤٦ — ما معنى الفصيح؟ (٩٠) .
- ٤٧ — التدليل والتعليل في علم البيان (٩٢) .
- ٤٨ — نثر المنظوم (٩٣) أمثلة من كلام ابن الأثير (٩٣) أمثلة من كلام ابن أبي الحديد (٩٧) .
فصل في التهنية بعيد (٩٧) فصل في لقاء عدو (٩٨)
فصل في وصف منهزم (٩٩) فصل في الصفح عن الجرائم (١٠٠)
فصل في ذكر المراسلة (١٠١) فصل (١٠١) فصل (١٠٢) فصل
في ذكر معقل (١٠٢) .
- ٤٩ — مثال من كلام ابن الأثير في حل بيتين (١٠٣) فصل من كلام ابن أبي الحديد (١٠٤) فصل في صفة جيش (١٥٠) فصل (١٠٦)
- ٥٠ — فصل في نثر بيت للمتنبي (١٧٠) فصل في صفة السيوف (١٠٧) فصل
(١٠٩) فصل في الكتاب (١١٠) فصل في ذكر السبابا (١١٠) .
- ٥١ — فصل في نثر بيت للمتنبي (١١١) فصل (١١٢) فصل (١١٤)
فصل (١١٦) فصل (١١٨) .
- ٥٢ — فصل في حل بيت للمتنبي (١١٨) فسطاط مصر (١٢٠) فصل
(١١٢) فصل (١٢٣) فصل (١٢٤) فصل (١٢٤) .

- ٥٣ — فصل في هيئة عسكر (١٢٥) فصل (١٢٦) فصل في ذكر الدنيا
(١٢٧) فصل (١٢٨) فصل في صفة الخيل (١٢٩) الترصيع بالآيات
القرآنية وغيرها (١٣٠) أمثلة من كلام ابن أبي الحديد (١٣٠) .
- ٥٤ — تباعد مخارج حروف اللفظة (١٧٢) .
- ٥٥ — ألفاظ متقاربة المخارج وهي غير مستقبحة (١٧٤) .
- ٥٦ — هل الظرف يختص باللسان؟ (١٧٥) .
- ٥٧ — هل طول اللفظة يقبحها؟ (١٧٦) .
- ٥٨ — تكرير المعنى في السجعة الثانية (١٧٨) .
- ٥٩ — أنواع التصريح (١٨١) .
- ٦٠ — من أنواع التجنيس (١٨٨) .
- ٦١ — نوع آخر منه (١٨٩) .
- ٦١ — الموازنة (١٩٠) .
- ٦٣ — الصناعة المعنوية (١٩٠) .
- ٦٤ — المدول عن الحقيقة إلى المجاز (١٩٢) .
- ٦٥ — بين التشبية والتوكيد (١٩٥) .
- ٦٦ — متى يؤلى بالتوكيد؟ (١٩٦) .
- ٦٧ — الانساع (١٩٧) .
- ٦٨ — تقسيم الغزالي المجاز (١٩٨) .
- ٦٩ — القسم الأول تسمية الشيء باسم ما يشاركه في الخاصية (١٩٩) .

- ٧٠ — القسم الثمانى تسمية الشيء باسم ما يشول إليه (١٩٩) .
- ٧١ — القسم الثالث تسمية الشيء باسم فرعه (٢٠١) .
- ٧٢ — القسم الخامس تسمية الشيء بما يدعو إليه (٢٠٢) .
- ٧٣ — القسم السادس تسمية الشيء باسم مكانه (٢٠٣) .
- ٧٤ — القسم السابع تسمية الشيء باسم ما يجاوره (٢٠٤) .
- ٧٥ — القسم الثامن تسمية الشيء باسم جزئه (٢٠٥) .
- ٧٦ — القسم التاسع تسمية الشيء باسم ضده (٢٠٦) .
- ٧٧ — القسم العاشر تسمية الشيء بفعله (٢٠٧) .
- ٧٨ — القسم الحادى عشر تسمية الشيء بكلمه (٢٠٩) .
- ٧٩ — القسم الثانى عشر الزيادة فى الكلام بغير فائدة (٢١٠) .
- ٨٠ — القسم الثالث عشر تسمية الشيء بحكمه (٢١٢) .
- ٨١ — القسم الرابع عشر النقصان الذى لا يبطل به المعنى (٢١٣) .
- ٨٢ — فى شروط بلاغة التشبيه (٢١٤) .
- ٨٣ — التجريد (٢١٧) .
- ٨٤ — حول رأى لأبى على الفارسى فى التجريد (٢١٩) .
- ٨٥ — رد على أبى على ودفاع عنه (٢٢٠) .
- ٨٦ — رد آخر ودفاع (٢٢١) .
- ٨٧ — اعتراض على أبى على ورد على الاعتراض (٢٢١) .
- ٨٨ — الالتفات (٢٢٤) .

- ٨٩ — الفرض منه عند الزمخشري (٢٢٥) .
- ٩٠ — اعتراض على الزمخشري ودفاع عنه (٢٢٧) .
- ٩١ — توكيد الضمير المتصل (٢٢٨) .
- ٩٢ — توكيد المتصل بالمتصل (٢٣٠) .
- ٩٣ — العام والخاص (٢٣١) .
- ٩٤ — الفرق بين (ذهب الله بنورم) وأذهب الله نورم (٢٣٤) .
- ٩٥ — نقى الجنس (٢٣٦) .
- ٩٦ — في قوله تعالى : (لا يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) (٢٣٨) .
- ٩٧ — في قوله تعالى : (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما) (٢٤١) .
- ٩٨ — الترقى من الأدنى إلى الأعلى (٢٤٢) .
- ٩٩ — بيت لأبى تمام (٢٤٤) .
- ١٠٠ — تقديم المفعول على الفعل للاختصاص (٢٤٥) .
- ١٠١ — آية قرآنية (٢٤٦) .
- ١٠٢ — اعتراض على الزمخشري ودفاع عنه (٢٤٧) .
- ١٠٣ — آية قرآنية (٢٤٨) .
- ١٠٤ — تقديم خبر المبتدأ للاختصاص (٢٥٠) .
- ١٠٥ — آية قرآنية (٢٥١) .
- ١٠٦ — آية قرآنية (٢٥٣) .
- ١٠٧ — تقديم الظرف للاختصاص فى الإثبات (٢٥٧) .

- ١٠٨ — تقديم الظرف في النفي قد يكون للتفضيل (٢٥٩) .
- ١٠٩ — تقديم الحال للاختصاص (٢١١) .
- ١١٠ — تقديم الاستثناء للاختصاص (٢١٢) .
- ١١١ — الفاء ليست للفوز بل للتعقيب (٢١٣) .
- ١١٢ — آيات قرآنية (٢٦٤) .
- ١١٣ — ألفاظ المبالغة والتكثير (٢٦٧) .
- ١١٤ — متى يجوز حمل اللفظة على التضمين الذي يفيد المبالغة ؟ (٢٦٨) .
- ١١٥ — هل عليم أبلغ في المعنى من عالم ؟ (٢٧٠) .
- ١١٦ — تطويل لا حاجة إليه (٢٧٢) .
- ١١٧ — تفسير بيت لأبي تمام (٢٧٥) .
- ١١٨ — رواية في بيت لأبي نواس (٢٧٧) .
- ١١٩ — تقدير المحذوف في بعض آيات قرآنية (٢٧٨) .
- ١٢٠ — هل حذف الفاعل لا يجوز ؟ (٢٧١) .
- ١٢١ — متى يحذف الفعل ؟ (٢٨٢) .
- ١٢٢ — حذف الفعل قسمان (٢٨٢) .
- ١٢٣ — ما العامل في البديل ؟ (٢٨٣) .
- ١٢٤ — التكرير (٢٨٤) .
- ١٢٥ — آية قرآنية (٢٨٥) .
- ١٢٦ — الفرض من التكرير (٢٨٧) .

- ١٢٧ — رأى فى معنى الواو فى قوله تعالى (وسبعة إذا رجعت) (٢٨٩) .
- ١٢٨ — آيتان قرآنيّتان (٢٨٩) .
- ١٢٩ — تعليق آخر على آية الصوم (٢٩٠) .
- ١٣٠ — تعليق ثالث (١٩٠) .
- ١٣١ — عطف المترادفين (٢٩١) .
- ١٣٢ — حد الكناية (٢٩٢) .
- ١٣٣ — حد الألفاظ والأحاجى (٢٩٦) .
- ١٣٤ — مناسبة التجميدات لمعانى الكتب السلطانية (٢٩٧) .
- ١٣٥ — المطابقة (٣٠٠) .
- ١٣٦ — ترتيب التفسير (٣٠٠) .
- ١٣٧ — نقد الأعشى (٣٠١) .
- ١٣٨ — الفرق بين المترسل والشاعر (٣٠٢) .
- ١٣٩ — الفرق بين الشعراء وموضوعات المترسلين (٣٠٦) .
- ١٤٠ — الفرق بين الشعراء وموضوعات المترسلين فى رأى ابن الأثير
(٣٠٩) .
-

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

هذا كتاب « المثل السائر » الذى ألفه ضياء الدين بن الأثير فى أدب الكاتب والشاعر ، نقدمه اليوم إلى الباحثين عن الفكرة العربية فى مظانها التى يعد « المثل السائر » فى طليعة تلك المظان الأصيلة ، بما حوى من الآراء والفكر التى تدور حول فن الأدب ، والتى تتعمق إلى أصوله فى عصر ابن الأثير ، وفى العصور التى سبقت ، وهى التى زخرت بكثير من أصول تلك الصناعة التى اهتدى إليها العلماء وكبار الأدباء والنقاد الذين يعرفهم تاريخ الأدب والنقد عند هذه الأمة العربية التى تعمل اليوم فى جد ودأب لبناء قوميتها ، وتبحث فى إصرار عن المقومات الأصيلة لهذه القومية فى السياسة والعلم والتفكير والأخلاق والفنون ، لتبعثها من جديد مجارية ركب التقدم ، ولتعيد إليها سالف مجدها فى بناء الحضارة الإنسانية .

وعلى الرغم مما يمتاز به هذا الكتاب من الآراء المستنيرة التى أثرت عن أعلام التفكير الفنى ، والتى يعد هذا الكتاب سجلاً حافلاً لها ، فإن فيه من معالم الأصالة وآثار الشخصية التى تميز صاحبها من غيره من الباحثين شيئاً كثيراً .

وقد كان لنا من إخراج هذا الأثر وإعادة نشره غايات ثلاث :

أولها : تقديم نسخة صحيحة من هذا الكتاب يستطيع الباحثون والدارسون الاعتماد عليها ، بعد أن عز على كثير من الطالين اقتناء نسخة منه ، بسبب تقادم العهد بينهم وبين عهود نشره ، ونفاد هذا السفر الجليل من المكتبات العربية ، مع الإحساس بالحاجة إليها ، ليقوم بدوره بجانب ما بعث من آثار التراث العربى فى الناحية التى يتصدى لها هذا الكتاب .

والثانية : إحياء ناحية لها أهميتها من نواحي التفكير الفنى عند العرب فى هذا العهد الذى يمتاز ببعث نفائس التراث العربى ، وإحياء مصادر الثقافة العربية ونشرها ، تمهيداً لدرسها ، واستخراج كل صالح مفيد من الأفكار التى اشتملت عليها .

والثالثة : وصل تلك الآراء التى اشتمل عليها المثل السائر بغيرها من الآراء التى توافقها أو تخالفها . والغاية من ذلك الوقوف على أصالة مباحث هذا الكتاب ومداهما فيما عرضت له من الدراسات ، وكذلك معرفة حظ ابن الأثير من تلك الأصالة . وهذه الغاية الأخيرة وحدها جديرة بأن يفرد لها بحث ، بل بحوث مستقلة . ولذلك اكتفينا بالإشارة فى هامش هذه الطبعة إلى الآراء التى توارد عليها ابن الأثير وغيره من الذين بحثوا فى مثل ما بحث ، والآراء التى نقلها عن غيره ناسباً إياها إلى صاحبها الأصلي . أو التى ادعاها لنفسه ، مما وجدنا ثمرة الإفادة منه واضحة . وأثر الاقتفاء بارزاً . ولم يخرج ذلك عن طبيعة ما وضع الهامش من أجله بما لا يخرج عن حد الإشارة أو اللمحة الدالة .

أما ضروب الأصالة ، ومنابع العقلية التى استقى منها هذا الكتاب ، فإننا ذكروها فى هذه المقدمة ، بما لا يخرج أيضاً عن طبيعة المقدمات .

* * *

وإذا كان لكل مؤلف فى فن من فنون التأليف لون خاص من ألوان المعرفة يمتاز به عما سواه ، وناحية يظهر تفوقه فيها . ويظهر تقصيره فى غيرها . فإن ابن الأثير قد حلق فى آفاق كثيرة من آفاق المعرفة ، تجدد صداها واضحاً فى هذا السفر النفس . فأنت ترى فيه الكثير من الإشارات التاريخية التى لا يعرفها إلا الواقفون على أحداث الزمان ، والعارفون بتقلباته وسير أبطاله وأعلامه .

وتقرأ فيه آثار معرفة واسعة بعلوم العربية التى لا يعرفها إلا المختصون بدراسة أصولها ، والمتبحرون فى فقه لغتها ، والعاكفون على معرفة نحوها وصرفها ، وأساليب التعبير بها . وتطالع فى المثل السائر آثار معرفة بكتاب الله . وحفظ آياته ، وقدرة عجيبة على استحضارها ، والتمثل بها فى كل موضع يريد أن يتمثل فيه بما يوافق آراءه فى وسائل الإجابة ، وأسباب الإتيان . وتجدد فيه كثيراً من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وفقه سنته ، والوقوف على سيرته وأخبار صحابته .

كل ذلك إلى جانب ما وشيت به صفحات المثل السائر من حكم العرب وأمثالها ، ومن مآثور منظومها ، وجيد منثورها ، مما يروك الإطلاع عليه ويأخذ بلبك ما ترى من القدرة على استحضاره ، وإجادة التمثل به .

هذه الألوان الكثيرة من المعرفة ، وبهذه الثقافات المتنوعة كمل ابن الأثير نفسه ، حتى يحسن إعداد نفسه لما عرض له من علاج الأدب الذى كانوا يعرفون أنه الأخذ من كل فن بطرف .

ولقد كان ابن الأثير أديباً من كبار أدباء العرب ، وكاتباً من كتابهم المعدودين والكاتب - كما يرى ابن الأثير - ينبغي أن يتعلق بكل علم ، وفي رأيه أن كل ذى علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه ، فيقال : فلان النحوى وفلان الفقيه ، وفلان المتكلم . ولا يسوغ له أن ينسب إلى الكتابة ، فيقال : فلان الكاتب ، وذلك لما يفتقر إليه الكاتب من الخوض في كل فن . .

وبمثل هذه النظرة إلى الأديب الكاتب وما ينبغي له ، نظر ابن الأثير إلى البلاغى أو صاحب البيان ، وذهب إلى أنه لا ينبغي له أن يقدم على هذا العلم إلا إذا اكتملت لديه ألوان ثمانية من المعارف ، وهى :

- ١ - معرفة علم العربية من النحو والتصريف .
- ٢ - معرفة ما يحتاج إليه من اللغة ، وهو المتداول المألوف استعماله في فصيح الكلام غير الوحشى الغريب ، ولا المستكره المعيب .
- ٣ - معرفة أمثال العرب وأيامهم ، ومعرفة الوقائع التى جاءت في حوادث خاصة بأقوام ، فإن ذلك جرى مجرى الأمثال أيضاً .
- ٤ - الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور . فإن في ذلك فوائد جمة ، لأنه يعلم منه أغراض الناس ونتائج أفكارهم . ويعرف به مقاصد كل فريق منهم . وإلى أين ترامت به صنعتهم في ذلك . فإن هذه الأشياء مما تشحذ القريحة ، وتذكى الفطنة . وإذا كان صاحب الصناعة عارفاً بها تصير المعانى التى ذكرت ، وتعب في استخراجها ، كالشئ الملقى بين يديه « يأخذ منه ما أراد ، ويترك ما أراد . وإذا كان مطلعاً على المعانى المسبوق إليها فإنه قد يتهيأ له من بينها معنى غريب لم يسبق إليه .
- ٥ - معرفة الأحكام السلطانية من الإمامة والإمارة والقضاء والحسبة وغير ذلك ، لما يحتاج إليه الكاتب في تقليدات الملوك والأمراء ، وغيرهم ممن يجرى مجراهم ، وإذا لم يكن الكاتب عارفاً بالحكم في الحوادث واختلاف أقوال العلماء فيها ، وما هو رخصة في ذلك ، وما ليس برخصة ، فإنه لا يستطيع أن يكتب كتاباً ينتفع به .
- ٦ - حفظ القرآن الكريم . فإن صاحب هذه الصناعة ينبغي له أن يكون عارفاً به لأن فيه فوائد كثيرة منها أن يضمن كلامه بالآيات في أماكنها اللائقة بها . واستعمالها في مواضعها المناسبة لها ، ولا شبهة فيما يصير للكلام بذلك من الفخامة والجزالة والرونق

وإذا عرف مواقع البلاغة وأسرار الفصاحة المودعة في تأليف القرآن اتخذها بحراً يستخرج منه الدرر والجواهر ، ويودعها مطاوى كلامه .

٧ - حفظ الأخبار النبوية ، مما يحتاج إلى استعماله ، فإن الأمر في ذلك يجري مجرى القرآن الكريم .

٨ - ما يختص بالناظم دون النثر . وذلك معرفة العروض ، وما يجوز فيه من الزحاف ، وما لا يجوز ، فإن الشاعر محتاج إليه ، وإن كان النظم مبنياً على الذوق ، ولكن الذوق قد ينبو عن بعض الزحافات . ويكون ذلك جائزاً في العروض ، وقد ورد للعرب مثله ، فإذا كان الشاعر غير عالم به ، لم يفرق بين ما يجوز من ذلك وما لا يجوز

وكذلك يحتاج الشاعر أيضاً إلى معرفة علم القوافي ، ليعلم الروى والردف ، وما يصح من ذلك وما لا يصح .

وقد اشترط ابن الأثير قبل تحصيل تلك المعارف جميعها أن يكون الله تعالى قد ركب في الأديب طبعاً قابلاً لهذا الفن ، ورأى أن صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى التشبث بكل فن من الفنون ، حتى إنه يحتاج إلى معرفة ما تقوله النادرة بين النساء ، والماشطة عند جلوة العروس . وإلى ما يقوله المنادى على السلعة في السوق . والسبب في ذلك أنه مؤهل لأن يهيم في كل واد ، فيحتاج أن يتعلق بكل فن : لأن الحكمة ضالة المؤمن ، وقد يستفيد منها أهلها من غير أهلها .

وهكذا يغالى ابن الأثير في ثقافة الأديب ، ويرى أنها لا حصر لمواردها ، ويذهب إلى أن البيان كالجمال ، لا نهاية لكل منها .

* * *

ولقد كان ضياء الدين على حظ عظيم من تلك الثقافات ، كما يشهد لذلك هذا الكتاب ، وما أودع فيه من فنونها الكثيرة التي حصلها بجده ، والطبع الأصيل الذي منحه الله إياه . وكل ركن من الأركان التي ذكرها ، وكل آلة من الآلات التي أوجب أن تكون طوع يمين الكاتب ، فقد عنى نفسه في البحث عنها في مظانها . والواقع أن أكثر ما ذكر ضياء الدين من أصول فن الأدب ، وما يسمو به وما ينحط

لم يكن من أثر النظر وضروب التخيل لمثل الفن الأدبي ، كما كان ذلك شأن أكثر الآراء التي أثرت عن الذين قننوا لهذا الفن ، ووضعوا قواعده ، وقد كان جهد أكثرهم أهمية ، وأجدرهم بالاعتبار ، الموازنة بين الأعمال الأدبية ، واستخلاص مظاهر القوة والجمال التي تمتاز بها بعض تلك الأعمال على بعض . وكان أكثر تلك الأعمال من صنع غيرهم ، على حين أن ابن الأثير كانت صفته الأساسية البارزة اشتغاله بالأدب ، واحترافه فن الكتابة الذي عدّ علماً من أعلامه ، وارتقى به هذا الفن حتى وصل به إلى مرتبة الوزارة ، وتصريف شئون المملكة ، بصرف النظر عن مدى توفيقه في ذلك المنصب الخطير ، وسوء تدبيره للأمور ، مما كانت عاقبته نكالا عليه وعلى من ولاه . لذلك كانت آراؤه في الأدب والنقد صادرة عن الفن الذي أعد نفسه له ، وعن التجربة التي عاش فيها حياته . ولذلك قرأ ضياء الدين آثار الكتاب الذين ذاع صيتهم وحلق نجمهم ، في سماء صناعة الكتابة ، ليقف على مناهجهم فيها ، وينقد منها ما لا يراه جارياً وفق مقاييسه التي يرتضيها وهي المقاييس التي رأى أنها أكثر دلالة على إتقان الصنعة ، ولم يقف في سبيل ذلك عند آثار القدماء من فحول هذه الصناعة ، بل إنه نقد معاصريه منهم ، وهم الذين كان يشار إليهم في عصره في هذه الصناعة بالبنان .

وكان ابن الأثير لا يقنع بما يوجهه إلى أولئك الأعلام من النقد لآثارهم ، ولكنه كان يتبع هذا النقد بنماذج من آثاره ، ويوقف على الفرق بين أسلوبه وأسلوب غيره ، حتى يستدرج قارئه إلى الإذعان لنبوغه ، والتسليم بتفوقه ، ثم يثنى على نفسه وفنه بما استطاع . والأدلة على ذلك كثيرة منها :

١ - نقده للقاضي الفاضل في قوله ^(١) : « وعرض على كتاب كتبه عبد الرحيم بن علي البيساني - رحمه الله - عن الملك صلاح الدين يوسف ابن أيوب - رحمه الله - إلى ديوان الخلافة ببغداد في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، وضمنه ما أبلاه في خدمة الدولة من فتح الديار المصرية ، ومحو الدولة العلوية ، وإقامة الدعوة العباسية ، وشرح فيه ما قاساه في الفتح من الأهوال » .

(١) انظر صفحة ٥٤ وما بعدها من هذه الطبعة .

قال : ولما تأملته وجدته كتاباً حسناً قد وفي فيه الخطابة حقها ، إلا أنه أخل بشيء واحد ، وهو أن مصر لم تفتح إلا بعد أن قصدت من الشام ثلاث مرات ، وكان الفتح في المرة الثالثة ، وهذا له نظير في فتح النبي صلى الله عليه وسلم ، مكة فإنه قصدها عام الحديبية ، ثم سار إليها في عمرة القضاء ، ثم سار إليها عام الفتح ، ففتحها .

ثم يقول : وقد سألتني بعض الإخوان أن أنشيء في ذلك كتاباً إلى ديوان الخلافة معارضاً للكتاب الذي أنشأه عبد الرحيم بن علي - رحمه الله - فأجبتني إلى سؤاله ، وعددت مساعي صلاح الدين يوسف بن أيوب - رحمه الله - فقلت . . إلخ إلى أن يقول : وعجبت من عبد الرحيم بن علي البيساني ، مع تقدمه في فن الكتابة ، كيف فاتته أن يأتي به في الكتاب الذي كتبه ! ؟

٢ - قوله في ابن زياد الكاتب البغدادي : « وجدت لابن زياد البغدادي كتاباً كتبه إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف المقدم ذكره في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وضمنه فصولاً تشتمل على أمور أنكرت عليه من ديوان الخلافة ، فمن تلك الأمور التي أنكرت عليه أنه تلقب بالملك الناصر ، وذلك اللقب هو لأمر المؤمنين خاصة ، فإنه الإمام الناصر لدين الله . فلما وقفت على ذلك الكتاب وجدته كتاباً حسناً ، قد أجاد فيه كل الإجاداة ، ولم أجده فيه مغمراً إلا في هذا الفصل الذي يتضمن حديث اللقب ، فإنه لم يأت بكلام يناسب باقي الفصول المذكورة ، بل أتى بكلام فيه غثاثة كقوله : « ما يستصلحه المولى فهو على عبده حرام » وشيئاً من هذا النسق . وكان الأليق والأحسن أن يحتج بحجة فيها روح ، ويذكر كلاماً فيه ذلاقة ورشاقة .

قال : وحضر عندي في بعض الأيام بعض إخواني ، وجرى حديث ذلك ، فسألني عما كان ينبغي أن يكتب في هذا الفصل ، فذكرت ما عندي ، وهو : . . إلخ .

إلى أن يقول منهاً القارئ إلى ما وفق إليه ، وموازنًا بين نفسه وابن زياد : « فانظر أيها المتأمل كيف جئت بالخبر النبوي ، وجعلته شاهداً على هذا الموضع ، ولا يمكن أن يحتج في مثل ذلك إلا بمثل هذا الاحتجاج ، وما أعلم كيف شذ عن ابن زياد أن

يأتى به ، مع أنه كان كاتباً مفلحاً أرتضى كتابته ، ولم أجد فى متأخرى العراقيين من يماثله فى هذا الفن « (١) .

٣ - وقد نقد أبا إسحاق الصابى فى كثير من المواضع ، وأورد له الرسائل الطويلة ، والتنف السيرة ، وأتبعها بكتابته ، ليرى الفرق بين الكتابتين ؛ فمن ذلك ما أورده من قول الصابى فى صفة النبی ﷺ « لم ير للكفر أثراً إلا طمسه ومحاه . ولا رسماً إلا أزاله وعفاه » ، وقد عابه ابن الأثير بأنه لافرق بين مرور العصور وكرور الدهور ، وكذلك لافرق بين محو الأثر وعفاء الرسم .

وأورد للصابى أيضاً قوله فى بعض كتبه « وقد علمت أن الدولة العباسية لم تزَل على سالف الأيام ، ومتعاقب الأعوام ، تعتل تارة ، وتصح أطواراً ، وتلتاث مره ، وتستقل مراراً ، من حيث أصلها راسخ لا يترزعزع ، وبنياتها ثابت لا يتضعضع » وعابه ابن الأثير بأن هذه الأسجاع كلها متساوية المعانى فان الاعتلال والالتاث ، والطور والمره ، والرسوخ والثبات ، كل ذلك سواء . وساق على هذا النحو من النثر الصابى أمثله أخرى .

٤ - وعاب على صاحب بن عباد ما كتبه فى وصف مهزومين « طاروا واقين بظهورهم صدورهم ، وبأصلاهم نحورهم » بقوله : إن كلا المعنيين سواء . . . وكذلك نقد قول صاحب فى وصف ضيق مجال الحرب « مكان ضنك على الفارس والراجل ، ضيق على الرامح والنابل » وقوله فى كتاب « لا تتوجه همته إلى أعظم مرقوب إلا طاع ودان ، ولا تمتد عزيمته إلى أفخم مطلوب إلا كان واستكان » ، فإن كل هذا الذى ذكره صاحب فى نظر ابن الأثير شيء واحد . لأنها ألفاظ متعددة تؤدى معانى واحدة .

وقول صاحب من كتاب « وصل كتابه جامعاً من الفوائد أشدها للشكر استحقاقاً وأتمها للحمد استغراقاً ، وتعرفت من إحسان الله فيما وفر من سلامته ، وهناه من كرامته ، أنفس موهوب ومطلوب ، وأحمد مرقوب ومخطوب » نقده ابن الأثير بأن هذا كله مماثل المعانى متشابه الألفاظ (٢) .

(١) انظر صفحة ٥٧ وما بعدها من هذه الطبعة . (٢) انظر صفحة ٢١٤ وما بعدها من هذه الطبعة

وقد أراد ابن الأثير أن ينفي عن نفسه مظنة التحامل على هذين الكاتبين الكبيرين والتعصب عليهما ، فيما قدمه من الأمثلة المسجوعة للصابى والصاحب ابن عباد ، فقد يذهب بعض الناس إلى أن المآخذ فيها يسيرة لأنها جمل قصيرة ، قد يقال إنه التقطها التقاطاً من جملة رسائلها الطويلة .

وقد حاول أن يخرج نفسه من هذه التهمة ، بأنه وجد للصابى تقليداً بنقابة الأشراف العلويين ببغداد ، وكان ابن الأثير قد أنشأ تقليداً بنقابة الأشراف العلويين بالموصل ، وقد أورد التقليديين في كتابه ^(١) ، ليتأملها الناظر ، ويحكم بينهما إن كان عارفاً ، أو يسأل عنهما العارف إن كان مقلداً .

وعلى الرغم من أن كلام ابن الأثير هنا غاية الوضوح ، إذ أنه يحاول أن يقود القارئ إلى الحكم الذى يريد ، وهو الحكم بتفوقه ، أو تفوق كتابته على الصابى أو كتابته ، فإنه يحاول أن يستر ما أظهر من انتقاصه ، ولا يجد سبيلاً إلى ذلك إلا أن يورد تقليد الصابى أولاً ، لأنه كما يقول « المقدم زماناً وفضلاً ! » .

ومعنى ذلك أنه يريد أن يقول إنه إذا كان قد بذ المقدم زماناً وفضلاً في نظر الناس فهو أحق بالفضل والتقدمة ، وإن تأخر به زمانه !

وحين يرى وضوح الغاية من كلامه ، يحاول أن يسترها بأنه لم يقصد بما أورد من كتابة الصابى وكتابته الوضع من منزلة الرجل : أو التهوين من خطر فنه .

وقد يكون ذلك حقاً ، وقد يكون الوضع من شأن الصابى في حد ذاته لم يكن

هدف ابن الأثير من هذه الكلمات وتلك الموازنات . وإنما كان القصد الحقيقى هو

إثبات تفوقه عليه ، وتمكنه من صناعة الكتابة على درجة لم يستطع أن يصل إليها

الصابى ، أو غيره من أعلام الكتاب ، الذين اعترف لهم الناس بالإجادة والسبق .

ولذلك تراه يعترف بمنزلة الصابى ، وبأن علم الكتابة قد رفعه ، وأنه إمام هذا

الفن ، والواحد فيه ، وأنه أجاد فى السلطانيات كل الإجادة ، وأحسن كل

الإحسان ، ولكنه فى الإخوانيات مقصر ، وكذلك فى كتب التعازى . مع أن

التقليدين الذين سجلهما ابن الأثير ، ووازنهما بتقليديه ، إنما يدخلان في باب السلطانيات ، ولا علاقة لهما بالرسائل الإخوانية أو بكتب التعازى ! وهذا من أهم مظاهر اضطراب ابن الأثير ، في تقدير الصابى بين الغاية والوسيلة ، ففي هذا الكلام مدح جارى به المشهور الذى لا ينكره أحد ، وذم أشبع به ما في نفسه من الزهو والغرور . فوصف الرجل بأن عقله في كتابته زائد على فصاحته وبلاغته ، وزيادة العلم على المنطق هجته ، وزيادة المنطق على العلم خدعة !

وقد يكون ابن الأثير على حق في كل ما قال ، أوفى أكثر ما قال مما نقد به أولئك الكتاب من الناحية الفنية ، وقد لا يكون كذلك ، وإنما الغاية من سوق هذه الشواهد أن ابن الأثير قد عاش في جو الكتابة والكتاب كاتباً يقرأ كثيراً ، ويتعمق فيما يقرأ ، ويبحث عن أسباب القوة وأسباب الضعف ، ثم يعرض ذلك على ذهنه وبصيرته الفنية الواعية ، ثم يكتب ما شاء ان يكتب مجرداً كتابته من أسباب الضعف ، ومضيفاً إليها من أسباب القوة مارآه يزيد في قدره ، ويرفع من شأن كتابته ، ومحققاً المثل التى تصورها لفن الكتابة .

وكذلك كان ابن الأثير شاعراً ، وإن غلبت صناعة الكتابة على فنه الأدبى ، ولذلك كان ماروى له من الشعر قليلاً ؛ وإنما ذكرنا ذلك لندل على أن ابن الأثير كان يعبر عن تجربته شعراً ، كما عبر عنها نثراً ، وأنه فيما كتب في المثل السائر كان يستوحى طبيعته الفنية ، قبل أن يتخيل الرسوم والقواعد التى تخيلها من قبله علماء البلاغة والنقد .

* * *

وقد أقدم ابن الأثير على صناعة الأدب بعامة ، وصناعة الكتابة بخاصة ، بعد أن زود نفسه بآلاتها ، وثقفها بألوان الثقافات التى عددها ، و أحس بالحاجة إليها كلما أوغل فيها ، وأحس أن خطورة هذا الفن ، وبعد أثره لاتقل عن خطورة المناصب الرفيعة التى يتولاها صاحبه في قربه من الحكام ، وفي تصرفه لأمر الدولة .

وما رأيك في رجل كان يحفظ القرآن ، والحديث النبوي ، ودواوين الشعراء ، ويعرف من اللغة شاردها وواردها . ومن النحو أصوله وفروعه ، ومن الصرف دقائقه ، ومن الأخبار والأمثال مايعيا بوعيه المختصون في كل لون من تلك الألوان ، وهذه صورة من تلك الجهود المضنية التي بذلها في تكميل نفسه : يقول عن نفسه : وكنت جردت من الأخبار النبوية كتاباً يشتمل على ثلاثة آلاف خبر ، كلها تدخل في الاستعمال ، ومازلت أواظب على مطالعته مدة تزيد على عشر سنين ، فكنت أنهى مطالعته في كل أسبوع مرة ، حتى دار على ناظري وخاطري مايزيد على خمسمائة مرة ، وصار محفوظاً لا يشدعني منه شيء .. (ص ١٥٠) .

ويقول في موضع آخر : واعلم أن المتصدى لحل معاني القرآن يحتاج إلى كثرة الدرس ، فإنه كلما ديم على درسه ظهر من معانيه ما لم يظهر من قبل . وهذا شيء جربته وخبرته ، فإني كنت آخذ سورة من السور ، وأتلوها ، وكلما مر بي معنى أثبتته في ورقة مفردة ، حتى أنتهى إلى آخرها ، ثم آخذ في حل تلك المعاني التي أثبتتها واحداً بعد واحد ، ولا أقنع بذلك حتى أعاود تلاوة تلك السورة ، وأفعل ما فعلته أولاً ، وكلما صقلت التلاوة مرة بعد مرة ظهر في كل مرة من المعاني ما لم يظهر في التي قبلها .. (ص ١٣٥) .

وأما معرفة ابن الأثير بالشعراء وحفظه الشعر فحدث عنها ما شئت ، ولقد برزت آثار تلك المعرفة وذلك الحفظ واضحة في المثل السائر وغيره من آثار ضياء الدين ، يقول في المثل « إني وقفت على أشعار الشعراء قديمها وحديثها ، حتى لم أترك ديواناً لشاعر مفلق يثبت شعره على المحك إلا وعرضته على نظري » ويقول : « ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وأنفدت شطراً من العمر في المحفوظ منه والمسموع ، فألفيته بجزاً لا يوقف على ساحله ، وكيف ينتهى إلى إحصاء قول لم تحصى أسماء قائله » .. ثم يقول : « ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير . ولم أقل ما أقول فيه إلا عن تنقيب وتنقيب ، فمن حفظ شعر الرجل ، وكشف عن غامضه ، وراض فكره برائضه ، أطاعته أعنة الكلام ، وكان قوله في البلاغة ما قالت حذام » .

وبعد أن حصل ضياء الدين هذه الثروة الضخمة من فن المنظوم ، اقتصر منها على ما تكثر فوائده ، وتشعب مقاصده ، ويقول عن نفسه : « لم أجد أجمع من ديوان أبي تمام وأبي الطيب للمعاني الدقيقة ، ولا أكثر استخراجاً منها للطيف الأغراض والمقاصد ، ولم أجد أحسن تهذيباً للألفاظ من أبي عباد ، ولا أنقش ديباجة ، ولا أبهج سبكاً ، فاخترت حينئذ دواوينهم ، لاشتغالها على محاسن الطرفين من المعاني والألفاظ ، ولما حفظتها ألغيت ما سواها ، مع ما بقي على خاطري من غيرها .

ثم يؤكد هذا القول ، وبفصل أسباب إيثاره لشعر أولئك الثلاثة الفحول ، فيقول : « ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم في اتباع من قصر نظره على الشعر القديم ؛ إذ المراد من الشعر إنما هو إبداع المعنى الشريف في اللفظ الجزل واللطيف ، فتي وجد ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل . وقد اكتفيت في هذا بشعر أبي تمام حبيب بن أوس ، وأبي عباد الوليد ، وأبي الطيب المتنبي . وهؤلاء الثلاثة هم لات الشعر وعزاه ومنااته ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء ، وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء :

أما أبو تمام فإن رب معان ، وصيقل ألباب وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر ، لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الإغراب ، الذي برز فيه على الأضراب .

وأما أبو عباد البحرى فإنه أحسن في سبك الألفاظ على المعنى ، وأراد أن يشعر فغنى ، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبينا هوى شطف نجد ، إذ تشبث بريف العراق . وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه ، فقال : « أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحرى » ولعمري إنه أنصف في حكمه ، وأعزب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن أبا عباد أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، في اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بعد المرام ، مع قربه إلى الأفهام . وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بأخلاطه الغالية ، ورقى في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام ، فقصرت عنه خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، لكنه حظى في شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال . وأنا أقول قولاً لست فيه متأثراً ، ولأمنه مثلثاً ، وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا . والسلاحين قد تواصلوا ، فطريقه في ذلك تفضل بسالكه ، وتقوم بعذر تاركة . ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة بن حمدان ، فيصف لسانه ما أدى إليه عيانه .

ولاشك في أن ضياء الدين كان صادقاً في كل وصف من تلك الأوصاف ، التي آثر بها كل شاعر من أولئك الفحول ، ولا يكاد يشك ناقد من النقاد في صحة ما ذكر من نعوت الشعر عند كل واحد منهم ، ولكن مجال القول إنما هو في سعة اطلاع ابن الأثير على الشعر العربي قديمه ومحدثه ، وإثارة دواوين أولئك الثلاثة بالحفظ والاستظهار .

ولقد كان اطلاع ابن الأثير على هذا الشعر الكثير ، وحفظه ما استطاع من نصوصه سبباً من أهم الأسباب في توسيع مجال دراسته البيانية ، وكثرة ما اهتدى إليه من أحكام ، أكثرها شديد مصيب . تظهر فيه شخصية الواثق بعلمه ، المطمئن إلى حسن رأيه .

وتطالعنا في ثنایا المثل السائر أسماء كثير من الكتب التي قرأها ابن الأثير ، وفقه ما فيها ، فأعانتة على ماتعرض له من دراسة الأدب في فنونه المشهورة وفي كل جزئية من جزئيات العمل الأدبي .

فأنت تقرأ في هذا الكتاب كلاماً في النحو العربي ، وفي علم التصريف وفي فقه اللغة ، فلا يسعك إلا أن تستجيد ما تقرأ ، وإلا أن تعترف بأنك أمام عالم من صفوة العلماء الثقات المختصين في كل فن من تلك الفنون .

وتقرأ كلاماً في التأويل وفي التفسير وفي الحديث النبوي ، فيأخذك ما ترى من كثرة الاطلاع وسعة الباع في الفهم والتحصيل . وكأنك أمام علم من أعـلام التفسيرين والمحدثين .

وتقرأ أمثالا وأخباراً وشعراً ونثراً ، فتعجب من هذا المحصول الذى عنى ابن الأثير نفسه فى تحصيله ، وتعترف أنك أمام ثقافة لاتكاد تقف عند حد ، أو تتوقف عند غاية من الغايات .

وقد اعتمد ابن الأثير نفسه على كثير من أمهات الكتب فى كل فن من الفنون التى تعرض لها ، وقد أشار إلى هذه المراجع فى أثناء دراسته .

١ - فقد ذكر أن مما قرأ فى التفسير تفسير البلاذرى ، وتفسير النقاش المسمى « شفاء الصدور » .

٢ - وقرأ فى الحديث النبوى كتاب « الشهاب » ، وصحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، والموطأ ، والترمذى ؛ وسنن أبى داود ، وسنن النسائى ، وغيرها من كتب الحديث .

٣ - وقرأ فى الدين وأصوله « إحياء علوم الدين » وكتاب « الأربعين » للإمام أبى حامد الغزالى .

٤ - وقرأ فى اللغة والتصريف كتاب « الخصائص » لأبى الفتح بن جنى ، وكتاب « التصريف » لأبى عثمان المازنى ، وكتاب « الفصيح » للإمام ثعلب . وكتاب « إصلاح ماغلط فيه العامة » لأبى منصور الجواليقى ، و « مجمع الأمثال » للميدانى .

٥ - وكان مما قرأ من كتب الأدب وموسوعاته ودواوين الشعراء وشروحها : كتاب « الأغانى » لأبى الفرج الأصفهانى ، وكتاب « الروضة » لمحمد بن يزيد المبرد ، الذى وصفه بأنه كتاب جمعه ، واختار فيه أشعار شعراء ، بدأ فيه بأبى نواس ، ثم بمن كان فى زمانه ، وانسحب على ذيله .

كما قرأ كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه ، و « ديوان الحماسة » لأبى تمام ، و « البيان والتبيين » لأبى عثمان الجاحظ ، وقرأ « مقامات الحريرى » ورسائل

أبى إسحاق الصابى ، ورسائل الصاحب بن عباد ، وشرح ديوان المتنبى لأبى الفتح بن جنى ، و « لزوم مالا يلزم » لأبى العلاء المعرى ، ومعجز أحمد له ؛ وكما قرأ كتاب « النقائص » ، وديوان الفرزدق ، وأبى تمام ، والمتنبي ، وأبى نواس .

والبحتري ، وابن الرومي ، وكشاجم ، وديك الجن ، وأبي العتاهية ، والعباس
ابن الأحنف ... الخ

٦ - أما كتب البلاغة والبيان فقد قرأ أمهاتها ، وأفاد منها ، ونقدها ، قال في
خطبة المثل السائر : وقد ألف الناس فيه - علم البيان - كتباً ، وجلبوا ذهباً ،
وحظبوا حطباً ، وما من تأليف إلا وقد تصفحت شينه وسينه وعلمت غثه وسمينه ،
فلم أجد ما ينتفع به في ذلك إلا كتاب « الموازنة » لأبي القاسم الحسن بن بشر
الأمدي ، وكتاب « سر الفصاحة » لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي ^(١) .

وقال في خطبة « الجامع الكبير » بعد كلامه في أهميته علم البيان ، وصعوبة
مرامه : « فشرعت عند ذلك في تطلبه ، والبحث عن تصانيفه وكتبه ، فلم أترك في
تحصيله سبيلاً إلا نهجته ، ولا غادرت في إدراكه باباً إلا ولجته ، حتى اتضح عندي
بأديه وخافيه ، وانكشفت لي أقوال الأئمة المشهورين فيه ، كأبي الحسن علي
ابن عيسى الرماني ، وأبي القاسم بن بشر الأمدي وأبي عثمان الجاحظ ، وقدامة
بن جعفر الكاتب ، وأبي هلال العسكري ، وأبي العلاء محمد بن غانم المعروف
بالغانمي ، وأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي ، وغيرهم ممن له كتاب يشار إليه ،
وقول تعقد الخناصر عليه ^(٢) .

وأشهر كتب هؤلاء الأعلام التي تتصل بهذا الفن هي النكت في إعجاز القرآن
للرماني ، والموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي والبيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب
نقد الشعر ، وكتاب الخراج وصناعة الكتابة ، وكتاب جواهر الألفاظ ، ثلاثتها
لقدامة بن جعفر ، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، وكتاب صناعة الشعر
للغانمي ، وكتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي .

كما قرأ وأفاد من كتاب البديع الذي ألفه عبد الله بن المعتز ، وكتاب الوساطة بين
المتنبي وخصومه للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ، وكتاب حلية
المحاضرة للمحاتمي ، وكتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ،

(١) انظر صفحة (٣٢) من هذه الطبعة .

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمثور تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل

سعيد : ص ٢ - مطبعة المجمع العلمي العراقي : بغداد ١٣٧٥ هـ .

ومقدمة ابن أفلح البغدادي التي ذكر ابن الأثير أنه قصرها على تفصيل أقسام علم
الفصاحة والبلاغة .

بهذه الثقافة بل بتلك الثقافات التي حصلها ، والعقول التي سبر أغوارها ، اقتحم
ابن الأثير ميدان البحث البلاغي ، فكان كتابه مجموعة من الأفكار الماثورة عن
أولئك العلماء الأعلام مزجها بأفكاره ، وبدت شخصيته واضحة مستقلة بين سمات
تلك الشخصيات ، ولم يكتف بأن يكون جامعاً أو ناقلاً ، بل أراد أن يكون مؤلفاً في
البلاغة ، ورائداً من رواد علم البيان ، بما أضاف وصحح ، وعاب ونقد .
ومن هنا كان المثل السائر لونا متميزاً من ألوان التأليف في البيان العربي ،
واستطاع على الرغم من كثرة الآثار فيه ، ووفرة الدراسات المتبينة في هذا الكتاب
أن يكون مرجعاً من مراجع البلاغة العربية ، لا يستغنى عنه باحث من الباحثين
فيها .

* * *

وقد تأثر ابن الأثير في تلك الدراسة الخصبة التي نجدها في المثل السائر بعاملين
مهمين هما العصر الذي عاش فيه ، والفن الذي اشتغل به ، ووصل به ما كان
يشتهي من المنصب والجاه .

١ - فقد وصل ابن الأثير إلى قمة مجده وذروة نضجه أخريات القرن السادس
الهجري شطراً كبيراً من القرن السابع ، فجاء بعد ازدهار البحوث البيانية ونضجها ،
واختلاف مناهج البحث ، وتعدد الآراء في البيان ، من رأى ينادى بتحكيم
الذوق ، إلى آخر يدعو إلى التقليد في النظر إلى الأدب والحكم عليه إلى رأى ينادى
بالموضوعية والمنهج العلمي ، ويعنى بالتعريف والتنظيم وحصر الأقسام ، إلى ذلك
الأسلوب النقدي التحليلي النفسي الذي نراه في كتابي عبد القاهر : دلائل
الإعجاز : وأسرار البلاغة ، وماتمiza به من فكرة النظم التي تبناها عبد القاهر ،
وأرسي قواعدها في النقد والنظر إلى البيان وما نادى به من النظرة الكلية للأدب
والانتصار للمعنى .

بل رأينا ما هو أكثر من ذلك : رأينا الصورة النهائية للبلاغة العربية قد تم وضعها

على يد السكاكى فى كتابه المشهور ، مفتاح العلوم ، الذى نظم دراسة البلاغة .
وقتن لها ، وقسمها إلى علومها ، وحدد مباحث كل فن منها .

٢ - وكذلك كان ابن الأثير كاتباً من كتاب الدواوين . كتب للقاضى
الفاضل فى دولة صلاح الدين ، كما كتب لأولاد صلاح الدين من بعده ، والذى
يعرف أساليب الكتابة فى ذلك العصر الذى عمل فيه ابن الأثير يعرف أنها كانت
تمتاز امتيازاً ظاهراً بلزوم السجع واستعمال الجناس وبعض أنواع البديع واستخدام
معانى الشعر وألفاظه فى كتابة الرسائل ، بحل الأبيات السائرة والحكم الماثورة ، حتى
كادت الرسائل تكون شعراً منشوراً ، والاقتباس من كلام البلغاء ، وتضمين الأفاذ
من أبيات الشعراء . ولما نبه شأن القاضى الفاضل أراد أن يحاكي كتاب المشاركة فى
البديع ، فراد عليهم وأرى ، وجاراهم فى التزام السجع والجناس والطباق ، وزاد
عليهم أن يستعمل فى رسالة كل أنواع البديع التى كانت فاشية وقتئذ فى الشعر ،
كالتورية والاستخدام والتلميح وغيرها ، وأكثر من حل المنظوم ، والاقتباس من
الآيات ، وتضمين الأمثال ومشهور الأقوال ، وأمعن فى التشبيه والاستعارة حتى
جاءت معانى رسائله متقادة لألفاظها وأساليبها .

وقد كانت هاتان الناحيتان عظيمتى الأثر فى ابن الأثير ، وفى إدراكه لمعنى
البيان ، كما تصوره فى المثل السائر .

* * *

تكلم ابن الأثير فى خطبة كتابه عن أهمية علم البيان ، وذكر أن منزلته فى تأليف
النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للأحكام وأدلة الأحكام .

ويبدو من أول كلامه أنه رجل كثير الاعتداد بنفسه ، والتباهى بعلمه ، وكثيراً ما
جره هذا الاعتداد إلى انتقاص غيره من الباحثين فيما بحث فيه فقد ذكر أن الذين ألفوا فى
البيان من قبله ألفوا كتباً ، وجلبوا ذهباً ، وخطبوا خطباً ، وما من تأليف إلا وقد
تصفحه ، وعلم غثه وسمينه ، ثم لم يجد ما ينتفع به فى ذلك إلا كتاب « الموازنة »
للأمدى وكتاب « سر الفصاحة » للخفاجى ، والكتاب الأول هو الذى حظى
بإعجابه . لأنه - كما يقول - أجمع أصولاً وأجدى محصولاً ، مع أن المناسبة بين

الكتابين بعيدة ، لأن كتاب الأمدى يعرض للشاعرين أبي تمام والبحترى ، ويعرض شعرهما ، ويوازن بينهما ، ويعرض أقوال الأنصار والخصوم فيهما .
أما كتاب الخفاجى فإنه يبحث بحثاً عاماً فى أصول الفصاحة والبلاغة والبيان بما بحث عن أسرارها ودرس من فنونها .

وقد عاب ابن الأثير كتاب سر الفصاحة بأن صاحبه أكثر مما قل به مقدار كتابه من ذكر الأصوات والحروف والكلام عليها ، ومن الكلام على اللفظة المقررة وصفاتها مما لا حاجة إلى ذكره .

ولا يقنع من ذلك إلا بأن يعود فيعيب الكتابين معاً ، فيصفهما بأنها قد أهملتا من علم البيان أبواباً ، وربما ذكرنا فى بعض المواضع قشوراً أو تركنا لباباً !

وشبيه بهذا الانتقاص وصفه لمقدمة ابن أفلح البغدادى فى قوله : ووقعت على كتاب يقال له « مقدمة ابن أفلح البغدادى » قد قصرها على تفصيل أقسام علم الفصاحة والبلاغة ، وللعراقيين بها عناية ، وهم واصفون لها ، ومكبون عليها ، ولما تأملتها وجدتها قشوراً لا لب تحتها ، لأن غاية ما عند الرجل أن يقول : وأما الفصاحة فإنها كقول النابغة مثلاً ، أو كقول الأعشى ، أو غيرها ثم يذكر بيتاً من الشعر أو أبياتاً ، وما بهذا نعرف حقيقة الفصاحة ، حتى إذا وردت فى كلام عرفنا أنه فصيح . بما عرفنا من حقيقتها الموجودة فيه . وكذلك يقول فى غير الفصاحة .

ويذكر فى موضع آخر أنه عثر على ضروب كثيرة من البيان فى القرآن الكريم ، وأنه لم يجد أحداً تقدمه تعرض لذكر شئ منها ، وهى إن عدت كانت فى علم البيان بمقدار شطره ، وإذا نظر إلى فوائدها وجدت محتوية عليه بأسره ، وأن الله هداه لابتداع أشياء لم تكن من قبله مبتدعة ، ومنحه درجة الاجتهاد التى لا تكون أقوالها تابعة ، وإنما هى متبعة .

وأمثال هذا كثير فى ثننا المثل السائر الذى زيف فيه كثيراً من آراء العلماء والبلاغيين والنقاد ، وقد سبقت إشارات إلى حملاته على الأدباء والكتاب لىبنى على هذا الانتقاص إعجابه بنفسه ، وزهوه بفنه ، وإن كان فى هذا الزهوشى من الصدق ، إلا أن أخلاق العلماء وما اختصوا به من فضيلة التواضع يأبى إقراره على كل ما ذهب إليه فى هذا الموضع وغيره .

ولقد عرف كتاب « المثل السائر » في بيئات الثقافة العربية على أنه كتاب أدب ، وعرف كذلك على أنه كتاب في أصول البلاغة العربية أحياناً ، وعلى أنه كتاب في النقد الأدبي أيضاً .

وكان الذين عدوا المثل السائر كتاب أدب على حق ، لأنهم وجدوا أنفسهم أمام دراسة خصبة في صناعة الأدب ، وفي أشهر فنونه ، وهى فن الشعر وفن الكتابة ، ووجدوا فيه أصولاً للأدب تجمع صفاته ، وتعرف بأركانه ، وإشارات إلى عدد كبير من الأدباء الذين عرفهم تاريخ الأمة العربية ، ونصوصاً من المنظوم والمنثور تمثل عصوره المختلفة ، واتجاهاته المتباينة .

وكان الذين عدوا هذا الكتاب من كتب النقد على حق أيضاً ، لأنهم رأوه يفيض بكثير من الفكر والآراء الحرة في الأدب والأدباء ، ولم يسلم من نقد ابن الأثير كثير من فحول الشعراء الذين يعرفهم تاريخ الأدب العربى بالإجلال والإكبار ، كامرئ القيس ، وتأبط شرا ، والفرزدق ، وأبى نواس وأبى تمام ، وأبى الطيب المتنبي ، وغيرهم من كبار شعراء العربية .

وفي كثير من الأحيان نجد نقداً موضوعياً ، وفي كثير من الأحيان أيضاً نرى ابن الأثير لا يكتفى في النقد الادبى بحكم المعرفة المستنيرة ، بل يكبر من حكم الذوق السليم الذى يرى أنه أكبر من حكم القاعدة الموضوعية والمعرفة المحدودة ؛ ويشجع على تربية هذا الذوق بكثرة القراءة ومداومة الاطلاع ، فتراه يقول بالرغم من اعتداده بنفسه ، والزهو بتأليفه . اعلم أيها الناظر فى كتابى أن مدار علم البيان على حكم الذوق السليم الذى هو أنفع من ذوق التعليم ، وهذا الكتاب إن كان فيما يلقى عليك أستاذاً ، وإذا سألت عما ينتفع به فى فنه قيل لك هذا ! فإن الدربة والإدمان أجدى عليك نفعا ، وأهدى بصراً وسمعاً ، وهما يريانك الخبر عياناً ، ويجعلان عسرك من القول إمكاناً ، وكل جارحة منك قلباً ولساناً ، فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك ، واستنبط بإدمانك ما أخطاك ، ومماثل فى مهدته لك من هذا الطريق إلا كمن طبع سيفاً ، ووضع فى يمينك لتقاتل به ، وليس عليه أن يخلق لك قلباً ، فإن حمل النصال غير مباشرة القتال !

ثم إن هذا الكتاب معدود من أمهات الكتب فى البلاغة العربية ، ومرجعاً من أهم

مراجعتها ، بما حوى من فنونها الكثيرة المنثورة فى بطون الكتب المختلفة فى موضوعاتها ، المتباينة فى مناهجها .

ويمتاز كتاب ابن الأثير من بين أكثر كتب البلاغة بأنه درس تلك الفنون دراستين : إحداهما : دراسة قاعدية ، عنى فيها بالحدود والتعاريف وحصر الأقسام ، وجمع فيها كل ما استطاع جمعه من معالمها التى اهتدى إليها الذين سبقوه إلى البحث البلاغى ، وهو فى كثير من المواضع يصحح أخطاءهم ، ويضيف إلى تحديداتهم ما جعلها جامعة مانعة على الوجه الذى يهتدى إليه ؛ وبالنظر الذى يهتدى به .
والأخرى : دراسة نقدية ، وفيها ألم بكثير من العيوب التى يقع فيها مستعملو تلك الفنون فى أشعارهم أو خطبهم أو كتاباتهم .

ولذلك كان من الممكن أن يقال إن ابن الأثير قد جمع فى المثل السائر كثيراً من أصوله البلاغة العربية والنقد الأدبى ، وأنه وحد هذين الفنين الجمالين ، ومزجهما ، وأعادهما إلى طبيعتهما التى تنفر من الأسلوب القاعدى الجاف ، وخلطهما بنصوص من الأدب وآراء فيه أكثرها جيد مصيب .

* * *

ومن جيد ما وفق إليه من النظرات الصائبة فى هذا الكتاب محاولته التفريق بين مهمة البيانى ، ومهمة كل من النحوى واللغوى ، ويقول فى ذلك إن موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة ، ويسأل صاحب هذا العلم عن أحوالها اللفظية والمعنوية ، ويشترك هو والنحوى أو اللغوى فى أن الثانى ينظر فى دلالة الألفاظ على المعانى من جهة الوضع اللغوى ، وتلك دلالة عامة .

أما صاحب البيان فإن له نظرة فوق هذه النظرة ، لأنه ينظر فى فضيلة تلك الدلالة ، التى هى دلالة خاصة ، والمراد بها أن يكون الكلام على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء اللغة والنحو والإعراب ، ألا ترى أن النحوى يفهم معنى الكلام المنظور والمنثور ، ويعلم مواقع إعرابه ، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من أسرار الفصاحة والبلاغة ؟ وهذا هو السرفى خطأ مفسرى الأشعار ، لأنهم اقتصرُوا على شرح

معناها ، وما فيها من الكلمات اللغوية ، وتبيين مواضع الإعراب منها ، دون العناية يشرح ماتضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة .

وهذا كلام جيد ، لأن ابن الأثير يفرق فيه بين أمرين هامين ، ينبغى أن يكون التفريق بينهما أساساً لفهم مهمة اللغوى أو النحوى ، ومهمة الناقد أو صاحب البيان . ذلك أن هناك علوماً تتخصص فى البحث عن صحة العبارة ، من حيث صحة مفرداتها ، وصحة دلالتها على معانيها ، وصحة التركيب الذى توضع فيه وضعاً صحيحاً على حسب ما يقتضى المعنى وفقاً لقواعد النحو والإعراب ، وتلك مهمة علماء اللغة الذين يبحثون فى بنية الكلمة ، وفى دلالتها على معناها ، طبقاً للوضع اللغوى ، وفهم أصحاب اللغة لتلك الدلالة ، وهى مهمة علماء النحو والإعراب الذين يبحثون فى صحة ضبط كل لفظ فى الجملة على حسب موقعه من العبارة ضبطاً يوافق ما جرى عليه العرب فى ذلك الضبط ، وما بنيت عليه قواعد النحو والإعراب التى استنبطها أولئك العلماء بالقياس على نهج العرب فى كلامهم .

ثم إن هنالك علوماً أخرى لاتقف عند تلك المسائل التقليدية المعروفة ولكنها تعالج النواحي الجمالية فى الأعمال الأدبية على حسب التقاليد الفنية المعروفة التى استنها كبار الأدباء ، والقواعد المستقاة من مظاهر الحسن التى توافرت للفن الأدبى الماثور عن أولئك الأدباء ، نتيجة لطول المدارس والموازنة بين نص ونص ، وبين أديب وأديب . وتلك مهمة النقاد ، أو البلاغيين ، أو علماء البيان .

والنظرة الأولى من هاتين النظرتين عامة ، تتناول العبارة المقولة ، والعبارة المكتوبة بكل أنواعها ، سواء أكانت تلك العبارة عبارة علمية تخاطب العقل ، أم كانت عبارة أدبية تخاطب المشاعر ، وتثير العاطفة والوجدان . وسواء أكانت فى أعلى درجات السمو ، أم كانت هابطة إلى مستوى لغة التفاهم التى تجرى بين الناس ، ولاتسمو عن العامة إلا بصحة كلماتها ، وسلامة تركيبها .

أما النظرة الأولى فإنها تختص بالعبارة الأدبية ، أو الأسلوب الفنى ، الذى يعتمد عليه الشعر والخطابة ، وسائر أساليب الكتابة الفنية .

ومن تلك المسائل أيضاً ، مما انفرد به ابن الأثير برأى ، أنه في سبيل بحثه عن فصاحة اللفظة المفردة عرض للوحشى من الألفاظ الذى أنكره النقاد ، وأجمعوا على إخلاله بالفصاحة ، ولكن ضياء الدين يرى أن هذا الوحشى خفى على جماعة من المتمين إلى صناعة النظم والنثر ، وظنوه المستقبح من الألفاظ ، وليس كذلك ، وذلك أن الوحشى منسوب إلى اسم الوحش الذى يسكن القفار ، وليس بأنيس . وكذلك الألفاظ التى لم تكن مأنوسة الاستعمال . وليس من شرط الوحش أن يكون مستقبها ، بل أن يكون نافرأ ، فتارة يكون حسناً ، وتارة يكون قبيحاً .

ويبنى على هذا أن الوحشى ينقسم إلى قسمين :

أحدهما الوحشى الذى جاءت إليه هذه الصفة من غرابته ، وهو يختلف باختلاف النسب والإضافات .

وأما القسم الآخر من الوحشى فقبيح ، والناس في استقباحه سواء ، ولا يختلف فيه عرى باد ، ولا قروى متحضر .

وعلى هذا يكون اللفظ عند ابن الأثير أنواعاً :

١ - ماتداول استعماله الأول والآخر من الزمن القديم إلى زماننا هذا ، ولا ينعت بالوحشية أو الحوشية ، وهذا هو الحسن من الألفاظ .

٢ - وماتداول استعماله الأول دون الآخر ، ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله ، وهذا هو الذى لا يعاب استعماله عند العرب ، لأنه لم يكن عندهم وحشياً ، وهو عندنا وحشى .

٣ - الوحشى الغليظ ، ويسمى أيضاً المتوعر ، وليس وراءه في القبح درجة أخرى ، ولا يستعمله إلا أجهل الناس ، ممن لم يخطر بباله شئ ومن معرفة هذا الفن . وإذا ورد كرهه السمع ، وثقل على اللسان النطق به .

وإذا كان معنى الحوشى عند ابن الأثير هو الغريب ، فإن العرب لاتلام على استعمال الغريب الحسن ، وإنما تلام على استعمال الغريب القبيح .

وأما الحضرى فإنه يلام على استعمال القسمين معاً ، وهو في أحدهما أحق بالملاءمة من الآخر .

وفي هذا الكتاب أدل ابن الأثير بكثير من الآراء النقدية التي لها اعتبارها في موازين النقد الأدبي ، وتراه في كثير من الأحيان لا يرضى بآراء الغير بل يبسط الرأي الذي يراه ، والذي يتمشى مع ذوقه ، والذي يساير - في أكثر الأحيان - الفكرة النقدية السليمة ، التي لايسع القارئ إلا الإقرار بها والإذعان لها ، والشهادة لابن الأثير بالذوق السليم ، ومن ذلك هذا العيب الذي سماه أبو هلال العسكري (التضمنين) وسماه قدامة بن جعفر (المبتور) وهو أن يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامه في بيت واحد ، فيقطعه بالقافية ، ويتممه في البيت الثاني . وعند أبي هلال العسكري أن التضمنين هو أن يكون الفصل الأول مفتقراً إلى الفصل الثاني ، والبيت الأول محتاجاً إلى الأخير .

ومرجع هذا العيب في نظرهم أن نقاد الشعر العربي قد درجوا على أن وحدة الشعر هي البيت لا القصيدة ، ولهذا عدوا احتياج البيت إلى مابعدة ليتم معناه عيباً من العيوب التي يجب على الشاعر المجيد أن يتجنبها . وهم لا يقصرون هذا العيب على الشعر ، بل يحملونه على النثر أيضاً ، إذا كانت الفقرة التي تليها . وهذا الاعتبار لا يخفى فساده ، لأن القصيدة ينبغي أن تكون وحدة متماسكة ، والحكم على الشعر أو الشاعر ببيت واحد لا يخلو من ظلم وتعسف ، واحتجاجهم بأن خير الشعر ما كان البيت فيه قائماً بنفسه . مستقلاً عما قبله وعما بعده ، حتى يكون كالمثل يصلح للاقتباس ، ويصلح للاستشهاد ، فيه خروج عن طبيعة الشعر الذي لا يتحرى الحكمة وإن جاءت فيه ، وإنما القصيدة من الشعر أو الفصل من النثر يحدث تأثيره بمجموعه الكلي ، حين يحس القارئ أو السامع بالنشوة أو الطرب أو الانفعال ، حين يتم قراءة القصيدة من الشعر ، أو الفصل من النثر ، وإلا فقد جوزنا للشاعر - حين نقصر النظر على البيت الواحد - أن يرضينا في بيت ، وأن يسخطنا في تاليه ، ويكون الأول في غاية الجودة ، ويكون الثاني كذلك ، من غير نظر إلى تتابع الأفكار وتناسق الصور ، ولا بأس حينئذ بالتعارض أو التناقض على رأيهم .

نعم ! قد يكون ذلك عيباً إذا لم تتم الكلمة في البيت . وأتمها الشاعر في البيت الثاني ، كتلك الأبيات التي نقلها الخفاجي في سر الفصاحة ، ووصفها بأنها قبيحة ظاهرة التكلف ، أما احتياج بعض الكلام إلى بعض فلا عيب فيه ، بل هو دليل

التماسك والترابط بين أجزاء النص الأدبي ، وهذا هو الحمود الذى يكون به بعض أجزاء الكلام آخذاً برقاب بعض .

ولا يقر ابن الأثير أولئك النقاد فيما ذهبوا إليه ، فيقول إن المعيب عند قوم (تضمين الإسناد) وذلك يقع فى بيتين من الشعر أو فصلين من الكلام المنشور ، على أن يكون الأول منها مسنداً إلى الثانى ، فلا يقوم الأول ولا يتم معناه إلا بالثانى ، وهذا هو المعبود من عيوب الشعر ، وهو عندى غير معيب ، لأنه إن كان سبب عيبه أن يعلق البيت الأول على الثانى فليس ذلك بسبب يوجب عيباً ، إذ لا فرق بين البيتين من الشعر فى تعلق أحدهما بالآخر ، وبين الفقرتين من الكلام المنشور فى تعلق إحدهما بالآخرى ، لأن الشعر هو كل لفظ موزون مقفى دل على معنى .

والكلام المسجوع هو كل لفظ مقفى دل على معنى ، فالفرق بينهما يقع فى الوزن لا غير ، والفقر المسجوعة التى يرتبط بعضها ببعض قد وردت فى القرآن الكريم فى مواضع منه . فمن ذلك قوله عز وجل فى سورة الصافات : « فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قال قائل منهم إني كان لى قرين . يقول أنك لمن المصدقين ، إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمدينون » . فهذه الفقر الثلاث الأخيرة مرتبط بعضها ببعض ، فلا تفهم كل واحد منها إلا بالتي تليها ، وهذا كالأبيات الشعرية فى ارتباط بعضها ببعض ، ولو كان ذلك عيباً لما ورد فى كتاب الله عز وجل . وكذلك ورد قوله تعالى فى سورة الصافات أيضاً . فإنكم وما تعبدون . ما أنتم عليه بقانتين . إلا من هو صال الجحيم ، فالآيتان الأوليان لا تفهم إحدهما إلا بالآخرى . وهكذا ورد قوله عز وجل فى سورة الشعراء : « أفرأيت إن متعنهم سنين . ثم جاءهم ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون » .

فهذه ثلاث آيات لا تفهم الأولى ولا الثانية إلا بالثالثة . ألا ترى أن الأولى والثانية فى معرض استفهام يفتقر إلى جواب ، والجواب هو فى الثالثة وقد استعملته العرب كثيراً ، وورد فى شعر فحول شعرائهم ، فمن ذلك قول الشاعر :

ومن البلوى التى ليس لها فى الناس كُنه
أن من يعرف شيئاً يدعى أكثر منه

ألا ترى أن البيت الأول لم يقم بنفسه ، ولا تم معناه إلا بالبيت الثانى ؟ ومنه أيضاً قول امرئ القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا أنجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل
وكذلك ورد قول الفرزدق :

وما أحدٌ من الأقوام عدوا عروف الأكرمين إلى التراب
بمحتفظين إن فضلتونا عليهم فى القديم ولا غضاب
وكذلك قول الشاعر :

لعمري لرهط المرء خير نقيّة عليه وإن عالوا به كل مركب
من الجانب الأقصى وإن كان ذاغنى جزيل ولم يخبرك مثل مجرب

وبهذه الحافظة الواعية يؤيد ابن الأثير قوله ، جاعلاً إمامه الكتاب الكريم ، وهو المثل الأعلى للبيان والبلاغة ، وشعر الفحول من السابقين « وكلامه يوافق رأى الذى يجب أن يحتذى ، وإن لم يذكر له من أسباب التأيد والتعليل سوى ورود أمثاله فى غرر الكلام ، وأما العلة الأدبية فتلتبس فى مثل ما قدمناه .

ويعد ابن الأثير من أعظم نقاد العرب الذين درسوا السرقات الشعرية وفصلوا القول فى ضرورها ، ويعد المثل السائر من أعظم الكتب التى درس فيها هذا الموضوع دراسة خصبة مجدية ، يرجع إليها الباحثون فى هذا الموضوع الذى يشتمل فى كثير من أصول النقد عند العرب .

تلك بعض لمحات مما اشتمل عليه هذا الأثر النفيس الذى احتل منزله بحق بين أصول البلاغة والنقد الفنى عند العرب ، .

ترجمة ابن الأثير *

هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجرجي ، الملقب ضياء الدين .

كان مولده بجزيرة ابن عمر ونشأ بها ، وانتقل مع والده إلى الموصل ، وبها اشتغل ، وحصل العلوم ، وحفظ كتاب الله الكريم ، وكثيراً من الأحاديث النبوية ، وطرفاً صالحاً من النحو واللغة وعلم البيان ، وشيئاً كثيراً من الأشعار .

ولما كملت لضياء الدين المذكور الأدوات قصد جناب الملك الناصر صلاح الدين ، تغمدته الله برحمته ، في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، فوصله القاضي الفاضل بخدمة صلاح الدين في جمادى الآخرة من تلك السنة ، وأقام عنده إلى شوال من السنة .

ثم طلبه والده الملك الأفضل نور الدين من والده ، فخيرته صلاح الدين بين الإقامة في خدمته ، والانتقال إلى ولده ، ويبقى المعلوم الذي قرره له باقياً عليه ، فاختار ولده ، ففضى إليه ، وكان يومئذ شاباً ، فاستوزره ولده الملك الأفضل نور الدين على المقدم ذكره ، رحمه الله تعالى ، وحسنت حاله عنده .

ولما توفي السلطان صلاح الدين ، واستقل ولده الملك الأفضل بمملكة دمشق ، استقل ضياء الدين المذكور بالوزارة ، وردت أمور الناس إليه ، وصار الاعتماد في جميع الأحوال عليه .

ولما أخذت دمشق من الملك الأفضل ، وانتقل إلى صرخد ، وكان ضياء الدين قد أساء العشرة من أهلها ، فهموا بقتله ، فأخرجوه الحاجب محاسن بن عجم

مستخفياً في صندوق مقفل عليه ، ثم سار إليه ، وصحبه إلى مصر لما استدعى لنيابة ابن أخيه الملك المنصور .

ولما قصد الملك العادل الديار المصرية ، وأخذها من ابن أخيه ، وتعوض الملك الأفضل البلاد الشرقية ، وخرج من مصر ، لم يخرج ضياء الدين في خدمته ، لأنه خاف على نفسه من جماعة كانوا يقصدونه ، فخرج منها مستتراً .

وغاب عن مخدومه الملك الأفضل مديدة ولما استقر الأفضل في سميساط عاد إلى خدمته ، وأقام عنده مدة ، ثم فارقه في ذي القعدة سنة ٦٠٧ هـ واتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب فلم يطل مقامه عنده ولا انتظم أمره ، وخرج مغاضباً ، وعاد إلى الموصل ، فلم يستقم حاله ، فورد إربل ، فلم يستقم حاله فسافر إلى سنجار ، ثم عاد إلى الموصل ، واتخذها دار إقامته ، واستقر وكتب الإنشاء لصاحبها ناصر الدين محمود بن الملك القاهرة عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه ، وأتابك يومئذ بدر الدين أبو الفضائل التوري ، وذلك في سنة ٦١٨ هـ . قال ابن خلكان : ولقد ترددت إلى الموصل من إربل أكثر من عشر مرات وهو مقيم بها ، وكنت أود الاجتماع به لأخذ عنه شيئاً ، ولما كان بينه وبين الوالد رحمه الله تعالى من المودة الأكيدة ، فلم يتفق ذلك ، ثم فارقت بلاد المشرق ، وانتقلت إلى الشام ، وأقيمت به مقدار عشر سنين ، ثم انتقلت إلى الديار المصرية ، وهو في قيد الحياة ، ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة .

ولضياء الدين من التصانيف ، الدالة على غزارة فضله ، وتحقيق نبلة كتابه الذي سماه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » وهو في مجلدين جمع فيه فأوعى ، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره ، ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه ، فوصل إلى بغداد منه نسخة .

وله كتاب « الواشي المرقوم في حل المنظوم » وهو مع وجازته في غاية الحسن والإفادة .

وله كتاب المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء ، وهو أيضاً نهاية في بابيه .

وله مجموع اختار فيه شعر أبي تمام ، والبحترى وديك الجن والمنتبى ، وهو فى مجلد واحد كبير ، وحفظه مفيد .

وله أيضاً ديوان ترسل فى عدة مجلدات ، والختار منه فى مجلد واحد .
وذكر أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ إربل ، وبالغ فى الثناء عليه وقال ورد إربل فى شهر ربيع الأول سنة ٦١١ هـ . وكانت ولادته بجزيرة ابن عمر فى يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ٥٥٨ هـ وتوفى فى إحدى الجهادين سنة ٦٣٧ هـ . ببغداد وقد توجه إليها رسولا من جهة صاحب الموصل : وصلى عليه من الغد بجامع القصر ، ودفن بمقابر قریش فى الجانب الغربى بمشهد موسى بن جعفر رضى الله عنها .

قال أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادى فى تاريخ بغداد توفى يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة ، وهو أخير ، لأنه صاحب هذا الفن ، وقد مات عندهم .

ولضياء الدين أخوان ناهان مجد الدين أبو السعادات المبارك ، وأبو الحسن على الملقب عز الدين . وكان الإخوة الثلاثة فضلاء نجباء رؤساء ، لكل واحد منهم تصانيف نافعة ، رحمهم الله تعالى .

وكان لضياء الدين المذكور ولد نبيه له النظم والنثر الحسن ، وصنف عدة تصانيف نافعة ، من مجاميع وغيرها ، ورأيت له مجموعاً جمعه الملك الأشرف ابن الملك العادل بن أيوب ، وأحسن فيه ، وذكر فيه جملة من نظمه ونثره ورسائل أبيه ، ومولده بالموصل فى شهر رمضان سنة ٥٨٥ هـ ، وتوفى بكرة نهار الاثنين ثانى جمادى سنة ٦٢٢ واسمه محمد ، ولقبه الشرف ، رحمه الله تعالى .

المثل السائر

في أدب الكاتب والشاعر
يحيى الدين بن الأثير

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ يُبَلِّغَ بَنَّا مِنَ الْحَمْدِ مَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَأَنْ يُعَلِّمَنَا مِنَ الْبَيَانِ مَا تَقْصُرُ عَنْهُ مَزِيَّةُ الْفَضْلِ وَأَصْلُهُ ، وَحِكْمَةُ الْخُطَابِ وَفَضْلُهُ ، وَرَغْبَ إِلَيْهِ أَنْ يُوقِنَا لِلصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ ، وَنَسَخَ هَدْيَهُ شَرِيعَةً كُلِّ هَادٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ سَبَقَ وَبَدَّرَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَابَرَ وَصَبَرَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ آوَى وَنَصَرَ .

وَبَعْدُ ؛ فَإِنْ عِلْمُ الْبَيَانِ لِتَأْلِيفِ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ بِمَنْزِلَةِ أَصُولِ الْفَقْهِ (١) لِلْأَحْكَامِ وَأَدِلَّةِ الْأَحْكَامِ . وَقَدْ أَلَّفَ النَّاسُ فِيهِ كِتَابًا ، وَجَلَبُوا ذَهَبًا وَحَطَّبُوا حَطْبًا ، وَمَا مِنْ تَأْلِيفٍ إِلَّا وَقَدْ تَصَفَّحْتُ شَيْئَهُ وَسَيِّئَهُ (٢) ، وَعِلِّمْتُ غَنَّهُ (٣) وَسَمِينَهُ ، فَلَمْ أَجِدْ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي ذَلِكَ إِلَّا كِتَابَ « الْمَوَازِنَةِ » لِأَبِي الْقَاسِمِ الْحَسَنِ بْنِ بَشْرِ الْآمِدِيِّ (٤) وَكِتَابَ « سِرِّ الْفَصَاحَةِ » لِأَبِي

(١) أَصُولُ الْفَقْهِ هِيَ الْقَوَاعِدُ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا الْمُجْتَهِدُ إِلَى اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْفُرْعِيَّةِ مِنَ الْأَدْلَةِ التَّفْصِيلِيَّةِ .

(٢) يَرِيدُ أَنَّهُ تَصَفَّحَهُ كُلَّهُ حَالِيهِ وَعَاطَلَهُ وَمَعْجَمَهُ وَمَهْمَلَهُ .

(٣) الْغَثُ : الْمَهْزُولُ .

(٤) أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ بَشْرِ الْآمِدِيِّ ، صَاحِبُ كِتَابِ الْمَوَازِنَةِ بَيْنَ الطَّائِفَيْنِ . كَانَ حَسَنَ الْفَهْمِ جَيِّدَ الدَّرَايَةِ وَالرَّوَايَةِ ، سَرِيعَ الْإِدْرَاكِ ، وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْ أَعْمَةِ الْبَيَانِ وَالنَّقْدِ الْأَدْبِيِّ . وَصَفَهُ صَاحِبُ الْفَهْرَسْتِ بِأَنَّهُ مَلِيحُ التَّصْنِيفِ جَيِّدُ التَّأْلِيفِ يَتَعَاطَى مَذْهَبَ الْجَاحِظِ فِيمَا يَعْمَلُهُ مِنَ الْكُتُبِ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الْمُخْتَلَفِ وَالْمُؤْتَلَفِ فِي أَسْمَاءِ الشُّعْرَاءِ ، وَكِتَابُ مَعَانِي شُعْرِ الْبَحْتَرِيِّ ، وَكِتَابُ نَثْرِ الْمَنْظُومِ ، وَكِتَابُ الرَّدِّ عَلَى ابْنِ عِمَارٍ فِيمَا خَطَأَ فِيهِ أَبَا نَمَامٍ ، وَكِتَابُ فِي أَنْ الشُّاعِرِينَ لَا تَتَّفَقُ خَوَاطِرُهُمَا ، وَكِتَابُ مَا فِي مَعْيَارِ الشُّعْرِ لِابْنِ طَبَاطَبَا مِنْ الْخَطَأِ . وَكِتَابُ فَرْقِ مَا بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْمَشْتَرَكِ مِنْ مَعَانِي الشُّعْرِ ، وَكِتَابُ تَفْضِيلِ شُعْرِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ عَلَى الْجَاهِلِيِّينَ ، وَكِتَابُ فِي شِدَّةِ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ ، وَكِتَابُ تَبْيِينَ غُلْطِ قَدَامَةَ بْنِ جَعْفَرٍ فِي كِتَابِ نَقْدِ الشُّعْرِ ، وَكِتَابُ فَعْلَتِ وَأَفْعَلَتِ ، وَكِتَابُ الْحُرُوفِ ، وَدِيْوَانُ شُعْرِهِ .

وَنَقَلَ يَقُوتُ عَنْ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ التَّنُوخِيِّ أَنَّ مَوْلَدَ أَبِي الْقَاسِمِ الْحَسَنِ بْنِ بَشْرِ الْآمِدِيِّ بِالْبَصْرَةِ . وَأَنَّهُ قَدِمَ بَغْدَادَ يَحْمِلُ عَنِ الْأَخْفَشِ وَالْجَفَاجِي وَالزَّجَاجِ وَابْنَ دُرَيْدٍ وَابْنَ السَّرَاجِ وَغَيْرِهِمُ اللَّغَةَ وَالنَّحْوَ . وَرَوَى الْأَخْبَارُ فِي آخِرِ عَمَرِهِ بِالْبَصْرَةِ . وَكَانَ يَكْتُبُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ لِأَبِي جَعْفَرِ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدٍ الضُّبِّيِّ وَغَيْرِهِ . وَكُتِبَ بِالْبَصْرَةِ لِأَلِّ عَبْدِ الْوَاحِدِ وَغَيْرِهِمْ . . . وَكَانَ كَثِيرَ الشُّعْرِ حَسَنَ الطَّبْعِ ، جَيِّدَ الصَّنْعَةِ ، مُشْتَهَرًا بِالنِّشِيئَاتِ ، قَالَ : وَلَأَبِي الْقَاسِمِ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ جَيِّدَةٌ مَرْغُوبٌ فِيهَا ، مِنْهَا كِتَابُ الْمَوَازِنَةِ بَيْنَ الْبَحْتَرِيِّ وَابْنِ

محمد عبد الله بن سنان الخفاجي^(٥) . غير أن كتاب « الموازنة » أجمع أصولاً ، وأجدي محصولاً ، وكتاب « سر الفصاحة » وإن ثبَّه فيه على نكت منيرة ، فإنه قد أكثر مما قلَّ به مقدار كتابه من ذكر الأصوات والحروف والكلام عليها ، ومن الكلام على اللفظة المفردة ، وصفاتها ، مما لا حاجة إلى أكثره^(٦) ، ومن الكلام في مواضع شدَّ عنه الصواب فيها ، وسيردُّ بيان ذلك كله في مواضع من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . على أن كلا الكتائين قد أهملَّا من هذا العلم أبواباً ، ولربما ذكراً في بعض المواضع قشوراً ، وتركاً لباباً . وكنت عثرتُ على ضروب كثيرة منه^(٧) في غصون القرآن الكريم ؛ ولم أجد أحداً من تقدمني تعرض لذكر شيء منها ؛ وهي إذا عُدَّتْ كانت في هذا العلم بمقدار شطره ، وإذا نظِرَ إلى فوائدها وُجِدَتْ محتويةً عليه بأسره ، وقد أوردتها هاهنا ، وشفَعْتُها بضروب آخر مدونة في الكتب المتقدمة ، بعد أن حذفتُ منها ما حذفته ، وأضفت إليها ما أضفته . وهذانى الله لابتداع أشياء لم تكن من قبلي مُبتدعةً ، ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون أقوالها تابعة ، وإنما هي مُتَّبعة . وكلُّ ذلك يظهر عند الوقوف على كتابي هذا ، وعلى غيره من الكتب ، وقد بَنَيْتُهُ على مقدمة ومقالتين :

تمام . وهو كتاب حسن ، وإن كان قد عيب عليه في مواضع منه ، ونسب إلى الميل مع البحرى فيما أورده . والتعصب على أبى تمام فيها ذكره . توفي الآمدى سنة ٣٧٠ هـ . وقد طبع كتب الموازنة عدة طبعات كلها ناقصة ، وبين أيدينا نسخة كاملة من هذا الكتاب نسأل الله أن يعين على نشرها وتحقيقها إن لم يقم بهذا الواجب غيرنا .

(٥) أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ؛ من بنى خفاجة الذين كانوا ينزلون بأعمال حلب ، وكان أبوه من أشرافها ، وقد أخذ العلم والأدب عن علماء عصره ، ثم اتصل بأبى العلاء أحمد بن سليمان المعرى فأخذ عنه العلم والأدب ، وكان يرى رأى الشيعة ، وتولى بعض أعمال الدولة ، حتى ثار على ولاته ، ومات مسموماً سنة ٤٦٦ هـ ، وكتابه « سر الفصاحة » من أنفس كتب البلاغة ، سار فيه بالبلاغة والتقد سيراً مزدوجاً في التعريف والتحديد ، وإلى جانبه النص والمثال ، وإلى جانبها الرأى في الإصباية أو سوء الاستعمال ، مما يدل على تمرسه بفن الأدب ، وتمتعه بالذوق المستنير ، وقد طبع في مصر طبعتين جيدتين .

(٦) لا عبرة بهذا النقد لأن الخفاجي في كلامه على الأصوات وعلى الحروف ذكر منها ما يؤلف وما لا يؤلف ، ولذلك من بعد الأثر في وقع الكلام على السمع والذوق وتقديره عند أهل صناعة البيان مالا يخفى . وكلام الخفاجي على اللفظة المفردة من أمتع الدراسات النقدية وهو أصل لما كتب البلاغيون في فصاحة الكلمة وفصاحة الكلام في مقدمات كتب البلاغة بل إن ابن الأثير نفسه قد درس الكلمة المفردة وصفاتها في هذا الكتاب ، وأفاد كما أفاد غيره من تلك الدراسة المنظمة التي مهد سبيلها الخفاجي .

(٧) للضمير في « منه » عائد إلى « علم البيان » الذي ذكر من قبل .

فالمقدمة تشتمل على أصول علم البيان ، والمقالتان تشتملان على فروعهما ،
فالأولى : فى الصناعة اللفظية ، والثانية : فى الصناعة المعنوية .

ولا أدعى فيما ألفته من ذلك فضيلة الإحسان ، ولا السلامة من سبِّ (٨)
اللسان ، فإن الفاضل من تُعدُّ سَقَطَاتُهُ ، وتُحصى غَلَطَاتُهُ ، ويسىء بالإحسان ظناً ،
لا كمن هو بآئنه وبشعره مَقْتُونٌ . وإذا تركت الهوى قلت إن هذا الكتاب بديعٌ فى
إغرابه ، وليس له صاحبٌ فى الكتب فيقال : إنه مُفَرَّدٌ بين أصحابه ، من
أخذانه . أو من أترابه (٩) .

ومع هذا فإنى أتيتُ بظاهر هذا العلم دُونَ خافيه ، وحثتُ حول حياه ولم أقع
فيه ، إذ الغرض إنما هو الحصولُ على تعليم الكلمِ التى بها تُنظَّمُ العقودُ وترصعُ .
وتُخلَبُ العقول فتُخدَعُ . وذلك شئٌ تُحيلُ عليه الخواطرُ ، لا تنطق به الدفاتر .
واعلم أيها الناظر فى كتابى أن مدار علم البيان على حاكمِ الذوق السليم ، الذى
هو أنفعُ من ذوق التعليم ، وهذا الكتابُ وإن كان فيما يُلقيه إليك أستاذًا ، وإذا
سألت عما ينتفعُ به فى فنه قيل لك هذا ! فإن الدُّرَبَةَ والإدمان أجدى عليك نفعاً ،
وأهدى بصراً وسمعا ، وهما يريانك الخبر عياناً ، ويجعلان عُسرَكَ من القول إمكاناً ،
وكلَّ جارحة منك قلباً ولساناً . فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك ، واستنبط بإدمانك
ما أخطاك . وما مثلى فيما مهَّدتُهُ لك من هذه الطريق إلا كمن طبع (١٠) سيفاً ،
ووضعه فى يمينك لتقاتل به ، وليس عليه أن يخلق لك قلباً ، فإن حَمَلَ النِّصالَ غيرُ
مباشرة القتال .

وإنما يبلغ الإنسان غايته ما كلُّ ماشية بالرجل شمالاً

(٨) فى الأصل « سلق » باللام . وهو تحريف .
(٩) فى الأصل « فيقال إنه من أخذانه أو من أترابه مفرد بين أصحابه » وهى عبارة مضطربة ولذلك
قدمنا العبارة الأخيرة : ليستقيم المعنى . (١٠) يقال : طبع السيف والدرهم والجرة عملها .

(١١) البيت لأبى الطيب المتنبي : الديوان ٢٨٧/٣ وروايته هكذا

وإنما يبلغ الإنسان طاقته ما كلُّ ماشية بالرجل شمالاً

والشمال : الناقة القوية السريعة . يقول : كلُّ أحدٍ يجرى فى السيادة على قدر طاقته وليس كل من
يمشى على رجله شمالاً . يقدر على السرعة . والمعنى : ليس كل كريم يبلغ غاية الكرم . ولا كل شريف
يبلغ غاية الشرف . وليس كل من سعى من الرؤساء يبلغ مبلغ ممدوحه الذى لا يعادل فى فضله . ولا
بمائل فى جلالة قدره .

مقدمة الكتاب

ولنرجع إلى ما نحن بصددَه فنقول : أما مقدمة الكتاب فإنها تشتمل على عشرة فصول :

الفصل الأول

فى موضوع علم البيان

موضوع كل علم هو الشيء الذى يُسأل فيه عن أحواله التى تَعَرِّضُ لذاته .
فموضوع الفقه هو أفعالُ المكلفين ، والفقيه يُسأل عن أحوالها التى تَعَرِّضُ لها من
الْفَرَضِ والنَّفْلِ ، والحلال والحرام ، والتَّذْبِ والمباح ، وغير ذلك .
وموضوعُ الطَّبِّ هو بَدَنُ الإنسان ، والطبيب يُسأل عن أحواله التى تَعَرِّضُ له من
صحته وسقمه .

وموضوع الحساب هو الأعداد ، والحاسبُ يُسأل عن أحوالها التى تعرض لها من
الضَّرْبِ والقِسْمَةِ والنَّسْبَةِ وغير ذلك .
وموضوعُ النحو هو الألفاظ والمعانى ، والنحوى يُسأل عن أحوالها فى الدلالة من
جهة الأوضاع اللغوية .

وكذلك يجرى الحكم فى كل علم من العلوم . وبهذا الضابط انفرد كل علم برأسه
ولم يَخْتَلِطْ بغيره .

وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة . وصاحبُه يُسأل عن أحوالها
اللفظية والمعنوية . وهو والنحوى يشتركان فى أن النحوى ينظر فى دِلالة الألفاظ على
المعانى من جهة الوضع اللغوى ، وتلك دلالة عامة . وصاحبُ علم البيان ينظر فى
فضيلة تلك الدلالة ، وهى دلالة خاصة . والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من
الحسن ، وذلك أمر وراء النحو والإعراب . ألا ترى أن النحوى يفهم معنى الكلام
المنظوم والمنثور ، ويعلم مواقع إعرابه ، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة
والبلاغة .

ومن هاهنا غَلَطَ مُفسِّرو الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى ، وما فيها ^(١) من الكلمات اللغوية ، وتبيين مواضع الإعراب منها ، دون شرح ما تَصَمَّنَتْهُ من أسرار الفصاحة والبلاغة .

الفصل الثاني

في آلات علم البيان وأدواته

اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تَفَقَّرُ إلى آلات كثيرة . وقد قيل : ينبغي للكاتب أن يَتَعَلَّقَ بكلِّ علم ، حتى قيل : كلُّ ذى علم يَسُوغُ له أن يَنْسُبَ نفسه إليه ، فيقال ^(٢) : فلانُ النحويُّ ، وفلانُ الفقيه ، وفلانُ المتكلم ، ولا يَسُوغُ له أن يَنْسُبَ نفسه إلى الكتابة ، فيقال ^(٣) : فلانُ الكاتب . وذلك لما يَفْتَقِرُ إليه من الخَوْصِ في كل فن . ومِلاكُ هذا كله الطبع ، فإنه إذا لم يكن ثمَّ طبعٌ فإنه لا تُغْنِي تلك الآلات شيئاً . ومثالُ ذلك كمثل النار الكامنة في الزناد ، والحديدة التي يُقَدِّحُ بها ، ألا ترى أنه إذا لم يكن في الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة شيئاً ؟ وكثيراً ما رأينا وسمعنا من غرائب الطبائع في تَعَلُّمِ العلوم ، حتى إن بعض الناس يكون له نَفَازٌ في تَعَلُّمِ علمٍ مُشْكِلٍ الْمَسَلَكِ ، صعب المأخذ ، فإذا كُفِّ تَعَلُّمَ ماهو دونه من سهِّلِ العلوم نَكَصَ على عَقْبِيهِ ^(٤) ولم يكن له فيه نَفَازٌ . وأغربُ من ذلك أن صاحب الطبع في المنظوم يجيد في المديح دُونَ الهجاء ، أو في الهجاء دون المديح . أو يجيد في المراثي دون التهانى ، أو في التهانى دون المراثي . وكذلك صاحبُ الطبع في المنثور . هذا ابن الحريري ^(٥) . صاحبُ المقامات قد كان على ماظهر عنه من تنميق

(١) الضمير عائد على الأشعار .

(٢) في الأصل « فيقول » والصواب عن الفلك الدائر ٧ .

(٣) يقال : نكص عن الأمر نكصاً ونكوصاً أحجم عنه . ونكص على عقبيه رجع عما كان عليه .

والعقبان مثنى العقب - ككتف - مؤخر القدم .

(٤) هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري ، كان أحد أئمة عصره رزق الحظوة التامة في عمله المقامات ، وقد اشتملت على كثير من بلاغات العرب في لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها . ومن عرفها حق معرفتها استدلل بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادته . وللحريري تأليف حسان منها درة الغواص في أوهام الخواص ، ومنها ملحمة الإعراب المنظومة في النحو ، وله أيضاً شرحها . وله =

المقامات واحداً في فنه ، فلما حضر ببغداد ووقِفَ على مقاماته ، قيل : هذا يُستصَلحُ
 لكتابة الإنشاء في ديوان الخلافة ، وَيَحْسُنُ أثره فيه . فَأَحْضِرَ وَكُلَّفَ كتابةَ كتاب
 فَأَفْجَمَ ، ولم يَجِرْ لسانه في طويلة ولا قصيرة . فقال فيه بعضهم (٥) :

شيخُ لنا من ربيعةِ الفرسِ (٦) يَنْتِفُ عُنُونَهُ (٧) من الهوسِ
 أنطقه الله بِالْمَشَانِ (٨) وقد أَلْجَمه في بَغْدَادَ بِالْخَرَسِ

وهذا مما يُعْجَبُ منه . وسُئِلْتُ عن ذلك فقلت : لا عَجَبَ : لأن المقامات
 مدارها جميعها على حكاية تُخْرِجُ إلى مَخْلَصٍ .

وأما المكاتبات فإنها بحر لا ساحل له ، لأن المعاني تتجدد فيها يتجدد حوادث
 الأيام ، وهي متحددة على عَدَدِ الأنفاس . ألا ترى أنه إذا خَطَبَ الكاتبُ
 الْمُفْلِقُ (٩) عن دولة من الدول الواسعة التي يكون لسلطانها سيف مشهور ، وسعى
 مذكور ، ومكث على ذلك بُرْهَةً يسيرة لا تبلغ عَشْرَ سنين فإنه يُدَوِّنُ عنه من
 المكاتبات ما يزيد على عشرة أجزاء ، كلُّ جزء منها أكبر من مقامات الحريري حجم
 لأنه إذا كَتَبَ في كل يوم كتاباً واحداً اجتمع من كتبه أكثر من هذه العِدَّةِ المشار
 إليها ، وإذا نُخِلَتْ وَغُرِبَتْ واختير الأجود منها ، إذ تكون كلها جيدة - فَيَخْلُصُ

=ديوان رسائل وشعر كثير غير شعره الذي في المقامات ، وكانت ولادة الحريري سنة ٤٤٦هـ وتوفي سنة عشر
 قيل خمس أو ست عشرة وخمسمائة بالبصرة .

(٥) قيل إن الذي عمل هذين البيتين هو أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر .

(٦) ربيعة الفرس : هو ابن نزار بن معد بن عدنان ، أبو قبيلة ، سمي بذلك لأنه أعطى الخيل من
 ميراث ابنه ، على حين أن أخاه مضر أعطى الذهب ، فقيل مضر الحمراء ، وأعطى أخوه أنمار الشاء ، فقيل
 أنمار الشاة وكان الحريري يزعم أنه من ربيعة الفرس .

(٧) العننون : اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين ، أو ما نبت على الذقن وتحتة سفلاً ، وكان الحريري
 مولعاً بنتف لحيته عند الفكرة .

(٨) المشان بفتح الميم والشين وبعد الألف نون : بليدة بعد البصرة كثيرة النخل موصوفة بشدة الوخم ،
 وكان أهل الحريري منها ، ويقال إنه كان له بها ثمانية عشر ألف نخلة وأنه كان من ذوى اليسار ، ويروى
 البيت الثاني هكذا :

أنطقه الله بالمشان كما رماه وسط الديوان بالخرس

(٩) يقال : أفلق الشاعر إذا أتى بالعجيب .

منها النصف، وهو خمسة أجزاء. والله يعلم ما اشتملت عليه من الغرائب والعجائب، وما حصل في ضمنها من المعاني المبتدعة.

على أن الحريري قد كتب في أثناء مقاماته رقاعا في مواضع عدة، فجاء بها منحة عن كلامه في حكاية المقامات، لابل جاء بالغث البارد الذي لانسبة له إلى باقي كلامه فيها. وله أيضا كتابة أشياء خارجة عن المقامات، وإذا وقف عليها أقسم أن قائل هذه ليس قائل هذه، لما بينهما من التفاوت البعيد.

وبلغني عن الشيخ أبي محمد [عبد الله بن (١٠)] أحمد بن الخشاب النحوي (١١) - رحمه الله - أنه كان يقول: ابن الحريري رجل مقامات، أي أنه لم يحسن من الكلام المنشور سواها، وإن أتى بغيرها لا يقول شيئا.

فانظر أيها المتأمل إلى هذا التفاوت في الصناعة الواحدة من الكلام المنشور. ومن أجل ذلك قيل: شيثان لا نهاية لهما: البيان والجمال. وعلى هذا فإذا ركب الله تعالى في الإنسان طبعاً قابلاً لهذا الفن فيفتقر حينئذ إلى ثمانية أنواع من الآلات.

النوع الأول: معرفة علم العربية من النحو والتصريف.

النوع الثاني: معرفة ما يحتاج إليه من اللغة، وهو المتداول المألوف استعماله في فصيح الكلام غير الوحشي الغريب، ولا المستكره المعيب.

النوع الثالث: معرفة أمثال العرب وأيامهم. ومعرفة الوقائع التي جاءت في حوادث خاصة بأقوام، فإن ذلك جرى مجرى الأمثال أيضاً.

النوع الرابع: الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة المنظومة منه والمنثورة، والتحفظ للكثير منه.

النوع الخامس: معرفة الأحكام السلطانية في الإمامة والإمارة والقضاء والحسبة (١٢) وغير ذلك.

(١٠) زيادة ليست في الأصل صححنا بها الاسم.

(١١) هو الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الخشاب كان أعلم أهل زمانه بالنحو، حتى يقال إنه كان في درجة الفارسي، وكانت له معرفة بالتفسير والحديث واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة، وما من علم من العلوم إلا كانت له فيه يد حسنة، وله كتب كثيرة منها رسالة كتبها في الرد على الحريري في مقاماته، توفي سنة ٥٦٧ هـ ووقف كتبه على أهل العلم.

(١٢) الحسبة بالكسر الأجر، واسم من الاحتساب، وهو حسن الحسبة حسن التدبير.

النوع السادس : حِفْظُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالتَّدْرِبُ بِاسْتِعْمَالِهِ وَإِدْرَاجِهِ فِي مَطَاوِي كَلَامِهِ .

النوع السابع : حِفْظُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَالسَّلُوكُ بِهَا مَسَلَّكَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْاسْتِعْمَالِ .

النوع الثامن : وَهُوَ مُخْتَصٌّ بِالنَّائِظِ دُونَ النَّائِثِ ، وَذَلِكَ عِلْمُ الْعُرُوضِ وَالْقَوَافِي الَّذِي يُقَامُ بِهِ مِيزَانُ الشَّعْرِ .

وَلِنَذَكُرْ بَعْدَ ذَلِكَ فَائِدَةَ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ لِيُعْلَمَ أَنَّ مَعْرِفَتَهُ مِمَّا تَمَسُّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ فَنَقُولُ :

[النَّوعُ الْأَوَّلُ : مَعْرِفَةُ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ النُّحُوِّ وَالتَّصْرِيفِ]

أَمَّا عِلْمُ النُّحُوِّ فَإِنَّهُ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ بِمَنْزِلَةِ أَيْجِدٍ فِي تَعْلِيمِ الْخَطِّ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَنْبَغِي إِتْقَانَ مَعْرِفَتِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ يَنْطِقُ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ، لِیَأْمَنَ مَعَرَّةَ اللَّحْنِ ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّهُ وَإِنْ احْتِیجَ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْكَلَامِ دُونَ بَعْضٍ لِنُضْرُورَةِ الْإِفْهَامِ ، فَإِنَّ الْوَاضِعَ لَمْ يَخْصُصْ مِنْهُ شَيْئاً بِالْوَضْعِ ، بَلْ جَعَلَ الْوَضْعَ عَامّاً ، وَإِلَّا فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى ضَرْوَرَتِهِ وَأَقْسَامِهِ الْمَدُونَةِ وَجَدْنَا أَكْثَرَهَا غَيْرَ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِ فِي إِفْهَامِ الْمَعْنَى . أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ أَمَرْتَ رَجُلًا بِالْقِيَامِ فَقُلْتَ لَهُ : « قُمْ » بِإِثْبَاتِ الْوَاوِ وَلَمْ تَجْزَمْ لَمَّا اخْتَلَّ مِنْ فَهْمِ ذَلِكَ شَيْءٌ؟ وَكَذَلِكَ الشَّرْطُ لَوْ قُلْتَ : « إِنْ تَقُومُ أَقُومُ » وَلَمْ تَجْزَمْ لَكَانَ الْمَعْنَى مَفْهُومًا . وَالْفَضْلَاتُ كُلُّهَا تَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى كَالْخَالِ وَالْتِمِيزُ وَالْإِسْتِثْنَاءُ ، فَإِذَا قُلْتَ : « جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا » ، وَ« مَا فِي السَّمَاءِ قَدَرٌ رَاحَةٍ سَحَابٌ » ، وَ« قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدٌ » ، فَلَزِمَتْ السُّكُونُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَلَمْ تَبَيِّنْ إِعْرَابًا لَمَّا تَوَقَّفَ الْفَهْمُ عَلَى نَصْبِ الرَّاكِبِ وَالسَّحَابِ وَلَا عَلَى نَصْبِ زَيْدٍ ، وَهَكَذَا يُقَالُ فِي الْمَجْرُورَاتِ فِي الْمَفْعُولِ فِيهِ وَالْمَفْعُولُ لَهُ وَالْمَفْعُولُ مَعَهُ فِي الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَقْسَامِ آخَرٍ لَا حَاجَةَ إِلَى ذِكْرِهَا .

لَكِنْ قَدْ خَرَجَ عَنْ هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ مَا لَا يُفْهَمُ إِلَّا بِقِيُودِ تَقْيِيدِهِ ، وَإِنَّمَا يَقَعُ ذَلِكَ فِي الَّذِي تَدُلُّ صِبْغَتُهُ الْوَاحِدَةَ عَلَى مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَلِنَضْرِبَ لَذَلِكَ مِثَالًا يَوْضَحُهُ فَنَقُولُ : اَعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَقْسَامِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ مَا لَا يُفْهَمُ إِلَّا بِعَلَامَةٍ ، كَتَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ عَلَى الْفَاعِلِ ، فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ ثَمَّ عَلَامَةٌ تُبَيِّنُ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخَرِ ، وَإِلَّا أَشْكَلَ الْأَمْرُ (١٣)

(١٣) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ : وَالظَّاهِرُ يَقْتَضِي حَذْفَ « إِلَّا » أَوْ تَقْدِيرَ جَوَابٍ لِلشَّرْطِ .

كقولك « ضرب زيد عمرو » [بالوقف عليها ^(١٤)] ويكون زيد هو المضروب ، فإنك إذا لم تنصب زيدا وترفع عمرا وإلا لا يفهم ما أردت ^(١٣) ، وعلى هذا ورد قوله تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » ^(١٥) وكذلك لو قال قائل : ما أَحْسَنَ زَيْدٌ . ولم يبين الإعراب في ذلك لما علمنا غرضه منه . إذ يحتمل أن يريد به التعجب من حسنه . أو يريد به الاستفهام عن أى شىء منه أحسن . ويحتمل أن يريد به الإخبار بنى الإحسان عنه . ولو بين الإعراب في ذلك . فقال : ما أَحْسَنَ زَيْدًا . وما أَحْسَنَ زَيْدٌ ؟ وما أَحْسَنَ زَيْدٌ ^(١٦) . علمنا غرضه . وفهمنا مغزى كلامه ، لا نفراد كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة بما يُعرف به من الإعراب . فوجب حينئذٍ بذلك معرفة النحو . إذ كان ضابطاً لمعانى الكلام . حافظاً لها من الاختلاف .

وأول من تكلم في النحو أبو الأسود الدؤلى ^(١٧) ، وسبب ذلك أنه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له : « يا أبت ، ما أَشَدُّ الحر » متعجبة ، ورفعت « أَشَدُّ » ، فظنَّها مستفهمة ؛ فقال : شهرٌ ناجِرٌ ^(١٨) فقالت : يا أبت إنما أخبرتك ، ولم أسألك ، فأنى على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فقال : « يا أمير المؤمنين ، ذهبت لغة العرب ، ويوشكُ إن تطاول عليها زمان أن تَضْمَحِلَّ » فقال له : وما ذاك ؟ فأخبره

(١٤) زيادة عن الفلك الدائر ٨

(١٥) سورة فاطر ، آية ٢٨

(١٦) ما فى المثال الأول للتعجب ، وفى الثانى للاستفهام ، وفى الثالث للننى .

(١٧) قال ابن سلام الجمحى : أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلى ، وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل . . . وكان رجل أهل البصرة ، وكان علوى الرأى . وقيل لأبى الأسود : من أين لك هذا العلم ؟ - يعنون النحو - قال : لقنت حدوده من على بن أبى طالب - عليه السلام - وكان أبو الأسود أحد سادات التابعين والمحدثين والفقهاء والشعراء والفرسان والأمراء والأشراف والدهاة والحاضرى الجواب والصلح الأشراف والبحر الأشراف ومن مشاهير البخلاء ، وهو من القراء ، قرأ على أمير المؤمنين على عليه السلام وشهد معه صفين ، وقدم على معاوية فأكرمه وأعظم نجاته ، وولى قضاء البصرة وهو أول من نقط المصحف ، وله شعر كثير . مات أبو الأسود بالبصرة سنة ٦٩ : وهو ابن خمس وثمانين سنة .

(١٨) ناجر : قال فى القاموس « ناجر رجب أو صفر وكل شهر من شهور الصيف » : إن شهرى رجب وصفر وكل الشهور القمرية يتغير موقعها سنة بعد سنة ، ولا بد أن يكون شهراً بعينه من شهور الصيف . وفى وضع أبى الأسود أقوال كثيرة غير ما رواه ابن الأثير . انظر إنباه الرواة على أنباء النحاة

خبر ابنته ، فقال : هَلُمَّ صحيفة ، ثم أَمَلَى عليه : « الكلامُ لا يَخْرُجُ عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى » ، ثم رَسَمَ له رسوما ، فنقلها النحويون في كتبهم . وقيل : إن أبا الأسود دخل على زياد ابن أبيه ^(١٩) بالبصرة فقال : إني أرى العرب قد خالطت العجم ، وتغيرت ألسنتها ، أفأذن لي أن أصنع ما يقيمون به كلامهم ؟ فقال : لا ، فقام من عنده ، ودخل عليه رجل فقال : « أيها الأمير مات أبانا وخلف بنون » . فقال زياد : مات أبانا وخلف بنون ! ؟ مه ، رُدُّوا علىَّ أبا الأسود ، فردُّوه ، فقال له : اصنع ما كنتُ نهيتهك عنه ، فوضع شيئا ^(٢٠) ، ثم جاء بعده ميمونُ الأقرن ^(٢١) فزاد عليه . ثم جاء بعده عنبسةُ بن معدان المَهْرى ^(٢٢) فزاد عليه ، ثم جاء بعده عبدُ الله بن أبي إسحاق الحضرمي ^(٢٣) وأبو عمرو بن العلاء ^(٢٤) فزادا

(١٩) هو زياد بن أبي سفيان : استلحفه معاوية بأبيه ، وأمه سمية جارية الحارث بن كلدة ولد عام الهجرة وقيل يوم بدر ، واستعمله عمر بن الخطاب على بعض أعمال البصرة ، واستعمله على بعض بلاد فارس ولم يزل معه حتى قتل وسلم الحسن الأمر إلى معاوية ، فاستلحفه بأبيه ، وجعله أخا له ، واستعمله على البصرة ، ثم أضاف إليه الكوفة ، وبقي عليها إلى أن مات سنة ٥٣ هـ .

(٢٠) قال أبو حرب بن أبي الأسود : أول باب رسم أبي من النحوبات التعجب . وقيل : أول باب رسم باب الفاعل والمفعول . والمضاف ، وحروف الرفع والنصب والجر والجزم .

(٢١) هو الإمام المقدم في العربية بعد أبي الأسود وعنه أخذ ، وأخذ عنه عنبسة بن معدان الفيل في أصح الروايتين ، وزاد على أبي الأسود في حدود العربية .

(٢٢) هو عنبسة بن معدان الفيل الميساني أخذ نحو عن أبي الأسود ، قالوا : ولم يكن فيمن أخذ عنه النحو أربع منه ، وروى الأشعار وظرف وفصح . وروى شعر جرير والفرزدق .

(٢٣) هو أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ، كان قبا بالعربية والقراءة إماماً فيها ، وكان شديد التجريد للقياس ، وكان عبد الله بن أبي إسحاق يطعن على العرب ، وكان يرد كثيراً على الفرزدق ويكلمه في شعره فقال فيه الفرزدق :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

وتوفى بالبصرة سنة سبع عشرة ومائة في أيام هشام بن عبد الملك .

(٢٤) هو العلم المشهور في علم القراءة واللغة العربية ، واسمه كنيته ، وقيل إن اسمه زبان ، أخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي ، وأخذ عنه يونس بن حبيب البصري والخليل بن أحمد وعلى بن المبارك ، وكان يونس ابن حبيب يقول : لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء كله في العربية ، ولكن ليس من أحد إلا وأنت أخذ من قوله وتارك إلا النبي صلى الله عليه وسلم . وتوفى أبو عمرو بن العلاء في سنة ١٥٤ هـ في خلافة المنصور .

عليه ، ثم جاء بعدهما الخليل بن أحمد الأزدي^(٢٥) وتتابع الناس . واختلف البصريون والكوفيون في بعض ذلك . فهذا ما بلغني من أمر النحو في أول وضعه . وكذلك العلوم كلها يوضع منها في مبادئ أمرها شيء يسير ، ثم يزداد بالتدريج إلى أن يستكمل آخرها .

فإن قيل : أما علم النحو فمُسَلَّمٌ إليك أنه تجب معرفته ، لكن التصريف لا حاجة إليه . لأن التصريف إنما هو معرفة أصل الكلمة ، وزيادتها ، وحذفها ، وإبدالها ، وهذا لا يضر جهله ؛ ولا تنفع معرفته . ولنضرب لذلك مثلاً كيف اتفق ، فنقول : إذا قال القائل : « رأيت سِرْدَاحًا »^(٢٦) لا يلزمه أن يعرف الألف في هذه الكلمة زائدة هي أم أصلية ، لأن العرب لم تنطق بها إلا كذلك ، ولو قالت « سِرْدَاحًا » بغير الألف لما جاز لأحد أن يزيد الألف فيها من عنده ، فيقول : « سِرْدَاحًا » ، فعلم بهذا أنه إنما يُنطَقُ بالألفاظ كما سُمِعَتْ عن العرب من غير زيادة فيها ولا نقص . وليس يلزم بعد ذلك أن يَعْلَمَ أصلها ولا زيادتها ، لأن ذلك أمر خارج [لا^(٢٧)] تقتضيه صناعة تأليف الكلام .

فالجواب عن ذلك أنا نقول : اعلم أنا لم نجعل معرفة التصريف كمعرفة النحو ، لأن الكاتب أو الشاعر إذا كان عارفاً بالمعاني ، مختاراً لها ، قادراً على الألفاظ ، مجيداً فيها ، ولم يكن عارفاً بعلم النحو ، فإنه يفسد ما يصوغه من الكلام . ويختل عليه ما يقصده من المعاني ، كما أريناك في ذلك المثال المتقدم .

وأما التصريف فإنه إذا لم يكن عارفاً به لم تفسد عليه معاني كلامه ، وإنما تفسد عليه الأوضاع ، وإن كانت المعاني صحيحة ، وسيأتي بيان ذلك في تحرير الجواب ، فنقول : أما قولك إن التصريف لا حاجة إليه ، واستدلالك بما ذكرته من المثال

(٢٥) هو أبو عبد الرحمن بن أحمد البصري الفرهودي الأزدي ، سيد أهل الأدب قاطبة في علمه وزهده ، والغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله ، وأخذ عنه سيبويه ، وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل ، وكل ما قال سيبويه « سألت » أو قال « قال » من غير أن يذكر قائله فهو الخليل ، وأخذ عنه أيضاً النضر بن شميل ، ومؤرج السدوسي ، وعلي بن نصر الجهمي وغيرهم . وهو أول من استخرج علم العروض وضبط اللغة ، وأملى كتاب العين على الليث بن المظفر ، وكان أول من حصر أشعار العرب . توفي سنة ستين ومائة .

(٢٦) السرداح : الناقة الطويلة أو الكريمة أو العظيمة أو السمينة أو القوية الشديدة التامة .

(٢٧) زيادة يقتضيه السياق .

المضروب ، فإن ذلك لا يستمرُّ لك الكلام فيه . ألا ترى أنك مثلت كلامك في لفظة « سِرْدَاح » ، وقلت إنه لا يُحْتَاجُ إلى معرفة الألف زائدة هي أم أصلية ، لأنها إنما نُقِلَتْ عن العرب على ما هي عليه من غير زيادة ولا نقص ، وهذا لا يَطْرُدُ إلا فيما هذا سبيله من نقل الألفاظ على هيئتها من غير تصرف فيها بحال ، فأما إذا أريد تصغيرها أو جمعها والنسبة إليها فإنه إذا لم يَعْرِفِ الأصل في حروف الكلمة وزيادتها وحذفها وإبدالها يَضِلُّ حينئذ عن السبيل ، وينشأ من ذلك مجالٌ للعائب والطاعن . ألا ترى أنه إذا قيل للنحوى - وكان جاهلا بعلم التصريف - كيف تُصَغَّرُ لفظة « اضطراب » ؟ فإنه يقول : « ضُطِيرِب » ولا يلام على جهله بذلك ، لأن الذى تقتضيه صناعة النحو قد أتى به ، وذلك أن النحاة يقولون إذا كانت الكلمة على خمسة أحرف وفيها حرف زائد أو لم يكن حذفته ، نحو قولهم فى « منطلق » « مُطَيَّلِق » وفى « جَحْمَرِش » ^(٢٨) « جُحَمِير » . فلفظة « منطلق » على خمسة أحرف ، وفيها حرفان زائدان ، هما الميم والنون ، إلا أن الميم زيدت فيها لمعنى ، فلذلك لم تُحذفْ ، وحذفت النون . وأما لفظة « جَحْمَرِش » فخماسية لا زيادة فيها ، وحذف منها حرف أيضا . ولم يعلم النحوى أن علماء النحو إنما قالوا ذلك مُهْمَلًا اتكالا منهم على تحقيقه من علم الصرف ، لأنه لا يلزمهم أن يقولوا فى كتب النحو أكثر مما قالوا ، وليس عليهم أن يذكروا فى باب من أبواب النحو شيئا من التصريف ، لأن كلا من النحو والتصريف عِلْمٌ منفرد برأسه ، غير أن أحدهما مرتبط بالآخر ، ومحتاج إليه ، وإنما قلت : إن النحوى إذا سئل عن تصغير لفظة « اضطراب » يقول : « ضُطِيرِب » لأنه لا يخلو إما أن يُحذفَ من لفظة « اضطراب » الألف أو الضاد أو الطاء أو الرء أو الباء . وهذه الحروف المذكورة - غير الألف - ليست من حروف الزيادة فلا تحذف ، بل الأولى أن يُحذفَ الحرف الزائد ، ويترك الحرف الذى ليس بزائد . فلذلك قلنا : إن النحوى يصغّر لفظة « اضطراب » على « ضُطِيرِب » فيحذف الألف التى هى حرف زائد دون غيرها مما ليس من حروف الزيادة . وإما أن يَعْلَمَ أن الطاء فى « اضطراب » مبدلة من تاء ، وأنه إذا أريد تصغيرها تعاد إلى الأصل الذى كانت عليه وهو التاء فيقال : « ضُتِيرِب » فإن هذا لا يعلمه إلا

(٢٨) الجحمرش : العجوز الكبيرة والمرأة السمجة والأرنب المرضع والحشناء من الأفاعى .

التصريفى ، وتكليف النحوى الجاهل بعلم التصريف معرفة ذلك كتكليفه علم مالا يَعْلَمُهُ ، فثبت بما ذكرناه أنه يَحْتَاجُ إلى علم التصريف ، لئلا يَغْلُطَ فى مثل هذا . ومن العجب أن يقال إنه لا يحتاج إلى معرفة التصريف . ألم تعلم أن نافع بن أبى نُعَيْمٍ (٢٩) - وهو من أكبر القُرَّاء السبعة قدراً ،^١ وأفخمهم شأنًا - قال فى « معاش (٣٠) » « معاش » بالهمز؟ ولم يعلم الأصل فى ذلك فأَوْخِذَ عليه ، وعِيب من أجله . ومن جملة مَنْ عابه أبو عثمان المازنى (٣١) فقال فى كتابه فى التصريف : إن نافعاً لم يَدْرِ ما العربية . وكثيراً ما يقع أولو العلم فى مثل هذه المواضع ، فكيف الجُهَّال الذين لا معرفة لهم بها ، ولا اِطِّلاع لهم عليها ؟ وإذا عَلِمَ حَقِيقَةُ الأمر فى ذلك لم يَغْلُطْ فيما يوجب قَدْحًا ولا طَعْنًا . وهذه لفظة « معاش » لا يجوز همزها بإِجماع من علماء العربية ، لأن الباء فيها ليست مُبْدَلَةً من همزة ، وإنما الباءُ التى تُبْدَلُ من الهمزة فى هذا الموضع تكون بعد ألف الجمع المانع من الصرف ، ويكون بعدها حرف واحد ، ولا تكون عينا نحو « سفائن » وفى هذا الموضع غَلِطَ نافعٌ ، رحمة الله عليه ، لأنه لاشكَّ اعتقد أن « معيشة » بوزن فعيلة ، وجمع فعيلة هو على فعائل . ولم ينظر إلى أن الأصل فى « معيشة » « مَعِيشَةٌ » على وزن مَفْعِلَةٍ ، وذلك لأن أصل هذه الكلمة مِنْ « عاش » التى أصلها « عَيْشٌ » على وزن فَعَلَ ، وَيَلْزَمُ مضارعُ فِعْلٍ المعتلِّ العَيْنِ « يَقْعِلُ » لتصح الباء نحو « يَعِيشُ » ، ثم تُنْقَلُ حركة العين إلى الفاء فتصير « يَعِيشُ » ثم يبنى من « يعيش » مفعول فيقال « مَعِيشٌ به » كما يقال « مَسِيرٌ به » ثم تَوَثُّ به « ثم يُخَفَّفُ ذلك بحذف الواو ، فيقال « مَعِيشٌ به » كما يقال « مَسِيرٌ به » ثم تَوَثُّ هذه اللفظة ، فتصير « مَعِيشَةٌ » .

(٢٩) نافع بن أبى نعيم أحد القراء السبعة ، وهو نافع بن عبد الرحمن ، وهو مولى جعونة بن شعوب الشجعى ، كان أسود شديد السواد ، وأصله من أصحابان ، توفى سنة ١٦٩ هـ بالمدينة .

(٣٠) فى سورة الأعراف « ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون » آية ١٠ وفى سورة الحجر « وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين » آية ٢٠ .

(٣١) أبو عثمان المازنى هو بكر بن محمد بن بقية ، قيل ابن عدى بن حبيب ، نزل فى بنى مازن فنسب إليهم . وهو بصرى . روى عن أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد . وعنه المبرد والفصل بن محمد البيزى وغيرهم . وكان إماماً فى العربية متساعاً فى الرواية . وكان لا يناظره أحد إلا قطع له قدرته على الكلام . وقال المبرد : لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبى عثمان وله تصانيف كثيرة فى النحو واللغة والتصريف والعروض والقوافى . توفى سنة ٢٤٧ هـ

ومع هذا فلا ينبغي لصاحب هذه الصناعة من النظم والنثر أن يُهْمِل من علم العربية ما يخفى عليه بإهماله اللَّحْنُ الْخَفِيُّ ، فَإِنَّ اللَّحْنَ الظَّاهِرَ قد كثرت مُفَاوِضَاتُ الناس فيه ، حتى صار يعلمه غيرُ النحويِّ . ولا شك أن قِلَّةَ المبالاة بالأمر ، واستشعار القدرة عليه ، تُوقِعُ صاحِبَهُ فيما لا يَشْعُرُ أَنَّهُ وَقَعَ فِيهِ ، فَيَجْهَلُ بما يكونُ عالِماً به . ألا ترى أن أبا نواس^(٣٢) كان معدوداً في طبقات العلماء مع تقدمه في طبقات الشعراء ، وقد غَلَطَ فيما لا يَغْلُطُ مثلهُ فيه ، فقال في صفة الخمر :

كَانَ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ^(٣٣)

وهذا لا يخفى على مثل أبي نواس ، فإنه من ظواهرِ عِلْمِ العربية ، وليس من غوامضه في شيء ، لأنه أمر نقلِي يَحْمِلُ ناقله فيه على النقل من غير تَصَرُّفٍ . وقولُ أبي نواس « صُغْرَى » « وَكُبْرَى » غيرُ جائز ، فَإِنَّ فُعْلَى أَفْعَلُ لا يجوز حذف الألف واللام منها ، وإنما يجوز حذفها من فُعْلَى التي لا أَفْعَلُ لها ، نحو « جَبَلَى » إلا أن تكون فُعْلَى أَفْعَلُ مضافةً ، وهاهنا قد عَرِيتْ عن الإضافة وعن الألف واللام ، فانظر كيف وقع أبو نواس في مثل هذا الموضوع ، مع قربهِ وسهولته . وقد غلط أبو تمام^(٣٤) في قوله :

(٣٢) أبو نواس هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحَكَمي ، ولد سنة ١٤١ هـ في كورة خوزستان ، واشتغل في صباه عند عطار حتى تعرف إلى والبة بن الحباب فأعجب به وصحبه إلى الكوفة ثم بغداد ، وهناك صحب الشعراء ودرس على العلماء حتى أصبح من أشعر أهل عصره وأغزهم علماً ، وطار ذكره في الآفاق ، واتصل بالرشيد والأمين ومدحها ونال منها الجوائز السنية ، وتوفي أبو نواس في الثامنة والخمسين من عمره سنة ١٩٩ هـ

(٣٣) ديوان أبي نواس : ص ٢٤٣ (فواقعها) بالواو كما هنا ، وأكثر الرواة على أنها (فقاقعها) بالقاف ، وهي النفاخات التي تعلو الماء أو الخمر . ومحل الخطأ قوله « صغرى وكبرى » حيث جاء بأفعل التفضيل مؤنثاً ، مع كونه مجرداً من أل ومن الإضافة ، وكان حقه أن يأتي به مفرداً مذكراً . فيقول « أصغر وأكبر » . وقد اعتذر بعض العلماء عنه بأنه لم يرد التفضيل ، وإنما أراد معنى الوصف المجرد عن الزيادة . (٣٤) أبو تمام هو حبيب بن أوس الطائي : قال الأمدى في الموازنة : والذي عند أكثر الناس في نسب أبي تمام أن أباه كان من أهل جاسم - قرية من قرى دمشق - يقال له تدوس العطار فجعلوه أوساً ، ولفقت له نسبة إلى طي . وكان واحد عصره في ديباجة لفظه ونصاعة شعره وحسن أسلوبه : وله كتاب الحماسة الذي دل على غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن الاختيار ، وله مجموع آخر سماه « فحول الشعراء » جمع فيه بين طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين ، وله كتاب « الاختيارات من شعر الشعراء » وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره . وقيل إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب =

يالقائم الثامن المستخلف اطأدت^(٣٥) قواعد الملوك مُمتدًا لها الطول
 ألا ترى أنه قال « اطأدت » والصواب « اتطدت » لأن التاء تبدل من الواو في
 موضعين : أحدهما مقيس عليه كهذا الموضع ، لأنك إذا بنيت افتعل من الوعد قلت
 « اتعد » ، ومثله ماورد في هذا البيت ، فإنه من وطد يطد كما يقال وعد يعد ، فإذا
 بُني افتعل قيل « اتطد » ، ولا يقال « اطأد » . وأما غير المقيس فقولهم في وجاه
 « تجاه » وقالوا « تكلان »^(٣٦) وأصله الواو لأنه من وكل يكل ، فأبدلت الواو تاء
 للاستحسان . فهذه الأمثلة قد أشرت إليها ، ليعلم مكان الفائدة في أمثالها ،
 وتوَقَّى . على أني لم أجد أحدا من الشعراء المُقلِّين سلم من مثل ذلك ، فإما أن
 يكون لَحَنَ لَحْنًا يدل على جهله مواقع الإعراب ، وإما أن يكون أخطأ في تصريف
 الكلمة . ولا أعني بالشعراء من هو قريب عهد بزماننا ، بل أعني بالشعراء من تقدَّم
 زمانه ، كالمتنبي^(٣٧) ومن كان قبله ، كالبحرئ^(٣٨) ، ومن تقدمه كأبي تمام ، ومن
 سبقه كأبي نواس والمعصوم من عصمه الله تعالى .

على أن الخطئ في التصريف أندر وقوعًا من الخطئ في النحو ، لأنه قلما يقع له
 كلمة يحتاج في استعمالها إلى الإبدال والنقل في حروفها ، وأما النحو فإنه يقع الخطأ
 فيه كثيرا ، حتى إنه ليشدُّ في ظاهره في بعض الأحوال ، فكيف خافيه ، كقول أبي
 نواس في الأمين محمد رحمه الله :

= غير القصائد والمقاطع . ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم ، وجاب البلاد . وتوفى بالموصل سنة ٢٣١ هـ .
 (٣٥) فعله المجرد وطد يقال وطد الشيء يطده بالتخفيف كوعد يعد ، فهو وطيد وموطود أثبتته ونقله
 كوطده فتوطد بالتشديد ورواية الديوان « اعتدلت » موضع « اطأدت » ص ٢٢٧ .
 (٣٦) تجاه ووجه مثلثين تلقاء الوجه . أراد أن كلمة تجاه فيها تاء ليست في الأصل والتكلان : الاسم
 من التوكل .

(٣٧) المتنبي هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الشاعر المشهور ، من أهل الكوفة ، وقدم الشام في صباه
 وجال في أقطاره واشتغل بقنون الأدب ومهر فيها ، وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها
 وحوشها ، ولا يسأل عن شيء إلا استشهد فيه بكلام العرب ، وإنما قيل له المتنبي لأنه ادعى النبوة في بادية
 السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيدية فأسره وتفرق
 أصحابه ، وحبسه ، طويلا ثم استنابه وأطلقه ثم التحق بسيف الدولة بن حمدان في سنة ٣٣٧ هـ ، ثم فارقه
 إلى مصر سنة ٣٤٦ هـ ، ومدح كافورا الإخشيدى ، ولما لم يرضه هجاه ، وفارقه ليلة النحر سنة ٣٥٠ هـ ،
 ومات مقتولا سنة ٣٥٤ هـ .

(٣٨) البحرئ هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ولد بناحية منبج سنة ٢٠٦ هـ ، وتنقل في قبائل طيء
 وغيرها من البدو الضارين في شواطئ الفرات فغلبت عليه فصاحة العرب ، واتصل بالمتوكل والفتح بن=

يَاخِيرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ إِلَّا النَّبِيُّ الطَّاهِرُ الْمَيْمُونُ^(٣٩)
 فرجع في الاستثناء من الموجب ، وهذا من ظواهر النحو ، وليس من خافيه في
 شيء .

وكذلك قال أبو الطيب المتنبي^(٤٠)

أَرَأَيْتَ هِمَّةً نَاقِيَةً فِي نَاقَةٍ نَقَلَتْ يَدًا سُرْحًا وَخُفًّا مُجْمَرًا^(٤١)
 تَرَكْتَ دُخَانَ الرَّمْثِ فِي أَوْطَانِهَا طَلَبًا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَنْبَرَا^(٤٢)
 وَتَكَرَّمَتْ رُكْبَاتُهَا عَنْ مَبْرَكٍ تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ مِسْكًا أَذْفَرًا^(٤٣)
 فجمع في حال الثنية ، لأن الناقة ليس لها إلا ركبتان ، فقال « رُكْبَات » وهذا
 من أظهر ظواهر النحو ، وقد خفي على مثل المتنبي .

ومع هذا فينبغي لك أن تعلم أن الجهل بالنحو لا يَقْدَحُ في فصاحة ولا بلاغة
 ولكنه يقدح في الجاهل به نفسه ، لأنه رُسُومُ قَوْمٍ تواضعوا عليه ، وهم الناطقون
 باللغة ، فوجب اتباعهم .

والدليل على ذلك أن الشاعر لم يَنْظِمْ شعره وغرضه منه رفعُ الفاعل ونصبُ
 المفعول أو ماجرى مجراها ، وإنما غرضه إيرادُ المعنى الحسن في اللفظ الحسن
 الْمُتَصَفِّينَ بِصِفَةِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، ولهذا لم يكن اللحن قادحاً في حسن الكلام ،
 = خاقان حتى قتلا . ويمتاز شعره بركة الأسلوب وحسن الخيال وإجادة الوصف والثناء والعتاب والغزل
 والمديح . توفي البحترى سنة ٢٨٤ هـ .

(٣٩) ديوان أبي نواس ص ١١٧ ، وقد أبقينا لفظ « النبي » مرفوعاً لأن مبنى النقد على ذلك . ويمكن
 أن يكون منصوباً ولا خطأ فيه . ويرفع مابعده على أنه نعت مقطوع .
 (٤٠) من قصيدة يمدح بها أبا الفضل محمد بن العميد . ومطلعها :

باد هواك صيرت أم لم تصيرا وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

(٤١) الديوان : ١٦٨/٢ والشرح : السهلة السير . والخف المحمر : الشديد الصلب . أو هو الخفيف السريع
 من قوهم « أجمرت الناقة » إذا أسرع . يخبر عن علوهته : لأنه يحمل ناقته على السير .
 (٤٢) الرمث : نبت يوقد به . وهو من مراعى الإبل . يقول تركت الأعراب ووقودهم هذا الرمث . وأتيت
 قوماً وقودهم من العنبر .

(٤٣) ركباتها : جمع ركة . وإنما عني الاثنين . وهو كقوله جل وعلا « فقد صغت قلوبكما » وذلك أن
 أقل الجمع اثنان . فجاز أن يعبر عنها بالجمع . ودل على أنه أراد الثنية أنه أخبر عنها بالثنية فقال « تقعان » .
 والأذفر : الشديد الرائحة . يقول : تكرمت ناقتي عن البروك إلا على المسك الأذفر . لأن العنبر يوقد بحضرة
 المسدوح . والمسك ممتن عنده . بحيث تترك عليه ناقتي .

لأنه إذا قيل « جاء زيد ركباً » إن لم يكن حسناً إلا بأن يقال « جاء ركباً » بالنصب لكان النحو شرطاً في حسن الكلام ، وليس كذلك ، فتبين بهذا أنه ليس الغرض من نظم الشعر إقامة إعراب كلماته ، وإنما الغرض أمر وراء ذلك ، وهكذا يجرى الحكم في الخطب والرسائل من الكلام المنثور .
وأما الإدغام فلا حاجة إليه لكاتب ، لكن الشاعر ربما احتاج إليه لأنه قد يُضطرُّ في بعض الأحوال إلى إدغام حرف ، وإلى فك إدغام ، من أجل إقامة الميزان الشعري .

[النوع الثاني : معرفة ما يحتاج إليه من اللغة]

النوع الثاني (٤٤) وهو قولنا إنه يحتاج إلى معرفة اللغة مما تداول استعماله ، فيردُّ بيانه عند ذكر اللفظة الواحدة ، والكلام على جيدها ورديتها في المقالة المختصة بالصناعة اللفظية .

ويفتقر أيضاً مؤلف الكلام إلى معرفة عدة أسماء لما يقع استعماله في النظم والنثر ، ليجد - إذا ضاق به موضعٌ في كلامه بإيراد بعض الألفاظ فيه - العدول عنه إلى غيره ومما هو في معناه ، وهذه الأسماء تسمى « المترادفة » وهي اتحاد المسمى واختلاف أسمائه ، كقولنا الخمر ، والراح ، والمُدام ، فإن المسمى بهذه الأسماء شيء واحد ، وأسماءه كثيرة .

وكذلك يحتاج إلى معرفة الأسماء « المشتركة » ليستعين بها على استعمال « التجنيس » في كلامه ، وهي اتحاد الاسم واختلاف المسميات ، كالعين فإنها نطلق على العين الناظرة ، وعلى ينبوع الماء ، وعلى المطر ، وغيره ، إلا أن المشتركة تفتقر في الاستعمال إلى قرينة تخصصها ، كي لا تكون مبهمة ، لأننا إذا قلنا « عين » ثم سكتنا وقع ذلك على احتمالات كثيرة من العين الناظرة ، والعين النابغة ، والمطر ، وغيره ، مما هو موضوع بإزاء هذا الاسم ، وإذا قرئنا إليه قرينة تخصه زال ذلك الإبهام بأن نقول : عين حسناء أو عين نضاجة (٤٥) أو ملثة (٤٦) أو غير ذلك .

(٤٤) ذكر من قبل في صفحة : أن البليغ يحتاج إلى معرفة ثمانية أنواع ، الأول معرفة علم العربية من النحو والتصرف . وهذا هو النوع الثاني .

(٤٥) عين نضاجة : يبتق منها الماء في قوة . (٤٦) ملثة : دائمة المطر .

وهذا موضع للعلماء فيه مجاذباتٌ جدليّةٌ ، فمنهم من ينكر أن يكون اللفظ المشترك حقيقة في المعنيين جميعا ، ويقول إن ذلك يُخلُّ بفائدة وَضَعِ اللغة ، لأن اللغة إنما هي وَضَعُ الألفاظ في دلالتها على المعاني ، أى وَضَعُ الأسماء على المسميات ، لتكون مُنبِئَةً عنها عند إطلاق اللفظ ، والاشتراك لا بيان فيه ، وإنما هو ضدُّ البيان ، لكن طريقَ البيان أن يُجعلَ أحدُ المعنيين في اللفظ المشترك حقيقةً ، والآخر مجازاً .

فإذا قلنا « هذه كلمة » وأطلقنا القول فهمَ منه اللفظة الواحدة ، وإذا قيّدنا اللفظ فقلنا : هذه كلمة شاعرة ، فهم منه القصيدة المقصّدة من الشعر ، وهى مجموع كلمات كثيرة ، ولو أطلقنا من غير تقييد وأردنا القصيدة من الشعر لما فهم مرادنا البتّة . هذا خلاصة ماذهب إليه من ينكر وقوع اللفظ المشترك في المعنيين حقيقةً ، وفي ذلك مافيه ، وسأين ما يدخله من الخلل ، فأقولُ في الجواب عن ذلك ما استخرجته بفكرى ، ولم يكن لأحدٍ فيه قولٌ من قبلى ، وهو : أما قولك : إن فائدة وَضَعِ اللغة إنما هو البيان عند إطلاق اللفظ ، واللفظُ المُشترك يُخلُّ بهذه الفائدة ، فهذا غير مُسَلَّم ، بل فائدة وَضَعِ اللغة هو البيان والتحسين .

أما البيان فقد وفى به الأسماء المتباينة التى هى كلُّ اسمٍ واحدٍ دلٌّ على مُسمّى واحد ، فإذا أُطلق اللفظُ في هذه الأسماء كان بيناً مفهوماً ، لا يحتاجُ إلى قرينة . ولو لم يَضَعِ الواضعُ من الأسماء شيئاً غيرَها ، لكان كافياً في البيان .

وأما التحسينُ فإنَّ الواضعَ لهذه اللغة العربية ، التى هى أَحْسَنُ اللغات ، نظرَ إلى ما يحتاجُ إليه أرباب الفصاحة والبلاغة فيما يصوغونه من نظمٍ ونثرٍ ، ورأى أنَّ من مُهمّاتِ ذلك (التجنيس) ، ولا يقوم به إلا الأسماء المشتركة ، التى هى كل اسم واحد دل على مُسمّين فصاعداً ، فوضّعها من أجل ذلك . وهذا الموضع يتجاذبه جانبان ، يترجّح أحدهما على الآخر .

وبيانه أنَّ التحسينَ يَقضى بوضع الأسماء المشتركة ، ووضّعها يذهب بفائدة البيان عند إطلاق اللفظ ، وعلى هذا فإنَّ وضّعها الواضع ذهب بفائدة البيان ، وإن لم يَضَعِ ذهب بفائدة التحسين ، لكنّه إنَّ وَضَعَ استدرك ماذهب من فائدة البيان بالقرينة ، وإن لم يضع لم يستدرك ماذهب من فائدة التحسين ، فترجح حينئذ جانب الوَضَعِ فَوَضَعَ .

فإن قيل : فلم لا تنسب الأسماء المشتركة إلى اختلاف القبائل ، لا إلى واضع واحد ؟

قلت في الجواب : هذا تعسف لا حاجة إليه ، وهو مدفوع من وجهين : أحدهما : ما قدّمت القول فيه من الترجيح الذي سوغ للواضع أن يضع . الآخر : أنا نرى أنه قد ورد من الجموع ما يقع على مُسمَّيْن اثنين كقولهم : « كِعَاب » جمع « كَعْب » الذي هو كعب الرُّجُل ، وجمع « كَعْبَة » وهى البَنِيَّة ^(٤٧) المعروفة . وإذا أطلقنا اللفظ فقلنا « كِعَاب » من غير قرينة لا يُدرى ما المراد بذلك : أكعبُ الرُّجُل أم البَنِيَّة المعروفة ؟ وكذلك ورد واحد وجمع على وزن واحد كقولهم « راح » اسم للخمر ، و « راح » جمع راحة ، وهى الكف ، وقولهم « عِقَاب » وهو الجزاء على الذنب ، وجمع « عَقَبَة » أيضا .

وفى اللغة من هذا شيء كثير ، وهو بالإجماع من علماء العربية أنه لم يَجْر فيه خلاف بين القبائل ، فاتَّضح بهذا أن الأسماء المشتركة من وضع واحد . فإن قلت : إنَّ الواضع إنما وَضَعَ المفرد من الألفاظ ، والجمع وَضَعَهُ غيره . قلت في الجواب : إن الذى وضع المفرد هو الذى وَضَعَ الجمع ، لأنَّ من قواعد وضع اللغة أن يوضع المفرد والجمع والمذكر والمؤنث والمصغر والمكبر والمصادر وأسماء الفاعلين ، وما جرى هذا المجرى ، وإذا أَخْلَ بشيءٍ من ذلك كان قد أحل بقاعدة من قواعد وضع اللغة .

ثم لو سلَّمْتُ إليك أنَّ واضع الجمع غير واضع المفرد لكان ذلك قدْحًا فى الواضع الثانى ، إذ جاء بالإبهام عند إطلاق اللفظ ، لأنه جمع كعبة - التى هى البَنِيَّة ، وكعب الرجل - على « كِعَاب » ، وهذا لفظٌ مُشْتَرَكٌ مُبْهِمٌ عند الإطلاق ، ولا فرق بين أن يضعه الواضع الأول أو واضع ثانٍ ، فإن الإبهام حاصل منه . وكان فإوضى بعض الفقهاء فى قوله تعالى فى سورة البقرة : « صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ^(٤٨) » . وقال إن لون البقرة كان أسود ، والأصفر هو الأسود ،

(٤٧) قال صاحب القاموس : والبنيّة كغنية الكعبة لشرفها .

(٤٨) سورة البقرة : آية ٦٩ .

فأنكرت عليه هذا القول ، فأخذ يجادل مجادلةً غير عارِفٍ ، ويعزو ذلك إلى تفسير النقاش (٤٩) وتفسير البلاذري (٥٠) .

فقلت له : اعلم أن هذا الاسم الذي هو « الأصفر » لا يخلو في دلالته على الأسود من وجهين : إمّا أنه من الأسماء المتباينة ، التي يدلُّ كلُّ اسم منها على مُسمّى واحد ، كالإنسان والأسد والفرس وغير ذلك ، وإمّا أنه من الأسماء المشتركة ، التي يدلُّ الاسمُ منها على مُسمَّين فصاعداً .

ولا يجوز أن يكون من الأسماء المتباينة ، لأننا نراه متجاذباً بين لونين : أحدهما : هذا اللون الزعفرانيُّ الشكل ، والآخر : اللون المظلمُ الشكل . وعلى هذا فإنه يكون من الأسماء المشتركة ، وإذا كان من الأسماء المشتركة فلا بُدَّ له من قرينة تُخصِّصه باللون الزعفرانيِّ دون اللون المظلم ، لأن الله تعالى قال : « صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا » والفاقع من صفات اللون الزعفراني خاصة ، لأنه قد ورد للألوان صفاتٌ متعددة ، لكل لون منها صفة ، فقليل أبيضُ يَقَقُّ (٥١) وأَسْوَدُ حَالِكٌ ، وَأَحْمَرُ قَانٍ ، وَأَصْفَرُ فَاقِعٌ ، ولم يُقَلْ : أَسْوَدَ فَاقِعٌ ، ولا أَصْفَرُ حَالِكٌ ، فعلم حينئذٍ أن لون البقرة لم يكن أَسْوَدَ ، وإنما كان أَصْفَرُ .

فلما تحقق عند ذلك الفقيه ما أشرت إليه أذعن بالتسليم .

[النوع الثالث : معرفة أمثال العرب وأيامهم]

وأما النوع الثالث فهو معرفة أمثال العرب وأيامهم ، ومعرفة الوقائع التي وردت في حوادث خاصة بأقوام .

(٤٩) النقاش : هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون المقرئ النقاش الموصلِي بغدادى المولد والمنشأ ، كان عالماً بحروف القرآن حافظاً للتفسير . صنف فيه كتاباً سماه « شفاء الصدور » وله تصانيف في القراءة وغيرها من العلوم . ذكره طهجة بن محمد بن جعفر فقال : كان يكذب في الحديث والغالب عليه القصص . وسئل أبو بكر البرقاني عنه فقال : كان حديثه منكراً ، وقال البرقاني - وذكر تفسير النقاش - فقال : ليس فيه حديث صحيح ، ولد النقاش سنة ٢٦٦ هـ وكانت وفاته سنة ٣٤١ هـ .

(٥٠) البلاذري : أبو الحسن وقيل أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر ولد في أواخر القرن الثاني للهجرة . ونشأ ببغداد ، وتقرب من المتوكل والمستعين والمعتز . وقد عهد إليه المعتز بتثقيف ابنه عبد الله . ومن بعد فتح البلدان ، والقرابة وتاريخ الأشراف . وكان يجيد الفارسية وقد ترجم عنها عهد أردشير ، وقد جن في آخر أيامه ، وتوفي سنة ٢٧٩ هـ .

(٥١) أبيض يقق بفتحتين وككتف شديد البياض .

وقولى هذا لا يقتضى كل الأمثال الواردة عنهم : فَإِنَّ مِنْهَا مَا لَا يَحْسُنُ اسْتِعْمَالُهُ ،
كما أَنَّ مِنْ أَلْفَاظِهِمْ أَيْضاً مَا لَا يَحْسُنُ اسْتِعْمَالُهُ .

وَكَنتَ جَرَّدْتُ مِنْ كِتَابِ الْأَمْثَالِ لِلْمِيدَانِي (٥٢) أَوْرَاقاً خَفِيفَةً تَشْتَمِلُ عَلَى
الْحَسَنِ مِنَ الْأَمْثَالِ الَّتِي يَدْخُلُ فِي بَابِ الِاسْتِعْمَالِ . وَسَبِيلُ الْمُتَصَدِّ لِهَذَا الْفَنِّ أَنْ
يَسْأَلَ مَا سَلَكَهُ ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهَا شَدِيدَةٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ تَضَعْ الْأَمْثَالَ
إِلَّا لِأَسْبَابٍ أَوْجَبَتْهَا ، وَحَوَادِثَ اقْتَضَتْهَا ، فَصَارَ الْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ لِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ
عِنْدَهُمْ كَالْعَلَامَةِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الشَّيْءُ ، وَلَيْسَ فِي كَلَامِهِمْ أَوْجَزُ مِنْهَا ، وَلَا أَشَدُّ
اِخْتِصَاراً .

وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا أَذْكَرُهُ لَكَ ، لِتَكُونَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ عَلَى يَقِينٍ ، فَأَقُولُ : قَدْ جَاءَ عَنِ
الْعَرَبِ مِنْ جُمْلَةِ أَمْثَالِهِمْ « إِنْ يَبْغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبْغِ عَلَيْكَ الْقَمَرُ » (٥٣) « وَهُوَ مِثْلُ
يَضْرِبُ لِلْأَمْرِ الظَّاهِرِ الْمَشْهُورِ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ - كَمَا قَالَ الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ - أَنَّهُ بَلَّغْنَا
أَنَّ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَرَاهُنَا عَلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعِ
عَشْرَةٍ مِنَ الشَّهْرِ ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ : تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُرَى ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ يَغِيبُ
الْقَمَرُ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ . فَتَرَاضَوْا بِرَجُلٍ جَعَلُوهُ حَكَمًا » (٥٤) ، فَقَالَ وَاحِدٌ (٥٥)
مِنْهُمْ : إِنْ قَوْمِي يَبْغُونَ عَلَيَّ ، فَقَالَ الْحَكَمُ (٥٦) : « إِنْ يَبْغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبْغِ
عَلَيْكَ الْقَمَرُ » فَذَهَبَتْ مِثْلًا .

وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ « إِنْ يَبْغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبْغِ عَلَيْكَ الْقَمَرُ » إِذَا اخْتِذَ
عَلَى حَقِيقَتِهِ ، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْقَرَائِنِ الْمُنَوِّطَةِ بِهِ وَالْأَسْبَابِ الَّتِي قِيلَ مِنْ أَجْلِهَا ، لَا
يُعْطَى مِنَ الْمَعْنَى مَا قَدْ أَعْطَاهُ الْمَثَلُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَثَلَ - تَقْدِمَاتِ وَأَسْبَابُ قَدْ عُرِفَتْ ،
وَصَارَتْ مَشْهُورَةً بَيْنَ النَّاسِ ، مَعْلُومَةٌ عِنْدَهُمْ ، وَحَيْثُ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ جَازَ إِيْرَادُ
هَذِهِ اللَّفْظَاتِ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ .

(٥٢) المِيدَانِي : هُوَ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمِيدَانِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ . كَانَ أَدِيباً
فَاضِلاً . عَارِفاً بِاللُّغَةِ . اخْتَصَّ بِصَحْبَةِ أَبِي الْحَسَنِ الْوَاحِدِيِّ صَاحِبِ التَّفْسِيرِ . ثُمَّ قَرَأَ عَلَى غَيْرِهِ وَأَتَقَنَ فَنَ الْعَرَبِيَّةِ
خُصُوصاً لِّلُّغَةِ وَأَمْثَالِ الْعَرَبِ . وَلَهُ فِيهَا التَّصَانِيفُ الْمُفِيدَةُ . مِنْهَا كِتَابُ مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ . وَلَمْ يَعْلَمْ مِثْلُهُ فِي بَابِهِ .
وَكِتَابُ السَّامِيِّ فِي الْأَسْمَاءِ . ٥١١ هـ نَيْسَابُورُ . وَالْمِيدَانِيُّ نَسَبُهُ إِلَى « مِيدَانٍ » وَهِيَ مَحَلَّةٌ فِي نَيْسَابُورِ .
(٥٣) مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ لِلْمِيدَانِيِّ ٣٠/١ . (٥٤) رَوَايَةُ مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ « فَتَرَاضَوْا بِرَجُلٍ جَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ » .
(٥٥) رَوَايَةُ مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ « فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ » . (٥٦) رَوَايَةُ مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ « فَقَالَ الْعَدْلُ » .

ولولا تلك المقدمات المعلومة والأسباب المعروفة لما فهم من قول القائل « إن يَبْغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبْغِ عَلَيْكَ الْقَمَرُ » ما ذكرناه من المعنى المقصود ، بل ما كان يفهم من هذا القول معنى مفيد ، لأن البَغْيَ هو الظلم ، والقمر ليس من شأنه أن يَظْلِمَ أحداً ، فكان يصير معنى المثل : إن كان يظلمك قومك لا يظلمك القمر ، وهذا الكلام مختل المعنى ، ليس بمستقيم .

فلما كانت الأمثال كالرُّمُوز والإشارات التي يُلوَّحُ بها على المعاني تلويحاً صارت من أَوْجَزَ الكلام وأكثره اختصاراً .

ومن أجل ذلك قيل في حدِّ المثل : إنه القول الوجيز المرسل ليعملَ عليه ، وحيث هي بهذه المثابة فلا ينبغي الإخلالُ بمعرفتها .
وأما أيام العرب فإنها تتنوع وتتشعب ، فمنها أيامُ فَخَّارٍ ، ومنها أيامُ مُحَارِبَةٍ ، ومنها أيامُ مُنَافَرَةٍ ، ومنها غير ذلك .

ولا يخلو الناظم والناثر من الانتصاب لوصف يوم يمرُّ به في بعض الأحوال شبيهاً بيومٍ من تلك الأيام ، ومماثلاً له ، فإذا جاء بذكر بعض تلك الأيام المناسبة لمُرَّادِهِ ، الموافقة له ، وقاس عليه يومه ، فإنه يكون في غاية الحسن والروقة . هذا لاختفاء به .
وأما الوقائع التي وَرَدَتْ في حوادث خاصَّة بأقوام ، فإنها كالأمثال في الاستشهاد بها ، وسأبين لك نبذةً منها حتى تعلم مقدار الفائدة بها . فمن ذلك أنه ورد عن النبي ﷺ حديثُ بَيْعَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ ^(٥٧) تحت الشجرة وكان أرسل عثمان - رضي الله عنه - إلى مكة في حاجة عَرَضَتْ له ولم يحضر البيعة ، فضرب رسولُ الله ﷺ بيده الشمال على اليمين . وقال : هذه عن عثمان ، وشألي خيرٌ من يمينه .

(٥٧) خرج النبي ﷺ في آخر سنة ست معتمراً لا يريد حرباً واستنفر العرب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت . وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن القرشيون حربه . لكن قريشاً لما علمت بمقدمه خرجت للقائه ، وبعث مندوبين عنها فأخبرهم الرسول بأنه قد قدم زائراً للبيت . وعاد المندوبون إلى قريش فاتهمتهم وسفهمتهم ، فأراد النبي أن يبعث عمر بن الخطاب موفداً عنه إلى قريش ليؤكد لهم أن المهاجرين والأنصار إنما قدموا زواراً لا محارزين ، فاعتذر عمر ، لأنه خشي على نفسه من عدوان قريش عليه . إذ ليس بمكة من بني عدى أحد يحميه . وأشار على النبي أن يرسل عثمان بن عفان . فأرسله النبي . فاحتبسته قريش عندها . وعلم النبي بذلك فقال : لا تبرح حتى تناجز القوم . ودعا الناس إلى البيعة . فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت . وعلى ألا يفروا ثم جاء الخبر إلى النبي أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

وقد استعملتُ أنا هذا في جُمْلَةِ كتاب ، فقلت : ولا يُعَدُّ البرِّيراً حتى يُلْحِقَ
 الْعَيْثَ بِالْحُصُورِ^(٥٨) ، وَيَصِلَ مَنْ لَمْ يَصِلْهُ بِجِزَاءٍ وَلَا شُكُورٍ ، فَزَنَ الْغَائِبَ بِالشَّاهِدِ
 مِنْ كَرَمِ الْإِحْسَانِ ، ولهذا نابتُ شَمالُ رسولِ الله ﷺ عن يَمِينِ عُثْمَانَ . ومن ذلك
 أنه ورد عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ اسْتَدْعَى أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ
 وَمَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَمَالِ ، وَكَانَ مِنْهُمْ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ الْحَارِثِيُّ ، فَضَى إِلَى يَرْفَأَ مَوْلَى
 عَمْرٍ ، وَسَأَلَهُ عَمَّا يَرُوجُ عَنْهُ وَيَنْفُقُ عَلَيْهِ ، فَأشارَ إِلَى خُشُونَةَ الْعَيْشِ ، فَضَى وَلَبَسَ
 جُبَّةَ صُوفٍ وَعِمَامَةً دَسْمَاءَ^(٥٩) وَخُفًّا مُطَابِقًا ، وَحَضَرَ يَنْ يَدِيهِ فِي جُمْلَةِ الْعَمَالِ ،
 فَصَوَّبَ عُمَرُ نَظْرَهُ وَصَعَّدَهُ ، فَلَمْ يَقَعْ إِلَّا عَلَيْهِ ، فَأَدْنَاهُ وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ . ثُمَّ أَوْصَى أَبَا
 مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ بِهِ .

وقد استعملتُ أنا هذا في جملة تقليد لبعض الملوك من ديوان الخلافة فقلت :
 « وَإِذَا اسْتَعْنَتْ بِأَحَدٍ عَلَى عَمَلِكَ ، فَاضْرِبْ عَلَيْهِ بِالْأَرْصَادِ ، وَلَا تَرْضَ بِمَا عَرَفْتَهُ عَنْ
 مَبْدَأِ حَالِهِ ، فَإِنَّ الْأَحْوَالَ تَتَبَقَّلُ تَتَبَقَّلُ الْأَجْسَادِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُخَدَعَ بِصَلَاحِ الظَّاهِرِ ،
 كَمَا خَدَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِالرَّبِيعِ بْنِ زِيَادٍ » .

فانظر كيف فعلت في هاتين القَصَتَيْنِ ؟ وكيف أَوْرَدْتَهُمَا فِي الْغُرُضِ الَّذِي
 قَصَدْتَهُ ؟ وَامْضِ أَنْتِ عَلَى هَذَا النَّهْجِ ، فَإِنَّهُ مِنْ مُحَاسِنِ هَذِهِ الصَّنِيعَةِ .
 وَعُرِضَ عَلَى كِتَابِ كُتُبِهِ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ عَلِيٍّ الْبَيْسَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنِ الْمَلِكِ
 صَلَاحِ الدِّينِ يُونُسَ بْنِ أَيُّوبَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِلَى دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ بِبَغْدَادٍ فِي سَنَةِ
 إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَضَمَّنَهُ مَا أَبْلَاهُ فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ ، مِنْ فَتْحِ الدِّيَارِ
 الْمِصْرِيَّةِ ، وَمَحْوَ الدَّوْلَةِ الْعُلُويَّةِ^(٦٠) ، وَإِقَامَةِ الدَّعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَشَرَحَ فِيهِ مَا قَاسَاهُ
 فِي الْفَتْحِ مِنَ الْأَهْوَالِ .

ولما تأملته وجدته كتاباً حَسَنًا قَدْ وَفَى فِيهِ الْخُطَابَةُ حَقَّهَا . إِلَّا أَنَّهُ أَخْلَلَ بِشْيَءٍ
 وَاحِدٍ : وَهُوَ أَنَّ مِصْرَ لَمْ تُفْتَحْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ قَصِدَتْ مِنَ الشَّامِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَكَانَ
 الْفَتْحُ فِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ ، وَهَذَا لَهُ نَظِيرٌ فِي فَتْحِ النَّبِيِّ ﷺ مَكَّةَ - فَإِنَّهُ قَصَدَهَا عَامَ

(٥٨) الْحُصُورُ مِنْ مَعَانِيهِ الْهَيُوبِ الْمُحْجَمِ عَنِ الشَّيْءِ . وَالْمُرَادُ أَنَّ هَذَا الْمَمْدُوحَ يَشْمَلُ بَعْطَايَاهُ مِنْ لَمْ يَطْلُبُوا مِنْهُ

شَيْئاً . (٥٩) مَلُونَةٌ بِالْأَسْمِ .

(٦٠) الدَّوْلَةُ الْعُلُويَّةُ هِيَ الْفَاطِمِيَّةُ ، النَّسَبُ الْأَوَّلِيُّ إِلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَالنَّسَبُ الثَّانِي إِلَى السَّيِّدَةِ

الحديبية. ثم سار إليها في عمرة القضاء، ثم سار إليها غام الفتح. ففتحها. وقد سألتني بعض الإخوان أن أنشئ في ذلك كتاباً إلى ديوان الخلافة معارضاً للكتاب الذي أنشأه عبد الرحيم بن علي رحمه الله، فأجبتُه إلى سؤاله وعددت مساعي صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله، فقلت: «ومن جملتها ما فعله الخادم في الدولة المصرية، وقد قام بها منبر وسرير، وقالت: منا أمير ومنكم أمير، فردد الدعوة العباسية إلى معادها، وأذكر المنابر مانسيتها بها من زهو أعواذها، وكانت أخرجت منها إخراج النبي ﷺ من قريته، وقذف الشيطان على حقها بباطله، وعلى صدقها بغوايته، ثم طوتها الليالي طي السجل^(٦١) للكتاب، وكثر عليها مرور الدهر، حتى نسي لها عدد السنين والحساب. ولم يُعدها إلى وطنها، حتى تغربت لها الأرواح عن أوطانها، وسهرت لها أجفان^(٦٢) السيوف سهر العيون عن أجفانها^(٦٣)، وتطاردت الآراء في تسهيل أمرها قبل مطاردة أقرانها، وحتى تقدمتها غربات^(٦٤) ثلاث كلها ذوات غروب^(٦٥)، وكل خطب من خطوبها ذو خطوب، إلى أن تمخض ليلها عن صبحه، وأصبحت في الإسلام كعام حديبية، وعمرة قضائه، وعام فتحه، وفي ذكر أخبارها ما يطبع الأسماء في رؤوس الأفلام^(٦٥)، ويُرهب سامعها، ولم ينله شيء من مكروها سوى الكلام، ويومها للدولة هو اليوم الذي أرخ فيه معاد نصرها وميعاد بشرها، فإذا عدت ليالها السالفة كانت كسائر الليالي، وهذه ليلة قدرها».

فهذا فصل من فصول الكتاب، فانظر كيف ماثلت بين الفتح المصري وفتح مكة، وذكرت أيضاً حديث الحباب بن المنذر الأنصاري حيث قال بعد وفاة النبي ﷺ: منا أمير ومنكم أمير، وذلك لما حضر أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنهم - في سقيفة بني ساعدة، والقصة مشهورة، فقال الحباب بن

(٦١) السجل: الكتاب.

(٦٢) أجفان السيوف: أغنمها. والأجفان: أغطي العيون من أعلى وأسفل.

(٦٣) غربات ثلاث: ثلاث سفرات ورحلات.

(٦٤) غروب: جمع غرب والمراد هنا حد السيف، أي أن المرات الثلاث، فيها قتال.

(٦٥) المراد من طبع الأسماء أن الأفلام التي تذكر أخبار هذا الفتح تصور معارك رهبة فكان في رؤوس الأفلام أسماء رماح.

المنذر: منا أميرٌ ومنكم أميرٌ، فقال أبو بكر رضى الله عنه: «بل نحنُ الأمراءُ . وأنتم الوزراءُ» . وهذا الذى ذكرته هو نكتةُ هذا الفتح التى عليها المعولُ ، ومركزه الذى عليه يدور .

وعجبتُ من عبد الرّحيم بن علىّ البيسانى مع تقدّمه فى فنّ الكتابة ، كيف فاتهُ أن يأتى به فى الكتاب الذى كتبه ؟

وكذلك وجدتُ لابن زيادِ البَغْدادى كتاباً كتبه إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسفَ المقدّم ذكره فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وضَمَّنَه فُصولاً تشتملُ على أمورٍ أنكرت عليه من ديوان الخلافة ، فمن تلك الأمور التى أنكرت عليه أنه تَلَقَّبَ بالملك الناصر ، وذلك اللقبُ هو لأُمير المؤمنين خاصّة ، فإنّه الإمامُ الناصرُ لدين الله . فلما وَقَفْتُ على ذلك الكتاب وجدته كتاباً حسناً قد أجاد فيه كلَّ الإجادة ، ولم أجد فيه مَغَمَراً إلا فى هذا الفصل الذى يَتَضَمَّنُ حديثَ اللقب ، فإنّه لم يأت بكلام يناسبُ باقى الفصول المذكورة . بل أتى فيه بكلامٍ فيه غثائهُ ، كقوله : « ما يَسْتَصْلِحُهُ المولى فهو على عبده حرام » وشيئاً من هذا النسق ، وكان الأليقُ والأحسنُ أن يَحْتَجَّ بحجّةٍ فيها رُوحٌ ، ويذكرَ كلاماً فيه ذِلاقةٌ ورِشاقةٌ .

وحَضَرَ عندى فى بعض الأيام بعضُ إخوانى ، وجَرى حديث ذلك ، فسألنى عما كان ينبغى أن يُكْتَبَ فى هذا الفصل ، فذكرت ما عندى ، وهو : « قد عُلِمَ أن للأنبياء والخلفاء خصائصَ يختصُّون بها على حُكْمِ الانفراد وليس لأحدٍ من الناس أن يشاركهم فيها مشاركة الأنداد وقد أجرى رسولُ الله ﷺ ذلك فى أشياء نصَّ عليها بحُكْمِهِ ، ومن جُمِلَتْها أنّه نهى غيره أن يجمع بين كُنْيَتِهِ وبين اسمه ، وهذا مُسَوِّغٌ لأُمير المؤمنين أن يُخْتَصَّ بأمرٍ يكون به مشهوراً ، وعلى غيره محظوراً ، وقد وَسَمَ نفسه بِسِمَةِ نزلت عليه من السماء ، وتميزت به من بين المُسَمَّياتِ والأسماء ، ثم استمرت عليها الأيام حتى خُوطِبَ بها من الحاضرِ والبادِ ، ورفعها الخطباءُ على المنابر فى أيام الجُمُعِ ومواسم الأعياد ، وقد شاركتهُ أنت فيها غيرَ مراقبٍ لِمَزيَّةِ التعظيم ، ولا فارقي بين فُسحة التحليل وحرَجِ التحريم ، والشرعُ والأدبُ يحكمان عليك بأن تلتنى ما فرطَ منك بالمتاب ، ولا تُخَوِّجَ فيه إلى التَّقْرِيعِ الذى هو أشدُّ العتاب ، ومثلُك مَنْ عَرَفَ الحقَّ فأَمْسَكَ بيده ، ونَسَخَ إغفالَ أَمْسِهِ باستئناف

التَّيَقُّظُ فِي غَدِهِ ، وَاللَّهِ قَدْ رَفَعَ الْمُؤَاخَذَةَ عَمَّنْ أَتَى الشَّيْءَ وَخَطَا لَا عَمَدًا ، وَقَبْلَ التَّوْبَةِ
مَمْنٌ أَخَذَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْإِخْلَاصِ عَهْدًا .

فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمَتَأَمِّلُ كَيْفَ جِثَّتْ بِالْخَبَرِ النَّبِيُّ ، وَجَعَلْتُهُ شَاهِدًا عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ ،
وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُحْتَجَّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ إِلَّا بِمِثْلِ هَذَا الْاِحْتِجَاجِ . وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ شَدَّ عَنْ
ابْنِ زِيَادٍ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ كَاتِبًا مُغْلَقًا أَرْضَى كِتَابَتَهُ ، وَلَمْ أَجِدْ فِي مَتَاخَرِ
الْعِرَاقِيِّينَ مَنْ يُثَالِّهُ فِي هَذَا الْفَنِّ ؟ .

[النوع الرابع : الاطلاع على المنظوم والمنثور]

وَأَمَّا النَّوعُ الرَّابِعُ ، وَهُوَ الْإِطْلَاعُ عَلَى كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْمُنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ ، فَإِنَّ فِي
ذَلِكَ فَوَائِدَ جَمَّةً ، لِأَنَّهُ يُعْلَمُ مِنْهُ أَغْرَاضُ النَّاسِ وَنَتَائِجُ أَفْكَارِهِمْ وَيُعْرَفُ بِهِ مَقَاصِدُ
كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ، وَإِلَى أَيْنَ تَرَامَتْ بِهِ صَنْعَتُهُ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مِمَّا تَشْحَدُ
الْقَرِيحَةَ ، وَتُذَكِّي الْفِطْنَةَ ، وَإِذَا كَانَ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَارِفًا بِهَا تَصِيرُ الْمَعَانِي الَّتِي
ذَكَرْتُ ، وَتَعَبَ فِي اسْتِخْرَاجِهَا ، كَالشَّيْءِ الْمُلْقَى بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَأْخُذُ مِنْهُ مَا أَرَادَ ، وَيَتْرَكُ
مَا أَرَادَ .

وَأَيْضًا ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ مُطْلَعًا عَلَى الْمَعَانِي الْمَسْبُوقِ إِلَيْهَا قَدْ يَنْقَدِحُ لَهُ مِنْ بَيْنِهَا
مَعْنَى غَرِيبٌ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهِ .

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ خَوَاطِرَ النَّاسِ وَإِنْ كَانَتْ مُتَفَاوِتَةً فِي الْجُودَةِ وَالرَّدَاءَةِ . فَإِنَّ بَعْضَهَا
لَا يَكُونُ عَالِيًا عَلَى بَعْضٍ ، أَوْ مُنْحَطًّا عَنْهُ إِلَّا بِشَيْءٍ يَسِيرٍ ، وَكَثِيرًا مَا تَسَاوَى الْقَرَائِحُ
وَالْأَفْكَارُ فِي الْإِتْيَانِ بِالْمَعَانِي ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَأْتِي بِمَعْنَى مُوَضَّوعٍ بَلْفِظٍ ، ثُمَّ
يَأْتِي الْآخَرُ بَعْدَهُ بِذَلِكَ الْمَعْنَى وَاللَّفْظِ بَعَيْنَهُمَا مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُ بِمَا جَاءَ بِهِ الْأَوَّلُ .
وَهَذَا الَّذِي يَسْمِيهِ أَرْبَابُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ « وَقُوعُ الْخَافِرِ عَلَى الْخَافِرِ » وَسَيَأْتِي لَذَلِكَ
بَابٌ مُفْرَدٌ فِي آخِرِ كِتَابِنَا هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

[النوع الخامس : معرفة الأحكام السلطانية]

وَأَمَّا النَّوعُ الْخَامِسُ : وَهُوَ مَعْرِفَةُ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ مِنَ الْإِمَامَةِ وَالْإِمَارَةِ وَالْقَضَاءِ
وَالْحِسْبَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَإِنَّمَا أُوجِبْنَا مَعْرِفَتَهَا وَالْإِحَاطَةَ بِهَا ، لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْكَاتِبُ فِي
تَقْلِيدَاتِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ وَالْقُضَاةِ وَالْمُحْتَسِنِينَ ، وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمْ . وَأَيْضًا فَإِنَّهُ قَدْ

يَحْدُثُ فِي الْإِمَامَةِ حَدَثٌ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ بِأَنْ يَمُوتَ الْإِمَامُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ يَتَوَلَّى مِنْ بَعْدِهِ مَنْ لَمْ تَكْمَلْ فِيهِ شُرَاطُ الْإِمَامَةِ ، أَوْ يَكُونَ كَامِلَ الشَّرَاطِ غَيْرَ أَنَّ الْإِمَامَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ عَهْدَ بَهَا إِلَى آخِرِ غَيْرِهِ ، وَهُوَ نَاقِصُ الشَّرَاطِ . أَوْ يَكُونَ قَدْ تَنَازَعَ الْإِمَامَةُ اثْنَانِ أَوْ يَكُونَ أَرْبَابُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ قَدْ اخْتَارُوا إِمَامًا وَهُمْ غَيْرُ كَامِلِي الشَّرَاطِ الَّتِي تَجِبُ أَنَّ تُوجَدَ فِيهِمْ . أَوْ يَكُونَ أَمْرٌ غَيْرُ مَا ذَكَرْنَاهُ ، فَتَخْتَلِفُ الْأَطْرَافُ فِي ذَلِكَ ، وَيَنْتَصِبُ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ لَهُ عِنَايَةٌ بِالْإِمَامِ الَّذِي قَدْ قَامَ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَيَأْمُرُ كَاتِبَهُ أَنْ يَكْتُبَ كِتَابًا فِي أَمْرِهِ إِلَى الْأَطْرَافِ الْمُخَالَفَةِ لَهُ .

وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْكَاتِبُ عِنْدَ ذَلِكَ عَارِفًا بِالْحُكْمِ فِي هَذِهِ الْحَوَادِثِ وَاخْتِلَافِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فِيهَا ، وَمَا هُوَ رُخْصَةٌ فِي ذَلِكَ ، وَمَا لَيْسَ بِرُخْصَةٍ ، لَا يَكْتُبُ كِتَابًا يُنْتَفَعُ بِهِ .

وَلَسْنَا نَعْنِي بِهَذَا الْقَوْلِ أَنْ يَكُونَ الْكِتَابُ مَقْصُورًا عَلَى فَقْهِ مَحْضٍ فَقَطْ ، لِأَنَّا لَوْ أَرَدْنَا ذَلِكَ لَمَا كُنَّا نَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى كِتَابِ كِتَابٍ بِلَاغِيٍّ ، بَلْ كُنَّا نَقْتَصِرُ عَلَى إِسْرَالِ مُصَنَّفٍ مِنْ مُصَنِّفَاتِ الْفِقْهِ عَوَضًا عَنِ الْكِتَابِ وَإِنَّمَا قَصَدْنَا أَنْ يَكُونَ الْكِتَابُ الَّذِي يُكْتُبُ فِي هَذَا الْمَعْنَى مُشْتَمِلًا عَلَى التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ ، وَالْمُسَامَحَةِ فِي مَوْضِعٍ ، وَالْمَحَاقِقَةِ فِي مَوْضِعٍ ، مَشْهُونًا ذَلِكَ بِالنَّكَتِ الشَّرْعِيَّةِ ، الْمُبْرَزَةِ فِي قَوَالِبِ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ ، كَمَا فَعَلَ الْكَاتِبُ الصَّابِي (٦٦) ، فِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ عَنْ عَزِّ الدَّوْلَةِ بِخْتِيَارِ بْنِ مُعَزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، إِلَى الْإِمَامِ الطَّائِعِ لِمَا خَلَعَ الْمَطْبِعَ ، فَإِنَّهُ مِنْ مُحَاسِنِ الْكُتُبِ الَّتِي تَكْتُبُ فِي هَذَا الْفَنِّ .

[النوع السادس : حفظ القرآن الكريم]

وَأَمَّا النَّوعُ السَّادِسُ : وَهُوَ حِفْظُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، فَإِنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ

(٦٦) هُوَ أَبُو اسْحَقَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ هَلَالٍ الصَّابِي صَاحِبُ الرِّسَالِ الْمَشْهُورَةِ وَالنَّظْمِ الْبَدِيعِ كَانَ كَاتِبَ الْإِنْشَاءِ عَنِ الْخَلِيفَةِ بَيْغَدَادَ وَعَنْ عَزِّ الدَّوْلَةِ بِخْتِيَارِ الدَّيْلَمِيِّ ، وَتَقْلَدَ دِيْوَانَ الرِّسَالِ سَنَةَ ٣٤٩ هـ ، وَكَانَ مُتَشَدِّدًا فِي دِينِهِ ، وَجُهِدَ عَلَيْهِ عَزِّ الدَّوْلَةِ أَنْ يَسْلَمَ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَكَانَ يَصُومُ شَهْرَ رَمَضَانَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَحْفَظُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَحْسَنَ حِفْظٍ وَكَانَ يَسْتَعْمِلُهُ فِي رِسَالَتِهِ تَوَفَى الصَّابِي سَنَةَ ٣٨٤ هـ بِبَغْدَادَ ، وَرَّثَاهُ الشَّرِيفُ الرَّضَى بِقَصِيدَةٍ مَشْهُورَةٍ : وَعَاتِبَهُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ لَكُونِهِ شَرِيفًا يَرِثُ صِلَابًا : فَقَالَ : إِنَّمَا رَثَيْتُ فَضْلَهُ .

يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ عَارِفاً بِذَلِكَ ، لِأَنَّ فِيهِ فَوَائِدَ كَثِيرَةً ، مِنْهَا أَنَّهُ يُضَمِّنُ كَلَامَهُ بِالْآيَاتِ فِي أَمَاكِنِهَا اللَّائِقَةِ بِهَا وَمَوَاضِعِهَا الْمُنَاسِبَةِ لَهَا . وَلَا شُبْهَةَ فِيمَا يَصِيرُ لِلْكَلَامِ بِذَلِكَ مِنَ الْفَخَامَةِ وَالْجَزَالَةِ وَالرُّونُقِ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ إِذَا عَرَفَ مَوَاقِعَ الْبَلَاغَةِ وَأَسْرَارَ الْفَصَاحَةِ الْمُوَدَّعَةِ فِي تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ اتَّخَذَهُ بَحْرًا يَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الدُّرَرَ وَالْجَوَاهِرَ ، وَيُودِعُهَا مَطَاوِي كَلَامِهِ ، كَمَا فَعَلْتُهُ أَنَا فِيمَا أَنْشَأْتُهُ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ ، وَكَفَى بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَحْدَهُ آلَةً وَأَدَاةً فِي اسْتِعْمَالِ أَفَانِينَ الْكَلَامِ .

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُرْتَشِحُ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ بِحِفْظِهِ ، وَالْفَحْصِ عَنْ سِرِّهِ وَغَامُضِ رَمُوزِهِ وَإِشَارَاتِهِ ، فَإِنَّهُ تِجَارَةٌ لَنْ تَبُورَ ، وَمَنْبَعٌ لَا يَغُورُ ، وَكَثْرَتُهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِ ، وَذُخْرُهُ يَعْوَلُ عَلَيْهِ .

[النوع السابع : حفظ الأخبار النبوية]

وَأَمَّا النَّوعُ السَّابِعُ : وَهُوَ حِفْظُ الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ ، مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِعْمَالِهِ فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ يَجْرِي مَجْرَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ عَلَيْهِ فَاعْرِفْهُ .

[النوع الثامن : معرفة علمي العروض والقوافي]

وَأَمَّا النَّوعُ الثَّامِنُ : وَهُوَ مَا يَخْتَصُّ بِالنَّاظِمِ دُونَ النَّاثِرِ ، وَذَلِكَ مَعْرِفَةُ الْعُرُوضِ ، وَمَا يَجُوزُ فِيهِ مِنَ الزَّحَافِ (٦٧) وَمَا لَا يَجُوزُ ، فَإِنَّ الشَّاعِرَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ . وَلَسْنَا نُوْجِبُ عَلَيْهِ الْمَعْرِفَةَ بِذَلِكَ لِيَنْظِمَ بِعِلْمِهِ ، فَإِنَّ النِّظْمَ مَبْنِيٌّ عَلَى الذَّوْقِ ، وَلَوْ نَظَّمَ بِتَقْطِيعِ الْأَفَاعِيلِ (٦٨) لَجَاءَ شِعْرُهُ مُتَكَلِّفًا غَيْرَ مَرْضِيٍّ ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ لِلشَّاعِرِ مَعْرِفَةَ الْعُرُوضِ . لِأَنَّ الذَّوْقَ قَدْ يَنْبُو عَنْ بَعْضِ الزَّحَافَاتِ وَيَكُونُ ذَلِكَ جَائِزًا فِي الْعُرُوضِ ، وَقَدْ وَرَدَ لِلْعَرَبِ مِثْلُهُ .

فَإِذَا كَانَ الشَّاعِرُ غَيْرَ عَالِمٍ بِهِ ، لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ مَا يَجُوزُ مِنْ ذَلِكَ وَمَا لَا يَجُوزُ .

(٦٧) الزحاف على وزن كتاب في الشعر أن يسقط بين الحرفين حرف فيزحف أحدهما إلى الآخر : وهو تغيير مختص بثواني الأسباب ، جمع سبب : وهو عند العروضيين متحرك بعده ساكن ، ويسمونه السبب الخفيف نحو قد : ومتحركان نحو بك ، ويسمونه السبب الثقيل .

(٦٨) المعروف أنها « تفاعيل » بالتاء جمع لتفعيلة ، وهي الألفاظ التي يوزن بها أي يجر من بحر الشعر .

وكذلك أيضاً يحتاجُ الشاعرُ إلى العِلْمِ بالقوافي والحركات ، ليعلمَ الرُّويَّ (٦٩) والرَّدْفَ (٧٠) ، وما يصحُّ من ذلك ، وما لا يصحُّ .

* * *

فإذا أكملَ صاحبُ هذه الصَّنَاعَةِ مَعْرِفَةَ هذه الآلات ، وكان ذا طبعٍ مجيبٍ وقريحةٍ مُواتيةٍ ، فعليه بالنظر في كتابنا هذا ، والتَّصَفُّحُ لما أودَعْنَاهُ من حقائقِ علمِ البَيَّانِ ، ونبهنّا عليه من أصول ذلك وفروعه . على أن الذي ذكرناه من هذه الآلات الثمان هو كالأصل لما يحتاجُ إليه الخطيبُ والشاعر ومعرفة ضروريّة لأبدٍ منها . وهاهنا أشياء أخرى هي كالتوابع والروادِفُ ، وبالجملة فإن صاحبَ هذه الصَّنَاعَةِ يحتاجُ إلى التَّشَبُّثِ بكل فنٍّ من الفنون ، حتّى إنه يحتاجُ إلى معرفة ماتقولهُ النّادبةُ بين النساءِ ، والمأشِطَةُ عند جَلْوَةِ العُرُوسِ ، وإلى مايقوله المنادي في السُّوقِ على السلعةِ ، فما ظنُّكَ بما فوقَ هذا ؟

والسَّبَبُ في ذلك أنه مؤهَّلٌ لأنَّ يهيمَ في كلِّ وادٍ ، فيحتاجُ أن يتعلّقَ بكل فنٍّ .

الفصل الثالث

في الحكم على المعاني

وفائدة هذا الفصل الإحاطة بأساليب المعاني على اختلافها وتباينها . وصاحبُ هذه الصنّاعة مفتقرٌ إلى هذا الفصل والذي يليه بخلاف غيرهما من هذه الفُصول المذكورة ، لاسيّما مُفسِّرُ الأشعار ، فإنهم به أَعْنَى .

واعلم أن الأصل في المعنى أن يُحمَلَ على ظاهر لفظه ، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كقوله تعالى : « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ^(١) » فالظاهر من لفظ « الثياب » هو ما يُلبَسُ ، ومن تأوَّل ذهب إلى أن المراد هو القلب : لا الملبوس ، وهذا لأبدٍ له من دليل . لأنه عدُولٌ عن ظاهر اللفظ .

(٦٩) الروي من حروف القافية : وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة .

(٧٠) الردف من حروف القافية : وهو حرف مد قبل حرف الروي .

(١) س : نذر . آية ٤ .

وكذلك وَرَدَ عَنْ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ . « إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصَلِيَ فَادْخُلْ بَيْتَكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ » فالظاهرُ من هذا هو البيت والبابُ . وَمَنْ تَأَوَّلَ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّكَ تَجْمَعُ عَلَيْكَ هَمَّ قَلْبِكَ ، وتمنعُ أَنْ يَخْطُرَ بِهِ سِوَى أَمْرِ الصَّلَاةِ ، فَعَبَّرَ عَنِ الْقَلْبِ بِالْبَيْتِ ، وعن مَنَعَ الْخَوَاطِرِ الَّتِي تَخْطُرُ لَهُ بِإِغْلَاقِ الْبَابِ . وهذا يحتاجُ إِلَى دَلِيلٍ ، لِأَنَّهُ عُدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ .

فالمعنى المَحْمُولُ عَلَى ظَاهِرِهِ لَا يَقَعُ فِي تَفْسِيرِهِ خِلَافٌ ، والمعنى المَعْدُولُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى التَّأْوِيلِ يَقَعُ فِيهِ الْخِلَافُ . إِذْ بَابُ التَّأْوِيلِ غَيْرُ مَحْصُورٍ ، والعلماءُ متفاوتون فِي هذا ، فَإِنَّهُ قَدْ يَأْخُذُ بَعْضُهُمْ وَجْهًا ضَعِيفًا مِنَ التَّأْوِيلِ ، فَيَكْسُوهُ بِعِبَارَتِهِ قُوَّةً تَمِيزُهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْوُجُوهِ الْقَوِيَّةِ ، فَإِنَّ السَّيْفَ بِضَارِبِهِ :

إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قَلُوبُهُمْ كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا التَّقَى الْجَمْعَانِ
تَلَقَّى الْحُسَامَ عَلَى جَرَاءَةٍ حَادَةٍ مِثْلَ الْجَبَانِ بِكَفٍّ كُلِّ جَبَانٍ^(٢)

وذهب بعضهم فِي الْفَرْقِ بَيْنَ « التَّفْسِيرِ » وَ « التَّأْوِيلِ » إِلَى شَيْءٍ غَيْرِ مُرْضِيٍّ ، فَقَالَ : التَّفْسِيرُ بَيَانٌ وَضَعَ اللَّفْظَ حَقِيقَةً ، كَتَفْسِيرِ الصَّرَاطِ بِالطَّرِيقِ . وَالتَّأْوِيلُ إِظْهَارٌ بَاطِنِ اللَّفْظِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ^(٣) » فَتَفْسِيرُهُ مِنَ الرَّصْدِ ، يُقَالُ : رَصَدْتُهُ ، إِذَا رَقَبْتُهُ ، وَتَأْوِيلُهُ تَحْذِيرُ الْعِبَادِ مِنْ تَعَدَّى حُدُودِ اللَّهِ وَمُخَالَفَةِ أَوْامِرِهِ . وَالَّذِي عِنْدِي فِي ذَلِكَ أَنَّهُ أَصَابَ فِي الْآخِرِ ، وَلَمْ يُصِبْ فِي الْأَوَّلِ . لِأَنَّ قَوْلَهُ :

« التَّفْسِيرُ بَيَانٌ وَضَعَ اللَّفْظَ حَقِيقَةً » لَا مُسْتَنَدَ لَجَوَازِهِ ، بَلْ (التَّفْسِيرُ) يُطْلَقُ عَلَى بَيَانِ وَضَعِ اللَّفْظِ حَقِيقَةً وَمَجَازًا ، لِأَنَّهُ مِنْ « الْفَسْرِ » وَهُوَ الْكَشْفُ ، كَتَفْسِيرِ الرَّصْدِ فِي الْآيَةِ الْمَشَارِ إِلَىهَا بِالرَّقَبَةِ ، وَتَفْسِيرُهُ بِالْتَّحْذِيرِ مِنْ تَعَدَّى حُدُودِ اللَّهِ وَمُخَالَفَةِ أَوْامِرِهِ . وَأَمَّا (التَّأْوِيلُ) فَإِنَّهُ أَحَدُ قِسْمَيْ التَّفْسِيرِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ رُجُوعٌ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ الرُّجُوعُ ، يُقَالُ : آلَ ، يَتَوَلَّى إِذَا رَجَعَ .

وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ التَّأْوِيلَ خَاصٌّ ، وَالتَّفْسِيرَ عَامٌّ ، فَكُلُّ تَأْوِيلٍ تَفْسِيرٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ تَفْسِيرٍ تَأْوِيلًا . وَلِهَذَا يُقَالُ : تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ ، وَمِنْ تَفْسِيرِهِ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ .

(٢) الْبَيْتَانِ لِلْمَتْنِيِّ ؛ الدِّيَوَانُ ١٨٤/٤ وَالْمَعْنَى : إِنَّمَا يَغْنَى السَّيْفُ إِذَا كَانَ مَعَ الشَّجَاعِ .

(٣) سُورَةُ الْفَجْرِ ؛ آيَةُ ١٤ .

وهذا الفصلُ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِ ذِكْرِهِ هَاهُنَا يَرْجِعُ أَكْثَرُهُ إِلَى التَّأْوِيلِ . لَأَنَّهُ أَدَقُّ .

وَلَا يَجْلُو تَأْوِيلَ الْمَعْنَى مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا أَنْ يُفْهَمَ مِنْهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يُحْتَمَلُ غَيْرُهُ . وَإِمَّا أَنْ يُفْهَمَ مِنْهُ الشَّيْءُ وَغَيْرُهُ ، وَتِلْكَ الْغَيْرِيَّةُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ ضِدًّا ، أَوْ لَا تَكُونَ ضِدًّا . وَلَيْسَ لَنَا قِسْمٌ رَابِعٌ .

فَالْأَوَّلُ : يَقَعُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَشْعَارِ ، وَيَجْرَى فِي الدَّقَّةِ وَاللِّطَافَةِ مَجْرَى الْقِسْمَيْنِ الْآخَرَيْنِ .

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي : فَإِنَّهُ قَلِيلُ الْوُقُوعِ جَدًّا ، وَهُوَ مِنْ أَظْرَفِ التَّأْوِيلَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ . لِأَنَّ دَلَالَةَ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى وَضِدَّهُ أَغْرَبُ مِنْ دَلَالَتِهِ عَلَى الْمَعْنَى وَغَيْرِهِ مِمَّا لَيْسَ بِضِدِّهِ . فَمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » فَهَذَا الْحَدِيثُ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ مَعْنَايَانِ ضِدَّانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ أَفْضَلُ مِنْ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَالْآخَرُ أَنَّ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، أَيْ أَنَّ صَلَاةً وَاحِدَةً فِيهِ لَا تَفْضُلُ أَلْفَ صَلَاةٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، بَلْ تَفْضُلُ مَا دُونَهَا بِخِلَافِ الْمَسَاجِدِ الْبَاقِيَةِ ، فَإِنَّ أَلْفَ صَلَاةٍ فِيهَا تَقْصُرُ عَنْ صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ فِيهِ .

وكَذَلِكَ جَاءَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ أَيْضًا مِنْ كَلَامِ النَّبَوَّةِ « إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » وَهَذَا يَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَيْنِ ضِدِّيْنِ ، أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ إِذَا لَمْ تَفْعَلْ فِعْلًا تَسْتَحِي مِنْهُ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ . وَالْآخَرُ : أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حَيَاءٌ يَزْعُكَ عَنْ فِعْلٍ مَا يُسْتَحَى مِنْهُ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ . وَهَذَانِ مَعْنَايَانِ ضِدَّانِ ، أَحَدُهُمَا مَدْحٌ ، وَالْآخَرُ ذَمٌّ .

وَمِثْلُهُ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ أَيْضًا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ذُكِرَ شَرِيحُ الْحَضَرَمِيِّ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « لَا يَتَوَسَّدُ الْقُرْآنَ » وَهَذَا يَحْتَمَلُ مَدْحًا وَذَمًّا . أَمَّا الْمَدْحُ فَالْمُرَادُ بِهِ أَنَّهُ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ عَنِ الْقُرْآنِ ، فَيَكُونُ الْقُرْآنُ مَتَوَسَّدًا مَعَهُ ، لَمْ يَتَهَجَّدْ بِهِ ، وَأَمَّا الذَّمُّ فَالْمُرَادُ بِهِ أَنَّهُ لَا يَحْفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا ، فَإِذَا نَامَ لَمْ يَتَوَسَّدْ مَعَهُ الْقُرْآنَ . وَهَذَانِ التَّأْوِيلَانِ مِنَ الْأَضْدَادِ . وَكَثِيرًا مَا يَرُدُّ أَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ .

وَيَجْرَى عَلَى هَذَا النَّهْجِ مِنَ الشَّعْرِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ فِي قَصِيدَةِ يَمْدَحُ بِهَا كَافُورًا :

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً ومن بات في نغمائه يتقلب^(٤)

وهذا البيت يُستخرج منه معنيان ضدان ، أحدهما : أن المنعم عليه يحسد المنعم . والآخر : أن المنعم يحسد المنعم عليه . وكذلك ورد قوله أيضاً من قصيدة بمدحه :

فإن نلت ما أملت منك قريباً شربت بماء ينجي الطير ورده^(٥)
فإن هذا البيت يحتمل مدحاً وذمّاً . وإذا أخذ بمفرده من غير نظر إلى ما قبله فإنه يكون بالذم أولى منه بالمدح ؛ لأنه يتضمن وصف نواله بالبعد والشذوذ . وصدر البيت مفتتح بإن الشرطية ، وقد أجيب بلفظة « رب » التي معناها التقليل ، أي لست من نوالك على يقين ، فإن نلته فربما وصلت إلى مورد لا يصل إليه الطير لبعده . وإذا نظر إلى ما قبل هذا البيت دل على المدح خاصة ، لارتباطه بالمعنى الذي قبله . وكثيراً ما كان يقصد المتنبي هذا القسم في شعره ، كقوله من قصيدة أولها :

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران
ولله سر في علاك وإنما كلام العدا ضرب من الهديان^(٦)
ثم قال :

فمالك تُعنى بالأسنة والقنا وجدك طعاناً بغير سنان^(٧)
فإن هذا بالذم أشبه منه بالمدح ؛ لأنه يقول لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل بجِد وسعادة ، وهذا لا فضل فيه ؛ لأن السعادة تنال الخامل والجاهد ومن لا يستحقها . وأكثر ما كان المتنبي يستعمل هذا القسم في قصائده « الكافوريات » . وحكى أبو الفتح ابن جني ، قال : قرأت على أبي الطيب ديوانه إلى أن وصلت إلى قصيدته التي أولها :

(٤) ديوان المتنبي ١/١٨٥

(٥) ديوان المتنبي ٢/٢٨ (٦) ديوان المتنبي ٤/٢٤٢

(٧) ديوان المتنبي ٤/٢٤٧ والرواية فيه « ومالك تعنى . . . البيت » وقبل هذا البيت :

فا لك تختار القسي وإنما عن السعد يرمى دونك الثقلان

* أَغْلِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلِبُ (٨) *

فَأَتَيْتُ مِنْهَا عَلَى هَذَا الْبَيْتِ وَهُوَ:
وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدَعَةٍ لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنَّ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ (٩)
فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا الطَّيِّبِ لَمْ تَزِدْ عَلَى أَنَّ جَعَلْتَهُ أَبَا زَنَةَ (١٠)، فَضَحَكَ لِقَوْلِي!
وهذا القسمُ من الكلام يُسَمَّى (المَوْجَّه) أَيْ لَهُ وَجْهَانِ (١١)، وَهُوَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى
بِرَاعَةِ الشَّاعِرِ وَحُسْنِ تَأْتِيهِ.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّالِثُ: فَإِنَّهُ يَكُونُ أَكْثَرَ وَقُوعًا مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي، وَهُوَ بِوَاسِطَةِ بَيْنِ
طَرَفَيْنِ، لِأَنَّ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ كَثِيرُ الْوُقُوعِ، وَالْقِسْمَ الثَّانِي قَلِيلُ الْوُقُوعِ، وَهَذَا الْقِسْمُ
الثَّالِثُ وَسَطٌ بَيْنَهُمَا.

فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» (١٢) «فَإِنَّ هَذَا لَهُ وَجْهَانِ مِنَ
التَّأْوِيلِ، أَحَدُهُمَا: الْقَتْلُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي هُوَ مَعْرُوفٌ، وَالْآخَرُ: هُوَ الْقَتْلُ الْمَجَازِيُّ،
وَهُوَ الْإِكْبَابُ عَلَى الْمَعَاصِي: فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَكَبَ عَلَى الْمَعَاصِي قَتَلَ نَفْسَهُ فِي
الْآخِرَةِ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَذَبِّحَ وَلَدِهِ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى
حِكَايَةً عَنْهُ: «وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِنِ * رَبُّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ *
فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي
أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمِرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ
الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا

(٨) ديوان المتنبي ١٧٦/١ وشطره الآخر. وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب *

(٩) ديوان المتنبي ١٨٦/١.

(١٠) الأصل «أبارنة» بالراء، وهو تصحيف، وأبو زنة كنية القرد.

(١١) التوجيه عند البلاغيين أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالا مطلقاً من غير تقييد بمدح أو غيره،

واستشهدوا على التوجيه بقول الشاعر في الحسن بن سهل عندما زوج ابنته. بوران بالخليفة:

بــــــــــــــــارَكَ اللهُ لِلْحَسَنِ وَلِبُورَانَ فِي الْحَسَنِ

يَا إِمَامَ الْهُدَى ظَفَرَتْ وَلَكِنْ بَيَّنْتَ مِنْ؟

فلم يعلم ما أراد بقوله «بينت من» في الرفع أو في الحقارة.

(١٢) سورة النساء: آية ٢٩.

كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ « (١٣) فَقوله تعالى : « وَبَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ » قد يكون بشارته بعد نبوته بعد البشارة بميلاده . وقد يكون استئنافاً بذكره بعد ذكر إسماعيل - عليه السلام - وذبحه ، والتأويل متجاذبٌ بين هذين الأمرين ، ولا دليل على الاختصاص بأحدهما ، ولم يرد في القرآن ما يدل على أن الذبيح إسماعيل ولا إسحاق عليهما السلام ، وكذلك لم يرد في الأخبار التي صَحَّتْ عن رسول الله ﷺ : وَأَمَّا مَا يُرَوَّى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : « أَنَا ابْنُ الذَّبِيحِينَ » فخرج عن الأخبار الصحيحة وفي التوراة أَنَّ إِسْحَاقَ - عليه السلام - هو الذبيح .

ومن ذلك قول النبي ﷺ لأزواجه : « أَطَوَّلُكُمْ يَدًا ، أَسْرَعُكُمْ لِحْوًَا بِي » فلما مات صلوات الله عليه جَعَلْنَ يُطَاوِلْنَ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ ، حَتَّى يَنْظُرْنَ أَيَّتَهُنَّ أَطَوَّلُ يَدًا ، ثُمَّ كَانَتْ زَيْنَبُ أَسْرَعَهُنَّ لِحْوًَا بِهِ ، وَكَانَتْ كَثِيرَةً الصَّدَقَةِ ، فَعَلِمْنَ حِينَئِذٍ أَنَّهُ لَمْ يَرِدِ الْجَارِحَةُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الصَّدَقَةَ ، فَهَذَا الْقَوْلُ يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَيْنِ الْمَشَارِ إِلَيْهِمَا .

ومن ذلك ما رَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهُ قَالَ خَدِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ ، فَلَمْ يَقُلْ لَشَيْءٍ فَعَلْتُهُ : لِمَ فَعَلْتُهُ ؟ وَلَا لَشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ : لِمَ لَا فَعَلْتُهُ ؟ وَهَذَا الْقَوْلُ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ مِنَ التَّأْوِيلِ : أَحَدُهُمَا وَصَفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالصَّبْرِ عَلَى خُلُقٍ مَنْ يَصْحَبُهُ ، وَالْآخَرُ أَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْفِطْنَةِ وَالذِّكَاةِ فِيمَا يَقْصِدُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ كَأَنَّهُ مُتَفَطِّنٌ لِمَا فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَيَفْعَلُهُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى اسْتِثْنَائِهِ .

ومن ذلك ما وَرَدَ فِي الْأُدْعِيَةِ النَّبَوِيَّةِ ، فَإِنَّهُ ﷺ دَعَا عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اقْطَعْ أَثَرَهُ » وَهَذَا يَحْتَمِلُ ثَلَاثَةً أَوْجُهُ مِنَ التَّأْوِيلِ : الْأَوَّلُ أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ بِالزَّمَانَةِ (١٤) ، لِأَنَّهُ إِذَا زَمَنَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَيَنْقَطِعُ حِينَئِذٍ أَثَرُهُ . الْوَجْهُ الثَّانِي : أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ بِالْأَلَّا يَكُونَ لَهُ نَسْلٌ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا عَقَبٌ . الْوَجْهُ

(١٣) سورة الصافات : الآيات من ٩٩ إلى ١١٢ .

(١٤) من معاني الزمان : العاهة ، والمرض يدوم طويلا .

الثالثُ : أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ بِالْأَلَّا يَكُونَ لَهُ أَثَرٌ مِنَ الْآثَارِ مُطْلَقًا ، وَهُوَ أَلَّا يَفْعَلَ فِعْلًا يَبْقَى أَثَرُهُ مِنْ بَعْدِهِ كَأَنَّمَا كَانَ مِنْ عَقَبٍ أَوْ بِنَاءٍ ، أَوْ غِرَاسٍ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ . وَظَفِرَتِ الْحُرُورِيَّةُ^(١٥) بِرَجُلٍ ، فَقَالُوا لَهُ : أَبْرَأُ مِنْ عَلِيٍّ وَعُمَانَ ، فَقَالَ أَنَا مِنْ عَلِيٍّ وَمِنْ عُمَانَ أَبْرَأُ ! فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ عُمَانَ وَحْدَهُ ، وَالْآخَرُ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُمَا جَمِيعًا . وَالرَّجُلُ لَمْ يُرَدِّ إِلَّا الْوَجْهَ الْأَوَّلَ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا يُحْكِي عَنْ عَبْدِ الْمَسِيحِ بْنِ بُقَيْلَةَ لَمَّا نَزَلَ بِهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى الْحِيرَةِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ بُقَيْلَةَ^(١٦) ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ : أُنْعِمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : قَدْ أَغْنَانَا اللَّهُ عَنْ تَحِيَّتِكَ هَذِهِ بـ « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ » ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَنْ أَيْنَ أَفْصَى أَثْرُكَ ، قَالَ : مَنْ ظَهَرَ أَيْ ! قَالَ : فَمَنْ أَيْنَ خَرَجْتَ ؟ قَالَ : مِنْ بَطْنِ أُمَى ! قَالَ : فَعَلَّامٌ أَنْتَ ؟ قَالَ : عَلَى الْأَرْضِ ! قَالَ : فَفِيمَ أَنْتَ ؟ قَالَ : فِي ثِيَابِي ! قَالَ : ابْنُ كَمْ أَنْتَ ؟ قَالَ : ابْنُ رَجُلٍ وَاحِدٍ ! قَالَ خَالِدٌ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ ، أَنَا أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّيْءِ ، وَهُوَ يَنْحُو فِي غَيْرِهِ وَهَذَا مِنْ تَوْجِيهِ الْكَلَامِ عَلَى نَمَطٍ حَسَنٍ ، وَهُوَ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا لَخَالِدٍ عَمَا سَأَلَ ، وَيَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا لَغَيْرِهِ مِمَّا ذَكَرَهُ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ بُقَيْلَةَ .

وَقَدْ وَرَدَ فِي التَّوْرَةِ أَلَّا يُؤْكَلَ الْجَدْيُ بِلَبَنِ أُمِّهِ ، وَهَذَا يَحْتَمِلُ التَّحْرِيمَ فِي وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا : مَادَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ لَفْظِهِ ، وَهُوَ تَحْرِيمُ لَحْمِ الْجَدْيِ بِلَبَنِ أُمِّهِ خَاصَّةً ، وَإِذَا أَكَلَ بِلَبَنِ غَيْرِ لَبَنِ أُمِّهِ جَازَ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَكُنْ جَرَامًا ، وَهَذَا لَا يَأْخُذُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْيَهُودِ . وَالْوَجْهُ الْآخَرُ ، وَهُوَ الَّذِي يُؤْخَذُ بِهِ عِنْدَ الْيَهُودِ جَمِيعُهُمْ ، أَنَّ أَكْلَ اللَّحْمِ بِاللَّبَنِ حَرَامٌ ، كَأَنَّمَا مَا كَانَ مِنَ اللَّحْمِ ، إِلَّا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَسْمَوْنَ « الْقَرَائِينَ » فَإِنَّهُمْ تَأَوَّلُوا ، فَأَكَلُوا لَحْمَ الطَّيْرِ بِاللَّبَنِ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا حُرِّمَ اللَّحْمُ بِاللَّبَنِ مِنَ اللَّحْمِ ذَوَاتِ الْأَلْبَانِ ، وَالطَّيْرِ مِنْ ذَوَاتِ الْبَيْضِ ، لَا مِنْ ذَوَاتِ الْأَلْبَانِ .

(١٥) الحُرُورِيَّةُ ؛ وَقَدْ يَسْمَوْنَ « الْوَعِيدِيَّةَ » وَأَصْلُهُمْ أَنَّهُمْ تَسَلَّقُوا جِبَالَ حُرُورَاءَ بِقِتَالٍ عَلَى ؛ وَلِذَلِكَ يَوْضَعُونَ ضَمْنَ الْخَوَارِجِ فِي بَعْضِ التَّقَاسِمِ ؛ يَتَغَالَوْنَ فِي إِثْبَاتِ الْوَعِيدِ وَالْخَوْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لِإِمْكَانِ الْخُلُودِ فِي النَّارِ مَعَ الْإِيمَانِ ؛ فَفَقَرَعُوا الْكِبَائِرَ مُشْرِكُونَ ، وَهُمْ يَكْفُرُونَ الْخَوَارِجَ .

(١٦) هُوَ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَيْسِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ بَقِيلَةَ الْغَسَّانِي ؛ وَهُوَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ ، وَقَدْ أوردَ الْجَاهِظُ

الْحَدِيثَ كُلَّهُ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ ١٤٧/٢ .

وممّا يجرى على هذا النهج ما يُحكى عن « أَفْلَاطُون » أنه قال : ترك الدواء دواءً ، فذهب بعض الأطباء أنه أراد أن لُطِفَ المزاج انتهى ^(١٧) إلى غاية لا يحتمل الدواء ، فتركه حينئذ والإضراب عنه دواءً . وذهب آخرون إلى أنه أراد بالتَّركِ الوَضْع ، أى وَضَعَ الدواء على الداءِ دواءً ، يشير بذلك إلى حَذَقِ الطبيب في أوقاتِ علاجه .

ومثله في الشعر قولُ الفرزدق :

إِذَا جَعَفَرُ مَرَّتْ عَلَى هَضْبَةِ الْحِمَى فَقَدْ أَخَزَّتِ الْأَحْيَاءَ مِنْهَا قُبُورُهَا ^(١٨)

وهذا يدلُّ على مَعْنَيْنِ : أحدهما ذمُّ الأحياء ، والآخر : ذمُّ الأموات ، أما ذم الأحياء فهو أنهم خَذَلُوا الأموات ، يريد أنهم تَلَاقُوا في قتالهم وقوما آخرين فَفَرَّ الأحياء عنهم وأَسْلَمُوهم ، أو أنهم اسْتَنَجَدُوهم فلم يُنْجِدُوهم ، وأما ذمُّ الأموات فهو أن لهم مَخَازِيَ وفِضَائِحَ ، توجبُ عاراً وشناراً ، فهم يعدُّون بها الأحياء ، ويُصِيقُونها بهم . وعلى هذا وَرَدَ قولُ أبى تمام :

بِالشَّعْرِ طُولٌ إِذَا اضْطَكَّتْ قِصَائِدُهُ فِي مَعْشَرٍ وَبِهِ عَنْ مَعْشَرٍ قِصْرٌ ^(١٩)

فهذا البيت يحتملُ تأويلين : أحدهما أنَّ الشعرَ يَتَسَعُ بحاله بمدحك ، ويَضِيقُ بمدح غيرك يريد بذلك أن مآثره كثيرةٌ ، ومآثر غيره قليلةٌ ، والآخر : أنَّ الشعرَ يكونُ ذا فخرٍ ونِباهةٍ بمدحك ، وذا خُمُولٍ بمدح غيرك . فلفظة « الطول » يُفْهَمُ منها ضدُّ القِصْرِ ، ويفهم منها الفخرُ ، من قولنا : طال فلان على فلان ، أى فخرَ عليه . ومما يَنْتَظَمُ بهذا السِّلْكِ قولُ أبى كَبِيرِ الهذلي :

عَجِبْتُ لِسَعَى الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

وهذا يحتملُ وجهين من التَّأْوِيلِ : أحدهما : أنه أراد بسَعَى الدهر سرعةَ تَقْضَى الأوقاتِ مدَّةَ الوِصَالِ ، فلَمَّا انْقَضَى الوِصْلُ عاد الدَّهْرُ إلى حالته في السُّكُونِ

(١٧) في الأصل « وانتهى » .

(١٨) في الأصل « أخذت » وهو تحريف ، ورواية الديوان (ص ٤٦١) :

إِذَا جَعَفَرُ مَرَّتْ عَلَى هَضْبَةِ الْحِمَى تَقْنَعُ إِذَا صَاحَتْ إِلَيْهَا قُبُورُهَا
والبيت من قصيدة للفرزدق يهجو بها بنى جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة .

(١٩) ديوان أبى تمام ١٥١

والبُطءِ . الآخرُ : أنه أراد بسعى الدهر سعى أهل الدهر بالنائم والوشايات ، فلما انقضى ما كان بينهما من الوصل سكنوا وتركوا السعاية ، وهذا من باب وضع المُضَافِ إليه مكان المضاف ، كقوله تعالى : « واسأل القرية (٢٠) » أى أهل القرية . ومن الدقيق المعنى فى هذا الباب قولُ أبى الطيّب المتنبى فى عَصْدِ الدَّوْلَةِ من جُمْلَةِ قصيدته التى أولها :

* أَوْهَ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا (٢١) *

فقال :

لَوْ فَطِنْتُ خَيْلَهُ لَنَائِلَهُ لَمْ يُرِضْهَا أَنْ تَرَاهُ يَرْضَاهَا (٢٢)

وهذا يُسْتَبْطَأُ مِنْهُ مَعْنِيَانِ غَيْرَانِ : أحدهما أَنَّ خيله لو علمت مقدار عطاياه النفيسة لما رَضِيَتْ لَهُ بِأَنْ تَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ عطاياه ، لِأَنَّ عطايَاهُ أَنْفُسُ مِنْهَا ، الآخرُ : أَنَّ خيله لو علمت أَنَّهُ يَهْبُهَا مِنْ جُمْلَةِ عطاياه لما رَضِيَتْ ذَلِكَ ، إِذْ تَكْرَهُ خُرُوجَهَا عَنْ مُلْكِهِ . وهذان الوجهان أنا ذكرتهما ، وإنما المذكورُ منهما أحدهما . وهذا الذى أَشْرَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى الْمَعَانِي وَتَأْوِيلَاتِهَا كَافٍ لِمَنْ عِنْدَهُ ذَوْقٌ ، وَلَهُ قُوَّةٌ عَلَى حَمْلِهَا عَلَى أَشْبَاهِهَا وَنظَائِرِهَا .

الفصل الرابع

فى الترجيح بين المعانى

وهذا الفصل هو ميزان الخواطر الذى يوزنُ به نَقْدُ دِرْهِمِهَا وَدِينَارِهَا ، بَلِ الْمَحْكُ الذى يُعْلَمُ مِنْهُ مَقْدَارُ عِيَارِهَا ، وَلَا يَزَنُ بِهِ إِلَّا ذُو فِكْرَةٍ مُتَّقِدَةٍ وَلَمْحَةٍ مُنْتَقِدَةٍ . فليس كلُّ من حَمَلَ مِيزَانًا سُمِّيَ صَرَّافًا ، وَلَا كُلُّ مَنْ وَزَنَ بِهِ سُمِّيَ عَرَّافًا .

(٢٠) سورة يوسف : آية ٨٢ .

(٢١) ديوان المتنبى ٢٦٩/٤ وعجز البيت * لمن نأت والبديل ذكرها *

(٢٢) ديوان المتنبى ٢٧٦/٤ .

والفرق بين هذا الترجيح والترجيح الفقهي أَنَّ هُنَاكَ يُرْجَحُ بَيْنَ دَلِيلِ
الْخَصْمَيْنِ فِي حُكْمٍ شَرْعِيٍّ ، وَهَاهُنَا يُرْجَحُ بَيْنَ جَانِبَيْ فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ فِي الْفَاطِ
وَمَعَانٍ خَطَابِيَّةٍ .

وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ التَّرْجِيحِ الْفَقْهِيَّ يَرْجَحُ بَيْنَ خَبَرِ التَّوَاتُرِ مِثْلًا وَبَيْنَ خَبَرِ
الْآحَادِ . أَوْ بَيْنَ الْمُسْنَدِ (١) وَالْمُرْسَلِ (٢) . أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى ، وَهَذَا لَا يَعْزِضُ
إِلَيْهِ صَاحِبُ عِلْمِ الْبَيَانِ : لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ ، وَلَكِنَّ الَّذِي هُوَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَرْجَحَ
بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ ، أَوْ بَيْنَ حَقِيقَتَيْنِ ، أَوْ بَيْنَ مَجَازَيْنِ . وَيَكُونُ نَازِلًا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ
إِلَى الصَّنَاعَةِ الْخَطَابِيَّةِ ، وَلَرَبَّمَا اتَّفَقَ هُوَ وَصَاحِبُ التَّرْجِيحِ الْفَقْهِيَّ فِي بَعْضِ
الْمَوَاضِعِ ، كَالْتَّرْجِيحِ بَيْنَ عَامٍّ وَخَاصٍّ ، أَوْ مَا شَبَّاهُ ذَلِكَ .

وَكُنَّا قَدْ قَدَمْنَا الْقَوْلَ فِي الْحُكْمِ عَلَى الْمَعَانِي وَانْقِسَامِهَا ، وَلَنُبَيِّنَ فِي هَذَا الْفَصْلِ
مَوَاضِعَ التَّرْجِيحِ بَيْنَ وَجْهِ تَأْوِيلَاتِهَا . فَنَقُولُ :

أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْمَعَانِي فَلَا تَعَلُّقَ لِلتَّرْجِيحِ بِهِ إِذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ لَفْظِهِ ،
وَلَا يَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا ، فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي شَيْءٍ .

وَالتَّرْجِيحُ إِنَّمَا يَقَعُ بَيْنَ مَعْنَيْنِ ، يَدُلُّ عَلَيْهِمَا لَفْظٌ وَاحِدٌ ، وَلَا يَخْلُو التَّرْجِيحُ بَيْنَهُمَا
مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ حَقِيقَةً فِي أَحَدِهِمَا مَجَازًا فِي الْآخَرِ ، أَوْ حَقِيقَةً
فِيهِمَا جَمِيعًا ، أَوْ مَجَازًا فِيهِمَا جَمِيعًا ، وَلَيْسَ لَنَا قِسْمٌ رَابِعٌ .

وَالتَّرْجِيحُ بَيْنَ الْحَقِيقَتَيْنِ أَوْ بَيْنَ الْمَجَازَيْنِ يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ ، وَأَمَّا التَّرْجِيحُ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ
وَالْمَجَازِ فَإِنَّهُ يُعْلَمُ بِبَدِيهَةِ النَّظَرِ ، لِمَكَانِ الْإِخْتِلَافِ بَيْنَهُمَا ، وَالشَّيْئَانِ الْمُخْتَلِفَانِ يَظْهَرُ
الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا ، نَحْلَافُ مَا يَظْهَرُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ الْمُشَبَّهَيْنِ فَثَالُ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ قَوْلُهُ تَعَالَى :

(١) الْحَدِيثُ الْمُسْنَدُ مَا ذَكَرَ سَنَدَهُ ، وَهُوَ سُلْسَلَةُ الرِّجَالِ الَّذِينَ رَوَوْا الْحَدِيثَ ، غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَخْصُ هَذَا
الْإِسْمَ بِالْحَدِيثِ الْمُتَّصِلِ الْمَرْفُوعِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ ، فَإِذَا سَقَطَ وَاحِدٌ مِنَ الرِّوَاةِ ، أَوَّلُ يَرْفَعُ
إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لَا يُقَالُ لَهُ مُسْنَدٌ .

(٢) الْحَدِيثُ الْمُرْسَلُ مَا حَذَفَ مِنْ سَنَدِهِ مَنْ يَكُونُ فَوْقَ التَّابِعِيِّ ؛ وَهُوَ الصَّاحِبِيُّ ؛ وَذَلِكَ كَانَ يَقُولُ أَحَدُ
التَّابِعِينَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَذَا ؛ أَوْ فَعَلَ كَذَا أَوْ فَعَلَ بِحَضْرَتِهِ كَذَا .

« وَيَوْمَ يَحْشُرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ » حتى إذا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣) « فَالْجُلُودُ هَاهُنَا تَفْسِّرُ حَقِيقَةً وَمَجَازًا. أَمَّا الْحَقِيقَةُ فَيُرَادُ بِهَا الْجُلُودُ مُطْلَقًا. وَأَمَّا الْمَجَازُ فَيُرَادُ بِهَا الْفُرُجُ خَاصَّةً. وَهَذَا هُوَ الْمَانِعُ الْبَلَاغِيُّ الَّذِي يُرْجِعُ جَانِبَ الْمَجَازِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، لِمَا فِيهِ مِنْ لُطْفِ الْكِنَايَةِ عَنِ الْمَكْنَى عَنْهُ. وَقَدْ يُسْأَلُ هَاهُنَا فِي التَّرْجِيحِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ عَنْ غَيْرِ الْجَانِبِ الْبَلَاغِيِّ، وَيَقَالُ: مَا بَيَانُ هَذَا التَّرْجِيحِ؟ فَيُقَالُ: طَرِيقَةُ لَفْظِ الْجُلُودِ عَامٌّ، فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يُرَادَ بِهِ الْجُلُودُ مُطْلَقًا، أَوْ يُرَادَ بِهِ الْجَوَارِحُ الَّتِي هِيَ أَدَوَاتُ الْأَعْمَالِ خَاصَّةً، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْجُلُودُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، لِأَنَّ شَهَادَةَ غَيْرِ الْجَوَارِحِ الَّتِي هِيَ الْفَاعِلَةُ شَهَادَةٌ بَاطِلَةٌ، إِذْ هِيَ شَهَادَةٌ غَيْرُ شَاهِدٍ، وَالشَّهَادَةُ هُنَا يُرَادُ بِهَا الْإِقْرَارُ، فَتَقُولُ الْيَدُ: أَنَا فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَتَقُولُ الرَّجُلُ: أَنَا مَشَيْتُ إِلَى كَذَا وَكَذَا وَكَذَلِكَ الْجَوَارِحُ الْبَاقِيَةُ تَنْطِقُ مُقَرَّةً بِأَعْمَالِهَا، فَتَرْجِعُ بِهَذَا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ شَهَادَةُ الْجَوَارِحِ. وَإِذَا أُريدَ بِهِ الْجَوَارِحُ، فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يُرَادَ بِهِ الْكُلُّ أَوْ الْبَعْضُ، فَإِنْ أُريدَ بِهِ الْكُلُّ دَخَلَ تَحْتَهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَلَمْ يَكُنْ لِتَخْصِيصِهَا بِالذِّكْرِ فَائِدَةٌ، وَإِنْ أُريدَ بِهِ الْبَعْضُ فَهُوَ بِالْفَرْجِ أَخْصَصَ مِنْهُ بَعْضُهُ مِنَ الْجَوَارِحِ لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّ الْجَوَارِحَ كُلَّهَا قَدْ ذُكِرَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، شَاهِدَةٌ عَلَى صَاحِبِهَا بِالْمَعْصِيَةِ، مَا عَدَا الْفَرْجَ. فَكَانَ حَمْلُ الْجُلْدِ عَلَيْهِ أَوْلَى، لِيُسْتَكْمَلَ ذِكْرُ الْجَمِيعِ. الْآخَرُ: أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوَارِحِ مَا يُكْرَهُ التَّصْرِيحُ بِذِكْرِهِ إِلَّا الْفَرْجَ، فَكُنِيَ عَنْهُ بِالْجُلْدِ، لِأَنَّهُ مَوْضِعُ يُكْرَهُ التَّصْرِيحُ فِيهِ بِالْمُسَمَّى عَلَى حَقِيقَتِهِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنْ تَخْصِيصَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ بِالذِّكْرِ مِنْ بَابِ التَّفْصِيلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «فَاكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ» (٤) وَالنَّخْلُ وَالرُّمَّانُ مِنَ الْفَاكْهَةِ..

قُلْتُ فِي الْجَوَابِ: هَذَا الْقَوْلُ عَلَيْكَ لَالِكٌ، لِأَنَّ النَّخْلَ وَالرُّمَّانَ إِنَّمَا ذُكِرَا لِتَفْصِيلِ لَهَا فِي الشَّكْلِ أَوْ فِي الطَّعْمِ، وَالْفَضِيلَةُ هَاهُنَا فِي ذِكْرِ الشَّهَادَةِ إِنَّمَا هِيَ تَعْظِيمُ لِأَمْرِ الْمَعْصِيَةِ، وَغَيْرُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ أَعْظَمُ فِي الْمَعْصِيَةِ؛ لِأَنَّ مَعْصِيَةَ السَّمْعِ إِنَّمَا تَكُونُ فِي سَمَاعِ عِيَّةٍ، أَوْ فِي سَمَاعِ صَوْتِ مِزْمَارٍ أَوْ وَتَرٍ، أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى.

(٣) سورة فصلت: الآيتان ١٩ و ٢٠

(٤) سورة الرحمن: آية ٦٨

ومعصية البَصْرِ إِنَّمَا تَكُونُ فِي النَّظَرِ إِلَى مُحَرَّمٍ ، وَكَلَّمَا الْمُعْصِيَتَيْنِ لَا حَدَّ فِيهَا . وَأَمَّا
 الْمَعَاصِي الَّتِي تَوْجَدُ مِنْ غَيْرِ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ فَأَعْظَمُ : لِأَنَّ مَعْصِيَةَ الْيَدِ تَوْجِبُ
 الْقَطْعَ ، وَمَعْصِيَةَ الْفَرْجِ تَوْجِبُ جُلْدَ مِائَةِ أَوْ الرَّجْمَ ، وَهَذَا أَعْظَمُ ، فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ
 تُخَصَّ بِالذِّكْرِ دُونَ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ وَإِذَا ثَبَتَ فُسَادُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَكُنِ الْمُرَادُ
 بِالْجُلُودِ إِلَّا الْفُرُوجَ خَاصَّةً .

وَأَمَّا مِثَالُ الْمَعْنِينَ إِذَا كَانَ حَقِيقَتَيْنِ فَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : « التَّمِسُّوا الرِّزْقَ فِي خُبَايَا
 الْأَرْضِ » وَالْخُبَايَا جَمْعُ خَبِيَّةٍ . وَهُوَ كُلُّ مَا يُخْبَأُ كَأَنَّ مَا كَانَ . وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ
 حَقِيقَتَيْنِ : أَحَدُهُمَا الْكُنُوزُ الْمَحْبُوءَةُ فِي بَطُونِ الْأَرْضِ ، وَالْآخَرُ : الْحَرْثُ وَالْغِرَاسُ ،
 وَجَانِبِ الْحَرْثِ وَالْغِرَاسِ أَرْجَحُ ، لِأَنَّ مَوَاضِعَ الْكُنُوزِ لَا تُعْلَمُ حَتَّى تُلْتَمَسَ ، وَالنَّبِيُّ
 ﷺ لَا يَأْمُرُ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ شَيْءٌ مُجْهُولٌ غَيْرُ مَعْلُومٍ ، فَقَبِيَ الْمُرَادُ بِخُبَايَا الْأَرْضِ
 مَا يُخْرَثُ وَيُغْرَسُ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ ﷺ : « إِذَا ابْتَلَّتِ النَّعَالُ فَالصَّلَاةُ فِي الرَّحَالِ » وَهَذَا
 الْحَدِيثُ مُرْخَصٌ فِي تَرْكِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ بِسَبَبِ الْمَطَرِ ، وَلَهُ تَأْوِيلَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَرَادَ
 نِعَالَ الْأَرْضِ ، وَهُوَ مَا غُلِظَ مِنْهَا . وَالْآخَرُ : أَنَّهُ أَرَادَ الْأَحْذِيَّةَ : وَالْوَجْهُ هُوَ الثَّانِي :
 لظُهُورِهِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى ، وَكَثُرَ الْعُلَمَاءُ عَلَيْهِ . وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ مَا غُلِظَ مِنْ
 الْأَرْضِ لَخَرَجَ عَنْ هَذَا الْحُكْمِ كُلُّ بَلَدٍ تَكُونُ أَرْضُهُ سَهْلَةً لَا غِلَظَ فِيهَا .
 وَأَمَّا مِثَالُ الْمَعْنِينَ الْمَجَازِينَ فَقَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ (٥) :

قَدْ بَلَوْنَا أَبَا سَعِيدٍ حَدِيثًا وَبَلَوْنَا أَبَا سَعِيدٍ قَدِيمًا
 وَوَرَدَنَاهُ سَاحِلًا وَقَلْبِيًّا وَرَعَيْنَاهُ بَارِضًا وَجَمِيمًا (٦)
 فَعَلِمْنَا أَنَّ لَيْسَ إِلَّا بِشِقِ النَّفْسِ صَارَ الْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمًا (٧)

فَالسَّاحِلُ وَالْقَلْبِيُّ يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا تَأْوِيلَانِ مَجَازِيَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَرَادَ بِهِمَا الْكَثِيرَ
 وَالْقَلِيلَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّاحِلِ وَالْقَلْبِيِّ . وَالْآخَرُ : أَنَّهُ أَرَادَ بِهِمَا السَّبَبَ ، وَغَيْرَ السَّبَبِ ،

(٥) دِيوَانُ أَبِي تَمَّامٍ ٢٩٢ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

إِنْ عَهْدًا لَوْ تَعْلَمَانِ ذَمِيمًا أَنْ تَنَامَا عَنْ لَيْلَتِي أَوْتِنِيَا

(٦) رَوَاةُ الدِّيَوَانِ « وَوَرَدَنَاهُ سَاحِلًا وَقَلْبِيًّا » وَالسَّاحِلُ الْمَاءُ الْجَارِي . وَالْقَلْبِيُّ الْبُتْرُ ، وَالْبَارِضُ أَوَّلُ

النَّبَاتِ . وَالْجَمِيمُ النَّبَاتُ الطَوِيلُ الْمُنْتَشِرُ . وَهُوَ فِي الْأَصْلِ « حَمِيمًا » بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٧) فِي الْأَصْلِ « إِلَّا بِشِقِ الْأَنْفُسِ » وَفِيهِ اخْتِلَالٌ فِي الْوِزْنِ . وَالصُّوَابُ عَنْ الدِّيَوَانِ ٢٩٢

فإنَّ الساحلَ لا يحتاجُ في وزده إلى سبب ، والقلبُ يحتاجُ في وزده إلى سبب ، وكلا هذين المعنيين مجاز . فإنَّ حقيقة الساحل والقلب غيرهما . والوجهُ هو الثاني ، لأنَّه أدلُّ على بلاغةِ القائلِ ومدحِ المَقُولِ فيه .

أما بلاغةُ القائلِ فالسَّلامةُ من هُجْنَةِ التكريرِ بالمخالفةِ بينَ صدرِ البيتِ وعجزِهِ . فإنَّ عَجْزَهُ يدلُّ على القليلِ والكثيرِ ، لأنَّ البارِضَ هو أوَّلُ النَّبتِ حينَ يَبْدُو ، فإذا كَثُرَ وتكاثَفَ سُمِيَ جميعاً^(٨) ، فكأنَّه قالَ : أَخَذْنَا مِنْهُ تَبَرُّعاً ، وَمَسَّالَةً ، وَقَلِيلًا ، وكثيراً .

وأما مدحُ المَقُولِ فيه ، فلتَعَدَادُ حالاته الأربعِ في تبرُّعه وسؤالِهِ وإكثارِهِ وإقلالِهِ ، وما في مُعَانَاةِ هذه الأحوالِ من المشاقِّ . فهذا ما يَتَعَلَّقُ بالترجيحِ البلاغيِّ بين الحقيقة والحقيقة ، ويَبَيِّنُ المجازَ والمجازِ ، وبين الحقيقة والمجازِ .

وهاهنا ترجيحُ آخرٍ لا يَتَعَلَّقُ بما أَشَرْنَا إِلَيْهِ ، إذ هو خارجٌ عما تَقْتَضِيهِ المعاني الخَطَابِيَّةُ من جهةِ الفصاحةِ أو البلاغةِ ، وذلك أنَّ يَرَجَّحَ بينَ مَعْنَيْنِ ، أَحَدُهُمَا تَامٌ ، والآخَرُ مَقْدَّرٌ . أو يكون أحدهما مناسباً لمعنى تَقَدَّمَهُ أو تأخَّرَ عنه ، والآخَرُ غَيْرُ مناسبٍ . أو بأنَّ يُنْظَرَ في التَّرجيحِ بَيْنَهُمَا إلى شيءٍ خارجٍ عن اللَّفْظِ .

فثال المعنيين المشار إليهما أنَّ المعنى التامَّ هو الَّذِي يدلُّ عليه لَفْظُهُ ولا يَتَعَدَّاهُ وأما المَقْدَّرُ فهو الَّذِي لا يدلُّ عليه لَفْظُهُ ، بل يُسْتَدَلُّ عليه بِقَرِينَةٍ أُخْرَى ، وتلك القَرِينَةُ قد تكونُ من تَوَابِعِهِ ، وقد لا تكون . فمَّا جَاءَ من ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ « فِي سَائِمَةِ الْغَنَمِ زَكَاةٌ » فهذا اللَّفْظُ يَسْتَخْرُجُ مِنْهُ مَعْنِيَانِ : أَحَدُهُمَا تَامٌ ، والآخَرُ مَقْدَّرٌ . فالتامُّ دلالتُهُ على وَجُوبِ الزَّكَاةِ فِي السَّائِمَةِ لَا غَيْرَ ، والمَقْدَّرُ دلالتُهُ على سُقُوطِ الزَّكَاةِ عَنِ الْمَعْلُوفَةِ ، إلا أَنَّهُ لَيْسَ مَفْهُومًا مِنْ نَفْسِ اللَّفْظِ ، بل من قَرِينَةٍ أُخْرَى هِيَ كَالْتَّابِعَةِ لَهُ ، وَهِيَ أَنَّهُ لَمَّا خُصَّتِ السَّائِمَةُ بِالذِّكْرِ دُونَ الْمَعْلُوفَةِ عُلِمَ مِنْ مَفْهُومِ ذَلِكَ أَنَّ الْمَعْلُوفَةَ لَا زَكَاةَ فِيهَا . وَلِلْفَقْهَاءِ فِي ذَلِكَ مُجَادِبَاتٌ جَدَلِيَّةٌ ، يَطُولُ الْكَلَامُ فِيهَا ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهَا . وَالَّذِي يَتَرَجَّحُ عِنْدِي هُوَ الْقَوْلُ بِفَحْوَى الْمَعْنَى الْمَقْدَّرِ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْفَقْهَاءُ « مَفْهُومَ الْخِطَابِ » وَلَهُ فِي الشَّعْرِ أَشْبَاهٌ وَنَظَائِرٌ ، فَمَّا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ شَعْرًا قَوْلُ

(٨) فِي الْأَصْلِ « حَمِيًا » بِالْحَامِ الْمَهْمَلَةِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

جَزءُ بنِ كَلِيبِ الفَقْعَسِيِّ^(٩) ، من شعراء الحماسة ، وقد خطب إليه ابن كُوز ابنته
فَرَدَّه :

تَبَغَّى ابنُ كُوزٍ والسَّفَاهَةُ كاسِمِها لَيْسَتَادٌ مِنَّا أَنْ سَتَوْنَا لِيَالِيَا^(١٠)
فَلَا تَطْلُبْنَهَا يَا بنَ كُوزٍ فَإِنَّهُ غَدَا النَّاسُ مُذْقَامَ نَبِيِّ الْجَوَارِيَا^(١١)
وهذا البيت الثاني يَشْتَمِلُ على المعنيين التامَّ والمقدَّر.

أَمَّا التامُّ فَإِنَّ ابنَ كُوزٍ سألَ أبا هذه الجارية أن يُزَوِّجَهُ إِيَّاهَا في سنة ، والسَّنَّة :
الجَدْب ، فَرَدَّه . وقال : قد غَدَا النَّاسُ البناتِ مُذْ قامَ النَّبِيُّ ﷺ ، وأنا أيضاً أَعْذُو
هذه ، ولولا ذلكَ لَوَأدْتُهَا ، كما كانت الجاهلية تفعل وفيه وجهٌ آخر : وهو أنهم كانوا
يُثِدُّون البنات قبلَ الإسلام ، فلما جاء النَّبِيُّ ﷺ نَهَى عن ذلك ، فقلوه : « غَدَا
الناسُ مُذْ قامَ النَّبِيُّ الجواريا » أى فى النساءِ كثرةً ، فتزَوَّجُ بعضُهُنَّ وخَلَّ ابنتى .
وهذان المعنيان هما اللذان دلَّ عليهما ظاهرُ اللفظ .

وأَمَّا المعنى المَقْدَرُ الذى يُعَلِّمُ من مفهوم الكلام فإنه يقول : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ
بِأَحْيَاءِ البنات ، ونَهَى عن الوَاد ، ولو أَنْكَحْتُكَهَا لَكُنْتُ قد وَاَدْتُهَا ، إذ لا فرقَ بين
إِنْكَاحِك إِيَّاهَا وبين وَاَدِّهَا . وهذا ذمٌّ للمخاطَب . وهو مَعْنَى دقيق .

ومجئُ المعانى المستخرجة من المفصومة قليلٌ فى الشعر .
وأَمَّا ما يُسْتَدَلُّ عليه بقرينة ليست من توابعه ، فَإِنَّ ذلكَ أدقُّ من الأوَّل ،
واللطف مأخذاً .

فمما وَرَدَ منه قول النَّبِيِّ ﷺ : « من جُعِلَ قاضياً بين الناس فقد ذُبِحَ بغيرِ
سِكِّينٍ » فهذا يُسْتَخْرَجُ منه المعنيان المشار إليهما ، فالتامُّ منها يدل على أَنَّهُ من جُعِلَ

(٩) فى الأصل « جرى بن كلب » والتصويب عن ديوان الحماسة ٨٨/١ : وقال التبريزى : قال ابن
الأعرابى : هو جرير لاجزاء ، ولم أقف لهما على ترجمة .

(١٠) رواية الحماسة « شتونا » بالشين والتاء . ومعنى « يستاد منا » أى يتزوج فى ساداتنا . وقوله « أن
شتونا » أى دخلنا فى الشتاء والجذب . والمعنى طلب منا الزواج فى هذا الوقت . ولو كنا فى غيره لما أمكنه أن
يجترئ علينا بذلك .

(١١) غذاه قام بغذائه . وهذا كناية عن إبطال واد البنات من الفقر أو خشيته . والجوارى جمع جارية
وهى البنت . والمعنى : لا تطلب التزوج بالمرأة التى خطبتها فلنك فى سائر النساء مندوحة عنها . فإن النساء
كثرن منذ منع الإسلام واد البنات .

قاضياً فقد عَرَّضَ نفسه لخطر عظيم كالذَّبْحِ بغير سِكِّين . وأمَّا المقدَّرُ فإنه يدلُّ على أنَّه من جعل قاضياً فقد أَمَرَ بمفارقةِ هَوَاهُ . وهذا لا يدلُّ عليه اللفظ بنفسه ، بل يُسْتَدَلُّ عليه بقرينةٍ أُخْرَى ، ولكنها ليست من توابعه . ووجهُ ذلك أن لفظَ الحديثِ عامٌّ ، يشمل القضاةَ على الإطلاق ، ولا يخلو إمَّا أن يُرادَ به عذابُ الآخرة ، أو عذابُ الدنيا ولا يجوزُ أن يكونَ المرادُ به عذابُ الآخرة ، لأنه ليس كلُّ قاضٍ معذبا في الآخرة ، بل المعذَّبُ منهم قضاةُ السُّوءِ . فوضَّحَ بهذا أن المرادَ بالحديثِ عذابُ الدنيا . وعلى هذا فلا يخلو إمَّا أن يكونَ العذابُ صورةً أو معنىً ، ولا يجوزُ أن يكونَ صورةً لأنَّا نرى الإنسانَ إذا جُعِلَ قاضياً لا يُذْبَحُ ، ولا يناله شيءٌ من ذلك . فبقِيَ أن يكونَ المرادُ به عذاباً معنوياً ، وهو الذَّبْحُ المجازيُّ غيرُ الحقيقي . وَفَحَوَى ذلك أن نفسَ الإنسانِ مُرَكَّبَةٌ على حُبِّ هَوَاهَا ، فإذا جعل قاضياً فقد أَمَرَ بتركِ ما جُبِلَ على حُبِّهِ من الامتناعِ عن الرِّشوةِ ، والحُكْمِ لصديقه على عدوه ، ورفعِ الحجابِ بينه وبين الناسِ ، والجلوسِ للحُكْمِ في أوقاتِ راحتهِ ، وغير ذلك من الأشياءِ المكروهةِ التي تَشَقُّ على النفسِ ، وتحدِّدُ لها ألماً مبرِّحاً ، والذَّبْحُ هو قطعُ الحلقومِ ، والألمُ حاصلٌ به ، وهو كالذَّبْحِ الحقيقيِّ ، بل أشدُّ منه . لأنَّ ألمَ الذَّبْحِ الحقيقيِّ يكونُ لحظةً واحدةً ، ثم يَنْقُضِي ويَزُولُ وألمُ قطعِ النفسِ عن هَوَاهَا يدومُ ولا يَنْقُضِي ، وهو أشدُّ العذابِ . قال الله تعالى في عذابِ أهلِ النارِ « وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ »^(١٢) وقال في نعيمِ أهلِ الجنةِ « وفيها ما تَشْتَهُيهِ الْأَنْفُسُ وتَلَذُّ الْأَعْيُنُ »^(١٣) وكثيراً ما رأينا وسمعنا مَنْ حَمَلَهُ حُبُّ الشَّيْءِ على إتلافِ نفسه في طلبه ، وركوبِ الأهوالِ من أجلِّهِ ، فإذا امتنعَ عنه مع حُبِّه إياهُ فقد ذَبَحَ نفسه ، أى قطعَها عنه ، كما يَقْطَعُ الذابِحُ حلقَ الذَّبِيحَةِ ، ولهذا قال النبيُّ ﷺ : « انتقلنا عن الجهادِ الأصغرِ إلى الجهادِ الأكبرِ » فسمى جهادَ الكفَّارِ « الجهادَ الأصغرَ » . وجهادَ النفسِ « الجهادَ الأكبرَ » .

فكما أنَّ مجاهدةَ النَّفْسِ عن هَوَاهَا قتالٌ بغيرِ سَيْفٍ ، فكذلك قطعُها عن هَوَاهَا ذَّبْحٌ بغيرِ سِكِّين . وهذا موضعُ غامضٌ ، والترجيحُ فيه مَحْتَصٌّ بالوجهِ الآخرِ ، لاشتماله على المعنى المقصودِ ، وهو المرادُ من القضاةِ على الإطلاقِ .

وأما مثال المعنيين إذا كان أحدهما مناسباً لمعنى تقدّمه ، أو لمعنى تأخر عنه ،
والآخر غير مناسب :

فالأول : وهو ما كان مناسباً لمعنى تقدّمه كقوله تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ^(١٤) » فالدُّعاء هاهنا يدلُّ على معنيين : أحدهما :
النهي أن يدعى الرسول باسمه ، فيقال : يا محمد ، كما يدعو بعضهم بعضاً بأسمائهم ،
وإنما يقال له : يا رسول الله ، أو يأنى الله . الآخر : النهي أن يجعلوا حضورهم عنده
إذا دعاهم لأمر من الأمور كحضور بعضهم عند بعض ، بل يتأدّبون معه ، بالألّا
يفارقوا مجلسه إلا بإذنه . وهذا الوجه هو المراد . لمناسبة معنى الآية التي قبله ، وهو
قوله تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم
يذهبوا حتى يستأذنوه ^(١٥) »

وأما الثاني : وهو ما كان مناسباً لمعنى تأخر عنه كقوله تعالى : « والتين والزيتون *
وطور سينين ^(١٦) » فالتين والزيتون هما هذا الشجر المعروف ، وهما اسمًا جبلين أيضاً .
وتأويلهما بالجبلين أولى ، للمناسبة بينهما وبين ما أتى بعدهما من ذكر الجبل الذي هو
الطور .

وعلى هذا ورد قول الشاعر ^(١٧) في أبيات الحماسة :

وَلَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسٍ عِيلَانَ لَمْ تَجِدْ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ النَّاسِ دِرْهَمًا
مَكْنَى مَوْلَى قُضَاعَةَ كُلِّهَا فَلَسْتُ أَبَالِي أَنَّ أَدِينَ وَتَغْزَمَا ^(١٨)

هذا نظرنا إلى البيت الأول وجدناه يحتمل مدحاً وذماً ، أى أنهم كانوا يغنونهُ
بعضهم أن يدين ، أو أنه كان يخاف الدين حذرًا ألا يقوموا عنه بوفائه ، لكن البيت
سنى حَقَّقَ أن الأول ذمٌ وليس بمدح ، فهذا المعنى لا يتحقق فهمهُ إلا بآخره .

(١٤) سورة النور : آية ٦٣ (١٥) سورة النور : آية ٦٢ (١٦) سورة التين : الآيتان ٢ و١
(١٧) هو شقران مولى بنى سلامان بن سعد هديم : وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولتين أمية وبنى

العباس .

(١٨) البيتان في ديوان الحماسة ٢/٢٦٠ . ومعنى البيتين لو كان . في قيس عيلان لم أقترض درهماً من
أحد لأنفقهُ في سبيل الخير مخافة ألا يثوده عني . ولكن ولأني في قضاة فلا أبالي أن أقترض ما أنفقهُ في وجوه
البر : لأنهم يؤدونه عني . والمراد من هذا الكلام تفضيل قضاة لجودهم وكرمهم . قيس عيلان لبخلهم
واساكنهم .

وأما الذى يكون الترجيح فيه بسبب شىء خارج عن مفهوم اللفظ فقولُه تعالى : « وهو الله فى السَّمَوَاتِ وفى الأرض يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ » (١٩) « فهذا مُسْتَنْبَطُ منه معنيان : أحدهما أَنَّ الله يَعْلَمُ السِّرَّ والجَهْرَ فى السموات والأرض ، وفى ذلك تقديم وتأخير . أى يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ فى السموات وفى الأرض . الآخر : أنه فى السموات وأنه بعلم السِّرِّ والجَهْرِ فى الأرض من بنى آدم ، لأنَّ الوقف يكون على السموات ، ثم يَسْتَأْنَفُ الكلام ، فيقول : يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ فى الأرض . إلا أنَّ هذا يمنعُ منه اعتقادُ التَّجْسِمِ . وذلك شىء خارجٌ عن مفهوم اللفظ .

الفصل الخامس

فى جوامع الكلم

قال النبىُّ ﷺ : « أُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ » فالكلم جمع كلمة ، والجوامع جمع جامعة ، والجامعة اسم فاعلة ، من جمعت ، فهى جامعة ، كما يُقالُ فى المذكر « جَمَعَ » فهو « جامع » . والمراد بذلك أَنَّهُ ﷺ أُوتِيَ الْكَلِمَ الْجَوَامِعَ للمعاني . وهو عندى ينقسمُ قسمين .

القسم الأول منها : هو ما استخرجته ، ونَبَّهْتُ عليه ، ولم يكن لأحد فيه قولٌ سابقٌ ، وهو أَنَّ لَنَا أَلْفَاظًا تَتَضَمَّنُ مِنَ الْمَعْنَى مَا لَا تَتَضَمَّنُهُ أَخَوَاتُهَا ، مما يجوزُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فى مَكَانِهَا . فَمِنْ ذَلِكَ مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحِجَازِ ، ومنه ما يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحَقِيقَةِ .

أَمَّا مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحِجَازِ فَقَوْلُهُ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ : « الْآنَ حَمَى الْوُطَيْسُ » وهذا لم يُسْمَعْ مِنْ أَحَدٍ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَلَوْ أَتَيْنَا بِمِجَازٍ غَيْرِ ذَلِكَ فى مَعْنَاهُ ، فَقُلْنَا « اسْتَعْرَتِ الْحَرْبُ » لَمَا كَانَ مُؤَدِّيًا مِنَ الْمَعْنَى مَا يُؤَدِّيه « حَمَى الْوُطَيْسُ » والفرقُ بيهما أَنَّ الْوُطَيْسَ هُوَ التَّنُورُ . وَهُوَ مَوْطِنُ الْوُقُودِ وَمُجْتَمَعُ النَّارِ . وَذَلِكَ يُخِيلُ إِلَى السَّامِعِ أَنَّ هُنَاكَ صُورَةً شَبِيهَةً بِصُورَتِهِ فى حَمِيهَا وَتَوْقُدهَا ، وهذا لا يوجد فى قولنا

« اسْتَعَرْتُ الْجَرْبُ » أو ماجرى مجراه . وكذلك قال ﷺ « بُعِثْتُ فِي نَفْسِ السَّاعَةِ »
 فقوله : « نفس الساعة » من العبارة العجيبة ، التي لا يقوم غيرها مقامها ، لأنَّ المراد
 بذلك أنه بُعثَ والساعة قريبة منه ، لكنَّ قُرْبَهَا مِنْهُ لا يدلُّ على ما دلَّ عليه النَّفْسُ ،
 وذلك أنَّ النَّفْسَ يدلُّ على أنَّ السَّاعَةَ مِنْهُ بِحِثِّ يُحْسُّ بِهَا ، كما يحسُّ الإنسان بنفس
 مَنْ هُوَ إِلَى جَانِبِهِ . وقد قالَ ﷺ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ »
 وَجَمَعَ بَيْنَ أَضْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ، وَلَوْ قَالَ : بُعِثْتُ عَلَى قُرْبٍ مِنَ السَّاعَةِ ، أَوْ
 وَالسَّاعَةُ قَرِيبَةٌ مِنِّي ، لَمَّا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ نَفْسُ السَّاعَةِ ، وَهَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى
 الْإِطَالَةِ فِي بَيَانِهِ ، لِأَنَّهُ بَيِّنٌ وَاضِحٌ .

وقد وردَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ الْمُفْلِقِينَ . وَلَقَدْ تَصَفَّحْتُ الْأَشْعَارَ
 قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا . وَحَفِظْتُ مَا حَفِظْتُ مِنْهَا . وَكُنْتُ إِذَا مَرَرْتُ بِنَظَرِي فِي دِيَوَانِ مَنْ
 الدَّوَاوِينِ ، وَيَلُوحُ لِي فِيهِ مِثْلُ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ أَجْدُهَا نَشْوَةُ كُنَشْوَةِ الْخَمْرِ ، وَطَرِبًا
 كَطَرِبِ الْأَلْحَانِ ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّازِمِينَ وَالنَّائِرِينَ يَمُرُّ عَلَى ذَلِكَ . وَلَا يَتَفَتَّحُونَ لَهُ سِوَى أَنَّهُ
 يَسْتَحْسِنُهُ ، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ فِيهَا نَظَرْتُ أَنَا فِيهِ ، وَيَظُنُّهُ كَغَيْرِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسَنَةِ .
 فَمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ (١) :

كَمْ صَارِمٍ عَصَبَ أَنَا فِ عَلَى قَفَا مِنْهُمْ لِأَعْبَاءِ الْوَعَى حَمَالِ
 سَبَقَ الْمَشِيبَ إِلَيْهِ حَتَّى ابْتَرَّهُ وَطَنُ النُّهْيِ مِنْ مَفْرِقٍ وَقَدَّالٍ (٢)

فقوله : « وَطَنُ النُّهْيِ » مِنَ الْكَلِمَاتِ الْجَامِعَةِ ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الرَّأْسِ ، وَلَا يُجَاوِزُ
 بِمَثَلِهَا فِي مَعْنَاهَا مِمَّا يَسُدُّ مَسَدَّهَا . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْبُحْتَرِيِّ :

قَلْبٌ يُطَلُّ عَلَى أَفْكَارِهِ وَيَدُّ تُمْضِي الْأُمُورَ وَنَفْسٌ لَهْوَهَا التَّعَبُ (٣)
 فقوله : « قَلْبٌ يُطَلُّ عَلَى أَفْكَارِهِ » مِنَ الْكَلِمَاتِ الْجَوَامِعِ ، وَمُرَادُهُ بِذَلِكَ أَنَّ قَلْبَهُ
 لَا تَمْلُؤُهُ الْأَفْكَارُ ، وَلَا تَحِيطُ بِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ عَالٍ عَلَيْهَا . يَصِفُ بِذَلِكَ عَدَمَ احْتِفَالِهِ
 بِالْفَوَادِحِ ، وَقَلَّةَ مَبَالِغَتِهِ بِالْخُطُوبِ ، الَّتِي تَحْدِثُ أَفْكَارًا تَسْتَغْرِقُ الْقُلُوبَ . وَهَذِهِ
 عِبَارَةٌ عَجِيبَةٌ ، لَا يُؤْنِي بِمَثَلِهَا مِمَّا يُسَدُّ مَسَدَّهَا .

(١) دِيَوَانُ أَبِي تَمَّامٍ ٢٦٣

(٢) ابْتَرَّهُ : سَلَبَهُ ، وَطَنُ النُّهْيِ : الرَّأْسُ ، الْمَفْرِقُ : وَسْطُ الرَّأْسِ ، الْقَدَّالُ : مُؤَخَّرُهُ .

(٣) دِيَوَانُ الْبُحْتَرِيِّ ٢٠٤ ، وَرَوَايَةُ الدِّيَوَانِ « يُطَلُّ عَلَى أَقْطَارِهِ » .

وأما ما يأتي على حكم الحقيقة فكقول ابن الرومي (٤) :

سَقَى اللهُ أوطاراً لنا ومآرباً تقطعَ مِنْ أَقْرَابِهَا مَا تَقَطَّعَا
ليالٍ تُنْسِيَنَّ الليالي حِسَابَهَا بُلْهَنِيَّةٌ أَقْضَى بِهَا الحَوْلَ أَجْمَعَا
سِوَى عِزَّةٍ لَا أَعْرِفُ اليَوْمَ بِاسْمِهِ وَأَعْمَلُ فِيهِ اللّهُوَ مَرَأَى وَمَسْمَعَا
ففقوله : « لا أعرفُ اليومَ باسمه » من الكلمات الجامعة ، أى أننى قد شغلتُ
باللذاتِ عن معرفة الليالي والأيام . ولو وصفَ اشتغاله باللذاتِ مهما وصفَ لم يأت
بمثلِ قوله : « لا أعرفُ اليومَ باسمه » .

وأما القسمُ الثاني من جوامع الكلم ، فالمراد به الإيجاز ، الذى يُدَلُّ به بالألفاظِ
القليلة على المعاني الكثيرة ، أى أَنَّ ألفاظَه - صلواتُ الله عليه - جامعةٌ للمعاني
المقصودة على إيجازها واختصارها . وجُلُّ كلامه جارٍ هذا المجرى فلا يحتاجُ إلى
ضَرْبِ الأمثلة به ، وسيأتى فى باب الإيجاز منه ما فيه كفايةٌ ومُقْنِعٌ .
فإن قيل : فما الفرقُ بين هذين القسمين اللذين ذكرتَهما ، فإنهما فى النظرِ سواءٌ ؟
قلتُ فى الجواب : إنَّ الإيجازَ هو أنْ يُؤْتَى بِالْفَاضِلِ دَالَّةٍ عَلَى مَعْنَى ، مِنْ غَيْرِ أَنْ
تَزِيدَ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى ، وَلَا يُشْتَرَطُ فِي تِلْكَ الْأَفْظَادِ أَنَّهَا لَانْظِيرُ لَهَا ، فَإِنِهَا تَكُونُ قَدْ
اتَّصَفَتْ بِوَصْفٍ آخَرَ خَارِجٍ عَنْ وَصْفِ الْإِيجَازِ ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ إِيجَازاً وَزِيَادَةً ، وَأَمَّا
هَذَا الْقِسْمُ الْآخَرُ ، فَإِنَّهُ أَلْفَاضٌ أَفْرَادٌ فِي حُسْنِهَا لَانْظِيرَ لَهَا ، فَتَارَةً تَكُونُ مُوجِزَةً .
وَتَارَةً لَا تَكُونُ مُوجِزَةً ، وَلَيْسَ الْغَرَضُ مِنْهَا الْإِيجَازُ ، وَإِنَّمَا الْغَرَضُ مَكَائِنُهَا مِنَ الْحُسْنِ
الذى لَانْظِيرَ لَهَا فِيهِ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ أَبِي تَهَامٍ : « وَطَنُ النُّهَى » ؟ فَإِنَّ ذَلِكَ عِبَارَةٌ
عَنِ الرَّأْسِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الرَّأْسَ أَوْجَزُ . لِأَنَّ الرَّأْسَ لَفْظَةً وَاحِدَةً . وَ « وَطَنُ النُّهَى »
لَفْظَتَانِ ، إِلَّا أَنَّ « وَطَنُ النُّهَى » أَحْسَنُ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الرَّأْسِ مِنَ الرَّأْسِ . فَبِإِنْ هَذَا
أَنَّ أَحَدَ هَذَيْنِ الْقَسْمَيْنِ غَيْرُ الْآخَرِ .

(٤) ديوان ابن الرومي ٢٩٩ وروى صدر البيت الثالث فى الديوان هكذا « سدى غرة لأعرف اليوم

الفصل السادس

فى الحكمة التى هى ضالة المؤمن

قال النبىُّ ﷺ : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فهو أحقُّ بها إذا وجدها » والمراد بذلك أن الحكمة قد يستفيدُها أهلها من غير أهلها ، كما يُقال : « رَبَّ رَمِيَّةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ » وهذا لا يَخْصُّ علماً واحداً من العلوم . بل يقعُ فى كلِّ علم ، والمطلوبُ منه هاهنا هو ما يَخْصُّ علمَ البيان من الفصاحةِ والبلاغةِ دونَ غيره .

ومذ سمعتُ هذا الخبر النبوى جعلتُ كَدَى فى تتبعِ أقوالِ الناسِ فى مُفاوضاتهم ومحاوراتهم ، فإنه قد تَصَدَّرُ الأقوالُ البليغة والحكمُ والأمثالُ ممَّن لا يعلم مقدار مايقوله ؛ فاستفدتُ بذلك فوائدَ كثيرةً ، لا أحصرُها عدداً . وأنا أذكرُ منها طرفاً ، يُستدلُّ به على أشباهه ونظائره .

فمن ذلك أنى سِرْتُ فى بعضِ الطُرُق ، وفى صُحْبَتى رجلٌ بدوى من الأنباطِ (٥) لا يُعْتَدُّ بقوله ، فكان يقولُ : « غداً ندخلُ البلد ، وتشتغلُ عني » . وكان الأمرُ كما قال ، فدخلتُ مدينةَ حَلَبَ ، وشُغِلْتُ عنه أياماً ، ثم لَقِيتُنى ، فقال لى : « مَنْ تَرَوِى فَرَّتْ عِظَامُهُ » ، وهذا القولُ من الأقوالِ البليغة . وهى من الحِكْمَةِ التى هى الضالةُ المطلوبة عندَ مؤمِنِي الفصاحةِ والبلاغةِ .

ثم إنى سمعتُ منه بعد ذلك شيئاً يناسبُ قوله الأول ، فإنى سَفَرْتُ لَهُ إلى صاحبِ فى حَلَبَ فى شىءٍ أخذتهُ منه فاستقلَّه ، وقال : « الماءُ أَرَوِى لشُدوق النِّيبِ » . وهذا أيضاً من الحكمة فى بابها .

وسافرتُ مرَّةً أخرى على طريقِ المناظر وكان فى صُحْبَتى رجلٌ بدوى ، فسألتهُ عن مسافةٍ ماين تدمرُ (٦) وأراك (٧) ، فقال : إذا « خرج سَرَّحَاهما تلاقياً » فعبر عن قَرَبِ المسافةِ بينهما بأَوْجَزِ عبارة وأبلغها .

(٥) النبط والنبيط والأنباط جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين (القاموس ٣٨٧/٢) .

(٦) تدمر مدينة مشهورة فى بركة الشام ، بينها وبين حلب خمسة أيام . وهى قرية من حمص .

(٧) أراك ، وادى الأراك قرب مكة .

ثم سألته ليلةً من الليالي عن الصَّبح لَنزَحلَ عن موضعنا ، فقال : « قد ظهر الصَّبحُ إلا أنه لم يملك الإنسانُ بصرَه » ، وهذا القولُ من الحكمة أيضاً .
 وكان تزوُّجَ غلامٍ من غِلْماني بدمشقَ ، فوقعَت المرأةُ منه بموقعٍ ، وشغِف بها ثم سافرتُ عن دِمَشقَ لهمَّ عَرَضَ لى ، وسافرَ ذلك الغلامُ فى صُحْبَتى ، فلمَّا عُدنا من السَّفرِ شغِلَ بامرأته ، والمقام عندها ، فسألتُه عن حاله ، فقال : إنها قد طالت وَحَسُنَتْ ، وهى كذا وكذا ، وأخذَ يصفُها ، فقال أخُ له كان حاضراً : يامولائى هى تلكَ لم تزدُ شيئاً ، وإنما هى فى عَيْنِهِ جَبَّارٌ من الجبارة !

وهذا القول قد وَرَدَ فى بعض أبياتِ الحماسةِ ، وهو معدود من أبيات المعاني :
 أهأبك إجلالا وما بكِ قدرةٌ علىَّ ولكنْ مِلْءُ عَيْنٍ حَبِيبُهَا^(٨)
 فكثيراً ما يصدُرُ مثلُ هذه الأقوال عن ألسنة الجهَّال .

وسمعتُ مايجرى هذا المجرى من بعض العبيد الأحابيش الذين لا يستطيعون تقويم صَبغِ الألفاظ ، فضلاً عمَّا وراءَ ذلك . وذلك أنه رأى صَبِياً فى يده طاقةَ رِيحان . فقال : « هذه طاقةُ آسٍ تحمل طاقةَ رِيحان » . فلمَّا سمعتُ ذلك منه أخذتُ هِزَّةَ التَّعَجُّبِ ، وذكرتُ شعرَ أبى نُوَاسٍ الذى تَوَاصَفَه الناسُ فى هذا المعنى ، وهو قوله :

وَوَرْدَةٌ جَاءَ بِهَا شَادِنٌ فى كفه اليمنى فحِيَانَا
 سَبَّحْتُ رَبِّى حِينَ أَبْصَرْتُهَا رِيحَانَةٌ تَحْمِلُ رِيحَانَا

وحضِرَ عندى فى بعض الأيام رجلٌ نصرانىٌّ موسومٌ بالطب ، وكان لا يُحسِنُ أن يقولَ كلمةَ واحدةً ، وهو أَقْلَفُ اللسان ، يسمَّى العبارةَ ، فسألتُه عن زيارةِ شخصٍ ، وهل يتردُّ إليه أم لا ؟ فقال : « ظلامُ اللَّيْلِ يَهْدِينِى إلى بَابِ مَنْ أَوْدَهُ ، وضوءُ النَّهارِ بضَلِّى عنْ بَابِ مَنْ لا أَوْدَهُ » وهذا من أَلطَفِ المعاني وأَحْسَنِهَا ، وهو من الحكمةِ المطلوبة .

وكنتُ قصدتُ زيارةَ بعض الإخوان من الأجناد وهو من الأغنام^(٩) الأعجام ، فسألتُه عَنْ حاله ، وكان تَوَلَّتْ عليه نكباتٌ طالتْ أَيَّامُهَا ، وعظُمَتْ

(٨) ديوان الحماسة ١٣١/٢

(٩) جمع أغنم ، وهو من لا يفصح شيئاً .

آلاؤها ، فقال لى فى الجواب ما معناه : إنه لم يبقَ عندى ارتياحٌ لوقوع نائبةٍ من النوائب . وهذا معنى لو أتى به شاعرٌ مُفلقٌ ، أو كاتبٌ بليغٌ ، لاستحسن منه غاية الاستحسان .

وكنْتُ فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بأرض فلسطين ، فى الجيش الذى كان قبالة العدو الكافر من الفرنج ، لعنهم الله ، وتقابل الفريقان على مدينة « يافا » وكان إلى جانبى ثلاثة فرسانٍ من المسلمين ، فتعاقدوا على الحملة إلى نحو العدو ، فلما حملوا صدق منهم اثنان ، وتلكأ واحدٌ ، فقبل له فى ذلك ، فقال : « الموتُ طعامٌ لائحته (١٠) » . فلما سمعتُ هذه الكلمة استحسنتها وإذا هى صادرة عن رجلٍ من أهل « بصرى » قدم (١١) من الأقدام .

ولو أخذتُ فى ذكر ما سمعته من هذا لأطلتُ ، وإنما دللتُ بيسير ما ذكرته على المراد ، وهو أنه يجبُ على المتصدى للشعر والخطابة أن يتبعَ أقوالَ الناس فى محاوراتهم ، فإنه لا يعدمُ مما يسمعه منهم حكماً كثيرة ، ولو أراد استخراج ذلك بفكره لأعجزه .

ويحكى عن أبى تمامٍ أنه لما نظم قصيدته البائية التى أولها :
* على مثلها من أربُع وملاعب (١٢) *

انتهى منها إلى قوله :

يرى أقبحَ الأشياءِ أوبةَ آملٍ كسَّته يدُ المأمولِ حلَّة خائبٍ
ثم قال : * وأحسنُ من نورٍ يفتحهُ الصِّبا *

ووقفَ عندَ صدرِ هذا البيتِ يردُّده ، وإذا سائلٌ يسألُ على البابِ ، وهو يقولُ :
« من بياضِ عطاياكم فى سوادِ مطالينا » ، فقال أبو تمام :

* بياضُ العطايا فى سوادِ المطالبِ *

فأتمَّ صدرَ البيتِ الذى كان يردُّده من كلام السائل .

(١٠) يقال : جشه أى دقه وكسره .

(١١) القدم العبي عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم ، والغليظ الأحمق الجافى .

(١٢) ديوانه ٤٠ ، وعجز البيت * أذيلت مصونات الدموع السواكب * وهو مطلع قصيدة يمدح بها أبا

دلف القاسم بن عيسى العجلي ، وهى من عيون قصائده .

وسمعتُ امرأةً قد تُوفِّي لها ولد . وهو بِكْرُها الذى هو أَوَّلُ أَوْلادِها ، فقالت : كيفَ لا أحْزَنُ لذهابِه . وهو أَوَّلُ دِرْهَمٍ وَقَعَ فى الكيسِ ؟ فأخذتُ أنا هذا المعنى . وَأَوْدَعْتُهُ كِتَاباً من كِتَابِي فى التَّعَاذَى ، وهو كِتَابُ كِتْبَتِهِ إلى بعضِ الإِخْوَانِ ، وقد تُوفِّي بِكْرُهُ من الأولادِ ، فقلتُ : « وهو أَوَّلُ دِرْهَمٍ ادَّخَرْتُهُ فى كِيسِ الادِّخَارِ ، وأَعَدَدْتُهُ لِحَوَادِثِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ » .

وبَلَّغْنِي عن الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ [عبد الله بن (١٣)] أَحْمَدَ بنِ أَحْمَدَ المعروفِ بِابْنِ الحِشَابِ البَغْدَادِيَّ ، وَكَانَ إِمَاماً فى عِلْمِ العَرَبِيَّةِ وغيره ، فَقِيلَ إِنَّه كَانَ كَثِيراً مَا يَقِفُ عَلَى حِلْقِ القُصَاصِ والمُشْعَبِذِينَ ، فَإِذَا أَتَاهُ طَلِبَةُ العِلْمِ ، لَا يَجِدُونَهُ فى أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ إِلَّا هُنَاكَ ، فَلَيِّمَ عَلَى ذَلِكَ ، وَقِيلَ لَهُ : أَنْتَ إِمَامُ النَّاسِ فى العِلْمِ ، وَمَا الَّذِى يَبْعُثُكَ عَلَى الوُقُوفِ بِهَذِهِ المَوَاقِفِ الرَّذِيلَةِ ؟ فَقَالَ : « لو عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمُ لِمَا لُمْتُمْ ! وَلَطَالَمَا اسْتَفَدْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ الجُهَّالِ فَوَائِدَ كَثِيرَةٍ ، تَجْرَى فى ضِمْنِ هَذِيكُم مَعَانِ غَرِيبَةٍ لَطِيفَةٍ ، وَلَوْ أَرَدْتُ أَنَا أَوْ غَيْرِى أَنْ نَأْتِيَ بِمِثْلِهَا لِمَا اسْتَطَعْنَا ذَلِكَ » . وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ رَأَى مَا رَأَيْتُهُ ، وَنَظَرَ إِلَى مَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ .

الفصل السابع

فى الحقيقة والمجاز

وهذا الفصلُ مهمٌّ كبيرٌ من مَهَمَّاتِ عِلْمِ البَيَانِ ، لَا بَلْ هُوَ عِلْمُ البَيَانِ بِأَجْمَعِهِ ، فَإِنَّ فى تَصْرِيفِ العِبَارَاتِ عَلَى الأسْلُوبِ المِجَازِيِّ فَوَائِدَ كَثِيرَةً ، وَسِيرِدَ بَيَانُهَا فى مَوَاضِعِهَا مِنْ هَذَا الكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَدْ تَبَّهْنَا فى هَذَا المَوْضِعِ عَلَى جُمْلَتِهَا دُونَ تَفْصِيلِهَا .

فَأَمَّا (الْحَقِيقَةُ) فَهِيَ الَّلَفْظُ الدَّالُّ عَلَى مَوْضُوعِهِ الْأَصْلِيِّ .
وَأَمَّا (الْمِجَازُ) فَهُوَ مَا أُريدَ بِهِ غَيْرُ المعْنَى المَوْضُوعِ لَهُ فى أَصْلِ اللُّغَةِ ، وَهُوَ مَا خُذَ مِنْ جَازٍ مِنْ هَذَا المَوْضِعِ إِلَى هَذَا المَوْضِعِ ، إِذَا تَخَطَّاهُ إِلَيْهِ .
فَالْمِجَازُ إِذَا اسْمٌ لِلْمَكَانِ الَّذِى يُجَازُ فِيهِ ، كَالْمَعَاجِ والمَزَارِ وَأَشْبَاهِهَا . وَحَقِيقَتُهُ

(١٣) زيادة ليست فى الأصل صححنا بها الاسم ، وقد سبقت ترجمته فى صفحة ٥٠

هى الانتقال من مكانٍ إلى مكانٍ ، فُجِعِلَ ذَلِكَ لنقل الألفاظ من محلٍّ إلى محلٍّ .
كقولنا زيدٌ أسدٌ . فإنَّ زيداَ إنسانٌ . والأسد هو هذا الحيوانُ المعروفُ . وقد جُزْنَا من
الإنسانيةِ إلى الأسديةِ ، أى عَبرْنَا من هذه إلى هذه لوصلةٍ بينهما ، وتلك الوصلةُ هى
صفةُ الشجاعةِ .

وقد يكونُ العبورُ لغيرِ وُصلةٍ ، وذلك هو (الاتِّساعُ) كقولهم فى كتاب « كليلَة
ودمنة » قال الأسدُ ، وقال الثعلبُ . فإنَّ القولَ لا وُصلةَ بينه وبين هذين بحال من
الأحوال ، وإنَّما أُجْرِى عليهما اتساعاً مَحْضاً لا غيرُ .

ولهذا مثالٌ فى المجاز الحقيقى الذى هو المكان المجازُ فيه ، فإنَّه لا يخلو إمَّا أن يُجَازَ
من سَهْلٍ إلى سَهْلٍ ، أو من وَعَرٍ إلى وَعَرٍ ، أو مِن سَهْلٍ إلى وَعَرٍ ، فالجوازُ من سَهْلٍ
إلى سَهْلٍ أو من وَعَرٍ إلى وَعَرٍ ، هو كقولنا زيدٌ أسدٌ ، فالمشابهةُ حاصلةٌ فى ذاتِ بينهما
كالمشابهةِ الحاصلةِ فى المكانِ . والجوازُ من سهلٍ إلى وعَرٍ كقولهم : قال الأسدُ ، وقال
الثعلبُ . فكما أنَّه لا مشابهةَ بين القولِ وبين هَذينِ ، فكذلك لا مُشابهةَ بين السَهْلِ
والوَعَرِ . وسيأتى كشفُ الغطاءِ عن ذلك ؛ وإشباعُ القولِ فى تحقيقه فى باب
(الاستعارة) فليؤخَذَ من هناك .

وقد ذهبَ قومٌ إلى أن الكلامَ كُلُّهُ حقيقةٌ لا مجازٌ فيه ، وذهبَ آخرونَ إلى أنَّه كُلُّهُ
مجازٌ ، لا حقيقةٌ فيه . وكلا هَذينِ المذهبينِ فاسدٌ عندى ، وسأجيبُ الخصمَ عما
ادَّعاهُ فيهما ، فأقول : محلُّ النزاعِ هو أنَّ اللغةَ كُلَّها حقيقةٌ . أو أنَّها كُلُّها مجازٌ ، ولا
فرقَ عندى بين قولك إنها كُلُّها حقيقةٌ ، أو أنَّها كُلُّها مجازٌ ، فإنَّ كِلَا الطَرَفَيْنِ عندى
سواءٌ ، لأنَّ مُنكَرَهما غيرُ مُسَلَّمٍ لهما . وأنا بصَدَدٍ أن أبينَ أنَّ فى اللغةِ حقيقةٌ ومجازاً .
و (الحقيقةُ اللُّغويةُ) ، هى حقيقةُ الألفاظِ فى دلالتها على المعانى ، وليستُ
بالحقيقةِ التى هى ذاتُ الشئِ ، أى نَفْسَهُ وعَيْنَهُ . فالحقيقةُ اللفظيةُ إذاً هى دِلالةُ
اللفظِ على المعنى الموضوعِ له فى أَصْلِ اللغةِ . والمجازُ هو نقلُ المعنى عن اللَّفْظِ
الموضوعِ له إلى لفظٍ آخرَ غيرِهِ .

وتقرِّرُ ذلكَ بأنَّ أقولَ : المخلوقاتُ كُلُّها تفتقرُ إلى أسماءٍ يُستَدَلُّ بها عليها ، ليعرَفَ
كل منها باسمه ، من أجلِ التفاهمِ بين الناسِ ، وهذا يقعُ ضرورةً لأبدٍ منها ، فلا سُمُ
الموضوعُ بإزاءِ المسمى هو حقيقةٌ له ، فإذا نُقِلَ إلى غيره صار مجازاً .

ومثال ذلك أَنَّا إِذَا قُلْنَا « شمس » أَرَدْنَا بِهِ هَذَا الْكَوْكَبَ الْعَظِيمَ الْكَثِيرَ الضَّوءَ ،
وهذا الاسمُ له حقيقة ، لِأَنَّهُ وَضِعَ بِإِزَائِهِ . وكذلك إِذَا قُلْنَا « بَحْرٌ » أَرَدْنَا بِهِ هَذَا
الماءَ الْعَظِيمَ الْمُجْتَمِعَ الَّذِي طَعْمُهُ مِلْحٌ ؛ وَهَذَا الاسمُ له حقيقة ، لِأَنَّهُ وَضِعَ بِإِزَائِهِ .
فَإِذَا نَقَلْنَا « الشمس » إِلَى « الوجهِ المِلْحِ » استعارةً كَانَ ذَلِكَ لَهُ مَجَازاً لَا
حَقِيقَةً . وكذلك إِذَا نَقَلْنَا « البحر » إِلَى « الرجلِ الجَوَادِ » استعارةً كَانَ ذَلِكَ لَهُ مَجَازاً
لَا حَقِيقَةً .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّ « الوجهَ المِلْحَ » يَقَالُ لَهُ « شمس » وَهُوَ حَقِيقَةٌ فِيهِ ، وكذلك
« البحر » يَقَالُ لِلرَّجُلِ الْجَوَادِ ، وَهُوَ حَقِيقَةٌ فِيهِ . فَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ
أَحَدُهُمَا نَظَرِيٌّ . وَالْآخَرُ وَضْعِيٌّ .

أَمَّا النَّظَرِيُّ فَهُوَ أَنَّ الْأَلْفَاظَ إِنَّمَا جُعِلَتْ أَدَلَّةً عَلَى إِفْهَامِ الْمَعَانِي ، وَلَوْ كَانَ
مَازَهَبَتْ إِلَيْهِ صَحِيحاً لَكَانَ « البحر » يُطْلَقُ عَلَى هَذَا الْمَاءِ الْعَظِيمِ الْمِلْحِ ، وَعَلَى
الرَّجُلِ الْجَوَادِ بِالِاشْتِرَاكِ . وكذلك الشَّمْسُ أَيْضاً ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تُطْلَقُ عَلَى هَذَا
الْكَوْكَبِ الْعَظِيمِ الْكَثِيرِ الضَّوءِ ، وَعَلَى الْوَجْهِ الْمِلْحِ بِالِاشْتِرَاكِ ، وَحِينَئِذٍ إِذَا وَرَدَ
أَحَدُ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ مُطْلَقاً بَغَيْرِ قَرِينَةٍ تَخْصُصُهُ ، فَلَا يُفْهَمُ الْمُرَادُ بِهِ مَا هُوَ مِنْ أَحَدِ
الْمَعْنَيْنِ الْمَشْتَرَكَيْنِ الْمُنْدَرَجَيْنِ تَحْتَهُ ، وَنَحْنُ نَرَى الْأَمْرَ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، فَإِنَّا إِذَا قُلْنَا
« شمس » أَوْ « بحر » وَأَطْلَقْنَا الْقَوْلَ لَا يُفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ وَجْهٌ مِلْحٌ ، وَلَا رَجُلٌ جَوَادٌ ،
وَإِنَّمَا يُفْهَمُ مِنْهُ ذَلِكَ الْكَوْكَبُ الْمَعْلُومُ ، وَذَلِكَ الْمَسَاءُ الْمَعْلُومُ لَا غَيْرَ . فَبَطَلَ إِذَا مَا
ذَهَبَتْ إِلَيْهِ بِمَا بَيَّنَّاهُ وَأَوْضَحْنَاهُ .

فَإِنْ قُلْتُ : إِنَّ الْعُرْفَ يَخَالِفُ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا إِذَا أُطْلِقَ لَمْ
يَذْهَبِ الْفَهْمُ مِنْهُ إِلَّا إِلَى الْمَجَازِ دُونَ الْحَقِيقَةِ ، كَقَوْلِهِمْ : « الْغَائِطُ » فَإِنَّ الْعُرْفَ
خَصَّصَ ذَلِكَ بِقَضَاءِ الْحَاجَةِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَطْمَئِنِّ مِنَ الْأَرْضِ .

قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : هَذَا شَيْءٌ ذَهَبَ إِلَيْهِ الْفَقَهَاءُ ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ ،
لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ إِطْلَاقُ اللَّفْظِ فِيهِ بَيْنَ عَامَّةِ النَّاسِ مِنْ إِسْكَافٍ ، وَحَدَادٍ وَنَجَّارٍ ،
وخبَّازٍ ، وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ ، فَهَؤُلَاءِ لَا يَفْهَمُونَ مِنَ « الْغَائِطِ » إِلَّا قَضَاءَ الْحَاجَةِ ،
لَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَصْلَ وَضْعِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَأَنَّهَا مَطْمَئِنٌّ مِنَ الْأَرْضِ . وَأَمَّا خَاصَّةُ
النَّاسِ ، الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَصْلَ الْوَضْعِ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ عِنْدَ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ إِلَّا

الحقيقة لا غيرُ ، ألا ترى أنَّ هذه اللفظة لما وَرَدَتْ في القرآن الكريم ، وأريدَ بها قضاء الحاجة قُرِنتُ بِالْفَافِ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ، كقوله تعالى : « أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ » ^(١) فَإِنْ قَوْلُهُ : « أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ » دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ قَضَاءَ الْحَاجَةِ ، دُونَ الْمَطْمَئِنِّ مِنَ الْأَرْضِ ، فَالْكَلَامُ فِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ إِنَّمَا هُوَ مَعَ عِلْمِ أَصْلِ الْوَضْعِ حَقِيقَةٌ وَالنَّقْلُ عَنْهُ مَجَازٌ ، وَأَمَّا الْجُهَّالُ فَلَا عِتْبَارَ بِهِمْ ، وَلَا اعْتِدَادَ بِأَقْوَاهُمْ ، وَالْعَجَبُ عِنْدِي مِنَ الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ دَوَّنُوا ذَلِكَ عَلَى مَا دَوَّنُوهُ ، وَذَهَبُوا إِلَى مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ .

وَأَمَّا الْوَجْهُ الْوَصْفِيُّ فَهُوَ أَنَّ الْمَرْجِعَ فِي هَذَا وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ إِلَى أَصْلِ اللَّغَةِ ، الَّتِي هِيَ وَضَعُ الْأَسْمَاءِ عَلَى الْمُسَمَّيَاتِ ، وَلَمْ يَوْجَدْ فِيهَا أَنَّ الْوَجْهَ الْمَلِيحَ يُسَمَّى شَمْسًا ، وَلَا أَنَّ الرَّجُلَ الْجَوَادَ يُسَمَّى مَجْرًا ، وَإِنَّمَا أَهْلُ الْخُطَابَةِ وَالشُّعْرُ تَوَسَّعُوا فِي الْأَسَالِيبِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، فَنَقَلُوا الْحَقِيقَةَ إِلَى الْمَجَازِ . وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ وَاضِعِ اللَّغَةِ فِي أَصْلِ الْوَضْعِ . وَلِهَذَا اخْتَصَّ كُلُّ مِنْهُمْ بِشَيْءٍ اخْتَرَعَهُ فِي التَّوَسُّعَاتِ الْمَجَازِيَّةِ .

هَذَا امْرُؤُ الْقَيْسِ قَدْ اخْتَرَعَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَبَّرَ عَنِ الْفَرَسِ بِقَوْلِهِ : « قَيْدِ الْأَوَابِدِ » ^(٢) وَلَمْ يُسْمَعْ ذَلِكَ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِهِ .

وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ حُنَيْنٍ : « الْآنَ حَمَى الْوُطَيْسُ » وَأَرَادَ بِذَلِكَ شِدَّةَ الْحَرْبِ ، فَإِنَّ الْوُطَيْسَ فِي أَصْلِ الْوَضْعِ هُوَ التَّنَوُّرُ ، فَنَقَلَ إِلَى الْحَرْبِ اسْتِعَارَةً ، وَلَمْ يُسْمَعْ هَذَا اللَّفْظُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مِنْ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَوَاضِعُ اللَّغَةِ مَا ذَكَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ .

فَعَلِمْنَا حِينَئِذٍ أَنَّ مِنَ اللَّغَةِ حَقِيقَةً بَوْضَعَهُ ، وَمَجَازًا بِتَوَسُّعَاتِ أَهْلِ الْخُطَابَةِ وَالشُّعْرِ . وَفِي زَمَانِنَا هَذَا قَدْ يَخْتَرَعُونَ أَشْيَاءَ مِنَ الْمَجَازِ عَلَى حُكْمِ الْاسْتِعَارَةِ لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ ، وَلَوْ كَانَ هَذَا مَوْقُوفًا مِنْ جِهَةٍ وَاضِعِ اللَّغَةِ لَمَا اخْتَرَعَهُ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَا زِيدَ فِيهِ ، وَلَا نَقَصَ مِنْهُ .

(١) سورة المائدة . آية ٦ (٢) من بيته المشهور في - معلقته :

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل =

وَأَمَّا الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَقِيقَةِ ، فَهُوَ أَنَّ الْحَقِيقَةَ جَارِيَةٌ عَلَى الْعُمُومِ فِي نَظَائِرِ . أَلَا تَرَى أَنَّنَا إِذَا قُلْنَا : « فُلَانٌ عَالِمٌ » صَدَقَ عَلَى كُلِّ ذِي عِلْمٍ ، بِخِلَافِ « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ » (٣) لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ إِلَّا فِي بَعْضِ الْجُمَادَاتِ دُونَ بَعْضٍ ، إِذِ الْمُرَادُ أَهْلُ الْقَرْيَةِ ، لِأَنَّهُمْ مِمَّنْ يَصِحُّ السُّؤَالُ لَهُمْ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ : وَاسْأَلِ الْحَجَرَ وَالتُّرَابَ ، وَقَدْ يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ : وَاسْأَلِ الرَّبْعَ وَالطَّلَلَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَجَازٍ فَلَهُ حَقِيقَةٌ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمُ الْمَجَازِ إِلَّا لِنَقْلِهِ عَنْ حَقِيقَةٍ مَوْضُوعَةٍ لَهُ ، إِذِ الْمَجَازُ هُوَ اسْمٌ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي يُنْتَقَلُ فِيهِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، فَجُعِلَ ذَلِكَ لِنَقْلِ الْأَلْفَازِ مِنَ الْحَقِيقَةِ إِلَى غَيْرِهَا .

وَإِذَا كَانَ كُلُّ مَجَازٍ لَا يَدُلُّهُ مِنْ حَقِيقَةٍ نُقِلَ عَنْهَا إِلَى حَالَتِهِ الْمَجَازِيَّةِ ، فَكَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ ضَرُورَةٍ كُلِّ حَقِيقَةٍ أَنْ يَكُونَ لَهَا مَجَازٌ ، فَإِنَّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا لَا مَجَازَ لَهُ ، كَأَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ ، لِأَنَّهُا وُضِعَتْ لِلْفَرْقِ بَيْنَ الذَّوَاتِ ، لَا لِلْفَرْقِ بَيْنَ الصِّفَاتِ .

وَكَذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْمَجَازَ أَوَّلَى بِالِاسْتِعْمَالِ مِنَ الْحَقِيقَةِ فِي بَابِ الْفَصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ (٤) ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَكَانَتِ الْحَقِيقَةُ الَّتِي هِيَ الْأَصْلُ أَوَّلَى مِنْهُ ، حَيْثُ هُوَ فَرْعٌ عَلَيْهَا ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، لِأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ وَتَحَقَّقَ أَنَّ فَائِدَةَ الْكَلَامِ الْخَطَائِيَّ هُوَ إِثْبَاتُ الْغُرُضِ الْمَقْصُودِ فِي نَفْسِ السَّامِعِ بِالتَّخْيِيلِ وَالتَّصْوِيرِ ، حَتَّى يَكَادُ يُنْظَرُ إِلَيْهِ عِيَانًا .

أَلَا تَرَى أَنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِنَا : « زَيْدٌ أَسَدٌ » هِيَ قَوْلُنَا : « زَيْدٌ شَجَاعٌ » لَكِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فِي التَّصْوِيرِ وَالتَّخْيِيلِ ، وَإِثْبَاتِ الْغُرُضِ الْمَقْصُودِ فِي نَفْسِ السَّامِعِ ، لِأَنَّ

== وَالْأَوَابِدُ جَمْعُ أَبْدَةِ الْوَحْشِ ، قَالَ أَبُو هِلَالٍ : وَالْحَقِيقَةُ مَانِعُ الْأَوَابِدِ مِنَ الزَّهَابِ وَالْإِفْلَاتِ ، وَالِاسْتِعَارَةُ أَبْلَغُ ؛ لِأَنَّ الْقَيْدَ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ تَمَنُّعٍ عَنِ التَّصَرُّفِ ، لِأَنَّكَ تَشَاهِدُ مَا فِي الْقَيْدِ مِنَ الْمَنْعِ ، فَلَسْتَ تَشْكُ فِيهِ .

(٣) سُورَةُ يُوسُفَ : آيَةُ ٨٢

(٤) هَذَا رَأْيٌ مِنَ الْأَرْوَءِ الشَّائِعَةِ ، وَلَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْبَلَاغَةُ مُطَابَقَةً لِمَقْتَضَى الْحَالِ ، كَانَتِ الْبَلَاغَةُ فِي الْمَجَازِ كَمَا تَكُونُ فِي الْحَقِيقَةِ ، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُوَدِّ الْمَجَازُ غَرَضًا مِنَ الْأَغْرَاضِ الْبَلَاغِيَةِ لَا تَوَدِّيهِ الْحَقِيقَةُ لَكَانَتِ الْحَقِيقَةُ أَوَّلَى مِنْهُ بِالِاسْتِعْمَالِ . وَقَدْ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ نَفْسَهُ فِيمَا يَلِي بَعْضَ الْأَغْرَاضِ الَّتِي يَفْضِلُ بِهَا الْمَجَازَ الْحَقِيقَةَ ؛ وَعَادَ إِلَى الرَّأْيِ الَّذِي قُلْنَا .

قولنا : « زيد شجاع » لا يتخيل منه السامع سوى أنه رجلٌ جرىءٌ مقدّمٌ ، فإذا قلنا « زيد أسد » يتخيل عند ذلك صورة الأسد وهيئته ، وما عنده من البطش والقوة ودقّ الفرائس ، وهذا لا نزاع فيه . وأعجب ما في العبارة المجازية أنها تنقل السامع عن خلقه الطبيعي في بعض الأحوال حتى أنها ليسمحُ بها البخيلُ ، ويشجعُ بها الجبان ، ويحكمُ بها الطائشُ المتسرّع ، ويجد المخاطبُ بها عند سماعها نشوةً كشوة الخمر ، حتى إذا قطع عنه ذلك الكلامُ أفاق ونديم على ما كان منه من بذلٍ مالٍ ، أو ترك عُقوبة ، أو إقدام على أمرٍ مهولٍ . وهذا هو مَحْوَى السّحر الحلال ، المستغنى عن إلقاء العصا والحبال .

واعلم أنه إذا وردَ عليك كلامٌ يجوز أن يُحملَ معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه ، فانظر ، فإن كان لا مزيةَ لمعناه في حمّله على طريق المجاز ، فلا ينبغي أن يُحملَ إلا على طريق الحقيقة ، لأنها هي الأصلُ ، والمجاز هو الفرع ، ولا يُعدّلُ عن الأصلِ إلى الفرع إلا لفائدةٍ مثالُ ذلك قولُ البُحرى :
 مَهيبٌ كحدِّ السِّيفِ لو ضَرَبَتْ بِهِ ذَرًّا أَجًّا ظَلَّتْ وَأَعْلَامُهَا وَهْدٌ^(٥)
 ويروى أيضاً « لو ضَرَبَتْ بِهِ طَلْيٌ أَجًّا » جمع طُلِيّة . وهي العنق . فهذا البيتُ لا يجوزُ حمّله على المجاز . لأنّ الحقيقةَ أوّلَى به ألا ترى أن « الذَّرًّا » جمع « ذَرَّة » وهو أعلى الشئ ، يقالُ : ذَرَّةُ الجبلِ أعلاه . والطلّي جمع طُلِيّة وهي العنق ، والعنق أعلى الجسد ؛ ولا فرقَ بينهما في صفة العلوّ هنا ، فلا يُعدّلُ إذاً إلى المجاز ، إذ لا مزيةَ لَهُ على الحقيقة .

وهكذا كلُّ ما يجيئُ من الكلامِ الجارى هذا المجرى ، فإنّه إن لم يكنْ في المجاز زيادةٌ فائدةً على الحقيقة لا يُعدّلُ إليه . . .

(٥) ديوان البحري ١١٠/١ وأجأ أحد جبلى طيء أجأ وسلمى ، والوهد والوهدة الأرض المنخفضة والهوة في الأرض ، والبيت من قصيدته التي يصف فيها الذئب حين لقيه ، ورواية الديوان :
 مهيباً كنصل السيف لو ضربت به ذرا أجأ ضلت وأعلامها وهْد
 وقيله :

بنى ناهل مهلا فإن ابن أحتكم له عزمات - هزل آرائها جد
 من هجمته لا تهيجوا سوى الردى وإن كان خرقا ما يحل له عقد

الفصل الثامن

فى الفصاحة والبلاغة

اعلم أن هذا بابٌ متعذرٌ على الوالج ، ومسلكتٌ متوعرٌ على الناهج ، ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرُونَ القولَ فيه ، والبحثَ عنه ، ولم أجِدْ من ذلك ما يعوّلُ عليه إلا القليل .

وغاية ما يقالُ فى هذا الباب أن « الفصاحة » هى الظهورُ والبيانُ فى أصلِ الوضعِ اللغوى ، يقال « أَفْصَحَ الصُّبْحُ » إذا ظهر ، ثم إنَّهم يقفونَ عند ذلك ، ولا يكشفونَ عن السرِّ فيه .

وبهذا القولِ لا تبينُ حقيقةُ الفصاحة ، لأنَّه يُعترضُ عليه بوجوهٍ من

الاعتراضات :

أحدهما : أنَّه إذا لم يكن اللفظُ ظاهراً بينا لم يكن فصيحاً ، ثم إذا ظهر وتبين صار فصيحاً .

الوجهُ الآخرُ : أنَّه إذا كان اللفظُ الفصيحُ هو الظاهرُ البين ، فقد صارَ ذلك بالنسبِ والإضافاتِ إلى الأشخاص ، فإنَّ اللفظَ قد يكونُ ظاهراً لزيدٍ ، ولا يكونُ ظاهراً لعمرو . فهو إذاً فصيحٌ عند هذا ، وغيرُ فصيحٍ عند هذا . وليسَ كذلك ، بل الفصيحُ هو فصيحٌ عند الجميع ، لا خلافَ فيه بحالٍ من الأحوالِ ؛ لأنَّه إذا تحقَّقَ حدُّ الفصاحة ، وعُرفَ ماهي ، لم يبقَ فى اللفظِ الذى يختصُّ به خلاف .

الوجه الثالثُ : أنَّه إذا جئنا بلفظٍ قبيحٍ ينبو عنه السمعُ ، وهو مع ذلك ظاهرٌ بينٌ ، ينبغى أن يكونَ فصيحاً ، وليسَ كذلك . لأنَّ الفصاحةَ وصْفُ حُسْنِ اللفظِ لا وصْفُ قبح .

فهذه الاعتراضاتُ الثلاثةُ واردةٌ على قولِ القائل : إن اللفظَ الفصيحَ هو الظاهرُ

البين ، من غيرِ تفصيل .

ولمّا وقفت على أقوال الناس في هذا الباب ملكتنى الحيرة فيها ، ولم يثبت
عندى منها ما أُعول عليه ، ولكثرة ملابستي هذا الفن ، ومعاركتي إيّاه ، انكشف لي
السّر فيه ، وسأوضحه في كتابي هذا ، وأحقّق القول فيه ، فأقول :

إنّ الكلام الفصيح هو الظاهر البين ، وأعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه
مفهومة ، لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتاب لغة . وإنّا كانت بهذه
الصفة ، لأنّها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر ، دائرة في كلامهم .
وإنّا كانت مألوفة الاستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسنها .
وذلك أنّ أرباب النظم والنثر غرّبوا اللغة باعتبار ألفاظها ، وسبّروا وقسموا ،
فاجتاروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه . ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه فحسن
الألفاظ ^(١) سبب استعمالها دون غيرها ، واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها ،
فالفصيح إذاً من الألفاظ هو الحسن .

فإن قيل : من أيّ وجه علّم أرباب النظم والنثر الحسن من الألفاظ حتى
استعملوه ، وعلموا القبيح منها حتى نفوه ولم يستعملوه ؟
قلت في الجواب : إنّ هذا من الأمور المحسوسة ، التي شاهدها من نفسها : لأنّ
الألفاظ داخلة في حيز الأصوات ؛ فالذي يستلذه السمع منها ، ويميل إليه هو
الحسن ، والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح .

ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البُلبُل من الطّيْر ، وصوت الشّحرور ، ويميل
إليهما ، ويكره صوت الغراب وينفر عنه ، وكذلك يكره نهيق الحمار ولا يجد
ذلك في صهيل الفرس ؟ والألفاظ جارية هذا المجرى ، فإنّه لا خلاف في أنّ لفظة
« المزنة » و « الدّيمة » حسنة يستلذها السمع ، وأنّ لفظة « البُعاق » قبيحة يكرهها
السمع . وهذه اللفظات الثلاثة من صفة المطر ، وهي تدلّ على معنى واحد ، ومع
هذا فإنّك ترى لفظتي « المزنة » و « الدّيمة » وما جرى مجراها مألوفة الاستعمال ،
وترى لفظ « البُعاق » وما جرى مجراه متروكاً لا يُستعمل وإن استعمل ، فإنّا

(١) في الأصل « وحسن الاستعمال » وهو تكرار يختل به المعنى .

يستعمله جاهلٌ بحقيقة الفصاحة ، أو مَنْ ذوقه غير سليمٍ لا جرم أنه ذمَّ وقُدح فيه ، ولم يلتفت إليه ، وإن كان عَرَبِيًّا محضاً من الجاهليَّة الأقدمين . فإنَّ حقيقة الشَّيء إذا عَلِمْتَ وَجَبَ الوقوفُ عندها ، ولم يُعْرَجْ على ما خَرَجَ عنها .

وإِذَنْ ثَبَتَ أَنَّ الفصيحَ من الألفاظ هو الظاهرُ البين . وإنما كان ظاهراً بيِّناً ، لأنه مألوفٌ الاستعمال . وإنما كان مألوفَ الاستعمال لمكانِ حُسْنِهِ ، وحُسْنُهُ مُدْرِكٌ بالسمع . والذي يُدْرِكُ بالسمع إنما هو اللَّفْظُ ، لأنَّه صوتٌ يأتلفُ عن مخارج الحروفِ فما استلذَّه السمعُ منه فهو الحسنُ ، وما كرهه فهو القبيحُ . والحسنُ هو الموصوفُ بالفصاحة ، والقبيحُ غيرُ موصوفٍ بفصاحةٍ ، لأنَّه ضدها لمكانِ قُبْحِهِ . وقد مثَّلْتُ ذلك في المثالِ المتقدمِ بلفظةٍ « المزنة » و « الديمة » ولفظةٍ « البُعاق » .

ولو كانت الفصاحةُ لأمرٍ يرجعُ إلى المعنى لكانتْ هذه الألفاظُ في الدلالة عليه سواء ، ليس منها حسنٌ ومنها قبيحٌ . ولمَّا لم يكنْ كذلك علمنا أنَّها تخصُّ اللفظَ دونَ المعنى .

وليس لقائل هاهنا أن يقولَ : لا لَفْظَ إِلَّا بمعنى ، فكيف فَصَلْتَ أنت بين اللفظِ والمعنى ؟ فإني لم أَفْصِلْ بينهما ، وإنما خَصَصْتُ اللفظَ بصفة هي له ، والمعنى بجيئ فيه ضِمْنًا وتبعًا .

الوجهُ الثَّانِي أن وزنَ « فَعِيل » هو اسمُ فاعلٍ من « فَعَلَ » بفتح الفاء وضم العين ، نحو كَرَّمَ فهو كريم . وشَرَّفَ فهو شريف ، ولَطَّفَ فهو لطيف ، وهذا مُطَرِّدٌ في بابه وعلى هذا فَإِنَّ اللفظَ الفصيحَ هو اسمُ فاعلٍ من فَصَّحَ فهو فصيح ، واللفظ هو الفاعلُ للإبانة عن المعنى ، فكانت الفصاحة مختصةً به .

فإن قيلَ : إِنَّكَ قلتَ : إِنَّ الفصيحَ من الألفاظ هو الظاهرُ البين ، أى المفهومُ ، ونرى أن من آياتِ القرآن ما لا يُفْهَمُ ما تَضَمَّنَتْهُ من المعنى إلا باستنباطٍ وتفسير ، وتلك الآياتُ فصيحةٌ لا محالة ، وهذا بخلاف ما ذكرته .

قلتُ : لأنَّ الآياتِ التي تُسْتَنْبَطُ ، وتَحْتَاجُ إلى تفسير ، ليس شَيْءٌ منها إلا

ومفردات ألفاظه كلها ظاهرة واضحة. وإنما التفسير يقع في غموض المعنى من جهة التركيب، لا من جهة اللفاظ المفردة، لأن معنى المفردة يتداخل بالتركيب، ويصير له هيئة تخصه وهذا ليس قدحاً في فصاحة تلك الألفاظ، لأنها إذا اعتبرت لفظة لفظة، وجدت كلها فصيحة، أى ظاهرة واضحة، وأعجب ما في ذلك أن تكون الألفاظ المفردة التي تركبت منها المركبة واضحة كلها، وإذا نظرت إليها مع التركيب احتاجت إلى استنباط وتفسير. وهذا لا يختص به القرآن وحده، بل في الأخبار النبوية والأشعار والخطب والمكاتبات كثير ذلك، وسأورد هاهنا منه شيئاً، فأقول: قد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «صومكم يوم تصومون، وفطركم يوم تفطرون، وأضحاكم يوم تضحون» وهذا الكلام مفهومة مفردات ألفاظه، لأن الصوم والفطر والأضحى مفهوم كله. وإذا سمع هذا الخبر من غير فكرة قيل: علمنا أن صومنا يوم نصوم، وفطرننا يوم نفطر، وأضحانا يوم نضحى، فما الذي أعلمنا به مما لم نعلمه؟

وإذا أمعن الناظر نظره فيه علم أن معناه يحتاج إلى استنباط. والمراد به أنه إذا اجتمع الناس على أن أول شهر رمضان يوم كذا، ولم يكن ذلك اليوم أوله فإن الصوم صحيح، وأوله هو ذلك اليوم الذي اجتمع الناس عليه. وكذا يقال في يوم الفطر ويوم الأضحى. ولهذا الخبر المشار إليه أشباه كثيرة، تفهم معاني ألفاظها المفردة، وإذا تركبت تحتاج في فهمها إلى استنباط.

وأما ما ورد من ذلك شعراً فكقول أبي تمام (٢):

وَلَهْتَ فَأَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا وَأَضَاءَ (٣) مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُظْلَمٍ

فإن الولة والظلمة والإضاءة كل ذلك مفهوم المعنى، لكن البيت يحملته يحتاج في فهمه إلى استنباط. والمراد به أنها ولهت فأظلم ما بيني وبينها، لما نالني من الجرع لولها، كما يقول الجازع: أظلمت الأرض على، أى أنى صيرت كالأعمى

(٢) ديوان أبي تمام ٣١٢ وهو من قصيدة في مدح أبي الحسين محمد بن الهيثم ومطلعها:

نثرت فريد مدامع لم تنظم والدمع يحمل بعض شجو المغرم

(٣) رواية الديوان «وأنا».

الذى لا يُبصر. وأما قوله « وأضاءَ منها كلُّ شيءٍ مظلم » أى وَضَحَ لى منها ما كان مُستتراً عني من حبِّها إياى .

وكذلك ورد قول أبى عبادة البحرى فى منهزم^(٤) :

إذا سار سَهْباً عاد ظهراً عَدُوَّهُ وكان الصَّدِيقَ بكرةً ذلك السَّهْبُ
فإنَّ السَّيرَ ، والسَّهْبَ والظَّهْرَ ، والعَدُوَّ ، والصَّدِيقَ ، كلُّ ذلك مفهومُ المعنى . لكنَّ البيتَ بمجموعه يحتاجُ معناه إلى استنباطٍ . والمرادُ أنَّ هذا المنهزم يرى ماين يديه محبوباً إليه ، وما خَلَفَهُ مكروهاً عنده . لأنه يطلبُ النجاةَ فيؤثِّرُ البُعْدَ مما خَلَفَهُ ، والقربَ ممَّا أمامه ، فإذا قطعَ سَهْباً ، وخلفه وَرَاءَهُ صارَ عنده كالعدو . وقبل أن يقطعه كان له صديقاً ، أى يطلب لقاءهُ ، ويحبُّ الدنوَّ منه .

فانظر أيها المتأملُ إلى ما ذكرته من هذه الأمثلةِ ، حتى يثبتَ عندك ما أردت بِيَانِهِ .

وأما البلاغةُ : فإنَّ أصلها فى وضع اللغة من الوُصُولِ والانتهاء ، يقال : بَلَغَ المكانَ ، إذا انتهيت إليه ، ومبلغُ الشيءِ منتهاهُ . وسمى الكلامُ بليغاً من ذلك ، أى أنَّه قد بلغ الأوصافَ اللفظيةَ والمعنويةَ .

والبلاغة شاملةٌ للألفاظ والمعانى ، وهى أَخَصُّ من الفصاحة ، كالإنسان من الحيوان . فكلُّ إنسان حيوانٌ ، وليس كلُّ حيوانٍ إنساناً . وكذلك يقالُ : كل كلامٍ بليغٍ فصيحٌ . وليس كلُّ كلامٍ فصيحٍ بليغاً .

ويفرقُ بينها وبين الفصاحة من وجهٍ آخر غيرِ الخاصِّ والعامِّ ، وهو أنَّها لا تكونُ إلا فى اللفظِ والمعنى ، بشرطِ التركيب ، فإنَّ اللفظةَ الواحدة لا يطلقُ عليها اسمُ البلاغةِ ، ويطلقُ عليها اسمُ الفصاحةِ ، إذ يوجد فيها الوصفُ المختصُّ بالفصاحةِ ، وهو الحسنُ . وأما وصفُ البلاغةِ فلا يوجد فيها ، لخلوها من المعنى المفيد الذى ينتظم كلاماً .

(٤) ديوان البحرى ٧٨/٢ ، ومعنى السهب هنا القلاة .

مسألة تتعلق بهذا الفصل .

هل أخذ علم البيان من ضروب الفصاحة والبلاغة بالاستقراء من أشعار العرب ، أم بالنظر وقضية العقل ؟

الجواب عن ذلك أنا نقول : لم يؤخذ علم البيان بالاستقراء ، فإنَّ العرب الذين ألفوا الشعر والخطب لا يخلو أمرهم من حالين ، إمَّا أنَّهم ابتدَعُوا ما أتوا به من ضروب الفصاحة والبلاغة بالنظر وقضية العقل ، أو أخذوه بالاستقراء ممَّن كان قبلهم . فإنَّ كانوا ابتدَعُوهُ عند وقوفهم على أسرار اللغة ، ومعرفة جيدها من رديها ، وحسنها من قبيحها . فذلك هو الذي أذهب إليه وإن كانوا أخذوه بالاستقراء ممَّن كان قبلهم فهذا يتسلَّل إلى أوَّل من ابتدَعَهُ ولم يستقرِّهِ ، فإنَّ كلَّ لغة من اللغات لا تخلو من وصفي الفصاحة والبلاغة ، المختصين بالألفاظ والمعاني . إلَّا أنَّ اللغة العربية مزينة على غيرها ؛ لما فيها من التوسعات التي لا توجد في لغة أخرى سواها .

مسألة أخرى تتعلق بهذا الفصل أيضا

هل علم البيان من الفصاحة والبلاغة جار مجرى علم النحو أم لا ؟
الجواب عن ذلك أنا نقول : الفرق بينهما ظاهر ، وذاك أنَّ أقسام النحو أُخِذَتْ من واضعها بالتقليد ، حتى لو عكس القضية فيها لجاز له ذلك ، ولما كان العقل يأباه ولا ينكره ، فإنَّه لو جعل الفاعل منصوبا ، والمفعول مرفوعا ، قلَّد في ذلك ، كما قلَّد في رفع الفاعل ونصب المفعول . وأمَّا علم البيان من الفصاحة والبلاغة فليس كذلك . لأنَّه استنبط بالنظر وقضية العقل ، من غير واضع اللغة ، ولم يُفْتَقَر فيه إلى التوقيف منه ، بل أُخِذَتْ ألفاظ ومعان على هيئة مخصوصة ، وحكَّم لها العقل بمزية من الحسن ، لا يشاركها فيها غيرها ، فإنَّ كلَّ عارفٍ بأسرار الكلام من أيِّ لغة كانت من اللغات يعلم أنَّ إخراج المعاني في ألفاظ حسنة رائقة ، يلذُّها السمع ولا ينبو عنها الطبع ، خير من إخراجها في ألفاظ قبيحة مُستكرَّهة ، ينبو عنها السمع . ولو أَرَادَ واضع اللغة خلاف ذلك لما قلَّدناه .

فإن قيل : لو أُخِذَتْ أقسامُ النحو بالتقليد من واضعها لما أقيمت الأدلة عليها ،
وعُلِمَ بقضية النظر أن الفاعل يكون مرفوعاً ، والمفعول منصوباً .
فالجواب عن ذلك أنا نقول : هذه الأدلة واهية ، لا تثبت على محك الجدَل ،
فإن هؤلاء الذين تصدوا لإقامتها سمعوا عن واضع اللغة رفعَ الفاعل ونصبَ
المفعول ، من غير دليل أبداً لهم ، فاستخرجوا لذلك أدلةً وعِللاً ، وإلا فمن أين
علم هؤلاء أن الحكمة التي دعت الواضع إلى رفع الفاعل ، ونصب المفعول هي التي
ذكروها ؟

الفصل التاسع

في أركان الكتابة

اعلم أن للكتابة شرائط وأركاناً أما شرائطها فكثيرة ، وهذا التأليف موضوعٌ
لمجموعها وللقسم الآخر من الكلام المنظوم .
وليس يلزم الكاتب أن يأتي بالجميع في كتاب واحد ، بل يأتي بكل نوعٍ من
أنواعها في موضعه الذي يليق به ، كما أريناه فيما يأتي من هذا التأليف .
وأما الأركان التي لا بد من إيداعها في كل كتاب بلاغى ذى شأن فخمسة :
الأول : أن يكون مطلع الكتاب عليه جِدَّةٌ ورشاقةٌ . فإن الكاتب من أجاد
المطلع والمقطع ، أو يكون مبنياً على مقصد الكتاب . ولهذا بابٌ يسمى باب
« المبادئ والافتتاحات » ^(١) فليحذُ حذوه . وهذا الركنُ يشترك فيه الكاتبُ
والشاعرُ .

الركنُ الثاني : أن يكون الدعاء المودعُ في صدر الكتاب مُشتقاً من المعنى الذى
بنى عليه الكتاب : وقد نبهنا على طرفٍ من ذلك في باب يخصه ^(٢) أيضاً ، فليطلبُ

(١) هو النوع الثانى والعشرون من ضروب الصناعة المعنوية ، وسيأتى .

(٢) هو باب الاشتقاق وهو النوع السادس والعشرون من ضروب الصناعة المعنوية .

من هناك. وهو مما يدل على حداقة الكاتب وفطانتِهِ ، وكثيراً ما تجده في مكاتباتي التي أنشأتها ، فإنني قصدته فيها ، وتوخيته بخلافِ غيري من الكتّاب ، لأنه ربّما يوجد في كتابة غيري قليلاً ، وتجده في كتابتي كثيراً.

الركنُ الثالثُ : أن يكون خروجُ الكاتب من معنى إلى معنى برباطة ، لتكون رقابُ المعاني آخذةً بعضها ببعض ، ولا تكون مُقتَضِبةً ، ولذلك بابٌ مفردٌ أيضاً يسمّى باب « التخلّص والاقْتضاب »^(٣) . وهذا الركنُ أيضاً يشترك فيه الكاتب والشاعر.

الركنُ الرابعُ : أن تكون ألفاظُ الكتاب غير مخلوّلة بكثرة الاستعمال ، ولا أريدُ بذلك أن تكون ألفاظاً غريبة ، فإنّ ذلك عيبٌ فاحشٌ ، بل أريدُ أن تكون الألفاظُ المستعملة مَسبُوكَة سبكاً غريباً ، يظن السّامعُ أنها غيرُ ما في أيدي الناس ، وهي مما في أيدي الناس . وهناك مُعْتَرَك الفصاحة الذي تُظهِرُ فيه الخواطرُ براعتها ، والأقلامُ شجاعتهَا ، كما قال البُحْتَرى .

باللفظِ يَقْرَبُ فَهْمُهُ فِي بُعْدِهِ عَنَّا وَيَبْعُدُ نَيْلُهُ فِي قُرْبِهِ^(٤).

وهذا الموضع بعيدُ المنال ، كثيرُ الإشكالِ ، يحتاجُ إلى لُطْفِ ذوقٍ ، وشَهامةِ خاطر ، وهو شبيهٌ بالشَّيء الذي يقالُ إنه « لا داخل العالم ولا خارج العالم » فلفظه هو الذي يستعمل ، وليس بالَّذي يستعملُ ، أى أنّ مفردات ألفاظه هي المستعملة المألوفة ، ولكنَّ سَبْكُهُ وتركيبه هو الغريبُ العجيبُ .

وإذا سمّوتَ أيُّها الكاتب إلى هذه الدرجة ، واستطعمتَ طعمَ هذا الكلام المشار إليه عَلِمْتَ حينئذٍ أنّه كالروح السّاكنة في بدنك التي قال الله فيها : « قُلِ الرُّوحُ

(٣) في الأصل « التخليص » والتخلّص والاقْتضاب هو النوع الثالث والعشرون من ضروب الصناعة

المعنوية .

(٤) ديوان البُحْتَرى ١٩٩/٢ ورواية الديوان « منا » موضع « عنا » والبيت من قصيدة يمدح بها الحسن بن

وهب .

مِنْ أَمْرِ رَبِّي» (٥) وليس كلُّ خاطِرٍ يَراقِي إلى هذه الدَّرَجَةِ ، « ذلكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » (٦) .

ومع هذا فلا تظنَّ أيُّها الناظر في كتابي أَنِّي أردتَ بهذا القولِ إهمالَ جانبِ المعاني ، بحيثُ يُوْتَى باللفظِ الموصوفِ بصفاتِ الحُسْنِ والمَلَاخَةِ ، ولا يكونَ تحتَه من المعنى ما يماثلُه ويساويه ، فَإِنَّه إذا كان كذلكَ كانَ كصورةٍ حَسَنَةٍ بديعةٍ في حُسْنِها ، إلا أَنَ صاحبها بليدٌ أَبلَهُ والمرادُ أَن تكونَ هذه الألفاظُ المشارُ إليها حَسَمًا لمعنى شريفٍ .

على أَنَ تحصيلَ المعاني الشريفةِ على الوجهِ الذي أَشَرْتُ إليه أيسرُ من تحصيل الألفاظِ المشارِ إليها .

ويحكى عن المبرد - رحمه الله تعالى - أنه قال : ليس أحدٌ في زمانِي إلاَّ وهو يسألُنِي عن مُشْكَلٍ من معاني القرآن ، أو مُشْكَلٍ من معاني الحديث النبويِّ ، أو غير ذلك من مشكلات علم العربيَّة ، فأنا إمامُ الناسِ في زمانِي هذا ، وإذا عَرَضَتْ لِي حاجةٌ إلى بعضِ إخوانِي ، وأردتُ أَن أكتبَ إليه شيئاً في أمرِها أَحَجِمُ عن ذلك ، لأنِّي أرتبُ المعنى في نفسي ، ثم أحاول أَن أصوغَه بألفاظٍ مرضِيَّةٍ ، فلا أستطيعُ ذلك ! ولقد صدقَ في قوله هذا ، وأنصفَ غايةَ الإنصافِ .

ولقد رأيتُ كثيراً من الجهَّالِ الذين هُمُ من السُّوقَةِ أربابِ الحرفِ والصَّنائعِ ، وما منهم إلاَّ مَنْ يَقَعُ له المعنى الشريفُ ، ويظهرُ من خاطره المعنى الدقيقُ ، ولكنَّه لا يحسنُ أَن يُزَاجَ (٧) بينَ لفظَينِ فالعبارةُ عن المعاني هي التي تُخَلِّبُ بها العقولُ . وعلى هذا فالناسُ كلُّهم مشرَّكون في استخراجِ المعاني ، فَإِنَّه لا يمنعُ الجاهلَ الذي لا يعرفُ علماً من العلوم أَن يكونَ ذكياً بالفطرة . واستخراجُ المعاني إنما هو بالذكاء ، لا بتعلُّمِ العِلْمِ .

وَبَلَّغْنِي أَنَّ قوماً ببغدادَ من رِعاةِ العامةِ يَطُوفُونَ بالليلِ في شهرِ رمضانَ على

(٥) سورة الإسراء : آية ٨٥ . (٦) سورة الحديد : آية ٢١ .

(٧) في الأصل « يزوج » وهو تحريف . والمزاوجة من فنون البلاغة .

الحاراتِ وَيُنَادُونَ بِالسَّحُورِ ، ويخرجونَ ذلكَ في كلامٍ موزونٍ على هيئة الشعرِ ، وإن لم يكنْ من بحارِ الشعرِ المنقولةِ عن العربِ ، وسمعتُ شيئاً منه فوجدتُ فيه معاني حسنةً مليحةً ، ومعاني غريبةً ، وإن لم تكن الألفاظُ التي صيغتْ به صيغةً . وهذا الركنُ أيضاً يشترك فيه الكاتب والشاعر .

الركن الخامس : أن لا يخلو الكتاب من معني من معاني القرآن الكريم والأخبار النبويّة ، فإنها معدنُ الفصاحة والبلاغة . وإيراد ذلك على الوجه الذي أشرت إليه في الفصل الذي يلي هذا الفصل من حلّ معاني القرآن الكريم والأخبار النبويّة أحسن من إيرادِهِ على وجه التّضمين . وتوخى ذلك في كل كتابٍ عسيرٍ جدّاً . وأنا انفردتُ بذلك دونَ غيري من الكتّابِ ، فإني استعملتُهُ في كل كتابٍ ، حتّى إنّه ليأتني في الكتاب الواحد في عدّة مواضع منه ، ولقد أنشأتُ تقليداً لبعض الملوك مما يكتُبُ من ديوانِ الخلافة ، ثمّ إني اعتبرتُ ما وردَ فيه من معاني الآيات والأخبار النبويّة ، فكان ما يزيدُ على الخمسين ، وهذا لا أتكلّفه تكلفاً ، وإنما يأتي على حَسَبِ ما يقتضيه الموضعُ الذي يُذكرُ فيه . وقد عرّفْتُك أيّها الكاتب كيفَ تستعمل ما تستعملهُ من ذلك في الفصل الذي يأتي بعدَ هذا الفصل ، فخذهُ من هناك . وهذا الركنُ يختصُّ بالكاتبِ دونَ الشّاعر ؛ لأنّ الشّاعر لا يلزمهُ ذلك . إذ الشعرُ أكثره مدائح ، وأيضاً فإنّه لا يتمكّنُ من صوغِ معاني القرآن والأخبار في المنظوم ، كما يتمكّنُ منه في المنثور . ولربّما أمكنَ ذلكَ في الشّيءِ اليسيرِ في بعض الأحيان . وإذا استكلّمتَ معرفةَ هذه الأركان الخمسة ، وأتيتَ بها في كل كتابٍ بلاغيٍّ ذي شأنٍ ، فقد استحققتَ حينئذٍ فضيلةَ التقدّم ، ووجب لك أن تسميَ نفسك كاتباً .

الفصل العاشر

في الطريق إلى تعلم الكتابة

هذا الفصل هو كثر الكتابة ومنبعها ، وما رأيتُ أحدًا تكلم فيه بشيءٍ ولما حُبِّبْتُ إلى هذه الفضيلة ، وبلغني الله منها ما بلغني وجدتُ الطريقَ ينقسم فيها إلى ثلاثِ شعبٍ :

الأولى : أن يتصفحَ الكاتبُ كتابة المتقدمين ويطلعَ على أوضاعهم في استعمال الألفاظ والمعاني ، ثمَّ يحدو حدوهم وهذه أدنى الطبقاتِ عندي .

الثانية : أن يمزجَ كتابة المتقدمين بما يستجيده لنفسه من زيادةٍ حسنةٍ ، إما في تحسين الألفاظ ، أو في تحسين معاني . وهذه هي الطبقة الوسطى ، وهي أعلى من التي قبلها .

الثالثة : أن لا يتصفحَ كتابة المتقدمين ، ولا يطلع على شيءٍ منها ، بل يصرف همه إلى حفظ القرآن الكريم ، وكثيرٍ من الأخبار النبوية ، وعدةٍ من دواوين فحول الشعراء ، ممن غلبَ على شعره الإجادة في المعاني والألفاظ ، ثم يأخذُ في الاقتباس من هذه الثلاثة ، أعني القرآن والأخبار النبوية والأشعار ، فيقوم ويقع ، ويخطئ ويصيب ، ويضل ويهتدي ، حتى يستقيم على طريقة يفتحها لنفسه ، وأخلقُ بتلك الطريق أن تكون مبتدعةً غريبةً ، لا شركة لأحد من المتقدمين فيها ، وهذه الطريق هي طريق الاجتهاد ، وصاحبها يعدُّ إمامًا في فن الكتابة ، كما يعد الشافعي وأبو حنيفة ومالك ، رضي الله تعالى عنهم ، ونهرهم من الأئمة المجتهدين في علم الفقه ، إلا أنها مستوعرةٌ جدًا ، ولا يستطيعها إلا من رزقه الله تعالى لسانًا هجًا ، وخاطرًا رقًا . وقد سهلتُ لك صعباتها ودللتُ محاجها . وكنتُ أشحُّ بإظهار ذلك لِمَا عانيت من

نيله من العناء ، فإني سلكت إليه كلَّ طريقٍ حتى بَلَغْتُهُ آخِرًا . وإنما تكون نَفَاسَةٌ
الأشياء لِعِزَّةِ حُصُولِهَا ، ومَشَقَّةِ وُصُولِهَا :

لَيْسَ حُلُومًا وَجُودُكَ الشَّيْءَ تَبْغِيهِ طِلَابًا حَتَّى يَعِزَّ طِلَابُهُ ^(٨) .
ولقد مارستُ الكتابةَ ممارسةً كَشَفْتُ لِي عَنْ أَسْرَارِهَا ، وَأظْفَرْتَنِي بِكُنُوزِ
جَوَاهِرِهَا ، إِذْ لَمْ يَظْفَرْ غَيْرِي بِأَحْجَارِهَا ، فَمَا وَجَدْتُ أَعْوَنَ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهَا إِلَّا حَلَّ
آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ ، وَحَلَّ الْآيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ .

وَقَدْ قَصَرْتُ هَذَا الْفَصْلَ عَلَى ذِكْرِ وَجُوهِهَا وَتَقْسِيمِهَا ، وَتَهْمِيدِ الطَّرِيقِ إِلَى
تَعْلِيمِهَا ، فَمَنْ وَقَفَ عَلَى مَا ذَكَرْتُهُ عِلْمَ أَنِّي لَمْ آتِ شَيْئًا فَرِيًّا ^(٩) ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ
تَحْتَ خَوَاطِرِي مِنْ بَنَاتِ الْأَفْكَارِ سَرِيًّا ^(١٠) ، وَهَذِهِ الطَّرِيقُ يَجْهَلُهَا كَثِيرٌ مِنْ مُتَعَاظِي
هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، وَالَّذِي يَعْلَمُهَا مِنْهُمْ يَرْضَى بِالْحَوَاشِي وَالْأَطْرَافِ ، وَيَقْنَعُ مِنْ لَأْلِهَا
بِمَعْرِفَةِ مَا فِي الْأَصْدَافِ ، وَلَوْ اسْتَخْرَجَ مِنْهَا مَا اسْتَخْرَجْتُ ، وَاسْتَنْجَحَ مَا
اسْتَنْجَحْتُ ، لَهُامَ بِهَا فِي كُلِّ وَادٍ ، وَتَزَوَّدَ إِلَى سُلُوكِ طَرِيقِهَا كُلِّ زَادٍ :
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا خَرُوا لِعِزَّةِ رُكْعًا وَسُجُودًا ^(١١)

وَلَا أُرِيدُ بِهَذِهِ الطَّرِيقِ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ مُرْتَبِطًا فِي كِتَابَتِهِ بِمَا يَسْتَخْرِجُهُ مِنَ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ وَالشَّعْرِ ، بَحِثْ أَنَّهُ لَا يُنْشِئُ كِتَابًا إِلَّا مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ
أُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا حَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ، وَأَكْثَرَ مِنْ حِفْظِ الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ وَالْأَشْعَارِ ، ثُمَّ
نَقَّبَ عَنْ ذَلِكَ تَنْقِيبَ مُطَّلَعٍ عَلَى مَعَانِيهِ ، مُفْتَشِّشٍ عَنْ دِفَائِنِهِ ، وَقَلْبُهُ ظَهْرًا لِبَطْنِ ،
عَرَفَ حِينَئِذٍ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الْكَتِيفُ ، فِيمَا يُنْشِئُهُ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ ، وَاسْتَعَانَ بِالْمَحْفُوظِ عَلَى
الْغَرِيزَةِ الطَّبِيعِيَّةِ .

(٨) البيت للبحتري : ديوانه ٦٢/٢ . ورواية الديوان

ليس يحلو وجودك الشيء تبغيه التماساً حتى يعز طلابه

(٩) بديعاً عجيباً . والفري القطع كأنه يقطع العادة . والعبارة تضمنين قوله تعالى « قالوا يا مريم لقد جننت
شيئاً فرياً » سورة مريم : آية ٢٧ .

(١٠) السري النهر الصغير . والعبارة تضمنين قوله تعالى « قد جعل ربك تحتك سرياً » سورة مريم : آية ٢٤ .

(١١) البيت لكثير . ورواية الأمازي (ج ٢ ص ٧٥) :

لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة خاشعين سجودا ١٠١

أَلَا تَرَى أَنَّ صَاحِبَ الاجْتِهَادِ مِنَ الْفُقَهَاءِ يَفْتَقِرُ إِلَى مَعْرِفَةِ آيَاتِ الْأَحْكَامِ وَأَخْبَارِ
الْأَحْكَامِ ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ عِلْمِ
الْعَرَبِيَّةِ ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْفَرَائِضِ وَالْحِسَابِ مِنَ الْمَعْلُومِ وَالْمَجْهُولِ ، مِنْ أَجْلِ مَسَائِلِ
الدُّوْرِ وَالْوَصَايَا وَغَيْرِهَا ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ إِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ ؟ فَهَذِهِ أَدَوَاتُ الاجْتِهَادِ ، فَإِذَا
عَرَفَهَا اسْتَخْرَجَ بِفِكْرَتِهِ حِينَئِذٍ مَا يُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُ ؛ كَمَا فَعَلَ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ
وَمَالِكٌ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَتْمَّةِ الاجْتِهَادِ .

وكَذَلِكَ يَجْرِي الْحُكْمُ فِي الْكَاتِبِ إِذَا أَحَبَّ التَّرَقِّيَ إِلَى دَرَجَةِ الاجْتِهَادِ فِي
الْكِتَابَةِ ، فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ، قَدْ ذَكَرْتُهَا فِي صَدْرِ كِتَابِي هَذَا ، إِلَّا أَنَّ رَأْسَهَا
وَعَمُودُهَا وَذِرْوَةُ سَنَامِهَا ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءَ ، هِيَ حِفْظُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالْإِكْتِثَارُ مِنْ حِفْظِ
الْأَخْبَارِ النَّبَوِّةِ ، وَالْأَشْعَارِ .

وَحَيْثُ انْتَهَى بِنَا الْقَوْلِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَأَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ عَلَيَّ عَقَبَ دَنِّ أَنْ
أَقُولَ :

حل الأبيات الشعرية

ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول منها وهو أدناها مرتبة :

أن يأخذ الناثر بيتاً من الشعر ، فينثره بلفظه ، من غير زيادة . وهذا عيبٌ فاحش . ومثاله كمن أخذَ عِقْداً ، قد أُتِفِنَ نَظْمُهُ ، وأُحْسِنَ تَأْلِيفُهُ ، فَأَوْهَاهُ وَبَدَّه ، وكان يقومُ عُدْرُهُ في ذلكُ أنْ لَوْ نَقَلَهُ عن كونه عِقْداً إلى صورةٍ أخرى مثله ، أو أحسنَ منه . وأيضاً فإنه إذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السَّرقة ، فيقال : هذا شعر فلانٍ بَعِيْنُهُ ، لكون ألفاظه باقيةً . لم يتغير منها شيءٌ .

وقد سلكَ هذا المسلك بعضُ العراقيين . فجاء مُسْتَهْجِئاً ، ولا مُسْتَحْسِئاً ، كقوله

في بعض أبيات الحماسة ^(١) :

وَالدَّ ذِي حَقٍّ عَلَى كَأَنَّمَا تَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلٍ ^(٢)
أَرْجِيْتُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدُهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَظِرِ مِنْ عَلِيٍّ ^(٣)

فقال في نثر هذين البيتين : « فكم لَقِيَ الدَّ ذَا ^(٤) حَقٍّ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْكَوَاكِبِ مِنْ عَلِيٍّ . وَتَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلٍ ، فكواه فوقَ ناظرِهِ وَأَكْبَهُ لِفَمِهِ وَيَدَيْهِ » فلم يَزِدْ هذا الناثر على أن أزالَ رونقَ الْوِزْنِ ، وطلاوةَ النظم لا غير .

ومن هذا القسمُ صُرْبُ محمودٍ لا عيبَ فيه ، وهو أن يكونَ البيتُ من الشعر قد

(١) ديوان الحماسة ٢٣/١ والبيان لربيعه بن مقروم الضبي .

(٢) الألد الشديد الخصومة : والحق الغيظ : والمرجل القدر من نحاس : يقول : رب خصم تغلي

العداوة في صدره غليان المرجل مما فيه على النار .

(٣) أرجيته آخرته وصرفته : قال أبو الفتح بن جني : أكثر من نرى يروى هذا البيت أرجيته بالراء : فإذا

تعالى شيئاً رواه أرجأته بالهمز : وكلاهما تصحيف : وإنما هو أرجيته بالواو : أى أذلته وقهرته . يقول : رب

خصم صرفته عن نفسي . وقد أبصر رشده وكويته فوق نواظره من أعلاه .

(٤) في الأصل « ذى » .

تضمن شيئاً لا يمكن تغيير لفظه ، فحينئذ يُعذرُ ناثره . إذا أتى بذلك اللفظ . ومثاله قول الشاعر في أول الحماسة (٥) :

لو كنتُ من مَازِنٍ لم تَسْبِحْ إِيَّايَ بَنُو اللَّقِيْطَةِ مِنْ ذُهْلٍ بَنِ شَيْبَانَا
وقد نثرتُ ذلك ، فقلتُ : « لستُ ممن تَسْبِحُ إِيَّايَ بَنُو اللَّقِيْطَةِ . ولا الَّذِي إِذَا هَمَّ
بأمر كانت الآمالُ إليه وَسِيْطَةً . ولكنِّي أحملُ الهَمْلَ . وأقربُ الأمل . وأقول : سَبَقَ
السَّيْفُ الْعَذْلَ (٦) » : فذكرُ « بَنِي اللَّقِيْطَةِ » هاهنا لأبْدُ منه على حَسَبِ ما ذكره الشاعر .
وكذلك الأمثالُ السائرةُ فإنَّه لا بُدَّ من ذكرها على ما جاءتْ في الشعر .

وأما القسم الثاني وهو وسط بين الأول والثالث في المرتبة :

فهو (٧) أن يُنثرَ المعنى المنظوم ، ببعض ألفاظه ، ويعزَمَ عن البعض بألفاظٍ أخرى .
وهناك تظهرُ الصنعةُ في المماثلةِ والمُشابهةِ ، ومؤاخاةِ الألفاظِ الباقيةِ بالألفاظِ المرتجلةِ .
فإنَّه إذا أخذَ لفظاً لشاعرٍ مجيدٍ ، قد نَفَّحَه وصَحَّحَه ، فَقَرَنَه بما لا يُلائمُه كان كَمَنُ
جمعَ بينَ لَوْلُوَةٍ وَحَصَاةٍ ، ولا خفاءَ بما في ذلك من الانتصابِ للقَدَحِ . والاستهدافِ
للطَّعَنِ .

والطريقُ المسلوكُ إلى هذا القسمِ أن تأخذَ بعضَ بيتٍ من الأبياتِ الشعْريةِ ، هوَ
أحسنُ ما فيه ثم تماثله . وسأوردُ هاهُنا مثالا واحداً ، ليكونَ قُدْوَةً للمتعلمِ ، فأقول :
قد وَرَدَ هذا البيت من شعر أبي تمام في وصف قصيدة له :
حَذَاءَ تَمْلَأُ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً وبلاغَةً وَتَدِرُّ كُلُّ وَرِيدٍ (٨)

(٥) ديوان الحماسة ١٣/١ والبيت لقريط بن أنيف أحد بني العنبر .

(٦) مثل من أمثال العرب قاله ضبة بن أدلم لامة الناس على قتله قاتل ابنه في الحرم . انظر مجمع الأمثال للميداني ٢٤١/١ .

(٧) في الأصل « وهو » .

(٨) ديوان أبي تمام ٨٥ وهو من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دواد . ويعتذر إليه وقبله .

خذها مثقفة القوافي رها لسوايغ النعماء غير كنود

وفي الأصل « وحذاء » موضع « حذاء » والحذاء القارصة أو الطاعنة . وتدر : تحلب . والوريد عرق في العنق .

فقله . « تملأ كلُّ أذنٍ حكمةً » من الكلامِ الحسنِ ، وهو أحسن ما في البيت .
فإذا أردت أن تنثر هذا المعنى فلا بُدَّ من استعمال لفظه بعينه ، لأنَّه في الغاية القصوى
من الفصاحة والبلاغة ، فعليك حينئذٍ أن تؤاخيَه بمثله . وهذا عسيرٌ جداً ، وهو عندى
أصعبُ منالاً من نثر الشعر بغير لفظه ، لأنَّه مسلِّكٌ مضيقٌ ، لِمَا فيه من التعرُّض للمائلة
ما هو في غاية الحسن والجودة .

وأما نثر الشعر بغير لفظه ، فذلك يتصرَّف فيه نأثره على حسب ما يراه ، ولا يكونُ
مقيداً فيه بمثالٍ يضطرُّ إلى مؤاخاته .

وقد نثرتُ هذه الكلماتِ المشارِ إليها ، وأتيت بها في جملة كتاب فقلت : « وكلامى
قد عُرف بين الناس واشتهر ، وفاقَ مسيرَ الشمس والقمر ، وإذا عُرفَ الكلامُ صارت
المعرفة له علامةً ، وأمين من سرقته ، إذ لو سُرِق لدلَّت عليه الوسامة ، ومن خصائص
صفاته أن يملأ كلَّ أذنٍ حكمةً . ويجعل فصاحة كلِّ لسانٍ عجمةً ، وإذا جرَّت بفثاته في
الأفهامِ قالت : أهذه بنتُ فكرة ؟ أم بنتُ كرمة ؟ »

فانظر كيف فعلتُ في هذا الموضع ، فإنى لما أخذتُ تلكَ الكلماتِ من البيتِ
الشعرى التزمتُ بأنَّ أوأخيها بما هو مثبها ، أو أحسن منها فجئت بهذا الفصل كما تراه ،
وكذلك ينبغي أن يُفعلَ فيما هذا سبيله .

وأما القسم الثالث وهو أعلى من القسمين الأولين :

فهو أن يؤخذ المعنى ، فيصاغَ بالفاظٍ غير ألفاظه . وثمَّ يتبيَّن حدُّق الصائغِ في
صياغته ، ويُعلمُ مقدارُ تصرُّفه في صناعته ، فإن استطاعَ الزيادةَ على المعنى فتلك
الدرجة العالية ، وإلاَّ أحسنَ التصرُّفَ ، وأتقنَ التأليفَ : ليكونَ أولى بذلك المعنى من
صاحبه الأول .

واعلم أنَّ من أبيات الشعر ما يتَّسعُ المجالُ لنأثره ، فيوردهُ بضروب من العبارات ،
وذلك عندى شبيهٌ بالمسائلِ السَّيالة في الحساب ، التى يُجابُ عنها بعدَّة من الأجوبة
ومن الأبيات ما يضيقُ فيه المجالُ حتى يكادُ الماهرُ في هذه الصناعة ألاَّ يخرجَ عن ذلك
اللفظ ، وإنما يكون هذا لعدم النظر .

فَأَمَّا مَا يَتَّسِعُ الْمَجَالُ فِي نَثَرِهِ فَكَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :
 لَا تَعْدُلُ الْمُشْتَقَّ فِي أَشْوَاقِهِ حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ ^(٩)
 وَقَدْ نَثَرْتُ هَذَا الْمَعْنَى ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي : « لَا تَعْدُلُ الْحَبَّ فِيمَا يَهْوَاهُ ، حَتَّى تَطْوِيَ
 الْقَلْبَ عَلَى مَا طَوَاهُ » وَمِنْ ذَلِكَ وَجْهُ آخَرٌ وَهُوَ : « إِذَا اخْتَلَفَتِ الْعَيْنَانِ فِي النَّظَرِ ،
 فَالْعَدْلُ ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَرِ » .

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي أَيْضاً :
 إِنَّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدَمُوعِهِ مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ ^(١٠)
 أَخَذْتُ هَذَا الْمَعْنَى فَنَثَرْتُهُ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي : « الْقَتِيلُ بَسِيفِ الْعُيُونِ ، كَالْقَتِيلِ بِسِيفِ
 الْمُنُونِ ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُجَرَّدُ مِنْ غِمْدِهِ ، وَلَا يُقَادُّ صَاحِبُهُ بَعْمَدِهِ » فَرَدْتُ عَلَى الْمَعْنَى
 الَّتِي تَضَمَّنَهَا الْبَيْتُ ، وَغَيَّرْتُ اللَّفْظَ . وَمِنْ ذَلِكَ وَجْهُ آخَرٌ ، وَهُوَ « دَمْعُ الْحَبِّ وَدَمُ
 الْقَتِيلِ مُتَّفِقَانِ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّمثِيلِ ، وَلَا تَجِدُ بَيْنَهُمَا بَوْنًا ، إِلَّا أَنَّهَا يَخْتَلِفَانِ لَوْنًا » وَهَذَا
 أَحْسَنُ مِنَ الْأَوَّلِ .

وَأَمَّا مَا يَضِيقُ فِيهِ الْمَجَالُ ، فَيَعْسُرُ عَلَى النَّاثِرِ تَبْدِيلُ الْفَاضِلِ فَكَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :
 تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ ^(١١)
 وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ وَمِنْ جُثْثِ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ ^(١٢)
 وَأُمَثَالُ هَذَا لَا تَأْتِي إِلَّا قَلِيلًا ، وَسَبَبُهُ أَنَّ الْمَعْنَى يَنْحَصِرُ فِي مَقْصَدٍ مِنَ الْمَقَاصِدِ حَتَّى
 لَا يَكَادُ يَأْتِي إِلَّا فَذًّا كَهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، أَلَّا تَرَى أَنَّ أَبَا تَمَّامٍ قَصَدَ الْمُوَاحَاةَ فِي ذِكْرِ لَوْنِي

(٩) دِيوانُ الْمُتَنَبِّي ٦/١ : فِي الْأَصْلِ « لَا تَعْزَلِ » بِالزَّيْ : فِي الدِّيوانِ « لَا تَعْذَرِ » بِالذَّالِ وَالرَّاءِ : يَقُولُ :
 لَا تَكُنْ عَاذِرًا لِلْمُشْتَقِّ فِي شَوْفِهِ حَتَّى تَجِدَ مَا يَجِدُهُ . وَيَكُونُ قَلْبُكَ فِي قَلْبِهِ ، أَيْ نَحْبُ مِثْلُ مَا يَحْبُ ، وَهُوَ مِنْ
 قَوْلِ الْبَحْرِيِّ :

إِذَا شِئْتَ أَلَا تَعْدُلُ الدَّهْرَ عَاشِقًا عَلَى كَمَدٍ مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ فَاعْشُقْ
 (١٠) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ، وَيُرْوَى « إِنَّ الْمَشُوقَ » جَعَلَ جَرِيانَ الدَّمْعِ كَجَرِيانِ الدَّمَاءِ ، وَهَذَا لِأَنَّهُ جَعَلَ الْعَاشِقَ
 كَالْقَتِيلِ ، تَعْظِيمًا لِلْأَمْرِ .

(١١) دِيوانُ أَبِي تَمَّامٍ ٣٦٩ . وَيُرْوَى « فَمَا دَجَى » مُوَضِعٌ « فَمَا أَتَى » وَالسُّنْدُسُ نَوْعٌ مِنْ رَقِيقِ الدِّيْبَاجِ مَعْرَبٌ ،
 كُنِيَ بِالْأَوَّلِ عَنْ مَوْتِهِ قَتِيلًا . وَبِالثَّانِي عَنْ دَخُولِهِ الْحَنَةِ . (١٢) دِيوانُ الْمُتَنَبِّي ٣٨١/٣ .

الثياب من الأحمر والأخضر . وجاء ذلك واقعاً على المعنى الذى أرادته من لون ثياب القتلى وثياب الجنة . فإذا فك نظم هذا البيت ، وأريد صوغه بغير لفظه لا يمكن ذلك .

وبيت أبو الطيب جاز هذا المجرى : فإنه بناء على واقعة من الوقائع . وذلك أن حصناً من حصون سيف الدولة قصده الروم وانتزعوه وأخربوه . فنهد سيف الدولة إليه ، واسترجعه ، وجدد بناءه ، وهزم الروم ، ونصب من جثث القتلى على السور ، فنظم المتنسى في هذا قصيداً أوله :

* عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزَمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ (١٣) *

فلما انتهى إلى ذكر الحصن جاء بهذا البيت في جملة أبيات ، فشرح صورة الحال في إزعاج الحصن بالقتال ، وتعليق القتلى عليه . وأبرز ذلك في معنى التمثيل بالجنون والتمائم ، وهذا لا يمكن تبديل لفظه . وهو وأمثاله مما يجب على الناثر أن يحسن الصنعة في فك نظامه ، لأنه يتصدى لنثره بالفاظه . فإن كان عنده قوة تصرف ، وبسطة عبارة ، فإنه يأتي به حسناً رائعاً .

وقد نثرت هذين البيتين . أما بيت أبي تمام فإنه قلت في نثره : « لم تكسه المنايا نسج شفارها ، حتى كسته الجنة نسج شعارها . فبدل أحمر ثوبه بأخضره ، وكأس حمامه بكأس كوثره » . وهذا من الحسن على غاية يكون كمد حسودها من جملة شهودها .

وأما بيت أبي الطيب المتنسى فإنه قلت في نثره : « سرى إلى حصن كذا مستعيذاً منه سيئة نزعها العدو اختلاصاً ، وأخذها مخادعة لا افتراساً ، فما نزلها حتى استقادها ، ولا نزلها حتى استعادها . وكأنها كان بها جنون فبعث لها من عزائم عزائم ، وعلق عليها من رؤوس القتلى تمائم » . وفي هذا من الحسن مالا خفاء به ، فمن شاء أن ينثر شعراً فلينثر هكذا ، وإلا فليترك .

وقد جئت بهذا المعنى على وجه آخر ، وأبرزته في صورة أخرى . وذلك أني أضفت
إلى هذا البيت الذى قبله ، وهو :

بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا تَقْرُعُ الْقَنَا وَمَوْجُ الْمَنِيَا حَوْلَهَا مُتَلَاظِمٌ
ولما نثرت هذين البيتين قلتُ في نثرهما ما أذكره ، وهو « بنَاهَا والأَسَنَةُ في بنَائِهَا
مُتَخَاصِمَةٌ ، وأمواجُ المنيا فوق أيدى البانين متلاظمة وما أحلت الحرب عنها حتى
زُلزَلَتْ أَقْطَارُهَا بِرُكُضِ الْجِيَادِ ، وأُصِيبَتْ بِمِثْلِ الْجُنُونِ فَعَلَقَتْ عَلَيْهَا تَمَائِمٌ مِنَ الرُّؤُوسِ
وَالْأَجْسَادِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْحَرْبَ تَعْرُدُ عَمَّنْ عَزَّ جَانِبُهُ ، وتقول : أَلَا هَكَذَا فَلْيَكْسِبِ
الْمَجْدَ كَاسِيَهُ » وهذا أحسن من الأول . وأتم معنى .

وقد تصرفت في هذا الموضع بزيادة في معناه ، ونثرته على أسلوب أحسن من هذا
الأسلوب ، فقلت : « بَنَاهَا وَدُونِ ذَلِكَ الْبِنَاءِ شَوْكُ الْأَسَلِ ، وطوفانُ المنيا الذى لا
يقال سَاوَى مِنْهُ إِلَى جَبَلٍ ، وَلَمْ يَكُنْ بِنَاؤُهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ هُدِمَتْ رُءُوسٌ عَنْ أَعْنَاقٍ ،
وَكَانَهَا أُصِيبَتْ يَحْنُونُ فَعَلَقَتْ الْقَتْلَى عَلَيْهَا مَكَانَ التَّمَائِمِ ، أَوْ شِئَتْ بَعْطَلٍ فَعَلَقَتْ مَكَانَ
الْأَطْوَاقِ » وهذا الفصل فيه زيادة على الفصل الذى قبله .

★ وإذا انتهى بنا الكلام إلى هاهنا في التنبيه على نثر الشعر وكيفية نثره ، وذكر
ما يسهل منه وما يعسر ، فليتبع ذلك بقول كلى في هذا الباب ، فنقول :
مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا أَوْ كَانَ عِنْدَهُ طَبْعٌ مُجِيبٌ ، فعليه بحفظ الدواوين ذوات
العدد : ولا يقنع بالقليل من ذلك ، ثم يأخذ في نثر الشعر من محفوظاته : وطريقه أن
يبتدئ فيأخذ قصيداً من القصائد ، فينثره بيتاً بيتاً على التوالى . ولا يستنكف في
الابتداء أن ينثر الشعر بألفاظه أو بأكثرها ، فإنه لا يستطيع إلا ذلك . وإذا مررت نفسه
وتدرب خاطره ، ارتفع عن هذه الدرجة ، وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من
عنده . ثم يرتفع عن ذلك ، حتى يكسوه ضرباً من العبارات المختلفة ، وحينئذ يحصل
لخاطره بمباشرة المعانى لقاح ، فيستنجد منها معانى غير تلك المعانى ، وسيله أن يكثر
الإدمان ليلاً ونهاراً ، ولا يزال على ذلك مدة طويلة حتى يصير له ملكة ، فإذا كتب
كتاباً ، أو خطب خطبة تدفقت المعانى في أثناء كلامه ، وجاءت ألفاظه معسولة لا

مَعْسُولَةٌ ، وَكَانَ عَلَيْهَا حِدَةٌ ، حَتَّى تَكَادُ تَرْقُصَ رَقْصًا . وَهَذَا شَيْءٌ خَبِرْتُهُ بِالتَّجَرُّبَةِ ، وَلَا يُتَبَنَّى مِثْلُ خَبِيرٍ .

فَإِنْ قِيلَ : الْكَلَامُ قِسْمَانِ : مَنْظُومٌ ، وَمَنْثُورٌ فَلَمْ خَصَّصْتَ عَلَى حِفْظِ الْمَنْظُومِ ، وَجَعَلْتَهُ مَادَّةً لِلْمَنْثُورِ ، وَهَلَّا كَانَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ ؟

قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : إِنَّ الْأَشْعَارَ أَكْثَرَ ، وَالْمَعَانِي فِيهَا أَغْزَرُ . وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ الَّذِينَ هُمْ أَصْلُ الْفَصَاحَةِ جُلُّ كَلَامِهِمْ شِعْرٌ ، وَلَا نَجْدُ الْكَلَامَ الْمَنْثُورَ فِي كَلَامِهِمْ إِلَّا يَسِيرًا ، وَلَوْ كَثُرَ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُمْ ، بَلِ الْمَنْقُولُ عَنْهُمْ هُوَ الشَّعْرُ . فَأَوْدَعُوا أَشْعَارَهُمْ كُلَّ الْمَعَانِي كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ^(١٤) » ثُمَّ جَاءَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ مِنَ الْمُخَضَّرِمْ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَّا الشَّعْرُ ، ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ ، فَكَانَ الشَّعْرُ هُوَ الْأَكْثَرُ ، وَالْكَلَامُ الْمَنْثُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ قِطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ . وَلِهَذَا صَارَتِ الْمَعَانِي كُلُّهَا مُودَعَةً فِي الْأَشْعَارِ ، وَحَيْثُ كَانَتْ بِهِذِهِ الصُّورَةُ فَكَانَ حَتَّى عَلَى حِفْظِهَا ، وَاسْتِعْمَالِ مَعَانِيهَا فِي الْخُطْبِ وَالْمَكَاتِبَاتِ لِهَذَا السَّبَبِ .

وَقَدْ نَثَرْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ آيَاتًا تَكُونُ قُدْوَةً لِلْمَتَعَلِّمِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي فَصْلِ مِنْ فُصُولِ الْكَلَامِ يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ السِّيَادَةِ :

« وَهُوَ الشَّرِيفُ مَنْ شَرَّفَ بِنَفْسِهِ ، لَا بِمَا دُفِنَ مَعَ أَبِيهِ فِي رَمْسِهِ ، فَإِنَّ تِلْكَ مَكَارِمُ أُنْتَبَتْ فَتَجَمَّلَ الزَّمَانُ بِمَاتَاتِهَا ، ثُمَّ مَاتَ أَرْبَابُهَا فَدُفِنَتْ مَعَ مَوَاتَاتِهَا . وَلَوْ سَادَ النَّاسُ بِآبَائِهِمْ لَكَانَتِ السِّيَادَةُ لِلطَّيْنَةِ الْأُولَى . وَلَقَدْ خَلَقَ الْأَنْبَاءُ مِنَ الْآبَاءِ مَجْبُولًا » . وَهَذَا الْمَعْنَى مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظَمِ الرَّئِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَنْبَغِي الْفَخَارُ بِنَفْسِهِ
غَيْرَ أَنَّ الْفَصْلَ الَّذِي ذَكَرْتَهُ يَتَضَمَّنُ مِنَ الْمَعْنَى زِيَادَةً عَلَى مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْبَيْتُ .
وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبْتُهُ فِي فَصْلِ مِنْ كِتَابٍ يَتَضَمَّنُ مَعَاتِبَةَ أَخٍ لِأَخَوْتِهِ ، وَتَنْصَلُهُ إِلَيْهِمْ .
فَقُلْتُ :

« جَرَحُوا قَلْبِي ، وَحُبُّهُمْ يَذْهَبُ بَأْلَمِ الْجِرَاحَةِ ، وَطَرَفُوا عَيْنِي وَهُمْ يَزِيدُونَ فِي نَظَرِهَا مَلَاَحَةً . وَإِذَا صَدَرَتْ الْإِسَاءَةُ عَنِ الْأَحْبَابِ لَمْ يَكُنْ وَقَرُّهَا وَقَرًّا ، وَأَصْبَحَتْ وَهِيَ مَنِسَّةٌ إِذَا تَجَدَّدَتْ الْإِسَاءَةُ بِالذِّكْرِ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ سَيَّطَرَ دَمِي بِدَمِهِ ، وَلَجِمِي بِلَحْمِهِ ، وَلَوْلَا أَنَّ الْأَسْمَاءَ مَعَارِفَ الْأَشْخَاصِ لَكَانَ اسْمِي وَارِدًا عَلَى اسْمِهِ ، وَكَيْفَ أَخْشَنُ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ جَبَلَنِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى اللَّيْنِ ؟ أَمْ كَيْفَ أَذَوْدُ النَّفْسِ عَنْهُمْ وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنْهُمْ ، وَأَدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ ؟ وَمَتَى أُؤَمِّلُ مِنْ شَجَرَتِي أَغْصَانًا كَهَذِهِ الْأَغْصَانِ ، وَقَدْ أُصِيبَتْ جَرُّوْمَتُهَا بِالْجِدَادِ (١٥) ؟ وَلِهَذَا قِيلَ إِنَّ الْإِخْوَةَ يَتَعَذَّرُ الْإِعْتِيَاظُ عَنْهُمْ ، وَلَا يَتَعَذَّرُ الْإِعْتِيَاظُ عَنِ الْأَوْلَادِ » آخِرُ هَذَا الْفَصْلِ مَأْخُوذٌ مِنْ شِعْرِ ابْنِ الرُّومِيِّ ، وَهُوَ قَوْلُهُ (١٦) :

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَمْرَتِكَ حَيَاتَهُ وَوَشَكَ التَّعَزَّى عَنْ ثَمَارِكَ أَجْدَرُ
تَعَذَّرُ أَنْ تَعْتَاضَ عَنْ أُمَّهَاتِنَا وَأَبَائِنَا (١٧) وَالنَّسْلُ لَا يَتَعَذَّرُ

غَيْرَ أَنَّ ابْنَ الرُّومِيِّ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي تَعَزِّيَةِ إِنْسَانٍ بَابِنِهِ ، فَتَصَرَّفْتُ أَنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَنَقَلْتُهُ إِلَى هَذَا الْفَصْلِ فِي تَضَمُّنِهِ مَعَاتِبَةَ أَخٍ لِإِخْوَتِهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي فَصْلِ مِنْ كِتَابٍ يَتَضَمَّنُ ذِمَّ الْمَشِيبِ ، فَقُلْتُ :

« وَالْعَيْشُ كُلُّ الْعَيْشِ فِي سِنِّ الْحَدَاثَةِ ، وَمَا يَأْتِي بَعْدَهَا فَلَا يُدْعَى إِلَّا بِسَنٍّ الْعَثَاثَةِ ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ مِنْ مَصِيفٍ لِلذَّةِ وَلَا مَرْبَعٍ . وَهِيَ نَهَايَةُ الْقُوَّةِ الصَّالِحَةِ مِنَ الطَّبَائِعِ الْأَرْبَعِ . فَإِذَا تَجَاوَزَهَا الْمَرْءُ أَشْفَتْ ثَمَارُ عَمْرِهِ عَلَى حَرَصِهَا (١٨) . وَصَارَتْ زِيَادَتُهُ كَزِيَادَةِ التَّصْغِيرِ الَّتِي هِيَ زِيَادَةٌ تَدُلُّ عَلَى نَقْصِهَا . وَأَصْبَحَ بَعْدَ ذَلِكَ يُدْعَى أَبًا بَعْدَ أَنْ كَانَ يُدْعَى ابْنًا . وَتَقَمَّصَ ثَوْبًا مِنَ الْمَشِيبِ لَا يَجُرُّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ . وَلَا يُزْهَى بِهِ حُسْنًا . وَإِنْ قِيلَ : إِنْ أَحْسَنَ الثِّيَابَ شَعَارَ الْبَيَاضِ ، قِيلَ : إِلَّا هَذَا الثَّوْبَ فَإِنَّهُ مُسْتَشْنَى ، وَيَكْفِيهِ مِنَ الْفُضَاعَةِ أَنْ يَنْظُرَ الْأَحْبَابُ إِلَيْهِ نَظَرَ الْقِتَالِ . وَلَوْلَا أَنَّ الْحُمُودَ بَعْدَهُ

(١٥) الجداد القطع .

(١٦) ديوان ابن الرومي ١٠٤ .

(١٧) في الأصل « وأبنائنا » وهو خطأ ، والتصحيح عن الديوان .

(١٨) الحرص حزمًا على النخل من الرطب تمرًا .

لما استعير له لفظة الاشتغال . ومن الناس من يُدلس لونه بِصَبْغَةِ الخضاب . وليس ذلك إلا حِداداً على فَقْدِ الشباب . وهو في فعله هذا كاذب . ولا يخفى أنسُ الصّادق من وَحْشَةِ الكذاب . وخداعُ النفس أن تَسْلُو عن بُرْهِ المعطلة . وقصرهُ المشيد . ويحسن لها الخروج في ثوبٍ مرقع . وهى تراه بعينِ الثوبِ الجديد . وبعضُ هذا مأخوذ من شعرِ ابن الرومى . وهو قوله :

رَأَيْتُ خَضَابَ الْمَرْءِ بَعْدَ مَشْيِهِ حِدَادًا عَلَى شَرْخِ الشَّيْبَةِ يَلْبَسُ^(١٩)

غير أن في هذا الفصلِ معانى كثيرةً لطيفةً لا توجد في كلامٍ آخر .

ومن ذلك قولى في وصف الجود والسماء . وهذا الفصل يشتمل على معانٍ متعددة ، فمنها قولى في العطاء ، وهو :

شَافَهْتَنِى أَسْبَابُ الْغِنَى بِرُؤْيَتِهِ حَتَّى كَادَتْ تَنْطِقُ ، وَاخْضَرَّتْ أَكْنَانُ مَنْزِلِ بَعْطَائِهِ حَتَّى كَادَتْ تَوْرِقُ ، وَمِنْ فَضِيلَةِ بَرِّهِ أَنَّهُ لَا يَأْتِي بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ ، وَإِذَا غَرَسَهُ عِنْدَ إِنْسَانٍ رَبَّ ذَلِكَ الْغُرَاسِ ، فَلَا يَسْتَكْثِرُ مَا جَادَتْ بِهِ سَحَابُ يَدِهِ ، وَلَا يَمْنَعُهُ عَطَاءُ يَوْمِهِ عَنِ عَطَاءِ غَدِهِ » وبعضُ هذا المعنى مأخوذ من شعرِ أبى نواس :

كَانُوا إِذَا غَرَسُوا سَقَوْا وَإِذَا بَنَوْا لَمْ يَهْدُمُوا لِبَنَائِهِمْ آسَاسًا^(٢٠)

ومن هذا المعنى أيضاً قولى : « وَهُوَ أَخَذَ الْمَكَارِمَ مِنْ سَمَائِهَا وَأَرْضِهَا . وَقَامَ بِنَفْلِهَا فِي النَّاسِ وَفَرَضِهَا ، وَتَحَلَّى بِبَعْضِ أَسْمَاءِ الشُّهُورِ حَتَّى أَصْبَحَ بَعْضُهَا حَاسِدًا لِبَعْضِهَا . فَالْحَرَمُ لِلْعَائِدِ بِحَرَمِهِ . وَصَفَرٌ لِلطَّامِعِ فِي سَعَادَةِ قَدَمِهِ ، وَرَبِيعٌ لِرَائِدِ نَوَالِهِ . وَرَجَبٌ لِأَقْوَالِ عُدَالِهِ » . وهذا مأخوذ من قول الفرزدق :

يَدَاكَ يَدُ رُبَيْعِ النَّاسِ فِيهَا وَفَى الْآخَرَى الشُّهُورُ مِنَ الْحَرَمِ

وقد قال الشعراءُ في ذلك كثيراً إلا أنى أنا تصرّفتُ في هذا المعنى تصرّفاً لم يتصرّف فيه أحدٌ غيرى .

(١٩) ديوان ابن الرومى ٣٩٧ ورواية الديوان « رأيت خضاب المرء عند مشيه » .

(٢٠) ديوان أبى نواس ١٣٠ وهو من أبيات يبكى فيها البرامكة . وقد مرّ بدورهم . فكتبتها على حائط منها .

ومن هذا المعنى ما ذكرته في فصل من كتاب وهو .

ولقد سوى بين أعدائه في البُغض وبين أمواله فهذه مُغْنِيَةٌ بوقعِ نِصَالِهِ ، وهذه مُغْنِيَةٌ بصنائعِ نَوَالِهِ ، ولو أحبَّ المالَ لكانَ أحبه إليه ما يبدُّله ، كما أنَّ أحبَّ الناسِ إليه مَنْ يَسْأَلُهُ . ومنَ أَحْسَنَ ما سنَّه من الكرمِ أنَّه جَادَ حتى بَدَّلَ رَغَبَ العافينَ زُهْدًا ، ورَأَى الحمدَ عوضًا من الصَّنِيعَةِ فأبَى أن يعتاضَ من صَنَائِعِهِ حَمْدًا « وبعضُ هذا المعنى مأخوذٌ من شِعْرِ أَبِي نُوَّاسٍ ، وهو :

لَيْتَ أَعْدَائِي كَانُوا لِأَبِي إِسْحَاقَ مَالًا (٢١)

ومن ذلك قولِي في وصف القتال ومواطن الحرب ، ووصف الشجاعة والإيجاد ، وما يتعلق بذلك ، ويجرى معه . وهذا الفصل يشتمل على معانٍ مختلفة . فمن ذلك ما ذكرته في وصف العسكر ، وهو :

« فسرنا في غَمَامَةٍ مِنَ الْكَتَائِبِ تُظِلُّهَا غَمَامَةٌ مِنَ الطُّيُورِ الْأَشَائِبِ (٢٢) ، فهذه يَضُمُّهَا بَحْرٌ مِنْ حَدِيدٍ ، وهذه يَضُمُّهَا بَرٌّ مِنْ صَعِيدٍ ، وما مَرَّتْ ببلدٍ إِلَّا أَزَالَتْ أَرْضَهُ مِنْ سَمَائِهِ ، وَأَلْبَسَتْ نَهَارَهُ ثَوْبَ ظِلِّائِهِ ، وبَدَّلَتْ أَحْرَارَهُ بَعِيدِهِ ، وَحَرَّائِهِ بِإِمَائِهِ ، وكذلكَ فَعَلَتْ بِمَدِينَةِ فَلَانَةٍ ، وَقَدْ ضَرَبَ الْأَمْنُ عَلَيْهَا أَسْوَارًا ، وَبَعُدَ عَهْدُهَا بِالنَوَائِبِ فَلَمْ تَدْخُلْ لَهَا دِيَارًا ، فَهِيَ تُخْبِرُ عَنْ بُلْهَنِيَّةِ الْحَفْضِ ، وَلَمْ تُرَعْ عَنْهُ بِالِانْتِقَالِ ، وَلَا رَأَتْ السَّيْفَ وَقَدْ أَلْقَى لَوْنُهُ فِي ذَوَائِبِ الْأَطْفَالِ ، فَمَا شَعَرَ أَهْلُهَا إِلَّا وَقَدْ رَجَمَهَا الْجَيْشُ بِكَاهِلِهِ ، وَرَمَاهَا بِوَابِلِهِ قَبْلَ طُلُّهِ ، وَطَلَّ السَّحَابُ قَبْلَ وَابِلِهِ ، وَبَرَزَتْ حَيْلُ الْقَوْمِ وَلَهَا زِيٌّ فَرَسَانَهَا ، وَهِيَ مُسْتَبْقَةٌ إِلَى طَرَادِهَا كَاسْتِبَاقِهَا إِلَى مِيدَانِهَا إِلَّا مِنْ تَتَاوُدِ الْقَنَاءَةِ مِنْ يَدِهِ بَيْنَ لَهْذَمَيْنِ (٢٣) ، وَتَسْتَقِيلُ السَّرَجَ مِنْهُ وَمِنْ جَوَادِهِ بَيْنَ مُطَهَّمَيْنِ (٢٤) ، فَجَرَّتَ الْمَغَاوِيرُ

(٢١) ديوان أبي نواس ١١٨ وهو من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن عبيد الله الحمصي .

(٢٢) الأشائب : الأخطا ، جمع أشابة بضم الهمزة .

(٢٣) اللهزم على وزن جعفر القاطع من الأسنة .

(٢٤) المطهم على وزن معظم السمين الفاحش السمن . والتجفيف الجسم الدقيقه : ضدان . والتام من كل

شيء . والبارع الجمال . والمتفخخ الوجه : والمدور الوجه المحتمعه .

إلى المغاور ، وتلاقت الرياح بالأعاصير ، وكان الطعن بينهم عناقاً ، واللبث وفقاً .
وسبق ألم الموت ألم الجراح ، ونفذت غير مختصة لسرعتها أسنة الرماح ، وحصل
القوم في القبضة ، وذموا عقبي النهضة ، وجيء بالأسرى مقرنين في الأصفاد ، موقنين
أن رؤوسهم عوار على تلك الأجساد ، ولو استطاع رأس أحدهم أن ينكر عنقه
لأنكره ، ولا يود - وهو المعظم - أن يقال : ما أعظمه ! بل يقال : ما أحقره !
تبصرت أيدي المسلمين في القتل والنهب ، وكان للسيف رقاب ، وللسبي رقاب .
في هذا الفصل معان كثيرة مستحسنة ، ومنها ما أخذ من شعر المتنبي كقوله :

سحاب من العقبان يزحف تحتها
سحاب إذا استسقت سقتها صوارمه (٢٥)

وكقوله :

واستعار الحديد لونا وألقى لونه في ذائب الأطفال (٢٦)

ومن ذلك ما ذكرته في وصف المسلوبين ، في فصل من جملة كتاب يتضمن
البشرى بهزيمة الكفار ، وهو :

« فسلبوا وعاضتهم الدماء عن اللباس ، فهم في صورة عار ، وزبهم زى كاس ،
وما أسرع ما خيط لهم لباسها المحمر ، غير أنه لم يجب عليهم ولم يزر ، وما ليسوه حتى
لبس الإسلام شعار النصر الباقي على الدهر ، وهو شعار نسجه السنن الخارق ، لا
الصنع الحاذق ، ولم يغب عن لابسِه إلا رثما غابت البيض في الطلى والهام (٢٧) ،
وألف الطعن بين ألف الخط واللام » .

وهذه معان حسنة رائقة ، ومنها معنى واحد مأخوذ من شعر البحتري ، وهو :

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم
محمرة فكانهم لم يسلبوا (٢٨)

(٢٥) ديوان المتنبي ٣/٣٣٨ - جعل الطير التي يطير فوق عسكره سحاباً ، وجعل جيشه سحاباً ، لما فيه من
بريق الأسلحة وصب الدماء وصوت الأبطال ، وجعل الأسفل يسقى الأعلى إغراباً في الصنعة .

(٢٦) ديوان المتنبي ٣/٢٠٠ .

(٢٧) الطلى بالضم الأعناق أو أصولها : جمع ضاء بضم الطاء ، أو طلاء بضمها أيضاً .

(٢٨) ديوان البحتري ٢/١٨٩ .

ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب يتضمن فتحاً وهو : « أُصْدِرَ هَذَا الْكِتَابُ .
وَالْفَتْحُ غَضُّ طَرِيٍّ لَمْ تَنْصَلْ حُمْرَةَ يَوْمِهِ ، وَلَا أُغْمِدَتْ سَيْفُ قَوْمِهِ . فَسُطُورُهُ مُتَرَبِّةٌ
بِمَثَارِ عَجَاجِهِ ، مَمْلُوءَةٌ بِخَطِّ ضَرْبِهِ وَإِعْجَامِ زَجَاجِهِ (٢٩)

وهذا المعنى يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ (٣٠) :

كُتِبَتْ أَوْجُهُهُمْ مَشَقًّا وَنَمْنَمَةً ضَرْبًا وَطَعْنَا يَقَاتُ الْهَامَ وَالصُّلْفَا (٣١)
كِتَابَةً مَا تَنَى مَقْرُوءَةً أَبَدًا وَمَا خَطَطَتْ بِهَا لَامًا وَلَا أَلْفًا
إِلَّا أَنْ أَبَا تَمَّامٍ مَثَلُ آثَارِ الضَّرْبِ وَالطَّعْنِ فِي الْوُجُوهِ بِالْكِتَابَةِ ، وَأَنَا مَثَلْتُ الْكِتَابَةَ
وَإِعْجَامَهُ بِالضَّرْبِ وَالطَّعْنِ ، فَكَأَنِّي عَكَسْتُ الْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرَهُ أَبُو تَمَّامٍ :
وهذا مَقْصِدٌ فِي حَلِّ الْأَبْيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ حَسَنٌ ، فَإِنَّ اسْتِخْرَاجَ الْمَعْنَى مِنْ عَكْسِهِ أَدْقُ
مِنْ اسْتِخْرَاجِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَقَدْ نَبَّهْتُ عَلَى ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ أُخَرٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن فتحاً من فتوح الكفار ، وهو :

« وَأَقْبَلْتُ أَحْزَابُ الْكُفْرِ وَهِيَ مَعْتَصِمَةٌ بِصَلِيلِهَا ، وَرَفَعَتْهُ عَلَى أَعْوَادٍ عَالِيَةٍ كَهَيْئَةِ
خَطِيبِهَا ، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْهِ الْهَوَانَ بَعْدَ تِلْكَ الْكِرَامَةِ ، وَأَنَّهُ ذُو شُعْبٍ أَرْبَعٍ .
وَالْتَرَبِيعُ نَحْسٌ فِي حُكْمِ النُّجَامَةِ (٣٢) ، وَكَيْفَ تَرْجُو بِكُفْرِهَا ظُهُورًا ، وَلَهَا مِنْهُ مَعْنَى
الْإِخْتِفَاءِ ، وَلِلْإِسْلَامِ مَعْنَى السَّلَامَةِ ، وَلَمَّا التَقَى الْجَمْعَانِ اضْطَفَقَتْ يَمِينُ وَشِمَالُ ،
وَزَحَفَتْ جِبَالُ إِلَى جِبَالٍ ، وَكَثُرَتْ النُّفُوسُ عَلَى الْمَنَابِإِ حَتَّى كَادَتْ لَا تَقْنَى بِالْأَجَالِ ،
وَأَقْدَمَتْ الْخَيْلُ إِقْدَامَ فُرْسَانِهَا ، وَأَظْلَمَ النَّفْعُ فَلَا تَبْصُرُ إِلَّا بِأَذَانِهَا ، وَنَالَتْ النُّحُورُ ثَارَهَا
مِنْ كُعُوبِ الرِّمَاحِ ، وَاشْتَكَّتِ الْأَسْنَةُ فَلَا طَرِيقَ بَيْنَهَا لِمَهَبِّ الرِّيَّاحِ ، وَاسْتَوْصَلَتْ شَجَرَةُ
الْكَافِرِينَ بِالْقَطْعِ لَا بِالْجِدَادِ ، وَحَالَ حَدُّ السَّيْفِ دُونَ حَدِيدِ الْأَصْفَادِ ، وَنُقِلُوا إِلَى

(٢٩) الزجاج بكسر الزاى جمع زج بضمها : الحديدة في أسفل الرمح .

(٣٠) ديوان أبي تمام ٢٠٣ .

(٣١) المشق مد الحروف ، والصلف جمع صليف ، وهو عرض العنق .

(٣٢) أراد بها صناعة التنجيم . قال ابن أبي الحديد : إن لفظة « النجامة » رديئة مستغفلة على أنا لا نعرف

صحتها وجوازها . ولا سمعناها اسماً للتنجيم ولا مصدرًا - انظر الفلك الدائر على المثل السائر ٥٠ .

جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا وَيُبْسُ الْجِهَادِ ، وانقلبَ المسلمونَ وقد ملئوا الأغْدادَ نصرًا ، والصَّحائفَ
أَجْرًا ، والأَيْدِي وَفَرًا ، والقلوبَ جَدَلًا ، والألسنةَ شُكْرًا وكان ذلكَ اليومُ في الأيامِ
عَلَمًا ، وفي الأقسامِ قَسَمًا ، ولم يَرَهُ الزمانُ منسوبًا إليه إلا رَاجَعَ شَبَابًا بعد أن نَاهَزَ
هَرَمًا .

في هذا الفصل شيءٌ من معاني الشعر ، وذلك من قول أبي الطَّيِّبِ المَتَنِيِّ (٣٣) .
أَتَاهُمْ بِأَوْسَعٍ مِنْ أَرْضِهِمْ طَوَالَ السَّيْبِ قِصَارَ الْعُسْبِ (٣٤)
تَغِيبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِغَارًا إِذَا لَمْ تَغِبْ
وَلَا تَعْبُرُ الرِّيحُ فِي جَوْهِ ذَا لَمْ تَخْطُ الْقَنَا أَوْ تَثْبُ
ومن قوله أيضًا (٣٥) :

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعُيُونَ عُبارُهُ فَكَانَ مَا يُبْصِرُنَ بِالْآذَانِ

ومن ذلك ما ذكرته في الإنجاد واجابة الصريح ، وهو :

إِذَا اسْتُصْرِخَ أَصْرَخَ بَعْزٌ غَذَتْهُ صُحْبَةُ الْجَيْشِ عَنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ ، فَهُوَ يَسْتَعْدِبُ حَرَّ
الثَّغُورِ عَلَى بَرْدِ الثُّغُورِ ، وَيَلْهُو بِالْبَيْضِ الذُّكُورِ عَنْ بَيْضِ الْخُدُورِ ، وَلَا طِيبَ عِنْدَهُ إِلَّا
رِيحُ الْعَجَاجِ ، وَلَا عِنَاقُ إِلَّا أَطْرَافُ الزَّجَاجِ ، وَلَا أَرْبَ لَهُ فِي الرُّقَادِ ، إِلَّا عَلَى
صَهَوَاتِ الْجِيَادِ ، فَعَسَكَرُ قَلْبِهِ أَمْضَى فِي الْوَعْيِ مِنْ عَسْكَرِ ، وَتَلَجْدَةُ بِأَسِهِ تَأْتِي لِقَاءَ
الْأَفْرَانِ فِي دِرْعٍ أَوْ مِغْفَرٍ (٣٦) وهذه المعاني مأخوذة من أبيات الحامسة ، ومن شعر مُسْلِمِ
بن الوليد .

(٣٣) ديوان المتني ١٠١/١ .

(٣٤) السَّيْبُ : شعر الناصية والعرف والذنب ؛ والعُسْبُ جمع عُسْبٍ : وهو منبت الذنب من الجلد
والعظم ؛ والعُسْبُ من السعف : فوق الكرب لم ينبت عليه خوص ، والعُسْبُ : اسم جبل . يريد أن الدمستق
ملك الروم أتاهم بجبل أوسع من الأرض ؛ والمستحب في الخيل ما ذكر : أن يطول شعر الذنب ، ويخص
عظمه .

(٣٥) ديوان المتني ١٧٦/٤ . والجحفل الجيش العظيم ؛ مأخوذ من يجحفل القوم ، أي اجتمعوا .

(٣٦) المغفر على وزن منير : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة ، أو حلق يتقنع بها المتسلح .

ون ذلك ماذكرته في وصف المخبر دون المنظر ، وهو :

« إِذَا سَمَوْتُ لِأَمْرٍ فَكُنْ وَاحِدًا فِي مَكَانِكَ ، وَلَا تَرْضَ بِكَثْرَةِ الشَّرَكَاءِ فَيُقَالُ : فَلَانٌ مِنْ أَقْرَانِكَ . أَلَمْ تَرَ إِلَى الْحَرْبَاءِ الَّذِي هُوَ دُوبِيَّةٌ حَقِيرَةُ الشَّانِ ، ضَعِيفَةُ الْأَرْكَانِ . فَإِنَّهُ ارْتَبَعَ فِي هَوَاهُ عَنِ الْأَرْضِ وَأَنْسَاهَا ، إِلَى السَّمَاءِ وَشَمْسِيهَا ؟ وَقَالَ : لَا أُحِبُّ مَنْ تُفْسِدُ الْأَيَّامُ مِنْ حُسْنِهِ ، وَلَا مِنْ أَحَدٍ بِسَمَةِ خِلْمِهِ ^(٣٧) وَلَا خِدْنِهِ ، وَالْهَيْمَمُ لَيْسَتْ مَنُوطَةً بِجَهَارَةِ الْعِنَاظِرِ ، وَالتَّعْوِيلُ عَلَى الْخَبَرِ الْمُسْتَرِّ فِي الْأَفْعَدَةِ الْبَاطِنَةِ لَا عَلَى الظُّوَاهِرِ ، وَمِنْ هَاهُنَا قِيلَ إِنَّ وَضَاعَةَ النُّفُوسِ أَنْضَرُ مِنْ وَضَاعَةِ الْأَجْسَادِ ، وَرَقَمَ الشَّيْمَ أَحْسَنُ مِنْ رَقَمِ الْأَبْرَادِ » وَآخِرُ هَذَا الْفَصْلِ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ سُحَيْمٍ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ ^(٣٨) :

إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَفَنَفْسِي حُرَّةٌ كَرَمًا أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنْ أَبْيَضَ الْخُلُقُ ^(٣٩)

إِلَّا أَنَّ الْفَصْلَ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى غَرِيبًا لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ .

ومن ذلك ماذكرته في الحسد في فصل من كتاب ، وهو :

« حَاسِدٌ سَيِّدُنَا يَنْظُرُ إِلَى زَهْرَةِ دُنْيَاهُ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى اسْتِحْقَاقِهِ ، وَهُوَ كَالنَّاظِرِ إِلَى الْأَطْوَاقِ الْمَوْضُوعَةِ فِي الْجَدِيدِ ، وَلَا يَدْرِي أَنَّ الْجَدِيدَ أَحْسَنُ مِنْ أَطْوَاقِهِ ، وَلَوْ قَاسَ الدُّنْيَا بِالْإِسْتِحْقَاقِ لَذَهَبَ الْحَسَدُ مِنْ صَدْرِهِ ، وَقَالَ : مَا لِي أَحْسَدُ مَنْ لَمْ يَنْتَهِ قَدَرُ دُنْيَاهُ إِلَى مِعْشَارِ قَدَرِهِ ؟ »

ومن ذلك ماذكرته في صدر كتاب يتضمن الإعذار عن تواتر المكاتبات ، وهو :

« إِذَا اعْتَذَرَ مِنْ انْقِطَاعِ الْكُتُبِ ، اعْتَذَرَ الْخَادِمُ مِنْ اتِّصَالِهَا ، وَلَوْ كَانَتْ وَارِدَةً عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ الْبَابِ الْكَرِيمِ لَخَافَ مِنْ إِمْلَاقِهَا ، وَقَدْ عُدَّ احْتِمَالُ تَثْقِيلِهَا مِنْ جُمْلَةِ الْأَيَادِي

(٣٧) الخلم بالكسر الصديق والصاحب .

(٣٨) سحيم عبد بن الحسحاس من المخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أسود شديد السواد . وبنو الحسحاس من بني أسد بن خزيمه . قال المبرد : كان عبد بن الحسحاس يرتضخ لكنة حبشية . وقتل سحيم في خلافة عثمان رضي الله عنه . لما قيل من تغزله في امرأة من بني عبد الحسحاس .

(٣٩) البيت في خزنة الأدب ٣٨٣/١ .

التي أثقلت ، وأراد أن يجرى معها بسوابق شكره فأعجلته وما أمهلت ، وهو الآن مرتهن بين قديم وجديد ، وأصبح كخراش إذ تكاثرت عليه الطباء فلم يدرك لكثرتها ما يصيد ، فإن أمسك سيدنا من أياديه ، وإلا فليتنفصل على الشكر بالأنظار ، وليعلم أن ذمة وفائه كذمة ديوان المال في الإعسار .

هذا فصل في هذا المعنى قلما يؤتى بمثله ، وفيه معنى واحد من قول الشاعر :
تكاثرت الطباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

ومن ذلك ما ذكرته في استطلاع مودة ، فقلت :

« كنت عنده بالمنزلة التي آمن بها ما أجنبه فصرت أخاف ما لم أجنه ، وكان لا يقبل على شهادة عنه ، فأصبح الآن يقبل على شهادة أذنه ، لكن لم يجعل الله القلوب بين أصبعين من أصابعه إلا ليذهب بها كل واد ، ومن هاهنا كانت تنتقل من وداد إلى قلى ، ومن قلى إلى وداد ، ولا شك أن لها بين الحالتين عمرا تنتهى إليه كما تنتهى أعمار الأجساد ، والصبر خير ما استعمل في جفاء الإخوان ، والماء إذا جرى في مكان ثم انحرف عنه فلا بد أن يعود إلى ذلك المكان .

وبعض هذا مأخوذ من شعر ابن الرومي :

عهدتك لا تعتد بالعين شاهداً على فلم أصبحت تعتد بالأذن (٤٠)

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الملوك على يد بعض العفاة ،

وهو :

« الشيم الكريمة للإنسان ، بمنزلة المسك في سرر الغزلان ، غير أن طيب هذه يعبق بالأنوف ، وطيب هذه يعبق بالأذان ، وقد جعل تفاوت المزية بين هذين الطيبين فرقا ، فأحدهما يبقى دائما ولا يذهب ، والآخر يذهب ولا يبقى . ونصيب مولانا من الطيب الباقي نصيب زكت معادنه ، وكثرت خزائنه ، وسارت في الأرض محاسنه ،

(٤٠) ديوان ابن الرومي ٤٣١ وهو من قصيدة قالها مستعظما ومستبطئا أبا الحسن محمد بن أبي سلاله في

مكاتبته إياه .

وَرَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ إِلَى مَحَلٍّ يَبْعُدُ شَأُوهُ عَلَى الطَّالِبِ ، وَلَا يُرَى إِلَّا فِي لِسَانِ خَاطِبٍ ، وَهُوَ مَا اسْتُنِيَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ الَّذِي هُوَ مِنْ طِينٍ لَا زَبَ (٤١) . وَمَنْ أَجَلِ ذَلِكَ يُرَوْنَ أَشْبَاهًا مَاعِدَاهُ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يُقَرُّ بِفَضْلِهِ وَلَوْ كَانَ مِنْ حُسَادِهِ أَوْ عِدَاهُ ، وَقَدْ أَصْبَحُوا وَهُمْ يَقُولُونَ لَدَيْهِ حِينَ يَكْثُرُونَ ، وَيَقُولُ كُلُّ مَنْهُمْ لِمُصَاحِبِهِ : « أَفَسِحَرْتُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ » (٤٢) .

هذا الفصل وإنْ تَضَمَّنَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، فَلَيْسَ الْمُرَادُ هَاهُنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ، بَلْ مِنْهُ شَيْءٌ مَأْخُودٌ مِنَ الشُّعْرِ ، وَهُوَ قَوْلُ الْمُتَنَبِّئِ (٤٣) :

النَّاسُ مَالَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ وَالذَّهْرُ لَفَظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتَهُ فِي وَصْفِ الْخَمْرِ ، وَهُوَ :

« الْخَمْرُ لَا تَفِي لَذَّةَ إِسْكَارِهَا [إِلَّا] بِتَغْيِضِ خَمَارِهَا . فَهِيَ خَرْقَاهُ الْبَيَانَ بِذِيئَةِ اللِّسَانِ . وَتَأْنِيْهَا يَدُلُّكَ أَنَّهَا مِنْ نَاقِصَاتِ الْعُقُولِ وَالْأَدْيَانِ . وَقَدْ عُرِفَ مِنْهَا سِنَّةُ الْجَوْرِ فِي أَحْكَامِهَا ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا اسْتَأْثَرَتْ مِنَ الرُّءُوسِ بِجَنَابَةِ أَقْدَامِهَا » .

وهذا أحسنُ من قول الشاعر وأغربُ وأطفُ ، لِأَنَّهُ قَالَ :

ذَكَرْتُ حَقَائِدَهَا الْقَدِيمَةَ إِذْ عَدْتُ وَهَنًا تُدَاسُ بِأَرْجُلِ الْعَصَا
لَأَنْتَ لَهُمْ حَتَّى انْتَشَوْا فَتَحَكَّمْتُ فِيهِمْ فَنَادَتْ فِيهِمْ بِالْثَّارِ

وكذلك قلتُ في وصفها أيضًا ، وَهُوَ :

« مُدَامَةً تَبْقَى خَوَاطِرَ الْهُمُومِ ، وَتَسْرَى مَسْرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْجُسُومِ ، وَتَشْهَدُ بَأَنَّ الْكَرَمَ مُسْتَمَدٍّ مِنْ مَاءِ الْكَرُومِ . وَيَتِمَّنُّ حَبِيبُهَا نَجُومًا ، إِلَّا أَنَّهَا مُضِلَّةٌ وَالْهِدَايَةُ لِلنُّجُومِ »
وبعضُ هذا مأخُودٌ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

(٤١) تَضَمَّنَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى « فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مِنْ خَلْقِنَا إِنْ خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَا زَبَ » سُورَةُ الصَّافَاتِ : آيَةُ ١١ ، وَاللَّازِبُ : الْبَاقِي .

(٤٢) سُورَةُ الطُّورِ : آيَةُ ١٥ .

(٤٣) دِيْوَانُ الْمُتَنَبِّئِ ٢٦٣/٤ وَهُوَ مُطْلَعٌ قَصِيدَةً بِمَدْحِهَا أَبَا الْعِشَّائِرِ : وَقَدْ أَرَادَ سَفَرًا .

إِذَا هِيَ حَلَّتْ فِي اللَّهِاءِ مِنَ الْفَتَى دَعَا هَمُّهُ مِنْ صَدْرِهِ بِرَجِيلٍ (٤٤)
وما زال الشعراء يتواردون على هذا المعنى حتى سُمج ، لكن الذي ذكرته بعد هذا
المعنى من محاسن المعاني في وصفها .

وكذلك ما ذكرته في وصفها ، وهو :

« الخمر كالعذراء في نفورها ، وملازمة خدورها ، ولهذا تسمت من نكاح المزاج ،
وتصخب لمس الماء صخب الأبقار لمس الأزواج ، ومن شأنها أن تلبس عند الزفاف
إكليلاً على رأسها ، وكذلك شأن العرائس عند زفافها إلى أعراسها » .
وهذه الماثلة بين الخمر وبين البكر على هذا النسق لم يأت بها أحد غيري ، وإنما
وُصِفَتْ بأنها بكر ، كقول أبي نواس (٤٥) :

فَقُلْتُ لَشَيْخٍ مِنْهُمْ مُتَكَلِّمٌ لَهُ دِينَ قَسِيْسٍ وَفِي نُطْقِهِ كُفْرٌ (٤٦)
أَعِنْدَكَ بِكَرٍّ مُرَّةَ الطَّعْمِ قَرَفٌ صَنِيعَةٌ دِهْقَانٍ تَرَاحَى لَهُ الْعُمُرُ (٤٧)
فَقَالَ عَرُوسٌ كَانَ كِسْرَى رَبِيهَا مُعْتَقَةٌ مِنْ دُونِهَا الْبَابُ وَالسُّتْرُ
وَوُصِفَتْ بِالنِّكَاحِ وَالزَّوْاجِ ، كَقَوْلِهِ أَيْضًا (٤٨) :

وَقَهْوَةٌ كَالْعَقِيقِ صَافِيَةٌ يَطِيرُ مِنْ كَأْسِهَا لَهَا شَرٌّ
زَوْجَتُهَا الْمَاءَ كَيَّ تَذِلُّ لَهُ فَاْمْتَعْصَتْ حِينَ مَسَّهَا الذَّكْرُ

(٤٤) ديوان أبي نواس ٣١٠ ورواية الديوان . إذا ما انت دون اللهاء من الفتى . واللهاء اللحمية المشرفة على
الحلق ، أو ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم .

(٤٥) ديوان أبي نواس ٢٨٠ .

(٤٦) موضع هذا البيت في الديوان :

حططنا على خمارها جنح ليلة فلاح لنا فجر ولم يطلع الفجر

(٤٧) رواية الديوان . وأبرز بكراً مرة الطعم قرقفاً .

والقرقف : على وزن جعفر الخمر يرعد عنها صاحبها . والدهقان بالكسر والضم القوى على التصرف مع
حدة ، والتاجر ، وزعيم فلاحي العجم ، ورئيس الإقليم ، معرب . والجمع دهاقنة ودهاقين . والاسم الدهقنة .

(٤٨) ديوان أبي نواس ٢٨٩ . والبيت الثالث بعد هذين البيتين :

كذلك البكر عند خلوتها يظهر منها الحياء والخفر

ومن ذلك ما ذكرته في الحزم ، وهو :

« لا ينبغي للحازم أن يساور المورّد المؤذن بمصيقه ، وإن أفضى الصدر إلى رحيبه ، فإن توفى الداء خير من التعرض له مع وجود طبيبه ، ولندع قول من يقعد على تلّ السلامة ، ثم يلبس الكتائب بالكتائب ويقول ليس للزم إلا تمام الصدور ، وليس له تمام العواقب » .

بعض هذا مأخوذ من شعر أبي تمام (٤٩) :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسْنَةِ عَرَسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهُ
لَأْمُرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الرأى والكيد وهو :

« أخفى على العدو كيده حتى لم يدع كائداً ، وأعمى عليه سلوك الطريق حتى ظنه حائداً ، فسيوفه تسطو على بعدها ، ولا تقطع إلا وهي في غمدها » .

وبعض هذا المعنى أخذته من شعر أبي تمام ، وهو (٥٠) :

سَكَنَ الْكَيْدُ فِيهِمْ إِنْ مَنْ أَعْظَمَ كَيْدٍ أَلَّا تُسَمَّى أَرِيَّابًا

وكذلك قولي في هذا المعنى وهو :

« أَخَذَ بِسَمْعِ الْعَدُوِّ وَبَصَرِهِ ، وَسَدَّ مَطْلَعَ وَرْدِهِ وَصَدْرِهِ ، فِيدَاهُ مَغْلُولَةٌ مَعَ أَنَّهَا مُطْلَقَةُ السَّرَاحِ ، وَمَقَاتِلُهُ بَادِيَةٌ عَلَى أَنَّهَا شَاكِيَةُ السَّلَاحِ » .

وهذا المعنى ينظر إلى المعنى الذي قبله .

(٤٩) ديوان أبي تمام ٤٤ من قصيدة يمدح بها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ، ومطلعها :

أَهْنِ عَوَادِي يَوْسُفَ وَصَوَاحِبَهُ فَعَزَمًا فَقَدِمًا أَدْرِكِ السُّؤْلَ صَاحِبَهُ
(٥٠) ديوان أبي تمام ٢٧ . ورواية الديوان « إِنْ مِنْ أَعْظَمَ إِرْبٍ » والإرب الحاجة أو الدهاء والأريب : العاقل . والبيت من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري . وأولها :

مِنْ سَجَابِ الْطُلُولِ أَلَا تَجِييَا فَصَوَابٍ مِنْ مَقْلَى أَنْ تَصُوبَا

وكذلك قولى أيضاً ، وهو :

« يَبِيتُ بِرَأْيِهِ الْعَدُوَّ قَبْلَ جَيْشِهِ وَتَلْقَاهُ بِطَيْشِ قَلَمِهِ ، الَّذِى كُلُّ الْحِلْمِ فِي طَيْشِهِ ، فَإِذَا أَطْلَتْ وَجْوهَ الْآرَاءِ كَانَ رَأْيُهُ لَهَا صَبَاحًا ، وَإِذَا جُهِزَتِ الْجَحَافِلُ لِحَرْبٍ كَانَ قَلَمُهُ لَهَا سِلَاحًا » .

وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر البُحْتَرِيِّ :

وَهُوَ الْمَرْءُ مَا غَزَا بِلَدًّا بِالرُّأْيِ إِلَّا كَفَاهُ غَزَاؤُ الْجُنُودِ (٥١)

ومن ذلك ما ذكرته فى وصف السير والركاب والخيل والقفار وما يتعلق بها فثمة ما يتعلق بالسير وهو :

رَكِبَ ظَهَرَ اللَّيْلِ يُبَارِى مَسِيرَ شَهْبِهِ بِمَسِيرِ أَشْهَبِهِ ، وَيَسْتَقَرُّ بَعْدَ الْمَدَى فِي نَيْلِ مَطْلَبِهِ ، غَيْرَ أَنَّ تِلْكَ تَقْرِى أَدِيمَ الْغَيَاحِبِ ، وَهَذَا يَقْرِى أَدِيمَ السَّبَاسِبِ (٥٢) .

وهذا مأخوذ من قول المتنبي :

يُبَارِى نُجُومَ الْقَذْفِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ نُجُومٌ لَهُ مِنْهُمْ وَرَدٌّ وَأَدْهَمُ (٥٣)

ومن هذا المعنى أيضاً قولى وهو :

« اتَّخَذَ اللَّيْلَ ظَهْرًا ، وَاسْتَلَانَ خُشُونَةَ الْمَسْرَى ، فَلَمْ يَزَلْ يَقْدِفُ صَبْعَةَ سَوَادِهِ بِصَبْعَةِ جَوَادِهِ ، حَتَّى بَدَتْ فِي أَدِيمِ اللَّيْلِ شِيَاتُ صَبَاحِهِ ، وَشَابَهُ الْأَدْهَمُ فِي غَرَّتِهِ وَأَوْضَاحِهِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ أَحَدَهُمَا فِي رَحِيلِهِ ، وَأَخَذَ الْآخَرُ فِي نَزْوِلِهِ » .

وهذا المعنى ينظر إلى الذى قبله ، وفيه من شرف الصنعة مالا خفاء به .

(٥١) هو مثل قوله :

فهى من عزم رأيه فى جنود فن من حوفا مقام الجنود

(٥٢) السباب : جمع سبب . وهو المفازة ، أو الأرض المستوية البعيدة .

(٥٣) ديوان المتنبي ٣/٣٥٣ . ورواية الديوان « تبارى » بالتاء . ونجوم القذف : هى التى تقذف بها

الشياطين . قال الله تعالى « ويقذفون من كل جانب دحورا » . والورد : الفرس الأحمر .

ومن ذلك ما ذكرته أيضا في فصل من كتاب وهو :

« سِرْتُ وَتَحْتِي بَنْتُ قَفْرَةً لَا يَذْهَبُ السُّرَى بِجِمَاحِهَا ، وَلَا تَسْتَرِيدُ الْحَادِيَّ مِنْ مِرَاحِهَا ، فَهِيَ طُمُوحٌ بِأَثْنَاءِ الزَّمَامِ ، وَإِذَا سَارَتْ بَيْنَ الْآكَامِ قِيلَ هَذِهِ وَاحِدَةٌ مِنَ الْآكَامِ . وَلَمْ تُسَمَّ « جِسْرَةٌ » (٥٤) « إِلَّا لِأَنَّهَا تَقْطَعُ عَرْضَ الْفَلَاةِ كَمَا يَقْطَعُ الْجِسْرُ عَرْضَ الْمَاءِ ، وَلَا سُمِّيَتْ « حَرْفًا » (٥٥) « إِلَّا لِأَنَّهَا جَاءَتْ لِمَعْنَى فِي الْعَزَائِمِ لَا لِمَعْنَى فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ ، وَخَلْفَهَا جَنِيبٌ مِنَ الْخَيْلِ يُقْبَلُ بِجَذَعٍ وَيُدْبِرُ بِصَخْرَةٍ . وَيَنْظُرُ مِنْ عَيْنِ جَحْظَةٍ ، وَيَسْمَعُ بِأَذُنِ حَشْرَةٍ ، وَيَجْرِي مَعَ الرِّيحِ الزَّعْرَعِ ، فَيَذَرُهَا وَقَدْ ظَهَرَ فِيهَا أَثَرُ الْقَتْرِ ، وَمَا قِيدَ خَلْفَهَا إِلَّا وَهُوَ يَهْتَدِي بِهَا فِي الْمَسَالِكِ الْمُضِلَّةِ ، وَيَطُّ عَلَى أَثَرِهَا ، فَيَرْقُمُ وُجُوهَ الْبُدُورِ بِأَشْكَالِ الْأَهْلَةِ ، هَذَا وَاللَّيْلُ قَدْ أَلْقَى جِرَانَهُ » (٥٦) « فَلَمْ يَبْرَحْ ، وَالْكَوَاكِبُ قَدَرَكَدَتْ فِيهِ فَلَمْ تَسْبَحْ . وَأَنَا أَوْدُ لَوْ زَادَ طَوْلُهُ ، وَلَمْ تَظْهَرْ غَرَّةُ أَذْهِمِهِ وَلَا حَبُولُهُ ، فَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ أَدْنَى لِلْبُعْدِ وَأَكْتَمُ لِلْأَسْرَارِ ، وَدَلَّ عَلَيْهِ الْقَوْلُ النَّبِيُّ بَأَنَّ الْأَرْضَ تَطْوِي فِيهِ مَا لَا تَطْوِي فِي النَّهَارِ . وَمَا زِلْتُ أُسِيرُ بِرِيدِهَا تَنْوُّهُ بِهِ حَتَّى كَادَ يَنْضَوِلُونُ السَّوَادَ ، وَظَهَرَ لَوْنُ السَّرْحَانِ ، فَأَغَارَ عَلَى سَرَحِ السَّمَاءِ كَمَا يَغِيرُ السَّرْحَانُ عَلَى سَرَحِ النَّقَادِ » (٥٧) ، فَعِنْدَ ذَلِكَ نَهَلَتْ الْعَيْنُ مِنَ الْكَرَى نَهْلَةَ الطَّائِرِ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ الْمُطْمَئِنَّةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ عَلَى الظَّهْرِ السَّائِرِ » .

في هذا الفصل كلُّ مليحةٍ من المعاني ، ولو لم يكن في هذا الكتاب سيواه ، لكان كافياً ، وبعضه مأخوذ من الشعر ، كقول أبي تمام :

طُمُوحٌ بِأَثْنَاءِ الزَّمَامِ كَأَنَّمَا يَخَالُ بِهَا مِنْ عَدُوِّهَا طَيْفَ جَنَّةٍ (٥٨) وكقولُه :

بِالشَّدَقِيَّاتِ الْعَتَاقِ كَأَنَّمَا أَشْبَاحُهَا بَيْنَ الْإِكَامِ إِكَامٍ (٥٩)

(٥٤) الجسرة : العظم من الإبل . (٥٥) الحرف : الناقة العظيمة .

(٥٦) جران البعير : مقدم عنقه من مذكحه إلى منحره .

(٥٧) النقاد جمع نقد جنس من الغنم قبيح الشكل .

(٥٨) ديوان أبي تمام ٦٠ والناقة الطموح التي ترفع يديها في السير .

(٥٩) ديوان أبي تمام ٢٨ . والشذقيات يراد بها النوق الكرام . والإكام التلال .

ومن ذلك ما ذكرته في النسب في فصل من كتاب وهو :

« لَمْ نَسْبُ لَا تَدْخُلُهُ لَمْ التَّعْرِيفُ ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ لَا يَجْرِي عَلَى سَنَنِ التَّوْقِيفِ ، فَإِذَا ذَكَرَ أَوَّلَهُ وَقَفْتَ مِنْ عَرَفَانِهِ عَلَى طَلَلٍ ، وَوَجَدْتَهُ مُهْمَلًا فِي جُمْلَةِ الْهَمَلِ ، وَإِنْ قِيلَ : إِنَّهُ مِنْ نَجْمِ السَّمَاءِ ، قُلْتَ . لَكِنَّهُ لَا يَخْرُجُ عَنِ الثَّوْرِ أَوْ الْحَمَلِ ، فَمَا أَزْهَفَ لَوْصِفِهِ لِسَانٌ إِلَّا نَبَاً ، وَلَا اقْتَدَحَ لَهُ زِنَادٌ خَاطِرٍ إِلَّا كَبَاً ، وَهُمْ مِنْهُ كَأَوَى الَّذِي يَرَى النَّاسَ لَهُ ابْنًا ، وَلَا يَرَوْنَ لِابْنِهِ أَبَاً » .

وهذا مِنْ أَغْرَبِ مَا يُؤْتَى بِهِ فِي ذِمِّ النَّسَبِ ، وَهُوَ مِنْ بَابِ تَوَلِيدِ الْمَعَانِي الَّذِي يُسَمَّى الْكَيْمِيَاءِ ، وَبَعْضُهُ مُسْتَوَلِدٌ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ فِي هِجَاءِ الْخَصِيبِ (٦٠) :

وَمَا خَبِرَهُ إِلَّا كَأَوَى يَرَى ابْنَهُ وَلَمْ يَرِ آوَى فِي حُزُونٍ وَلَا سَهْلٍ (٦١)

فَأَبُو نَوَاسٍ ذِمٌّ خَبِرَ (٦١) الْخَصِيبَ فِي عَدَمِ رُؤْيَيْهِ ، وَأَنَا نَقَلْتُ ذَلِكَ إِلَى النَّسَبِ ، فَجَاءَ اللَّطْفُ وَأَحْسَنَ وَالْبَقِيَّةُ ، وَأَدْخَلَ فِي بَابِ الصَّنْعَةِ . وَإِذَا حَقَّقَ النَّظْرُ فِيمَا ذَكَرَهُ أَبُو نَوَاسٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى لَمْ يَوْجِدْ مَنَاسِبًا ، فَإِنَّ الْخَبَرَ (٦٢) فِي عَدَمِ رُؤْيَيْهِ لَا يُحْمَلُ عَلَى ابْنِ آوَى . وَإِنَّمَا الْمُنَاسِبَةُ تَقَعُ فِي النَّسَبِ مِنْ أَجْلِ ذِكْرِ الْإِبْنِ وَالْأَبِ .

ومن ذلك ما ذكرته في ذم قوم وهو فصل من كتاب فقلت :

« تَرَكْتُ قَوْمًا لَمْ يَنْقَعُوا صَدَى ، وَلَمْ يَجْرُوا إِلَى مَدَى ، فَأَعْرَاضُهُمْ نَكْرَةُ الْعَارِفِ ، وَأَمْوَالُهُمْ حَنْظَلَةُ النَّاقِفِ ، وَلَا تُمَطِّرُ سَحَابُهُمْ عَلَى كَثْرَةِ مَائِهَا ، وَلَا تَرْكُوا الزَّرِّيْعَةَ بَأَرْضِهِمْ عَلَى نَمَائِهَا » .

وبعض هذا المعنى مأخوذ من شِعْرِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ (٦٣) .

(٦٠) هكذا روى ابن الأثير . والذي في ديوان أبي نواس (ص ١٧١) أن هذا الشعر هجابه إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت . وقبل هذا البيت :

على خبز إسماعيل واقية البخل فقد حل في دار الأمان من الأكل

وبعده :

وما خبزه إلا كعقواء مغرب تصور في بسط الملوك وفي المثل

(٦١) في الأصل « وما خيره » بالراء . وهو تصحيف .

(٦٢) في الأصل « خير » بالراء ، وهو تصحيف .

(٦٣) هو أبو الحسن محمد بن الحسين الرضی العلوی الموسوی . نقيب أشراف بغداد ، وأشعر بني هاشم .

توفي سنة ٤٠٦ هـ عن خمس وأربعين سنة .

تَرَكْتُ أَنَا سَاءَ لَمْ يَهْشُوا لِمَنَّةٍ وَلَمْ يَنْقَعُوا غُلَّ الظَّامِ الْخَوَامِيسِ
عَلَى الْقُرْبِ فِيهِمْ إِنِّي غَيْرُ طَامِعٍ وَمِنْكَ عَلَى بُعْدِ الْمَدَى غَيْرُ آيِسٍ

ومن هذا الباب أيضا قولي وهو :

« تَرَكْتُ قَوْمًا يَسْأَلُونَ الْحَبِيبَ ، وَيَمْلُونَ الْقَرِيبَ ، وَلَا يَرْعَوْنَ مَنْ يَرْعَاهُمْ ، وَلَا يَدِرُّ
اللِّبْنَ عَلَى مَرْعَاهُمْ ، فَنَوَالُهُمْ تَحَايَا ، وَأَعْرَاضُهُمْ ضَحَايَا ، وَمِنْ أَحْسَنِ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ
يَعَاقِبُونَ عَلَى الظَّنَّةِ ، وَلَا يَرْتَاخُونَ لِمَنَّةٍ ، فَالذَّرَائِعُ لَدَيْهِمْ مَدْفُونَةٌ ، وَالصَّنَائِعُ غَيْرُ
مُسُونَةٍ » .

وبعض هذه المعاني مأخوذ من شعر أبي الطيب المتنبي (٦٤) :

رَأَيْتُكُمْ لَا يَصُونُ الْعَرَضُ جَارُكُمْ وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمْ اللَّبْنُ
جَزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمْ مَلَلٌ وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمْ ضَعْفٌ

ومن ذلك ما ذكرته في الحث على الاغتراب وهو :

« لَوْلَا التَّغْرُبُ لَمَا ارْتَقَتْ بَنَاتُ الْأَصْدَافِ إِلَى شَرَفِ الْأَعْنَاقِ ، وَلَا ارْتَقَى تَرَابُ
الْأَحْجَارِ إِلَى نُورِ الْأَحْدَاقِ » .

وكذلك قولي في هذا المعنى وهو :

« فِي الْإِنْتِقَالِ تَنْوِيَةٌ لِحَامِلِ الْأَقْدَارِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يُكْسَ الْهَلَالُ حُلَّةَ الْأَبْدَارِ ،
وَالْمُهْدَلُ الرَّطْبُ حَطْبٌ فِي أَوْطَانِهِ ، وَالْمِسْكُ دَمٌ فِي سُرَرِ غَزْلَانِهِ ، وَلَوْلَا فِرَاقُ السَّهْمِ
وَتَرَهُ لَمْ يَحْظَ بِفَضْلِ الْإِصَابَةِ ، وَلَوْلَا فِرَاقُ الْوَشِيحِ (٦٥) مَنِتَبَهُ لَمْ يَتَحَلَّ بِعِزِّ اللَّسَانِ وَلَا
شَرَفِ الدُّوَابَةِ » .

وهذا الفصل فصلٌ من القول في معناه ؛ وممَّا لم يُنبِّشْ لِلخَوَاطِرِ ابْتِنَاءُ مَبْنَاهُ ، فَهُوَ
مَا هُوَ مَأْخُودٌ مِنَ الشَّعْرِ ، وَمِنْهُ مَا سَنَحَ بِهِ الْخَاطِرُ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ ، وَهُوَ يَشْهَدُ لِنَفْسِهِ .

(٦٤) ديوان المتنبي ٢٣٦/٤ من قصيدته التي مطلعها :

بِمِ التَّلَلِّ ؟ لَا أَهْلَ وَلَا وَطَنٍ وَلَا نَدِيمَ وَلَا كَأْسَ وَلَا سَكَنَ

(٦٥) الوشيج : شجر الرماح .

ومن ذلك مذكرته في وصف الأيام وهو :

« أيام تعدُّ بأعوامٍ لِقَصْرِ أَعْمَارِهَا ، وشُهُورٌ لا يشْعُرُ بِأَنْصَافِهَا ولَأَسْرَارِهَا (٦٦)
فالأوقات بها أَصَائِلُ ، والمحاسِنُ فيها شَمَائِلُ ، والمآربُ في سَاعَاتِهَا رِياضٌ في خَمَائِلُ ، فما
أَدْرِي أَهْيَ خَيَالَاتُ أَحْلَامٍ غَزَّتْ ، أمْ أَحَادِيثُ أَمَانٍ مَرَّتْ ؟ »

وبعض هذا المعنى مأخوذ من أبيات الحماسة (٦٧) :

شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وما شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لهنَّ ولا سِرَارِ

ومن ذلك مذكرته في وصف الإخوان وهو :

« لَيْسَ الصَّدِيقُ مِنْ عَدَدِ سَقَطَاتِ قَرِينِهِ ، وَجَازَاهُ بَغْتُهُ وَسَمِينِهِ ، بل الصَّدِيقُ مِنْ
مَا شَى أَخَاهُ عَلَى عَرَجِهِ ، وَاسْتَقَامَ لَهُ عَلَى عَوَجِهِ ، فَذَلِكَ الَّذِي إِنْ رَأَى سَيِّئَةً وَطِئَهَا
بِالْقَدَمِ ، وَإِنْ رَأَى حَسَنَةً رَفَعَهَا عَلَى عِلْمٍ . »

وبعض هذا المعنى مأخوذ من أبيات الحماسة (٦٨) .

إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا عَنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
إِلَّا أَنَّ الَّذِي ذَكَرْتَهُ ضِدُّ هَذَا الْمَعْنَى ، وَقَدْ يُسْتَخْرَجُ الْمَعْنَى مِنْ ضِدِّهِ ، وَهُوَ أَحْسَنُ
مِمَّا يُسْتَخْرَجُ مِنْ نَفْسِهِ .

ومن هذا قولى أيضا وهو :

« لَيْسَ الصَّدِيقُ مِنْ صَرَى (٦٩) أَحْلَافٍ وَدَّهِ ، وَغَشَّ فِي صَفْقَةِ عَهْدِهِ ، بل
الصَّدِيقُ مَنْ لَا تُرَدُّ سِلْعُهُ وَدَّهِ بِإِقَالَةٍ وَلَا عَيْبٍ ، وَلَا تُخَصَّصُ مَحَافِظُهُ إِخْوَانِهِ بِشَهَادَةِ دُونِ
غَيْبٍ ، فَذَلِكَ أَخِي مِنْ غَيْرِ نَسَبٍ وَكَثَرَى مِنْ غَيْرِ نَسَبٍ (٧٠) »

(٦٦) السرار من الشهر آخر ليلة منه .

(٦٧) ديوان الحماسة ٦٦/٢ .

(٦٨) ديوان الحماسة ١٧٩/٢ ونسبه لقضب بن أم صاحب . وهو شاعر إسلامي كان في أيام الوليد بن

عبد الملك .

(٦٩) صرى الشاة تصرية إذا لم يجلها أيامًا . حتى يجتمع اللبن في ضرعها . والشاة مصراة

(٧٠) النشب بفتحبتن المال والعقار .

وهذا مأخوذ من الفقه في تصرية ضرع الشاة عند البيع . وذلك يُوجب الرد .

ومما ينتظم بهذا السلك قولى وهو :

« الانتقال عن خلة الواد كالانتقال عن نسب الميلاد . وكما يحرم هذا في نص الحكم المشروع ، فكذا يحرم هذا في خلق الكرم المطبوع . على أن نسب الخلة الذى ينميه القلب إلى القلب . أوصل من نسب الرحم الذى ينميه الابن إلى الأب . ولهذا كانت مودة سلمان^(٧١) قرى . ونسب أبى لهب سباً وتباً .
وبعض هذا مأخوذ من شعر أبى نؤاس ، وهو :
كانت مودة سلمان له نسباً ولم يكن بين نوح وابنه رحم ؟

ومن ذلك مذكرته في وصف الديار وهو :

« دار كانت مقاصر جنة ، فأصبحت وهى ملاعب جنة ، ولقد عميت أخبار قطانها ، وأنشاز أوطانها ، حتى شابهت إحداها في الخفاء الأخرى في العفاء ، وكنت أظن أنها لا تسقى بعدهم بغمام ، ولا يرفع عنها جلباب ظلام ، غير أن السحاب بكاهم فجرت بها سوافح دموعه ، والليل شق عليهم ثوبه ، فظهر الصباح من خلال صدوعه » .

وهذه معان لطيفة جدا ، وبعضها مأخوذ من شعر الشريف الرضى ، رحمه الله

تعالى :

أمرأع الغزلان غيرك البلى حتى غدوت مرآع الغزلان

ومما يلتزم بهذا المعنى قولى أيضا ، وهو :

« دار أصبحت مرآع أذواد ، بعد أن كانت مناجع رؤاد ، فلو تصوّرت الآمال التى مثلت بفنائها ، كما تصوّرت الآثار الماثلة من بنائها ، لرأيت رسومها مع رسوم القباب ، وعلمت كم غار بها من بحر ، ونضب من سحاب » .

(٧١) يقصد سلمان الفارسى .

وهذا معنى حسن ، له من نفسه مثنٍ وحامد ، ومن سامعه يمين وشاهد ، وهو من معاني المستخرجة .

ومن ذلك قولي أيضا ، وهو :

« النقص موكّلُ بكمال النعماء ، ولذلك كان الوخم مقترناً بالمرعى والماء ، وقلماً ترى ثمرة إلا ومعها زنبور ، ولا لذة إلا وإلى جانبها شيء محذور » .

وكذلك قولي أيضا ، وهو :

« لا يظفر الرجل بمطالبه شفعاً ، ولا تؤثبه من كل جهة نفعا ، بل يرى مرعى ماء وماء بلا مرعى ، ولذلك كانت النحلة مع الشهدة ، والشوكة مع الوردة » .
وبعض هذه المعاني مأخوذ من قول أبي تمام :

أرض بها عشبٌ زاكٍ وليس بها ماءٌ وأخرى بها ماءٌ ولا عشبٌ (٧٢)
إلا أن في الكلام المنثور زيادة على ما تضمنه الشعر ، وكأنه ينظر إليه نظراً بعيداً .
ومن سبيل التصدي لهذا الفن أن يأخذ المعنى من الشعر ، فيجعله مثل الإكسير في صناعة الكيمياء ، ثم يخرج منه ألواناً مختلفة من جوهر وذهب وفضة ، كما فعلت في هذا الموضع ، فإني أخذت معنى هذا البيت من الشعر ، فاستخرجت منه ما ليس منه ، وهذا أعلى الدرجات في نثر المعاني الشعرية . وقد بسطت القول في هذا الموضع ، وكشفت عن دفتائه في الكتاب الذي سَمَّته : ب (الوشي المرقوم ، في حل المنظوم) ، وهو كتاب مفرد لهذا الفن خاصة .

ومن هذا الضرب الذي هو الكيمياء في توليد المعاني ما ذكرته في وصف الربيع

فقلت :

« فصل الربيع هو أحد ميزاني عامه ، والمستفيد لسامه من حامه ، وقد وُصف بأنه معاد نطق الأطيّار ، وميلاد أجنة الأزهار ، والذي تستوفى به حولها سلافة العقار ،

(٧٢) ديوان أبي تمام ٥٠ ورواية الديوان « أرض بها عشب جرف وليس بها » والجرف ما جرفته السيول وأكلته من الأرض .

فَإِذَا سَلَّتِ السَّحْبُ فِيهِ سُيُوفُهَا ، كَانَ ذَلِكَ لِلرُّضَا لَا لِلْغَضَبِ ، وَإِذَا خَلَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ غُلَاكُتَهَا الدَّكْنَاءَ لَبِسَتْ مِنْهَا دِيْبَاجَةً مُسْجُوجَةً بِالذَّهَبِ » .

وهذا المعنى مُسْتَوْلَدٌ من قول أَبِي تَمَّامٍ فِي وَصْفِ السَّحَابِ :
سَلَبَتْهُ الْجُنُوبُ وَالْدِّينَ وَالْدُّنْ يَا وَصَافِي الْحَيَاةِ فِي سَلْبِهِ^(٧٣)
إِلَّا أَنَّ فِي الذِّى ذَكَرْتَهُ مَعْنِيَيْنِ غَرِيبَيْنِ ، إِذَا أَمَعَنَ النَّظِيرُ نَظْرَهُ فَهَمَّهَا .

ومن ذلك ما ذكرته في لِينِ الْقَوْلِ وإِعَادَتِهِ ، وما يَجْرَى مجراه ، كَقَوْلِي فِي فَصْلِ مِنْ كِتَابِ ، وَهُوَ :

لَمْ أُعِدْ عَلَيْهِ الْقَوْلَ لِأَنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَدَى مِيدَانِهِ ، إِلَّا بِتَحْرِيكِ سَوْطِهِ وَعِنَانِهِ ، بَلْ أَخَذَ بِأَدَبِ اللَّهِ فِي أَذْكَارِ الْقُرْآنِ أَخْذًا ، وَاتِّبَاعًا لِسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ فِي تَثْوِيبِ الْأَذَانِ^(٧٤) .
وبَعْضُ هَذَا مَأْخُودٌ مِنْ شَعْرِ أَبِي تَمَّامٍ :
لَوْ رَأَيْنَا التَّائَكِيدَ خُطَّةَ عَجَزٍ مَا شَفَعْنَا الْأَذَانَ بِالتَّثْوِيبِ^(٧٥)
وكذلك قَوْلِي أَيْضًا ، وَهُوَ :

« وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ لِينَ الْقَوْلِ أَنْجَعُ قَبُولًا ، وَهُوَ مِنْ أَدَبِ كَلِمِ اللَّهِ إِذْ بَعَثَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ، أَلَّا تَرَى أَنَّ الْحُدَاءَ يَبْلُغُ مِنَ الْمَطَايَا بُلُطْفِهِ ، مَا لَا يَبْلُغُهُ السَّوْطُ عَلَى عُنْفِهِ » .
وبَعْضُ هَذَا الْمَعْنَى مَأْخُودٌ مِنْ شَعْرِ أَبِي تَمَّامٍ :
وَحُذِّهِمْ بِالرُّقَى إِنَّ الْمَهَارَى يُهَيِّجُهَا عَلَى السَّيْرِ الْحُدَاءُ^(٧٦)

(٧٣) ديوان أبي تمام ٥٢ والذي في الديوان :

قد جلبته الجنوب فالدين والدن يا وصافي الحياة من جلبه

وهو من قصيدة يمدح بها أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي ، ومطلعها :
إن بكاء في الربع من أربه فشايعا مغرمًا على طربه

(٧٤) التثويب في أذان الفجر أن يقول المؤذن « الصلاة خير من النوم » .

(٧٥) ديوان أبي تمام ٣٨ ورواية الديوان « التوكيد » بالواو ، ومن معاني التثويب التردد .

(٧٦) ديوان أبي تمام ٣٩٤ ، والرقى جمع رقية ، والحداء الغناء .

ومن ذلك ما ذكرته في ذم الدنيا ، وهو :

«أَنكَادُ الدُّنْيَا مَشَوْبَةٌ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي جُبِلَتْ النُّفُوسُ عَلَى حُبِّهَا ، وَكُلُّ مَا تَسْتَلْذُهُ الْأَبْدَانُ مِنْ مَأْكُلِهَا فَإِنَّهُ يَضُرُّهَا مِنْ جِهَةٍ طَبِئَهَا ، وَلِهَذَا يُدَمِّمُ مِنْ مَنَفْعَةِ الْهَلِيلِجِ ^(٧٧) ، وَمُضَرَّةِ اللَّوْزِ يَنْجِ ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ بِشَيْءٍ مِنْ لَذَاتِهَا إِلَّا ضَرَّهُ مِنْ جِهَةِ ثَوَابِهِ وَهُوَ كَالَّذِي يَنْتَفِعُ بِاصْطِلَاءِ النَّارِ وَهِيَ مُحْرِقَةٌ لِأَثْوَابِهِ ، وَقَدْ ضَرَبَ لَذَلِكَ مَثَلٌ مِنَ الْأَمْثَالِ ، وَقِيلَ : إِنَّ كُلَّ مَا يَنْفَعُ الْكَبِدَ مُضِرٌّ بِالطَّحَالِ » .

وهذا مأخوذٌ من الأمثال العربية والمولدة .

ومن ذلك ما ذكرته في الزهد ، وهو :

النَّاسُ فِي الدُّنْيَا أَبْنَاءُ السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ ، وَكَمَا أَنَّ النُّفُوسَ لَيْسَتْ فِيهَا بِقَاطِنَةٍ ، فَكَذَلِكَ الْأَحْوَالُ لَيْسَتْ بِقَاطِنَةٍ ، وَلِهَذَا كَانَتْ الْمَاتَمُ بِهَا كَالْأَغْرَاسِ ، يَتَفَرَّقُ نَدَى جَمْعِهَا ، فَهَذِهِ تَنْسَى مَا مَضَى مِنْ لَذَةِ سُرُورِهَا ، وَهَذِهِ تَنْسَى مَا مَضَى مِنْ أَلَمِ فَجَعِهَا ، وَلَا شَيْءَ لَهَا عَلَى ذَلِكَ إِلَّا الْأَحْلَامُ الَّتِي يَتَلَاشَى خِيَالُهَا عَاجِلًا ، وَتَجْعَلُ الْبِقِظَةَ حَقًّا بِاطِلَا ، وَمَا يَنْبَغِي حِينَئِذٍ أَنْ يُفْرَحَ بِهَا مُقْبِلَةٌ ، وَلَا يُؤْسَى عَلَيْهَا مُدْبِرَةٌ ، وَكُلُّ مَا تَرَاهُ الْعَيْنُ مِنْهَا ثُمَّ يَذْهَبُ فَكَأَنَّهَا لَمْ تَرَهُ ، وَغَايَةُ مَطْلُوبِ الْإِنْسَانِ مِنْهَا أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي مُدَّةِ عُمُرِهِ ، وَيُؤْمَلَى لَهُ فِي امْتِدَادِ كُتْرِهِ ، أَمَا تَعْمِيرُهُ فَيَعْتَزُّهُ الْمَشِيبُ الَّذِي هُوَ عَدَمٌ فِي وُجُودٍ ، وَهُوَ أَخُو الْمَوْتِ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي سُكْنَى اللَّحُودِ ، فَالْجَوَارِحُ الَّتِي يُدْرِكُ بِهَا الشَّهَوَاتِ تَرَى وَكُلُّ مِنْهَا قَدْ تَحَوَّلَ ، وَأَصْبَحَ كَالطَّلَلِ الدَّارِسِ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْ مُعْوَلٍ ، فَلَا لَيْلَى بِلَيْلَى ، وَلَا النَّوَارُ بِالنَّوَارِ ، وَلَا الْأَسْمَاعُ أَسْمَاعٌ ، وَلَا الْأَبْصَارُ أَبْصَارٌ ، وَأَمَّا مَا لَهُ فَإِنْ أَمْسَكَهُ فَهُوَ عُرْضَةٌ لَوَارِثٍ يَأْكُلُهُ ، أَوْ لِحَادِثٍ يَسْتَأْصِلُهُ ، وَإِنْ أَنْفَقَهُ كَانَ عَلَيْهِ فِي الْحَلَالِ حِسَابًا ، وَفِي الْحَرَامِ عِقَابًا فَهَذِهِ زَهْرَةُ الدُّنْيَا النَّاصِرَةُ ، وَهَذِهِ عُقْبَاهَا الْخَاسِرَةُ » .

(٧٧) ذكره أكثر كتب اللغة باسم « الإهليلج » بفتح اللام الثانية وكسرها ، والواحدة بهاء ، ثم منه أصغر ومنه أسود وهو البالغ النضج ، ذكر أنه يحفظ العقل ويزيل الصداع .

وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر صالح بن عبد القدوس :
 وإذا الجنّازة والعروس تلاقيا ألفت جمعا كله يتفرق
 ومن قول أبي العتاهية :
 إنها أنت طول عمرك ماعمر ت في السّاعة التي أنت فيها

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن تعزية ، وهو :

« كيف يُظلم ذلك اللّحد وبه من أعمال ساكنه أنوار ؟ أم كيف يُجذب وبه من فيض يمينه سحب مذرّار ؟ أم كيف تُوحش أقطاره والملائكة داخلة عليه من تلك الأقطار ؟ أم كيف يُخفيه طول العهد على زوّاره وطيبُ ترابه هادٍ للزّوار ؟ وما أعلم ما أقوله في هذا الخطب الجليل ، الذي دقّ فيه الحزن الجليل ، وسمحت له النفوس بالفديّة على حبّ الحياة ، وذلك من الفداء القليل ، وقد قيل : إنّه لم يُخلق الدّمع إلا إنذارا بأنّ نوائب الزمان ستنب ، وقد جعله الله ذُخرا للقائنها ، وإنما يُدخر السلاح للقائ الحروب ، والذي ذخرته : لم يغن عني في هذه النّائبة ، وأيّ جنة تقوم في وجه سهامها الصّائبة ؟ لا جرّم أني أصبحت بين يديها هدفا للرّماء ، ولم يبق مني إلاّ ذمّاء الحشاشة (٧٨) ، ومن العجب بقاء الدّماء » .

وشيء من هذا الفصل مأخوذ من شعر ابن الروميّ :
 لم يُخلق الدّمع لأمري عبثا الله أدري بلوعة الحزن (٧٩)

وكذلك ذكرت فصلا في كتاب آخر يتضمن تعزية ، وهو :

« فيا وريح أيدٍ أسلمته إلى الثرى وما كان يُسلمها إلى الإعدام ، وألبسته ظلمة اللّحد وطالما جلا عنها غيابة الظلم والإظلام ، وغادرتّه بوحدته مستوحشا ، وقد كان يؤنسها بنوافل الأنعام ، ومثله لا يُؤارى القبر منه إلا صورة يُدرّكها النّفاد ، وتبلى كما يبلى غيرها

(٧٨) الرّماء مصدر راماه مرّاهة ورّماء ، والدّماء بقية الروح في المذبوح ، والحشاشة بقية الروح في المريض والجريح .

(٧٩) ديوان ابن الرومي ٤٨٠ .

من الأجساد ، ولكنه لا يستطيعُ مُؤاراةَ الذِّكْرِ الخالدِ الذى يَذْهَبُ بِشِمَاتَةِ الحُسَادِ ،
ويتمثِّلُ فى السماء بصورة الكواكبِ وفى الأرض بصورة الأطوَادِ .

وبعضُ هذا مأخوذ من قولِ بعض شعراء الحماسة ^(٨٠) :

فَإِنْ تَدْفِنُوا الْبَكْرَى لَا تَدْفِنُوا اسْمَهُ وَلَا تَدْفِنُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ ^(٨١)

ومن ذلك ما ذكرته فى وصف كلام بالفصاحة ، وهو فصل من كتاب ، فقلت :

وله البيان الذى يغضُّ من نسق الفريد ، ولا يُخْلِقُ نَصْرَةَ لباسه الجديد ، وهو فوق
كلام المُجيد ، ودون القرآن المَجِيد ، وإذا اختَصَرَ واصفه قال : إنه يستميلُ سَمْعَ
الطُّرُوبِ ، ويستحقُّ وقَارَ القلوبِ ، ويتمثِّلُ آياتِ بيضاءَ ، من غير ضَمٍّ إلى الجُيُوبِ ،
ويُرى فى الأرض غيرَ لاغِبٍ إذا مَسَّ غيرَه فَرَّةُ اللُّغُوبِ ، ولا تَرَالُ النَّاسُ فى عِشْقِ
معانيه ضرباً واحداً والعاشقونَ ضُرُوبٌ ، ولما وقفتُ عليه قلتُ : سُبْحَانَ مَنْ أَعْطَى
سيدنا فلم يَبْخُلْ ، وخصَّه بنبوة البيانِ إلا أنه لم يُرْسَلْ ، ولولا أَنَّ الوحيَ قد سُدَّ بآيِهِ
لقليل : هذا كتابٌ مُتَرَلِّ ، ولقد خَارَ اللهُ لأولى الفصاحةِ إذْ لَمْ يَحْيُوا إلى عصرِهِ ، ولمْ
يُتَلَّوْا فيه بداءِ الحسدِ الذى يُصْلِيهِمْ بتوقدِ جَمْرِهِ ، ولئن سَلِمُوا من ذلكَ فما سَلِمَتْ
أقوالُهُمْ من أقواله التى مَحَّتْهَا مَحْوُ المِدَادِ ، وقد كانتُ باقية بعدهم فلما اتَى صَارَتْ كما
صارُوا إلى الأَلْحَادِ .

وفى هذا الفصل شىءٌ من المعانى الشعرية كقول البُحْتَرى :

مُسْتَمِيلٌ سَمْعَ الطُّرُوبِ الْمُعْنَى عَنْ أَغَانِي مَعْبَدٍ وَعَقِيدٍ ^(٨٢)

^(٨٠) هو أبو الشَّغْبِ العَبْسِي ، قاله فى خالد بن عبد الله القسرى لما وقع خالد أسيراً فى يد يوسف بن عمر
الثَّقَلِي .

^(٨١) رواية ديوان الحماسة ١/ ٣٩١ :

فَإِنْ تَسْجِنُوا الْقَسْرَى لَا تَسْجِنُوا اسْمَهُ وَلَا تَسْجِنُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ

^(٨٢) ديوان البُحْتَرى ٢/ ١٩٥ وهو من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات ، ومطلعها :

بعضُ هذا العتاب والتفنيد ليس ذم الوفاء بالمحمود

وقد ورد الشطر الثانى فى رواية الديوان هكذا عن أغد : . . .

ومخارق هو مخارق بن يحيى بن نائس الجزار ، مولى الرشيد . وكان قبله لعاتكة بنت شهدة ، وهى من

الغنيات المحسنات المتقدمات فى الضرب ، ونشأ فى المدينة ، وقيل كان منشؤه بالكوفة . وكان أبوه جزازاً مملوكاً ،

وكان مخارق وهو صبي بنادى على ما يبيعه أبوه من اللحم ، فلما بأن طيب صوته علمته مولاته طرفاً من الغناء ، ثم =

وقول الشريف الرضى - رحمه الله - :

عَشِقتُ ومالي ، يعلم الله ، حاجةً سَوَى نَظَرِي والعاشِقُونَ ضُرُوبُ (٨٣)
وفيه أيضًا شيءٌ من معاني القرآن الكريم ، إلا أنها جاءت ضِمنًا وتَبَعًا ، وموضعها
يأتى بعد الأبيات الشعرية .

وكذلك ذكرت فصلا آخر من هذا الأسلوب ، وهو :

« وإنَّ للكلمة طعماً يُعرَفُ مذاقه من بين الكلام ، وخفَّةُ الأرواح معلومة من بين
ثقل الأجسام ، فلو لم نَعْرِفه بطعمه ، عَرَفناه بِوَسْمِهِ ، والصباح لا يُتَبَارَى في إسْفاره ،
ولا يُفْتَقَرُ إلى دليلٍ على إشراقِ أنواره ، وقد عَلِمَ أَنَّ العِرْقَ يُعرَفُ بِغُصْنِهِ ، وأنَّ القولَ
يُعرَفُ بِلَحْنِهِ ، ونفائسُ هذه العقود لا يُبرِّزُها إلا أنفاسُهُ ، فدُرُّرها لَفْظُهُ ، وسلوكُها
قَرطاسُهُ » .

ومن هذا الباب قولى أيضا وهو :

« ألفاظ كَخَفَقَ البُودُ ، أو زَارَ الأَسودُ ، ومعانٍ تدلُّ بِإِزْهَافِها أَنَّها هِى السُّيُوفُ وإنَّ
قلوباً نَمَتْها هِى الغُمُودُ ، فيخالها المتأملُ حَوَمَةَ طِعَانٍ ، أو حَلَبَةَ رَهَانٍ .
وبعض هذا مأخوذ من شعر البحترى :
يَقْطَآنَ يَنْتَخبُ الكلامَ كأنَّه جيشٌ لَدَيْهِ يَريدُ أَنْ يُلْقَى بِهِ (٨٤)

ومن ذلك ما ذكرته فى فصل من كتاب إلى بعض الإخوان من أهل الكتابة كان
اعتدى عليه شخص يدعى الكتابة وليس من أهلها ، فقلت :

« وَقَدْ نِيطَ بِسَيِّدِنَا قَلَمًا الخَطَ اللِّدَانِ يُنْسَبُ أَحَدُهُما إِلَى المِدَادِ ، وَيُنْسَبُ الْآخَرُ إِلَى
الصَّعَادِ (٨٥) ، فهو يُدِيرُ هذا فى مَعْرِكةِ المقالِ ، وهذا فى مَعْرِكةِ الطَّرَادِ ، ولِثَرَيَّا صَهْلٍ
= أرادت بيعه ، فاشتراه إبراهيم الموصلى منها ، وأهداه إلى الفضل بن يحيى ، فأخذه الرشيد ، ثم أعتقه .

(٨٣) ديوان الشريف الرضى ٤١٧/١ طبعة الحلبي .

(٨٤) ديوان البحترى ٩٣/٢ من قصيدة يعاتب بها إسماعيل بن شهاب .

(٨٥) الصعاد : الرماح .

أَحَدُ قَلَمِيهِ مِنْ فَوْقِ صَفْحَاتِ الدُّرُوجِ ^(٨٦) ، كَمَا تَصَهَّلُ الْجِيَادُ مِنْ تَحْتِ أَعْوَادِ السُّرُوجِ ، فَلَهُ احْتِفَالُ الْمَوَاطِنِ وَالْمَجَالِسِ ، وَإِلَيْهِ غَنَاءُ أَصْحَابِ الْعِمَامِ وَالْقَلَانِسِ ، لَا كَمَنْ لَا يُجَاوِزُ هَمَّهُ طَرْفَى رِدَائِهِ ، وَإِذَا نُودِيَ لِفَضِيلَةٍ قِيلَ إِنَّمَا يَسْمَعُ الْحَيُّ بِنْدَائِهِ . وَكَمْ فِي النَّاسِ مِنْ صُورٍ لَا تَجِدُ لِمَعْنَاهَا أَثَرًا ، وَإِذَا رَأَيْتَهَا قُلْتَ أَرَى خَالًا ^(٨٧) وَلَا أَرَى مَطَرًا ، وَأَيُّ جَمَالٍ عِنْدَ مَنْ لَيْسَ لَهُ إِلَّا جَمَالُ ثِيَابِهِ ، وَهَلْ يَنْفَعُ السِّيفُ الْكِهَامَ ^(٨٨) أَنْ يُجْعَلَ مِنَ الذَّهَبِ حَلِيَّةُ قَرَابِهِ . وَكُلُّ مَنْ هُوَ لَا ذَنْبُ يَسْعَى بِغَيْرِ رَأْسٍ ، وَلَا لَهُ هِمٌّ إِلَّا فِي عَيْشَةِ الطَّاعِمِ الْكَاسِي ، وَإِذَا اعْتَبَرَ حَالَهُ وَجَدَ مِنَ الْبِهَامِ وَإِنْ كَانَ مَنْسُوبًا إِلَى النَّاسِ ، وَالسِّيَادَةِ لَيْسَتْ فِي وَشَى الثِّيَابِ ، وَلَا فِي طَيِّبِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي شَيْئَيْنِ : إِمَّا شِهَامَةٌ قَلَمٌ تَفَرَّقُ لَهَا قُلُوبُ الْعُمُودِ ، أَوْ شِهَامَةٌ رُمَحٌ تَفَرَّقُ لَهَا قُلُوبُ الْأَسُودِ . وَكَأَنِّي بِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ هَذَا وَكُلُّهُمْ يَتَعَصَّ امْتِعَاضَ الْمَغْضَبِ ، وَيَتَتَابِعُ نَفْسَهُ تَتَابِعُ الْمُتَعَبِ ، وَيَعْتَرِضُ الشَّجَى فِي حَلْقِهِ حَتَّى يَغْصَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَبَ . وَلَمْ يَزَلْ بِالْحَسَادِ مِنْ سَيِّدِنَا دَاءٌ يُورِثُهُمْ أَرْقًا ، وَيُوسِعُهُمْ شَرْقًا ، وَكَثِيرًا مَا تَعَرَّقَ لَهُمْ جَبَاهُهُمْ وَكَذَا الْمَيْتَ تَنْدَى جَبِينُهُ عَرَقًا ، وَمَا أَرَى لَهُوَاءَ دَوَاءٍ إِلَّا أَنْ يَطْرَحُوا عَنْ مَنَاكِبِهِمْ ثِقْلَ الْمُسَاجِلَةِ ، وَالْحَسَدُ إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّنْ يَجْرَى مَعَ صَاحِبِهِ فِي مِضْمَارِ الْمِائِلَةِ . وَكَنتُ أَحَبُّ أَنْ يُقَامَ عَلَى الْكِتَابَةِ مُحْتَسِبٌ حَتَّى يَتَفَلَّسَ مِنْهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَتُسْتَرِجَ جِيَادُ كَثِيرَةٍ مِنْ رُكُوبِ حَمِيرٍ ، وَفِي مِثْلِ هَذَا السُّوقِ يَظْهَرُ أَهْلُ الْخِلَابَةِ وَالنَّجْشِ ^(٨٩) ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ وَقَدْ أَجْلَسَ نَفْسَهُ قَائِمَةَ الْعَرْشِ ، وَنَارُ الْآلَةِ الْعُمَرِيَّةِ تَمِيزُ خَالِصَ النُّقُودِ مِنْ زَيْفِهَا ، وَلَا حَيْفَ فِي هَذَا الْمَقَامِ عَلَى مَنْ أَسْرَفَتْ دَعَاؤُهُ الْكَاذِبَةَ فِي حَتْفِهَا .

(٨٦) الدُّرُوجُ جَمْعُ دَرَجٍ بَفَتْحِ الدَّالِ وَسُكُونِ الرَّاءِ ، أَوْ بَفَتْحِهَا ، مَا يَكْتُبُ فِيهِ .

(٨٧) الْخَالُ سَحَابٌ لَا مَطَرَ فِيهِ .

(٨٨) السِّيفُ الْكِهَامُ - عَلَى وَزْنِ سَحَابٍ - الْكَلِيلُ الَّذِي لَا غَنَاءَ فِيهِ .

(٨٩) النَّجْشُ أَنْ تَوَاطَىءَ رَجُلًا إِذَا أَرَادَ بَيْعًا أَنْ تَمْدَحَهُ ، أَوْ أَنْ يَرِيدَ الْإِنْسَانَ أَنْ يَبِيعَ بِيَاعَةَ فَتَسَاوِمُهُ فِيهَا

بِشَمَنِ كَثِيرٍ ، لِيَنْظُرَ إِلَيْكَ نَاطِرٌ ، فَيَقَعُ فِيهَا .

وبعض هذا الفصل مأخوذ من شعر عبد السلام بن رغبان ، عُرِفَ بِدِيكَ
الْجَنِّ (٩٠) :

يُزْهِى بِهِ الْقَلَمَانُ إِلَّا أَنَّ ذَا لَدُنُ الْمَجَسِّ وَأَنَّ ذَا بِكُؤُوبٍ
عُودَانِ يَقْضِبُ ذَا الطَّلَى (٩١) بِلَعَابِهِ وَيَجُوبُ ذَا الْمُهْجَاتِ بِالْتَّرَكِيبِ

ويكفيك أيها المتوشعُ لنثر الشعر أن تنظر إلى هذا الفصل ، وتأمل الوضع الذي
أخذتُ معنى هذين البيتين ، ووضعته فيه ، فإن فيه غناءً ومقنعاً .

وأما حلُّ آيات القرآن العزيز فليس كثر المعاني الشعرية ، لأن ألفاظه ينبغي أن
يُحَافَظَ عليها ، لمكان فصاحتها ، إلا أنه لا ينبغي أن يُؤْخَذَ لفظ الآية بِجُمْلَتِهِ ، فإنَّ
ذلك من باب (التَّضْمِينِ) ، وإِنَّا يُؤْخَذُ بَعْضُهُ . فإِذَا أُنْ يُجْعَلُ أَوَّلًا لِكَلَامٍ أَوْ آخِرًا
على حسب ما تقتضيه موضعه وكذلك تفعلُ بالأخبار النبوية . على أنه قد يُؤْخَذُ معنى
الآية والخبر ، فيُكْسَى لفظاً غير لفظه ، وليس لذلك من الحُسْنِ ما للقسم الأول ،
الفائدة التي أشرنا إليها .

وقد سلكْتُ في ذلك طريقاً اخترعتها ، وكنتُ أنا بنَ عذْرَتِهَا ، وعند تأمل ما
أوردتهُ منها في هذا الكتاب يظهر للمتأمل صحة دَعَاوِي . ولئن كان منْ تقدَّمَنِي أتَى
بشيء من ذلك ، فَإِنِّي رَكِبْتُ فِيهِ جَوَادًا وَرَكِبَ جَمَلًا ، ونال من مَوْرِدِهِ نَهْلَةً
واحدة ، ونلتُ منه نَهْلًا وَعَلَا .

ومن آتاهُ الله في القرآن بَصِيرَةً فَإِنَّهُ يَسْبِكُ أَلْفَاظَهُ وَمَعَانِيَهُ فِي كَلَامِهِ وَيَسْتَعْنِي بِهِ عَنْ
غَيْرِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ صَوَاعًا يَخْرُجُ مِنْهُ ضُرُوبُ الْمَصُوغَاتِ ، أَوْ صَرَافًا
يَتَجَهَّدُ فِي نَقْوَدِهِ الْمُخْتَلَفَةِ مِنَ الذَّهَبِ الْمُخْتَلَفِ الْأَلْوَانِ ، وَلَا أَقُولُ مِنَ الْفَضَّةِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ
فِيهِ مِنَ الْفَضَّةِ شَيْءٌ وَهُوَ أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ ، أَوْ يَكُونَ فِيهِ تَاجِرًا يَدِيرُهُ عَلَى يَدِهِ ،

(٩٠) ذلك الجن هو عبد السلام بن رغبان ، ولد في حمص ، ودِيكَ الْجَنِّ لِقَبْ لَهُ ، وكان شديد التشعب
والعصية على العرب ، وهو شاعر مجيد ، لم يبرح نواحي الشام ، وكان متشيعاً لآل البيت ، وله مرث كثيرة في
الحسين بن علي ، وكان مع ذلك خليعاً ماجناً عاكفاً على اللهو والقصف ، متلافاً لما ورث عن آبائه وما كتسبه
بشعره من أحمد وجعفر ابني علي الهاشميين . توفي دِيكَ الْجَنِّ سنة ٢٣٥ هـ .

(٩١) الطلي بالضم الأعناق أو أصولها جمع ظلية أو طلاة بضم الطاء فيها .

وَيَتَصَرَّفُ فِي أَرْبَاحِهِ ، وَيُخْرِجُ مِنَ الْأَمْتَعَةِ الْمَجْلُوبَةِ مِنْ مَنَاسِجِهِ كُلِّ غَرِيبَةٍ عَجِيبَةٍ
وَكُلُّ هَذَا يَفْهَمُهُ مَنْ عَرَفَ فَلَزِمَ ، وَحَكَّمَ بِمَا عَلِمَ :
وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ الْقَرِيبُ بِشَاعِرٍ وَلَا كُلُّ مَنْ عَانَى الْهَوَى بِمُتِمِّمٍ
وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُتَصَدِّقَ لِحُلِّ مَعَانِي الْقُرْآنِ يَحْتَاجُ إِلَى كَثْرَةِ الدَّرْسِ ، فَإِنَّهُ كَلِمًا دِيمًا عَلَى
دَرْسِهِ ظَهَرَ مِنْ مَعَانِيهِ مَا لَمْ يَظْهَرُ مِنْ قَبْلُ .

وهذا شيء جَرَّبْتُهُ وَخَبَّرْتُهُ ، فَإِنِّي كُنْتُ أَخْذُ سُورَةَ مِنَ السُّورِ ، وَأَتْلُوهَا وَكَلِمًا مَرَّرِي
مَعْنَى أَثْبَتُهُ فِي وَرَقَةٍ مَفْرَدَةٍ ، حَتَّى أَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ أَخَذْتُ فِي حُلِّ تِلْكَ الْمَعَانِي الَّتِي
أَثْبَتْتُهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، وَلَا أَقْنَعُ بِذَلِكَ حَتَّى أَعَاوِدَ تِلَاوَةَ تِلْكَ السُّورَةِ ، وَأَفْعَلَ مِثْلَ مَا
فَعَلْتُهُ أَوَّلًا ، وَكَلِمًا صَقَلْتُهَا التِّلَاوَةَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ظَهَرَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ مِنَ الْمَعَانِي مَا لَمْ يَظْهَرُ فِي
الْمَرَّةِ الَّتِي قَبْلُهَا .

وَسَاوَرْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ سُورَةَ مِنَ السُّورِ ، ثُمَّ أَرْدِفْتُهَا بِآيَاتٍ أُخْرَى مِنْ سُورٍ
مُتَفَرِّقَةٍ ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُ مَا فَعَلْتُهُ ، فَتَحْذَوْ حَذْوَهُ . وَقَدْ بَدَأْتُ بِالسُّورَةِ أَوَّلًا ،
وَهِيَ سُورَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لِأَنَّهَا قِصَّةٌ مَفْرَدَةٌ بِرَأْسِهَا ، وَفِيهَا مَعَانٍ كَثِيرَةٌ .

فَالأَوَّلُ مَا ذَكَرْتُهُ فِي دَعَاءِ كِتَابِ مِنَ الْكُتُبِ ، وَهُوَ :

« وَصَلَ كِتَابُ الْحَضْرَةِ السَّامِيَةِ ، أَحْسَنَ اللَّهُ أَثَرَهَا ، وَأَعْلَى خَطَرَهَا ، وَقَضَى مِنْ
الْعُلَيَّا وَطَرَهَا ، وَأَظْهَرَ عَلَى يَدِهَا آيَاتِ الْمَكَارِمِ وَسُورَهَا ، وَأَسْجَدَ لَهَا كَوَاكِبَ السِّيَادَةِ
وَشَمْسَهَا وَقَرَهَا » .

وهذا أولُ معنى في السُّورَةِ ، وَقَدْ نَقَلْتُهُ عَنْ قِصَّةِ الْمَنَامِ إِلَى الدُّعَاءِ .

ثُمَّ أَبْرَزْتُ هَذَا الْمَعْنَى فِي صُورَةٍ أُخْرَى ، وَهُوَ :

« أَكْرَمُ النِّعَمِ مَا كَانَ فِيهَا ذِكْرِي لِلْعَابِدِينَ ، وَتَقَدَّمَ أَنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ ، فَهَذِهِ النِّعْمَةُ هِيَ الَّتِي تَأْتِي بِتَيْسِيرِ الْعَسِيرِ ، وَتَجْلُو
ظِلْمَةَ الْخَطْبِ بِالصَّبَاحِ الْمُنِيرِ ، فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ،
إِنَّ ذَلِكَ لَمُخَيِّ الْمَوْتَى ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

ثم تصرفت في هذا المعنى ، فأخرجته في معرض آخر ، وهو فصل من جملة تقليد يكتب من ديوان الخلافة لبعض الوزراء ، فقلت :

وقد علمه أمير المؤمنين ، فأدنى مجلسه من سمائه ، وآسنه على وحدة الانفراد بحفل نغمائه ، ورفعته حتى ودت الشمس لو كانت من أثرابه ، والقمر لو كان من ندمائه ، وذلك مقام لا تستطيع الجدود أن ترقى إلى رتبته ، ولا الآمال أن تطوف حول كعبته ، ولا الشفاء أن تنشرف بتقيل رتبته . فليزد إعجاباً بما نالته مواطئ أقدامه ، ولينظر إلى سُجود الكواكب له في يقظته لا في منامه .
ومن ذلك ما ذكرته في ذم بخيل ، وهو :

« لم أر كموهّب فلان ملأت أملى بطمع وعودها ، وفرغت يدي من أنبل جودها ، فلم أحظ إلا بلامع سرابها ، وكانت كدم القميص في كذابها » .

ومن ذلك ما ذكرته في تزكية إنسان مما رمى به ، وهو :

« لم ترم بذنّب إلا نابت البراءة له مناب الشهود ، وجيء من أهلها بشهادة القميص المقدود » .

ومن ذلك ما ذكرته في عذر الهوى ، وهو :

« لم يهو حبيباً إلا كان لأهل التقى فيه أسوة ، ولا ليم من أجله إلا اعتذر عذر امرأة العزيز إلى النسوة » .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من جواب كتاب إلى بعض الإخوان ، وهو :

« إن كان الكلام كما قيل ذكراً والجواب أنثى ، فجوابي هذا عروس تجلى في حللها الحبرة ، وعقودها المشدرة ، وتزهى بما آتاها الله من الحسن الذي ليس بالجلوب ، ولا ترضى بتقطيع الأيدي دون تقطيع القلوب . وها قد أرسلتها إلى سيدنا ، حتى يعلم أن نتائج خاطري على الفطرة ، وأنها معشوة الصورة ، فكل الناس في هواها بنو عذرة » .
وفي هذا الفصل معنى الآية والخبر النبوي والبيت من الشعر .

ومن ذلك ما ذكرت في قلب الأيام ، وهو :

« لَقِينَا أَيَّامًا ضاحكات ، ولَيْتَهَا أَيَّامٌ عابسات ، فكانت كَسْبَعٍ سُبُلَات خُضِرَ
وأخِرَ يابسات » .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم ، وهو :

« لَيْسَ مَنْ يَرْقُبُ عَجْفَ الزَّمان ، فيذرُ الحَبَّ في سُنْبِلِه ، ولكنه يستأنفُ الصَّبْرَ في
آخِرِه ، ويستهلك المالَ في أوْلِه ، فلا يُبْقَى من يومه لَغَدِه ، ولا يَتَّهَمُ رَبُّهُ فيما بيده » .

ومن ذلك ما ذكرته في حب الرشوة ، وهو :

« الرِّشْوَةُ تَحُلُّ عُقْدَ القُلُوبِ ، وتهون فراقَ المحبُوبِ . ألا تَرَى أن رَدَّ البِضَاعَةِ حَكَمَ
على أَخِي يُوسُفَ بالإِضَاعَةِ ؟ » .

ومن ذلك ما ذكرته في الاستسلام لحكم الأقدار ، وهو :

« لا تَحْتَرِسْ من جُنُودِ الأقدارِ بِالآراءِ المتعمِّقة ، وسواءٌ عندها البابُ الواحدُ
والأبوابُ المتفرِّقة » .

ومن ذلك ما ذكرته في تتابع الإساءة ، وهو :

« لم يَزَلْ يَرْشُقْنِي بِقَوَارِصِه حَتَّى تَكَاثَرَ النَّبْلُ ، واستَحْكَمَ النَّبْلُ (٩٢) ، ولم يكفه
الإِلْقَاءُ في غِيَابَةِ الجُبِّ حَتَّى قال : إِنَّ يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ » .

ومن ذلك ما ذكرته في التوكل ، وهو :

« إِذَا طَلَبَ أَمْرًا أَجْمَلَ في المَطْلُوبِ ، ووَكَلَه إلى الذي بيده مَفَاتِيحُ الغُيُوبِ ،
وتَأَسَّى في حاجته منه بِالْحَاجَةِ التي كانت في نَفْسِ يَعْقُوبَ » .

(٩٢) من معاني التبل العداوة ، والدخل ، والإسقام ، وتبله ذهب بعقله ، وتبل الدهر القوم رماهم بصروفه
وأفناهم ، وكل هذه المعاني تصح .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الكيد ، وهو :

« لم يأت أمراً إلا أخفى أسبابَ أَوَاحِيهِ ، وبدأ فيه بالأَوْعِيَةِ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ » .
وهذه ثلاثة عشر معنى من سورة يُوسُفَ عليه السلام .

وأما الآياتُ التي هي من سُورِ متفرقة فأولُّها ما كتبتُه في صدر كتاب إلى بعض الإخوان جواباً على كتابه وهو : « وَرَدَ كتابُه عَشِيَّةَ يوم كَذَا فَعَرِضَ على عَرَضِ الجيَادِ على سُلَيْمَانَ ، وتساوينا في الاشتغالِ منه ومنها بالاستحسان ، غير أنَّ الجيَادَ وإن حَسُنَتْ فإنَّها لا تَبْلُغُ في الحُسْنِ مبلغَ الكتاب ، لكن قلت كما قال : إني أَحْبَبْتُ حُبَّ الخير عن ذِكْرِ رَبِّي حتى توارت بالحجاب . ولئن قَضَى الاشتغالُ هناك بِمَسْحِ سُوْقٍ وَأَعْنَاقٍ ، فَإِنَّهُ لم يَقْضِ هاهنا بِمَسْحِ سَطُورٍ ولا أوراقٍ ، وإنما اشتغلتُ عن عِبَادَةٍ بِعِبَادَةٍ ، ولو شِئْتُ لَقُلْتُ : عن إفَادَةٍ بِإِفَادَةٍ » .

وهذا مأخوذٌ من قِصَّةِ سُلَيْمَانَ عليه السلامُ في سورة (ص) وهي قوله تعالى : « وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حتى توارت بالحجاب * رُدُّوْهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٩٣) » .

فانظر كيف أخذتُ هذه القِصَّةَ ، وقابلتُ بينها وبين الكتاب ، ثم إِنِّي تَصَرَّفْتُ فيها بالموافقةِ بينهما تارة ، والمخالفةِ بينهما أُخْرَى .
وهكذا ينبغي أن يُفعل فيما هذا سبيله .

ومن ذلك ما كتبه عن الملك الأفضل على بن يوسف :

إلى الديوان العزيز النبويَّ ببغدادَ في فصل من كتاب ، وهو :
« وقد علم أنَّ المَالَ الذي يُخْتَرَنُ كالماء الذي يُحْتَقَنُ . فكما أن هذا يَأْجُنُ بتعطيل الأيدي عن امتِّياحِ مشاربه ، فكذلك يَأْجُنُ هذا بتعطيل الأيدي عن امتِّياحِ مواهبه ،

وأى فرق بين وجوده وعدمه لولا أن تملك به القلوب . وتقل به الخطوب ، ويُركب به ظهر العزم الذى ليس برُكوب . ومن بسط الله يده فيه . ثم قبضها بخله . فإنه يقف دون الرجال مغموراً ، ويقعد عن نيل المعالي ملوماً محسوراً ، وإذا أدركته منية مضى وكأنه لم يكن شيئاً مذكوراً .

ومذناط الله بيد الخادم مانأطه من أمر بلاده لم يدخر منها إلا مربط أشقره ومركز أسمره^(٩٤) ، وما عداهما فإنه مصروف إلى قوة الإسلام فى سد ثغوره ، وتكثير جنوده ، وإيقاد حرب عدوه بعد خمودها ، واستباحة جمرها عند وقوده ، وما يفضل عن ذلك فإنه للناس يشتركون فى وشله وغمره^(٩٥) ، والمسلم أخو المسلم يساويه فى حقه من بيت المال ، وإن خالفه فى مزية قدره ، ولا سبيل على هذا الخادم وهو يفعل مايفعله أن يدلّس من هذا المال بتبعة المطلوب ، أو يلتحق بالقوم الذين يكتزونهم فيجزى عليه بكى الجباه والظهور والجنوب . ولم يأت به الله على فترة من مثله إلا ليمحبه سيئات الدين ، ويعيد به الإسلام إلى وطنه بعد أن طال عهده بمفارقة الوطن ، ولا يكون حسنة من حسنات أمير المؤمنين ترقمها الدنيا فى ديوانه ، وتثقل بها فى الآخرة كفة ميزانه .

فى هذا الفصل معنى آيتين ، إحداهما : فى سورة « هل أتى » والأخرى فى سورة « براءة » .

ومن ذلك ماكتبته عنه :

إلى عمه الملك العادل أبى بكر بن أيوب من كتاب يتضمن استعطافه والتنصّل إليه ، وهو :

« من شيمة الأقدار أن تذهب ببصائر ذوى الألباب ، وتمثل لهم الخطأ فى مثال الصواب ، ولولا ذلك لما زلّ الحكيم ، واعوجّ المستقيم والمملوك يقبل اليد الكريمة المولوية الملكية العادلة ، لا زال عُرْفها مأمولاً وإحسانها عند الله مقبولا ، وفعلها فى المكرمات مبتدعاً إذا كان فعل الأيادى مفعولاً ونستغيث إلى عفوها الذى يكفى فيه لفظة

(٩٤) المراد بالأشقر الفرس وبالأسمر الريح .

(٩٥) الوشل الماء القليل ، والغمر الماء الكثير .

الاعتذار ، ولا ينفد بمواظبة الإصرار . ولو عَرَفَ ذَنْبَهُ بادياً لَفَرَّعَ له سِنَّ النَّدَامَةِ ، وعَادَ على نفسه بالملامة ، ولما كَانَ عَجَبِيًّا أَن يَكُونَ مُلِمًا ^(٩٦) ، وَأَن يَكُونَ مُولَانَا كَرِيمًا لَكِنَّهُ حَمْلُ إِصْرَةِ الذَّنْبِ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ حَمْلِهَا ، وَخَافَ أَن تَكُونَ هَذِهِ كَأَخْوَاتِهَا الَّتِي سَلَفَتْ مِنْ قَبْلِهَا . وَالْأُمُورُ الْمُتَشَابِهَةُ يِقَاسُ الْبَعْضُ مِنْهَا عَلَى الْبَعْضِ ، وَالْمَلْسُوعُ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يَرَى مَجْرَّ حَبْلِ عَلَى الْأَرْضِ . وَلَمْ يَجْتَرِمْ الْمَمْلُوكُ الْآنَ جَرِيمَةَ سَيِّئِ أَنْ فَرَّ إِلَى الْإِعْتِصَامِ ، وَالَّتِي بِيَدِهِ إِلَى أَقْوَامٍ لَمْ يَكُونُوا لَهُ بِأَقْوَامٍ ، وَإِذَا ضَاقَ عَلَى الْمَرْءِ أَقْرَبُهُ كَانَ الْأَبْعَدُ لَهُ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ ، وَلَيْسَ بِأَوَّلٍ مَنْ ذَهَبَ هَذَا الْمَذْهَبُ ، وَلَا بِأَوَّلٍ مَنْ حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى رُكُوبِ هَذَا الْمَرْكَبِ .

وَلَمَّا قَالَ بَعْضُ النَّاسِ : إِنَّهُ عَجَلٌ فِي إِعْتِصَامِهِ وَفَرَارِهِ ، وَأَنَّهُ لَوْ صَبَرَ لَحَمْدَ مَغَبَّةِ اصْطِبَارِهِ ، فَهَذَا قَوْلٌ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَالَ الْمَمْلُوكِ فَيَقِيمَ لَهُ عَذْرًا ، وَلَا ابْتَلَى بِمَا ابْتُلِيَ بِهِ مِنْ قَوَارِصِ مُولَانَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . وَلَقَدْ تَكَاثَرَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَقْوَالُ الْمُؤَنَّبَةُ حَتَّى مَلَأَ طَرَفَهُ كَحُلِّ السُّهَادِ ، وَجَنَّبَهُ شَوْكُ الْقَتَادِ . وَأَصْبَحَ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ زَلَقَ فِي خَطِيئَتِهِ زَلَقًا ، وَغَضَّ بِنَدَمِهِ مِنْ أَجْلِهَا شَرْقًا ، وَبَدَتْ لَهُ سَوَاتُهُ حَتَّى طَفِقَ يَخْصِفُ عَلَيْهَا وَرَقًا ^(٩٧) . وَمَعَ هَذَا فَإِنَّهُ وَاثِقٌ أَن حِلْمَ مُولَانَا لَا يُؤْقِي مِنَ الزَّلَلِ ، وَأَن حَصَاةَ الذُّنُوبِ لَا تَحْفُ بِوِزْنِ ذَلِكَ الْجَبَلِ ، وَهَا هُوَ قَدْ جَاءَ نَازِعًا ، وَلِلنَّازِعِ الْعُتْبَى ، وَعَادَ مُسْتَشْفِعًا ، وَلَا شَفِيعَ أَكْرَمُ مِنَ الْقُرْبَى » .

ثم مضيت على هذا النهج إلى آخر الكتاب .

وفى الذى أوردته من هذا الفصل معنى آية من القرآن فى سورة « الأعراف » وهى قوله تعالى : « بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ^(٩٨) » .

(٩٦) المليم الداخل فى الملامة .

(٩٧) يجعل على عورته ورقة فوق ورقة ، ليستتر بها ، كما تخصف النعل .

(٩٨) سورة الأعراف : الآية ٢٢ ، وفى الأصل « فبدت » وصحة الآية « فدلهاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما . . . » .

ومن ذلك ما كتبه عن الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان بن مسعود صاحب

الموصل :

إلى الديوان العزيز ببغداد بعد وفاة والده يسأل في التقليد ، وكان عمره إذ ذاك ست عشرة سنة .

فمما جاء في صدر الكتاب بعد الدعاء قولي ، وهو :

« إذا توفى ولي من أولياء الدولة فمن السنة أن يعزى بفقده ، ويستخرج إذنهما في سليله القائم من بعده ، حتى لا تخلو أرضها من رواسي الجبال ، ولا سماؤها من مطالع الكواكب التي تجلو ظلمة الليال ، وقد مضى والد العبد إلى رحمة الله ، وهو متروذ من الطاعة خير زاد ، غير خائف من إحصاء الرقيب العتيد إذ جعلها له من العتاد ، وما عليه وقد ثقلت كفة ميزانه ما كان في الكفة الأخرى من السجلات الكثيرة الأعداد ، ومضمون وصيته التي عهدتها أن نمشي في الطاعة على أثره ، ونهتدي بالأوامر الشريفة في مورد الأمر ومصدره ، وقد جلعهما العبد نجى فكره إذا قام وإذا قعد ، وسبحة صلاته إذا ركع وإذا سجد ، وهو يرى أنه لم يمض والده حتى أبقى للدولة من ثبت قدمه موضع قدمه ، وعند ذلك يقال إن غضن الشجرة كالشجرة في نبات أصله ، وقوة معجمه . وهذا مقام لا تمتاز فيه الآباء عن الأبناء ، وليست المزية لاكتحال السن إنما هي لشبيبة الغناء . وقد أوتى يحيى الحكم قبل أن يجرى القلم في كتابه ، وشهد له بالتركية قبل أن يتصب في محرابه ، وكذلك قد أمر رسول الله ﷺ أسامة على فتاء عمره ، وشهد أنه خليف بما أسند إليه من أمره ، والعبد وإن بسط الاستحقاق لسانه ، فإن الأدب يحكم بانقباضه ، ويريه أن التفويض إلى إناعام الديوان العزيز أسرع في نجح أغراضه ، ولا شك أن منتهى الآمال لا يبلغ أدنى تلك المواهب ، ولو جمعت في صعيد واحد . ثم سألت مطالبها لما نقصت خزائن العطايا من تلك المطالب . »

وهذا الفصل من أول الكتاب ، وفيه معنى آيتين من سورة مريم عليها السلام . أما

الأولى فقوله تعالى عند ذكر يحيى عليه السلام « وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا » (٩٩) وأما الثانية فقوله تعالى : « وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا » (١٠٠) .

وفي هذا الفصل أيضا معان ثلاثة من الأخبار النبوية ، وليس هذا موضعها ، وإنما جاءت ضمناً وتبعاً .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الغبار في الحرب ، وهو :

« وَعَقَدَ الْعَجَاجُ شَفَقًا فَانْعَقَدَ ، وَأَرَانَا كَيْفَ رَفَعُ السَّمَاءِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ، غَيْرَ أَنَّهَا سَمَاءُ بُنِيَتْ بِسَنَابِكِ (١٠١) الْجِيَادِ ، وَزُيِّنَتْ بِنُجُومِ الصَّعَادِ (١٠٢) ، ففِيهَا مَا يُوعَدُ مِنَ الْمَنَآيَا لَا مَا يُوعَدُ مِنَ الْأَرْزَاقِ ، وَمِنْهَا تُقَذَّفُ شَيَاطِينُ الْحَرْبِ لَا شَيَاطِينُ الْاِسْتِرَاقِ » .
وهذه المعاني مأخوذة من سورة « الرعد » (١٠٣) « وَسُورَةُ « الصَّافَّاتِ » (١٠٤) « وَسُورَةُ « الذَّارِيَّاتِ » (١٠٥) .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف طعام ، وهو فصل من كتاب ، فقلت :

« طَعَامٌ لَا يُمَلُّ إِذَا شِينَتْ الْأَطْعَمَةُ بِمَلَلِهَا ، وَكَأَنَّمَا تَوَلَّتْهُ يَدُ الْخَلْقَةِ وَلَمْ تَبَاشِرْهُ الْأَيْدَى بِعَمَلِهَا ، فَهُوَ مِنْ بَقَايَا الْمَائِدَةِ الَّتِي نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ ، وَقَدْ طَابَ حَتَّى لَا يُحْتَاجُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ ، وَمَا رَأَاهُ ذُو شَيْعٍ إِلَّا رَأَى تَرْكُهُ غَبْنًا ، وَوَدَّ لَوْ زِيدَ إِلَى بَطْنِهِ بَطْنًا » .

وبعض هذا مأخوذ من سورة « المائدة » (١٠٦)

(٩٩) سورة مريم : الآية ١٢ (١٠٠) سورة مريم : الآية ١٣

(١٠١) السنبك جمع سنبك على وزن قنقد ضرب من العدو ، وطرف الحافر .

(١٠٢) الصعاد الرماح .

(١٠٣) انظر سورة الرعد : الآية ٢ « اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا » .

(١٠٤) انظر سورة الصافات : الآيات ٨ و ٩ و ١٠ .

(١٠٥) انظر سورة الذاريات : الآية ٢٢ « وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ » .

(١٠٦) انظر سورة المائدة : الآية ١١٤ « قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ » .

ومن ذلك مذكرته في فصل من كتاب إلى ديوان الخلافة ، وهو :

« قد تكاثرت وسائل الخادم حتى لا يدري ما يجعله لطلائه سفيراً ، وما منها إلا ما يُقال إنه أولٌ وليس فيها ما يجعل أخيراً ، غير أنه لا يذكر منها إلا ما هو تَوْءَمُ إيمانه والذي لا ينظر الله من ابن آدم إلا إلى مكانه ، وفي ذلك كاف عن الوسائل التليدة والطريقة ، وقول « لا إله إلا الله » لا يعدله شيء من الحسنات المودعة في الصحيفة ، وقد تجد الآن للخادم مطلب هو بالنسبة إلى مواهب الديوان العزيز يسير ، ولو قامت مطالب الناس في صعيد واحد لأعطى كلاً منها مرامه ولم يقل ذلك كثير ، وكتابته هذا سائر إلى تلك المواهب التي يضيق عنها صدر الأرض باتساعه ، وليس الذي يسأله ممناً ، فيحال على النظر إلى الجبل في امتناعه ، وكما أن عبيد الديوان العزيز أطواراً ، فكذلك مطالبهم أطواراً ، وقد جعل الله الأشياء متفاوتة في مراتبها ، وكل شيء عنده بمقدار . »

وهذا الفصل من أحسن ما يكتب في استنجاز مطلوب ، وفيه معاني ثلاثة أخبار نبوية ، ومعنى آيتين من القرآن الكريم ، وليس هذا موضع الإخبار وإنما جاء ضمناً وتبعاً ، فالآية الأولى في سورة « الأعراف » والآية الثانية في سورة « الرعد » (١٠٧) .

ومن ذلك مذكرته في وصف كاتب ، وهو :

« إذا دجا ليل قلمه ، وطلعت فيه نجوم كلمه ، لم يقعد لها شيطان بلاغة مقعداً ، إلا وجد له شهاباً مرصداً ، فأسرارها مصونة عن كل خاطف ، مطوية عن كل قائف . »

وهذا المعنى مأخوذ من سورة « الجن » (١٠٨) .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كاتب أيضاً ، فقلت :

« له بنت فكر ما تمخضت بمعنى إلا أنتجت من غير ما تهمله ، وأتت به قومها

(١٠٧) سورة الرعد : الآية ٨ . (١٠٨) انظر سورة الجن : الآية ٩ .

تَحْمِلُهُ ، ولم يُعْرَضْ عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْبُلْغَاءِ إِلَّا أَلْفَوْا أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَسْتَعِيرُهُ ، لَا آيَهُمْ يَكْفُلُهُ » .

فِي هَذَيْنِ السَّطْرَيْنِ آيَتَانِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : الْأُولَى فِي سُورَةِ « مَرْيَمَ » وَقَصَّتْهَا وَقِصَّةٌ وَلَدِيهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ » (١٠٩) ، وَالثَّانِيَةِ فِي سُورَةِ « آلِ عِمْرَانَ » فِي قَوْلِهِ : « إِذْ يُلْقَوْنَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ » (١١٠) .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي فَصْلِ مِنْ كِتَابٍ يَتَضَمَّنُ وَصْفَ الْقَلَمِ ، فَقُلْتُ :

« وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى قَلَمِهِ مَا أَوْحَاهُ إِلَى النَحْلِ ، غَيْرَ أَنَّهَا تَأْوِي إِلَى الْمَكَانِ الْوَعْرِ ، وَهُوَ يَأْوِي إِلَى الْبَيَانِ السَّهْلِ ، وَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَجْتَنِيَ مِنْ ثَمَرَاتِ ذَاتِ أَرْوَاحٍ لَا ذَاتِ أَكْمَامٍ ، وَيَخْرُجُ مِنْ نَفَثَاتِهِ شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ طَعْمُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلْأَفْهَامِ . وَأَيْنَ مَا تُنْبِتُهُ كَثَافَةُ الْحَشَبِ مِمَّا تُنْبِتُهُ لَطَافَةُ الْمَعْنَى ؟ وَلَا تَسْتَوِي نَضَارَةُ هَذَا الثَّمَرِ وَهَذَا الثَّمَرِ ، وَلَا طِيبُ هَذَا الْمَجْنَى وَهَذَا الْمَجْنَى ، وَقَدْ أَرْخَصَ اللَّهُ مَا يَكْثُرُ وَجُودُهُ فَيَذْهَبُ فِي لَهَوَاتِ الْأَفْوَاهِ ، وَأَعْلَى مَا يَعْرِ وَجُودُهُ ، فَيَبْقَى خَالِدًا عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّوَاةِ ، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَوْصَافِ لَا تَصِحُّ إِلَّا فِي قَلَمِ سَيِّدِنَا الَّذِي إِذَا خَلَا بِخَاطِرِهِ امْتَلَأَتْ بِحَدِيثِهِ الْمَحَافِلُ ، وَإِذَا حَلَا كِتَابُهُ وَجَدَتْ الْكُتُبَ الْحَالِيَةَ مِنْ قَبْلِهِ وَهِيَ عَوَاطِلُ ، فَلَهُ حَيْثُذِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى غَيْرِهِ بَعِينَ الْإِحْتِقَارِ ، وَلَوْ أَصَفَهُ أَنْ يُسَهِّبَ وَهُوَ قَائِمٌ مَقَامَ الْإِخْتِصَارِ » .

هَذَا الْفَصْلُ غَرِيبٌ عَجِيبٌ ، وَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْأَضْدَادِ فَنَالَهُ بَعِيدٌ ، وَفَهَّمَهُ قَرِيبٌ ، وَهَذَا مَا خُوِذَ مِنْ سُورَةِ « النَحْلِ » .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي ذِمِّ بَخِيلٍ ، وَهُوَ :

« لَهُ شِيْمَةٌ فِي الْجُودِ لَا يُشَامُ نَائِلُهَا ، وَإِذَا هَزَّهَا سَأَلَهَا قَالَ : إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا » .

وَهَذَا مَا خُوِذَ مِنْ سُورَةِ « الْمُؤْمِنِينَ » (١١١)

(١٠٩) سورة مريم : الآية ٢٧ . (١١٠) سورة آل عمران الآية ٤٤ .

(١١١) سورة « الْمُؤْمِنُونَ » : الآية ١٠٠ .

ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب ، وهو :

« وصل كتابه ، فُوقَفَ منه على اللَّفْظِ الرَّحِيمِ ، والمعنى الذى هُوَ فى كل وادٍ يَهِيمُ ، وقال : يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّى أُلْقِىَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ، ثُمَّ أَخَذَ فى إِعْلَاءِ قَدْرِهِ ، وَتَنْوِيهِ ذِكْرِهِ ، ولم يَسْتَفْتِ الْمَلَأُ فى الإِذْعَانِ لَأَمْرِهِ ، ولا أَهْدَى فى قُبَالَتِهِ سِوَى هَدِيَّةٍ لِسَانِهِ وَصَدْرِهِ ، لاَ جَرَمَ أَنَّهَا تُقْبَلُ ولا تُرَدُّ ، وَيُعْتَدُّ بِهَا ولا تُعَدُّ ، فَإِنَّهَا مَالٌ لاَ يُنْفِذُهُ الْإِنْفَاقُ ، وَجَوْهَرٌ تَتَحَلَّى بِهِ الْأَخْلَاقُ ، لاَ الْأَعْنَاقُ . »

وهذا مأخوذٌ من قِصَّةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فى كتابه إلى بلقيس ، وهى مذكورة فى سُورَةِ « النمل » (١١٢) وفى هذا من شَرَفِ الصَّنْعَةِ أَنَّهُ خُولِفَ بَيْنَ مَعَانِيهِ وَمَعَانِى مَا أَتَى بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ .

ومن ذلك ما ذكرته فى صدر كتاب يتضمن ذكر معركة حرب بين المسلمين

والكفار ، وهو :

« إِذَا خَطَبَ الْقَلَمُ عَنِ الرُّمَحِ الذِّى هُوَ نَدِيدُهُ قَامَ مُحْتَفِلًا ، وَأَسْهَبَ مَتْرُوبًا وَمُرْتَجِلًا ، حَتَّى يَأْتِى فى خُطَابَتِهِ بِالْمَعَانِى الْأَخَائِرِ ، وَأَصْدَقُ الْقَوْلِ مَا صَدَرَ عَنْ شَهَادَةِ الضَّرَائِرِ لِلضَّرَائِرِ . وَكُتَابُنَا هَذَا يَصِفُ مَعْرَكَةً أَحْمَرَتْ ضَبَابُتُهَا ، وَضَاقَتْ بِالْأَسْوَدِ غَابَتُهَا ، فَالطَّعْنَ بِهَا مُحْتَضَرٌ ، وَالْمَوْتُ مُحْتَقَرٌ وَالنَّصْرُ مِنْ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ مُقْتَسَرٌ ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ هُنَاكَ زَجْرَ السَّنِيحِ (١١٣) ، وَفُوزَ الْقِدْحِ الْمَنِيعِ (١١٤) . وَلَيْسَ الَّذِى يَرْقُبُ الْمَعُونَةَ مِنَ اللَّهِ الَّذِى هُوَ رَبُّ الْمَسِيحِ كَمَنْ يَرْقُبُهَا مِنَ الْمَسِيحِ ، وَلَقَدْ نَفَذَتْ الرَّمَاحُ فى أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى اعْتَدَلَتْ مِنْ جَانِبَى الصُّدُورِ وَالظُّهُورِ ، وَتَرَكْتَ النَّاجِىَ مِنْهُمْ وَهُوَ لَا يَنْظُرُ إِلَى الصَّلِيبِ إِلَّا نَظَرَ الْخَائِفِ الْمَدْعُورِ ، فَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهَا جَيْشٌ يُجْمَعُ ، وَلَا

(١١٢) سورة النمل : انظر الآية (٢٩) وما بعدها من الآيات .

(١١٣) السنيح والسانح : ما ولاك ميامنه . وكانوا يتفألون به . ومنه قولهم « من لى بالسانح بعد البارح » أى بالمبارك بعد الشؤم .

(١١٤) المنيع على وزن أمير قدح بلا نصيب . قد يستعار تيمنا بفوزه . أو قدح له سهم (انظر القاموس المحيط ٢٥١/١) .

لواء يُرْفَع ، وقد كانت بلادهم من قبل مَمانعة ، وهى الآن لا تَذُبُ عنها ولا تَمْنَعُ ، وهذه معركة قَلَّتْ بها الرقابُ المأسورة ، وكثرت النفوسُ المقتولة ، وقربتُ بها القرايينَ الَّتِي تَأْكُلُها النارُ ، لا لِأَنَّها مقبولة .

ومعنى الآية فى هذا الفصل مأخوذٌ من سورة « آلَ عِمْران » إلا أَنَّها تخالفه ، وذلك أَنَّ القربانَ كانَ يُقْبَلُ ، فَتَنْزَلُ النارُ تَأْكُلُه ، وأجسادُ هؤلاء الكُفَّارِ قربانٌ تَأْكُلُه النارُ ، ولكنَّها لا تَأْكُلُه لِأَنَّهُ مقبول ، وباقى الفصل يتضمن معنى حسناً رقيقاً .

ومن ذلك ما ذكرته فى فصل من كتاب يتضمن الشكوى من خلق بعض الإخوان ، وهو :

« ولقد صبرتُ على أخلاقه العائنة ، وعاملته بالخليقة الرائثة ، وعالجته بضروب المعالجات ، فلم تنفع فيه رُقَى الرَّاقية ، ولا نَفَثُ النافثة ، ولَمَّا أَعْيَا عَلَى إِصْلَاحِهِ أَخَذْتُ بِمَقَالَةِ الْخِضِرِ لِمُوسَى فى المَرَّةِ الثالثة .

وهذا مأخوذ من قصة موسى عليه السلام وقصة الْخِضِرِ فى سورة « الكهف » (١١٥) .

ومن ذلك ما ذكرته فى فصل من كتاب ، وهو :

« تَجَمَّعُوا فى نارِ النَّدَمِ يُعَرِّضُونَ عليها غدواً وعَشِيًّا ، وصار الأمرُ الذى كانوا يَرَجُونَه مَخْشِيًّا ، وأضحوا كَأَهْلِ النارِ الَّذِينَ صارُوا أَعْداءً ، وكانوا شِيَعاً ، وقال ضعفاؤهم للذين استكبروا : إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً .

وهذا مأخوذ من سورة « حم المؤمن » (١١٦) . ومن سورة « سبأ » (١١٧) .

(١١٥) لعله يشير إلى قوله تعالى « ... لاتصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا » - الآية ٧٦ من سورة الكهف ، وكان ذلك بعد المرة الثانية : بعد سؤاله عن خرق السفينة ، وعن قتل الغلام .

(١١٦) سورة غافر : الآية ٤٦ « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » .

(١١٧) انظر سورة سبأ : الآيات ٣١، ٣٢، ٣٣ .

ومن ذلك ما ذكرته في ذم غلام أبله :

كنت أقاسي من بلّكه نكداً ، فكتبتُ يوماً من الأيام إلى بعض إخواني كتاباً ، وعرضتُ فيه يذكره ، فقلت :

ولقد ملكهُ النسيان ، حتى كأنه يقظُ في صورةٍ نائمٍ ، وحتى حقق قول التناسخِ في نقلِ أرواحِ الأناسي إلى البهائم ، فما أُرسِلَ في حاجةٍ إلا ذهبَ عن قلبه يَمَنَّةٌ ويسرَّةٌ ، ولا طُلبَ منه ما استَحفظه إلا قال : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ .

وهذا فصلٌ يشتملُ على عدة معانٍ منها ما هو مأخوذٌ من القرآن الكريم من سورة « الكهف » (١١٨) .

ومن ذلك ما ذكرته في تقليد قاضٍ ، وهو فصل منه ، فقلت .

« والفضائلُ ما بقيت موجودة ولم تفقد ، وهي حَيَّةٌ وإن أودى أربابُها ولا يموتُ مَنْ لَمْ يُولَد ، ومن أكرم ما أُوتيه منها فضيلةُ التَّقوى التي الكرمُ من شعارها ، والعاقبةُ والحسنُ كلاهما من آثارها . وما نقولُ إلا أَنَّهُ اتخذها حارساً يمنع الخضمَّ من تسوُّر محرابه ، ويؤمنُ قلبه من الفتنةِ الداعيةِ إلى استغفاره ومتابه ، وقد قرَنَ الله له هذه الفضيلةُ بالعلم الذي أعلَّمه بعلامته ، ووسَّمَهُ بوسامته ، وقذَفَ في رُوعِهِ ما لا يُسأل معه عن السفينةِ وخرقها ، والغلامِ وقَتْلِهِ ، والجدارِ وإقامته ، وعلى ما بلغه مِنْهُ فَإِنَّهُ فِيهِ أَحَدُ الْمُنْهُومِينَ الَّذِينَ لَا يَشْبَعَانِ (١١٩) ، وإذا كانَ لغيرِهِ فِيهِ نَظَرٌ وَاحِدٌ وَمَسْمَعٌ ، فَلَهُ فِيهِ نَظَرَانِ وَمَسْمَعَانِ » .

في هذا الفصل المختصر معاني عدَّة آيات وخبر من الأخبار النبوية :
أَمَّا الْآيَةُ الْأُولَى فَقَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » (١٢٠) .

(١١٨) انظر سورة الكهف : الآية ٦٣ .

(١١٩) إشارة إلى الخبر المأثور « منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب مال » .

(١٢٠) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : « وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى » (١٢١)

وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : « وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تُسَوِّرُوا الْمِحْرَابَ » (١٢٢) .

وَأَمَّا الْآيَةُ الرَّابِعَةُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : « فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكَبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا » (١٢٣) .

وكذلك إلى آخر القصّة . وهذا من أحسن ما يأتي في هذا الباب .

ومن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب يتضمن عناية ببعض الفقراء فقلت بعد

الابتداء بصدر الكتاب :

« وَقَدْ عَلِمَ مِنْهُ أَنَّهُ يَعُدُّ لَطَالِبِ فَضْلِهِ فَضْلاً ، وَيَرَى التَّبَرُّعَ بِمَعْرُوفِهِ فَرَضاً ، إِذَا رَأَاهُ غَيْرُهُ مَعَ الْمُسَاءَلَةِ نَفْلاً ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَزِيَّةِ خُلُقٍ تَوْحَّدَ بِطَيْبِ التَّرَبُّةِ وَشَرَفِ الرَّبِّيَّةِ ، وَأَوْثَى مِنْ كُنُوزِ الْكَرَمِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ، وَلِهَذَا خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ فِي زِينَتِهِ ، وَفَضَّلَ الْخُلُقَ بِطِينَةٍ غَيْرِ طِينَتِهِ ، وَمِنْ فَضْلِهِ أَنَّهُ يَسْأَلُ عَنِ السَّائِلِينَ ، وَيَحْتَاطُ فِي اسْتِبَاطِ أَمَلِ الْآمِلِينَ » .

ثم مضيتُ على هذا التَّهَجُّجِ حَتَّى أَنهَيْتُ الْكِتَابَ .

والغرضُ أَنْ تَعْلَمَ أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُ كَيْفَ تَضَعُ يَدَكَ فِي أَخْذِ مَا تَأْخُذُهُ مِنْ بَعْضِ الْآيَةِ ، ثُمَّ تُضِيفُ إِلَيْهِ كَلَاماً مِنْ عِنْدِكَ ، وَتَجْعَلُهُ مَسْجُوعاً ، كَمَا قَدْ فَعَلْتُ أَنَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

أَلَا تَرَى أَنِّي أَخَذْتُ بَعْضَ هَذِهِ الْآيَةِ فِي قِصَّةٍ مِنْ سُورَةِ (الْقَصَصِ) وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ، وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ » (١٢٤) . فَهَذِهِ الْآيَةُ أَخَذْتُ بَعْضَهَا ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهِ كَلَاماً مِنْ عِنْدِي ، حَتَّى جَاءَ كَمَا تَرَاهُ مَسْجُوعاً .

وكذلك فعلتُ بِالْآيَةِ الْأُخْرَى مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ أَيْضاً وَهِيَ قَوْلُهُ : « فَخَرَجَ عَلَى

(١٢١) سورة طه : الآية ١٣٢ .

(١٢٢) سورة (ص) : الآية ٢١ .

(١٢٣) سورة الكهف : الآية ٧١ .

(١٢٤) سورة القصص : الآية ٧٦ .

قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» (١٢٥)

وهذا ينبغي لك إذا أردت أن تسلك هذه الطريق ، وقدّرت على سلوكها ، وهي من محاسن الصناعة البلاغية ، وليس فوقها من الكلام ما هو أعلى درجة منها ، لأنها ممزوجة بالقرآن ، لا على وجه التضمن ، بل على وجه الانتظام به ، والله يختص بها من يشاء من عباده .

وفيا ذكرته من نثر هذه الآيات كفاية للمتعلم .

وأما الأخبار النبوية فكالقرآن العزيز في حل معانيها .

فإن قلت : إن الأخبار النبوية لا يجري فيها الأمر مجرى القرآن ، إذ القرآن له حاصر وضابط ، وكل آياته تدخل في الاستعمال ، كما قال بعضهم : لو ضاع مني عقل لوجدته في القرآن الكريم ، وأما الأخبار فليست كذلك لأنها كثيرة لا تنحصر ، ولو انحصرت لكان منها ما يدخل في الاستعمال ؛ ومنها ما لا يدخل . ولا بد من بيان يمكن الإحاطة به والوقوف عنده ؟

قلت في الجواب عن هذا : إنك أول ما تحفظه من الأخبار هو كتاب « الشهاب » فإنه كتاب مختصر ، وجميع ما فيه يستعمل لأنه يتضمن حكماً وآداباً ، فإذا حفظته ، وتدرّبت باستعماله كما أريتكم ها هنا حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وما لا يدخل ، وعند ذلك تتصفح كتاب صحيح البخاري ، ومسلم ، والموطأ ، والترمذي ، وسنن أبي داود ، وسنن النسائي ، وغيرها من كتب الحديث ، وتأخذ ما تحتاج إليه ، وأهل مكة أخبر بشعابها ، والذي تأخذه إن أمكنك حفظه والدّرس عليه فهو المراد ، لأن ما لا تحفظه فليست منه على ثقة ، وإن كان لك محفوظات كثيرة كالقرآن الكريم ، ودواوين كثيرة من الشعر ، وما ورد من الأمثال السائرة ، وغير ذلك مما أشرنا إليه ، فعليك بمداومة المطالعة للأخبار ، والإكثار من استعمالها في كلامك ، حتى ترقم على خاطرك ، فتكون إذا احتجت منها إلى شيء وجدته ، وسهل عليك أن تأتي به ارتجالاً . فتأمل ما أوردته عليك ، واعمل به .

وكنْتُ جَرَّدَتَ من الأخبارِ النبويَّةِ كتاباً يشتملُ على ثلاثةِ آلافِ خبرٍ ، كلُّها تدخلُ في الاستعمالِ ، ومازلْتُ أواظبُ مطالعته مدة تزيد على عَشْرَ سنينَ ، فكنتُ أنهي مطالعته في كلِّ أسبوعٍ مرَّةً ، حتى دارَ على ناظري وخاطري ما يزيد على خمسائه مرَّةً ، وصارَ محفوظاً لا يشدُّ عني منه شيءٌ . وهذا الذي أوردته هاهنا في حلِّ معاني الأخبار هو من هناك .

وسأذكرُ ما دارَ بيني وبينَ بعضِ علماءِ الأدبِ في هذا الأسلوبِ الذي أنا بصدده هاهنا

وذاك أنه استوعَّره وأنكره ، وقال : هذا لا يتهيأُ إلا في الشيءِ اليسيرِ من الأخبار النبويَّةِ .

فقلت : لا بل يتهيأُ في الأكثرِ منها .

فقال : قد وردَ عن النبي ﷺ أنه اختَصِمَ إليه في جَنينَ ، فَقَضَى على من أسْقَطَهُ بِغَرَّةٍ : عبدٌ أو أمةٌ ، فَإِنْ يُسْتَعْمَلُ هذا ؟

فأفكرتُ فيما ذكره ، ثم أنشأتُ هذا الفصلَ من الكلامِ ، وأودعته فيه .

« قد كثر الجهلُ حتى لا يقالَ فلانُ عالمٌ وفلانُ جاهلٌ ، وضربَ المثلَ بِبَاقِلٍ ^(١٢٦) ، وكم في هذه الصَّورةِ الممثلةِ من باقِلٍ ، وَلَوْ عَرَفَ كلُّ إنسانٍ قدره لما مَثَى بَدَنَ إلا تحتَ رأسِهِ ، ولا انتصبَ رأسٌ إلا على بَدَنِهِ ، ولكانَ صاحبُ العمامةِ بعمامته . وصاحبُ الرِّسَنِ أحقُّ بِرِسْنِهِ وكنتُ سمعتُ بكاتبٍ من الكتابِ كلمتهُ إلى غثائَةٍ ، وقلمه بُغائَةٍ لا يَسْتَنسِرُ ^(١٢٧) وأى بطشٍ لِبُغائَةٍ ، وإذا وجَبَ الوضوءُ على غيره بالخارجِ من السَّيِّلينَ وجب عليه من سُبُلِ ثلاثة . هذا وهو يدَّعي أنَّه في الفصاحةِ أمةٌ وحده ، وَمَنْ قُسَّ إِياداً ^(١٢٨) وسَحَبانَ وائلٍ ^(١٢٩) عنده ؟ وإذا كُشِفَ عن خاطره وَجِدَ بليداً ، لا يخرجُ

(١٢٦) رجل مشهور عندهم بالعي ، قالوا إنه اشترى ظلياً بأحد عشر درهماً ، فسئل عن شرائه ، ففتح كفيه وأخرج لسانه يشير إلى ثمنه . فانفلتَ الظلي ، وضرب به المثل في العي .

(١٢٧) البغاث من الطير ما لا يصيد ولا يرغب في صيده لأنه لا يؤكل ، وهو بطيء الطيران ، واستنسر البغاث صار نسرًا ، وعليه قولهم « إن البغاث بأرضنا يستنسر » أى أن الضعيف يصير قويا بأرضنا .

(١٢٨) هوقس بن ساعدة الإيادي ، أحد خطباء العرب المشهورين ، سمعه النبي ﷺ يخطب في الموسم .

(١٢٩) سحبان وائل ، مضرب المثل في الخطابة والفصاحة والبيان .

عن العمه والكمه ، وإن رام أن يستنتجهُ في حين من الأحيان قضى عليه بغرة عبد أو أمة ، وكثيراً ما يتقدم ونقيصته هذه على الأفاضل من العلماء ؛ وقد صار الناس إلى زمان يعلمون فيه خضوض الأرض على هام السماء .

فلما أوردته عليه ظهرت أماره الحسد على صفحات وجهه وفلتات لسانه ، مع إعجابه به ، واستغرابه إياه ، ثم قال : وقد ورد عن النبي ﷺ هذا الحديث وهو : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا تمثال » فهذا أين يستعمل من المكاتب ؟ فترويت في قوله تروياً يسيراً ، ثم قلتُ هذا يستعمل في كتاب إلى ديوان الخلافة ، وأملت عليه الكتاب ، فجاء هذا الحديث في فصل منه ، وهو :

« إذا أفاض الخادم في وصف ولائه نكصت همم الأولياء عن مقامه ، وعلموا أنه أخذ الأمر بزمامه ، فقد أصبح وليس بقلبه سوى الولاء والإيمان ، فهذا يظهر أثره في طاعة السر ، وهذا في طاعة الإعلان ، وما عداها فإن دخوله إلى قلبه من الأشياء المحظورة ، والملائكة تدخل بيتاً فيه تمثال ولا صورة ، فليعواء الديوان العزيز على سيف من سيوف الله يقرى بل ضارب ، ويسرى بلا حامل ، ولا يسر إلا بيد حق ، ولا يعمد إلا في ظهر باطل . وليعلم أنه كرشه وعيبته في تضمن الأسرار ، وأنه أحد مسعديه إذا عُدَّت مواقف الأنصار » .

فلما رأى هذا الفصل بُهِتَ له ، وأعجب منه ، ثم إنى لم أقنع بإيراد ذلك الحديث ، حتى قرنتُ به حديثاً آخر ، وهو قول النبي ﷺ « الأنصار كرشى وعيبتى » . وحيثُ عرفتُك أيها المتعلم ما تقنّدى به في هذا الموضع فقد ذكرتُ لك أمثلة كثيرة تتدرّب بها .

فمن ذلك ما ذكرته في دعاء كتاب من الكتب ، وهو :

« أعاذ الله أيامه من الغير ، وبين يخطر مجده نقص كل خطر ، وجعل ذكره زاداً لكل ركب ، وأنساً لكل سمر ، ومنحه من فضله مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

وهذا المعنى مأخوذ من الحديث في وصف نعيم الجنة ، فنقلته إلى الدعاء .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الحلم ، وهو :

« تركته حتى جال في الميدان ، وامتدَّ في الأَشْطَان (١٣٠) ، ولم أنتصر خوفاً من قيام الملك وقعود الشيطان ، والحليم لا يظهر أثر حلمه إلا عند تلدُّده (١٣١) ، والكظيم (١٣٢) هو أشد ما يُخَاف من تبدُّده . »

وهذا المعنى أخذته من قصة أبي بكر - رضى الله عنه - في خصامه ، فإنه بُغِيَ عليه ثلاث مرَّات وهو ساكت ، ففي الثالثة انتصر . فقال النبي ﷺ : « كان الملك جالساً إلى جانب أبي بكر يكذبُ خصمه بما يقول ، فلما انتصر قام الملك وقعد الشيطان . »

ومن ذلك ما ذكرته في النصرة على العدو في موطن القتال ، وهو :

« أخذنا بسنة رسول الله ﷺ في النصر الذي نرجوه ، ونبذنا في وجه العدو وكفاً من التراب ، وقلنا : شأهت (١٣٣) الوجوه ، فثبت الله ما تزلزل من أقدامنا ، وأقدم حيزوم فأغنى عن إقدامنا . »

وهذان المعنيان أحدهما مأخوذ من حديث غزوة حنين ، وما فعله رسول الله ﷺ في أخذه قبضة من التراب ، وألقاها في وجوه الكفار ، وقوله : « شأهت الوجوه » والمعنى الآخر مأخوذ من حديث غزوة بدر ، وذلك أن رجلاً من المسلمين لا في رجلاً من الكفار ، وأراد أن يضربه ، فخرَّ على الأرض ميتاً قبل أن يصل إليه ، وسمع الرجل المسلم صوتاً من فوقه وهو يقول : « أقدم حيزوم (١٣٤) » فجاء إلى النبي ﷺ وأخبره ، فقال : « ذاك من مدد السماء الثالثة . »

(١٣٠) الأشطان جمع شطن وهو جبل البثر .

(١٣١) تلدد تلفت يمينا وشمالا ، وتحير ، وذلك عند اشتداد الخصومة .

(١٣٢) الكظيم الذى يكظم الغيظ ، أى يبتى على ما فى نفسه منه على صفح أو غيظ .

(١٣٣) شأهت الوجوه قبحت .

(١٣٤) حيزوم : فرس جبريل عليه السلام ، كما فى القاموس .

ومن ذلك ما ذكرته في ضيق مجال الحرب ، وهو :

« وضاق الضربُ بين الفريقين حتَّى اتصَلتْ مواقعُ البيضِ الذكور ، وتَصافَحَتِ
الْفُورُ بِالْفُورِ (١٣٥) ، والصُّدُورُ بِالصُّدُورِ . واستُظِلَّ حِينَئِذٍ بِالسُّيُوفِ لاشتباكِ مَجَالِهَا ،
وَتَبَوَّثَتْ مَقَاعِدُ الْجَنَّةِ الَّتِي هِيَ تَحْتَ ظِلَالِهَا »
وهو مأخوذ من الحديث النبويِّ وهو قولُ النَّبِيِّ ﷺ « الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ
السُّيُوفِ » .

ومن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب آدم فيه الزمان ، فقلت :

« وَلَكِنَّهَا الْأَيَّامُ تُبْدِي لَنَا مِنْ جَوْهَرِهَا كُلَّ غَرِيبَةٍ ، وَتَسْوِسُنَا سِيَاسَةَ الْعَبْدِ الْمُجَدَّعِ
الَّذِي كَانَ رَأْسَهُ زَبِيبَةً ، وَلَيْسَ لِلْمَرْءِ فِيمَا يَلْقَاهُ مِنْ أَحْدَاثِهَا نُعْمَى كَانَتْ أَوْ بُوسَى ، إِلَّا
أَنْ يَكِلَ الْأُمُورَ إِلَى وَلِيِّهَا فَيَقُولَ حَاجَّ آدَمَ مُوسَى » .
وهذا مأخوذ من الخبر النبويِّ في قوله ﷺ : « حَاجَّ آدَمَ مُوسَى ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى :
أَنْتَ أَخْرَجْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَشَقَيْتَهُمْ . فَقَالَ لَهُ آدَمُ : أَنْتَ الَّذِي
اصْطَفَاكَ اللَّهُ تَعَالَى بِرِسَالَتِهِ وَكَلَامِهِ ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرِ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ
يَخْلُقَنِي ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَحَجَّ آدَمَ مُوسَى » .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف بعض الكتاب ، وهو فصل من كتاب كتبه إليه

فقلت :

« وَلَقَدْ سُرِدَتْ عَلَيْهِ أَحَادِيثُ الْبَلَاغَةِ ، فَاسْتَغْنَى عَنْ بَسْطِ رَدَائِهِ ، وَهَدَى إِلَى
جَوَامِعِ كَلِمِهَا ، فَاقْتَدَى النَّاسُ بِاهْتِدَائِهِ ، فَإِذَا اشْتَبَهَتْ عِنْدَهُ مَسَالِكُ طُرُقِهَا لَمْ يَمْلِكْهُ
سُلْطَانُ الْحَيَرَةِ ، وَإِنْ أَغْرَبَ فِي أَسَالِبِهَا لَمْ يُقَلِّ فِيهِ مَا قِيلَ فِي رَوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ » .
وهذا الفصلُ مِنْ أَحْسَنِ مَا يُؤْتَى بِهِ فِي صِنَاعَةِ نَثْرِ الْمَعَانِي ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ حَدِيثِ
أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْمَعْ مِنْكَ أَشْيَاءَ فَلَا أَحْفَظُهَا ، فَقَالَ : أَبْسُطْ

(١٣٥) الفور وبهاء وقد تهمز رمع في رسع الفرس تنفش إذا مسحت وتجتمع إذا تركت .

رداءك ، فبسطته ، فحدث حديثاً كثيراً ، فما نسيت شيئاً حدثني به . وأما رواية أبي هريرة فشك فيها قومٌ لكثرتها .

وقد اجتمع في هذا الفصل معنى الحديث النبوي وغيره . ومثل هذا لا يتفطن له عند الوقوف عليه إلا من تبخر في الوقوف على الأخبار النبوية ومن أجل ذلك جعلته ركناً من أركان الكتابة في الفصل التاسع .

ومن ذلك ما ذكرته في ذم بعض البلاد الوحمة ، فقلت :

« ومن صفاتها أنها مدرة ^(١٣٦) مستوبلة الطينة ، مجموع لها بين حرمة ولاؤاء ^(١٣٧) المدينة ، إلا أنها لم يأمن حرمتها في الخطفة ، ولا نقلت حماتها إلى الجحفة » .
في هذه الكلمات القصار آية من القرآن الكريم وخبران من الأخبار النبوية . فالآية من سورة العنكبوت ، وهي قوله تعالى : « أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ » ^(١٣٨) . وهذا موضع يختص بالأخبار لا بالآيات ، غير أن الآية جاءت ضمناً وتبعاً .

وأما الخبران ، فالأول منها قول النبي ﷺ : مَنْ صَبَرَ عَلَى حَرِّ مَكَّةَ وَلَأَوَاءِ الْمَدِينَةِ ضَمِنْتُ لَهُ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ . وأما الثاني فقوله ﷺ في دعائه للمدينة : « اللَّهُمَّ حَبِّبْهَا إِلَيْنَا كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ ، وَانْقُلْ حُمَاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ » ^(١٣٩) .

فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكلمات ، حتى تعلم أن عِدَّتَهَا مَصُوعَةٌ مِنَ الْآيَةِ وَالْخَبَرَيْنِ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ .

وهذا طريق لو ادَّعيتُ الانفرادَ بسلوكه لما اختلفَ عليّ في الاعتراف به اثنان .

(١٣٦) المدرجة واحدة المدر ، وهي المدن والحواصر .

(١٣٧) اللاؤاء والشدة .

(١٣٨) سورة العنكبوت : الآية ٦٧ .

(١٣٩) الجحفة : كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة إلى مكة ، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يَمروا على المدينة . وكان اسمها مهية ، وسميت الجحفة لأن السيل جحفها ، وبينها وبين البحر ستة أميال .

ومن ذلك ما كتبه في كتاب إلى بعض الإخوان جواباً عن كتاب ورد منه :

وكان كتابه تأخر عني زماناً طويلاً ، فقلت :
« وَلَمَّا تَأَمَّلْتُهُ ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ وَالتَزَمْتُهُ ، ثُمَّ اسْتَلَمْتُهُ وَالتَّشَمُّتُهُ ، وَعِلِمْتُ أَنَّ الْمَعَارِفَ -
وَإِنْ قَدِمْتُ أَيَّامُهَا - أَنْسَابُ وَشَيْبَةُ ، وَتَأَسَّيْتُ بِالْخَلْقِ النَّبَوِيِّ فِي الْعَجُوزِ الَّتِي كَانَتْ
تَأْتِي فِي زَمَنِ خَدِيجَةَ » .

وهذا مأخوذ من الخبر المنقول عن عائشة رضي الله عنها ، وهو أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يَدْبَحُ الشَّاةَ فَيُعْضُّهَا (١٤٠) أَعْضَاءً ، وَيُقَسِّمُهَا فِي أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ ، وَكَانَتْ تَأْتِيهِ عَجُوزٌ فَيَكْرُمُهَا وَيَسْطُرُ لَهَا رِءَاءَهُ ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ « هَذِهِ كَانَتْ تَأْتِينَا فِي زَمَنِ خَدِيجَةَ ، وَحُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ » .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كتاب ، وهو :

« كُلُّ سَطْرٍ مِنْهُ رَوْضَةٌ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَيْلٌ فِي صَبَاحٍ ، وَكُلُّ مَعْنَى مِنْهُ دُمِيَّةٌ ، غَيْرَ أَنَّ
لَيْسَ عَلَى مُصَوِّرِهَا مِنْ جُنَاحٍ » .
وهذا مأخوذ من الحديث في تحريم الصور .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم وهو :

« فَأَغْنِي بِجُودِهِ إِغْنَاءَ الْمَطَرِ ، وَسَمَّا إِلَى الْمَعَالِي سُمُو الشَّمْسِ وَسَارَفِي مَنَازِلَهَا مَسِيرَ
الْقَمَرِ ، وَنَتِجَ مِنْ أَبْكَارِ فُضَائِلِهِ مَا إِذَا ادَّعَاهُ غَيْرُهُ قِيلَ : لِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ » .
وهذا المعنى من قول النبي ﷺ : « الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ » .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الفصاحة ، فقلت :

« أَفْكَارُ الْخَوَاطِرِ لَا تُسْتَوْلَدُ عَلَى انْفِرَادِهَا ، وَغَايَتُهَا أَنْ يُتَنَاقَحَ فِي اسْتِنَاجِ أَوْلَادِهَا ،
وَأَنَا أَنْكِحُ فِكْرِي لِفِكْرِي نِكَاحَ الْأَنْسَابِ ، وَلَا أَخَافُ أَنْ أَضْوَى ، فَأَمِيلَ إِلَى
الْإِغْتِرَابِ » .

(١٤٠) عضيت الذبيحة بالتشديد جعلتها أعضاء .

وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ في الأمر بنكاح البعيدة النَّسَب ، فقال : « غُرِّبُوا لَا تَصُورُوا » يريد بذلك أن الإنسان إذا نكح المرأة القريبة إليه حصل بينهما حياء يمنع من قضاء الشهوة كما ينبغي ، فيجىء الولد ضاويًا ، أى هزيلًا . وهذا معنى غريب لي استخرجته من الحديث النبوي .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان :

جواباً عن كتاب ورد منه يتضمن الشكوى من شخص جرت بينه وبينه مخاصمة ،
فقلت :

« وصل كتابه وهو كتاب من أكثر الشكوى ، وطلب العدوى ^(١٤١) ، ونزل من التظلم بالعدوة ^(١٤٢) الدنيا ، وأنزل خصمه بالعدوة القصوى ، والقاضى لا يحكم لأحد الخصمين حتى يحضر صاحبه ، وإن فُقِئت عين أحدهما فرياً فُقِئت عين الآخر ، وهُشِّمَ حاجبه ، على أنه قد اعترف أن كليهما كان للحم أخيه آكلًا ، وعليه في حال محضره جاهلاً ، وسياب المؤمن معدود من فسوقه ، وإطراقه عن تورّد هذا المقام أولى من طروقه ، ولولا تغليظ النكير لما جعل اللسان واليد سواءً فيما جرحا ، ولما أضر الله المغفرة عن الخائضين فيها حتى يضطلحا ، فكُنْ أنت ممن أطاع تقواه لا هواه ، واتبع من علم الحق فراه ، أوسمعه فرواه . واعلم أن تهاجر الأخوين فوق الثلاثة من منهيّات الحرام ، وأن الفائز بالأجر منها هو البادئ بالسّلام ، ودفع السيئة بالحسنة يجعل العدو ولياً حمياً ، وقد جعل الله المتخلّق بهذا الخلق صابراً ، وجعل له حظاً عظيماً ، والشیطان إنما يحوم على آثاره مواقع الشّنان ، ولا يحمد من أعمال بنیه شيئاً إلا ما زل ^(١٤٣) بين الإخوان » .

في هذا الفصل معاني آيات وأخبار ، وهذا الموضع مختص بذكر الأخبار دون الآيات .

(١٤١) العدوى هنا طلب التقوية والنصرة . قال ابن فارس : العدوى طلبك إلى وال ليعديك على من ظلمك . أى يتقم منه باعتدائه عليك .

(١٤٢) عدوة الوادى جانبه . (١٤٣) ذيل بينهم فرق .

فَأُولُ الْمَعَانِي الْمَأْخُودَةِ ، مِنْ الْأَخْبَارِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : « إِذَا أَتَاكَ أَحَدُ الْخَصْمَيْنِ ،
وَقَدْ فُقِّتَتْ عَيْنُهُ ، فَلَا تَحْكُمْ لَهُ ، فَرُبَّمَا أَتَى خَصْمَهُ وَقَدْ فُقِّتَتْ عَيْنَاهُ » .

وَأَمَّا الْمَعْنَى الثَّانِي فَقَوْلُهُ ﷺ : « سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فَسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » .
وَأَمَّا الْمَعْنَى الثَّلَاثُ فَقَوْلُهُ ﷺ : « إِنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ
الْخَمِيسِ ، فَيَغْفِرُ لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ ،
فَيَقُولُ : اتْرَكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا » .

وَأَمَّا الْمَعْنَى الرَّابِعُ فَقَوْلُهُ ﷺ : « لَا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ » .
وَأَمَّا الْمَعْنَى الْخَامِسُ فَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : « إِذَا التَّقَى الْمُتَهَاجِرَانِ ، فَأَعْرَضَ هَذَا ،
وَأَعْرَضَ هَذَا ، فَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ » .

وَأَمَّا الْمَعْنَى السَّادِسُ فَقَوْلُهُ ﷺ : « إِنَّ إِبْلِيسَ لَهُ عَرْشٌ عَلَى الْبَحْرِ ، فَبَيْتُ بَيْنَهُ فِي
أَفَّاقِ الْأَرْضِ فَيَأْتِي أَحَدَهُمْ ، فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا ، وَفَعَلْتُ كَذَا . فَيَقُولُ : مَا فَعَلْتُ
شَيْئًا ، وَيَأْتِي أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : زَيْلْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ ، أَوْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ ، فَيَقُولُ :
نَعَمْ الْوَلَدُ أَنْتَ ! » .

فَانْظُرْكُمْ فِي هَذِهِ الْأَسْطُرِ الْيَسِيرَةِ مِنْ مَعْنَى خَبَرِ نَبَوِيٍّ . هَذَا سِوَى مَا فِيهَا مِنْ مَعَانِي
الْآيَاتِ ، وَإِذَا عُدَدْتَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمَذْكُورَةَ فِي هَذِهِ الْأَسْطُرِ وَجَدْتَهَا جَمِيعَهَا مُنْتَظِمَةً
مِنَ الْآيَةِ وَالْخَبَرِ .

وهذا مما يدلُّ على الإِكْثَارِ مِنَ الْمُحْفُوظِ وَاسْتِحْضَارِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا عَلَى الْفَوْرِ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتَهُ فِي صَدْرِ كِتَابٍ ، وَهُوَ جَوَابٌ عَنْ كِتَابٍ يَتَضَمَّنُ تَهْدِيدًا
وَتَحْوِيلًا ، فَقُلْتُ :

« وَرَدَ الْكِتَابُ مُضْمَنًا مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ مَا آتَى نَفْسَ الْمَمْلُوكِ وَأَوْحَشَهَا ، وَتَقَعَّ
ضُلُوعَهُ وَأَعْطَشَهَا ، وَأَقَامَ لَهُ مِنَ الظُّنُونِ السَّيِّئَةِ جُنُودًا تُقَاتِلُهُ ، وَتَأْخُذُ عَلَيْهِ شُعْبَ الْأَفْكَارِ
فَلَا تَزُولُهُ . وَكَانَتْ كَلِمَاتُهُ طَوِيلًا ، وَأَوْرَاقُهُ ثَقِيلًا ، وَمَا أَفْلَتَ سَطْرٌ مِنْ سَطُورِهِ إِلَّا كَانَ
الْآخِرُ لَهُ عِقَالًا ، وَلَمَّا اسْتَكْمَلَ الْوُقُوفَ عَلَيْهِ ثَقُلَتْ أَطْوَارُ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ مِنْ أَطْوَارِهِ ،
وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فِي قِرْطَاسِهِ ، كَمَا عُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي عَرْضِ
١٨٧

جداره ، ولولا وُثُوقُهُ بَأَناءِ مَوْلانا لذهبتَ نفسه فَرَقاً ، وابتغى في السماء سُلماً ، وفي الأرض نَفَقاً ، لَكِنَّهُ قد تَوَسَّمَ في كَرَمِهِ مَخائِلَ الصُّنْعِ الوَسِيمِ ، وَغَرَّهُ مِنْهُ ما غَرَّهُ من رَبِّهِ الكَرِيمِ ، وعلم أَنَّ خُلُقَ حِلْمِهِ يَغْلِبُ خُلُقَ غَضَبِهِ ، إِذْ هَذَا حادِثٌ وذاك قديمٌ .
في هذا الفصل معنى خير من الأخبار النبوية ، وهو أَنَّهُ كانَ - صلواتُ الله عليه - يخطب ، فقال بيده إلى الجدار ، وقال : « عُرِضْتُ على الجنة والنار في عَرَضِ هذا الجدار ، فلم أَرِ كالْيَوْمِ في الخير والشر » .

ومن ذلك ما ذكرته في صدر كتاب إلى بعض الإخوان ، وهو :

« الخادمُ يواصلُ بالدُّعاءِ الَّذِي لا يزالُ لقلبه زميلاً ، وللسَّانِ رَسِيلاً (١٤٤) ، وإذا رفعَ أَذُنَّهُ الملائكةَ قَرَباً إذا تَباعَدَتْ عن غيرِه ميلاً ، ولا اعتِدَادَ بالدُّعاءِ إلا إذا صَدَرَ عن أَكْرَمِ مَصْدَرٍ ، ووجد له فوقَ السَّماءِ مظهراً وإن لم يكنْ هناك من مَظْهَرٍ ، ووصفَ باطنه بأنه الأَبْيَضُ النَّاصِعُ الَّذِي هو خَيْرٌ من ظاهرِ الأَشْعَثِ الأَغْبَرِ ، ولا يعامِلُ الخادمُ أهلَ وُدِّهِ إلا بهذه المعاملة ، ومن خَلَقَهُ المجازفةُ في بذلِ المودَّةِ إذا أخذَ الناسَ نِسْبَةً المَكايِلَةَ .

في هذا معنى خَبْرَيْنِ :

أحدهما : قولُ النبي ﷺ : « إِنَّهُ إذا كَذَبَ الكاذِبُ تَباعَدَ المَلِكُ عنه مِيلاً لِنَتَنِ كَذِبِهِ » .

والآخرُ : قولُهُ ﷺ : « رَبُّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لو أَقْسَمَ على اللَّهِ لأَبْرَهُ » .

ومن هذا الباب ما ذكرته في كتاب يتضمن خطبة مودة :

فابتدأتُ الكلامَ فيه بعدَ تصدُّره بالدعاء ، فقلتُ :

« لولا العادة لرفعَ الخادمُ كتابه هذا أن يسطَّرَ في ورقة ، وليس ذلك إلا لإرساله في خِطْبَةِ مودَّةٍ رأى صورتَها في سَرَقَةِ (١٤٥) ، ولَمَّا تَأَمَّلَها قال : إن يكنْ ذلك من عندِ اللَّهِ

(١٤٤) يقال راسله في عمله إذا تابعه فيه فهو رسيل .

(١٤٥) السرقة شقة حرير بيضاء ، قال أبو عبيدة : كأنها كلمة فارسية ، والجمع سرق مثل قصبة وقصب .

يُمِضُهُ ، وَأَبْدَى لَهَا صَفْحَةَ الرِّضَا ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّ مَوْدَّةٍ لَمْ تُرْضِهِ ، وخير المودَّاتِ ما ليس لها ضَرَّةٌ تشاركها في وَسَامَتِهَا ، ولا تظاهيها في دَرَجَةِ كَرَامَتِهَا . فتلِكَ الَّتِي تَزِدُّهُي ذَا الْهَمَّةِ أَبْوَةً وَجَمَالًا ، وَلَمْ يُغْلِهْ مَهْرُهَا وَلَوْ بَدَّلَ فِيهِ نَفْسًا لَا مَالًا ، وما يَظُنُّهَا الْخَادِمُ إِلَّا هَذِهِ الْمَوْدَّةَ الَّتِي خَطَبَهَا ، وقد علمت أن تكونَ رَاغِبَةً وَلَكِنْ هُوَ الَّذِي أَرْغَبَهَا ، على أَنَّهُ لَمْ يَتَرَشَّحْ لَهَا إِلَّا مِنْ هُوَ مِنْ أَكْفَانِهَا ، وَلَيْسَتْ الْكِفَاءَةُ هَاهُنَا إِلَّا مَا تَبْدُلُهُ الضَّائِرَاتُ مِنْ صِفَاتِهَا ، وقد أُنَاحَ اللَّهُ لَهَا كُفُوفًا يُكْثِرُ مِنْ إِبْنَانِهَا ، وَيَضَعُهَا مِنَ الْبَرِّ فِي مَحَلَّةٍ نَاسِيَهَا ، ويجعلُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِهَا غُرْسًا ، حَتَّى تَتَّصَلَ مَوَاسِمُ أَعْرَاسِهَا .

ثم مضيتُ على هذا النَّهْجِ إِلَى آخِرِ الْكِتَابِ ، وَالْمَعْنَى الْمَأْخُوذُ فِيهِ مِنَ الْخَبَرِ النَّبَوِيِّ فِي مَوَاضِعِينَ :

الأول : أَنِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا « إِنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرَّضَ عَلَيَّ صُورَتَكَ فِي سَرَقَةٍ - وَالسَّرَقَةُ حَرِيرَةٌ بِيضَاءُ - وَقَالَ : هَذِهِ زَوْجُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَقُلْتُ : إِنْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمِضُهُ . فَأَخَذْتُ أَنَا هَذَا الْمَعْنَى ، وَنَقَلْتُهُ إِلَى خِطْبَةِ مَوْدَّةٍ ، وَلَا يَأْتِي فِي خِطْبَةِ الْمَوْدَّاتِ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْهُ ، وَلَا أَلْطَفُ ، وَلَا أَشَدُّ مَقْصِدًا .

الخبرُ النَّبَوِيُّ الثَّانِي : قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : « إِنَّمَا تَنْكَحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ : لِحَسَبِهَا ، أَوْ لِدِينِهَا ، أَوْ لِمَالِهَا ، أَوْ لِجَمَالِهَا » . فَقُلْتُ أَنَا « فتلِكَ الَّتِي تَزِدُّهُي ذَا الْهَمَّةِ أَبْوَةً وَجَمَالًا » أَيْ قَدْ جَمَعْتَ الْحَسَبَ وَالْجَمَالَ .

ومن ذلك ما ذَكَرْتُهُ فِي سَبَبِ حُبِّ الْمَالِ ، وَهُوَ :

« بَيْنَ الْمَالِ عِلَاقَةٌ وَكِدَّةٌ وَبَيْنَ الْقُلُوبِ ، وَهِيَ لَهُ بِمِثْلَةِ الْحَبِّ وَهُوَ لَهَا بِمِثْلَةِ الْمَحْبُوبِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ اللَّهَ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ فَخَلَقَ آدَمَ مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ ، وَيُوشِكُ حِينَئِذٍ أَنْ صُورَةَ قَلْبِهِ تَكُونَتْ مِنْ مَعْدَنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ مِنْهَا غُنْصَرٌ إِبْدَائِهِ ، لَمَا جَعَلَهَا الْأَطْبَاءُ دَوَاءً مِنْ دَائِهِ ، فَلَا تَسْتَغْرِبُ إِذْنًا أَنْ يَكُونَ عَلَى حُبِّهَا مَطْبُوعًا ، إِذْ كَانَ مِنْهُمَا مَصْنُوعًا » .

وهذا المعنى من قولِ النَّبِيِّ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ

الأرض ، فجاء بُنُو آدَمَ على قَدَرِ الأرض ، منهم الأحمرُ والأبيضُ والأسودُ ، وبين ذلك ، والحَزَنُ والسَّهْلُ والحَيِثُ والطَّيْبُ » غيرَ أَنِّي اسْتَبْطُتُ أَنَا حُبَّ المَالِ من هذا الحديثِ ، وهو معنى غريبٌ لم أُسَبِّقْ إليه .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كلام ، وهو :

« ليس السَّحَرُ ما أُودِعَ في جُفِّ طَلْعَةٍ ^(١٤٦) ، بل ما أُودِعَ في صَوْغٍ مَعْنَى أو نظمٍ سَجَعَةٍ ، ولذلك لَبِيدٌ ^(١٤٧) في شِعْرِهِ أَسَحَرُ من لَبِيدٍ ^(١٤٨) في سِحْرِهِ ، وكلا صُنْعِهِمَا مِنَ الْغَرِيبِ الْعَجِيبِ ، غيرَ أَنَّ ما يُسْتَنْبِطُ مِنَ الْقَلْبِ أَعْجَبُ ممَّا يُدْفَنُ في الْقَلْبِ » . وهذا المعنى مأخوذٌ من قِصَّةِ لَبِيدِ بنِ الأعصَمِ في سِحْرِه النَّبِيَّ ﷺ ، ومن عرف القِصَّةَ وَصَوَّرَهَا عِلِمَ ما قد ذكرته في نثر هذه الكلمات البديعة .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف المنجنيق من جملة كتاب ، فقلت :

« وَنُصِبَ الْمَنْجَنِيْقُ فَجَنَّمْ يَنْ يَدِي السُّورِ مَنَاصِيَا ، وَبَسَطَ كَفَّهُ إِلَيْهِ مُؤَاتِيَا ، ثُمَّ تَوَلَّى عُقُوبَتَهُ بِعَصَاهُ الَّتِي تَفْتِكُ بِأَحْجَارِهِ ، وَإِذَا عَصَى عَلَيْهَا بَلْدٌ أَخَذَتْ فِي تَأْدِيبِ أَسْوَارِهِ ، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ اسْتَمَرَّتْ عُقُوبَتُهَا عَلَيْهِ حَتَّى صَارَ قَائِمُهُ حَصِيدًا ، وَعَاصِيهِ مُسْتَقِيدًا ، وَقَالَ : أَلَمْ يَكُنْ نَهَى عَنِ الْمَدِّ وَالتَّجْرِيدِ فَمَا لِي لَا أَرَى إِلَّا مَدًّا وَتَجْرِيدًا . وَعِنْدَ ذَلِكَ أَدْعَنُ لِفَتْحِ الْأَبْوَابِ ، وَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى « لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ » ^(١٤٩) وكذلك لَمْ نَأْتِ صَعْبًا

(١٤٦) الحف بالضم وعاء الطلع . والحف أصل النخلة .

(١٤٧) هو لبيد بن ربيعة العامري أحد أصحاب المعلقات .

(١٤٨) هو لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي ﷺ . وفي حديث عائشة قول النبي ﷺ : أتاني رجلان فقعدهما أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي . فقال أحدهما لصاحبه . ما وجع الرجل ؟ فقال : مطيب . قال : من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم . قال : في أي شيء ؟ قال : في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر . قال : وأين هو ؟ قال : في بئر ذروان . فأناها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه . فجاء فقال : يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء . أو كان رءوس نخلها رءوس الشياطين . قلت : يا رسول الله أفلا استخرجته ؟ قال : قد عافاني الله . ففكرت أن أثور على الناس فيه شرًا فأمر بها فدفنت .

(١٤٩) سورة الرعد : الآية ٣٨ .

إِلَّا اسْتَسْهَلَ ، وَلَا حَثْنًا مَطِيًّا إِلَّا اسْتَعْجَلَ ، وَلطالَمَا وَقَفَ غَيْرُنَا عَلَى هَذَا الْبَلَدِ ، فَشَقَّه طَوْلُ الْإِنْتِظَارِ ، وَلَمْ يَحْظَ مِنْهُ إِلَّا بِمُسَاوَلَةِ الْمُنْصَبِ أَحْجَارَ الدِّيَارِ .

فِي هَذَا الْفَصْلِ مَعْنَى خَبَرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ ، وَهُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي النَّهْيِ عَنْ ضَرْبِ الْمَحْدُودِ : « لَا مَدَّ وَلَا تَجْرِيدَ » أَيْ لَا يَمْدُّ عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَا يُجَرِّدُ عَنْهُ ثَوْبَهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتَهُ فِي صَدْرِ كِتَابِ إِلَى الدِّيْوَانِ الْعَزِيزِ النَّبَوِيِّ ، وَهُوَ :

« خَلَّدَ اللَّهُ دَوْلَةَ الدِّيْوَانِ الْعَزِيزِ النَّبَوِيِّ ، وَلَازَلَتْ أَكْنَافُهَا وَادِعَةٌ ، وَعَلِيَاؤُهَا جَامِعَةٌ ، وَجُدُودُهَا كَالنَّجُومِ الَّتِي تَرَى فِي كُلِّ حِينٍ طَالِعَةً ، وَأَيَامُهَا كَاللَّيَالِي سَاكِنَةٌ . وَلَيَالِيهَا كَالْأَيَّامِ نَاصِعَةٌ ، وَأَبْوَابُهَا كَأَبْوَابِ الْجَنَّةِ الَّتِي يَقَالُ فِيهَا ثَامِنٌ وَثَامِنَةٌ ، إِذَا قِيلَ فِي أَبْوَابِ غَيْرِهَا سَابِعٌ وَسَابِعَةٌ . وَهَذَا الدُّعَاءُ قَدْ اسْتَجَابَهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ تُرْفَعَ إِلَيْهِ يَدُ ، أَوْ يَنْطَقَ بِهِ ضَمِيرٌ ، فَإِذَا دَعَا بِهِ الْخَادِمُ وَجَدَ صُنْعَ اللَّهِ قَدْ سَبَقَهُ أَوَّلًا ، وَجَاءَ هُوَ فِي الزَّمَنِ الْآخِرِ فَلَيْسَ لَهُ حَيْثُذٌ إِلَّا أَنْ يَدْعُو مَا خَوَّلَهُ الدِّيْوَانُ الْعَزِيزُ بِالْدَّوَامِ ، وَأَنْ يُعَيِّدَهُ مِنَ النِّقْصِ بَعْدَ التَّمَامِ ، ثُمَّ يَسْتَهْدِي مَا يُؤَهِّلُ لَهُ مِنَ الْخِدْمِ الَّتِي يَعْتَدُّهَا مِنْ لَطَائِفِ الْإِحْسَانِ ، وَإِذَا نَدِبَ لَتَكْلِيفِ أَوَامِرِهَا قَالَ وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ يَسْجُدَانِ . وَلَا شَكَّ أَنْ دَرَجَاتِ الْأَوْلِيَاءِ تَتَفَاوَتْ فِي الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ ، فَهِيَ مَا يَكُونُ بَيْطُنُ الْأَرْضِ ، وَمِنْهَا مَا يُرَى كَالْكَوْكَبِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ، وَلَوْلَا النَّهْيُ عَنْ تَرْكِيبَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَادَّعَى الْخَادِمُ أَنَّ لَهُ أَعْلَاهَا ، وَجَاءَ بِالْأَوْلِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ ، فَقَالَ : « وَالشَّمْسُ وَضَحَاهَا وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا » (١٥٠) . لَكِنَّهُ لَا يَمُنُّ بِمَا يَعْتَدُّهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ذَخَرِهِ ، وَسِرِّ الْوَلَاءِ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَكْرَمُ مِنْ جَهْرِهِ ، وَلَيْسَ الَّذِي يَمُنُّ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ كَالَّذِي يَمُنُّ بِسَرٍّ وَقَرَفِي صَدْرِهِ ، وَاللَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى الْأَعْمَالِ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْمُطِيعِ بِمَحْضَرِ الشَّهَادَةِ ، وَبَيْنَ الْمُطِيعِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، وَلَوْ اطَّلَعَ الدِّيْوَانُ الْعَزِيزُ عَلَى ضَمِيرِ الْخَادِمِ فِي الطَّاعَةِ لَسَرَّهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ الْأَشْعَثُ الْأَغْبَرُ الَّذِي لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ .

في هذا الفصل من الآيات والأخبار عدة مواضع . وهذا الموضع مختص بالأخبار
فلنذكرها دون الآيات .

وأما الأول منها فقول النبي ﷺ : « إنكم ترون أهل الدرجات العليا في الجنة كما
ترون الكواكب في أفق السماء » .

وأما الخبر الثاني فقوله ﷺ : « ما فضلكم أبو بكر بصلاة وصيام ، ولكن فضلكم
بسِرٍّ وقر في صدره » .

وأما الخبر الثالث فقوله ﷺ : « رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله
لأبره » .

وفيا أوردته من حل المعاني الشعرية ، وحل آيات القرآن والأخبار النبوية ، طريق
واضح لمن يقوى على سلوكه ، والله الموفق للصواب .

المقالة الأولى

في الصناعة اللفظية

وهي تنقسم قسمين :

القسم الأول

في اللفظة المفردة

أعلم أنه يحتاج صاحب هذه الصناعة في تأليفه إلى ثلاثة أشياء :

الأول منها : اختيار الألفاظ المفردة :

وحكم ذلك حكم اللآلئ المبددة ، فإنها تتخير وتنتقى قبل النظم .

الثاني : نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها :

لثلا يجيء الكلام قلماً نافرأ عن مواضعه ، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها .

الثالث : الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه :

وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم ، فتارة يجعل إكليلاً على الرأس ، وتارة يجعل قِلادة في العنق ، وتارة يجعل شَفَاً^(١) في الأذن . ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه .

فهذه ثلاثة أشياء ، لا بد للخطيب والشاعر من العناية بها ، وهي الأصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر .

(١) الشف : القرط .

قأأول والثانى من هذه الثلاثة المذكورة هما المراد بالفصاحة . والثلاثة بجملةا هى المراد بالبلاغة .

وهذا الموضع يضل فى سلوك طريقه العلماء بصناعة صوغ الكلام من النظم والنثر ، فكيف الجهال الذين لم تنفحهم رائحة ، ومن الذى يؤتبه الله فطرة ناصعة ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسه نار ، حتى ينظر إلى أسرار ما يستعمله من الألفاظ ، فيضعها فى مواضعها .

ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد ، وكلاهما حسن فى الاستعمال ، وهما على وزن واحد وعدة واحدة ، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه فى كل موضع تستعمل فيه هذه ، بل يفرق بينهما فى مواضع السبك ، وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه ، وجل نظره .

فمن ذلك قوله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلين فى جوفه ^(٢) » وقوله تعالى : « رب إني نذرت لك ما فى بطني محرراً ^(٣) » . فاستعمل « الجوف » فى الأولى ، و« البطن » فى الثانية ، ولم يستعمل « الجوف » موضع « البطن » ولا « البطن » موضع « الجوف » . واللفظتان سواء فى الدلالة ، وهما ثلاثيتان فى عدد واحد ، ووزنهما واحد أيضاً . فانظر إلى سبك الألفاظ كيف تفعل .

ومما يجرى هذا الجرى قوله تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى ^(٤) » . وقوله : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ^(٥) » فالقلب والفؤاد سواء فى الدلالة ، وإن كانا مختلفين فى الوزن ، ولم يستعمل فى القرآن أحدهما فى موضع الآخر

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٣٥ ومعنى « محرراً » مخلصاً للعبادة .

(٤) سورة النجم : الآية ١١ .

(٥) سورة (ق) : الآية ٣٧ .

وعلى هذا وَرَدَ قَوْلُ الْأَعْرَجِ (٦) من أبيات الحماسة :
 نحن بنو الموت إذا الموت نزل لا عار بالموت إذا حمَّ الأجل
 الموت أحلى عندنا من العسل (٧)

وقال أبو الطيب المتنبي :

إِذَا بِي مَشَتْ حَقَّتْ عَلَى كُلِّ سَابِحٍ رَجَالُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي فَمِهَا شَهْدُ (٨)
 فهاتان لفظتان هما « العسل » و « الشهد » وكلاهما حَسَنٌ مستعملٌ ، لا يُشَكُّ في
 حسنه واستعماله . وقد وردت لفظة « العسل » في القرآن دون لفظة « الشهد » لأنها أحسنُ
 منها ، ومع هذا فَإِنَّ لفظة « الشهد » وردت في بيت أبي الطيب ، فجاءت أحسنَ من
 لفظة « العسل » في بيت الأعرج .

وكثيراً ما نجد أمثال ذلك في أقوال الشعراء المفلحين وغيرهم من بلغاء الكتاب
 ومُصْقِي الخطباء ، وتحت دقائق ورموز إذا عُلِمَتْ وقيسَ عليها أشباهها ونظائرها كان
 صاحبُ الكلام في النظم والنثر قد انتهى إلى الغاية القصوى في اختيار الألفاظ ،
 ووضعها في مواضعها اللائقة بها .

(٦) قال التبريزي : قيل الصحيح أنها لعمرو بن يثرب . وكلاهما من شعراء الإسلام . والأعرج منسوب إلى
 معن طيئ . وقد أدرك الدولتين . وكان أحد الخوارج في زمن بني أمية وبني العباس .

(٧) لعل ابن الأثير اختصر الشعر على هذا النحو . والشعر كما ورد في الحماسة (١١٠/١) على هذا الترتيب :

أنا أبو برزة إذ جد الوهل خلقت غير زمل ولا وكل
 ذا قوة وذا شباب مقبل لا جزع اليوم على قرب الأجل
 الموت أحلى عندنا من العسل نحن بني ضبة أصحاب الجمل
 نحن بنو الموت إذا الموت نزل ننعى ابن عفان بأسراف الأسل
 ردوا علينا شيخنا ثم يجل

الوهل : الفرع . والزمل : الضعيف . والوكل : الذي يتكل على غيره . والأصل : الرماح . ويجل بمعنى

حسب .

(٨) هكذا رواه ابن الأثير . ورواية الديوان (٣٧٤/١) :

إذا شئت حفت بي على كل سابع رجال كأن الموت في فمها شهد
 والسابع : الفرس السريع الجري . كأنه يسبح في سيرة . والشهد : العسل .

واعلم أن تفاوتَ التفاضل يقعُ في تركيب الألفاظ أكثر مما يقعُ في مفرداتها ، لأن التركيبَ أعسرُّ وأشقُّ .

ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم - من حيث انفرادها - قد استعملتها العربُ ومن بعدهم ، ومع ذلك فإنه يفوقُ جميعَ كلامهم ، ويعلو عليه ؟ وليس ذلك إلا لفَضيلة التركيب .

وهل تشكُّ أيها المتأملُ لكتابنا هذا إذا فكَرْتَ في قوله تعالى : « وقيل يا أرضُ ابلعي ماءك ، وياسماءُ أَقْلعي ، وَغِيضَ الماءُ ، وَقَضِيَ الأمرُ ، واستوتْ على الجودي » ، وقيل بُعْدًا للقومِ الظالمينَ » (٩) ، أنك لم تجدْ ما وَجَدْتَهُ هذه الألفاظُ من المزية الظاهرة إلا لأمر يرجعُ إلى تركيبها ، وأنه لم يَعْرِضْ لها هذا الحُسْنُ إلا مِنْ حيثُ لاقَتْ الأولى بالثانية ، والثالثةُ بالرابعة ، وكذلك إلى آخرها .

فإن ارتَبَتْ في ذَلِكَ فتأملْ ، هل ترى لفظةً منها لو أُخِذَتْ من مكانها ، وأُفِرِدَتْ من بين أخواتها كانتْ لابسَةً من الحُسْنِ ما لبسَتْه في مَوْضعها من الآية ؟ وما يشهدُ لذلك ويؤيده أنك ترى اللفظة تروقك في كلامٍ ، ثم تراها في كلامٍ آخر ، فتكرهها ، فهذا ينكره من لم يذُقْ طعمَ الفصاحة ولا عَرَفَ أسرارَ الألفاظِ في تركيبها وانفرادها (١١) .

وسأضربُ لك مثلاً يشهدُ بصحة ما ذكرته ، وهو أنه قد جاءت لفظة واحدة في آية من القرآن وبيت من الشعر ، فجاءتْ في القرآنِ جَزَلَةً مَبِينَةً ، وفي الشعرِ رَكِيكَةً ضَعِيفَةً ، فأثر التركيب فيها هَذَيْنِ الوصفين الضَّديَّين .

(٩) سورة هود : الآية ٤٤ .

(١٠) الرأي الذي قاله ابن الأثير في أن مجال التفاوت إنما هو في التراكيب دون الألفاظ هو رأي عبد القاهر الجرجاني الذي بسطه في كتابه « دلائل الإعجاز » بل إن ابن الأثير الذي يباهى دائماً بابتكاره نقل رأي عبد القاهر بأكثر كلماته ، وهو ما زال عينه هو الذي مثل به عبد القاهر وعلق عليه هذا التعليق بتفصيل أكثر - انظر دلائل الإعجاز : صفحة ٣٦ وما بعدها .

(١١) عبارة عبد القاهر الجرجاني : وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر .. انظر دلائل الإعجاز صفحة ٣٨ .

أما الآية فهي قوله تعالى : « فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ، إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ » (١٢) .

وأما بيت الشعر فهو قول أبي الطيب المتنبي :

تَلَدُّ لَهُ الْمَرْوَةُ وَهِيَ تُؤْذِي وَمَنْ يَعْشَقُ يَلَدُّ لَهُ الْغَرَامُ (١٣)

وهذا البيت من أبيات المعاني ، الشريفة ، إلا أن لفظة « تؤذى » قد جاءت فيه وفي الآية من القرآن ، فحطت من قدر البيت ، لضعف تركيبها ، وحسن موقعها في تركيب الآية .

فأنصف أيها المتأمل لما ذكرناه واغرضه على طبعك السليم ، حتى تعلم صحته . وهذا موضع غامض يحتاج إلى فضل فكرة ، وإمعان نظر وما تعرض للتنبيه عليه أحد قبلي (١٤) .

وهذه اللفظة التي هي « تؤذى » إذا جاءت في الكلام فينبغي أن تكون مُدْرَجاً مع ما يأتي بعدها ، متعلقة به ، كقوله تعالى : « إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ » وقد جاءت في قول المتنبي منقطعة . ألا ترى أنه قال : « تَلَدُّ لَهُ الْمَرْوَةُ وَهِيَ تُؤْذِي » ثم قال : « وَمَنْ يَعْشَقُ يَلَدُّ لَهُ الْغَرَامُ » فجاء بكلام مستأنف .

وقد جاءت هذه اللفظة بعينها في الحديث النبوي ، وأضيف إليها كاف الخطاب ، فأزال ما بها من الضعف والركّة . وذلك أنه اشتكى النبي ﷺ ، فجاءه جبريل عليه السلام ، ورقاه ، فقال : « بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُؤْذِيكَ » .

فانظر إلى السر في استعمال اللفظة الواحدة ، فإنه لما زيد على هذه اللفظة حرف واحد أصلحها وحسنها .

ومن هاهنا تراؤد الهاء في بعض المواضع ، كقوله تعالى : « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ : هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ » (١٥) ثم قال : « مَا أَغْنَى

(١٢) سورة الأحزاب : الآية ٥٣ . (١٣) ديوان المتنبي ٧٥/٤ .

(١٤) كذب ابن الأثير وغالط . وليح فيها قال رأى جديد لم يسبق إليه ، بل إنه نقل كلام عبد القاهر ورأيه

وأمثلته كما سبقت الإشارة إلى ذلك . (١٥) سورة الحاقة : الآيتان ١٩ ، ٢٠ .

عَنِّي مَالِيَه ، هَلَك عَنِّي سُلْطَانِيَه^(١٦) » فَإِنَّ الْأَصْلَ فِي هَذِهِ الْأَلْفَاظِ كِتَابِي ، وَحِسَابِي ، وَمَالِي ، وَسُلْطَانِي ، فَلَمَّا أُضِيفَتِ الْهَاءُ إِلَيْهَا - وَتَسْمَى « هَاءُ السَّكْتِ » - أَضَافَتْ إِلَيْهَا حُسْنًا زَائِدًا عَلَى حُسْنِهَا ، وَكَسَتْهَا لُطَافَةٌ وَلِبَاقَةٌ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : « إِنْ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ »^(١٧) فَلَفْظَةُ « لِي » أَيْضًا مِثْلَ لَفْظَةِ « يُوْذَى » وَقَدْ جَاءَتْ فِي الْآيَةِ مَنْدَرَجَةً مُتَعَلِّقَةً بِمَا بَعْدَهَا ، وَإِذَا جَاءَتْ مَنْقُطَةً لَا تَجِيءُ لَاتِّقَةُ ، كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ أَيْضًا :

تَمْسِي الْأَمَانِي صُرْعَى دُونَ مَبْلَغِهِ فَمَا يَقُولُ لَشَيْءٍ لَيْتَ ذَلِكَ لِي^(١٨)
وَرَبَّمَا وَقَعَ بَعْضُ الْجَهَّالِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَأَدْخَلَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ، كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

مَا أَجْدَرَ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي بِأَنْ تَقُولَ مَالَهُ وَمَالِي^(١٩)
فَإِنَّ لَفْظَةَ « لِي » هَاهُنَا قَدْ وَرَدَتْ بَعْدَ « مَا » وَقَبْلَهَا « مَالَهُ » ثُمَّ قَالَ : « وَمَالِي » فَجَاءَ الْكَلَامُ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ . وَلَوْ جَاءَتْ لَفْظَةُ « لِي » هَاهُنَا كَمَا جَاءَتْ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ لَكَانَتْ مَنْقُطَةً عَنِ التَّظْهِيرِ وَالشَّيْبَةِ ، فَكَانَ يَعْلَوُهَا الضَّعْفُ وَالرَّكَّةُ .

وَيَنْ وَرُودَهَا هَاهُنَا وَوُرُودَهَا فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فَرَقَ يَحْكُمُ فِيهِ الذَّوْقُ السَّلِيمُ .
وَهَاهُنَا مِنْ هَذَا النُّوعِ لَفْظَةٌ أُخْرَى قَدْ وَرَدَتْ فِي آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَفِي بَيْتٍ مِنْ شِعْرِ الْفَرَزْدَقِ ، فَجَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ حَسَنَةً ، وَفِي الْبَيْتِ الشَّعْرَ غَيْرَ حَسَنَةٍ ، وَتِلْكَ اللَّفْظَةُ هِيَ لَفْظَةُ « الْقَمْلُ » أَمَا الْآيَةُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ »^(٢٠) . وَأَمَا بَيْتُ الشَّعْرِ فَقَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :
مِنْ عِزِّهِ احْتَجَرَتْ كُلِّبٌ عِنْدَهُ زَرْبًا كَأَنَّهُمْ لَدَيْهِ الْقَمْلُ^(٢١)

(١٦) سورة الحاقة : الْآيَتَانِ ٢٨ ، ٢٩ .

(١٧) سورة (ص) : الْآيَةُ ٢٣ .

(١٩) ديوان المتنبي ٣/٣١١ .

(٢٠) سورة الأعراف : الْآيَةُ ١٣٣ .

(٢١) هكذا في المثلي السائر ، ورواية ديوان الفرزدق (٧١٥) :

من عزهم جحرت كليب بيتها زربا كأنهم لديه القمل

ومعنى جحرت دخلت جحرها ، واحتجرت له جحرًا اتخذته ، واحتجرت الأرض ضرب عليها منارًا ، واحتجرت به التبعًا واستعاذ ، والزرب موضع الغنم ، والقمل الدبى ، وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها ، أو البراغيث ، أو كبار القرحان .

وإنما حَسُنَتْ هذه اللفظة في الآية دونَ هذا البيت من الشَّعر لآنها جاءت في الآية مُندرجة في ضِمْنِ كلام ، ولم يَنْقَطِع الكلامُ عندها ، وجاءت في الشَّعر قافية ، أَيْ آخِراً انقطعَ الكلامُ عندها .

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى حِكْمَةِ أَسْرَارِ الْفَصَاحَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ غُصْنَا مِنْهُ فِي بَحْرِ عَمِيقٍ لَا قَرَارَ لَهُ .

فَمِنْ ذَلِكَ الْآيَةِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا ، فَإِنِهَا قَدْ تَضَمَّنَتْ خَمْسَةَ أَلْفَاظٍ ، وَهِيَ : الطَّوْفَانُ ، وَالْجَرَادُ ، وَالْقُمَّلُ ، وَالضَّفَادِعُ ، وَالذَّمُّ . وَأَحْسَنُ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْخَمْسَةِ هِيَ الطَّوْفَانُ ، وَالْجَرَادُ ، وَالذَّمُّ . فَلَمَّا وَرَدَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ الْخَمْسَةُ بِحَمَلَتِهَا قُدِّمَ مِنْهَا لَفْظَتَا « الطَّوْفَانُ » وَ « الْجَرَادُ » وَأَخَّرَتْ لَفْظَةُ « الذَّمُّ » آخِراً ، وَجُعِلَتْ لَفْظَةُ « الْقُمَّلُ » ، وَالضَّفَادِعُ » فِي الْوَسْطِ ، لِيَطَّرِقَ السَّمْعُ أَوَّلَا الْحَسَنِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْخَمْسَةِ ، وَيَنْتَهِيَ إِلَيْهِ آخِراً . ثُمَّ إِنْ لَفْظَةُ « الذَّمُّ » أَحْسَنُ مِنْ لَفْظَتِي « الطَّوْفَانُ » وَ « الْجَرَادُ » وَأَخْفُ فِي الِاسْتِعْمَالِ ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ جِئَ بِهَا آخِراً . وَمُرَاعَاةُ مِثْلِ هَذِهِ الْأَسْرَارِ وَالذِّقَاقِ فِي اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ لَيْسَ مِنَ الْقُدْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ .

وَقَدْ ذَكَرَ مِنْ تَقْدِيمِي مِنَ عِلْمَاءِ الْبَيَانِ لِلأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ خِصَائِصَ وَهَيْئَاتٍ تَتَصَفُّ بِهَا . وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ ، وَاسْتَحْسَنَ أَحَدُهُمْ شَيْئاً ، فَخُولَفَ فِيهِ ، وَكَذَلِكَ اسْتَقْبَحَ الْآخَرُ شَيْئاً ، فَخُولَفَ فِيهِ .

وَلَوْ حَقَّقُوا النَّظَرَ وَوَقَفُوا عَلَى السَّرِّ فِي اتِّصَافِ بَعْضِ الْأَلْفَاظِ بِالْحَسَنِ وَبَعْضِهَا بِالْقُبْحِ لَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنْهَا .

وَقَدْ أَشَرْتُ إِلَى ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ الثَّامِنِ (٢١) مِنْ مَقْدَمَةِ كِتَابِي الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ الْفَصَاحَةِ ، وَفِي الْوُقُوفِ عَلَيْهِ وَالْإِحَاطَةِ بِهِ غِنًى عَنْ غَيْرِهِ ، لَكِنْ لَا بَدَّ أَنْ نَذَكَرَ هَاهُنَا تَفْصِيلاً لَمَّا أَجْمَلْنَاهُ هُنَاكَ ، لِأَنَّا ذَكَرْنَا فِي ذَلِكَ الْفَصْلِ أَنَّ الْأَلْفَاظَ دَاخِلَةً فِي حَيْزِ الْأَصْوَاتِ ، لِأَنَّهَا مَرْكَبَةٌ مِنْ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ ، فَمَا اسْتَلْذَهُ السَّمْعُ مِنْهَا فَهُوَ الْحَسَنُ ، وَمَا كَرِهَهُ وَنَبَأَ عَنْهُ فَهُوَ الْقَبِيحُ .

وإذا ثبتَ ذلكَ فلا حاجةَ إلى ما ذُكِرَ من تلكَ الخصائصِ والهيئاتِ التي أوردَها علماءُ البيانِ في كتبهم ، لأنَّه إذا كان اللفظُ لذيذاً في السَّمْعِ كان حسناً ، وإذا كان حسناً دخلتْ تلكَ الخصائصُ والهيئاتُ في ضمنِ حسنه .

وقد رأيتُ جماعةً من الجهَّالِ إذا قيلَ لأحدهم : إنَّ هذه اللفظةَ حسنةٌ . وهذه قبيحةٌ ، أنكرَ ذلكَ ، وقال : كلُّ الألفاظِ حسنٌ ، والواضعُ لم يضعْ إلا حسناً ! ومن يبلغُ جهلهُ إلى أن لا يفرِّقَ بين لفظةٍ « الغصن » ولفظه « العُسلوج » وبين لفظةٍ « المدامة » ولفظه « الإسْفنط » وبين لفظةٍ « السيف » ولفظه « الخنْشَليل » وبين لفظةٍ « الأسد » ولفظةٍ « الفدوكس » فلا ينبغي أن يخاطبَ بخطابٍ ، ولا يُجاوَبَ ، بل يُتركُ وشأنه ، كما قيل : اتركوا الجاهلَ تَجْهله . ولو ألقى الجعْرُ (٢٢) في رَحْله ! وما مثاله في هذا المقامِ إلا كمن يُسوِّى بين صورةٍ زنجيةٍ سوداءٍ مُظلمةٍ السَّوادِ شوْهَاءِ الخلقِ ، ذاتِ عينٍ محمَّرةٍ ، وشَفَةِ غليظةٍ كأنها كُلوةٌ ، وشَعْرٍ قَطَطٍ (٢٣) كأنه زبيبةٌ ، وبين صورةٍ روميةٍ بيضاءٍ مُشرَبةٍ بِحُمرةٍ ، ذاتِ خدٍّ أسيلٍ (٢٤) ، وطَرْفٍ كحيلٍ ، ومَبْسَمٍ كأنما نُظِمَ مِنْ أَقَاحٍ (٢٥) ، وطَرَّةٍ (٢٦) كأنها ليلٌ على صَبَاحٍ .

فإذا كانَ بإنسانٍ من سَقَمِ النَّظَرِ أن يُسوِّى بين هذه الصورةِ وهذه فلا يبعدُ أن يكونَ به من سَقَمِ الفكرِ أن يُسوِّى بين هذه الألفاظِ وهذه . ولا فرقَ بين النظرِ والسَّمْعِ في هذا المقامِ ، فإنه هَذَا حاسَّةٌ وهذا حاسَّةٌ ، وقياسُ حاسَّةٍ على حاسَّةٍ مناسبٌ .

فإنَّ عائدَ مُعاندٍ في هذا . وقال : أغراضُ الناسِ مختلفةٌ فيما يختارُونُه من هذه الأشياءِ ، وقد يَعشَقُ الإنسانُ صورةَ الزَّنجيةِ التي دَمَمَتْهَا ، ويفضلُهَا على صورةِ الروميةِ التي وَصَفَتْهَا !

قلتُ في الجوابِ : نحن لا نحكمُ على الشاذِّ النادرِ الخارجِ عن الاعتدالِ . بل

(٢٢) الجعْرُ ما يبس من العذرة في الجعْر أي الدبر . أو نحو كل ذات مخلب من السباع .

(٢٣) شعر قَطَطٍ شديد الجعودة ، وفي التهذيب : القَطَطُ شعر الزنجي .

(٢٤) الأسيل من الحدود الطويل المسترسل . (٢٥) الأقاح والأقاحي جمع الأقحوان وهو البابونج .

(٢٦) الطرة الناصية .

نحكم على الكثير الغالب . وكذلك إذا رأينا شخصاً يحبُّ أكل الفَحْم مثلاً ، أو أكلَ
الجبص والتراب . ويختار ذلك على ملاذ الأطعمة : فهل نستجيدُ هذه الشهوة ، أو نحكم
عليه بأنه مريض ، قد فسدتْ معدته ، وهو محتاجٌ إلى علاجٍ ومداواة ؟
ومن له أدنى بصيرة يعلم أنَّ للألفاظ في الأذن نعمةً لذيدة كنعمة أوتار ، وصوتاً
مُنكراً كصوت حمار ، وأن لها في الفم أيضاً حلاوةً كحلاوة العسل ، ومرارة كمرارة
الحنظل . وهى على ذلك تجرى مجرى النغمات والطعوم .

ولا يسبق وهمك أيها المتأمل إلى قول القائل الذى غلب عليه غلط الطبع وفجاجة
الذهن بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا وكذا ، فهذا دليلٌ على أنه حسن ،
بل ينبغي أن تعلم أن الذى نستحسنه نحن في زماننا هذا هو الذى كان عند العرب
مُسْتَحْسَناً ، والذى نستقبحه هو الذى كان عندهم مُسْتَقْبَحاً .
والاستعمال ليس بدليل على الحسن ، فإنما نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس
بحسن ، وإنما نستعمله لضرورة . فليس استعمال الحسن بممكن في كل الأحوال .
وهذا طريقٌ يضلُّ فيه غير العارف بمسالكه . ومن لم يعرف صناعة النظم والنثر ، وما
يجده صاحبها من الكلام في صوغ الألفاظ واختيارها فإنه معذورٌ في أن يقول ما قال :
لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانها

ومع هذا فإن قول القائل بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا وكذا ، وهذا
دليلٌ على أنه حسن ، قولٌ فاسد ، لا يصدر إلا عن جاهل ، فإن استحسان الألفاظ
واستقبحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب ، لأنه شئٌ ليس للتقليد فيه مجال ، وإنما هو
شئٌ به خصائص وهيات وعلامات إذا وجدتْ عليم حسنه من قبحه . وقد تقدم
الكلام على ذلك في باب الفصاحة والبلاغة .

وأما الذى تقلد العرب فيه من الألفاظ فإنما هو الاستشهاد بأشعارها على ما ينقل من
لُغتها ، والأخذ بأقوالها في الأوضاع النحويّة ، في رفع الفاعل ، ونصب المفعول ، وجر
المضاف إليه ، وجزم الشرط ، وأشباه ذلك ، وماعده فلا .

وحُسْنُ الألفاظ وقبحُها ليس إضافياً إلى زيد دُونَ عمرو ، أو إلى عمرو دُونَ زيد .
لأنه وصفٌ ذَوَوِيٌّ لا يتغيَّر بالإضافة .

ألا تَرَى أن لفظة « المُرْنة » مثلاً حسنةٌ عند الناس كافةً من العرب وغيرهم ، وهَلُمَّ
جراً . لا يختلفُ أحدٌ في حُسْنِها . وكذلك لفظة « البُعاق » فإنها قبيحةٌ عند الناس كافةً
من العرب وغيرهم ، فإذا استعملتها العربُ لا يكون استعمالهم إياها مُخرِجاً لها عن
القُبْح ، وَلَا يُلْتَفَتُ إذن إلى استعمالهم إياها بل يعابُ مُستعملها ، ويُغْلَظُ لَهُ النَّكِيرُ حيثُ
استعملها .

وقد ذكر ابنُ سنان الخفاجي ما يتعلق باللفظة الواحدة من الأوصاف ، وقسمها إلى
عدة أقسام : كتباعِدِ مخارجِ الحروف ، وأن تكون الكلمة جاريةً على العُرفِ العربيِّ
غيرَ شاذَّةٍ ، وأن تكون مصغرةً في موضع يُعبَّرُ به عن شيء لطيف أو خفي أو ماجرى
مجرأه . وأن لا تكون مبتدلةً بين العامة ، وغير ذلك من الأوصاف . وفي الذي ذكره مالا
حاجةً إليه .

أما تباعدُ المخارجِ فإنَّ معظمَ اللغة العربيةِ دائرٌ عليه ، لأنَّ الواضعَ قسمَها في وضعه
ثلاثة أقسامٍ : ثلاثياً ، ورباعياً وخماسياً .

والثلاثيُّ من الألفاظِ هو الأكثرُ ، ولا يوجدُ فيه ما يُكرَهُ استعمالُه إلا الشاذُّ النادرُ .
وأما الرباعيُّ فإنه وسطٌ بين الثلاثيِّ والخماسيِّ في الكثرة عدداً واستعمالاً .
وأما الخماسيُّ فإنه الأقلُّ ، ولا يوجدُ فيه ما يستعملُ إلا الشاذُّ النادرُ .

وعلى هذا التقدير فإنَّ أكثرَ اللغةِ مستعملٌ على غير مكرَّوه ، ولا تقتضي حكمة هذه
اللغةِ الشريفة التي هي سيدة اللغاتِ إلا ذلك . ولهذا أسقط الواضعُ حروفاً كثيرة في
تأليف بعضها مع بعض استثقلاً واستكراهاً ، فلم يؤلفْ بين حُرُوفِ الحلق كالحاء
والحاء والعين . وكذلك لم يؤلفْ بين الجيم والقاف ولا بين اللام والراء ولا بين الزاء
والسين . وكل هذا دليلٌ على عنايته بتأليف المتباعِدِ المَخارجِ دونَ المتقاربِ . ومن
العجب أنه كان يُخلُّ بمثل هذا الأصلِ الكليِّ في تحسين اللغة ، وقد اعتنى بأمورٍ آخرَ
جُزئيةٍ . كمماثلته بين حركاتِ الفعلِ في الوجود وبين حركاتِ المصدرِ في النطقِ

كَالْعَلْيَانِ ، والضربان ، والنَّقْدَانِ ، والتَّزْوَانِ ، وغير ذلك مما جَرى مجراه ، فَإِنْ حُرُوفُهُ
جَمِيعُهَا متحرّكاتٌ ، وَلَيْسَ فِيهَا حرفٌ ساكنٌ ، وهى مِثَالُ حركاتِ الفعلِ فى
الْوُجُودِ .

وَمَنْ نظَرَ فى حِكْمَةِ وَضْعِ هذه اللغةِ إلى هذه الدقائقِ ، التى هى كالأطرافِ
والحواشى ، فكيف كان يَخْلُ بالأصلِ المعوّلُ عليه فى تأليفِ الحروفِ بعضها إلى بعضِ ،
على أنه لو أراد الناظمُ أو الناثرُ أنْ يَعتَبِرَ مخارجَ الحروفِ عند استعمالِ الألفاظِ ، وهلْ هى
متباعدة أو متقاربةٌ ، لَطَالَ الخُطْبُ فى ذلك وَعَسُرَ ، وَلَمَّا كان الشاعرُ ينظمُ قصيداً ،
ولا الكاتبُ ينشئُ كتاباً إلا فى مدّةٍ طويلةٍ تَمُضِ عليها أيامٌ وليالٍ ذواتُ عددٍ كثيرٍ .
ونحنُ نرى الأمرَ بخلافِ ذلك ، فَإِنَّ حَاسَّةَ السَّمْعِ هى الحاكمةُ فى هذا المقامِ بحسْنِ
ما يَحْسُنُ من الألفاظِ ، وَقُبْحِ ما يَقْبَحُ .

وسأضربُ لك فى هذا مثلاً ، فأقولُ : إذا سُئِلْتَ عن لفظةٍ من الألفاظِ ، وقيل
لك : ماتقولُ فى هذه اللفظةِ ، أَحْسَنَةٌ هى أم قَبِيحَةٌ ؟ فَإِنِ لَأَرَاكَ عند ذلكِ إِلا تُفْتِى
بحُسْنِها أو قُبْحِها على الفورِ ، ولو كنتَ لا تُفْتِى بذلكِ حتّى تقولَ للسائلِ : اصْبِرْ إلى أنْ
أَعتَبِرَ مخارجَ حُرُوفِها ، ثم أَفتيكِ بعد ذلكِ بما فيها من حُسْنٍ أو قُبْحٍ ، لَصَحَّ لابنِ سنانٍ
ما ذَهَبَ إليه من جَعْلِ مخارجِ الحُرُوفِ المتباعدة شرطاً فى اختيارِ الألفاظِ ، وإنما شَذَّ عنه
الأصلُ فى ذلكِ ، وَهُوَ أَنَّ الحَسْنَ من الألفاظِ يَكُونُ متباعدَ المخارجِ . فَحَسُنُ الألفاظِ
إِذْ نَ لَيْسَ معلوماً من تباعدِ المخارجِ ، وَإِنما عُلِمَ قَبْلَ العِلْمِ بتباعدِها .

وكلُّ هذا راجعٌ إلى حَاسَّةِ السَّمْعِ . فإذا اسْتَحْسَنْتَ لفظاً أو استقبحتَهُ وَجَدَ ما
تَسْتَحْسِنُه متباعدَ المخارجِ ، وماتستقبحتُهُ متقاربَ المخارجِ ، واستحسانُها واستقباحتُها إنما
هو قبلِ اعتبارِ المخارجِ ، لا بعدَهُ .
على أن هذه قاعدة قد شَذَّ عنها شواذٌ كثيرةٌ ، لأنه قد يَجِىءُ فى المتقاربِ المخارجِ ،
ما هو حسنٌ رائعٌ .

أَلَا تَرى أَنَّ الجِيمَ والشَّيْنَ والياءَ مخارجُ متقاربةٌ ، وهى من وسطِ اللسانِ بينَهُ وبينَ
الحنكِ ، وتسمى ثلاثُها «الشَّجَرِيَّةُ» وإذا تَرَكَّبَ منها شَيْءٌ من الألفاظِ جَاءَ حسناً
رائقاً .

فإن قيل «جَيْش» كانت لفظة محمودة ، أَوْ قُدِّمَتِ الشَّيْنُ عَلَى الْجَيْمِ ، فَقِيلَ «شَجَى» كانت أيضًا لفظة محمودة ، وَمِمَّا هُوَ أَقْرَبُ مَخْرَجًا مِنْ ذَلِكَ الْبَاءُ وَالْمِيمُ وَالْفَاءُ ، وَثَلَاثَتُهُمَا مِنَ الشَّفَّةِ ، وَتَسْمَى «الشَّفْهِيَّةُ» إِذَا نُظِمَ مِنْهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ كَانَ جَمِيلًا حَسَنًا كَقَوْلِنَا «فَم» فَهَذِهِ اللَّفْظَةُ مِنْ حَرْفَيْنِ هُمَا : الْفَاءُ وَالْمِيمُ ، وَكَقَوْلِنَا «دُقَّتْهُ بِفَيْ» وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ مُؤَلَّفَةٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ بِجَمَلَتِهَا ، وَكِلَاهُمَا حَسَنٌ لَا عَيْبَ فِيهِ .

وَقَدْ وَرَدَ مِنَ الْمُتَبَاعِدِ الْمَخَارِجِ شَيْءٌ قَبِيحٌ أَيْضًا ، وَلَوْ كَانَ التَّبَاعُدُ سَبَبًا لِلْحُسْنِ لَمَا كَانَ سَبَبًا لِلْقُبْحِ ، إِذْ هُمَا ضِدَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ . فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يُقَالُ «مَلَع» إِذَا عَدَا ، فَالْمِيمُ مِنَ الشَّفَّةِ ، وَالْعَيْنُ مِنْ حُرُوفِ الْحَلْقِ ، وَاللَّامُ مِنْ وَسْطِ اللِّسَانِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُتَبَاعِدٌ ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ مَكْرُوهَةٌ لِاسْتِعْمَالِ يَنْبُو عَنْهَا الذَّوْقُ السَّلِيمُ ، وَلَا يَسْتَعْمَلُهَا مَنْ عِنْدَهُ مَعْرِفَةٌ بِفَنِّ الْفَصَاحَةِ .

وَهَاهُنَا نَكْتَةٌ غَرِيبَةٌ ، وَهِيَ أَنَّا إِذَا عَكَسْنَا حُرُوفَ هَذِهِ اللَّفْظَةِ صَارَتْ «عَلَم» وَعِنْدَ ذَلِكَ تَكُونُ حَسَنَةً لَا مَزِيدَ عَلَى حُسْنِهَا .

وَمَا نَدْرِي كَيْفَ صَارَ الْقُبْحُ حُسْنًا ؟ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْ مَخَارِجِهَا شَيْءٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّامَ لَمْ تَزَلْ وَسْطًا ، وَالْمِيمُ وَالْعَيْنُ يَكْتَنِفَانِهَا مِنْ جَانِبَيْهَا ، وَلَوْ كَانَ مَخَارِجُ الْحُرُوفِ مُعْتَبَرًا فِي الْحُسْنِ وَالْقُبْحِ لَمَا تَغَيَّرَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فِي «مَلَع» وَ «عَلَم» .

فَإِنْ قِيلَ : إِنْ إِخْرَاجَ الْحُرُوفِ مِنَ الْحَلْقِ إِلَى الشَّفَّةِ أَيْسَرُ مِنْ إِدْخَالِهَا مِنَ الشَّفَّةِ إِلَى الْحَلْقِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ انْخِدَارٌ ، وَهَذَا صُعُودٌ ، وَالانْخِدَارُ أَسْهَلُ ! .

فَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنِّي أَقُولُ : لَوْ اسْتَمَرَّ لَكَ هَذَا لَصَحَّ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ ، لَكِنَّا نَرَى مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا إِذَا عَكَسْنَا حُرُوفَهُ مِنَ الشَّفَّةِ إِلَى الْحَلْقِ ، أَوْ مِنْ وَسْطِ اللِّسَانِ أَوْ مِنْ آخِرِهِ إِلَى الْحَلْقِ لَا يَتَغَيَّرُ كَقَوْلِنَا «غَلَب» فَإِنَّ الْعَيْنَ مِنْ حُرُوفِ الْحَلْقِ ، وَاللَّامُ مِنْ وَسْطِ اللِّسَانِ ، وَالْبَاءُ مِنَ الشَّفَّةِ . وَإِذَا عَكَسْنَا ذَلِكَ صَارَ «بَلَع» وَكِلَاهُمَا حَسَنٌ مَلِيحٌ .

وَكَذَلِكَ تَقُولُ : «حَلَم» مِنَ الْحَلْمِ ، وَهُوَ الْأَنَاءَةُ ، وَإِذَا عَكَسْنَا هَذِهِ الْكَلِمَةَ صَارَتْ «مُلَحَّ» عَلَى وَزْنِ فَعْلَ بِفَتْحِ الْفَاءِ وَضَمِّ الْعَيْنِ ، وَكِلَاهُمَا أَيْضًا حَسَنٌ مَلِيحٌ .

وَكَذَلِكَ تَقُولُ : «عَقَر» وَ «رَقَعَ» وَ «عَرَفَ» وَ «فَرَعَ» وَ «حَلَفَ» وَ «فَلَحَ»

و « قلم » و « ملق » و « كلم » و « ملك » ولو شئت لأوردت من ذلك شيئاً كثيراً تضيق عنه هذه الأوراق .

ولو كان ما ذكرته مطرداً لكننا إذا عكسنا هذه الألفاظ صار حسنها قبحاً ، وليس الأمر كذلك .

وأما ما ذكره ابن سنان من جريان اللفظة على العرف العربي فليس ذلك مما يوجب لها حسناً . ولا قبحاً . وإنما يقدح في معرفة مستعملها بما يتقله من الألفاظ ، فكيف يعد ذلك من جملة الأوصاف الحسنة ؟ .

وأما تصغير اللفظة فيما يعبر به عن شيء لطيف أو خفي أو ما جرى مجراه فهذا مما لا حاجة إلى ذكره . فإن المعنى يسوق إليه ، وليست معاني التصغير من الأشياء الغامضة التي يفتقر إلى التنبيه عليها . فإنها مدونة في كتب النحو ، وما من كتاب نحو إلا والتصغير باب من أبوابه . ومع هذا فإن صاحب هذه الصناعة مخير في ذلك ، إن شاء أن يورده بلفظ التصغير . وإن شاء بمعناه ، كقول بعضهم .

لَوْ كَانَ يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ مِنْ خَلْقِهِ خَفِيَ عَنْهُ بُو لَبْدٍ
فهل يمكن هذا الشاعر أن يصغر من هؤلاء القوم ، ويحقر من شأنهم بالألفاظ التصغير ، وبجاء هكذا ، كما جاء بيته هذا ؟ فالوصية به إذن ملغاة ، لا حاجة إليها .
وأما الأوصاف الباقية التي ذكرت ، فهي التي ينبغي أن يُنبه عليها .
فإنها أن لا تكون الكلمة وحشية .

[الوحشي] :

وقد خفي الوحشي على جماعة من المتتمين إلى صناعة النظم والنثر ، وظنوه المستقبح من الألفاظ ، وليس كذلك ، بل الوحشي ينقسم قسمين : أحدهما : غريب حسن . والآخر : غريب قبيح .

وذلك أنه منسوب إلى اسم الوحش الذي يسكن القفار ، وليس بأنيس ، وكذلك الألفاظ التي لم تكن مأنوسة الاستعمال . وليس من شرط الوحش أن يكون مستقبحاً .

بلْ أَنْ يَكُونَ نَافِرًا لَا يَأْلَفُ الْإِنْسَ ، فتارة يكون حَسَنًا . وتارة يكون قبيحًا .
وعلى هذا فإنَّ أحدَ قِسْمَي الْوَحْشِيِّ - وهو الغريبُ الحَسَنُ - يَخْتَلِفُ باختلافِ
النَّسَبِ والإِضافاتِ .

وأما القسمُ الآخرُ من الوحشيِّ - الَّذي هو قبيحٌ - فإنَّ النَّاسَ في استقباحِهِ سِوَاءٍ ،
ولا يَخْتَلِفُ فِيهِ عَرَبِيٌّ بَادٍ ، ولا قُرَوِيُّ مُتَحَضِّرٌ .

وأحسنُ الألفاظِ ما كَانَ مألُوفًا متداوِلًا ، لأنَّهُ لم يَكُنْ مألُوفًا متداوِلًا إِلَّا لِمَكَانِ
حُسْنِهِ . وقد تقدَّم الكلامُ على ذلك في بابِ الفصاحَةِ . فإنَّ أربابَ الخطابةِ والشَّعْرِ
نظروا إلى الألفاظِ ، ونَقَّبُوا عَنْهَا ، ثمَّ عَدَّلُوا إلى الأَحْسَنِ مِنْهَا فاستعملوه ، وتركوا
ما سِوَاهُ ، وَهُوَ أَيْضًا يَتَفَاوَتُ في درجاتِ حُسْنِهِ .

فالألفاظُ إِذْنُ تنقسمُ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ : قِسْمَانِ حَسَنَانِ ، وقِسْمٌ قَبِيحٌ .

فالقسمانِ الحَسَنَانِ :

أحدهما : ما تداوَلَ استعمالُهُ الأوَّلُ والآخِرُ مِنَ الزَّمنِ القديمِ إلى زمانِنَا هَذَا ، ولا
يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ وَحْشِيٌّ .

والآخِرُ : ما تداوَلَ استعمالُهُ الأوَّلُ دُونَ الْآخِرِ ، وَيُخْتَلَفُ في استعمالِهِ بالنسبةِ إلى
الزَّمنِ وَأَهْلِهِ . وهذا هُوَ الَّذِي لَا يِعَابُ استعمالُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ ، لأنَّهُ لم يَكُنْ عِنْدَهُمْ
وَحْشِيًّا ، وَهُوَ عِنْدَنَا وَحْشِيٌّ . وقد تَضَمَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْهُ كَلِمَاتٍ مَعْدُودَةٍ ، وَهِيَ الَّتِي
يُطْلَقُ عَلَيْهَا « غَرِيبُ الْقُرْآنِ » وكذلك تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ مِنْهُ شَيْئًا ، وَهُوَ الَّذِي
يُطْلَقُ عَلَيْهِ « غَرِيبُ الْحَدِيثِ » .

وحضر عِنْدِي في بَعْضِ الْأَيَّامِ رَجُلٌ مُتَفَلِّسٌ ، فَجَرَى ذِكْرَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ،
فَأَخَذَتْ في وَصْفِهِ ، وَذَكَرَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَلْفَاظُهُ وَمَعَانِيهِ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ :
فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : وَأَيُّ فَصَاحَةٍ هُنَاكَ ، وَهُوَ يَقُولُ « تِلْكَ إِذَا قَسَمْتُ ضِيْرَى (٢٧) » ؟
فهلْ في لَفْظَةِ « ضِيْرَى » مِنَ الْحُسْنِ ما يوصَفُ ؟

فقلتُ له : اعْلَمْ أَنَّ لاسْتِعْمَالَ الْأَلْفَاظِ أَسْرَارًا لَمْ تَقِفْ عَلَيْهَا أَنْتَ وَلَا أُثِمَّتْكَ ، مثل ابنِ سِينَا وَالْفَارَابِيِّ ، وَلَا مَنْ أَصْلَهُمْ مثلُ أَرْسَطَالِيسِ وَأَفْلَاطُونِ . وهذه اللفظة التي أَنْكَرْتَهَا فِي الْقُرْآنِ ، وهى لَفْظَةُ « ضِيْزَى » فَإِنِهَا فِي مَوْضِعِهَا لَا يَسُدُّ غَيْرُهَا مَسَدَهَا . أَلَا تَرَى أَنَّ السُّورَةَ كُلَّهَا الَّتِي هِيَ سُورَةُ النَّجْمِ مَسْجُوعَةٌ عَلَى حَرْفِ الْيَاءِ (٢٨) فَقَالَ تَعَالَى « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ » مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢٩) وَكَذَلِكَ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ، فَلَمَّا ذَكَرْتَ الْأَصْنَافَ وَقِسْمَةَ الْأَوْلَادِ ، وَمَا كَانَ يَزْعُمُهُ الْكُفَّارُ قَالَ : « أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ، تِلْكَ إِذَا قُسِمَةُ ضِيْزَى » (٣٠) فَجَاءَتْ اللفظةُ عَلَى الْحَرْفِ الْمَسْجُوعِ الَّذِي جَاءَتْ السُّورَةُ جَمِيعُهَا عَلَيْهِ ، وَغَيْرُهَا لَا يَسُدُّ مَسَدَهَا فِي مَكَانِهَا .

وَإِذَا نَزَلْنَا مَعَكَ أَيُّهَا الْمَعَانِدُ عَلَى مَا تُرِيدُ قُلْنَا إِنَّ غَيْرَ هَذِهِ اللفظةِ أَحْسَنُ مِنْهَا ، وَلَكِنَّهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لَا تَرُدُّ مَلَائِمَةً لِأَخَوَاتِهَا ، وَلَا مَنَاسِبَةً ؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ خَارِجَةً عَنْ حَرْفِ السُّورَةِ .

وَسَائِبِينَ ذَلِكَ فَأَقُولُ : إِذَا جِئْنَا بِلَفْظَةٍ فِي مَعْنَى هَذِهِ اللفظةِ قُلْنَا : قِسْمَةٌ جَائِرَةٌ ، أَوْ ظَالِمَةٌ . وَلَا شَكَّ أَنَّ « جَائِرَةٌ » أَوْ « ظَالِمَةٌ » أَحْسَنُ مِنْ « ضِيْزَى » إِلَّا أَنَّا إِذَا نَظَّمْنَا الْكَلَامَ ، فَقُلْنَا : أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ، تِلْكَ إِذَا قُسِمَةُ ظَالِمَةٌ ، لَمْ يَكُنِ النَّظْمُ كَالنَّظْمِ الْأَوَّلِ ، وَصَارَ الْكَلَامُ كَالشَّيْءِ الْمُعْوَزِ ، الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى تَمَامٍ ، وَهَذَا لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ ذَوْقٌ وَمَعْرِفَةٌ بِنَظْمِ الْكَلَامِ .

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مَا أوردتهُ عَلَيْهِ رَبًّا لِسَانِهِ فِي فَمِهِ إِفْحَامًا ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ سِوَى الْعِنَادِ الَّذِي مُسْتَنَدُهُ تَقْلِيدُ بَعْضِ الزَّانِقَةِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ تَشْهِيًا ، وَيَقُولُونَ مَا يَقُولُونَهُ جَهْلًا ، وَإِذَا حُقِّقُوا عَلَيْهِ ظَهَرَ عَجْزُهُمْ وَقُصُورُهُمْ .

وَحَيْثُ انْتَهَى الْقَوْلُ إِلَى هَاهُنَا فَإِنِّي أَرْجِعُ إِلَى مَا كُنْتُ بِصَدْدِ ذِكْرِهِ ، فَأَقُولُ : وَأَمَّا الْقَبِيحُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّذِي يَعَابُ اسْتِعْمَالُهُ ، فَلَا يَسْمَى « وَحْشِيًّا » فَقَطْ بَلْ يَسْمَى « الْوَحْشِيُّ الْغَلِيظُ » وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ .

(٢٨) يبدو أن ابن الأثير نظر إلى الحرف المكتوب . والعبرة في هذا بالحرف المنطوق ، وهو هاهنا الألف المقصورة . (٢٩) سورة النجم . الآيتان ١ - ٢ . (٣٠) سورة النجم : الآيتان ٢١ ، ٢٢ .

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ الْكَلَامِ وَجَدْنَاهُ سَهْلًا سَلِسًا ، وَمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ يَسِيرٌ جَدًّا .

هَذَا ، وَقَدْ أُنْزِلَ فِي زَمَنِ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ ، وَالْفَاضِلُ كُلُّهَا مِنْ أَسْهَلِ الْأَلْفَاظِ وَأَقْرَبِهَا اسْتِعْمَالًا ، وَكَفَى بِهِ قُدْوَةٌ فِي هَذَا الْبَابِ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ مِثْلَ أَمِّ الْقُرْآنِ ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي » ، يَرِيدُ بِذَلِكَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ، وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَجَدْنَاهَا سَهْلَةً قَرِيبَةً الْمَأْخَذِ ، يَفْهَمُهَا كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى صِبْيَانِ الْمَكَاتِبِ وَعَوَامِ السُّوقِ ، وَإِنْ لَمْ يَفْهَمُوا مَا تَحْتَهَا مِنْ أَسْرَارِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، فَإِنَّ أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا عَرَفَ الْخَاصَّةَ فَضْلُهُ ، وَفَهَمَ الْعَامَّةَ مَعْنَاهُ .

وَهَكَذَا فَلْتَكُنْ الْأَلْفَاظُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي سَهْلَةٍ فَهْمَهَا ، وَقَرَبِ مَتَنَاوَلِهَا ، وَالْمُقْتَدَى بِالْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ يَكْتَفِي بِهَا عَنْ غَيْرِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَلْفَاظِ الْمُنْتَوَرَةِ وَالْمَنْظُومَةِ .

وَأَمَّا مَا وَرَدَ مِنَ اللَّفْظِ الْوَحْشِيِّ فِي الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ فَمِنْ جُمْلَةٍ ذَلِكَ حَدِيثُ طَهْفَةَ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ النَّهْدِيِّ^(٣١) ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَتْ وَفُودُ الْعَرَبِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَامَ طَهْفَةُ بْنُ أَبِي زُهَيْرٍ ، فَقَالَ : أَتَيْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ غَوْرَى تِهَامَةٍ^(٣٢) عَلَى أَكْوَارِ الْمَيْسِ^(٣٣) تَرْتَمَى بَنَاءُ الْعَيْسِ ، نَسْتَحْلُبُ الصَّبِيرَ^(٣٤) . وَنَسْتَجْلِبُ الْخَبِيرَ^(٣٥) ، وَنَسْتَعْضِدُ الْبَرِيرَ^(٣٦) . وَنَسْتَخِيلُ الرَّهَامَ^(٣٧) وَنَسْتَحِيلُ الْجَهَامَ^(٣٨) ، فِي أَرْضٍ غَائِلَةِ النَّطَاءِ^(٣٩) ، غَلِيظَةِ الْوَطَاءِ ، وَقَدْ نَشَفَ الْمُدْهَنُ^(٤٠) ، وَبَيْسَ الْجَعِشْنُ^(٤١) وَسَقَطَ الْأَمْلُوجُ^(٤٢) ، وَمَاتَ

(٣١) نهد إحدى قبائل اليمن .

(٣٢) أصل الغور ما تداخل من الأرض وانبط ، وقيل كل ما انحدر سيله مغربا فهو الغور .

(٣٣) الميس شجر تتخذ منه الرحال للينة وقوته ، ويطلق على الرحال نفسها .

(٣٤) الصبير السحاب الكثيف . (٣٥) الخبير : العشب .

(٣٦) استعضد الثرة اجتناها . ويرى ثمر الأراك ، وكانوا يأكلونه وقت الجذب لقلة الزاد .

(٣٧) الرهام : جمع رهمة وهي المطر الضعيف الدائم . ونستخيل نخال ونظن .

(٣٨) الجهام : السحاب قد أراق ماءه . (٣٩) النطاء : البعيد أى بعيدة بعداً مهلكا .

(٤٠) المدهن : مستنقع الماء ، أو كل موضع حفره سيل .

(٤١) أصل النبات . (٤٢) ورق كورك السرو لشجر بالبادية .

العُسلُوج (٤٣) وَهَلَكَ الْهَدْيُ (٤٤) وفَادَ الْوَدَى (٤٥) بِرِثْنَا إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْوَثَنِ وَالْعَثَنِ (٤٦) ، وما يُحْدِثُ الزَّمَنُ ، لَنَا دَعْوَةُ السَّلَامِ ، وَشَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ ، مَا طَمَى الْبَحْرُ ، وَقَامَ تِعَارٌ (٤٧) ، وَلَنَا نَعَمٌ هَمَلٌ أَغْفَالٌ مَاتَبَضُّ بِلَالٌ (٤٨) ، وَوَقِيرٌ كَثِيرُ الرِّسْلِ قَلِيلُ الرِّسْلِ (٤٩) . أَصَابَتْنَا سُنِّيَّةٌ حُمْرَاءٌ مُؤَزَّلَةٌ لَيْسَ لَهَا عِلٌّ وَلَا نَهْلٌ (٥٠) .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَحْضِهَا ، وَمَخْضِهَا وَمَذْقِهَا وَفَرْقِهَا (٥١) ، وَابْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدَّثْرِ (٥٢) بِيَانِجِ الثَّمَرِ ، وَافْجِرْ لَهُ الثَّمَدَ (٥٣) ، وَبَارِكْ لَهُ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ . مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ كَانَ مُسْلِمًا ، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا . وَمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُخْلِصًا ، لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ وَدَائِجُ الشَّرْكَ (٥٤) ، وَوَضَائِعُ (٥٥) الْمَلِكِ ، لَا تَلْطُطُ (٥٦) فِي الزَّكَاةِ ، وَلَا تَلْجِدُ (٥٧) فِي الْحَيَاةِ ، وَلَا تَتَنَاقَلَ مِنَ الصَّلَاةِ .

وَكُتِبَ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى بَنِي نَهْدٍ : « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى بَنِي نَهْدٍ : السَّلَامُ عَلَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ فِي الْوُظَيْفَةِ الْفَرِيضَةِ (٥٨) وَلَكُمْ الْفَارِضُ (٥٩) »

(٤٣) ما لان واخضر من القضبان وعسلجت الشجرة أخرجته .

(٤٤) الهدى : ما يهdy إلى مكة لينحر . (٤٥) الودى : الفسيل وهو النخل الصغير .

(٤٦) العثن الصنم الصغير ، (٤٧) جبل ببلاد قيس .

(٤٨) الحمل المهمة ، والأغفال جمع غفل بالضم ، وهو مالا سمة عليه من الدواب وبض الماء يبض سال قليلا قليلا والبلال المبلل : والمراد قلة اللبن .

(٤٩) الوقير القطيع من الغنم : والرسل القطيع من كل شئ . والرسل اللبن .

(٥٠) سنية تصغير سنة . وهى القحط والحاجة . وحمرأ أى شديدة . ومؤزلة ذات أزل لسكون الزاى ، وهو الضيق والشدة .

(٥١) المحض اللبن الخالص ومحض اللبن أخذ زبده ، والمذق اللبن الممزوج بالماء ، والفرق القطيع من الغنم .

(٥٢) الدثر : المال الكثير . وقيل هو الكثير من كل شئ .

(٥٣) الثمد : الماء القليل لامادة له . أو ما يظهر فى الشتاء ويذهب فى الصيف .

(٥٤) أى الغنائم التى تضم من المشركين ، وتودع بيت مال المسلمين ، ليقووا بها على شئونهم .

(٥٥) الوضائع جمع وضاعة ، وهى ما يأخذه السلطان من الخراج والعشور .

(٥٦) يقال للططت عنه حقه إذا جحدته . (٥٧) يقال أأخذ إذا مال ومارى وجادل .

(٥٨) الوظيفة النصاب فى الزكاة ، وأصله الشئ والراتب ، والفريضة الهرمة المسنة ، والمراد أنها لا تؤخذ منهم فى الزكاة ، بل تكون لهم ، ويروى « عليكم فى الوظيفة الفريضة » أى فى كل نصاب مافرض فيه .

(٥٩) الفارض المسنة كالفريضة ، ويروى « العارض » بالعين وهى المريضة ، أو التى أصابها كسر .

والفريش^(٦٠) وذو العنان الركوب^(٦١) والفلو الضبيس^(٦٢) ، لا يُمنع سرحكم^(٦٣) ، ولا يعضد طلحكم^(٦٤) ، ولا يحبس دركم^(٦٥) ، ولا يؤكل أكلكم ، ما لم تضرروا الإماق^(٦٦) وتأكلوا الرباق^(٦٧) . من أقر بما في هذا الكتاب فله من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة ، ومن أبى فعليه الرتبة .

وفصاحة رسول الله ﷺ لا تقتضى استعمال هذه الألفاظ ، ولا تكاد توجد في كلامه إلا جواباً لمن يخاطبه بمثلها ، كهذا الحديث ، وما جرى مجراه . على أنه قد كان في زمنه متداولاً بين العرب ، ولكنه ﷺ لم يستعمله إلا يسيراً ، لأنه أعلم بالفصح والأفصح .

وهذا الكلام هو الذى نعهده نحن في زماننا وحشياً ، لعدم الاستعمال . فلا تظن أن الوحش من الألفاظ ما يكرهه سمعك ، ويثقل عليك النطق به ، وإنما هو الغريب الذى يقل استعماله . فتارة يخف على سمعك ، ولا تجد به كراهة ، وتارة يثقل على سمعك ، وتجد منه الكراهة .

وذلك في اللفظ عيان :

أحدهما : أنه غريب الاستعمال .

والآخر : أنه ثقیل على السمع ، كرية على الذوق

وإذا كان اللفظ بهذه الصفة فلا مزيد على فظاظته وغلاظته ، وهو الذى يسمى

(٦٠) هى التى وضعت حديثاً . فهى كالنساء من النساء . والفرس بعد نتائجها بسبع ليال .

(٦١) ذو العنان الركوب الفرس الذلول .

(٦٢) الفلو المهر الصغير . وقيل العظم من جميع أولاد ذوات الحافر . والضبيس العسر الصعب الذى لم يبرض .

(٦٣) السرح المواشى السائمة . أى أنها لا تمتع من المرعى .

(٦٤) يعضد يقطع . والطلع شجر عظام .

(٦٥) الدر اللبن . والمراد ذوات الدر من المواشى .

(٦٦) الإماق مخفف من الإماق . ترك الهمز منه ليوازن الرباق . والإماق نكت العهد من الأنفة .

(٦٧) الرباق جمع ربق بالكسر . وهو جبل فيه عدة عرى تشد به البهيمة من يدها أو عنقها . والمعنى تقطعوا

رباق العهد الذى فى أعناقكم وتنقصوه . واستعار الأكل لذلك . لأن البهيمة إذا أكلت الربقة خلصت من الشد .

« الوحشَى الغليظ » ويسمى أيضاً « المتوَعَّر » . وليس وراءَهُ في القبح درجةً أخرى ، ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلاً .
فإن قيل : فما هذا النوع من الألفاظ ؟

قلت : قد ثبت لك أنه ما كرههُ سمعك ، وثقل على لسانك التُّنْقُ به .
وسأضربُ لك في ذلك مثالا ، فنه ماوردَ لتأبط شراً في كتاب الحماسة :
يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جَحِيشاً وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَسَالِكِ (٦٨)
فإن لفظة : « جَحِيش » من الألفاظ المنكرة القبيحة ، وبالله العجب ! أليس أنها بمعنى « فريد » وفريد لفظةٌ حسنة راقية ، ولو وضعت في هذا البيت موضع « جَحِيش » لما اختل شيء من وزنه .

فتأبط شراً ملومٌ من وجهين في هذا الموضع :
أحدهما : أنه استعمل القبيح .
والآخر : أنه كانت له مندوحة عن استعماله ، فلم يعدل عنه .
ومما هو أقبح منها ما ورد لأبي تمام قوله :
قد قلتُ لما اطلحتم الأمرُ وانبعثتُ عَشَوَاءُ تَالِيَةٌ غَبَسًا دَهَارِيَسَا (٦٩)
فلفظة « اطلحتم » من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في أنها غريبة ، وأنها غليظة في السمع ، كرهة على الذوق ، وكذلك لفظة « دهاريس » أيضاً .

(٦٨) ديوان الحماسة ٣١/١ ورواية الديوان :

• ويعرورى ظهور المهالك •

والمومة المفازة لاماء فيها ، والجحيش المنفرد ، ويعرورى أى يرتكب المهالك ، والمعنى أنه كثير الجولان في الأرض مستأنس بنفسه ، يرتكب المهالك لشدة حماسه وجراته .

(٦٩) ديوان أبى تمام ١٧١ وهو من قصيدة يمدح بها عياش بن هبة ، ومطلعها :

أحيا حشاشة قلب كان مخلوساً ورم بالصبر عقلا كان مألوسا

ومعنى اطلحتم أظلم ، والعشواء ضعيفة البصر ، والقبس جمع غباء وهى المظلمة ، والدهاريس الدواهي .

وعلى هذا وَرَدَ قوله من أبياتٍ يصفُ فرساً من جُمَلتها :
 نِعَمَ متاعُ الدُّنيا حَبَاكَ به أَرْوَعُ لَا جَيْدَرُ وَلَا جِبْسُ (٧٠)
 فلفظة « جَيْدَر » غليظة . وأغلظُ منها قول أبي الطيب المتنبي :

جَفَحْتُ وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ شَيْمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَعْرَدِ لَا تِلْ (٧١)
 فإن لفظة « جَفَح » مُرَّةُ الطعم ، وإذا مَرَّتْ على السَّمْعِ اقشَعَرَّ منها . وأبو الطيب في استعمالها كاستعمالِ تَأَبَّطَ شَرًّا لفظة « جَحِيش » فإن تَأَبَّطَ شَرًّا كانت له مندوحة عن استعمالِ تلكَ اللفظة ، كما أشرنا إليه فيما تقدَّم . وكذلك أبو الطيب في استعمالِ هذه اللفظة التي هي « جَفَحْتُ » فإنَّ معناها فَخَرْتُ ، والجَفْحُ الفَخْرُ ، يقال « جَفَحَ فلان » إذا فَخَرَ . ولو استعملَ عَوْضًا عن « جَفَحْتُ » « فَخَرْتُ » لاستقامَ وزن البيت ، وحَظِيَ في استعماله بالأحسن .

وما أعلمُ كيف يذهبُ هذا وأمثاله على مثلِ هؤلاء الفحول من الشعراء ؟ !
 وهذا الذي ذكرته وما يجري مجراه من الألفاظِ هو الوحشُ اللَّفْظُ الغليظُ الَّذِي لَيْسَ له مايدانيه في قُبْحِهِ وكرَاهِيَتِهِ . وهذه الأمثلةُ دليلٌ على ما أردناه ،
 والعَرَبُ إِذْنَ لَا تَلَامُ على استعمالِ الغريبِ الحَسَنِ مِنَ الألفاظِ ، وإنما تَلَامُ على الغريبِ القبيحِ . وَأَمَّا الْحَضَرِيُّ فَإِنَّهُ يُلَامُ على استعمالِ القسمين معاً . وهو في أحدهما أَشَدُّ مَلَامَةً مِنَ الْآخَرِ .

على أَنَّ هذا الموضعَ يحتاجُ إلى قيدٍ آخر ، وذلكَ استخْرَجْتُهُ أَنَا دونَ غيري ، فإني

(٧٠) ديوان أبي تمام ١٦٧ وهو من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب . ومطلعها :
 هل أثر من ديارهم دعس حيث تلاقى الأجزاء والوعس
 ورواية اللديوان « حيدر » بالحاء المهملة وهو القصير . والجيدر بمعناه . والأروع الذي يعجب الإنسان .
 والجبس الجامد الثقل الروح .

(٧١) ديوان المتنبي ٢٥٨/٣ من قصيدة يمدح بها أحمد بن عبد الله الأنطاكي . ومطلعها
 لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أو اهل
 جفخت تكبرت وفخرت . وفي البيت تقديم وتأخير . وتقديره : جفخت بهم شيم وفخرت . وهم لا يفخرون بها . وشيهم دلائل على حسيهم الظاهر .

وجدت الغريب الحسن يسوغ استعماله في الشعر ، ولا يسوغ في الخطب والمكاتبات .
وهذا ينكره من يسمعه حتى ينتهي إلى ما أوردته من الأمثلة ، ولربما أنكره بعد ذلك إما
عناداً ، وإما جهلاً ، لعدم الذوق السليم عنده .

فمن ذلك قول الفرزدق (٧٢) :

ولولا حياءُ زدتُ رأسك شجةً إذا سبرتْ ظلت جوائبها تغل (٧٣)

شرنبة شمطاء من ير ما بها تشبه ولو بين الخناسي والطفل (٧٤)

فقوله : « شرنبة » من الألفاظ الغريبة التي يسوغ استعمالها في الشعر ، وهي هاهنا
غير مستكرهة ، إلا أنها لو وردت في كلام منشور من كتاب أو خطبة لعيت على
مستعملها .

وكذلك وردت لفظة « مُشمخر » (٧٥) فإن بشراً قد استعملها في أبياته التي يصف

فيها لقاء الأسد ، فقال :

وأطلقت المهند عن يميني فقد له من الأضلاع عشرين

فخر مضر جأ بدم كاني هدمت به بناء مُشمخراً

وعلى هذا ورد قول البحتري في قصيدته التي يصف فيها إيوان كسرى ، فقال :

مُشمخر تعلو له شرفات رفعت في رؤوس رضوى وقديس (٧٦)

فإن لفظة « مشمخر » لا يحسن استعمالها في الخطب والمكاتبات ، ولا بأس بها هاهنا في
الشعر . وقد وردت في خطب الشيخ الخطيب بن نباتة ، كقوله في خطبة يذكر فيها

(٧٢) ديوان الفرزدق ٧١٣/٢ من قصيدة مطلعها :

ألا استهزأت مني هندية أن رأيت أسيراً يداني خطوه حلق الحجل

(٧٣) رواية الديوان « هزمة » موضع « شجة » والهزمة الشق ، والسير تقدير الجراحة .

(٧٤) الشرنبة في الأصل الغليظ ، أراد أنها قبيحة منكرة ، في الأصل « . . من يرتعى بها يشبه . . » ويقال

« غلام خماسي » إذا كان طوله خمسة أشبار . ولا يقال سداسي ولا سباعي . لأنه إذا بلغ ستة أشبار فهو رجل ،
والطفل هو الصغير أو المولود .

(٧٥) المشمخر الجبل العالي .

(٧٦) شرفات القصر : ما أشرف من بنائه ، ورضوى جبل ، وقديس جبل بنجد ، يشبه القصر في ضخامته

وارتفاعه هذين الجبلين .

أَهْوَالَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فقال : « اِقْمَطِرْ^(٧٧) وَبَالِهَا ، اشمِخِرْ نَكَالَهَا ، فَمَا طَابَتْ ،
وَلَا سَاغَتْ » .

ومن هذا الأسلوب لفظة « الكَنُهْوَر » في وصف السَّحَاب ، كقول أبي
الطَّيِّب^(٧٨) :

يَالَيْتَ بَاكِئَةً شَجَانِي دَمْعُهَا نظرت إليك كما نَظَرْتُ فَتَعَذَّرَا
وَتَرَى الْفَضِيلَةَ لَا تَرُدُّ فَضِيلَةَ الشَّمْسُ تُشْرِقُ وَالسَّحَابُ كَنُهْوَرًا^(٧٩)

فلفظة « الكَنُهْوَر » لانتعابُ نظماً ، وتُعَابُ نثراً .

وكذلك يَجْرَى الْأَمْرُ في لفظة « الْعَرْمِس » وهي اسمُ النَّاقَةِ الشَّدِيدَةِ . فإن هذه
اللفظة يَسُوغُ استعمالها في الشعر ، ولا يعابُ مُستعملها ، كقول أبي الطيب أيضاً :
وَمَهْمَةٍ جَبْتُهُ عَلَى قَدَمِي تَعَجُّزُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الدُّلِّلُ^(٨٠)

فإنه جَمَعَ هذه اللفظة ، ولأبأس بها ، ولو استعملت في الكلامِ المَثْوَرِ لما طَابَتْ
وَلَا سَاغَتْ . وَقَدْ جَاءَتْ مُوحِدَةً في شعر أبي تَمَّام^(٨١) كقوله :

هِيَ الْعَرْمِسُ الْوَجْنَاءُ وَابْنُ مُلَمَّةٍ وَجَّشَ عَلَى مَا يُحْدِثُ الدَّهْرُ خَافِضُ^(٨٢)
وَكذلك وَرَدَ قَوْلُهُ أَيْضاً : * يَامَوْضِعَ الشَّدْنِيَّةِ الْوَجْنَاءُ *^(٨٣)

(٧٧) اقطُر : اشتد .

(٧٨) ديوان المتنبي ١٧١/٢ من قصيدة يمدح بها أبا الفضل محمد بن العميد . ومطلعها :

بادهواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

(٧٩) الكَنُهْوَر : العظيم المتكاثف .

(٨٠) ديوان المتنبي ٢١١/٣ ، والمهمة : ما بعد من الأرض واتسع ، جبته : قطعتة . العرامس : النوق

الصلاب الشديدة ، الدليل : المذلة بالعمل ، والبيت من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار . ومطلعها

أبعد نيل المليحة البخل في البعد مالا تكلف الإبل

(٨١) ديوان أبي تمام ١٨٤ من قصيدة يمدح بها دينار بن عبد الله . ومطلعها :

مهاة النقا لولا الشوى والمأبض وإن محض الإعراض لي منك ماحض

(٨٢) في الأصل « وحاش » ، وفي الديوان « هي الحررة الوجناء » والوجناء العظيمة الوجنتين .

(٨٣) صدر مطلع القصيدة وعجزه « ومصارع الإدلاج والإسراء » والإيضاع ضرب من السير أو التسيير .

والشمنية الناقة الكريمة ، نسبة إلى شدن بلد مشهور بالإبل الكرام .

فإن « الشَّدْنِيَّة » لَأَتَعَابُ شعراً ، وَتَعَابُ لو وردتْ في كتاب أو خطبة .

وهكذا يَجْرَى الحُكْمُ في أمثالِ هذه الألفاظِ المُشارِ إليها .

وعلى هذا فاعلم أن كلَّ ما يَسُوغُ استعماله في الكلام المنثور من الألفاظِ يسُوغُ استعماله في الكلام المنظوم ، وليس كلُّ ما يَسُوغُ استعماله في الكلام المنظوم يسُوغُ استعماله في الكلام المنثور .

وذلك شيءٌ اسْتَبْطُتُهُ ، واطَّلَعْتُ عليه ، لكثرة مُمارَسَتِي لهذا الفنِّ ، ولأنَّ الذوقَ الَّذِي عِنْدِي ذَلَنِي عليه ! فمن شاء أن يقلدني فيه ، وإلَّا فليدُمِ النَّظَرُ حَتَّى يَطَّلِعَ على ما اطلَّعتُ عليه ، والأذهانُ في مثل هذا المقامِ تَتَفَاوَتُ !

وقد رأيتُ جماعةً من مدَّعي هذه الصَّنَاعَةِ يعتقدون أن الكلام الفصيح هو الذي يعزُّ فهمه ، ويُبَعِّدُ مُتَنَاولَه ، وإذا رَأَوْا كلاماً وَحْشِيّاً غامضَ الألفاظِ يُعْجَبُونَ به ، ويصفونه بالفصاحة ، وهو بالضدِّ من ذلك ، لأنَّ الفصاحة هي الظهور والبيان ، لا الغموض والخفاء .

وسأبين لك ما تعتمد عليه في هذا الموضع ، فأقول : الألفاظُ تنقسمُ في الاستعمالِ إلى جَزَلَةٍ ورَقِيقَةٍ ، ولكلٍّ منهما مَوْضِعٌ يَحْسُنُ استعماله فيه .

فالجَزَلُ مِنْهَا يُسْتَعْمَلُ في وَصْفِ مواقفِ الحُرُوبِ ، وفي قَوَارِعِ التَّهْدِيدِ والتَّخْوِيفِ ، وأشباه ذلك .

وأَمَّا الرِّقِيقُ مِنْهَا فَإنَّهُ يُسْتَعْمَلُ في وَصْفِ الأَشْواقِ ، وذِكْرِ أَيَّامِ البِعَادِ ، وفي اسْتِجْلَابِ الموداتِ ، ومُلايِنَاتِ الاسْتِعْطَافِ ، وأشباه ذلك .

ولستُ أعْنِي بالجزلِ من الألفاظِ أن يكونَ وَحْشِيّاً متوعراً ، عليه عَنَجِيَّةُ البداوةِ ، بل أعْنِي بالجزلِ أن يكونَ مَتِيناً على عُذُوبَتِهِ في الفمِّ ، ولذَازِئِهِ في السَّمْعِ . وكذلك لَسْتُ أعْنِي بالرِّقِيقِ أن يكونَ رَكِيكاً سَفْسَفاً ^(٨٤) وإِنَّمَا هُوَ اللطيفُ ، الرقيقُ

(٨٤) السفسف والفسسان الردي من كل شيء.

الحاشية ، الناعمُ الملمس ، كقول أبي تمام (٨٥) :

نَاعِمَاتِ الْأَطْرَافِ لَوْ أَنَّهَا تُدْبَسُ أَغْنَتْ عَنِ الْمَلَأِ الرَّقَاقِ

وسأضربُ ، لك مثالا للجزل من الألفاظ والرقيق ، فأقول :

انظر إلى قوارع القرآن عند ذكر الحساب ، والعذاب ، والميزان ، والصراط ، وعند ذكر الموت ، ومُفارقة الدنيا . وما جرى هذا المجرى ، فإنك لا ترى شيئا من ذلك وحشى الألفاظ ، ولا متوعرا .

ثم انظر إلى ذكر الرحمة والرافة والمغفرة ، والملاطفات في خطاب الأنبياء وخطاب المؤمنين ، والتائبين من العباد ، وما جرى هذا المجرى فإنك لا ترى شيئا من ذلك ضعيف الألفاظ ، ولا سفسفا .

فتأمل الأول ، وهو الجزل من الألفاظ قوله تعالى : « وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * (٨٦)

فتأمل هذه الآيات المضمنة ذكر الحشر على تفاصيل أحواله ، وذكر النار والجنة . وانظر هل فيها لفظة إلا وهى سهلة مستعذبة على ما بها من الجزالة ؟

(٨٥) ديوان أبي تمام . من قصيدة بمدح بها إسماعيل بن شهاب ويشكره . ومطلعها :

أيها البرق بت بأعلى البراق واغد فيها بوابل غيداق

والبراق أرض ذات حجارة ورمل وطين . والغيداق المنسكب .

(٨٦) سورة الزمر : الآيات ٦٩ - ٧٤ .

وكذلك وَرَدَ قوله تعالى : « وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ » (٨٧) .

وأما مثالُ الثاني : وهو الرقيقُ من الألفاظ ، فَقَوْلُهُ تعالى في مخاطبةِ النَّبِيِّ ﷺ : « وَالضَّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى » (٨٨) * ... إلى آخر السُّورَةِ . وكذلك قَوْلُهُ تعالى في ترغيبِ المسألة : « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ » (٨٩) .

وهكذا تَرَى سَبِيلَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ في كِلَا هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ مِنَ الْجَزَالَةِ وَالرَّفْعَةِ . وكذلك كَلَامُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ في الزَّمنِ الْقَدِيمِ ، ممَّا وَرَدَ عَنْهَا نَثْرًا ، وَيَكْفِي من ذَلِكَ كَلَامُ قَيْصَةَ بْنِ نَعِيمٍ لَمَّا قَدِمَ عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ في أَشْيَاخِ بَنِي أَسَدٍ ، يَسْأَلُونَهُ الْعَفْوَ عَنْ دَمِ أَبِيهِ ، فَقَالَ لَهُ :

« إِنَّكَ في الْمَحَلِّ وَالْقَدَرِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِتَصَرُّفِ الدَّهْرِ ، وَمَا تَحْدِثُهُ أَيَّامُهُ ، وَتَتَنَقَّلُ بِهِ أَحْوَالُهُ ، بَحِثْ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَذْكِيرٍ مِنْ وَاعِظٍ ، وَلَا تَبْصِيرٍ مِنْ مُجَرِّبٍ . وَلَكَ مِنْ سُودُدِ مَنْصِبِكَ ، وَشَرَفِ أَعْرَاقِكَ ، وَكَرَمِ أَصْلِكَ في الْعَرَبِ مَحْتَدٍ (٩٠) ، يَحْتَمِلُ مَا حُمِّلَ عَلَيْهِ مِنْ إِقَالَةِ الْعَثْرَةِ ، وَرَجُوعٍ عَنِ الْهَفْوَةِ . وَلَا تَتَجَاوَزُ الْهَمَمُ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا رَجَعْتَ إِلَيْكَ ، فَوَجَدْتَ عِنْدَكَ مِنْ فَضِيلَةِ الرَّأْيِ وَبَصِيرَةِ الْفَهْمِ ، وَكَرَمِ الصَّفْحِ مَا يَطُولُ رَغْبَاتُهَا ، وَيَسْتَغْرِقُ طَلِبَاتُهَا . وَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَ مِنَ الْخَطْبِ الْجَلِيلِ الَّذِي عَمَّتْ رَزِيَّتُهُ بَرَازًا وَالْيَمْنَ ، وَلَمْ تُخَصَّصْ بِذَلِكَ كِنْدَةُ دُونِنَا ، لِلشَّرَفِ الْبَارِعِ الَّذِي كَانَ لِحُجْرٍ . وَلَوْ كَانَ يُفْقَدُ هَالِكٌ بِالْأَنْفُسِ الْبَاقِيَةِ بَعْدَهُ لَمَا بَخِلَتْ كَرَامَتُنَا بِهَا عَلَى مِثْلِهِ ، وَلَكِنَّهُ مَضَى بِهِ سَبِيلٌ لَا يَرْجِعُ أُخْرَاهُ عَلَى أُولَاهُ ، وَلَا يُلْحَقُ أَقْصَاهُ أَذْنَاهُ فَأَحْمَدُ الْحَالَاتِ في ذَلِكَ أَنَّ تَعْرِفَ الْوَاجِبَ عَلَيْكَ في إِحْدَى خِلَالِ ثَلَاثَ :

(٨٧) سورة الأنعام : الآية ٩٤ .

(٨٨) سورة الضحى : الآيات ١ - ٣ .

(٨٩) سورة البقرة : الآية ١٨٦ .

(٩٠) المختد الأصل والطبع .

إِذَا أَنْ اخْتَرْتَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَشْرَفَهَا بَيْتًا ، وَأَعْلَاهَا فِي بِنَاءِ الْمَكْرَمَاتِ صَوْنًا ، فَقَدْ نَاهُ
إِلَيْكَ بِنِسْعَةٍ (٩١) تَذْهَبُ مَعَ شَفَرَاتِ حُسَامِكَ بِيَاقِي قَصْرَتِهِ (٩٢) ، فَتَقُولُ : رَجُلٌ
أَمْتَحِنَ بِهَالِكٍ عَزِيزٍ ، فَلَمْ يَسْتَلِّ سَخِيمَتَهُ (٩٣) إِلَّا تَمْكِينُهُ مِنَ الْأَنْتِقَامِ .

أَوْ فِدَاءً بَمَا يَرْوَحُ عَلَى بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَعَمِهَا ، فَهِيَ أَلُوفٌ تَجَاوِرُ الْحَسْبَةَ ، فَكَانَ ذَلِكَ
فِدَاءً رَجَعَتْ بِهِ الْقَصَبُ إِلَى أَجْفَانِهَا ، لَمْ يُرَدِّدْهَا تَسْلِيْطُ الْإِحْنِ عَلَى الْبَرَاءِ .
وَأَمَّا أَنْ وَادَعْتَنَا إِلَى أَنْ تَضَعَ الْحَوَامِلُ ، فَتُسَدِّلَ الْأُزُرُ ، وَتُعْقَدَ الْخُمُرُ فَوْقَ
الرَّيَاطِ » .

فَبَكَى امْرَأُ الْقَيْسِ سَاعَةً ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ :
« لَقَدْ عَلِمْتُ الْعَرَبُ أَنَّهُ لَا كَفَّ لِحُجْرِي دَمٍ ، وَأَنِّي لَنْ أَعْتَاضَ جَمَلًا وَلَا نَاقَةً ،
فَأَكْتَسَبَ بِهِ سُبَّةَ الْأَبَدِ ، وَقَتَّ الْعَضْدِ .

وَأَمَّا النَّظْرَةُ فَقَدْ أَوْجَبَتْهَا الْأَجَنَّةُ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِهَا ، وَلَنْ أَكُونَ لِعَطَبِهَا سَبِيًّا
وَسَتَعْرِفُونَ طَلَانِعَ كُنْدَةٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَحْمِلُ فِي الْقُلُوبِ حَنْقًا (٩٤) وَفَوْقَ الْأَبْسِنَةِ
عَلَقًا (٩٥) :

إِذَا جَالَتْ الْحَرْبُ فِي مَازِقٍ تُصَافِحُ فِيهِ الْمَنَايَا النُّفُوسَا
أَتَقِيمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ ؟ »

قَالُوا : « بَلْ نَنْصَرِفُ بِأَسْوَأِ الْاِخْتِيَارِ ، وَأَبْلَى الْاِجْتِرَارِ ، بِمَكْرُوهِ وَأَذْيَةٍ ، وَحَرْبِ
وَبَلِيَّةٍ » .

ثُمَّ نَهَضُوا عَنْهُ ، وَقَبِيصَةٌ يَتَمَثَّلُ :
لَهُلِكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ الْوَرْدَ إِنْ غَدَتْ كَتَائِبُنَا فِي مَازِقِ الْحَرْبِ تُمَطِّرُ
فَقَالَ امْرَأُ الْقَيْسِ : « لَا وَاللَّهِ ! وَلَكِنْ أَسْتَعْذِبُهُ ، فَرُؤَيْدًا يَنْفِرُجُ لَكَ دَجَاهَا مِنْ

(٩١) النسع بالكسر سير ينسج عريضاً على هيئة أعة النعال تشد به الرحال . والفعلية منه لسعة .

(٩٢) القصرة أصل العنق .

(٩٣) السخيمة الحقد . (٩٤) الحنق الغيظ . أو شدته .

(٩٥) العلق محركة الدم عامة . أو الشديد الحمرة . أو الغليظ . أو الجامد .

فُرسَانِ كِنْدَةَ وَكَتَائِبِ حِمِيرٍ ، وَلَقَدْ كَانَ ذِكْرٌ غَيْرَ هَذَا بِي أَوَّلَى ، إِذْ أَكُنْتُ نَازِلَا
 بَرَبْعَى ، وَلَكِنَّكَ قُلْتَ فَأُجِبْتُ « فَقَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ : هُوَ ذَلِكَ (٩٦) !
 فلننظرُ إلى هذا الكلامِ من الرَّجُلَيْنِ قَبِيصَةَ وَامِرُءِ الْقَيْسِ حَتَّى يَدَعَ الْمُتَعَمِّقُونَ
 تَعَمُّقَهُمْ فِي اسْتِعْمَالِ الْوَحْشَى مِنَ الْأَلْفَاظِ ، فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَدْ كَانَ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ
 قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِمَا شَاءَ اللَّهُ ، وَكَذَلِكَ كَلَامٌ كُلٌّ فَصِيحٌ مِنَ الْعَرَبِ مَشْهُورٌ ، وَمَا عَدَاهُ
 فَلَيْسَ بِشَيْءٍ .

وهذا المشارُ إليه هَاهُنَا هُوَ مِنْ جَزَلِ كَلَامِهِمْ ، وَعَلَى مَا تَرَاهُ مِنَ السَّلَاسَةِ وَالْعُدُوبَةِ .
 وَإِذَا تَصَفَّحْتَ أَشْعَارَهُمْ أَيْضاً وَجَدْتَ الْوَحْشَى مِنَ الْأَلْفَاظِ قَلِيلاً بِالنِّسْبَةِ إِلَى
 الْمُسْلَسِلِ فِي الْقَمْرِ وَالسَّمْعِ ، أَلَا تَرَى إِلَى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْوَاردَةِ لِلسَّمُوعِ بْنِ عَادِيَا ،
 وَهِيَ (٩٧) :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنُسْ مِنَ اللَّؤْمِ عِرْضُهُ	فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَمِيمَهَا	فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ
تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلُ عَدِيدُنَا	فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلُ
وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلُ وَجَارُنَا	عَزِيزُ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا	وَتَكْرَهُهُ أَجَالُهُمْ فَتَطُولُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتَفَ أَنْفَهُ (٩٨)	وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ
عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ (٩٩) وَحَطْنَا	لَوْقَتٍ إِلَى خَيْرِ الْبَطُونِ يَزُولُ
فَنَحْنُ كَمَا الْمُزْنِ مَا فِي نِصَابِنَا	كَهَامٍ (١٠٠) وَلَا فِيمَا يُعَدُّ بِخِيلُ
إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدُ	قَتُولُ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولُ

(٩٦) صححنا بعض ألفاظ هذا النص بمقابلته على رواية الفلقشندی [انظر صبح الأعشى ٢٠٨/٢]

(٩٧) الأبيات في ديوان الحماسة ٣٦/١ .

(٩٨) قال « مات فلان حتف أنفه » إذا مات من غير قتل ولا ضرب - والمعنى أنفه لامتوت . ولكن تقتل .

ودم القتل من لا يذهب هدرا .

(٩٩) يشير إلى صريح نسبه وخلوصه بما يحط بشرفهم .

(١٠٠) كماء المزن أى ماء السحاب - يشبه صفاء أنسابهم بصفاء ماء المطر . والنصاب الأصل . والكماء

الكليل الحد .

وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا لَهَا عُرُرٌ مَشْهُورَةٌ^(١٠١) وَحُجُولٌ
وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ^(١٠٢) قُلُولٌ
مُعَوَّدَةٌ إِلَّا تَسَلَّ نِصَالُهَا فَتُغَمَّدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَتِيلٌ
فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْجَزَالَةِ خِلْنَاهَا زُبْرًا مِنَ الْحَدِيدِ ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ سَهْلَةٌ
مُسْتَعْدْبَةٌ ، غَيْرُ فُظَّةٍ ، وَلَا غَلِيظَةٍ .

وَكَذَلِكَ قَدْ وَرَدَ لِلْعَرَبِ فِي جَانِبِ الرِّقَةِ مِنَ الْأَشْعَارِ مَا يَكَادُ يَذُوبُ لِرِقَّتِهِ ، كَقَوْلِ
عُرْوَةَ بْنِ أَذْيَنَةَ^(١٠٣) :

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ قُوَادَكَ مَلَهَا خُلِقْتُ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا
بِضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلِبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا^(١٠٤) وَأَجَلَّهَا
حَبَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا
وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوَسَ سَلْوَةً شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْقَوَادِ^(١٠٥) فَسَلَّهَا
وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْآخِرِ^(١٠٦) :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوَى^(١٠٧) بِنَائِينَ الْمَنِيفَةِ فَالضَّمَارِ^(١٠٨)

(١٠١) رواية ديوان الحماسة « معلومة » . والحجول جمع حجل ، وهو هنا البياض يكون في قوائم الفرس ،
والكلام على التشبيه .

(١٠٢) القراع والمقارعة المضاربة ، والدارعون أصحاب الدروع ، والفلول جمع قل ، وهو الثلم في حد
السيف .

(١٠٣) اسمه يحيى بن مالك أحد بني ليث بن بكر بن عبد مناة ، وهو شاعر غزل مقدم من شعراء المدينة ،
ومعدود في الفقهاء والمحدثين ، روى عنه مالك بن أنس . والأبيات في ديوان الحماسة ٦٣/٢ وفي أمالي القالي
١٥٦/١ .

(١٠٤) رواية الأمالي « بلباقة فأرقها »

(١٠٥) الوسواس خطرات النفس - والمعنى أن النفس إذا حدثني بالسلو عنها كان ضميري الشفيع إلى
إخراج وسواس السلو من نفسي . ورواية الأمالي « شفع الضمير لها إلى فسله » .

(١٠٦) الأبيات الخمسة الأولى في أمالي القالي ٣٢/١ وفي حماسة أبي تمام ٦٥/٢ وهي غير منسوبة فيها
(١٠٧) رواية الأمالي « نخدى »

(١٠٨) المنيفة ماء لبنى تميم ، والضمار اسم موضع ، قال التبريزي : وكان حق العطف في قوله « فالضمار » أن
يكون نالوا ، لأن « ين » لا تدخل إلا بين شيئين متباينين ، إلا إذا أريد بين أجزاء المنيفة .

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَّارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَّارٍ (١٠٩)
 أَلَّا يَا حَبَّذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرَيًّا رَوْضِهِ غِبَّ الْقِطَارِ (١١٠)
 وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الْحَيُّ نَجْدًا وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارٍ (١١١)
 شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهُنَّ وَلَا سِرَّارٍ (١١٢)
 فَأَمَّا لَيْلُهُنَّ فَخَيْرٌ لَيْلٍ وَأَطْيَبُ مَا تَكُونُ مِنَ النَّهَارِ
 وَمِمَّا تَرْقُصُ الْأَسْمَاعُ لَهُ ، وَيَرْنُ عَلَى صَفَحَاتِ الْقُلُوبِ قَوْلُ يَزِيدَ بْنِ الطَّرِيفَةِ فِي مَحَبُّوبَتِهِ مِنْ جَرَمٍ :

بِنَفْسِي مَنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنَانِهِ عَلَى كَبْدِي كَانَتْ شِفَاءً أَنَامِلُهُ
 وَمَنْ هَابَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهَيْبَتُهُ فَلَا هُوَ يُعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهُ
 وَإِذَا كَانَ هَذَا قَوْلَ سَاكِنٍ فِي الْفَلَاةِ لَا يَرَى إِلَّا شَيْحَةً أَوْ قَيْصُومَةً . وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا ضَبًّا أَوْ يَرْبُوعًا ، فَمَا بِالْ قَوْمِ سَكَنُوا الْحَضَرَ ، وَوَجَدُوا رَقَّةَ الْعَيْشِ يَتَعَاطَوْنَ وَحْشِيَّ الْأَلْفَاظِ وَشَطَفَ الْعِبَارَاتِ ؟ وَلَا يَخْلُدُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا إِمَّا جَاهِلٌ بِأَسْرَارِ الْفَصَاحَةِ . وَإِمَّا عَاجِزٌ عَنْ سُلُوكِ طَرِيقِهَا ، فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِمَّنْ شَدَّ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْوَحْشِيِّ مِنَ الْكَلَامِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَلْتَقِطُهُ مِنْ كُتُبِ اللِّغَةِ . أَوْ يَتَلَقَّاهُ مِنْ أَرْبَابِهَا . وَأَمَّا الْفَصِيحُ الْمُتَّصِفُ بِصِفَةِ الْمَلَاةِ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَلَوْ قَدَّرَ عَلَيْهِ لَمَا عَلِمَ أَنْ يَضَعُ يَدَهُ فِي تَأْلِيفِهِ وَسَبْكِهِ .

فَإِنْ مَارَى فِي ذَلِكَ مُمَارٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَشْعَارِ عُلَمَاءِ الْأَدَبِ مِمَّنْ كَانَ مُشَارًّا إِلَيْهِ ، حَتَّى يَعْلَمَ صَحَّةَ مَا ذَكَرْتُهُ : هَذَا ابْنُ دُرَيْدٍ (١١٣) قَدْ قِيلَ إِنَّهُ أَشْعَرُ عُلَمَاءِ الْأَدَبِ ، وَإِذَا نَظَرْتَ

(١٠٩) الشميم مصدر، أراد به المشموم، والمراد وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة.

(١١٠) القطار جمع قطر، والفتح تضوع الرياح بالنسيم بالطيب.

(١١١) زرى عليه عابه - والمعنى ومحجوب إلى أيضاً منها زمان أهلك حين كانوا نازلين بنجد. وأنت راض

منه لمساعدته إياك بما تهواه وتريده.

(١١٢) سرار الشهر آخره.

(١١٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي. ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ. وكان نابغة في اللغة

والأدب والأنساب، وبرع في الشعر. حتى قيل فيه أشهر العلماء وأعلم الشعراء. وله عدة تصانيف منها كتاب

« الحمهرة » في اللغة، توفي سنة ٣٢١ هـ.

إلى شعره وجدته بالنسبة إلى شعر الشعراء المجيدين منحطاً مع أن أولئك الشعراء لم يعرفوا من علم الأدب عشر معشار ما علمه .

هذا العباس بن الأحنف^(١١٤) قد كان من أوائل الشعراء المجيدين ، وشعره كمر نسيم على عذبات أغصان ، وكلؤلؤات طل على طرر ريحان ، وليس فيه لفظة واحدة غريبة يحتاج إلى استخراجها من كتب اللغة ، فمن ذلك قوله :

وَإِنِّي لِيَرْضِيَنِي قَلِيلُ نَوَالِكُمْ وَإِنْ كَانَ لَا أَرْضَى لَكُمْ بِقَلِيلٍ
بِحُرْمَةٍ مَا قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْوَدِّ إِلَّا عُدْتُكُمْ بِجَمِيلٍ
وهكذا ورد قوله في « فوز » التي كان يُشبِّبُ بها في شعره :

يَا فَوْزُ يَا مُنِيَّةَ عَبَّاسٍ قَلْبِي يُفَدِّي قَلْبَكَ الْقَاسِي
أَسَاتُ إِذَا أَحْسَنْتُ ظَنِّي بِكُمْ وَالْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ
يُقْلِقْنِي شَوْقِي فَاتِيكُمْ وَالْقَلْبُ مَمْلُوءٌ مِنَ الْيَاسِ

وهل أعذب من هذه الأبيات ، وأعلق بالخطير ، وأسرى في السمع ؟ ولمثلها تحف رواجع الأوزان ، وعلى مثلها تسهر الأجفان ، وعن مثلها تتأخر السوابق عند الرهان . ولم أجريها يلساني يوماً من الأيام إلا ذكرت قول أبي الطيب المتنبي^(١١٥) :

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلِحْيَةٍ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقُّ^(١١٦)
ومن الذي يستطيع أن يسلك هذه الطريق التي هي سهلة وعرة ، قرية بعيدة ! وهذا أبو العتاهية^(١١٧) كان في غرة الدولة العباسية ، وشعراء العرب إذ ذاك موجودون

(١١٤) العباس بن الأحنف من بني عدى بن حنيفة ، وهو شاعر غزل مطبوع ، وله مذهب في الشعر جيد ، ولعانيه عدوية ، وكان من شعراء بني العباس ، وقدمه المبرد على نظرائه ، وأطنب في وصفه ، ولم يتجاوز الغزل إلى غيره من أغراض الشعر ، توفي سنة ١٩٢ هـ .

(١١٥) ديوان المتنبي ٣١٤/٢ من قصيدة مطلعها :

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقى
(١١٦) أسكن الواو من الفعل « يلهو » وهو منصوب ضرورة .

(١١٧) هو إسماعيل بن القاسم . نشأ بالكوفة يعالج الشعر مع إمام بمذاهب المتكلمين والفلاسفة ، وبغلب على شعره الزهد والسهولة ، وقد توفي سنة ٢١١ هـ .

كثيراً ، وكانت مدائحهُ في المهديّ بن المنصور ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ شَعْرَهُ وَجَدْتَهُ كَالْمَاءِ
الْجَارِي : رِقَّةُ أَلْفَاظٍ ، وَلَطَافَةُ سَبْكِ ، وَلَيْسَ بِرَكِيكِ وَلَاوَاهٍ .
وكذلك أَبُو نَوَاسٍ ، وبهذا قَدَّمَ عَلَى شِعْرَاءِ عَصْرِهِ ، وَنَاهَيْكَ بَعْضُهُ ، وَمَا جَمَعَهُ
مِنْ فُحُولِ الشَّعْرَاءِ ، وَيَكْفِي مِنْهُمْ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ (١١٨) الَّذِي كَانَ فَارَسَ الشَّعْرِ ، وَلَهُ
الْأُسْلُوبُ الْعَجِيبُ غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يَتَعَنَّجُهُ فِي أَكْثَرِ أَلْفَاظِهِ .
وَيَحْكِي أَنَّ أَبَا نَوَاسٍ جَلَسَ يَوْمًا إِلَى بَعْضِ التَّجَارِ بِبَغْدَادٍ هُوَ وَجَاعَةٌ مِنَ الشَّعْرَاءِ ،
فَاسْتَسْقَى مَاءً ، فَلَمَّا شَرَبَ قَالَ :

* عَذَبَ الْمَاءُ وَطَابَا *

ثُمَّ قَالَ أَجِيزُهُ ، فَأَخَذَ أَوَّلَكَ الشَّعْرَاءِ يَتَرَدَّدُونَ فِي إِجَازَتِهِ ، وَإِذَا هُمْ بِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ
فَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ مَحْتَمِعِينَ ؟ فَقَالُوا : هُوَ كَيْتَ ، وَكَيْتَ ، وَقَدْ قَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

* عَذَبَ الْمَاءُ وَطَابَا *

فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

* حَبَّدَا الْمَاءُ شَرَابَا *

فَعَجَبُوا لِقَوْلِهِ عَلَى الْفُورِ مِنْ غَيْرِ تَلَبُّثٍ .
وَكُلُّ شِعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ كَذَلِكَ سَهْلُ الْأَلْفَاظِ ، وَسَأُورِدُ مِنْهُ هَاهُنَا شَيْئًا يُسْتَدَلُّ بِهِ
عَلَى سِلَاسَةِ طَبِيعِهِ ، وَتَرَوِيقِ خَاطِرِهِ .

فَمِنْ ذَلِكَ قَصِيدَتُهُ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا الْمَهْدِيَّ ، وَيَشَبُّ فِيهَا بِجَارِيَتِهِ « عَتَبَ » :

أَلَا مَا لِسَيْدَتِي مَالَهَا	تُدِلُّ فَأَحْمِلُ إِذْلالَهَا
أَلَا إِنَّ جَارِيَةَ لِلإِمَا	مَ قَدْ سَكَنَ الْحُسْنُ سِرَّ بِأَلَهَا
لَقَدْ أَتَعَبَ اللَّهُ قَلْبِي بِهَا	وَأَتَعَبَ فِي اللَّوَمِ عَذَّالَهَا
كَأَنَّ بَعِثَنِي فِي حَيْثَمَا	سَلَكْتُ مِنَ الْأَرْضِ تِمَثَالَهَا

(١١٨) هُوَ صَرِيحُ الْغَوَافِي مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ ، تَأَدَّبَ فِي الْكُوفَةِ ؛ وَنَبِهَ شَأْنَهُ فِي الشَّعْرِ ، حَتَّى صَارَ مِنْ

مُتَقَدِّمِي عَصْرِهِ ، وَهُوَ مِنْ مُتَكَلِّفِي الْبَدِيعِ ، وَقَدْ تَوَفَّى بِحَرَجَانَ سَنَةَ ٢٠٨ هـ .

فَلَمْ وَصَلَ إِلَى الْمَدِيحِ قَالَ مِنْ جَمَلْتِهِ :

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالُهَا
فَلَمْ تَكْ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكْ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
وَلَوْ لَمْ تُطِعْهُ بَنَاتُ الْقُلُوبِ (١١٩) لَمَا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا

وَيَحْكِي أَنَّ بَشَارًا (١٢٠) كَانَ شَاهِدًا عِنْدَ إِنْشَادِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْمَدِيحَ قَالَ : انْظُرُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلْ طَارَ عَنْ أَغْوَادِهِ ؟ يُرِيدُ هَلْ زَالَ عَنْ سِرِيرِهِ طَرَبًا بِهَذَا الْمَدِيحِ ؟

وَلَعَمْرِي إِنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ بَشَارٌ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا سَكَرَ السَّامِعُ ، حَتَّى يَنْقَلَهُ عَنْ حَالَتِهِ سَوَاءً كَانَ فِي مَدِيحٍ أَوْ غَيْرِهِ .

وَقَدْ أَشْرْتُ إِلَى ذَلِكَ فِيمَا يَأْتِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ عِنْدَ ذِكْرِ (الاستعارة) فَلْيُؤْخَذْ مِنْ هُنَاكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمَشَارَ إِلَيْهَا هَاهُنَا مِنْ رَقِيقِ الشَّعْرِ غَزَلًا وَمَدِيحًا ، وَقَدْ أَدْعَنَ لِمَدِيحِهَا الشُّعْرَاءَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْعَصْرِ ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّكَ تَرَاهَا مِنَ السَّلَاسَةِ وَاللِّطَاقَةِ عَلَى أَقْصَى الْغَايَاتِ .

وَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي يَسْمَى « السَّهْلُ الْمَمْتَنِعُ » فَتَرَاهُ يُطْمِعُكَ ، ثُمَّ إِذَا حَاوَلْتَ مِمَّا ثَلَّثَتْ رَاغَ عَنْكَ كَمَا يَرُوعُ الثَّغْلُبُ .

وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ خَاضٍ فِي كِتَابَةٍ أَوْ شِعْرِ ، فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ مَا دَخَلَ الْأُذُنَ بِغَيْرِ إِذْنٍ !

وَأَمَّا الْبِدَاوَةُ وَالْعَنْجَهِيَّةُ فِي الْأَلْفَاظِ فَتِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَّتْ ، وَمَعَ أَنَّهَا قَدْ خَلَّتْ

(١١٩) بَنَاتُ الْقُلُوبِ : حَيَاتُهَا ، وَالْمَعْنَى مَنْ لَمْ يَخْلُصَ لِلْخَلِيفَةِ لِأَيُّ قَبْلِ اللَّهِ عَمَلُهُ .

(١٢٠) هُوَ أَبُو مَعَاذٍ بَشَارُ بْنُ بَرْدِ الْعَقِيلِيِّ وَلَاءُ . الْفَارَسِيُّ أَصْلًا . أَخَذَ الْعَرَبِيَّةَ عَنْ أَعْرَابِ الْبَصْرَةِ ، وَنَبِغٌ فِي الشَّعْرِ ، لِشِدَّةِ ذِكَاثِهِ ، وَسِعَهُ خَيَالُهُ ، وَحَسَنَ ابْتِكَارِهِ . وَكَانَ هَجَاءً مَاجِنًا مَاتَ مَقْتُولًا سَنَةَ ١٦٧ هـ .

وكانت في زمن العرب العاربة فإنها قد عيّت على مُستعملها في ذلك الوقت ، فكيف الآن وقد غلب على الناس رِقَّةُ الحَضَر؟

وبعدَ هذا فاعلم أن الألفاظ تجرى من السَّمْع مجرى الأشخاص من البَصَر . فالألفاظ الجزلة تُتَخَيَّل في السَّمْع كأشخاص عليها مهابةٌ ووقارٌ . والألفاظ الرقيقة تُتَخَيَّل كأشخاص ذوى دَمائَةٍ ، ولين أخلاقٍ ، وَلطَافَةِ مِزَاج . ولهذا ترى ألفاظ أبي تمام كأنها رجالٌ قد ركبوا خيولهم ، واستلأموا سِلاحهم ، وتأهبوا للطَّراد . وترى ألفاظ البُحْتَرى كأنها نساءٌ حسانٌ عليهنَّ غلائل مُصَبَّغات ، وقد تحلَّين بأصناف الحُلَى . وإذا أنعمتَ نظركَ فيما ذكرته هاهنا وجدتنى قد دلتُكَ على الطَّرِيق ، وضربتُ لك أمثالا مُناسِبة .

واعلم أنه يجبُ على الناظم والنائر أن يجتنبَا ما يضيِّقُ به مجالُ الكلامِ في بعض الحُرُوفِ كالتاءِ والدَّالِ والخاءِ والشينِ والصَّادِ والطَّاءِ والظَّاءِ والغينِ . فإنَّ في الحروفِ الباقية مندوحة عن استعمالِ ما لا يحسنُ من هذه الأحرفِ المُشارِ إليها . والناظمُ في ذلك أشدُّ ملامةً ، لأنَّه يتعرَّضُ لأنْ يَنْظِمَ قصيدةً ذات أبياتٍ متعدِّدة ، فيأتى في أكثرها بالبشعرِ الكريه الذى يمجُّه السَّمْع ، لعدمِ استعماله ، كما فعل أبو تمام في قصيدته الثائية التى مطلعها :

* قِفْ بِالطُّدْلِ الدَّارِسَاتِ عُلاَثَا * (١٢١)

وكما فعل أبو الطيب المتنبي في قصيدته الشينية التى مطلعها :

* مَيْتَى مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشِ * (١٢٢)

وكما فعل ابنُ هانئٍ المغربى^(١٢٣) في قصيدته الخائية التى مطلعها :

* سَرَى وَجَنَاحُ اللَّيْلِ أَقْتَمَ أَفْتَحُ *

(١٢١) ديوان أبى تمام ٦٣ . وعجز البيت : « أضحت جبال فطينهن رثانا »

(١٢٢) ديوان المتنبي ٢٠٧/٢ . وعجز البيت : حشاه لى بحر حشاه حاش *

(١٢٣) هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي ، أشعر شعراء الأندلس . والملقب بمتنبي المغرب :

نشأ في أشبيلية وأنهم بسوء العقيدة ، فهرب إلى عدوة المغرب . وكانت في قبضة الفاطميين الأولين . فدح المعز =

والناظم لأيعاب إذا لم ينظم هذه الأحرف في شعره ، بل يُعاب إذا نظمها ، وجاءت كرهية مستبشرة .

وأما الناثر فإنه أقرب حالاً من الناظم ، لأن غاية ما يأتي به سجعتان ، أو ثلاث ، أو أربع على حرف من هذه الأحرف ، وما يندم في ذلك ما يروق ، إذا كان بهذه العدة اليسيرة .

فإن كلفت أيها الشاعر أن تنظم شيئاً على هذه الحروف ، فقل هذه الحروف هي مقاتل الفصاحة ، وعذرى واضح في تركيبها ! فإن واضع اللغة لم يضع عليها ألفاظاً تعذب في الفم ، ولا تلذ في السمع ، والذي هو بهذه الصفة منها فإنما هو قليل جداً . ولا يصاغ منه إلا مقاطيع أبيات من الشعر ، وأما القصائد المقصدة فلا تُصاغ منه . وإن صيغت جاء أكثرها بشعاً كريهاً .

على أن هذه الحروف متفاوتة في كراهية الاستعمال ، وأشدّها كراهية أربعة أحرف ، وهي : الحاء ، والصاد ، والظاء ، والغين ، وأما التاء ، والذال والشين ، والطاء ، فإن الأمر فبين أقرب حالاً .

وهذا موضع ينبغي لصاحب الصناعة أن يُنعم نظره فيه . وفيما أشرنا إليه كفاية للمتعلم ، فليعرفه ، وليقف عنده !

المبتذل من الألفاظ

ومن أوصاف الكلمة أن لا تكون مبتذلة بين العامة .

وذلك ينقسم قسمين :

الأول : ما كان من الألفاظ دالاً على معنى وُضع له في أصل اللغة ، فغيرته العامة ، وجعلته دالاً على معنى آخر ، وهو ضربان :

الأول : ما يكره ذكره ، كقول أبي الطيب (١٢٤) :

= قبل فتح مصر ، وفي أثناءه . ولما فتحت مصر وذهب المغز إليها تأهب للحاق به ، فات في الطريق سنة ٣٦٢ هـ ، ولم يناهز الأربعين . ويمتاز شعره بالغريب ، وفخامة اللفظ ، والأساليب البدوية ، وكثرة التشبيهات والمجاز .

(١٢٤) ديوان المتنبي ٥٥/٤ من قصيدة يمدح بها الحسين بن إسحاق التنوخي ، ومطلعها :

ملام النوى في ظلمها غاية الظلم لعل بها مثل الذي بي من الظلم

أَذَاقَ الْغَوَانِي حُسْنُهُ مَا أَذَاقَنِي وَعَفَّ فَجَازَاهُنَّ عَنِّي بِالصَّرْمِ (١٢٥)
 فَإِنْ [مَعْنَى] لَفْظَةَ «الصَّرْمِ» فِي وَضْعِ اللَّغَةِ هُوَ الْقَطْعُ . يُقَالُ «صَرَمَهُ» إِذَا
 قَطَعَهُ ، فَغَيَّرْتَهَا الْعَامَّةُ ، وَجَعَلَتْهَا دَالَةً عَلَى الْحُلِّ الْخُصُوصِ مِنَ الْحَيَوَانِ دُونَ غَيْرِهِ .
 فَأَبْدَلُوا السِّينَ صَادًا . وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ اسْتَكْرَهَ اسْتِعْمَالُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا لَكِنَّ
 الْمَكْرُوهَ مِنْهَا مَا يُسْتَعْمَلُ عَلَى صِيغَةِ الْاسْمِيَّةِ ، كَمَا جَاءَتْ فِي هَذَا الْبَيْتِ . وَأَمَّا إِذَا
 اسْتَعْمَلْتُ عَلَى صِيغَةِ الْفِعْلِ كَقَوْلِنَا «صَرَمَهُ» وَ «صَرَمْتُهُ» وَ «تَصَرَّمَهُ» فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ
 كَرِهَةً ، لِأَنَّ اسْتِعْمَالَ الْعَامَّةِ لَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ .

وهذا الضرب المشار إليه لا يعاب البدوى على استعماله ، كما يُعَابُ الْمُحْتَضِرُ ؛ لِأَنَّ
 الْبَدَوِيَّ لَمْ تَتَغَيَّرِ الْأَلْفَاظُ فِي زَمَنِهِ ، وَلَا تَصَرَّفَتِ الْعَامَّةُ فِيهَا كَمَا تَصَرَّفَتْ فِي زَمَنِ الْمُحْتَضِرَةِ
 مِنَ الشُّعْرَاءِ . فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عِيبُ اسْتِعْمَالِ لَفْظَةِ «الصَّرْمِ» وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا عَلَى الشَّاعِرِ
 الْمُحْتَضِرِ ، وَلَمْ يُعَبَّ عَلَى الشَّاعِرِ الْمُتَبَدِّئِ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ أَبِي صَخْرٍ الْهَذَلِيِّ (١٢٦) :
 قَدْ كَانَ صَرْمٌ فِي الْمَاتِ لَنَا فَعَجَلْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالصَّرْمِ (١٢٧)

فَإِنَّ هَذَا لَا يُعَابُ عَلَى أَبِي صَخْرٍ كَمَا عِيبُ عَلَى الْمُتَنَبِّئِ قَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ .
 وَقَدْ صَنَّفَ الشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورِ بْنِ أَحْمَدَ الْبَغْدَادِيُّ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ الْجَوَالِقِيِّ كِتَابًا فِي
 هَذَا الْفَنِّ ، وَوَسَمَهُ بِـ «إِصْلَاحِ مَا تَغَلَطُ فِيهِ الْعَامَّةُ» فَفَنَّهُ مَا هَذَا سَبِيلُهُ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْكَرَ
 اسْتِعْمَالَ لِكِرَاهَتِهِ ، وَلِأَنَّهُ مِمَّا لَمْ يُثْقَلْ عَنِ الْعَرَبِ فَهَذَا عِيَانُ .
 وَأَمَّا الضَّرْبُ الثَّانِي :

وهو أَنَّهُ وُضِعَ فِي أَصْلِ اللَّغَةِ لِمَعْنَى ، فَجَعَلَتْهُ الْعَامَّةُ دَالًا عَلَى غَيْرِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ
 بِمُسْتَقْبَحٍ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ .

(١٢٥) رَوَايَةُ الْدَيَّانِ « وَعَفَّ فَجَازَاهُنَّ عَنِّي بِالصَّرْمِ » . وَقَدْ أَسْكَنَ « الْغَوَانِي » ضَرْوَةً لِأَنَّهَا مَفْعُولٌ « ذَاقَ » .

(١٢٦) اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمٍ السَّهْمِيُّ ، أَحَدُ بَنِي هَذِيلَ بْنِ مَدْرَكَةَ . وَهُوَ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ
 الْأُمَوِيَّةِ . وَكَانَ مَوَالِيًا لِبَنِي مَرْوَانَ ، مُتَعَصِّبًا لَهُمْ . وَلَهُ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ مَدَائِحُ ، وَقَدْ كَانَ حَبْسَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى أَنْ
 شَفَعَ لَهُ رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَأُطْلِقَهُ بَعْدَ سَنَةٍ . فَلَمَّا وَلِيَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَحَجَّ لِقَائِهِ أَبُو صَخْرٍ ، فَأَدْنَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَرَّبَهُ ،
 فَدَحَاهُ وَنَالَ جَائِزَتَهُ .

(١٢٧) مِنْ أَيْيَاتِ ثَمَانِيَةِ فِي دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ ٦٢/٢

وذلك كتسميتهم الإنسان « ظريفاً » إذا كان دَمِتَ الأخلاق ، حَسَنَ الصُّورَةِ أو اللباس ، أو ماهذا سبيله « والظُّرْفُ » في أصلِ اللغةِ مختص بالثُّنْقِ فقط .
وقد قيل في صفاتِ خَلْقِ الإنسان ما أذكَّره هاهنا وهو : الصِّباحَةُ في الوجه ،
الوضاءَةُ في البشرة ، الجمالُ في الأنفِ ، الحلاوة في العينين ، الملاحَةُ في الفمِ ،
الظُّرْفُ في اللسان ، الرَّشاقَةُ في القد ، اللَّباقَةُ في الشَّمالِ ، كمالِ الحُسْنِ في الشَّعْرِ .
فالظُّرْفُ إِنما يتعلّق بالنطقِ خاصَّةً ، فغَيَّرْتُهُ العامَّةَ عن بابهِ . وممَّن غَلَطَ في هذا
الموضع أَبُو نُؤَاسٍ حيثُ قَالَ :

اِخْتَصَمَ الْجُودُ وَالْجَمالُ فِيكَ فَصَارا إِلَى جِدالٍ
فَقَالَ هَذَا يَمِينُهُ لِي لِلْعُرْفِ وَالْبَذْلِ وَالنَّوَالِ
وَقَالَ هَذَاكَ وَجْهُهُ لِي لِلظُّرْفِ وَالْحُسْنِ وَالْكَمالِ
فَأَفْتَرَقَا فِيكَ عَنْ تَراضٍ كِلَاهُمَا صَادِقُ الْمَقالِ
وكذلك غلط أبو تمام فقال (١٢٨) :

لَكَ هَضْبَةُ الْحِلْمِ الَّتِي لَوْ وَازَنْتَ أَجَأَ إِذْنٌ ثَقُلْتُ وَكَانَ خَفِيفاً
وَحَلَاوَةُ الشَّمِّ الَّتِي لَوْ مَازَجْتَ خُلِقَ الزَّمانُ الْقَدَمُ عَادَ ظَرِيفاً

فأبو نواس غلط هاهنا في أَنَّهُ وصفَ الوجهَ بِالظُّرْفِ ، وهو من صفاتِ الثُّنْقِ ،
وأبو تمام غلط في أَنَّهُ وصفَ الخُلُقَ بِالظُّرْفِ ، وهو من صفاتِ الثُّنْقِ أيضاً ، إلا أَنَّ
هذا غلطٌ لا يوجب في اللفظةِ قبحاً ، لكنه جهل بمعرفةِ أصلها في وَضْعِ اللغةِ .

القسم الثاني مما ابتدأته العامَّةُ ، وهو الذي لم تغيِّره عن وضعه :

وإنما أنكر استعماله لأنه مبتذل بينهم . لا لَأَنَّهُ مُسْتَقْبَحٌ ، ولا لَأَنَّهُ مخالفٌ لما وُضِعَ

له .

وفي هذا القِسْمِ نظرٌ عندى ، لَأَنَّهُ إِنْ كانَ عبارةً عَمَّا يَكثُرُ تداوُلُهُ بين العامَّةِ فَإِنَّ

(١٢٨) ديوان أبي تمام ٣٠٩ من قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف ، ومطلعها :

أُطالهم سلبت دماها الهيفا واستبدلت وحشاً بهن عكوقا

من الكثير المتداول بينهم ألفاظاً فصيحة ، كالسَّماء ، والأرض ، والنار ، والماء .
والحَجَر ، والطين ، وأشباه ذلك .

وقد نطقَ بها القرآن الكريمُ في مواضع كثيرة منه ، وجاءت في كلام الفصحاء
نظماً ونثراً .

والذى ترجَّح في نظري أن المراد بالمتبدل من هذا القسم إنما هو الألفاظ السخيفة
الضعيفة سواء تداولتها العامة أو الخاصة . فما جاء منه قولُ أبي الطَّيِّب المتنبي (١٢٩) :

وَمَنْسُومَةٌ سَيْفِيَّةٌ رَبْعِيَّةٌ يَصِيحُ الْحَصَى فِيهَا صِيَاحُ اللَّقَالِقِ (١٣٠)

فإن لفظة « اللقالق » مبتدلة بين العامة جداً ، وكذلك قوله (١٣١) :

وَمَنْ النَّاسُ مَنْ تَجُوزُ إِلَيْهِمْ شِعْرَاءُ كَأَنَّهَا الْحَازِبَازُ (١٣٢)

وهذا البيتُ مِنْ مُضْحَكَاتِ الأشعار ، وهو من جملةِ « البرسام » الذى ذكره في
شعره حيثُ قال (١٣٣) :

إِنْ بَعْضًا مِنَ الْقَرِيضِ هَرَاءُ لَيْسَ شَيْئًا وَبَعْضُهُ أَحْكَامُ (١٣٤)

فِيهِ مَا يَجْلِبُ الْبَرَاعَةَ وَالْفَهْمَ . فِيهِ مَا يَجْلِبُ الْبُرْسَامُ (١٣٥)

(١٢٩) ديوان المتنبي ٢/٣٢٥ من قصيدة مطلعها :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

(١٣٠) الملومة الكتبية المجتمعة . وسيفية منسوبة إلى سيف الدولة . وربعية منسوبة إلى بيعة . وهى قبيلة سيف

الدولة . واللقالق جمع لقلق . وهو طائر كبير يسكن العُمران في أرض العراق .

(١٣١) ديوان المتنبي ٢/١٨٣ من قصيدة في مدح أبى بكر على بن صالح . ومطلعها :

كفرندى فريد سقى الجرار لذة العين عدة للبراز

(١٣٢) رواية الديوان « ومن الناس من يجوز عليه » والخازباز حكاية صوت الذباب . ويسمى الذباب

« الخازباز » وقال الأصمعي هونيت . وقال قوم : الخازبازدء يأخذ الإبل في حلقها والناس . والمعنى : أنت ناقد

الكلام تعرف الشعر . وغيرك يجوز عليه شعراء يهزون . كأنهم طين الذباب في هذياتهم .

(١٣٣) ديوان المتنبي ٤/١٠١ من قصيدته التى مطلعها :

لا افتخار لمن لا يضام مدرك أو محارب لابنام

(١٣٤) رواية الديوان « هذاء » موضع « هراء » والهذاء والهذيان مصدر هذى يهذى إذا قال قولاً لا فائدة

له . والأحكام جمع حكم بمعنى الحكمة .

(١٣٥) رواية الديوان « الفصل » موضع « الفهم » . والبرسام غلة يهذى فيها .

ومثل هذه الألفاظ إذا وَرَدَتْ في الكلام وَضَعَتْ من قَدْرِهِ ، ولو كان مَعْنَى شَرِيفاً .

وهذا القسم من الألفاظِ المبتدلة لا يكادُ يَخْلُو مِنْهُ شَعْرُ شَاعِرٍ ، لكنْ مِنْهُمْ الْمُقِلُّ وَمِنْهُمْ الْمُكَثِّرُ ، حتَّى أن العاربة قد استعملت هذا ، إلاَّ أَنَّهُ في أشعارها أَقْلُ فَمِنْ ذَلِكَ قولُ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِي في قصيدته الَّتِي أولها :

* مِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحُ أَوْ مُعْتَدِ * (١٣٦)

أَوْ دُمِيَّةٍ فِي مَرَمَرٍ مَرْفُوعَةٍ بُنِيَتْ بِأَجْرٍ يُشَادُّ بِقِرْمِدٍ (١٣٧)
فلفظة « آجِر » مبتدلةٌ جداً .

وإن شِئْتَ أَنْ تعلم شيئاً من سرِّ الفصاحةِ التي تضمَّنْها القرآنُ فانظرْ إلى هذا الموضعِ ، فَإِنَّهُ لما جِئَ فِيهِ بِذِكْرِ « الآجِر » لم يَذْكُرْ بِلَفْظِهِ ، ولا بِلَفْظِ « القِرْمِدِ » أيضاً ، ولا بِلَفْظِ « الطُّوب » الذي هو لغةُ أَهْلِ مِصْرَ ؛ فَإِنَّ هذه الأسماءَ مبتدلةٌ ، لكنْ ذُكِرَ في القرآنِ على وجهٍ آخرَ ، وهو قوله تعالى : « وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً » (١٣٨) فَعَبَّرَ عَنِ الآجِرِ بِالْوَقُودِ عَلَى الطِّينِ .

ومن هذا القسمِ المبتدَلِ قولُ الفَرَزْدَقِ في قصيدته التي أولها :

عَرَفْتُ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتُ تَعْرِفُ (١٣٩)

وَأَصْبَحَ مَبِیْضُ الصَّقِيعِ كَأَنَّهُ عَلَى سُرَّوَاتِ النَّيْبِ قَطْنٌ مُنْدَفٍ (١٤٠)

(١٣٦) ديوان النابغة بشرح الوزير أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي ص ٢٧ وعجز البيت

عجلان ذا زاد وغير مزود .

(١٣٧) صفحة ٣٠ من الديوان ، والدمية التمثال والصورة . والمرمر الرخام الأبيض . ويشاد يرفع بالشيد وهو

الخص ، والقِرْمِدُ خَرْفٌ مطبوخ . (١٣٨) سورة القصص . الآية ٣٨ .

(١٣٩) ديوان الفرزدق ٥٥١/٢ ، وهي إحدى نقائضه . وعجز البيت :

« وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف »

وفي الأصل « عرفت » و « تعرف » بالراء فيها . والصواب عن الديوان .

(١٤٠) في الأصل « الضرب » موضع « الصقيع » و « الليت » موضع « النيب » والتصويب عن الديوان .

وسرورات النيب أسنمة الإبل . يقول : وقع الثلج على أسنمتها كأنه قطن مندف والصقيع الجليد .

فقوله : « مُنْدَف » من الألفاظ العامة ، ومن هذا القسم قول البحترى :
 وجوه حُسَّادِك مسوِّدةٌ أم صُبِغَتْ بعدى بالزَّاج
 فلفظة : « الزَّاج » من أشدَّ ألفاظ العامة ابتدالا .

وقد استعمل أبو نواس هذا النوع في شعره كثيراً كقوله (١٤١) :
 يَا مَنْ جَفَانِي وَمَلَا نَسِيتَ أَهْلًا وَسَهْلًا
 وَمَاتَ مَرْحَبٌ لَمَّا رَأَيْتَ مَالِي قَلَا
 إِنِّي أَظْنُكَ فِيهَا فَعَلْتُ تَحْكِي الْقِرْلَى (١٤٢)

وكقوله (١٤٣) :

وَأَنْمِرُ الْجِلْدَةَ صَيَّرْتُهُ فِي النَّاسِ رَاغًا وَشِقْرَاقًا (١٤٤)
 مَا زِلْتُ أُجْرِي كُلَّكِلَى فَوْقَهُ حَتَّى دَعَا مِنْ تَحْتِهِ قَاقَا
 وكقوله :

وَمُلِحَّةٌ بِالْعَدْلِ تَحْسُبُ أَنِّي بِالْجَهْلِ أَتْرَكُ صُحْبَةَ الشُّطَارِ
 وقد استعمل لفظة « الشاطر » « والشاطرة » « والشُّطَار » « والشُّطَارَة » كثيراً ، وهى من
 الألفاظ التى ابتدأها العامة حتى سنحت من ابتدائها .
 وهذه الأمثلة تمنع الواقف عليها من استعمال أشباهها وأمثالها .

* *

ومن أوصاف الكلمة أن لا تكون مشتركة بين معنيين أحدهما يُكره ذِكْرُه ، وإذا
 وَرَدَتْ وهى غير مقصود بها ذلك المعنى قُبِحَتْ ، وذلك إذا كانت مهملة بغير قرينة تميز
 معناها عن القُبْح .

(١٤١) ديوان أبى نواس ١٥٣ فى عتاب عمرو الوراق .

(١٤٢) القِرْلَى كزَمْكِي طائر ذو حزم لا يرى إلا فرقا على وجه الماء على جانب يهوى بإحدى عينيه إلى قعر الماء
 طمعا ، ويرفع الأخرى فى الهواء حذرا ، ومنه المثل « أحزم من قِرْلَى ، إن رأى خيرا تدلى ، وإن رأى شرا تولى » .

(١٤٣) ديوان أبى نواس ١٨٩ فى هجاء زنبور .

(١٤٤) الأتمر ما فيه نمرة أى نكتة بيضاء وأخرى سوداء ، والزَّاج غراب صغير ، والشقراق بكسرتين وراء
 مشددة أو كقراطس ويفتح طائر مرقط بخضرة وحمرة وبياض ، ويكون بأرض الحرم .

فَأَمَّا إِذَا جَاءَتْ وَمَعَهَا قَرِينَةٌ فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ مَعِيَّةً ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (١٤٥) . أَلَا تَرَى أَنَّ لَفْظَةَ « التَّعْزِيرِ » مُشْتَرَكَةٌ تُطْلَقُ عَلَى التَّعْظِيمِ وَالْإِكْرَامِ ، وَعَلَى الضَّرْبِ الَّذِي هُوَ دُونَ الْحَدِّ ، وَذَلِكَ نَوْعٌ مِنَ الْهَوَانِ ، وَهُمَا مَعْنِيَانِ ضِدَّانِ . فَحَيْثُ وَرَدَتْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ جَاءَ مَعَهَا قَرَانٌ مِنْ قَبْلِهَا وَمِنْ بَعْدِهَا ، فَخَصَّصَتْ مَعْنَاهَا بِالْحُسْنِ ، وَمَيَّزَتْهُ عَنِ الْقُبْحِ . وَلَوْ وَرَدَتْ مَهْمَلَةٌ بِغَيْرِ قَرِينَةٍ ، وَأُرِيدَ بِهَا الْمَعْنَى الْحَسَنَ لَسَبَقَ إِلَى الْوَهْمِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْنَى الْقَبِيحِ .

مثال ذلك : لَوْ قَالَ قَائِلٌ : لَقَيْتُ فَلَانًا فَعَزَّزْتُهُ ، لَسَبَقَ إِلَى الْفَهْمِ أَنَّهُ ضَرَبَهُ وَأَهَانَهُ . وَلَوْ قَالَ : لَقَيْتُ فَلَانًا فَأَكْرَمْتُهُ وَعَزَّزْتُهُ ، لَزَالَ ذَلِكَ اللَّبْسُ .
واعلم أَنَّهُ قَدْ جَاءَ مِنَ الْكَلَامِ مَا مَعَهُ قَرِينَةٌ فَأَوْجِبَتْ قُبْحَهُ ، وَلَوْ لَمْ تَجِئْ مَعَهُ لَمَا اسْتَقْبَحَ ، كَقَوْلِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ :

أَعَزَّزْتُ عَلَى بَأْنٍ أَرَاكَ وَقَدْ خَلَا عَنْ جَانِبَيْكَ مَقَاعِدَ الْعَوَادِ
وقد ذكر ابنُ سِنَانِ الْخَفَاجِيُّ هَذَا الْبَيْتَ فِي كِتَابِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ إِيْرَادَ هَذِهِ اللَّفْظَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ صَحِيحٌ ، إِلَّا أَنَّهُ مُوَافِقٌ لِمَا يَكْرَهُ ذَكَرُهُ فِي مِثْلِ هَذَا الشَّعْرِ ، لَا سِيَّامَا وَقَدْ أَضَافَهُ إِلَى مَنْ يَحْتَمَلُ إِضَافَتَهُ إِلَيْهِ وَهُمْ الْعَوَادُ ، وَلَوْ انْفَرَدَ لَكَانَ الْأَمْرُ فِيهِ سَهْلًا . فَأَمَّا الْإِضَافَةُ إِلَى مَنْ ذَكَرَهُ فِيهَا قُبْحٌ لَا خَفَاءَ بِهِ . هَذَا حِكَايَةُ كَلَامِهِ (١٤٦) ، وَهُوَ مَرْصِيُّ وَاقِعٌ فِي مَوْقِعِهِ .

ولنذكرُ نَحْنُ مَا عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ فَنَقُولُ : قَدْ جَاءَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ الْمَعِيَّةُ فِي الشَّعْرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، فَجَاءَتْ حَسَنَةً مَرْصِيَّةً . وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَإِذَا غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ » (١٤٧) . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا

(١٤٥) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

(١٤٦) انظر سر الفصاحة ٩٣ ونص عبارة ابن سنان : فإيراد « مقاعد » في هذا البيت صحيح إلا أنه موافق لما يكره ذكره في مثل هذا الشأن . لاسيما وقد أضافه إلى من يحتمل إضافته إليهم وهم العواد . ولو انفرد كان الأمر فيه سهلا . فأما إضافته إلى ما ذكره فيها قبح لاخفاء به .

(١٤٧) سورة آل عمران : الآية : ١٢١ .

مُلِيتُ حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهَبًا * وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ
شِهَابًا رَصَدًا (١٤٨) »

أَلَا تَرَى أَنَّهَا فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ غَيْرُ مِضَافَةٍ إِلَى مَنْ تَقْبَحُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِ كَمَا جَاءَتْ فِي
الشعر.

ولو قَالَ الشاعِرُ بدلًا مِنْ « مَقَاعِدِ الْعَوَادِ » « مَقَاعِدِ الزِيَارَةِ » أَوْ مَا جَرَى مَجْرَاهُ لَذَهَبَ
ذَلِكَ الْقُبْحُ ، وَزَالَتْ تِلْكَ الْهُجْنَةُ . وَلِهَذَا جَاءَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فِي الْآيَتَيْنِ عَلَى مَا تَرَاهُ مِنْ
الْحُسْنِ ، وَجَاءَتْ عَلَى مَا تَرَاهُ مِنَ الْقُبْحِ فِي قَوْلِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ .
وعلى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ تَابُطِ شَرًّا :

أَقُولُ لِلْحَيَّانِ وَقَدْ صَفَرْتَ لَهُمْ وَطَائِي وَيَوْمِي ضَيِّقُ الْجُحْرِ مُعَوَّرٌ (١٤٩)
فإنَّه أَضَافَ الْجُحْرَ إِلَى الْيَوْمِ ، فَأَزَالَ عَنْهُ هُجْنَةَ الْاِشْتِبَاهِ ، لِأَنَّ « الْجَحْرَ » يَطْلُقُ عَلَى
كُلِّ ثَقْبٍ كَتَقَبِ الْحَيَّةِ وَالْيَرَبُوعِ ، وَعَلَى الْمَحَلِّ الْمَخْصُوصِ مِنَ الْحَيَّانِ ، فَإِذَا وَرَدَ مُهْمَلًا
بِغَيْرِ قَرِينَةٍ تَخْصُّصُهُ سَبَقَ إِلَى الْوَهْمِ مَا يَقْبَحُ ذِكْرُهُ ، لِاِشْتِهَارِهِ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ .
وَمِنْ هَاهُنَا وَرَدَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُؤْمِنُ لَا يُلْسَعُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ »
وَحَيْثُ قَالَ : « يُلْسَعُ » زَالَ اللَّبْسُ . لِأَنَّ اللَّسْعَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْحَيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنْ ذَوَاتِ
السُّمُومِ .

وَأَمَّا مَا وَرَدَ مُهْمَلًا بِغَيْرِ قَرِينَةٍ فَتَطَلَّى أَبِي تَمَّامٍ (١٥٠) :
أَعْطَيْتَ لِي دِيَّةَ الْقَتِيلِ وَلَيْسَ لِي عَقْلٌ وَلَا حَقٌّ عَلَيْكَ قَدِيمٌ (١٥١)
فَقَوْلُهُ : « لَيْسَ لِي عَقْلٌ » يَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ « عَقَلَ الشَّيْءَ » إِذَا عَلِمَهُ . وَلَوْ قَالَ « لَيْسَ لِي
عَلَيْكَ عَقْلٌ » لَزَالَ اللَّبْسُ .

(١٤٨) سورة الجن : الآيتان ٨ و ٩ .
(١٤٩) ديوان الحامسة ٢٦/١ ، ولحيان بطن من هذيل ، وصفرت جلت ، والوطاب جمع وطب وهو سقاء
اللين ، وقوله « ضَيِّقُ الْجَحْرِ » مِثْلُ لَضِيْقِ الْمَنْفَذِ ، وَالْمَعْوَرِ الْمُنْكَشَفِ الْعَوْرَةِ .

(١٥٠) ديوان أبي تمام ٣٠١ من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم ، ومطلعها :

أَسْقَى ظُلُومَهُمْ أَجَشَّ هَزِيمٍ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمٌ

(١٥١) رواية الديوان « أَعْطَيْتَنِي » مَوْضِعُ « أَعْطَيْتَ لِي » وَالْعَقْلُ الدِّيَّةُ .

فيجب إذاً على صاحب هذه الصناعة أن يُراعى في كلامه مثل هذا الموضع ، وهو من جملة الألفاظ المشتركة التي يُحتاج في إيرادها إلى قرينة تخصها ضرورةً .

[عدد حروف الكلمة]

ومن أوصاف الكلمة أن تكون مؤلفة من أقل الأوزان تركيباً . وهذا ممّا ذكره ابن سنان في كتابه ، ثمّ مثله بقول أبي الطيّب المتنيّ (١٥٢) :

إِنَّ الْكَرَامَ بِلاَ كِرَامٍ مِنْهُمْ مِثْلُ الْقُلُوبِ بِلاَ سُودَاوَاتِهَا (١٥٣)
وقال : إن لفظة «سُودَاوَاتِهَا» طويلة ، فلهذا قُبِحَتْ (١٥٤) .

وليس الأمر كما ذكره ، فإن قُبِحَ هذه اللفظة لم يكن بسبب طولها ، وإنما هو لأنها في نفسها قبيحة ، وقد كانت - وهي مفردة - حسنة . فلما جُمِعَتْ قُبِحَتْ ، لا بسبب الطول .

والدليل على ذلك أنه قد ورد في القرآن الكريم ألفاظ طوالٌ ، وهي مع ذلك حسنة ، كقوله تعالى : «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ» (١٥٥) «فَإِنَّ هذه اللفظة تسعة أحرف وكقوله تعالى : «لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ» (١٥٦) «فَإِنَّ هذه اللفظة عشرة أحرف ، وكِلْتَاهُمَا حسنة راقية .

ولو كان الطول مما يُوجب قبحاً لقُبِحَتْ هاتان اللفظتان ، وليس كذلك . ألا ترى أنه لو أسقط من لفظة «سوداوتها» . الهاء والألف اللتين هما عوض عن

(١٥٢) ديوان المتني ٢٣٠/١ وهو من قصيدة في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران ومطلعها :

سرب محاسنه حرمت ذواتها داني الصفات بعيد موصوفاتها

(١٥٣) سوداء القلب حبه ، وجمعه سوداوات . يقول : الكرام من الخيل إذا لم يكن عليها فرسان من هؤلاء المدوحين كالقلب إذا لم يكن فيه .. ويداء .

(١٥٤) عبارة ابن سنان : فسوداوتها كلمة طويلة جداً ، فلذلك لا أختارها ، وانظر سر الفصاحة ٩٥ -

(١٥٥) سورة البقرة : الآية ١٣٧ . (١٥٦) سورة النور : الآية ٥٥ .

الإضافة لبقى منها ثمانية أحرف ؟ ، ومع هذا فإنها قبيحة . ولفظة « لَيْسَتْخِلْفَنَّهُمْ » عشرة أحرف ، وهى أطول منها بحرفين ، ومع هذا فإنها حسنة راقية .

والأصل فى هذا الباب ما أذكره : وهو أن الأصول من الألفاظ لا تحسن إلا فى الثلاثى ، وفى بغض الرباعى ، كقولها « عذب » و « عسجد » . فإن هاتين اللفظتين إحداهما ثلاثية والأخرى رباعية . وأما الخماسى من الأصول فإنه قبيح ، ولا يكاد يوجد منه شئ حسن ، كقولنا « جحمرش » . و « صهصلق » ، وما جرى مجراهما .

وكان ينبغى على ما ذكره ابن سنان أن تكون هاتان اللفظتان حسنتين ، واللفظتان الواردتان فى القرآن قبيحتين . لأن تلك تسعة أحرف وعشرة ، وهاتان خمسة وخمسة . وترى الأمر بالضد مما ذكره . وهذا لا يعتبر فيه طول ولا قصر ، وإنما يعتبر نظم تأليف الحروف بعضها مع بعض . وقد تقدم الكلام على ذلك ولهذا لا يوجد فى القرآن من الخماسى الأصول شئ إلا ما كان اسم نبي عرّب اسمه ، ولم يكن فى الأصل عربياً ، نحو « إبراهيم » و « إسماعيل » .

ومما يدخل فى هذا الباب أن تجتنب الألفاظ المؤلفة من حروف يثقل النطق بها ، سواء كانت طويلة أو قصيرة . ومثال ذلك قول امرئ القيس فى قصيدته اللامية ، التى هى من جملة القصائد السبع الطوال (١٥٧) :

عَدَائِرُهُ مُسْتَشْرِزَاتٌ إِلَى الْعُلَا تَصِلُ الْمَدَارَى فِي مُثْنَى وَمُرْسَلٍ (١٥٨)
 فلفظة « مُسْتَشْرِزَاتٌ » مما يقبح استعمالها ، لأنها تثقل على اللسان ، ويشق النطق بها . وإن لم تكن طويلة ، لأننا لو قلنا « مُسْتَنْكِرَاتٌ » أو « مُسْتَنْفِرَاتٌ » على وزن « مُسْتَشْرِزَاتٌ » لما كان فى هاتين اللفظتين من ثقل ولا كراهة .

ولربما اعترض بعض الجهال فى هذا الموضع ، وقال : إن كراهة هذه اللفظة إنما هو لطولها .

(١٥٧) هى المشهورة باسم (المعلقات) .

(١٥٨) الغدائر جمع الغديرة ، وهى الخصلة من الشعر ، والاستشراز الارتفاع ، والمدارى جمع مدرى وهى

الشط - ويروى « تضل العقاص » والعقاص جمع عقيصه ، وهى الخصلة المجموعة من الشعر .

وليس الأمر كذلك ، فإننا لو حذفنا منها الألف والتاء ، وقلنا «مُسْتَشْرِز» لكان ذلك ثقيلا ، وسببه أن الشين قبلها تاءٌ وبعدها زاي ، فثقل النطق بها ، وإلا فلو جعلنا عَوْضًا من الزاي راءً ، ومن الرء فاءً ، فقلنا «مُسْتَشْرِف» لزال ذلك الثقل .

ولقد رآني بعض الناس وأنا أعيبُ على امرئ القيس هذه اللفظة المُشار إليها ، فأكبر ذلك ، لوقوفه مع شهرة التقليد في أن امرأ القيس أشعر الشعراء ، فعجبت من ارتباطه بمثل هذه الشبهة الضعيفة ، وقلتُ له : لا يمنعُ إحسانُ امرئ القيس من استقبح ماله من القبح ، ومثالُ هذا كمثالُ غزال المسك ، فإنه يخرجُ منه المسكُ والبعرُ ، ولا يمنعُ طيبُ ما يخرجُ من مسكه من خُبث ما يخرجُ من بعره ، ولا تكونُ لذاذة ذلك الطيب حاميةً للخُبث من الاستكراه ، فأسكت الرجلُ عند ذلك .

وحضر عندي في بعض الأيام رجلٌ من اليهود ، وكنتُ إذ ذاك بالديار المصرية ، وكان لليهود في هذا الرجل اعتقادٌ ، لمكان علمه في دينهم وغيره ، وكان لعمري كذلك ، فجرى ذكرُ اللغات ، وأن اللغة العربية هي سيدة اللغات . وأنها أشرفهن مكاناً ، وأحسنهن وضعاً . فقال ذلك الرجل : كيف لا تكونُ كذلك . وقد جاءتُ آخرًا ، فنفت القبيح من اللغات قبلها ، وأخذت الحسن ، ثم إن واضعها تصرّف في جميع اللغات السالفة ، فاختصر ما اختصر ، وخفف ما خفف ، فمن ذلك اسمُ الجمَل ، فإنه عندنا في اللسان العِزاني «كُوميل» ممّالا على وزن «فوعيل» فجاء واضعُ اللغة العربية ، وحذف منها الثقل المُستشع ، وقال «جمل» ، فصار خفيفًا حسنًا ، وكذلك فعل في كذا وكذا ، وذكر أشياء كثيرة ، ولقد صدق في الذي ذكره وهو كلامُ عالم به .

[خفة الحركات]

ومن أوصاف الكلمة أن تكون مَبْنِيَّة من حركات خفيفة ، ليخف النطق بها . وهذا الوصف يترتبُ على ما قبله من تأليف الكلمة ، ولهذا إذا توالى حركتان خفيفتان في كلمة واحدة لم تستثقل ، وبخلاف ذلك الحركات الثقيلة ، فإنه إذا توالى منها حركتان في كلمة واحدة استثقلت .

ومن أجل ذلك اسْتُثْقِلَتِ الضمة على الواو، والكسرة على الياء، لأنَّ الضَّمةَ من جنس الواو، والكسرة من جنس الياء، فتكون عند ذلك كأنَّها حركتانِ ثقيلتانِ. ونُمَثِّلُ لك مثلاً لتهتدى به في هذا الموضع، وهو أننا نقول: إذا أتينا بلفظة مؤلفة من ثلاثة أحرف وهى - ج ز ع - فإذا جعلنا الجيم مفتوحة، فقلنا «الجزع» أو مكسورة، فقلنا «الجزع» كان ذلك أحسن من أن لو جعلنا الجيم مضمومة فقلنا «الجزع»، وكذلك إذا والينا حركة الفتح فقلنا «الجزع» كان ذلك أحسن من موالاة حركة الضم عند قولنا «الجزع» ومن المعلوم أن هذه اللفظة لم يكن اختلاف حركاتها مغيراً لمخارج حروفها، حتى يُنسب ذلك إلى اختلاف تأليف المخارج، بل وجدناها تارة تكتسب حسناً، وتارة يُسلب ذلك الحسن عنها، فعلمنا أن ذلك حادث عن اختلاف تأليف حركاتها.

واعلم أنه قد تواليت حركة الضم في بعض الألفاظ. ولم يحدث فيها كراهة ولا ثقلاً، كقوله تعالى: «وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ»^(١٥٩) وكقوله تعالى: «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ»^(١٦٠). وكقوله تعالى: «وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ»^(١٦١) فحركة الضم في هذه الألفاظ متواليّة، وليس بها من ثقل ولا كراهة. وكذلك ورد قول أبي تمام^(١٦٢):

نَفْسٌ	يَحْتَشُهُ	(١٦٣)	نَفْسٌ	وَدُمُوعٌ	لَيْسَ	تَحْبَسُ
وَمَعَانٍ	لِلْكَرَى	دُثْرٌ	عُطْلٌ	مِنْ	عَهْدِهِ	دُرُسٌ
بَهْرَتْ	مَا	كَتُّ	أَكْتَمُهُ	نَاطِقَاتٌ	بِالْهَوَى	خُرُسٌ

(١٥٩) سورة القمر: الآية ٣٦. (١٦٠) سورة القمر: الآية ٤٧. (١٦١) سورة القمر: الآية ٥٢.

(١٦٢) بيان أبي تمام ٤٤٨ وهى أبيات في النسيب.

(١٦٣) يحشه على الخروج.

(١٦٤) المغاني المنازل. والكرى النعاس. والدثر البالية. والعطل الخالية. والدرس المحو.

فانظر كيف جاءت هذه الألفاظُ الأربعةُ مضموماتٌ كُلُّها ، وهي مع ذلكَ حسنةٌ
لا ثِقَلَ بِها ، ولا يَنْبُو السَّمْعُ عَنْها ؟
وهذا لا يَنْقُضُ ما أَشَرْنَا إِلَيْهِ ، لأنَّ الغالبَ أنْ يكونَ تَوَالِي حَرَكَةِ الضَّمِّ مُسْتَقْلَالاً ،
فإِذَا شَدَّ عَنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ ، لَا يَنْقُضُ الْأَصْلَ الْمَقِيسَ عَلَيْهِ .

القسم الثاني

فى الألفاظ المركبة

قَدْ قَدَّمْنَا الْقَوْلَ فى شرح أحوالِ اللفظةِ المفردةِ ، وما يختصُّ بها . وَأَمَّا إِذَا صَارَتْ مركبةً ، فإنَّ لتركيبها حكمًا آخرَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ يَحْدُثُ عَنْهُ من فوائدِ التَّأْلِيفَاتِ والامتزاجاتِ مَا يَحْتَجُّ لِلسَّمْعِ أَنَّ هَذِهِ الْأَفْظَاظَ لَيْسَتْ تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ مفردة .

ومِثَالُ ذَلِكَ كَمَنْ أَخَذَ لآلِئِهِ لَيْسَتْ من ذَوَاتِ الْقِيَمِ الْعَالِيَةِ . فَالْفَهْمُ ، وَأَحْسَنَ الْوَضْعِ فى تَأْلِيفِهَا ، فَخِيلَ لِلنَّاضِرِ بِحُسْنِ تَأْلِيفِهِ ، وَاتَّقَانِ صَنْعَتِهِ ، أَنَّهَا لَيْسَتْ تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ مُثْبَوَّةً مَبْدَدَةً .

وفى عَكْسِ ذَلِكَ مَنْ يَأْخُذُ لآلِئِهِ من ذَوَاتِ الْقِيَمِ الْعَالِيَةِ ، فَيَفْسِدُ تَأْلِيفُهَا . فَإِنَّهُ يَضَعُ مِنْ حُسْنِهَا ، وَكَذَلِكَ يَجْرَى حُكْمُ الْأَفْظَاظِ الْعَالِيَةِ مع فَسَادِ التَّأْلِيفِ . وَهَذَا مَوْضِعُ شَرِيفٍ يَنْبَغِي الْإِتِّفَاتُ إِلَيْهِ ، وَالْعِنَايَةُ بِهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ صِنَاعَةَ تَأْلِيفِ الْأَفْظَاظِ تَنْقَسِمُ إِلَى ثَمَانِيَةِ أَنْوَاعٍ هِيَ : السَّجْعُ ، وَيَخْتَصُّ بِالْكَلَامِ الْمُنْثَوْرِ .

والتَّصْرِيعُ ، وَيَخْتَصُّ بِالْكَلَامِ الْمُنْظُومِ ، وَهُوَ دَاخِلٌ فى بَابِ السَّجْعِ ، لِأَنَّهُ فى الْكَلَامِ الْمُنْظُومِ كَالسَّجْعِ فى الْكَلَامِ الْمُنْثَوْرِ .

والتَّجْنِيسُ ، وَهُوَ يَعْمُ الْقِسْمَيْنِ جَمِيعًا .

والتَّرْصِيعُ . وَهُوَ يَعْمُ الْقِسْمَيْنِ أَيْضًا جَمِيعًا .

وَلِزُومُ مَا لَا يَلْزَمُ : وَهُوَ يَعْمُ الْقِسْمَيْنِ أَيْضًا .

والموازنة : وَتَخْتَصُّ بِالْكَلَامِ الْمُنْثَوْرِ .

وَإِخْتِلَافُ صِيغِ الْأَفْظَاظِ ، وَهُوَ يَعْمُ الْقِسْمَيْنِ جَمِيعًا .

وَتَكَرُّرُ الْحُرُوفِ ، وَهُوَ يَعْمُ الْقِسْمَيْنِ جَمِيعًا .

النوع الأول : المسجع

وحدهُ أَنْ يَقَالَ : تَوَاطَوْا الْفَوَاصِلَ فِي الْكَلَامِ الْمَشْجُورِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ .
وقد ذمَّه بعضُ أصحابنا من أربابِ هذه الصناعة ، وَلَا أَرَى لِدَلِكَ وَجْهًا سِوَى
عَجْزِهِمْ أَنْ يَأْتُوا بِهِ ، وَإِلَّا فَلَوْ كَانَ مَذْمُومًا لَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، فَإِنَّهُ قَدْ أَتَى مِنْهُ
بِالْكَثِيرِ ، حَتَّى أَنَّهُ لِيُؤْتَى بِالسُّورَةِ جَمِيعًا مَسْجُوعَةً ، كَسُورَةِ الرَّحْمَنِ ، وَسُورَةِ الْقَمَرِ ،
وغيرهما . وبالجمله فلمْ تَخُلْ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ السُّورِ .

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ^(١) » .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ (طه) : « طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا
تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَا * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجْهَرْ
بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ^(٢) » .

وَكذلك قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ (ق) : « بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ
مَرِيج * أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوج * وَالْأَرْضِ
مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيج ^(٣) » .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا *
فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا * فَوسَطُنَ بِهِ جَمْعًا ^(٤) » . وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ .

وقد وَرَدَ عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ شَيْءٌ كَثِيرٌ أَيْضًا .
فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ » قُلْنَا : إِنَّا لَنَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : « لَيْسَ

(١) سورة الأحزاب : الآيتان ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) سورة طه : الآيات ١ - ٨ .

(٣) سورة ق : الآيات ٥ - ٧ .

(٤) سورة العاديات : الآيات ١ - ٥ .

ذلك ! ولكن الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا .

ومن ذلك ما رواه عبد الله بن سلام ، فقال : لما قديم رسول الله ﷺ ، فجنبت في الناس لأنظر إليه ، فلما تبين وجهه علمت أنه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شيء تكلم به أن قال : « أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .

فإن قيل : إن النبي ﷺ قال لبعضهم منكراً عليه وقد كلمه بكلام مسجوع : « أسجعاً كسجع الكهان » ؟ ولولا أن السجع مكروه لما أنكره النبي ﷺ ؟ .
فالجواب عن ذلك أنا نقول : لو كره النبي ﷺ السجع مطلقاً لقال : أسجعاً ؟ ثم سكنت ، وكان المعنى يدل على إنكار هذا الفعل لم كان ، فلما قال : « أسجعاً كسجع الكهان » صار المعنى معلقاً على أمر ، وهو إنكار الفعل لم كان على هذا الوجه .
فعلم أنه إنما ذم من السجع ما كان مثل سجع الكهان لا غير ، وأنه لم يذم السجع على الإطلاق . وقد ورد في القرآن الكريم ، وهو ﷺ قد نطق به في كثير من كلامه ، حتى أنه غير الكلمة عن وجهها أتباعاً لها بأخواتها من أجل السجع ، فقال لابن أبنته عليهما السلام : « أعيذه من الهامة والسامة ، وكل عين لامة » وإنما أراد « ملمة » لأن الأصل فيها من « ألم » فهو « ملِم » .

وكذلك قوله ﷺ « أرجعن مأزورات غير مأجورات » . وإنما أراد « موزورات » من الوزر ، فقال : « مأزورات » لمكان « مأجورات » طلباً للتوازن والسجع ، وهذا مما يدل على فضيلة السجع .

على أن هذا الحديث النبوي الذي يتضمن إنكار سجع الكهان عندي فيه نظر ، فإن الوهم يسبق إلى إنكاره ، يقال : فما سجع الكهان الذي يتعلق الإنكار به ، ونهى عنه رسول الله ﷺ ؟

والجواب عن ذلك أن النهي لم يكن عن السجع نفسه ، وإنما النهي عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع ألا ترى أنه لما أمر رسول الله ﷺ في الجنين بغرة عبد

أَوَّامَةٍ ، قال الرجلُ : أَدَّى مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ ، وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَ ، ومثل ذلك يَظَلُّ ؟ فقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ « أسَجَعًا كَسَجَعِ الْكُهَّانِ » أَى اتَّبَعُ سَجْعًا كَسَجَعِ الْكُهَّانِ ؟

وكذلك كَانَ الْكَهَنَةُ كُلُّهُمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سُئِلُوا عَنْ أَمْرٍ جَاءُوا بِالْكَلامِ مَسْجُوعًا ، كما فَعَلَ الْكاهِنُ فِي قِصَّةِ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ ، فَإِنَّهُ قَالَ لَمَّا امْتَحِنَ قَبْلَ السُّؤالِ عَنْ قِصَّتِهَا : « ثَمَرَةٌ فِي كَمَرَةٍ » . فَقِيلَ لَهُ نُرِيدُ أَتَيْنَ مِنْ هَذَا ! فقال : « حَبَّةٌ بُرٌّ فِى إِحْلِيلِ مُهْرٍ » والحكاية مشهورة ، فلهذا اختصرناها هُنا .

وكذلك قَالَ سَطِيعُ^(٥) ، فَإِنَّهُ قَالَ : « عَبْدُ الْمَسِيحِ ، جَاءَ إِلَى سَطِيعِ ، وَهُوَ مُوفٍ عَلَى الضَّرِيحِ ، لِرُؤْيَا الْمُؤْبَذَانِ ، وَارْتِجَاسِ الْإِيوَانِ » وَأَتَمَّ الْكلامَ إِلَى آخِرِهِ مَسْجُوعًا . والحكاية مشهورة أيضاً ، فلهذا اختصرناها .

فَالسَّجْعُ إِذَا لَيْسَ بِمَنْهَى عَنْهُ ، وَإِنَّا الْمَنْهَى عَنْهُ هُوَ الْحَكْمُ الْمُتَّبَعُ فِي قَوْلِ الْكاهِنِ ، فقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ : « أسَجَعًا كَسَجَعِ الْكُهَّانِ » ؟ أَى أَحْكُمًا كَحَكْمِ الْكُهَّانِ ، وَالْأَ فَالسَّجْعُ الَّذِى أَتَى بِهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ لَا بَأْسَ بِهِ ، لِأَنَّهُ قَالَ : « أَدَّى مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ ، وَلَا نَطَقَ^(٦) ، وَلَا اسْتَهَلَ ، ومثل ذَلِكَ يُظَلُّ^(٧) » ؟ وَهَذَا كَلامٌ حَسَنٌ مِنْ حَيْثُ السَّجْعُ ، وَلَيْسَ بِمَنْكِرٍ لِنَفْسِهِ . وَإِنَّا الْمُنْكَرُ هُوَ الْحَكْمُ الَّذِى تَضَمَّنَهُ فِي امْتِناعِ الْكاهِنِ أَنْ يَدَى الْجَنِينَ بِغُرَّةِ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ^(٨)

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَصْلَ فِي السَّجْعِ إِنَّمَا هُوَ الْاعتِدالُ فِي مَقاطِعِ الْكلامِ ، وَالْاعتِدالُ مَطْلُوبٌ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ، وَالنَفْسُ تَمِيلُ إِلَيْهِ بِالطَّبْعِ .

وَمَعَ هَذَا فَلَيْسَ الْوَقُوفُ فِي السَّجْعِ عِنْدَ الْاعتِدالِ فَقَطْ ، وَلَا عِنْدَ تَوَاطُؤِ الْفَوَاصِلِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ - إِذْ لَوْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ مِنَ السَّجْعِ لَكَانَ كُلُّ أَدِيبٍ مِنَ الْأَدْبَاءِ سَجَّاعًا ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ - وَلَوْ شَدَا شَيْئًا يَسِيرًا مِنَ الْأَدَبِ - إِلَّا وَبِمَكْنَهُ أَنْ يُؤَلَّفَ

(٥) سَطِيعُ أَحَدُ كُهَّانِ الْعَرَبِ ، وَهُوَ ابْنُ رُبَيْعَةَ بْنِ مَسْعُودَ بْنِ مَازَنَ بْنِ ذُئْبٍ .

(٦) رِوَايَةُ الْبَيَّانِ « وَلَا صَاحَ وَاسْتَهَلَ » . (٧) يَظَلُّ أَى يَهْدِرُ دَمَهُ .

(٨) قَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ عَيْسَى الرَّقَاشِي : لَوْ أَنَّ هَذَا الْمُتَكَلِّمَ لَمْ يَرِدْ إِلَّا الْإِقَامَةُ لِهَذَا الْوِزْنِ لَمَا كَانَ

عَلَيْهِ بَأْسٌ . وَلَكِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ أَرَادَ إِطْطالَ حَقِّ ، فَتَشَادَقَ فِي الْكلامِ وَانْظُرَ الْبَيَّانَ وَالتَّيْنِ ٢٨٧/١ .

الفاظاً مسجوعة ، ويأتى بها فى كلامه . بل ينبغى أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حارة طنانة رنانة ، لا غثة ولا باردة وأعنى بقولى : « غثة باردة » أن صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة ، وما يشترط لها من الحسن ، ولا إلى تركيبها ، وما يشترط له من الحسن ، وهو فى الذى يأتى به من الألفاظ المسجوعة كمن ينقش أثواباً من الكرسف^(٩) ، أو ينظم عقداً من الخزف الملون .

وهذا مقام تزل عنه الأقدام ، ولا يستطيعه إلا الواحد من أرباب هذا الفن بعدد الواحد ، ومن أجل ذلك كان أربابه قليلاً .

فإذا صُفِّى الكلام المسجوع من الغثاة والبرد فإن وراء ذلك مطلوباً آخر ، وهو أن يكون اللفظ فيه تابعاً للمعنى ، لا أن يكون المعنى فيه تابعاً للفظ ، فإنه يجىء عند ذلك كظاهر مُمَوِّه ، على باطن مُشَوِّه ، ويكون مثله كغميد من ذهب على نصل من خشب . وكذلك يجرى الحكم فى الأنواع الباقية الآتى ذكرها من التجنيس والترصيع ، وغيرهما .

وسأبين لك فى هذا مثلاً تتبعه ، فأقول : إذا صَوَّرْتَ فى نفسك معنى من المعانى ، ثم أردت أن تصوغه بلفظ مسجوع ، ولم يأتك ذلك إلا بزيادة فى ذلك اللفظ ، أو نقصان منه ، ولا يكون محتاجاً إلى الزيادة ولا إلى النقصان ، وإنما تفعل ذلك لأن المعنى الذى قصدته يحتاج إلى لفظ يدل عليه ، وإذا دلت بذلك اللفظ لا يكون مسجوعاً إلا أن تُضيف إليه شيئاً آخر ، أو تنقص منه ، فإذا فعلت ذلك فإنه هو الذى يذم من السجع ، ويُستفبح ، لما فيه من التكلف والتعسف .

وأما إذا كان محمولاً على الطبع غير متكلف فإنه يجىء فى غاية الحسن ، وهو أعلى درجات الكلام ، وإذا تهيأ للكاتب أن يأتى به فى كتابته كلها على هذه الشريطة فإنه يكون قد ملك رقاب الكلم ، يستعبد كرائمها ، ويستولد عقائمتها وفى مثل ذلك فليتأنفس ، وعن مقامه فليتقاعس ، ولصاحبه أولى بقول أبى الطيب المتنبي^(١٠) :

(٩) الكرسف القطن . (١٠) من قصيدة يمدح بها أبا الفضل محمد بن العميد ، ومطلعها :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجرد معك أو جرى

أَنْتَ الْوَحِيدُ إِذَا رَكِبْتَ طَرِيقَهُ وَمَنِ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبْتَ غَضَنَفَرًا (١١)
 فَإِنْ قِيلَ : فَإِذَا كَانَ السَّجْعُ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْكَلَامِ عَلَى مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ
 يَأْتِيَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مَسْجُوعًا ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، بَلْ مِنْهُ الْمَسْجُوعُ ، وَمِنْهُ غَيْرُ الْمَسْجُوعِ ؟
 قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : إِنَّ أَكْثَرَ الْقُرْآنِ مَسْجُوعٌ ، حَتَّى أَنْ السُّورَةَ لَتَأْتِيَ جَمِيعُهَا
 مَسْجُوعَةً . وَمَا مَنَعَ أَنْ يَأْتِيَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مَسْجُوعًا إِلَّا أَنَّهُ سَلَكَ بِهِ مَسْلَكَ الْإِيجَازِ
 وَالْإِخْتِصَارِ ، وَالسَّجْعُ لَا يُؤَاتِي فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى حَدِّ الْإِيجَازِ وَالْإِخْتِصَارِ ،
 فَتُرِكَ اسْتِعْمَالُهُ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ لِهَذَا السَّبَبِ .

وَهَاهُنَا وَجْهٌ آخَرُ هُوَ أَقْوَى مِنَ الْأَوَّلِ ، وَلِذَلِكَ ثَبَتَ أَنَّ الْمَسْجُوعَ مِنَ الْكَلَامِ أَفْضَلُ
 مِنْ غَيْرِ الْمَسْجُوعِ ، وَإِنَّمَا تَضَمَّنَ الْقُرْآنُ غَيْرَ الْمَسْجُوعِ لِأَنَّ وَرُودَ غَيْرِ الْمَسْجُوعِ مُعْجَزًا
 أَبْلَغُ فِي بَابِ الْإِعْجَازِ مِنْ وَرُودِ الْمَسْجُوعِ . وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَضَمَّنَ الْقُرْآنُ الْقِسْمَيْنِ
 جَمِيعًا .

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْسَّجْعِ سِرًّا هُوَ خِلَاصَتُهُ الْمَطْلُوبَةُ ، فَإِنْ عُرِيَ الْكَلَامُ الْمَسْجُوعُ مِنْهُ فَلَا
 يَعْتَدُّ بِهِ أَصْلًا .

وَهَذَا شَيْءٌ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرِي ، وَسَائِبِي هَاهُنَا ، وَأَقُولُ فِيهِ قَوْلًا هُوَ أَبْيَنُ مِمَّا
 تَقْدَمُ ، وَأَمْثَلُ لَكَ مَثَالًا إِذَا حَدَّثْتَهُ أَمِنْتَ الطَّاعِنَ وَالْعَائِبَ ، وَقِيلَ فِي كَلَامِكَ : لِيَبْلُغَ
 الشَّاهِدُ الْغَائِبَ .

وَالَّذِي أَقُولُهُ فِي ذَلِكَ هُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ السَّجْعَتَيْنِ الْمُزْدَوَجَتَيْنِ مُشْتَمِلَةً
 عَلَى مَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا ، فَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى فِيهَا سَوَاءً فَذَلِكَ هُوَ
 التَّطْوِيلُ بَعِيْنُهُ ، لِأَنَّ (التَّطْوِيلَ) إِنَّمَا هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى الْمَعْنَى بِالْفَافِ يُمْكِنُ الدَّلَالَةُ عَلَيْهِ
 بِدُونِهَا . وَإِذَا وَرَدَتْ سَجْعَتَانِ تَدْلَانِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدَةٍ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا كَافِيَةً فِي الدَّلَالَةِ
 عَلَيْهِ ، وَجَلَّ كَلَامُ النَّاسِ الْمَسْجُوعِ جَارٍ عَلَيْهِ .

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ كِتَابَةَ الْمُفْلِقِينَ مِمَّنْ تَقْدَمُ ، كَالصَّابِي وَابْنِ الْعَمِيدِ وَابْنِ عَبَّادٍ ، وَفُلَانٍ

(١١) الديوان ١٦٧/٢ وروايته « ارتكبت » موضع « ركب » يقول : أنت في كل أمر تفعله فرد لا يقدر أحد
 أن يتبعك فيه ، كراكب الأسد لا يقدر أحد أن يتبعه ، ولا أن يكون رديفًا له .

وفلان ، فإنك ترى أكثر المسجوع منه كذلك ، والأقل منه على ما أشرت إليه .
ولقد تصفحت المقامات الحريّة والخطب النبائيّة على غرام الناس بهما وإكبابهم
عليها ، فوجدت الأكثر من السجع فيها على الأسلوب الذي أنكرته .

فالكلام المسجوع إذاً يحتاج إلى أربع شرائط :
الأولى : اختيار مفردات الألفاظ على الوجه الذي أشرت إليه فيما تقدّم .
الثانية : اختيار التركيب على الوجه الذي أشرت إليه أيضاً فيما تقدّم .
الثالثة : أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعاً للمعنى ، لا المعنى تابعاً للفظ .
الرابعة : أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى
الذي دلت عليه أختها .

فهذه أربع شرائط لا بدّ منها .
وسأورد هاهنا من كلامي أمثلة يُحذَى حذوها ، فإنّي لما سلكت هذه الطريق ،
وأنتيت بكلامي مسجوعاً توخيت أن تكون كل سبعة منه مختصةً بمعنى غير المعنى الذي
تضمنته أختها ، ولم أخل بذلك في مكاتباتي كلها ، وإذا تأملتّها علمت صحة ما قد
ذكرته .

فمن ذلك ما كتبه في صدر كتاب عن بعض الملوك إلى دار الخلافة ، وهو :

الخادم واقفٌ موقفَ راجٍ هائب ، لازمٌ بكتابه هذا وقارٌ حاضر عن شخص
غائب ، موجهٌ وجهه إلى ذلك الجناب الذي تُقسّم فيه أرزاق العباد ، ويتأدّب به
الزمان تأدّب ذوى الاستعباد ، وتستمدّ الملوك من خدمته شرف الجدود ، كما تستغني
بنسبها إليه عن شرف الأجداد ، ولو ملك الخادم نفسه لقصرها على خدمة قصره ،
وأخطأها من النظر إليه ببرد العيش الذي عمرها محسوبٌ من عمره ، وهذا القول يقوله
وكل ماجدٍ فيه حاسدٍ ، ويتأمله راعٍ ساجد . والديوان العزيز محسود الاقتراب ، وهو
موطن الرغبات الذي الاغتراب إليه ليس بالاغتراب ، وما ينافس في القرب من أبوابه

الكريمة إلا ذُوو الهِمَمِ الكريمة ، وقد وَدَّت الكواكبُ بأسْرِها أن تكونَ له مُنَادِمَةً فضلاً
عن نَدْمَانِي جَذِيمة » (١٢)

ومن ذلك ما كتبه من كتاب يتضمن العناية ببعض الناس ، وهو :

« الكريمُ مَنْ أَوْجَبَ لِسَائِلِهِ حقًّا ، وَجَعَلَ كَوَازِبَ آمَالِهِ صِدْقًا ، وَكَانَ خَرَقُ
العطايا مِنْهُ خُلُقًا ، وَلَمْ يَرَبِّينَ ذِمِّمِهِ وَبَيَّنَ رَحِمِهِ فَرْقًا . وَكُلُّ ذَلِكَ موجودٌ فِي كَرَمِ مولانا
أَجْرَاهُ الله مِنْ فَضْلِهِ عَلَى وَتِيرَةٍ ، وَجَعَلَ هِمَمِهِ عَلَى تَمَامِ كُلِّ نَقْصٍ قَدِيرَةٍ ، وَأَوْطَأَهُ مِنْ
كُلِّ مَجْدٍ سِريراً كَمَا بَوَّاهُ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ سَرِيرَةٍ ، وَلَا زَالَتْ يَدُهُ بِالْمَكَارِمِ جَدِيرَةٍ ، وَمِنْ الْآيَامِ
مُجْبِرَةٍ ، وَلِضْرَائِرِهَا مِنَ الْبَحَارِ وَالسَّحَابِ مُعِيرَةٍ ، وَلَا بَرَحَتْ تَسْتَوْلِدُ عَقَائِمَ الْمَعَانِي .
وَتَسْتَجِدُّ أُنْيَتَيْهَا ، حَتَّى تَشْهَدَ النَّاسَ مِنْهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ عَقِيْقَةً أَوْ وَكِيْرَةً (١٣) ، وَمِنْ صِفَاتِ
كَرَمِهِ أَنَّهُ يَسْبِكُ الْأَمْوَالَ مَآثِرَ ، وَيَتَّخِذُهَا عِنْدَ السُّؤَالِ ذَخَائِرَ ، فَهِيَ تَفْنَى لَدَيْهِمْ
بِالْإِنْفَاقِ ، وَذَكَرَهَا عَلَى مُرُورِ الْآيَامِ بَاقٍ ، وَمَنْ أَرْبَحَ مِنْهُ صَفَقَةٌ وَقَدْ بَاعَ صَامِتًا بِنَاطِقٍ ،
وَمَا هُوَ مُرَضٌّ لِحَوَادِثِ السَّرَقَاتِ بِمَا لَا تَصِلُ إِلَيْهِ يَدُ سَارِقٍ ؟ وَمِثْلُهُ مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا ،
فَرَغِبَ عَنْ اقْتِنَائِهَا ، وَجَدَّ فِي ابْتِنَاءِ الْحَمَامِدِ بِهِدْمِ بِنَائِهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ مَالَهَا لَيْسَ عِنْدَ
الضُّمْنِ بِهِ إِلَّا أَحْجَارًا ، وَأَنْ غِنَاهُ مِنْهَا لَا يَزِيدُهُ إِلَّا افْتِقَارًا ، فَهُوَ لِمَالِهِ عَبْدٌ يَخْدُمُهُ وَلَا
يَسْتَعْدِمُهُ ، وَأُمُّ تُرْضِعُهُ بِسَعِيْهَا وَلَا تَفْطُمُهُ » :

(١٢) نديما جذيمة ، يضرب بها المثل في طول الصبحة ، كما يضرب بالفرقدين وابني شام - جبلان في ديار
بنى تميم - وتخلقي حلوان ، وكان جذيمة الوضاح الملك لا ينادم أحداً ذهاباً بنفسه وكان يقول : أنا أعظم من أن
أنادم أحداً إلا الفرقدين ، وكان يشرب كأساً ، ويصب لكل منها كأساً . فلما أتاه مالك وعقيل بابن أخته عمرو ،
صاحب الطوق الذى استهوته الجن ، قال لهما : ما حاجتكما ؟ قال : منادمتك ! فنادمها أربعين سنة ، كانا
يحادثانه ، وما أعادا عليه حديثاً قط ، حتى فرق بينهما الدهر ، وفيها يقول الشاعر :

ألم تعلم أن قد تفرق قبلنا نديما صفاء مالك وعقيل

ويقول متمم بن نويرة في أخيه مالك وهو من الأمثال السائرة :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكنا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

(١٣) العقيقة الشاة التى تذبح عند خلق شعر المولود ، أو الطعام الذى يدعى إليه حينئذ ، والوكيرة طعام

يعمل لفراغ البنيان .

ومنه ما كتبه في جواب كتاب يتضمن إباق غلام ، وهو أول كتاب ورد من المكتوب عنه إلى المكتوب إليه ، فقلت :

« وأما الإشارة الكريمة في أمر الغلام الآبق عن الخدمة فقد يقرُّ المهر من عليقه ، ويطير الفراش إلى حريقه ، وغير بعيد أن ينبو به مضجعه ، أو يكبو به مطمعه ، فيرجع وقد حمد من رجوعه مادمه من ذهابه ، وعلم أن الغنيمة كل الغنيمة في إيايه ، فاكل شجرة تملو لذائقها ، ولا كل دار ترحب بطارقها ، ومن أبق عن مولاه مغاضبا ، وجانب محل إحسانه الذي لم يكن له مجانبا ، فإنه يجد من مفارقة الإحسان ما يجده من مفارقة معاهد الأوطان . وهل أضل سعيًا ممن دفع في صدر العافية ، وغدا يسأل عن الأسقام ، وألقى الثروة من يده ومضى في طلب الإعدام ؟ ومع هذا فإن الخادم يشكره على ذنب الإباق الذي أقدم على اجتراحه ، وليس ذلك إلا لأنه صار سببا لافتتاح باب المكاتبة الذي لم يطمع في افتتاحه ، ولا جزاء له عنده إلا السعي في إعادته إلى الخدمة التي تقلب في إنشائها ، وهي أبرُّه من أمه التي تقلب في أحشائها ، ومن فضلها أنها تلقاه من حلمها بوسيلة الشافع ، ومن كرمها بالوجه الضاحك والفضل الواسع » .

فانظر أيها المتأمل إلى هذه الأسجاع جميعها ، وأعطها حق النظر ، حتى تعلم أن كل واحدة منها تختص بمعنى ليس في أختها التي تليها . وكذلك فليكن السجع ، وإلا فلا !

[من سجع الصابي]

وسأورد هاهنا من كلام الصابي ما ستره .

فمن ذلك تحميد في كتاب ، فقال (١٤) :

« الحمد لله الذي لا تدرُّكه الأعين بالحاظها ، ولا تحده الألسن بالفاظها ، ولا تخلقه العصور بمرورها ، ولا تهزمه الدهور بكرورها (١٥) » .

(١٤) المختار من رسائل أبي إسحاق الصابي ١٣/١ .

(١٥) اختصر ابن الأثير كلاما كثيرا ، وفي المختار « الفاعل لا عن مادة استمدها ، الصانع لا بآلة استعملها ،

الذي لا تدرُّكه الأعين ... الخ .

ثم انتهى إلى الصلاة على النبي ﷺ ، فقال : « لَمْ يَرِ لِلْكَفْرِ ^(١٦) أَثَرًا إِلَّا طَمَسَهُ وَمَحَاهُ ، وَلَا رَسْمًا إِلَّا أَزَالَهُ وَعَفَاهُ » .

ولا فرق بين مرور العصور وكُرُورِ الدهُور . وكذلك لا فرق بين محو الأثر وعفاء الرّسم .

ومن كلامه أيضا في كتاب ، وهو ^(١٧) :

« وقد عَلِمْتَ ^(١٨) أَنَّ الدولة العباسية لم تزلْ على سالفِ الأيام ، ومتعاقب ^(١٩) الأَعوام تَعْتَلُ طَوْرًا وتصحُّ أَطْوَارًا ، وتَلْتَأُثُ ^(٢٠) مَرَّةً ، وتَسْتَقِلُّ مَرَارًا ، من حيث أَصلُها راسخٌ لا يَتَرَعَّزُ ، وبنيانها ثابتٌ لا يَتَضَعُّعُ » .

وهذه الأسجاعُ كُلُّها متساويةُ المعاني ، فَإِنَّ الاعتلالَ ، والالتيات ، والطَّورَ ، والمَرَّةَ ، والرُّسوخَ ، والثبات ، كلُّ ذلك سواءٌ .

وكذلك ورد له في جملة كتاب كتبه عن عز الدولة بن بويه جواباً عن كتاب وصله من الأمير عبد الكريم بن المطيع لله ، فقال :

« وصلني كتابه مفتتحاً من الاغتراء إلى إمارة المؤمنين . والتقلدُ لأُمُور المسلمين بما أعراقُه الزكية مجوزة لاستمراره ، وأرومته العلية مُسوغة لاستقراره ، له ولكلّ نجيبٍ أَخَذَ بِحِظِّهِ من نسبهِ ، وضاربٍ بِسَهْمٍ في مَنْصِبِهِ ، إِذْ كَانَ ذلك جارباً على الأصولِ المنعُودةِ فيه ، والأسبابِ العاقدةِ له من إجماع المؤمنين كَافَّةً ، فَإِنْ تعذر اجتماعُهم مع انبساطهم في الأرض ، وانتشارهم في الطول والعرض ، فلا بد من اتفاقِ أشرافِ كلِّ قُطْرٍ وأفاضله ، وأَعْيَانِ كلِّ صُقْعٍ وَأَمَائِلِهِ » .

وهذا الكلام كُلُّه مماثلُ المعاني في أسجاعِهِ ، فَإِنْ إمارة المؤمنين ، والتقلدُ لأُمُورِ

(١٦) المختار ١٧/١ . وفيه « .. ولا يرى للكفر أثراً .. الخ » .

(١٧) المختار من رسائل أبي إسحاق الصائبي ٢١٦/١ .

(١٨) حذف ابن الأثير بعض العبارات . وفي المختار « وقد علمت وعلم غيرك ببيان ما أدركته الأعمار . وسماح مانقلته الأخبار . أن الدولة العباسية التي رفع الله عماد الحق بها . وخفض منار الباطل .. الخ » .

(١٩) في الأصل « معاقب » والصواب عن المختار . (٢٠) تلتأت تختلط .

المسلمين سواء في المعنى . وكذلك الأعراق والأرومة ، والتجويز والتسويغ ، والأشراف والأفاضل ، والأعيان والأمثال ، والقطر والصقع ، كل ذلك سواء .

وعلى هذا جاء كلامه في كتاب آخر ، فقال :

« يَسَافِرُ رَأْيُهُ وَهُوَ دَانٍ لَمْ يَتَّخِ ، وَيَسِيرُ تَدْبِيرُهُ وَهُوَ ثَاوٍ لَمْ يَبْرَحْ » .
وكلاماً هذين سواء أيضاً . وما أحسن هذا المعنى لو قال : « يُسَافِرُ رَأْيُهُ وَهُوَ دَانٍ لَمْ يَبْرَحْ ، وَيُتَّخِذُ الْعِرَاحَ فِي عَدُوِّهِ وَسَيْفُهُ فِي الْغِمْدِ لَمْ يَجْرَحْ » . فإنه لو قال مثل هذا سلم من هُجْنَةِ التَّكْرَارِ .

وأمثال ذلك في كلام الصَّابِي كثير ، وعلى منواله نَسَجَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ [من سجع الصاحب بن عباد]

فمن ذلك ما ذكره في وصف مهزومين ، فقال :
« طَارُوا وَاقَيْنَ بظهورهم صُدُورَهُمْ ، وبأصلاهم نُحُورَهُمْ » .
وكلام المعنيين سواء .

وكذلك قوله في هذا الكتاب يصف ضيق مجال الحرب :

« مَكَانٌ ضَنْكٌ عَلَى الْفَارِسِ وَالرَّاجِلِ ، ضَيْقٌ عَلَى الرَّامِحِ وَالنَّابِلِ (٢١) »

ومن كلامه في كتاب وهو :

« لَا تَتَوَجَّهْ هِمَّتُهُ إِلَى أَعْظَمِ مَرْقُوبٍ إِلَّا طَاعَ وَدَانَ ، وَلَا تَمْتَدَّ عَزِيمَتُهُ إِلَى أَفْخَمِ مَطْلُوبٍ إِلَّا كَانَ وَاسْتَكَانَ » .
وكلُّ هذا الذي ذكره شيء واحد .

وله من كتاب ، وهو :

« وَصَلَ كِتَابُهُ جَامِعاً مِنَ الْفَوَائِدِ أَشَدَّهَا لِلشَّكْرِ اسْتِحْقَاقاً ، وَأَتَمَّهَا لِلْحَمْدِ اسْتِغْرَاقاً

(٢١) الرامح ذو الرمح . والنابل الذي يرمى بالنبل .

وَتَعَرَّفْتُ مِنْ إِحْسَانِ اللَّهِ فِيهَا وَقَرَهُ مِنْ سَلَامَتِهِ ، وَهَنَاهُ مِنْ كَرَامَتِهِ ، أَنْفَسَ مُوْهُوبٍ وَمَطْلُوبٍ ، وَأَحْمَدَ مَرْقُوبٍ وَمَخْطُوبٍ .

وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا ثَلُّهُ بِالْمَعْنَى ، مِثْلَهِ الْأَلْفَاظِ .

وَفِيهَا أَوْرَدْتُهُ هَاهُنَا مُقْنِعٌ .

فَأَنْعِمُ نَظْرَكَ أَيُّهَا الْوَاقِفُ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ فِيمَا بَيَّنَّتهُ لَكَ ، وَوَضَعْتُ يَدَكَ عَلَيْهِ ، حَتَّى تَعْلَمَ كَيْفَ تَأْتِي بِالْمَعْنَى فِي الْأَلْفَاظِ الْمَسْجُوعَةِ . وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّكَ اشْتَرَطْتَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفِقْرَتَيْنِ فِي الْكَلَامِ الْمَسْجُوعِ دَالَّةً عَلَى مَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهِ أَخْتَهَا ، وَإِنَّمَا اشْتَرَطْتَ هَذِهِ الشَّرِيطَةَ فِرَاراً مِنْ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَيَانِ شَيْئاً وَاحِداً ، وَنَرَى قَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَفْظَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدَةٍ فِي آخِرِ إِحْدَى الْفِقْرَتَيْنِ الْمَسْجُوعَتَيْنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا (٢٢) » . وَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ ؟ !

قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : لَيْسَ هَذَا كَالَّذِي اشْتَرَطْتَهُ أَنَا فِي اخْتِصَاصِ كُلِّ فِقْرَةٍ بِمَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي اخْتِصَّصْتُ بِهِ أَخْتَهَا ، وَإِنَّمَا هَذَا هُوَ إِيرَادُ لَفْظَتَيْنِ فِي آخِرِ إِحْدَى الْفِقْرَتَيْنِ بِمَعْنَى وَاحِدَةٍ . وَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ ، لِمَكَانِ طَلَبِ السَّجْعِ .

أَلَا تَرَى أَنَّ أَكْثَرَ هَذِهِ السُّورَةِ الَّتِي هِيَ سُورَةُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ مَسْجُوعَةٌ عَلَى حَرْفِ الْيَاءِ ، وَهَذَا يَجُوزُ لِصَاحِبِ السَّجْعِ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ ، وَهُوَ بِخِلَافِ مَا ذَكَرْتُهُ أَنَا ؟ أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ غَيَّرَ اللَّفْظَةَ عَنْ وَضْعِهَا طَلَباً لِلْسَّجْعِ ، فَقَالَ « مَازُورَاتٍ » وَإِنَّمَا هِيَ « مَوْزُورَاتٍ » ؟ وَقَالَ : « الْعَيْنُ اللَّامَةُ » وَإِنَّمَا هِيَ « الْمُلِمَّة » ؟ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِي ذَلِكَ زِيَادَةٌ مَعْنَى ، بَلْ يُفْهَمُ مِنْ لَفْظَةِ « مَازُورَاتٍ » أَنَّهَا قَائِمَةٌ مَقَامَ « مَوْزُورَاتٍ » ، وَكَذَلِكَ يُفْهَمُ مِنْ لَفْظَةِ « اللَّامَةُ » أَنَّهَا بِمَعْنَى « مُلِمَّة » ؟

فَالسَّجْعُ قَدْ أُجِيزَ مَعَهُ تَغْيِيرُ وَضْعِ اللَّفْظَةِ ، وَأُجِيزَ مَعَهُ أَنْ يُورَدَ لَفْظَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدَةٍ فِي آخِرِ إِحْدَى الْفِقْرَتَيْنِ . وَمَعَ هَذَا فَلَمْ يُجَزَّ فِي اسْتِعْمَالِهِ أَنْ يُورَدَ فِقْرَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدَةٍ ، لِأَنَّهُ تَطْوِيلٌ مَحْضٌ لَا فَائِدَةَ فِيهِ .

وَيَبِّينَ الَّذِي ذَكَرْتُهُ أَنْتَ وَيَبِّينَ الَّذِي ذَكَرْتُهُ أَنَا فَرَقُ ظَاهِر.

وَالَّذِي قَدَّمْتُهُ مِنَ الْأَمْثَلَةِ الْمُسْجُوعَةِ لِلصَّابِي وَالصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ رَمَّا كَانَتْ يَسِيرَةً
أَتَهُمْ فِيهَا بِالتَّعَصُّبِ ، وَيُقَالُ إِنِّي التَّقَطُّطُهَا التَّقَاطُطُ مِنْ جُمْلَةِ رَسَائِلِهَا !
وَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ عَهْدَةِ هَذِهِ التَّهْمَةِ ، وَذَاكَ أَنِّي وَجَدْتُ لِلصَّابِي تَقْلِيدًا بِنَقَابَةِ
الْأَشْرَافِ الْعُلَوِيِّينَ بِيَعْدَادٍ ، وَكُنْتُ أَنْشَأْتُ تَقْلِيدًا بِنَقَابَةِ الْأَشْرَافِ الْعُلَوِيِّينَ بِالْمَوْصِلِ ،
وَقَدْ أَوْرَدْتُ التَّقْلِيدَيْنِ هَاهُنَا ، لِيَتَأَمَّلَهَا النَّاطِرُ فِي كِتَابِي هَذَا ، وَيَحْكُمَ بَيْنَهُمَا إِنْ كَانَ
عَارِفًا ، أَوْ يَسْأَلُ عَنْهَا الْعَارِفَ إِنْ كَانَ مُقَلِّدًا .

[تَقْلِيدُ الصَّابِي] .

وَقَدْ أَوْرَدْتُ تَقْلِيدَ الصَّابِي أَوَّلًا ، لِأَنَّهُ الْمَقْدَمُ زَمَانًا وَفَضْلًا ، وَهُوَ :
« هَذَا مَا عَهَدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى الْعُلَوِيِّ الْمَوْسَوِيِّ حِينَ
وَصَلَتْهُ بِهِ الْأَنْسَابُ ، وَتَأَكَّدَتْ لَهُ الْأَسْبَابُ ، وَظَهَرَتْ دَلَائِلُ عَقْلِهِ وَلُبَّائِيَّتِهِ ،
وَوَضَحَتْ مَخَايِلُ فَضْلِهِ وَنَجَابَتِهِ . وَمَهَّدَ لَهُ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ وَضِيَاءُ الْمَلَةِ أَبُو نَصْرِ بْنِ عَضَدِ
الدَّوْلَةِ وَتَاجِ الْمَلَّةِ ، مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا مَكَّنَ لَهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَحَلِّ الْمَكِينِ ،
وَوَصَفَهُ بِهِ مِنَ الْحِلْمِ الرَّزِينِ ، وَأَشَارَ بِهِ فِيهِ مِنْ رَفْعِ الْمَنْزِلَةِ ، وَتَقْدِيمِ الْمَرْتَبَةِ
وَالْتَأْهِيلِ لَوْلَايَةِ الْأَعْمَالِ ، وَالْحَمَلِ لِلْأَعْبَاءِ الثَّقَالِ ، وَحَيْثُ رَغَبَ فِيهِ سَابِقَةُ الْحُسَيْنِ
أَبِيهِ فِي الْخِدْمَةِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَالْمَوَاقِفِ الْحَمُودَةِ ، وَالْمَقَامَاتِ الْمَشْهُودَةِ ، الَّتِي طَابَتْ بِهَا
أَخْبَارُهُ ، وَحُسُنَتْ فِيهَا آثَارُهُ . وَكَانَ مُحَمَّدٌ مُتَخَلِّقًا بِخَلَائِقِهِ ، وَذَاهِبًا فِي طَرَائِقِهِ ،
عِلْمًا وَدِيَانَةً ، وَوَرَعًا وَصِيَانَةً ، وَعَقَّةً وَأَمَانَةً ، وَشَهَامَةً وَصَرَامَةً ، بِالْحِظِّ الْجَزِيلِ مِنَ
الْفَضْلِ الْجَمِيلِ ، وَالْأَدَبِ الْجَزْلِ ، وَالتَّوَجُّهِ فِي الْأَهْلِ ، وَالْإِيْفَاءِ بِالْمُنَاقِبِ عَلَى لِدَائِهِ
وَأَتْرَائِهِ ، وَالْإِبْرَارِ عَلَى قَرَائِبِهِ وَأَضْرَائِهِ ، فَقَلَدَهُ مَا كَانَ دَاخِلًا فِي أَعْمَالِ أَبِيهِ مِنْ نِقَابَةِ
نُقَبَاءِ الطَّالِبِينَ أَجْمَعِينَ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ ، وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ وَالْأَمْصَارِ ، شَرْقًا وَغَرْبًا ،
وَبُعْدًا وَقُرْبًا . وَاخْتَصَصَهُ ذَلِكَ جَذْبًا بِصَنْعِهِ ، وَإِنَافَةً بِقَدَرِهِ ، وَقَضَاءً لِحَقِّ رَحِمِهِ ،
وَتَرْفِيًا لِأَبِيهِ ، وَإِسْعَافًا لَهُ ، بِإِيثارِهِ فِيهِ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاسْتِخْلَافَهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّظَرِ فِي
الْمَظَالِمِ ، وَتَسْيِيرِ الْحَجِيجِ فِي الْمَوَاسِمِ . وَاللَّهُ يُعَقِّبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا أَمَرَ وَدَبَّرَ حُسْنَ

العاقبة فيما قضى وأمضى . وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل ، وإليه يُنيب
وأمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين ، وسناء الصالحين ، وعصمة عباد الله
أجمعين ، وأن يعتقدها سراً وجهراً ، ويعتمدها قولاً وفِعلاً ، يأخذ بها ويُعطى ،
ويسر بها وينوي ، ويأتي ويذر ، ويورد ويصدر ، فإنها السبب المتين ، والمعقل
الحصين ، والزاد النافع يوم الحساب ، والمسلك المفضى إلى دار الثواب . وقد
حَضَّ الله أولياءه عليها ، وهداهم في محكم كتابه إليها ، فقال عز من قائل :
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » (٢٣) .

وأمره بتلاوة كتاب الله . مواظباً ، وتصفحه مداوماً ملازماً ، والرجوع إلى
أحكامه فيما أحل وحرّم ، ونقض وأبرم ، وأثاب وعاقب ، وباعد وقارب . فقد
صحّ الله برهانه وحجّته ، وأوضح منهاجه ومجّته ، وجعله نجماً في الظلمات
طالعا ، ونوراً في المشكلات ساطعاً ، فمن أخذ به نجا وسلم ، ومن عدل عنه
هوى وندم . قال الله تعالى : « وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ » لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا
مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٢٤) .

وأمره تنزيه نفسه عما تدعو إليه الشبهات ، وتطلع إليه التبعات ، وأن يضبطها
ضبط الحليم ، ويكفها كف الحكيم ، ويجعل عقله سلطاناً عليها ، وتمييزه أمراً ناهياً لها
ولا يجعل لها عُذراً إلى صَبوة ولا هَفوة ، ولا يطلق منها عناناً عند ثَورة ولا فَورة ،
فإنها أمارة بالسوء ، مُنصبة إلى الغي ، فمن رَفَضها نجا ، ومن اتَّبَعها هوى . فالخازم
متهم عند تحريك وطره وأربه ، واهتياج غيظه ، ولا بدع أن يغضها بالشكيم ،
ويعرّكها عرك الأديم ويقودها إلى مصالحتها بالخزائم ، ويفتقدّها من مُقارفة المآثم
والمحارم ، كما يعزّ بتذليلها وتأديبها ويجلّ ، برياضها وتقويمها ، والمفرط تطمح به إذا
طمحت ، ويجمع معها إذا جمحت ، ولا يلبث أن تورده حيث لا يُصدّر ، وتلجّه
إلى أن يعتذر ، وتقيمه مقام النّادم الواجم ، وتتنكبّ به سبيل الراشد السّالم .

(٢٣) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٢٤) سورة فصلت : الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

وأحقُّ مَنْ تحلى بالمحاسن ، وتصدَّى لاكتساب المحامدِ مَنْ ضربَ بمثل سَهْمِهِ فِي
نسبِ أميرِ المؤمنينَ الشريف ، ومنصبِهِ المنيف ، واجتمع معه في ذُؤَابَةِ العِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ ،
واستظلَّ بأوراقِ الدَّوْحَةِ الفَاخِرَةِ ، فذلكَ الذي تتضاعفُ بِهِ المآثرُ إن آثرَهَا . . والمثالبُ
إنَّ أَسْفَإً إِلَيْهَا . ولا سِوَا مَنْ كَانَ مندوباً بِالسِّيَاسَةِ ، ومرشَّحاً للتقليدِ عَلَى أَهْلِهِ ، إِذْ لَيْسَ
يَفْقِي بِالصَّلَاحِ مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَفْقِي بِالصَّلَاحِ مَا بَيْنَ جَنْبَيْهِ . وَمِنْ أَعْظَمِ الهُجْنَةِ عَلَيْهِ
أَنْ يَأْمُرَ وَلَا يَأْتِمِرَ ، وَيَزْجُرَ وَلَا يَزْدَجِرَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٢٥) » .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَصَفَّحَ أَحْوَالَ مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِمْ ، مِنْ اسْتِقْرَاءِ مَذَاهِبِهِمْ ، وَالْبَحْثِ عَنْ
بُوَاطِنِهِمْ وَدَخَائِلِهِمْ ، وَأَنْ يَعْرِفَ مَنْ تَقَدَّمَتْ قَدَمُهُ مِنْهُمْ وَتَظَاهَرَ فَضْلُهُ فِيهِمْ مِثْلَتَهُ ،
وَيُوفِيَهُ حَقَّهُ وَزِينَتَهُ ، وَيَنْتَهِيَ فِي إِكْرَامِ جَمَاعَتِهِمْ إِلَى الْحُدُودِ الَّتِي تُوجِبُهَا أَنْسَابُهُمْ
وَأَقْدَارُهُمْ ، وَتَقْتَضِيهَا مَوَاقِعُهُمْ وَأَخْطَارُهُمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَلْزِمُهُ لِسِتِّيْنِ :
أَحَدُهُمَا يَخْصُهُ ، وَهُوَ النِّسْبُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ .

وَالْآخَرُ يَحْمِلُهُ وَالْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » (٢٦) . فَالْمَوَدَّةُ لَهُمُ الْإِعْظَامُ لِأَكْبَارِهِمْ ، وَالِاسْتِهَالُ عَلَى أَصَاغِرِهِمْ
وَاجِبٌ مُتَضَاعَفٌ الْوُجُوبِ عَلَيْهِ ، مُتَأَكِّدُ الزُّورِ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي دَوْنِ تِلْكَ
الطَّبَقَةِ مِنْ أَحْدَاثٍ لَمْ يَحْتَنِكُوا عَلَيْهِ : وَجَدَعَانِ لَمْ يَقْرَحُوا ، وَمُجْرِينَ إِلَى مَا يُزْرَى
بَأَنْسَابِهِمْ ، وَيَغْضُ مِنْ أَحْسَابِهِمْ عَذْلَهُمْ ، وَأَنْبَهُمْ ، وَنَهَاهُمْ ، وَوَعِظَهُمْ ، فَإِنْ نَزَعُوا
وَأَقْلَعُوا فَذَلِكَ الْمَرَادُ بِهِمْ ، وَالْمَقْصِدُ فِيهِمْ ، وَإِنْ أَصْرُوا وَتَتَابَعُوا أَنَا لَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ بِقَدْرِ
مَا يَكْفُ وَيُرَدِّعُ ، فَإِنْ نَفَعَ وَإِلَّا تَجَاوَزَهُ إِلَى مَا يُلْدَغُ وَيُوجَعُ ، مِنْ غَيْرِ تَطَرُّقٍ لِأَعْرَاضِهِمْ ،
وَلَا امْتِهَانٍ لِأَحْسَابِهِمْ ، فَإِنَّ الْغَرَضَ مِنْهُمْ الصِّيَانَةَ لَا الْإِهَانَةَ ، وَالْإِدَالَةَ لَا الْإِذَالَهَ . وَإِذَا
وَجِبَتْ عَلَيْهِمُ الْحَقُوقُ ، أَوْ تَعَلَّقَتْ بِهِمْ دَوَاعِي الْخُصُومِ فَادَّعَوْهُمْ إِلَى الْإِغْفَاءِ بِمَا يَصَحُّ مِنْهَا
وَيَجِبُ ، وَالْخُرُوجُ إِلَى سِنَنِ الْحَقِّ فِيمَا يَشْتَبِهُ وَيَلْتَبِسُ . وَمَتَى لَزِمَتْهُمْ الْحُدُودُ أَقَامَهَا عَلَيْهِمْ
بِحَسَبِ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا ، بَعْدَ أَنْ تَثَبَّتِ الْجَرَائِمُ وَتَصَحَّحَتْ . وَتَبَيَّنَ وَتَضَحَّحَ ، وَتَتَجَرَّدَ

عن الشك ، وتَجَلَّى مِنَ الظَّنِّ وَالتُّهْمَةِ ، فَإِنَّ الَّذِي يُسْتَحَبُّ فِي حُدُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَذَرًا مَعَ نُقْصَانِ الْيَقِينِ وَالصَّحَّةِ ، وَأَنْ تَمْضِيَ عَلَيْهِمْ مَعَ قِيَامِ الدَّلِيلِ وَالْبَيِّنَةِ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ « وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » (٢٧) .

وَأَمْرُهُ بِحِطَاةِ أَهْلِ النَّسَبِ الْأَطْهَرِ ، وَالشَّرَفِ إِلَّا فُخْرَ عَنْ أَنْ يَدْعِيَهُ الْأَدْعِيَاءُ ، أَوْ يَدْخُلَ فِيهِ الدُّخْلَاءُ ، وَمَنْ انْتَمَى إِلَيْهِ كَاذِبًا ، أَوْ انْتَحَلَهُ بَاطِلًا ، وَلَمْ يُوجَدْ لَهُ بَيْتٌ فِي الشَّجَرَةِ ، وَلَا مِصْدَاقٌ عِنْدَ النَّسَائِينَ الْمَهْرَةِ ، أَوْقَعَ بِهِ كَذِبُهُ وَفُسَقَهُ ، وَشَهَرَهُ شُهْرَةً يَنْكَشِفُ بِهَا غِشُّهُ وَلِبْسُهُ ، وَيَزَعُ بِهَا غَيْرَهُ مِمَّنْ تُسَوَّلُ لَهُ ذَلِكَ نَفْسُهُ .

وَأَنْ يُحْصِنَ الْفُرُوجَ عَنْ مُنَاكَحَةِ مَنْ لَيْسَ كَقَوَّالِهَا فِي شَرَفِهَا وَفَخْرِهَا ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ فِي الْمَرْأَةِ الْحَسْبِيَّةِ النَّسَبِيَّةِ إِلَّا مَنْ كَانَ مِثْلًا لَهَا مُسَاوِيًا ، وَنَظِيرًا مُوَازِيًا ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » (٢٨) وَأَمْرُهُ بِمِرَاعَةِ مُتَبَتِّلِي أَهْلِهِ وَمَتَهَجِدِيهِمْ ، وَصُلَحَائِهِمْ وَمُجَاوِرِيهِمْ ، وَأَرَامِلِهِمْ وَأَصَاغِرِهِمْ ، حَتَّى تَسْتَدَّ الْخَلَّةَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ ، وَتَدِرَّ الْمَوَادَّ عَلَيْهِمْ ، وَتَتَعَادَلَ أَقْسَاطُهُمْ فِيمَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنْ وُجُوهِ أَمْوَالِهِمْ ؛ وَأَنْ يَزُوجَ الْإِيَامَى ، وَيُرِيَّ الْيَتَامَى ، وَلِيْلِزْمَهُمُ الْمَكَاتِبَ ، فَيَتَلَقَّوْا الْقُرْآنَ ، وَيَعْرِفُوا فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانَ ، وَيَتَأَدَّبُوا بِالْآدَابِ اللَّائِقَةِ بِذَوِي الْأَحْسَابِ ، فَإِنَّ شَرَفَ الْأَعْرَاقِ مُحْتَاجٌ إِلَى شَرَفِ الْأَخْلَاقِ ، وَلَا حَمْدَ لِمَنْ شَرَفَهُ حَسَبُهُ ، وَسَخُفَ آدَبُهُ ، إِذْ كَانَ لَمْ يَكْتَسِبِ الْفَخْرَ الْحَاصِلَ بِفَضْلِ سَعْيٍ ، وَلَا طَلَبَ وَلَا اجْتِهَادٍ ، بَلْ بَصْنَعِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَزِيدِ الْمَنَّةِ عَلَيْهِ ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ لَزُومُ مَا يَلْزِمُهُ مِنْ شُكْرِهِ سُبْحَانَهُ عَلَى هَذِهِ الْعَطِيَّةِ ، وَالْإِعْتِدَادِ بِمَا فِيهَا مِنَ الْمَزِيَّةِ ، وَالْإِعْمَالِ النَّفْسِ فِي حَيَازَةِ الْفَضَائِلِ وَالْمُنَاقِبِ ، وَالتَّرَفُّعِ عَنِ الرَّذَائِلِ وَالْمُنَاقِبِ .

وَأَمْرُهُ بِإِحْجَالِ النَّيَابَةِ عَنْ شَيْخِهِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى فِيمَا أَمَرَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْتِخْلَافِهِ عَلَيْهِ مِنَ النَّظَرِ ، وَالْأَخْذِ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ ، وَأَنْ يَجْلِسَ لِلْمُرْتَفِعِينَ إِلَيْهِ جُلُوسًا عَامًا ، وَيَتَأَمَّلَ كَلَامَهُمْ تَأَمُّلًا تَامًا ، فَمَا كَانَ مِنْهَا مُتَعَلِّقًا بِالْحَاكِمِ دَرَهُ إِلَيْهِ لِيَحْمَلَ الْخُصُومَ عَلَيْهِ وَمَا كَانَ مِنْ طَرِيقَةِ الْغُشْمِ وَالظُّلْمِ وَالتَّغْلِبِ وَالْغَضَبِ قَبْضَ عَنْهُ الْيَدِ الْمُبْطِلَةِ ، وَتَبَّتْ

فيه اليد المستحقة، وتحرى في قضاياه أن تكون موافقة للعدل، ومُجانبة للخذل، فإن عادة الحكام وصاحب المظالم واحدة، وهى إقامة الحق ونصرتُه، وإيأنته وإثارته، وإنما يختلف سبيلهما في النظر إذا كان الحاكم يعمل بما ثبت عنده وظهر، وصاحب المظالم يفحص عما غمض واستتر، وليس له مع ذلك أن يرد للحاكم حكومة، ولا يعل له قضية، ولا يتعقب ما يُنفذه ويمضيه، ولا يتتبع ما يحكم به ويقضيه، والله يهديه ويوفقه، ويسدده ويرشده.

وأمره أن يسير حبيب بيت الله عز وجل إلى مقصدهم، ويخيمهم في بلداتهم، وعودتهم، ويرتبهم في مسيرهم ومسلكهم، ويرعاهم في ليلهم ونهارهم، حتى لا تنالهم شدة، ولا تصل إليهم مضرّة، وأن يريحهم في المنازل، ويوردهم المناهل، وينابو بينهم في النهل والعلل، ويمكنهم من الارتواء والاكتفاء، مُجتهداً في الصيانة لهم، ومُعذراً في الذب عنهم، ومتلوماً على متأخرهم ومتخلفهم، ومنهضاً لضعيفهم ومهيضهم، فإنهم حجاج بيت الله الحرام. وزوار قبر رسوله ﷺ: قد هجرُوا الأهل والأوطان، وفارقوا الجيرة والإخوان، وتشموا المغارم الثقال، وتعسفوا السهولة والجبال، يلبون دُعاء الله، ويُطيعون أمره. ويؤدون فرضه، ويرجون ثوابه وحقيق على المسلم أن يجرسهم متبرعاً، ويحوطهم متطوعاً. فكيف من تولى ذلك وضمينه، وتقلده واعتقه؟ قال الله تعالى: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» (٢٩) وأمره أن يراعى أمور المساجد بمدينة السلام وأطرافها وأقطارها وأكنافها، وأن يجي أموال وقفها، ويستقصي جميع حقوقها، وأن يلم شعثها، ويسد خللها بما يتحصل من هذه الوجوه قبله، لا يزيل رسماً جرى، ولا ينقص عادة كانت لها، وأن يكتب اسم أمير المؤمنين على ما يعمره منها، ويدكر اسمه بعده، بأن عمارتها جرت على يده، وصلاح أداؤه قول أمير المؤمنين في ذلك، تنوياً باسمه، وإشادة لذكركه وأن يولى ذلك من قبله من حسنت أمانته، وظهرت عفته وصيانتة، فقد قال الله جل من قائل: «إنما

يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ
فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» (٣٠)

وأمره أن يستخلف على ما يرى استخلافه عليه من هذه الأعمال في الأمصار الدانية
والنائية، والبلاد القريبة والبعيدة من يثق به من صلحاء الرجال ذوي الوفاء
والاستقلال، وأن يعهد إليهم مثل ما عهد إليه، ويعتمد عليهم مثل ما اعتمد عليه،
ويستقصي في ذلك آثارهم، ويتعرف أخبارهم، فمن وجدته محموداً قريبه، ومن
وجدته مذموماً صرفه ولم يمهله، واعتاض من ترجى الأمانة عنده، وتكون الثقة
معهوده منه، وأن يختار لكتابته وحجابه والتصرف فيما قرب منه وبعد عنه من يزيه ولا
يشينه، وينصح له ولا يغشه، ويجمله ولا يهجنه، من الطبقة المعروفة باللطف،
المتصونة عن النطف (٣١)، وجعل لهم من الأرزاق الكافية والأجرة الوافية ما يصددهم
عن المكاسب الذميمة، والمآكل الوحيمة. فليس تجب عليهم الحجة إلا مع إعطاء
الحاجة، قال الله تعالى: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ
يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى» (٣٢)

وأمره أن يكتب لمن تقوم بينته عنده، وتكشف له حجته إلى أصحاب المعارف
بالشد على يده، واتصال حقه إليه، وحسم الطمع الكاذب فيه، وقبض اليد الظالمة
عنه، إذ هم مندوبون للتصرف بين أمره ونهيه، والوقوف عند رسمه وحده.
وهذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته لك وعليك، قد أبان منه سبيلك، وأوضح
دليلك، وهذاك لرشدك. وجعلك على بينة من أمرك فاعمل به، ولا تخالفه. وAntه
إليه، ولا تجاوزه، وإن عرض لك عارض يعجزك الوفاء به، ويشتبه عليك الخروج
منه أنهيته إلى أمير المؤمنين مبادراً، وكنت إلى ما يأمرك به صائراً، إن شاء الله تعالى.

(٣٠) سورة التوبة : الآية ١٨ .

(٣١) يقال نطف أى اتهم بريية ونلطف بعب وفسد ، ويقال نطف فلانا فذفه بفجور أو لطمحه بعب .

(٣٢) سورة النجم : الآيات ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ .

[التقليد بأسلوب ابن الأثير]

وأما التقليد الذي أنشأته أنا فقد أوردته بعد هذا التقليد ، وهو :

« أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ كُلَّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أَجْذَمٌ ، وَكُلُّ كِتَابٍ لَا يُرْقَمُ بِاسْمِهِ فَلَيْسَ بِمُعْلَمٍ ، وَعَلَى هَذَا فَإِنْ حَمَدَهُ يَتَنَزَّلُ مِنَ الْكَلَامِ مِثْلُ الْأَعْضَاءِ مِنَ الْأَجْسَامِ ، وَاسْمُهُ يَتَنَزَّلُ مِنَ الْكِتَابِ مِثْلُ الرُّقُومِ مِنَ الثِّيَابِ ، وَقَدْ جَمَعْنَا فِي كِتَابِنَا هَذَا بَيْنَ التَّسْمِيَةِ وَالتَّحْمِيدِ ، وَجَعَلْنَا إِحْدَاهُمَا مِفْتَاحًا لِلتَّيْمَنِ ، وَالْآخَرَ سَبِيلاً لِلزَّيْدِ ، ثُمَّ رَدَفْنَاهُمَا بِالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَيْدَهُ اللَّهُ بِالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ ، وَجَعَلَ شَهَادَتَهُ قَبْلَ كُلِّ شَهِيدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ . وَمَا يَقْتَرِنُ بِهَذِهِ الصَّلَاةِ فِي ثَوَابِهَا ، وَيَجِيءُ عَلَى أَعْقَابِهَا النَّظَرُ فِي أَمْرِ الْأُسْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي وَصَلَ وَوَدَّهَا بَوَدُّهُ ، وَجَعَلَهَا إِحْدَى الثَّقَلَيْنِ الْمُخْلِفينَ مِنْ بَعْدِهِ (٣٣) . وَقَدْ تَقَادَمَ الْآنَ زَمَانُهَا . وَتَشَعَّبَتْ أَغْصَانُهَا ، وَنُسِيَ مَالُهَا فِي الرِّقَابِ مِنْ عَهْدَةِ الْأَمَانَةِ ، وَلَمْ تَوْضَعْ فِيمَا وَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ مِنَ الْمَكَانَةِ ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِهَا مِنْ أَضْمَرٍ وَلَا عَاهَا حَقًّا ، وَأَوْجَبَ أَنْ يَرِدَ مَعَهَا الْخَوْضُ حِينَ يُقَالُ لَوَارِدِهِ سُحْقًا ، وَكَانَ بَيْنَ تَحْتِ يَدِهِ مِنْهَا بَارًّا رَفِيقًا ، حَتَّى لَا يَسْأَلَهُ بَرًّا وَلَا رَفَقًا . وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يَفُوزَ بِفَضِيلَةِ هَذِهِ الْحَسَنَةِ ، وَأَنْ يَسْبِقَ إِلَيْهَا سَبْقَ الْمُتَقَرِّبِ فِي الْجُمُعَةِ بَيِّنَةً .

وَمِنْ أَهَمِّ أُمُورِهَا أَنْ يَخْتَارَ لَهَا زَعِيمٌ يَرَأْفُ بِهَا رَأْفَةَ الْوَالِدِ بَوْلَدِهِ ، وَيَقُومُ بِأَمْرِهَا قِيَامَ الرَّأْسِ بِجَسَدِهِ ، حَتَّى تَأْتِلَفَ أَصُولُهَا كُلُّهَا فِي مَغْرِسِهَا ، وَلَا يَحْكُمَ عَلَيْهَا مَنْ لَيْسَ مِنْ أَنْفُسِهَا . وَقَدْ اخْتَرْنَا لَهَا مَنْ وَفَّقْنَا فِي اخْتِيَارِهِ ، وَأَخَذْنَا فِيهِ بَيَانَ الرَّأْيِ وَحَزْمِهِ ، لَا بِشِبْهَةِ الْهَوَى وَاغْتِرَارِهِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَثُّوْهَا لَكَانَ اسْتِحْقَاقُهَا لَنَا بَيِّنًا ، وَالتَّعْوِيلُ عَلَيْهِ مُتَعَيَّنًا ، فَكَيْفَ وَقَدَّمَهُ فِيهَا قَدِيمَةُ الْمِيلَادِ ، وَوَرِاثَتُهُ إِيَّاهَا عَنْ سِيَادَةِ الْجُدُودِ سُودُودِ الْأَجْدَادِ ، وَهُوَ أَنْتَ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَجَلُ الشَّرِيفُ الْحَسِيبُ النَّسِيبُ : « فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ »

(٣٣) رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ : « إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعَتْرَتِي » قَالُوا : وَسَيَاهَا ثَقَلَيْنِ إِعْظَامًا لِقُدْرَتِهِمَا ، لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ لِكُلِّ شَيْءٍ نَفِيسٍ مَصُونٍ ثَقْلًا ، وَأَصْلُهُ فِي بَيضِ النِّعَامِ الصَّوْنِ ، وَيُقَالُ لِلْسَّيِّدِ الْعَزِيزِ ثَقْلٌ .

الحُسَيْنِ» ولو شِئْنَا لَأَسْنَدْنَا هذه النسبةَ كَابِرًا عن كَابِرٍ ، وَنَضَدْنَاهَا آخِرًا بعدَ أَوَّلٍ عَنْ أَوَّلٍ قَبْلَ آخِرٍ ، حتَّى وصلنا هذا الفرعَ بشجرته الطيبة ، وهذا القطرُ بسحابته الصَّيِّية وشرفُ الأنسابِ أَصْدَقُهُ ما كان الدهرُ به شهيداً ، وأجدُّه ما كان قديماً ، وأخلقه ما كان جديداً ، وما تولى الروحُ الأمينُ مدحه قرآنًا أَكْرَمُ مما تولى الشعراءُ مدحه قصيداً ، ولا فضلٌ للمعترى إلى هذا النسبِ حتَّى تلحقَ البُوءَةُ بالأبُوَّةُ ، ويُضيفَ درجةَ الفضيلةِ إلى مَحْتَدِ النُّبُوَّةِ ، وَحِينَئِذٍ يُقَالُ : ما أَقْرَبَ الشَّبهَ على قِدَمِ عَهْدِهِ ، وهذا ماءُ الْوَرْدِ بعدَ ذهابِ وَرْدِهِ .

وَأَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي تَرَدَّدَ الشَّرْفُ فِي مَنْاسِبِهِ ، تَرَدَّدَ الْقَمَرُ فِي مَنَازِلِهِ ، وَزَهَا الْمَجْدُ بِمَنَاقِبِهِ زَهْوُ الرُّوضِ فِي خِمَائِلِهِ ، فَلَا لِيُ حَسَبِكَ تُغْنِيكَ عَنْ سُؤَالِ مَنْ وَمَا ، وَتَمَلَأُ بِوَدِّكَ وَحَمْدِكَ قَلْبًا وَقَفًا . والحسبُ ما حفظتُ أواخره أوائله : وأوضحتُ اللَّيَالِي والأَيَّامُ دَلَالَتَهُ ، وَأَقَرَّتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ فَمَا رَدَّتْ فُضَائِلَهُ . وهذه هي المآثرُ التي إِذَا نَظِمْتَ غَارَاتِ الشعراءُ عليها من الشعرِ ، وَإِذَا نَثَرْتَ وَجِدْتَ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ ، وَأَنْتَ صَاحِبُهَا وَابْنُ صَاحِبِهَا ، وَمَنْ لَمْ يَرِثْهَا عَنْ أَبَاعِدِهَا بَلْ عَنْ أَقَارِبِهَا ، وَلَوْ جَانَبْتَ رِيَاسَتَهَا مُصَانِعًا ، وَمَشَيْتَ بِهَا الضَّرَاءَ مُتَوَاضِعًا ، لَدَلَّ عَلَيْكَ وَصْفُهَا ، وَعُرِفَ مِنْكَ عَرَفُهَا . وَلَوْ قُلِدْنَاكَ أَمْرُ هذه الأسرةِ الطَّاهِرَةِ التي هي أَسْرَتُكَ ، وَأَمْرُنَاكِ عَلَيْهَا ، وَأَمْرُتُهَا إِمْرَتُكَ ، فَتَوَلَّيْهَا تَوَلَّى مَنْ خَفَضَ لَهَا جَنَاحَهُ ، وَأَفَاضَ عَلَيْهَا سَمَاحَهُ ، وَأَنْضَى فِيهَا غَدُوهُ وَرَوَّاحَهُ ، حتَّى يُقَالَ إِنَّكَ الرَّاعِي الَّذِي تَنَاولَ ثُلُثَهُ ، فَأَرَّاحَ حَسِيرَهَا ، وَجَبَّرَ كَسِيرَهَا ، وَازْدَادَ لَهَا خِصْبًا ، وَأَوْرَدَهَا رِفْهًا لَاغِيًّا ، وَأَذْكَى فِي كَلَاءَتِهَا عَيْنًا وَقَلْبًا .

وَمِنْ حَقِّهَا عَلَيْكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى ذَاتِ شِمَالِهَا ، وَذَاتِ يَمِينِهَا ، وَتَتَصَفَّحَ أَحْوَالَهَا فِي أَمْرِ دُنْيَاهَا وَدِينِهَا ، فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ تَعْلَمَهَا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي فِي تَعْلِيمِهِ نَهْجُ الصَّوَابِ ، وَفِي تِلَاوَتِهِ مُضَاعَفَةُ حَسَنَاتِ الثَّوَابِ ، وَقَدْ مُثِّلَ قَارِئُهُ بِالْبَيْتِ الْعَامِرِ ، وَتَارِكُهُ بِالْبَيْتِ الْخَرَابِ . وَهُوَ كِتَابٌ اِمْتَنَازَ عَنِ الْكُتُبِ بِنُجُومِ التَّنْزِيلِ ، وَتَوَلَّى اللَّهُ حِفْظَهُ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ ، وَافْتَتَحَهُ بِالسَّعِّ الْمَثَانِي التي لَمْ يَنْزِلْ مِثْلُهَا فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ . وَهُوَ الْمَوْصُوفُ بِأَنَّهُ النُّورُ الْمُسْتَضَاءُ بِهِ فِي غِيَابَةِ الظُّلُمَاءِ ، وَالْحَبْلُ الْمَمْدُودُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ

والبحرُ الذى لا يستخرج لؤلؤهُ ومرجانه إلا الراسخون من العلماء.

وكذلك فخذْ هذه الأسرة بتعليم الفضائل التى تتفاوتُ بها القيم ، وسُئها برِياضة الآداب وتهذيب الشيم ، ولا تركها فوضى لا يتسم أحدها بِسمةِ القدرِ المُنيف ؛ ولا يرجع إلى حسب تليدٍ ، ولا إلى سعى طريف ، وتكون غاية ما عنده من الفضيلة أن يُقال فلانٌ الشريف .

ومن حفظ رسول الله ﷺ فيها أن تُوفى فضل مكانها ، وتحالف بين شأنٍ غيرها من المسلمين وبين شأنها ، فلا تبدل بمجالس الولاية فى انتزاع ظلامة ، ولا فى إقامة حدٍ يُسلبُ معه رداء الكرامة ، وأنت تتولى ذلك منها ، فاجب عليها من حق فخذها باقتضائه ، وأمض فيها حكم الله الذى أمر بامضائه . وليكن ذلك على وجه الرفق الذى يُسلس له القياد ، ويتوطأ له المهاد ، وإن أمكنك افتداء شيء من هذه الظلمات التى تتوجه عليها ففاد ، وقد أتم الله فضلها بمنع كرائمها إلا من كفاء لا دناءة فى عنصره ، ولا غضاضة فى مخبره ، وهو الذى إن فاته شرف النبوة فى مغرسه فلم يفته شرف النباهة فى معشره ، وإذا تباينت الأقدار فلا فرق بين المناكح المخطوبة ، وبين الأسلاب المسلوبة .

فاحفظ لأسرتك حرمة هذه المنزلة ، واجعلها فى كتاب الوصايا التى وصيت بها مكان البسمة .

وكما أمرناك بالنظر فى صون أقدارها ، فكذلك نأمرُك بالنظر فى حفظ مادة درهمها ودينارها . وقد علمت أن لها أوقافا وقفها قوم فحظوا بأجرها واسمها ، وستحظى أنت بالعدل فى قسمها ، فأجر على كل منها رزقه ، وأعط كل ذى حق حقه .

وفى الناس طائفة أدياء يرومون إلحاق الرأس بالذنب ، والتبغ بالغرب (٣٤) ويلحقون أبا لغير ابن ، وأبنا لغير أب . كل ذلك رغبة فى سحت (٣٥) يأكلونه ، لا فى

(٣٤) التبغ شجر للقسى وللشهام ينبت فى قلة الجبل ، والنابت منه فى السفح الشريان ، وفى الحضيض الشوحت ، ويقال أصابه سهم غرب أى لا يدرى راميهِ .

(٣٥) السحت هو كل حرام قبيح الذكر ، أو ماخيت من المكاسب وحرم ، فلزم عنه العار .

نسب يُوصلونه. فنقب عن حال هؤلاء تنقياً ، واجعل النسب نسيباً ، والغريب غريباً .
حتى تخلص السلالة من طارقيها ، وتبقى الشجرة قائمة على أعرافها . ومن علمت كذبه
فازجره بأليم الازدجار ، وأعلمه بأنه قد تبوأ مقعده من النار ، وأشهره في الناس حتى
ينتهى وينتهى غيره بذلك الاشتهار .

وها هنا وصية هي أهم من هذه الوصية أمراً ، وأعظم أجراً ، وأجدراً بأن تكون هي
الأولى ، وتكون هذه الأخرى ، وهي الأخذ على السنة السُّفهاء من الخوض فيما شجرين
آل النبي ﷺ وأصحابه ، وإظهار العصبية التي تزخر الحق عن نصابه ، وترجعه على
أعقابه ، وليس مستنداً إلا مقالات ذوى الجهل . ورئياً نشأ منها فتنة ، والفتنة أشد من
القتل . فوكل هؤلاء عرباً قاطعاً ، ونهياً قاصعاً ، وكُنْ في ذلك شارعاً لما كان الله
شارعاً . فأولئك السادات هم النجوم الذين بأيهم كان الافتداء كان به الاهتداء ،
وقصارى المحسن في هذا الزمان أن يتعلّق منها سبباً ، يأخذ عنهم ديناً أو أدباً ، ولا
يبلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه (٣٦) ، ولو أنفق مثل أحد ذهباً .

ونحن نعلم أنك واقف على سنن اقتصادك ، وأن هذه الوصية هي محض اعتقادك ،
والمُنصف في هذا المقام من رَمَقَه بنظر جليّ ، ووفى أبا بكر وعمر رضى الله عنهما
حقهما ، وإن كان من نسل على ، فكل قد ذكره رسول ﷺ بفضله ، وهؤلاء من
صحابته ، وهذا من أهلِه ونعوذ بالله من الأهواء الزائغة ، والأقوال التي ليست بسائغة .
ولا حجة إلا بالحق ، والله الحجة البالغة .

وقد جعلنا لك في مالنا عطاءً داراً تستعين به على لوازم النفقات ، وتخرج نافلة في
وقاية عرضك التي هي محسوبة من الصدقات ، فإن من ساد قومًا يفتقر إلى تحمل
أثقالهم ، والإفاضة من حاله على أحوالهم ، وهذا برٌّ يكون منّا أصله ، ومنك قرعُه ،
وثوابٌ يكون لك قصده ، ولنا شرعُه ، وصاحبُ الإحسان من سنَّ سبيلَ الإحسان ، ولم
نرض أن أريناك مكانه حتى أمددناك فيه بالإمكان ، فأعط مالنا ، وتعلم من سنّة
أفضلنا ، ولدولتنا بذلك ثوبٌ جمالٍ كلما لبس زاد جدّة ، وعمرٌ ذكرٌ كلما مضت عليه

(٣٦) المد المدى ، يقال قدر مد البصر أى مداه ، والنصيف هو النصف أحد شق الشيء .

مَدَدَ الْأَيَّامَ طَالَ مَدَّةٌ ، وَلَا مُلْكَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَجْعَلْ مَلَكُهُ حَدِيثًا حَسَنًا ، وَيَشْتَرِ
الْحَمْدَ فَيَجْعَلَهُ لِهَاجِئًا وَمَنْ عَرَفَ قَدَرَ الثَّنَاءِ جَدًّا فِي تَحْصِيلِهِ ، وَلَوْ أَنْفَقَ الْكَثِيرَ فِي قَلْبِهِ ،
فَكَمْ مِنْ دَوْلَةٍ أُعْدِمَتْ مِنْهُ فَدَرَسَتْ آثَارُ مَعَالِمِهَا ، وَلَوْ كَانَتْ مِنْهُ مُثْرِيَةٌ لَمَا ذَهَبَتْ مَعَ
بَقَاءِ مَكَارِمِهَا »

وَإِذْ ذَكَرْنَا هَذَا فَلَنُخْتِمَهُ بِمَا يَكُونُ قِلَادَةً لِمُصَاحِبِ هَذَا التَّقْلِيدِ ، وَهُوَ أَنْ نَجَرِّدَ الْعِنَايَةَ
بِوَجَاهَتِهِ ، حَتَّى يَلْبَسَ تَقْدِمًا بِذَلِكَ التَّجْرِيدِ . وَفَحْوَى ذَلِكَ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ مَا لَهُ فِي
الدَّوْلَةِ مِنْ مَنَزَلَةِ الْكِرَامَةِ ، وَيَعْرِفُوا أَنَّهُ فِيهَا ابْنُ جَلَا^(٣٧) ، غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى وَضْعِ الْعِمَامَةِ ،
وَنَحْنُ نَأْمُرُ نَوَابِنَا وَوَلَاتِنَا وَأَصْحَابِنَا أَنْ يُؤْفُوهُ حَقُّ أَبَوْتِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَفَضِيلَتِهِ الَّتِي رَدَّقَتْهَا
فَأَضَحَّتْ وَهِيَ لَهَا رَدِيفَةٌ ، وَأَنْ يُعْطَوْهُ مَا شَاءَ مِنْ إِعْلَاءِ شَأْنِهِ ، وَيُمْضَوْا فِعْلَ يَدِهِ وَقَوْلَ
لِسَانِهِ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

* * *

وَقَدْ وَجَدْتُ لِلصَّابِي أَيْضًا تَقْلِيدًا أَنْشَأَهُ لِفَخْرِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي
عَلِيٍّ بْنِ بُيُوتِهِ عَنِ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَهُوَ مَثْبُتٌ هَاهُنَا عَلَى صُورَتِهِ ، وَكَانَ
عُرِضَ عَلَى تَقْلِيدِ كُتُبَ لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ مِنَ الْخَلِيفَةِ
الْمُسْتَضِيِّ بِاللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَوَجَدْتُ فِيهِ كَلَامًا
نَازِلًا بِالْمَرَّةِ ، وَسَأَلْنِي بَعْضُ الْإِخْوَانِ بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ أَنْ أَعَارِضَهُ ، فَعَارِضْتُهُ بِتَقْلِيدٍ فِي
مَعْنَاهُ ، وَهُوَ مَثْبُتٌ هَاهُنَا أَيْضًا . وَكَأَنَّ التَّقْلِيدَيْنِ بِاسْمِ مَلِكٍ كَبِيرٍ ، وَفِيهِمَا يَظْهَرُ مَا يَظْهَرُ
مِنْ فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ .

[تَقْلِيدُ آخِرٍ لِلصَّابِي]

فَأَمَّا التَّقْلِيدُ الَّذِي أَنْشَأَهُ الصَّابِي فَهُوَ :
هَذَا مَا عَهَدَ عَبْدُ اللَّهِ عَبْدُ الْكَرِيمِ الطَّائِعُ لِلَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ أَبِي
الْحَسَنِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيٍّ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، حِينَ عَرَفَ غِنَاهُ وَبَلَاهُ ، وَاسْتَصَحَّ

(٣٧) ابْنُ جَلَا الْوَاضِعُ الْأَمْرَ ، وَفِي خُطْبَةِ الْحِجَاجِ الْمَشْهُورَةِ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ :

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَّلَاعُ النِّقَايَا مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

دينه ويقينه ، ورعى قديمه ، وحديثه واستنجب عوده ونجاره ، وأثنى عز الدولة أبو منصور بن معز الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين عليه ، وأشار بالمزيد في الصنيعة إليه ، وأعلم أمير المؤمنين اقتدائه به في كل مذهب ذهب فيه من الخدمة ، وغرض رمى إليه من النصيحة ، دخولا في زمرة الأولياء المنصورة ، وخروجا عن جماعة الأعداء المدحورة ، وتصرفا على موجبات البيعة التي هي بعز الدولة أبي منصور منوطة ، وعلى سائر من يتلوه ويتبعه مأخوذة مشروطة ، فقلده الصلاة وأعمال الحرب والمعاون والأحداث والخراج والأعشار والضياغ والجهذة (٣٨) والصدقات والجوالى (٣٩) ، وسائر وجوه الجبايات والعرض والعطاء ، والنفقة في الأولياء والمظالم وأسواق الرقيق والعيار في دور الضرب والطرز والحسبة بكور همدان ، واستراباذا ، والدينور ، وتوريز ، والأمعارين ، وأعمال أذربيجان ، وأران ، والسحانين ، وموقان (٤٠) واثقا منه باستقبال استدامتها ، والاستزادة بالشكر منها (٤١) ، والتحجب لغمطها وجحودها ، والتنكب لإيحاشها وتغييرها ، والتعمد لما يمكن له الخطوة والزلق ، وحرس عليه الأثرة والقرى ، بما يظهره ويضميره من الوفاء الصحيح ، والولاء الصريح ، والغيب الأمين ، والصدر السليم ، والمقاطعة لكل من قطع العصمة ، وفارق الجملة ، والمواصلة لكل من حمى البيضة ، وأخلص النية ، والكون تحت ظل أمير المؤمنين وذمته ، مع عز الدولة أبي منصور وفي حوزته . والله جل اسمه يعرف لأمر المؤمنين حسن العقى فيما أبرم ونقص ، وسداد الرأي فيمن رفع وخفض ، ويجعل عزائمهم مقرونة بالسلامة ، محجوبة عن موارد الندامة ، وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل .

أمره بتقوى الله التي هي العصمة المتينة ، والجنة الحصينة ، والطود الأرفع ، والمعاد

(٣٨) الجهذة : الخبرة ، والجهذ هو التناد الخبير .

(٣٩) الجوالى : جمع جالية ، وهى جزية أهل الذمة ، وأصلها أن الإمام عمر رضى الله عنه جلى أهل الذمة عن جزيرة العرب ، فسموا جالية ، ثم لزمهم هذا الاسم أين حلوا ، وأطلق على الجزية المأخوذة منهم . (٤٠) الذى فى المختار ٩٩ « بكور همدان واستراباذ والدينور وقرماسين والأيعارين وأعمال أذربيجان والسحانين وموقان » .

(٤١) الذى فى المختار « واثقا منه باستبقاء النعمة واستدامتها ، والاستدامة بالشكر منها » .

الأمنع ، والجانب الأعز ، والملجأ الأحرز ، وأن يستشعرها سراً وجهراً ، ويستعملها قولاً وفعلًا ، ويتخذها ذخراً ، دافعاً لنوائب القدر ، وكهفًا حامياً من حوادث الغير ، فإنها أوجب الوسائل ، وأقرب الذرائع ، وأعوذها على العبد بمصالحه ، وأدعاها إلى كل مناجحه ، وأولاهها بالاستمرار على هدايته ، والنجاة من روايته ، والسلامة في دنياه حين توبق موبقاتها ، وتزدي مُردياتها ، وفي آخرته حين ترع رائعاتها ، وتخيف مخيفاتها . وأن يتأدب بأدب الله في التواضع والإخبات والسكينة ، وصدق اللهجة إذا نطق ، وغض الطرف إذا رمق ، وكظم الغيظ إذا أحفظ ، وضبط اللسان إذا ألضب ، وكف اليد عن المأثم ، وصون النفس عن المحارم .

وأن يذكر الموت الذي هو نازل به ، والموقف الذي هو صائر إليه ، ويعلم أنه مسئول عما اكتسب ، مجزئ عما تزلمل واحتقب^(٤٢) ، ويتزود من هذا الممر لذلك المقر ، ويستكثر من أعمال البر لتنتفعه ، ومن مساعي الخير لتتقده ، ويأتمر بالصالحات قبل أن يأمر بها ، ويزدجر عن السيئات قبل أن يزجر عنها ، ويتدب بإصلاح نفسه قبل إصلاح رعيته ، فلا يبعثهم على ما يأتي ضده ، ولا ينهأهم عما يقترف مثله ، ويجعل ربه رقيباً عليه في خلواته ، ومروءته مانعاً له من شهواته ، فإن أحق من غلب سلطان الشهوة ، وأولى من ضرع لغذاء الحمية من ملك أزمة الأمور ، واقتدر على سياسة الجمهور ، وكان مطاعاً فيما يرى ، متبعاً فيما يشأ ، يلي على الناس ولا يلون عليه ، ويقتص منهم ، ولا يقتصون منه ، فإذا اطلع الله منه على نقاء جيبه ، وطهارة ذنبه ، وصحة سريره ، واستقامة سيرته ، أعانه على حفظ ما استحفظه ، وأنهضه بثقل ما حمله ، وجعل له مخلصاً من الشبهة ، ومخرجاً من الحيرة ، فقد قال الله تعالى : « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »^(٤٣) . وقال عز من قائل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ »^(٤٤) وقال : « اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

(٤٢) احتقب : ارتكب .

(٤٣) سورة الطلاق : الآية ٣ .

(٤٤) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .

الصَّادِقِينَ» (٤٥) إلى آى كثيرة حُضِنَا بها على أَكْرَمِ الْخَلْقِ ، وَأَسْلَمِ الطَّرِيقِ ، فَالْسَّعِيدُ مِنْ نَصَبِهَا إِزَاءَ نَازِرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مِنْ نَبْذِهَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، وَأَشَقَّى مِنْهُمَا مَنْ بَعَثَ عَلَيْهَا ، وَهُوَ صَادِفٌ عَنْهَا ، وَأَهَابَ إِلَيْهَا ، وَهُوَ بَعِيدٌ مِنْهَا ، وَلَهُ وَلِأَمثالِهِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى جَلَّ ذِكْرُهُ :

« أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » (٤٦)

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَّخِذَ كِتَابَ اللَّهِ إِمَامًا مُتَّبِعًا وَطَرِيقًا مُتَوَقَّعًا ، وَيَكْثُرُ مِنْ تِلَاوَتِهِ إِذَا خَلَا بِذِكْرِهِ ، وَيَمْلَأُ بِتَأْمِيلِهِ أَرْجَاءَ صَدْرِهِ ، فَيَذْهَبُ مَعَهُ فِيمَا أَبَاحَ وَحَظَرَ ، وَيَقْتَدِي بِهِ إِذَا نَهَى وَأَمَرَ ، وَيَسْتَبِينُ بَيَّانِهِ إِذَا اسْتَعْلَقَتْ دُونَهُ الْمُعْضَلَاتُ ، وَيَسْتَضِي بِمَصَابِيحِهِ ، إِذَا عَظُمَتْ عَلَيْهِ الْمَشْكَلاتُ ، فَإِنَّهُ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ الْوُثْقَى ، وَمَحْجَّةُ الْوَسْطَى ، وَدَلِيلُهُ الْمُقْنَعُ ، وَبُرْهَانُهُ الْمُرْشِدُ ، وَالْكَاشِفُ لِظُلُمِ الْخُطُوبِ ، وَالشَّافِي مِنْ مَرَضِ الْقُلُوبِ ؛ وَالْهَادِي لِمَنْ ضَلَّ وَالْمُتَلَفِّي لِمَنْ زَلَّ ، فَمَنْ نَجَّاهُ فَقَدْ فَازَ وَسَلِمَ ، وَمَنْ لَهَا عَنْهُ فَقَدْ خَابَ وَنَدِمَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » (٤٧) .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَحَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ ، وَيَدْخُلَ فِيهَا فِي حَقَائِقِ الْأَوْقَاتِ ، قَائِمًا عَلَى حُدُودِهَا ، مُتَّبِعًا لِرُسُومِهَا ، جَامِعًا فِيهَا بَيْنَ نَيْتِهِ وَلَفْظِهِ ، مُتَوَقَّعًا لِمَطَامِحِ سَهْوِهِ وَلَحْظِهِ ، مُنْقَطِعًا إِلَيْهَا عَنْ كُلِّ قَاطِعٍ لَهَا ، مُشْغُولًا بِهَا عَنْ كُلِّ شَاغِلٍ عَنْهَا ، مُثَبَّتًا فِي رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا ، مُسْتَوْفِيًا عِدَدَ مَقْرُوضِهَا وَمَسْنُونِهَا ، مُوَفِّرًا عَلَيْهَا ذَهْنَهُ ، صَارِفًا إِلَيْهَا هَمَّهُ ، عَالِمًا بِأَنَّهُ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْ خَالِقِهِ وَرَازِقِهِ ، وَمَحْيِيهِ وَمُمِيتِهِ ، وَمُعَاقِبِهِ وَمُثْبِتِهِ ، لَا تُسْتَرْدُونَهُ خَائِنَةٌ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ . فَإِذَا قَضَاها عَلَى هَذِهِ السَّبِيلِ ، مُنْذُ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ إِلَى خَاتِمَةِ التَّسْلِيمِ أَتْبَعَهَا بِدَعَاءٍ يَرْتَفِعُ بَارْتِفَاعِهَا ، وَيُسْتَمَعُ بِاسْتِمَاعِهَا ، لَا يَتَعَدَّى فِيهِ مَسَائِلَ الْأَبْرَارِ وَرَغَائِبَ الْأَخْيَارِ ، مِنْ اسْتِصْفَاحٍ وَاسْتِغْفَارٍ وَاسْتِقَالَةٍ وَاسْتِرْحَامٍ وَاسْتِدْعَاءٍ

(٤٥) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٤٦) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

(٤٧) سورة فصلت : الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

لمصالح الدين والدنيا ، وعَوَائِدِ الآخِرَةِ والأُولَى ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : « إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا » (٤٨) . وَقَالَ تَعَالَى : « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ » (٤٩)

وَأَمْرُهُ بِالسَّعْيِ فِي أَيَّامِ الْجُمُعِ إِلَى الْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ ، وَفِي الْأَعْيَادِ إِلَى الْمَصَلَّاتِ الضَّاحِيَةِ ، بَعْدَ التَّقَدُّمِ فِي قَرَشِهَا وَكُسُوتِهَا ، وَجَمْعِ الْقَوَامِ وَالْمُؤَذِّنِينَ وَالْمَكْبَرِينَ فِيهَا ، وَاسْتِسْعَاءِ النَّاسِ إِلَيْهَا ، وَحَضُّهُمْ عَلَيْهَا ، أَخَذِينَ الْأُهْبَةَ ، مُنْتَظِفِينَ فِي الْبِزَّةِ ، مُؤَذِّنِينَ لِفَرِيضَةِ الطَّهَّارَةِ ، وَبَالِغِينَ فِي ذَلِكَ أَقْصَى الْاسْتِقْصَاءِ ، مُعْتَقِدِينَ خَشْيَةَ اللهِ وَخِيفَتَهُ . مَذْرَعِينَ تَقْوَاهُ وَمَرَاقِبَتَهُ ، مُكْثِرِينَ مِنْ دُعَائِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُؤَالِهِ ، مَصَلِّينَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى آلِهِ بِبُلُوبٍ عَلَى الْيَقِينِ مَوْقُوفَةً ، وَهَمَمٍ إِلَى الدِّينِ مَصْرُوفَةً ، وَالسَّنِّ بِالتَّقْدِيسِ وَالتَّسْبِيحِ فَصِيحَةً ، وَأَمَالٍ فِي الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ فَسِيحَةً ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمَصَلَّاتِ وَالْمَتَعَبَّدَاتِ بِيُوتُ اللهِ الَّذِي فَضَّلَهَا ، وَمَنَاسِكُهُ الَّتِي شَرَفَهَا ، وَفِيهَا يُتْلَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَيَتَعَوَّدُ الْعَائِدُونَ ، وَبِتَعَبُّدِ الْمُتَعَبِّدُونَ ، وَبِتَهَجُّدِ الْمُتَهَجِّدُونَ . وَحَقِيقٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ مِنْ وَالٍ وَمَوْلَى عَلَيْهِ أَنْ يَصُونَهَا وَيَعْمُرَهَا ، وَيُواصِلَهَا وَلَا يَهْجُرَهَا ، وَأَنْ يُقِيمَ الدَّعْوَةَ عَلَى مَنَابِرِهَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ لِنَفْسِهِ عَلَى الرَّسْمِ الْجَارِي فِيهَا ، قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ » (٥٠) وَقَالَ فِي عِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ : « إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَهْتَدِينَ » (٥١) .

وَأَمْرُهُ أَنْ يُرَاعِيَ أَحْوَالَ مَنْ يَلِيهِ مِنْ طَبَقَاتِ جُنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَالِيهِ ، وَيَطْلُقَ لَهُمُ الْأَرْزَاقَ ، فِي أَوْقَاتِ الْوُجُوبِ وَالِاسْتِحْقَاقِ ، وَأَنْ يُحْسِنَ فِي مُعَامَلَتِهِمْ وَيُجَمِّلَ فِي

(٤٨) سورة النساء : الآية ١٠٣ .

(٤٩) سورة العنكبوت : الآية ٤٥ .

(٥٠) سورة الجمعة : الآية ٩ .

(٥١) سورة التوبة : الآية ١٨ .

اسْتَعْدَّاهُمْ ، وَبِتَصَرَّفَ فِي سِيَاسَتِهِمْ بَيْنَ رَفَقٍ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَخُشُونَةٍ فِي غَيْرِ عُنْفٍ ،
 مُثَبِّبًا لِمُحْسِنِهِمْ مَا زَادَ بِالْإِثَابَةِ فِي حُسْنِ الْأَثَرِ ، وَسَلِّمَ مَعَهَا مِنْ دَوَاعِي الْأَشْرِ ، وَمَتَعَمِّدًا
 لِمُسِيئِهِمْ مَا كَانَ التَّغَمُّدُ لَهُ نَافِعًا ، وَفِيهِ نَاجِعًا ، فَإِنْ تَكَرَّرَتْ زَلَّاتُهُ ، وَتَتَابَعَتْ عَثَرَاتُهُ ،
 تَنَاوَلَتْهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ مَا يَكُونُ لَهُ مُصْلِحًا ، وَلِغَيْرِهِ وَاعِظًا وَأَنْ يَخْتَصَّ أَكْبَاهَهُمْ وَأَمَانَتَهُمْ وَأَهْلَ
 الرَّأْيِ وَالْخَطَرِ مِنْهُمْ بِالْمَشَاوَرَةِ فِي الْمَلِمِّ ، وَالْإِطْلَاعِ عَلَى بَعْضِ أَلْمَمِهِمْ ، مُسْتَخْلَصًا مَخَابِلَ
 صُدُورِهِمْ بِالْبَسْطِ وَالْإِدْنَاءِ ، وَمُسْتَشْجِدًا بِصَائِرِهِمْ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِحْتِبَاءِ ، فَإِنَّ فِي
 مَشَاوَرَةِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ اسْتِدْلَالَ عَلَى مَوَاقِعِ الصَّوَابِ ، وَتَحَرُّزًا عَنْ غُلَطِ الْاسْتِبْدَادِ ، وَأَخْذًا
 بِمَجَامِعِ الْحِزَامَةِ ، وَأَمَانًا مِنْ مُفَارَقَةِ الْاسْتِقَامَةِ . وَقَدْ حَضَّ اللَّهُ عَلَى الشُّرَى حَيْثُ قَالَ
 لِرَسُولِهِ ﷺ « وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ » (٥٢) .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَصْمُدَ بِمَا يَتَّصِلُ بِنَوَاحِيهِ مِنْ تُغُورِ الْمُسْلِمِينَ وَرِبَاطِ الْمُرَابِطِينَ ، وَيَقْسِمَ لَهَا
 قِسْمًا وَافِرًا مِنْ عَنَاتِهِ ، وَيَصْرِفَ لَهَا طَرَفًا بَلْ شَطْرًا مِنْ رِعَايَتِهِ ، وَيَخْتَارَ لَهَا أَهْلَ الْجَلَدِ
 وَالشَّدَةِ ، وَذَوِي الْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ ، مِمَّنْ عَجَمَتَهُ الْخُطُوبُ ، وَعَرَكْتَهُ الْحُرُوبُ ، وَاكْتَسَبَ
 دُرَّةً بِخَدْعِ الْمُتَنَازِلِينَ ، وَتَجَرَّبَةً بِمَكَائِدِ الْمُتَقَارِعِينَ ، وَأَنْ يَسْتَظْهَرَ بِكَشْفِ عَدَدِهِمْ
 وَاعْتِبَارِ عُدَدِهِمْ ، وَانْتِخَابِ خَيْلِهِمْ ، وَاسْتِجَادَةِ أَسْلِحَتِهِمْ غَيْرَ مُجَمَّرٍ (٥٣) بَعَثًا إِذَا بَعَثَهُ ،
 وَلَا مُسْتَكْرِهَهُ إِذَا وَجَّهَهُ ، بَلْ يُنَاقِشُ بَيْنَ رِجَالِهِ مُنَاقِبَةً تُرِيحُهُمْ وَلَا تَمُدُّهُمْ ، وَتُرَفِّهُهُمْ
 وَلَا تُثَوِّدُهُمْ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ مِنْ فَائِدَةِ الْإِجَامِ ، وَالْعَدَلِ فِي الِاسْتِعْدَادِ زِينًا ، فَلْيُسَوِّبِينَ
 رِجَالَ النَّوْبِ فِيمَا عَادَ عَلَيْهِمْ بَغْزُ الظُّفَرِ وَالنَّصْرِ ، وَبُعْدُ الصَّيْتِ وَالذِّكْرِ ، وَإِحْرَازِ النَّفْعِ
 وَالْأَجْرِ ، مَا يَحِقُّ أَنْ يَكُونَ الْوَلَاةُ بِهِ عَامِلِينَ ، وَلِلنَّاسِ عَلَيْهِ حَامِلِينَ ، وَأَنْ يَكْرُرَ فِي
 أَسْمَاعِهِمْ ، وَيَثْبُتَ فِي قُلُوبِهِمْ مَوَاعِيدَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ صَبَرَ وَرَاطَبَ ، وَسَامَحَ بِالنَّفْسِ ، مِنْ
 حَيْثُ لَا يَقْدُمُونَ عَلَى تَوَرُّطِ غَرَةٍ ، وَلَا يُحْجِمُونَ عَنْ انْتِهَازِ قُرْصَةٍ ، وَلَا يَنْكُصُونَ عَنْ
 تَوَرُّدِ مَعْرَكَةٍ ، وَلَا يُلْقُونَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، فَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَى خَلْقِهِ ، وَالْمَرْءُ
 أَمِينٌ عَلَى دِينِهِ .

(٥٢) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : آيَةُ ١٥٩ .

(٥٣) التَّجْمِيرُ : حَبْسُ الْجَيْشِ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ .

وَأَنْ يُرِيحَ الْعَمَلَةَ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ رَاتِبِ نَفَقَاتِ هَذِهِ الثُّغُورِ وَحَادِثُهَا ، وَبِنَاءِ حُصُونِهَا وَمَعَاقِلِهَا ، وَاسْتِطْرَاقِ طُرُقِهَا وَمَسَالِكِهَا ، وَإِفَاضَةِ الْأَقْوَاتِ وَالْعُلُوفَةِ فِيهَا لِلْمُتَرَتِّينَ بِهَا ، وَالْمُتَرَدِّدِينَ إِلَيْهَا ، وَالْحَامِلِينَ لَهَا .

وَأَنْ يَبْذَلَ أَمَانَهُ لِمَنْ طَلَبَهُ ، وَيَعْرِضَهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَطْلُبْهُ ، وَيَقْبِىَ بِالْعَهْدِ إِذَا عَاهَدَ ، وَبِالْعَقْدِ إِذَا عَاقَدَ ، غَيْرَ مُخْفِرٍ ذِمَّتَهُ ، وَلَا جَارِحٍ أَمَانَتَهُ ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْوَفَاءِ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ» ^(٥٤) وَنَهَى عَنِ النِّكَثِ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّا يَنْكَثُ عَلَى نَفْسِهِ» ^(٥٥) .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَعْرِضَ مَنْ فِي حُبُوسِ عَمَلِهِ عَلَى جَرَائِمِهِمْ ، فَمَنْ كَانَ إِقْرَارُهُ وَاجِباً أَقْرَهُ ، وَمَنْ كَانَ إِطْلَاقُهُ سَائِغاً أَطْلَقَهُ ، وَأَنْ يَنْظُرَ فِي الشَّرْطَةِ وَالْأَحْدَاثِ نَظَرَ عَدْلٍ وَإِنصَافٍ ، وَيَخْتَارَ لَهَا مِنْ يَخَافُ اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ ، وَلَا يَحَايِي وَلَا يَرَاقِبَ فِيهِ ، وَيَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِقَمْعِ الْجَهَّالِ ، وَرَدْعِ الضَّلَالِ ، وَتَتَبِعِ الْأَشْرَارَ ، وَطَلِبِ الزُّعَارِ ^(٥٦) ، مُسْتَدِلِّينَ عَلَى أَمَاكِنِهِمْ ، مُتَوَعِّلِينَ إِلَى مَكَامِنِهِمْ ، مُتَوَلِّجِينَ عَلَيْهِمْ فِي مَظَانِّهِمْ ، مُتَوَقِّفِينَ مِمَّنْ يَجِدُونَهُ مِنْهُمْ ، مُنْفِذِينَ أَحْكَامَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ ، بِحَسَبِ الَّذِي يَتَبَيَّنُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَيَبْصَحُ مِنْ فَعْلِهِمْ ، فِي كِبِيرَةٍ ارْتَكَبُوهَا ، وَعَظِيمَةٍ احْتَقَبُوهَا ^(٥٧) ، وَمُهِجَةٍ إِنْ أَغَاظُوهَا وَاسْتَهْلَكُوهَا ، وَحُرْمَةٍ إِنْ اسْتَبَاحُوهَا وَانْتَهَكُوهَا . فَمَنْ اسْتَحَقَّ حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ الْمَعْلُومَةِ أَقَامُوهُ عَلَيْهِ ، غَيْرَ مُخَفِّفِينَ مِنْهُ ، وَأَحْلَوْهُ بِهِ غَيْرَ مُقْصِرِينَ عَنْهُ ، بَعْدَ أَنْ لَا يَكُونُ عَلَيْهِمْ فِي الَّذِي يَأْتُونَهُ حُجَّةٌ ، وَلَا يَعْتَرِضُهُمْ فِي وَجْهِهِ شُبْهَةٌ ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ فِي الْحُدُودِ أَنْ تُقَامَ بِالْبَيِّنَاتِ ، وَأَنْ تُدْرَأَ بِالشُّبُهَاتِ ، فَأَوَّلَى مَا تَوَخَّاهُ رُعَاةُ الرَّعَايَا فِيهَا أَنْ لَا يُقَدِّمُوا عَلَيْهَا مَعَ نَقْصَانٍ ، وَلَا يَتَوَقَّفُوا عَنْهَا مَعَ قِيَامِ الدَّلِيلِ ، وَمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقِتْلُ احْتَاطَ بِمَا يُحْتَاطُ بِهِ عَلَى مِثْلِهِ مِنَ الْحَبْسِ الْحَصِينِ ، وَالتَّوَقُّقِ الشَّدِيدِ ، وَكُتِبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِخَبْرِهِ ، وَشَرَحَ جِنَايَتَهُ

(٥٤) سورة المائدة: ١ الآية .

(٥٥) سورة الفتح: الآية ١٠ .

(٥٦) الزُّعَارُ: ذُو الشَّرَاسَةِ وَسُوءُ الْخَلْقِ .

(٥٧) احْتَقَبُوهَا: ارْتَكَبُوهَا .

وثبوتها بإقرار يكون منه ، أو بشهادة تقع عليه ، ولينتظر من جوابه ما يكون عمله بحسبه ، فإن أمير المؤمنين لا يطلق سفك دم مسلم أو معاهد إلا ما أحاط به علما ، وأتقنه فهما ، وكان مايمضيه فيه عن بصيرة لا يخالجه شك ، ولا يشوبها ريب .

ومن ألم بصغيرة من الصغائر ، ويسيرة من الجرائر من حيث لم يعرف له مثلها ، ولم يتقدم له أختها ، وعظه ، وزجره ، ونهاه ، وحذره ، واستتابه ، وأقاله ، ما لم يكن عليه خصم في ذلك يطالب بقصاص منه ، وجزاء له ، فإن عاد تناوله من التقويم والتهذيب ، والتعزير والتأديب ، بما يرى أن قد كفى فيما اجترم ، ووفى بما قدم ، فقد قال الله تعالى : « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » (٥٨) .

وأمره أن يعطل ما في أعماله من الخانات والمواخير ، وأن يطهرها من القبائح والمناكير ، ويمنع من يجمع أهل الخنا فيها ، ويؤلف شملهم بها ، فإنه شمل يصلحه التشيت ، وجمع يحفظه التفريق ، وما زالت هذه المواطن الذميمة والمطارح الدنية داعية من يأوى إليها ، ويعكف عليها إلى ترك الصلوات ، وإهمال المفترضات ، وركوب المنكرات ، واقتراف المحظورات ، وهى بيوت الشيطان التى فى عمارتها لله معصية ، وفى إخراجها للخير مجلبة ، والله يقول لنا معشر المؤمنين : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (٥٩) ويقول عز من قائل لغيرنا من المذمومين : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » (٦٠)

وأمره أن يؤلى الحماية فى هذه الأعمال أهل الكفاية من الرجال ، وأن يضم إليهم كل من خف ركابه ، وأسرع عند الصريخ ، مرتباً لهم فى المسالحي (٦١) ، وساداً بهم ثغر المسالك ، وأن يوصيهم بالتيقظ ، ويأخذهم بالتحفظ ، ويؤريح عليهم فى علوفة

(٥٨) سورة البقرة : الآية ٢٢٩ .

(٥٩) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

(٦٠) - سورة مريم : الآية ٥٩ .

(٦١) المسالحي : الثغور واحداها مسلحة ، والمركب يكون فيه أرصاد يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة .

خيلهم ، والمقرر من أزوادهم وميرهم ، حتى لاتنقل لهم عن البلاد وطاعة ، ولا يدعُوهم إلى تحنقهم وثلهم حاجة ، وأن يحوطوا السابلة بادئةً وعائدةً ، ويُبذَرُوا (٦٢) القوافل صادرةً وواردةً ، ويجرسوا الطريق ليلاً ونهاراً ، ويتقصَّوها رواحاً وغدواً ، وينصبوا لأهل العبث الأرزاد ، ويتكمنوا لهم بكل واد ، ويتفرقوا عليهم حيث يكون التفرق مضيقاً لفضايتهم . ومؤدياً إلى انفضايتهم ، ويجتمعوا حيث يكون الاجتماع مطفئاً لجمرتهم ، وصادعاً لرؤيتهم ؛ ولا يخلوا هذه السبل من حماة لها ، وسيارة فيها ، يترددون في جوادها ، ويتعسفون في عواديتها ، حتى تكون الدماء محقونةً ، والأموال مصونة ، والفتن محسومة ، والغارات مأمونة . ومن حصل في أيديهم من لص خاتل ، وصعلوك خارب ، ومخيف لسبيل ، ومتهك لحريم ، امثل في أمره أمر أمير المؤمنين الموافق لقول الله عز وجل : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (٦٣)

وأمره بوضع الرصد على من يجتاز في أعماله من أباقي العبيد ، والاحتياط عليهم ، وعلى ما يكون معهم ، والبحث عن الأماكن التي فارقوها ، والطرق التي استطرقوها ، ومواليهم الذين أبقوا (٦٤) منهم ، ونشروا عنهم ، وأن يردوهم عليهم قهراً ، ويعيدوهم إليهم صفراً ، وأن ينشدوا الضالة ما أمكن أن تُشَدَّ ، ويحفظوها على ربها بما جاز أن تُحَفَظَ ، ويتجنبوا الامتطاء لظهورها ، والانتفاع بأوبارها ، وألبان ما يجز ويحلب ، وأن يعرفوا اللقطة ، ويتبعوا أثرها ، ويشيعوا خبرها ، فإذا حضر صاحبها ، وعلم أنه مستوجبها سلمت إليه ، ولم يعترض فيها عليه ، والله عز وجل يقول : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » (٦٥) ويقول رسوله ﷺ : « ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَرَقُ النَّارِ » (٦٦) .

(٦٢) يبذروا : البذرة الخفارة ، فارسية معربة معناها والمبذرق الخفير .

(٦٣) سورة المائدة : الآية ٣٣ .

(٦٤) في الأصل « أنفوا » والصواب عن المختار ١٠٨ .

(٦٥) سورة النساء : الآية ٥٨ .

(٦٦) قاله النبي ﷺ لمن سأله عن ضوال الإبل ، فنهاه عن أخذها ؛ وحذره النار إن تعرض لها .

وَأَمْرُهُ أَنْ يُوصِيَ عَمَّالَهُ بِالشَّدِّ عَلَى يَدِ الْحَكَّامِ ، وَتَنْفِيزِ مَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَأَنْ يَحْضُرُوا بِمَجَالِسِهِمْ حُضُورَ الْمُؤَقَّرِينَ لَهَا ، الذَّائِينَ عَنْهَا ، الْمُقِيمِينَ لِرُسُومِ الْهَيْئَةِ ، وَحُدُودِ الطَّاعَةِ فِيهَا ؛ وَمَنْ خَرَجَ عَنْ ذَلِكَ مِنْ ذِي عَقْلٍ ضَعِيفٍ ، وَحُلْمٍ سَخِيفٍ ، نَالُوهُ بِمَا يَرُدُّعُهُ ، وَأَحْلَوْا بِهِ مَا يَزَعُهُ ^(٦٧) ، وَمَتَى تَقَاعَسَ مُتَقَاعِسٌ عَنْ حُضُورٍ مَعَ خَصْمٍ يَسْتَنْدِعِيهِ ، وَأَمْرٍ يُوَجِّهُ الْحَاكِمُ إِلَيْهِ فِيهِ ^(٦٨) ، أَوْ التَّوَيَّ مُلْتَوٍّ بِحَقٍّ يَحْصُلُ عَلَيْهِ ، وَدَيْنٍ يَسْتَقَرُّ فِي ذِمَّتِهِ ، قَادُوهُ إِلَى ذَلِكَ بِأَزْمَةِ الصَّغَارِ ، وَخَزَائِمِ ^(٦٩) الْاضْطِرَارِّ ، وَأَنْ يُحْبَسُوا وَيُطْلَقُوا بِأَقْوَالِهِمْ ، وَيُثْبِتُوا الْأَيْدَى فِي الْأَمْلَاقِ وَالْفُرُوجِ ، وَيَتَزَعُوا بِقَضَايَاهُمْ ، فَإِنَّهُمْ أَمْنَاءُ اللَّهِ فِي فَصْلِ مَا يَقْضُونَ ، وَبِتَّ مَا يَبْتَئُونَ ^(٧٠) ، وَعَنْ كِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ يوردون وَيُصْدِرُونَ . وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ^(٧١) » .

وَأَنْ يَتَوَخَّى بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَاعْمَلَةِ عَمَّالَ الْخَرَاجِ فِي اسْتِيفَاءِ حُقُوقٍ مَا اسْتَعْمَلُوا عَلَيْهِ ، وَاسْتِنْظَافِ بَقَايَاهُمْ فِيهِ ، وَالرِّيَاضَةِ لِمَنْ تَسُوُّ طَاعَتَهُ مِنْ مَعَامِلِهِمْ ، وَإِحْضَارِهِمْ طَائِعِينَ أَوْ كَارِهِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، فَمِنْ آدَابِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ الَّذِي يَحَقُّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّخِذَهَا ، وَيَجْعَلَهَا لِلرَّضَا عَنْهُ سَبَبًا قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ^(٧٢) » .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَجْلِسَ لِلرَّعِيَّةِ جُلُوسًا عَامًّا ، وَيَنْظُرَ فِي مَظَالِمِهَا نَظْرًا تَامًّا ، يَسَاوَى فِي الْحَقِّ بَيْنَ خَاصَّهَا وَعَامَّهَا ، وَيُوَازِي فِي الْمَجَالِسِ بَيْنَ عَزِيزِهَا وَذَلِيلِهَا ، وَيُنْصَفُ الْمَظْلُومَ مِنْ

(٦٧) فِي الْأَصْلِ « مَا يَزَعُهُ » .

(٦٨) فِي الْأَصْلِ « بِأَمْرٍ يُوَجِّهُهُ الْحَكَمُ إِلَيْهِ » .

(٦٩) فِي الْأَصْلِ « وَخَزَائِمِ » بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، وَالْخَزَائِمُ جَمْعُ خَزَامَةٍ ، وَأَصْلُ الْخَزَامَةِ حَلْقَةٌ مِنْ شَعْرِ تَجْعَلُ فِي وَتَرَةٍ أَنْفَ الْبَعِيرِ يَشْدُ بِهَا الزَّمامَ .

(٧٠) فِي الْخِتَارِ « مَا يَفْصِلُونَ » .

(٧١) سُورَةُ (ص) : الْآيَةُ ٢٦ .

(٧٢) سُورَةُ الْمَائِدَةِ : الْآيَةُ ٢٤٠ .

ظالمه ، والمغصوب من غاصبه ، بعد الفحص والتأمل ، والبحث والتبين ، حتى لا يحكم إلا بعدل ، ولا ينطق إلا بفصل ، ولا يثبت يداً إلا فيما وجب تثبتها فيه ، ولا يقبضها إلا عما وجب قبضها عنه ، وأن يسهل الإذن لجماعتهم ، ويرفع الحجاب بينه وبينهم ، ويؤليهم من حصانة الكنف ، ولين المنعطف ، والاشمال والعناية ، والصون والرعاية ، ما تتعادل به أقسامهم ، وتتوازي منه أقساطهم ، ولا يصل الركين منهم إلى استئصام ما تأخر عنه ، ولا ذو السلطان إلى هزيمة من حلّ دونه ، وأن يدعوهم إلى أحسن العادات والخلائق ، ويحضهم على أحمد المذاهب والطرائق ، ويحمل عنهم كله ، ويمد عليهم ظله ، ولا يسومهم عسفاً ، ولا يلحق بهم حيفاً ، ولا يكلفهم شططاً ، ولا يجشمهم مضليلاً ، ولا يثلم لهم معيشة ، ولا يداخلهم في جريمة (٧٣) ، ولا يأخذ بريئاً بسقيم ، ولا حاضراً بعديم (٧٤) ، فإن الله عز وجل ينهى أن ترزوا رزة وزر أخرى ، ويرفع عن هذه الرعية ما عسى أن يكون سنّ عليها من سنة ظالمة ، وسلك بها من محجة جائرة ، ويستقرى آثار الولاة قبله عليها ، فيما رجوه من خير أو شر إليها ، فيقر من ذلك ما طاب وحسن ، ويزيل ما خبث وقبح ، فإن من غرس الخير يحظى بمعسول ثمره ، ومن زرع الشر يصلى بممرور ريعه ، والله تعالى يقول : « وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ » (٧٥) .

وأمره بأن يصون مال الخراج ، وأثمان الغلات ، ووجوه الجبايات موفراً ، ويزيد ذلك مثمراً مما يستعمله من الإنصاف لأهلها ، وإجرائهم على صحيح الرسوم فيها ، فإنه مال الله الذي به قوة عباده ، وحماية بلادهم ، ودور حلبهم ، واتصال مدده وبه يحاط الحريم ، ويدفع العظيم ، ويحمى الدمار ، ويداد الأشرار . وأن يجعل افتتاحه آية بحسب إدراك أصنافه ، وعند حضور مواقيته وأحيانه ، غير متسلف شيئاً قبلها ، ولا مؤخرها عنها . وأن يخص أهل الطاعة والسلامة بالترفيه لهم ، وأهل

(٧٣) رواية المختار « ولا يداخلهم في حرفة » .

(٧٤) رواية المختار « ولا حاضراً بغائب » .

(٧٥) سورة الأعراف : الآية ٥٨ .

الاستصعاب والامتناع بالتشديد عليهم ، لثلا يَقَع إِرْهَاقٌ لِمُدْعِنٍ ، أَوْ إِهْمَالٌ لَطَامِعٍ .
وعلى المتوَلَّى لذلك أن يَضَعَ كُلاًّ من الأمرين موضعَه ، ويُوَقِّعُه موقعَه ، متجنباً إخلال
الغلظة فيمن لا يستحقُّها ، وإعطاءَ الفُسْحَةِ مَنْ لَيْسَ أهلُها ، واللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ :
« وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ
الْأَوْفَى » (٧٦) .

وأمرُه أن يتخَيَّرَ عُمَّالَه على الخَراجِ والأَعْشَارِ وَالضَّيَاعِ والجَهْدَةِ وَالصَّدَقَاتِ
وَالْجَوَالِي من أهل الظَّلْفِ (٧٧) والتزاهة ، وَالضَّبْطِ وَالصَّيَانَةِ ، والجزالة والشهامة ، وأنَّ
يَسْتَظْهَرُ مع ذلكَ عليهم بوصية تَعَباً أَسْمَاعَهُمْ ، وَعُهُودَ يَقْلُدُهَا أَعْنَاقَهُمْ ، بأن لا
يُضَيِّعُوا حقاً ، ولا يأكلوا سُحْتًا ، ولا يستعملوا ظُلماً ، ولا يُقَارِفُوا غَشْمًا (٧٨) ، وأنَّ
يُقِيمُوا العِمَارَاتِ ، ويحتاطُوا [على الغلات] (٧٩) ويتحرَّزُوا من إِتْوَاءِ (٨٠) حق لازمٍ ،
أو تعطيلِ رَسْمٍ عَادِلٍ ، مؤدِّينَ في جميع ذلك الأمانة ، مجتنبين للخيانة ، وأنَّ
يأخذُوا جهابذتهم بِاسْتِيفَاءِ وَزَنِ الْمَالِ على تمامه ، واستجدادِ نقده على عيابه ،
واستعمالِ الصَّحَّةِ في قبض ما يقبضُونَ ، وإطلاقِ ما يُطْلَقُونَ ، وأن يُوعِزُوا إلى سُعَاةِ
الصدقاتِ في أَخْذِ الفرائضِ من سائمة مواشى المسلمين ، دون عاملتها ، وكذلك
الواجب فيها ، وأن لا يجمعُوا فيها متفرِّقًا ، ولا يفرقُوا مجتمعًا ، ولا يُدْخِلُوا فيها خارجًا
عنها ، ولا يُضَيِّفُوا إليها ما لَيْسَ منها من فحل إِبِلٍ ، وأكولة رَاعٍ ، أو عقيلة مالٍ ،
فإذا اجْتَبَوْهَا على حَقِّهَا ، واستوفوها على رسمها ، أخرجوها في سبيلها ، وقسَّموها
على أهلها الذين ذكرهم الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيزِ إِلَّا الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُم الذين ذَكَرَهُمُ
اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم ، وسقط سَهْمُهُمْ (٨١) ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : « إِنَّا

(٧٦) سورة النجم : الآيات ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ . (٧٧) الظلف : منع النفس وكفها عما لا يحسن .

(٧٨) الغشم : الظلم . (٧٩) زيادة عن المختار . (٨٠) الإِتْوَاءُ : الإهلاك .

(٨١) المؤلفة قلوبهم قوم من سادات العرب أمر الله نبيه في أول الإسلام بتألفهم أى بمقاربتهم وإعطائهم
ليرغبوا من وراءهم في الإسلام ، فلا تحملهم الحمية مع ضعف نياتهم أن يكونوا ألبا مع الكفار على المسلمين ،
فلما دخل الناس في دين الله أفواجاً ، وظهر أهل دين الله على جميع أهل الملل سقط سهمهم ، كما في نص هذا
العهد .

الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ « (٨٢)

وإلى جُباةِ أهلِ الذمَّةِ أن يأخذُوا منهم الجزيةَ في المُحَرَّمِ من كلِّ سنةٍ بِحَسَبِ منازلهم في الأحوال ، وذات أيديهم في الأموال ، وعلى الطبقات المطبقة فيها ، والحدود المعهودة لها ، وأن لا يأخذوها من النساء ، ولا ممن لم يبلغ الحُلُم من الرجال ، ولا من ذى سِنٍ عالية ، ولا ذى علةٍ بادية ، ولا فقير مُعْدَم ، ولا مترهبٌ مُتَبَتِّل .

وَأَنْ يُرَاعَى جَمَاعَةُ هَؤُلَاءِ الْعُمَّالِ مِرَاعَاةً يُسِرُّهَا وَيُظْهِرُهَا ، وَيَلَاظُهُمْ مِلَاحَظَةً يُخْفِيهَا وَيُبْدِيهَا ، لئلا يزولوا عن الحق الواجب ، أو يعدلوا عن السنن اللائح (٨٣) ، فقد قال الله تعالى : « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا » (٨٤) .

وأمره بأن يندب لعرض الرجال وإعطائهم ، وحفظ جرياتهم وأوقات إطعامهم مَنْ يَعْرِفُهُ بِالثِّقَةِ فِي مُتَصَرِّفِهِ ، وَالْأَمَانَةِ فِيمَا يَجْرَى عَلَى يَدِهِ ، وَالْبُعْدَ عَنِ الْإِسْفَافِ إِلَى الدُّنْيَةِ ، وَالِاتِّبَاعَ لِلدِّعَاءِ ، وَأَنْ يَبْعَثَهُ عَلَى ضَبْطِ الرِّجَالِ ، وَشِيَاتِ الْخَيْلِ ، وَتَحْدِيدِ الْعَرْضِ بَعْدَ الْإِسْتِحْقَاقِ ، وَإِيقَاعِ الْإِحْتِيَاطِ فِي الْإِنْفَاقِ ، فَنَ صَحَّ عَرَضُهُمْ ، وَلَمْ يَبْقَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْهُمْ مِنْ شَكِّ يَعْزُضُ لَهُ ، أَوْ رِيبةٍ يَتَوَهَّمُهَا ، أَطْلَقَ أَمْوَالَهُمْ مَوْفُورَةً ، وَحَصَّلَهَا فِي أَيْدِيهِمْ غَيْرَ مَثْلُومَةٍ ، وَأَنْ يَرُدَّ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ أَرْزَاقَ مَنْ سَقَطَ بِالْوَفَاةِ وَالْإِخْلَالِ ، نَاسِبًا ذَلِكَ إِلَى جِهَتِهِ ، مُورِدًا لَهُ حَقِيقَتَهُ ، وَأَنْ يَطَالِبَ الرِّجَالَ بِإِحْضَارِ الْخَيْلِ الْمُخْتَارَةِ ، وَالْآلَاتِ الْمُسْتَكْمَلَةِ ، عَلَى مَا تَوَجَّهَ بِمَالِغِ أَرْزَاقِهِمْ وَبِحَسَبِ مَنَازِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ ، فَإِنْ أَخَّرَ أَحَدُهُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، قَاصَّهَ بِهِ مِنْ رِزْقِهِ ، وَأَزَمَهُ مِثْلَ قِيَمَتِهِ ، فَإِنَّ الْمَقْصَرِ فِيهِ خَائِنٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمُخَالَفٌ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، إِذْ يَقُولُ سُبْحَانَهُ : « وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ » (٨٥) .

(٨٤) سورة الإسراء : الآية ٣٤ .

(٨٢) سورة التوبة : الآية ٦٠ .

(٨٣) السنن اللائح ، الطريق الواضح . (٨٥) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

وأمره أَنْ يعتمدَ في أسواقِ الرِّقيقِ ودُورِ الضَّرْبِ والطرزِ والحِسبةِ على من تجتمعُ فيه آلاتُ هذه الولاياتِ من ثقةٍ ودرايةٍ ، وعلمٍ وكتابهٍ ، ومعرفةٍ وروايةٍ ، وتجربةٍ وحُكْمَةٍ و-بَصَانَةٍ ومُسْكَةٍ ، فإنَّها أحوالُ تضارعُ الحكمَ وتناسبُ ، وتدانيه وتقاربه . وأنَّ يتقدَّم إلى وُلاةِ أسواقِ الرِّقيقِ بالتحفُّظِ فيمنَ يُطلِّقونَ بيعه ، ويمضونَ أمره ، والتحرُّزِ من وقوعِ تخوُّنٍ فيه ، أو إهمالٍ له ، إذ كان ذلك عائداً بتحسينِ الفُروجِ ، وتطهيرِ الأنسابِ ، وأنَّ يُعيدُوا عنه أهلَ الرِّيبةِ ، ويقربُوا أهلَ العَفَّةِ ، ولا يُمضُوا بيعاً على شُبْهَةٍ ، ولا عقداً على تَهْمَةٍ .

وإلى وُلاةِ العيارِ بتخليصِ عَيْنِ الدرهمِ والدينارِ ، ليكونا مضروبينَ على البراءةِ من الغشِّ ، والنِّزَاهَةِ من المَشِّ ^(٨٦) وبحسبِ الإمامِ المقدَّرِ بمدينة السَّلامِ ، وحراسةِ السِّكِّ من أنْ تتداوَلها الأيدي المدغلة ^(٨٧) ، وتتناقلها الجهاتُ الظنينةُ ^(٨٨) ، وإثباتِ اسمِ أميرِ المؤمنينَ على ما يُضْرَبُ ذهباً ، وإجراء ذلك على الرِّسمِ والسُّنَّةِ وإلى وُلاةِ الطرزِ ^(٨٩) أنْ يُجرُوا الاستعمالَ في جميعِ المناسجِ على أتمِّ النِّيقةِ ^(٩٠) وأسلمِ الطريقةِ ، وأحكمِ الصَّنعةِ ، وأثبت ^(٩١) الصَّحَّةِ ، وأنْ يكتُبوا اسمَ أميرِ المؤمنينَ على طرزِ الكُسا والقُرُش والأعلامِ والبندودِ .

وإلى وُلاةِ الحِسبةِ بتصفُّحِ أحوالِ العوامِ في حِرْفِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ ، ومجتمعِ أسواقِهِمْ ومعاملاتهم ، وأنْ يعايرُوا المَوازِينَ والمكاييلَ وَيَفْرِزُوهَا على التَّعْدِيلِ والتَّكْمِيلِ ، ومنَ اطَّلَعُوا منه على حِلْيَةٍ أو تَلْبِيسٍ ، أو غِيلَةٍ أو تَدْلِيسٍ ، أو بَخْسٍ ما يوفيه ، واسْتِفْضَالٍ فيما يَسْتَوْفِيهِ ، نالُوهُ بغليظِ العقوبةِ وعَظْمِهَا ، وَخَصُّوهُ بِوَجْعِهَا وأَلْمِهَا ، وأَقْفَيْنِ في ذلك عندَ الحدِّ الذي يَرَوْنَهُ لذنبه ، مُجَازِيَا ، وَفِي تَأْدِيبِهِ كَافِيَا ، فقد قال اللهُ تعالى :

(٨٦) المَش : هو أخذُ المالِ شيئاً بعد شيءٍ .

(٨٧) المدغلة : من الدغل وهو الفساد ، وفي الأصل « المَزْغلة » بالزاي .

(٨٨) الظنينة المهمة ، وفي الأصل « المينة » .

(٨٩) الطرز : الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة ، والنط ، وثوب ينسج للسلطان .

(٩٠) النيقة : التجويد والمبالغة .

(٩١) في الأصل « وأفضل » والصواب عن المختار ٢١٣ .

« وَيَلُ لِلْمُطَفِّقِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » (٩٢).

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، وَحَجَّتُهُ عَلَيْكَ ، وَقَدْ وَفَّقَكَ عَلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ، وَأَرْشَدَكَ إِلَى وَاضِحِ الدَّلِيلِ ، وَأَوْسَعَكَ تَعْلِيمًا وَتَفْهِيمًا ، وَلَمْ يَأْلِكَ جُهْدًا فِيمَا عَصَمَكَ ، وَعَصَمَ عَلَى يَدِكَ ، وَلَمْ يَدْخِرْكَ مُمَكِّنًا فِيمَا أَصْلَحَ بِكَ وَأَصْلَحَكَ وَلَا تَرَكَ عُذْرًا فِي غَلَطٍ تَغْلُطُهُ ، وَلَا طَرِيقًا إِلَى تَوَرُّطِهِ تَتَوَرَّطُهُ ، بِالْفَائِثِ فِي الْأَوَامِرِ وَالزَّوْاجِرِ إِلَى حَيْثُ يَلْزِمُ الْأَثْمَةَ أَنْ يَنْدَبُوا النَّاسَ إِلَيْهِ ، وَيُخَوِّهُمْ عَلَيْهِ ، مَقِيًا لَكَ عَلَى مُنْجِيَّاتِ الْمَسَالِكِ ، صَارِفًا لَكَ عَنْ مُرْدِيَّاتِ الْمَهَالِكِ ، مَرِيدًا فَيْكَ مَا يُسَلِّمُكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ وَيَعُودُ بِالْحِظِّ عَلَيْكَ فِي آخِرَتِكَ وَأَوَّلِكَ ، فَإِنْ اعْتَدَلْتَ وَعَدَلْتَ فَقَدْ فُزْتَ وَغَنِمْتَ وَإِنْ تَخَانَفْتَ وَاعْوَجَجْتَ فَقَدْ فَسَدْتَ وَنَدِمْتَ ، وَالْأَوَّلَى بِكَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَغْرَسِكَ الزَّاكِي ، وَمَنْبِتِكَ النَّامِي ، وَعُودِكَ الْأَنْجَبِ ، وَعُنْصُرِكَ الْأَطِيبِ ، أَنْ تَكُونَ لَظَنَّهُ مُحَقِّقًا . وَلَمْخِيلَتَهُ فَيْكَ مُصَدِّقًا ، وَأَنْ تَسْتَرْيِدَهُ بِالْأَثَرِ الْجَمِيلِ قَرَبًا وَثَوَابًا يَوْمَ الدِّينِ وَزُلْفَى عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَثَنَاءً حَسَنًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

فَخُذْ مَا نَبَذَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَعَاذِيرِهِ ، وَأَمْسِكْ بِيَدِكَ عَلَى مَا أُعْطِيَ مِنْ مَوَائِقِهِ ، وَاجْعَلْ عَهْدَهُ مِثْلًا تَحْتَذِيهِ ، وَإِمَامًا تَقْتَضِيهِ ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ يُعِزَّنِكَ ، وَاسْتَهْدِهِ يَهْدِيكَ ، وَأَخْلِصْ إِلَيْهِ فِي طَاعَتِهِ يُخْلِصْ لَكَ الْحِظَّ فِي مَعُونَتِكَ وَمَهْمَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ مِنْ خُطْبٍ ، أَوْ أَعْضَلَ عَلَيْكَ مِنْ صَعْبٍ ، أَوْ بَهَرَكَ مِنْ بَاهِرٍ ، أَوْ بَهْظَكَ مِنْ بَاهِظٍ ، فَارْتَبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ [بِهِ] مُنْهِيًا ، وَكُنْ إِلَى مَا يَرُدُّ مِنْ جَوَابِهِ مُتَطَلِعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

[التَّقْلِيدُ بِأَسْلُوبِ ابْنِ الْأَثِيرِ]

وَأَمَّا التَّقْلِيدُ الَّذِي أَنْشَأْتَهُ أَنَا فَهُوَ هَذَا :

« أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَبْدَأُ بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي يَكُونُ لِكُلِّ خُطْبَةٍ قِيَادًا ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مِهَادًا ، وَيَسْتَرْيِدُهُ مِنْ نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ التَّقْوَى لَهُ زَادًا ، وَحَمَلَتْهُ عِبَاءَ الْخِلَافَةِ

فلم يَضْعُفْ عنه طَوْقًا ، ولم يَأُلْ فيه اجتهادًا ، وصَغُرَتْ لديه أمر الدنيا فما تَسَوَّرَتْ له
مِخْرَابًا ، ولا عَرَضَتْ عليه جِيَادًا ، وَحَقَّقَتْ فيه قول الله تعالى : « تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ
نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا » (٩٣) . ثم يَصَلَّى على مَنْ أُنْزِلَتْ
الملائكة لِنَصْرِهِ إِمْدَادًا وَأَسْرَى به إلى السَّمَاءِ حتى ارتقى سَبْعًا شِدَادًا ، وَتَجَلَّى له ربه فلم
يُزْغْ منه بَصَرًا وَلَا أَكْذَبَ فَوَادًا ، ثم مِنْ بعده على أُسْرَتِهِ الطاهرة التي زَكَتْ أوراقًا
وأعوادًا ، وَوَرِثَتْ النُّورَ المِينَ تِلَادًا ، وَوُصِفَتْ بِأَنَّهَا أَحَدُ الثَّقَلَيْنِ هُدَايَةً وَإِرْشَادًا ،
وخصوصًا عمه العباس المدعُوْله بأن يحفظ نفسًا وأولادًا ، وأن تَبْقَى كلمة الخلافة فيهم
خَالِدَةً لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى نَفَادًا . وإذا استوفى القلم مداده من هذه الْحَمْدَةِ ،
وَأُسْنَدَ الْقَوْلِ فيها عن فصاحته الْمُرْسَلَةِ ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُ فِي إِنْشَاءِ هَذَا التَّقْلِيدِ الَّذِي جعله
حليفًا لقرطاسه ، واستدامَ سَجُودُهُ على صفحته حتَّى لم يكْدِ يَرْفَعُ مِنْ رَأْسِهِ ، وليس
ذلك إِلَّا لِإِفَاضَتِهِ فِي وَصْفِ الْمَنَاقِبِ الَّتِي كَثُرَتْ ، فَحَسَّنَ لَهَا مَقَامَ الْإِكْتِثَارِ ، واشتبه
التَّطْوِيلُ فيها بِالِاخْتِصَارِ وَهِيَ الَّتِي لَا يَفْتَقِرُ وَاصِفُهَا إِلَى الْقَوْلِ الْمُعَادِ . وَلَا يَسْتَوْعِرُ سُلُوكُ
أَطْوَادِهَا وَمِنْ الْعَجَبِ وَجُودُ السَّهْلِ فِي سُلُوكِ الْأَطْوَادِ . وتلك مناقبك أيها الملك الناصر
الأَجَلُّ السَّيِّدُ الْكَبِيرُ الْعَالِمُ الْعَادِلُ الْمُجَاهِدُ الْمُرَابِطُ صَلَاحُ الدِّينِ أَبُو الْمُظَفَّرِ يَوْسُفُ بْنُ
أَيُّوبَ وَالدِّبْوَانُ الْعَزِيزُ يَتْلُوها عَلَيْكَ تَحْدِثًا بِشُكْرِكَ ، وَيُبَاهِي بِكَ أَوْلِيَاءَهُ تَنْزِيهًا بِذِكْرِكَ ،
ويقولُ أَنْتَ الَّذِي نَسْتَكْفِي فَتَكُونُ لِلدُّوَلِ سَهْمَهَا الصَّائِبَ ، وشهابها الثَّاقِبَ ، وَكَتَرَهَا
الَّذِي تَذْهَبُ الْكُنُوزُ وَلَيْسَ بِذَاهِبٍ ، وَمَاضِرُهَا وَقَدْ حَضَرَتْ فِي نُصْرَتِهَا إِذَا كَانَ غَيْرُكَ
هُوَ الْغَائِبُ ، فَاشْكُرْ إِذَا مَسَاعِيكَ الَّتِي أَهْلَتَكَ لَمَّا أَهْلَتَكَ ، وَفَضَّلْتَكَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ بِمَا
فَضَّلْتَكَ وَلَكِنَّ شُورَكَ فِي الْوَلَاءِ بِعَقِيدَةِ الْإِضْمَارِ ، فلم تُشَارَكَ فِي عَزْمِكَ الَّذِي انتصر
لِلدُّوَلَةِ فَكَانَ لَهُ بَسْطَةُ الْإِنْتِصَارِ ، وَفَرْقٌ بَيْنَ مَنْ أَمَدَّ بِقَلْبِهِ وَبَيْنَ مَنْ أَمَدَّ بِيَدِهِ فِي
دَرَجَاتِ الْإِمْدَادِ ، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ الْقَاعِدِينَ كَالَّذِينَ قَالُوا : لَوْ أَمَرْنَا لَضَرْبْنَا أَكْبَادَهَا إِلَى
بَرْكِ الْغَمَادِ (٩٤) .

(٩٣) سورة القصص : الآية ٨٣ . (٩٤) قال صاحب القاموس : وبرك الغماد بالكسر ويفتح موضع
بالين ، أو وراء مكة بخمس ليل ، أو أقصى معمور الأرض .

وقد كفالك من المساعي أنك كفيت الخلافة أمر منازعتها ، وطمست على الدعوة الكاذبة التي كانت تدعيها ، ولقد مضى عليها زمنٌ ومِحْرَابٌ حقها محفوفٌ من الباطل بمحرايين ، ورأت ما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من السَّوَارِينِ الَّذِينَ أُولَها كذايين ، فبمصر منها واحدٌ تاهَ بمجرى أنهارها من تحتها ، ودعا الناس إلى عبادة طاغوتها وجنتها ، ولعبَ بالدين حتى لَمْ يَدْرِ يَوْمَ جمعته من يومٍ أَحَدُهُ وَلَا يَوْمَ سَيِّئِهِ ، وأعانهُ على ذلك قومٌ رَمَى اللهُ بِصَائِرِهِمْ بِالْعَمَى وَالصَّمَمِ ، واتخذوه صَنَمًا بينهم ، ولم تكن الضلالة هناك إِلَّا بِعِجْلٍ أَوْ صَنَمٍ ، فَقُمْتَ أَنْتَ فِي وَجهِ باطله ، حَتَّى قَعَدَ وجعلتَ في جيده حَبْلًا مِنْ مَسَدٍ ، وقلتَ ليدَ تَبْتَ ، فأصبحَ وهو لَا يَسْعَى بِقَدَمٍ وَلَا يَبْطِشُ بِيَدٍ ، وكذلكَ فعلتَ بِالْآخِرِ الَّذِي نَجَمْتَ بِالْيَمَنِ نَاجِمَتُهُ ، وسامتَ فيه سَائِمَتُهُ ، فوضعَ بَيْنَهُ مَوْضِعَ الْكُعبَةِ الْيَمَانِيَةِ ، وقالَ هَذَا ذُو الْخُلَصةِ الثَّانِيَةِ (٩٥) ، فَأَيُّ مقاميكَ يَعترفُ الْإِسْلَامُ بِسَبْقِهِ ، أَمْ أَتِيها بِقَوْمٍ بِأَدَاءِ حَقِّهِ ؟

وها هنا فليصبحَ القلمُ لِلسَّيْفِ مِنَ الْحَسَادِ ، وَلِيَقْصُرْ مَكَانَتُهُ عَنْ مَكَانَتِهِ وَقَدْ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَلَمْ يَحْظَ بِهِذِهِ الْمَزِيَّةِ إِلَّا لِأَنَّهُ أَصْبَحَ لَكَ صَاحِبًا ، وَفَخَرَبَكَ حَتَّى طَالَ فَخْرًا عَمَّا عَزَّ جَانِبًا ، وَقَضَى بَوْلَاتِكَ فَكَانَ بِهَا قَاضِيًا ، لَمَّا كَانَ حَدُّهُ قَاضِيًا . وقد قَلَّدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْبِلَادَ الْمَصْرِِّيَّةَ وَالْيَمَنِيَّةَ غَوْرًا وَنَجْدًا ، وما اشتملتَ عليه رِعْيَةً وَجُنْدًا ، وما انتهتْ إِلَيْهِ أَطْرَافُها بَرًا وَبَحْرًا ، وما يُسْتَنْقَذُ مِنْ مَجَاوِرِيها مَسالِمَةٌ وَقَهْرًا ، وَأَضَافَ إِلَيْها بِلَادَ الشَّامِ ، وما تحتوى عليه مِنَ الْمُدُنِ الْمَمْدُنَةِ ، وَالْمَرَكَزِ الْمُحَصَّنَةِ مَسْتَشْنِيًا مِنْها ما هُوَ بِيَدِ نَوْرِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ نَوْرِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللهُ ، وَهُوَ « حَلَبٌ » وَأَعْمَالُها ، فَقَدْ مَضَى أَبُوهُ عَنْ آثَارِ فِي الْإِسْلَامِ تَرَفُّعُ ذِكْرُهُ فِي الذَّاكِرِينَ ، وَتَخَلُّفُهُ فِي عَقْبِهِ فِي الْغَابِرِينَ ، وَوَلَدُهُ هَذَا قَدْ هَدَبَتْهُ الْفِطْرَةُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الرَّبَوَةُ إِلَّا مِنَ ذَلِكَ الْجَبَلِ . فليكنْ لَهُ مِنْكَ جَارٌ يَدْنُو مِنْهُ وَدَادًا كَمَا دَنَا أَرْضًا ، وَيَصْبِحُ وَهُوَ لَهُ كَالْبَنِيانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا .

والَّذِي قَدَّمَناهُ مِنَ الثَّناءِ عَلَيْكَ رُبما تَجَاوَزَ بِكَ دَرَجَةُ الْاِقْتِصادِ ، وَلَفْتِكَ عَنْ

(٩٥) ذُو الْخُلَصةِ مُحَرَّكةٌ بِفَتْحَتَيْنِ وَبِضْمَتَيْنِ بَيْتٌ كَانَ يَدْعَى الْكُعبَةَ الْيَمَانِيَةَ لِحُثْمِها كانَ فِيهِ صُغْمٌ اسْمُهُ الْخُلَصةُ .

فضيلة الازدياد ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَنْظُرَ سَعْيِكَ بِالْإِعْجَابِ ، وتقول هذه بلادُ أنا فتحتها بعد
أَنْ أَضْرَبَ عنها كثيرٌ من الْأَضْرَابِ ، ولكن اعْلَمْ أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، ثم لخليفته
من بعده ، ولا مَنَّةَ للعبدِ بِإِسْلَامِهِ ، بل الْمَنَّةُ لِلَّهِ بِهَدَايَةِ عبده ، وَكَمْ سَلَفَ مِنْ قَبْلِكَ
مَنْ كَوَّرَامَ مَا رُمَتْهُ لَدُنَا شَأْسُهُ ، وَأَجَابَ مَا نِعُهُ ، لَكِنْ ذَخَرَهُ اللَّهُ لَكَ لِتَحْظِيَ فِي
الْآخِرَةِ ، بِمَفَاذِهِ فِي الدُّنْيَا بِرَقْمِ طِرَازِهِ ، فَأَلْقِ بِيَدِكَ عِنْدَ هَذَا الْقَوْلِ الْإِقَاءَ التَّسْلِيمَ ،
وَقُلْ : لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

وَقَدْ قَرَنَ تَقْلِيدَكَ هَذَا بِخِلْعَةٍ تَكُونُ لَكَ فِي الْأَسْمِ شِعَارًا ، وَفِي الْوَسْمِ فَخَارًا ،
وَتَنَاسِبُ مَحَلَّ قَلْبِكَ وَبَصْرِكَ ، وَخَيْرُ مَلَابِسِ الْأَوْلِيَاءِ مَا نَاسَبَ قُلُوبًا وَأَبْصَارًا ، وَمَنْ
جُمِلَتْهَا طَوْقٌ يَوْضَعُ فِي عُنُقِكَ مَوْضِعَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ ، وَيُشِيرُ إِلَيْكَ بِأَنَّ الْإِنْعَامَ قَدْ
أَطَافَ بِكَ إِطَافَةَ الْأَطَوَاقِ بِالْأَعْنَاقِ ثُمَّ إِنَّكَ خَوِطُبْتَ بِالْمُلْكِ ، وَذَلِكَ خُطَابٌ يَقْضَى
لِصَدْرِكَ بِالْإِنْشِرَاحِ ، وَلَأَمْلِكُ بِالْإِنْفَسَاحِ ، وَتُؤَمَّرُ مَعَهُ بِمَدِيدِكَ إِلَى الْعَالِيَا لَا بَضْمَهَا إِلَى
الْجَنَاحِ .

وهذه الثَّلَاثَةُ الْمَشَارُ إِلَىهَا هِيَ الَّتِي تَكْمُلُ بِهَا أَقْسَامُ السِّيَادَةِ ، وَهِيَ الَّتِي لَا مَزِيدَ
عَلَيْهَا فِي الْإِحْسَانِ ، فَيَقَالُ إِنَّهَا الْحُسْنَى وَزِيَادَةُ ، فَإِذَا صَارَتْ إِلَيْكَ فَانْصَبْ لَهَا يَوْمًا
يَكُونُ فِي الْأَيَّامِ كَرِيمِ الْأَنْسَابِ ، وَاجْعَلْهُ لَهَا عِيدًا ، وَقُلْ هَذَا عِيدُ الْخِلْعَةِ وَالتَّقْلِيدِ
وَالْخُطَابِ .

هَذَا وَلَكَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَكَانَةٌ تَجْعَلُكَ لَدَيْهِ حَاضِرًا وَأَنْتَ نَاءٌ عَنِ الْحُضُورِ ،
وَتَضِنُّ أَنْ تَكُونَ مُشْرَكَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ ، وَالضُّنَّةُ مِنْ شَيْمِ الْغَيُورِ . وَهَذِهِ الْمَكَانَةُ قَدْ
عَرَّفَتْكَ نَفْسَهَا وَمَا كُنْتَ تَعْرِفُهَا ، وَمَا نَقُولُ إِلَّا أَنَّهَا لَكَ صَاحِبَةٌ وَأَنْتَ يَوْسُفُهَا ،
فَاحْرَسْهَا عَلَيْكَ حِرَاسَةَ تَقْضَى بِتَقْدِيمِهَا ، وَاعْمَلْ لَهَا فَإِنَّ الْأَعْمَالَ بِخَوَاتِيمِهَا .

وَاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ تَقَلَّدْتَ أَمْرًا تَعِينُ بِهِ نَفَى الْحُلُومِ ، وَلَا يَنْفَكُ صَاحِبُهُ عَنْ عَهْدَةِ
الْمُلُومِ ، وَكَثِيرًا مَا يَرَى حَسَنَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهِيَ مُقْتَسَمَةٌ بِأَيْدِي الْخُصُومِ ، وَلَا يَنْجُومَنْ
ذَلِكَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ أَهْبَةَ الْحِذَارِ ، وَأَشْفَقَ مِنْ شَهَادَةِ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ ، وَعَلِمَ أَنَّ
الْوَلَايَةَ مِيزَانٌ إِحْدَى كَفَّتِيهِ فِي الْجَنَّةِ وَالْآخِرَى فِي النَّارِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« يا أَبَا ذَرٍّ ، إني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي ، لا تأمرنَّ على اثنين ، ولا تولين مالَ يتيم »
فانظر إلى هذا القول النبويَّ نظر من لم يُخدعْ بحديث الحرص والآمال ، ومثل الدنيا
وقد سيقَتْ إليك بِحَذَافِيرِها ، أليس مصيرُها إلى الزوال ؟ والسعيدُ إذا جاءته قضى بها
أربَ الأرواح لا أربَ الجُسوم ، واتخذ منها - وهى السَّم - دواء ، وقد تتخذ الأدويةُ
من السُّموم . وما الاعتبار بما يَخْتَلِفُ على تلاشيهِ المساء والصُّباح ، وهوكما أنزلناه من
السَّماء ، فاختلطَ به نباتُ الأرض ، فأصبحَ هشيمًا تذرُّوه الرياح .
والله يعصمُ أميرَ المؤمنين وولادةَ أمره من تباعثها التي لا يَسْتَهُم ولا يَسُوها ، وأحصاها
اللهُ عليهم ونسوها ، ولك أنت من هذا الدُّعاء حظًّا على قدر محلك من العناية التي
جذبت بعصمك^(٩٦) ، ومحلك من الولاية التي بسطت من دِرْعك . فخذْ هذا الأمر
الذي تقلَّدته أَخَذَ من لم يتعقَّبه بالنسيان ، وكُنْ في رعايته ممن إذا نامت عيناه كان
قلبه يَقْظان .

وملاكُ ذلك كله في إسباغِ العدل الذي جعله الله ثالثَ الحديث والكتاب ،
وأغنى بثوابه وحده عن أعمالِ النَّوَاب ، وقدَر يوماً منه بعبادةِ ستين عاماً في الحساب ،
ولم يأمر به أمرٌ إلا زِيدَ قُوَّة في أمره ، وتحصَّنَ به من عدوِّه ومن دهره ، ثم يُجاءُ به يوم
القيامه وفي يديه كتاباً أمان ، ويجلسُ على منبرٍ من نور عن يمين الرحمن . ومع هذا
فإنَّ مركبه صعبٌ لا يستوى على ظهره إلا مَنْ أمسكَ عِنانَ نفسه قبل إمساكِ عِنايه ،
وغلبت لمةُ ملكه على لمةِ شيطانه ، ومن أوكد فُرُوضِهِ أَنْ يَمْحَى السُّنَنُ السيئة التي
طالت مددَ أيامها ، وَيَتَسَّ الرَّعايا من رفع ظلاماتها ، فلم يجعلوا أمداً لانحسارِ ظلامها
وتلك السُّنَنُ هي المكوسُ التي أنشأتها الهممُ الحقيرة ؛ ولا غنى للأيدى الغنية إذا
كانت ذاتَ نفوسٍ فقيرة . وكلما زِيدت الأموالُ الحاصلة منها قدرًا زادها الله مَحَقًّا ،
وقد استمرَّت عليها العوائد حتى ألحقها الظالمون بالحقوق الواجبة ، فسموها حقًّا ، ولولا
أنَّ صاحبها أعظمُ الناس جرماً لما أغلظ في عقابه ، ومثَّلت توبة المرأة الغامدية

(٩٦) الضع العضد كلها ، وأوسطها يلحمها ، أو ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه .

بمتابة وهل أشقى ممن يكون السواد الأعظم له خصماً ويُضبح وهو مطالبٌ بهم بما يعلم
وبما لم يحط به علماً؟ وأنت مأمورٌ بأن تأتى هذه الظلمات فتُنجى على إبطالها ،
وتُلحق أسماءها في المحو بأفعالها ، حتى لا يبقى لها في العيان صورٌ منظورة . ولا في
الألسنة أحاديثٌ مذكورة . فإذا فعلت ذلك كنت قد أزلت عن الماضي سنةً سوء
سنتها يدها . وعن الآتى متابعة ظلم وجدّه نهجاً مسلوكة . فجرى على مداه ، فبادر
إلى ما أمرت به مبادرة من لم يضق به ذرعاً . ونظر إلى الحياة الدنيا بعينه فرآها في
الآخرة متاعاً . وأحمد الله على أن قيض للإمام هدى يقفُ بك على هُداك ، ويأخذ
بحُجرتك عن خطوات الشيطان ، الذى هو أعدى عداك . وهذه البلاد المنوطة
بطرفك تشتملُ على أطراف متباعدة ، وتفتقر في سياستها إلى أيدٍ متساعدة . ولهذا
يكثرُ بها قضاة الأحكام ، وأولو تدبيرات السيوف والأفلام . وكل من هؤلاء ينبغي أن
يقفَ على باب الاختبار ، ويسلّط عليه شاهداً عدل من أمانة الدرهم والدينار ، فما
أضلّ الناس شيء كحب المال الذى فوّقت من أجله الأديان ، وهُجرت بسببه الأولاد
والإخوان . وكثيراً ما نرى الرجل الصائم القائم وهو عابدٌ له عبادة الأوثان فإذا استعنت
بأحد منهم على شيء من أمرٍ فاضرب عليه بالأرصاد . ولا ترض بما عرفته من مبدأ
حاله فإن الأحوال تتقلّب مُتقلّب الأجساد . وإياك أن تُخدع بصلاح الظاهر كما خُدع
عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بالرّبيع بن زياد . وكذلك أوْمُر هؤلاء على
اختلاف طبقاتهم بأن يأثروا بالمعروف مواظبين ، وينهوا عن المنكر محاسنين ، ويعلموا
أن ذلك من دأب حزب الله الذين جعلهم الله الغالين . وليبدؤوا أولاً بأنفسهم ،
فيعدلوا بها عن هواها ، ويأثروها بما يأثرون به سيواها ، ولا يكونوا ممن هدى إلى طريق
البر وهو عنه حائد . وانتصب لطلب المرضى وهو محتاجٌ إلى طبيبٍ وعائد ، فما تنزل
بركات السماء إلّا على من خاف مقام ربه . وألزم التقوى أعمال يده ولسانه وقلبه ،
وإذا صلحت الولاة صلحت الرعية بصلاحهم . وهم لهم بمنزلة المصاييح ، ولا
يستضىء كل قوم إلّا بمصباحهم ، ومما يؤمرون به أن يكونوا لمن تحت أيديهم إخواناً في
الاصطحاب ، وجيراناً في الاقتراب ، وأعواناً في توزع الحمل الذى ينقل على

الرقاب ، فالمسلم أخو المسلم ، وإن كان عيه أميراً ، وأولى الناس باستعمال الرفق من كان فضل الله عليه كثيراً ، وليست الولاية لمن يستجد بها كثرة الليف ، ويتولأها بالوطء العنيف ، ولكنها لمن يمال على جوانبه ، ويؤكل من أطايبه ، ولمن إذا غضب لم ير للغضب عنده أثر ، وإذا الحف في سؤاله لم يلق الإلحاف بخلق الضجر ، وإذا حضر الخصوم بين يديه عدل بينهم في قسمة القول والنظر ، فذلك الذى يكون فى أصحاب اليمين ، والذى يدعى بالحفيظ العليم ، والقوى الأمين .

ومن سعادة المرء أن تكون ولاته متأدين ، وجارين على نهج صوابه . وإذا تطايرت الكتب يوم القيامة كانوا حسنات مثبتة فى كتابه .

وبعد هذه الوصية فإن هاهنا حسنة هى للحسنات كالأمم الولود ، ولطالما أغنت عن صاحبها إغناء الجنود ، وتيقظت لنصره والعيون رقاد ، وهى التى تسبغ لها الآلاء ، ولا يتخطأها البلاء .

ولأمير المؤمنين بها عناية تبعثها الرحمة الموضوعة فى قلبه ، والرغبة فى المغفرة لما تقدم وتأخر من ذنبه ، وتلك هى الصدقة التى فضل الله بها بعض عباده لمزية أفضالها ، وجعلها سبباً إلى التعويض عنها بعشر أمثالها ، وهو يأمر أن تتفقد أحوال الفقراء الذين قدرت عليهم مادة الأرزاق ، وألبسهم التعفف ثوب الغنى وهم فى ضيق من الإملاق ، فأولئك أولياء الله الذين مستهم الضراء فصبروا ، وكثرت الدنيا فى يد غيرهم فما نظروا إليها إذ نظروا ، وينبغى أن يهيج لهم من أمرهم مرفقا ، ويضرب بينهم وبين الفقر موبقا .

وما أطلنا لك القول فى هذه الوصية إلا إعلاماً بأنها من المهم الذى يستقبل ولا يستدير ، ويستسكتر منه ولا يستكثر ، وهذا يعد من جهاد النفس فى بذل المال ، ويتلوه جهاد العدو الكافر فى مواقف القتال ، وأمير المؤمنين يعرفك من ثوابه ما تجعل السيف فى ملازمته أخا ، وتسخوله بنفسك إن كان أحد بنفسه سخا ، ومن صفاته أنه العمل المحبب بفضل الكرامة الذى ينمى أجره بعد صاحبه إلى يوم القيامة ، وبه تمتحن طاعة الخالق على المخلوق ، وكل الأعمال عاطلة لا خلوق لها وهو المختص دونها برتبة

الْخُلُق ، ولولا فضله لما كان محسوباً بشطَرِ الإيمان ، ولما جعل الله الجنة له ثمناً وليست
لغيره من الأثمان ، وقد علمتُ أَنَّ العدوَّ وهو جارُّكَ الأَدْنَى ، وَالَّذِي يَبْلُغُكَ وَتَبْلُغُهُ عَيْنًا
وَأُذُنًا ، ولا تكونُ للإسلامِ نِعَمَ الجارِّ حَتَّى تكونَ له بِئْسَ الجار ، ولا عُذْرَ لكَ في تركِ
جهادِهِ بنفسِكَ وما لَكَ إذا قامَتُ لغيرِكَ الاعتذار . وأميرُ المؤمنين لا يرضى منك بأن تلقاهُ
مكافحاً ، أو تطرُقَ أرضه مُماسياً أو مصابحاً ، بل يريدُ أن تقصِدَ البلادَ التي في يده
قَصْدَ المستنقِذِ لا قصدَ المُغِيرِ ، وأن تحكمَ فيها بحكمِ الله الذي قضاهُ على لِسَانِ سَعْدٍ في
بَنَى قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ ، وعلى الخصوصِ البيت المقدس ، فَإِنَّ تِلَادُ الإسلام القديم ، وأخو
البيتِ الحرام في شَرَفِ التعظيم والذي توجَّهتُ إِلَيْهِ الوجوهُ من قبلُ بالسُّجود والتسليم ،
وقد أَصْبَحَ وهو يشكو طولَ المدة في أسرِ رقبته ، وأصبحتُ كلمةُ التَّوْحِيدِ وهي تشكو
طولَ الوحشة في غربتها عنه وغربته ، فانهُضْ إِلَيْهِ نهضة توغل في قَرْحِهِ ، وتبدلِ صَعْبَ
قيادةِ بِسْمَحِهِ ، وإن كان لَهُ عام حُدُوبِيَّة فأتبعه بعام فتحِهِ ، وهذه الاستزادة وإنما تكون
بعد سدادِ ما في اليد من ثغر كان مهملاً فحميت موارِدَهُ ، أو مُسْتَهْدَماً فرفعتْ
قواعِدَهُ ، ومن أهمِّها ما كان حاضِرَ البحرِ فَإِنَّ عورة مكشوفة ، وخُطَّةٌ مَحْوَقة ، والعدوُّ
قريبٌ منه على بُعْدِهِ ، وكثيراً ما يأتِيهِ فجأةً حتى يُسَبِّقُ بَرْقُهُ بَرَعَدَهُ ، فينبغي أن يرتب
بهذه الثغورِ رابطةً تكثرُ شجاعَتُها ، وتقلُّ أقرانُها ، ويكونُ قتالُها لأن تكونَ كلمة الله
هي العليا ، لا لأن يرى مكانها ، وحينئذٍ يصبح كلُّ منها وله من الرِّجال أسوار ، ويعلم
أهله أن بناء السَّيْفِ أَمْنٌ من بناءِ الأحجار ، ومع هذا لا بدَّ لها من أسطولٍ يكثر عدده ،
ويقوى مددُهُ ، فَإِنَّ العُدَّةَ التي تستعينُ بها على كشفِ العَمَاءِ ، والاستكثارِ من سبايا
العبيد والإماء ، وجيشُهُ أخو الجيشِ السُّلِماني ، فذاك يسيرُ على مَتْنِ الرِّيح ، وهذا على
مَتْنِ الماءِ ، ومن صفاتِ خيلِهِ أنها جَمَعَتْ بين العُومِ والمِطارِ^(٩٧) ، وتساوتْ أقدارُ
خَلْقِها على اختلافِ مدة الأعمار ، فإذا أشرَعَتْ قِيلَ جبالٌ مَتَلَفَّعة بِقِطْعٍ من الغيومِ ،
وإذا نُظِرَ إلى أشكالها قيل إنها أهْلَةٌ غير أنها تهتدى في مَسِيرِها بِالنُّجُومِ ، ومثلُ هذه الخيلِ
ينبغي أن يُعَالَى في جِياها ، ويُستكثرَ من قيادها ، وليؤمَّرَ عليها أميرٌ يلقي البحرَ بمثلِهِ من

(٩٧) العوم سير الإبل ، والمطار سرعة سير الخيل .

سَعَةِ صَدْرِهِ ، وَيَسْلُكُ طَرَفَهُ سُلُوكَ مَنْ لَمْ تَقْتُلْهُ بِجَهْلِهَا ، وَلَكِنْ قَتَلَهَا بِخُبْرِهِ ، وَكَذَلِكَ فَلَئِنْ مَنَّ أَفْنَتَ الْأَيَّامَ تَجَارِبُهُ : وَزَحَمْتُهَا مَنَاكِبُهُ ، وَمَنْ يَذُلُّ الصَّعْبُ إِذَا هُوَ سَاسَهُ وَإِنْ لَانَ جَانِبُهُ ، وَهَذَا هُوَ الرَّجُلُ يُرَأْسُ عَلَى الْقَوْمِ فَلَا يَجِدُ هِزَّةً بِالرِّيَاسَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ (٩٨) ، فِي السَّاقَةِ أَوْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ فِي الْحِرَاسَةِ ، وَلَقَدْ أَفْلَحَتْ عِصَابَةُ اعْتَصَبَتْ مِنْ وَرَائِهِ ، وَأَيَقَنْتَ بِالنَّصْرِ مِنْ رَأْيِهِ كَمَا أَيَقَنْتَ بِالنَّصْرِ مِنْ رَأْيِهِ وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ أَخْلَى مِنَ الْجِهَادِ بُرْكَانٍ يَقْدَحُ فِي عَمَلِهِ ، وَهُوَ تَمَامُهُ الَّذِي يَأْتِي فِي آخِرِهِ ، كَمَا أَنَّ صِدْقَ النِّيَّةِ تَأْتِي فِي أَوَّلِهِ ، وَكَذَلِكَ هُوَ قَسْمُ الْغَنَائِمِ ، فَإِنَّ الْأَيْدِيَ قَدْ تَنَاوَلَتْهُ بِالْإِجْحَافِ ، وَخَلَطَتْ جِهَادَهَا فِيهِ بَغْلُهَا فَلَمْ تَرْجِعْ بِالْكَفَافِ . وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الظُّلْمَ فِي تَعْدَى حُدُودِهِ الْمَحْدُودَةِ ، وَجَعَلَ الْإِسْتِثَارَ بِالْمَغْنَمِ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الْمَوْعُودَةِ . وَنَحْنُ نَعُودُ بِهِ أَنْ يَكُونَ زَمَانُنَا هَذَا زَمَانَهُ ، وَبِأَسْهِ شَرِّيَاسٍ ، وَلَمْ يَسْتَخْلِفْنَا عَلَى حِفْظِ أَرْكَانِ دِينِهِ ثُمَّ نَهْمَلُهُ إِهْمَالًا مُضَيِّعًا ، وَلَا إِهْمَالًا نَاسٍ .

وَالَّذِي نَأْمُرُكَ بِهِ تَجْرِي هَذَا الْأَمْرَ عَلَى الْمَنْصُوصِ مِنْ حُكْمِهِ ، وَتُبْرِي ذِمَّتَكَ مِمَّا يَكُونُ غَيْرَكَ الْفَائِزَ بِفَوَائِدِهِ وَأَنْتَ الْمَطَالِبَ بِإِثْمِهِ ، وَفِي أَرْزَاقِ الْمُجَاهِدِينَ بِالذِّيَارِ الْمَصْرِتَةِ وَالشَّامِيَةِ مَا يُغْنِيهِمْ عَنْ هَذِهِ الْإِكْلَةِ الَّتِي تَكُونُ غَدًا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ، وَطَعَامًا ذَا غَصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا .

فَتَصَفِّحْ مَا سَطَرْنَا لَكَ فِي هَذِهِ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي هِيَ عِزَائِمُ مُبَرَّمَاتٍ ، بَلْ آيَاتُ مُحْكَمَاتٍ ، وَتَحَبَّبْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِاقْتِفَاءِ كَلِمَاتِهَا ، وَابْنِ لَكَ مِنْهَا مَجْدًا يَبْقَى فِي عَقَبِكَ إِذَا أُصِيبَتِ الْبُيُوتُ فِي أَعْقَابِهَا . وَهَذَا التَّقْلِيدُ يَنْطِقُ عَلَيْكَ بِأَنَّهُ لَمْ يَأَلُ فِي الْوَصَايَا الَّتِي أَوْصَاها ، وَأَنَّهُ لَمْ يَغَادِرْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاها . ثُمَّ أَنَّهُ قَدْ خَتَمَ بِدَعَاوَاتِ دَعَا بِهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ خَتَامِهِ ، وَسَأَلَ فِيهَا خَيْرَ اللَّهِ الَّتِي تَنْزِلُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ بِمَنْزِلَةِ نِظَامِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « اَللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ عَلَى مَنْ قُلْدَتَهُ شَهَادَةٌ تَكُونُ عَلَيْهِ رَقِيَّةً ، وَلَهُ حَسِيَّةٌ . فَإِنِّي لَمْ أَمْرِهِ إِلَّا بِأَوَامِرِ الْحَقِّ الَّتِي فِيهَا مَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى ، وَهِيَ لِمَنْ تَبِعَهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ

وَبُشِّرَى ، وَإِذَا أَخَذَ بِهَا بَلَجَ بِحُجَّتِهِ يَوْمَ يُسْأَلُ عَنِ الْحُجَجِ ، وَلَمْ يَخْتَلِجْ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْحَوْضِ فِي جُمْلَةٍ مِنْ يَخْتَلِجُ ، وَقِيلَ لَأُحْرَجَ عَلَيْكَ وَلَا إِثْمَ إِذْ نَجَوْتَ مِنْ وَرَطَاتِ الْإِثْمِ وَالْحَرَجِ ، وَالسَّلَامُ .

[ثناء على الصَّابِي ، ومنزلته من فن الكتابة]

وهذا الذي ذكرته من كلامي وكلام الصَّابِي فِي هَذِهِ التَّقَالِيدِ الْأَرْبَعَةِ لَمْ أَقْصِدْ بِهِ الْوَضْعَ مِنَ الرَّجُلِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ مَا ذَكَرْتُهُ لِبَيَانِ مَوْضِعِ السَّجْعِ الَّذِي يَثْبُتُ عَلَى الْمَحْكِّ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ الْمَشَارَ إِلَيْهِ فِي فَقَرِ الْأَسْجَاعِ لَمْ يَكُنْ مَقْصُوداً فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ ، إِمَّا الْمَكَانَ عُسْرَةَ ، أَوْ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَنَبَّهُ لَهُ .

وَكَيْفَ أَضْعُ مِنَ الصَّابِي وَعِلْمُ الْكِتَابَةِ قَدْ رَفَعَهُ وَهُوَ إِمَامُ هَذَا الْفَنِّ ، وَالْوَاحِدُ فِيهِ ؟ ، وَلَقَدْ اعْتَبَرْتُ مَكَاتِبَاتِهِ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ أَجَادَ فِي السُّلْطَانِيَّاتِ كُلِّ الْإِجَادَةِ ، وَأَحْسَنَ كُلِّ الْإِحْسَانِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَى كِتَابِهِ الَّذِي كَتَبَهُ عَنْ عَزِّ الدَّوْلَةِ بِخَيْرِ ابْنِ بُوَيَه (٩٩) إِلَى سَبِكْتِكِينَ (١٠٠) عِنْدَ خُرُوجِهِ عَلَيْهِ ، وَمَجَاهِرَتِهِ إِيَّاهُ بِالْعَصِيَانِ ، لَاسْتَحَقَّ بِهِ فَضِيلَةَ التَّقَدُّمِ ، كَيْفَ وَلَهُ مِنَ السُّلْطَانِيَّاتِ مَا أَتَى فِيهِ بِكُلِّ عَجَبِيَّةٍ ؟ لَكِنَّهُ فِي الْإِخْوَانِيَّاتِ مَقْصَرٌ ، وَكَذَلِكَ فِي كُتُبِ التَّعَاوَى .

وَعِنْدِي فِيهِ رَأْيٌ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ غَيْرِي ، وَلِي فِيهِ قَوْلٌ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ سِوَايَ : وَذَلِكَ أَنَّ عَقْلَ الرَّجُلِ فِي كِتَابَتِهِ زَائِدٌ عَلَى فَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ ، وَسَائِبِينَ ذَلِكَ فَأَقُولُ : لِيَنْظُرِ النَّاضِرُ فِي هَذَيْنِ التَّقْلِيدَيْنِ اللَّذَيْنِ أَوْرَدْتُهُمَا لَهُ ، فَإِنَّهُ يَرَى وَصَايَا وَشُرُوطاً وَاسْتِدْرَاكَاتٍ

(٩٩) هُوَ أَبُو مَنْصُورِ بَخْتِيَارِ الْمَلَقَبُ عَزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ مَعَزِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ بُوَيَه الدِّيلَمِيُّ ، وَلِي مَمْلَكَةٌ أَبِيهِ يَوْمَ مَوْتِهِ ، وَتَزَوَّجَ الْإِمَامَ الطَّائِعَ ابْنَتَهُ « شَاهِ زَمَان » عَلَى صَدَاقٍ مَبْلُغُهُ مِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَ عَزِّ الدَّوْلَةِ مُلْكًا سَرِيًّا ، شَدِيدَ الْقُوَى ، يَمْسِكُ الثَّوْرَ الْعَظِيمَ بِقَرْنَيْهِ قَيْصِرَهُ . وَكَانَتْ بَيْنَ عَزِّ الدَّوْلَةِ وَابْنِ عَمِّهِ عَضْدِ الدَّوْلَةِ مَنَافَسَاتٌ فِي الْمَالِكِ أَدَّتْ إِلَى التَّنَازُعِ وَالْحَارَبَةِ ، فَالْتَقِيَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ثَامِنَ عَشَرَ شَوَالِ سَنَةِ ٣٦٧ هـ. فَقُتِلَ عَزِّ الدَّوْلَةِ ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ فِي طَسْتٍ وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْ عَضْدِ الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ وَضَعَ مَنَدِيلَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ وَبَكَى ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ .

(١٠٠) نَصُّ الْكِتَابِ فِي الْخِتَارِ مِنْ رِسَائِلِ الصَّابِي ٢٢٧/١ .

وأوامر مابين أصل وفرع ، وكلّ وجزء ، وقليل وكثير ، ولانرى ذلك فى كلام غيره من الكتاب ، إلا أنه عير عن تلك الوصايا والأوامر والشروط والاستدراكات بعبارة فى بعضها مافيه من الضعف والركّة وقد قيل : إن زيادة العلم على المنطق هُجْنَة ، وزيادة المنطق على العلم خُدعة .

ومع هذا فإنى أقرّ للرجل بالتقدّم ، وأشهد له بالفضل .

[أقسام السجع]

وإذا فرغتُ مما أردتُ تحقيقه فى هذا الموضع فإنى أرجعُ إلى ما كنتُ بصددِ ذكره من الكلام على السّجع ، وقد تقدّم من ذلك ما تقدّم : وبقي ما أنا ذاكره هاهنا ، وهو أنّ السّجع قد ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون الفصلان متساويين ، لا يزيدُ أحدهما على الآخر ، كقوله تعالى : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ » (١٠١) . وقوله تعالى : « وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَنْزِلْنَاهُ نَقْعًا * فَوْسَطْنَاهُ جَمْعًا » (١٠٢) .

ألا ترى كيف جاءت هذه الفصول متساوية الأجزاء ، حتّى كأنها أفرغتُ فى قالب واحد ؟ وأمثال ذلك فى القرآن الكريم كثيرة ، وهو أشرفُ السّجع منزلة ، للاعتدال الذى فيه .

القسم الثانى : أن يكون الفصل الثانى أطول من الأول ، لا طويلاً يخرجُ به عن الاعتدالِ خروجاً كثيراً ، فإنه يقبح عند ذلك ، ويُستكره ، ويعدُّ عيباً ، فمما جاء من ذلك قوله تعالى : « بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ * وَاعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعيراً * إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا » (١٠٣)

(١٠١) سورة الضحى : الآيتان ٩ و ١٠ .

(١٠٢) سورة العاديات : الآيات ١ - ٥ .

(١٠٣) سورة الفرقان : الآيات ١١ و ١٢ و ١٣ .

أَلَا تَرَى أَنَّ الْفَصْلَ الْأَوَّلَ ثَمَانِ لَفْظَاتٍ ، وَالْفَصْلَ الثَّانِي وَالثَّلَاثَ تِسْعَ تِسْعَ :
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ مَرْيَمَ : « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا » لَقَدْ جِئْتُمْ
شَيْئًا إِذَا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا (١٠٤) »
وَأَمْثَالُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ .

وَيُسْتَشْنَى مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مَا كَانَ مِنَ السَّجْعِ عَلَى ثَلَاثٍ فَقَرَّ ، فَإِنَّ الْفَقْرَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ
يُحْسَبَانِ فِي عِدَّةٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ بَاقِي الثَّلَاثَةِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ طَوِيلَةٌ طَوِيلًا يَزِيدُ عَلَيْهَا ،
فَإِذَا كَانَتِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ تَكُونُ الثَّلَاثَةُ عَشْرَ لَفْظَاتٍ ، أَوْ
إِحْدَى عَشْرَةَ .

مِثَالُ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي وَصْفِ صَدِيقٍ ، فَقُلْتُ : « الصَّدِيقُ مَنْ لَمْ يَعْتَضِ عَنْكَ
بِخَالِفٍ ، وَلَمْ يَعَامِلْكَ مَعَامَلَةً خَالِفٍ ، وَإِذَا بَلَغَتْهُ أُذُنُهُ وَشَايَةً أَقَامَ عَلَيْهَا حَدَّ سَارِقٍ أَوْ
قَازِفٍ » .

فَالْأُولَى وَالثَّانِيَةُ هَاهُنَا أَرْبَعُ لَفْظَاتٍ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ ، لِأَنَّ الْأُولَى : « لَمْ يَعْتَضِ عَنْكَ
بِخَالِفٍ » وَالثَّانِيَةُ « وَلَمْ يَعَامِلْكَ مَعَامَلَةً خَالِفٍ » وَجَاءَتِ الثَّلَاثَةُ عَشْرَ لَفْظَاتٍ ، وَهَكَذَا
يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ .

وَإِنْ زَادَتِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ عَنْ هَذِهِ الْعِدَّةِ فَتَزَادُ الثَّلَاثَةُ بِالْحِسَابِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا
نَقَصَتْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ عَنْ هَذِهِ الْعِدَّةِ . فَافْهَمْ ذَلِكَ ، وَقِيسْ عَلَيْهِ .
إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَجْعَلَهُ قِيَاسًا مُطَرِّدًا فِي السَّجْعَاتِ الثَّلَاثِ أَيْنَ وَقَعَتْ مِنْ
الْكَلَامِ ، بَلْ تَعْلَمْ أَنَّ الْجَوَازَ يَعْمُ الْجَانِبَيْنِ مِنَ التَّسَاوِي فِي السَّجْعَاتِ الثَّلَاثِ ، وَمِنْ
زِيَادَةِ السَّجْعَةِ الثَّلَاثَةِ .

أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ ثَلَاثُ سَجْعَاتٍ مُتَسَاوِيَاتٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
« وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلِّ
مَمْدُودٍ » (١٠٥) .

(١٠٤) سورة مريم : الآيات ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ .

(١٠٥) سورة الواقعة : الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ .

فهذه السجعات كلها من لفظتين لفظتين ، ولو جعلت الثالثة منها خمسَ لفظاتٍ أو ستاً كان ذلك معيباً .

القسم الثالث : أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول ، وهو عندى عيب فاحش وسبب ذلك أن السجع يكون قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله ، ثم يحى الفصل الثانى قصيراً عن الأول ، فيكون كالشيء المبتور ، فيبقى الإنسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها .

* * *

وإذا انتهينا إلى هاهنا وبيننا أقسام السجع وثلاثة وقشوره فنقول فيه قولاً كلياً ، وهو أن السجع على اختلاف أقسامه ضربان : أحدهما : يسمى (السجع القصير) وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة ، وكلما قلت الألفاظ كان أحسن ، لقرب الفواصل المسجوعة من سماع السامع .

وهذا الضرب أوعر السجع مذهباً ، وأبعده متناً ، ولا يكاد استعماله يقع إلا نادراً والضرب الآخر : يسمى (السجع الطويل) وهو ضد الأول لأنه أسهل متناً . وإنما كان القصير من السجع أوعر مسلوكاً من الطويل لأن المعنى إذا صيغ بالألفاظ قصيرة عز مواتاة السجع فيه . لقصر تلك الألفاظ ، وضيق المجال في استجلابه ، وأما الطويل فإن الألفاظ تطول فيه ، ويستجلب له السجع من حيث وليس كما يقال ، وكان ذلك سهلاً .

وكل واحد من هذين الضربين تتفاوت درجاته في عدة ألفاظ : أما السجع القصير فأحسنه ما كان مؤلفاً من لفظتين لفظتين ، كقوله تعالى : والمرسلات عرفاً * فالعاصفات عصفاً (١٠٦) » وقوله تعالى : « يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر » (١٠٧) .

(١٠٦) سورة المرسلات : الآيتان ١ و ٢ . (١٠٧) سورة المدثر : الآيات ١ - ٥ .

ومنه ما يكون مؤلفاً من ثلاثة ألفاظٍ وأربعة وخمسة ، وكذلك إلى العشرة ، وما زاد على ذلك فهو من السجع الطويل ، فما جاء منه قوله تعالى : « والنجم إذا هوى * ماضلٌ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى » (١٠٨) وقوله تعالى : « اقتربت الساعةُ وانشق القمر * وإن يروا آية يُعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر * وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكلٌ أمرٌ مستقر » (١٠٩)

وأما السجع الطويل فإن درجاته تتفاوت أيضاً في الطول .
فنه ما يقرب من السجع القصير ، وهو أن يكون تأليفه من إحدى عشرة لفظة إلى اثني عشرة لفظة ، وأكثره خمس عشرة لفظة ، كقوله تعالى : « ولئن أذقنا الإنسان منا رحمةً ثم نزعناها منه إنه ليكفور * ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيات عني إنه لفرح فخور » (١١٠) فالأولى إحدى عشرة لفظة ، والثانية ثلاث عشرة لفظة ، وكذلك قوله تعالى : « لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم * فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » (١١١) .

ومن السجع الطويل ما يكون تأليفه من العشرين لفظة فما حولها كقوله تعالى : « إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراهم كثيراً لفشتنم ولتنازعنم في الأمر ولكن الله سلم أنه عليهم بذات الصدور * وإن يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور » (١١٢)

ومن السجع الطويل أيضاً ما يزيد على هذه العدة المذكورة ، وهو غير مضبوط .

[التصريح في الشعر]

واعلم أن (التصريح) في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنشور ،

(١٠٨) سورة النجم : الآيات ٣٠ و ٣١ و ٣٢ .

(١٠٩) سورة القمر : الآيات ٣٠ و ٣١ و ٣٢ .

(١١٠) سورة هود : الآيات ١٠ و ٩ .

(١١١) سورة التوبة : الآيات ١٢٨ و ١٢٩ .

(١١٢) سورة الأنفال : الآيات ٤٣ و ٤٤ .

وفائده في الشعر أنه قبل كمال البيت الأول من القصيدة تعلم قافيتها ، وشبه البيت المصروع بباب له مصراعان متشاكلان ، وقد فعل ذلك القدماء والمحدثون ، وفيه دلالة على سعة القدرة في أفانين الكلام .

فأما إذا كثرت التصريعات في القصيدة فليست أراءه مختاراً إلا أن هذه الأصناف من التصريع والترصيع والتجنيس وغيرها إنما يحسن منها في الكلام ما قل وجري مجرى العرة من الوجه ، أو كان كالطرار من الثوب .

فأما إذا تواترت وكثرت فإنها لا تكون مرضية ، لما فيها من أمارات الكلفة (١١٣) . وهو عندى (١١٤) ينقسم إلى سبع مراتب ، وذلك شيء لم يذكره على هذا الوجه أحد غيرى !

فالمرتبة الأولى : - وهى أعلى التصريع درجة - أن يكون كل مصراع من البيت مستقلاً بنفسه في فهم معناه ، غير محتاج إلى صاحبه الذى يليه ويسمى « التصريع الكامل » وذلك كقول امرئ القيس :

أفأطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت هجراً فأجمل
فإن كل مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه ، غير محتاج إلى ما يليه ، وعليه ورد قول المتنبي :

إذا كان مدح فالنسب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم (١١٥)
المرتبة الثانية : أن يكون المصراع الأول مستقلاً بنفسه ، غير محتاج إلى الذى يليه فإذا جاء الذى يليه كان مرتبطاً به ، كقول امرئ القيس :

فقاتبك من ذكرى حبيب ومترل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(١١٣) نقل ابن الأثير في كلامه عن (التصريع) رأى ابن سنان الخفاجى ، قال « في سر الفصاحة ٢٢٢ » .
فأما إذا تكررت التصريعات في القصيدة فليست أراءه مختاراً ، وهو عندى يجرى مجرى تكرار الترصيع والتجنيس والطباق وغير ذلك . وإن هذه الأشياء إنما يحسن منها ما قل وجرى منها مجرى اللعة واللحمة ، وأما إذا تواترت وتكررت ، فليس ذلك عندى مرضياً .

(١١٤) يقصد التصريع .

(١١٥) ديوان المتنبي ٣/ ٣٥٠ وهو مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

فالمصراعُ الأوَّلُ غيرُ محتاجٍ إلى الثَّاني في فهم معناه ، لكنَّ لَمَّا جاءَ الثَّاني صارَ مرتبطاً به ، وكذلك وَرَدَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :
 أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تُرَوِّى الظَّاءُ الْحَوَائِمُ وَأَنْ يَنْظِمَ الشَّمْلَ الْمُبَدَّدَ نَاطِمُ (١١٦)
 وعليه وَرَدَ قَوْلُ الْمُتَنَبِّى :

الرَّأْيُ قَبْلَ شِجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي (١١٧)
 المرتبةُ الثالثةُ : أن يكونَ الشَّاعِرُ مُخَيَّرًا في وَضْعِ كُلِّ مِصْرَاعٍ مَوْضِعَ صَاحِبِهِ ،
 وَيُسَمَّى « التَّصْرِيعُ الْمَوْجَّهَ » وذلكَ كَقَوْلِ ابْنِ الْحَجَّاجِ الْبَغْدَادِيِّ (١١٨) :

مِنْ شُرُوطِ الصَّبُوحِ فِي الْمَهْرَجَانِ خِفَّةُ الشَّرْبِ مَعَ خُلُوعِ الْمَكَانِ
 فَإِنَّ هَذَا الْبَيْتَ يُجْعَلُ مِصْرَاعُهُ الْأَوَّلُ ثَانِيًا ، وَمِصْرَاعُهُ الثَّانِي أَوَّلًا ، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ
 كَالثَّانِيَةِ فِي الْجَوْدَةِ .

المرتبةُ الرابعةُ : أن يكونَ المِصْرَاعُ الْأَوَّلُ غيرَ مُسْتَقِلٍّ بِنَفْسِهِ . وَلَا يَفْهَمُ مَعْنَاهُ إِلَّا
 بِالثَّانِي ، وَيُسَمَّى « التَّصْرِيعُ النَاقِصُ » ، وَلَيْسَ بِمَرْضِيٍّ وَلَا حَسَنٍ ، فَمَّا وَرَدَ مِنْهُ
 قَوْلُ الْمُتَنَبِّى :

مَعَانِي الشَّعْبِ طِيْبًا فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ (١٢٠)
 فَإِنَّ الْمِصْرَاعَ الْأَوَّلَ لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ فِي فَهْمِ مَعْنَاهُ دُونَ أَنْ يَذْكَرَ الْمِصْرَاعُ الثَّانِي .

(١١٦) ديوان أبي تمام ٢٨٥ ، وهو مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد .

(١١٧) ديوان المتنبى ١٧٤/٤ وهو مطلع قصيدة في مدح سيف الدولة .

(١١٨) هو أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج ، ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر ، قال : وقد اتفق من رأيتهم وسمعت به من أهل البصرة في الأدب وحسن المعرفة بالشعر على أنه فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وأنه لم يسبق إلى طريقته ، ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم يركا قدره على ما يرد من المعاني التي تقع في طرزه . مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها ، وانتظامها في سلك الملاحظة والبلاغة ، وإن كانت مفصحة عن السخافة . . ولكنه على علاته تنفكه الفضلاء بئار شعره ، وتستملح الكبراء ببنات طبعه ، وتستخف الأدياء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط رفقه وقذعه ، ومنهم من يغلو في الميل إلى ما يضحك ويمنع من نوادره .

(١١٩) يتيمة الدهر ٦٥/٣ ، ورواية الثعالبي للشطر الثاني « خفة الشغل مع خلو المكان » .

(١٢٠) ديوان المتنبى ٢٥١/٤ وهو مطلع قصيدة يمدح بها عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف ،

ويذكر طريقه بشعب بوان ، وهو موضع كثير الشجر والمياه يعد من جنان الدنيا .

المرتبة الخامسة : أن يكون التصريحُ في البيتِ بلفظة واحدةٍ وسطاً وقافيةً .
ويسمى « التصريحُ المكرر » ، وهو ينقسم قسمين ، أحدهما أقربُ حالا من الآخر :
فالأول : أن يكون بلفظةٍ حقيقيةٍ لا مجازَ فيها ، وهو أنزلُ الدرجتين كقول عبيد بن
الأبرص (١٢١) .

فكلُّ ذى عَيْتَةٍ يَثُوبُ وَغَائِبِ المَوْتِ لَا يَثُوبُ
القسمُ الآخر : أن يكون التصريحُ بلفظةٍ مجازيةٍ يختلفُ المعنى فيها ، كقول أبي تمام :
فَتَى كَانَ شَرِباً لِلْعَفَاةِ وَمُرْتَعَى فَأَصْبَحَ لِلْهِنْدِيَّةِ الْبَيْضِ مِرْتَعَاً (١٢٢)
المرتبة السادسة : أن يذكر المصراعُ الأولُ ، ويكون معلقاً على صفةٍ يأتي ذكرها
في أولِ المصراعِ الثاني ، ويسمى « التصريحُ المعلق » فمَّا وَرَدَ مِنْهُ قَوْلُ امرئِ
القيس :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِ بِصَبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمَثَلِ
فإنَّ المصراعَ الأولَ معلقٌ على قوله : « بِصُبْحٍ » ، وهذا معيبٌ جداً ، وعليه
وَرَدَ قَوْلُ المتنبي :

قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا تَدْمَى وَالْفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانَا (١٢٣)
فإنَّ المصراعَ الأولَ معلقٌ على قوله : « تَدْمَى » .

المرتبة السابعة : أن يكون التصريحُ في البيتِ مخالفاً لقافيته ، ويسمى « التصريحُ
المشطور » وهو أنزلُ درجاتِ التصريحِ وأقبحُها ، فمن ذلك قولُ أبي نواس :

(١٢١) أحد شعراء الجاهلية ، وهو معدود عند بعض الرواة من أصحاب المعلقات ومطلع معلقته :

أفقر من أهله ملحوب فالقطيات فالذنوب

(١٢٢) ديوان أبي تمام ٣٧٤ من قصيده يرثى بها أبا نصر محمد بن حميد الطائي ، ومطلعها :

أصم بك الناعي وإن كان أسعما وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

والعفاة : السائلون ، والمرتعى موضع الرعى ، والهندية السيوف ، والمرتع المسرح .

(١٢٣) ديوان المتنبي ٢٢٠/٤ وهو مطلع قصيدة في مدح أبي سهل سعيد بن عبد الله ، ومعناه أن الفراق قد

علم أجفاننا الفراق ، فما تلتقى سهراً ، وجعل الفراق يؤلف الحزن .

أَقْلَنِي قَدْ نَدِمْتُ عَلَى ذُنُوبٍ وَإِلَافِرَارِ عُدْتُ مِنَ الْجُحُودِ (١٢٤)
فَصَرَّعَ بِحَرْفِ الْبَاءِ فِي وَسْطِ الْبَيْتِ ، ثُمَّ قَفَّاهُ بِحَرْفِ الدَّالِ ، وَهَذَا لَا يَكَادُ يُسْتَعْمَلُ
إِلَّا قَلِيلًا نَادِرًا (١٢٥) .

النوع الثاني

في التجنيس

اعلم أَنَّ التَّجْنِيسَ غَرَّةٌ شَادِحَةٌ وَجْهَ الْكَلَامِ ، وَقَدْ تَصَرَّفَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ
الصَّنَاعَةِ فِيهِ ، فَغَرَّبُوا وَشَرَّقُوا ، لَاسِيَا الْمُحَدِّثِينَ مِنْهُمْ ، وَصَنَفَ النَّاسُ فِيهِ كِتَابًا كَثِيرًا .
وَجَعَلُوهُ أَبْوَابًا مُتَعَدِّدَةً ، وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ ، وَأَدْخَلُوا بَعْضُ تِلْكَ الْأَبْوَابِ فِي بَعْضٍ .
فَمِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ ، وَأَبُو عَلِيٍّ الْحَاتِمِيُّ ، وَالْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ ^(١) الْجُرْجَانِيُّ ، وَقَدَامَةُ
ابْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ ، وَغَيْرُهُمْ .
وَإِنَّمَا سُمِّيَ هَذَا النَّوعُ مِنَ الْكَلَامِ مُجَانَسًا لِأَنَّ حُرُوفَ الْأَفْظِهِ يَكُونُ تَرْكِيبُهَا مِنْ جَنَسٍ
وَاحِدٍ .

وَحَقِيقَتُهُ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ وَاحِدًا وَالْمَعْنَى مُخْتَلِفًا .
وَعَلَى هَذَا فَإِنَّهُ هُوَ اللَّفْظُ الْمَشْتَرَكُ ، وَمَا عَدَاهُ فَلَيْسَ مِنَ التَّجْنِيسِ الْحَقِيقِيِّ فِي شَيْءٍ ،
إِلَّا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ مَا يُسَمَّى تَجْنِيسًا ، وَتِلْكَ تَسْمِيَةٌ بِالمُشَابَهَةِ ، لَا لِأَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى
حَقِيقَةِ الْمُسَمَّى بَعِينَةٍ .

وَعَلَى هَذَا فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي التَّجْنِيسِ وَمَا شَبَّهَ بِهِ فَأَجْرَى مَجْرَاهُ ، فَوَجَدْتُهُ يَنْقَسِمُ إِلَى
سَبْعَةِ أَقْسَامٍ ، وَاحِدٌ مِنْهَا يَدُلُّ عَلَى حَقِيقَةِ التَّجْنِيسِ ، لِأَنَّ لَفْظَهُ وَاحِدًا لَا يَخْتَلِفُ ، وَسِتَّةُ
أَقْسَامٍ مُشَبَّهَةٍ .

(١٢٤) دِيوَانُ أَبِي نَوَاسٍ ١٧٩ وَهُوَ أَحَدُ بَيْتَيْنِ كَتَبَ بِهِمَا إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ ، وَالْبَيْتُ الْآخَرُ :

وَأِنْ تَصَفَّحَ فَاحْسَانٌ جَدِيدٌ سَبَقَتْ بِهِ إِلَى شُكْرِ جَدِيدٍ

وَفِي الْأَصْلِ « الذُّنُوبِ » وَ « عَنْ » مَوْضِعٍ « مِنْ » .

(١٢٥) هَذَا عَيْبٌ مِنْ عَيُوبِ الْقَوَافِي سَمَاهُ قَدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ (التَّجْمِيعُ) وَعَرَفَهُ بِأَنْ تَكُونَ قَافِيَةُ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ

مِنَ الْبَيْتِ عَلَى رُوى مَبْنِيٍّ لِأَنَّ تَكُونَ قَافِيَةَ آخِرِ الْبَيْتِ بِجَنْسِهِ ، فَتَأْتِي بِخِلَافِهِ .

(١) فِي الْأَصْلِ « أَبُو الْحَسَنِ » . وَهُوَ الْقَاضِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرْجَانِيُّ صَاحِبُ « الْوَسَاطَةِ بَيْنَ الْمُتَنَبِّئِينَ

[التجنيس الحقيقي]

فأما القسم الأول : فهو أن تتساوى حروف ألفاظه في تركيبها ووزنها ، كقوله تعالى :
« وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ »^(٢) وليس في القرآن الكريم سوى
هذه الآية ، فاعرفها .

ويروى في الأخبار النبوية أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد الله البجلي زمامه ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَلُّوا بَيْنَ جَرِيرٍ وَالْجَرِيرِ » أى : دَعُوا زِمَامَهُ .
ومما جاء منه في الشعر قول أبي تمام :

فَأَصْبَحَتْ غُرُرُ الْإِيَّامِ مُشْرِقَةً بِالنَّصْرِ تَضَحْكُ عَنْ أَيَّامِكَ الْغُرُرِ
« فالغُرُرُ » الأولى استعارة من غُرِرِ الوجه ، « والغُرُر » الثانية مأخوذة من غَرَّةِ الشيء
أكرمه ، فاللفظ إذاً واحد والمعنى مختلف . وكذلك قوله :

مِنَ الْقَوْمِ جَعْدٌ أَيْضُ الْوَجْهِ وَالنَّدَى وَلَيْسَ بِنَانٌ يُجْتَدَى مِنْهُ بِالْجَعْدِ^(٣)
فالجعد : السيد ، والبَّنانُ الجعد : ضدَّ السَّبَطِ^(٤) ، فأحدهما يوصف به السخى
والآخر يوصف به البخل . وكذلك قوله :

بِكُلِّ فَتَى ضَرْبٍ يُعْرَضُ لِلْقَنَا مُحِبًّا مُحَلًى حَلِيَّهُ الطَّعْنُ وَالضَّرْبُ^(٥)
فالضَّربُ : الرجل الخفيف ، والضَّرب بالسَّيف : في الحرب ، وكذلك قوله :
عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سُلْسَالِهَا الْخَصْبِ^(٦)

(٢) سورة الروم : الآية ٥٥ .

(٣) ديوان أبي تمام ١٣١ من قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الأزدي ، ومطلعها :

عَفَتْ أَرْبَعُ الْخَلَّاتِ لِلْأَرْبَعِ الْمَلْدُ لِكُلِّ هَضِيمٍ الْكَشْحُ مَجْدُولَةُ الْقَدِ
(٤) في الأصل « البسيط » والسبط المرسل .

(٥) ديوان أبي تمام ٣٣ وهو من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، ومطلعها :
لَقَدْ أَخَذْتَ مِنْ دَارِ مَاوِيَةِ الْحَقْبِ انْخَلِ الْمَغَانِي لِلْبَلْبِ هِيَ أُمُّ نَهَبٍ
والحقب الدهور ، والنحل العطاء بلا عوض ، والمغانى المنازل .

(٦) ديوان أبي تمام ١٠ من قصيدته التي يمدح بها المعتصم ويذكر فتح عمورية ، والتي مطلعها :
السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

فالتُّغُورُ جمعُ ثُغْرٍ ، وهو واحدُ الأسنانِ ، وهو أيضاً البلدُ الذي على تخومِ العدوِّ . ثم قال في هذه القصيدة :

كَمْ أَحْرَزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ مُصْلَتَهُ تَهْتَرُ مِنْ قُضْبٍ تَهْتَرُ فِي كَثْبِ
بَيْضٍ إِذَا انْتَضَيْتَ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ أَحَقُّ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا مِنْ الْحُجْبِ
فَالْقُضْبُ : السُّيُوفُ ، والقُضْبُ : القُدُودُ على حكم الاستعارة ، وكذلك البَيْضُ

السُّيُوفُ ، والبَيْضُ : النساءُ . وهذا من النادر الذي يتعلَّقُ به أحدٌ وكذلك قَوْلُهُ :
إِذَا الْخَيْلُ جَابَتْ قَسَطَلَ الْحَرْبُ صَدَعُوا صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكَتَائِبِ^(٧)
فلفظ « الصدور » في هذا البيت واحدٌ والمعنى مختلف . وكذلك قَوْلُهُ :

عَامِي وَعَامُ الْعَيْسِ يَنْ وَدِيقَةٍ مَسْجُورَةٍ وَتَنْوَفَةٍ صَيَّهْدٍ
حَتَّى أَغَادِرَ كُلَّ يَوْمٍ بِالْفَلَا لِلطَّيْرِ عِيدًا مِنْ بَنَاتِ الْعِيدِ^(٨)
فَالْعِيدُ : فحلٌّ من فحول الإبل ، والعِيدُ : اليومُ المعروفُ من الأيام .
وقد أكثر أبو تهمٍّ من التَّجْنِيسِ في شعره ، فمنه ما أغرب فيه فأحسن ، كالذي ذكرته ،
ومنه ما أتى به كريهاً مُسْتَقْبَلًا ، كقوله :

وَيَوْمَ أَرَشَقَ وَالْهِجَاءُ قَدْ رَشَقَتْ مِنْ الْمَنِيَةِ رَشَقًا وَابِلًا قَصِيفًا^(٩)

(٧) ديوان أبي تمام ٤٢ من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي مطلعها :
على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب
ومعنى جابت قطعت ، والقسطل الغبار ، وصدعوا شققوا ، والعوالى الرماح ، والكتائب الجيوش .

(٨) ديوان أبي تمام ٨٢ من قصيدة مطلعها :
أرأيت أي سواف وخدود عنت لنا بين اللوى وبرود
والعيس النوق ، والوديقة شدة الحر ، والمسجورة الموقدة ، والتنوفة الفلاة البعيدة الأطراف ، والصيهود الفلاة
لا ينال ماؤها ، وبنات العيد النوق .

(٩) ديوان أبي تمام ٢٠٢ من قصيدة في مدح أبي دلف ، ومطلعها :
أما الرسوم فقد أذكرن ماسلفا فلا تكفن عن شانيك أو يكفا
وأرشق اسم جبل ، والوايل المطر الكثير .

وكقوله :

يَا مُضْغِنًا خَالِدًا لَكَ التُّكْلُ إِنْ خَلَدَ حِقْدًا عَلَيْكَ فِي خَلْدِهِ (١٠)

وكقوله :

وَأَهْلُ مُوقَانَ إِذْ مَاقُوا فَلَا وَزَرَ أَنْجَاهُمْ مِنْكَ فِي الْهَيْجَا وَلَا سَنَدُ (١١)

وكقوله :

مَهْلًا بَيْنِي مَالِكٍ لَا تَجْلِينَ إِلَى حَيِّ الْأَرَاقِمِ دُوْلُولُ ابْنَةِ الرَّقْمِ (١٢)

ثم قال فيها :

مِنَ الرُّدَيْنِيَّةِ اللَّائِي إِذَا عَسَلَتْ تَشْمُ بَوَّ الصَّغَارِ الْأَنْفَ ذَا الشَّمَمِ (١٣)

وكقوله :

قَرْتُ بِقِرَانِ عَيْنِ الدِّينِ وَاشْتَرَّتْ بِالْأَشْتَرَيْنِ عَيْنُ الشَّرْكِ فَاصْطَلَمَا (١٤)

وله من هذا الغثِّ البارد المتكلف شيء كثيرٌ لأحاجة إلى استقصائه ، بل قد أوردنا منه قليلاً يُستدلُّ به على أمثاله .

(١٠) ديوان أبي تمام ٩٤ من قصيدة مطلعها :

مالكيب الحمى إلى عقده مابال جرعائه إلى عقده

والمضغن الحاقداً ، والنكل الفقد ، والخلد القلب والنفس .

(١١) ديوان أبي تمام ٩٩ من قصيدة مطلعها :

يأبعد غاية دمع العين إن بعدوا هي الصباية طول الدهر والسهد

ماقوا حمقوا ، والوزر الملجأ ، والهيجاء الحرب .

(١٢) ديوان أبي تمام ٢٦٩ من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق ، ومطلعها :

سلم على الربيع من سلمى بذى سلم عليه وسم من الأيام والقدم

وحى الأرقام بنو تغلب ، والدوْلُول والرقم من أسماء الداهية .

(١٣) الردينية الرماح ، وعسلت اشتد اهتزازها ، واليو ولد الناقة ، أو جلد يحشى تبنا فيقرب من أمه إذا

فقدته فتشمه فتدر ، والشمم ارتفاع الأنف .

(١٤) ديوان أبي تمام ٣٠٢ من قصيدة في مدح إسحاق بن إبراهيم المصعبي مطلعها :

أصغى إلى الين مغترّاً فلا جرماً إن النوى أسارت في عقله لما

وقران محل ، واشتترت انشقت ، واصطلم قطع من أصله .

ومن الحسن في هذا الباب قول أبي نواس :

عبّاس عبّاس إذا احتدم الوغى والفضل فضل والرّيع ربيع^(١٥)
وكذلك قوله :

فقل لأبي العباس إن كنت مُذنباً فأنت أحقّ الناس بالأخذ بالفضل
فلا تجحدوني ودّ عشرين حجةً ولا تُفسدوا ما كان منكم من الفضل^(١٦)
وعلى هذا النهج ورد قول البُحرى :

إذا العين راحت وهى عين على الجوى فليس بسرّ مأسر الأضالع^(١٧)
فالعين : الجاسوس ، والعين : معروفة ، وكذلك ورد قول بعضهم :

وترى سوابق دمعها فتواكفت ساق تجاوب فوق ساق ساقا
فالساق : ساق الشجرة ، والساق : القمرى من الطيور .

وعلى هذا الأسلوب جاء قول بعض المتأخرين ، وهو الشاعر المعروف بالمعرى في
قصيدة قصد بها التّجنيس فى كثير من أبياتها ، فمن ذلك ما أورده فى مطلعها :
لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا ونحن فى حفر الأجداث أحيانا
ثم قال فى أبياتها :

تقول أنت امرؤ جاف مغالطة فقلت لاهومت أجفان أجفانا
وكذا قال فى آخرها :

لم يبق غيرك إنساناً يلاذّ به فلا برحت لعين الدهر إنسانا

(١٥) ديوان أبي نواس ٩٦ .

(١٦) ديوان أبي نواس ١١٠ وقبل البيتين :

أسلمتني يا جعفر بن أبي الفضل فن لى إذا أسلمتني يا أبا الفضل
وأى فقى فى الناس أرجو مقامه إذا أنت لم تفعل وأنت أخو الفضل

وأبو الفضل الربيع بن يونس وزير المنصور ، والفضل فى قافية البيت الأول الكرم ، والفضل فى الثانى ابن
الربيع ، وفى الثالث الساحة ، وفى الرابع ضد النقص .

(١٧) ديوان البحرى ٤٥/١ من قصيدة فى مدح الفتح بن خاقان مطلعها :

ألّمت وهل إمامها لك نافع وزارت خيالا والعيون هواجع
وفى الأصل «لهوى» موضع «الجوى» .

وَرَأَيْتَ الْغَانِمِيَّ قَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ بَاباً وَسَمَّاهُ (رَدُّ الْأَعْجَازِ عَلَى الصُّدُورِ) خَارِجاً
عَنْ بَابِ التَّجْنِيسِ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنْهُ ، وَقَسَّمُ مِنْ جُمْلَةِ أَقْسَامِهِ كَالَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِ
ذِكْرِهِ هَاهُنَا ، فَمِمَّا أَوْرَدَهُ الْغَانِمِيُّ مِنَ الْأَمْثَلَةِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَنَشْرَى بِجَمِيلِ الصُّنْدِ عِزَّ ذِكْرًا طَيْبَ النَّشْرِ
وَنَفْرَى بِسُيُوفِ الْهَنْدِ لِدَ مَنْ أَسْرَفَ فِي النَّفْرِ
وَبَحْرَى فِي شَرَى الْحَمْدِ عَلَى شَاكِلَةِ الْبَحْرِ

وَكَذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي الشَّيْبِ :

يَا بَيَاضاً أَذْرَى دُمُوعِي حَتَّى
عَادَ مِنْهَا سَوَادٌ عَيْنِي بَيَاضاً

وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْبُحْتَرِيِّ (١٨) :

وَأَعْرَفِي الزَّمَنَ الْبَهِيمَ مُحَجَّلٍ قَدْ رُحِتَ مِنْهُ عَلَى أَعْرِ مُحَجَّلٍ
كَالْهَيْكَلِ الْمَبْنِيِّ إِلَّا أَنَّهُ فِي الْحُسْنِ جَاءَ كَصُورَةٍ فِي هَيْكَلٍ
وَلَيْسَ الْأَخْذُ عَلَى الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ مَنَاقِشَةً عَلَى الْأَسْمَاءِ ، وَإِنَّمَا الْمَنَاقِشَةُ عَلَى أَنَّ
يَنْصَبُ نَفْسَهُ لِإِيرَادِ عِلْمِ الْبَيَانِ ، وَتَفْصِيلِ أَبْوَابِهِ ، وَيَكُونُ أَحَدُ الْأَبْوَابِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا
دَاخِلًا فِي الْآخَرِ ، فَيَذْهَبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَيُخْفَى عَنْهُ ، وَهُوَ أَشْهُرُ مِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ .
وَرَبَّمَا جَهَلَ بَعْضُ النَّاسِ ، فَأَدْخَلَ فِي التَّجْنِيسِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ، نَظَرًا إِلَى مَسَاوَاةِ
الْفِظِ دُونَ اخْتِلَافِ الْمَعْنَى ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ (١٩) :

أَظُنُّ الدَّمَاعَ فِي خَدِّي سَيِّقِي رُسُومًا مِنْ بُكَائِي فِي الرُّسُومِ

وَهَذَا لَيْسَ مِنَ التَّجْنِيسِ فِي شَيْءٍ ، إِذْ حَدُّ التَّجْنِيسِ هُوَ اتِّفَاقُ الْفِظِ وَاخْتِلَافُ

الْمَعْنَى ، وَهَذَا الْبَيْتُ الْمُسَارُّ إِلَيْهِ هُوَ اتِّفَاقُ الْفِظِ وَالْمَعْنَى مَعًا .

وَهَذَا مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُنَبِّهَ عَلَيْهِ لِيَعْرِفَ .

وَمِنْ عِلْمَاءِ الْبَيَانِ مَنْ جَعَلَ لَهُ اسْمًا سَاءً بِهِ وَهُوَ (التَّرْدِيدُ) أَيْ أَنَّ اللفظة الواحدة

(١٨) ديوان البحتري ٢/٢١٧ من قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب ، ومطلعها :

أهلاً بذلكم الخيال المقبل فعل الذي نهواه أو لم يفعل

(١٩) ديوان أبي تمام ٢٨٨ من قصيدة يمدح بها بعض بني عبد الكريم الطائنين ، ومطلعها :

أرامة كنت مألّف كل رم لو استمعت بالأنس المقم

رُدَّتْ فِيهِ . وَحَيْثُ نَبَّهْتُ عَلَيْهِ هَاهُنَا فَلَا أَحْتَاجُ أَنْ أَعْقِدَ لَهُ بَاباً أَفْرِدُهُ بِالذِّكْرِ فِيهِ .

[ما يشبهه بالتجنيس] .

وأما الأقسامُ الستة المشبهة بالتجنيس :

فالقسم الأول منها : أن تكون الحروف متساوية في تركيبها ، مختلفة في وزنها ، فمما جاء من ذلك قول النبي ﷺ : « اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خَلْقَ حَسَنٍ خَلَقْتَ » أَلَا تَرَى أَنَّ هَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ متساويتان في التركيب مختلفتان في الوزن : لِأَنَّ تَرْكِيبَ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ ، وَهِيَ الْخَاءُ وَاللَّامُ وَالْقَافُ ، إِلَّا أَنَّهُمَا قَدْ اخْتَلَفَا فِي الْوِزْنِ ، إِذْ وَزَنُ « الْخَلْقِ » فَعْلٌ بَفَتْحِ الْفَاءِ ، وَوِزْنُ « الْخُلُقِ » فُعْلٌ بِضَمِّ الْفَاءِ .

ومن هذا القسم قول بعضهم « لَا تُنَالُ غُرُرُ الْمَعَالِي إِلَّا بِرُكُوبِ الْغُرَرِ وَاهْتِبَالِ الْغُرْرِ » وقال البحترى :

وَقَرَّ الْخَائِنُ الْمَغْرُورُ يَرْجُو أَمَانًا أَيَّ سَاعَةٍ مَا أَمَانِ
يَهَابُ الْإِلْتِفَاتِ وَقَدْ تَهَيَّأَ لِلْحِظَّةِ طَرَفُهُ طَرَفُ السَّنَانِ (٢٠)
وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْآخَرِ :

قَدْ ذُبْتُ بَيْنَ حُشَاشَةٍ وَذِمَاءٍ مَا بَيْنَ حَيٍّ وَحَيٍّ وَحَرٍّ وَهَوَاءٍ
القسم الثاني : من المشبه بالتجنيس وهو أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير ، وإن زاد على ذلك خرج من باب التجنيس . فمما جاء منه قوله تعالى : « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ » إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢١) فَإِنَّ هَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ عَلَى وَزْنٍ وَاحِدٍ ، إِلَّا أَنَّ تَرْكِيبَهُمَا مُخْتَلَفٌ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ » (٢٢) .

(٢٠) ديوان البحترى ٩٣/١ من قصيدة يمدح بها المعتر بالله ومطلعها :

رَوَيْدُكَ إِنْ شَأْنُكَ غَيْرُ شَأْنِي وَقَصْرُكَ لَسْتُ طَاعَةً مِنْ نَهَائِي

وفى الأصل « الخائن » موضع « الخائن » ، ورواية الديوان « للفتة طرفه » موضع « للحظة طرفه » .

(٢١) سورة القيامة : الآيتان ٢٢ و ٢٣ .

(٢٢) سورة الأنعام : الآية ٢٦ .

وكذلك قوله تعالى : « ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ » (٢٣)

وعلى نحو من هذا وَرَدَ قولُ النبي ﷺ : « الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ » وقال بعضهم : « لَا تُنَالُ الْمَكَارِمُ إِلَّا بِالْمَكَارِهِ »
وقال أبو تمام :

يَمْدُونُ مِنْ أَيْدٍ عَوِصٍ عَوَاصِمِ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ (٢٤)
وقال البحرى :

مِنْ كُلِّ سَاجِي الطَّرْفِ أُعِيدَ أَجِيدٌ وَمَهْفَهفِ الْكَشْحَيْنِ أَحْوَى أَحْوَرِ (٢٥)

وكذلك قوله :

شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تَقْطَعُ بَيْنَهُمْ شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٌ قُطْعُهَا (٢٦)
القسم الثالث : من المشبه بالتجنيس : وَهُوَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ مُخْتَلِفَةً فِي الْوِزَنِ وَالتَّرَكِيبِ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَالتَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ » إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٢٧)

وقوله تعالى : « وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا » (٢٨)

(٢٣) سورة غافر : الآية ٤٥ .

(٢٤) ديوان أبى تمام ٤٢ من قصيدة يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي ، ومطلعها :
على مثلها من أربع وملاعب أدبيلت مصونات الدموع السواكب
وفى الأصل « قواضم » موضع « قواضب » وهو تحريف .

(٢٥) ديوان البحرى ١٩/١ وهو ثانى أبيات قصيدة فى مدح المتوكل مطلعها :

إن الظباء وغداة سفع محجر هيجن حرجوى وفرط تذكر

(٢٦) ديوان البحرى ٣/١ من قصيدة فى مدح المتوكل مطلعها :

متى النفس فى أسماء لو تستطيعها بها وجدها من غادة وولوعها

ويقال شجرة بالرمع أى طعنه . وشواجر الأرحام روابطها ، وهى رواية الديوان ، وفى الأصل « شواجن » .
وعلى رواية الديوان لا يكون فى البيت محل شاهد على هذا القسم .

(٢٧) سورة القيامة : الآيتان ٢٩ و ٣٠ .

(٢٨) سورة الكهف : الآية ١٠٨ .

وكذلك وَرَدَ قَوْلُهُ ﷺ : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » .
 ودخلَ ثَعْلَبُ صاحبَ كتاب « الفصيح » على أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رحمه الله تعالى
 ومجلسُهُ غاص ، فجلسَ إلى جانبِهِ ، ثُمَّ أَقبلَ عليه وقال : « أَخافُ أَنْ أَكُونَ ضَيِّقْتُ
 عَلَيْكَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَصِيقُ مَجْلِسُ بِمَتَحَائِينَ ، وَلَا تَسَعُ الدُّنْيَا بِأَسْرُهَا مَتَبَاغِضِينَ » فقالَ لَهُ
 أَحْمَدُ : « الصَّدِيقُ لَا يَحَاسِبُ ، وَالْعَدُوُّ لَا يُحْتَسَبُ لَهُ . » وهذا كِلَامٌ حَسَنٌ مِنْ كِلَا
 الرَّجُلَيْنِ . والتجنيسُ في كلامِ أَحْمَدَ رحمه الله في قَوْلِهِ : « يَحَاسِبُ » و « يُحْتَسَبُ
 لَهُ » .

وقد جاءني شيءٌ من ذلك عليه خِفَّةُ الطَّبَعِ لَا ثِقَلُ التَّطَبُّعِ .
 ففنه ما ذكرته في فصلٍ من كتابٍ إلى ديوانِ الخِلافةِ يتضمَّنُ ذكرَ الجهادِ فقلتُ :
 « وخيلُ الله قد اشتاقتُ أَنْ يُقالَ لها اركبي ، وسُيُوفُهُ قد تطلَّعتُ أَنْ يُقالَ لها
 اضربي ، ومواطنُ الجهادِ قد بُعدَ عهدُها باستسقاءِ شَائِبِ النُّحُورِ ، وإنَّباتِ رَبِيعِ
 الذِّبابِ والنَّسُورِ ، وما ذاكَ إِلَّا لِأَنَّ الْعَدُوَّ إِذَا طَلَبَ تَقَمَّصَ ثُوبَ إِذْلالِهِ ، وَتَنَصَّلَ مِنْ
 صِحَّةِ نِصَالِهِ ، واعتَصَمَ بمعاقلِهِ التي لا فرقَ بينها وبينَ عِقالِهِ » .

ومن ذلك ما ذكرته في وصفِ كَرِيمٍ ، فقلتُ :
 « وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ حَرَمَهُ مُلْقَى الْجِفَانِ ، وَمُلْتَقَى الْأَجْفَانِ ، فَهُوَ حِمَى لِمَنْ جَنَى عَلَيْهِ
 زَمَانُهُ ، وَجَارٌ لِمَنْ بَعُدَ عَنْهُ جِيرَانُهُ »

ومن ذلك ما ذكرته في فصلٍ من كتابٍ إلى ديوانِ الخِلافةِ ، وهو :
 « وَلَقَدْ اسْتَبَانَ الْخَادِمُ مِنْ بَرَكَةِ طَاعَتِهِ مَا يَعْصِي عَنْهُ غَيْرُهُ فَمَا يَرَاهُ ، وَوَجَدَ مِنْ أَثَرِهِ فِي
 صَلَاحِ دُنْيَاهُ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى صَلَاحِ أَخْرَاهُ ، فَهُوَ الْمَرْكَبُ الْمُنْجِي وَالْعَمَلُ الْمَرْجُو لَا
 الْمَرْجَى . والمعنى المرادُ بهدَايةِ الصَّراطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وتأويلُ قَوْلِهِ تعالى : « فليحذرِ الَّذِينَ
 يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » . (٢٩)

ومن ذلك ما ذكرته في أثناء كتابٍ إلى بعضِ الإخوانِ ، وذلك وَصَفُ بعضِ
 المنعمين ، فقلتُ :

« نَحْنُ مِنْ حُسْنِ شَيْمِهِ وَفَوَاضِلِ إِحْسَانِهِ بَيْنَ هِنْدٍ وَهِنْدَةٍ ، وَمِنْ يَمْنٍ نَقِيَّتِهِ وَأَمَانَةِ غَيْبِهِ بَيْنَ أُمِّ مَعْبِدٍ وَأَبِي عُيْبَةٍ » .

ومن ذلك ما ذكرته في مطلع كتابي إلى بعض الإخوان فقلت :
« الْكُتُبُ وَإِنْ عَدَّهَا قَوْمٌ عَرَضًا مِنَ الْأَعْرَاضِ ، وَتَقَالَوْهَا حَتَّى قَالُوا هِيَ سَوَادٌ فِي بَيَاضٍ ، فَإِنَّ لَهَا عِنْدَ الْإِخْوَانِ وَجْهًا وَسِيمًا ، وَمَحَلًّا كَرِيمًا ، وَهِيَ حَمَائِمُ الْقُلُوبِ إِذَا فَارَقَ حَمِيمٌ حَمِيمًا . وَمِنْ أَحْسَنِهَا كِتَابُ سَيِّدِنَا ... » .

ثم مضيت على هذا النهج إلى آخر الكتاب .

ومن هذا القسم قول أبي تمام :
أَيَّامَ تُدْمِي عَيْنَهُ تِلْكَ الدُّمَى فِيهَا وَتَقْمَرُ لُبُّهُ الْأَقْمَارُ (٣٠)

وكذلك قوله :
بَيِّضٌ فَهَنْ إِذَا رُمِقْنَ سَوَافِرًا صَوْرٌ وَهَنْ إِذَا رُمِقْنَ صَوَارُ (٣١)

وكذلك قوله :
يَدْرُ أَطَالَتْ فِيكَ بَادِرَةَ النَّوَى وَلَعَا وَشَمْسٌ أُولَعَتْ بِشِمَاسِ (٣٢)

كاذبوا النبوة والهدى فتقطعت أعناقهم في ذلك المضمار
جهلوا فلم يستكثروا من طاعة معروفة بعبارة الأعمار (٣٣)

(٣٠) ديوان أبي تمام ١٤٥ من قصيدة في مدح أبي سعيد الثغري ، ومطلعها :
لا أنت أنت ولا الديار ديار خف الهوى وتولت الأوطار
ومعنى تقمر تغلب ، واللب العقل .

(٣١) من القصيدة السابقة ، ومعنى رمقن أطيل النظر إليهن ، والسوافر المكشوفات ، والصوار قطع بقر الوحش .

(٣٢) ديوان أبي تمام ١٧٣ من قصيدة في مدح أحمد بن المعتصم ، ومطلعها :
ما في وقوفك ساعة من باس تقضى ذمام الأربع الأدراس
ورواية الديوان « خطأ » موضع . . . والبادرة الخطأ ، والنوى الفراق ، والشباس العصيان .

(٣٣) ديوان أبي تمام ١٥٤ من قصيدة يمدح فيها المعتصم ويذكر إحراق الأفسنين ، ومطلعها :
الحق أبلج والسيوف عوار فحذار من أسد العرين حذار

وكذلك قوله :

إِنَّ الرِّيحَ إِذَا غُرِسْنَ بِمَشْهَدٍ فَجَنَى الْعَوَالِي فِي ذَرَاهُ مَعَالِي (٣٤)

وكذلك قوله :

إِذَا أَحْسَنَ الْأَقْوَامُ أَنَّ يَتَطَاوَلُوا بِلا نِعْمَةٍ أَحْسَنَتْ أَنَّ تَتَطَوَّلَا (٣٥)

وكذلك قوله :

أَيُّ رَنْجٍ يَكْذِبُ الدَّهْرُ عَنْهُ وَهُوَ مُلْقَى عَلَى طَرِيقِ اللَّيَالِي
بَيْنَ حَالٍ جَنَتْ عَلَيْهِ وَحَوْلٍ فَهُوَ نِضْوُ الْأَحْوَالِ وَالْأَحْوَالِ
شَدَّ مَا اسْتَنْزَلَتْكَ عَنْ دَمْعِكَ الْأَظْ عَانَ حَتَّى اسْتَهْلَّ صُوبُ الْغَزَالِي
أَيُّ حُسْنٍ فِي الذَّاهِبِينَ تَوَلَّى وَجَمَالَ عَلَى ظُهُورِ الْجِمَالِ
وَدَلَالٍ مُخَيِّمٍ فِي ذُرَا الْخَدِيمِ وَحِجْلٍ مَعْصَمٍ فِي الْحِجَالِ (٣٦)

فألبت الثاني والخامس هما المقصودان بالتمثيل هاهنا ، والأبيات الباقية جاءت

تبعاً .

(٣٤) ديوان أبي تمام ٢٦٤ من قصيدة يمدح فيها المعتصم ويذكر أخذ بابل ، ومطلعها :

آلت أمور الشرك شر مآل وأقر بعد تحبط وصيال
والتخبط التكبر ، والصيال التسلط ، والجنى الثمر ، والعوالى الرياح ، وذراه ظله .

(٣٥) ديوان أبي تمام ٢٥٢ من قصيدة في مدح محمد بن عبد الملك الزيات ، مطلعها :

لها ن عليها أن تقول وتفعلا ونذكر بعض الفضل منك ففضلا
ورواية الديوان « بلامنة » موضع « بلانعة » .

(٣٦) رويت هذه الأبيات في الديوان (ص ٤٥٨) على النحو الآتي :

شدا ما استنزلتك من ربعك الأظ عان حتى استهل دمع الغزالي
أى حسن فى الداهيين تولى وجمال على ظهور الجمال
ودلال مخيم فى ذرا الخيب سم وحجل معذب فى الحجال
ومهامن مها الخدور وآجا ل ظباء يسر عن فى الآجال
عادك الزور ليلة الرمل من رمة لة بين الحمى وبين المطال
ثم فما زارك الخيال ولكنك لك بالفكر زرت طيف الخيال

والأظعان الهوامج فيها نساء ، واستهل سكب ، الذرى فناء الدار ، والخيم جمع خيمة ، والحجل الخلخال ،
والحجال جمع حجلة وهى موضع يزين بالثياب والستور للعروس ، والغزالي جمع عزلاء وهو مصب الماء من
الراوية .

وممّا جاء من ذلك قولُ عليّ بن جبلة (٣٧) :
 وكمّ لك من يومٍ رفعت بناءهُ بذاتِ جُفُون أو بذاتِ جفانِ
 وكذلك قول محمد بن وهيب الحميريّ :
 قَسَمْتَ صُرُوفَ الدهرِ بأساً وناثلاً فألكَ موتُورٌ وسيفُكَ وَاثرُ
 وهذا من المليحِ النادرِ .
 ومن هذا القسمِ قولُ البُحترى :
 جَدِيرٌ بأن تنشقَّ عن ضوءِ وجهِهِ ضبابَةٌ تَقَعُ تَحْتَهَا المَوْتُ نَاقِعُ (٣٨)
 وكذلك قوله :

نسيمُ الرّوضِ في ريحِ شَمالٍ وصوبُ المَزْنِ في راحِ شَمُولِ (٣٩)
 وذمّ أعرابي رجلاً فقال : « كان إذا سألَ الحَفَ ، وإذا سُئِلَ سَوَّفَ . يَحْسُدُ على
 الفضلِ ، ويَزْهَدُ في الإفضالِ » .

القسم الرابع : من المشبه بالتجنيس : ويسمى (المعكوس) .
 وذلك ضربان : أحدهما عكسُ الألفاظِ ، والآخر عكسُ الحُرُوفِ .
فالأول : كقول بعضهم : « عاداتُ السّاداتِ ساداتُ العاداتِ » وكقول الآخر :
 « شيمُ الأحرارِ أحرارُ الشيمِ » .
 ومن هذا النوع مِمّا وردَ شعراً قولُ الأَضْبَطِ بنِ قُرَيْعٍ (٤٠) من شعراء الجاهليّة :

(٣٧) علي بن جبلة هو المشهور بالعكوك ، ولد سنة ١٦٠ هـ وتوفي سنة ٢١٣ هـ ، وكان ضريراً مسرفاً في
 المدح مغالياً في معانيه .

(٣٨) ديوان البحترى ٤٦/١ من قصيدة مطلعها :

ألت وهل إلامها لك نافع وزارت خيالا والعيون هواجع

(٣٩) ديوان البحترى ٣٠/١ من قصيدة مطلعها :

أكنت معنئ يوم الرحيل وقد لجت دموعي في الهول

(٤٠) هو من بني عوف بن كعب بن سعد ، رهط الزبرقان بن بدر ، وكان قومه أساءوا مجاورته ، فانتقل
 عنهم إلى آخرين ، فأساءوا مجاورته ، فانتقل عنهم إلى آخرين ، فأساءوا مجاورته ، فرجع إلى قومه ، وقال : بكل
 واد بنو سعد ، قال ابن قتيبة : وهو قديم ، وكان أغار على بني الحارث بن كعب ، فقتل منهم وأسر وجذع ، ثم
 بنى أطما ، وبنت الملوك حول ذلك الأطم مدينة صنعاء

قد يجمعُ المالَ غيرَ آكلِهِ ويأكلُ المالَ غيرَ مَنْ جَمَعَهُ
ويقطعُ الثوبَ غيرَ لابسِهِ ويلبسُ الثوبَ غيرَ مَنْ قَطَعَهُ (٤١)
وكذلك وَرَدَ قولُ أبي الطيبِ المتنبي :

فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وكذلك قولُ الشريف الرضِيِّ مِنْ أبياتٍ يذم فيها الزمان :
أَسَفٌ يَمُنُّ بِطَيْرٍ إِلَى الْمَعَالِي وَطَارَ بِمَنْ يُسِفُ إِلَى الدُّنَايَا
وكذلك قول الآخر :

إِنَّ اللَّيَالِيَّ لِلْأَنَامِ مَنَاهِلٌ تُطَوَّى وَتُنْشَرُ بَيْنَهَا الْأَعْمَارُ
فَقَصَّارُهُنَّ مِنَ الْهُمُومِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مِنَ السُّرُورِ قِصَارُ
وأحسنُ من هذا كله والطفه قولُ ابن الزقاق الأندلسي :

غَيَّرْنَا يَدُ الزَّمَانِ فَقَدْ شَبَّتُ وَالتَّحَى
فَاسْتَحَالَ الضُّحَى دُجَى وَاسْتَحَالَ الدُّجَى ضُحَى

وهذا الضربُ من التجنيس له حلاوة ، وعليه رَوْنُق ، وقد سَمَّاهُ قدامةُ بنُ جعفرِ
الكاتب (التبدیل) وذلك اسمٌ مناسبٌ لسمَّاهُ ، لأنَّ مؤلفَ الكلامِ يأتي بما كان
مقدِّماً في جزء كلامه الأول مؤخِّراً في الثاني ، وبما كان مؤخِّراً في الأول مقدِّماً في
الثاني ، ومثله قدامةُ بقول بعضهم : « اشْكُرْ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ ، وَأَنْعِمْ عَلَى مَنْ
شَكَرَكَ » (٤٣) .

ومن هذا القسمِ قوله تعالى : « يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ
الْحَيِّ » (٤٤) .

(٤١) من أبيات مطلعها :

يا قوم من عاذرى من الخدعة والمسى والصبح لا فلاح معه
وانظر الشعر والشعراء ٣٤٣/١ .

(٤٢) ديوان المتنبي ٢٣/٢ من قصيدة في مدح كافور مطلعها :

أود من الأيام مالا توده وأشكو إليهما بيننا وهى جنده

(٤٣) كتاب « جواهر الألفاظ » لقدامة بن جعفر : ص ٣٠٤ واسمه عنده « عكس اللفظ » أو « عكس

مانظم من بناء » . (٤٤) سورة آل عمران : الآية ٢٢ .

وكذلك وَرَدَ قول النبي ﷺ : « جَارُ الدار أَحَقُّ بِدَارِ الجار » .

وكتب على بن أبي طالب - رضى الله عنه - إلى عبد الله بن عباس - رضى الله عنه - كتاباً فقال : « أما بعد ، فَإِنَّ الإنسانَ يَسْرُهُ دَرْكُ مَالٍ يَكُنْ لِيَقُوتَهُ ، وَيَسُوؤُهُ قُوتُ مَالٍ يَكُنْ لِيَدْرَكَه ، فَلَا تَكُنْ بِمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَرِحَا ، وَلَا بِمَا فَاتَكَ مِنْهَا تَرَحَّأَ ، وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ ، وَيُؤَخِّرُ التَّوْبَةَ بِطُولِ أَمَلٍ ؛ وَكَأَنَّ قَدْ ، وَالسَّلام » .

وروى عن أبى تمام أَنَّهُ لما قَصَدَ عبد الله بن طاهر بن الحسين بِخِراسان ، وامتدَحَه بِقَصِيدَتِهِ المشهورةَ الَّتِي مَطَّلَعُهَا :

* أَهْنٌ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ (٤٥) *

وأنكر عليه أبو سعيدٍ الضَّرِيرُ وأبو العَمَيْثَلُ هذا الابتداء ، وقالوا : « لِمَ لَا يَقُولُ مَا يُفْهَمُ » فقال : « لِمَ لَا يَفْهَمَانِ مَا يُقَالُ ؟ ! فَاسْتَحْسِنَ مِنْهُ هذا الجواب على الفور . وهو من التجنيس المشار إليه . وقد جاءنى شئٌ منه .

كقولى فى فصل من كتاب يتضمّن فتحاً ، وهو :

« فكمْ كان فى افتِراعِ عُذْرَةِ الحِصْنِ من افتِراعِ عُذْرَةِ حِصَّانٍ ، وكمْ حيزَ به من سِنانٍ لَحْظٍ اسْتَرْقَةَ لَحْظَ سِنانٍ » .

وكذلك قولى فى صدر كتاب إلى ديوان الخلافة وهو :

« الخادِمُ يبلِغُ خِدمَتَهُ إلى ذلِكَ الجَنابِ الَّذِي تَمَطَّرُهُ الشِّفاهُ قُبلاً ، وتُوسِعُهُ العُفاهُ أَمْلاً ، وتَرى الخَوْلَ به مُلوَكاً والمُلوكَ خَوْلاً ، وطاعَتُهُ هِيَ محْكُ الأَعْمالِ الَّتِي أُشِيرَ إليها بِقوله تعالى : « لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً » (٤٦) » .

(٤٥) صدر بيت وتامه : فعزماً فقدماً أدرك السؤل صاحبه .

وانظر ديوان أبى تمام ٤٣ .

(٤٦) سورة الملك : الآية ٢ .

وكذلك ورد قولى أيضاً ، وهو فصل من تقليد وزير ، فقلت :

وقد صدق الله لهجة المثنى عليك أن يقول إنك الرجل الذى تُضربُ به الأمثال ،
والمهذب الذى لا يقالُ معه أى الرجال ، وإذا وازرتَ مملكةً فقد حُطيتَ منك بشدِّ
أزْرِها ، وسدَّ ثَغْرِها ، وأصبحتِ وأنتَ صدرٌ لقلها ، وقلبٌ لصدرِها ، فهى مُزدانةٌ
منك بالفضلِ المتين ، مُعانةٌ بالقوى الأمين .

وأما الضرب الثانى من هذا القسم - وهو عكس الحروف - فهو كقول بعضهم :

أَهْدَيْتُ شَيْئاً يَقِلُّ لَوْلَا أَحْدَوْتُهُ الْفَالِ والتَّبرُّكُ
كُرْسَى تَفَاعَلَتْ فِيهِ لَمَّا رَأَيْتُ مَقْلُوبَهُ «يَسْرُكُ»

وكذلك قولُ الآخر :

كَيْفَ السُّرُورُ بِإِقْبَالِ وَآخِرُهُ إِذَا تَأَمَّلْتَهُ مَقْلُوبُ «إِقْبَالِ» (٤٧)
وَأَجُودُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ قَوْلُ الْآخَرِ :

جَادَبْتُهَا وَالرَّيْحُ تَجَذِبُ عَقْرَباً مِنْ فَوْقِ خَدِّ مِثْلِ قَلْبِ الْعَقْرَبِ
وَطَفَقَتْ أَلْثَمُ ثَغْرَهَا فَتَمَنَعَتْ وَتَحَجَّجَتْ عَنِ بَقْلِ «الْعَقْرَبِ»
وَإِذَا قُلِبَ لَفْظُ «عَقْرَب» صَارَ «بُرُقْعاً» .

وهذا الضربُ نادرُ الاستعمالِ ، لأنه قلَّ ما يقعُ كلمةٌ تُقَلَّبُ حُرُوفُهَا فَيَجِىءُ معناها
صواباً .

القسم الخامس : من المشبه بالتجنيس ، ويسمى (المجنَّب) وذلك أن يَجْمَعَ

مؤلفُ الكلامِ بين كلمتين إحداهما كالتَّبَعِ للأخرى والجَنِبَةِ لها ، كقول بعضهم :

أَبَا الْعَبَّاسِ لَا تَحْتَسِبْ بَأْنَى لَشَيْءٍ مِنْ حُلَى الْأَشْعَارِ عَارِى
فَلِى طَبْعُ كَسَلَسَالٍ مَعِينٍ زُلَالٍ مِنْ ذُرَا الْأَحْجَارِ جَارِى

وهذا القسمُ عندى فيه نَظَرٌ ، لأنه يلزوم ما لا يلزم أولى منه بالتجنيس . ألا ترى أن

التجنيسُ هو اتفاق اللفظِ واختلافُ المعنى . وهاهنا لم يتفق إلا جُزءٌ من اللفظِ ، وهو

أقله ، وأما لزوم في الكلام المنشور فهو تساوى الحروف التي قبل الفواصل المسجوعة .
وهذا هو كذلك ، لأنَّ العين والراء تساويا في البيت الأول في قوله « الأشعار »
و « عار » ، والجيم والراء في البيت الثاني في قوله « الأحجار » و « جاز » .

القسم السادس : من المشبه بالتجنيس : وهو ما يساوى وزنه تركيبه ، غير أنَّ حروفه تتقدّم وتتاخر ، وذلك كقول أبي تمام .

بيضُ الصفائح لاسودُ الصفائح في متونهنَّ جلاءُ الشكِّ والرَّيبِ (٤٨)
فالصفائح والصفائح مما تقدّمت حروفه وتأخّرت :

وقد ورد في الكلام المنشور كقوله ﷺ في فضيلة تلاوة القرآن الكريم : « يقالُ لصاحبِ القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت تُرتل في الدنيا ، فإنَّ منزلتك عند آخر آية تقرأ » .

فقوله ﷺ « اقرأ » و « ارتق » من التجنيس المُشار إليه في هذا القسم .

النوع الثالث

في الترصيع

وهو مأخوذ من ترصيع العقد ، وذلك أنَّ يكون في أحد جانبي العقد من اللآلئ مثل ما في الجانب الآخر ، وكذلك نجعلُ هذا في الألفاظ المنشورة من الأسجاع ، وهو أنَّ تكون كلُّ لفظةٍ من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكلِّ لفظةٍ من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية .

وهذا لا يُوجدُ في كتاب الله تعالى ، لما هو عليه من زيادة التكلف .

(٤٨) ديوان أبي تمام ٧ من قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر فتح عمورية ، ومطلعها :
السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
وبيض الصفائح يراد بها السيوف .

فَأَمَّا قَوْل مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْهُ شَيْئًا وَمِثْلَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ^(١) » فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا وَقَعَ لَهُ ، فَإِنَّ لَفْظَةَ « لَفِي » قَدْ وَرَدَتْ فِي الْفَقْرَتَيْنِ مَعًا ، وَهَذَا يَخَالِفُ شَرْطَ التَّرْصِيعِ الَّذِي شَرَطْنَاهُ ، لَكِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْهُ . وَأَمَّا الشَّعْرُ فَإِنِّي كُنْتُ أَقُولُ إِنَّهُ لَا يَتَرَنُّ عَلَى هَذِهِ الشَّرِيطَةِ ، وَلَمْ أَجِدْهُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ ، لَمَّا فِيهِ مِنْ تَعَمُّقِ الصَّنْعَةِ ، وَتَعَسُّفِ الْكُلْفَةِ ، وَإِذَا جِئْتُ بِهِ فِي الشَّعْرِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ مَحْضُ الطَّلَاوَةِ الَّتِي تَكُونُ إِذَا جِئْتُ بِهِ فِي الْكَلَامِ الْمُنْثَوْرِ ، ثُمَّ إِنِّي عَثَرْتُ عَلَيْهِ فِي شَعْرِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَلَكِنَّهُ قَلِيلٌ جَدًّا ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

فَكَارُمٌ أُولَيْتَهَا مَتَبَرَعًا وَجَرَائِمُ أَلْغَيْتَهَا مُتَوَرَعًا

ف « مَكَارِمَ » بِإِزَاءِ « جَرَائِمَ » وَ « أُولَيْتَهَا » بِإِزَاءِ « أَلْغَيْتَهَا » وَ « مَتَبَرَعًا » بِإِزَاءِ « مُتَوَرَعًا » .

وَقَدْ أَجَازَ بَعْضُهُمْ أَنَّ يَكُونُ أَحَدُ أَلْفَاظِ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مُخَالَفًا لِمَا يَقَابِلُهُ مِنَ الْفَصْلِ الثَّانِي ، وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ ، لِخَالَفَتِهِ حَقِيقَةُ التَّرْصِيعِ .

فَمَّا جَاءَ مِنْ هَذَا النُّوعِ مُنْثَوْرًا قَوْلُ الْحَرِيرِيِّ فِي مَقَامَاتِهِ « فَهُوَ يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ ، وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ » فَإِنَّهُ جَعَلَ أَلْفَاظَ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مُسَاوِيَةً لِأَلْفَاظِ الْفَصْلِ الثَّانِي وَزَنًا وَقَافِيَةً ، فَجَعَلَ « يَطْبَعُ » بِإِزَاءِ « يَقْرَعُ » وَ « الْأَسْجَاعَ » بِإِزَاءِ « الْأَسْمَاعَ » وَ « جَوَاهِرِ » بِإِزَاءِ « زَوَاجِرِ » وَ « لَفْظِهِ » بِإِزَاءِ « وَعْظِهِ » .

وَمِمَّا جَاءَنِي فِي هَذَا النُّوعِ :

مَازَكْرَتُهُ فِي جَوَابِ كِتَابِ إِلَى بَعْضِ الْإِخْوَانِ ، وَهُوَ :

« قَدْ أَعَدْتُ الْجَوَابَ ، وَلَمْ أَسْتَعِرْ لَهُ نَظْمًا مُلَفَّقًا ، وَلَا جَلَبْتُ إِلَيْهِ حُسْنًا مُنَمَّقًا ، بَلْ أَخْرَجْتُهُ عَلَى رِسْلِهِ ، وَغَنَيْتُ بِصِقَالِ حُسْنِهِ عَنْ صَقْلِهِ ، فَجَاءَ كَمَا تَرَاهُ غَيْرَ مَمْشُوطٍ وَلَا مَخْطُوطٍ ، فَهُوَ يَرُفُّ فِي أَثْوَابِ بَذَلْتِهِ ، وَقَدْ حَوَى الْجَمَالَ بِجُمْلَتِهِ ، وَالْحُسْنَ مُاوشَتَهُ فِطْرَةً التَّصْوِيرِ ، لَا مَا حَشَتَهُ فِكْرَةُ التَّزْوِيرِ » وَالتَّرْصِيعُ فِي قَوْلِي « وَشَتَهُ فِطْرَةَ التَّصْوِيرِ » وَ « حَشَتَهُ فِكْرَةُ التَّزْوِيرِ » .

وكذلك ورد قولى فى فصل من الكلام يتضمن تثقيب الأولاد :

فقلتُ : « مَنْ قَوْمَ أَوْدَ أَوْلَادِهِ ، ضَرَمَ كَمَدَ حُسَّادِهِ » فهذه الألفاظُ متكافئةٌ فى نرصيعها ، ف « قَوْمَ » بإزاء « حُسَّادِهِ » و « أَوْدَ » بإزاء « كَمَدَ » و « أولاده » بإزاء « حُسَّادِهِ » .

وكذلك قولُ بعضهم فى الأمثال المولدة التى لم تردْ عن العربِ ، وهو : « مَنْ أَطَاعَ غَضَبَهُ أَضَاعَ أَدَبَهُ » ، ف « أَطَاعَ » بإزاء « أَضَاعَ » و « غَضَبَهُ » بإزاء « أَدَبَهُ » . وقد وَرَدَ هذا الضَرْبُ كثيراً فى الخطب التى أنشأها الشيخ الخطيبُ عَبْدُ الرَّحِيمِ بنِ نُبَاتَةَ رحمه الله ، فَمِنْ ذلك قوله فى أولِ خُطْبَةٍ : « الحمدُ لله عاقِدِ أَرْزَمَةِ الْأُمُورِ بعِزَائِمِ أَمْرِهِ ، وَحَاصِدِ أَمَّةِ الْغُرُورِ بِقَوَاصِمِ مَكْرِهِ ، وَمُوفِّقِ عِبِيدِهِ لِمَغَائِمِ ذِكْرِهِ ، وَمُحَقِّقِ مَوَاعِيدِهِ بِلَوَازِمِ شُكْرِهِ »

فالألفاظُ التى جاءتْ فى الفصلين الأولين متساوية وزناً وقافية ، والتى جاءتْ فى الفصلين الآخرين فيها تَخَالُفٌ فى الوزن ، فإن « مواعيد » تَخَالُفُ وزن « عبيد » ، ولا تَخَالُفُ قافيتها التى هى الدال .

ومن ذلك قوله أيضاً فى جملة خطبة « أولئك الذين أَفْلَوْا فَنَجَمْتُمْ وَرَحَلُوا فَأَقَمْتُمْ ، وَأَبَادَهُمُ الْمَوْتُ كَمَا عَلِمْتُمْ ، وَأَنْتُمْ الطَّامِعُونَ فى الْبَقَاءِ بعدهم كَمَا زَعَمْتُمْ ، كَلَّا وَاللَّهِ مَا أَشْخَصُوا لَتَقْرُوا ، وَلَا نَغْصُوا لَتُسْرُوا ، وَلَا بَدَ أَنْ تَمُرُوا حَيْثُ مَرُّوا ، فَلَا تَتَّقُوا بِجَدْعِ الدُّنْيَا وَلَا تَغْتَرُّوا » .

وهذا الكلام فيه أيضاً ما فى الذى قبله من صِحَّةِ الوزنِ والقافيةِ وصِحَّةِ القافيةِ دونِ الوزنِ .

وكذلك قوله أيضاً فى خطبةٍ أخرى : « أَيُّهَا النَّاسُ أَسِيْمُوا الْقُلُوبَ فى رِيَاضِ الْحِكْمِ ، وَأَدِيمُوا النَّجِيبَ عَلَى ابْيَاضِ اللَّيْمِ ، وَأَطِيلُوا الْإِعْتِبَارَ بِانْتِقَاصِ النِّعَمِ ، وَأَجِيلُوا الْأَفْكَارَ فى انْقِرَاضِ الْأَمَمِ » .

وأما ماوردَ فى الشَّعْرِ على مَخَالَفَةِ بَعْضِ الْأَلْفَاظِ بَعْضاً فَكَقَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ :

كحلاء في برج صَفْرَاءُ في دَعَجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ^(٢)

وصدرُ هذا البيت مرصَّع ، وعجزه خالٍ من الترصيع ، وعذرُ الشاعر في ذلك واضحٌ ، لأنه مقيَّدُ بالوقوفِ مع الوزن والقافية ، ألا تَرَى أَنَّ ذَا الرُّمَّةِ بنى قصيدته على حرف الباء ، ولو رصَّعَ هذا البيتَ الترصيعَ الحقيقيَّ لكان يلزمه أن يأتي بألفاظه على حرفين حرفين : أحدهما الباء ، أو كان يُقسم البيتَ نصفين ويمثلُ بين ألفاظِ هذا النصف وهذا النصف ، وذلك ممَّا يعسر وقوعه في الشعر .

وأربابُ هذه الصناعة قد قَسَمُوا الترصيع إلى هذين القسمين المذكورين ، وهذه القسمة لا أراها صواباً ، لأن حقيقة الترصيع موجودة في القسم الأول دون الثاني .

ومما جاء من هذا القسم الثاني قولُ الخنساء :

حَامِي الْحَقِيقَةِ مَحْمُودُ الْخَلِيقَةِ مَهْ لِي الطَّرِيقَةُ نَفَّاعٌ وَضَرَّارٌ^(٣)

وكذلك قولُ الآخر^(٤) :

سُودَ ذَوَائِبُهَا بِيضُ تَرَائِبُهَا مَحْضُ ضَرَائِبُهَا صِيغَتْ مِنَ الْكَرَمِ

(٢) من قصيدة له مطلعها .

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلي مفرية سرب
ورواية الديوان « دَعَج » موضع « برج » و « نَعَج » موضع « دَعَج » .

(٣) من قصيدة الخنساء في رثاء أخيها صخر التي مطلعها :

ما هاج حزنك أم بالعين عوار أم ذرفت أم خلت من أهلها الدار

وقد سقط البيت من ديوانها ، واستدركه الأب لويس شيخو اليسوعي في كتابه « أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء » ص ٨١ ، وقد استشهد به أبو هلال العسكري للترصيع الجيد ، وأتبعه بيت الخنساء الذي يليه :

فعال سامية وراود طامية للمجد نامية تعنيه أسفار

وقال : هذا البيت رديء ، لتبرؤ بعض ألفاظه من بعض ، وانظر الصناعتين ٣٧٨ .

(٤) هو أبو صخر الهذلي .

النوع الرابع في لزوم ما لا يلزم

وهو من أشق هذه الصناعة مذهباً ، وأبعدها مسلكاً ، وذلك لأن مؤلفه يلتزم مالا يلزمه ، فإن اللازم في هذا الموضع وما جرى مجراه إنما هو السجع الذي هو تساوى أجزاء الفواصل من الكلام المنشور في قوافيها ، وهذا فيه زيادة على ذلك ، وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفاً واحداً .

وهو في الشعر أن تسوى الحروف التي قبل روى الأبيات الشعرية .
وقد جمع أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان (١) في ذلك كتاباً وسمّاه كتاب « اللزوم » (٢) فأتى فيه بالجيد الذي يُحمد ، والرديء الذي يُذم .
وسأذكر في كتابي هذا في هذا الموضع أمثلة من المنشور والمنظوم يهتدى بها .

فمن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب في فصل يتضمن ذم جبان ، فقلت :
« إذا نزل به خطبُ ملكه الفرق ، وإذا ضلّ في أمر لم يؤمن إلا إذا أدركه الغرق » .

ومن ذلك ما ذكرته في مبدأ كتاب إلى بعض الإخوان ، فقلت :
« الخادم يهْدِي من دُعائه وثنائه مَا يَسْلُكُ أَحَدَهُمَا سِماً وَالْآخَرُ أَرْضاً ، وَيَصُونُ أَحَدَهُمَا نَفْساً وَالْآخَرُ عِرْضاً ، وَأَعْجَبُ مَا فِيهِمَا أَنَّهَا تَوَآمَانُ ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا مُسْتَنْجٍ مِنْ ضَمِيرِ الْقَلْبِ وَهَذَا مِنْ نُطْقِ اللِّسَانِ » .
فاللزوم هاهنا في الرّاء والضاد .

(١) هو أبو العلاء المعري .

(٢) هذا اختصار لاسم الكتاب ، كما يسميه بعضهم « اللزوميات » والحقيقة أن اسمه كما سماه مؤلفه « لزوم مالا يلزم » قال أبو العلاء في خطبته : وجمعت ذلك كله في كتاب لقبته « لزوم مالا يلزم » ومعنى هذا اللقب أن القافية تلزم لها لوازم لا يفتقر إليها حشو البيت . . . الخ - لزوم مالا يلزم : ج ١ ص ٣ .

وكذلك ورد قولي في جملة كتاب إلى ديوان الخلافة ، فقلت :

« وَقَدْ عَلِمَ مِنْ شَيْمِ الدِّيَّانِ الْعَزِيزِ أَنَّهُ يُسَرُّ بِامْتِدَادِ الْأَيْدِي إِلَى بَابِهِ ، وَإِذَا أَغْبَى أَحَدُهَا فِي الْمَسْأَلَةِ نَهَاهُ عَنْ إِغْبَايِهِ ، حَتَّى لَا يَخْلُو حَرَمُهُ الْكَرِيمُ مِنَ الْمَطَافِ ، وَلَا يَدُهُ الْكَرِيمَةُ مِنَ الْإِسْعَافِ » .
فاللزوم هاهنا في لفظتي « بابه » و « إغبايه » .

ومن ذلك ما كتبه في جملة كتاب إلى ديوان الخلافة أيضا ، وهو :

« ومهما شد به عَصْدُ الْخَادِمِ مِنَ الْإِنْعَامِ فَإِنَّهُ قُوَّةٌ لِلْيَدِ الَّتِي خَوَّلَتْهُ ، وَلَا يَقْوَى تَصَعُّدُ السُّحْبِ إِلَّا بِكَثْرَةِ غَيْثِهَا الَّذِي أَنْزَلَتْهُ ، وَغَيْرُ خَافٍ أَنْ عَبِيدَ الدَّوْلَةِ لَهَا كَالْعَمَدِ مِنْ طَرَفِهَا ^(٣) ، وَمَرْكَزُ الدَّائِرَةِ مِنْ أَطْرَافِهَا ، وَلَا يُؤَيَّدُ السِّيفُ إِلَّا بِقَائِمِهِ ، وَلَا يَنْهَضُ الْجَنَاحُ إِلَّا بِقَوَادِمِهِ » .
فاللزوم في هذا الموضع في الرِّاءِ والفَاءِ في قولي « طراف » و « أطراف » .

ومن ذلك ما كتبه في صدر كتاب إلى الملك الأفضل على بن يوسف أنه بملك مصر في ستة خمس وتسعين وخمسمائة ، فقلت :

« الْمَمْلُوكُ يَهْنِي مَوْلَانَا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الْمُؤَدَّةِ بِاسْتِخْلَاصِهِ وَاحْتِبَائِهِ ، وَتَمَكِّنِهِ حَتَّى بَلَغَ أَشُدَّهُ ، وَاسْتَخْرَجَ كَثْرَ آبَائِهِ ، وَلَوْ أَنْصَفَ لَهْنَا الْأَرْضَ مِنْهُ بِوَابِلِهَا ، وَالْأُمَّةَ بِكَافِلِهَا ، وَخُصُوصاً أَرْضَ مِصْرَ الَّتِي خُصِّتْ بِشَرَفِ سُكْنَاهَا ، وَغَدَتْ بَيْنَ بَحْرَيْنِ مِنْ فَيْضِ الْبَحْرِ وَفَيْضِ يُمْنَاهَا » .

وكلُّ هذه الفُصول المذكورة من هذه المكتوبات التي أنشأتها لا كُفِّتْ على كلمات اللزوم فيها .

وقرأت في كتاب « الأغاني » لأبي الفرج أن لقيط بن زُرارة تزوج بنت قيس بن خالد بن ذبي الجديين ، فحظيت عنده ، وحظي عندها ، ثم قتل ، فآمت بعده ، وتزوجت زوجاً غيره ، فكانت كثيراً ما تذكر لقيطاً ، فلما عليها على ذلك ، فقالت :

(٣) الطراف البيت من آدم .

« أَنَّهُ خَرَجَ فِي يَوْمِ دَجْنٍ ، وَقَدْ تَطَيَّبَ وَشَرِبَ فَطَرَدَ الْبَقْرَ فَصَرَغَ مِنْهَا ، ثُمَّ أَتَانِي وَبِهِ نَضْعُ دَمٍ ، فَضَمَنِي ضَمَّةً ، وَشَمَنِي شِمَةً ، فَلَيْتَنِي مِتُّ ثَمَّةً ، فَلَمْ أَرْ مَنْظَرًا كَانَ أَحْسَنَ مِنْ لَقِيطٍ » .

فَقُولُهَا « ضَمَنِي ضَمَّةً ، وَشَمَنِي شِمَةً ، فَلَيْتَنِي مِتُّ ثَمَّةً » مِنَ الْكَلَامِ الْحُلُوفِيِّ بَابِ اللَّزُومِ ، وَلَا كُفْلَةَ عَلَيْهِ .

وَهَكَذَا فليَكُنْ ، فَإِنَّ الْكُفْلَةَ وَحْشَةٌ تَذْهَبُ بِرَوْنَقِ الصَّنْعَةِ . وَمَا يَنْبَغِي لِمُؤَلِّفِ الْكَلَامِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ هَذَا النُّوعَ حَتَّى يَجِيءَ بِهِ مَتَكَلِّفًا . وَمِثَالُهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ كَمَنْ أَخَذَ مَوْضُوعًا رَدِيئًا فَأَجَادَ فِيهِ صَنْعَتَهُ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ عِنْدَ ذَلِكَ قَدْ رَاعَى الْفَرْعَ ، وَأَهْمَلَ الْأَصْلَ ، فَأَضَاعَ جُودَةَ الصَّنْعَةِ فِي رَدَاءَةِ الْمَوْضُوعِ .

وَقَدْ سَلَكَ ذَلِكَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمُعَرِّي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، فَمَّا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي حَرْفِ النَّاءِ مَعَ الْخَاءِ (٤) .

بِنْتُ عَنِ الدُّنْيَا وَلَا بِنْتُ لِي فِيهَا وَلَا عِرْسٌ وَلَا أُخْتُ
وَقَدْ تَحَمَّلْتُ مِنَ الْوِزْرِ مَا تَجَزُّ أَنْ تَحْمِلَهُ الْبُخْتُ (٥)
إِنْ مَدَحُونِي سَاءَ نَبِي مَدَحُهُمْ وَخِلْتُ إِنِّي فِي الشَّرَى سُخْتُ
وَلَهُ مِنْ ذَلِكَ الْجِيدُ كَقَوْلِهِ :

لَا تَطْلُبَنَّ بَالَةَ لَكَ حَاجَةً قَلَمُ الْبَلِيعِ بِغَيْرِ جَدٍّ مِغْزَلُ
سَكَنَ السَّمَاءِ (٦) كِلَاهُمَا هَذَا لَهُ رُمْعٌ وَهَذَا أَعْزَلُ
وَهَذَا بَيْنَ الْإِسْتِرْسَالِ وَبَيْنَ الْكُفْلَةِ .

وَأَمَّا مَا تَكْلَفُ لَهُ تَكْلَفًا ظَاهِرًا - وَإِنْ أَجَادَ - فَقَوْلُهُ (٧) :

تُنَازِعُ فِي الدُّنْيَا سِوَاكَ وَمَالَهُ وَلَا لَكَ شَيْءٌ فِي الْحَقِيقَةِ فِيهَا

(٤) لزوم مالا يلزم ١٤٠/١ .

(٥) البخت الإبل الحراسانية المولدة ، من عربية وفالج - والفالج الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة .

(٦) السما كان الأعزل والرامح نجران نيران ، والأعزل لأنه لا سلاح معه ، أو لأنه إذا طلع لا يكون في أيامه ربيع ولا برد ، والرامح نجم يكون قدام الفكة يقدمه كوكب يقولون هو رجمه ، والفكة كوكب مستديرة خلف السماك الرامح . (٧) لزوم مالا يلزم ٤١٠/٢ .

وَلَكِنَّهَا مِلْكٌ لِّرَبٍّ مُّقَدَّرٌ
وَلَمْ تَحْظَ مِنْ ذَلِكَ التَّرَاعِ بِطَائِلٍ
فِيَا نَفْسُ لَا تَعْظُمِ عَلَيْكَ خُطُوبُهَا
تَدَاعَوْا إِلَى التَّزْرِ الْقَلِيلِ فَجَالِدُوا
وَمَا أُمُّ صِلٍّ أَوْ حَلِيلَةٌ ضَيْغِمٌ
تُلَاقِي الْوُفُودَ الْقَادِمِيهَا بِفَرْحَةٍ
وَمَا هِيَ إِلَّا شَوْكَةٌ لَيْسَ عِنْدَهَا
كَمَا نَبَذَتْ لِلطَّيْرِ وَالْوَحْشِ رَازِمٌ
تَنَاءَتْ عَنِ الْإِنْصَافِ مَنْ ضَيْغِمٌ لَمْ يَجِدْ

سَيْلًا إِلَى غَايَاتٍ مُتَّصِفِيهَا
فَاطْبِقْ فَمَا عَنْهَا وَكُفَّا وَمُقْلَقَ
وَمِنْ ذَلِكَ (١٣) :

أَرَى الدُّنْيَا وَمَا وُصِفَتْ بِرٍ
إِذَا خُشِيتْ لِشَرٍّ عَجَلَتْهُ
حَيَاةٌ كَالْحَبَالَةِ ذَاتُ مَكْرٍ
فَلَا يُخْدَعُ بِحِيلَتِهَا أَرِيبٌ
أَذَاقَتْهُ شَهِيًّا مِنْ جَنَاهَا
إِذَا أَغْنَتْ فَقِيرًا أَرْهَقَتْهُ (١٤)
وَأِنْ رُجِيتْ لِخَيْرٍ عَوَّقَتْهُ
وَنَفْسُ الْمَرْءِ صَيْدٌ أَعْلَقَتْهُ
وَأِنْ هِيَ سَوَّرَتْهُ وَنَطَقَتْهُ
وَصَدَّتْ فَاهُ عَمَّا ذَوَّقَتْهُ

(٨) الجنوب جمع جنب وهو شق النقيض ، وارتدّفه تبعه .

(٩) أم صِل الحية ، وحليلة الضيغم لبؤة الأسد أى زوجته ، وقوله فاعترفها أى فاعترفها .

(١٠) فى الديوان « شاكّة » موضع « شوكّة » والشاكّة الكثيرة الشوكّة ، والإرطاب مصدر أرطب النخل حان أوان رطبه ، واخترّف الثمار جناها .

(١١) الرازم البعير لا يقوم هزالا ، وإنما أنت الضمير والفعل لتأويله بمؤنث أو خبر عن الطير .

(١٢) هذه كلمة تستعملها العرب عند الدعاء بالمكروه والشهامة به والمعنى جعل الله فم الداهية مقابلا لفيك ،

وأصل ذلك أن السباع إذا تهاششت صرفت أفواهها بعضها لبعض ، فكأنهم يدعون على من يقال له ذلك أن يكون مكابداً للدواهي .

(١٣) لزوم مالا يلزم ٤٠٠/٢

(١٤) فى الديوان « أوهقته » أى جعلت الوهق - وهو الجبل - فى عنقه .

وَقَدْ وَرَدَ لِلْعَرَبِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلٌ ، فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي آيَاتِ

الحماسة (١٥) :

إِنَّ التِّي زَعَمْتَ فَوَادِكَ مَلَهَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا
بَيِّضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلِقَاءِ فَادَّهَا وَأَجَلَهَا
حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَهَا
وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلَوَةٍ شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ فَسَلَهَا
وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه .

ومِمَّا يَجْرَى هَذَا الْمَجْرَى قَوْلُ حَجْرَ بْنِ حَيَّةَ الْعَبْسِيِّ مِنْ شِعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ أَيْضاً (١٦) :

وَلَا أَدُومُ قِدْرِي بَعْدَ مَا نَضِجَتْ بُخْلًا فَمَنْعُ مَا فِيهَا أَثَافِيهَا (١٧)
حَتَّى تُقَسِّمَ شَيْءِي بَيْنَ مَا وَسِعَتْ وَلَا يُؤْتِبُ تَحْتَ اللَّيْلِ عَافِيهَا (١٨)

ومما وردَ من ذلك أيضاً قولُ طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ الْبَكْرِى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ يَكْسِبُ أَهْلُهُ فُضُوحًا إِذَا لَمْ يُعْطَ مِنْهُ نَوَاسِبُهُ
أَرَى كُلَّ مَالٍ لَا مُحَالَةَ ذَاهِبًا وَأَفْضَلُهُ مَا وَرَثَ الْحَمْدَ كَاسِبُهُ
وكذلك قولُ الْفَرَزْدَقِ :

وَعَبِيرٌ لَوْنٌ رَاحِلَتِي وَلَوْنِي تَرَدَّى الْهَوَاجِرَ وَاعْتِمَامِي
أَقُولُ لَهَا إِذَا ضَجَرْتُ وَغَضَّتْ بِمُورِكَةِ الْوَرَاكِ مَعَ الزَّمَامِ
عَلَامٌ تَلَفَّتِينَ وَأَنْتِ تَحْتِي وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَمَامِي

(١٥) مضى الكلام في هذا الشعر في ص ١٩٠ من هذا الكتاب .

(١٦) ديوان الحماسة ٢/٢٨٩ ، والواقع أنه لا التزام في هذا الشعر إلا في هذين البيتين وبعدهما بيتان لا التزام فيها وهما :

لَا أَحْرَمُ الْجَارَةَ الدُّنْيَا إِذَا اقْتَرَبَتْ وَلَا أَقُومُ بِهَا فِي الْحَيِّ أَخْزَبَهَا
وَلَا أَكْلِمُهَا إِلَّا عِلَانِيَةً وَلَا أَخْبِرُهَا إِلَّا أَنْادِيَهَا

(١٧) رواية الحماسة «لتنع» موضع «فتمنع» . والأثنافى الحجارة التى توضع عليها القدر والمعنى : لا أدع قدرى بعد نضجها على الأثنافى بخلا بما فيها ، بل أنزلها عنها ، وأطعم منها الأضياف وكان من عادة البخيل أن يترك القدر منصوبة على الأثنافى ، ليرى غيره أن القدر لم تنضج .
(١٨) لا يؤنب أى لا يلام ، والعاقى فى طالب المعروف .

وكذلك قوله أيضاً :

منع الحياة من الرجال ونفعها حدق ثقلها النساء مراض
وكان أفئدة الرجال إذا رأوا حدق النساء لنيلها أغراض

وإذا شئت أن تعلم مقادير الكلام ، وكان لك ذوق صحيح فانظر إلى هذا
العربي في كلامه السهل الذي كأنه ماء جار ، وانظر إلى ما أوردته لأبي العلاء المعري ،
فإن أثر الكلفة عليه بادٍ ظاهر .

ومن قصد من العرب قصيده كله على اللزوم كثير عزة ، وهي القصيدة التي أولها .
خَلِيلِي هَذَا رُبْعُ عَزَّةٍ فَاعْقِلَا قُلُوبَيْكُمَا ثُمَّ احْلَلَا حَيْثُ حَلَّتْ (١٩)
وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتاً ، وهي مع ذلك سهلة ليّنة ، تكاد تترقق من
لينها وسهولتها ، وليس عليها من أثر الكلفة شيء . ولولا خوف الإطالة لأوردتها
بجملتها .

وقد ذكر بعضهم من هذا النوع ما ورد في أبيات الحماسة (٢٠) وهو :
وَفَيْشَةٍ لَيْسَتْ كَهَذِي الْفَيْشِ قَدْ مِلْتُ مِنْ تَرْفٍ وَطَيْشِ (٢١)
إِذَا بَدَتْ قَلْتُ أَمِيرُ الْجَيْشِ مَنْ ذَاقَهَا يَعْرِفُ طَعْمَ الْعَيْشِ
وهذا ليس من باب اللزوم ، لأن اللزوم هو أن يلتزم الناظم والنائر ما لا يلزمه ،
كقولنا « شرق » و « فرق » مثلاً ، فإنه لو قيل بدلا من ذلك « شرق » و « حق » لجاز
ذلك .

وفي هذه الأبيات لا يقع الأمر كذلك ، لأنه لو قيل « طيش » و « عرش » لما
جاز . وهذا يقال له الرّدْف في الشعر وهو الياء والواو قبل حرف الروي ، وإذا جيء

(١٩) رواية لزوم ما لا يلزم (١٧/١) « ثم ابكيا حيث حلت » وكذلك في سر الفصاحة (٢١١) قال
الخفاجي : وكان شيخنا - يقصد أبا العلاء - يذهب إلى أن قصيدة كثير التي أولها « خليلي . . » قد لزم اللام في
جميعها ، فلما سأله عن البيت الذي يروى فيها ، وهو

أصاب الردى من كان يهوى لك الردى وجن اللواتي قلن عزة جنت
قال : هذا البيت ليس من هذه القصيدة .

(٢٠) ديوان الحماسة ٣٧١/٢ . (٢١) رواية الحماسة « قد ملئت من خرق وطيش »

بذلك في الشعر وفي الكلام المنشور لا يقال إنه التزام مالا يلزم ، لأن الملتزم مالا يلزم له مندوحة في العدول إلى غيره ، وهاهنا لا مندوحة .

ومن لطيف ذلك ما يُروى لامرأة من البصرة مجتة بأبي نواس فقالت :
إِنَّ حِرَى حَزْبِلُ حَزَابِيَّةٍ إِذَا قَعَدْتُ فَوْقَهُ نَبَابِيَّةٌ (٢٢)
كَالْأَرْبِ الْجَائِمِ فَوْقَ الرَّابِيَةِ

وكذلك ورد قول أبي تمام ، وهو (٢٣) :

خَدَمَ الْعُلَا فَحَدَمْنَهُ وَهِيَ الَّتِي
فَإِذَا ارْتَقَى فِي قَلَّةٍ مِنْ سُودِدٍ
وَعَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ قَوْلُهُ أَيْضاً (٢٤) :

وَلَوْ جَرَّبَتْنِي (٢٥) لَوَجَدْتَ خَرْقًا
جَدِيرًا أَنْ يَكِرَ الطَّرْفَ شَرًّا
وَلَهُ مِنْ آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ مَرَثِيَّةً (٢٦) :

لَقَدْ فُجِعَتْ عَتَابُهُ وَزُهَيْرُهُ
وَمُبْتَدِرُ الْمَعْرُوفِ تَسْرَى هَبَاتُهُ
طَوَاهُ الرَّدَى طَى الرَّدَاءِ وَغُيِبَتْ
طَوَى شَيْمًا كَانَتْ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي
وَتَغْلِبُهُ (٢٧) أُخْرَى اللَّيَالِي وَوَائِلُهُ
إِلَيْهِمْ وَلَا تَسْرَى إِلَيْهِمْ (٢٨) غَوَائِلُهُ
فَضَائِلُهُ عَنْ قَوْمِهِ وَفَوَاضِلُهُ
وَسَائِلُ مَنْ أَعْيَتْ عَلَيْهِ وَسَائِلُهُ

(٢٢) الحزبل المشرف ، والحزابة الغليظ .

(٢٣) ديوان أبي تمام ٣١٣ من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم : ومطلعها :

نَثَرْتُ فَرِيدَ مَدَامَعٍ لَمْ تَنْظُمِ وَالْدَمْعُ بِحَمَلٍ بَعْضُ شَجْوِ الْمَغْرَمِ

(٢٤) ديوان أبي تمام ٨١ من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي داود ، ويعتذر إليه ومطلعها :

سَقَى عَهْدَ الْحِمَى سَبِيلَ الْعَهَادِ وَرَوْضَ حَاضِرٍ مِنْهُ وَبَادِ

(٢٥) رواية الديوان « ولو كشفتني » والخرق السخي ، ويصادى يعارض .

(٢٦) ديوان أبي تمام ٣٧٧ من قصيدة يرثي بها القاسم بن طوق ، ومطلعها :

جَوَى سَاوِرِ الْأَحْشَاءِ وَالْقَلْبِ وَاغْلَهُ وَدَمْعُ يَضْمِ الْعَيْنِ وَالْجَفْنِ هَامِلَهُ

(٢٧) في الأصل « وثعلبة » والصواب عن الديوان : وفجعت أصيبت ، وعتاب وزهير وتغلب ووائل قبائل .

(٢٨) المبتدر المسرع ، الغوائل المهلكات .

فِيَا عَارِضًا لِلْعُرْفِ أَقْلَعَ مُزْنُهُ وَيَا وَادِيًا لِلْجُودِ جَفَّتْ مَسَائِلُهُ
 أَلَمْ تَرَنِي أَنْزَفْتُ عَيْنِي عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ النَّجْمِ الْمُغِيبِ (٢٩) أَفْلَهُ
 وَأَخْضَلْتُهَا فِيهِ كَمَا لَوْ أَتَيْتُهُ طَرِيدَ اللَّيَالِي أَخْضَلْتَنِي (٣٠) نَوَافِلُهُ
 وهذا من أحسن ما يجيء في هذا الباب ، وليس بمتكلفٍ كشعر أبي العلاء ، فإنَّ
 حُسْنَ هذا مطبوعٌ ، وحُسْنَ ذاك مصنوع .

وكذلك أقول في غير اللزوم من الأنواع المذكورة أولاً ، فإنَّ الألفاظ إذا صدرت
 فيها عن سهولة خاطر وسلاسة طبع ، وكانت غير مُستجَلَبَةٍ ولا متكلفة ، جاءت غير
 محتاجة إلى التأنق . ولا شك أن صورة الخلقة غير صورة التخلُّق .

فإن قيل ما الفرق بين المتكلف من هذه الأنواع وغير المتكلف ؟
 قلت في الجواب :

أما المتكلف فهو الذي يأتي بالفكرة والروية ، وذلك أن يُنْضَى الخاطر في طلبه ،
 ويُعْتَمَد على تتبعه ، واقتصاص أثره وغير المتكلف يأتي مستريحاً من ذلك كله ، وهو أن
 يكون الشاعر في نظم قصيدته ، أو الخطيب في إنشاء خطبته أو كتابته ، فبينما
 هو كذلك إذ سَحَّ له نوع من هذه الأنواع بالاتفاق ، لا بالسعي والطلب . ألا ترى إلى
 قول أبي نواس (٣١) في مثل هذا الموضع :

أَتْرَكَ الْأَطْلَالَ لَا تَعْبَأُ بِهَا إِنَّهَا مِنْ كُلِّ بُؤْسٍ دَانِيَةٌ
 وَأَنْعَتِ الرَّاحَ عَلَى تَحْرِيمِهَا إِنَّمَا دُنْيَاكَ دَارٌ فَانِيَةٌ
 مِنْ عُقَارٍ مَنْ رَأَاهَا قَالَ لِي صَيْدَتِ الشَّمْسُ لَنَا فِي آيَةٍ (٣٢)
 وعلى هذه السهولة واللطافة ورد قوله أيضاً :
 كَمْ مِنْ غَلَامٍ ذِي تَحَاسِينِ أَفْسَدَهُ نَاطِفُ يَاسِينِ (٣٣)

(٢٩) في الأصل « المشرق »

(٣٠) في الأصل « أخلصتها » و « أخضلتني » . ومعنى أخضلتها بللتها ، والنوافل العطايا .

(٣١) ديوان أبي نواس ٣٥١ .

(٣٢) رواية الديوان « في باطية » والباطية الناجود : وهو الخمر وأناؤها .

(٣٣) الناطف ضرب من الحلوى يصنع من الجوز واللوز والفسق .

وَهَذَا « يَاسِينُ » كَانَ يَبِيعُ النَّاطِفَ بَبْغَدَادَ .

وحكى إبراهيم البندنجي قال : رأيتُ شيخاً ضعيفاً يبيع ناطفاً ، فقلتُ له : ياشيخُ ، أَمَا زِلْتُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ؟ فقال : مُذْ كُنْتُ ، وَلَكِنْ الْحَالُ كَانَتْ وَاسِعَةً ، وَالسَّلْعَةُ نَافِقَةً ، وَكُنْتُ مِمَّنْ يَشَارُ إِلَى ، حَتَّى قَالَ أَبُو نَوَاسٍ فِيَّ ، وَأَنشَدَ هَذَا الْبَيْتَ . فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمَتَأَمِّلُ ، مَا أَحَلَّى لَفْظَ أَبِي نَوَاسٍ فِي لُزُومِهِ ، وَمَا أَغْرَاهُ عَنِ الْكُلْفَةِ ! وَكَذَلِكَ فَلَتَكُنَ الْأَلْفَاظُ فِي اللَّزُومِ وَغَيْرِهِ .

[مَا يَلْحَقُ بِاللَّزُومِ]

وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا صُغِّرَتِ الْكَلِمَةُ الْأَخِيرَةُ مِنَ الشُّعْرِ أَوْ مِنْ فَوَاصِلِ الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُلْحَقٌ بِاللَّزُومِ ، وَيَكُونُ التَّصْغِيرُ عَوَضًا عَنْ تَسَاوِي الْحُرُوفِ الَّتِي قَبْلَ رَوِيِّ الْأَبْيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ ، وَالْحُرُوفِ الَّتِي قَبْلَ الْفَاصِلَةِ مِنَ النَّثْرِ .

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

عَزَّ عَلَى لَيْلَى بَذَى سُدَيْرٍ	سَوْءُ مَبِيتِي لَيْلَةَ الْغُمَيْرِ ^(٣٤)
مُقْبَضًا نَفْسِي فِي طُمِيرٍ	تَنْتَهَزُ الرَّعْدَةُ فِي ظُهُيرِي
يَهْفُو إِلَى الزُّورِ مِنْ صُدَيْرِي	ظَمَانٌ فِي رِيحٍ وَفِي مُطِيرٍ
وَأَزَرَ قُرًّا لَيْسَ بِالْغُرَيْرِ	مِنْ لَدُنِّ مَا ظَهَرَ إِلَى سُحَيْرٍ
حَتَّى بَدَتْ لِي جَبْهَةُ الْقُمَيْرِ	لَأَرْعَعَ خَلَوْنَ مِنْ شُهَيْرٍ

وهذا من محاسن الصَّنعة في هذا الباب ، فاعرفه .

وَأَحْسَنُ مِنْهُ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي نَوَاسٍ وَعَنْ عِنَانٍ جَارِيَةِ النَّطَافِ ، وَلَهُ مَعَهَا حِكَايَاتٌ كَثِيرَةٌ غَيْرُ هَذِهِ ، فَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ^(٣٥) :

أَمَا تَرَقَّى لِصَبٍّ يَكْفِيهِ مِنْكِ قُطَيْرَةٌ

(٣٤) رواية لسان العرب (٢١/٦) « سوء مبيتى بلد الغمير » قال ابن منظور : يجوز أن يريد بذى سدير ،

فصغر وقيل : ذو سدير موضع بعينه .

(٣٥) أخبار أبي نواس لابن منظور المصري : ٣٥

فَقَالَتْ عِنَانُ :

إِيَّايَ تَعْنِي بِهَذَا عَلَيْكَ فَاجْلِدْ عَمِيرَةَ

فَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

أَخَافُ إِنْ رُمْتُ هَذَا عَلَى يَدَيَّ مِنْكَ غَيْرُهُ

فَالْيَتَانِ الْأَوَّلُ والثَّانِي مِنْ هَذَا الْبَابِ ، وَالثَّالِثُ جَاءَ تَبَعًا .

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا اللَّزُومِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَسِيرٌ جَدًّا .

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ

عَلَقٍ » (٣٦) . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ » (٣٧) . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ

تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ « فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ

نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ » (٣٨) .

وَرَبَّمَا وَقَعَ بَعْضُ الْجَهَّالِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَأَدْخَلَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى

« إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِهِينَ يَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ

الْجَحِيمِ » (٣٩) . وَهَذَا لَا يَدْخُلُ فِي بَابِ اللَّزُومِ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِيهِ « نَعِمَ » وَ « جَحِمَ » وَالْيَاءُ

هِيَ مِنْ حُرُوفِ الْمَدِّ وَاللَّيْنِ ، فَلَا يُعْتَدُّ بِهَا هَاهُنَا .

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ

مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنضُودٍ » (٤٠) .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ

انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ

النَّصِيرِ » (٤١) .

(٣٦) سورة العلق : الآيتان ١ ، ٢

(٣٧) سورة الطور : الآيتان ١ ، ٢

(٣٨) سورة الطور : الآيتان ٢٩ و ٣٠

(٣٩) سورة الطور : الآيتان ١٧ و ١٨

(٤٠) سورة الواقعة : الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩

(٤١) سورة الأنفال : الآيتان ٣٩ و ٤٠

وعلى هذا الأسلوب جاء قوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام : « يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا » قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا » (٤٢) .
وعلى نحو هذا جاء قوله تعالى : « قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ » قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ » (٤٣) ولا تجد أمثال ذلك في القرآن إلا قليلا .

النوع الخامس

في الموازنة

وهي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنشور متساوية في الوزن ، وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساويي الألفاظ وزناً .
وللكلام بذلك طلاوة ورونت ، وسببه الاعتدال ، لأنه مطلوب في جميع الأشياء .

وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان ، وهذا لامرأ فيه لوضوحه .

وهذا النوع من الكلام هو أخو السجع في المعادلة دون المائلة ، لأن في السجع اعتدالاً وزيادة على الاعتدال ، وهي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد .

وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع ، ولا تماثل في فواصلها ، فيقال إذاً : كُلُّ سَجْعٍ مُوَازَنَةٌ ، وليس كل موازنة سجعاً .
وعلى هذا فالسجع أخص من الموازنة .

(٤٢) سورة مريم : الآيتان ٤٠ و ٤٦

(٤٣) سورة (ق) : الآيتان ٢٧ و ٢٨

فَمَا جَاءَ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » (١) فَالْمُسْتَقِيمُ وَالْمُسْتَقِيمُ عَلَى وَزْنٍ وَاحِدٍ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ : « وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا * أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا * فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا » (٢)

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ طه : « مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا » (٣) .

وَكَذَلِكَ وَرَدَّ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ حَمَّ عَسَقَ : « وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ * اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ » (٤) .

وَهَذِهِ الْآيَاتُ جَمِيعُهَا عَلَى وَزْنٍ وَاحِدٍ ، فَإِنَّ شَدِيدَ ، وَقَرِيبَ ، وَبَعِيدَ ، وَعَزِيزَ ، وَنَصِيبَ ، وَالْأَلِيمَ ، وَكَبِيرَ ، كُلُّ ذَلِكَ عَلَى وَزْنٍ « فَعِيلٌ » وَإِنْ اخْتَلَفَ حُرُوفُ الْمَقَاطِعِ الَّتِي هِيَ فَوَاصِلُهَا .

(١) سُورَةُ الصَّافَاتِ : الْآيَاتَانِ ١١٧ وَ ١١٨

(٢) سُورَةُ مَرْيَمَ : الْآيَاتُ ٨١ وَ ٨٢ وَ ٨٣ وَ ٨٤

(٣) سُورَةُ طه : الْآيَاتَانِ ١٠٠ وَ ١٠١

(٤) سُورَةُ الشُّورَى : الْآيَاتُ ١٦ - ٢٢ .

وأمثالُ هذا في القرآن كثير، بل معظمُ آياته جاريةٌ على هذا النهج، حتَّى أنه لا تخلو منه سورةٌ من السُّور، ولقد تصفَّحته، فوجدته لا يكادُ يخرجُ منه شيءٌ عن السَّجع والموازنة.

وأما ما جاء من هذا النوع شعراً فقولُ ربِّعة بنِ ذؤابة (٥) :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّتْ عُرُوشُهُمْ بَعْتَبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ (٦)
بَأْسَدَهُمْ بَأْسًا عَلَى أَصْحَابِهِ وَأَعَزَّهُمْ فَقْدًا عَلَى الْأَصْحَابِ (٧)

فالبيت الثاني هو المختصُّ بالموازنة، فإنَّ «بأساً» و «فقدًا» على وزنٍ واحد.

النوع السادس

في اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها

وهو من هذه الصناعة بمنزلةِ عليَّة، ومكانةٍ شريفة، وجلُّ الألفاظ اللفظية منوطةٌ به، ولقد لقيتُ جماعة من مدَّعي فنِّ الفصاحة، وفاوضتهم وفاوضوني وسألتهم وسألوني، فما وجدتُ أحداً منهم تيقنَ معرفةَ هذا الموضع كما ينبغي. وقد استخرجتُ فيه أشياء لم أُسبقُ إليها، وسيأتى ذكرها ها هنا.

أما اختلاف صيغ الألفاظ، فإنها إذا نُقلت من هيئةٍ إلى هيئة، كنقلها مثلاً من وزنٍ من الأوزان إلى وزنٍ آخر، وإن كانت اللفظة واحدة، أو كنقلها من صيغة الاسم إلى صيغة الفعل، أو من صيغة الفعل إلى صيغة الاسم، أو كنقلها من الماضي إلى المستقبل، أو من المستقبل إلى الماضي، أو من الواحد إلى الثنية أو إلى الجمع، أو إلى

(٥) هو ربِّعة بن عبيد بن سعد بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين أحد بني أسد، وربِّعة هذا هو أبو ذؤاب الأسدي، وقد نسب الشعري حماسة أبي تمام ٣٥٤/١ لرجل من بني نصر بن قعين.

(٦) معناه إن كانوا فرحوا بقتلك وتبجحوا به فقد هدمت عزهم بقتل عتية.

(٧) رواية الحماسة (٣٥٦/١) «بأشدَّهم كلباً».

النسب ، أو إلى غير ذلك ، انتقل^(١) قُبْحُهَا صَارَ حُسْنًا ، وحسُنُهَا صَارَ قُبْحًا .
 فن ذلك لفظة « خَوْد »^(٢) فَإِنَّهَا عبارةٌ عن المرأةِ الناعمةِ ، وإذا نُقِلَتْ إلى صيغةِ
 الفعلِ قيل « خَوَّد »^(٣) على وزن « فَعَّل » بتشديد العين ، ومعناها أَسْرَعَ ، يُقال : خَوَّدَ
 البعيرُ ، إذا أَسْرَعَ ، فهي على صيغةِ الاسمِ حسنةٌ رائقةٌ ، وقد وَرَدَتْ في النظم والنثر
 كثيرًا ، وإذا جاءتْ على صيغةِ الفعلِ لم تكن حَسَنَةً ، كقولِ أبي تَمَّام^(٤) :
 وَإِلَى بَنِي عَبْدِ الْكَرِيمِ تَوَاهَقَتْ رَتَكَ النَّعَامِ رَأَى الظَّلَامَ فَخَوَّدَ^(٥)
 وهذا يُقَاسُ عليه أشباهه وأنظاره ، إلا أن هذه اللفظة التي هي « خَوْد » قد نُقِلَتْ
 عن الحقيقةِ إلى المجازِ ، فخَفَّ عَنْهَا ذلك القُبْحُ قليلًا ، كقولِ بعضِ شعراءِ الحماسة^(٦) :
 أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَّدَ رَأْيَهَا رُوَيْدُكَ لَمَّا تُشْفِقِي حِينَ مُشْفَقِ^(٧)
 رُوَيْدُكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي غِيَابُهُ هَذَا الْبَارِقِ الْمُتَالِقِ^(٨)
 والرُّأُلُ : النعام ، والمرَادُ بِهِ هاهنا أَنَّ نَفْسَهُ فَرَّتْ وَفَرَعَتْ ، وشبه ذلك بإسراعِ
 النِّعَامِ فِي فِرَارِهِ وَفَرَعِهِ ، وَلَمَّا أُوْرَدَهُ عَلَى حُكْمِ الْمَجَازِ خَفَّ بَعْضُ الْقُبْحِ الَّذِي عَلَى لَفْظَةِ
 « خَوْد » وهذا يُدْرِكُ بِالذَّوْقِ الصَّحِيحِ . ولا خَفَاءَ بَمَا يَبِينُ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فِي إِبْرَادِهَا هَاهُنَا
 وَإِبْرَادِهَا فِي بَيْتِ أَبِي تَمَامٍ ، فَإِنَّهَا وَرَدَتْ فِي بَيْتِ أَبِي تَمَامٍ قَبِيحَةً سَمِجَةً ، كَمَا وَرَدَتْ
 هَاهُنَا بَيْنَ بَيْنٍ .

(١) جواب « إذا » في قوله « إذا نُقِلَتْ ... » .

(٢) الخود المرأة الحسنه الخلق الشابة أو الناعمة وهي بفتح الحاء وسكون الواو ، وجمعها خود بضم الحاء .

(٣) التخويد : سرعة السير .

(٤) ديوان أبي تمام ١٢٥ من قصيدة يمدح بها أحمد بن عبد الكريم ، ومطلعها :

يادار دار عليك أرهام الندى واهتز روضك في الثرى فتأودا

(٥) تواهقت مدت أعناقها وتسابقت ، الرتك سرعة في مقاربة خطو ، خود اهتز من النشاط .

(٦) ديوان الحماسة ١٤٣/١ وقد نسب هذا الشعر لرجل من بني أسد قاله في يوم اليمامة .

(٧) رواية ديوان الحماسة « مكانك » موضع « رويدك » في البيتين : وخود أسرع ، والرأل فرخ النعام ،

ويقال للمذعور والمرتع « خود رأله » وهو مثل ، وقوله « لما تشفقي حين مشفق » أى لم تخافى وقت مخافة ، والمعنى
 ليس هذا وقت الخوف فاصبرى فإنه وقت صبر .

(٨) رواية الحماسة « عناية » موضع « غيابة » والعارض السحاب ، والمراد هنا الجيش .

ومن هذا النوع لفظة « وَدَعَ » وهى فعلٌ ماضٍ ثَلَاثِيٌّ لَا ثِقْلَ بِهَا اللِّسَانُ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا تُسْتَعْمَلُ عَلَى صِيغَتِهَا الْمَاضِيَةِ إِلَّا جَاءَتْ غَيْرَ مُسْتَحْسَنَةٍ ، وَلَكِنَّهَا تَسْتَعْمَلُ مُسْتَقْبَلَةً ، وَعَلَى صِيغَةِ الْأَمْرِ ، فَتَجِيءُ حَسَنَةً .

أَمَّا الْأَمْرُ فَكَقَوْلُهُ تَعَالَى : « . . . يَخْرُضُوا وَيَلْعَبُوا ^(٩) » وَلَمْ تَأْتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَّا عَلَى هَذِهِ الصِّيغَةِ ! !

وَأَمَّا كَوْنُهَا مُسْتَقْبَلَةً فَكَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَدْ وَاصَلَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَوَاصَلَ مَعَهُ قَوْمٌ : « لَوْ مَدَّ لَنَا الشَّهْرُ لَوَاصِلَنَا وَصَالًا يَدْعُ لَهُ الْمُتَمَعِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ » .
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّى ^(١٠) :

تَشْقُكُمُ بِفَتَاهَا كُلُّ سَلْهَبَةٍ وَالضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ مَا يَدْعُ ^(١١)
وَأَمَّا الْمَاضِي مِنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ فَلَمْ يُسْتَعْمَلْ إِلَّا شَاذًا ، وَلَا حُسْنَ لَهُ ، كَقَوْلِ أَبِي الْعَتَاهِيَّةِ :

أَثَرُوا فَلَمْ يُدْخِلُوا قُبُورَهُمْ شَيْئًا مِنَ الثَّرْوَةِ الَّتِي جَمَعُوا
وَكَانَ مَا قَدَّمُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ نَفْعًا مِنَ الَّذِي وَدَعُوا

وهذا غير حسنٍ فى الاستعمال ، ولا عليه من الطَّلَاوَةِ شَيْءٌ .
وهذه لفظةٌ واحدةٌ لم يتغيَّرَ مِنْ حَالِهَا شَيْءٌ سِوَى أَنَّهُ نُقِلَتْ مِنَ الْمَاضِي إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ لَا غَيْرَ .

وكذلك لفظة « وَذَرَ » فَإِنَّهَا لَا تَسْتَعْمَلُ مَاضِيَةً ، وَتَسْتَعْمَلُ عَلَى صِيغَةِ الْأَمْرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ^(١٢) » .

(٩) فى القرآن الكريم سورة الزخرف : الآية ٨٣ « فذرهم يخوضوا ويلعبوا » وقد رواه بن الأثير « فدعهم » ليكون شاهدا على ما ذهب إليه ؛ وهذا وهم منه لانفاق الفطين فى المعنى .

(١٠) ديوان المتنبي ٢/٢٣٠ من قصيدة فى مدح سيف الدولة مطلعها :

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

(١١) رواية الديوان « بقناها » موضع « بفتاها » ومعنى فتاها فارسها ، والقنا الرماح ، السلهبة الطويلة من الخيل .

(١٢) سورة الحجر : الآية ٣

وتستعملُ مستقبلَةً أيضاً كقوله تعالى : « سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر * لَا تُبْقَى وَلَا تَنْدَر » (١٣) .

فهى لم تَرُدْ فى القرآنِ إلَّا على هاتين الصيغتين ، وكذلك فى فصيح الكلام غير القرآن .

وأما إذا جاءتْ على صيغة الماضي فإنها لا تستعملُ ، وهى أقبحُ من لفظة « وَدَعَ » لأن لفظة « وَدَعَ » قد استُعملتْ ماضيةً ، وهذه لم تستعمل .

وهاهنا فلينعم الخاضعون فى هذا الفن نظرهـم ، ويعلموا أن فى الزوايا خبايا ، وإذا أنعموا الفكر فى أسرار الألفاظ عند الاستعمال ، وأغرقوا فى الاعتبار والكشف وجدوا غرائب وعجائب .

ومن هذا النوع لفظة « الأخدع » فإنها وردتْ فى بيتين من الشعر ، وهى فى أحدهما حسنة رائقة ، وفى الآخر ثقيلة مستكرهة كقول الصمة بن عبد الله (١٤) من شعراء الحـماسة (١٥) :

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجَعْتُ مِنَ الْإِضْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعَا (١٦)
وكقول أبى تمام (١٧) :

يَادَهُرُ قَوْمٌ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خَرْقِكَ (١٨)
الآ ترى أنه وجدَ هذه اللفظة فى بيت أبى تمام من الثقل على السمع ، والكرهية فى النفس أضعافُ ما وجدَ لها فى بيت الصمة بن عبد الله (١٩) من الرّوح والخفة والإيناس والبهجة ؟ وليس سببُ ذلك إلَّا أنها جاءتْ موحدةً فى أحدهما مثناةً فى الآخر ،

(١٣) سورة المدثر : الآيات ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ . (١٤) فى الأصل « ابن الصمة عبد الله »

(١٥) ديوان الحماسة ٥٦/٢ .

(١٦) الليث صفحة العنق ، والأخدع عرق فيها ، نصبها على التمييز ، والإضغاء الميل .

(١٧) ديوانه ٢١٠ من قصيدة يمدح فيها محمد بن الهيثم ويهته ببرته ، ومطلعها :

قد مات محل الزمان من فرقك وأكن أهل الإعدام فى ورقك

(١٨) الخرق الحمق .

(١٩) فى الأصل « ابن الصمة عبد الله » وبيت الصمة وبيت أبى تمام تكلم عنها عبد القاهر الجرجاني بمثل

هذا الكلام الذى نقله ابن الأثير - وانظر دلائل الإعجاز ٣٨ ، ٣٩ .

وكانت حسنة في حالة الأفراد ، مستكرهة في حالة الثنية ، وإلا فاللفظة واحدة ، وإنَّ اختلافُ صيغتها فعل بها ما ترى .

ومن هذا النوع ألفاظٌ يُعدَّلُ عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها ، ولا يُستَقَى في ذلك إلا الذوق السليم ، وهذا موضعٌ عجيبٌ ، لا يُعلم كنهُ سرِّه .

فمن ذلك لفظه « اللَّبَّ » الذي هو العقل - لا لفظه « اللَّبَّ » الذي تحت القشر - فإنَّها لا تحسنُ في الاستعمال إلا مجموعة ، وكذلك وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وهي مجموعة ، ولم ترد مفردة ، كقوله تعالى : « وَلَيَذَكِّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ » (٢٠) و « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ » (٢١) وأشباه ذلك .

وهذه اللفظة ثلاثية خفيفة على النطق ، ومخارجها بعيدة ، وليست بمُستثقلة ، ولا مكروهة .

وقد تُستعمل مفردة ، بشرط أن تكون مضافة أو مضافاً إليها ، أمَّا كونها مضافاً إليها فكقولنا : لا يعلم ذلك إلا ذو لب ، وإنَّ في ذلك لعبرة لذي لبٍّ وعليه ورد قول جرير :

إِنَّ لِلْعُيُونَ التي في طرفها حورٌ (٢٢) قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا
يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهْنٌ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا
وأما كونها مضافة فكقول النبي ﷺ في ذكر النساء « ما رأيتُ ناقصات عقلٍ ودينٍ
أَذْهَبَ لِلْبِّ الحَازِمِ من إِحْدَاكُنَّ يامعشر النساءِ » .

فإن كانت هذه اللفظة عارية عن الجمع أو الإضافة فإنَّها لا تأتي حسنة ولا تجد دليلاً على ذلك إلا مجرد الذوق الصحيح .

وإذا تأملت القرآن الكريم ودققت النظر في رموزه وأسراره وجدتَ مثل هذه اللفظة قد روعي فيها الجمع دون الأفراد كلفظة « كُوب » فإنَّها وردت في القرآن مجموعة ، ولم ترد مفردة ، وهي وإن لم تكن مستقبحة في حال إفرادها فإنَّ الجمع فيها أحسن .

(٢١) سورة الزمر : الآية ٢١

(٢٠) سورة (ص) : الآية ٢٩

(٢٢) رواية الشعر والشعراء « مرض » موضع « سور » .

لكن قد ترد مفردة مع ألفاظٍ أخر تندرجُ معهنَّ ، فيكسوها ذلك حسناً ليس لها .
وذلك كقولي في جملة أبياتِ أصفُ بها الخمر ، وما يجرى معها من آلتها :

ثَلَاثَةٌ تُعْطَى الْفَرْحَ كَأْسٌ وَكُوبٌ وَقَدَحٌ
مَا ذُبِحَ سِوَى بِهَا إِلَّا وَلِلَّهِمْ ذَبْحٌ

فلما وردت لفظة « الكوب » مع الكأس والقَدَح على هذا الأسلوب حسنها ، وكأنه
جاءها في غير لباسها الذي كان لها إذ جاءت بمفردها .

وكذلك وردت لفظة « رَجَا » بِالْقَصْرِ ، « والرجا » الجانبُ ، فإنها لم تستعمل
موحدةً ، وإنما استعملت مجموعة ، كقوله تعالى : « وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ
رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ » (٢٣) .

فلما وردت هذه اللفظة مجموعةً ألبسها الجمعُ ثوباً من الحُسْنِ لم يكن لها في حال
كونها موحدةً .

وقد تستعمل موحدةً ، بشرط الإضافة كقولنا « رجا البئر » .

ولربما أخطأ بعض الناس في هذا الموضع ، وقاس عليه ما ليس بمقيس ، وذلك
أنه وقف على ما ذكرته هاهنا واقف فقال : وكذلك قد وردت لفظة الصُوف في القرآن
الكريم ، ولم ترد إلا مجموعة كقوله تعالى : « وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا
تَسْكُنُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى
حِينٍ » (٢٤) .

وهذا بخلاف ماوردت عليه في شعر أبي تمام (٢٥) :

كَانُوا بُرُودَ زَمَانِهِمْ فَتَصَدَّعُوا فَكَانُوا لِبَسِ الزَّمَانِ الصُّوفَا (٢٦)

وهذا ليس كالذي أشرتُ إليه ، فإن لفظة « الصُوف » لفظة حسنة مفردة
ومجموعة ، وإنما أَرَى بها في قول أبي تمام أنها جاءت مجازية في نسبتها إلى الزمان .

(٢٣) سورة الحاقة : الآية ١٧ . (٢٤) سورة النحل : الآية ٨٠ .

(٢٥) الديوان ٢٠٥ من قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف ، ويعرض بوال ولي الثغر ، ومطلعها :

أُطْلَاهُمْ سَلَبَتِ دِمَاهَا الْهَيْفَا . وَاسْتَبَدَلَتْ وَحْشَاهُنْ عَكُوفَا

(٢٦) البرود الثياب ، تصدعوا تشققوا .

وعلى هذا التَّهَجُّجُ وردت لفظة « خبر » و « أخبار » ، فإنَّ هذه اللفظة مجموعة أحسنُ منها مفردةً ، ولم تَرِدْ في القرآنِ إلا مجموعةً .

وفي ضِدِّ ذلك ، ماورد استعماله من الألفاظِ مفرداً ولم يَرِدْ مجموعاً كلفظة « الأرض » فإنَّها لم تَرِدْ في القرآنِ إلا مفردةً ، فإذا ذُكرت السَّماءُ مجموعةً جِيءَ بها مفردةً معها في كلِّ موضعٍ من القرآن ، ولما أُريدَ أن يُؤْتَى بها مجموعةً قِيلَ « وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ » في قوله تعالى : « اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ » (٢٧) . ومما وردَ من الألفاظِ مفرداً فكان أحسنَ ممَّا يَرِدُ مجموعاً لفظة « البقعة » قال الله تعالى في قصَّة موسى عليه السَّلام : « فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنِ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ » (٢٨) والأحسنُ استعمالها مفردةً لا مجموعةً ، وإن استعملت مجموعةً فالأولى أن تكون مُصَافَةً ، كقولنا : « بِقَاعِ الْأَرْضِ » أو ماجرى مجراها .

وكذلك لَفْظَةُ « طَيْف » في ذكر طَيْفِ الْخِيَالِ ، فإنَّها لم تُستعمل إلا مفردةً . وقد استعملها الشعراءُ قديماً وحديثاً فلم يَأْتُوا بها إلا مفردةً ، لأنَّ جمعها جمعُ قَبِيحٍ ، فإذا قِيلَ « طُيُوف » كان من أقبحِ الألفاظِ وأشدَّها كراهةً على السَّمْعِ .

ويا لله للعجبِ مِنْ هذه اللفظة ومن أختها عِدَّةٌ ووزناً ، وهي لفظة « ضَيْف » فإنَّها تستعمل مفردةً ومجموعةً ، وكلاهما في الاستعمالِ حَسَنٌ رائق ، وهذا ممَّا لا يُعلم السرُّ فيه . والذوقُ السليمُ هو الحاكمُ في الفرقِ بين هاتين اللفظتين وما يجري مجراها . وأما جمعُ المصادرِ فإنَّه لا يَجِيءُ حَسَنًا ، والإفرادُ فيه هو الحَسَنُ ، ومما جاء في المصادرِ مجموعة قول عنتره :

فَإِنْ يَبْرَأُ فَلَمْ أَنْفِثْ عَلَيْهِ وَإِنْ يُفْقَدَ فَحَقِّ لَهُ الْفُقُودُ (٢٩)
قوله : « الْفُقُود » جمعُ مصدرٍ من قولنا : فَقَدَ ، يَفْقِدُ ، فَقْدًا . واستعمالُ مثل هذه اللفظة غير سائغٍ ولا لذيذٍ ، وإن كان جائزاً .

(٢٧) سورة الطلاق : الآية ١٢ . (٢٨) سورة القصص : الآية ٣٠ .

(٢٩) شرح ديوان عنتره بن شداد ٤٩ من أبيات في جرية العمرى . وقد رماه عنتره . فظن أنه قتله . فلم

بفعل .

ونحن في استعمال مانستعمله من الألفاظ واقفون مع الحسن لامع الجواز. وهذا كله يرجع إلى حاكم الذوق السليم، فإن صاحب هذه الصناعة يصرف الألفاظ بضروب التصريف، فما عذب في فيه منها استعمله، وما لفظه فمه تركه.

ألا ترى أنه يقال « الأمة » بالضم عبارة عن الجمع الكثير من الناس، ويقال : « الأمة » بالكسر، وهى النعمة، فإن « الأمة » بالضم لفظة حسنة وبالكسر ليست بحسنة واستعملها قبيح.

ورأيت صاحب كتاب « الفصيح »^(٣٠) قد ذكرها فيما اختاره من الألفاظ، الفصيحة، وباليث شعري ما الذى رآه من فصاحتها حتى اختارها ! ؟ وكذلك قد اختار ألفاظاً أخر ليست بفصيحة، ولا لوم عليه، لأن صدور مثل ذلك الكتاب عنه كثير !

وأسرار الفصاحة لا تؤخذ من علماء العربية، وإنما تؤخذ منهم مسألة نحوية، أو تصرفية، أو نقل كلمة لغوية، وما جرى هذا الجرى.

وأما أسرار الفصاحة فلها قوم مخصوصون بها، وإذا شذ عن صاحب كتاب « الفصيح » ألفاظ معدودة ليست بفصيحة في جملة كثيرة ذكرها من الفصيح فإن هذا منه كثير.

ومما يذكّر في هذا الباب أنه يقال : « سهم صائب » فإذا جمع الجمع الحسن الذى يعذب في الفم قيل : سهام صوائب، وصائب. فإذا جمع الجمع الذى يقبح قيل : « سهام صيب » على وزن « كتب » قال أبو نواس^(٣١) :

مَا أَحَلَّ اللَّهُ مَا صَنَعْتُ عَيْنُهُ تِلْكَ الْعَشِيَّةُ بِي
قَتَلْتُ^(٣٢) إِنْسَانَهَا كَيْدِي بِسَهَامٍ لِلرَّدَى صُيْبٍ

(٣٠) هو الإمام أحمد بن يحيى المعروف بثعلب.

(٣١) ديوانه ٤٠٧ من أبيات أولها :

يابنى حiale الخطب حرنى من ظيكم حرنى

(٣٢) رواية الديوان « قتل » .

فقوله : « سَهَامٌ صُيَّبٌ » من اللفظ الذى ينبؤ عنه السَّمْع ، ويحيدُ عنه اللِّسَان .
ومثله ورد قول عُوَيْفِ القَوَافِي (٣٣) من أبياتِ الحماسة :

ذَهَبَ الرُّقَادُ فَمَا يُحَسُّ رُقَادُ مِمَّا شَجَاكَ وَنَامَتِ الْعَوَادُ
لَمَّا أَتَانِي عَنْ عَيْنَةٍ أَنَّهُ أُمْسَى عَلَيْهِ تَظَاهَرُ الْأَقْيَادُ (٣٤)

فقوله : « أَقْيَادٌ » فى جمع « قَيْدٌ » مما لا يحسن استعماله ، بل الحسنُ أن يقال فى جمعه « قُيُودٌ » .

وكذلك قولُ مرةَ بنِ مَحْكَن التَّمِيمِي (٣٥) من أبياتِ الحماسة ، وذلك من جُمْلَةِ الأبياتِ المشهورةِ التى أوَّلُها :

يَارَبَّةَ الْبَيْتِ قَوْمِي نَيْرَ صَاغِرَةٍ ضَمِي إِلَيْكَ رِحَالَ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا (٣٦)
فقالَ فيها :

مَاذَا تَرَيْنَ : أُنَدِينَهُمْ لَأَرْحِلُنَا فِى جَانِبِ الْبَيْتِ ؟ أَمْ نَبْنِي لَهُمْ قُبَا ؟
فإنه جمع « قُبَّة » على « قُبْ » ، وذلك من المستبشعِ الكريه ، والأحسنُ المستعملُ هو « قِبَاب » لا « قُبْ » ، وكذلك يجرى الأمرُ فى غيرِ هذا .

ومن المجموع ما يختلفُ استعماله ، وإن كان مُتَّفِقاً فى لفظةٍ واحدةٍ ، كالعَيْنِ النَّاظِرَةِ ، وَعَيْنِ النَّاسِ ، وَهُوَ النَّيْبُ فِيهِمْ : فَإِنَّ الْعَيْنَ النَّاظِرَةَ تُجْمَعُ عَلَى « عُيُونٍ » ، وَعَيْنِ النَّاسِ

(٣٣) هو ابن معاوية بن عقبة من بنى فزارة بن ذبيان ، وإنما أضيف إلى القوافى لقوله :
سَأَكْذِبُ مَنْ قَدْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّنِي إِذَا قُلْتُ قَوْلًا لَا أَجِيدُ الْقَوَافِيَا
وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية من ساكنى الكوفة ، وبيته من البيوتات المتقدمة فى العرب ، وكانت أخته متزوجة عينة بن أساء الفزارى فطلقها ، فلما حبس الحجاج عينة وقبده قال عويف هذه الأبيات .
(٣٤) رواية البيت فى الحماسة (٩٧/١) وفى الأصل :

لَمَّا أَتَانِي مِنْ عَيْنَةٍ أَنَّهُ أُمْسَى عَلَيْهِ بَظَاهِرُ أَقْيَادِ

(٣٥) هو من بطن يقال لهم بنو ربيع من سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهو شاعر إسلامى مقل من شعراء الدولة الأموية ، عاصر جريراً والفرزدق ، فأخملاً ذكره ، وكان شريفاً جواداً ، قتله مصعب بن الزبير فى ولايته . والأبيات فى ديوان الحماسة ٢٤٢/٢ .

(٣٦) فى الأصل « رجال » موضع « رجال » وهو تصحيف ، والصاغرة الذليلة ، والقرب جمع قراب وهو كالجراب يوضع فيه السيف بغمده ، يأمر زوجته بأن تضم إليها رجال القوم وأسلحتهم حفظاً لها ، لأنهم نزلوا عنده ، فهم فى أمان لا يحتاجون إلى السلاح .

يُجْتَمَعُ عَلَى «أَعْيَانٍ» ، وَهَذَا يَرْجِعُ فِيهِ إِلَى الْإِسْتِحْسَانِ لَا إِلَى جَائِزِ الْوَضْعِ الْلُغَوِيِّ .
وَقَدْ شَدَّ هَذَا الْمَوْضِعُ عَنْ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِيِّ فِي قَوْلِهِ (٣٧) :

وَالْقَوْمُ فِي أَعْيَانِهِمْ خَزَرٌ وَالْخَيْلُ فِي أَعْيَانِهَا قَبْلُ (٣٨)

فَجَمَعَ الْعَيْنَ النَّازِرَةَ عَلَى «أَعْيَانٍ» ، وَكَانَ الذَّوْقُ يَأْتِي ذَلِكَ ، وَلَا تَجِدُ لَهُ عَلَى
اللسانِ حِلَاوَةً ، وَإِنْ كَانَ جَائِزًا .

وَلَوْلَا خَوْفُ الْإِطَالَةِ لَاوُرِدَتْ مِنْ هَذَا النُّوعِ وَأُمَثَالِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ، وَكَشِفَتْ عَنْ
رُؤُوسٍ وَأَسْرَارٍ تَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مُتَعَاظِي هَذَا الْفَنِّ ، لَكِنْ فِي الَّذِي أَشْرْتُ إِلَيْهِ مُنْبَهٌ
لَأَهْلِ الْفَطَانَةِ وَالذِّكَاءِ أَنْ يَحْمِلُوهُ عَلَى أَشْبَاهِهِ وَأَنْظَارِهِ .

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْكَ تَرَى وَزْنَ وَاحِدًا مِنَ الْأَلْفَاظِ ، فَتَارَةً تَجِدُ مُفْرَدَةً
حَسَنًا ، وَتَارَةً تَجِدُ جَمْعَهُ حَسَنًا ، وَتَارَةً تَجِدُهَا جَمِيعًا حَسَنِينَ .

فَالْأَوَّلُ نَحْوُ «حُبْرُورٍ» وَهُوَ قَرْنُ الْحَبَارِيِّ ، فَإِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ يَحْسُنُ مَفْرُودًا
لِاجْمَاعِهَا ، لِأَنَّ جَمْعَهَا عَلَى «حَبَارِيرٍ» ، وَكَذَلِكَ «طُنْبُورٍ» وَ«طَنَابِيرٍ» وَ«عُرْقُوبٍ»
و«عَرَاقِيبٍ» .

وَأَمَّا الثَّانِي فَنَحْوُ «بُهْلُولٍ» وَ«بَهَالِيلٍ» (٣٩) وَ«لَهْمُومٍ» وَ«وَلَهَامِيمٍ» (٤٠) وَهَذَا
ضِدُّ الْأَوَّلِ .

وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَنَحْوُ «جُهْهُورٍ» وَ«جَاهِيرٍ» وَ«عُرْجُونٍ» وَ«عَرَّاجِينَ» .
فَانْظُرْ إِلَى الْوِزْنِ الْوَاحِدِ كَيْفَ يَخْتَلِفُ فِي أَحْوَالِهِ مَفْرَدًا وَمَجْمُوعًا ؟ وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ
مَا يَجِيءُ فِي هَذَا الْبَابِ .

وَهَكَذَا قَدْ جَاءَتْ أَلْفَاظٌ عَلَى وَزْنِ وَاحِدٍ ثَلَاثِيَّةٍ مَسْكُونَةِ الْوَسْطِ ، وَجَمِيعُهَا حَسَنٌ فِي
الِاسْتِعْمَالِ ، وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُثَقِّلَ وَسْطَهَا حَسُنَ مِنْهَا شَيْءٌ دُونَ شَيْءٍ .

(٣٧) دِيوانه ٣٠٧/٣ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَمُطْلَعُهَا :

أَثَلْتُ فَإِنَّا أَيُّهَا الظِّلُّ نَبْكِي وَتَرْزَمُ تَحْتَنَا الْإِبِلُ

(٣٨) الْخَزَرُ ضَيْقُ الْعَيْنِ ، وَالْقَبْلُ إِقْبَالُ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى ، وَذَلِكَ تَفْعُلُهُ الْخَيْلُ لِعِزَّةِ أَنْفُسِهَا .

(٣٩) الْبُهْلُولُ الضَّحَّاكُ وَالسَّيِّدُ الْجَامِعُ لِكُلِّ خَيْرٍ .

(٤٠) الْلَهْمُومُ النَّاقَةُ الْغَزِيرَةُ ، وَالْجَرَحُ الْوَاسِعُ ، وَجِهَارُ الْمَرْأَةِ ، وَالسَّحَابَةُ الْغَزِيرَةُ الْقَطَرِ ، وَالْعَدَدُ الْكَثِيرُ .

وَالْجَيْشُ الْعَظِيمُ ، وَالْكَثِيرُ الْخَيْرِ .

فن ذلك لفظة الثُلُثُ، والرُّبُعُ ... إلى العُشْرُ، فَإِنَّ الجميعَ على وزنٍ واحدٍ، وإذا ثَقَّلْنَا أَوْسَاطَهَا، فَقُلْنَا: ثُلُثٌ وَرُبُعٌ وَخُمْسٌ ... وكذلك إلى عَشْرٍ، فَإِنَّ الحَسَنَ من ذلك جميعه ثلاثه، وهى الثُلُثُ والخُمُسُ والسُّدُسُ، والباقي موهو: الرُّبُعُ، والسَّبْعُ، والثَّمَنُ، والتَّسْعُ، والعُشْرُ، ليس كالأول فى حُسْنِه، هذا والجميعُ على وزنٍ واحدٍ، وصيغَةٌ واحدة، والجميعُ حَسَنٌ فى الاستعمال قبل أن يثَقُلَ وسطُه، ولَمَّا ثَقُلَ صارَ بعضُه حَسَنًا، وبعضُه غيرَ حَسَنٍ.

وكذلك تجدُ الأمرُ فى أسماءِ الفاعلين، كالثلاثيِّ منها نحو «فَعَلَ» بفتح الفاء والعين، «وَفَعَلَ» بفتح الفاء وكسرِ العين، «وَفَعَلَ» بفتح الفاء وضمِّ العين، فَإِنَّ هذه الأوزانَ الثلاثةَ لها أسماءُ فاعلين.

أَمَّا «فَعَلَ» - بفتحِ الفاءِ والعين - فليسَ له إلا اسمٌ واحدٌ أيضاً، وهو «فَاعِلٌ» لا غيرٌ، ولا يقعُ فيه اختلافٌ.

وكذلك «فَعُلَ» - بفتحِ الفاءِ وضمِّ العين - فليسَ له إلا اسمٌ واحدٌ أيضاً، وهو «فَعِيلٌ»، ولا يقعُ فيه اختلافٌ إلا ماشدَّ.

لكن «فَعِلَ» - بفتحِ الفاءِ وكسرِ العين - يقعُ فى اسمِ فاعِلِه الاختلافُ استحساناً واستقباحاً، لأنَّ له ثلاثةَ أوزانٍ، نحو «فَاعِلٌ» و «فَعِلَ» و «فَعَلَانٌ» تقول منه «حَمِدَ» فهو «حامدٌ» و «حَمِدٌ» و «حَمْدَانٌ».

وقد جاءَ على وزنه «فَرِحَ» تقول منه: فَرِحَ زيدٌ، فهو فَرِحٌ، وهو الأَحْسَنُ. ولا نحسنُ أنْ يُقالَ «فَارِحَ» ولا «فَرَحَانٌ»، وإنْ كانَ جائزاً، لكن «فَرَحَانٌ» أحسنُ من «فَارِحَ»

وقد وردتْ هذه اللفظةُ فى القرآنِ الكريمِ، فلم تستعملْ إلاَّ على «فَرِحَ» لا غيرَ، كقوله تعالى: «كُلُّ حِزْبٍ بما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» (٤١).
وكقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْفَرِحِينَ» (٤٢).

(٤١) سورة الروم: الآية ٣٢.

(٤٢) سورة القصص: الآية ٧٦.

وقد جاءت هذه اللفظة في شعر بعض شعراء الحماصة^(٤٣) في باب المراثي :
فَمَا أَنَا مِنْ حُزْنٍ^(٤٤) وَإِنْ جَلَّ جَزَاعُ وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ
وهذا غير حسن ، وإن جاز استعماله .

وعلى نحو منه يقال « غَضِبَ » وهو « غَضِبَانَ » ولا يقال « غاضِبٌ » وإن كان جائزاً .

وقد تقدّم القول أنا في تأليف الكلام بصدد استعمال الحسن والأحسن ، لا بصدد استعمال الجائز وغير الجائز .

وممّا يجرى هذا الجرى قولنا « فَعَلَّ » و « افْتَعَلَ » فَإِنَّ لَفْظَةَ « فَعَلَ » لها موضع تستعمل فيه . ألا ترى أنك تقول : « قَعَدْتُ إِلَى فُلَانٍ أَحَدَهُ » ولا تقول : « اقْتَعَدْتُ إِلَيْهِ » وكذلك تقول : « اقْتَعَدْتُ غَارِبَ الْجَمَلِ » ، ولا تقول : « قَعَدْتُ عَلَى غَارِبِ الْجَمَلِ » ، وإن جاز ذلك ، لكن الأول أحسن .

وهذا لا يحكم فيه غير الذوق السليم ، فإنه لا يمكن أن يُقام عليه دليل .
وأما « فعل » « وافْعَوْعَلَ » فإننا نقول : « أَعْشَبَ الْمَكَانُ » ، فإذا كثر عُشْبُهُ قُلْنَا : « اعْشَوْشَبَ » . فلفظة « افْعَوْعَلَ » للتكثير .

على أني استقرت هذه اللفظة في كثير من الألفاظ ، فوجدتها عذبة طيبة ، على تكرار حروفها ، كقولنا : اخْشَوْشَنَ الْمَكَانُ ، وَأَغْرَوْرَقَتِ الْعَيْنُ ، واحْلَوْلَى الصَّمَمُ ، وأشباهها .

وأما « فَعَلَّة » نحو هُمَزَةٍ ، ولمَزَةٍ ، وجُثْمَةٍ ، ونُومَةٍ ، وَلَكْنَةٍ ، وَلُحْنَةٍ ، وأشباه ذلك ، فالغالب على هذه اللفظة أن تكون حسنة .

وهذا أخذته بالاستقراء وفي اللغة مواضع كثيرة هكذا لا يمكن استقصاؤها .
فانظر إلى ما يفعله اختلاف الصيغة بالألفاظ .

* * *

(٤٣) هو أشجع بن عمرو السلمي ، والبيت من أبيات أولها :

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق ولا مغرب إلا له فيه ماح

(٤٤) رواية الحماصة (٣٦٢/١) . * فما أنا من رَزَةٍ وإن جل جَزَاعُ *

وعليك أن تَفَقِّدَ أمثالَ هذه المواضع ، لتعلمَ كيفَ تضعُ يدك في استعمالها ، فكثيراً مايقعُ فحول الشعراء والخطباء في مثلها ، ومؤلفُ الكلام من كاتبٍ وشاعرٍ إذا مرَّت به ألفاظٌ عَرَضَها على ذوقه الصَّحيح ، فما يجد الحسن منها فوَحِّداً وَحَّده ، وما يجد الحسن منها مجموعاً جَمَعَهُ ، وكذلك يَجْرى الحُكْمُ فيما سوى ذلك من الألفاظ .

النوع السابع

في المعازلة اللفظية

والمعازلةُ : معاظلتان : لفظيةٌ ، ومعنوية .

أما المعنويةُ فسيأتى ذكرُها في بابِ (التقديم والتأخير) من المقالة الثانية ، فليؤخذ من هناك .

وأما المعازلةُ اللفظيةُ ، فهي ^(١) المخصوصةُ بالذكرِ هاهنا في بابِ صناعةِ الألفاظِ ، وحقيقتها مأخوذةٌ من قولهم « تعاضلتِ الجرادتان » إذا ركبَت إحداهما الأخرى ، فسميَ الكلامُ المترابكُ في ألفاظه أو في معانيه (المعازلة) مأخوذاً من ذلك ، وهو اسمٌ لائقٌ بمُسَمَّاه .

ووصفَ عمرُ بنُ الخطابِ - رضى الله عنه - زهيرَ بنَ أبي سلمى ، فقال : « كان لايعاظِلُ بينَ الكلامِ » .

وقد اختلفَ علماءُ البيانِ في حقيقةِ المعازلة ، فقال قدامةُ بنُ جعفرٍ الكاتب ^(٢)

(١) في الأصل « هي » .

(٢) هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي ، كان نصرانياً وأسلم على يد المكنى بالله (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ) وكان قدامة أحدَ البلغاء الفصحاء ، والفلاسفة الفضلاء ، ومن يشار إليه في علم المنطق ، وقيل هو أول من وضع الحساب ، وله تصانيف كثيرة منها كتاب نقد الشعر ، وكتاب الخراج وصناعة الكتابة ، وتوفي قدامة سنة ٣٣٧ هـ . وللدكتور بدوى طبانة دراسة مفصلة في حياة قدامة ونقده طبعَت تحت عنوان « قدامة بن جعفر والنقد الأدبي » .

التعاضلُ في الكلام هُوَ أَنْ يُدْخَلَ بَعْضُ الْكَلَامِ فِيمَا لَيْسَ مِنْ جَنْسِهِ ؛ وَلَا أَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا فَاحِشَ الاستعارة (٣) كَقَوْلِ أَوْسِ بْنِ حَجَرٍ :

وَدَاتُ هَذِمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا تُصِمْتُ بِالْمَاءِ تَوَلَّابًا جَدِيعًا (٤)
فَسَمَى الصَّيَّ «تَوَلَّابًا» ، وَالتَوَلَّبُ وَلَدُ الْحِمَارِ .

هذا ما ذكره قدامة بن جعفر ، وهو خطأ ، إذ لو كان ما ذهب إليه صواباً لكانت حقيقة المعاطلة دخول الكلام فيما ليس من جنسه ، وليست حقيقتها هذه ، بل حقيقتها ما تقدم ، وهو التراكب ، من قولهم : تعاضلت الجرادتان : إذا ركبت إحداهما الأخرى .

وهذا المثال - الذي مثل به قدامة - لا تراكب ، في ألفاظه ولا في معانيه .
وأما غير قدامة فإنه خالفه فيما ذهب إليه ، إلا أنه لم يقسم المعاطلة إلى لفظية ومعنوية ، ولكنه ضرب لها مثالا ، كقول الفرزدق :

وَمَامِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَيَّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ (٥)

وهذا من القسم المعنوي ، لا من القسم اللفظي ، ألا ترى إلى تراكب معانيه بتقديم ما كان يجب تأخيرهُ ، وتأخير ما كان يجب تقديمهُ ، لأن الأصل في معناه « ومامثلهُ في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه » ؟ وسيجىء شرح ذلك مستوفى في بابهِ من المقالة الثانية ، إن شاء الله تعالى .

وإذ حَقَّقْتُ القولَ في بيانِ المعاطلة ، والكشفِ عن حقيقتها فإنني أتبعُ ذلك بتقسيم

(٣) جعل قدامة (المعاطلة) من عيوب اللفظ ، قال : وهي التي وصف عمر بن الخطاب زهيرا بمجانبتها لها أيضاً ، فقال : وكان لا يعاظر بين الكلام ، وسألت أحمد بن يحيى عن (المعاطلة) فقال : مداخلة الشيء في الشيء ، يقال : تعاضلت الجرادتان ، وعاضل الرجل المرأة ، إذا ركب أحدهما الآخر . وإذا كان الأمر كذلك فبحال أن ينكر مداخلة بعض الكلام فيما يشبهه أو فيما كان من جنسه ، وبقي النكير إنما هو في أن يدخل بعضه فيما ليس من جنسه ، وما هو غير لائق به ، وما أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة . [انظر نقد الشعر ١٠٣ - طبعة بريل ، ليدن] ، وانظر « قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ٢٠٤ - ٢١٥ من الطبعة الثانية » .

(٤) الهدم الثوب البالي أو المرقع ، والنواشر جمع ناشرة . وهي عصب في الذراع ، تصمت تسكت ولدها ، والجدع السيئ الغذاء . والبيت من قصيدة لأوس في رثاء فضالة بن كعدة ومطلعها :

أيتها النفس أجملی جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

(٥) ديوان الفرزدق ١٠٨/١ في مدح إبراهيم بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك .

القسم اللفظي منها الذي أنا بصدد ذكره هاهنا فأقول : لئن تأملت بالاستقراء من الأشعار قديمها ومحدثها ، ومن النظر في حقيقتها نفسها ، فوجدتها تنقسم إلى خمسة أقسام :

الأول منها : ما يختص بالأدوات [

يختص بأدوات الكلام نحو من ، وإلى ، وعن ، وعلى ، وأشباهها ، فإن منها ما يسهل النطق به إذا ورد مع أخواته ، ومنها ما لا يسهل ، بل يرد ثقيلًا على اللسان ، ولكل موضع يخصه من السبك .
فمما جاء منه قول أبي تمام :

إلى خالدٍ راحتُ بنا أرحيَّةُ مرافقها من عن كراكرها نكب^(٦)
فقوله : « من عن كراكرها » من الكلام المتعاضل الذي يثقل النطق به .
على أنه قد وردت هاتان اللفظتان وهما « من » و « عن » في موضع آخر ، فلم يثقل النطق بهما ، كقول القائل : « من عن يمين الطريق » ، والسبب في ذلك أنها وردتا في بيت أبي تمام مضافتين إلى لفظة الكراكر^(٧) فثقلت منها ، وجعلتها مكروهتين كما ترى ، وإلا فقد وردتا في شعر قطري بن الفجاءة^(٨) ، فكانتا خفيفتين ، كقوله :
ولقد أراني للرماح دريئة من عن يميني مرة وأمامي^(٩)

والأصل في ذلك راجع إلى السبك ، فإذا سبكت هاتان اللفظتان أو ما يجري مجراها مع ألفاظ تسهل منها لم يكن بهما من ثقل كما جاءتا في بيت قطري ، وإذا سبكتنا مع الألفاظ ثقلت منهما جاءتا كما جاءتا في بيت أبي تمام .

(٦) ديوان أبي تمام ٣٠ من قصيدة في مدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، ومطلعها :
لقد أخذت من دار ماوية الحقب أنحل المغاني للبلبي هي أم نهب
والأرحبية ناقة منسوبة إلى أرحب ، وهو فحل كريم ، كراكرها - جمع كركرة - رحي صدرها وخواصرها ،
نكب - جمع نكباء - مائلة .

(٧) هو قطري بن الفجاءة المازني ، من زعماء الخوارج الشعراء والخطباء ، قضى مدة طويلة في حروب مع الأمويين ، حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ .

(٨) الدررثة الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها ، والبيت من قصيدة مطلعها :

لا يركن أحد إلى الإحجام يوم الوعى متخوفاً
الحمام ٣٠٧

ومن هذا القسم قول أبي تمام أيضاً :
كَأَنَّهُ لاجتماع الروح فيه لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ جِسْمِهِ رُوحٌ^(٩)
فَقَوْلُهُ « فِي » بَعْدَ قَوْلِهِ « فِيهِ لَهُ » مِمَّا لَا يَحْسُنُ وَرُودُهُ .

وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي :
وَتُسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ^(١٠)
فَقَوْلُهُ « لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا » مِنَ الثَّقِيلِ الثَّقِيلِ الثَّقِيلِ .
وكذلك قَوْلُهُ :

تَبَيْتُ وَفُودَهُمْ تَسْرَى إِلَيْهِ وَجَدَوَاهُ الَّتِي سَأَلُوا اغْتِفَارُ
فَخَلَفَهُمْ بَرْدُ الْبَيْضِ عَنْهُمْ وَهَامُّهُمْ لَهُ مَعَهُمْ مُعَارُ^(١١)
وقوله « وَهَامُّهُمْ لَهُ مَعَهُمْ » مما يثقل النطق به ، يعجز اللسان فيه ، لكنه أقرب حالاً
من الأول .

ومن الحسن في هذا الموضع قول أبي تمام :
دَارٌ أَجَلُ الْهَوَى عَنْ أَنْ أَلَمَّ بِهَا فِي الرِّكْبِ الْإِلاَّ عَيْنِي مِنْ مَنَائِحِهَا^(١٢)

(٩) ديوان أبي تمام ٧١ من قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري ، وأولها :
قُلْ لِلْأَمِيرِ لَقَدْ قَلَدْتَنِي نَعْمًا فَتِ الثَّنَاءُ بِهَا مَا هَبْتَ الرِّيحَ
وَفِي الدِّيَّانِ « فِي اجْتِمَاعِ » مَوْضِعُ « لاجتماع » . والجارحة العضو .

(١٠) ديوان المتنبي ٢٧٠/١ من قصيدة أولها :
عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدِ وَإِنْ ضَجِيعُ الْخُودِ بَيْنِي لِمَا جَدِ
وَالْغَمْرَةُ الشَّدَّةُ ، وَالسُّبُوحُ الْفَرَسُ الشَّدِيدُ الْجَرَى .

(١١) ديوان المتنبي ١٠٠/٢ من قصيدة قالها لما أوقع سيف الدولة ببني عقيل وتشير وبني العجلان وبني
كلاب ، حين عاثوا في عمله ، وخالفوا عليه . ويذكر إجحافهم بين يديه ، وظفره بهم ، وأولها :
طَوَالَ قَنَا تَطَاعِنَا قَصَارَ وَقَطْرَكَ فِي نَدَى وَوَعَى بَحَارَ
ومعنى البيتين : أنهم وفدوا عليه لم يطلبوا منه شيئاً سوى العفو عنهم ، وأنه استبقاهم برد سيوفه عنهم ، وجعل
رءوسهم معهم عارية متى شاء أخذها .

(١٢) ديوان أبي تمام ٧٢ من قصيدة في مدح الفضل بن صالح الهاشمي مطلعها :
أَهْدَى الدَّمُوعَ إِلَى دَارِ وَمَا صَحَّهَا فَلِلْمَنَازِلِ سَهْمٌ مِنْ سَوَافِحِهَا
وَمَا صَحَّهَا دَارِسُهَا ، وَسَوَافِحُهَا سَوَاكِبُهَا ، وَأَلَمْ أَنْزَلْ ، وَمَنَائِحُهَا عَطَايَاهَا .

فَقَوْلُهُ : « عَنْ أَنْ » فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنَ الْخَفِيفِ الْحَسَنِ الَّذِي لَا بَأْسَ بِهِ .

القسم الثاني من المعاطلة اللفظية :

تَخْتَصُّ بِتَكَرُّرِ الْحُرُوفِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِتَكَرُّرِ الْأَلْفَاظِ وَلَا بِتَكَرُّرِ الْمَعْنَى - مِمَّا يَأْتِي ذِكْرُهُ فِي بَابِ التَّكَرُّرِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ - وَإِنَّمَا هُوَ تَكَرُّرُ حَرْفٍ وَاحِدٍ أَوْ حَرَفَيْنِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنَ الْأَفَاطِ الْكَلَامِ الْمُنْثَوْرِ أَوِ الْمَنْظُومِ ، فَيُثْقَلُ حِينَئِذٍ النُّطْقُ بِهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَقَبْرٌ حَرْبٌ بِمَكَانٍ قَفَرٍ وَلَيْسَ قُرْبٌ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ (١٣)

فَهَذِهِ الْقَافَاتُ وَالرَّاءَاتُ كَأَنَّهَا فِي تَتَابُعِهَا سِلْسِلَةٌ ، وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الثَّقَلِ ، وَكَذَا وَرَدَ قَوْلُ الْحَرِيرِيِّ فِي مَقَامَاتِهِ :

وَأَزُورُ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عِرَافَانَهُ (١٤)

فَقَوْلُهُ « وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عِرَافَانَهُ » مِنَ التَّكَرُّرِ الْمَشَارِإِلَيْهِ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ أَيْضاً فِي رِسَالَتِهِ اللَّتَيْنِ صَاغَهُمَا عَلَى حَرْفِي السَّيْنِ (١٥) وَالشَّيْنِ (١٦) ، فَإِنَّهُ أَتَى فِي إِحْدَاهُمَا بِالسَّيْنِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنَ الْأَفَاطِهَا ، وَأَتَى فِي الْأُخْرَى بِالشَّيْنِ فِي كُلِّ لَفْظٍ مِنَ الْأَفَاطِهَا ، فَجَاءَتَا كَأَنَّهَا رُقِيَ الْعَقَارِبُ ، أَوْ خُذِرُوهُ الْعَزَائِمُ ، وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ خَفِيَ مَا فِيهَا مِنَ الْقُبْحِ عَلَى مِثْلِ الْحَرِيرِيِّ مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِالْجَيْدِ وَالرَّدِيِّ مِنَ الْكَلَامِ ؟ وَيَحْكِي عَنْ بَعْضِ الْوُعَاظِ أَنَّهُ قَالَ فِي جُمْلَةٍ كَلَامٍ أَوْرَدَهُ : « جَنَى جَنَاتٍ وَجَنَاتٍ الْحَبِيبِ » فَصَاحَ رَجُلٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ فِي الْمَجْلِسِ ، وَمَادَ وَتَغَاشَى ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ إِلَى جَانِبِهِ : مَا الَّذِي سَمِعْتَ حَتَّى حَدَّثَ بِكَ هَذَا ؟ فَقَالَ : « سَمِعْتُ جِيْمًا فِي جِيْمٍ ، فِي جِيْمٍ فَصَحْتُ » !! ،

(١٣) ذَكَرُوا أَنَّهُ مِنْ شَعْرِ الْجَنِّ ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْشُدَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَا يَتَتَعَعَ ، وَذَكَرُوا أَنَّ جَنِيًّا صَاحَ عَلَى حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةٍ فَمَاتَ فِي فَلَائَةٍ ، وَيُسَمَّى نَوْعُ هَذَا الْجَنِيِّ هَاتِفًا .

(١٤) مَقَامَاتُ الْحَرِيرِيِّ ٣٦٥ مِنَ الْمَقَامَةِ التَّفْلِيسِيَّةِ . رَازُورُ مَالٍ وَأَعْرَضَ . وَعَافَ اسْتَقْدَرَ . وَالْعَافِيُّ طَالِبُ الْعَطَاءِ .

(١٥) الرِّسَالَةُ السَّيْنِيَّةُ : مَقَامَاتُ الْحَرِيرِيِّ ٦٠٣ . (١٦) الرِّسَالَةُ الشَّيْنِيَّةُ : مَقَامَاتُ الْحَرِيرِيِّ ٦٠٧

وهذا من أقبح عُيوب الألفاظ .

وممّا جاء منه قولُ أبي الطيب المتنبي في قصيدته الّتي مَطَّلَعُها :

* أَتَرَاهَا لكَثْرَةِ الْعُشَّاقِ (١٧) *

كَيْفَ تَرَى الَّتِي كُلُّ جَفْنٍ رَأَاهَا غَيْرَ جَفْنِهَا غَيْرَ رَاقِي (١٨)

وهذا وأمثاله إنّها يَعْرِضُ لِقَائِهِ فِي نَوْبَةِ الصَّرَعِ الّتي تنوبُ في بعض الأيام !
ومن هذا القسم قولُ الشاعر المعروف بكُشَّاجِمِ (١٩) في قصيدته الّتي مطلعها :

* دَاوِ خُمَارِي بِكَأْسِ خَمْرٍ *

وَالزَّهْرُ وَالْقَطَرُ فِي رُبَاهَا مَا بَيْنَ نَظْمٍ وَبَيْنَ نَثْرٍ
حَدَاتُ كُلِّ رِيحٍ حَلَّ بِهَا خَيْطُ كُلِّ قَطَرٍ

وهذا البيتُ يحتاجُ الناطقُ به إلى بِرْكَارٍ يضعُه في شدقه ، حتّى يديره له .
وعلى هذا الأسلوبِ وردَ قولُ بعضهم ، وهو البيتُ المشهورُ الّذي يتذاكرُ الناسُ :

مَلَّيْتُ مِطَالَ مَوْلُودٍ مُفْدَى مَلِيحٍ مَانِعٍ مِنِّي مُرَادِي

وهذه المباتُ كأنّها عَقْدٌ مُتَّصِلَةٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ .

وكان بعضُ أهلِ الأدبِ من أهلِ مصرنا هذا يستعملُ هذا القِسْمَ في ألفاظه كثيراً في كلامه نثراً ونظماً ، وذلك لعدمِ معرفته بِسُلُوكِ الطَّرِيقِ . وأنا أذكرُ نبذةً مِنْ ذلك كقولِهِ في وصفِ رَجُلٍ سَخِيٍّ : « أَنْتَ الْمَدِيحُ ، كَبَدًا تَرِيحُ ، وَالْمَلِيحُ إِنْ تَجَهَّمَ الْمَلِيحُ بِالتَّكْلِيحِ ، عِنْدَ سَائِلٍ تَلُوحُ ، بَلْ يَفُوقُ إِذْ يَرُوقُ مَرَأَى لُوحُ ، يَامَغْبُوقَ كَأْسِ الْحَمْدِ يَامُضْبُوحُ ، ضَاقَ عَن نَدَاكَ اللَّوْحُ ، وَبِبَابِكَ الْمَفْتُوحُ تَسْتَرِيحُ ، وَتُرِيحُ ذَا التَّبَرِّيحِ ، وَتَرْفُهُ الطَّلِيحُ » .

(١٧) وعجز البيت : * تحسب الدمع خلفة في المآقي *

وهي في مدح أبي العشائر الحسين بن علي بن حمدان .

(١٨) ديوان المتنبي ٣٦٢/٢ - رآها : والمعنى هذه المحبوبة لا ترحم باكياً . وكيف ترجمه وهي ترى كل جفن من النظر إلا جفنها غير راق بالبكاء . يريد غير منقطع من البكاء . فهي لا ترحم أحداً . لأنها تحسب الدمع في أجفان العشاق خلفة .

(١٩) كشاجم هو محمود بن الحسين الكاتب الشاعر . أحد وصافي الطبيعة . وكان من خدام سيف الدولة .

توفي سنة ٣٢٠ هـ .

فانظر إلى حرف الحاء . كيف قد لَزِمَهُ في كلِّ لفظَةٍ من هذه الألفاظِ ، فجاء كما نراه من الثقل والغثاء ؟

واعلم أنَّ العربَ الذين هم الأصلُ في هذه اللغةِ قد عَدَلُوا عن تكريرِ الحروفِ في كثيرٍ من كلامهم ، وذلكَ أنَّه إذا تَكَرَّرَ الحَرْفُ عندهم أَدْغَمُوهُ استحساناً ، فقالوا في « جَعَلَ لَكَ » . « جَعَلْكَ » وفي « تَضْرِبُونَنِي » « تَضْرِبُونِي » . وكذلك قالوا « استعد فلانُ للأمر » ، إذا تَأَهَّبَ له ، والأصلُ فيه « اسْتَعَدَّ » ، و « استتب الأمر » إذا تَهَيَّأ ، والأصلُ فيه « اسْتَتَبَ » . وأشبهَ ذلكَ كثيرٌ في كلامهم ، حتى أنهم لَشَدَّةِ كراهتهم لتكريرِ الحروفِ أبدَلُوا أحدَ الحَرْفَيْنِ المُكَرَّرَيْنِ حرفاً آخرَ غيرَه ، فقالوا : « أَمَلَيْتُ الكتابَ » . والأصلُ فيه « أَمَلَلْتُ » ، فأبدَلُوا اللَّامَ ياءً ، طلباً لِلخِفَةِ ، وفراراً من الثقل وإذا كانوا قد فعلوا ذلكَ في اللَّفْظَةِ الواحدةِ فما ظَنُّكَ بالألفاظِ الكثيرةِ الَّتِي يَتَّبِعُ بعضها بعضاً ؟ .

القسم الثالث من المعاظلة :

أن تردَّ ألفاظٌ على صِيغَةِ الفِعْلِ يتبعُ بعضها بعضاً .
ففيما ما يختلفُ بين ماضٍ ومُستقبلٍ . ومنها مالا يَخْتَلَفُ .
فالأولُ : كقولِ القَاضِي الأَرْجَانِي (٢٠) في أبياتٍ يَصِفُ فيها الشمعةَ ، وفيها معنى هُوَ مُبْتَدَعٌ ، ولم يُسَمَّعْ من غيرِه ، وذلكَ أنَّه قال عن لسانِ الشَّمْعِ : إِنَّهُ أَلْفَ الْعَسَلِ وَهُوَ أَخُوهُ الَّذِي رُبِيَ مَعَهُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَإِنَّ النَّارَ فَرَّقَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، وَأَنَّهُ نَذَرَ أَنْ يُقْتَلَ نَفْسَهُ بِالنَّارِ أَيْضاً مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ ، إِلَّا أَنَّهُ أَسَاءَ الْعِبَارَةَ ، فقال :
بِالنَّارِ فَرَّقَتْ الْحَوَادِثُ بَيْنَنَا وَبِهَا نَذَرْتُ أَعُودُ أَقْتُلُ رُوحِي

(٢٠) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني ، الملقب ناصح الدين ، وكان قاضياً تستر وعسكر مكرم . وله شعر رائق في نهاية الحسن ، ذكره العماد الكاتب في الجريدة . فقال : كان الأرجاني في عفوان عمره بالمدرسة النظامية بأصهان . وشعره من آخر عهد نظام الملك منذ سنة نيف وثمانين وأربعمائة إلى آخر عهده وهو سنة أربع وأربعين وخمسمائة ولم يزل نائب القاضى بعسكر مكرم وهو مبجل مكرم . وشعره كثير . والذي جمع منه لا يكون عشرة .

فَقَوْلُهُ : « نَذَرْتُ أَعُوذَ [أَقْتُلُ] » من المعاظلة إليها .

وَأَمَّا مَا يَرُدُّ عَلَى نَهْجٍ وَاحِدٍ مِنَ الصِّيغَةِ الْفَعْلِيَّةِ ، فَكَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِ :

أَقْلُ أَنْلُ أَقْطِعُ أَحْمِلُ عَلَّ سَلْ أَعِدُّ زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أَدْنُ سُرَّ صِلْ (٢١)

فهذه ألفاظٌ جاءت على صيغةٍ واحدةٍ ، وهى صيغةُ الأمر ، كأنَّه قال : « افْعَلْ ، افْعَلْ ... هكذا إلى آخر البيت » وهذا تكريرٌ للصيغة ، وإن لم يكن تكريراً للحروف ، إلاَّ أنَّه أخوه ، ولأقولُ ابنَ عمِّه .

وهذه ألفاظٌ متراكبةٌ متداخلةٌ ، ولو عطفَها بالواو لكانت أقربَ حالا كما قالَ عَبْدُ

السَّلام بن رَغَبان (٢٢) :

فَسَدَ النَّاسُ فَاطْلَبَ الرِّزْقَ بِالسَّيِّئِ فِى وَإِلَّا فَمَتَّ شَدِيدَ الْهُزَالِ

أَحْلُ وَامْرُرْ وَضُرَّ وَانْفَعْ وَلَنْ وَآخِرُ شُنْ وَأَبْرَزْ ثُمَّ انْتَدَبَ لِلْمَعَالِى

أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا عَظَفَ هَاهُنَا بِالْوَاوِ لَمْ يَتَرَكَبِ الْأَلْفَاظُ كِتْرَاكِهَا فِي بَيْتِ أَبِي الطَّيِّبِ

الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ ؟

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّكَ جَعَلْتَ مَا كَانَ وَارِدًا عَلَى صِيغَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى سَبِيلِ التَّكْرَارِ مُعَاظَلَةً .

وَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا

الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ (٢٣) » وَلَوْ

كَانَ مُعَاظَلَةً لَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِثْلُهُ ؟ !

فَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَّنِي أَقُولُ : هَذِهِ الْآيَةُ لَيْسَتْ كَالَّذِي أَنْكَرْتَهُ . فَإِنْ هَذَا الْمَوْضِعَ

بَنْظَرٍ فِيهِ إِلَى الْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ ، فَإِذَا كَثُرَ كَانَ تَعَاظُلًا ، لِتَرَاجُعِهِ وَثِقَلِهِ عَلَى النُّطْقِ ، وَقَدْ

(٢١) دِيوانُ الْمُتَنَبِّئِ ٨٥/٣ من قصيدة مطلعها :

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ دَعَا فَلْبَاهَ قَبْلَ الرِّكْبِ وَالْإِبِلِ

وَقَدْ أَمَرَهُ بِأَرْبَعَةِ عَشْرَ أَمْرًا فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ « أَقْلُ » مِنَ الْإِقَالَةِ ، يَقَالُ أَقْلَنَهُ مِنْ عَثْرَتِهِ ، وَ « أَنْلُ » مِنَ الْإِنَالَةِ ،

وَ « أَقْطِعُ » مِنَ الْإِقْطَاعِ . وَ « أَحْمِلُ » مِنْ قَوْطِهِمْ : حَمَلْتُهُ عَلَى فَرَسٍ . وَقَوْلُهُ « عَلَّ » مِنَ الْعُلُوِّ وَالرَّفْعَةِ . وَ « سَلَّ »

مِنْ السَّلَوِ . وَ « أَعِدُّ » مِنَ الْإِعَادَةِ . وَ « زِدْ » مِنَ الزِّيَادَةِ . وَ « هَشَّ » مِنْ قَوْطِهِمْ : هَنْشَتَ إِلَى كَذَا . وَهُوَ التَّهْلِيلُ

نَحْوُ الشَّيْءِ . وَ « بَشَّ » مِنَ الْبَشَاشَةِ وَهِيَ الطَّلَاقَةُ . وَ « تَفَضَّلْ » مِنَ الْإِفْضَالِ . وَ « أَدْنُ » مِنَ الدُّنُوِّ . وَ « سُرَّ » مِنْ

السَّرُورِ . وَ « سَلَّ » مِنَ الصَّلَةِ . وَهِيَ الْعَطِيَّةُ .

(٢٢) هُوَ الْمَعْرُوفُ بِدِيكَ الْجَنِّ الْحَمْصِيِّ .

(٢٣) سُورَةُ التَّوْبَةِ : الْآيَةُ ٥ .

عَرَفْتُكَ أَنَّ مَا يُفْصَلُ بَيْنَ صِيغَةِ بَوَاوِ الْعَطْفِ يَكُونُ أَقْلَ ثَقَلًا مِمَّا لَا يُفْصَلُ . وَالَّذِي أَنْكَرْتَهُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ أَنَّ تَأْتِيَ أَلْفَاظُ مَكْرُورَةٍ عَلَى صِيغَةٍ وَاحِدَةٍ ، كَأَنَّهَا عَقْدٌ مُتَّصِلَةٌ ، فَحِينَئِذٍ يَثْقُلُ النَّطْقُ بِهَا ، وَيُكْرَهُ مَوْقِعُهَا مِنَ السَّمْعِ ، كَبَيْتِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنَبِّيِّ .

وَأَمَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا فَإِنَّهَا خَارِجَةٌ عَنْ هَذَا الْحُكْمِ .
أَلَّا تَرَى أَنَّهَا لَمَّا وَرَدَتْ أَلْفَاظُهَا عَلَى صِيغَةٍ وَاحِدَةٍ فُرِّقَ بَيْنَهَا بِبَوَاوِ الْعَطْفِ ثُمَّ مَعَ التَّفْرِيقِ بَيْنَهَا بِبَوَاوِ الْعَطْفِ لَمْ يَرِدِ التَّكْرِيرُ فِيهَا إِلَّا بَيْنَ ثَنَتَيْنِ ، وَهِيَ « خَذُوهُمْ »
« وَاحْضَرُوهُمْ » .

وَأَمَّا الصِّيغَةُ الْأُولَى فَإِنَّهَا أَضِيفَ إِلَيْهَا كَلَامٌ آخَرُ ، فَقِيلَ : « اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ » وَلَمْ يَقُلْ : اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ وَخَذُوهُمْ . ثُمَّ لَمَّا جَاءَتْ الصِّيغَةُ الرَّابِعَةُ أَضِيفَ إِلَيْهَا كَلَامٌ آخَرُ أَيْضًا ، فَقِيلَ « وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ » .
لَا جَرَمَ أَنَّ الْآيَةَ جَاءَتْ غَيْرَ ثَقِيلَةٍ عَلَى النَّطْقِ مَعَ تَوَارِدِ صِيغَةِ الْأَمْرِ فِيهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ . وَهَذِهِ رُمُوزٌ يَنْبَغِي أَنْ يُتَبَّهَ لَهَا فِي اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ إِذَا جَاءَتْ هَكَذَا .

القسم الرابع من المعاطلة :

وهو الذي يتضمن مضافات كثيرة ، كقولهم : « سَرَجُ فَرَسٍ غُلَامٍ زَيْدٍ » وَإِنْ زَيْدٌ عَلَى ذَلِكَ قِيلَ : « لِبَدُ سَرَجِ فَرَسٍ غُلَامٍ زَيْدٍ » وَهَذَا أَشَدُّ قُبْحًا وَأَثْقَلُ عَلَى اللِّسَانِ وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ ابْنِ بَابِك (٢٤) الشَّاعِرِ فِي مَفْتَحِ قَصِيدَةٍ لَهُ :

حِمَامَةٌ جَرَعًا حَوْمَةَ الْجَنْدَلِ اسْجَعِي فَأَنْتِ بَمَرَأَى مِنْ سَعَادٍ وَمَسْمَعٍ

القسم الخامس من المعاطلة :

أَنَّ تَرَدُّ صِفَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَلَى نَحْوٍ وَاحِدٍ ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطْلَعُهَا :

* مَالِكِيْبِ الْحِمَى إِلَى عَقْدِهِ (٢٥) *

٢ (٢٤) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَابِك ، ذَكَرَهُ الثَّعَالِيُّ فِي الْيَتِيمَةِ ٣/ ٢٧٤ فِي جُمْلَةِ الشُّعْرَاءِ الطَّارِئِينَ عَلَى الصَّاحِبِ مِنَ الْآفَاقِ ، وَقَالَ فِي نَعْتِهِ : شَاعِرُ شُعَارِهِ إِحْسَانُ السَّبْكِ ، وَإِحْكَامُ الرَّصْفِ ، وَإِبْدَاعُ الْوَصْفِ . شَبَّهَ كَلَامَهُ مَرَّةً فِي الْحِزَالَةِ وَالْفَصَاحَةِ كَلَامَ الْمَفْلُقِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَنَاسَبَ تَارَةً فِي الرِّشَاقَةِ وَالْمَلَاخَةِ قَوْلَ الْمُجِيدِ بْنِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْمَوْلَدِينَ .

(٢٥) دِيْوَانُ أَبِي تَمَّامٍ ٩١ ، وَهُوَ مَطْلَعُ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُزَيْدِ الشَّيْبَانِيِّ . وَعَجَزَ الْبَيْتُ :

فقال يصف جملاً :

سَأَخْرِقُ الْخَرْقَ بِابْنِ خَرْقَاءَ كَالْهَيْبِ سَيِ إِذَا مَا اسْتَحَمَّ مِنْ نَجْدِهِ (٢٦)
مُقَابِلُ فِي الْحَدِيلِ صُلْبُ الْقَرَا لَوْحُكُ مِنْ عَجْبِهِ إِلَى كَنْدِهِ (٢٧)
تَامِكِهِ نَهْدِهِ مُدَاخِلِهِ مَلْمُومِهِ مُحْزَلُهُ أَجْدِهِ (٢٨)
فَالْيَتُ الثَّالِثُ مِنَ الْمَاعِظَةِ الَّتِي قَلَعُ الْأَسْنَانِ دُونَ إِيرَادِهَا .

وكذلك قَالَ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَصِفُ رُمَحًا :

وَمَرَّ تَهْفُو ذُؤَابَتَاهُ عَلَى أَسْمَرٍ مَتْنٍ يَوْمَ الْوَعْنَى جَسِدِهِ (٢٩)
مَارِنِهِ لَدْنِهِ مُتَقَفِهِ عِرَاضِهِ فِي الْأَكْفِ مُطْرِدِهِ (٣٠)
وهذا كالأول فِي قَبْحِهِ وَثِقَلِهِ ، فَقَاتَلَهُ ، اللَّهُ ! مَا أَمَنَ شِعْرَهُ ! وَمَا أَسْخَفَهُ فِي
بَعْضِ الْأَحْوَالِ !

وعلى هذا جَاءَهُ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَيْضاً يَصِفُ الْمَدْحُوحَ :

إِلَيْكَ عَنْ سَبِيلِ عَارِضٍ خَضِلِ الْ شَوْبُوبِ يَأْتِي الْحِمَامُ مِنْ نَضْدِهِ (٣١)
مُسِفِّهِ ثَرِهِ مُسَحِّحِهِ وَابِلِهِ مُسْتَهْلِهِ جَرْدِهِ (٣٢)
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِأَبِي تَمَامٍ مِنَ الْقَبِيحِ الشَّنِيعِ إِلَّا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ لَحَطَّتْ مِنْ قَدْرِهِ .

• مَا بَالُ جِرْعَائِهِ إِلَى جَرْدِهِ •

والكتيب تل الرمل ، والعقد الرمل المنعقد ، والجِرْعَاءُ الوعر يعلوه رمل ، والجرد سهل بلا نبات .
(٢٦) الخرق القلاة . الخرقاء الناقة . الهيق ذكر النعام . النجد العرق .
(٢٧) الحديل المفود المجدول . القرا الظهر . العجب أصل الذنب . الكتد مجتمع الكتفين .
(٢٨) تامكه حديثه . نهده ثدييه . محزله مرتفع سيره . أجده فقار ظهره .
(٢٩) تهفو تحفوق . الذوابة ضفيرة الشعر المرسله . الجسد المصبوغ بالجسد وهو الزعفران .
(٣٠) المارن الصلب اللين . اللدن اللين . المثقف المقوم . عراضه صفحته . مطرده يقال : رمح مطرد
الأنابيب . أى متناصبها .
(٣١) العارض السحاب . الخضل الندى . الشؤبوب المطر . الحمام الموت . النضد المتراكم .
(٣٢) المسف القريب من الأرض . الثر الكثير الماء . السحسح السائل من فوق ، الوابل الشديد . المستهل
المتألى .

(٣٣) ديوانه ١٨٩/٢ من قصيدة فى مدح عبيد الله بن خراسان الطرابلسي . ومطلعها :
أظبية الوحش لولاً ظبية الأنس لما غدوت مجد فى الهوى تعس

وعلى هذا ورد قولُ أبي الطيب المتنبي (٣٣) :

دَانٍ ، بَعِيدٌ ، مُحَبٌّ ، مُبْغِضٌ ، بَهْجٌ أَغْرٌ ، حُلُوٌّ ، مُمِرٌّ ، لَيْنٌ ، شَرَسٌ (٣٤)

نَدِيدٌ ، أُمِّيٌّ ، غَرٌّ ، وَافِدٌ ، أَخِي ثِقَّةٌ

جَعْدٌ سَرِيٌّ ، نَهٌ ، نَدَبٌ ، رِضْيٌ ، نَدِسٌ (٣٥)

وهذا كأنه سلسلة بلا شك ، وقليل ما يوجد في أشعار الشعراء ، ولم أجده كثيراً إلا في شعر الفرزدق ، وتلك معازلة معنوية ، وسيأتى بيانها في بابها ، وهذه معازلة لفظية ، وهي توجد في شعر أبي الطيب كثيراً .

النوع الثامن

في المنافرة بين الألفاظ في السبك

وهذا النوع لم يحقق أحد من علماء البيان القول فيه ، وغاية ما يُقال إنه ينبغي ألا تكون الألفاظ نافرة عن مواضعها ، ثم يُكتفى بهذا القول ، من غير بيان ولا تفصيل ، حتى أنه قد خلط هذا النوع بالمعازلة . وكل منها نوع مفرد برأسه ، له حقيقة تخصه ، إلا أنها قد اشتبها على علماء البيان ، فكيف على جاهل لا يعلم ؟ !
وقد بينت هذا النوع ، وفصلته عن المعازلة ، وضربت له أمثلة يستدل بها على أخواتها ، وما يجري مجراها .

(٣٤) البهج الفرح ، والشرس هنا الصعب ، ومعنى البيت : هو قريب ممن يقصده ، بعيد ممن ينازعه ، محب للفصل وأهله ، مبغض للنقص وأهله ، يبهج بالقصائد ، حولاً ولوايته ، مر على أعدائه ، لين حسن الخلق على الأولياء : شرس صعب على الأعداء . يريد أنه جامع لهذه الأوصاف . كذا قال أبو الفتح بن جني ، ونقله الواحدى حرفاً حرفاً ، وانظر البيتين في شرح الديوان .

(٣٥) ند جواد ، يريد ندى الكف ، والأنى الذى يأبى الدنيا ، غرأى مغرأ يفعل الجميل جمد ماض فى الأمر ، والسرى الشريف ، وأنه أى ذو نية وهى العقل ، والتذب السريع فى الأمر إذا ندب إليه ، والتدس العارف بالأمور البحوث عنها ، وهو بضم الدال وكسرها .

وجملة الأمر أن مدار سبك الألفاظ على هذا النوع والذي قبله دون غيرها من تلك الأنواع المذكورة ، لأن هذين النوعين أصلاً سبك الألفاظ ، وما عدهما فرعٌ عليهما وإذا لم يكن النائر أو الناظم عارفاً بهما فإنّ مقاتله تبدؤ كثيراً .

وحقيقة هذا النوع الذي هو (المنافرة) أن يُذكر لفظ أو ألفاظ يكون غيرها ممّا هو في معناها أولى بالذكر .

وعلى هذا فإنّ الفرق بينه وبين المعاطلة أنّ المعاطلة هي التراكب والتداخل إمّا في الألفاظ أو في المعاني ، على ما أشرتُ إليه ، وهذا النوع لا تراكب فيه ، وإنمّا هو إيراد ألفاظ غير لائقة بموضعها الذي ترد فيه .

وهو ينقسم قسمين :

أحدهما : يوجد في اللفظة الواحدة ، والآخر : في الألفاظ المتعددة .
فأمّا الذي يوجد في اللفظة الواحدة فإنّه إذا ورد في الكلام أمكن تبديله بغيره ممّا هو في معناه ، سواء كان ذلك الكلام نثراً أو نظماً .

وأمّا الذي يوجد في الألفاظ المتعددة فإنّه لا يمكن تبديله بغيره في الشعر ، بل يمكن ذلك في النثر خاصة ، لأنه يعسر في الشعر من أجل الوزن .

فما جاء من القسم الأول قول أبي الطيّب المتنبي :

فلا يبرم الأمر الذي هو حائل ولا يحلل الأمر الذي هو يبرم^(١)

فلفظة « حائل » نافرة عن موضعها ، وكانت له مندوحة عنها ، لأنه لو استعمل

عوضاً عنها لفظة « ناقص » ، فقال :

فلا يبرم الأمر الذي هو ناقص ولا يقض الأمر الذي هو يبرم

لجاءت اللفظة قارة في مكانها ، غير قلقة ولا نافرة .

وبلغني عن أبي العلاء بن سليمان المعري أنه كان يتعصب لأبي الطيب ، حتى أنه

(١) ديوان المتنبي ٨٥/٤ من قصيدة في مدح عمر بن سليمان الشراي ، ومطلعها :

نرى عظم بالين والصد أعظم ونتهم الواشين والدمع منهم

رواية الديوان : « ولا يبرم » موضع « فلا يبرم » و « يبرم » موضع « يبرم » .

كان يُسميه « الشاعر » ويسمى غيره من الشعراء باسمه ، وكان يقول : ليس في شعره لفظةٌ يُمكنُ أن يقومَ عنها ما هو في معناها ، فيجىء حسناً مثلها !
 فياليت شعري أما وقفَ على هذا البيت المشار إليه ! ؟ لكنَّ الهوى كما يُقال أعمى ، وكان أبو العلاء أعمى العين خِلقةً ، وأعماهَا عَصِيَّةٌ ، فاجتمع له العمى من جهتين .
 وهذه اللفظة التي هي « حَالِل » وما يَجْرى مجراها قبيحةُ الاستعمال ، وهي فكُ الإدغام في الفعل الثلاثي ، ونقله إلى اسم الفاعل ، وعلى هذا فلا يحسن أن يقال : بلَّ الثوب ، فهو بالِل ، ولا سلَّ السِّيف ، فهو سَالِل ، ولا أن يقال : همَّ بالأمر ، فهو هَامِم ، ولا خطَّ الكتاب ، فهو خَاطِط ، ولا حَنَّ إلى كذا ، فهو حَانِنٌ !!
 وهذا لو عُرضَ على مَنْ لا ذوقَ له لَأَدْرَكَه وفهمه ، فكيفَ مَنْ له ذوقٌ صحيحٌ كأبي الطَّيِّب ؟ لكنَّ لا بُدَّ لكلِّ جَوَادٍ من كِبَوةٍ ! .

وأنشد بعض الأدباء بيتاً لِلِدِعْبَلِ (٢) ، وهو :
 شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ فِي الْحَوَائِجِ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يَخْلُقُ
 فَقُلْتُ له : عَجَزُ هذا البيت حسن ، وأما صَدْرُهُ فقبيح ، لأنه سَبَّكَ قَلِيقاً نَافِراً ،
 وتلك الفاء التي في قوله : « شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ » كأنها رُكْبَةُ البعير ، وهي في زيادتها كزيادة الكَرَشِ ! .

فقال : لهذه الفاء في كتاب الله أشباه ، كقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَتَبَارَكَ فَطَهَّرْ » (٤) .

فقلتُ له : بين هذه الفاء وتلك الفاء فرقٌ ظاهرٌ يُدْرِكُ بِالْعِلْمِ أَوَّلًا ، وبالذَّوقِ ثانياً .

(٢) هو دعبل بن علي بن رزين ، يمني من خزاعة ، نشأ بالكوفة متعصباً لقومه على العدنانية ، هجاء ، خبيث اللسان ، لا يسلم منه كبير ولا صغير حتى الخلفاء ، فعاش مكروهاً مرهوباً حتى توفي سنة ٢٤٦ هـ ، وشعره من النوع المطبوع ذي الأسلوب القوي ، لتأثره بنزعة الجريئة في وجه الدولة ، وبتعصبه للطالبيين ، وبميله إلى الإرهاب والتخريف ، ويغلب على شعره الهجاء والمديح .

(٣) الموازنة ٥٩ والصناعتين ٢١٣ وقبل هذا البيت :

وإن امرأ أسدى إلى بشافع إليه ويرجو الشكر مني لأحمق

(٤) سورة المدثر : الآيات ٢١ و٢٣ و٢٤

أَمَّا الْعِلْمُ : فَإِنَّ الْفَاءَ فِي « وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » هِيَ الْفَاءُ الْعَاطِفَةُ ،
 فَإِنَّهَا وَارِدَةٌ بَعْدَ « قُمْ فَأَنْذِرْ » وَهِيَ مِثْلُ قَوْلِكَ « اْمْشِ فَاسْرِعْ » ، وَ « قُلْ فَأَبْلُغْ »
 وَلَيْسَتْ الْفَاءُ الَّتِي فِي « شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ » كَهَذِهِ الْفَاءِ ، لِأَنَّ تِلْكَ زَائِدَةٌ ، لَا مَوْضِعَ
 لَهَا ، وَلَوْ جَاءَتْ فِي السُّورَةِ كَمَا جَاءَتْ فِي قَوْلِ دِعْبِلٍ - وَحَاشَ لِلَّهِ مِنْ ذَلِكَ -
 لَا يَتَدَيُّ الْكَلَامُ ، فَقِيلَ : رَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . لَكِنَّمَا لَمَّا جَاءَتْ بَعْدَ « قُمْ فَأَنْذِرْ »
 حَسُنَ ذِكْرُهَا فِيمَا يَأْتِي بَعْدَهَا مِنْ « وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » .
 وَأَمَّا الذَّوْقُ : فَإِنَّهُ يَنْبُو عَنْ الْفَاءِ الْوَارِدَةِ فِي قَوْلِ دِعْبِلٍ ، وَيَسْتَقِلُّهَا وَلَا يَوْجَدُ
 ذَلِكَ فِي الْفَاءِ الْوَارِدَةِ فِي السُّورَةِ .

فَلَمَّا سَمِعَ مَا ذَكَرْتَهُ أَذْعَنَ بِالتَّسْلِيمِ .
 وَمِثْلُ هَذِهِ الدَّقَائِقِ الَّتِي تَرُدُّ فِي الْكَلَامِ نِظْمًا كَانَ أَوْ نَثْرًا لَا يَتَفَطَّنُ لَهَا إِلَّا الرَّاسِخُ فِي
 عِلْمِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ !

وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ وَصَلْ هَمْزَةُ الْقَطْعِ ، وَهُوَ مُحْسَبٌ مِنْ جَائِزَاتِ الشُّعْرِ الَّتِي لَا
 يَجُوزُ فِي الْكَلَامِ الْمَنْشُورِ ، وَكَذَلِكَ قَطْعُ هَمْزَةِ الْوَصْلِ ، لَكِنَّ وَصْلَ هَمْزَةِ الْقَطْعِ أَقْبَحُ ،
 لِأَنَّهُ أَثْقَلُ عَلَى اللِّسَانِ

فَمِمَّا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ (٥) :
 قَرَانِي اللَّهُمَّ وَالْوَدَّ كَأَنَّمَا أَفَادَ الْغِنَى مِنْ نَائِلٍ وَفَوَائِدِي (٦)
 فَأُصْبِحَ يَلْقَانِي الزَّمَانُ مِنْ أَجَلِهِ بِأَعْظَامِ مَوْلُودٍ وَرَافَةِ وَالِدِ (٧)
 فَقَوْلُهُ « مِنْ أَجَلِهِ » وَصَلْ هَمْزَةُ الْقَطْعِ .

(٥) ديوان أبي تمام ١١٧ من قصيدة في مدح محمد بن الهيثم : ومطلعها :
 قفوا جددوا من عهدكم بالمعاهد وإن هي لم تسمع لنشيدان ناشد

(٦) قرأني أضافني ، والله العطايا .

(٧) رواية الديوان « لأجله » وعليها لا يكون في البيت موضع شاهد .

(٨) ديوان المتنبي ١١١/٢ من قصيدة مطلعها :

طوال قنأ تطاعها قصار وقطرك في ندى ووغي بحار =

وعليه وَرَدَ قول أبي الطيب المتنبي :

يُوسِطُهُ الْمَفَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ طِلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الْإِنْتَظَارَ ^(٨)

فقوله « لا الانتظار » كلامٌ نافر عن موضعه .

ومن هذا القسم أن يُفَرَّقَ بين الموصوفِ والصفةِ بضمير من تقدّم ذكره ، كقولِ
الْبَحْرِيِّ :

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ وَبِالْوَجْدِ مِنْ قَلْبِي بِهَا الْمُتَعَلِّقِ ^(٩)

تقديره « من قلبي المتعلق بها » فلما فصلَ بين الموصوفِ الذي هو « قلبي » والصفة
التي هي « المتعلق » بالضمير الذي هو « بها » قُبِحَ ذلك ، ولو كان قال « من قلبِ بها
متعلق » لزال ذلك القُبْحُ ، وذهبت تلك الهجُنة .

ومن هذا القسم أيضاً أن تُزَادَ الألفُ واللامُ في اسمِ الفاعلِ ، ويقام الضميرُ فيه
مقامَ المفعولِ ، كقول أبي تمام :

فَلَوْ عَايَنْتَهُمْ وَالزَّائِرِيَهُمْ لَمَا مَرَّتَ الْبَعِيدَ مِنَ الْحَمِيمِ ^(١٠)

فقوله « الزائري » اسم فاعل ، وقوله « هم » الذي هو الضمير في موضع المفعول
تقديره « الزائرين أرضهم ، وأودارهم » ، أو « الزائرين إياهم » فاستعمالُ هذا مع
الألف واللام قبيح جداً ، وإذا حُذِفَتْ زَالَ ذلك القُبْحُ . وقد استعملها الشعراءُ
المتقدمون كثيراً .

= وقال أبو الفتح بن جني : قلت لأبي الطيب عند قراءتي عليه : كسر اللام من « الانتظار » جيد لكونها
وسكون النون . وقال علي بن حمزة : سألت أبا الطيب عن فتح اللام ، فقال :

اجتمع ساكنان ، فحركت اللام بحركة ما قبلها ، وهي اللام من (لا) . ومعنى البيت : إنما ينزله المفاوز
طلب أعدائه ، لا انتظار من يلحقه وبخافه ، وذلك أن الخائف ينزل المفاوز خوفاً ممن يلحقه ، وهذا ينزلها طلباً
لمن يهرب منه إليها .

(٩) مطلع قصيدة في مدح الفتح بن حاتان ، ديوان البحري ٤٨١ .

(١٠) ديوان أبي تمام ٢٨٩ من قصيدة في مدح بعض بني عبد الكريم الطائيين ومطلعها :

أرامه كنت مألّف كل ريم لو استمتعت بالأنس المقيم

ورواية الديوان : « فلو عاينتهم مع زائريهم » وعليها لا يكون في البيت موضع شاهد .

ومما جاء من القسم الثاني - الذى يوجد فى الألفاظ المتعددة - قولُ أبى الطيب
أيضاً :

لَاخْلَقَ أَكْرَمُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفَ بِكَ رَأَى نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا ^(١١)
فَإِنَّ عَجَزَ هَذَا الْبَيْتِ نَافِرٌ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَأَمْثَالُ هَذَا فِي الْأَشْعَارِ كَثِيرٌ .

تم بحمد الله وحسن توفيقه طبع

القسم الأول

من كتاب « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر »

وبليه بعونه تعالى القسم الثانى

وأوله

المقالة الثانية : فى الصناعة المعنوية

(١١) ديوان المتنبي ٢٣٢/١ من قصيدة فى مدح أبى أيوب أحمد بن عمران ، ومطلعها :

سرب محاسنه حرمت ذواتها داني الصفات بعيد موضوعاتها
ورواية الديوان « لاخلق أسمع » و « راء » مقلوب « رأى » كما يقال « ناء » و « نأى » ومعنى البيت : لأحد
أسمع منك إلا رجلاً رأك فعرفك ، فلم يسألك بأن تهب له نفسك .

مطبعة نهضة مصر

المثل السائر

في أدب الكاتب والشاعر
لضياء الدين بن الأثير

قدمه وعلق عليه

دكتور أحمد الحومى و دكتور بدوى طبانه

القسم الثاني

ملتم الطبع والنشر
دار نهضة مصر للطبع والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الثانية

المقالة الثانية في الصناعة المعنوية

وهي تنقسمُ قِسْمَيْنِ :

الأولُ منهما : في الكلام على المعاني مُجْمَلًا :

والثاني : في الكلام عليها مفصَّلًا .

وقبلَ الكلام على ذلك لا بُدَّ مِنْ تَوَطُّعٍ تكونُ شاملةً لما نحن بصددِ ذكره ها هنا ، فأقول :

اعلم أن المعاني الخطابية قد حُصِرَتْ أصولها ، وأوَّلُ من تكلم في ذلك حكاه اليونان ، غير أن ذلك الحصرَ كُلُّهُ لا جزئِيٌّ . ومُحالٌ أن تُحصَرَ جزئياتُ المعاني ، وما يتفرَّع عليها من التفرعات التي لا نهايةَ لها ، لا جرمَ أن ذلك الحصرَ لا يستفيد بمعرفته صاحبُ هذا العلم ، ولا يفتقر إليه ، فإن البدويَّ البادي راعى الإبلَ ما كان يمرُّ شيءٌ من ذلك بفهمه ، ولا يخطر بباله ، ومع هذا فإنه كان يأتي بالسَّحَرِ الحلالِ ، إن قال شعراً أو تكلم نثراً .

فإن قيل : إنَّ ذلك البدويَّ كان له ذلك طبعاً وخليقةً ، واللهُ فطره عليه ، كما فطر ضروبَ نوعِ الأدبِ على فِطَرٍ مختلفة ، هي لهم في أصل الخلقة .

فإنه فطر التزكَّ على الإحسان في الرَّمْيِ ، والإصابة فيه من غير تعليم .

وكذلك فطر أهل الصين على الإحسان في صنعة اليد ، فيما يبشرونه
من مصوغ ، أو خشب ، أو فخار ، أو غير ذلك .

وكذلك فطر أهل المغرب على الشجاعة ، وهذا لانزاع فيه ، فإنه مُشَاهِد .
فالجواب عن ذلك أنى أقول : إن سلمت إليك أن الشعر والخطابة
كانا للعرب بالطبع والفطرة ، فماذا تقول فيمن جاء بعدهم من شاعرٍ وخطيبٍ
تحضرُوا وسكنُوا البلاد ، ولم يروا البادية ، ولا خلقوا بها ، وقد أجادوا
في تأليف النظم والشعر ، وجاءوا بمعانٍ كثيرة ما جاءت في شعر العرب ،
ولا نطقوا بها ؟

فإن قلت : إن هؤلاء وقفوا على ما ذكره علماء اليونان وتعلموا منه .
قلت لك في الجواب : هذا شئ لم يكن ، ولا علم أبو نواس شيئاً منه ،
ولا مُسلم بن الوليد ، ولا أبو تمام ، ولا البحتري ، ولا أبو الطيب المتنبي ،
ولا غيرهم !

وكذلك جرى الحكم في أهل الكتابة ، كعبد الحميد^(١) ، وابن العميد^(٢)
والصّابي ، وغيرهم .

(١) هو عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، نشأ بالأنبار بليغا حصيفا ،
وصاحب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أيام ولايته وخلافته ، حتى
قتل سنة ١٣٢ هـ ، ويعد عبد الحميد من أساتذة البلاغة العربية ، وشيخ
كتاب الرسائل عامة .

(٢) هو الأستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد
أكبر كتاب المشرق ، وصاحب الطريقة الإنشائية الشعرية ، ووزير ركن
الدولة بن بويه ، ثم عضد الدولة ، توفي سنة ٣٦٠ هـ . ومن الأحكام
الأدبية الشائعة « بدأت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد .

فإن ادَّعَيْتَ أَنَّ هَؤُلَاءِ تَعَلَّمُوا ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ عُلَمَاءِ الْيُونَانِ ، قُلْتُ لَكَ فِي الْجَوَابِ : هَذَا بَاطِلٌ بِي أَنَا ، فَإِنِّي لَمْ أُعَلِّمْ شَيْئًا مِمَّا ذَكَرَهُ حُكَمَاءُ الْيُونَانِ وَلَا عَرَفْتُهُ ، وَمَعَ هَذَا فَانْظُرْ إِلَى كَلَامِي فَقَدْ أوردتُ لَكَ نَبْذَةً مِنْهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، وَإِذَا وَقَفْتَ عَلَى رِسَائِلِي وَمَكَاتِبَاتِي — وَهِيَ عِدَّةٌ مِنْ مَجْلَدَاتِ — وَعَرَفْتَ أَنِّي لَمْ أُتَعَرِّضْ لَشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرَهُ حُكَمَاءُ الْيُونَانِ فِي حَصْرِ الْمَعَانِي ، عَلِمْتَ حِينَئِذٍ أَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْعِلْمِ مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ بِنَجْوَةٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَبَدًا . وَفِي كِتَابِي هَذَا مَا يُغْنِيكَ ، وَهُوَ كَافٍ .

وَلَقَدْ فَاوَضَنِي بَعْضُ الْمُتَفَلِّسِفِينَ فِي هَذَا ، وَانْسَاقَ الْكَلَامُ إِلَى شَيْءٍ ذَكَرَ لِأَبِي عَلِيٍّ ابْنِ سِينَا ^(١) فِي الْخُطَابَةِ وَالشَّعْرِ ، وَذَكَرَ ضَرْبًا مِنْ ضُرُوبِ الشَّعْرِ الْيُونَانِي يُسَمَّى « الْلاغُوزِيَا » ^(٢) وَقَامَ فَأَحْضَرَ كِتَابَ « الشِّفَاءِ » لِأَبِي عَلِيٍّ ،

(١) هُوَ الشَّيْخُ الرَّئِيسُ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ ابْنِ عَلِيٍّ الْحَكِيمِ الْمَشْهُورِ ، وَلَدَ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى بَخَارَى وَانْتَقَلَ فِي الْبِلَادِ ، وَاشْتَغَلَ بِالْعُلُومِ ، وَحَصَلَ الْفَنُونُ . وَلَمَّا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ مِنْ عُمُرِهِ كَانَ قَدْ أَتَقَّنَ عِلْمَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ وَالْأَدَبِ ، وَحَفِظَ أَشْيَاءَ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ وَحِسَابِ الْمُهَنْدِسَةِ وَالْجُبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ ، وَلَمَّا تَوَجَّهَ نَحْوَهُمُ الْحَكِيمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّسَائِيُّ أَنْزَلَهُ أَبُو الرَّئِيسِ أَبِي عَلِيٍّ عِنْدَهُ ؛ فَابْتَدَأَ أَبُو عَلِيٍّ يَقْرَأُ عَلَيْهِ كِتَابَ « إِيسَاغُوجِيٍّ وَأَحْكَمٍ عَلَيْهِ عِلْمُ الْمُنْطِقِ وَإِقِيلِدَسُ وَالْمَجَسْطِي ، وَفَاقَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً . حَتَّى أَوْضَحَ لَهُ مِنْهَا رَمُوزًا ، وَفَهَمَهُ إِشْكَالَاتٍ لَمْ يَكُنِ النَّاسُ يَدْرِيهَا كَمَا أَتَقَنَّ الْفَقْهَ وَالْبَحْثَ وَالْمُنَاطَرَةَ ، كَمَا نَبِغَ فِي الطَّبِّ وَمَاتَ بِهَهِذَانِ سَنَةِ ٤٢٨ هـ وَهُوَ فِي الثَّامِنَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْ عُمُرِهِ .

(٢) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ ضَرْبَ مِنْ ضُرُوبِ الشَّعْرِ بِهَذَا الْأِسْمِ ، وَإِنَّمَا الْمَذْكُورُ نَوْعٌ مِنَ الشَّعْرِ يُسَمَّى « طَرَاغُوزِيَا » ، قَالَ ابْنُ سِينَا : فَمِنْ ذَلِكَ نَوْعٌ مِنَ الشَّعْرِ « يُسَمَّى طَرَاغُوزِيَا » ، لَهُ وَزْنٌ لَذِيذٌ ظَرِيفٌ يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ الْخَيْرِ وَالْأَخْيَارِ وَالْمُنَاقِبِ الْإِنْسَانِيَةِ ، ثُمَّ يُضَافُ جَمِيعُ ذَلِكَ إِلَى رَئِيسٍ =

وَوَقَفَنِي عَلَى مَا ذَكَرَهُ ، فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ اسْتَجَبَتْهُ ، فَإِنَّهُ طَوَّلَ فِيهِ وَعَرَّضَ ،
كَأَنَّهُ يَخَاطَبُ بَعْضَ الْيُونَانِيِّينَ ، وَكُلُّ الَّذِي ذَكَرَهُ لَعَوَّ لَا يَسْتَفِيدُ بِهِ صَاحِبُ
الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ شَيْئًا .

ثُمَّ مَعَ هَذَا جَمِيعِهِ فَإِنَّ مُوَلَّ الْقَوْمِ فِيمَا يَذْكُرُ مِنَ الْكَلَامِ الْخَطَّائِي أَنَّهُ
يُورَدُ عَلَى مُتَقَدِّمَتَيْنِ وَنَتِيجَةٍ ، وَهَذَا مِمَّا لَمْ يَخْطُرْ لِأَيِّ عَلَى بْنِ سِينَا بِيَالٍ فِيمَا
صَاغَهُ مِنْ شَعْرٍ أَوْ كَلَامٍ مَسْجُوعٍ ؛ فَإِنَّ لَهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِ ، وَعِنْدَ
إِفَاضَتِهِ فِي صَوْنٍ مَاصَاغَهُ لَمْ تَخْطُرِ الْمَقْدِمَتَانِ وَالنَتِيجَةُ لَهُ بِيَالٍ .

وَلَوْ أَنِّي أَفَكَّرْتُ أَوَّلًا فِي الْمَقْدِمَتَيْنِ وَالنَتِيجَةِ ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِنَظْمٍ أَوْ نَثْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ
لَمَا أَتَى بِشَيْءٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، وَلَطَالَ الْخَطْبُ عَلَيْهِ ! .

بَلْ أَقُولُ شَيْئًا آخَرَ ، وَهُوَ أَنَّ الْيُونَانَ أَنْفَسَهُمْ لَمَّا نَظَّمُوا مَا نَظَّمُوهُ
مِنْ أَشْعَارِهِمْ لَمْ يَنْظُمُوهُ فِي وَقْتِ نَظْمِهِ وَعِنْدَهُمْ فِكْرَةٌ فِي مَقْدِمَتَيْنِ وَلَا نَتِيجَةٍ ،
وَلِنَّمَا هَذِهِ أَوَاضَاعٌ تَوْضَعُ ، وَتَطَوَّلُ بِهَا مَصْنُفَاتُ كُتُبِهِمْ فِي الْخُطَابَةِ

= يراد مدحه ، وكانت الملوك فيهم يغنى بين أيديهم بهذا الوزن ،
وربما زادوا فيه نغمات عند موت الملوك للنياحة والمرثية (أنظر الفن
التاسع من الجملة الأولى من كتاب الشفاء — فن الشعر ١٦٦) وقال في
موضع آخر : إن « طراغوديا » هو المديح الذي يقصد به لإنسان حي
أو ميت وكان يغنون به غناء فحلا ، وكانوا يبتدئون فيذكرون فيه
الفضائل والمحاسن ، ثم ينسبونها إلى واحد ، فإن كان ميتا زادوا
في طول البيت أو في لحنه نغمات تدل على أنها مرثية ونياحة (المصدر
السابق ١٦٩) وكلمة « طراغوديا » تحريف لكلمة « تراجيديا »
Tragedy وترجمتها المأساة أو الرواية المحزنة .

وَالشَّرُّ ، وَهِيَ كَمَا يُقَالُ : « فِقَاقَعٌ لَيْسَ لَهَا طَائِلٌ » كَأَنَّهَا شَعَرُ
الْأَبْيُورْدِيِّ (١) .

* *

وَحَيْثُ أُوْرِدَتْ هَذِهِ الْمَقْدَمَةُ مِنْ قَبْلِ الْخَوْضِ فِي تَقْسِيمِ الْمَعَانِي فَإِنِّي
رَاجِعٌ إِلَى شَرْحِ مَا أَجْمَلْتُهُ ، فَأَقُولُ :

أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ (٢) : فَإِنَّ الْمَعَانِي فِيهِ عَلَى ضَرْبَيْنِ :

أَحَدُهُمَا يَبْتَدَعُهُ مُؤَلِّفُ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْتَدِيَ فِيهِ بِمَنْ سَبَقَهُ :

وَهَذَا الضَّرْبُ رَبَّمَا يُعْتَرُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْحَوَادِثِ الْمُتَجَدِّدَةِ ، وَيُنَبِّهُهُ لَهُ
عِنْدَ الْأُمُورِ الطَّارِئَةِ (٣) ، وَلِنُشِيرَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَى نَبْذَةِ لَتَكُونُ مِثَالاً
لِلْمُتَوَشِّحِ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ .

(١) هُوَ أَبُو الْمَظْفَرِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْأَبْيُورْدِيُّ ، يَتَصَلُّ
نَسَبُهُ بِأَبْنَى سَفِيَّانٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ ، كَانَ مِنْ الْأَدْبَاءِ الْمَشْهُورِينَ رَاوِيَةً نَسَابَةَ شَاعِرَا
ظَرِيفًا ، قَسَمَ أَشْعَارَهُ إِلَى أَقْسَامٍ ، سَمَّاها الْعِرَاقِيَّاتِ وَالنَّجْدِيَّاتِ وَالوَجْدِيَّاتِ
وغيرها ، وَالْعِرَاقِيَّاتِ أَكْثَرُهَا فِي مَدْحِ الْمُقْتَدِرِ وَالْمُسْتَظْهَرِ وَوُزَرَاءِهِمَا .
تُوفِيَ سَنَةَ ٥٥٧ هـ ، وَ« أَبْيُورْدٍ » الْمُنْسُوبُ إِلَيْهَا بِلَيْدَةِ بَخْرَاسَانَ .

(٢) ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ فِي الصَّنَاعَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ أَنَّهَا تَنْقَسِمُ

قِسْمَيْنِ :

الْأَوَّلُ مِنْهُمَا فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَعَانِي مَجْمُلاً .

وَالثَّانِي فِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا مَفْصُلاً

(أَنْظِرْ صَفْحَةَ ٣ مِنْ الْقِسْمِ الثَّانِي)

(٣) سَبَقَ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ ابْنَ الْأَثِيرِ إِلَى هَذَا التَّقْسِيمِ ، قَالَ

أَبُو هَلَالٍ :

وَالْمَعَانِي عَلَى ضَرْبَيْنِ : ضَرْبٍ يَبْتَدَعُهُ صَاحِبُ الصَّنَاعَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ =

فَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي شِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ فِي وَصْفِ مُصَلِّينَ (١) :

بَكَرُوا وَأَسْرَوْا فِي مُتُونِ ضَوَامِرٍ قِيدَتْ لَهُمْ (٢) مِنْ مَرْبِطِ النَّجَّارِ
لَا يَبْرَحُونَ ، وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهُمْ أَبَدًا عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ
وَهَذَا الْمَعْنَى تَمَّا يُعْتَرُّ عَلَيْهِ عِنْدَ الْحَوَادِثِ الْمُتَجَدِّدَةِ ، وَالْخَاطِرُ فِي مِثْلِ هَذَا
الْمَقَامِ يَنْسَاقُ إِلَى الْمَعْنَى الْمُخْتَرَعِ مِنْ غَيْرِ كَبِيرِ كَلْفَةٍ ، لِشَاهِدِ الْحَالِ الْحَاضِرَةِ .
وَكَذَلِكَ قَالَ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي صِفَةِ مَنْ أُحْرِقَ بِالنَّارِ .

مَا زَالَ سِرُّ الْكُفْرِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ حَتَّى اصْطَلَى سِرَّ الزَّنَادِ الْوَارِي
نَارًا يُسَاوِرُ جِسْمَهُ مِنْ حَرِّهَا لَهَبٌ كَمَا عَصَفَتْ شِقِّ إِزَارِ (٣)
طَارَتْ لَهَا شُعْلٌ يَهْدُمُ لَفْحُهَا أَرْكَانُهُ هَدْمًا بَغِيرِ غَبَارِ
فَصَلَّنَ مِنْهُ كُلُّ مَجْمَعٍ مَفْصَلٍ وَفَعَلَنَ فَاقِرَةً بِكُلِّ فَقَارِ (٤)
مَشْبُوبَةٌ رُفِعَتْ لِأَعْظَمِ مُشْرِكٍ مَا كَانَ يَرْفَعُ ضَوْءَهَا لِلْسَّارِي (٥)

= يَكُونُ لَهُ إِمَامٌ يَقْتَدِي بِهِ فِيهِ أَوْ رِسُومٌ قَائِمَةٌ فِي أَمْثَلَةٍ مِمَّا ثَلَّةَ يَعْمَلُ عَلَيْهِمَا .
وَهَذَا الضَّرْبُ رُبَّمَا يَقَعُ عِنْدَ الْخُطُوبِ الْحَادِثَةِ ، وَيَتَنَبَّهُ لَهُ عِنْدَ الْأُمُورِ
النَّازِلَةِ الطَّارِئَةِ . وَالْآخِرُ مَا يَحْتَذِيهِ عَلَى مِثَالِ تَقْدِيمِ وَرِسْمِ فَرْطُ . .
(أَنْظِرْ كِتَابَ الصَّنَاعَتَيْنِ ٦٩) .

(١) دِيوَانُ أَبِي تَمَّامٍ ١٥٤ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي مَدْحِ الْمُعْتَصِمِ وَذِكْرِ
إِحْرَاقِ الْأَفْشِينِ ، وَمُطْلَعُهَا :

الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالسِّيُوفُ عَوَارُ فَحَذَارُ مِنْ أَسَدِ الْعَرِينِ حَذَارُ

(٢) قِيدَتْ : سَيِّقَتْ .

(٣) عَصَفَرْتَهُ صَبَغْتَهُ بِالْعَصْفَرِ

(٤) الْفَاقِرَةُ : الدَّاهِيَةُ وَالْفَقَارُ : خُرْزَاتُ الظُّهْرِ .

(٥) مَشْبُوبَةٌ : مُشْتَعَلَةٌ ، وَهِيَ وَصْفٌ لِلنَّارِ الْمَذْكُورَةِ فِي بَيْتٍ قَبْلَ

هَذَا أَغْفَلَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ ، وَهُوَ :

لِلَّهِ مِنْ نَارٍ رَأَيْتُ ضِيَاءَهَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِهِ عَلَى النَّظَارِ

صَلَّى لَهَا حَيًّا وَكَانَ وَقُودَهَا مَيْتًا وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْفُجَاءِ
وَهَذَا مِمَّا يُعِينُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْمَعْنَى فِيهِ شَاهِدُ الْحَالِ .

* * *

وَقَدْ ذَلَّلَ الْبَحْتَرِيُّ عَلَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو تَمَّامٍ فِي وَصْفِ الْمَصْلَبِينَ ، فَقَالَ :
كَمْ عَزَزَ بِزِ أَبَاكَهُ فَقَدَا يَرْ كَبُ عُرُودًا مُرْكَبًا فِي عُرُودِ
أَسْلَمَتْهُ إِلَى الرُّقَادِ رِجَالُ لَمْ يَكُونُوا عَنْ وَتَرِهِمْ بِرُقُودِ
تَحْسُدُ الطَّيْرُ فِيهِ ضَبْعَ الْبَوَادِي وَهُوَ فِي غَيْرِ حَالَةِ الْمَحْسُودِ
غَابَ عَنْ صَحْبِهِ فَلَا هُوَ مُوجُو دٌ لَدَيْهِمْ وَلَيْسَ بِالْمَقْصُودِ
وَكَأَنَّ امْتِدَادَ كَفَيْهِ فَوْقَ الْ جِذَعِ فِي مَحْفِلِ الرَّدَى الْمَشْهُودِ
طَائِرٌ مَدَّ مُسْتَرِيحًا جَنَاحَيْهِ اسْتِرَاحَاتٍ مُتَعَبٍ مَكْدُودِ
أَخْطَبُ النَّاسِ رَاكِبًا فَإِذَا أُرْ جَلَّ خَاطَبَتْ مِنْهُ عَيْنُ الْبَلِيدِ

وَهَذِهِ أَيْيَاتٌ حَسَنَةٌ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ أَقْسَامَ هَذَا الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ ، إِلَّا أَنَّ
فِيهَا مَعْنَى مَأْخُودًا مِنْ شِعْرِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيِّ ^(١) ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

نَصَبَتْهُ حَيْثُ تَرْتَابُ الرِّيحُ بِهِ وَتَحْسُدُ الطَّيْرُ فِيهِ أَضْبَعُ الْبَيْدِ
لَكِنَّ الْبَحْتَرِيَّ زَادَ فِي ذَلِكَ زِيَادَةً حَسَنَةً ، وَهِيَ قَوْلُهُ « وَهُوَ فِي غَيْرِ
حَالَةِ الْمَحْسُودِ » .

* * *

(١) ديوانه ١٢١ من قصيدة في مدح داود بن يزيد بن حاتم ابن
خالد بن المهلب ، ومطلعها : -
لا تدع بي الشوق إني غير معمود نهي النهي عن هوى الهيف الرعايد

وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ مَا جَاءَ فِي شَعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي فِي وَصْفِهِ الْحُمَى ،
وَهُوَ قَوْلُهُ ^(١) :

وَزَايِرَتِي كَأَنَّ بَهَا حَيَاءً فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَايِ
كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعَةٍ سِجَامٍ ^(٢)
أَرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ مُرَاقِبَةُ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ
وَقَدْ شَرَحَ أَبُو الطَّيِّبِ هَذِهِ الْأَيَّاتِ حَالَهُ مَعَ الْحُمَى .

وَمِنْ بَدِيعِ مَا أَتَى بِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ ^(٣) كَانَ

(١) ديوانه ١٤٢/٤ من قصيدته في ذكر الحمى التي كانت تغشاه
بمصر ، ومطلعها :

ملومكما يجل عن الملام ووقع فعاله فوق الكلام
(٢) بأربعة سجام : أى ذات سجام ؛ وأراد بالأربعة اللحاظين
والموقنين للعينين ، فإن الدمع يجري من الموقنين ، فإذا غلب وكثر جرى
من اللحاظ أيضا . والمعنى أن الحمى تفارقه عند الصبح ، فكأن الصبح
يطردها ، وأنها إذا فارقتة تجرى مدامعها عن أربعة سجام يريد
كثيرة الرخصاء وهو عرق الحمى — فكأنها يبكي عند فراقه محبة له .

(٣) هو سيف الدولة أبو الحسن على ، صاحب حلب ، مملوح
المنتبى ، وكان سيف الدولة أدبيا شاعرا نقاداً للشعر ، يحب جيده ، ويضطرب
لسماعه ، وكان يقرب الشعراء وأهل الأدب ، حتى قيل إنه لم يجتمع
ببواب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، وكان
يجالس الشعراء ، وينقد أشعارهم نقد يدل على شاعرية وعلم ، ويبدل
لهم الجوائز السنية ، توفي سنة ٣٥٦ هـ .

مُخَيِّمًا بِأَرْضِ دِيَارِ بَكْرٍ^(١) عَلَى مَدِينَةِ «مَيَّا فَارِقِينَ»^(٢) فَفَصَفَتِ الرِّيحُ
بِخَيْمَتِهِ ، فَتَطَيَّرَ النَّاسُ لَذَلِكَ ، وَقَالُوا فِيهِ أَقْوَالًا ، فَدَحَهُ أَبُو الطَّيِّبِ بِقَصِيدَةٍ
يَعْتَذِرُ فِيهَا عَنْ سُقُوطِ الْخَيْمَةِ ، أُولَاهَا :

* أَيْنَعُ فِي الْخَيْمَةِ الْعُذْلُ^(٣) *

فَنَهْ مَا أَحْسَنَ فِيهِ كُلَّ الْأَحْسَانِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

تَضِيقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤُهَا وَيَرْكُضُ فِي الْوَاحِدِ الْجَحْفَلُ^(٤)
وَتَقْصُرُ مَا كُنْتَ فِي جَوْفِهَا وَتُرْكَزُ فِيهَا الْقَنَا الذَّلْبُ
وَكَيْفَ تَقُومُ عَلَى رَاحَةٍ كَانَ الْيَحَارُ لَهَا أَنْمَلُ

(١) ديار بكر بلاد كثيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل ، وحدها
ما عرب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ومنه
حصن كيفا وآمد وميا فارقين .

(٢) ميا فارقين أشهر مدينة بديار بكر ، قيل ما بنى فيها بالحجارة
فهو بناء أنوشروان ، وما بنى بالآجر فهو بناء أبرويز ، والذي يعتمد
عليه أنها من بناء الروم ، لأنها في بلادهم .

(٣) ديوان المتنبي ٦٦/٣ ، وعجز المطالع :

* ويشمل من دهرها يشمل *

ومعنى البيت : أينفع في سقوطها عذل العذل ، فحذف المضاف ،
وروى الخوازمي « أيقدح » وهي رواية جيدة ، فلا يقدر فيها محذوف ،
يقول : لا ينفع في هذه الخيمة أن تعذل على سقوطها ، فعذرها بين ،
والموجب لفعالها ظاهر ، وكيف لها أن تشمل من يشمل الدهر بسلطانه ،
ويجبر عليه بإحسانه .

(٤) الأرجاء النواحي جمع رجا ، والثنية رجوان ، والجحفل
الجيش العظيم . يقول : كل قطر منها يسع جحفلا ، ولكنها تضيق جميعا
بشخصك ، لإجلال لك ، وإعظاما لك أن تغلوك .

فَلَيْتَ وَقَارَكَ قَرَفْتَهُ وَحَمَلْتَ أَرْضَكَ مَا تَحْمِلُ
فَصَارَ الْأَنَامُ بِهِ سَادَةً وَسُدُّهُمْ بِالَّذِي يَفْضُلُ
رَأَتْ لَوْنُ نوركَ فِي لَوْنِهَا كَلُونَ الْغَزَالَةَ لَا يُغْسَلُ^(١)
وَأَنَّ لَهَا شَرْقًا بِاذِحًا وَأَنَّ الْخِيَامَ بِهَا تَخْجَلُ
فَلَا تُنْكَرَنَّ لَهَا صَرْعَةً فَمَنْ فَرَجَ النَّفْسَ مَا يَقْتُلُ
وَلَوْ يُبْلَغُ النَّاسُ مَا مُبْلَغَتْ خِلَاتُهُمْ حَوْلَكَ الْأَرْجُلُ
وَلَمَّا أَمَرْتَ بِتَطْنِيذِهَا أُشِيعَ بِأَنَّكَ لَا تَرْحَلُ^(٢)
فَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ
وَعَرَفَ أَنَّكَ مِنْ هَمِّهِ وَأَنَّكَ فِي نَصْرِهِ تَرْفُلُ
فَمَا الْعَانِدُونَ وَمَا أَتَلَوْا^(٣) وَمَا الْحَاسِدُونَ وَمَا قَوْلُوا^(٤)
هُمْ يَطْلُبُونَ ، فَمَنْ أَدْرَكُوا ؟ وَهُمْ يَكْذِبُونَ ، فَمَنْ يَقْبَلُ ؟
وَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ مَا يَشْتَهُونَ وَمِنْ دُونِهِ جَدُّكَ الْمُقْبِلُ
هذه الأبيات قد اشتملت على معانٍ بديعة ، وكفى المتنبي فضلاً أن
يأتي بمثلها . وهذا مقامٌ يظهرُ في مثله براعة الناظم والناثر .

-
- (١) أصل الغزالة ارتفاع الشمس ، وهو وقت سميت الشمس به ،
يقول : لون المملوح ونوره لا يلحقه تغيير ، كلون الشمس الذي لا
يزول عنها بالغسل .
(٢) الأطناب جبال البناء ، والتطنيب مد الأطناب .
(٣) أتَلَوْا — بالثاء المثناة — جمعوا . ورواية الديوان « وما
أملوا » بالميم .
(٤) ما قولوا أى كرروا القول وخاضوا فيه ، وقولتنى ما لم
أقل : أى نسبته إلى ، والتقويل والادعاء .

وقرأتُ في كتاب (الرّوضة) لأبي العباس المبرّد^(١) ، وهو كتابٌ جمعه ، واختار فيه أشعار شعراء ، بدأ فيه بأبي نُوَاسٍ ، ثمَّ بمن كان في زمانه ، وانسحب على ذيله ، فقال فيما أورده من شعره : وله معنى لم يُسبق إليه بإجماع ، وهو قوله^(٢) :

تُدارُ علينا الرّاحُ في عَسْجَدِيَّةٍ حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التّصَاوِيرِ فَارِسُ^(٣)
قَرَارَتِهَا كِسْرَى وَفِي جَنْبَاتِهَا مَهَا ثَوَرَتِهَا بِالْعَشَى الْفَوَارِسُ^(٤)

(١) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي المعروف بالمبرّد ، كان شيخ أهل النحو والعربية ، وإليه انتهى علمها بعد طبقة أبي عمر الجرمي وأبي عثمان المازني ، وكان من أهل البصرة ، حسن المحاضرة ، مليح الأخبار ، كثيرة النوادر قال أبو سعيد السيرافي : سمعت أبا بكر بن مجاهد يقول : ما رأيت أحسن جواباً من المبرّد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم . وصنف كتباً كثيرة ، ومن أكبرها كتاب « المقتضب » وكتاب « الكامل » . وكان مولد المبرّد سنة عشر ومائتين ، ومات سنة خمس وثمانين ومائتين .

(٢) ديوان أبي نواس ٢٩٥ من أبيات أولها :

ودار ندامي عطلوها وأدجلوا بها أثر منهم جديد ودارس

(٣) الراح الخمر ، والعسجدية نسبة إلى العسجد . وهو الذهب ، ويريد بها كأساً مذهبة لا من ذهب ، وحباه بكذا يحبوه أعطاه ومنحه ، وفارس هي الأمة المعروفة .

(٤) قرارتها أسفلها ، وهي هنا ظرف مكان ، والمها جمع مهاء . وهي البقرة الوحشية يضرب بها المثل في حسن العيون ورواية الديوان « مها تدريها . » وادري الصيد ختله ، القسي جمع قوس ، يقول : إن الكأس محلاة من أسفلها بصورة كسرى ، أما جوانبها فمحلاة بصورة فرسان يتحنون غفلة المها ، ليرموها بسهام أقواسهم .

فَلِرَّاحٍ مَا زَرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ^(١)

وقد أكثر العلماء من وصف هذا المعنى وقولهم فيه إنه معنى مُبتدع .

ويحكى عن الجاحظ^(٢) أنه قال : مازال الشعراء يتناقلون المعنى قديماً وحديثاً إلا هذا المعنى ، فإن أبا نواسٍ انفرد بإبداعه ! .

ولا أعلمُ أنا ما أقول لهما^(٣) ، ولا بى سوى أن أقول : قد تجاوزَ بهم حدَّ الإكثار ، ومن الأمثال السائرة : بدُون هذا يُباعُ الحمار ! .

وفصاحةُ هذا الشعر عندى هى الموصوفةُ . لا هذا المعنى ، فإنه لا كبير كلفةٍ فيه ، لأنَّ أبا نواسٍ رأى كأساً من الذهب ذاتَ تصاوير ، فحكاها فى شعره .
والذى عندى فى هذا أنه من المعانى المشاهدة ، فإنَّ هذه الخمر لم تحمِلْ إلا ماءً يسيراً ، وكانت تستغرقُ صُورَ هذا الكأس إلى مكانِ جُيوبها ، وكان الماء فيها قليلاً بقدر القلانس التى على رءوسها . وهذا حكايةُ حالٍ مشاهدةٍ بالبصر .

(١) الحبيب طوق الثوب ، والقلانس جمع قلنسوة لباس للرأس ، يقول : إنهم كانوا يصبون الخمر فى تلك الكأس ، حتى تحاذى أطواق صور الفوارس ، ثم يمزجونها بالماء حتى تحاذى رءوسهم .

(٢) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى ، ولد بالبصرة وتربى فيها ، ودرس هناك كل ما كان ذائعا من العلوم والفنون فى أيامه ، ولازم إبراهيم بن سيار النظام المتكلم المعتزلى ، وأخذ عنه ، حتى صار زعيم فرقة تنسب إليه ، وعرف كثيراً من كبار الكتاب والمترجمين والفرس وغيرهم ، وقرأ كل ما ترجم فى زمانه ووقع عليه نظره ، فكان من كبار العلماء والكتاب ، ومات بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ .

(٣) فى الأصل « لها » فى عبارة غير مفهومة . ولعل الصواب ما ذكرناه . والإشارة هنا إلى المبرد والجاحظ اللذين عدا هذا المعنى معنى مبتدعاً ، وأكبرا به من شأن أبى نواس ، فيما نرى .

وكذلك وَرَدَ قَوْلُهُ فِي الْخَمْرِ أَيْضًا ^(١) :

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمٍ نَمْتُ عَنْ لَيْلٍ وَلَمْ تُنِمْ

فَاسْقِنِي الْخَمْرَ إِنِّي اخْتَمَرْتُ بِخَمَارِ الشَّيْبِ فِي الرَّحِمِ

وهذا معنى مخترع ، لم يُسَبِّقْ إليه ، وهو دقيقٌ يكادُ لدقته أن يلتحق
بالعاني التي تُستخرج من غير شاهد حال متصور .

وبلغني أنه اختلف في هذا المعنى بمحاضرة الرَّشيد هَارُون — رحمه الله —

ف قيل : إنه يريد بِخَمَارِ الشَّيْبِ فِي الرَّحِمِ أن الْخَمْرَ تَكُونُ فِي جَوَانِبِهَا ذَاتَ
زَبَدٍ أبيض على وجهها . فقال الأصمعي ^(٢) : « إن أَبَا نَوَاسٍ أَلْطَفُ خَاطِرًا
مِنْ هَذَا وَأَسَدُ غَرَضًا ، فَاسْأَلُوهُ ، فَأَحْضَرُ وَسْئِلَ ، فَقَالَ : إِنَّ الْكَرَّمَ أَوَّلَ
مَا يَجْرَى فِيهِ الْمَاءُ يَخْرُجُ شَبِيهَاً بِالْقَصْنَةِ ، وَهِيَ أَصْلُ الْعَنْقُودِ ، فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :
أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّ الرَّجُلَ أَلْطَفُ خَاطِرًا ، وَأَسَدُ غَرَضًا ؟ ! » .

وقد جاء لابن حمدٍ بن الصَّقْلِيِّ ^(٣) فِي الْمَلَالِ لِآخِرِ الشَّهْرِ مَا لَمْ يَأْتْ بِهِ غَيْرُهُ ،
وهو مِنَ الْحَسَنِ وَاللِّطَافَةِ فِي الْغَايَةِ الْقَصْوَى ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ :

كَأَنَّمَا أَدْهَمَ الظُّلُمَاءُ حِينَ نَجَا مِنْ أَشْهَبِ الصَّبْحِ أَلْقَى نَعْلَ حَافِرِهِ

(١) ديوان أبي نواس ٣٢٤ .

(٢) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب عن عبد الملك ، كان
صاحب لغة ونحو ، وإماماً في الأخبار والملح والغرائب ، توفي سنة ٢١٧ هـ
بالبصرة ، وقيل بمرو .

(٣) هو أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمد يس
الأزدي الصقلي ، نشأ بجزيرة صقلية ، وانتقل إلى الأندلس ، ومدح
المعتمد بن عباد ، فأحسن إليه ، وأجزل عطاياه ، مات سنة ٥٢٧ هـ
بجزيرة مिरقة ، وقيل ببلدة بجاية .

وهذه حكاية حال مشاهدة بالبصر ، إلا أنه أبدع في التشبيه .

وأمثال هذا كثيرة في أقوال المجيد من الشعراء .

وجملة الأمر في ذلك أن الشاعر أو الكاتب ينظر إلى الحال الحاضرة ، ثم يستنبط لها ما يناسبها من المعاني ، كما فعل النابغة ^(١) في مدح النعمان وقد أتاه وفد من الوفود ، فمات رجل منهم قبل أن يرمدهم ، فلما رفدهم جعل عطاء ذلك الميت على قبره ، حتى جاء أهله وأخذوه ، فقال النابغة في ذلك :

حياء شقيق فوق أحجار قبره وما كان ينحي قبله قبراً وإفد
وهذا بيت من جملة أبيات ، فانظر كيف فعل النابغة في هذا المعنى !

وكذلك ورد قول أخت جساس ، زوجة كليب ، فإنه لما قتل جساس كليباً اجتمع النساء إليها ، وندبته ، فتحدثت بهن إلى بعض ، وقلن : هذه ليست ثائكة ، وإنما هي شامته ، فإن أخاها هو القاتل ، فتم ذلك إليها ، فقالت :

(١) هو أبو أمامة زياد بن معاوية ، أحد أشرف قبيلة ذبيان من القبائل المصرية ، وأحد فحول شعراء الجاهلية ، لقب النابغة لنبوغة في الشعر فجاءة ، وهو كبير ، وهو ممن تكسب بالشعر في الجاهلية ، ولكنه أثر مدح الملوك ، ملوك المناذرة بالخير والغباسة بالشام ، وكان ممن مدحهم من الأولين النعمان بن المنذر فقربه إليه . ثم وشى به عنده ، وهم بقتله ، ففر إلى ملوك الشام فمدحهم ، ولم يطب مقامه بالشام ، فعاد يستعطف النعمان بقصائد رائعة كانت سبباً في عفوه عنه ، وطال عمر النابغة ، حتى مات قبيل الإسلام .

يَا ابْنَةَ الْأَقْوَامِ إِنْ شِئْتَ فَلَا تَعَجَلِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي
فَإِذَا أَنْتِ تَبَيَّنْتَ الَّذِي يُوجِبُ اللَّوْمَ فَلَوْمِي وَاعْذُلِي
إِنْ أَخْتَا لَأَمْرِي لِيَمْتَ عَلَى (١)
جَلَّ عِنْدِي فِعْلُ جَسَّاسٍ فَوَا حَسْرَتَا عَمَّ أَنْجَحْتَ أَوْ تَنْجَلِي
فِعْلُ جَسَّاسٍ عَلَى وَجْدِي بِهِ قَاطِعُ ظَهْرِي وَمُذْنٍ أَجَلِي
لَوْ بَعَيْنٍ قُفِّتْ عَيْنٌ سَوَى اخْتَمَهَا فَاَنْفَقَاتِ لَمْ أَحْفَلِ
يَا قَتِيلًا قَوْضَ الدَّهْرُ بِهِ سَقَفَ بَيْتِي جَمِيعًا مِنْ عِلِّ
هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَحَدَّثْتُهُ وَأَنْذَنِي فِي هَذِمِ بَيْتِي الْأَوَّلِ
يَسْتَفِي الْمُدْرِكُ بِالنَّارِ وَفِي دَرَكِي ثَارِي ثُكُلٌ مُشْكِلِي
إِنِّي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْتَحِلِي

وهذه الأبيات لو نطق بها الفحول المعدادون من الشعراء لاستعظمت ،
خفيف امرأة وهي حزينه في شرح تلك الحال المشار إليها .

واعلم أنه قد يُستخرج من المعنى الذى ليس بمبتدع معنى مبتدع .

فمن ذلك قول الشاعر المعروف بابن السراج فى الفهد :

تَنَافَسَ اللَّيْلُ فِيهِ وَالنَّهَارُ مَعًا فَقَمَّصَاهُ بِجِلْبَابٍ مِنَ الْمَقَلِ

وليس هذا من المعانى الغريبة ، ولكنه تشبيه حسن واقع فى موقعه :

(١) هكذا روى صدر البيت فى الأصل ، والمشهور فى روايته :

* إن تكن أخت امرئ ليمت على *

وقد جاء بعده شاعرٌ من أهل الموصل ، يقال له ابن مسهر فاستخرج من
هذا البيت معنى غريباً ، فقال :

وَنَقَطَتْهُ حَبَاءٌ كَيْ يُسَالِمَهَا عَلَى الْمَنَايَا نِعَاجُ الرَّمْلِ بِالْحَدَقِ

وهذا معنى غريب ، لم أسمع بمثله في مقصده الذي قصد من أجله .

وقليلاً ما يقع هذا في الكلام المنظوم والمنثور ، وهو موضع ينبغي أن
توضع اليد عليه ، ويتذنب له .

وكذلك فلتكن سياقة ماجرى هذا الجرى .

وقد جاءني شيء من ذلك في الكلام المنثور .

فمن ذلك ما ذكرته في وصف نساء حسان ، وهو :

« أَقْبَلَتْ رِبَائِبُ الْكِنَاسِ ، فِي مُحْضَرِّ اللَّبَاسِ ، قَقِيلٌ : إِنَّمَا يَخْتَرْنَ
الْخَضِرَةَ مِنَ الْأَلْوَانِ ، لِيَصِحَّ تَشْبِيهُنَّ بِالْأَغْصَانِ » .

وهذا معنى غريب ، وربما يكون قد سُبِقَتْ إليه ، إلا أنه لم يبلِّغني ،
بل ابتدعته ابتداء .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن مناظرة بلد ، فذكرت

القتال بالمنجنيق (١) ، وهو :

« فَنَزَلْنَا بِرَأْيٍ مِنْهُ وَمَسَمَعٍ ، وَاسْتَدْرْنَا بِهِ اسْتِدَارَةَ الْخَاتَمِ بِالْأَصْبَعِ ،

(١) هو اسم أعجمي ، فإن الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة عربية ،
ويجمع على مجانيق ومناجيق ، قال ابن قتيبة في كتابه « المعارف » وأبو هلال
العسكري في « الأوائل » : وهو آلة من خشب لها دفتان قائمتان
بينهما سهم طويل رأسه ثقيل ، وذنبه خفيف ، وفيه تجعل كفة =

وَنُصِبَتِ الْمُنْجَنِيْقَاتُ فَأَنْشَأَتْ سُحُبًا صَمْبَةً الْقِيَادَ ، مَخْصَصَةً بِالرُّبَا دُونَ الْوَهَادِ ،
فَلَمْ تَزَلْ تَقْدِفُ السُّورَ بِوَبْلٍ مِنْ جُلُودِهَا ، وَتَقْجُؤُهَا بِرُعُودِهَا قَبْلَ
بُرُوقِهَا ، وَرُوقِ السَّحْبِ قَبْلَ رُعُودِهَا ، حَتَّى غَادَرَتْ الْحَزْنَ مِنْهُ سَهْلًا ،
وَالْعَامِرَ بَلَقَمًا مُخْلِ .

وفى هذا معنيان غريبان .

أحدهما : أَنَّ هَذِهِ السَّحْبَ تَخْصُ الرُّبَا دُونَ الْوَهَادِ .

وَالْآخَرُ : أَنَّ رُعُودَهَا قَبْلَ بُرُوقِهَا . وَكُلُّ ذَلِكَ يُتَفَطَّنُ لَهُ بِالشَّاهِدَةِ ..

* * *

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتَهُ فِي فِصْلِ مِنْ كِتَابِ ، فَقُلْتُ :

« إِذَا تَحَاقَّ الْمَرءُ بِخُلُقِ الْبَاسِ وَالنَّدَى لَمْ يَخَفْ عِرْضُهُ دَنَسًا ، كَمَا أَنَّ الْمَاءَ
إِذَا بَلَغَ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلْ نَجَسًا » .

وَهَذَا الْمَعْنَى مُبْتَدِعٌ لِي ، وَهُوَ مَسْتَخْرَجٌ مِنَ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ فِي قَوْلِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِذَا بَلَغَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلْ خَبَثًا » .

* * *

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتَهُ فِي وَصْفِ مِفَازَةٍ ، فَقُلْتُ

« مِفَازَةٌ لَا تُوْطَأُ بِأَجْفَانٍ سَاهِرٍ ، وَلَا تُقْتَلُ بِافْتِحَامِ خَابرٍ ، وَلَوْ لَا مَسِيرُ
الْهَلَالِ مِنْ فَوْقِهَا لَمَا عَرَفْتَ تَمَثَّلَ حَافِرٍ » :

* * *

= الْمُنْجَنِيْقُ الَّذِي يُجْعَلُ فِيهَا الْحَجَرُ . وَيَجْذِبُ حَتَّى تَرْفَعَ أَسَافِلُهُ عَلَى أَعَالِيهِ ،
ثُمَّ يَرْسِلُ فَيَرْفَعُ ذَنْبَهُ الَّذِي فِيهِ السَّكْفَةُ ، فَيَخْرُجُ الْحَجَرُ مِنْهُ ، فَيُضْرِبُ
أَصَابَ شَيْئًا إِلَّا أَهْلَكَهُ .

ومن ذلك ما ذكرته في كتاب أصف فيه نزول العدو على حصار
بلد من بلاد المكتوب عنه :

وكان ذلك في زمن الشتاء ، فسقطَ عَلَى العدوِّ ثلجٌ كثيرٌ صار به
محصوراً ، فقلت :

« وقد عَاجَلَهُ قِتَالُ البُرُوقِ قَبْلَ البَوَارِقِ ، وأَحَاطَ بِهِ الثَلَجُ فَصار خِنَادِقُ
سَحُولٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الخِنَادِقِ ، وَالشِّتَاءُ قد لَقِيَ عَسْكَرَهُ مِنَ البَرْدِ بعَسْكَرِهِ ،
وَالسَّمَاءُ قد قَابَلَتْهُ بِأَغْبَرِ وَجْهِهَا لِأَخْضَرِهِ ، وَالْأَرْضُ كَأَنَّهَا قُرْصَةُ النَّقْيِ ،
وَعَسَى أَنْ تَكُونَ أَرْضٌ مُحْشَرَةٍ » .

والمعنى المختَرَعُ من هذا الكلامِ قولي : « وَالْأَرْضُ كَأَنَّهَا قُرْصَةُ النَّقْيِ »
وَعَسَى أَنْ تَكُونَ أَرْضٌ مُحْشَرَةٍ « وهو مُسْتَخَرَجٌ من الحديثِ النبويِّ في
قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : « إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءٍ كَقُرْصَةِ النَّقْيِ »
يُرِيدُ الْخُبْرَةَ الْبِيضَاءَ — ولما كَانَ الثَّلَجُ عَلَى الْأَرْضِ مِمَّا نِلًا لَذًا وَمَشَابَهًا لَهُ
اسْتَنْبَطْتُ أَنَا لَهُ هَذَا الْمَعْنَى الْمُخْتَرَعُ ، فِجَاءَ كَمَا تَرَاهُ ، وهو من اللعاني التي يَدُلُّ عَلَيْهَا
شَاهِدُ الْحَالِ .

* * *

وأحسن من هذا كله ما كتبتَه في فصل من كتاب الى ديوان الخلافة
بيغداد ، فقلت :

« وَدَوَّلَتُهُ هِيَ الضَّاحِكَةُ ، وَإِنْ كَانَ نَسَبُهَا إِلَى الْعَبَّاسِ ، وَهِيَ خَيْرُ دَوْلَةٍ
أُخْرِجَتْ لِلزَّمَنِ ، كَمَا أَنَّ رَعَايَاهَا خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، وَلَمْ يُجْعَلْ شَعَارُهَا
مِنْ لَوْنِ الشَّبَابِ إِلَّا تَفَاوُلًا بِأَنَّهَا لَا تَهَرَمُ ، وَأَنَّهَا لَا تَزَالُ مُحَبُّوَّةً مِنْ أَبْكَارِ
السَّعَادَةِ بِالْحُبِّ الَّذِي لَا يُسَلَّى وَالْوَصْلِ الَّذِي لَا يُصَرَّمُ ، وَهَذَا مَعْنَى اسْتَنْبَاطِهِ
الْخِدَامُ لِلدَّوْلَةِ وَشَعَارِهَا ، وَهُوَ مِمَّا لَمْ تَخْطُ بِهِ الْأَقْلَامُ فِي خَطِّهَا ، وَلَا أَجَالَتْهُ
الْخَوَاطِرُ فِي أَفْكَارِهَا » .

وغرابة هذا المعنى ظاهرة ، ولم يأت بها أحد قبلى .

* * *

وبلغنى من المعانى المخترعة أن عبد الملك بن مروان بنى باباً من أبواب المسجد الأقصى بالبيت المقدس ، وبنى الحجاج باباً إلى جانبه ، فجاءت صاعقة فأحرقت الباب الذى بناه عبد الملك ، فتطير لذلك : وشق عليه ، فبلغ ذلك الحجاج ، فكتب إليه كتاباً : « بلغنى كذا وكذا ، فليهن أمير المؤمنين أن الله تقبل منه ، وما مثلى ومثله إلا كابنى آدم إذ قرّبنا قرباناً فتقبل من أحدهما ، ولم يتقبل من الآخر » فلما وقف عبد الملك على كتابه سرى عنه .

وهذا معنى غريب استخرجه الحجاج من القرآن الكريم ، وهو من المعانى المناسبة لما ذكرت فيه ، ويكفى الحجاج من فطنة الفكرة أن يكون عنده استعداد لاستخراج مثل ذلك .

* * *

وأما المعانى التى تستخرج من غير شاهد حال متصورة فإنها أصعب منالاً مما يستخرج بشاهد الحال ، ولأمر ما كان لأبكارها سرّاً لا يهجم على مكانه ، إلا جنان الشهم ، ولا يفوز بمحاسنه إلا من دق فهمه حتى جلّ عن دقة الفهم ، وللهجوم على عذارى الحمية بحجب البواتر أيسر من الهجوم على عذارى المعانى الحمية بحجب الخواطر ، وما ذلك مما يليق به إليك الأستاذ وليس يقوم به إلا الفذ ، ولا أقول الأفذاذ ، وأين الذى ينشئ فيحسن فيها الأنشاء ، ويبرز فيها صوراً يركبها كيف يشاء ؟

ومن نظر إلى هذا الموضع حق النظر ، وأخذ فيه بالعين دون الأثر علم

أنه مقام يزلق بمعارف الأفهام ، فكيف بمواقف الأقدام ، وليست المعاني فيه
إلا كالأرواح ، ولا الألفاظ إلا كالأجسام ، فمن شاء أن يخلق خلقاً من
الكلام ، فليأت به على صورة الأناسي لا على صورة الأنعام ، فإن من
القول الغانية التي هي أحسن من الغانية ، ومنه البهيمية التي لا تشبه إلا
بالسانية (١) .

فَمَا جَاءَ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :

شَرَابُكَ فِي التَّرَابِ إِذَا عَطِشْنَا وَخُبْرُكَ عِنْدَ مُنْقَطِعِ التَّرَابِ
وَمَا رَوْحَتَنَا لِقَدْ بَعَثْنَا وَلَكِنْ خِفَتِ مَرْزُومَةُ الذَّبَابِ (٢)

فالبيت الثاني من هذين البيتين هو المشار إليه بأنه معني مبتدع .

ويحكى عن الرشيد هارون — رحمه الله — أنه قال : لم يُهَجَّ بِإِدٍ وَلَا
حَاضِرٍ بِمَثَلِ هَذَا الْهَجَاءِ ! .

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ (٣) :

(١) من معاني السانية الناقة يسقى عليها ، وسنت تسنو سقت الأرض ؛
وسنت النار علا ضؤوها .

(٢) حكى الجاحظ أن الرشيد قال : لا أعرف لمحدث أهجى من
قول أبي نواس :

وما روحتنا لتذب عنا ولكن خفت مرزومة الذناب
شرابك في السحاب إذا عطشنا وخبرك عند منقطع التراب
وكيف تنال مكرومة ومجداً وخبرك محرز عند الغياب
وإبطك قابض الأرواح يرمى بسهم الموت من تحت الثياب
وانظر ديوان أبي نواس ١٤ .

(٣) من قصيدة له يمدح فيها يزيد بن يزيد الشيباني ، ومطلعها :
أجردت جبل خليع في الهوى غزل وشمرت همم العذال في العذل

تَنَالُ بِالرَّقْصِ مَا تَعْنِي الرِّجَالُ بِهِ كَأَلَمُوتٍ مُسْتَعِجِلًا يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ
وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ :

تَسْكُلُ سَاكِنَ الدُّنْيَا مُحَيَّدٌ فَقَدْ أَضْحَتْ لَهُ الدُّنْيَا عِيَالًا
كَأَنَّ أَبَاهُ آدَمَ كَانَ أَوْصَى إِلَيْهِ أَنْ يَعْمُوهُمْ فَعَمَلًا
وهذا معنى دَنْدَنَ (١) حوله الشعراء ، وفاز على بن جبلة بالإفصاح عنه .

وقد قيل : إِنْ أَبَاتَمَامُ أَكْثَرُ الشُّعْرَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ ابْتِدَاءً لِهَمَانِي ، وَقَدْ
عُدَّتْ مَعَانِيهِ الْمُبْتَدَعَةُ ، فَوُجِدَتْ مَا يَزِيدُ عَلَى عَشْرِينَ مَعْنَى .

وَأَهْلُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ يُكَبِّرُونَ ذَلِكَ ، وَمَا هَذَا مِنْ مِثْلِ أَبِي تَمَّامٍ بِكَبِيرٍ ،
فَإِنِّي أَنَا عُدْتُ مَعَانِيَ الْمُبْتَدَعَةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي مَكَاتِبَاتِي ، فَوُجِدْتُهَا أَكْثَرَ
مِنْ هَذِهِ الْعِدَّةِ ، وَهِيَ مِمَّا لَا أَنَا زَعُ فِيهِ ، وَلَا أَدْفَعُ عَنْهُ ! .

فَأَمَّا مَا وَرَدَ لِأَبِي تَمَّامٍ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ (٢) :

يَأْيُهَا الْمَلِكُ النَّفَاسِي بِرُؤْيَيْتِهِ وَجُودُهُ لِمُرَاعِي جُودِهِ كَتَبَ
لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصَصٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا
إِنَّ السَّمَاءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ

(١) أصل الدندننة صوت الذباب والزنابير ، ودندن صوت وطن ،
ودندن فلان نغم ولا يفهم منه كلام .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٢ من أبيات أربعة يعاتب بها أبادلف ، وقيل
عبد الله بن طاهر ، والبيتان اللذان قبلهما :

صبراً على المطل ما لم يتله الكذب فللخطوب إذا سامحتها عقب
على المقادير لوم إن منيت به من عاذل وعلى السعى والطلب

وكذلك قوله :

رَأَيْنَا الْجُودَ فِيكَ وَمَا عَرَضْنَا لِسَجْلِ مِنْهُ بَعْدُ وَلَا ذَنْوَبٍ
وَلَكِنْ دَارَةُ الْقَمَرِ اسْتَمْتَمَتْ فِدَانَةً نَا عَلَى مَطَرٍ قَرِيبٍ

وكذلك قوله في الهجاء^(١) :

وَأَنْتَ تُدِيرُ قُطْبَ رَحًا مَلِيًّا وَلَمْ تَرَ لِلرَّحَا الْعَلِيَاءِ قُطْبًا
تَرَى ظَفْرًا بِكُلِّ صِرَاعٍ قَرْنٍ إِذَا مَا كُنْتَ أَسْفَلَ مِنْهُ كَعْبًا^(٢)
وكذلك قوله^(٣) :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أُنَاحَ لَهَا لِسَانُ حَسُودٍ
لَوْلَا اشْتِمَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ
مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرَفٍ الْعُودِ

وكذلك قوله^(٤) :

لَا تَنْكُرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

(١) ديوان أبي تمام ٤٨٦ من قصيدة يهجو بها عتبة بن أبي
عاصم ، ومطلعها :

أَعْتَبَ أَجْبَنَ الثَّقَلَيْنِ عَتَبًا بَجْهَلِكِ صَرْتِ الْمَكْرُوهِ نَصَبًا
(٢) في الأصل :

تَرَى قَطْرَ بِكُلِّ صِرَاعٍ قَرْنٍ إِذَا مَا كُنْتَ أَسْفَلَ مِنْهُ جَنَبًا
والصواب عن الديوان .

(٣) ديوان أبي تمام ٨٥ من قصيدة يمدح فيها أبا عبد الله أحمد
ابن أبي دواد ، ويعتذر إليه ، ويستشفع بخالد بن يزيد ، ومطلعها :

أَرَأَيْتَ أَى سَوَالِفٍ وَخُدُودٍ عَنَتَ لَنَا بَيْنَ اللَّوَى وَبُرُودٍ
(٤) ديوانه ١٧٢ من قصيدة في مدح أحمد بن المعتصم ، ومطلعها :

مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ تَقْضِي ذِمَامَ الْأَرْبَعِ الْأَدْرَاسِ

فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَفْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ (١)
وكذلك قوله (٢) :

لَا تُنْكَرِي مَظَلَّ الْكَرِيمِ مِنَ الْغَيِّ
فَأَسْنِلُ حَرْبًا لِمَكَانِ الْعَالِي
وكذلك قوله في الشَّيْبِ (٣) :

شُعْلَةٌ فِي الْمَفَارِقِ اسْتَوْدَعْتَنِي فِي صَمِيمِ الْفُؤَادِ ثَكْلًا صَمِيمًا
تَسْتَشِيرُ الْهُمُومُ مَا أَكْتَنَ مِنْهَا صُعْدًا وَهِيَ تَسْتَشِيرُ الْهُمُومَا
فَالْيَتُ الثَّانِي مِنَ الْعَالِي الْخَتَرَةِ ، وَقَدْ تَفَقَّهَ فِيهِ فِعْلُهُ مَسْأَلَةٌ مِنْ مَسَائِلِ
الدَّوْرِ ، وَهَذَا مِنْ إِغْرَابِ أَبِي تَاهِرٍ الْمَعْرُوفِ .
وَهَذَا الْقَدْرُ كَافٍ مِنْ جِلَّةِ مَعَانِيهِ ، فَإِنَّا لَمْ نَسْتَطِيعْهَا هَاهُنَا .

* * *

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ (٤) :

(١) يشير بذلك إلى قول الله تعالى : « الله نور السموات والأرض
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » سورة النور . آية ٣٥ ، والمشكاة
هي الكوة في الجدار غير النافذة .
(٢) الديوان ٢٤٦ من قصيدة في مدح الحسن بن رجاء ، مطلعها :
يَكْفِي وَغَاكَ فَإِنِّي لَكَ قَالَ لَيْسَتْ هَوَادِي عَزَمَتِي بِتَوَالٍ
وَالْوَغَى الْحَرْبُ ، وَالْقَالَى الْمُبْغِضُ ، وَالْهَوَادِي الْأَوَائِلُ ،
وَالتَّوَالِي الْأَوَاخِرُ .

(٣) الديوان ٢٩١ من قصيدة في مدح أبي سعيد ، مطلعها :
إِنْ عَهْدًا لَوْ تَعْلَمَانِ ذَمِيمًا أَنْ تَنَامَا عَنْ لِيَأْتِيَ أَوْ تَنِيَا
(٤) ولد أبو الحسن علي بن العباس الرومي ببغداد ، وعاش فيها
متأثرا بمزاجه اليوناني وبالثقافة العربية كذلك ، فكان شعره صورة طريفة =

كُنْ أَمْرِي مَدْحَ أَمْرٍ لِنَوَالِهِ وَأَطَالَ فِيهِ فَقَدْ أَسَاءَ هِجَاءَهُ
لَوْ لَمْ يُقَدَّرْ فِيهِ بَعْدَ الْمُسْتَقَى عِنْدَ الْوُرُودِ لِمَا أَطَالَ رِشَاءَهُ
وكذلك قوله (١) :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصَّحَابِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ
وكذلك قوله (٢) :

لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا يَكُونُ بُكَاءُ الطُّفْلِ سَاعَةَ بُولَدِ
وَالَا فَمَا يُبْكِيهِ مِنْهَا وَإِنَّهَا لِأَوْسَعُ (٣) تَمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدُ
إِذَا أَبْصَرَ الدُّنْيَا لِلسَّهْلِ كَأَنَّهُ بِمَا هُوَ لَاقٍ (٤) مِنْ أَذَاهَا يُهْدَدُ
وكذلك قوله (٥) :

رَدَدْتَ عَلَى مَذْحِي بَعْدَ مَظَلٍّ وَقَدْ دَنْتَ مَلْبَسَهُ الْجَدِيدَا

= في الأدب العربي من حيث الابتكار والتنسيق المنطقي والاستقصاء ، في أسلوب جزل متين ، وقد أجاد فنون الشعر وخاصة الوصف . مات ابن الرومي سنة ٢٨٣ هـ ، والبيتان من أبيات أربعة ، وبعدهما :

غير فإني لا أطيل مدأحي إلا لأوفي من مدحت ثناءه
وأعد ظلما أن أقل مدحيه حمداً وأسخط أن أقل عطائه
(١) ديوان ابن الرومي ١٣٩ رواية الديوان « يحول » موضع « يكون »
في عجز البيت الثاني .

(٢) الديوان ٣٩٣ من قصيدة في مدح صاعد بن مخلد ، ومطلعها :
أبين ضلوعي حمرة تتوقد على ما مضى أم حسرة تتجدد
(٣) رواية الديوان « لأفسح »

(٤) رواية الديوان « بما سوف يلقي »

(٥) ديوان ابن الرومي ٣٧٠ من أبيات أربعة .

وَقُلْتُ : امدح به من شئت غزى وَمَنْ ذَا يَقْبَلُ المَدْحَ الرَّدِيدَا (١)
وَهَلْ لِلْحَىِّ فِي أَكْفَانٍ مَيِّتٍ لَبُوسٌ بَعْدَ مَا أَمْتَلَاتُ صَدِيدَا (٢)

وقد ورد لأبي الطيّب المُنْتَبِي مِنْ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ (٣) :

أَجْزَيْنِي إِذَا أَنْشِدْتَ مَدْحًا فَإِنَّمَا بِشَفَرِي أَتَاكَ الْعَادِحُونَ مُرَدًّا
وَدَغَ كُلُّ صَوْتٍ بَعْدَ (٤) صَوْتِي فَإِنِّي أَنَا الصَّامِعُ الْمَخْبِيُّ وَالْآخِرُ الصَّدَى
فالبيت الأول قد توارد على معناه الشعراء قديماً وحديثاً ، لكن البيت
الثاني — في التَّمْثِيلِ الذي مثله — ليس لأحدٍ إلّا له .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ (٥) :

يَهْجُرُ سَيُوفِكَ أَعْمَادَهَا تَمَنَّى الطَّلَى (٦) أَنْ تَكُونَ الْغُمُودَا
إِلَى إلهام تَصْدُرُ عَنْ مِثْلِهِ (٧) تَرَى صَدْرًا عَنْ وَرُودٍ وَرُودَا

(١) بعد هذا البيت بيت أغفله ابن الأثير ، وهو :

ولا سيما وقد أعبقت فيه مخازيك اللواتي لن تبيدا

(٢) رواية الديوان « وما للحى » موضع « وهل للحى » .

(٣) ديوان المتنبي ٢٩١/١ من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ،

ويهنئه بعيد الأضحى ، ومطلعها :

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

(٤) رواية الديوان « غير صوتي » .

(٥) ديوان المتنبي ٢٦٩/١ من قصيدة في مدح بدر بن عمار

الأسدي ، ومطلعها :

أحلمنا نرى أم زمانا جديدا أم الخلق في شخص حتى أعيدا

(٦) الطلى الأعناق ، والغمود جمع عمد وهو جفن السيف .

(٧) إلهام الرعوس . يقول : أبداً سيوفك تصدر عن هام إلى

هام أخرى .

وكذلك قوله في بدر بن عمار ، يُهْنِيهِ بِرُثَيْهِ مِنْ مَرَضٍ (١) :
 قَصِدْتُ مِنْ شَرْقِهَا وَمَغْرِبِهَا حَتَّى اشْتَكَيْتُكَ الرَّكْبُ وَالسُّبُلُ
 لَمْ تُبْقِ إِلَّا قَلِيلَ عَافِيَةٍ قَدْ وَفَدْتُ تَجْتَدِيكُمَا الْعِلَلُ
 وقد وقفتُ على ما شاء الله مِنْ أَشْعَارِ الْفُجُولِ مِنَ الشُّعْرَاءِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ،
 فَلَمْ أَجِدْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي ذِكْرِ الْعَرَضِ مَا يُعَدُّ مَعْنَى مُخْتَرَعًا ، لَا ، بَلْ لَمْ أَجِدْ
 مِنْ أَقْوَالِهِمْ شَيْئًا مَرْضِيًّا ، مَا عَدَا الْمُتَلَبِّي ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ الْمَرَضَ فِي عَدَّةِ مَوَاضِعَ
 مِنْ شِعْرِهِ ، فَأَجَادَ ، وَهَذَا الْبَيْتُ الثَّانِي مِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مَعْنَى مُخْتَرَعٌ لَهُ ،
 وَقَدْ أَحْسَنَ فِيهِ كُلَّ الْإِحْسَانِ .

ومما ابتدعه بإجماع قوله في مدح عضد الدولة في قصيدته النورية
 الَّتِي مَظْلُمُهَا :

* مَقَانِي الشُّعْبِ طِيْبًا فِي الْمَقَانِي (٢) *

فَقَالَ عِنْدَ ذِكْرِهِ :

(١) الديوان ٢١٧/٣ من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار وقد فصد
 لعاة ، ومطلعها :

أُبْعِدْ نَأَى الْمَلِيحَةِ الْبِخْلُ فِي الْبَعْدِ مَا لَا تَكْلِفُ الْإِبِلُ
 (٢) ديوان المتنبي ٢٥١/٤ ، وعجز البيت : * بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ
 الزَّمَانِ * .

وهو مطلع قصيدة يمدح فيها عضد الدولة وولديه أبا الفوارس
 وأبا دلف ، ويذكر طريقة بشعب بوان ، والمغانى : جمع مغنى ، وهو
 المكان الذى فيه أهله ، والشعب : هو شعب بوان ، وهو موضع كثير
 الشجر والمياه ، يعد من جنان الدنيا ، كنهز الإليلة ، وسغد سمرقند ،
 وخطه دمشق . وشعب بوان بأرض فارس بين أرجان والنوبندجان .

فَعَاشًا عِيشَةَ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا بَصُورَهُمَا وَلَا يَتَحَادَدَانِ (١)
وَلَا مَلَكًا سِوَى مُلْكِ الْأَعَادِي وَلَا وَرثًا سِوَى مَنْ يَقْتُلَانِ (٢)
وَكَانَ ابْنًا عَدُوًّا كَأَنَّهُ لَهُ يَأْيُ حُرُوفٍ أَنْيَسِيَانِ (٣)

أى : جعل الله ابني عدو كَأَنَّهُ كَأَنَّهُ — يعنى ابني عضد الدولة — كياءى
حروفٍ تَصْغِيرِ « إنسان » ، فَإِنَّ ذَلِكَ زِيَادَةٌ ، وَهُوَ نَقْصٌ فِي الْمَقْدَارِ .

إِلَّا أَنْ سَبَكَ هَذَا الْبَيْتَ قَدْ شَوَّهَهُ ، وَأَذْهَبَ طَلَاوَةَ الْمَعْنَى الْمُنْدَرَجِ تَحْتَهُ .
وَمِنْ مَعَانِيهِ الْمُبْتَدَعَةُ قَوْلُهُ (٤) :

فَإِنْ تَفَقَّى الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ
وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ (٥) :

صَدَمَتْهُمْ بِخَمِيسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ وَسَمَّهَرِيَّتُهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمٌ (٦)

(١) يدعوا لهما بالبقاء الدائم بقاء الشمس والقمر ، ينتفع الناس
ببصورتهم ، ولا يكون بينهما تحاسد ولا اختلاف .

(٢) هذا دعاء لأبيهما بطول الحياة ، بقول : لا ملكا ملكك ، بل
ملك الأعادى ، ولا ورثاك ، إنما يرثان من يقتلانه من الأعادى .

(٣) يقول . عدوك الذى له ولدان وكاثر بهما ، كياءين زائدين
فى « أنيسيان » لأنه إذا كان مكبرا كان خمسة أحرف ، فإذا صغر زيد
فيه ياءان فى عدده ، ونقص فى معناه وفخره ، فهما زائدتان فى نقصه .

(٤) الديوان ٢٠/٣ من قصيدة فى رثاء والدة سيف الدولة ، ومطلعها :
نعد المشرفية والعوالى وتقتلنا المنون بلا قتال

(٥) الديوان ٢٣/٤ من قصيدة فى مدح سيف الدولة ، ومطلعها :
عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيديك فى إقدامك القسم

(٦) الخميس : الجيش ، والغرة : الوجه ، والسهمرية : الرماح ، والغمم :
كثرة الشعر وإسباله على الوجه .

فَكَانَ أَثْبَتَ مَا فِيهِمْ جُسُومُهُمْ يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ وَالْأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ
وَهَذَا مِنْ أَعَجِيبِ أَبِي الطَّيِّبِ الَّتِي بَرَزَ فِيهَا عَلَى الشُّعْرَاءِ .

* * *

ومن الإحسان في هذا الباب قولُ بعضهم :
وَقَدْ أَشَقَّ الْحِجَابَ الصَّعْبَ مَأْرَبُهُ دُونِي وَآبَى وَلُوجًا فِيهِ إِنْ طُرِقَا
كَالطَّيْفِ يَأْبَى دُخُولَ الْجَنِّ مُنْفَتِحًا وَلَيْسَ يَدْخُلُهُ إِلَّا إِذَا انْطَبَقَا
ورأيتُ ابنَ خَمْدُونِ البَغْدَادِي^(١) صاحبَ كتابِ « التذكرة » قد أوردَ
هذين البيتين في كتابه ، وقال : قد أغربَ هذا الشاعر ، وَلَكِنَّهُ خَطَأً ، وَجَرَى
عَلَى عَادَةِ الشُّعْرَاءِ ، لِأَنَّ الطَّيْفَ لَا يَدْخُلُ الْجَنِّ ، وَإِنَّمَا يُتَخَيَّلُ إِلَى النَّفْسِ .
وهذا كلامٌ مَنْ لَمْ يَطْعَمْ مِنْ شَجَرَةِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ . وليسَ مثله عندي
إِلَّا كَمَا يُحْكِي عَنْ مَلِكِ الرُّومِ إِذْ أَنْشَدَ عِنْدَهُ بَيْتُ الْمُتَذَبُّبِي الَّذِي هُوَ :
كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ قَوْقَ جَفْنِي مُنَاخَاتٍ ، فَلَمَّا تُرِنَ سَالَا^(٢)

(١) هو محمد بن الحسن محمد بن علي بن حمدون ، من بيت
فصل ورياسة ، وكان ذا معرفة بالأدب والكتابة ، سمع وروى ،
وصنف كتاب « التذكرة » في الأدب والنوادر والتواريخ ، وهو كتاب
كبير يدخل في اثني عشر مجلدا ، اختص بالمستنجد ، يجتمع به
ويناديه ، وولاه ديوان الزمام ، توفي محبوساً سنة اثنتين
وستين وخمسمائة .

(٢) ديوان المتنبي ٣ / ٢٢٢ من قصيدة له في مدح بدر بن عمار ومطلعها :
بقائى شاء ليس هم ارتحالا وحسن الصبر زمو لا الجمالا
ومعنى البيت : كنت لا أبكى قبل فراقهم ، فكأن إبلهم ببروكها
كانت تمسك بكائى ودمعى عن السيل ، فلما أثاروها الرحيل سالت
دمعى ، فكأنها كانت مناخة فوق جفنى .

فسأل عن المعنى ، ففسّر له ، فقال : ما سمعتُ بأَكْذَبَ من هذا الشاعر ،
أَرَأَيْتَ مَنْ أَنَاخَ الْجَمَلَ عَلَى عَيْنَيْهِ لَا يَهْلِكُهُ ؟

وَمِنْ مُحَاسِنِ هَذَا الْقِسْمِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :
تَخَيَّرَ اللَّهُ مِنْ آدَمَ فَمَا زَالَ مُفْجَدِرًا يَرْتَقِي
وكذلك قول الآخر :

بِأَيِّ غَزَالٍ غَازَلْتَهُ مُقَلَّتِي بَيْنَ الْغُورِ وَبَيْنَ سَطَى بَارِقِ (١)
عَاطِيَتُهُ وَاللَّيْلُ يَسْحَبُ ذَيْلُهُ صَهْبَاءُ كَالْمَسْكِ الْفَتِيْقِ لِنَاشِقِ (٢)
وَضَمَمْتُهُ ضَمَّ الْكَعْبِيِّ لِسَيْفِهِ وَذُؤَابَتَاهُ حَمَائِلٌ فِي عَاتِقِي
حَتَّى إِذَا مَاتَ بِهِ سَنَةُ الْكَرَى زَحَزَحْتُهُ شَيْنًا وَكَانَ مُعَانِقِي
أَبْعَدْتُهُ عَنِّ أَضْلَعُ تَشْتَاقُهُ كَيْ لَا يَنَامَ عَلَى وَسَادٍ خَافِقِ

وهذا من الحُسن والملاحاةِ بِالْمَكَانِ الْأَقْصَى ، ولقد خَفَّتْ مَعَانِيهِ عَلَى
الْقُلُوبِ ، حَتَّى كَادَتْ تَرْقُصُ رَقْصًا .

وَالْبَيْتُ الْأَخِيرُ مِنْهُ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِالْإِبْدَاعِ ، وَبِهِ وَبِأَمْثَالِهِ أَقْرَبَتِ الْأَبْصَارُ
بِفَضْلِ الْأَنْتِمَاعِ !

(١) الْغُورُ مَوَاضِعٌ ، مِنْهَا مَاءٌ لِكَلْبٍ بِالسَّمَاوَةِ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ ،
وَمَاءٌ بَيْنَ الْعَقْبَةِ وَالْقَاعِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، وَمَوْضِعٌ عَلَى الْفِرَاتِ . وَبَارِقٌ
مَاءٌ بِالْعِرَاقِ ، وَهُوَ الْحُدُّ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَهِيَ مِنْ
أَعْمَالِ الْكُوفَةِ .

(٢) فَتَقِ الْمَسْكَ بِغَيْرِهِ اسْتَخْرَاجَ رَائِحَتِهِ بِشَيْءٍ تَدْخُلُهُ فِيهِ .

وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُ بَعْضِ الْمَصْرِِّيِّينَ — يَهْجُو إِنْسَانًا يَقَالُ لَهُ
«ابْنُ طَلِيلٍ» احْتَرَقَتْ دَارُهُ :

انْظُرْ إِلَى الْأَيَّامِ كَيْفَ تَسُوقُنَا طَوْعًا إِلَى الْإِقْرَارِ بِالْأَقْدَارِ
مَاؤَقَدَ ابْنُ طَلِيلٍ قَطُّ بِدَارِهِ نَارًا ، وَكَانَ هَلَاكُهَا بِالنَّارِ
وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ ابْنِ قَلَاقِسٍ ^(١) ، مِنْ شعراء مصر :

زِدْ رِفْعَةً إِنْ قِيلَ أَنْفَضَ ^(٢) وَانْخَضَ إِنْ قِيلَ أَثْرَى
كَالْمُفْضَى يَدْنُو مَا اكْتَسَى ثَمَرًا ، وَيَبْنَى مَا تَعَرَّى
وَهَذَا مِنَ الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ .

* * *

وَمِنْ هَذَا الْأَسْلُوبِ قَوْلُ الشَّاعِرِ الْمَعْرُوفِ بِالْحَافِظِ فِي تَشْبِيهِ الْبَهَارِ ^(٣) وَهُوَ :

عَيُونُ تَبْرِ كَأَنَّمَا سَرَقَتْ سَوَادَ أَحْدَاقِهَا مِنَ الْفَسَقِ
فَإِنْ دَجَا لَيْلُهَا بِظُلْمَتِهِ ضُمِّنَ مِنْ خَوْفِهَا عَلَى السَّرِقِ
وَهَذَا تَشْبِيهٌُ بَدِيعٌ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، وَهُوَ مِنَ اللَّطَافَةِ عَلَى مَا لَا خَفَاءَ بِهِ .

(١) ابْنُ قَلَاقِسٍ : هُوَ أَبُو الْفَتْوحِ نَصْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَلَاقِسِ
الْإِسْكَندَرِي ، رَحَلَ إِلَى الْيَمَنِ . وَمَدَحَ بَعْضَ رَجَالِهَا ، وَعَادَ بَثْرُوهَ ،
فَانْكَسَرَ الْمَرْكَبُ ، فَغَرِقَ مَا كَانَ مَعَهُ بِالْقَرَبِ مِنْ دِهْلِكَ ، فَعَادَ إِلَى الْيَمَنِ .
ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى صَقْلِيَّةَ ، ثُمَّ تَوَفَّى بِعَيْذُبَ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ مِنْ
بِلَادِ مِصْرَ سَنَةِ ٥٦٧ هـ .

(٢) أَنْفَضَ إِذَا تَحَرَّكَ وَاضْطَرَبَ ، وَأَنْغَضَ رَأْسَهُ حَرَكَةً كَالْمُتَعَجِّبِ
مِنْ شَيْءٍ .

(٣) الْبَهَارُ بِالْفَتْحِ الْعَرَارُ الَّذِي يَقَالُ لَهُ عَيْنُ الْبَقْرِ ، وَهُوَ بَهَارُ الْبَرِّ ،
وَهُوَ نَبْتٌ جَعْدٌ لَهُ فِقَاحَةٌ صَفْرَاءُ تَنْبُتُ أَيَّامَ الرَّبِيعِ ، يَقَالُ لَهَا الْعَرَارَةُ ،

وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ قَوْلُ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا :
 لَا تَضَعْ مِنْ عَظِيمٍ قَدْرًا وَإِنْ كُنْتَ مُشَارًّا إِلَيْهِ بِالْعَظِيمِ
 فَالشَّرِيفُ الْعَظِيمُ يَنْقُصُ قَدْرًا بِالتَّعَدِّي عَلَى الشَّرِيفِ الْعَظِيمِ
 وَلَعُ الْخَمْرِ بِالْعُقُولِ رَمَى الْخَمْرَ بِتَنْجِيْسِهَا وَبِالتَّخْرِيمِ
 وَمِنْ غَرِيبٍ مَا سَمِعْتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ الْمَغَارِبَةِ
 يَزْنِي قَتِيلًا :

غَدَرْتُ بِهِ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ بَعْدَ مَا قَدْ كُنَّ طُوعَ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ
 فَلَيْحَذِرِ الْبَدْرُ الْأَمْنِيرُ نَجْوَاهُ إِذْ بَانَ غَدْرُ مِثَالِهَا بِمِثَالِهِ

وَكَذَلِكَ جَاءَ وَصْفُ بَعْضِ الْمَغَاوِيَةِ فِي الْخَمْرِ وَكَاسَاتِهَا :
 ثَقَلَتْ زُجَاجَاتُ أَتْنَسَا فُرْغًا حَتَّى إِذَا مُلِئَتْ بِصَرْفِ الرَّاحِ
 خَفَّتْ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ بِمَا حَوَتْ وَكَذَا الْجَسُومُ تَخِفُّ بِالْأُرُوجِ
 وَهَذَا مَعْنَى مُبْتَدِعٍ ، أَشْهَدُ أَنَّهُ يَفْعَلُ بِالْعُقُولِ فَعَلَ الْخَمْرَ سَكْرًا ، وَبِرَقِّ
 كَارَقَتْ لُطْفًا ، وَيَفُوحُ كَمَا فَاحَتْ نَشْرًا .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ ابْنِ حَمْدٍ يَسِ الصَّقَلَى :
 يَا سَالِبًا قَمَرَ السَّمَاءِ جَمَالَهُ أَلْبَسْتَنِي لِلْحُزْنِ ثَوْبَ سَمَائِهِ
 أَضْرَمْتَ قَلْبِي فَارْتَمَيْ بِشَرَارَةِ وَقَعْتَ بِخَدِّكَ قَانَطَفَتْ مِنْ مَائِهِ
 وَهَذَا الْمَعْنَى دَقِيقٌ جَدًّا .

وَقَدْ سَمِعْتُ فِي الْخِلَالِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَسْمَعَ فَلَمْ أَجِدْ مِثْلَ هَذَا !!

وقد جاءني في الكلام المنشور من هذا الضرب شيء ، وسأذكرها
ها هنا منه نبذة .

فمن ذلك ما ذكرته في وصف صورة مليحة فقلت :
« ألبس من الحسن أنظر لباس ، وخلق من طينة غير طينة الناس ،
وكما زاد حسناً فكذلك ازداد طيباً ، وانتفت فيه الأهواء حتى صار إلى كل
قلب حبيباً ، فلو صافح الورد لتعطرت أوراقه ، أو مر على النيلوفر ^(١) لنبأ
لتفتحت أحداقه » .

والمعنى الغريب ها هنا أن الشمس إذا طلعت على النيلوفر تفتح أوراقه ،
وإذا غربت عنه انضمت .

ثم إنني سمعت هذا في شعر الفرس لبعض شعرائهم ، فحصل عندي منه
تعجب .

* * *

ومن ذلك ما ذكرته في ذم الشيب فقلت :
« الشيب إعدام للإيسار ، وظلام للأنوار ، وهو الموت الأول الذي
يُصلي ناراً من الهم أشد وقوداً من النار ، ولئن قل قوم إنه جلالة فإنهم
دقوا به وما جأوا ، وأفتوا في وصفه بغير علم فضلوا وأضلوا ، وما أراه إلا
محراثاً للعمر ، ولم تدخل آلة الحرث دار قوم إلا ذلوا . ومن عجيب شأنه
أنه المملول الذي يشفق من بعده ، والخلق الذي يكره نزاع برده ، ولما
فقد الشباب كان عنه عوضاً ، ولا عوض عنه في فقده » .

(١) النيلوفر ، ويقال النيلوفر ، ضرب من الرياحين ، ينبت في
المياه الراكدة (انظر القاموس ١٤٧/٢)

والمعنى المخترعُ ما هنا في قولِي : « وَمَا أَرَاهُ إِلَّا مُحَرَّاتًا لِلْعَمْرِ ، ولم تدخل
آلةُ الحرثِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا ذُلُّوا » .

وهو مُسْتَنْبَطٌ من الحديثِ النبويِّ ، وذلكَ أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم
رَأَى آلَةَ حَرْثٍ ، فقال : « مَا دَخَلَتْ هَذِهِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا ذُلُّوا » فأخذتُ أنا
هذا ونقلتهُ إلى الشَّيْبِ ، فجاء كما تراهُ في أعلى درجاتِ الحُسْنِ ، وذلكَ لما بينه
وبين الشَّيْبِ من المناسبةِ الشَّبيهِ ، لأنَّ الشَّيْبَ يَفْعَلُ في البدنِ ما يَفْعَلُهُ
الحراثُ في الأرضِ ، وإذا نَزَلَ بالإنسانِ أحدثَ عنده ذُلًّا .

* * *

ومن هذا الباب ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض الناس أعبت
به ، فقلت :

« وَإِذَا كَتَبْتُ مِثَالَيْهِ^(١) فِي كِتَابِ اجْتِمَعَ عَلَيْهِ بَنَاتُ وَرْدَانَ^(٢)
وَحَرُمٌ عَلَى أَنْ أبدأ فِيهِ بِالْبَسْمَلَةِ ، لَأَنَّهُمَا مِنَ الْقُرْآنِ » .
وهذا معنى لطيفٌ في غايةِ اللطافة ، وهو مُخْتَرَعٌ لِي .

* * *

وكذلك كتبت الى بعض الناس كتابا من هذا الجنس أهزل معه فقلت
في فصل منه ما أذكره ، وهو :

« يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْكُرَنِي عَلَى وَسْمِهِ بِرِجَائِي دُونَ امْتِدَاحِي ، فَإِنِّي لَمْ
أَسْمُهُ إِلَّا لِتَحْرُمَ بِهِ الْأُضْحِيَّةُ فِي يَوْمِ الْأَضَاحِي ، وَلَا شَكَّ أَنَّ سَيِّدَنَا مَعْدُودٌ
فِي جُمْلَةِ الْأَنْعَامِ ، غَيْرَ أَنَّهُ مِنْ ذَوَاتِ الْقُرُونِ ، وَالْقُرْنُ عَدُوُّهُ عِنْدَ الْخِصَامِ » -
وهذا معنى ابتدعتهُ ابتداءً ، ولم أسمعهُ لأحد من قبلي .

(١) جمع مثلية وهي العيب والمنقصة ، جمعها مثالب . يقال : ثلبيه
يثلبه لأمه وعابه .

(٢) بنات وردان دوبيات تلزم الكنف كالجعل والصراصير .

ومن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب يتضمن هزيمة الكفار ، وذلك فضل
منه ، فقلت :

« وكانت الوقعة يوم الأحد مُنتصف شهر كذا وكذا ، وهذا هو
اليوم الذي تخيره الكفار من أيام الأسبوع ، ونصبوه موسماً لشرع كفرهم
المشروع ، فحصل ارتياحهم به إذ تضمن للإسلام مزيداً ، وقالوا : هذا يوم
قد أسلم ، فلا نجعله لنا عيداً ، وقد أفصح لهم لسانه لو كانوا يعلمون ، بأن
الذين عند الله هو الإسلام وأن أوليائه هم المسلمون . »
وهذا معنى انفردتُ بابتداعه ، ولم يأت به أحدٌ بمن تقدمني .

* * *

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب ، الى ديوان الخلافة ببغداد ،
وهو في وصف القلم : فقلت :

« وقلمُ الديوانِ العزيز هو الذي يَخْفِضُ ويرفع ، ويُعْطَى ويمنع ، وهو
المطاعُ ، لجَدْعِ أنفه وسوادِ لباسه ، وقد وَرَدَ الأمرُ بطاعةِ الحبشيِّ
الأجدع ، ومن أحسن صفاته أن شِعَارَهُ مِنْ شِعَارِ مَوْلَاهُ ، فهو يخلعُ على
عبيده مِنَ الكرامةِ ما يخلعُ . »

في هذه الأوصاف معانٍ حسنة لطيفة ، ومنها معنى غريب لم أَسْبَقُ إليه ،
وهو قولي « إِنَّهُ المطاع لجَدْعِ أنفه وسوادِ لباسه ، وقد ورد الأمرُ بطاعةِ
الحبشيِّ الأجدع » فَإِنَّ هذا مما ابتكرته .

وهو مستخرجٌ من الحديث النبوي في ذكرِ الطاعة والجماعة ، فقال صَلَّى
اللهُ عليه وسلَّم : « أَطِيعُوا وَلَوْ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا مَا أَقَامَ عَلَيْكَ كِتَابَ اللهِ »
فاستخرجتُ أنا للقلم معنى من ذلك ، وهو أَنَّ القلمَ يَجْدَعُ ويُقَمِّصُ لِبَاسَ
السَّوَادِ فَصَارَ حَبَشِيًّا أَجْدَع .

وهذا كما فعل أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في قصيدته السَّيِّئَةِ (١) ،
فإنَّه استخرج المعنى المخترع من القرآن الكريم ، وأنا استخرجتُ المعنى من
الخبر النبوي كما أريتُك .

وهذا المعنى المشار إليه في وصفِ القلم أوردته بعبارة أخرى على وجه
آخر ، ونهتُ عليه في كتاب « الوشئ المرقوم في حلِّ المنظوم » وهذا كتاب
ألفتُه في صناعة حلِّ الشعر وغيره .

* * *

وبعدَ هذا فسأقولُ لك في هذا الموضع قولاً لم يقله أحدٌ غيري ،
وهو أن المعاني المبتدعة شبيهة بمسائل الحساب المجهول من الجبر والمقابلة ،
فكما أنك إذا وردت عليك مسألة من المجهولات تأخذها ، وتقلبها ظهراً
لبطن ، وتنظرُ إلى أوائلها وأواخرها ، وتعتبرُ أطرافها وأوساطها ، وعند ذلك
تخرجُ بك الفكرة إلى معلوم ، فكذلك إذا وردَ عليك معنى من المعاني
ينبغي لك أن تنظرَ فيه كنظرك في المجهولات الحسابية .

إلا أن هذا لا يقع في كلِّ معنى ، فإنَّ أكثر المعاني قد طُرِقَ وسُبِقَ
إليه ، والإبداع إنما يقع في معنى غريب لم يطرق ، ولا يكون ذلك إلا في
أمر غريب لم يأت مثله ، وحينئذ إذا كُتِبَ فيه كتاب ، أو نظم فيه شعر
فإنَّ الكاتب والشاعر يعثران على مظنة الإبداع فيه .

(١) يشير إلى قوله :

لا تنكروا ضربى له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس
فإنَّه قد ضرب المقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس
وقد سبق الاستشهاد به في معرض الكلام عن معانيه المبتدعة .

وقد لَابَسْتُ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ . وسأوردُ هَاهُنَا مَا يُحَدِّثُ
حَدُوثَهُ لِمَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا .

ومن ذلك ما كتبتَه عَنْ نَفْسِي إِلَى بَعْضِ مُلُوكِ الشَّامِ وَأَهْلِيهِتِ إِلَيْهِ
رُطْبًا ، وَهُوَ :

« خَلَدَ اللَّهُ دَوْلَةَ مَوْلَانَا ، وَعَمَّرَ لَهَا مَجْدًا وَجَنَانًا ، وَخَوَّلَهَا السَّمَادَةَ عَطَاءً
حِسَابًا ، وَأَنْشَأَ اللَّيَالِي نَحْلِدُمِهَا عُزْبًا أَنْزَابًا ^(١) ، وَأَبْقَى شَيْبَتَهَا بَقَاءً
لَا يَسْتَحْدِثُ مَعَهُ خِضَابًا ، وَلَا جَعَلَ لَهَا فِي مُحَاسِنِ الدُّوَلِ السَّابِقَةِ أَشْبَاهًا
وَلَا أَضْرَابًا ، وَأَتَقَى الْيَأْسَ بَيْنَ أَعْدَائِهَا وَحُسَادِهَا ، حَتَّى يَبْقَثَ لَهَا فِي الْأَرْضِ
غُرَابًا .

« إِذَا أَرَادَ الْعَبِيدُ أَنْ يُهْدُوا لِمَوَالِيهِمْ قَصَّرتْ بِهِمْ يَدُ وَجْدِهِمْ ، وَعَلِمُوا أَنَّ
كُلَّ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ عِنْدِهِمْ ، لَكِنْ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُسْتَظَرَّةِ مَا يُهْدَى وَإِنْ كَانَ قَدْرُهُ
خَفِيفًا ، وَلَوْلا اخْتِلَافُ الْبِلَادِ فَمَا يَوْجَدُ بِهَا لِمَا كَانَ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ طَرِيفًا .
« وَقَدْ أَهْدَى الْمُلُوكُ مِنَ الرُّطْبِ مَا يَتَجَلَّى فِي صِفَةِ الْوَارِسِ ، وَيُزْهِى
بِحُسْنِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَدْئَسْ بِيَدٍ لَأَمَسَ ، وَمَا سُمِّيَ رُطْبًا إِلَّا لِاشْتِمَاقِهِ مِنَ الرُّطْبِ
الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْيَاسِ .

« وَقَدْ أَتَنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثَنَاءً جَمًّا ، وَفَضَّلَ شَجَرَتَهُ
عَلَى الشَّجَرِ بِأَنْ سَمَّاهَا أُمًّا ، وَلِئِنْ عَدِمَ عَرَفًا لَذِيذًا فَإِنَّهُ لَمْ يَعْدَمْ مَنْظَرًا لَذِيذًا

(١) العرب جمع العروب من النساء بوزن العروس ، وهى المتعجبة
إلى زوجها ، والأتراب جمع ترب بكسر التاء اللدة والسن ومن ولد
معك ، اقتباس من قول الله تعالى : « إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ
أَبْكَارًا * عَرَبًا أَنْزَابًا * لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ »
سورة الواقعة : الآيات ٣٥ - ٣٨ .

وَلَا طَعْمًا ، وَلَهُ أَوْصَافٌ أُخْرَى هِيَ لِفَضْلِهِ بِمَنْزِلَةِ الشُّهُودِ ، فَفِيهَا أَنَّهُ أَوَّلُ غِذَاءٍ يُفْطِرُ عَلَيْهِ الصَّائِمُ ، وَأَوَّلُ غِذَاءٍ يَدْخُلُ بطنَ الْمُؤَلَّدِ .

« وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ مَعْدُودٌ مِنَ الْحُلُوءِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ ذَوَاتِ الْغِرَاسِ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا سِوَى أَنَّهُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَتِلْكَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ .

« وَإِذَا أَنْصَفَ وَاصِصْفُهُ قَالَ : مَا مِنْ ثَمَرَةٍ إِلَّا وَهِيَ عَنْهُ قَاصِرَةٌ ، وَلَوْ تَفَاخَرَتِ الْبِلَادُ بِمَحَاسِنِ ثَمَارِهَا لَقَامَتْ أَرْضُ الْعِرَاقِ بِهِ قَاخِرَةٌ .

« وَهَذَا قَدْ سَارَ إِلَى بَابِ مَوْلَانَا وَهُوَ يَجْنِي الْمَنَابِتَ سَارًا إِلَى يَجْنِي الْكَرْمَ ، وَمَلِكٌ الْفَاكِهَةِ وَقَدْ عَلَى مَلِكِ الشَّيْمِ .

« وَلَمَّا اسْتَقَلَّتْ بِهِ الطَّرِيقُ أَنْشَأَ الْحَسَدَ لغيرِهِ مِنَ الْفَوَاكِهِ أَرْبَا ، وَمَا مِنْهَا إِلَّا مَنْ قَالَ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ رُطْبًا .

« وَإِنْ كَانَ مِنَ الثَّمَرَاتِ الَّتِي تَخْتَلِفُ فِي الصُّوَرِ وَالْأَسْمَاءِ ، وَيُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَيُسْقَى بِشَرَابٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمَاءِ ، فَكَذَلِكَ تِلْكَ الشَّيْمُ الْعَرِيقَةُ تَتَّحِدُ فِي عُصْرِهَا وَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ الْوَتِيرَةِ ، وَمَنْ أَفْضَلُهَا شَيْمَةُ السَّمَاجِ الَّتِي تَقْبَلُ الْقَلِيلَ مِنْ عَبِيدِهَا ، وَتَسْمَحُ لَهُمْ بِالْعَطَايَا الْكَثِيرَةِ ، وَقَدْ ضَرَبَ لَهَا الْمَمْلُوكُ مِثَالًا ، فَقَالَ : هِيَ كَجَنَّةِ بَرَبُوتٍ ^(١) ، بَلْ ضَرَبَ لَهَا مَا ضَرَبَ الْمَثَلِ النَّبَوِيُّ ، وَهِيَ نَخْلَةٌ بِكَرْبُوتٍ ^(٢) .

« وَلَا يَخْتَمِ كِتَابُهُ بِأَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي طَابَ سَمْعًا ، وَزَكَ أَصْلًا وَفَرْعًا ، وَتَصَرَّفَ فِي أُسَالِيْبِ الْبَلَاغَةِ ، فَجَاءَ بِهِ وَتَرًّا وَشَفْعًا ، وَالسَّلَامُ . »

(١) مَاخُذٌ مِنْ تَشْبِيهِ الْقُرْآنِ « وَمِثْلُ الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَشْبِيهًُا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمِثْلِ جَنَّةِ بَرَبُوتٍ » سُورَةُ الْبَقَرَةِ : الْآيَةُ ٢٦٥ .

(٢) سَيَأْتِي هَذَا الْمَثَلُ النَّبَوِيُّ فِي الصَّفْحَةِ التَّالِيَةِ عِنْدَ إِيرَادِ نَصِ الْحَدِيثِ .

وهذا كتابٌ غريبٌ في معناه ، وقد اشتملَ على معانٍ كثيرةٍ :

فمن جُمَلَتِها أنَّ الرُّطْبَ مشتقٌّ من « الرُّطْب » الذي هو ضدُّ « اليابس » .
ومن جُمَلَتِها أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّى النخلة أُمًّا ، فقال :
« أُمُّكُمْ النخلة » .

ومن جُمَلَتِها أَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ ، فإن لم يجد
فَتَمَرَاتٍ .

ومن جُمَلَتِها أَنَّهُ كَانَ يُلُوكَ التَّمْرَةَ ، وَيُحَنِّكُ بِهَا المولود عند ميلاده ،
ولمَّا وَلِدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ جَاءَتْ أُمُّهُ أُمِّمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ
وَوَضَعَتْهُ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَاكَ تَمْرَةً ، وَوَضَعَهَا فِي فِيهِ .
ومن جُمَلَتِها أَنَّهُ والحلواءُ شَيْءٌ واحدٌ ، إِلَّا أَنَّهُ مِنْ خَلَقِ اللهِ ، وَتَلَكَ مِنْ
خَلَقِ النَّاسِ .

ومن جُمَلَتِها أَنَّ الْعَبَّاسَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « يَا رَسُولَ اللهِ ؛ إِنَّ قَرِيشًا
تَذَاكَرَتْ أَحْسَابَهَا ، فَضَرَبُوا لَكَ مِثَالًا بِنَخْلَةٍ بِكَبُوةٍ ^(١) .

(١) ذكر صاحب اللسان أن ناساً من الأنصار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا نسمع من قومك : إنما مثل محمد كمثل نخلة تنبت في كبا ، قال : هي بالكسر والقصر الكناسة ، وجمعها أكباء . . . وفي الحديث عن عباس أنه قال : قلت : يا رسول الله إن قريشاً جلسوا ، فتذاكروا أحسابهم ، فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض .
قال شمر : قوله « في كبوة » لم نسمع فيها عن علمائنا شيئاً ،
ولكننا سمعنا الكبا والكبة ، وهو الكناسة والتراب الذي يكنس من البيت . انظر لسان العرب ٧٧/٢٠

وكلُّ هذه المعاني حسنةٌ واردةٌ في موضعها . ومن كتَبَ في معنى من المعاني
فليكتبهُ هكذا ، وإلاَّ فليدع .

* * *

ومن ذلك رقعة كتبتها الى بعض حجاب السلطان في حاجة عرضت
لي ، وأرسلت معها هدية من ثياب ودراهم ، وهى :

ما مِنْ صَدِيقٍ وَإِنْ سَحَّتْ صَدَاقَتُهُ يَوْمًا بِأَنْجَحَ فِي الْحَاجَاتِ مِنْ طَبَقٍ
إِذَا تَلَّمَّ بِالْمُنْدِيلِ مُنْطَلِقًا لَمْ يَخْشَ نَبْوَةَ بَوَابٍ وَلَا غَلَقِ
« الهدية مُسْتَقَّةٌ مِنَ الْهُدَى ، غَيْرَ أَنَّهَا تَرَفُّ إِلَى الْقَلْبِ لَا إِلَى النَّدَى ،
وَصَهَارَتِهَا أَنْفَعُ مِنَ الصَّهَارَةِ ، وَكَلَّمَا تَرَدَّدَتْ كَانَتْ بَكْرًا ، فَهِيَ لَا تَنْفَكُ عَنِ
الْبَكْرَةِ ، وَمِنْ خَصَائِصِهَا أَنَّهَا تُنْسَكُ بِمَعْرُوفٍ أَمِنَ مِنَ السَّرَاحِ ، وَإِذَا
رَامَتْ فَتَحَ بَابٍ لَا تَفْتَقِرُ فِي عِلَاجِهِ إِلَى مِفْتَاحٍ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهَا الْحُسْنَاءُ
الْمُتَأَنِّقَةُ فِي عِمَارَةِ بَيْتِهَا الَّتِي تَوْصَفُ بِأَنَّ الْقَنْدِيلَ يَضِيءُ بِزِينَتِهَا .

« وَقَدْ أُرْسِلَتْهَا إِلَى الْمَوْلَى وَهِيَ تَتَهَادَى فِي إعْجَابِهَا ، وَتُدِلُّ بِكُرَّةِ
دَرَاهِمِهَا وَثِيكِيهَا ، وَتَقُولُ : أَنَا الْكَرِيمَةُ فِي قَوْمِهَا ، الشَّرِيفَةُ فِي أَنْسَابِهَا .

« وَأَحْسَنُ مَا فِيهَا أَنَّهَا جَاءَتْ مَرًّا ، لَمْ تَعْلَمْ بِهَا الْيَدُ الْيُمْنَى مِنَ الْيُسْرَى .
« نَحْذُهَا يَا مَوْلَايَ ، وَاكْشِفْ نَقَائِمَهَا ، وَأَمِطْ عَنْهَا جَلْبَابَهَا ، وَقَدْ كَانَتْ
مِنْكَ حُرَّةً ، وَهِيَ الْآنَ فِي حَيْزِ الْمَمْلَكَةِ ، وَمِنَ السَّنَةِ فِي مَثَلِهَا أَنْ تَوْخَذَ
بِالنَّاصِيَةِ وَيُدْعَى بِالْبَرَكَةِ ، وَالسَّائِرُ بِهَا فَلَانٌ ، وَهُوَ فِي الْجَهْلِ بِهَا حَامِلُ
أَسْفَارٍ ، وَنَاقِلٌ لَهَا مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ . وَلِرُبَّمَا نَطَقَ لِسَانُ حَالِهَا الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ
مِنْ نُطْقِ اللِّسَانِ ، وَأَذْكَرَتْ بِحَاجَةِ مُرْسَلِهَا ، وَحَاشَى فِطَانَةَ الْكَرِيمِ مِنْ
النَّسْيَانِ ، وَلَيْسَ الْمَطْلُوبُ إِلَّا فَضِيلَةٌ مِنَ الْجَاهِ تُسْفَرُ بَيْنَ السَّائِلِ وَالْمُسْتَوْجِبِ ،

وتنقل البعيدَ إلى درجة القريب ، والممنوعَ إلى درجة المبدول « فإذا فعل المولى ذلك كان له مئة السفارة ومئة الإنعام ، وإنْ سُمع بأنَّ سعيًا واحدًا فازَ بشكرين اثنين ففي مثل هذا المقام . ومن الناس من يقول : ليس على جانب السلطان ثقلٌ في صنعه ، وهل هاهنا إلا كلمات تُقال ، والكلام ماعونٌ لا رخصة في منعه ، ولم يذر أن ملاطفة الخطاب ضربٌ من الاحتيال ، وأن نقل الخطوات فيه أثقلُ من نقل الجبال ، وأنَّ صاحب الحاجة يحظى بجلاوة النجاح ، والحاجبُ يلقي مرارة السؤال .

« وهذا يقوله الخادمُ إيجابًا لإحسان المولى الذى هو إحسانٌ شامل ، ولا يعلمه إلا عالمٌ بفضله ، ولا يجهله إلا جاهل ، والله تعالى يجعل الحاجات مغدوقة بيبابه ، حتى لا تنفك في الدنيا من إمداد شكره ، وفي الآخرة من إمداد ثوابه ، والسلام . »

فتأمل أيها الناظرُ في كتابي هذا إلى ما اشتملت عليه هذه الرقعة من المعاني حتى تعلم كيف تصنع يدك فيما تكتبه !

* * *

ومن ذلك رقعة أخرى كتبتها في هذا المعنى المتقدم ذكره ، وأرسلت معها هدية من المسك ، وهى :

« الهدية رسولٌ يخاطبُ عن مرسله بغير لسان ، ويدخلُ على القلوب من غير استئذان ، وقد قيل : أختُ السحر في ملاطفة قصدها ، غير أنها لا تحتاجُ إلى نفسها ولا إلى عقدِها (١) ، ومامن قلب إلا وصورتها تجلَى عليه

(١) إشارة إلى قوله تعالى « ومن شر النفاثات فى العقد » سورة الفلق : الآية ٤ والنفاثات النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتى يعقدن عقداً فى خيوط وينفثن عليها ويرقبن ، والنفث النفخ مع ريق .

في سرقة^(١)، ولولا شرف مكانها لما حُلَّت للنبي صلى الله عليه وسلم مع تحريم الصدقة، ولها صفات غير هذه كريمة الأخطار، حسنة لدى الأسماع والأبصار، ومن أحسنها أنها تستجد ودًا، وتجعل قُربًا ما كان بعدًا، وتقول لنار الإخنة: «يا نار كوني بردًا» ولهذا قيل تهادوا تحابوا، ولا شك أنها وُصلة بين المودات، فإذا تواصل الناس تقاربوا.

«وقد أرسل الخادم منها شيئًا إذا كتمه ذاع، وإذا خزنه ضاع، وقد شبه به الجليس الصالح بعدد أسباب الانتفاع، ونما زاد مزية على مزيته أنه وشيم المولى توافر مان، غير أن شيمته تنتمي إلى كرم محتدها، وهو ينتمي إلى سرر الغزلان، فإذا ورد على مجلسه قيل: هذا عطر ورد على جونة^(٢) عطار وعُرف له حق المشاركة فإن أذنى الشرك في الشيم جوار. وقد نطق الخبر النبوي بأنه أحد الثلاثة التي لا تُردُّ على من أهداها، وإذا نُظر إلى محصول بقائها وفائدتها، وجد أطولها عمرًا وأجداها، وهذا يحكم على المولى بقبول ما استرسل الخادم في إرساله، وإذا سأل غيره في قبول هديته كفاه نص الخبر بثبوت سؤاله، والسلام».

وهذه الرقعة أحسن من التي قبلها.

فما اشتملت عليه من المعاني قولي: «وما من قارب إلا وصورتها تُجنى عليه في سرقة، ولولا شرف مكانها لما حُلَّت للنبي صلى الله عليه وسلم مع تحريم الصدقة».

وهذان الغنيان مستخرجان من خبرين نبويين:

(١) السرقة واحدة السرقة بفتح الحاء شقق الحرير الأبيض أو الحرير عامة.

(٢) الجونة سلية مستديرة مغشاة أدمًا تكون مع العطارين:

أحدهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « جاءني جبريل عليه السلام ومعه سرقة من حرير — يعنى حريرة بيضاء — وفيها صورة عائشة ، رضى الله تعالى عنها ، وقال : هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة » .

والخبر الآخر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حرمت على الصدقة وأحللت لى الهدية » .

ومما اشتملت عليه أيضاً قولى : « وقد أرسل الخادم منها شيئاً إذا كتبه ذاع ، وإذا خز نه ضاع » . وهذه مغالطة حسنة ، لأن المسك إذا كُتِم ذاعت رائحته ، وإذا خزن ضاع : أى فاح ، ويقال « ضاع الشيء » إذا ذهب ، فالمغالطة هاهنا فى الجمع بين الضدين .

وكذلك قولى : « وقد شبه به المجلس الصالح » وهذا مستخرج من الخبر النبوى أيضاً ، وذلك أنه قال صلى الله عليه وسلم : « مثل المجلس الصالح مثل حامل المسك إما أن يحذيك ^(١) » ، وإما أن يتبتاع منه ، وإما أن تجد منه عرقاً طيباً . ومثل مجلس السوء مثل نافخ الكبر ، إما أن يحرق ثوبك وإما أن تجد منه رائحة كريهة » .

ومما اشتملت عليه من المعانى أيضاً قولى : « إنه أحد الثلاثة التى لا تُرد على من أهداها » .

وهذا مُستخرج من الخبر النبوى أيضاً ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا تُرد : الطيب والريحان ، والدُّهن » .

(١) الحدوة - بالكسر - العطية .

ومن ذلك رقعة كلفني بعض أصدقائي إملاءها عليه ، وهي رقعة
من عاشق الى معشوق ، وهي :

وَإِذَا قِيلَ : مَنْ تُحِبُّ ؟ تَخْطَأُ لَكَ لِسَانِي ، وَأَنْتَ فِي الْقَلْبِ ذَاكَ

« يَأْمَنُ لَا أَسْمِيَهُ وَلَا أَكْنِيَهُ ، وَأَذْكُرُ غَيْرَهُ وَهُوَ الَّذِي أُغْنِيَهُ ، لَا تَكُنْ
مَعَّنِ أَوْتَى مُلْكًا فَلَمْ يَنْظُرْ فِي زَوَالِهِ ، وَعَرَفَ مَكَانَهُ مِنَ الْقُلُوبِ فَجَارَ فِي
إِدْلَالِهِ ، وَلَا تَفْتَرِ بِقَوْلٍ مِنْ رَأْيِ الْحُسْنِ لِلْإِسَاءَةِ مَاحِيًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّاحِيَّ
يَقُولُ : كَفَى بِالْتِّذَالِ لَاحِيًا ، وَكَثِيرًا مَا يَزُولُ الْعِشْقُ بِجَنَائِبِ الصُّدُودِ ،
وَالزِّيَادَةُ فِي الْحَدِّ نَقْصَانٌ فِي الْحُدُودِ .

« وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الْحُسْنَ عَلَيْهِ زَكَاةٌ كَزَكَاةِ الْمَالِ ، وَلَيْسَتْ زَكَاةُهُ عِنْدَ
عُلَمَاءِ الْحَبَّةِ إِلَّا عِبَارَةٌ عَنِ الْوِصَالِ ، وَهَذِهِ صَدَقَةٌ تَقَسَّمُ عَلَى أَرْبَابِهَا ، وَلَا
يُنْتَظَرُ أَنْ يَحُولَ الْحَوْلُ فِي إِجَابِهَا ، فَهِيَ مُسْتَمِرَّةٌ عَلَى تَجَدُّدِ الْأَيَّامِ ،
وَالْمُسْتَحَقُّونَ لَهَا قِسْمٌ وَاحِدٌ ، وَلَا يُقَالُ : إِنَّهُمْ ثَمَانِيَةُ أَقْسَامٍ ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ
الْخُصُوصُونَ بِفِكَ الرِّقَابِ ، وَرَقِبَةُ الْعِشْقِ أَشَدُّ أَسْرًا مِنْ رَقِبَةِ تَتَحَرَّرُ
بِالْكِتَابِ . فَأَخْرَجَ يَامُولَايَ مِنْ هَذَا الْحَقِّ الْوَاجِبِ ، وَإِلَّا فَتَأْتِ لَطَالِبِ
مُنَى وَمَطَالِبِ ، وَلَا تَقُلْ هَذَا غَرِيمٌ أَكْثَرَ عِدَّةِ اللَّيَالِي فِي مَطْلِهِ ، وَأَعِدُّهُ
وَالْمَوَاعِيدُ زَادٌ لِنُتْلِهِ ، فَهَذِهِ سِلْمَةٌ قَدْ عَامَلْتَهُ بِهَا مَرَّةً سَاحِرًا ! وَمَرَّةً سَاحِرًا ،
وَمِنَ الْأَقْوَالِ السَّائِرَةِ أَنَّ الْفَرَّ تَجْمَعُهُ التَّجَرِبَةُ مَاهِرًا ، وَلَعَمْرِي إِنَّ مُمَارَسَةَ
الْحُبِّ تَجَدُّدٌ لِمُصَاحِبِهِ عِلْمًا ، وَتَبَصُّرُهُ وَإِنْ كَانَ كَمَا يُقَالُ أَعْمَى ، وَقَدْ
كَذَّبَ الْقَائِلُ :

عَرَّضَنِي لِلَّذِي تُحِبُّ بِحُبٍّ ثُمَّ دَعَا يَرُوضُهُ إِبْلِيسُ

« فَإِنَّ كَانَتِ الرِّيَاضَةُ كَمَا قِيلَ لِإِبْلِيسَ فَمَا أَرَاهُ صَنَعًا فِي الَّذِي صَنَعَ ،

وأراك استعصيت عليه استعصاء القارح^(١) وأنت جذع^(٢) . ولا شك أنك تهديم ما يشيده من البناء ؛ أو أنك مستثنى في جملة من دخل في حكم الاستثناء ، وأنا الآن له عائب ، وعليه عاتب ، فأين نفثاته التي هي الأخدع من الحبال ؟ وأين قوله لا تبينهم عن الأيمان والشئائل ؟ وأين جنوده المستترقة ما في السماء التي تجري من بني آدم مجرى الدماء ؟ وكل هذا قد بطل عندى خبره ؛ كما بطل عندى أثره ؛ فإن أدركته النخوة باني أستهزى . بتصديق أفعاله ، فليحل معقول حاجتي هذه ، حتى أعلم أنه قادر على حل عقاله ، وإلا فليخف رأسه ، ولينجح وسواسه ؛ وإن كان له عرش على البحر فليقوض من عرشه ، وليعلم أن السجر ليس في عقده . ونفثه ؛ ولكنه في الأصفر ونقشه .

«وها أنا قد بعثت منه ما يجعل العزم مخلولاً ، والود مبذولاً ؛ وما أقول إلا أنني بعثت معشوقاً إلى معشوق ، وكلاهما محملة القلب ؛ بل القلب من حبهما مخلوق ، وما أكرمه وهو وسيلة إلى مثله ، وحسنه من حسنه ، وإن لم يكن شككته من شكله ، وما وصفه واصف إلا كان ماراه منه فوق مارواه ، ومن أغرب أوصافه وأحسنها أنه لم ير ذو وجهين وجهياً . سواه ، لاجرم أنه إذا أسفر في أمرٍ تلطّف في فتح أبوابه ، وتناول وعزم فبدله بسمله ، وبعده فبدله باقترابه ، ولو بعثت غيره خلفت أن لا يكون في سفارته صادقاً ، أو أنه كان يمضى سفيراً ويعود عاشقاً ، فليس على الحسن

(١) القارح المسن . وقرح الحافر انتهت أسنانه ، وإنما ينتهى في خمس سنين . لأنه في السنة الأولى حولي ، ثم جذع ، ثم ثني ، ثم رابع ، ثم قارح . والمراد هنا الكبير صاحب التجربة .

(٢) الجذع الشاب الحدث .

امانة ، وفي مثله تُعذر الخيانة ، ولا لومَ عَلَى العقول إذا نسيتُ هناك عزيمةَ
 رشدِها ، ورأتُ ما لا يحتمله كاهلُ جُهدِها ، ومن الذى يقوى دِرْعُهُ عَلَى تلك
 السَّهامِ ، أو يرومُ النجاةَ منها ، وقد حِيلَ بينه وبين المَرَامِ ؟ وهذا الذى منعنى
 ان أرسلُ إلا كيساً وكتاباً ، فأحدُهما يكون فى السفارةِ والآخر على السِّرِّ
 حجاباً ، والسلام إن شاء الله تعالى » ١

وفى هذه الرُّقعة من المعانى الغريبة ما أذكره :

فالأول : ما ذكرته فى قسمِ الصَّدَقَاتِ ، وفكِّ الرُّقَابِ .

والثانى : ما ذكرته فى وصفِ الدِّينَارِ ، وهو أَنَّهُ توجيهُ ذو وَجْهَيْنِ .

وقال النّبىُّ صلى الله عليه وسلم : ذو الوجهَيْنِ لا يكون وجهياً .

وهذا معنى لم يسبقنى أحدٌ إليه .

وقد وَصَفَ الحَرِيرى الدِّينَارَ فى مقامةٍ من مقاماته ^(١) ، ولم يَظْفَرْ بهذا

المعنى ، ولا جاء من الأوصافِ التى ذكرها بِمِثْلِهِ .

والثالث : أنى بعثتُ معشوقاً إلى معشوق !

* * *

(كتاب فى التعزية بوفاة زوجة بعض الملوك وولدها) :

ومن ذلك ما كتبتُهُ ، وكان تُوَقِّيتُ زوجةَ بعضِ الملوك ، وتوفى معها ولدٌ

لها ، وهو طفلٌ صغير ، وكان بينهما يومان ، وتلك المرأةُ بنتُ ملكٍ من الملوكِ

أيضاً ، فكتب إليهِ مَنْ [فى] الأطرافِ المجاورةِ لِعَزْوَنِهِ ، وحضرَ عندى بعضُ

الأدباءِ مِمَّنْ يجبُ أن يكون كاتباً ، وعرضَ عَلَى نُسخةٍ ما كُوتِبَ به ذلك

(١) يشير إلى المقامة الثالثة ، وهى « المقامة الدينارية » - مقامات

الحريرى ٢٥ - وهى تتضمن مدح الدينار وذمه .

الملك في التعزية بزوجه وولدها ، فوجدتها كتباً باردة غثة ، لا تعزب عن
الحادثة ، بل بينها وبينها بعد المشرقين . ومن شرط الكتابة أن يكون
الكتاب مضمناً فوض المعنى المقصود .

والتعازي مختلفة الأنحاء ، فتعازي النساء غير تعازي الرجال ، وهي من
مستصعبات فن الكتابة والشعر ، وتعازي الرجال أيضاً تختلف ، فلا يعزى
بالميت على فراشه ، كما يعزى بالميت قتيلاً ، ولا يعزى بالقتيل كما يعزى
بالفريق .

وهكذا يجري الحكم في المعاني جميعها ، وهذا شيء لا يتنبه له إلا
الراسخون في هذا الفن من أرباب النثر والنظم .

وسألتني ذلك الرجل عن هذه التعزية المشار إليها في المرأة وولدها الصغير ،
وقال : « أحب أن أعلم كيف تكون » ؛ فأملت عليه ثلاثة كتب ، كل
كتاب يتضمن معنى لا يتضمنه الكتاب الآخر .

فمما جاء منها كتاب أنا ذكره ها هنا ، وهو :

« أشجى التعازي ما أتبع فيه المفقود بمفقود ، لاسيما إذا جمع بين سعد
الإخيمية^(١) وسعد السعود^(٢) ، وكل منهما يعظم حزننا كما يعظم مكاننا ؛

(١) من نجوم منازل القمر التي يتنقل فيها ؛ والناس مختلفون فيه .
فمنهم من يقول إنه كوكب واحد حوله ثلاثة كواكب مثلثة تشبه رجل
بطة . والكوكب هو السعد . والثلاثة الحباء . ومنهم من يجعل الكوكب
الذي في وسط الثلاثة عمود الحباء . وسمى « سعد الأخيمية » لخروج
الحبيبات فيه من الثمار والحشرات . وكانت العرب تتبرك به لاختضار
العود فيه .

(٢) سعد السعد كذلك من نجوم منازل القمر . وعدته كوكبان .
وقيل هو ثلاثة كواكب : أحدها نير ؛ والآخران دونه في النور .

وهذا يَحْسِرُ عن الوجوه مُحَرًّا ، وهذا يُبْقَى عن الرؤوس تيجانًا ؛ ولم يوفِّهما
حقَّهما مَنْ بكى ولا مَنْ نذب ، ولا من شعر ولا من كتب ، وليت فُدى أحدهما
بصاحبه ، فعاش درهما المفدى بالذهب :

ولو كان خطبًا واحدًا خفَّ كلُّه

ولكنه خطبٌ أعيد على خطب

« وقد أصدر الخادم كتابه هذا ، ومن حقّه أن يُخرِّج في ثوب من الحداد ،
وأن يتعترى أذيل كليمه ، والكتاب عنوان الفؤاد ، وغاية ما يقول : أحسن
الله عزاء المجلس السامي الملك الأجل السيّد ، على أن هذا الدعاء قد شهدت
الحال بلحنه ، وكيف يملك قلبه عزاء ، وقد أوقفه الهم في سجنه ، وصار له
ولدا دون ولده ، وخدنا دون خدنه ، لكن يدعى له بامتداد البقاء ، وأن
تعامله الحوادث بعد هذه معاملة الإبقاء .

« ثم نبتع ذلك بطلب الجنة لمن نقلته المنيا عن أرائك الخدور ، وجعلته
في بطون القبور ، ولمن فاجأت الأيام غصنه فقصفتُه ، ولم يعش حتى عرف
الدنيا ولا عرفته ، فوهاهما وقد نزلا بمنزل عديم الإيناس ، وإن كان
مأهولاً بأكثر الناس ، فهو القريب داراً ، البعيد مزاراً ، الذي حجب من
اليأس بامنع حجاب ، وذهب عن الوجوه المنعمة نذل التراب ، فمن كان مُسعداً
لمجلس فلما أخذ بوله الجزع لا بعزيمة الاضطبار ، وليقل : هذا حادث بان
فيه تحمل الأقدار ، وجرت همومه مجرى الخواطر من القلوب والرقاد من
الأبصار ، فالأسوة — إلا فيه — معدودة من الإحسان ، والسؤة — إلا
عنه — داخلة في حيز الإمكان .

« والخادم أولى من لقي المجلس فيه بالإسعاد ، وقام بما يجب من قضاء
حقّ الوداد ، وفعل ما يفعله القريب الحاضر ، وإن كان على شقّه من البعاد ،

وقد أرسل من يُنوبُ عنه في التعزية ، وإن لم يكن فيها المناب ، وكما رخص العذر في قصر الصلاة ، فكذلك رخص في الاختصار على الرسول والكتاب ، وقد ودَّ لو حضر بنفسه فاستسمنى لذلك الضريح سحابة ، وعقر عنده ركاباً ، وسأل الله مغفرةً وثواباً ، والسلام .

في هذا الكتاب معنى غريبٌ ، وهو قولِي « سعد الأُخِيَّة » كناية عن المرأة ، « وسعد السُّعود » كناية عن ولدها ، لأن « سعد الأُخِيَّة » اسمُ منزلةٍ من منازل القمر ، و « الأُخِيَّة » جمعُ « خباء » ومن شأن المرأة أن تحتجب في الأُخِيَّة ، فهي سعدُها ، وهذا من المعاني الغريبة في مثل هذا المقصد ، وقد اتَّفَق « سعد الأُخِيَّة » و « سعدُ السُّعود » معاً ، وهذا أيضاً غريبٌ .

* * *

كتاب عن الملك الأفضل الى أخيه الملك الظاهر غازي :

ومن ذلك أني كتبتُ كتاباً عن الملك الأفضل « علي بن يوسف » إلى أخيه الملك الظاهر « غازي بن يوسف » صاحب حاب في أمر شخص كان أبوه صاحب مدينة « تكريت »^(١) وهذه تكريت كان يتولاها قديماً الأمير أيوب^(٢) جدُّ الملك الأفضل والملك الظاهر ، وأولدها ولده صلاح

(١) تكريت بفتح التاء . والعامة بكسر ها . بلد مشهور بين بغداد والموصل . وبينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً في غربي دجلة ولها قلعة حصينة أحد جوانبها إلى دجلة

(٢) هو نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان الملقب « الملك الأفضل » . وهو والد الملوك صلاح الدين وسيف الدين وشمس الدولة وسيف الإسلام وشاه شاه وتاج الملوك يوري وست الشام وربعة خاتون ، وأخو الملك أسد الدين ، شب به فرسه عند باب النصر — أحد أبواب =

الَّذِينَ يُوسِفُ أَبَاهُمَا ، وَعَلَى عَقَبِ وَلَادَتِهِ انْتَقَلَ وَالِدُهُ عَنْ « تَكَرُّتِ » هُوَ
وَعَشِيرَتُهُ ، لِأَمْرِ طَرَأَ لَهُمْ^(١) ، وَجَاءَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، ثُمَّ إِلَى الشَّامِ ، وَهَنَّاكَ
سَعِدُوا ، وَكَانَتْ السَّعَادَةُ عَلَى يَدِ صَاحِبِ الدِّينِ يُوسُفَ .

فَلَمَّا أُرِدْتُ أَنْ أَكْتُبَ هَذَا الْكِتَابَ عَلِمْتُ أَنَّهُ مِظَنَّةُ الْمَعَالِي الْمُبْتَدَعَةِ ،
لِأَنَّ الْأَمْرَ الْمَكْتُوبَ فِيهِ غَرِيبٌ لَمْ يَقَعْ مِثْلُهُ ، فَخِيزْنِي هَذَا الْكِتَابَ ،
وَهُوَ :

« رَفَعَ اللَّهُ شَأْنَ مَوْلَانَا الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، وَلَا زَالَ الدَّهْرُ
فَاخِرًا بِمَآثِرِ سُلْطَانِهِ ، نَازِلًا مَنَاقِبَهُ فِي جِيدِهِ ، وَمَحَامِدَهُ فِي
لِسَانِهِ ، نَاسِخًا بِمَسَاعِي دَوْلَتِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ مَسَاعِي آلِ بُوِيهِ^(٢) ،

= الْقَاهِرَةِ — فَأَلْقَاهُ فِي وَسْطِ الْمَحْجَةِ فَحَمَلَهُ إِلَى دَارِهِ وَكَانَتْ وَفَاتِهِ سَنَةَ

٥٦٨ هـ

(١) ذَلِكَ الْأَمْرُ أَنَّ أَخَاهُ أَسَدَ الدِّينِ كَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا ، فَأَمْسَكَهُ
أَخُوهُ نَجْمَ الدِّينِ أَيُّوبَ ، وَاعْتَقَلَهُ ، وَكُتِبَ إِلَى بَهْرُوزَ وَعُرفَهُ صُورَةَ
الْحَالِ لِيَفْعَلَ بِهِ مَا يَرَاهُ ، فَوَصَلَ إِلَيْهِ جِرَابُهُ : لِأَيِّكُمَا عَلَى حَقِّ ،
وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ مُتَأَكِّدَةٌ ، فَمَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَكُفُّكُمْ بِحَالَةٍ سَيُثَقِّ
تَصَدَّرَ مِنِّي فِي حَقِّكُمَا ، وَلَكِنْ أَشْتَهِي مِنْكُمَا أَنْ تَتْرَكَمَا خِدْمَتِي وَتَخْرُجَا مِنْ
بَلَدِي وَتَطْلُبَا الرِّزْقَ حَيْثُ شِئْتُمَا . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمَا الْجَوَابَ مَا أَمَكْنَهُمَا
الْمَقَامَ بِتَكَرُّتِ . فَخَرَجَا مِنْهَا ، وَوَصَلَا إِلَى الْمَوْصِلِ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا
الْأَتَابِكُ عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِي .

(٢) آلُ بُوِيهِ مِنَ الْفَرَسِ ، وَجَدَهُمُ الْأَقْرَبُ الَّذِي أَسَّسَ دَوْلَتَهُمْ أَسْمَهُ بُوِيهِ .
وَلَقَبَهُ أَبُو شِجَاعٍ ، وَكَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ : عَلِيٌّ ، وَيَلْقَبُ عِمَادَ الدَّوْلَةِ ، وَحَسَنٌ ،
وَيَلْقَبُ رَكْنَ الدَّوْلَةِ ، وَاحْمَدٌ ، وَيَلْقَبُ مَعَزَ الدَّوْلَةِ ، جَاءُوا إِلَى بَغْدَادَ سَنَةَ
٣٣٤ هـ فَحَرَّبَهَا الْمُسْتَكْفَى ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ وَلَقَبَهُمْ بِتِلْكَ الْأَلْقَابِ ، =

وَأَلِ حَمْدَانَهُ^(١) ، كِتَابُ الْخَادِمِ هَذَا وَارِدٌ مِنْ يَدِ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ صَاحِبِ تَسْكُرِيَتٍ ، وَهِيَ أَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدُ الْوَالِدِ تَرَابِهَا ، رَرَقَمَتْ بِهَا السَّعَادَةُ عَلَى جَبِينِهِ كِتَابَهَا ، وَمِنْهَا ظَهَرَ نُورُ الْبَيْتِ الْإِثْرِيِّ مُشْرِقًا ، وَأَشَامَ إِذْ خَرَجَ مُعْرِقًا ، وَكَفَاهُ بِذَلِكَ وَسِيلَةٌ يَكْتَنِفُهَا الْإِحْسَانُ وَالْإِرْعَاءُ ، وَيَكْفِي صَاحِبَهَا أَنْ يَقُولَ : لَا أَسْقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ . وَقَدْ قَرَنَهَا بِوَسِيلَةٍ قَصْدِ الْخِدْمَةِ أَتَى تَوْجِبُ لِقَاصِدِهَا ذِمَامًا ، وَنَقُولُ لَهُ سَلَامًا إِذَا قَالَ سَلَامًا ، ثُمَّ ثَلَاثُ هَاتَيْنِ الْوَسِيلَتَيْنِ بَكْتَابِ الْخَادِمِ أَخْذًا بِالسَّنَةِ

= وجعل معز الدولة أمير الأمراء ، فاستبدوا في المملكة ، واستولوا على الخلافة ، وعزلوا الخلفاء وولوهم ، فرفعوا منار الشيعة ، وأحيوا معالمها ، وأضيقوا نفوذ الأتراك ، وامتدت سلطة البويهيين على العراق وفارس والخراسان إلى سنة ٤٤٧ هـ وكانوا يحبون العلم والأدب ، ولا يستوزرون أو يستكتبون إلا العلماء والشعراء والكتاب ، فكان أشهر أدباء ذلك العصر من وزراءهم أو عمالهم أو قضاتهم أو كتابهم كابن العميد ، والصاحب بن عباد وسابور بن أردشير المهلبى ، فضلا عن الأدباء من العمال والقضاة وكتاب الدولة ، على أن ملوك بني بويه أنفسهم أشهر منهم غير واحد في الأدب والشعر .

(١) الدولة الحمدانية دولة عربية من قبيلة تغلب بجوار الموصل ، جدها حمدان كان له شأن في تلك الديار ، واستولى ابنه محمد بن حمدان على ماردين ، فأخرجه منها الخليفة المعتضد ، وتولى أخوه أبو الهيثم ابن حمدان أميراً على الموصل وما يابها سنة ٢٩٢ هـ واشتد ساعده ، وزادت قوة الحمدانيين في ذلك الحين « وصاروا دولة حكم منها أربعة أمراء في الموصل ، وخمسة في حلب ، حتى خرجت الموصل منهم إلى البويهيين سنة ٣٨٠ هـ ، واستولى الفاطميون على حلب سنة ٣٩٤ هـ ، وأشهر بني حمدان في نصرة العلم والأدب سيف الدولة — أبو الحسن على — صاحب حلب من سنة ٣٣٣ إلى سنة ٣٥٦ هـ .

النَّبَوِيَّةُ فِي الدَّعَاءِ وَعَدَدِهِ ، وَتَفَاوُلًا بِتَثْلِيثِ النُّجُومِ فِيمَا يَقْصِدُهُ الْمَرْءُ مِنْ سَعَادَةٍ
مَقْصُدِهِ ، وَلَا قَدْحٍ فِي كَرَمِ الْكَرِيمِ إِذَا اسْتَكْبَرُ طَالِبُهُ مِنَ الْأَسْبَابِ ، فَإِنَّ اللَّهَ
عَلَى كَرَمِهِ قَدْ اسْتَكْبَرُ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ الثَّوَابِ .

« وَكِتَابُ الْخَادِمِ عَلَى انْفِرَادِهِ كَافٍ لِحَامِلِهِ ، وَمُكْتَبَرٌ مِنْ حَقِّهِ وَسَائِلِهِ
وَقَدْ صَدَرَ مَخَاطَبًا عَنْ فَحْوَى ضَمِيرِهِ ، فَإِنَّمَا تَحَقُّ السَّفَارَةُ إِذَا قَعَدَ بِكُلِّ طَالِبٍ
سَعْنَى سَفِيرِهِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ خَفِيفَةٌ صَفْحَتُهُ ، وَجِيزَةٌ لَمَحَتُهُ ، وَإِذَا وَجَدَ لَدَى
مَوْلَانَا مَوْوَلًا ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّ مَطْوَلًا ، إِذَا التَّعْوِيلُ عَلَى نُجْحِ مَضَرِهِ ،
لَا عَلَى كَثْرَةِ أَسْطُرِهِ » .

فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمُتَأَمِّلُ إِلَى هَذَا الْكِتَابِ ، وَأَعْطِهِ حَقَّهُ مِنَ التَّأَمُّلِ ، حَتَّى
تَرَى مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْنَى ، وَانْظُرْ كَيْفَ ذَكَرْتُ الْأَوَّلَ ، ثُمَّ الثَّانِي ،
ثُمَّ الثَّلَاثَ .

أَمَّا الْمَعْنَى الْأَوَّلُ : فَإِنَّهُ يَخْتَصُّ بِذِكْرِ سَعَادَةِ الْبَيْتِ الْأَيْبِيِّ ، وَمَنْشَنِهَا ،
وَأَنَّهَا وُلِدَتْ بِتَسْكُرِيَةٍ ، وَهَذَا الرَّجُلُ يَنْبَغِي أَنْ يُرْعَى بِسَبَبِهَا ؛ إِذَا كَانَ
أَبُوهُ صَاحِبَهَا .

وَأَمَّا الْمَعْنَى الثَّانِي : فَإِنَّهُ قَصَدَ الْخِدْمَةَ الظَّاهِرِيَّةَ ، وَهَذَا وَسِيلَةٌ ثَانِيَةٌ ،
تَوْجِبُ لَهُ ذِمَامًا :

وَأَمَّا الْمَعْنَى الثَّلَاثُ فَإِنَّهُ حُرِّمَةُ الْكِتَابِ الصَّادِرِ عَلَى يَدِهِ .

ثُمَّ إِنِّي مَثَّلْتُ ذَلِكَ بِالْدَّعَاءِ النَّبَوِيِّ ، وَبِتَثْلِيثِ النُّجُومِ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ —
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — كَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا .

وَإِنَّمَا مَثَّلْتُ ذَلِكَ بِالْدَّعَاءِ لِأَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ مَوْضِعُ سُؤَالٍ وَضَرَاعَةٍ .

وَالْآخَرُ : أَنَّ الْكِتَابَ وَسِيلَةٌ ثَالِثَةٌ ، وَالْدَّعَاءُ ثَلَاثُ مِرَارٍ .

وأما تثليثُ النجوم ، فإنَّ التثليثَ سَعَد ، والتريعَ نحس .
وأحسنُ المعاني الثلاثةِ التي تَضَمَّنَهَا هذا الكتابُ هو الأول والثالثُ ،
وأما الثاني فإنه متداول .

فتأملُ ما أشرتُ إليه ، وإذا شئتَ أن تكتبَ كتاباً فافعلْ كما فعلتُ
في هذا الكتاب ، إن كان الأمرُ الذي تكتبُ فيه غريبَ الوقوع .

* * *

واعلمُ أَنَّهُ قد يقعُ المعنى المبتدعُ في غيرِ أمرٍ غريبِ الوقوع ، وذلك يكونُ
قليلاً بالنسبةِ إلى الوقائعِ الغريبةِ التي هي مَطْنَةُ المعاني المبتدعةِ .

* * *

ومن هذا الباب ما أوردته في جملة رسالة طهرية في وصف قسي البنلق
وحامليها ، وهو :

« فإذا تناوَلوها في أيديهم قيل أهلةٌ طالعةٌ من أ كُفٍّ أقمار ، وإذا
مُثِّلَ غَنَاؤها وغَنَاوُهم قيل : منايا مَسُوقَةٌ بأيدي أقدار ، وتلك قِسيٌّ وُضِعَتْ
لِللَّعبِ لا لِلنَّضالِ ، ولِرَدَى الأَطيار لا لِرَدَى الرِّجالِ .

« وإذا نَعَتْها ناعتٌ قال : إنها جمعتُ بَيْنَ وَصْفَيِ اللَّينِ وَالصَّلابةِ ،
وَصُنْعَتِ مَنْ نَوْعَيْنِ غَرَبَيْنِ ، فحازتْ معنى الغَرابةِ ، فهي مُرْكَبَةٌ من حيوانٍ
ونباتٍ ، مؤلفةٌ منهما على بُعْدِ الشَّتاتِ ، فهذا من سَكَّانِ البحرِ وسواحله ،
وهذا من سَكَّانِ البرِّ ومجاھله .

« ومن صِفاتها أَنها لا تتمكَّنُ من البطشِ إلا حينَ تُشدُّ ، ولا تنطأُ
في شأنِها إلا حينَ تُعطفُ وتُردُّ ، ولها نِشارٌ أحكمُ تصويرها ، وصحح تدويرها ،
فهي في لونِها صندلِيَّةٌ ^(١) الإهاب ، وكأنما صيغتْ لِقَوَّتها من حجر لا من

(١) منسوبة إلى الصندل . خشب أجوده الأحمر أو الأبيض .

تُرَاب ، فَإِذَا قَذَفْتَهَا إِلَى الْأَطْيَارِ قِيلَ : وَيَصْعَدُ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ
بَرْدٍ ، وَلَا يُرَى حِينَئِذٍ إِلَّا قَتِيلٌ ، وَلَكِنْ بِالْمَثْقَلِ الَّذِي لَا يَجِبُ فِي مِثْلِهِ
قَوْدٌ ^(١) فَهِيَ كَافَلَةٌ مِنْ تِلْكَ الْأَطْيَارِ بَقْبُضِ نَفْسِهَا ، مُنْزَلَةٌ لَهَا مِنْ جَوْ السَّمَاءِ
عَلَى أُمِّ رُؤُسِهَا .

هذا الفصلُ يشتملُ على معانٍ غريبةٍ :

منها قولى : « إنها لا تتمكنُ من البطشِ إلا حين تُشدُّ ، ولا تنطلقُ في
شأنها إلا حين تُعطَفُ وتردُّ » .

ومنها قولى : « ويصعدُ من الأرضِ من جبالٍ فيها من بردٍ » .

وكلُّ هذا من المعانى التى تُبتدعُ بالنظرِ إلى المقصدِ المكتوبِ فيه ، فإنَّ
الكتابَ إذا فُكِّرَ فيما لديه وتأمله ، وكان قادراً على استخراجِ المعنى والمناسبة
بينهُ وبين مقصده جاء هكذا كما تراه ، إلا أنَّ القادرَ على ذلك من أقدَرهُ
اللهُ عليه ، فما كلُّ خاطرٍ بحكيمٍ ، ولا كلُّ من أوحى إليه بكليمٍ ، وفى الأقلامِ
هاشمٌ لمن ناوأهُ ، ومنها هاشمٌ ! .

وسأنبه فى هذا الموضعِ على طريقٍ يُسلكُ إلى شىءٍ من المعانى المخترعة ،
وهو ما استخرجتُهُ ، وافردتُ باستخراجه دونَ غيْرِى ، فإنَّ المعانى المخترعة لم
يتكلمَ فيها أحدٌ بالإشارةِ إلى طريقٍ يُسلكُ فيها ، لأنَّ ذلك ممَّا لا يمكنُ . ومن
هاهنا أُضربُ علماءَ البيانِ عنه ، ولم يتكلموا فيه كما تكلموا فى غيره ! .

وكيف تنمَّيْدُ المعانى المخترعة بَقَيْدٍ ، أو يفتحُ إليها طريقٌ تُسلكُ ، وهى
تأتى من فَيْضِ إلهىٍّ بغيرِ تعلِيمٍ ؟

(١) القود بفتح الحين القصاص .

ولهذا اختصَّ بها بعضُ النّاترين والناظمين دُونَ بعضٍ ، والذي يختصُّ
بها يكونُ فزداً واحداً يوجدُ في الزّمن المتّطول .

* * *

ولما مارستُ أنا هذا الفنَّ — أعني فنَّ الكتابة — وقابته ظهراً لبطنٍ ،
وفقّشتُ عن دوائنه وخباياه ، وأكثرتُ من تحصيلِ موادّه والأسبابِ الموصّلة
إلى الغايةِ منه ، سنح لي في شيءٍ من المعاني المخترعة طريقٌ سلّكته ، وهو
يستخرجُ من كتابِ الله تعالى ، وأحاديثِ نبيه صلواتُ الله عليه وسلامه ، وقد
تقدّم لي منه أمثلةٌ في هذا الكتاب .

وذلك أنّه تردُّ الآيةُ من كتابِ الله أو الحديثِ النبويّ ، والمرادُ بهما
معنى من المعاني ، فأخذُ أنا ذلك ، وأنقله إلى معنى آخر ؛ فيصيرُ مخترعاً لي .
وسأوردُ هاهنا منه نبذةً يسيرةً ، يُعَلِّمُ منها كيف فعلتُ ، حتى يُسَلِّكَ إليها
في الطّريقِ الذي سلّكته .

فمن ذلكَ قصّةُ أصحابِ الكهفِ والرقيمِ ^(١) ، فإنّي أخذتُ ذلك ، ونقلته
إلى الإحسانِ والشُّكرِ .

ألا ترى أنّ الإحسانَ يُستعارُ له كهفٌ وكهفٌ وظلٌّ ، وأشباهُ ذلك .
والشُّكرُ كلماتٌ تُقالُ في التّنويه بذكرِ المحسنِ وإحسانه .
والرقيمُ هو الكتابُ المكتوبُ ، فهو والشُّكرُ متماثلان .
والذي أتيتُ به قد أوردته وهو :

(١) الرقيمُ قريةُ أصحابِ الكهفِ ، أو جبلهم ، أو كلبهم ، أو الوادي ،
أو الصخرة أو لوح رصاص نقش فيه نسبهم وأسماؤهم ودينهم ومم
هربوا ، أو الدواة أو اللوح — أو القاموس ٤ — ١٢٢ .

« الخادم يشكر إحسان المولى الذى ظلَّ عنده مُقيماً ، وغداً بمطالبه زعيماً ،
وأصبح بتواليه إنيته مُفرماً ؛ كما أصبح له غريباً ؛ ولما تمَّثل فى الاشتغال عليه
كهناً صار شكره فيه رقيماً » .

فانظر كيف فعلتُ فى هذا الموضع ، لتعلم أننى قد فتحتُ لك فيه طريقاً
تسلكه .

وأما الحديث النبوى فإنى أخذتُ قصّة قتلى بدر ، كأبى جهل ، وعُتْبَة ،
وشَيْبَة ، وغيرهم ، ونقلتها إل القلم .

وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم وقف على القلب الذى ألقاهم فيه ،
وناداهم بأسمائهم فقال : يا عتبة ، يا شَيْبَة ، يا أبَا جهل ، يا فلان ، يا فلان ، والحديث
مشهورٌ فلا حاجة إلى استقصائه .

والذى أتيت به فى وصف القلم هو انى قلت :

« ولقد مَرَحَ القلمُ فى يدى ، وحقَّ له أن يمزح ، وأبدع فيما أتى به ،
وكلُّ إناء بالذى فيه ينضح ، ومن شأنه أن يستقلَّ على أغواد المنبر ، فلا ينتمى
من خُطبتَها إلى فصلها ، ويقف على جانب القلب إلا أنه لا ينادى من المعانى
أبَا جهلها » .

فالدواة قلب ، والقلم يقف عليه ، والمعانى التى ينشأ من باب العلم ،
لا من باب الجهل .

فتأمل هذه الكلمات التى ذكرتها ، فإنها لطيفةٌ جداً ، وهى مخترعةٌ لى .

وهذا القدرُ كافٍ في طريقِ التَّعلِيمِ ، فليُحَذِّذْ حَذْوُهُ — إِنْ أُمِكنَ —
واللهُ الموقِّ للصواب .

* * *

وأما الضربُ الآخرُ من المعاني ، وهو الذي يَحْتَدَى فيه على مثالِ سابقٍ ،
ومنهجٍ مطروقٍ ، فذلك جُلٌّ ما يستعملُهُ أربابُ هذه الصناعة ، ولذلك
قال عَنْتَرَةُ :

* هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ ^(١) *

إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْسَخَ هَذَا الْقَوْلُ فِي الْأَذْهَانِ ، لِثَلَاثِ بُيُوتٍ مِنْ
التَّرَقُّيِّ إِلَى دَرَجَةِ الْإِخْتِرَاعِ ، بَلْ يُعَوَّلُ عَلَى الْقَوْلِ الْمُطْمَئِنِّ فِي ذَلِكَ ، وَهُوَ
قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ ^(٢) :

لَا زِلْتَ مِنْ شُكْرِي فِي حُلَّةٍ لَا يَسُهَا ذُو سَلَبٍ فَاخِرٍ
يَقُولُ مَنْ تَقَرَّعُ أَسْمَاءُهُ كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ

وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ فِي زَوَايَا الْأَفْكَارِ خَبَايَا ، وَفِي أَبْكَارِ الْخَوَاطِرِ سَبَايَا .
لِسَكْنٍ قَدْ تَقَاصَرَتِ الْهَمَمُ ، وَنَسْكَهَتِ الزَّائِمُ ، وَصَارَ قُصَارَى الْآخِرِ أَنْ يَتَّبِعَ
الْأَوَّلَ ، وَلَيْتَهُ تَبِعَهُ وَلَمْ يَقْصُرْ عَنْهُ تَقْصِيرًا فَاحْشًا .

* * *

(١) هذا صدر مطلع معلقته ، وعجزه :

* أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ *

(٢) ديوان أبي تمام ١٤٣ من قصيدة في مدح أبي سعيد محمد بن

يوسف الشُّغْرَى أولها :

قُلْ لِلْأَمِيرِ الْأَرِيحِيِّ الَّذِي كَفَاهُ لِلْبِدَادِي وَلِلْحَاضِرِ
لِتَجْزِكَ الْأَيَّامُ مِنْ مَدْرُوحَةٍ وَنُضْرَةٍ عَنْ عَوْدِي النَّاضِرِ

وَوَقَّعْتُ عَلَى كِتَابِ يُقَالُ لَهُ «مَقْدَمَةُ ابْنِ أَفْلَحِ الْبَغْدَادِيِّ» قَدْ قَصَرَهَا
عَلَى تَفْصِيلِ أَقْسَامِ عِلْمِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، وَلِلْعَرَابِيِّينَ بِهَا عَنَاءٌ وَهُمْ
وَاصِفُونَ لَهَا ، وَمُكَبِّثُونَ عَلَيْهَا .

وَلَمَّا تَأَمَّلْتُهَا وَجَدْتُهَا قَشُورًا لَا لُبَّ تَحْتَهَا ، لِأَنَّ غَايَةَ مَا عِنْدَ الرَّجُلِ أَنْ
يَقُولَ : وَأَمَّا الْفَصَاحَةُ فَإِنَّهَا كَقَوْلِ النَّابِغَةِ مَثَلًا ، أَوْ كَقَوْلِ الْأَعَشَى ^(١) ، أَوْ
غَيْرِهَا ، ثُمَّ يَذْكُرُ بَيْتًا مِنَ الشَّعْرِ ، أَوْ أَيْيَاتًا . وَمَا يَهَذَا مُتَرَفٌ حَقِيقَةُ الْفَصَاحَةِ
حَتَّى إِذَا وَرَدَتْ فِي كَلَامٍ عَرَفْنَا أَنَّهُ فَصِيحٌ ، بِمَا عَرَفْنَا مِنْ حَقِيقَتِهَا الْمَوْجُودَةِ
فِيهِ ، وَكَذَلِكَ يَقُولُ فِي غَيْرِ الْفَصَاحَةِ .

وَمَنْ أَعْجَبَ مَا وَجَدْتُهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ قَالَ : أَمَّا الْمَعَانِي الْمُبْتَدَعَةُ فَلَيْسَ
لِلْعَرَبِ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَإِنَّمَا اخْتَصَّ بِهَا الْمُحَدِّثُونَ ؛ ثُمَّ ذَكَرَ لِلْمُحَدِّثِينَ مَعَانِي ،
وَقَالَ : هَذَا الْمَعْنَى لَفُلَانٍ ، وَهَذَا غَرِيبٌ ، وَهَذَا الْقَوْلُ لَفُلَانٍ ، وَهُوَ غَرِيبٌ .

وَتِلْكَ الْأَقْوَالُ الَّتِي خَصَّ قَائِلُهَا بِأَنَّهُمْ ابْتَدَعُوهَا قَدْ سَبَقُوا إِلَيْهَا ، فَإِنَّمَا
أَنْ يَكُونَ غَيْرَ عَارِفٍ بِالْمَعْنَى الْغَرِيبِ ، وَإِنَّمَا أَنَّهُ لَمْ يَقِفْ عَلَى أَقْوَالِ النَّاطِقِينَ
وَالنَّاتِرِينَ ، وَلَا تَبَجَّرَ فِيهَا ، حَتَّى عَرَفَ مَقَالَهُ الْمُتَقَدِّمَ ، ثُمَّ قَالَهُ الْمُتَأَخَّرُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ إِنَّهُ لَيْسَ لِلْعَرَبِ مَعْنَى مُبْتَدَعٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ لِلْمُحَدِّثِينَ ، فَيَا لَيْتَ
شَعْرَى ! مَنْ السَّابِقُ إِلَى الْمَعَانِي ؟ مَنْ تَقَدَّمَ زَمَانُهُ ، أَمْ مَنْ تَأَخَّرَ زَمَانُهُ ؟

(١) أَعَشَى قَيْسٌ هُوَ مَيْمُونُ بْنُ قَيْسِ بْنِ جَنْدَلٍ مِنْ بَكْرِ بْنِ
وَائِلٍ مِنْ رِبِيعَةٍ ، وَهُوَ أَحَدُ الْأَعْلَامِ مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَحْوَاهُمْ ،
وَالْبَعْضُ يَقْدِمُونَهُ عَلَى سَائِرِهِمْ ، وَيُحْتَجُّ الَّذِينَ يَقْدِمُونَهُ بِكَثْرَةِ طَوَالِهِ
[الْحَيَادِ ، وَتَصَرُّفِهِ فِي الْمَدِيحِ وَالْمُهْجَاءِ وَسَائِرِ فُنُونِ الشَّعْرِ مِمَّا لَيْسَ لِسِوَاهُ ،
وَيُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَأَلَ بِشَعْرِهِ ، وَأُنْتَجَعَ بِهِ أَقَاصِي الْبِلَادِ ، وَكَانَ
يَغْنَى بِهِ ، فَسُمِّيَ صِنَاجَةَ الْعَرَبِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٦٢٩ م

وأنا أورد هاهنا ما يُستدلُّ به على بطلانِ ما ذكره .

وذلك أنه قد ورد من المعاني أن صور المنازل تتمثل في القلوب ، فإذا عفت آثارها لم تعف صورها من القلوب ، وأول من أتى بذلك العرب ، فقال الحارث بن خالد^(١) من أبيات الحماسة^(٢) :

إني وما تحروا غداة مني عند الجار يؤودها العقل^(٣)
لو بدلت أعلى مساكنها سقلا وأصبح سفلها يعاؤ
لعرفت مفعنا بما^(٤) ضمنت مني الضلوع لأهلها قبل

ثم جاء المحدثون من بعده ، فانسحبوا على ذيله ، وحدّوا حدوه ، فقال أبو تمام^(٥) :

(١) هو الحارث بن خالد المخزومي ، شاعر كثير الشعر ، وكان في عهد بني أمية ولي مكة من قبل يزيد بن معاوية ، فلم يمكنه ابن الزبير ، فلما ولي عبد الملك أقره عليها ، ثم عزله : ، فعتب عليه بأبيات من الشعر ، فأرضاه ووصله ، وهو أحد المعدودين من شعراء قريش ، ولا سيما في الغزل والنسيب ، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة ، ولا يتجاوز الغزل إلى المديح والهجاء ، وأكثر شعره في عائشة بنت طلحة وكان يهواها ويشبب بها .

(٢) ديوان الحماسة ٨٦/٢ من أربعة أبيات ترك بن الأثير الثالث منها وهو قوله :

فيكاد يعرفها الخبير بها فيرده الإفواء والمحل

(٣) في الأصل « وإن نحروا » ، والواو من « وما نحروا » القسم وآده أعياء ، والعقل واحده عقل ، ما يعقل به البعير عن السير أو للنحر ، وجواب القسم « لو بدلت » إلى آخر الأبيات .

(٤) في ديوان الحماسة « لما ضمنت »

(٥) ديوان أبي تمام ٢٢٩ من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله ، أولها :
أجل أيها الربع الذي خف أهله لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله

وقفت وأحشائي منازلُ للأسى به وهو قفرٌ قد تَعَمَّتْ مَنَازِلُهُ
وقال البحر—تري^(١) :

عَفَتْ الرُّسُومُ وما عَفَتْ أَحْشَاؤُهُ
مِنْ عَهْدِ شَوْقٍ مَا تَحُولُ^(٢) فَتَذْهَبُ

وقال المتنبي^(٣) :

لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ
أَقْفَرْتَ أَنْتِ وَهُنَّ مِنْكَ أَوَاهِلُ
وهذا المعنى قد تداوله الشعراء ، حتى أنه مامنٌ شاعرٌ إلا ويأتى به
في ش—عره .

وكذلك وردَ لبعضهم من شعراء الحماسة^(٤) :

أَنَاخَ اللَّوْمُ وَسَطَ بَنِي رِيَّاحٍ مَطِيئُهُ فَأَقْدَمَ لَا يَرِيحُ^(٥)
كَذَلِكَ كُلُّ ذِي سَفَرٍ إِذَا مَا تَنَاهَى عِنْدَ غَايَتِهِ يُقِيمُ^(٦)

(١) ديوان البحرى ٣ — ١٨٨ من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم ، ومطلعها :

عارضتنا أصلا فقلنا الرب رب حتى أضاء الأقحوان الأشنب
(٢) فى الديوان « مايجول » بالياء .

(٣) ديوان المتنبي ٣ — ٢٤٩ مطلع قصيدة فى مدح القاضى أبى الفضل أحمد بن عبد الله الإنطاكى .

(٤) ديوان الحماسة ٢ ، ٢٢٧ .

(٥) فى الأصل « بنى رماح » و « وأقسم » والتصويب عن ديوان الحماسة ومعنى لا يريم لا يبرح .

(٦) فى ديوان الحماسة « مقيم » بالميم موضع الياء .

وهذان البيتان من أبيات المعاني المبتدعة ، وعلى أثرهما مَشَى الشعراء .

وكذلك وَرَدَ لِبَعْضِهِمْ في شعر الحماسة^(١) :

تَرَكْتُ ضَأْنِي تَوَدُّ الذَّنْبُ رَائِعَهَا وَأَهَّـا لَا تَرَانِي آخَرَ الْأَبَدِ
الذَّنْبُ يَطْرُقُهَا فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً وَكُلَّ يَوْمٍ تَرَانِي مُدْبِئَةً بِيَدِي
وكذلك ورد قول الآخر :

قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِبَهُمْ آمَنُوا لِلزُّومِ أَحْسَابُهُمْ أَنْ يُقَتِّلُوا قَوْدًا^(٢)
وكم للعرب من هذه المعاني التي سَبَقُوا إليها .

ومن أدلِّ الدليل على فساد ما ذهب إليه^(٣) من أنَّ المحدثين هم المختصون
بابتداع المعاني أنَّ أولَ من بكى على الدَّيَّارِ في شعره رجلٌ يُقالُ له ابنُ حذام
وكان هو المبتدئ لهذا المعنى أوَّلاً . وقد ذكره امرؤ القيس في شعره ،
فقال^(٤) :

عَوَجًا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لَعَنَّا نَبْكِ الدَّيَّارَ . كما بكى ابنُ حذام^(٥)
وقد أجمع نقلةُ الأشعار إنَّ لامرئ القيس في صفات الفرس أشياء كثيرة لم
يُسَبَقِ إليها ، ولا قيلت من قبله .

(١) ديوان الحماسة ٢ — ٢٤٥ .

(٢) البيت في نقد الشعر ٤٧ وفي الصناعتين ١٠٥ وقبله :

الزُّومُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ وَالزُّومُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَلَدَا

(٣) يشير إلى ابن أفلح وكلامه في مقدمته .

(٤) طبقات الشعراء لابن سلام ٢١ .

(٥) قال ابن سلام : وابن حذام رجل من طيء لم يسمع شعره
الذي بكى فيه ولا شعر غير هذا البيت الذي نكره امرؤ القيس ، وفي الأصل
«ابن حرام» ، وفي الأصل (الطلل المخيل) بالخاء المعجمة ، ومعنى المخيل المتغير .

ويكفي من هذا كُله ما قَدَمْتُ القولَ فيه . وهو أنَّ العربَ السَّابِقُونَ
بالشَّعر ، وزمانهم هو الأوَّل ، فكيفَ يقالُ أنَّ المتأخِّرين هم السَّابِقُونَ إلى
المعاني ؟ ! .

وفي هذه الأمثلة التي أوردتها كفايةً في نقضِ ما ذكره .

ولو قال ^(١) : إنَّ الحَدِيثَ أَكْثَرُ ابتداءً للمعاني ، وألطف مأخذاً ،
وأدقُّ نظراً ، لكانَ قوله صواباً ، لأنَّ الحَدِيثَ عَظُمَ المَلِكُ الإسلاميُّ في
زمانهم ، ورأوا ما لم يره المتقدِّمون ، وقد قيلَ « إنَّ اللهَ تَفْتَحُ اللهُها ^(٢) » وهو
كذلك ، فإنَّ نفاقَ السُّوقِ جَلَّاب .



وقد رأيتُ جماعةً من متخلِّقِي هذه الصَّنَاعَةِ يَجْعَلُونَ هَمَّهُمْ مقصوراً على
الألفاظِ التي لا حَاصِلَ وَرَاعِها ، ولا كَبِيرَ مَعْنَى تحتها ، وإذا أتى أَحَدُهُمْ بلفظٍ
مَسْجُوعٍ على أيِّ وجهٍ كانَ من الغثائَةِ والبرَدِ يَعتقدُ أَنَّهُ قد أتى بِأَمْرٍ عَظِيمٍ ،
ولا يَشْكُ في أَنَّهُ صارَ كَاتِباً مُغْلَفاً .

وإذا نَظَرَ إلى كُتَّابِ زَمَانِنَا وَجَدُوا كذلك ، فقاتَلَ اللهُ القَلَمَ الذي يَمشِي
في أيدي الجُهَّالِ الأَعْمَارِ ، ولا يَعْلَمُ أَنَّهُ كَجَوَادٍ يَمشِي تَحْتَ حِمَارٍ .

ولو أَنَّهُ لا يَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ إِلَّا أَهْلُهُ لَبَانَ الفاضِلُ مِنَ النَّاقِصِ ، على أَنَّهُ
كالرُّمَحِ الذي إذا اعْتَمَلَهُ حَامِلُهُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ بَانَ بِهِ المُقَدَّمُ مِنَ النَّاكِصِ ، وقد

(١) الضمير عائِد على أبن أفلاج والكلام في مقدمته .

(٢) الله بالضم جمع لهوة بالضم العطية دراهم كانت أو غيرها .
والله بالفتح واللّهوات واللهيات أيضا جمع لهة بالفتح ، وهي الهنة
المطبقة في أقصى سقف الفم .

أصبحَ اليومَ في يدِ قومٍ مُهمٍّ أخوجُ من صبيانِ المكاتبِ إلى التَّغاييمِ ، وقد قيلَ :
إنَّ الجَهْلَ بالجهْلِ داءٌ لا ينتهي إليه سقمُ السَّقَمِ .

وهؤلاءُ لا ذنبَ لَهُمْ ، لأنَّهم لو لم يُستَخدموا في الدُّولِ ، وبُستَكتبوا ،
وإلاَّ ما ظهرتْ جهالتُهُمْ ، وفي أمثالِ العوامِّ « لا تُعْرِ الأحمقَ شيئاً فيظنُّه له »
وكذلك يجرى الأمرُ مع هؤلاء ؛ فإنَّهم استُكتبوا في الدُّولِ ، فظنُّوا أنَّ
الكتابةَ قد صارتْ لَهُمْ بأمرٍ حقٍّ واجبٍ .

ومن أعجبِ الأشياءِ أنَّي لا أرى إلا طامعاً في هذا الفنِّ مُدَّعيّاً له ، على
خُلُوه عن تحصيلِ آلاته وأسبابه ، ولا أرى أحداً يطمعُ في فنٍّ من الفنونِ
غيرِه ولا يدَّعيه !

هذا وهو يجرُّ لا ساحلَ له ، يحتاجُ صاحبه إلى تحصيلِ علومٍ كثيرةٍ ؛
حتى يندتهي إليه ، ويحتوى عليه ، فسبحانَ الله ! هل يدَّعي بعضُ هؤلاءُ أنَّه
فقيهٌ ، أو طبيبٌ ، أو حاسبٌ ، أو غيرُ ذلك ، من غيرِ أن يحصلَ آلات
ذلك ، ويتقنَ معرفتها ؟

فإذا كانَ العلمُ الواحدُ من هذه العلومِ الذي يمكنُ تحصيلُه في سنةٍ
أو سنتينِ من الزَّمانِ ، لا يدَّعيه أحدٌ من هؤلاءِ ، فكيف يجيءُ إلى فنِّ
الكتابةِ ، وهو مالا تحضَّلَ معرفتهُ إلا في سنينٍ كثيرةٍ ، فيدَّعيه ، وهو
جاهلٌ به ؟

وممَّا رأيتهُ من المدَّعينَ لهذا الفنِّ الذين حصلوا منه على القشورِ ، وقصروا
معرفةَهم على الألفاظِ المسجوعةِ العتمةِ التي لا حاصلَ وراءها ، أنهم إذا أنكرتْ
هذه الحالُ عليهم ، وقيلَ لَهُمْ : إنَّ الكلامَ المسجوعَ ليس عبارةً عن تواطؤِ
النِّقَرِ على حرفٍ واحدٍ فقط ؛ إذ لو كن عبارةً عن هذا وحده لأمكن أكثر

الناس أن يأتوا به من غير كلفة ، وإنما هو أمر وراه هذا ، وله شروطٌ متعددة
فإذا سمعوا ذلك أنكروه نخلوهم عن معرفته ؛ ثم لو عرفوه وأتوا به على الوجه
الحسن من اختيار الألفاظ المسجوعة لا حتاجوا إلى شرط آخر ، قد نبهت عليه
في باب (السجع) .

وإذا أنكر عليهم الاقتصاد على الألفاظ المسجوعة ، وهدوا إلى طريق
المعاني يقولون : لنا أسوةٌ بالعرب الذين هم أرباب الفصاحة ، فإنهم إنما اعتنوا
بالألفاظ ، ولم يعتنوا بالمعاني اعتناءكم بها !!

فلم يكنهم جهلهم فيما ارتكبوه ، حتى ادعوا الأسوة بالعرب فيه ،
فصارت جهالتهم جهالتين .

ولنذكر ههنا في الرد عليهم ما إذا تأملنا الناظر في كتابنا عرف منه
ما يؤتق ، ويذهب به الاستحسان كل مذهب ، فنقول :

اعلم أن العرب كما كانت تعتنى بالألفاظ فتصلحها وتهذبها ، فإن
المعاني أقوى عندها ، وأكرم عليها ، وأشرف قدرا في نفوسها ؛ فأول
ذلك عنايتها بالألفاظ ، لأنها لما كانت عنوان معانيها ، وطريقها إلى إظهار
أغراضها أصلحها وزينوها ، وبالفوا في تحسينها ؛ ليكون ذلك أوقع لها في
النفس ، وأذهب بها في الدلالة على القصد .

ألا ترى أن الكلام إذا كان مسجوعا لذ سامعه ؛ فحفظه ؛ وإذا لم يكن
مسجوعا لم يأنس به أنسه في حالة السجع ؟ .

فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم ، وحسنوها ، ورققوا حواشيها ؛
وصفقا أطرافها ؛ فلا تظن أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ فقط ؛ بل هي
خدمة منهم للمعاني ؛ ونظير ذلك إبراز صورة الحسنة في الحلل الموسمية ؛

والأنوابِ المحبّة ؛ فإنّا قد نجدُ من المعاني الفاخرة ما يشوّهُ من حسنه بِنَاذَة
لفظه ، وسوء العبارة عنه .

فإن قيل : إنّنا نرى من ألفاظ العرب ما قد حسّنوه وزخرفوه ، ولسنا
نرى تحته مع ذلك معنى شريفاً ، فمما جاء منه قول بعضهم^(١) :

ولمّا قضينا من منى كلّ حاجةٍ ومسح بالأرْ كان من هو ماسحُ
أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا وسالت بأعناقِ المطىّ الأباطحُ

ألا ترى إلى حسن هذا اللفظ وصقلته ، وتديج أجزائه ؟ ومعناه مع
ذلك ليس مدانياً له ، ولا مقارباً ؛ فإنه إنما هو : لما فرغنا من الحج ركبنا
الطريق راجعين وتحدثنا على ظهور الإبل . ولهذا نظائر كثيرة ، شريفة
الألفاظ ، خسيصة المعاني^(٢) ؟

(١) هذا الشعر ينسب إلى كثير عزة ، وإلى يزيد بن الطثيرة ؛ ونسبها
الشريف المرتضى في أماليه للمضرب ، وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي
سلمى (١١٠ / ٢) وبين هذين البيتين بيت هو :
وشدت على حذب المهاري رحالنا ولم ينظر الغادى الذى هو رائج
وفى بعض الروايات « دهم المهاري » والمهارة جمع مهريّة ، وهى
الإبل المنسوبة إلى قبيلة « مهرة بن حيدان » .

(٢) صاحب هذا النقد هو ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) فإنه جعل الشعر أربعة
أضرب ثانيها ضرب حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة
في المعنى ، وتمثل بالأبيات الثلاثة المذكورة ، ثم عقب عليها بقوله :
هذه الألفاظ كما ترى أحسن شئ من مخارج ومطالع ومقاطع ، إن نظرت
إلى ماتحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى ، واستلمنا الأركان ،
وعالينا إبلنا الأنضاء ، ومضى الناس لا ينتظر الغادى للرائح ، أبتدأنا في
الحديث ، وسارت المطى في الأبطح » وهذا في الشعر كثير (الشعر والشعراء
= (١١ - ١) .

فالجوابُ عَنْ ذَلِكَ أَنَا نَقُولُ ^(١) : هذا الموضعُ قَدْ سَبَقَ إِلَى التَّثْبُتِ بِهِ مَنْ لَمْ يُنْعَمِ النَّظَرُ فِيهِ ، وَلَا رَأَى مَرَّآةَ الْقَوْمِ ؛ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لَجَفَاءَ طَبْعٍ ، وَالنَّاظِرُ ، وَعَدَمَ مَعْرِفَتِهِ ، وَهُوَ أَنَّ فِي قَوْلِ هَذَا الشَّاعِرِ « كُلَّ حَاجَةٍ » مَا يَسْتَفِيدُ مِنْهُ ، أَهْلُ التَّنْسِيبِ وَالرَّقَّةِ [وَذَوُو] ^(٢) الْأَهْوَاءِ وَالْمَقَّةَ مَا لَا يَسْتَفِيدُهُ غَيْرُهُمْ ؛ وَلَا يَشَارِكُهُمْ فِيهِ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ .

أَلَا تَرَى أَنَّ حَوَائِجَ مَنِيْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ؟ فَفَنَهَا التَّلَاقُ ، وَمِنْهَا التَّشَاكِي ، وَمِنْهَا التَّخَلِّيُّ لِلْاجْتِمَاعِ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ تَالٍ لَهُ ؛ وَمَعْقُودُ السَّكُونِ بِهِ ، فَكَأَنَّ الشَّاعِرَ صَانَعَ عَنْ هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي أَوْمَأَ لَهُ ، وَعَقَّدَ غَرَضَهُ عَلَيْهِ ؛

= وتمثل بهذه الأبيات قدامة بن جعفر في نعت اللفظ بأن يكون سمحا سهل مخارج الحروف من مواضعها : عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة ، مثل أشعار يوجد فيها ذلك . وأن خلت من سائر النعوت للشعر (نقد الشعر ١٢) .

وقال أبو هلال العسكري : إن الكلام الذي إذا كان لفظه حلواً عذبا وسلسا سهلا ، ومعناه وسطا ، دخل في جملة الحيد ، وجرى مع الرائع النادر ، وذكر الأبيات الثلاثة ، ثم عقب عليها بمثل تعقيب ابن قتيبة (انظر الصناعتين ٥٩) .

(١) قد يعتقد القارئ أن هذا الجواب من ثمار فطنة ابن الأثير واستواء ملكته النقدية ، ولكن الحقيقة أنه سطا عليه ، ونقله بمعانيه وأكثر حروفه من غير أن يرجعه إلى صاحبه ، وكثيرا ما رأينا منه مثل ذلك ، وهذا الجواب هو من تأليف أبي الفتح عثمان بن جني صاحب « الخصائص » الذي بسط القول فيه على هذا النحو (أنظر الخصائص ١ - ٢٢٥) وقد أخذ رأى ابن جني أيضا عبد القاهر الجرجاني وجعله دفاعاً عن الشعر عند من استقل معناه (أنظر أسرار البلاغة ١٥ - ١٨)

(٢) زيادة عن الخصائص .

بقوله في آخر البيت « ومسح بالأركان مَنْ هو مسح » أى إنما كانت حوائجنا التى قضيناها ، وآرابنا^(١) التى بلمناها من هذا النحو الذى هو مسح الأركان ، وما هو لاحق به ؛ وجارٍ فى القربة من الله كجراه ، أى لم نتعد هذا القدر المذكور إلى ما يحتمله أول البيت من التعريض الجارى مجرى التصريح .

وأما البيت الثانى : فإن فيه « أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا » وفى هذا ما تذكره لتعجب به ؛ وبمن عجب منه ، ووضع من معناه ! .

وذلك أنه لو قال : « أخذنا فى أحاديثنا » ، أو نحو ذلك ، لكان فيه ما يكبره أهل النسيب ، فإنه قد شاع عنهم ، واتسع فى محاوراتهم علو قدر الحديث بين الإلّفين ؛ والجذل بجمع شمل المتواصين ، ألا ترى إلى قول بعضهم :

وحدثتني يأسعدُ عنها فزدتني جنونا فزدني من حديثك يأسعدُ
وقول الآخر :

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يحن قتل المسلم المتحرز^(٢)
فإذا كان قدر الحديث عندهم [مرسلاً]^(٣) على ما ترى ، فسكيف به إذا قيده بقوله « أخذنا بأطراف الأحاديث » ؟ فإن فى ذلك وحياً خفياً ، ورمزاً حلواً . ألا ترى أنه قد يريد بأطرافها ، ما يتعاطاه المحبون ، وبتفأوضه

(١) فى الخصائص « وآدابنا » .

(٢) هذا البيت والذى قبله فى الخصائص ١ - ٢٢٧ .

(٣) زيادة عن الخصائص ١ - ٢٢٨ والكلام منقول عن ابن جنى

ذَوُو الصَّبَابَةِ مِنَ التَّعْرِيزِ وَالتَّلْوِيحِ وَالْإِيْمَاءِ دُونَ التَّصْرِيحِ ؟ وَذَلِكَ أَخْلَى
وَأَطْيَبُ ، وَأَغْزَلُ وَأَنْسَبُ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَشْفًا وَمَصَارَحَةً وَجَهْرًا .

وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَعَنَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَعْلَى عِنْدَهُمْ ، وَأَشَدُّ
تَقْدَمًا فِي نَفْسِهِمْ مِنْ لَفْظِهِمَا ، وَإِنْ عَذِبَ وَلَدٌ مُسْتَمِعَهُ .
نَعَمْ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ :

* وَسَأَلْتُ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِيحُ *

مِنْ لَطَافَةِ الْمَعْنَى وَحُسْنِهِ مَا لَا خِفَاءَ بِهِ .

وَسَأَلْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَقُولُ : إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَمَّا تَحَدَّثُوا وَهُمْ سَائِرُونَ
عَلَى الْمَطَايَا شَغَلَتْهُمْ لَذَّةُ الْحَدِيثِ عَنْ إِمْسَاكِ الْأَزِمَةِ ؛ فَاسْتَرْخَتْ عَنْ أَيْدِيهِمْ ،
وَكَذَلِكَ شَأْنُ مَنْ يَسْرُهُ وَقَعْلِبُهُ الشَّهْوَةُ فِي أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ ؛ وَإِنَّمَا كَانَ الْأَمْرُ
كَذَلِكَ ، وَارْتَحَتْ الْأَزِمَةُ عَنْ الْأَيْدِي أَمْرَعَتِ الْمَطَايَا فِي الْمَسِيرِ ، فَشَبَّهَتْ أَعْنَاقُهَا
بِمُرُورِ السَّيْلِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فِي سُرْعَتِهِ ، وَهَذَا مَوْضِعٌ كَرِيمٌ حَسَنٌ ،
لَا مَزِيدَ عَلَى حُسْنِهِ .

وَالَّذِي لَا يُنْعِمُ نَظَرُهُ فِيهِ لَا يَعْلَمُ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْنَى ، فَالْعَرَبُ إِنَّمَا
تَحْسُنُ أَلْفَافُهَا ، وَتَزُخْرِفُهَا ، عَنَاءَةً مِنْهَا بِالْمَعَانِي الَّتِي تَحْتَهَا .

فَالْأَلْفَافُ إِذَا خَدِمَ الْمَعَانِي ، وَالْخَدُومُ لَا شَكَّ أَشْرَفُ مِنَ الْخَادِمِ ، فَاعْرِفْ
ذَلِكَ ، وَقِسْ عَلَيْهِ .

النوع الأول

في الاستعارة

وَلْتَقَدِّمَ قَبْلَ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ قَوْلًا جَامِعًا ، فَتَقُولُ :

اعْلَمْ أَنَّ لِلْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ أَوْصَافًا خَاصَّةً ، وَأَوْصَافًا عَامَّةً .

فَالْخَاصَّةُ : كَالْتَجَنُّيسِ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى اللَّفْظِ ، وَكَالْمِطَابَقَةِ فِيمَا يَرْجِعُ

إِلَى الْمَعْنَى .

وَأَمَّا الْعَامَّةُ : فَكَالسَّجْعِ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى اللَّفْظِ ، وَكَالِاسْتِعَارَةِ فِيمَا يَرْجِعُ

إِلَى الْمَعْنَى .

وهذا الموضعُ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِ ذِكْرِهِ — وَهُوَ الْاسْتِعَارَةُ — كَثِيرُ

الِإِشْكَالِ ، غَامِضُ الْخَفَاءِ .

وَسَأُورِدُ فِي كِتَابِي هَذَا مَا اسْتَخَرَجْتُهُ ، وَلَمْ أَسْمَعْ فِيهِ قَوْلًا لغيري .

وَكُنْتُ قَدَّمْتُ الْقَوْلَ فِي الْفَصْلِ السَّابِعِ مِنْ مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ ^(١) فِيمَا

يَخْتَصُّ بِاثْبَاتِ الْجَازِ ، وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ كَلَّةٌ حَقِيقَةٌ ،

لَا مَجَازَ فِيهِ ؛ وَأَقَمْتُ الدَّلِيلَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى إِعَادَتِهِ هَاهُنَا .

بَلِ الَّذِي أَذْكُرُهُ هَاهُنَا هُوَ مَا يَخْتَصُّ بِالِاسْتِعَارَةِ الَّتِي هِيَ جَزَاءٌ مِنَ الْجَازِ ،

وَلَمْ تُسَمَّ بِهَذَا الْإِسْمِ ، وَكُشِفَتْ عَنْ حَقِيقَتِهَا ، وَمِيزَتْهَا عَنِ التَّشْبِيهِ

الْمُضْمَرِ الْأَدَاةِ .

(١) أنظر صفحة ١٠٥ من القسم الأول من هذا الكتاب .

والكلامُ في هذا يحتاجُ إلى إعادة ذكر المجاز ، وإدخاله فيه ، ليتقررَ وَيَتَبَيَّنَ .

أقسام المجاز :

والذي انكشفَ لي بالنظرِ الصحيح أنَّ المجازَ ينقسمُ قِسْمَيْنِ :
توسُّعٌ في الكلامِ وتشبيه .

والتشبيهُ ضربان : تشبيهٌ تام ، وتشبيهٌ محذوف .

فالتشبيهُ التَّامُّ : أنْ يُذكرَ المشبَّهُ والمشبَّهُ به .

والتشبيهُ المحذوفُ : أنْ يُذكرَ المشبَّهُ دونَ المشبَّه به ، ويسمى
(استعارة) .

وهذا الإسمُ وُضِعَ للفرقِ بينه وبين التشبيه التَّامِّ ، وإلا فكلاهما يجوزُ
أنْ يُطلقَ عليه إسمُ (التشبيه) ويجوزُ أنْ يطلقَ عليه إسمُ (الاستعارة)
لاشترائيهما في المعنى .

وأما التوسُّعُ فإنه يُذكرُ للتصرُّفِ في اللغة ، لا لفائدةٍ أخرى .

وإن شئتَ قلت . إنَّ المجازَ ينقسمُ إلى توسُّعٍ في الكلامِ ، وتشبيه ،
واستعارة ، ولا يخرجُ عن أحدِ هذه الأقسامِ الثلاثة ، فإنَّها وجدَ كان مجازاً .

فإن قيل : إنَّ التوسُّعَ شاملٌ لهذه الأقسامِ الثلاثة ، لأنَّ الخروجَ من الحقيقةِ
إلى المجازِ اتِّساعٌ في الاستعمالِ . . .

قلتُ في الجواب : إنَّ التوسُّعَ في التشبيهِ والاستعارةِ جاءَ ضمناً وتبعاً ،
وإن لم يكنْ هو السببُ الموجِبَ لاستعمالهما .

وأما القسمُ الآخرُ — الذي هو التشبيهُ — ولا استعارةٌ — فإنَّ السببَ في
استعماله هو طلبُ التوسُّعِ لا غيرُ .

وبيان ذلك أنه قد ثبت أن المجاز فرعٌ عن الحقيقة ، وأن الحقيقة هي الأصل ، وإنما يُعدّل عن الأصل إلى الفرع لسبب اقتضاه .

وذلك السبب الذي يُعدّل فيه عن الحقيقة إلى المجاز إما أن يكون لمشاركة بين المنقول والمنقول إليه في وصف من الأوصاف ، وإما أن يكون لغير مشاركة .

الفرق بين التشبيه والاستعارة :

فإن كان لمشاركة ؛ فإما أن يذكر المنقول والمنقول إليه معاً ، وإما أن يذكر المنقول إليه دون المنقول .

فإن ذكر المنقول والمنقول إليه معاً كان ذلك تشبيهاً .

والتشبيه تشبيهان : تشبيه مظهر الأداة ، كقولنا : زيد كالأسد ، وتشبيه مضمّر الأداة كقولنا : زيد أسد .

وهذا التشبيه المضمّر الأداة قد خاطه قوم بالاستعارة ^(١) ، ولم يفرّقوا بينهما ، وذلك خطأ محض .

(١) سبق القاضي الجرجاني صاحب الوساطة ابن الأثير إلى التمييز بينهما ، فقد ذكر أنه قد ورد ما يظنه الناس استعارة وهو تشبيه أو مثل ، وأن بعض أهل الأدب ذكر أنواعاً من الاستعارة عد فيها قول أبي نواس : والحب ظهر أنت راكبه فإذا صرقت عنانه انصرفا وليس هذا وما أشبهه استعارة ، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهر أو الحب كظهر تديره كيف شئت إذا ملكك عنانه ، فهو إما ضرب مثل ، أو تشبيه شيء بشيء وإنما الاستعارة ما أكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ، وملاكها تقريب الشبه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ =

وَسَأَوْضَحَ وَجْهَ الْخَطَأِ فِيهِ ، وَأَحَقَّقَ الْقَوْلَ فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا تَحْقِيقًا جَلِيًّا ؛
فَأَقُولُ :

أَمَّا التَّشْبِيهُ الْمُظْهِرُ الْأَدَاةَ فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهِ هَاهُنَا ، لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ
لَا خِلَافَ فِيهِ ، لَكِنْ نَذَكِّرُ (التَّشْبِيهَ الْمَضْمَرِ الْأَدَاةِ) الَّذِي وَقَعَ فِيهِ
الْخِلَافُ ، فَنَقُولُ :

إِذَا ذُكِرَ الْمَنْقُولُ وَالْمَنْقُولُ إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ تَشْبِيهُ مَضْمَرُ الْأَدَاةِ قِيلَ فِيهِ :
زَيْدٌ أَسَدٌ ؛ أَيْ كَالْأَسَدِ ؛ فَأَدَاةُ التَّشْبِيهِ فِيهِ مُضْمَرَةٌ ؛ وَإِذَا أُظْهِرَتْ حَسَنَ
ظَهْوَرُهَا ؛ وَلَمْ تَقْدَحْ فِي الْكَلَامِ الَّذِي أُظْهِرَتْ فِيهِ ؛ وَلَا تُزِيلَ عَنْهُ فَصَاحَةٌ
وَلَا بَلَاغَةٌ .

وهذا بخلاف ما إذا ذُكِرَ الْمَنْقُولُ إِلَيْهِ دُونَ الْمَنْقُولِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَحْسُنُ فِيهِ
ظَهْوَرُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ وَمَتَى أُظْهِرَتْ أَزَالَتْ عَنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ مَا كَانَ مَتَّصِفًا بِهِ
مِنْ جِنْسِ فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ ، وَهَذَا هُوَ (الاستعارة) .

وَلْنَضْرِبَ لَكَ مَثَالًا نُوضِّحُهُ ؛ فَنَقُولُ :

قَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ ؛ وَهُوَ :

فَرَعَاءُ إِنِّ نَهَضْتُ لِحَاجَتِهَا عَجَلَ الْقَضِيبُ وَأَبْطَأَ الدَّعْصُ^(١)

وهذا قَدْ ذُكِرَ فِيهِ الْمَنْقُولُ إِلَيْهِ دُونَ الْمَنْقُولِ ؛ لِأَنَّ تَقْدِيرَهُ « عَجَلَ قَدْ
كَالْقَضِيبِ ؛ وَأَبْطَأَ رَدَفٌ كَالدَّعْصِ » وَبَيْنَ إِيْرَادِهِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ وَبَيْنَ
إِيْرَادِهِ عَلَى هَيْئَتِهِ فِي الْبَيْتِ بَوْنٌ بَعِيدٌ فِي الْحُسْنِ وَالْمَلَاخَةِ .

= بِالْمَعْنَى ، حَتَّى لَا يَوْجِدَ بَيْنَهُمَا مَنَافَرَةٌ ، وَلَا يَتَبَيَّنَ فِي أَحَدِهِمَا إِعْرَاضٌ عَنِ
الْآخَرِ وَانْظُرِ الْوَسَاطَةَ بَيْنَ الْمُتَنَبِّئِ وَخُصُوصِهِ ٤٠ .

(١) الْفَرَعَاءُ النَّامَةُ الشَّعْرُ ، وَالْدَّعْصُ قِطْعَةٌ مِنَ الرَّمْلِ مُسْتَدِيرَةٌ أَوْ
الْكُثَيْبُ .

والفرق إذاً أَنَّ التَّشْبِيهَ الْمُضْمَرَّ الْأَدَاةَ يَحْسُنُ إِظْهَارُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ ،
والاستعارة لا يَحْسُنُ ذَلِكَ فِيهَا .

وعلى هذا فَإِنَّ الاستعارة لا تكونُ إِلَّا بِحِثِّ يُطَوَّى ذِكْرُ الْمُسْتَعَارِ لَهُ
الَّذِي هُوَ الْمُنْقُولُ إِلَيْهِ ؛ وَيُكْتَفَى بِذِكْرِ الْمُسْتَعَارِ الَّذِي هُوَ الْمُنْقُولُ .

فَإِنْ قِيلَ : لَأَنْسَلُمُ أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ التَّشْبِيهِ وَبَيْنَ الْإِسْتِعَارَةِ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ ،
بَلِ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ التَّشْبِيهَ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَدَاتِهِ ، كَالْكَافِ ، وَكَانَ ، وَمَا جَرَى
مَجْرَاهُمَا ، فَمَا لَمْ يَظْهَرْ فِيهِ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ لَا يَكُونُ تَشْبِيهًا ، وَإِنَّمَا يَكُونُ إِسْتِعَارَةً ،
فَإِذَا قُلْنَا « زَيْدٌ أَسَدٌ » كَانَ ذَلِكَ (إِسْتِعَارَةً) وَإِذَا قُلْنَا « زَيْدٌ كَالْأَسَدِ »
كَانَ ذَلِكَ (تَشْبِيهًا) .

قُلْتُ فِي الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ : إِذَا لَمْ نَجْعَلْ قَوْلَنَا « زَيْدٌ أَسَدٌ » تَشْبِيهًا مُضْمَرًا
الْأَدَاةَ اسْتِحْكَالَ الْمَعْنَى ، لِأَنَّ زَيْدًا لَيْسَ أَسَدًا ، وَإِنَّمَا هُوَ كَالْأَسَدِ فِي شَجَاعَتِهِ ،
فَأَدَاةُ التَّشْبِيهِ تُقَدَّرُ هَاهُنَا ضَرُورَةً ؛ كَيْ لَا يَسْتَحِيلَ الْمَعْنَى .

فَإِنْ قِيلَ : وَكَذَلِكَ أَيْضًا إِذَا لَمْ تُقَدَّرْ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ فِي الْإِسْتِعَارَةِ اسْتِحْكَالَ
الْمَعْنَى ، لَأَنَّا إِذَا قُلْنَا « عَجَلَ التَّضْيِيبُ ، وَأَبْطَأَ الدَّعْصُ » فَمَا لَمْ تُقَدَّرْ فِيهِ أَدَاةُ
التَّشْبِيهِ ؛ وَإِلَّا اسْتِحْكَالَ الْمَعْنَى !

قُلْتُ فِي الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ : تَقْدِيرُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ ؛
لَكِنْ يَحْسُنُ إِظْهَارُهَا فِي التَّشْبِيهِ دُونَ الْإِسْتِعَارَةِ .

وَجَمَلَةُ الْأَمْرِ أَنَّا نَرَى أَدَاةَ التَّشْبِيهِ يَحْسُنُ إِظْهَارُهَا فِي مَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعٍ ،
فَعَلَمْنَا أَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَحْسُنُ إِظْهَارُهَا فِيهِ غَيْرُ الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يَحْسُنُ إِظْهَارُهَا
فِيهِ ، فَسَمِينَا الْمَوْضِعَ الَّذِي يَحْسُنُ إِظْهَارُهَا فِيهِ (تَشْبِيهًا مُضْمَرًا الْأَدَاةَ) وَالَّذِي
لَا يَحْسُنُ إِظْهَارُهَا فِيهِ (إِسْتِعَارَةً) .

وإنما فَعَلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ تَسْمِيَةَ مَا يَحْسُنُ إِظْهَارُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ بِـ (التَّشْبِيهِ)
 أَلْتَقَى ، وَتَسْمِيَةَ مَا لَا يَحْسُنُ إِظْهَارُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ بِـ (بِالاسْتِعَارَةِ) أَلْتَقَى ، فَإِذَا
 قُلْنَا « زَيْدٌ أَسَدٌ » حَسُنَ إِظْهَارُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ بِأَنْ نَقُولَ « زَيْدٌ كَالْأَسَدِ »
 وَإِذَا قُلْنَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

فَرَعَاءُ إِنِّ نَهَضْتُ لِحَاجَتِهَا عَجَلَ الْقَضِيبُ وَأَبْطَأَ الدَّعْصُ

لَا يَحْسُنُ إِظْهَارُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ ذَلِكَ أَوَّلًا .
 فَإِنْ قِيلَ . إِذَا أَجَزْتَ إِضْمَارَ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ ، وَقَدَّرْتَ إِظْهَارَهَا فِي قَوْلِكَ
 « زَيْدٌ أَسَدٌ » أَيْ كَالْأَسَدِ ، فَنَحْنُ نَضْمُرُ أَيْضًا الْمُسْتَعَارَ لَهُ وَنَقْدِرُ إِظْهَارَهُ فَإِنَّهُ
 لَمَّا قَالَ الشَّاعِرُ « عَجَلَ الْقَضِيبُ وَأَبْطَأَ الدَّعْصُ » أَضْمَرَ الْمُسْتَعَارَ لَهُ وَهُوَ الْقَدُّ
 وَالرِّدْفُ ، وَإِذَا أَظْهَرَ قِيلَ « عَجَلَ قَدٌّ كَالْقَضِيبِ ، وَأَبْطَأَ رِدفٌ كَالدَّعْصِ »
 وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْإِضْمَارَيْنِ ، فَكَمَا يَسْمَعُكَ إِضْمَارُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِكَ « زَيْدٌ
 أَسَدٌ » فَكَذَلِكَ يَسْمَعُنَا نَحْنُ إِضْمَارَ الْمُسْتَعَارِ لَهُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ !

فَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنِّي أَقُولُ : نَحْنُ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَاقِفُونَ مَعَ الْإِسْتِحْسَانِ
 لَا مَعَ الْجَوَازِ ، وَلَوْ تَأَمَّلْتَ مَا أوردتهُ فِي أَوَّلِ كَلَامِي بِالْعَيْنِ الصَّحِيحَةِ لَمَّا
 أوردتَ عَلَيَّ هَذَا الْإِعْتِرَاضَ هَاهُنَا ، فَإِنِّي قُلْتُ : التَّشْبِيهِ الْمَضْمُرُ الْأَدَاةَ يُحْسِنُ
 إِظْهَارُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ ، وَالْإِسْتِعَارَةُ لَا يَحْسُنُ إِظْهَارُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهَا ، وَلَوْ
 قُلْتُ : يَجُوزُ أَوْ لَا يَجُوزُ لَوُرِدَ عَلَيَّ هَذَا الْإِعْتِرَاضُ الَّذِي ذَكَرْتَهُ ، وَقَدْ عَلِمَ
 وَتَحَقَّقَ أَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ فِي حُكْمِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ أَلَّا يَظْهَرَ الْمُسْتَعَارُ لَهُ ، وَإِذَا
 أَظْهَرَ ذَهَبَ مَا عَلَى الْكَلَامِ مِنَ الْحُسْنِ وَالرَّوْنَقِ .

أَلَا تَرَى أَنَا إِذَا أوردْنَا هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي هُوَ ^(١) :

(١) الْبَيْتُ لِلرَّأَوَاءِ الدِّمَشْقِيِّ .

فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ

وَرَدًا وَعَصَتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

وَجِدَ عَلَيْهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالرَّوْنِقِ مَا لَا خَفَاءَ بِهِ ، وَهُوَ مِنْ بَابِ الِاسْتِعَارَةِ .
فَإِذَا أَظْهَرْنَا الْمُسْتَعَارَ لَهُ صِرْنَا إِلَى كَلَامِ غَثٍّ ، وَذَلِكَ أَنَا نَقُولُ : « فَأَمْطَرَتْ »
دَمْعًا كَاللُّؤْلُؤِ مِنْ عَيْنٍ كَالنَّارِجِسِ ، وَسَقَتْ خَدًّا كَالْوَرْدِ ، وَعَصَتْ عَلَى
أَنَامِلٍ مَخْضُوبَةٍ كَالْعُنَابِ بِأَسْنَانٍ كَالْبَرْدِ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْكَلَامَيْنِ
لِلْمُتَأَمِّلِ وَاسِعٌ .

وَهَكَذَا يَجْرِي الْحُكْمُ فِي الْبَيْتِ الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ الَّذِي هُوَ :

فَرَعَاءُ إِنْ نَهَضَتْ لِحَاجَتِهَا عَجَلَ الْقَضِيبُ وَأَبْطَأَ الدَّعْصُ

فَإِنَّ هَذَا الْبَيْتَ لَا خَفَاءَ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْحُسْنِ ، وَإِذَا ظَهَرَ فِيهِ الْمُسْتَعَارُ لَهُ
زَالَ ذَلِكَ الْحُسْنُ عَنْهُ ، لَا بَلَّ تَبَدَّلَ بِضَدِّهِ .

وَلَيْسَ كَذَلِكَ التَّشْبِيهُ الْمَضْمَرُ الْأَدَاةُ ، فَإِنَّا إِذَا أَظْهَرْنَا أَدَاةَ التَّشْبِيهِ
وَأَضْمَرْنَا هَا كَانَ ذَلِكَ سَوَاءً ، إِذَا لَا فَرْقَ بَيْنَ قَوْلِنَا « زَيْدٌ أَسَدٌ » وَبَيْنَ
قَوْلِنَا « زَيْدٌ كَالْأَسَدِ » وَهَذَا لَا يَخْفَى عَلَى جَاهِلٍ يَعْلَمُ الْفَصَاحَةَ وَالْبَلَاغَةَ فَضْلًا
عَنْ عَالَمٍ .

وَالْمَعُولُ عَلَيْهِ فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ مِنَ الْمَشُورِ وَالْمَنْظُومِ إِنَّمَا هُوَ حُسْنُهُ
وَطِلَاوَتُهُ ، فَإِذَا ذَهَبَ ذَلِكَ عَنْهُ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ .

وَنَحْنُ فِي الَّذِي نَوْرِدُهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَاقِفُونَ مَعَ الْحُسْنِ لَا مَعَ الْجَوَازِ .
ثُمَّ لَوْ تَنَزَّلْنَا مَعَكُمْ أَيُّهَا الْمَعْتَرِضُ عَنْ دَرَجَةِ الْحُسْنِ إِلَى دَرَجَةِ الْجَوَازِ لَمَّا
اسْتَقَامَ لَكَ مَا ذَكَرْتَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ إِضْمَارَ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ ظَاهِرٌ فِي قَوْلِنَا « زَيْدٌ
أَسَدٌ » أَيْ كَالْأَسَدِ ، وَهُوَ مُضْمَرٌ وَاحِدٌ ، وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ « فَرَعَاءُ إِنْ نَهَضَتْ »

لحاجتها » فإنه لا يُضمر فيه أداة التشبيه إلا بعد أن يظهر المستعار له ، وحينئذ يكون فيه إضماران أحدهما : المستعار له ، والآخر : أداة التشبيه . وإضمار واحد أيسر من إضمارين ؛ أحدهما معلق على الآخر .

وإذا كان الأمر كذلك فالفرق بين الاستعارة والتشبيه هو ما قدمت القول فيه من أن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له . فتأمل ما أشرت إليه وتدبره ، حتى تعلم أنني ذكرت ما لم يذكر أحد غيري على هذا الوجه .

وإنما سُمي هذا القسم من الكلام (استعارة) لأن الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة ، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئاً من الأشياء ، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضى استعارة أحدهما من الآخر شيئاً ، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئاً ؛ إذ لا يعرفه حتى يستعير منه . وهذا الحكم جارٍ في استعارة الألفاظ بعضها من بعض ؛ فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر .

واعلم أنه قد ورد من الكلام ما يجوز حمله على الاستعارة ؛ وعلى التشبيه المضمر الأداة معا ؛ باختلاف القرينة ؛ وذلك أن يرد الكلام محمولاً على ضمير من تقدم ذكره ؛ فينتقل عن ذلك إلى غيره ؛ ويرتجل ارتجالاً .
فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ الْبُحْتَرِيِّ (١) :

(١) ديوان البحتري ١-١٣٧ من قصيدة يمدح فيها أحمد وإبراهيم ابني المدبر ومطلعها :

عنانى من صدودك ماعنانى وعاولدى هواك كما بدانى

إِذَا سَفَرَتْ أَضَاءُ شَمْسٍ دَجْنٍ وَمَالَتْ فِي التَّعَطُّفِ غُصْنٌ بَانَ^(١)
 فَلَمَّا قَالَ « أَضَاءُ شَمْسٍ دَجْنٍ » — بِنَصْبِ الشَّمْسِ — كَانَ ذَلِكَ
 مَحْمُولًا عَلَى الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ « أَضَاءُ » كَأَنَّهُ قَالَ : أَضَاءَتْ هِيَ ؛ وَهَذَا تَشْبِيهُ
 لِأَنَّ الْمَشَبَّهَ مَذْكُورٌ ؛ وَهُوَ الضَّمِيرُ فِي « أَضَاءَتْ » الَّذِي نَابَتْ عَنْهُ التَّاءُ ؛ وَيَجُوزُ
 حَمْلُهُ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ ؛ بَأَن يُقَالَ « أَضَاءَتْ شَمْسٌ دَجْنٍ » بَرَفْعِ الشَّمْسِ ؛ وَلَا
 يَعُودُ الضَّمِيرُ حِينَئِذٍ إِلَى مَنْ تَقْدَمُ ذِكْرُهُ .

وَأَمَّا يَكُونُ الْكَلَامُ مُرْتَجِلًا ؛ وَيَكُونُ الْبَيْتُ :
 إِذَا سَفَرَتْ أَضَاءُ شَمْسٍ دَجْنٍ وَمَالَ مِنْ التَّعَطُّفِ غُصْنٌ بَانَ
 وَهَذَا الْمَوْضِعُ فِيهِ دَقَّةٌ غَوْضٌ ؛ وَحَرْفُ التَّشْبِيهِ يَحْسُنُ فِي الْأَوَّلِ ؛
 دُونَ الثَّانِي .

التوسع في الكلام :

وَأَمَّا الْقِسْمُ الَّذِي يَكُونُ الْعَدُولُ فِيهِ عَنِ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ لغير مشاركة
 بَيْنِ الْمَقُولِ وَالْمَنْقُولِ إِلَيْهِ فَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا لَطَلْبِ التَّوَسُّعِ فِي الْكَلَامِ ؛ وَهُوَ
 سَبَبٌ صَالِحٌ ؛ إِذِ التَّوَسُّعُ فِي الْكَلَامِ مَطْلُوبٌ .

ضربا التوسع :

وَهُوَ ضَرْبَانِ :

أحدهما : يَرِدُ عَلَى وَجْهِ الْإِضَافَةِ ؛ وَاسْتِعْمَالِهِ قَبِيحٌ ؛ لِإِعْدِ مَا بَيْنَ الْأَضَافِ
 وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَلْتَحِقُ بِالتَّشْبِيهِ الْمَضْمَرِ الْأَدَاةُ ؛ وَإِذَا وَرَدَ التَّشْبِيهُ
 وَلَا مَنَاسَبَةَ بَيْنَ الْمَشَبَّهِ وَالْمَشَبَّهَ بِهِ كَانَ ذَلِكَ قَبِيحًا ؛ وَلَا يَسْتَعْمَلُ هَذَا الضَّرْبُ

١ — رواية الديوان :

إِذَا انْصَرَفَتْ أَضَاءُ شَمْسٍ دَجْنٍ وَمَالَ مِنْ التَّعَطُّفِ غُصْنٌ بَانَ

من التوسّع إلا جاهلٌ بأسرارِ الفصاحةِ والبلاغةِ ؛ أو ساهٍ غافلٌ يذهبُ به
خاطرهُ إلى استعمالِ مالا يجوزُ ولا يحسنُ ؛ كقولِ أبي نواس^(١) :

بُحَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ

فقوله « بَحَّ صَوْتُ الْمَالِ » من الكلامِ النازلِ بالمرّةِ ، ومُرادهُ من
ذلك أَنَّ الْمَالَ يَتَظَلَّمُ مِنْ إِهْمَانَتِكَ إِيَّاهُ بِالْتَّمَزِيقِ ، فالعنى حسنٌ ، والتعبيرُ
عنه قبيحٌ .

وما أَحْسَنَ مَا قَالُ مُسْلِمٌ بْنُ الْوَلِيدِ^(٢) فِي هَذَا الْمَعْنَى :

تَظَلَّمَ الْمَالُ وَالْأَعْدَاءُ مِنْ يَدِهِ لَا زَالَ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءُ ظُلَامًا
وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ أَيْضًا^(٣) :

مَا لِرَجُلٍ الْمَالِ أُمِسَتْ تَشْتَكِي مِنْكَ الْكَلَالَا

فإضافةُ « الرَّجُلِ » إِلَى « الْمَالِ » أَقْبَحُ مِنْ إِضَافَةِ الصَّوْتِ .

ومن هذا الضربِ قولُ أبي تمام^(٤) :

(١) ديوان أبي نواس ٧٠ من قصيدة يمدح بها العباس بن عبد الله بن
أبي جعفر المنصور ، ومطلعها :

غرد الديك الصدوح فاسقنى طاب الصبح

(٢) من قصيدة يمدح فيها يزيد بن مزيد الشيباني ومطلعها ،

طيف الخيال حمدنا منك إماما داويت سقما وقد هيجت أسقاما

(٣) ديوان أبي نواس ١١٩ من قصيدة في مدح إبراهيم بن عبد الله
الحجبي وأولها :

هل عرفت الدار أجلى أهله عنسه فزالا

(٤) ديوان أبي تمام ١٢٧ من قصيدة في مدح موسى بن إبراهيم

الرافعي والاعتذار إليه ومطلعها :

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى ومحت كما محت وشاع من برد

وَكَمْ أَخْرَزَتْ مِنْكُمْ عَلَى قُبَيْحٍ قَدَّهَا

صُرُوفُ النَّوَى مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنِ الْقَدِّ (١)

فإضافة « القَدِّ » إلى « النَّوَى » من التشبيه البعید البعید ، وإنما أوقعه فيه المائلة بين القَدِّ والقَدِّ .

وهذا دأبُ الرَّجُلِ فِي تَتَبُّعِ (المائلة) تَارَةً . (والتَّجْنِيسِ) أُخْرَى ، حَتَّى أَنَّهُ لِيَخْرُجَ إِلَى بِنَاءٍ يُعَابُ بِهِ أَقْبَحُ عَيْبٍ وَأُفْخَشُ .
وكذلك وَرَدَ قَوْلُهُ (٢) :

بَلَوْنَاكَ أَمَّا كَعْبُ عِرْضِكَ فِي الْعُلَا

فَعَالٍ ، وَأَمَّا خَدُّ (٣) مَالِكٍ أَسْفَلُ

فقوله « كَعْبُ عِرْضِكَ » و « خَدُّ مَالِكٍ » بِمَا يُسْتَقْبَحُ وَيُسْتَنْكَرُ ، وَمُرَادُهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ عِرْضَكَ مَصُونٌ وَمَالِكٌ مُبْتَذَلٌ ، إِلَّا أَنَّهُ عَبَّرَ عَنْهُ أَقْبَحَ تَعْبِيرٍ .

وَأَبُو تَمَّامٍ يَقَعُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرًا .

وَأَمَّا الضَّرْبُ الْآخَرُ مِنَ التَّوَشُّعِ : فَانَّهُ يَرِدُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْإِضَافَةِ ، وَهُوَ حَسَنٌ لَا عَيْبَ فِيهِ .

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ

(١) رواية الديوان « صُرُوفُ الرَّدَى » موضع صُرُوفِ النَّوَى .
والقَدِّ القَوَامُ ، والمرهف الرقيق .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٤٥ من قصيدة في مدح أبي المستهل محمد بن شقيق الطائي ، مطلعها :

تَحْمِلُ عَنْهُ الصَّبْرُ يَوْمَ تَحْمَاوَا وَعَادَتْ صَبَاهُ فِي الصَّبَا وَهِيَ شِمَالُ

(٣) رواية الديوان « جَدُّ » بالجمع المعجمة ، والجد الحظ .

إلى السماء وهى دُخانٌ فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين^(١)» فنسبة القول إلى السماء والأرض من باب التوسع، لأنهما أجادٌ، والنطق إنما هو الإنسان لا للجادِ ، ولا مشاركة هاهنا بين المنقول والمنقول إليه .

وكذلك قوله تعالى : « فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين^(٢) » .

وعليه ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه نَظَرَ إلى أحدٍ^(٣) يوماً فقال : « هذا جَبَلٌ مُحِبُّنَا وَنَحِبُهُ » فإضافة الحبة إلى الجبل من باب التوسع ، إذ لا مشاركة بينه وبين الجبل الذى هو جاد .

(١) سورة فصلت : الآية ١١ قال ابن قتيبة : إن قوما قالوا فى هذه الآية : لم يقل الله ولم تقولا ، وكيف يخاطب معدوماً ؟ وإنما هذا عبارة لكونهما فكانتا . ورد عليهم بقوله : وما فى نطق جهنم ونطق السماء والأرض من العجب ؟ والله تبارك وتعالى ينطق الجلود والأيدى والأرجل ، ويسخر الجبال والطير بالتسبيح .

وأنظر تأويل مشكل القرآن ٧٨ و ٨٣ .

(٢) سورة الدخان : الآية ٢٩ قال ابن قتيبة تعقيباً على هذه الآية تقول العرب إذا أرادت تعظيم مهلك رجل عظيم الشأن ، رفيع المكانة ، عام النفع ، كثير الصنائع : أظلمت الشمس له ، وكسف القمر لفقده وبكته الريح والبرق والسماء والأرض ، يريدون المبالغة فى وصف المصيبة به ، وأنها قد شملت وعمت ، وإيس ذلك بكذب لأنهم جميعاً متواطئون عليه ، والسامع له يعرف مذهب القائل فيه — أنظر تأويل مشكل القرآن ١٢٧ .

(٣) أحد — بضم أوله وثانيه معاً — اسم لجبل ظاهر المدينة ، كانت عنده الغزوة المشهورة ، وهو جبل أحمر فى شمالى المدينة .

وعلى هذا وردَ مخاطبةُ الطَّلُولِ ، ومساءلةُ الأحجار ، كقولِ أبي تمام^(١) :

أَمِيدَانِ هَوَى مَنْ أُنَاحَ لَكَ الْبَلَى
فَأَصْبَحْتَ مِيدَانِ الصَّبَا وَالْجَمَانِ

وكقولِ أبي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِ^(٢) :

إِنِّي لِنَثِ فِينَا أَيُّهَا الطَّلَلُ نَبْكَى وَتُرْزَمُ تَحْتَنَا الْإِبِلُ^(٣)

فأَبُو تَمَّامٍ سَاعِلٌ رُبُوعًا عَافِيَةً ، وَأَحْجَارًا دَارِسَةً ، وَلَا وَجْهَ لَهَا هَاهُنَا إِلَّا مَسَاءَلَةُ الْأَهْلِ ، كَالَّذِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ^(٤) » أَى أَهْلَ الْقَرْيَةِ .

وَكُلُّ هَذَا تَوْشَعٌ فِي الْعِبَارَةِ ، إِذْ لَا مِشَارَكَةَ بَيْنَ رُسُومِ الدِّيَارِ وَبَيْنَ فَهْمِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ .

وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئُ فِي أَمْرِهِ الطَّلَلُ بِأَنْ يَكُونَ ثَالِثًا لَهَا : أَى الرِّكْبِ وَالْإِبِلِ ، وَهَذَا وَاضِحٌ لَا نِزَاعَ فِيهِ .

فَإِذْ قَدْ تَبَيَّنَ وَتَحَقَّقَ مَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ فَالْجَازُ لَا يَخْرُجُ عَنْ

(١) ديوانه ٤١ من قصيدة في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي ، ومطاعها :

على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب
(٢) ديوان المتنبي ٢٩٩/٣ وهو مطلع قصيدة في مدح عضد الدولة .

(٣) ثلاث الرجلين صرت ثالثتهما ، والإرزام حنين الإبل ، ومنه الرزمة صوت السحاب ، والطلل ما أشرف من بقايا الديار .

(٤) سورة يوسف : الآية ٨٢ .

هذه الأقسام الثلاثة : إما توسع ، أو تشبيه ؛ أو استعارة . وإذا حققنا النظر في الاستعارة والتشبيه وجدناهما أمراً قياسيًّا في حمل فرع على أصل ، لمناسبة بينهما ، وإن كانا يفترقان بمحدّهما وحقيقتيهما .

حد الاستعارة :

فأما حد الاستعارة فقول : إنه نقلُ المعنى من لفظٍ إلى لفظٍ بسبب مشاركة بينهما .

وهذا الحدُّ فاسدٌ ، لأن التشبيه يشارك الاستعارة فيه .

ألا ترى أننا إذا قلنا « زيد أسد » أى : كأنه أسد ، وهذا نقلُ المعنى من لفظٍ إلى لفظٍ بسبب مشاركة بينهما ؛ لأننا نقلنا حقيقة الأسد إلى زيد ؛ فصار مجازاً ؛ وإنما قلناه لمشاركة بين زيد وبين الأسد في وصف الشجاعة .

والذى عندى من ذلك أن يُقال : حدُّ الاستعارة نقلُ المعنى من لفظٍ إلى لفظٍ ، لمشاركة بينهما ، مع طيِّ ذكر المنقول إليه ؛ لأنه إذا احتُرز فيه هذا الاحترازُ اختص بالاستعارة ؛ وكان حدًّا لها دون التشبيه ؛ وطريقه أنك تريد تشبيه الشيء بالشيء مظهرًا ومضمراً ؛ وتجيئ إلى المشبه فتعيّره اسمُ المشبه به ، وتجرّبه عليه . مثال ذلك أن تقول : رأيتُ أسداً ؛ وهذا كالبيت الشعر المقدم ذكره ؛ وهو :

فَرَعَاءُ إِن نَهَضَتْ لِحَاجَتِهَا عَجَلَ الْقَضِيبُ وَأَبْطَأَ الدَّعْصُ

فإن هذا الشاعر أراد تشبيه القدِّ بالقضيب والرّدْف بالدّعص الذى هو كَثِيبُ الرَّمْلِ ؛ فترك ذكر التشبيه مظهرًا ومضمراً ؛ وجاء إلى المشبه — وهو القدِّ [والرّدْف] — فأعاره المشبه به ؛ وهو القضيب والدّعص ؛ وأجراه عليه .

القرينة :

إلا أن هذا الموضع لا بدَّ له من قرينة يُفهم من خَوَى اللفظ ؛ لأنه إذا قال القائل : رأيتُ أسداً ؛ وهو يريدُ رجلاً شجاعاً ؛ فإنَّ هذا القول لا يُفهم منه ما أراد ؛ وإنما يُفهم منه أنه أراد الحيوان المعروف بالأسد ؛ لكن إذا اقترن بقوله هذا قرينة تدل على أنه أراد رجلاً شجاعاً اختص الكلام بما أراد ، ألا ترى إلى قول الشاعر « عجل القضيب وأبطأ الدعص » فإنه دل عليه من نفس البيت لأن قوله « فرعاه إن نهضت » دليل على أن المراد هو القدِّ والرَّدْف ، لأنَّ القضيب والدَّعص لا يكونان لامرأة فرعاء تنهض لحاجتها . وكذلك كلُّ ما يجرى على هذا الأسلوب ، لأنَّ المستعار له — وهو المنقول إليه — مطوًى الذِّكْر .

قول ابن جنى فى المجاز والرد عليه :

وكنْتُ تصفَّحْتُ كِتَابَ (الخصائص) لأبى الفتح عُثْمَانَ ابْنَ جَنِى (١) ، فوجدته قد ذكر فى المجاز شيئاً يتطرق إليه النظر ، وذلك أنه قال : لا يُعدَّل

(١) كان من حذاق أهل الأدب ، وأعلمهم بالنحو والتصريف . صنَّف فى النحو والتصريف كتباً أبدع فيها كالخصائص والمنصف وسر الصناعة ، وصنَّف كتباً فى شرح القوافى ، وفى العروض ، وفى المذكر والمؤنث إلى غير ذلك ، ولم يصنّف أحد فى التصريف ، ولا تكلم فيه ، أحسن ولا أدق كلاماً منه وكان أبوه « جنى » مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد لأزدى الموصلى « وكان يقول الشعر ويحجده ، أخذ عن أبى على الفارسي وصحبه أربعين سنة ، ودرس النحو ببغداد بعده ، وتوفى ابن جنى فيما ذكر ابن الأنبارى يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة فى خلافة القادر — انظر نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ٤٠٩ .

عن الحقيقة إلى المجاز إلا اعلان ثلاثة : وهى الاتساع ، والتشبيه ، والتوكيد ، فإن
عدم الثلاثة . كانت الحقيقة البتة .

فمن ذلك قوله تعالى : فَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ^(١) « فهذا مجاز ، وفيه الثلاثة
المذكورة :

أما الاتساع : فهو أنه زاد في أسماء الجهات والحال أسماء ، وهو الرحمة .
وأما التشبيه : فإنه شبه الرحمة — وإن لم يصح دخولها — بما يصح
دخوله .

وأما التوكيد : فهو أنه أخبر عما لا يدرك بالحاسة بما يُدرك بالحاسة ،
تعالى بالخبر عنه ، وتفضيلاً له ، إذا صير ، بمنزلة ما يشاهد ويعاين .

هذا مجموع قول أبي الفتح — رحمه الله — من غير زيادة ولا نقص .
والنظر يطرق إليه من ثلاثة أوجه :

الأول : أنه جعل وجود هذه المعاني الثلاثة سبباً لوجود المجاز ، بل وجود
واحد منها سبباً لوجوده ، ألا ترى أنه إذا وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازاً ،
وإذا وجد الاتساع وحده كان ذلك مجازاً ، ثم إن كان وجود هذه المعاني
الثلاثة سبباً لوجود المجاز كان عدم واحد منها سبباً لعدمه .

ألا ترى أنا إذا قلنا : لا يوجد الإنسان إلا بأن يكون حيواناً ناطقاً ؛
فالحيوانية والنطق سبب لوجود الإنسان ؛ وإذا عظم واحد منهما بطل أن
يكون إنساناً ؛ وكذلك كل صفات تكون مقدمة لوجود الشيء فإن
وجودها بوجوده ؛ وعدم واحد منها يوجب عدمه ؟

(١) سورة الأنبياء : الآية ٧٥ .

وأما الوجه الثاني : فإنه ذكر التوكيد والتشبيه ؛ وكلاهما شيء واحد على الوجه الذى ذكره ؛ لأنه لما شُبِّهَت الرحمة ، وهى معنى لا يُدْرَكُ بالبصر ، بمكانٍ يُدْخَلُ ؛ وهو صورةٌ تُدْرَكُ بالبصر ؛ دخل تحت التوكيد الذى هو إخبارٌ عما لا يُدْرَكُ بالحاسة بما قد يُدْرَكُ بالحاسة .

على أن التوكيد هاهنا ؛ على وجه ما أوردته فى تمثيله ؛ لا أعلم ما الذى أراد به ؛ لأنه لا يؤتى به فى اللغة العربية إلا لمعنيين :

أحدهما : أنه يردُ أبداً فيما استقرى بالفاظٍ محصورةٍ نحو : نفسه ؛ وعينه ؛ وكله ، وما أُضِيفَ إليها مما استقرى ؛ وهو مذكور فى كتب النحاة ؛ وقد كُفِيتْ مَثُونَتُهُ .

الآخر : أنه يُرد على وجه التكرير ؛ نحو : قام زيد قام زيد ؛ كرر اللفظ فى ذلك تحقيقاً للمعنى المقصود ؛ أى توكيداً .

والذى ذكره أبو الفتح — رحمه الله تعالى — لا يدلُّ على أن المراد به أحد هذين المعنيين المشار إليهما ؛ ولا شك أنه أراد به المبالغة والمغالة فى إبراز المعنى الموهوم إلى الصورة المشاهدة ، فعبرَ عن ذلك بالتوكيد ؛ ولا مُشَاحَّةَ لَهُ فى تعبيره ، وإذا أراد به ذلك فهو والتشبيه سواء على ما ذكره ؛ ولا حاجة إلى ذكر التوكيد مع ذكر التشبيه .

وأما الوجه الثالث : فإنه قال : « أما الاتساع فهو أنه زاد فى أسماء الجهات والمحال كذا وكذا » .

وهذا القول مضطربٌ شديد الاضطراب ؛ لأنه ينبغى على قياسه أن يكون « جناح النل » فى قوله تعالى « وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ » (١) زيادةً

(١) سورة الإسراء : الآية ٢٤

في أسماء الطيور ؛ وذلك أنه زاد في أسماء الطيور اسماً هو الذلّ. وهكذا يجري الحكم في الأقوال الشعرية كقول أبي تمام (١) :

لَبِستُ سِوَاهُ أَقْوَامًا فَكَانُوا كَمَا أَغْنَى التَّيْمُمُ بِالصَّعِيدِ
فَزَادَ فِي أَسْمَاءِ اللِّبَاسِ اسْمًا ؛ هُوَ الْآدَمِيُّ ، وَهَذَا مِمَّا يُضْحِكُ مِنْهُ ؛ نَعُوذُ
بِاللَّهِ مِنَ الْخَطَلِ !

والإتساع في المجال لا يقال فيه كذا ؛ وإنما يقال : هو أن تُجرى صفة من الصفات على موصوفٍ ليس أهلاً لأن تُجرى عليه ؛ لبعده ما بينه وبينها ؛ كقول أبي الطيب المتنبي :

إِثْلَتْ فِينَا أَيُّهَا الطَّلَلُ نَبْكِ وَتُرْزَمَ تَحْتَنَا الْإِبِلُ
فَإِنَّهُ أَجْرَى الْكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ ؛ وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ طَلَبًا لِلإِتْسَاعِ فِي أَسَالِيبِ
الْكَلَامِ ؛ لَا لِمُنَاسَبَةٍ بَيْنَ الصِّفَةِ وَالْمَوْصُوفِ ؛ إِذْ لَوْ كَانَ لِمُنَاسَبَةٍ لِمَا كَانَ
ذَلِكَ اتِّسَاعًا ؛ وَإِنَّمَا كَانَ ضَرْبًا مِنَ الْقِيَاسِ فِي حَمْلِ الشَّيْءِ عَلَى مَا يُنَاسِبُهُ
وَيْشَأُ كُلُّهُ ؛ وَحِينَئِذٍ يَكُونُ ذَلِكَ تَشْبِيهًا أَوْ اسْتِعَارَةً ؛ عَلَى مَا أَثَرْتُ إِلَيْهِ
مِنْ قَبْلِ .

أقسام المجاز عند الغزالي واعتراضات ابن الأثير :

وَكُنْتُ أَطَّلَعْتُ فِي كِتَابٍ مِنْ مُصَنَّفَاتِ أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ (٢) — رَحِمَهُ

(١) ديوان أبي تمام ١٠٧ من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي ومطلعها :

أُظِنَ دَمُوعَهَا سَنَنَ الْفَرِيدِ وَهِيَ سَلَكَادُ مَنْ نَحَرَ وَجِيدِ

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ، الفقيه الشافعي ، ولد في طوس ونشأ فيها « وتكاثر الفلاسفة في عصره ، وناهضوا رجال الدين ، فتصدى لهم ، وكان أحد المجتهدين ، قضى أعواماً وهو يطالع ويفكر =

الله — أَلْقَه فِي أَصُولِ الْفِقْهِ ؛ وَوَجَدْتُهُ قَدْ ذَكَرَ « الْحَقِيقَةَ وَالْجَازَ » وَقَسَمَ الْجَازَ إِلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ قِسْمًا ؛ وَتِلْكَ الْأَرْبَعَةُ عَشَرَ تَرْجِعُ إِلَى الثَّلَاثَةِ الَّتِي أَشْرَفْتُ إِلَيْهَا ؛ وَهِيَ التَّوَسُّعُ ؛ وَالتَّشْبِيهُ ؛ وَالِاسْتِعَارَةُ ، وَلَا تَخْرُجُ عَنْهَا . وَالتَّقْسِيمُ لَا يَصِحُّ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا إِذَا اخْتَصَّ كُلُّ قِسْمٍ مِنَ الْأَقْسَامِ بِصِفَةٍ لَا يَخْتَصُّ بِهَا غَيْرُهُ ، وَإِلَّا كَانَ التَّقْسِيمُ لَفَوًّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ .

وَسُؤِرِدَ مَا ذَكَرَهُ ، وَأُبَيِّنُ فُسَادَهُ .

فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَقْسَامِ الَّتِي ذَكَرَهَا هُوَ : مَا جُعِلَ لِلشَّيْءِ بِسَبَبِ الْمِشَارَكَةِ فِي خَاصَّةٍ ؛ كَقَوْلِهِمُ لِلشُّجَاعِ : أَسَدٌ . وَالْبَلِيدِ : حِمَارٌ . وَهَذَا الْقِسْمُ دَاخِلٌ فِي الْإِسْتِعَارَةِ . إِنْ ذُكِرَ الْمَنْقُولُ وَخَذَهُ . مِثْلُ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ « رَأَيْتُ أَسَدًا » وَمِرَادُهُ رَجُلًا شُجَاعًا . أَوْ « رَأَيْتُ حِمَارًا » وَمِرَادُهُ « رَجُلًا بَلِيدًا » . وَدَاخِلٌ فِي التَّشْبِيهِ الْمُضْمَرِ الْأَدَاةِ . إِنْ ذُكِرَ الْمَنْقُولُ وَالْمَنْقُولُ إِلَيْهِ مَعًا . كَقَوْلِ الْقَائِلِ « زَيْدٌ أَسَدٌ » أَيْ كَالْأَسَدِ . أَوْ حِمَارٌ . أَيْ كَالْحِمَارِ .

الْقِسْمُ الثَّانِي : تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ مَا يَثُولُ إِلَيْهِ :

كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا »^(١) ، وَإِنَّمَا كَانَ يَعْصِرُ عَنَبًا .

وَهَذَا الْقِسْمُ دَاخِلٌ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ . لِصِفَةِ الْمِشَابَهَةِ بَيْنَ الْمَنْقُولِ وَالْمَنْقُولِ

= وَيَدْرُسُ فِي الْمَدْرَسَةِ النَّظَامِيَّةِ . ثُمَّ انْقَطَعَ عَنِ التَّدْرِيسِ وَسَلَكَ طَرِيقَ الزَّهْدِ ، وَقَضَى عَشْرَةَ أَعْرَامٍ فِي الْأَسْفَارِ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ عَلَى طَرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ ، وَهُوَ يَطَالِعُ وَيُبْحِثُ وَيَنْظُرُ ، فَسَمِيَ حُجَّةَ الْإِسْلَامِ ، وَخَلَفَ مَا يَزِيدُ عَلَى سَبْعِينَ مَوْأَلِفًا — تَوَفَّى سَنَةَ ٥٠٥ هـ .

(١) سُورَةُ يُوسُفَ : الْآيَةُ ٣٦ .

إليه . وهو من باب (الاستعارة) لا بلْ أَوْغُلُ في المشابهة من ذاك . لأنَّ
الْخَمْرُ من الْعِنَبِ . وليسَ الْأَسَدُ من الرَّجُلِ . ولا الرَّجُلُ من الْأَسَدِ (١) .

القسم الثالث : تسمية الشيء باسم فرعه :

كقول الشاعر :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا نَوْمَةٌ وَتَشْوَقُ وَتَمَرُّ عَلَى رَأْسِ النَّخِيلِ وَمَا
فَسَى الرُّطْبِ تَمَرًا .

وهذا القسمُ والقسمُ الذي قبله سواء . لأنَّ هناكُ سُمِّيَ الْعِنَبُ خَمْرًا .
وَهَاهُنَا سُمِّيَ الرُّطْبُ تَمَرًا . فالْعِنَبُ أَصْلٌ . وَالخمرُ فرعٌ . وكذلك الرُّطْبُ
أَصْلٌ . وَالتَّمَرُ فرعٌ . وَكِلَا هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ داخلٌ في القسمِ الأولِ .

وَهَبْ أَنْ الْغَزَالِيَّ لم يَحَقِّقْ أَمْرَ الْجَازِ وانقسامه إلى تلك الأقسام الثلاثة
التي أشرتُ إليها ، أَلَمْ يَنْظُرْ إلى هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا الْعِنَبُ وَالخمرُ ،
وَالرُّطْبُ وَالتَّمَرُ ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا ؟

القسم الرابع : تسمية الشيء باسم أصله :

كقولهم للآدِيَّ « مُضَغَّةٌ » ، وهذا ضِدُّ الْقِسْمِ الذي قبله ، لأنَّ ذاك جُعِلَ
الأصلُ فيه فَرْعًا ، وهذا جُعِلَ الْفَرْعُ فيه أَصْلًا ، وهو داخلٌ في القسمِ
الأوَّلِ أيضًا .

(١) ليس صحيحا ما اعترض به ابن الاثير، لأن الخمر وإن كانت
من العنب لا وجه للشبه بينهما في الشكل أوفى الهيئة أوفى الأثر أو غير ذلك ،
وإنما الخمر منه ، فصح كلام الإمام الغزالي ، وبقى مثل كلامه في البلاغة
العربية حتى اليوم التي تجعل هذا المثل من باب المجاز المرسل والعلاقة
فيه ما ذكر أبو حامد ، والمجاز المرسل أحد قسمي المجاز اللغوي :
المجاز الاستعاري (الاستعارة) ، والمجاز المرسل ، ويختص الأول
بعلاقة المشابهة ، والآخر بكل علاقة سواها .

القسم الخامس : تسمية الشيء بنوعيه :

كتسميتهم الاعتقاد قولاً ، نحو قولهم : « هذا يقول يقول الشافعي رحمه الله » أي : يعتدُّ اعتقاده .

وهذا القسمُ داخلٌ في القسم الأول ، لأنَّ بينَ القولِ وبينَ الاعتقادِ مناسبةٌ كالمناسبةِ بين السَّببِ والمسبَّب . والباطنِ والظاهر .

القسم السادس : تسمية الشيء باسم مكانه :

كقولهم للمطر « سماء » . لأنه ينزلُ منها .

وهذا القسمُ داخلٌ في الأول . لِصِفَةِ المناسَبةِ بين المنقولِ والمنقولِ إليه ، وهو النزولُ من عالٍ . وكلُّ ما علاك فأظلك فهو « سماء » .

على أنَّ الأغلبَ على ظنيَّ أنَّ هذا القسمَ من الأسماء المشتركة . وتسمية المطرِ بـ « السماء » حقيقةً فيه ، وليسَ من المجازِ في شيء .

القسم السابع : تسمية الشيء باسم مجاوره :

كنولهم للمزادة « راوية » وإنما الراوية الجملُ الذي يحملها ^(١) .

وهذا القسمُ من بابِ التَّوَسُّعِ ؛ لا مِنْ بابِ التَّشْبِيهِ ، ولا من بابِ الاستعارة ، لأنَّ على قياسه ينبغي أن يسمَّى الجملُ « زاملة » لأنه يحملها ^(٢) .

القسم الثامن : تسمية الشيء باسم جزئه :

كقولك لمن تُبغِضُه « أَبْعَدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِّي » وإنما تُريدُ سائرَ جُثَّتِهِ .

(١) في المختار : الرواية البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقي عليه ،

والعامة تسمى المزادة راوية ، وهو جائز استعارة ، والأصل ما ذكرناه .

(٢) في المختار : الزاملة بعير يستظهر به الرجل يحمل دتاعة وطعامه

وهذا القسمُ داخلٌ في القسمِ الأوَّلِ ، وهو شبيهٌ بِتَسْمِيَةِ الشَّيْءِ
باسمِ فَرْعِهِ .

القسم التاسع : تسمية الشيء باسم ضده :

كقولهم لِلْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ « جَوْنٌ » .

وهذا القسمُ ليسَ من المجاز في شيء التَّبَتُّ ؛ وإنما هو حقيقةٌ في هذين
المسمَّيْنِ معاً ، لأنه من الأسماءِ المُشْتَرَكَةِ ، كقولهم : « شِمْتُ السَّيْفَ »
إِذَا سَلَّطْتُهُ ، و « شِمْتُهُ » إِذَا أَعْمَدْتُهُ ، فدلَّ الشِّمُّ عَلَى الضَّدِّينِ معاً
بِالْوَضْعِ الْحَقِيقِيِّ .

وفي اللَّغَةِ من هذا شيءٌ كثيرٌ . فكيفَ يُجْمَلُ هذا القسمُ من المجاز ؟
ولا شكَّ أَنَّ الْغِزَالِيَّ نَظَرَ إِلَى أَنَّ الضَّدِّينِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ ،
فَقَاسَ الْأَسْمَ عَلَى الذَّاتِ . وَظَنَّ أَنَّ الذَّاتَيْنِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي اسْمٍ وَاحِدٍ . كَمَا
أَنَّهُمَا لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ .

فَإِنْ قِيلَ : لَا نُسَلِّمُ أَنَّ اللَّفْظَ الْمُشْتَرَكَ حَقِيقَةٌ بِالْوَضْعِ فِي الْمَعْنِيَيْنِ معاً . لِأَنَّ
ذَلِكَ يُخِلُّ بِفَأْيِدَةِ الْوَضْعِ . الَّذِي هُوَ الْبَيَانُ . وَإِنَّمَا هُوَ حَقِيقَةٌ فِي أَحَدٍ مَعْنِيَّتِهِ .
مَجَازٌ فِي الْآخَرِ !

فَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ : أَنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي
مِنْ مَقْدَمَةِ الْكِتَابِ . وَهَذَا الْفَصْلُ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى آلَاتِ عِلْمِ الْبَيَانِ
وَأَدَوَاتِهِ فَلْيُؤَخِّذْ مِنْ هُنَاكَ . فَإِنِّي قَدْ أَشْبَعْتُ الْقَوْلَ فِيهِ إِشْبَاعًا لَا مَزِيدَ
عَلَيْهِ ^(١) .

(١) انظر صفحة ٤٠ وما بعدها من القسم الأول من هذا الكتاب .

القسم العاشر : تسمية الشيء بفعله :

كتسمية الخمر « مُسْكراً » .

وهذا القسم داخل في القسم الأول . وأى مشاركة أقرب من هذه المشاركة ؟ فإن الإسكار صفة لازمة للخمر . وليست الشجاعة صفة لازمة لزيد . لأنه يُمكن أن يكون زيد ولا شجاعة . ولا يمكن أن يكون خمر ولا إسكار . ألا ترى أنها لم تُسم خمرًا إلا لإسكارها . فإنها تخمر العقل . أى تستره ؟

القسم الحادى عشر : تسمية الشيء بكلمة :

كقولك فى جواب « ما فعل زيد » ؟ القيام . والقيام : جنس يتناول جميع أنواعه .

وهذا القسم لا ينفى أن يوصل بأقسام المجاز . لأن القيام لزيد حقيقة . فإن قيل : إن القيام يشمل جميع أنواع القيام من الماضى والحاضر والمستقبل .

قلت : وهذا من أقرب أقسام المجاز مناسبة . لأنه إقامة للمصدر مقام الفعل الماضى . والمصدر أصل الفعل . وعلى هذا فإن هذا داخل فى القسم الأول .

القسم الثانى عشر : الزيادة فى الكلام لغير فائدة :

كقوله تعالى : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ » ^(١) فَ (ما) هاهنا زائدة لامعنى لها . أى : فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

وهذا القولُ لا أراهُ صواباً . وفيه نظرٌ من وجهين :

أحدهما : أنَّ هذا القسمَ ليسَ من المجازِ . لأنَّ المجازَ هو دلالةُ اللفظِ على غير ما وُضِعَ له في أصلِ اللغة . وهذا غيرُ موجودٍ في الآية : وإِنَّمَا هِيَ دَالَةٌ عَلَى الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ الْمَنْطُوقِ بِهِ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ .

الوجهُ الآخرُ : أنَّى لو سلمتُ أنَّ ذلكَ من المجازِ لأنكرتُ أنَّ لفظةَ (ما) زائدةٌ لا معنى لها . ولكنها وردتْ تَفْخِيماً لِأَمْرِ النُّعْمَةِ الَّتِي لَانَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ : وَهِيَ مُحْضُ الْفَصَاحَةِ : وَلَوْ عُرِّيَ الْكَلَامُ مِنْهَا لَمَا كَانَتْ لَهُ تِلْكَ الْفَخَامَةُ .

وقد وردَ مثلاً في كلامِ العربِ . كالذي يُحْكِي عن الرَّبَّاءِ . وذاك أنَّ الوضاحَ الذي هو جَذِيعَةُ الْأَبْرَشِ ^(١) تزوجها . والحكايةُ في ذلكَ مشهورةٌ ، فلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا كَشَفَتْ لَهُ عَنْ فَرْجِهَا . وقد ضفرت الشعرَ من فوقِهِ ضَفِيرَتَيْنِ . وَقَالَتْ : (أَدَاتَ عَرَسٍ تَرَى . أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ عَوَزِ الْمَوَاسِ . وَلَا مِنْ قِلَّةِ الْأَوَاسِ . وَلَكِنَّهُ شَيْعَةٌ مَا أَنَاسَ) .

فمعنى الكلامِ : ولكنه شيعَةٌ أَنَاسَ . وإِنَّمَا جَاءَتْ لَفْظَةُ (ما) هَاهُنَا تَفْخِيماً لِشَأْنِ صَاحِبِ تِلْكَ الشَّيْعَةِ . وَتَعْظِيماً لِأَمْرِهِ . وَلَوْ أُسْقِطَتْ لَمَا كَانَ لِلْكَلامِ هَاهُنَا هَذِهِ الْفَخَامَةُ وَالْجُرْأَةُ . وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا أَهْلُهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ .

(١) كان جذيعة الأبرش ملك ما على شاطئ الفرات ، وكانت الرباء ملكة الجزيرة ، وكان يقال جذيعة الأبرش وجذيمة الوضاح ، وذلك أنه كان أبرص ، فهابت العرب أن تقول له ، فقالت « الأبرش » وكانت تقول للذي به البرص : به وضح ، تفاديا من البرص ، فقالوا جذيعة الوضاح ، وهو جاهلي .

وَأَمَّا الْغَزَالِيُّ — رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى — فَإِنَّهُ مَعذُورٌ عِنْدِي فِي الْآءِ يَعْرِفُ ذَلِكَ . لِأَنَّهُ لَيْسَ فَتَنَهُ .

وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ فِي الْقُرْآنِ لَفْظًا زَائِدًا لَامَعْنَى لَهُ فَلَيْمَّا أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا بِهَذَا الْقَوْلِ . وَلَيْمَّا أَنْ يَكُونَ مُتَسَمِّحًا فِي دِينِهِ وَاعْتِقَادِهِ .

وَقَوْلُ النُّحَاةِ إِنْ (مَا) فِي هَذِهِ الْآيَةِ زَائِدَةٌ . فَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِهِ أَنَّهَا لَا تَمْنَعُ مَا قَبْلَهَا عَنِ الْعَمَلِ ، كَمَا يَسْمُوْنَهَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ كَافَةً . أَيْ : أَنَّهَا تَكْفِي الْحَرْفَ الْعَامِلَ عَنْ عَمَلِهِ . كَقَوْلِكَ : إِنَّمَا زَيْدٌ قَائِمٌ . فَمَا قَدْ كَفَتْ (إِنْ) عَنْ الْعَمَلِ فِي زَيْدٍ ، وَفِي الْآيَةِ لَمْ تَمْنَعْ عَنْ الْعَمَلِ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهَا لَمْ تَمْنَعْ (الْبَاءَ) عَنْ الْعَمَلِ فِي خَفَضِ (الرَّحْمَةِ) .

القسم الثالث عشر : تسمية الشيء بحكمه :

كقوله تعالى : (وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسًا لِلنِّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا) ^(١) فسمى النكاح (هِبَةً)

وهذا القسم داخل في القسم الأول ، لأنَّ النكاح هو تمكين الزوج من الوطء عَلَى عَوَضٍ عَلَى هِبَةٍ مَخْصُوصَةٍ ، وَالْهِبَةُ تَكْنِيهِ مِنَ الشَّيْءِ الْمَوْهُوبِ عَلَى غَيْرِ عَوَضٍ ، فَشَارَكَتِ الْهِبَةُ النِّكَاحَ فِي نَفْسِ التَّمْكِينِ مِنَ الْوَطْءِ . وَإِنْ اخْتَلَفَا فِي الصُّورَةِ .

القسم الرابع عشر : النقصان الذي لا يبطل به المعنى :

كخذف الموصوف وإقامة الصفّة مقامه . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا) ^(٢) أَيْ : شَخْصًا بَرِيئًا .

(١) سورة الأحزاب : الآية ٥٠

(٢) سورة النساء ، الآية ١١٢ .

وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . قال الله تعالى : (واسأل القرية)^(١) أى : أهل القرية .

وهذا القسم داخل في القسم الأول : أما حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه فلأن الصفة لازمة للموصوف ، وأما حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه فلأنه دلّ بالمسكون على الساكن ؛ وتلك مقارنة قريبة .

فهذه أقسام المجاز التي ذكرها النزالى رحمه الله تعالى (وقد بينت فساد التقسيم فيها ، وأنها ترجع إلى ثلاثة أقسام هي : التوسع ؛ والتشبيه ؛ والاستعارة .

* * *

وحيث انتهى بي الكلام إلى هاهنا ، وفرغت مما أردت تحقيقه ؛ وبينت ما أردت بيانه ، فإني أتبع ذلك بضرب الأمثلة للاستعارة التي يستفيد بها المتعلم ما لا يستفيده بذكر الحد والحقيقة .

فمما جاء ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى في أول سورة إبراهيم — صلوات الله عليه — : « الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور »^(٢) .

فالظلمات والنور استعارة للكفر والإيمان ؛ أو للضلال والهدى ؛ والمستعار له مطوى الذكر ؛ كأنه قال : لتخرج الناس من الكفر الذي هو كالظلمة إلى الإيمان الذي هو كالنور .

(١) سورة يوسف : الآية ٨٢ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ١ .

وكذلك ورد قوله تعالى في هذه السورة أيضاً (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) ^(١) .

والقراءة برفع (لَتَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) ليست من باب الاستعارة ، ولكنها في نصب (تَنْزُولَ) واللام لَمْ (كَيْ) والجبال هاهنا استعارة ، طوى فيها ذكر المستعار له ، وهو أمرُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من الآيات والمعجزات ، أى أنهم مكرُوا مكرهم لِكَيْ تَنْزُولَ مِنْهُ هذه الآيات والمعجزات التى هي في ثباتها واستقرارها كالجبال .

وعلى هذا ورد قوله تعالى « وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالًا يَفْعُلُونَ » ^(٢) .

فاستعار الأودية لِلْفُنُونِ والأغراض من المعانى الشعرية التى يقصدونها ، وإنما خصَّ الأودية بالاستعارة ولم يستعر الطُرُق والمسالك أو ماجرى مجراها لأنَّ معانى الشعر تُستخرج بالفكرة والروية ؛ والفكرة والروية فيهما خفاءٌ وُغُوضٌ ، فكان استعارة الأودية لها أشبهه واليَقَ .

والاستعارة في القرآن قليلة ، لكن التشبيه المضمرة الأداة كثير ؛ وكذلك هي في فصيح الكلام من الرسائل والخطب والأشعار ، لأن طَيَّ المستعار له لا يتيسر في كلِّ كلام ، وأمَّا التشبيه المضمرة الأداة فكثير سهل ، لكان إظهار المشبه والمشبه به معاً .

* * *

ومما ورد من الاستعارة في الأخبار النبوية قولُ النبي صلى الله عليه وسلم :

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤٦ .

(٢) سورة الشعراء ، الآيات : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

« لَا تَمْتَصِفُوا بِنَارِ الْمُشْرِكِينَ » فاستعارَ النَّارَ للرَّأْيِ والمَشُورَةِ ، أَيْ لَا تَهْتَدُوا بِرَأْيِ الْمُشْرِكِينَ ، وَلَا تَأْخُذُوا بِمَشُورَتِهِمْ .

وَرَوَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا مُصَلَّاهُ ، فَرَأَى أَنَاثًا كَانَهُمْ يُكْثِرُونَ ، فَقَالَ : أَمَّا إِنَّكُمْ لَوَأْ كَثَرْتُمْ مِنْ ذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ لَشَفَلَكُمْ عَمَّا أَرَى) وَهَازِمُ اللَّذَاتِ أَرَادَ بِهِ الْمَوْتَ ، وَهُوَ مَطْوِيُّ الذِّكْرِ .

وَبَلَغَنِي عَنِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ عِنْدَ رُؤْيَا الْهَلَالِ (لَا مَرَجًا بِاللَّجِينَ مُقَرَّبُ أَجَلٍ وَتَحَلٍّ) وَهَذَا مِنْ بَابِ الِاسْتِعَارَةِ فِي طَيِّ ذِكْرِ الْمُسْتَعَارِ لَهُ .

وَكَذَلِكَ بَلَغَنِي عَنِ الْحِجَّاجِ بْنِ يَوْسَفَ ^(١) أَنَّهُ خَطَبَ خُطْبَةً عِنْدَ قُدُومِهِ الْعِرَاقَ فِي أَوَّلِ وَلَايَتِهِ إِيَّاهُ ، وَالْخُطْبَةُ مَشْهُورَةٌ ، مِنْ جُمْلَتِهَا أَنَّهُ قَالَ : إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَثَلَ ^(٢) كِنَانَتَهُ ، وَعَجَمَهَا ^(٣) عُودًا عُودًا ، فَرَأَى أَصْلَهَا نِجَارًا ، وَأَقْوَمَهَا عُودًا ؛ وَأَنْفَذَهَا نَصْلًا) فَقَوْلُهُ (نَثَلَ كِنَانَتَهُ ؛ وَعَجَمَهَا عُودًا عُودًا) يَرِيدُ أَنَّهُ عَرَضَ رِجَالَهُ ؛ وَاخْتَبَرَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا جِدًّا اخْتِبَارَهُ فَرَأَى أَشَدَّهُمْ وَأَمْضَاهُمْ .

وَهَذَا مِنْ الِاسْتِعَارَةِ الْحَسَنَةِ الْفَائِقَةِ .

(١) هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحِجَّاجُ بْنُ يَوْسَفَ الثَّقَفِيُّ وَلِدَ سَنَةَ ٤١ هـ ، وَتَرَبَّى فِي الْإِسْلَامِ مَعَ الْإِحْتِفَازِ بِشَخْصِيَّةِ جَاهِلِيَّةٍ عَنِيفَةٍ ، ظَهَرَتْ آثَارُهَا فِي أَعْمَالِهِ وَفِي كَلَامِهِ . وَقَدْ وَلِيَ عِدَّةَ مَنَاصِبَ لِبَنِي أُمِيَّةٍ ، وَاشْتَهَرَ بِالْخُطَابَةِ الْقَوِيَّةِ وَسِيَاسَةِ الْعُنْفِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٩٥ هـ .

(٢) نَثَلَ الْكِتَانَةُ : اسْتَخْرَجَ نَبْلَهَا فَنَشَرَهَا .

(٣) الْكِتَانَةُ جَعْبَةُ السِّهَامِ ، وَعَجَمَ عِيدَانَهَا عَضَمَهَا لِيَنْظُرَ أَيُّهَا أَصْلَبُ ، وَهَذَا وَمَا بَعْدَهُ كِنَايَةٌ عَنْ أَنَّهُ اخْتَبَرَ أَعْوَانَهُ ، فَوَجَدَ الْحِجَّاجَ أَصْلَحَهُمْ لِلْحُكْمِ الْعِرَاقِ .

وقد جاءني من الاستعارة في رسائي ما أذكر شيئاً منه ؛ ولو مثلاً واحداً .
 وذلك أنه سألت بعض الأصدقاء أن أصف له غلامين تركيين كان
 يهواههما ، وكان أحدهما يلبس قباءً أحمر ، والآخر قباءً أسود ؛ فقلت :

(إذا تشعبت أسباب الهوى كانت لِسِرِّه أظهر ، وأضحّت أمراضه
 خطراً كلّها ، ولا يقال في أحدها : هذا أخطر ، وقد هويت بَدْرَيْنِ على
 غُصْنَيْنِ ، ولا طاقة للقباب بهوى واحد ، فكيف إذا حمل هوى اثنين ؟
 ومما شجاني أنهما يتلوّنان في أصباغ الثياب ، كما يتلوّنان في فنون التجرّم
 والعتاب ، وقد استجداً الآن زياً لا مزيد على حُسْنهما في حُسْنه ، فهذا
 يخرج في ثوب من حُمره خدّه ، وهذا في ثوب من سوادِ جَفْنه ، وما
 أدرى من دَلِّها على هذا العجيب غير أنّه ليس عى فِتْنَةِ الحبِّ أَهْدَى
 من حبيب) .

وهذا الفصلُ بجمَلته مما توصّفه الناسُ ، وأغرّوا بحفظه .

وأما ماورد من ذلك شعراً فكقول مسكين الدارمي ^(١) من شعراء
 الحماسة :

(١) اسمه ربعة بن عامر يصل نسبه إلى دارم بن مالك ، وسمى
 مسكينا لقوله :

أنا مسكين لمن أنكرني ولمن يعرفني جد نطقي

وهو شاعر شريف إسلامي ، كان في عهد بني أمية ، وهو سيد من
 سادات قومه ، هاجى الفرزدق ثم تكافئا ، فكان الفرزدق يعد ذلك من
 الشدائد التي أفلت منها . قال الفرزدق : نجوت من ثلاثة أشياء لا أخاف
 بعدها شيئا : نجوت من زياد حين طلبني . ونجوت من ابني رميلة =

لحافٍ لحافٍ الضَّعِيفُ وَالْيَتِيمُ بَيْنَهُ

وَلَمْ يُلْهِني عَنْهُ غَزَالٌ مُقْنَعٌ

أَحَدُهُ إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرَى

وَتَعَلَّمَ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ^(١)

فالغزالُ المَقْنَعُ هنا استعارة للمرأة الحسنة .

وكذا ورد قول رجلٍ من بني يسارٍ في كتاب الحماسة أيضاً^(٢) :

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَّدَ رَأُهَا رُؤْيَدَكَ لَمَّا تُشْفِقِي حِينَ تُشْفِقِ

رُؤْيَدَكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي عَمَايَةَ هَذَا الْعَارِضِ الْمُتَأَلِّقِ

فالعَارِضُ الْمُتَأَلِّقُ : استعارة للحرب أو الذي أَطْلَ بِمَكْرُوهِهِ كَالْبَارِقِ

الْمُتَأَلِّقِ .

ويحكى أن امرأةً وقفت لعبد الملك بن مروان^(٣) ، وهو سائر إلى قتال

= وقد نذرا أدمى وما فاتهما أحد طلباه ، ونجوت من مهاجرة مسكين الدارمي لأنني لو طاولت معه الهجاء لا ضطررتني أن أهدم شطر حسبي وفخرى : لأنه من بحبوبة نسبي وأشراف عشيرتي ٥

(١) البيتان في ديوان الحماسة ٣١٤/٢ ومعناها كل ما أملكه فهو للضعيف ، وليس يلهمني عنه ما يلهمي الناس ، وإنني لا أقصر على إطعامه ، بل لا أزال أحدثه وأونسه حتى ينام ، والغزال المقنع أراد به ذا الوجه الجميل .

(٢) ديوان الحماسة ١٤٣/١ وقد نسب هذا الشعر لرجل من بني أسد قاله في يوم اليمامة ، وقد سبق لإيراد البيتين وتصحيحهما في صفحة ٣٨١ من القسم الأول من هذا الكتاب عند الكلام في « اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها » .

(٣) عبد الملك بن مروان خامس خلفاء بني أمية شب عاقلاً أدبياً =

مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ^(١) ، فقالت : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فقال : رُؤَيْدُكَ حَتَّى تَنْظُرِي
عَمَّ تَنْجَلِي . . . وأنشد البيت .

* * *

ومن هذا الباب قولُ عبد السلام بن رَغْبَانِ المعروف بِدِيكِ الجَنِّ :
لَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَنْ حَدَقِ الْمَهَا وَبَسَمْتُ عَنْ مُتَفَتِّحِ الثُّوَارِ
وَعَقَدْتُ بَيْنَ قَضِيبِ بَانٍ أَهْيَفٍ وَكَشِيبِ رَمْلِ عُقْدَةِ الزُّنَارِ
عَقَّرْتُ حُدًى فِي الثَّرَى لَكَ طَائِعًا وَعَزَمْتُ فِيكَ عَلَى دُخُولِ النَّارِ
وهذه الأبياتُ لا تجدُ لها في الحسنِ شريكًا ، وَلَآنَ يَسْمَى قَائِلُهَا شُحْرُورًا
أُولَى مِنْ أَنْ يَسْمَى دِيكًا !
وكذلك وردَ قوله :

لَا ، وَمَكَانِ الصَّلِيبِ فِي النَّحْرِ مِنْكَ وَجَرَى الزُّنَارِ فِي الْخَصْرِ
وَالْخَالِ فِي الْخَدِّ إِذَا أَشْبَهَهُ وَرَدَّةٌ مِنْكَ عَلَى ثَرَى تَبْرِ
وَحَاجِبٍ مَدْ خَطُّهُ قَلَمُ الْحُسْنِ بِحَبْرِ الْبَهَاءِ لَا الْحَبْرِ
وَأَقْحَوَانِ بِفِيكَ مُنْتَظِمٍ عَلَى شَبِيهِ مِنْ رَائِقِ الْخَمْرِ
فالبيت الرابعُ هو الخاصُّ بالاستعارة ، والمستعارُ له هو الثَّغْرُ والرَّيْقُ .

= حازما ، وخلف أباه على الملك ، فكان من أنبه حكام المسلمين ؛
استطاع قمع الثائرين على بنى أمية ، وتقوية سلطانه في البلاد الإسلامية
وكانت وفاته سنة ٨٦ هـ .

(١) كان مصعب بن الزبير والياً على العراق من قبل أخيه عبد
الله بن الزبير حتى دهمته جيوش عبد الملك ؛ وقتلته سنة ٧٢ هـ .

ومما ورد لأبي تمام في هذا المعنى قوله^(١) :

لما غدا مُظْلِمَ الْأَخْشَاءِ مِنْ أَشْرِ
فَالْكُوكَبُ اسْتِعَارَةً لِلرُّمَحِ .
أَسْكَنْتُ جَانِحَتَيْهِ كَوْكَبًا يَقْدُ^(٢)

وكذلك ورد قوله في الاعتذار^(٣) :

أَسْرَى طَرِيدًا لِلْحَيَاءِ مِنَ الْتَى زَعَمُوا وَلَيْسَ لِرَهْبَةٍ بِطَرِيدٍ
وَعَدًا تَبَيَّنَ مَا بَرَاءَةٍ سَاحَتِي لَوْ قَدْ نَقَضْتَ تَهَائِي وَتُجُودِي^(٤)
وَالْتِهَامُ وَالنُّجُودُ هُمَا اسْتِعَارَةٌ مِمَّا اسْتَعَارَهُ مِنْ بَاطِنِ أَمْرِهِ وَظَاهِرِهِ .

وكذلك ورد قوله^(٥) :

(١) ديوان أبي تمام ٩٩ من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد
ابن يوسف الطائي ، ومطاعها :

يابعد غاية دمع العين إن بعدوا هي الصبابة طول الدهر والسهد

(٢) الأشر البطر وكفر النعمة و الجانحة الضلع .

(٣) ديوان أبي تمام ٨٤ من قصيدة يمدح فيها أحمد بن أبي دؤاد

ويعتذر إليه ، ويستشفع بخالد بن يزيد ومطاعها :

أرأيت أي سواف وخلود عنت لنا بين اللوى فزود

(٤) التهام المنخفضات ، والنجود المرتفعات ، وبين هذا البيت والبيت

الذي قبله بيتان ، هما :

كنت الربيع أمامه ووراء قمر القبائل خالد بن يزيد

فالغيث من زور سحابة رافة والركن من شيبان طود حديد

(٥) ديوان أبي تمام ١١ من قصيدته في مدح المعتصم بالله أبي أسحاق

محمد بن هارون الرشيد ، ويذكر فتح عمورية ، ومطاعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

كَمْ أُخْرِزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ مُصَلَّتَةً
تَهْتَرُ مِنْ قَضْبٍ تَهْتَرُ فِي كُشْبٍ (١)
فَالْقُضْبُ وَالْكُشْبُ استعارةٌ للقُدُودِ والأردافِ .
وكذلك ورد في هذه القصيدة أيضاً عند ذكر ملك الروم وإنهزامه لما
فُتِحَتْ مدينة عَمُورِيَّة ، فقال :
إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدُوُّ الظَّلِيمِ فَقَدْ
أَوْسَعَتْ جَايِحَهُمَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ (٢)
فَالْحَطَبُ استعارةٌ للقتلى .
وقبلَ هذا البيتِ ما يُدُلُّ عليه ، لأنَّه قال .
أَحْسَى قَرَابِيئَهُ صِرْفَ الرَّدَى وَمَضَى
يَحْتُ أَتَجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ (٣)
مُوكَّلاً بِيَفَاعِ الْأَرْضِ بِشَرْفِهِ
مِنْ خِفَّةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ (٤)
إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدُوُّ الظَّلِيمِ . . . البيت .

-
- (١) قضب الهندى السيوف ، مصلته مسلوقة .
(٢) الديوان ١١ ، والعدو الإسراع ، والظلم ذكر النعام ، والجاحم
شدة الحرارة .
(٣) فى الأصل «أحذى» موضع «أحسى» و «يحتث» ، موضع «يحت»
والتصويب عن الديوان ومعنى أحسى سقى ، والحث السوق .
(٤) فى الأصل «يشرفها» «موضع» «يشرفه» والتصويب عن
الديوان ، واليفاع العالى ، ويشرفه يعلوه .

وأحسنَ من هذا كله قوله^(١) :

تَطُلُ الطَّلُولُ الدَّمْعَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَتَمَثَّلُ بِالصَّبْرِ الدَّيَّارُ الْمَوَائِلُ^(٢)
دَوَارِسُ لَمْ يَجْفُ الرَّبِيعُ رُبُوعَهَا وَلَا هَرَّ فِي أَغْفَالِهَا وَهُوَ غَافِلُ^(٣)
يُعْقِنَ مِنْ زَادِ الْعُقَاةِ إِذَا انْتَحَى عَلَى الْحَيِّ صَرْفَ الْأَزْمَةِ الْمُتَحَامِلُ^(٤)

فقوله : « زاد العُقَاة » استعارة ، طُوِيَ فيها ذكرُ المُسْتَعَارِ له ، وهو
أهلُ الدَّيَّار ، كأنه قال : يُعْقِنَ مِنْ قَوْمٍ هُمُ زَادُ الْعُقَاةِ

وله في الغزل من الاستعارة ما بلغ به غاية اللطافة والرقة ، وذلك في
قصيدته التي مطلعها :

* إِنَّ عَهْدًا لَوْ تَعْلَمَانِ ذِمِّيَا^(٥) *

فقال :

قَدْ مَرَرْنَا بِالْأَدَارِ وَهِيَ خَلَاءٌ فَبَكَيْنَا طُلُوعَهَا وَالرُّشْدَ — وَمَا

(١) ديوان أبي تمام ٢٥٥ من قصيدة له في مدح محمد بن عبد الملك
الزيات ومطلعها :

مَتَى أَنْتَ عَنْ ذَهْلِيَّةِ الْحَيِّ ذَاهِلٌ وَقَلْبُكَ مِنْهَا مَدَّةُ الدَّهْرِ أَهْلٌ
(٢) تَطُلُ تَسْكُبُ ، تَمَثَّلُ بِهِ تَقْتَلُهُ .

(٣) الْأَغْفَالُ الْقَفَارُ .

(٤) فِي الدِّيَّانِ تَعْقِنَ بِالتَّاءِ ، وَفِي الْأَصْلِ « ضَرْبُ الْأَزْمَةِ » مَوْضِعُ
« صَرْفِ الْأَزْمَةِ » وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الدِّيَّانِ ، وَبَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَالْبَيْتِ الَّذِي
قَبْلَهُ بَيْتٌ لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ الْأَثِيرِ ، وَهُوَ :

فَقَدْ سَجَبَتْ فِيهِ السَّحَابُ ذِيْلَهَا وَقَدْ أَحْمَلَتْ بِالنُّورِ مِنْهَا الْحَمَائِلُ
(٥) صَلَدَ بَيْتٌ وَعَجَزَهُ :

* أَنْ تَنَامَا عَنْ لَيْلَتِي أَوْ تَنِيَا *

وهو مطلع قصيدة في مدح أبي سعيد ، وقد قدم من مكة . الديوان ٢٩٠ .

وَسَأَلْنَا رُبُّوعَهَا فَانْصَرَفْنَا بِسَقَامٍ ^(١) وَمَا سَأَلْنَا حَكِيمًا
 كُنْتُ أَرَعَى النُّجُومَ ^(٢) حَتَّى إِذَا مَا
 فَارَقُونِي أَمْسَيْتُ أَرَعَى النُّجُومًا
 والبيت الثالثُ هو المخصوصُ بالاستعارة .

وعلى هذا المنهاج ورد قولُ البحترى ^(٣) :
 وَأَغَرَّ فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ مُحَجَّلٍ قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أَغَرٍّ مُحَجَّلٍ
 وَالْأَغَرُّ الْحَجَّلُ الْأَوَّلُ هُوَ الْمَدُوحُ ؛ وَالْأَغَرُّ الْحَجَّلُ الثَّانِي هُوَ الْفَرَسُ
 الَّذِي أَعْطَاهُ إِيَّاءَ .
 وكذلك وَرَدَ قَوْلُهُ ^(٤) :

وَصَاعِقَةٍ فِي كَفِّهِ تَنْكَفِي بِهَا عَلَى أَرْؤُسِ الْأَعْدَاءِ خَمْسُ سَحَائِبٍ ^(٥)
 وَهَذَا مِنَ النَّمْطِ الْعَالِي الَّذِي شَغَلَتْ بَرَاعَةُ مَعْنَاهُ وَحُسْنُ سَبْكِهِ عَنِ النَّظَرِ
 إِلَى اسْتِعَارَتِهِ ، وَالْمُرَادُ بِالسَّحَائِبِ الْخَمْسِ : الْأَصَابِعُ .

(١) فِي الدِّيْوَانِ « بِشَقَاءٍ » .

(٢) رَوَايَةُ الدِّيْوَانِ « كُنْتُ أَرَعَى الْبَدُورَ » هَذَا الْبَيْتُ قَبْلَ الْبَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ
 فِي رَوَايَةِ الدِّيْوَانِ .

(٣) دِيْوَانُ الْبَحْتَرِيِّ ٢ / ٢١٧ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِي
 ابْنِ عَيْسَى الْقُمِيِّ الْكَاتِبِ ، وَمُطْلَعُهَا :

أَهْلًا بِذَلِكُمُ الْخِيَالِ الْمَقِيلِ فَعَلَ الَّذِي نَهَوَاهُ أَوْ لَمْ يَنْعَلِ

(٤) دِيْوَانُ الْبَحْتَرِيِّ ٢ / ٢١١ مِنْ قَصِيدَةٍ مُطْلَعُهَا :

هَبِيهِ لِمَنْهَلِ الدَّمُوعِ السَّوَاكِبِ وَهَبَاتِ شَوْقٍ فِي حِشَاءِ لَوَاعِبِ

(٥) رَوَايَةُ الدِّيْوَانِ « مِنْ نَصْلِهِ » « مَوْضِعٌ » فِي كَفِّهِ ، « وَالْأَقْرَانُ مَوْضِعٌ »

الْأَعْدَاءُ .

وكذلك ورد في أبيات الحماسة :

دَكَّ طَوْدَ الْكُفْرِ دَكًّا صَاعِقُ مَنْ وَقَعَ سَيْفُكَ
أَرْسَلْتَهُ خَمْسُ سُحُبٍ نَشَأَتْ مِنْ بَحْرِ كَفِّكَ

وكذلك ورد قوله في أبيات يصف فيها السيف :

حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةً لَمْ تَذْبُلْ^(١)

وهذا من الحسن على ما يشهد لنفسه ، كأنه قال : حملت حمائله سيفاً أخضر الحديد كالبقلة .

وعلى هذا الأسلوب ورد قول أبي الطيب المتنبي :

فِي الْخَلْدِ إِنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلاً مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودَ مُحُولاً^(٢)

وكذلك ، ورد قوله^(٣) :

* يَمْدُ يَدَيْهِ فِي الْمَفَاضَةِ ضَيْغَمٌ^(٤) *

(١) آخر بيت في قصيدة البحترى التي مطلعها :

أهلاً بذلكم الخيال المقبل فعل الذي نهواه أو لم يفعل
وقد تقدم بيت من هذه القصيدة في الصفحة السابقة .

(٢) ديوان المتنبي ٢٣٢/٣ وهو مطلع قصيدة في مدح بدر بن عمار وذكر الأسد ، وقد أعجله فضر به بسوطه .

(٣) ديوان المتنبي ٣٥٧/٣ من قصيدته التي أولها :

إذا كان مدح فالنسب المقدم أكل فصيح قال شعراً متم

(٤) صدر البيت ، وعجزه :

* وعينيه من تحت التريكة أرقم *

والمفاضة الدرع الواسعة ، والضيغم الأسد ، والتريكة : البيضضة ،

تشبهها بالتريكة وهي بيضة النعامة إذا إنفلقت وخرج الفرخ فتركت ،
والأرقم : ضرب من الحيات ، يقول : هؤلاء الفتيان الذين حوله كلهم =

وأحسنُ هذا قوله في قصيدته التي مطلعها (١) :

* عُنِّيَ اليمِينِ عَلَى عُنِّيِ الْوَعْيِ نَدَمٌ (٢) *

وَأَصْبَحَتْ بِقَرْمَى هَنْزِيْطًا جَائِلَةً تَرَعَى الطُّبَا فِي خَصِيْبٍ نَبَتْهُ اللَّمَمُ (٣)
فَمَا تَرَكْنَ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَصَرٌ تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا بَازًا لَهُ قَدَمٌ (٤)
وَلَا هَزَبْرًا لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لَبْدٌ وَلَا مَهَاءً لَهَا مِنْ شِبْهَيْهَا حَشَمٌ (٥)
وهذا من المליحِ النادر، فالخُلدُ استعارةٌ لمن اختفى تحت التُّرابِ خائفًا،

= أسد في شدته ، وأرقم في بسائته ، يمد في درعه يدي أسد ، قوة وشدة ويفتح من تحت تريكته عيني أرقم إقداما وشجاعة .

(١) ديوان المتنبي ١٥/٤ وقد أنشدها في ستة خمسين وأربعين وثلاثمائة ؛ وهي آخر قصيدة قالها بحضرة سيف الدولة .

(٢) صدر المطلع ، وعجزه :

ماذا يزيدك في إقدامك القسم

والمعنى : من حلف على الطفر يندم لا محالة ، لأنه ربما لم يظفر ، وهذا إشارة إلى تكذيب البطريق الذي حلف للملك الروم أنه لا بد أن يلقى سيف الدولة في بطارقه ، ففعل ، فخيب الله ظنه .

(٣) هَنْزِيْطٌ : من بلاد الروم والظبا : جمع ظبية ، ظبة السيف . والخصيب المكان الكثير النبات ، واللمم جمع لمة ، وهي مألَم بالمتكبر من الشعر ، وجائلة تجول للغارة ، يقول : أصبحت الخيل بهذا المكان تجول للغارة والقتل ، والسيوف ترعى في مكان خصيب من رءوسهم إلا أن نبته الشعر .

(٤) الخلد : ضرب من الفأر ، ليست له عيون .

(٥) الهزير : الأسد واللبد جمع لبة ، وهي ما على كتفي الأسد من شعره ، والمهاة بقرة الوحش ، والحشم الخدم ، وهي حاشية الإنسان العظيم .

والبازُ استعارَةٌ لمن طارَ هارباً ، والهزْبُ والمهاةُ استعارتان للرجالِ المُقاتلة والنساء من السبايا .

ومن هذا الباب قوله ^(١) :

كلُّ جريحٍ تُرجى سلامتهُ إلا جريحاً دهتهُ عيناها ^(٢)
تبُّلُ خديّ كلما ابتسمتُ من مطرٍ برقه ثناياها ^(٣)
والبيتُ الثاني من الأبياتِ الحسانِ التي تتواصف ؛ وقد حُسن الاستعارة
التي فيه أنه جاء ذكرُ المطرِ مع البرق .
وبلغنى عن أبي الفتح بن جني ^(٤) — رحمه الله — أنه شرح ذلك في

(١) ديوان المتنبي ٤ / ٢٧١ من قصيدة يمدح فيها عضد الدولة أبا
شجاع فناخسرو سنة أربع وخمسين وثلثمائة ، ومطلعها :
أوة بديل من قواقي واهَا لمن ذأت والبديل ذكرها
(٢) من دهته : أي أصابته بعينها ، لم ترج سلامته
(٣) قال الواحدى : قال ابن جني : دل هذا البيت على أنها كانت
متكئة عليه ، وعلى غاية القرب منه .

وقال ابن فورجة : أظنها وقعت عليه تبكى ، فوقع دمعها عليه :
ومعنى البيت : إن دموعى كالمطر ، تبلى خدى ، كلما ابتسمت بكيت ،
فكان دموعى مطر برقه يريق ثناياها ، أي كان بكائى فى حال ابتسامها
كقوله ظلت أبكى وتبتسم .

(٤) هو أبو الفتح عثمان بن جنى ، كان من حذاق أهل الأدب
وأعلمهم بعلم النحو والتصريف ، صنف فيهما كتاباً أبدع فيها كالخصائص
والمنصف وسر الصناعة ، وصنف كتاباً فى شرح القوافى وفى العروض
وفى المذكرو المؤنث إلى غير ذلك ، ولم يكن فى شىء من علومه أكمل
منه فى التصريف ، فإنه لم يصنف أحد فى التصريف ولا تكلم فيه أحسن
ولا أدق كلاماً منه ، وكان أبو « جنى » مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد =

كُتِبَهِ الْمَوْسُومُ بِالْمَفْسَرِ^(١) الَّذِي أَلْفَهُ فِي شَرْحِ شَعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ ؛ فَقَالَ : « إِنَّهَا كَانَتْ تَبْزُقُ فِي وَجْهِهِ » فَظَنَّ أَنَّ أبا الطَّيِّبِ أَرَادَ أَنَّهَا كَانَتْ تَبْسُمُ ، فَيُخْرِجُ الرِّيقَ مِنْ فِيهَا ، وَيَقَعُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَشَبَّهَ بِالْمَطْرِ .

وَمَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يَذْهَبُ وَهُمْ وَخَاطَرُهُ حَيْثُ ذَهَبَ وَهُمْ هَذَا الرَّجُلُ وَخَاطَرُهُ .

وَإِذَا كَانَ هَذَا الْقَوْلُ قَوْلَ إِمَامٍ مِنْ أُمَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تُشَدُّ إِلَيْهِ الرَّحَالُ ، فَمَا يُقَالُ فِي غَيْرِهِ ؟ لَكِنَّ فَنَّ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ غَيْرُ فَنِّ النَّحْوِ وَالْإِعْرَابِ !!
وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ^(٢) :

إِذَا أَنْتَ أَفْنَيْتَ الْعَرَانِينَ وَالذَّرَا
رَمَتَكَ اللَّيَالَى مِنْ يَدِ الْخَامِلِ الْغَمْرِ
وَهَبَكَ أَفْنَيْتَ السَّهْمَ مِنْ حَيْثُ يُتَقَى

فَنِّ لَيْدِ تَرَمِيكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي^(٣)
فَالْعَرَانِينَ وَالذَّرَاهَا عِظَاءُ النَّاسِ ، وَأَشْرَافُهُمْ ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِذَا أَفْنَيْتَ
عِظَاءَ النَّاسِ رُمِيَتْ مِنْ يَدِ الْخَامِلِ .



= الْأَزْدِيُّ ، وَكَانَ يَقُولُ الشَّعْرَ وَيُجِيدُهُ ، وَدَرَسَ النَّحْوَ بِبَغْدَادَ ، وَتَوَفَّى ابْنُ جَنَى يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِلَّيْلَتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ فِي خِلَافِهِ الْقَادِرَ .

(١) لابن جنى كتاب كبير فى تفسير ديوان المتنبي ، وهو ألف ورقة ونيف ، وكتاب آخر فى تفسير معانى هذا الديوان وحججه مائة ورقة وخمسون ورقة — وانظر معجم الأدباء لياقوت ١٢ / ١١٠ .

(٢) الشريف الرضى هو أبو الحسن محمد بن الحسين الرضى العلوى نقيب أشرف بغداد ، وأشعر بنى هاشم ، توفى سنة ٤٠٦ هـ .

(٣) ديوان الشريف الرضى ١ / ٤٠٧ .

وإذ قد بينت أن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له ؛ فإنها لا تجيء إلا ملائمة مناسبة ، ولا يوجد فيها مبانة ولا تباعد ، لأنها لا تُذكر مطوية إلا لبيان المناسبة بين المستعار منه والمستعار له ، ولو طويت ولم يكن هناك مناسبة بين المستعار منه والمستعار له لعمى فهمها ، ولم يكن المراد منها .

* * *

ورأيت أبا محمد عبد الله بن سنان الخفاجي — رحمه الله تعالى — قد خاط الاستعارة بالتشبيه المضمرة الأداة ، ولم يفرق ، بينهما وتأسي في ذلك بغيره من علماء البيان ، كأبي هلال العسكري^(١) ، والغامدي^(٢) ، وأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدى .

على أن أبا القاسم الحسن بن بشر الأمدى كان أثبت القوم قدماً في فن النصاحة والبلاغة ، وكتابه المسعى بـ « الموازنة بين شعر الطائيين »

(١) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ، أبو هلال العسكري ، صاحب الصناعتين ، وكان مشهوراً بالعلم والفقه ، والغالب عليه الأدب والشعر ، وله من التصانيف : التلخيص في اللغة ، جمهرة الأمثال ، شرح الحماسة ، لحن الخاصة ، الأوائل . . . وغير ذلك ، قال ياقوت : ولم يبلغني شيء عن وفاته إلا أنه فرغ من إتمام كتابه « الأوائل » لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة . وللدكتور بدوي طبانة أحد محققى هذا الكتاب دراسة مفصلة في أبي هلال وبلاغته ونقده ، طبع بالقاهرة سنة ١٩٥١ م وطبعة أخرى سنة ١٩٦٠ تحت عنوان « أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية » .

(٢) هو أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغامدي ، كان من فضلاء عصره ، وشعره مشهور ، وهو من شعراء نظام الملك .

يشهدُ له بذلك ، وما أعلمُ كيف خفيَ عليه الفرقُ بين الاستعارةِ والتشبيهِ
المضمرِ الأداةِ ؟ !

ومما أوردهُ ابنُ سنانٍ في كتابه الموسومِ بـ « سرِّ الفصاحة » قولُ امرئِ
القيسِ في صِفَةِ اللَّيْلِ :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّ

وهذا البيتُ من التشبيهِ المضمرِ الأداةِ ، لأنَّ المستعارَ له مذكورٌ ، وهو
الليل ، وعلى الخطأ في خطِّه بالاستعارة ، فإنَّ ابنَ سنانٍ أخطأ في الرَّدَّ على
الآمِدِيِّ ؛ ولم يُوفق للصواب .

وأنا أنكلمُ على ما ذكره ، ولا أضايقه في الاستعارةِ والتشبيهِ ؛ بل أنزلُ
معه على مارأه من أنه استعارة ، ثم أُبينُ فسادَ ما ذهبَ إليه .

وذاك أن الآمِدِيَّ قال في كتابه « الموازنة » ، « إنَّ امرأَ القيسِ وَصَفَ
أحوالَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ ، فذكر امتدادَ وَسْطِهِ ! وَتَنَاقَلَ صَدْرُهُ ، وَتَرَادَفَ أَعْجَازُهُ
فَلَمَّا جَعَلَ لَهُ وَسْطًا مُمْتَدًّا ، وَصَدْرًا ثَقِيلًا ، وَأَعْجَازًا رَاقِدَةً لَوْسَطَهُ ، اسْتَعَارَ لَهُ
اسْمَ (الصُّلْبِ) وجعله متمطياً من أَجْلِ امتداده ؛ واسمَ (الكُلْكِ) وجعله
نائماً لِتَنَاقُلِهِ ، واسمَ (العِجْزِ) من أَجْلِ نَهْوِضِهِ ^(١) . »

(١) تصرف ابن الأثير في نقل كلام الآمدي ، وهذا نصه نقلاً عن
الموازنة (٢١٤) : وقد عاب امرأ القيس بهذا المعنى من لم يعرف موضوعات
المعاني ولا المجازات ، وهو في غاية الحسن والجودة والصحة ، وهو
إنما قصد وصف أجزاء الليل الطويل ، فذكر امتداده وسطه ، وتناقل
صدره للذهاب والانبعاث ، وترادف أعجازه وأواخره شيئاً فشيئاً ،
وهذا عندي منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته ، وذلك أشد ما
يكون على من يراعيه ويتقرب تصرفه ، فلما جعل له وسطاً يمتد ، وأعجازاً =

فقال ابنُ سنان الخفاجيُّ معترضاً عليه : « إنَّ هذا الذي ذكره الأمدىُّ ليسَ بِمَرَضِيٍّ غايةَ الرِّضا . وإنَّ بيتَ امرئ القيس » ليسَ من الاستعارةِ الجيدةِ ولا الرديئةِ . بل هو وَسَط . فإنَّ الأمدىَّ قد أفصحَ بأنَّ امرأ القيسَ لما جعلَ لليلِ وسطاً ممتداً استعارَ لهُ (الصُّلب) وجعله متمطياً من أجل امتداده . وحيثُ جعلَ له آخراً وأوَّلاً استعارَ له عَجْزاً وكلَّ كلاً . وهذا كله إنما يحسنُ بعضُهُ مع بعضٍ ؛ فذكرُ الصُّلبِ إنما يحسنُ من أجل العجزِ والوسطِ ؛ والتمطى من أجلِ الصُّلبِ ؛ والكلكلُ لمجموع ذلك ؛ وهذه استعارةٌ مبنيةٌ على استعارةٍ أخرى (١) .

= رادفة للوسط ، وصدرنا مثاقلاً في نهوضه ، حسن أن يستعير للوسط اسم الصلب ، وجعله متمطياً من أجل امتداده ، لأن تمطى وتمدد بمنزلة واحدة ، وصلاح أن يستعير للصدر اسم الكلكل ، من أجل نهوضه ، وهذا أقرب الاستعارات من الحقيقة ، وأشد ملائمة لما استعيرت له .

(١) تصرف ابن الأثير أيضاً في نقل كلام الخفاجي ، وهذا نصه نقلاً عن سر الفصاحة (١٢٩) : (وهذا الذي قاله أبو القاسم لأرضي به غاية الرضا ، ولو كنت أسكن إلى تقليد أحد من العلماء بهذه الصناعة أو أجنح إلى اتباع مذهبه من غير نظر وتأمل لم أعدل بقوله أبو القاسم ، لصحة فكره ، وسلامة نظره ، وصفاء ذهنه ، وسعة علمه ، لكنني أغلب الحق عليه ، ولا أتبع الهوى فيما يذهب إليه . وبيت امرئ القيس عندى ليس من جيد الاستعارة ولا رديئها ، بل هو من الوسط بينهما . . وإنما قالت ذلك لأن أبا القاسم قد أفصح بأنَّ امرأ القيس لما جعل لليل وسطاً وعجزاً استعار له اسم الصلب ، وجعله متمطياً من أجل امتداده ، وذكر الكلكل من أجل نهوضه ، فكل هذا إنما يحسن بعضه لأجل بعض ، فذكر الصلب إنما حسن لأجل العجز ، والوسط والتمطى لأجل الصلب ، والكلكل لمجموع ذلك ، وهذه الاستعارة المبنية على غيرها ، فإذ لك لم أر أن أجعلها من أباغ الاستعارات ، وأجدرها بالحمد والوصف .

هذا حكايةٌ كلامه في الاعتراضِ على الآمدى .

وفيه نظرٌ من وجهين :

الأول : أنه قالَ هذا بيتٌ من الاستعارةِ الوُسْطى التي ليستُ بجيدةٍ ولا رديئةٍ . ثم جعلها استعارةً مبنيةً على استعارةٍ أخرى . وعنده أن الاستعارةَ المبنيةَ على الاستعارةِ من أبعدِ الاستعارات .

وذاك أنه قسمَ الاستعارةَ إلى قسمين : قريبٍ مختار . وبعيدٍ مُطْرَح .
فالقريبُ المختارُ : ما كانَ بينه وبينَ ما استُعيرَ له تناسبٌ قوى .
وشبهٌ واضح .

والبعيدُ المُطْرَحُ . إما أن يكونَ لِبُعْدِهِ مِمَّا استُعيرَ له في الأصل . أو
لأنه استعارةٌ مبنيةٌ على استعارةٍ أخرى . فيضعُفُ لذلك .

هذا ما ذكره ابن سنان الخفاجي في تقسيمِ الاستعارةِ .
وإذا كانتِ الاستعارةُ المبنيةُ على استعارةٍ أخرى عنده بعيدةً مُطْرَحَةً .
فكيفَ جعلها وَسَطًا ؟ هذا تناقضٌ في القول !

الوجهُ الثاني . أنه لم يأخذْ على الآمدى في موضعِ الأخذ . لأنه لم يَحْتَزْ
إلا ما حَسُنَ اختيارُهُ .

وذاك أن حَدَّ الاستعارةِ على ما رآه الآمدى وابنُ سنانٍ . هو نقلُ المعنى
من لفظٍ إلى لفظٍ . بسببِ مشاركةٍ بينهما . وإن كانَ المذهبُ الصحيحُ في حَدِّ
الاستعارةِ غيرَ ذلك على ما تقدّمَ الكلامُ عليه .

ولكنِّي في هذا الموضعِ أنزلُ معهما على ما رأياه . حتى يتوجّهَ الكلامُ على
الحكمِ بَيْنَهُمَا في بيتِ امرئ القيس .

وإذ حَدَدْنَا الاستعارةَ بهذا الحدِّ فيه يفرّقُ على رأى ابن سنان بين

الاستعارة المرضية والاستعارة المطرحة . فإذا وجدنا استعارة في كلام ماعرَضناها على هذا الحد . فما وجدنا فيه مناسبة بين المنقول عنه والمنقول إليه حكمنا له بالجودة . وما لم نجد فيه تلك المناسبة حكمنا عليه بالرداءة .

وبيت امرئ القيس من الاستعارات المرضية . لأنه لو لم يكن للنيل صدرٌ . أعني أولاً . ولم يكن له وسطٌ وآخر لما حسنت هذه الاستعارة .

ولما كان الأمر كذلك استعار لوسطه صلباً . وجعله متمطياً . واستعار لصدره المتناقل — أعني أوله — كذلكاً ؛ وجعله نائياً ؛ واستعار لآخره عجزاً ؛ وجعله رادفاً لوسطه ؛ وكل ذلك من الاستعارات المناسبة .

وأما قول ابن سنان الخفاجي : « إن الاستعارة المبيضة على استعارة أخرى بعيدة مطرحة » فإن في هذا القول نظراً .

وذلك أنه قد ثبت لنا أصل نقيس عليه في الفرق بين الاستعارة المرضية والمطرحة ؛ كما أريناك ، ولا يمنع ذلك من أن تجيء استعارة مبيضة على استعارة أخرى ، وتوجد فيها المناسبة المطلوبة في الاستعارة المرضية ؛ فإنه قد ورد في القرآن الكريم ما هو من هذا الجنس ؛ وهو قوله تعالى . « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ » (١) .

فهذه ثلاث استعارات ينبئ بعضها على بعض :

فالأولى : استعارة القرية للأهل .

والثانية : استعارة الذوق للباس .

(١) سورة النحل الآية ١١٢ .

والثالثة : استعارة اللباس للجوع والخوف .

وهذه الاستعارات الثلاث من التناسب على مالا خفاه به .

فكيف يدُّم ابنُ سنان الخفاجيُّ الاستعارة المبنية على استعارة أخرى؟
وما أقول إنَّ ذلك شدَّ عنه ، إلاَّ لأنَّه لم ينظر إلى الأصل المقيس عليه ؛ وهو
التناسب بين المنقول عنه والمنقول إليه ؛ بل نظر إلى التقسيم الذي هو قسمه
في القرب أو البعد ؛ ورأى أن الاستعارة المبنية على استعارة أخرى تكون
بعيدة . فحكم عليها بالاطِّراح .

وإذا كان الأصلُ إما هو التناسب فلا فرق بين أن يوجد في استعارة
واحدة : أو في استعارة مبنية على استعارة .
ولهذا أشباه ونظائر في غير الاستعارة .

ألا ترى أن المنطقي يقول في المقدمة والنتيجة : كلُّ إنسان حيوان ؛ وكلُّ
حيوان نائم ؛ فكلُّ إنسان نائم ؟

وكذلك يقول المهندس : في بعض الأشكال الهندسية : إذا كان خطّ
(ا ب) مثل خطّ (ب ج) وخطّ (ب ج) مثل خطّ (ج د) فخطّ (ا ب)
مثل خطّ (ج د) ؟

وهكذا أقول أنا في الاستعارة : إذا كانت الاستعارة الأولى مناسبة ؛
ثم بُنى عليها استعارة ثانية ، وكانت أيضاً مناسبة ؛ فالجميع مُتناسب ؛ وهذا
أمرٌ برهاني ؛ لا يتصور إنكاره .

وهذا الكلام الذي أوردته ها هنا هو اعتراض على ما ذكره ابنُ سنان
الخفاجيُّ في الاستعارة ؛ فلا تظنُّ أني موافقه في الأصل ؛ وإنما وافقته قصداً
لتبيين وجه الخطأ في كلامه ، وكيف يسوغ لي موافقته ، وقد ثبتَ عندي
بالدليل أن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكرُ المستعار له ؟
وفيما قدمته من الكلام كفاية .

النوع الثاني

في التشبيه

وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتشثيل ، وجعلوا لهذا باباً مفرداً ؛ ولهذا باباً مفرداً ؛ وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع ؛ يقال : شبهتُ هذا الشيء بهذا الشيء ؛ كما يقال : مثلته به .

وما أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه ؟
وكنت قدّمت القول في باب الاستعارة على الفرق بين التشبيه وبينها ، ولا حاجة إلى إعادته هاهنا مرة ثانية .

والتشبيه ينقسم قسمين : مظهرًا ومضمّرًا .
وفي المضمّر إشكالٌ في تقدير أداة التشبيه فيه في بعض المواضع .
وهو ينقسم أقسامًا خمسة :

فالأول : يقع موقع المبتدأ والخبر مفردين .
والثاني : يقع موقع المبتدأ المفرد وخبره جملة مركبة من مضاف ومضاف إليه .

والثالث : يقع موقع المبتدأ والخبر جملتين
والرابع : يرد على وجه الفعل والفاعل .
والخامس : يرد على وجه المثل المضروب .

وهذان القسمان الأخيران هما أشكال الأقسام الخمسة في تقدير أداة التشبيه .

أما الأول فسكتولنا: (زيدٌ أسدٌ) فهذا مبتدأ وخبرُهُ ، وإذا قدّرت أداة التشبيه فيه كان ذلك ببديهة النظر على الفور ؛ فقليل : زيدٌ كالأسدِ .

وأما القسمُ الثاني والثالثُ فإنهما متوسطان في تقدير أداة التشبيه فيهما .

فإنما كقول النبي صلى الله عليه وسلم (السكّماءُ جدريُّ الأرضِ) وهذا ينمّوع نوعين ؛ فإذا كان المضافُ إليه معرفةً كهذا الخبر النبويُّ لا يحتاجُ في تقدير أداة التشبيه إلى تقديم المضافِ إليه ؛ بل إن شئنا قدّمناه ، وإن شئنا أخرناه قلنا : السكّماءُ للأرضِ كالجدرى ؛ أو السكّماءُ كالجدرى للأرضِ ؛ وإذا كان المضافُ إليه نكرةً فلا بدَّ من تقديمه عند تقدير أداة التشبيه ؛ فمن ذلك قول البُحرى^(١) :

غَمَامٌ سَمَاحٌ لَا يَغِيبُ لَهُ حَيًّا وَمِسْعَرُ حَرْبٍ لَا يَضِيعُ لَهُ وَتْرُ^(٢)
فإذا قدّرنا أداة التشبيه هاهنا قلنا . سَمَاحٌ كَالنَّهَامِ ؛ وَلَا يَقْدَرُ إِلَّا هَكَذَا ، والمبتدأ في هذا البيت محذوفٌ ؛ وهو الإشارة إلى الممدوح ؛ كأنه قال . هو غَمَامٌ سَمَاحٌ .

ومن هذا النوع ما يشكّلُ تقديرُهُ أداة التشبيه فيه ؛ عل غير العارف بهذا الفن ؛ كقول أبي تمام :

أَيُّ مَرْعَى عَيْنٍ وَوَادِي نَسِيبٍ كَحَبْتُهُ الْإِيَّامُ فِي مَاجُوبٍ^(٣)

(١) ديوان البحري ١ / ٥٤ من قصيدة يمدح فيها المتوكل ، ومطامعها :

متى لاح برق أوبدا طلل فقر جرى مستهل لا بكى ولا نزر

(٢) في الأصل يحب بالحاء المهمة ، وهو تحريف ، وفي الديوان

ما يغب « وما يضيع » .

(٣) ديوان أبي تمام ٣٦ والبيت مطلع قصيدة له في مدح سليمان بن

وهب . قال الصولي : ويرويه قوم « أي مرعى عين » بكسر العين ، وهو =

ومرادُ أبي تمامٍ أن يصفَ هذا المكانَ بأنه كان حسناً ؛ ثم زالَ عنه
حُسْنُهُ ؛ فقالَ بأنَّ العينَ كانت تلتذُّ بالنظرِ إليه كالذيذِ السَّائِمةِ بالمرعى ؛ فإنه
كان يشبَّبُ به في الأشعارِ لحُسْنِهِ وطِيبِهِ ؛

وإذا قدرنا أداةَ التشبيهِ ها هنا قلنا . كأنه كان للعينِ مرعى ؛ وللتسبيحِ
نزلاً ومألفاً .

وإذا جاء شيءٌ من الأبيات الشعرية على هذا الأسلوبِ ؛ أو ما يجري مجراهُ
فإنه يحتاجُ إلى عارفٍ بوضعِ أداةِ التشبيهِ فيه .

وأما الثالثُ فكقولُ النبي صلى الله عليه وسلم . « وهل يكبُّ الناسَ على
مناخيرِهِم في نارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » كأنه قال : كلامُ الألسنةِ
كحصائدِ المناجِلِ .

وهذا القسمُ لا يكونُ المشبَّه به مذكوراً فيه ؛ بل تُذكَرُ صِفَتُهُ ؛ ألا ترى
أنَّ المنجَلَ لم يذكَّرْ ها هنا ؛ وإنما ذكَرَتْ صِفَتُهُ وهى الخَصْدُ . وكلُّ ما يجىءُ
من هذا القسمِ فإنه لا يردُّ إلا كذلك .

وأما القسمُ الرابعُ والخامسُ اللذان هما أشكلُ الأقسامِ المذكورةِ في تقديرِ
أداةِ التشبيهِ فيهما فإنهما ، لا يتفطنُ لهما أنَّهما تشبيه .

= تصحيف ، إنما يريد « مرعى عين » بفتح العين ، جعلَ نظرَها إلى الحسانِ
رعيا لها ، ويروى من ملحوب ، ، وقوله « وادى نسيب » أى كان هذا الوادى
فيه أهلٌ يستحقون أن يقالَ فيهم النسيب ، وملحوب اسمُ موضع ،
وتردده في الشعرِ كثير ، ولحبه من شدد الحاء فهو من قولهم « لحبت
القتيل » إذا صرعته ، وقال قوم : لحبه إذا قطعه بالسيف ، وقيل معنى
لحبه أى ألْقاه على الطريق الواضح ، وهو اللاحب ، ومن روى لحبته
بالتخفيف فهو من القشر ، يقالُ أحب اللحم إذا قشره — وانظر ديوان
أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ١٢٢/١ .

فَمَا جَاءَ مِنَ الْقِسْمِ الرَّابِعِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ » ^(١) وَتَقْدِيرُهُ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنْ يُقَالَ : هُمْ فِي إِيْمَانِهِمْ كَالْتَبَوَّاءِ دَاراً ؛ أَيْ أَهْمُ قَدْ اتَّخَذُوا الْإِيمَانَ مَسْكَنًا يَسْكُنُونَهُ ؛ يَصِفُ بِذَلِكَ تَمَكُّنَهُمْ مِنْهُ .

وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ .

نَطَقْتُ مُقَلَّةُ الْفَتَى الْمَلْهُوفِ فَفَشَكَّتْ بِفَيْضِ دَمْعٍ ذُرُوفٍ ^(٢)

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقْدِّرَ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ هَاهُنَا قُلْنَا . دَمْعُ الْعَيْنِ كَنُطْقِ اللِّسَانِ ، أَوْ قُلْنَا : الْعَيْنُ الْبَاكِئَةُ كَأَنَّمَا تَنْطَقُ بِمَا فِي الضَّمِيرِ .

وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنَ الْقِسْمِ الْخَامِسِ فَكَقُولِ الْفَرَزْدَقِ ^(٣) يَهْجُو جَرِيرًا ^(٤) .

(١) سُورَةُ الْحَشْرِ : آيَةُ ٩ .

(٢) دِيْوَانُ أَبِي تَمَامٍ ٤٠٤ مَطْلَعُ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ يِعَاتِبُهُ .

(٣) الْفَرَزْدَقُ هُوَ أَبُو فَرَّاسٍ هَمَامُ بْنُ غَالِبٍ التَّمِيمِيُّ الدَّارِمِيُّ ، أَحَدُ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ الْأُمَوِيِّينَ ، نَشَأَ بِالْبَصْرَةِ وَالبَّادِيَةِ يَرُوى الشُّعْرُ وَيَعَالِجُهُ حَتَّى نَبِغَ فِيهِ ، وَاتَّصَلَ بِوَلَاةِ الْعِرَاقِ ، يَمْدَحُهُمْ وَيَهْجُوهُمْ ، وَرَحَلَ إِلَى دِمَشْقَ يَمْدَحُ الْخُلَفَاءَ وَيُنَالُ جَوَائِزَهُمْ وَلَهُ مَعَ جَرِيرِ نَقَائِضُ تَعَدُّ وَثِيقَةً تَارِيخِيَّةً لِعَصْرِهُمَا وَلَكَثِيرٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَحْوَالِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَيَمْتَازُ شُعْرُ الْفَرَزْدَقِ بِخُشُونَةِ الْأَلْفَاظِ ، وَوَعُورَةِ الْمَعَانِي ، وَالْمِيلِ إِلَى الْفَخْرِ فِي هِجَائِهِ ، وَالْفَحْشَى فِي غَزَلِهِ ، وَقَدْ مَاتَ سَنَةَ ١١٤ هـ .

(٤) يَنْتَسِبُ أَبُو حِزْرَةَ جَرِيرِ بْنِ عَطِيَّةَ بْنِ الْخَطَفِيِّ إِلَى يَرْبُوعَ مِنْ تَمِيمٍ ، كَمَا يَنْتَسِبُ الْفَرَزْدَقُ إِلَى دَارِمِ بْنِ تَمِيمٍ كَذَلِكَ ، وَقَدْ وَلِدَ بِالْإِمَامَةِ ، وَنَشَأَ فِي الْبَادِيَةِ يَأْخُذُ الشُّعْرَ عَنْ أَمْرَتِهِ وَغَيْرِهَا ، وَيَتَكَسَّبُ بِهِ لَدَى الْوَلَاةِ وَالْخُلَفَاءِ ، حَتَّى اشْتَبَكَ مَعَ الْفَرَزْدَقِ فِي التَّهَابُجِ وَالتَّسَابُحِ ، لِعَوَامِلٍ سِيَاسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ ، وَمَاتَ بَعْدَ الْفَرَزْدَقِ بِقَلِيلٍ سَنَةَ ١١٤ هـ .

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهْجَوْتَهَا أَمْ بُلَّتْ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ (١)
 فَشَبَّهَ هَجَاءَ جَرِيرٍ تَغْلِبَ وَائِلٍ بَيَوْلِهِ فِي مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ؛ فَكَمَا أَنَّ الْبَوَلَّ
 فِي مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ لَا يُوَثِّرُ شَيْئًا؛ فَكَذَلِكَ هَجَاؤُكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يُوَثِّرُ شَيْئًا.
 وَهَذَا الْبَيْتُ مِنَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي أَقْرَأَ لَهَا (٢) النَّاسُ بِالْحُسْنِ
 وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ أَيْضًا (٣) :

قَوَارِصُ تَأْتِيَنِي وَتَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمْلَأُ الْقَطْرُ الْإِنَاءَ فَيُفْغَمُ
 فَإِنَّهُ شَبَّهَ الْقَوَارِصَ الَّتِي تَأْتِيَهُ مُحْتَقِرَةً بِالْقَطْرِ الَّذِي يَمْلَأُ الْإِنَاءَ عَلَى صِغَرِ
 مَقْدَارِهِ، يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ السَّكْرَةَ تَجْعَلُ الصَّغِيرَ مِنَ الْأَمْرِ كَبِيرًا.
 وَهَذَا الْمَوْضِعُ يُشَكِّلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ؛ وَيَخْطِئُونَهُ بِالِاسْتِمَارَةِ؛
 كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ فِي التَّعْزِيَةِ بَوْلِدَ (٤) :

(١) دِيْوَانُ الْفَرَزْدَقِ ٢/ ٨٨٢ وَهَذَا الْبَيْتُ ثَانِي أَبْيَاتِ قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوْلَاهَا :
 يَا ابْنَ الْمَرَاغَةِ وَالْهَجَاءِ إِذَا التَقْتَ أَعْنَاقَهُ وَتَمَاحَكَ الْخَصْمَانِ
 وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَذْكُرُ الْفَرَزْدَقُ تَفْضِيلَ الْأَخْطَلِ إِيَّاهُ ، وَيَمْدَحُ بَنِي
 تَغْلِبَ ، وَيُهْجُو جَرِيرًا .

(٢) فِي الْأَصْلِ « الَّذِي أَقْرَأَهُ .. » .

(٣) دِيْوَانُ الْفَرَزْدَقِ ٢/ ٧٥٦ ، وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ لَمَّا هَرَبَ مِنْ زِيَادِ
 ابْنِ أَبِيهِ نَزَلَ بِالرُّوحَاءِ عَلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، ثُمَّ انْتَقَلَ عَنْهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ
 الْفَرَزْدَقُ :

تَصْرَمُ عَنِّي وَدَبْكُرُ بْنُ وَائِلٍ وَمَا كَانَ عَنِّي وَدْهَمُ يَتَصْرَمُ
 قَوَارِصُ تَأْتِيَنِي فَيَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمْلَأُ الْقَطْرُ الْآتَى فَيُفْغَمُ
 وَمَعْنَى الْآتَى الْجَدُولُ .

(٤) دِيْوَانُ الْبَحْتَرِيِّ ٢/ ٥٢٤ وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي رِثَاءِ ابْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ
 ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحِ الْهَاشِمِيِّ ، وَمَطْلَعُهَا :

لَأَيَّةِ حَالٍ أَعْلَنَ الْوَجْدَ دَكَاتِمَهُ وَأَقْصَرَ عَنْ دَاعِيِ الصَّبَابَةِ لَأَتَمَّهُ

تَعَزَّ فَإِنَّ السَّيْفَ يَمْضِي وَإِنْ وَهَتْ
حَمَائِلُهُ عَنْهُ وَخَلَّاهُ قَائِمُهُ

وهذا ليس من التشبيه ، وإنما هو استعارة ، لأنَّ المستعار له مطوًى
الذِّكْر ، وهو المِعْزَى ، كأنه قال : تعزَّ فَإِنَّكَ كالسيفِ الذي يَمْضِي وَإِنْ
وَهَتْ حَمَائِلُهُ وَخَلَّاهُ قَائِمُهُ .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّكَ قَدَّمْتَ الْقَوْلَ فِي بَابِ الْإِسْتِعَارَةِ بَأَنَّ التَّشْبِيهَ الْمَضْمَرُ
الْأَدَاةَ يَحْسُنُ تَقْدِيرُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ ، وَالْإِسْتِعَارَةُ لَا يَحْسُنُ تَقْدِيرُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ
فِيهَا ، وَجَعَلْتَ ذَلِكَ هُوَ الْفَرْقَ بَيْنَ التَّشْبِيهِ الْمَضْمَرِ الْأَدَاةِ وَبَيْنَ الْإِسْتِعَارَةِ ،
وَقَرَّرْتَ ذَلِكَ تَقْرِيراً طَوِيلاً عَرِيضاً ، ثُمَّ نَرَاكَ قَدْ نَقَضْتَهُ هَاهُنَا بِقَوْلِكَ :
إِنَّ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمَضْمَرِ الْأَدَاةَ مَا يُشَكِّلُ تَقْدِيرُ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ ، وَإِنِّه
يَحْتَاجُ فِي تَقْدِيرِهَا إِلَى نَظَرٍ كَهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ لِلْفَرَزْدَقِ ، وَمَا
يَجْرِي مَجْرَاهُمَا .

فَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ أَنِّي أَقُولُ : هَذَا الَّذِي ذَكَرْتَهُ لَا يَنْقُضُ عَلَى شَيْئٍ
مِمَّا قَدَّمْتَ الْقَوْلَ فِيهِ فِي بَابِ الْإِسْتِعَارَةِ ، لِأَنِّي قُلْتُ : إِنَّ التَّشْبِيهَ الْمَضْمَرُ
الْأَدَاةَ يَحْسُنُ تَقْدِيرُ الْأَدَاةِ فِيهِ ، أَيْ لَا يَتَغَيَّرُ بِتَقْدِيرِهَا فِيهِ عَنْ صِفَتِهِ الَّتِي
اتَّصَفَ بِهَا مِنْ فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْإِسْتِعَارَةُ ؛ فَإِنَّهَا إِذَا
قَدَّرْتَ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ فِيهَا تَغَيَّرَتْ عَنْ صِفَتِهَا الَّتِي اتَّصَفَتْ بِهَا مِنْ فَصَاحَةٍ
وَبَلَاغَةٍ .

وَأَمَّا الَّذِي وَرَدَ هَاهُنَا مِنْ بَيْتَي الْفَرَزْدَقِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُمَا مِنَ التَّشْبِيهِ
الْمَضْمَرِ الْأَدَاةِ فَإِنَّ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ لَا تَتَقَدَّرُ فِيهِ ، وَهُوَ عَلَى حَالَتِهِ مِنَ الْمُنْتَظَمِ ؛
حَتَّى تَتَبَيَّنَ هَلْ تَغَيَّرَتْ صِفَتُهُ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا مِنْ فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ أَمْ لَا ؟ وَإِنَّمَا

تتقدّر أداة التشبيه فيه على وجه آخر ، وهذا لا ينقض ما أشرت إليه في باب الاستعارة .

* * *

وإذا ثبتت هذه الأقسام الأربعة فأقول : إن التشبيه المضمّر أبلغ من التشبيه المظهر وأوجز .

أمّا كونه أبلغ فالجمل المشبه مشبهاً به من غير واسطة أداة ، فيكون هو إياه ، فإنك إذا قلت : « زيدٌ أسد » كنت قد جعلته أسداً من غير إظهار أداة التشبيه .

وأمّا كونه أوجز ، فلحذف أداة التشبيه منه .

وعلى هذا فإن القسمين من المظهر والمضمّر كليهما في فضيلة البيان سواء ، فإن الفرض المقصود من قولنا « زيدٌ أسد » أن يتبين حال زيد في اتصافه بشهامة النفس ، وقوة البطش ، وجراءة الإقدام ، وغير ذلك مما يجزى مجراه ؛ إلا أننا لم نجد شيئاً ندلّ به عليه سوى أن جعلناه شيئاً بالأسد ، حيث كانت هذه الصفات مختصة به ؛ فصار ما قصدناه من هذا القول أكشف وأبين من أن لو قلنا : زيدٌ شهم ، شجاع ، قوى البطش ، جرى الجنان ، وأشبه ذلك ؛ لما قد عرف وعهد من اجتماع هذه الصفات في المشبه به — أعنى الأسد — وأمّا زيد الذي هو المشبه فليس معروفاً بها ، وإن كانت موجودة فيه .

وكلا هذين القسمين أيضاً يختص بفضيلة الإيجاز ، وإن كان المضمّر أوجز من المظهر ؛ لأن قولنا « زيدٌ أسد » أو « كالأسد » يسد مسدّ قولنا : زيدٌ من حاله كيت وكيت ؛ وهو من الشجاعة والشدة على كذا وكذا ؛ مما يطول ذكره .

فالتشبيه إذاً يجمعُ صفاتٍ ثلاثة ؛ هي : المبالغة ؛ والبيان ؛ والإيجاز ؛ كما
أرىُتُك ؛ إلا أنه من بينِ أنواعِ علمِ البيانِ مُستوعِرُ المذهب ؛ وهو مَقْتَلٌ
من مَقَاتِلِ البلاغة .

وسببُ ذلك أنَّ حَمَلَ الشيء على الشيء بالمماثلة إمَّا صُورَةٌ ؛ وإمَّا معنَى
يعزُّ صوابه ؛ وتعسُّرُ الإجابة فيه ؛ وقَلَمًا أ كثرَ منه أحدٌ إلا عثر ؛ كما فعل
ابن المعتز^(١) من أدباء العراق ؛ وابنُ وكيع^(٢) من أدباء مصر ؛ فإِيهما

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ولد سنة ٢٤٩ هـ ،
وقد نشأ وتربى تربية الخفاء ، وأخذ العلم والأدب عن علماء عصره ، وأولع
بالشعر ونبغ فيه ، ولما خلع المقتدر لعسف الأتراك من شيعته بويج عبد الله هذا
بالخلافة ، ولكن جند المقتدر والأتراك حملوا على دار ابن المعتز ، وقتلوا
أصحابه حتى هزموهم ؛ وقبضوا على الخليفة ، وقتلوه أول ليلة من حكمه
سنة ٢٩٦ هـ ، وقد برع في الشعر لاسيما الأوصاف ، ويمتاز شعره بطابع الترف ورقة
الأسلوب ، وهو صاحب كتاب البديع الذي يعد أول كتاب في البلاغة العربية وغيره .
(٢) هو أبو محمد الحسن بن علي ... الضبي المعروف بابن وكيع
التنيسي الشاعر المشهور .

أصله : من بغداد ، ومولده بتنيس ، ذكره أبو منصور الثعالبي في يتيمة
الدهر ، وقال في حقه : شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع في إبانة على أهل
زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بدیعة تسحر الأوهام . وتستعيد
الأفهام . وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب بين فيه سرقات أبي الطيب المتنبي ،
سماه « المنصف » وكانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الأولى سنة
ثلاث وتسعين وثلثمائة بمدينة تنيس ، ودفن في المقبرة الكبرى في القبة التي
بنيت له بها ، ووکیع لقب جده أبي بكر محمد بن خلف ، وكان
فاضلا نبیلا فصیحا ، من أهل القرآن والفقه والنحو والسير وأيام الناس
وأخبارهم . وله مصنفات كثيرة — انظر وفيات الأعيان ٤ / ٢٢٨
طبعة دار المأمون — (القاهرة) .

أَكْثَرًا مِنْ ذَلِكَ لِاسْتِمَا فِي وَصْفِ الرِّيَاضِ وَالْأَشْجَارِ وَالْأَزْهَارِ وَالشَّمَارِ ؛
لَا جَرَمَ أَنَّهَا أَتَيَا بِالْفَتْحِ الْبَارِدِ الَّذِي لَا يَثْبُتُ عَلَى مُحَكِّ الصَّوَابِ .
فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَوَقَّى مَا أَشْرَتْ إِلَيْهِ .

* * *

فائدة التشبيه :

وَأَمَّا فَائِدَةُ الشَّبِيهِ مِنَ الْكَلَامِ فَهِيَ أَنَّكَ إِذَا مَثَلْتَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ فَإِنَّمَا
تَقْصِدُ بِهِ إِثْبَاتَ الْخِيَالِ فِي النَّفْسِ بِصُورَةِ الْمَشَبَّهِ بِهِ ؛ أَوْ بِمَعْنَاهُ . وَذَلِكَ أَوْ كَدُّ
فِي طَرَفِ التَّرْغِيبِ فِيهِ ؛ أَوْ التَّنْفِيزِ عَنْهُ .

أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا شَبَّهْتَ صُورَةً بِصُورَةٍ هِيَ أَحْسَنُ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ
مُثَبَّتًا فِي النَّفْسِ خِيَالًا حَسَنًا يَدْعُو إِلَى التَّرْغِيبِ فِيهَا .

وَكَذَلِكَ إِذَا شَبَّهْتَهَا بِصُورَةٍ شَيْءٍ أَقْبَحَ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ مُثَبَّتًا فِي النَّفْسِ
خِيَالًا قَبِيحًا يَدْعُو إِلَى التَّنْفِيزِ عَنْهَا ؛ وَهَذَا لَا نَزَاعَ فِيهِ .

وَلَنَضْرِبَ لَهُ مَثَلًا يَوْضَحُهُ فَنَقُولُ : قَدْ وَرَدَ عَنْ ابْنِ الرُّومِيِّ ^(١) فِي مَدْحِ
الْعَسَلِ وَذِمِّهِ يَثُتُّ مِنَ الشَّعْرِ ، وَهُوَ :

تَقُولُ هَذَا مُجَاجُ النَّجْلِ تَمَدِّحُهُ وَإِنْ تَعِبَ قُلْتَ : ذَا قِيءُ الزَّنَابِيرِ ^(٢)

(١) وَلَدَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ الرُّومِيُّ بِبَغْدَادَ ، وَعَاشَ فِيهَا مُتَأَثِّرًا
بِمَزَاجِهِ الْيُونَانِي ، وَبِالْثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَذَلِكَ ، فَكَانَ شَعْرُهُ صُورَةً طَرِيفَةً فِي
الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ مِنْ حَيْثُ الْإِبْتِكَارُ وَالتَّنْسِيقُ الْمُنَظَّمُ وَالْإِسْتِقْصَاءُ فِي أَسْلُوبِ
جَزَلِ مَتْنَيْهِ ، وَقَدْ أَجَادَ فَنُونَ الشَّعْرِ ، وَخَاصَّةً الْوَصْفَ وَالْهَجَاءَ ، تَوَفَّى ابْنُ
الرُّومِيِّ سَنَةَ ٢٨٣ هـ .

(٢) هَذَا الْبَيْتُ ثَانِي أُبْيَاتِ ثَلَاثَةٍ ، وَهَذِهِ هِيَ مَرْتَبَةٌ :

فِي زُخْرَفِ الْقَوْلِ تَرْيِيزٍ لِبَاطِلِهِ وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرٍ =

ألا ترى كيف مدح وذمَّ الشيء الواحد بتصرف التشبيه المجازي
المضمّر الأداة الذي خيل به إلى السامع خيالاً يحسنُ الشيء عنده تارةً ويقبّضه
أخرى؟ ولولا التوصل بطريق التشبيه على الوجه لما أمكنه ذلك؟
وهذا المثال كافٍ فيما أردناه .

واعلم أن من محاسن التشبيه أن يحىء مصدرياً ؛ كقولنا : أقدم إقدام
الأسد ، وقاض قفيض البحر . وهو أحسن ما استعمل في باب التشبيه كقول
أبي نواس في وصف الخمر ^(١) :

ثمّ لما مزجوها وثبت ونب الجراد ^(٢)
ثمّ لما شربوها أخذت الرقاد ^(٣)

وقيل : إن من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الشيء بما هو أكبر
منه وأعظم .

= نقول له مجاج النحل تمدحه وإن تدم فقل خرم الزنابير
مدحا وذا جاوزت وصفهما حسن البيان يرى الظلماء كالنور
والمجاج الربق ترميه من فيك ، والعسل وقديقال نه مجاج
النحل .

- (١) ديوان أبي نواس ٢٦٥ من قصيدة خميرية له أولها :
استقنيها بسواد قبل تغريد المنادى
(٢) في الأصل « وإذا ما مزجوها » موضع « ثم لما مزجوها والتصويب
عن الديوان .
(٣) في الأصل « وإذا ما شربوها » موضع « ثم لما شربوها » والتصويب
عن الديوان .

وَمِنْ هَاهُنَا غُلَطٌ بَعْضُ الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ فِي ذِكْرِ حَصْنٍ مِنْ حِصُونِ الْجِبَالِ مُشَبَّهًا لَهُ . فَقَالَ . « هَامَةٌ . عَلَيْهَا مِنَ الْعِمَامَةِ عِمَامَةٌ . وَأَنْمَلَةٌ . خَضِبَهَا الْأَصِيلُ . فَكَانَ الْهَلَالُ مِنْهَا قَلَامَةً » .

وهذا الكاتبُ حَفِظَ شَيْئًا ، وَغَابَتْ عَنْهُ أَشْيَاءُ ! !
فإنه أخطأ في قوله « أَنْمَلَةٌ » وأى مقدارٍ للأَنْمَلَةِ بالنسبة إلى تشبيهِ حَصْنٍ على رَأْسِ جَبَلٍ ؟

وأصاب في المناسبةِ بين ذكرِ الْأَنْمَلَةِ والقَلَامَةِ ، وتشبيهها بالهلال .

فان قيل :

إن هذا الكاتبَ تَأَتَّى فِيما ذَكَرَهُ بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ قَالَ : « اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ » ^(١) « فَشَلَّ نُورُهُ بِطَاقَةٍ فِيهَا ذُبَالَةٌ .

وقال الله تعالى : « وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ » ^(٢) « فَشَلَّ الْهَلَالَ بِأَصْلٍ عَذَقِ النَّخْلَةِ .

فالجواب عن ذلك أنى أقول :

أَمَّا تَمَثُّلُ نُورِ اللَّهِ تَعَالَى بِمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ فَإِنَّ هَذَا مِثَالٌ ضَرَبَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ : « بَوَقْدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ » .

وإذا نظرت إلى هذا الموضع وجدته تشبيهاً لطيفاً عجيباً ، وذلك أن قلبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وما أُلْقِيَ فِيهِ مِنَ النُّورِ ، وما هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَةِ الشَّافَةِ . كَالزَّجَاجَةِ الَّتِي كَانَتْهَا كَوْكَبٌ بِصَفَائِهَا وَإِضَاءَتِهَا .

(١) سورة النور : الآية ٣٥ .

(٢) سورة يس : الآية ٣٩ .

وأما الشجرة المباركة التي لا شرقية ولا غربية فإنها عبارة عن ذات النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه من أرض الحجاز التي لا تميل إلى الشرق ، ولا إلى الغرب .

وأما زيت هذه الزجاجة فإنه مضيء من غير أن تمسه نار ؛ والمراد بذلك أن فطرته فطرة صافية من الأكدار ، منيرة من قبل مصالحة الأنوار .
فهذا هو المراد بالتشبيه الذي ورد في هذه الآية .

وأما الآية الأخرى فإنه شبه الهلال فيها بالعرجون القديم ، وذلك في هيئة تحوله واستدارته ، لا في مقداره ؛ فإن مقدار الهلال عظيم ؛ ولا نسبة بالعرجون إليه ؛ لكنه في مَرَأَى النظر كالعرجون هيئة لا مقداراً .

وأما هذا الكاتب فإن تشبيهه ليس على هذا النسق ، لأنه شبه فيه صورة الحصن بأنملة في المقدار ؛ لا في الهيئة والشكل .

وهذا غير حسن ولا مناسب ؛ وإنما ألقاه فيه أنه قصد الهلال والقلامة مع ذكر الأنملة . فأخطأ من جهة ، وأصاب من جهة ، لكن خطأه غطى على صوابه .

* * *

والقول السديد في بلاغة التشبيه هو ما أذكره ، وهو أن إطلاق من أطلق قوله في أن من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الأصغر بالأكثر غير سديد ، فإن هذا قول غير حاصر للغرض المقصود ؛ لأن التشبيه يأتي تارة في معرض المدح ، وتارة في معرض الذم ، وتارة في غير معرض مدح ولا ذم ، وإنما يأتي قصداً للإبانة والإيضاح ، ولا يكون تشبيه أصغر بأكثر ؛ كما ذهب إليه من ذهب .

بل القولُ الجامعُ في ذلك أن يُقالَ : إن التشبيه لا يُعمدُ إليه إلا لضربٍ من المبالغة ، فإما أن يكونَ مدحاً ، أو ذمّاً ، أو إيضاحاً ؛ ولا يخرجُ عن هذه المعاني الثلاثة .

وإذا كان الأمرُ كذلك فلا بدَّ فيه من تقديرٍ لفظةٍ « أفعل » فإن لم تُقدَّر فيه لفظةٍ « أفعل » فليس بتشبيهٍ بليغٍ ، ألا ترى أنا نقول في التشبيه المضمَّن الأداة « زيدٌ أسدٌ » فقد شبهنا زيدا بالأسد الذي هو أشجعُ منه ؛ فإن لم يكن المشبَّه به في هذا المقام أشجعَ من « زيد » الذي هو المشبَّه به ؛ وإلا كان التشبيه ناقصاً ؛ إذ لا مبالغةَ فيه .



وأما التشبيه المظهر الأداة فكقوله تعالى « وله الجوارِ المنشآتُ في البحرِ كالآعلامِ »^(١) وهذا تشبيهٌ كبيرٌ بما هو أكبرُ منه ؛ لأنَّ خلقَ الشُّنن البحريَّة كبيرٌ ، وخلقُ الجبال أكبرُ منه .

وكذلك إذا شُبَّه شيءٌ حسنٌ بشيءٍ حسنٍ فإنه إذا لم يشبَّه بما هو أحسنُ منه فليس بوارِدٍ على طريقِ البلاغة .

وإن شُبَّه قبيحٌ بقبيحٍ فهكذا ينبغي أن يكونَ المشبَّه به أفقح .

وإن قُصِدَ البيانُ والإيضاحُ فينبغي أن يكونَ المشبَّه به أبينَ وأوضح .

فتقديرُ لفظةٍ « أفعل » لابدَّ منه فيما يُقصد به بلاغةُ التشبيه ؛ وإلا كان التشبيه ناقصاً فاعلم ذلك ، وقسْ عليه .

أقسام التشبيه :

واعلم أنه لا يخلو تشبيهُ الشيئين أحدهما بالآخر من أربعة أقسام :

(١) سورة الرحمن ، الآية ٢٤ .

(١) إِمَّا تَشْبِيهُُ مَعْنَى بِمَعْنَى . كَالَّذِي تَقْدَمُ ذِكْرُهُ مِنْ قَوْلِنَا « زَيْدٌ كَالْأَسَدِ » .

(٢) وَإِمَّا تَشْبِيهُُ صُورَةً بِصُورَةٍ . كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَعِنْدُهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ »^(١) .

(٣) وَإِمَّا تَشْبِيهِهُ مَعْنَى بِصُورَةٍ . كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعةٍ^(٢) » وَهَذَا الْقِسْمُ أُبْلِغُ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةَ . لِمُتَمِّيلِهِ الْمَعَانِي الْمَوْهُومَةَ بِالْصُّورِ الْمُشَاهِدَةِ .

(٤) وَإِمَّا تَشْبِيهُُ صُورَةً بِمَعْنَى ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ .

وَفَتَكَتَ بِالْمَالِ الْجَزِيلِ وَبِالْعَدَا فَتَكَتِ الصَّبَابَةُ بِالْمُحِبِّ الْمَغْرَمِ^(٣)
فَشَبَّ فَتَكَهُ بِالْمَالِ وَبِالْعَدَا — وَذَلِكَ صُورَةٌ مَرْتَبَةً — بِفَتَكَتِ الصَّبَابَةِ ،
وَهُوَ فَتَكَتٌ مَعْنَوِيٌّ . وَهَذَا الْقِسْمُ الْأَطْفُ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةَ . لِأَنَّهُ نَقْلُ صُورَةٍ
إِلَى غَيْرِ صُورَةٍ .

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا لَا يَحِلُّو التَّشْبِيهُ فِيهِ مِنْ
أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ أَيْضًا :

(١) إِمَّا تَشْبِيهُُ مُفْرَدٍ بِمُفْرَدٍ .

(١) سُورَةُ الصَّافَاتِ : الْآيَتَانِ ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) سُورَةُ النُّورِ : الْآيَةُ ٣٩ .

(٣) لَمْ أَعَثِّرْ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي طَبْعَةِ بَيْرُوتِ ، وَيُوحَى مَعْنَى الْبَيْتِ
وَوَزْنُهُ بِأَنَّهُ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي قَالَهَا فِي مَدْحِ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْثَمِ بْنِ
شَابَابَةَ الَّتِي مَطَّلَعُهَا :

نَثَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تَنْظُمِ وَالدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ شَجْوِ الْمَغْرَمِ
وَانْظُرْ دِيْوَانَ أَبِي تَمَّامٍ ٣١٣ .

(٢) وإما تشبيهُ مركَّبٍ بمركَّبٍ .

(٣) وإما تشبيهُ مفردٍ بمركَّبٍ .

(٤) وإما تشبيهُ مركَّبٍ بمفردٍ .

والمرادُ بقولنا مُفْرَدٌ ومركَّبٌ : أنَّ المفردَ يكونُ تشبيهَ شيءٍ واحدٍ بشيءٍ واحدٍ ، والمركَّبُ تشبيهَ شَيْئَيْنِ اثنَيْنِ بِشَيْئَيْنِ اثنَيْنِ .

وكذلك المفردُ بالمركَّبِ ، والمركَّبُ بالمفردِ ، فإنَّ أحدهما يكونُ تشبيهَ شيءٍ واحدٍ بِشَيْئَيْنِ ، والآخرُ يكونُ تشبيهَ شَيْئَيْنِ بشيءٍ واحدٍ .

ولستُ أغْنَى بقولِي « تشبيهَ شَيْئَيْنِ » أنَّه لا يكونُ إلا كذلك ، بل أردتُ تشبيهَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ فما فوقهما ، كقولِ بعضهم في الخمرِ .

وكانَها وكانَ حَامِلَ كَأْسِها إِذْ قَامَ يَجْلُوها عَلَى النَّدْماءِ

شَمْسُ الضُّحَا رَقَصَتْ فَتَنَقَّطَ وَجْهَها

بَدْرُ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْجُوزاءِ

فشبهه ثلاثةُ أشياءَ بثلاثةِ أشياءَ ، فإنه شبه الساقى بالبدرِ ، وشبه الخمرَ بالشمسِ ، وشبهَ الحبيبَ الذي فوقها بالكواكبِ .

* * *

وَإِذْ بَيَّنْتُ أَنَّ التَّشْبِيهَ يَنْقَسِمُ إِلَى تِلْكَ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ فَإِنِّي أَقُولُ : إِنَّ التَّشْبِيهَ الْمُضْمَرَّ الْأَدَاةَ قَدْ قَدِّمْتُ الْقَوْلَ فِي أَنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى خَمْسَةِ أَقْسَامٍ ^(١) .

فالقسمُ الأوَّلُ لا يَرُدُّ إِلَّا فِي تَشْبِيهِ مُفْرَدٍ بِمُفْرَدٍ .

والقسمُ الثاني لا يَرُدُّ إِلَّا فِي تَشْبِيهِ مُفْرَدٍ بِمُركَّبٍ .

(١) أنظر تفصيل هذه الأقسام الخمسة في صفحة (١١٥) من

هذا القسم الثاني .

والقسم الثالث لا يرد إلا في تشبيه مركب بمركب .

والقسم الرابع والخامس لا يردان إلا في تشبيه مركب بمركب .

ألا ترى أننا إذا قلنا في القسم الأول « زيدٌ أسدٌ » كان ذلك تشبيه مفرد بمفرد .

وإذا قلنا في القسم الثاني ما مثلناه به من الخبر النبوي وهو « الكمأة جذري الأرض » كان ذلك تشبيه مفرد بمركب ، وكذلك بيت البحتري^(١) وبيت أبي تمام^(٢) المشار إليهما فيما تقدم .

وإذا قلنا في القسم الثالث ما أشرنا إليه من الخبر النبوي أيضاً الذي هو « وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائدُ ألسنتهم » كان ذلك تشبيه مركب بمركب .

وإذا قلنا في القسم الرابع والخامس ما مثلناه به من بيتي الفرزدق^(٣) والبحتري^(٤) كان ذلك تشبيه مركب بمركب .

(١) البيت الذي يعنيه هو قول البحتري :

غمام سماح لا يغب له حياً ومسر حرب لا يضيع له وتر

(٢) بيت أبي تمام المقصود هو قوله :

أى مرعى عين ووادى نسيب لحبته الأيام فى ملجوب

(٣) يقصد قول الفرزدق فى هجاء جرير :

ماضر تغلب وائل أهجوتها أم بليت حين تناطح البهران
وكذلك قوله ،

قوارص تأتيني وتحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

(٤) يعنى قول البحتري فى التعزية بولد ،

تعز فإن السيف يمضى وإن وهت حمائله عنه وخلاه قائمه

وإذا كان الأمر كذلك وجاءك شيء من التشبيه المضمّر الأداة ، وهو من القسم الأول ، فاعلم أنه تشبيه مفرد بمفرد ، وإذا جاءك شيء من القسم الثاني فاعلم أنه تشبيه مفرد بمركب ، وإذا جاءك شيء من القسم الثالث فاعلم أنه تشبيه مركب بمركب ؛ وكذلك إذا جاءك شيء من القسم الرابع والقسم الخامس فإنهما من باب تشبيه المركب بالمركب .

* * *

وانرجع إلى ذكر ما أشرنا إليه أولاً في تقسيم التشبيه إلى الأربعة الأقسام الأخرى التي هي : تشبيه مفرد بمفرد ، وتشبيه مركب بمركب وتشبيه مفرد بمركب ، وتشبيه مركب بمفرد .

فالقسم الأول منها كقوله تعالى في المضمّر الأداة « وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً ^(١) » فشبه الليل باللباس ، وذلك أنه يستتر الناس بعضهم عن بعض من أراد هرباً من عدوٍّ ، أو ثباتاً لعدوٍّ ، أو إخفاءً مالا يحبُّ الاطلاع عليه من أمره .

وهذا من التشبيهات التي لم يأت بها إلا القرآن الكريم ، فإن تشبيه الليل باللباس مما اختفى به دون غيره من الكلام المنثور والمنظوم .

وكذلك قوله تعالى : « هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِهِنَّ ^(٢) » فشبه المرأة باللباس للرجل ، وشبه الرجل باللباس للمرأة .

ومن محاسن التشبيهات قوله تعالى : « نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ^(٣) » وهذا

(١) سورة النبأ : الآية ١٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٢٣ .

يكاد ينقله تناسُّبه عن درجة المجاز إلى الحقيقة ، والحَرْثُ هو الأرض التي
تُحْرَثُ للزَّرع ، وكذلك الرَّحِمُ يُزْدَرَعُ فيه الولدُ ازدراعاً كما يُزْرَعُ البذرُ
في الأرض .

ومن هذا الأسلوب قوله تعالى : « وآيةٌ لهم الليلُ نسلخُ منه النهارُ ^(١) »
فشبهه بَرَأَ الليلُ من النهارِ بانسلاخِ الجِلْدِ عن الجسمِ المسلوخ ، وذلك أنه لما
كانت هَوادِي الصُّبْحِ عند طُلُوعه مُلتَحِمةً بأعجاز الليل أجزى عليهما اسمَ
السَّلخِ ، وكان ذلك أولى من أن لو قيل . « يخرجُ » لأن السَّلخَ أدلُّ على
الانتهام من الإخراج ، وهذا تشبيهٌ في غاية المناسَبة .

وكذلك ورد في قوله تعالى : « واشتعلَ الرأسُ شيباً ^(٢) » فشبه انتشارَ

(١) سورة يس : الآية ٣٧ والذي في الآية من قبيل الاستعارة ، فقد
طوى ذكر المستعار له ، قال أبو هلال العسكري في هذه الآية : إن هذا
الوصف إنما هو على ما يتلوح للعين لا على حقيقة المعنى ، لأن الليل
والنهار اسمان يقعان على هذا الجو عند إظلامه لغروب الشمس ،
وإضاءته لطلوعها ، وليس على الحقيقة شيئين يسْلخُ أحدهما من الآخر
إلا أنهما في رأى العين كأنهما ذلك ، والسَّلخُ يكون في الشيء الملتحم
بعضه ببعض ، فلما كانت هَوادِي الصُّبْحِ عند طُلُوعه كالملتحمة بأعجاز
الليل أجزى عليهما اسمَ السَّلخِ ، فكان أفصح من قوله : « يخرجُ » لأن
السَّلخَ أدلُّ على الإلتحام المتوهم فيهما من الإخراج (الصناعتين ٢٧٣)
وقد نقل ابن الأثير هذا الكلام بمعانيه وأكثر أنفاظه كما ترى .

(٢) سورة مريم : الآية ٤ وهذه الآية أيضاً من قبيل الاستعارة
قال أبو هلال : قوله تعالى « واشتعلَ الرأسُ شيباً » حقيقة كثر الشيب
في الرأس وظهر ، والاستعارة أبلغ ، لفضل ضياء النار على ضياء الشيب ، فهو إخراج
الظاهر إلى ما هو أظهر منه ، ولأنه لا يتلاقى انتشاره في الرأس ، كما لا
يتلاقى اشتعال النار (الصناعتين ٢٧٢) .

الشَّيْبُ بِاشْتِعَالِ النَّارِ ، وَلَمَّا كَانَ الشَّيْبُ يَأْخُذُ فِي الرَّأْسِ ، وَيَسْعَى فِيهِ شَيْئًا
فَشِئًا ، حَتَّى يُحْمِلُهُ إِلَى غَيْرِ لَوْهُ الْأَوَّلِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ النَّارِ الَّتِي تَشْتَعَلُ فِي الْجَسْمِ ؛
وَتَسْرَى فِيهِ ، حَتَّى يُحْمِلُهُ إِلَى غَيْرِ حَالِهِ الْأَوَّلَى

وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ شَبَّهِ انْتِشَارَ الشَّيْبِ بِاشْتِعَالِ النَّارِ فِي سُرْعَةِ
الْتِهَابِ ، وَتَعَذُّرِ تَلَاْفِيهِ ، وَفِي عَظَمِ الْأَلَمِ فِي الْقَلْبِ بِهِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ
إِلَّا الْخَوْدُ .

فهذه أوصافٌ أربعةٌ جامعةٌ بَيْنَ الْمَشَبَّهِ وَالْمَشَبَّهِ بِهِ ، وَذَلِكَ فِي الْغَايَةِ
الْقَصْوَى مِنَ التَّنَاسُبِ وَالتَّلَاوُمِ .

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَمْثَالِ « اللَّيْلُ جُنَّةٌ الْهَارِبِ » وَهُوَ تَشْبِيهٌُ حَسَنٌ .

وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمُضْمَرِ الْأَدَاةِ .

وَمِمَّا وَرَدَ مِنْهُ شِعْرًا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَمَنِّي (١) .

وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْنَّدَى كَانَتْ بِحَرًّا وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْوَغَى كَانَتْ نَصَلًا

وَإِذَا الْأَرْضُ أُظْلِمَتْ كَانَتْ شَمْسًا وَإِذَا الْأَرْضُ أُتَحَلَّتْ كَانَتْ وَبَلًا

فَحَرَفُ التَّشْبِيهِ هَاهُنَا مُضْمَرٌ ، وَتَقْدِيرُهُ : كَانَتْ كَأَنَّهُ بَحْرٌ ، وَكَانَ كَأَنَّهُ
نَصْلٌ ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي : كَانَتْ كَأَنَّهُ شَمْسٌ ، وَكَانَ كَأَنَّهُ وَبْلٌ .
وَهَذَا تَشْبِيهٌُ صُورَةٌ بِصُورَةٍ . وَهُوَ حَسَنٌ فِي مَعْنَاهُ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ ؛ وَهُوَ فِي تَشْبِيهِ الْحَبِّبِ (٢) :

(١) دِيْوَانُ الْمُتَمَنِّي ٣ — ١٣٢ مِنْ قَصِيدَةِ يَعْزَى فِيهَا سَيْفُ الدَّوْلَةِ
بِأَخْتِهِ الصَّغْرَى ، وَمُطْلَعُهَا :

إِنْ يَكُنْ صَبْرٌ ذِي الرِّزْيَةِ فَضْلًا فَكُنِ الْأَفْضَلَ الْأَعَزَّ الْأَجْلَا
(٢) دِيْوَانُ أَبِي نُوَّاسٍ ٢٧٥ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ أَوْلَاهَا :
=

فَإِذَا مَا اعْتَزَّضَتْهُ أَلْمِينُ مِنْ حَيْثُ اسْتَدَارَا
خِلْتَهُ فِي جَنَبَاتِ الْكَأْسِ وَأَوَاتٍ صِفَارَا
وهذا تشبيهه صورة بصورة أيضاً . وقد أبرز هذا المعنى في لباس آخر .
فقال (١) :

وَإِذَا (٢) عَلَاهَا الْمَاءُ أَلْبَسَهَا حَبِيبًا شَبِيهَ جَلَّالِ الْجَلِ
حَتَّى إِذَا سَكَنْتُ جَوَاحِهَا كَتَبْتُ بِمِثْلِ أَكْوَاعِ النَّمْلِ
وَمِنْ هَذَا قَوْلُ الْبُحْتَرِيِّ (٣) .

تَبَسُّمٌ وَقُطُوبٌ فِي نَدَى وَوَعَى
كَالرَّعْدِ وَالْبَرْقِ تَحْتَ الْعَارِضِ الْبَرْدِ (٤)
وهذا من أحسن التشبيه وأقربه ، إلا أن فيه إخلالا من جهة الصنعة .
وهي ترتيب التفسير ، فإن الأولى إن كان قدّم تفسير التَّبَسُّمِ على تفسير
القُطُوبِ . بأن كان قال : « كالبرق والرعد (٥) » .

دع ليا كيهما الديارا وأنف بالخمر الخمارا
وأشربنها من كيت تدع الليل نهارا
(١) ديوان أبي نواس ٣١١ من قصيدة مطلعها :
كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل
(٢) رواية الديوان « فإذا » .
(٣) ديوان البحتري ٢ - ١٦ من قصيدة له في مدح أبي نهشل
محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي ، ومطلعها :
إني تركت الصبي عمدا ولم أكّد من غير شيب ولا عدل ولا فند
(٤) رواية الديوان .

* وسط العارض البرد *

(٥) والعجب أن ما اقترحه ابن الأثير هو نص رواية الديوان :
* كالبرق والرعد وسط العارض البرد *

فانظر أيها المُنتمى إلى الفن . كيف ذهبَ على البُحترىِّ مثلُ هذا الموضع
على قُرْبِهِ . معَ تقدُّمِهِ في صناعةِ الشعرِ ؟ وليسَ في ذلكَ كبيرُ أمرٍ ، سِوَى أَنْ
كانَ قدَّمَ ما آخرَ لاغيَرُ .

وإنَّما يُعذِّرُ الشَّاعِرُ في مثلِ هذا المقامِ إذا حُكِمَ عليه الوزنُ والقافيةُ ،
واضطرَّ إلى تركِ ما يَجبُ عليه ، وأمَّا إذا كانتِ الحالُ كالتي ذكرها البُحترىُّ
فحينئذٍ لا عُذْرَ لَهُ .

وسَيأتى لذلكَ بابٌ مُفْرَدٌ في موضعه من هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى ؛
وهو بابُ (ترتيب التَّقسيمِ) .

وكذلكَ وَرَدَ قولُ البُحترىِّ ^(١) .

في مَعْرَكٍ ضَنْكَ تَحَالٍ بِهِ الْقَنَا

بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا انْحَنَيْنَ ضُلُوعَا

وَمَنْ تَشْبِيهِ الْمُفْرَدِ بِالْمُفْرَدِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي ^(٢) .

خَرَجْنَ مِنَ النَّقْعِ فِي عَارِضٍ وَمِنْ عَرَقِ الرَّكْضِ فِي وَابِلٍ ^(٣)

فَلَمَّا نَشِفْنَ لِقَيْنَ السَّيَاطِ بِمِثْلِ صَفَا الْبَلَدِ الْمَاحِلِ ^(٤)

(١) ديوان البُحترى ١ / ١٦٨ من قصيدة في مدح محمد بن يوسف
ومطلعها :

فِيمَ ابْتَدَارَكُمُ الْمَلَامُ وَאוَعَا أَبْكَيْتَ إِلَّا دَمْنَةً وَرَبُوعَا
(٢) ديوان المُنْتَبِي ٣ - ٢٤ من قصيدة له في مدح سيف الدولة ،
ويذكر فيها استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود من الأسر ، ومطلعها :
إِلَامَ طُمَاعِيَةِ الْعَاذِلِ وَلَا رَأَى فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ

(٣) النَّقْعُ الْغُبَارُ ، وَالْعَارِضُ السَّحَابُ ، وَالْوَابِلُ الْمَطَرُ الْكَثِيرُ .
(٤) الصَّفَا الصَّخْرُ ، وَالسَّيَاطُ جَمْعُ سَوَاطِ ، وَالْمَاحِلُ الَّذِي لَمْ يَمُطَرْ .

وَقَدْ حَوَى هَذَانِ الْبَيْتَانِ قُرْبَ التَّشْبِيهِ مَعَ بَرَاعَةِ النَّظْمِ ، وَجَزَالَةِ اللَّفْظِ .

* * *

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي : وَهُوَ تَشْبِيهُ الْمَرْكَبِ بِالْمَرْكَبِ فَمَا جَاءَ مِنْهُ مُضْمَرُ الْأَدَاةِ مَا يَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ يَرُوبُهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ (يَشْتَمِلُ عَلَى فُضَائِلِ أَعْمَالٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى إِيرَادِهَا هَاهُنَا عَلَى نَصِّهِ ، بَلْ نَذْكُرُ الْغُرُصَ مِنْهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ هَذَا » وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ ، فَقَالَ مُعَاذٌ « أَوْ نَحْنُ مُؤَاخَذُونَ بِمَا تَسْكَلُّمُ بِهِ » ؟ فَقَالَ : « تَكَلَّمْتُ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ! وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » .

فَقَوْلُهُ : « حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » مِنْ تَشْبِيهِ الْمَرْكَبِ بِالْمَرْكَبِ ، فَإِنَّهُ شَبَّهِ الْأَلْسِنَةَ وَمَا تَمْتَضِي فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُوَاخِذُ بِهَا بِالْمَنَاجِلِ الَّتِي تَحْصُدُ النَّبَاتَ مِنَ الْأَرْضِ .

وَمَا وَرَدَ مِنْهُ شِعْرًا قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ (١) :

مَعَشَرٌ أَضْبَحُوا حُصُونَ الْمَعَالِي وَدُرُوعَ الْأَحْسَابِ وَالْأَغْرَاضِ

فَقَوْلُهُ « حُصُونُ الْمَعَالِي » مِنَ التَّشْبِيهِ الْمَرْكَبِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ شَبَّهَهُمْ فِي مَنَعِهِمُ الْمَعَالِيَ أَنْ يَنَالَهَا أَحَدٌ سِوَاهُمْ بِالْحُصُونِ فِي مَنَعِهَا مِنْ بَهِا وَحِمَايَتِهِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « دُرُوعُ الْأَحْسَابِ » .

وَأَمَّا الْمُظْهَرُ الْأَدَاةُ فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى « إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ

(١) دِيوَانُ أَبِي تَمَّامٍ ١٨٨ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي مَدْحِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَوَادٍ

وَمُطْلَعِهَا :

بَدَلَتْ عِبْرَةً مِنَ الْإِيمَانِ يَوْمَ شَدُّوا الرِّحَالَ بِالْأَغْرَاضِ

حتى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا
أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ ^(١) .

فُشِبَّتْ حَالُ الدُّنْيَا فِي سُرْعَةٍ زَوَالِهَا وَانْقِرَاضِ نَعِيمِهَا بَعْدَ الْإِقْبَالِ
بِحَالِ نَبَاتِ الْأَرْضِ فِي جَفَافِهِ وَذَهَابِهِ حُطَامًا بَعْدَ مَا التَفَّ وَتَكَافَفَ
وَزَيْنَ الْأَرْضَ .

وَذَلِكَ تَشْبِيهُ صُورَةٍ بِصُورَةٍ . وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ مَا يَجِيءُ فِي بَابِهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ حَالِ الْمُنَافِقِينَ « مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي
اسْتَوَقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ
لَا يُبْصِرُونَ ^(٢) » .

تَقْدِيرُهُ إِنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ كَمِثْلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ بِمَفَازَةٍ ،
فَاسْتَضَاءَ بِهَا مَا حَوْلَهُ ، فَاتَّقَى مَا يَخَافُ وَأَمِنَ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ طَفِئَتْ
نَارُهُ بَقِيَ مُظْلَمًا خَائِفًا ، وَكَذَلِكَ الْمُنَافِقُ إِذَا أَظْهَرَ كَلِمَةَ الْإِيمَانِ اسْتَتَارَ بِهَا ،
وَاعْتَرَّ بِعِزِّهَا ، وَأَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ ، فَإِذَا مَاتَ عَادَ إِلَى الْخُوفِ ، وَبَقِيَ
فِي الْعَذَابِ وَالنَّقْمَةِ .

وَمِمَّا وَرَدَ مِنْهُ فِي الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ
الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ الْأَنْزُجَةِ ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ
الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ التَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ
الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ الْخُنْظَلَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا مُرٌّ » .

وَهَذَا مِنْ بَابِ تَشْبِيهِ الْمَرْكَبِ بِالْمَرْكَبِ . أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) سورة يونس : الآية ٢٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٧ .

وسلم شبه المؤمن القارىء ، وهو متَّصِفٌ بصفتين هما الإيمان والقراءة بالأنترُجَّة
وهى ذاتُ وصفَينِ ، هما الطَّعْمُ والرَّيحُ ، وكذلك يجرى الحكمُ فى المؤمنِ غيرِ
القارىءِ ، وفى المنافقِ القارىءِ ، والمنافقِ غيرِ القارىءِ .

وقد جاءنى شىءٌ من ذلك أوردته فى فصل من كتاب أُصِفُ فيه البرَّ
والمسييرَ ، فقُلْتُ : « ولم أزل أُصِلُ الذَّمِّيلَ بالذَّمِّيلِ ، وألَّفُ الضَّحَابَ بالأُصِيلِ
والأرضُ كالبحرِ فى سَعَةِ صدرِهِ ، والمطايا كالجواري راكِدة على ظهره ،
فكان الرَّاكِبُ منها كمكانهم من الأكوار ، ومسيرهم فيها على كُرَّةٍ
لا تستقرُّ بها حركةُ الأدوار » .

وأما ماوردَ من ذلك شعراً فكقول البُحْتَرى^(١) :
خُلِقَ مِنْهُمْ تَرَدَّدٌ فِيهِمْ وَلَيْتَهُ عَصَابَةٌ عَنْ عَصَابَةٍ
كَالْحَسَامِ الْجُزَازِ^(٢) يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ وَيُقَى فِي كُلِّ حِينٍ قِرَابَةٌ
وكذلك ورد قول ابن الرومى^(٣) :

أَدْرِكْ ثِقَاتَكَ إِيَّاهُمْ وَقَعُوا فِي نَرْجِسٍ مَعَهُ ابْنَةُ الْعِنَبِ
فَهُمْ بِحَالٍ لَوْ بَصُرْتَ بِهَا سَبَّحْتَ مَنْ عَجِبَ وَمَنْ عَجَبَ
رَيْنَحَانُهُمْ ذَهَبٌ عَلَى دُرٍّ وَشَرَابُهُمْ دُرٌّ عَلَى ذَهَبٍ

(١) ديوان البُحْتَرى ١ - ١٢٠ من قصيدة فى مدح ابن ثوابه ،

ومطلعها :

ان دعاه داعى الهوى فأجابه ورمى قلبه الصبى فأصابه

(٢) الجزار السيف القاطع .

(٣) ديوان ابن الرومى ١٧٦ من قصيدة له فى على بن عبد الله ،

وأول ما فى الديوان منها :

يابن المسيب عشت فى نغم وسلمت من هلك ومن عطب

وهذا تشبيهٌ صَدِيعٌ . إلا أن تشبيهَ البحرى أضعف ؛ وذلك أن هذا التشبيهَ صدرَ عن صورةٍ مشاهدةٍ ، وذلك إنما استنبطه استنباطاً من خاطره .

وإذا شئت أن تفرّق بين صناعة التشبيه فانظر إلى ما أشرتُ إليه ها هنا فإن كان أحد التشبيهين عن صورةٍ مشاهدةٍ والآخر عن صورةٍ غير مشاهدة فاعلم أن الذى هو عن صورةٍ غير مشاهدة أضعف .

ولعمري إن التشبيهين كليهما لا بدّ فيهما من صورةٍ تخفى لكنّ أحداً منهما شوهدت الصورة فيه فحُكيت . والآخر استنبطت له صورة لم تشهد في تلك الحال . وإنما الفكر استنبطها .

ألا ترى أن ابن الرُّومى نظر إلى النرجس وإلى الخمر فشبه . وأمّا البحرى فإنه مدح قومًا بأن خلق السّماح باقٍ فيهم يَنْتَقِلُ عن الأوّل إلى الآخر . ثمّ استنبطه لذلك تشبيهاً . فأذاه فكره إلى السيفِ وقرُّبه التى تَفْنَى فى كلّ حينٍ . وهو باقٍ لا يَفْنَى بفنائها . ومن أجل ذلك كان البحرى أضعف . وسأورد هاهنا من كلامي نبذة بسيرة .

فمن ذلك ما كتبتُه من جملة كتاب إلى ديوان الخلافة . أذكر فيه نزول العدو الكافر على ثغر « عكا »^(١) فى سنة خمسٍ وثمانين وخمسمائة . فقلت :

(١) بلد على ساحل بحر الشام ، كانت قديماً فى غاية الحصانة وقد اختلفت أيدي المتغلبين عليها ، وصارت بيد الفرنج واستنقذها منهم صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم استعادها الفرنج بعد ذلك ، وفى سنة تسعين وستمائة فتحها الملك الأشرف بن الملك المنصور قلاوون ، ونقض بيوتها وأبراجها ، وقتل من بها من الفرنج ، وكان ذلك من فتوح المسلمين العظيمة .

« وأحاط بها العدو إحاطة الشفاه بالثغور ، ونزل عليه نزول الظالماء على النور » .

وهذا من التشبيهات المناسبة .

نمّ لما جئتُ إلى ذكر قتال المسلمين إيّاه وإزالته عن جانب الثغر قلت :

« وقد اضطدّم من الإسلام والكفر ابنا شمام^(١) والتقى من عجّاجتهما ظلام ، وعند ذلك أخذ العدو في التحيز إلى جانب . وكان كحاجبٍ على عين . فصار كعين في حاجب . وإذا ترعرع البناء فقد هوى . وإذا قبض من طرف البساط فقد انطوى » وهذا التشبيه في مناسبه كالأول . بل أحسن .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان . فقلت :

« وما شبهت كتابه في وروده وانقباضه . إلا بنظر الحبيب في إقباله وأغراضه . وكلّلا الأمرين كالسهم في ألم وقعه وألم ترعه . والمشوق من استوت صبابته في حالتي وصله وقطعه . وما أزال على وجل من إرسال كتبه وإجمامها . واشتباه لمها بالأممها » .

ومما جاء من هذا القسم في الشعر قول بكر بن الفطاح^(٢) :

(١) ابنا شمام ، هما هضبتان في أصل جبل يقال له شمام ، يضرب بهما المثل في الاقتران والاصطحاب ، قال لبيد :

فهل نبئت عن أخوين داما على الأيام غير ابني شمام

(٢) كان شاعرا حسن الشعر ، كثير التصرف فيه ، وكان صعلوكا يقطع الطريق ، ثم اقتصر عن ذلك ، وكان كثيرا ما يصف نفسه بالشجاعة والإقدام وهو القائل :

تَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى الْمَعَالِي كَمَا نَظَرْتُ إِلَى الشَّيْبِ الْمِلَاحُ
يَحْدُثُونَ الْعُيُونَ إِلَى شَذْرًا كَانَ فِي عُيُونِهِمُ السَّمَاحُ
وهذا بديعٌ في حُسْنِهِ ، بليغٌ في تشبيهه .

وعلى هذا التمهيد ورد قول أبي تمام ^(١) :

خَلَطَ الشَّجَاعَةَ بِالْحَيَاءِ فَأَصْبَحَا كَالْحُسْنِ شَيْبَ لِعُفْرِمٍ بِدَلَالٍ
وهذا من غريب ما يأتي في هذا الباب ، وقد تفالت شبيعةُ أبي تمام في وصف هذا البيت . وهو لعفري كذلك .
ومن هذا القسم أيضاً قوله ^(٢) :

= هنيئاً لإخواني ببغداد عيدهم وعيدي بحلولان قراع الكتائب
وأنشدها أبادلف ، فقال له إنك لتصف نفسك بالشجاعة وما رأيت
عندك ذلك أثراً ، فقال : أيها الأمير ، وما ترى عند رجل حاسر
أعزل ؟ فقال : أعطوه سيفاً ورمحاً ودرعاً ، فأعطوه ذلك أجمع ،
فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه فلقبه مال لأبي دلف ، يحمل
إليه من بعض ضياعه ، فأخذه وجرح جماعة من غلماناه ، فهربوا
وسار بالمال ، فلم ينزل إلا على عشرين فرسخاً ، فلما اتصل خبره
بأبي دلف قال : نحن جنينا على أنفسنا وكنا أغنياء عن إهاجته ، لو كتب
إليه بالأمان ، وسوغه المال ، وأمره بالقدوم ، فرجع ، ولم يزل يمدحه حتى
مات .

(١) ديوان أبي تمام ٢٦٩ من قصيدة له في مدح المعتصم ، ويذكر
أخذ بابك ، ومطلعها :

آلت أمور الشرك شر مآل وأقر بعد تخمط وصيال

(٢) ديوانه ١٥١ من قصيدة يمدح فيها المعتصم . ويذكر لإحراق
الأفشين ، ومطلعها :

الحق أبلج والسيوف عوار فحذار من أسد العرين حذار

كَمْ نِعْمَةٍ لِّلَّهِ كَانَتْ عِنْدَهُ
فَكَانَهَا فِي غُرْبَةٍ وَإِسَارٍ
كُسِيتَ سَبَائِبَ لَوْثِهِ فَتَضَاهَلَتْ
كَتَضَاوِلَ الْحَسَنَاءِ فِي الْأَطْمَارِ (١)

وكذلك قوله (٢) :

صَدَقَتْ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدِرْ مُوَاهِبُهُ عَنِّي وَعَاوَدَهُ ظَنِّي فَلَمْ يَحِبْ
كَالْفَيْثِ إِنْ جِئْتَهُ وَافَاكَ رَيْقُهُ وَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْهُ لَجَّ فِي الطَّلَبِ
وعلى هذا الأسلوب وَرَدَ قول علي بن جبلة :

إِذَا مَا تَرَدَّى لِأُتَمَةِ الْحَرْبِ أُرْعِدَتْ
حَشَا الْأَرْضِ وَاسْتَدَمَى الرَّمَاحُ الشَّوَارِعَ
وَأُسْفَرَ تَحْتَ النَّقْعِ حَتَّى كَانَهُ
صَبَاحٌ مَشَى فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ طَالِعُ

وقد أحسن علي بن جبلة في تشبيهه هذا كل الإحسان . وكمثله في الحسن
قوله أيضاً في تشبيهه الحَبَبِ فوق الحَرِّ :

تَرَى فَوْقَهَا نَمَشًا لِلْمَزَاجِ تَبَازِيرَ لَا يَتَّصِلْنَ اتِّصَالًا
كُوجِهِ الْعُرُومِ إِذَا خَطَطَتْ عَلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْهُ حَالًا

(١) السبائب جمع سببية ، وهي شقة رفيقة ، تضاهلت أخفت
شخصها وتضاغرت ، والأطمار الثياب البالية .

(٢) ديوانه ١٦ من قصيدة له في مدح الحسن بن سهل ، وأولها :
أبدت أسي أن رأيتي مخلص القصب وآل ما كان من عجب إلى عجب
ومخلص القصب ، أي في قصب شعره — وهي خصلة — سواد وبياض

ومن هذا القسم قولُ مُسلم بن الوليد .

تلقى المنية في أمثال عذتها كالسَّيلِ بقذفٍ جُهوراً يجلود^(١)
وعلى هذا الأسلوب وردَ قول العباس بن الأحنف^(٢) .

لأَجَزَى اللهُ دَمْعَ عَيْنِي خيراً وَجَزَى اللهُ كُلَّ خَيْرٍ لِسَانِي
نَمْ دَمْعِي فَلَيْسَ بِكُتْمٍ شَيْئاً وَوَجَدْتُ اللِّسَانَ ذَا كِتْمَانٍ
كُنْتُ مِثْلَ الْكِتَابِ أَخْفَاهُ طَيٌّ فَاسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بِالْعُقُوفَانِ

وهذا من اللطيف البديع

ويُروى أَنَّ أبا نُواسٍ لما دخلَ مَصْرَ مَادِحاً لِلْخَصِيبِ جَلَسَ يَوْمًا فِي رَهْطٍ
مِنَ الْأَدْبَاءِ ، وَتَذَكَّرُوا مَنَارَةَ بَغْدَادَ ، فَأَنْشَدَ مَرْتَبِلًا .

ذَكَرَ الْكَرْخَ نَازِحُ الْأَوْطَانِ فَصَبَا صَبُوءًا وَلَاتَ أَوَانَ^(٣)

(١) من قصيدة له في مدح دواد بن حاتم بن خالد المهلب ، ومطلعها :
لا تدع بي الشوق إني غير معمود نهى النهى عن هوى الهيف الرعايد
(٢) هذه الأبيات منسوبة في الأمالي (٢٠٩/١) لأبي نواس ، قال القالي :
وكان أبو بكر بن دريد يستحسن قول أبي نواس في هذا المعنى « لا جزى الله دمع
عيني ... الأبيات » وكتب بهامش أصله « هذه الأبيات للعباس بن الأحنف .
وفي كتاب « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » ٦٦ مانصه « قال أبو علي :
وكان ابن دريد يستحسن قول أبي نواس : « لا جزى الله دمع عيني خيراً .. »
وهذا الشعر للعباس بن الأحنف بلا اختلاف ، وهو ثابت في ديوان ابن الأحنف
(٣) ديوان أبي نواس ٩٧ وهو مطلع قصيدة له في مدح الخصيب بن
عبد الحميد العجمي ثم المرادي ، وهو دهقان من أهل المزار شريف الآباء ،
وأيضاً بابن صاحب نهر أبي الخصيب ، ذلك عبد المنصور يقال له
« مرزوق » . وكان هذا رئيساً في أرضه ، فانتقل إلى بغداد ، وصار كاتب
مهرويه الرازي ، ثم انتقل إلى الإمارة . وفي الأصل « الكرج » بالجمع موضع
« الكرخ » وهو تصحيف .

نَمْ أْتَمَّ ذَلِكَ قَصِيداً مَدَحَ بِهِ الْخَصِيبَ ، فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَغْدَادَ دَخَلَ عَلَيْهِ
الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ ، وَقَالَ : أَنْشِدْنِي شَيْئاً مِنْ شِعْرِكَ بِمِصْرَ ، فَأَنْشَدَهُ :

* ذَكَرَ الْكَرْخَ نَازِحُ الْأَوْطَانِ *

فَلَمَّا اسْتَمَعَ الْأَبْيَاتَ قَالَ لَهُ : لَقَدْ ظَلَمْتَكَ مِنْ نَاوَاكَ ، وَتَخَلَّفَ عَنْكَ مَنْ
جَارَاكَ ، وَحَرَامٌ عَلَى أَحَدٍ يَتَفَوَّهُ بِقَوْلِ الشَّعْرِ بِعَدَاكَ !

فَقَالَ لَهُ أَبُو نُؤَاسٍ . وَأَنْتَ أَيْضاً يَا أَبَا الْفَضْلِ تَقُولُ هَذَا ؟ أَلَسْتَ الْقَائِلَ .

* لَا جَزَى اللَّهِ دَمْعَ عَيْنِي خَيْرًا *

وَأَنْشَدَ الْأَبْيَاتَ ، نَمْ قَالَ . وَمَنْ الَّذِي يُحْسِنُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا ؟

* * *

وَمِنْ تَشْبِيهِ الْمَرْكَبِ بِالْمَرْكَبِ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ (١) .

جِدَّةٌ يَذُودُ الْبُخْلَ عَنْ أَطْرَافِهَا كَالْبَحْرِ يَمْنَعُ مِلْحَهُ عَنْ مَائِهِ

وَهَذَا مِنْ مُحَاسِنِ التَّشْبِيهَاتِ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ (٢) .

وَتَرَاهُ فِي ظَلَمِ الْوَعْيِ فَتَخَالَه

قَرَأَ يَكْرُهُ عَلَى الرِّجَالِ بَكْوَكِبٍ

(١) ديوان البحتري ٢ - ٤٠ من قصيدة له في مدح يوسف بن

محمد ، أولها :

يا غاديا والشعر خلف مسائه يصل السرى بأصيله وضحاياه

(٢) ديوانه ١٣٤/٢ من قصيدة يمدح فيها مالكا بن طوق ، مطلعها :

رحلوا فأية عبرة لم تسكب أسفاً ؟ وأى عزيمة لم تغلب ؟

ورواية الديوان « قمرًا يشد على الرجال »

وفي هذا البيت تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء . فإنه شبه العجاج بالظلمة ،
والمذوح بالقمر ، والسنان بالكوكب ، وهذا من الحسن النادر .
وكذلك ورد قوله (١) .

يَمْشُونَ فِي زَغَفٍ كَانَ مَتُونَهَا فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ مُتُونُ نِهَاءٍ (٢)
بَيْضٌ تَسِيلُ عَلَى الْكِمَاةِ نُصُولُهَا سَيْلَ السَّرَابِ بِقَفَرَةٍ بَيْدَاءٍ (٣)
فَإِذَا الْأُسْنَةُ خَالَطَهَا خِلَاتُهَا فِيهَا خِيَالُ كَوَاكِبٍ فِي مَاءٍ
فالبيتان الاخيران هما اللذان تضمننا تشبيه المركب بالمركب . وإنما جئنا
بالبَيْتِ الْأَوَّلِ سِيقَةً إِلَى مَعْنَاهُمَا . وهو من التشبيه الذي أَحْسَنَ فِيهِ الْبَحْرِيُّ
وَأَغْرَبَ .

ومن هذا الباب ماورد لبعض الشعراء في وصفِ الخمر . فقال :
كَانَتْ سِرَاجُ أَنْاسٍ يَهْتَدُونَ بِهَا فِي سَالَفِ الدَّهْرِ قَبْلَ النَّارِ وَالنُّورِ
تَهْتَرُ فِي الْكَأْسِ مِنْ ضَعْفٍ وَمِنْ هَرَمٍ
كَأَنَّهَا قَبَسٌ فِي كَفٍّ مَقْرُورٍ
وقد يندُرُ لِلنَّاظِمِ أَوْ النَّاسِرِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِ يَبْلُغُ الْغَايَةَ الَّتِي لَا أَمَدَ فَوْقَهَا .
وهذان البيتان من هذا القَبِيلِ .

(١) ديوانه ٢٢٧/٢ من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد يوسف ،
ومطلعها :

زعم الغراب منبئ الأنباء أن الأحبة آذنوا بتناء
(٢) الزغف اسم جنس جمعي واحدة زغفة ، وهي الدرع ، والنهاة جمع
نهي بكسر فسكون ، وهو الغدير .

(٣) رواية الديوان « بيض تسيل على الكمأة فضو لها ، وهي أجود .

ومن أغرب مسمعه في هذا الباب قولُ الحسين بن مطير^(١) يرقى معن
ابن زائدة .

فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل بجراه مرنعا^(٢)

* * *

القسم الثالث : في تشبيه المفرد بالمركب :

فما ورد منه قوله تعالى : « الله نور السموات والأرض مثل نور
كشمسكة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري
يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية^(٣) » .

وكذلك قوله تعالى : « مثل الذين كفروا ربهم أعمأ لهم كرماد
اشتدت به الریح في يوم عاصف^(٤) » .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن استنجادا فقلت :

« وهو إذا استصرخ أصرخ بعزم كالشهاب في رجه . وهم كالقوس
الممتلىء بنزع سهمه . ويرى أن صريحه لم يخب . وأنه إذا لم يخبه بالسيف

(١) سماه في الأغاني الحسين بن مطير بن مكمل وأنه مولى لبنى أسد بن
خزيمة ثم لبنى سعد بن مالك بن ثعلبة ، وهو شاعر إسلامي فصيح متقدم الرجز
والقصيد ، يعد من فحول المحدثين ، وكلامه يشبه كلام الأعراب وأهل البادية ،
ويمائل مذهبهم ، أدرك بنى أمية وبنى العباس ، ووفد على معن بن زائدة
الشيباني لما ولى اليمن مادحاً فأجزل صلته .

(٢) ديوان الحماسة ١ / ٣٩٥ من أبيات أولها :

ألماع على معن وقولا لقبره سقتك الغواذى مربعا ثم مربعا

(٣) سورة النور : الآية ٣٥

(٤) سورة إبراهيم : الآية ١٨

فكانه لم يُحِب . فهو مُغْرِي جواده وحُسامه . ومُسْنَع العدو صرير رُمحه
قبل قفقة لجامه .

وكذلك أيضاً ما كتبتُه في كتابٍ إلى بعض الإخوان أذُمُ الفراق .
فقلت :

« والفراقُ شئٌ لا كالأشياء . وصاحبه ميتٌ لا كالأموات . وحيٌّ
لا كالأحياء . وما أراه إلا كنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة .
وما يجعلُ صاحبها في ضحضاح منها إلا تواتر الكتب التي تقيه بعض الوقاء .
وتقومُ له — وإن لم يُسَق — مقامَ الإِسْتِقاء .

وأما ماورد منه في الشعر فكنقول أبي نواس (١) .

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت

له عن عدوٍّ في ثياب صديق

وكذلك قول أبي تمام يصف قصيداً له (٢) .

خذها مثقفة القوافي ربها لسوابغ النعماء غير كنود (٣)

(١) ديوان أبي نواس ١٩٢ من أبيات خمسة أولها :

أيارب وجه في التراب عتيق ويارب حسن في التراب رقيق

(٢) ديوان أبي تمام ٨٥ من قصيدة له في مدح عبد الله أحمد بن أبي داود .

مطلعها :

أرأيت أي سواف وخدود غنت لنا بين اللوى فزود

(٣) بين هذا البيت والبيت الذي بعده بيتان هما :

حذاء تملأ كل أذن حكمة وبلاغة وتدر كل وريد

كالطعنة النجلاء من يد ثائر بأخيه أو كالضربة الأخدود

كالدرِّ والمرجانِ ألفَ نظمُهُ بالشذْرِ في عنقِ الفتاةِ الرُّودِ (١)
وكذلك ورد قول البُحْثَرِي وهو من جملة قصيدته المشهورة التي وصف
فيها الفرسَ والسيفَ : وأولها .

* أهلاً بذليكم الخيالِ المَقِيلِ (٢) *

فقال فيها من أبياتٍ تَضَمَّتْ وصفَ السيفِ بيتاً أجادَ في تشبيهه :
وكانما سودُ النِّمالِ وحُمُرُها دَبَّتْ بأيدي في قواه (٣) وأرجلُ
فشبه فرِندَ السيفِ بديبب النمل سودها وحُمُرُها ، وذلك من التشبيه
الحسن .

وأما ما ورد منه مضمَرِ الأداة ، فكقول النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد
سُئِلَ عن العزل ، فقال : « هو الوأْدُ الخَفِيُّ » وهذا تشبيهٌ بليغٌ « والوَأْدُ » هو
ما كانت العربُ تفعله في دفن البناتِ أحياءَ ، فجعل العزل في الجماع كالوَأْدِ ،
إلا أنه خَفِيٌّ ، وذلك أنهم كانوا يفعلون بالبناتِ ذلك هرباً منهنَّ ، وهكذا من
يعزل في الجماع ، فإنما يفعل ذلك هرباً من الولد .

وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « هو الوأْدَةُ الصُّغْرَى » وهذا من
الحُسْنِ إلى غايةٍ تفضُّ لها العيونُ طرفَها ، ولا ينتهي الوصفُ إليها فيكون
تركُّ وصفِها كوصفِها .

(١) رواية الديوان « في عنق الكعاب » والشذر قطع الذهب ، والرود
الجارية الناعمة .

(٢) ديوان البُحْثَرِي ٢/ ٢١٧ صدر مطلع قصيدة له في مدح محمد بن عيسى
القسي ، وعجز البيت :

* فعل الذي نهواه أولم يفعل *

(٣) رواية الديوان ٢/ ٢١٩ « في قراه » بالراء ، والقرا الظهور .

ومما جاءني من ذلك فصل من جملة كتاب ضمنتُه وصف القلم ، قلت :
« جُدِعَ أنْفُه فصار في الكَيْدَ قصيراً ، وأُرْهِفَ صدرُه فصار في المضاء
عضباً شهيراً ، وقُمَصَ لباسَ السَّواد ، وهو شعارُ الخطباء ، فنطقَ بفصل
الخطاب ، ونكسَ رأسُه . وهي صورةُ الإذلال . فاختلف في مشيه من
الإعجاب . وأوحى إليه بنجوى الخواطر . وهو الأصمُّ . فأفضى بما سمعه
إلى الكتاب » .

وهذه الأوصافُ غريبةٌ جداً . ومن أغربها ذكرُ « قصير » عند
جُدِعَ الأنف .

* * *

وأما القسم الرابع وهو تشبيه المركب بالمفرد :

فإنَّه قليلُ الاستعمالِ بالنسبةِ إلى الأقسام الثلاثة . وليسَ ذلك إلا لعدم
النظير بين المشبَّه والمشبَّه به .

وعلى كثرةِ محافظته من الأشعار لم أجد ما أمثل به هذا القسم إلا مثلاً
واحداً . وهو قول أبي تمام في وصف الربيع (١) :

يا صاحبي تَقْصِيَا نظريكما تَريَا وجوهَ الأرض كيفَ تُصَوِّرُ
تَريَا نهراً مُشْمِساً قد شابهُ زَهرُ الرُّبَا فكأنما هو مُقَمَّرُ
فشبَّه النهارَ المشمسَ مع الزَّهرِ الأبيض بضوء القمر . وهو تشبيهٌ حسنٌ
واقعٌ في موقعه مع ما فيه من لُطْفِ الصَّنْعة .

ولربما اعترضَ في هذا الموضع معترضٌ . وقال : إنَّك أوردتَ هذا

(١) ديوان أبي تمام ١٥٧ من قصيدة له في مدح المعتصم ، ومطلعها :
رقت حواشي الدهر فهي تمرمر وغدا الثرى في حليه يتكسر

القسم من التشبيه . وذكرت أنه قليل . وليس كذلك !؟ فإن تشبيه شيتين
بشيء واحد كثير . كقول أبي الطيب المتنبي (١) .

تُشرق أعراضهم وأوجهُهم كأنها في نفوسهم شيمٌ
فشبّه إشراق الأعراض والوجوه بإشراق الشيم .

الجواب عن ذلك أنني أقول . هذا البيت المعترض به على ما ذكرته
ليس كالذي ذكرته . فإني أردت أن يشبّه شيان هما شيء واحد في الاشتراك
بشيء واحد .

ألا ترى أن نور الشمس مع بياض الزهر — وهما شيان مُشتركان —
قد شبّها بضوء القمر . وأما هذا البيت الذي لأبي الطيب المتنبي فإنه تشبيه
شيتين كل واحد منهما مفرد برأسه شيء واحد . لأنه شبّه إشراق الأعراض
وإشراق الوجوه بإشراق الشيم . وهذا غير ما أردته أنا .

لكن ينبغي أن تعلم أن تشبيه المركب بالمفرد ينقسم قسمين .

أحدهما . تشبيه شيتين مشتركين بشيء واحد ، كالذي أوردته لأبي تمام .
وهو قليل الاستعمال .

(١) ديوان المتنبي ٤/ ٥٨ من قصيدته في مدح علي بن إبراهيم التنوخي ،

مطلعها :

أحق عاف بدمعك الهمم أحدث شيء عهداً بها القدم
قال أبو الفتح بن جني : سألته — المتنبي — عن معنى هذا البيت ، فقال :
أحق ما صرفت إليه بكاءك همم الناس ، لأنها قد عفت ودرست ، فصار
أحدثها عهداً قديماً . وقال الخطيب : أحق عاف بأن يبكى عليه همم
الكرام ، لأنها عفت كما تعفو الربوع فهي أحق بدمعك من كل الدارسات ،
وجعل القدم أحدث الأشياء عهداً بالهمم ، أي دروسها قديم ، فلا همم في الأرض .

والآخر . تشبيهُ شيئين منفردين بشيء واحد . كالَّذِي ذَكَرْتَهُ أَنْتَ
لَأَبِي الطَّيِّبِ التَّنْجِيِّ . وهو كثيرُ الاستعمال .

من معيب التشبيه :

وإذْ ذَكَرْنَا أَقْسَامَ التَّشْبِيهِ . وَبَيْنَا الْحُمُودَ مِنْهَا الَّذِي يَنْبَغِي اقْتِنَاءُ أَثَرِهِ .
وَاتِّبَاعُ مَذْهَبِهِ . فَلْتَتَّبِعْهُ بَضْده . نَمَّا يَنْبَغِي اجْتِنَابُهُ . وَالْإِضْرَابُ عَنْهُ .

على أَنَّهُ قَدْ قَدَّمْنَا الْقَوْلَ بِأَنَّ أَحَدَ التَّشْبِيهِ هُوَ « أَنْ يَثْبُتَ لِلْمَشْبَهَةِ حُكْمٌ
مِنْ أَحْكَامِ الْمَشْبَهَةِ بِهِ » . فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ؛ أَوْ كَانَ بَيْنَ الْمَشْبَهَةِ وَالْمَشْبَهَةِ
بِهِ بَعْدٌ فَذَلِكَ الَّذِي يَطْرَحُ وَلَا يُسْتَعْمَلُ ؛ وَالَّذِي يَرِدُ مِنْهُ مَضْمَرُ الْأَدَاةِ
لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْقِسْمِ الْوَاحِدِ مِنْ أَقْسَامِ الْحَاجِزِ ؛ وَهُوَ التَّوَسُّعُ ؛ وَقَدْ قَدِّمْتُ
الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ فِي أَوَّلِ بَابِ (الْاسْتِعَارَةِ) وَضَرَبْتُ لَهُ أَمْثَلَهُ مِنْهَا قَوْلُ
أَبِي نُوَّاسٍ .

مَا رَجُلٌ الْمَالِ أَمَسَتْ تَشْتَكِي مِنْكَ الْكَلَالَا

فَجَعَلَ لِلْمَالِ رَجُلًا ؛ وَذَلِكَ تَشْبِيهٌُ بَعِيدٌ ؛ وَلَا حَاجَةَ إِلَى إِعَادَةِ ذَلِكَ الْكَلَامِ
هَاهُنَا بِجُمْلَتِهِ (١) ؛ لَكِنْ قَدْ أَشْرْتُ إِلَيْهِ إِشَارَةً خَفِيفَةً .

وَمِنْ أَقْبَحِ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ (٢) .

وَتَقَاسَمُ (٣) النَّاسُ السَّخَاءَ حِزًّا وَذَهَبْتَ أَنْتَ بِرَأْسِهِ وَسَنَامِهِ
وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الْإِهَابَ وَمَا بَقِيَ مِنْ فَرَثِهِ (٤) وَعُرُوقِهِ وَعِظَامِهِ

(١) أنظر كلامه يجملته في صفحة ٧٩ وما بعدها من هذا القسم .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٩٨ من قصيدة له في مدح أبي سعيد ، وأولها :

قل للأمر أبي سعيد ذي الندى والمجد زاد الله في إكرامه

(٣) رواية الديوان « وتقسم »

(٤) الإهاب الجلد ، والفَرثُ السرجين في الكرش .

والتبجح الفاحشُ في البيتِ الثاني .

وكلُّ هذا التعسفُ في التشبيهِ البعيدِ دُندنةٌ حول معنى ليسَ بِباطلٍ ؛
فإنَّ غرضه أن يقول . ذَهَبَ بالأعلى ؛ وترك للناسِ الأدنى ؛ أو ذَهَبَتْ بِالْجَيْدِ ؛
وتركت للناسِ الرَّدَى .

وقد عيب عليه قوله (١) :

لا تَسْقِنِي ماءَ المَلَامِ فَإِنِّي صَبُّ قَدْ اسْتَعَذَبْتُ مَاءَ بَكَائِي

وقيل : إنَّه جعل للملام ماءً ، وذلك تشبيهٌ بعيدٌ ، وما بهذا التشبيه عندى
من بأسٍ ، بل هو من التشبيهاتِ المتوسطة التي لا تُحمد ولا تذمُّ ، وهو قريبٌ
من وجهه ، بعيدٌ من وجهه .

أما سببُ قرْبِهِ فهو أنَّ الملامَ هو النولُ الذي يَعْتَف به المَloom لأمرٍ
جَنَاه ؛ وذلك مختصٌّ بالسَّمْع ، فنقله أبو تمام إلى السَّقْيَا التي هي مختصةٌ
بالْحَلْق ؛ كأنه قال : لاندقنى الملامَ ، ولو تهَيَّأ له ذلك مع وزن الشعر لكان
تشبيهاً حسنًا ، لكنه جاء بذكر الماء ؛ فخط من درجته شيئًا ؛ ولما كانَ
السَّمْعُ يتجرَّع الملامَ أولاً أولاً كتجرُّع الحلقِ الماءَ صار كأنه شبيهٌ به ؛
وهو تشبيهه معنى بصورة .

وأما سببُ بُعدِ هذا التشبيه فهو أنَّ الماءَ مُستلذٌ ؛ والملامَ مستكرهٌ ؛
فصل بينهما مخالفة من هذا الوجه .

(١) ديوان أبي تمام ٣ والبيت ثانى أبيات قصيدة له في مدح يحيى بن ثابت ،

ومطلعها :

فذلك انتب أربيت في الغلواء كم تعذلون وأنتم سجراني

فهذا التشبيه إنْ بَعْدَ من وجهٍ فَقَدْ قُرِبَ من وجهٍ ؛ فَيُنْفَرُ هذا لهذا ؛
ولذلك جماعته من التشبيهات المتوسطة التي لا تُحمد ولا تَذمُّ .

وقد رُوِيَ — وهو روايةٌ ضعيفةٌ — أَنَّ بعضَ أَهْلِ الحِجَازِ أَرْسَلَ إِلَى
أَبِي تَمَّامٍ قَارُورَةَ ؛ وَقَالَ : إِبْعَثْ فِي هَذِهِ شَيْئًا مِنْ مَاءِ الْمَلَامِ ! فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ
أَبُو تَمَّامٍ ؛ وَقَالَ : إِذَا بَعَثْتُ إِلَى رِيْشَةٍ مِنْ « جَنَاحِ الذَّلِّ » بَعَثْتُ إِلَيْكَ شَيْئًا
مِنْ مَاءِ الْمَلَامِ !

وما كان أبو تمام ليذهب عليه الفرقُ بينَ هَذينِ التشبيهِينِ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ
جَعَلَ الجَنَاحَ لِلذَّلِّ كَجَعْلِ الْمَاءِ لِلْمَلَامِ ، فَإِنَّ الجَنَاحَ لِلذَّلِّ مُنَاسِبٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ
الطَّائِرَ إِذَا وَهَنَ أَوْ تَعَبَ بَسَطَ جَنَاحَهُ وَخَفَضَهُ ، وَأَلْقَى نَفْسَهُ عَلَى الْأَرْضِ ،
وَالْإِنْسَانُ أَيْضًا جَنَاحٌ ؛ فَإِنَّ يَدَيْهِ جَنَاحَاهُ ، وَإِذَا خَضَعَ وَاسْتَكَانَ طَاطَمَ مِنْ
رَأْسِهِ وَخَفَضَ مِنْ يَدَيْهِ . فَحَسُنَ عِنْدَ ذَلِكَ جَعْلُ الجَنَاحِ لِلذَّلِّ ، وَصَارَ تَشْبِيْهًا
مُنَاسِبًا ، وَأَمَّا الْمَاءُ لِلْمَلَامِ فَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي مُنَاسَبَةِ التَّشْبِيْهِ .

وَأَمَّا التَّشْبِيْهُ الْمَضْمُرُ الْأَدَاةُ مِنْ هَذَا الْبَابِ فَقَدْ أُورِدَتْ لَهُ أَمْثَلَةٌ يَسْتَدِلُّ بِهَا
عَلَى أَشْبَاهِهِ وَأَمْثَالِهِ ، فَإِنَّ لَذِكْرِ الْمَثَالِ فَائِدَةً لَا تَكُونُ لَذِكْرِ الْحَدِّ وَحْدَهُ .
فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

مَلَا حَاجِبِيْكَ الشَّيْبُ حَتَّى كَانَتْهُ ظِبَاءُ جَرَتْ مِنْهَا سَنِيْحٌ وَبَارِحُ
وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ يَصِفُ السَّهَامَ :

كَسَاهَا رُطِيبُ الرِّيشِ فَاعْتَدَلَتْ لَهُ قِدَاحُ كَأَعْنَاقِ الظَّبَاءِ الْفَوَارِقِ
فَإِنَّهُ شَبَّ السَّهَامَ بِأَعْنَاقِ الظَّبَاءِ ، وَذَلِكَ مِنْ أُبْعَدِ التَّشْبِيْهَاتِ .
وَعَلَى نَحْوِ مَنْهُ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ ^(١) :

(١) ديوان الفرزدق ٧١٥ / ٢ من قصيدته التي أولها :
إِن الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَمَا مَشَتْ

جُرْبُ الْجَمَالِ بِهَا الْكَحِيلُ الْمَشْعَلُ^(١)

فَشَبَّهَ الرِّجَالَ فِي دُرُوعِ الزَّرْدِ بِالْجَمَالِ الْجُرْبِ ، وَهَذَا مِنَ التَّشْبِيهِ الْبَعِيدِ ؛
لأنَّهُ إِنْ أَرَادَ السَّوَادَ فَلَا مَقَارَبَةَ بَيْنَهُمَا فِي اللَّوْنِ ، لِأَنَّ لَوْنَ الْحَدِيدِ أَيْضُ ،
وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَمِيَ السِّیُوفُ بِالْبَيْضِ ، وَمَعَ كَوْنِ هَذَا التَّشْبِيهِ بَعِيداً فَإِنَّهُ
تَشْبِيهٌ سَخِيفٌ .

وَمِنَ التَّشْبِيهَاتِ الْبَارِدَةِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمَتَنَّبِيِّ^(٢) :

وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ النَّجِيعُ الْقَانِي^(٣)

فَكَأَنَّهُ النَّارَنْجُ فِي الْأَغْصَانِ

وَهَذَا تَشْبِيهٌُ يَنْكُرُهُ أَهْلُ التَّجْسِيمِ ، وَإِذَا قُسِّمَتِ التَّشْبِيهَاتُ بَيْنَ الْبَعْدِ
وَالْبَرْدِ حَازَ طَرَفِي ذَلِكَ التَّقْسِيمَ .

وَأَبْشَعُ مِنْ هَذَا قَوْلُ أَبِي نُوَاسٍ^(٤) فِي الْخَمْرِ :

(١) الكحيل القطران ، وحلق الحديد الدروع ، والمشعل الحديدية
التي يحرق بها الجلد ، ويروى « كأنهم » موضع « كما مشت »
(٢) ديوان المتنبي ٤ / ١٨٤ من قصيدة له في مدح سيف الدولة ،
أولها :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى الحل الثانى

(٣) النجيع الدم ، والقانى الأحمر الشديد الحمرة .

(٤) لم أجد هذا البيت والبيت الذى بعده فى ديوان أبو نواس ، ولعلهما

من جملة الأبيات التى وردت فى ديوانه (٣٤٩) وهى :

أأدميت بالماء القراح جبينها يسمع فى صحن الزجاج أنينها

فقد سمعت أذنك عند مزاجها أنينا وألحانا تجيب دنينها =

كأنّ بواسار^(١) رواكده حولها وزُرَقَ سَنَانِيرُ تُدِيرُ عُيُونَهَا
والعجبُ أنه يقولُ مثل هذا الفث الذي لاملامة بينه وبين ماشبه به ،
ويقرنه بالبديع الذي أحسن فيه وأبدع ، وهو :

كأنّا حلولٌ بينَ أكنافِ روضةٍ

إذا ما سلَبناها معَ اللّيل طينها

فانظر: كيف قرنَ بينَ ورْدَةٍ وسَعْدَانَةٍ ، لا بلَ بينَ بَعْرَةٍ ومَرَجَانَةٍ .
وقد أكثرَ في تشبيهِ الخمرِ ، فأحسنَ في موضعٍ وأساءَ في مَوْضعٍ ، ومن
إساءتهِ قوله أيضاً في أبياتٍ لاميةٍ^(٢) :

وإذا ما الماء واقعها أظهرت شكلاً من الغزل

لؤلؤاتٍ ينحدرنَ بها كأنحدارَ الذرِّ من جيلٍ^(٣)

= فصنها عن الماء القراح وهاتها فانك إن لم تسقى مت دونها
بأنية مخروطة من زبرجد تخير كسرى خرطها ليصونها
بكف تكاد الكأس تدمى بنانها إذا أزعج التحريك منها سكونها
كان رجال الهند حول إنائها عكوف على خيل تدير متونها
(١) هكذا في الأصل ، ولم أقف لهذه الكلمة على معنى ، ولكني رأيت
في القاموس (١/ ٣٨٢) أن البياسرة جيل بالسند تستأجرهم النواخذة لمحاربة
العدو الواحد بيسرى . والنواخذة هم أهل السفن ، فلعل البواسار منها ، ويرجح
هذا ذكره « رجال الهند » في آخر أبيات الديوان المذكورة في الهامش السابق :

(٢) ديوان أبي نواس ٣١٧ من قصيدة أولها :

يا مبيح الدمع في الظلل راكباً منه إلى أمـل

(٣) رواية الديوان في الشطر الثاني هكذا :

* كأنحدار الدمع في عجل *

ولامعنى لاعتراض المؤلف على هذه الرواية .

فشبه الحَبَبَ في انحداره بَنَمْلٍ صغارٍ يَنَحْدِرُ من جَبَلٍ ، وهذا من البَعْدِ
على غايةٍ لا يحتاجُ إلى بيانٍ وإيضاحٍ .

* * *

وأعلم أنَّ من التشبيه ضرباً يسمَّى « الطرد والعكس » وهو أن يُجْعَلَ
المُشَبَّه به مُشَبَّهاً والمُشَبَّه مُشَبَّهاً به وبعضهم يسمِّيه « غلبة القُرُوع على الأصول »^(١)
ولا تجدُ^(٢) شيئاً من ذلك إلا والغرضُ به المبالغةُ ، فمَّا جاء من ذلك قولُ
ذِي الرُّمَّةِ^(٣) :

وَرَمَلٍ كَأَرْدَافِ الْعَذَارَى قَطْعُهُ إِذَا أَلْبَسْتَهُ الْمَظْلَمَاتُ الْحَنَادِيسُ^(٤)
أَلَا تَرَى إِلَى ذِي الرُّمَّةِ^(٥) كَيْفَ جَمَلَ الْأَصْلَ فَرَعًا وَالْفَرَغَ أَصْلًا ، وَذَاكَ

(١) أنظر الخصائص لابن جني ٣٠٨/١ وقد نقل ابن الأثير كلامه
كما ترى .

(٢) في الخصائص « ولا تكاد تجد » قال ابن جني : هذا فصل من
فصول العربية ظريف تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الأعراب ،
ولا تكاد تجد . الخ .

(٣) هو غيلان بن عقبة بن نهيس ، من مضر ، ومن الشعراء المتيمين
وصاحبه ممي بنت مقاتل المنقرى ، كان كثير المدح لبلال بن أبي بردة بن
أبي موسى الأشعري وقيل إنه استسقى مرة فخرجت له « مية » وكانت بارعة
الجمال ، وكان على كتفه رمة — قطعة جبل بالية — فقالت له :
شرب إذا الرمة ، فلزمته هذه الكنية منذ ذلك ، وازمه حب مية
من هذه النظرة .

(٤) من قصيدة لذي الرمة مطلعها :

أَلَمْ تَسْأَلِ الْيَوْمَ الرُّسُومَ الدُّوَارِسَ بِحُزْوَى ؟ وَهَلْ تَدْرِي الْقَفَّارَ الْبَسَابِسَ ؟

(٥) في الخصائص « أفلا ترى ذا الرمة . » وقد تصرف ابن الأثير

في كثير من المواضع في هذا النص .

أن العادة والعرف في هذا أن تشبه أعجاز النساء بكُشبان الأنقاء^(١) ، وهو مطرد في بابيه ، فمكس ذو الرمة القصّة في ذلك ، فشبه كُشبان الأنقاء بأعجاز النساء ، وإثما فعل ذلك مبالغة ؛ أي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لأعجاز النساء ، وصار كأنه الأصل ، حتى شُبّهت به كُشبان الأنقاء ، وعلى نحو من هذا جاء قول البحرى^(٢) :

في طلعة البدر شيء من محاسنها وللقصيب نصيب من تننيتها^(٣)
وكذلك ورد قول عبد الله بن المعتز في قصيدته المشهورة التي أولها :

* سقى المطيرة ذات الطل والشجر^(٤) *

فقال في تشبيه الهلال :

ولاح ضوء قمير كاد يفضحنا مثل القلّامة قد قُدت من الظفر
ولما شاع ذلك في كلام العرب واتسع صار كأنه هو الأصل ، وهو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ .
وهذا قد ذكره أبو الفتح بن جني في كتاب « الخصائص » وأورده هكذا مهملاً .

(١) الأنقاء جمع نقا ، وهو من الرمل القطعة تنقاد محدودة ، وهما نقوان ونقيان ، والجمع أنقاء ونقى « بضم فكسر » .

(٢) ديوان البحرى (٢٣/١) من قصيدة له في مدح المتوكل مطلعها :
أنافعى عند ليلي فرط حبيها واوعة لى أبيديها وأخفيها

(٣) روى صدر البيت في الديوان هكذا :

* في حمرة الورد شكل من تلهبها *

(٤) هذا صدر البيت وعجزه .

* ودير عبدون هطال من المطر *

ولما نظرتُ أنا في ذلك ؛ وأنعمتُ نظري فيه تبين لي ما أذكره ، وهو أنه قد تقرر في أصل الفائدةِ المُستنتجة من التشبيه أن يشبه الشيء بما يطلقُ عليه لفظةُ « أفعل » أى يشبه بما هو أبين وأوضح ، وبما هو أحسن منه أو أقبح ، وكذلك يشبه الأقلُ بالأكثر ، والأدنى بالأعلى .

وهذا الموضع لا ينقضُ هذه القاعدة ، لأنّ الذى قدّمنا ذكره مطرّدٌ في بابه ، وعليه مدار الاستعمال . وهذا غير مطرّد . وإنما يحسنُ في عكس المعنى المتعارف . وذلك أن تجعلَ المشبه به مشبهاً والمشبّه مشبهاً به . ولا يحسنُ في غير ذلك مما ليسَ بمتعارفٍ .

ألا ترى أن من العادة والعرف أن تشبه الإعجازُ بالكتبان . فلما عكسَ ذو الرّمة هذه القضية في شعره جاء حسناً لا نقياً ؟ وكذلك فعلَ البحرى . فإن من العادة والعرف أن يشبه الوجهُ الحسنُ بالبدر . والقَدْ الحسَنُ بالقُصيبِ . فلما عكسَ البحرى القضية في ذلك جاء أيضاً حسناً لا نقياً ؟

ولو شبه ذو الرّمة الكتبانَ بما هو أصغرُ منها غير الإعجاز لما حَسُنَ ذلك .

وهكذا لو شبه البحرى طُلعةَ البدرِ بغير طلعةِ الحسَناء . والقُصيبَ بغير قُصْدِها لما حَسُنَ ذلك أيضاً .

وهكذا القولُ في تشبيه عبد الله بن المعتزِّ صورةَ الهلالِ بالقَلامة . لأنّ من العادة أن تشبه القلّامةُ بالهلالِ ، فلما صار ذلك مشهوراً متعارفاً حَسُنَ عكسُ القُصيّةِ فيه ^(١) .

(١) هذا نهاية الجزء الأول من النسخة الخطية المحفوظة في دار الكتب المصرية بخط أبي المكارم بن منصور الباشا وشنأى الموصلى ، فرغ من كتابة هذا الجزء في يوم السبت الحادى والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة =

النوع الثالث

في التجريد

وهذا اسمٌ كنتُ سمعته . فقال القائل : التجريد في الكلام حسنٌ . ثم سكت فسأله عن حقيقته . فقال : كذا سمعت ! ولم يزد شيئاً . فأنعمتُ حينئذٍ نظري في هذا النوع من الكلام . فألقي في روعي أنه ينبغي أن يكون كذا وكذا . وكان الذي وقع لي صواباً . ثم مضى على ذلك برهة من الزمان ووصل إلي ما ذكره أبو علي الفارسي^(١) رحمه الله تعالى ، وقد أوردته هاهنا . وذكر ما أتيت به من ذاتِ خاطري من زيادةٍ لم يذكرها . وستقف أيها المتأمل على كلامه وكلامي .

فأما حدُّ (التجريد) فانه : إخلاص الخطاب لغيرك . وأنت تريد به نفسك . لا المخاطب نفسه . لأن أصله في وضع اللفظة من « جَرَدْتُ السيفَ » إذا نزعته من غمده . و « جَرَدْتُ فلاناً » إذا نزعْتَ ثيابه . ومن هاهنا قال صلى

= اثنتين وعشرين وستمائة من الهجرة ، وفي أول هذا الجزء إجازة بخط المؤلف كتبها بالموصل في شهر شعبان من السنة نفسها ، أجاز بها الشيخ أبا محمد المظفر عضد الدين بن محمد بن علي بن جعفر بن زهير الدمشقي . (١) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار محمد بن أبازن الفارسي النحوي ، ولد بمدينة فساد واشتغل ببغداد ، ودخل إليها سنة ٣٠٧ ، وكان إمام وقته في علم النحو ، ودار البلاد ، وأقام بحلب عند سيفي الدولة بن حمدان مدة ، وكان قدومه إليها سنة ٣٤١ ، وجرت بينه وبين أبي الطيب المتنبى مجالس ، ثم انتقل إلى بلاد فارس ، وصحب عضد الدولة بن بويه ، وتقدم عنده ، وعلت منزلته ، حتى قال عضد الدولة : أنا غلام أبي علي في النحو . وكان مولده سنة ٢٨٨ هـ ووفاته ببغداد سنة ٣٧٧ هـ

الله عليه وسلم : « لَامَدَّ وَلَا تَجْرِدَ » وذلك في الذمى عند إقامة الحد أن يُمدَّ صاحبه على الأرض ، وأنْ تُجرَّد عنه ثيابه : وقد نُقِلَ هذا المعنى إلى نوع من أنواع علم البيان .

وقد تأملتُه ، فوجدتُ له فائدتين إحداهما أبلغُ من الأخرى .

فالأولى : طلبُ التوسُّع في الكلام ، فإنه إذا كان ظاهره خطاباً لغيرك ، وباطنه خطاباً لنفسك ، فإنَّ ذلك من باب التوسُّع وأظنُّ أنه شيءٌ اختصَّت به اللغة العربية دون غيرها من اللغات .

والفائدةُ الثانية : وهى الأبلغُ ، وذلك أنه يتمكنُ المخاطبُ من إجراء الأوصافِ المقصودة من مدح أو غيره على نفسه ، إذ يكونُ مخاطباً بها غيره ، ليكونَ أعذر وأبرأ من العُهدة فيما يقوله غيرَ محجورٍ عليه .

وعلى هذا فإنَّ التجريدَ ينقسم قسمين :

أحدهما : تجريدٌ محضٌ .

والآخرُ : تجريدٌ غيرُ محضٍ .

التجريد
التجربة المحض :

فالأوَّل — وهو المحضُ — أن تأتي بكلامٍ هو خطابٌ لغيرك ، وأنت تريدُ به نفسك ، وذلك كقولِ بعض المتأخِّرين وهو الشاعر المعروفُ بالخيصَ بَيصَ^(١) في مطلع قصيدته له :

(١) هو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صديقى التميمى ، الملقب بشهاب الدين ، المعروف بـخيص بـيـص ، الشاعر المشهور ، كان فقيهاً شافعي المذهب ، تفقه بالرى : ثم غلب عليه الأدب ونظم الشعر ، فأجاده مع جزالة اللفظ ، وله رسائل بليغة ، وكان أخبر الناس بأشعار العرب واختلاف لغتهم ، وكان فيه تيه وتعظيم ، ولا يخاطب أحداً إلا بالكلام =

إِلَامَ يَرَاكَ الْمَجْدُ فِي زِيِّ شَاعِرٍ وَقَدْ نَحَلْتُ شَوْقًا فَرُوعُ الْمُنَابِرِ
 كَتَمْتُ بَعِيبَ الشَّعْرِ حُلْمًا وَحِكْمَةً بِيَعْضُهُمَا يَنْقَادُ صَعْبُ الْمَفَاخِرِ
 أَمَّا وَأَيُّكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ فَارِسُ السَّمَقَالِ وَنُحْيِي الدَّارِسَاتِ الْغَوَابِرِ
 وَإِنَّكَ أُعْيِيتَ الْمَسَامِعَ وَالنُّهَى بِقَوْلِكَ عَمَّا فِي بَطُونِ الدَّفَاتِرِ

فهذا من محاسن التجريد ، ألا ترى أنه أُجْرِى الخطاب على غيره ، وهو يريد نفسه ، كى يتمكن من ذكر ما ذكره من الصفات الفائقة ، وعدّ ماعدّه من الفضائل التامة .

وكل مايجيء من هذا القبيل فهو التجريدُ المحضُ .

وَأَمَّا مَا قَصِدَ بِهِ التَّوَسُّعَ خَاصَّةً ، فَكَقَوْلِ الصِّمَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ شُعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ (١) :

خَنَنْتَ إِلَى رَبِّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارِكَ مِنْ رَبِّا وَشَعْبًا كَمَا مَعَا
 فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمَرَ طَائِعًا وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا

وقد ورد بعد هذين البيتين ما يدل على أن المراد بالتجريد فيهما التوسع لأنه قال :

= العربى . وكان يلبس زى الأعراب ، ويتقلد سيفاً . وقيل له الحيص بيص لأنه رأى الناس مرة فى حركة مزعجة وأمر شديد ، فقال : ما للناس فى حيص بيص ؟ أى فى شدة واختلاط ، فبقى عليه هذا اللقب توفى سنة ٥٧٤ هـ ببغداد ، ودفن فى الجانب الغربى فى مقابر قريش .
 (١) كان شريفنا ناسكا عابدا غزلا شاعرا مقلا من شعراء الدولة الأموية ، والأبيات فى ديوان الحماسة (٢ - ٥٤) .

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحُمَى ثُمَّ أَثْنِي عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةِ أَنْ تَصَدَّعَا^(١)
بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضَ مَا أَطْيَبَ الرُّبَا
وَمَا أَحْسَنَ الْمُصْطَفَا وَالْمُتَرَبَّعَا

فانتقل من الخطاب التجريدي إلى خطاب النفس ، ولو استمرَّ على الحالة الأولى لما قُضِيَ عليه بالتوسُّع ، وإنما كان يُقضى عليه بالتجريد البليغ الذي هو الطرف الآخر ، ويتأوَّل له بأن غرضه من خطاب غيره أن يَنفِي عن نفسه سُمة الهوى ومعرفة العشق ، لما في ذلك من الشهرة والفضاضة . لكن قد زال هذا التأويلُ بانتقاله عن التجريدِ أوَّلاً إلى خطابِ النَّفْسِ .

وعلى هذا الأسلوب ورد قول أبي الطيب المتنبي^(٢) :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ فليُسْعِدِ النَّطْقُ إِن لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ
وَاجِزَ الْأَمِيرَ الَّذِي نَعْمَاهُ فَاجِتَةٌ بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنَعْمَى الْقَوْمِ أَقْوَالُ

وهذان البيتان من مطلع قصيدة يمدحُ بها فاتكاً الإخشيديَّ بمصر ، وكان وصله بصلَّةٍ سنِّيَّةٍ من نفقة وكُسوة قبل أن يمدحه ، ثم مدحه بعد ذلك بهذه القصيدة ، وهي من غُررِ شعره ، وقد بنى مطلعها على المعنى المشار إليه من ابتداء فاتكٍ إتياءه بالصلَّة قبل المديح .

وليس في التجريد المذكور في هذين البيتين ما يدلُّ على وصف النَّفْسِ ،

(١) رواية ديوان الحماسة تجعل هذا البيت آخر الأبيات التي اختارها أبو تمام جميعاً » وتورد البيت الذي بعده قبل هذا البيت بخمسة أبيات
(٢) ديوان المتنبي ٣- ٢٧٦ مطلع قصيدة له في مدح أبي شجاع فاتك سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة .

ولا على تزكيتها بالمديح كما ورد في الآيات الرائية المتقدم ذكرها ، وإنما هو توسع لا غير .

التجريد غير المحض :

وأما القسم الثاني : وهو غير المحض ، فإنه خطابٌ لنفسك لا لغيرك ، ولئن كان بين النفس والبدن فرقٌ إلا أنهما كأنهما شيء واحد ، لعلاقة أحدهما بالآخر .

وبين هذا القسم والذي قبله فرقٌ ظاهر ، وذلك أوّلى بأن يسمى تجريداً ، لأن التجريد لا تقبُّ به ، وهذا هو نصف تجريد . لأنك لم تجرّد به عن نفسك شيئاً . وإنما خاطبت نفسك بنفسك . كأنك فصلتها عنك . وهي منك .

فمّا جاء منه قول عمرو بن الإطنابة (١) :

أقولُ لها وقد جشأت وجاشت رويدك مُحمّدي أو تستريحي (٢)
وكذلك قول الآخر (٣) :

(١) هو عمرو بن الإطنابة أحد بني الخرزج ، ومعنى الإطنابة المظلة ، واسم أم عمرو هذا ، وهو أحد من ملك الحجاز في الجاهلية ، وكان شاعراً مجيداً .

(٢) انظر شرح التبريزي ديوان الحماسة ٢ — ٢٧٣ ، وقد رواه « مكانك » موضع « رويدك » وقد تمثل بالبيت معاوية في إحدى وقعاته مع الإمام على ، وكاد ينهزم ، فما لبث أن ثبت مكانه .

(٣) أحد بيتين اختارهما أبو تمام في ديوان الحماسة ١/ ٧٣ ونسبهما لأعرابي قتل أخوه ابناً له ، والبيت الآخر :

كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءُ وَتَعَزِيَّةٌ إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ (١)
وَلَيْسَ فِي هَذَا مَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ خُطَابًا لغيرِكَ كَالأَوَّلِ . وَإِنَّمَا الْخَاطِبُ
هُوَ الْخَاطِبُ بَعِينُهُ . وَلَيْسَ شَيْءٌ خَارِجٌ عَنْهُ .

وَأَمَّا الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ — رَحِمَهُ اللَّهُ — فَانَّهُ قَالَ : إِنَّ الْعَرَبَ
تَعْتَقِدُ أَنَّ فِي الْإِنْسَانِ مَعْنًى كَامِنًا فِيهِ كَأَنَّهُ حَقِيقَتُهُ وَمَحْصُولُهُ . فَتُخْرَجُ ذَلِكَ الْمَعْنَى
إِلَى أَلْفَاظِهَا مَجْرَدًا مِنَ الْإِنْسَانِ كَأَنَّهُ غَيْرُهُ . وَهُوَ هُوَ بَعِينُهُ . نَحْوَ قَوْلِهِمْ « لَنْ
لَقِيتَ فَلَانًا لَتَلْقَيْنَ بِهِ الْأَسَدَ . وَلَنْ سَأَلْتَهُ لَتَسْأَلَنَّ مِنْهُ الْبَحْرَ » وَهُوَ عَيْنُهُ الْأَسَدُ
وَالْبَحْرُ . لَا أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا مُنْفَصِلًا عَنْهُ . أَوْ مُتَمَيِّزًا مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ : وَعَلَى هَذَا التَّمْطِطِ كَوْنُ الْإِنْسَانِ يُخَاطَبُ نَفْسَهُ . حَتَّى كَأَنَّهُ يَقُولُ
غَيْرَهُ . كَمَا قَالَ الْأَعَشَى :

* وَهَلْ تَطِيقُ وَدَاعًا أَثِيهَا الرَّجُلُ (٢) *

وَهُوَ الرَّجُلُ نَفْسُهُ لَا غَيْرُهُ .

هَذَا خِلَاصَةُ مَا ذَكَرَهُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَالَّذِي عِنْدِي فِيهِ أَنَّهُ أَصَابَ فِي الثَّانِي وَلَمْ يُصِْبْ فِي الْأَوَّلِ . لِأَنَّ الثَّانِي هُوَ
التَّجْرِيدُ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَعَشَى جَرَّدَ الْخُطَابَ عَنْ نَفْسِهِ وَهُوَ يَرِيدُهَا .

(١) التَّأْسَاءُ هِيَ مَا يُؤْتَسَى بِهِ مِنَ الْحُزَنِ وَالتَّعَزِيَّةُ حَسَنُ الصَّبْرِ
وَقَوْلُهُ : « إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي » أَجْرَاهُ عَلَى الْمَثَلِ وَالْمَجَازِ « وَالْمَعْنَى :
أَنَا جِئْتُ النَّفْسَ بِهَذَا الْقَوْلِ طَلِبًا لِلتَّأْسَى وَحَسَنِ الصَّبْرِ .

(٢) هَذَا عَمِيزٌ مُطْلَعٌ قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، وَصَدَرَ الْبَيْتُ :

* وَدَعِ هَرِيرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مَرْتَحِلَ *

وَيَعِدُهَا بَعْضُ الرِّوَاةِ إِحْدَى الْمَعْلَقَاتِ .

وأما الأول . وهو قوله : « لئن لقيتَ فلاناً لتلقينَّ به الأسد . ولئن سألتَهُ
لتسألنَّ منه البحر » فإنَّ هذا تشبيهٌ مضمَرُ الأداة . إذ يحسنُ تقديرُ أداةِ
التشبيهِ فيه .

وبيانُ ذلكَ أنَّكَ تقولُ : « لئن لقيتَ فلاناً لتلقينَّ منه كالأسد . ولئن
سألتَهُ لتسألنَّ منه كالبحر » وليس هذا بتجريدٍ . لأنَّ حقيقةَ التجريدِ غيرُ
موجودةٍ فيه . وإنما هو تشبيهٌ مضمَرُ الأداة . ألا ترى أنَّ المذكورَ هو
كالأسد . وهو كالبحر . وليسَ ممَّ شئٌ مجردٌ عنه . كما تقدم في الأبياتِ
الشعرية .

ويبطلُ على أبي عليٍّ قوله أيضاً من وجهٍ آخر . وذلكَ أنَّه قال . « إنَّ
العربَ تعتقدُ أنَّ في الإنسانَ معنًى كامناً فيه كأنه حقيقةٌ ومحصولُهُ . فتخرجُ
ذلكَ المعنى إلى ألفاظها مجرداً من الإنسانِ كأنه غيره وهو هو » كالمثالِ الذي
مثله في تشبيهه بالأسد وتشبيهه بالبحر . وهذا ينتقضُ بقولنا . « لئن رأيتَ
الأسدَ لترينَّ منه هضبةً . ولئن لقيتَهُ لتلقينَّ منه الموتَ » فإنَّ الصورةَ التي
أوردناها في الإنسانِ ، وزعمُ أنَّ العربَ تعتقدُ أنَّ ذلكَ معنًى كامنٌ فيه قد أوردنا
مثلاً في الأسد ، فتخصيصه ذلكَ بالإنسانِ باطل .

وكلا الصورتينِ ليسَ بتجريدٍ ، وإنما هو تشبيهٌ مضمَرُ الأداة :

وقد سبق القولُ بأنَّ التجريدَ هو أنَّ تُطلقَ الخطابَ على غيرك ، ولا يكونُ
هو المرادُ ؛ وإنما المرادُ نفسك ؛ وهذا لا يوجدُ في هذا المثالِ للمضمَرِ الأداة ، بل
المخاطبُ هو هو لا غيره ، فلا يطلقُ عليه إذا اسمُ التجريد ، لأنه خارجٌ عن
حقيقته ، ومُنافٍ لموضوعه .

فإذا قال القائلُ : « لئن لقيتَهُ لتلقينَّ به كالأسد ، ولئن سألتَهُ لتسألنَّ منه

كالبحر » لم يجرّد عن المقول عنه شيئاً ، وإنما شبهه تارةً بالأسد في شجاعته ،
وتارةً بالبحر في سخائه .

وما أعلمُ كيف ذهبَ هذا على مثل أبي عليّ — رحمه الله — حتى خلّطه
بالتجريد ، وأجراه مجراه ؟

وأما قوله : إنَّ العربَ تعتقدُ أنَّ في الإنسانِ معنًى كامناً فيه كأنه حقيقةُ
ومحصولُهُ « فأقولُ : وغيرُ العربِ أيضاً تعتقدُ ذلك !

فإنَّ عَنَى بالكامن معنى الأنسانية الذي هو الاستعدادُ للعلوم والصنائع ،
فما هذا من الشيء الغريب الخفي الذي علمته العربُ خاصّةً وانفرد باستخراجه
أبو عليّ رحمه الله !

وإنَّ عَنَى بالكامن ما فيه من الأخلاق كالشجاعةِ والسَّخاءِ في
المثالِ الذي ذكره ، حتّى يشبّه بالأسد تارةً ، وبالبحرِ أُخرى ، فليسَ
الإنسانُ مختصّاً بهذا المعنى الكامن دونَ غيره من الحيوانات ، بل الأسدُ
فيه من معنى الشجاعة ما ليس في الإنسانِ ، ولهذا إذا بُلغ في وصفِ الإنسانِ
بالشجاعةِ شبه بالأسد ، وكذلك في بعض الحيوانات من السَّخاءِ ما ليس في
الإنسانِ ، ومن الأمثالِ « أكرمُ من ديكٍ » لأنّه إذا ظفّر بحبّة من الحنطة
أخذها في منقارِهِ ، وطافَ بها على الدّجاج ، حتّى يضعها في منقار
واحدةٍ منهنّ .

فالأخلاقُ إذاً مشتركةٌ بين الإنسانِ وغيرِهِ من الحيوانات . غير أنَّ
الإنسانَ يجتمعُ فيه ما تفرّق في كثير منها .

وما أعلمُ ما أراد أبو عليّ — رحمه الله — بقوله : « إنَّ في الإنسانِ معنًى

كامناً فيه كأنه حقيقته ومحصوله « إلا أن يكون أحد هذين القسمين اللذين
أشرت إليهما .

على أن القسم الواحد الذي هو خلق الشجاعة والسخاء وغيره من الأخلاق
ليس عبارة عن حقيقة الإنسان ، إذ لا يقال في حده : « حيوان شجاع » ، ولا
سخي » بل يقال : « حيوان ناطق » فالناطق الذي هو الاستعداد للعلوم
والصنائع هو حقيقة الإنسان .

فبطل إذا قول أبي علي رحمه الله في تمثيله حقيقة الإنسان بالشجاعة
والسخاء .

فالخطأ توجه في كلامه من وجهين :
أحدهما : أنه جعل حقيقة الإنسان عبارة عن خلقه .
والآخر : أنه أدخل في التجريد ما ليس منه .
وهذا القدر كاف في هذا الموضع فليتأمل .

النوع الرابع

في الالتفات

وهذا النوع وما يليه^(١) هو خلاصة علم البيان التي حوّلها يد ندن ، وإليها
تستند البلاغة ، وعنهما يُمنَعن .

وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله ، فهو يُقبل بوجهه
نارة كذا ، وتارة كذا .

وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة ، لأنه يُنقل فيه عن

(١) هو النوع الخامس « توكيد الضميرين » وسيأتي .

صِيغَةً إِلَى صِيغَةٍ ، كَانْتَقَالَ مِنْ خُطَابٍ حَاضِرٍ إِلَى غَائِبٍ ، أَوْ مِنْ خُطَابٍ غَائِبٍ إِلَى حَاضِرٍ ، أَوْ مِنْ فِعْلِ مَاضٍ إِلَى مُسْتَقْبَلٍ ، أَوْ مِنْ مُسْتَقْبَلٍ إِلَى مَاضٍ ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتِي ذِكْرُهُ مُفَصَّلًا .

وَيُسَمَّى أَيْضًا « شَجَاعَةُ الْعَرَبِيَّةِ » وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ الشَّجَاعَةَ هِيَ الْإِقْدَامُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ الشَّجَاعَ يَرْكَبُ مَا لَا يَسْتَطِيعُهُ غَيْرُهُ ، وَيَتَوَرَّدُ مَا لَا يَتَوَرَّدُ سِوَاهُ . وَكَذَلِكَ هَذَا الْإِنْتِقَالُ فِي الْكَلَامِ ، فَإِنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ تَخْتَصُّ بِهِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ .

وهو ينقسمُ إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : في الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة :

اعلم أن عامة المنتميين إلى هذا الفن إذا سُئِلُوا عَنِ الْإِنْتِقَالِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخُطَابِ ، وَعَنِ الْخُطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ ، قَالُوا : كَذَلِكَ كَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ فِي أُسَالِيبِ كَلَامِهَا . وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ عُكَّازُ الْعِمْيَانِ ، كَمَا يَقَالُ . وَنَحْنُ إِنَّمَا نَسْأَلُ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي قَصَدَتْ الْعَرَبُ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِهِ .

وقال الزَّمَخْشَرِيُّ ^(١) رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّ الرُّجُوعَ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخُطَابِ إِنَّمَا يَسْتَعْمَلُ لِلتَّفَنُّنِ فِي الْكَلَامِ وَالْإِنْتِقَالَ مِنْ أُسْلُوبٍ إِلَى أُسْلُوبٍ ، تَطْوِيلًا لِنَشَاطِ السَّمَاعِ ، وَإِقْظَافًا لِلْإِصْفَاءِ إِلَيْهِ .

(١) هو جَارُ اللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَحْمَدَ الزَّمَخْشَرِيُّ ، كَانَ إِمَامًا فِي التَّفْسِيرِ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ « وَاسِعَ الْعِلْمِ كَبِيرَ الْفَضْلِ ، مُتَفَنًّا فِي عُلُومِ شَتَّى ، مُعْتَزِلِي الْمَذْهَبِ مُتَجَاهِرًا بِذَلِكَ ، وَلَدَ بِزَمَخْشَرٍ مِنْ أَعْمَالِ خَوَارِزْمِ سَنَةَ ٤٦٧ وَتَوَفَّى بِقَصْبَةِ خَوَارِزْمِ لِيَالَةِ عَرْفَةَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

وليس الأمر كما ذكره ، لأنَّ الانتقال في الكلام من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ إذا لم يكنْ إلا تطريةً لنشاطِ السَّامعِ ، وإيقاظاً للأصغاءِ إليه ، فإنَّ ذلك دليلٌ على أنَّ السَّامعَ يملُّ من أسلوبٍ واحدٍ . فينتقلُ إلى غيره ، ليجدَ نشاطاً للاستماع . وهذا قدحٌ في الكلام ، لا وصفٌ له ، لأنَّه لو كان حسناً لما ملَّ .

ولو سلَّمنا إلى الزمخشريِّ ما ذهبَ إليه لكانَ إنما يوجدُ ذلك في الكلام المطوَّل ، ونحنُ نرى الأمرَ بخلافِ ذلك ، لأنَّه قد وردَ الانتقالُ من الغيبةِ إلى الخطابِ ، ومن الخطابِ إلى الغيبةِ في مواضعٍ كثيرةٍ من القرآنِ الكريمِ ، ويكونُ مجموعُ الجانبينِ معاً يبلغُ عشرةَ ألفاظٍ أو أقلَّ من ذلك .

ومفهومُ قولِ الزمخشريِّ في الانتقالِ من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ إنما يُستعملُ قصداً للمخالفةِ بينَ المنتقلِ عنه والمنتقلِ إليه ، لا قصداً لاستعمالِ الأحسنِ : وعلى هذا فإذا وجدنا كلاماً قد استعملَ في جميعهِ الإيجازُ ، ولم يُنتقلِ عنه ، أو استعملَ فيه جميعهِ الإطنابُ ، ولم ينتقلِ عنه ؛ وكانَ كلا الطرفينِ واقعاً في موقعهِ قلنا : هذا ليس بحسنٍ ، إذ لم ينتقلِ فيه من أسلوبٍ . وهذا قولٌ فيه ما فيه .

وما أعلمُ كيفَ ذهبَ على مثلِ الزمخشريِّ مع معرفته بفنِّ الفصاحةِ والبلاغةِ ؟ .

والذي عندي في ذلك أنَّ الانتقالَ من الخطابِ إلى الغيبةِ أو من الغيبةِ إلى الخطابِ لا يكونُ إلا لفائدةٍ اقتضته . وتلك الفائدةُ أمرٌ وراءَ الانتقالِ من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ ، غير أنَّها لا تحدُّ بحدٍّ ، ولا تضبطُ بضابطٍ ، لكنَّ يشارُ إلى مواضعٍ منها ، يُقاسَ عليها غيرها ، فإنَّا قد رأينا الانتقالَ من الغيبةِ إلى الخطابِ قد استعملَ لتعظيمِ شأنِ المخاطَبِ ؛ ثم رأينا ذلك بعينه — وهو ضدُّ

الأول — قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ، فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة ، وإنما هو مقصورٌ على العناية بالمعنى المقصود ، وذلك المعنى يتشعب شعباً كثيرة لا تنحصر ، وإنما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه .
وسأوضح ذلك في ضرب من الأمثلة الآتي ذكرها :

فأما الرجوع من الغيبة إلى الخطاب فكقوله تعالى في سورة الفاتحة
« الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » .

هذا رجوع من الغيبة إلى الخطاب ، ومما يختص به هذا الكلام من الفوائد قوله : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » بعد قوله « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » فإنه إنما عدل فيه من الغيبة إلى الخطاب ، لأنَّ الحمد دون العبادة ألا تراك تحمدُ نظيرك ولا تعبدُه ؟ فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ « الحمد » لتوسطه مع الغيبة في الخبر ، فقال : « الحمد لله » ولم يقل : الحمد لك ، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » فغاطب بالعبادة إصراحاً بها ، وتقرباً منه عز اسمه بالانتهاء إلى محدود منها .

وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة ، فقال : « صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة ، ثم قال : « غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ » عطفًا على الأول ، لأنَّ الأول موضع التقرب من الله بذكر نعمه ، فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب ، فأسند النعمة إليه لفظاً وروى عنه لفظ الغضب تحثناً ولطفاً .

فانظرْ إلى هذا الموضع ، وتناسب هذه المعاني الشريفة التي الأقدام لاتكاد تطؤها ، والأفهام مع قُرْبها صالحة عنها .

وهذه السورة قد انتقلَ في أولها من الغيبة إلى الخطاب . لتعظيم شأن الخطاب ، ثم انتقل في آخرها من الخطاب إلى الغيبة ، لتلك العلة بعينها ، وهي تعظيم شأن المخاطب أيضاً ، لأن مخاطبة الرب تبارك وتعالى بإسناد النعمة إليه تعظيم لخطابه ، وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغضب إليه تعظيم لخطابه .

فينبغي أن يكون صاحب هذا الفن من الفصاحة والبلاغة عالماً بوضع أنواعه في مواضعها على اشتباهها .

ومن هذا الضرب قوله تعالى « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا » (١)

ولما قيل : « لَقَدْ جِئْتُمْ » وهو خطابٌ للحاضر بعد قوله : « وَقَالُوا » وهو خطاب للغائب لفائدة حسنة ، وهي زيادة التسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى ، والتعرض لسخطه ، وتنبيه لهم على عظم ما قالوه ، كأنه يخاطب قومًا حاضرين بين يديه منكراً عليهم ، وموبخاً لهم .

وما جاء من الالتفات مراراً على قصر ممتنه ، وتقارب طرفيه ، قوله تعالى أول سورة بني اسرائيل : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » .

فقال أولاً : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى » بلفظ الواحد ، ثم قال : « الَّذِي

(١) سورة مريم الآيتان ٨٨ ، ٨٩ .

بَارَكْنَا» بلفظ الجمع ، ثم قال : « إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » وهو خطاب غائب
ولو جاء الكلام على مساق الأول لكان : سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْسَ
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بَارَكَ حوله لِيُريَهُ من آيَاتِهِ إِنَّهُ
هو السميع البصير . وهذا جميعه يكون معطوفاً « على أَسْرَى » ، فلما
خُولفَ بينَ المعطوفِ والمعطوفِ عليه في الانتقالِ من صيغةٍ إلى صيغةٍ
كانَ ذلك اتساعاً ونفثاً في أساليبِ الكلامِ ، ولقصدِ آخرَ معنويٍّ هو
أَعْلَى وَأَبْلَغُ .

وسأذكر ما سنح لي فيه ، فاقول :

لَمَّا بدأ الكلامَ بِسُبْحَانَ رَدَفَهُ بقوله : « الَّذِي أَسْرَى » إذ لا يجوزُ أن
يقالَ : الَّذِي أَسْرَيْنَا ، فلما جاء بلفظِ الواحدِ ، واللهُ تعالى أعظمُ العظماءِ ، وهو
أولنى بخطابِ العظيمِ في نفسه الذي هو بلفظِ الجمعِ استدركَ الأولَ بالثاني ، فقالَ :
« بَارَكْنَا » ثم قالَ : « لِيُريَهُ من آيَاتِنَا » فجاء بذلك على نسقِ « بَارَكْنَا »
ثم قالَ : « إِنَّهُ هُوَ » عطفاً على « أَسْرَى » وذلك موضعٌ متوسطٌ الصفةِ ، لأن
السمعَ والبصرَ صفتانِ يشاركهُ فيهما غيره ، وتلك حالٌ متوسطةٌ ؛ فخرجَ بهما
عن خطابِ العظيمِ في نفسه إلى خطابِ غائبٍ .

فانظر إلى هذه الالتفاتاتِ المترادفةِ في هذه الآيةِ الواحدةِ التي جاءت لمعانٍ
اختصت بها ؛ يعرفها من يعرفها ؛ ويجهلها من يجهلها .

ومما يَنخرطُ في هذا السِّلْكِ الرجوعُ من خطابِ الغيبةِ إلى خطابِ النفسِ
كقوله تعالى : « ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ
اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ

وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١) .

وهذا رجوعٌ من الغيبة إلى خطاب النفس ، فإنه قال : « وزينا » بعد
قوله : « ثم استوى » وقوله : « فقضاهن » . و « أوحى » والفائدة في ذلك
أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن النجوم ليست في سماء الدنيا .
وأنها ليست حِفْظًا ولا رُجُومًا . فلما صار الكلامُ إلى هاهنا عدلَ به عن
خطابِ الغائبِ إلى خطابِ النفس . لأنه مهمٌّ من مهماتِ الاعتقاد . وفيه
تكذيبٌ للفرقةِ المكذِّبةِ الممتدة بطلانه . وفي خلافِ هذا الرجوعُ من
خطابِ النفسِ إلى خطابِ الغيبة .

ومما يَنخرطُ في هذا السِّلْكِ أيضاً الرجوعُ من خطابِ النفسِ إلى خطابِ
الجماعة ، كقوله تعالى : « وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢) » .

وإنما صرفَ الكلامَ عن خطابِ نفسه إلى خطابهم لأنه أبرزَ الكلامَ لهم
في معرضِ المُنَاصَحَةِ . وهو يريدُ مناصحتهم لِيَتَلَطَّفَ بِهِمْ وَيُدَارِيَهُمْ ، لأنَّ ذلك
أدخلُ في إحاطِ النَّصِيحِ حيثُ لا يريدُ لهم إلا ما يريدُ لنفسه ، وقد وضعَ قوله
« وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي » مكانَ قوله : وما لكم لا تعبدون الذي
فطرکم ؟ ألا ترى إلى قوله « وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » ولولا أنه قصدَ ذلكَ لقال :
الذي فطرني وإليه أرجع ، وقد ساقَهُ ذلكَ المساقَ إلى أن قال : « إِنِّي آمَنْتُ
بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُون (٣) » .

(١) سورة فصلت : الآيتان ١١ و ١٢ .

(٢) سورة يس : الآية ٢٢ .

(٣) سورة يس . الآية ٢٥ .

فانظر أيها المتأملُ إلى هذه النكتِ الدقيقة التي تمرُّ عليها في آياتِ القرآنِ الكريمِ ، وأنت تظنُّ أنك فهمتَ فحواها ؛ واستنبطتَ رموزَها .

وعلى هذا الأسلوبِ يجري الحكمُ في الرجوعِ من خطابِ النفسِ إلى خطابِ الواحدِ كقوله تعالى : « حم * والكتابِ المبين * إنا أنزلناه في ليلةٍ مباركةٍ إنا كنا مُنذِرِينَ * فيها يُفَرَّقُ كلُّ أمرٍ حكيمٍ * أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين * رحمةً من ربِّك إنه هو السميعُ العليمُ ^(١) » .

والفائدةُ هاهنا في الرجوعِ من خطابِ النفسِ إلى خطابِ الواحدِ تخصيصُ النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر والإشارةُ بأنَّ إنزالَ الكتابِ إنما هو إليه . وإن لم يكن ذلك صريحاً ، لكن مفهومَ الكلامِ يدلُّ عليه .

وإذا تأملتَ مطاوى القرآن الكريمِ وجدتَ فيه من هذا وأمثاله أشياء كثيرة ، وإنما اقتصرنا على هذه الأمثلةِ المختصرة ليقاسَ عليها ما يجري على أسلوبها .

وقد وردَ في فصيحِ الشُّعرِ شئٌ من ذلك ، كقول أبي تمام ^(٢) :

وَرَكِبَ يُسَاقُونَ الرَّكَّابَ زُجَاجَةً

من السَّيْرِ لَمْ تَقْصِدْ لَهَا كَفُّ قَاطِبٍ ^(٣)

(١) سورة الدخان الآيات : ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦

(٢) ديوان أبي تمام ٤١ من قصيدة يمدح فيها أبا دلف القاسم ابن عيسى العجلي ومطلعها :

على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

(٣) قاطب مازج الخمر بالماء .

فقد أكلوا منها الغوارب بالسرى

وصارت لهم أشباحهم كالغوارب (١)

يُصَرِّفُ مَسْرَاهَا جُذَيْلُ مَشَارِقِ

إذا آبه هم عذيق مغارب (٢)

يرى بالكعاب الرود طلعة نائر

وبالعرمس الوجناء غرة آيب (٣)

كان بها ضغنًا على كل جانب

من الأرض أو شوقًا إلى كل جانب (٤)

إذا العيس لاقَتْ بي أبادُلفٍ فقد

تقطع ما بيني وبين النـوائب (٥)

هنالك تلقى الجود من حيث قطعت

تمائمهُ والمجد مرخى الذوائب (٦)

(١) رواية الديوان « لها » موضع « لهم » ، والغوارب الكواهل .

(٢) الجذيل تصغير جذل ، وهو عود ينصب للجربى لتحتك به ،

ومنه « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » على سبيل الافتخار ،

آبه أتاها ليلا ، والعذيق تصغير عذق ، وهو الفرع من النخلة .

(٣) الكعاب بارزة النهد ، الرود اللينة ، النائر طالب الذأر ،

العرمس الناقة الشديدة ، الوجناء عظيمة الوجنتين .

(٤) رواية الديوان « كأن به » موضع « كأن بها » .

(٥) العبس : الإبل البيض بشقرة .

(٦) رواية الديوان :

هنالك تلقى المجد حيث تقطعت تمائمهُ والجود مرخى الذوائب

والتمايم خرزات تعلق في عنق الصبي لدفع العين عنه ، والمفرد تميمة .

ألا ترى أنه قال في الأول « يصرف مسراها » مخاطبةً للغائب ، ثم قال بعد ذلك : « إذا العيسُ لاقَتْ بى » مخاطباً نفسه ؟ وفى هذا من الفائدة أنه لما صار إلى مشافهة المدوح والتصريح باسمه خاطبَ عند ذلك نفسه مبشراً لها بالبعد عن المكروه ، والقرب من المحبوب ، ثم جاء بالبيت الذى يليه معدولاً به عن خطاب نفسه إلى خطاب غيره ، وهو أيضاً خطابٌ لحاضرٍ فقال : « هُناك نلقى الجود » والفائدة بذلك أنه يخبر غيره بما شاهدَه ، كأنه يصفُ له جُود المدوح ، وما لاقاهُ منه ، إشادةً بذكره ، وتنويهاً باسمه ، وحملًا لغيره على قصده . وفى صفته جود المدوح بتلك الصفة الغريبة البليغة ، وهى قوله : « حيث قطعت تمامه » ما يقتضى له الرجوع إلى خطاب الحاضر ، والمراد بذلك أن محل المدوح هو مآلف الجود ومنشؤه ووطنه ، وقد يُراد به معنى آخر ، وهو أن هذا الجود قد أَمِنَ عليه الآفات العارضة لغيره من المنِّ والمطلِّ والاعتذار ، وغير ذلك ، إذ التمامُ لا تقطع إلا عنَّ أمنت عليه المخاوف .

وعلى هذا التهج ورد قولُ أبى الطيب المتنبي فى قصيدٍ يمدحُ به ابن العميد فى النوروز^(١) ومن عادة الفرس فى ذلك اليوم حملُ الهدايا الى ملوكهم فقال فى آخر القصيدة :

كثُرَ الفِكرُ كيفَ تُهدى كما أهدتْ إلى ربِّها المليك عِبادُهُ^(٢)

(١) ديوان المتنبي ٢ - ٤٧ والقصيدة فى مدح أبى الفضل محمد ابن الحسين بن العميد « وتهنئته بعيد النيروز ، وأولها :
جاء نيروزنا وأنت مراده وورت بالذى أراد زناده
(٢) رواية الديوان « الرئيس » موضع « المليك » .

والذى عندنا من المال والخيل فنه هبانه وقباده
فبعثنا بأربعين مهارة كل مهر مبدانه إنشاده^(١)
عدد عشته يرى الجسم فيه أربا لا يراه فيما زيادة^(٢)
فارتبطها فإن قلبا نماها مرتبط تسبق الجياد جياده

وهذا من إحسان أبي الطيب المعروف ، وهو رجوع عن خطاب الغائب
إلى الحاضر ، واحتج أبو الطيب عن تخصيص أبياته بالأربعين دون غيرها من
العدد بحجة غريبة ، وهى أنه جعلها كعدد السنين التى يرى الإنسان فيها من
القوة والشباب وقضاء الأوطار مالا يراه فى الزيادة عليها ، فاعتذر بالطف اعتذار
فى أنه لم يزد القصيد على هذه العدة ، وهذا حسن غريب .

وأما الرجوع من الخطاب إلى الغيبة فكفوله تعالى : « هو الذى يسيركم
فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرت بهم برمج طيبة وفرحوا بها
جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط

(١) يروى « بأربعين مهارة » بالجر ، على أنه بدل أو صفة على
التأويل ، وبالنصب صفة على الموضع ، تقديره بعثنا أربعين « والبدل
أيضا على الموضع ، وليس نصبه على التمييز ، لأن تمييز « الأربعين »
مفرد ، والمهارة جمع مهر ، وهو الفتى من أولاد الخيل .

(٢) أى : الأربعون عدد عشته ، دعاء له بأن يعيش هذا العدد
من السنين على ماعاش ، وكان ابن العميد قد جاوز السبعين ، وناهز
الثمانين فى هذا الوقت . والمعنى : زاد الله فى عمرك هذا العدد ، والجسم
لا يرى من أرب العيش فيما زاد على الأربعين ما كان يراه فيما دونه ، فلهذا
اختار هذا العدد ، فجعل القصيدة أربعين بيتا . قال أبو الفتح : الأربعون
إذا تجاوزها الإنسان نقص عما يعهد من أحواله فى جسمه وتصرفه .

بهم دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لئنْ أُنْجِيتْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١) :

فإنَّه إنما صرف الكلامَ ها ههنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة، وهي أنه ذكر لغيرهم حالهم، ليعجزهم منها كالخبر لهم، ويستدعي منهم الإنكار عليهم، ولو قال: حتى إذا كنتم في الفلك وجريتم بكم برح طيبة وفرختم بها، وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة، وليس ذلك بخافٍ عن نقد الكلام.

وما ينخرط في هذا السلك قوله تعالى: «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ» وتقطعوا أمرهم بينهم كلٌ إلينا راجعون (٢) .

الأصل في «تقطعوا» قطعتم، عطاً على الأول، إلا أنه صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة على طريقة «الالتفات» كأنه ينعي عليهم ما أفسدوه إلى قوم آخرين، ويبيح عندهم ما فعلوه، ويقول: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله تعالى. فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً؟ وذلك تمثيل لاختلافهم فيه، وتباينهم، ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون، فهو مجازيهم على ما فعلوا.

وما يجري هذه الجري قوله تعالى: «يَأْيُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً، الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يُوْمَنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٣)» .

(١) سورة يونس: الآية ٢٢ .

(٢) سورة الأنبياء: الآيتان ٩٢ و ٩٣ .

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٨ .

فإنه إنما قال « فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » ولم يقل : فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَبِي ، عطفًا على قوله : « إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ » لكي تجرى عليه الصفات التي أُجريت عليه ، وليعلم أن الذي وجب الإيمان به والاتباع له هو هذا الشخص الموصوفُ بأنه النبيُّ الأميُّ الذي يؤمنُ بالله وبكلماته كأئنا مَنْ كان ، أنا أو غيري ، إظهاراً للنصفَةِ ، وبعداً من التعصُّب لنفسه ، فقرّر أولاً في صدر الآية أنه رسول الله إلى الناس ، ثم أخرج كلامه من الخطاب إلى معرض الغيبة لفرضين .

الأول منهما : إجراء تلك الصفات عليه .

والثاني : الخروجُ من تهمة التعصُّب لنفسه .

* * *

القسم الثاني : في الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الأمر ، وعن الفعل الماضي الى فعل الأمر :

وهذا القسمُ كالذي قبله في أنه ليس الانتقال فيه من صيغةٍ إلى صيغةٍ طلباً للتوسُّع في أساليب الكلام فقط ، بل لأمرٍ وراء ذلك ، وإنما يقصدُ إليه تعظيماً لحالٍ من أجرى عليه الفعلُ المستقبلُ ، وتفخيماً لأمره ، وبالضدِّ من ذلك فيمن أجرى عليه فعل الأمر .

فمما جاء منه قوله تعالى : « يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ بِكَ بِمُؤْمِنِينَ » * إنَّ قَوْلُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيٌّ مِمَّا تُشْرِكُونَ ^(١) .

فإنه إنما قال : « أَشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا » ولم يقل : وَأَشْهِدْكُمْ لَيْسَكُونَ

(٢) سورة هود : الآيتان ٥٣ و ٥٤ .

موازنًا له وبمعناه ، لأن إظهاره الله على البراءة من الشرك صحيحٌ ثابتٌ ، وأما إظهارهم فما هو إلا تهاونٌ بهم ، ودلالةٌ على قلةِ المبالاة بأمرهم ، ولذلك عدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما ، وجيء به على لفظ الأمر ؛ كما يقول الرجل لمن ييس الثرى بينه وبينه : « أَشْهَدَ عَلَى أَنِي أَحِبُّكَ » تهكمًا به ، واستهانةً بحاله .

وكذلك يرجعُ عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر ، إلا أنه ليس كالأول ، بل إنما يفعل ذلك توكيداً لما أجرى عليه فعلُ الأمر ، لمكان العناية بتحقيقه ، كقوله تعالى : « قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ .. » الآية (١)

وكان تقديرُ الكلام : أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وبإقامة وُجُوهكم عند كلِّ مسجدٍ ، فعدلَ عن ذلك إلى فعل الأمر ، للعناية بتوكيده في نفوسهم ، فإنَّ الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده ، ثم أتبعها بالإخلاص الذي هو عمل القلب ، إذ عملُ الجوارح لا يصحُّ إلا بإخلاص النية ، ولهذا قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » .

واعلمُ أيها المتوَشِّحُ لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية ، اقتضت ذلك ، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارفُ برُموزِ الفصاحةِ والبلاغةِ الذي اطَّلَعَ على أسرارِها ، وقَنَسَ عن دَفَائِنِها . ولا تجدُ ذلك في كلِّ كلامٍ ، فإنه من أشكالِ ضروب علمِ البيان ، وأدقِّها فهمًا ، وأغمضِها طريقًا .

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٩ .

القسم الثالث : فى الإخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل ، وعن المستقبل
بالماضى :

فالأوّل : الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضى :

اعلم أن الفعلَ المستقبلَ إذا أتى به فى حالة الإخبارِ عن وجودِ الفعلِ
كان ذلك أبْلَغَ من الإخبارِ بالفعلِ الماضى ، وذلك لأنَّ الفعلَ المستقبلَ
يوضِّحُ الحالَ التى يتعُ فيها ، ويستحضر تلك الصورةَ ، حتى كأنَّ السامعَ
يشاهدُها ، وليس كذلك الفعلُ الماضى ، وربما أُدخل فى هذا الموضع ما ليس
منه جهلاً بمكانه ، فإنه ليس كل فعلٍ مستقبلٍ يُعطفُ على ماضٍ يجارى
هذا الجرى :

وسأبين ذلك فأقول : عطفُ المستقبلِ على الماضى ينقسمُ إلى ضربين :

أحدهما بلاغىٌّ : وهو إخبار عن ماضٍ بمستقبل ، وهو الذى أنا بصدد
ذكره فى كتابى هذا الذى هو موضوعٌ لتفصيل ضروبِ الفصاحةِ والبلاغةِ .
والآخرُ : غيرُ بلاغىٍّ : وليس إخباراً بمستقبل عن ماضٍ ، وإنما هو
مستقبلٌ دلَّ على معنى مستقبلٍ غيرِ ماضٍ ، ويرادُ به أن ذلك الفعلَ مستمرُّ
الوجود لم يَمْضِ .

فالضربُ الأوّل كقوله تعالى : « والله الذى أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا
فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ » (١) .

فإنَّه إنما قال « فَتُثِيرُ » مستقبلاً ، وما قبله وما بعده ماضٍ ، لذلك المعنى
الذى أشرنا إليه ، وهو حكايةُ الحال التى يقعُ فيها إثارةُ الريحِ السحابِ
واستحضار تلك الصورةِ البديعةِ الدالّةِ على القدرةِ الباهرةِ .

(١) سورة فاطر : الآية ٩ .

وهكذا يُفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية كحال تستغرب ،
أو تُهمُّ المخاطب ، أو غير ذلك .

وعلى هذا الأسلوب ماورد من حديث الزُّبَيْر بن العَوَّام — رضى الله عنه —
في غزوة بدر ، فانه قال : لقيتُ عبيدة بن سعيد بن العاص ، وهو على فرس ،
وعليه لأمة^(١) كاملة لا يرى منه إلا عَيْنَاه ، وهو يقول : « أنا أبوذاتِ
الكنوس ، وفي يدى عَنَزَةٌ^(٢) فاطعنُ بها في عينه ، فوقع ، وأطأ برجلى على
خده ، حتى خرجت العَنَزَةُ متعَفِّقَةً^(٣) » .

فقوله « فاطعنُ بها في عينه ، وأطأ برجلى » معدولٌ به عن لفظ الماضى
إلى المستقبل ، ليمثِّل للسامع الصورة التى فعل فيها ما فعل من الإندام والجرأة
على قتل ذلك الفارس المُستَدِّم .

ألا ترى أنه قال أولا : « لقيتُ عبيدة » بلفظ الماضى ، ثم قال بعد
ذلك : « فاطعنُ بها في عينه » ولو عطف كلامه على أوَّلِه لقال : فطعنتُ
بها في عينه !

وعلى هذا ورد قول تأبط شراً^(٤) .

(١) اللأمة ، وقد تخفف ، الدرع « أو السلاح ، أو أداة الحرب .
(٢) العنزَة — بفتحين — مثل نصف الرمح أو أكبر ، وفيها سنان
كسنان الرمح .
(٣) متعَفِّقَةٌ ملوية .

(٤) اسمه ثابت ، وكنيته أبو زهير ، وهو من بنى فهم « وفهم
وعدوان أخوان . وكان أحد العدائين ، وإنما لقب : تأبط شراً لأنه
تأبط سكيناً ذات يوم وخرج ، فسئلت عنه أمه ، فقالت : لا أدري
إنه تأبط شراً وخرج ! والبيتان فى الأغانى (١٨ — ٢١٠) من جملة
أبيات أولها :

بَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْغُولَ تَهْوِي بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ^(١)

فَأَضْرِبُهَا بِلَا دَهْشٍ نَفَرْتُ صَرِيحًا لِلْيَدِينِ وَلِلْجِرَانِ^(٢)

فإنه قصد أن يصور لقومه الحال التي تشجع فيها على ضرب الغول ، كأنه يبصرهم إياها مشاهدة ، للتعجب من جراته على ذلك الهول ، ولو قال : « فضربتها » عطفًا على الأول ، لزالَت هذه الفائدة المذكورة .

فإن قيل : إنَّ الفعلَ الماضي أيضًا يتخيل منه السامعُ ما يتخيله من المستقبل !

قلت في الجواب : إنَّ التخيل يقع في الفعلين معًا ، لكنَّه في أحدهما وهو المستقبل أو كذا وأشدُّ تخيلاً ؛ لأنَّه يستحضر صورة الفعل ، حتى كأنَّ السامعَ ينظر إلى فاعلها في حال وجود الفعل منه .

ألا ترى أنه لما قال تَابَطَ شَرًّا « فأضربها » تخيل للسامع أنه مباشر للفعل ، وأنَّه قائم بأزاء الغول ، وقد رفع سيفه ليضربها ، وهذا لا يوجد في الفعل الماضي ، لأنَّه لا يتخيل السامعُ منه إلا فعلاً قد مضى من غير إحضار للصورة في حالة سماع الكلام الدال عليه ، وهذا لاخلاف فيه .

وهكذا يجزى الحكم في جميع الآيات المذكورة ، وفي الأثر عن الزبير رضي الله عنه ، وفي الأبيات الشعرية .

وعليه ورد قوله تعالى أيضاً وهو : « ذَلِكَ وَهَنٌ يُعْظَمُ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهَوُ

= ألا من مبلغ فتيان فهم بملاقيت عند رحي بطان
(١) في الأصل « بشهب » وهو تصحيف ، والسهب الأرض المستوية والصحصحان والصحصح الأرض المستوية الواسعة .

(٢) الجران ، جران البعير ، وكذا الفرس : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره .

خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحْلَمْتَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا
الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي
مَكَانٍ سَحِيقٍ» (١).

فقال أولاً : « خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ » بلفظ الماضي ، ثم عطفَ عليه المستقبل الذي
هو « فَتَخْطَفُهُ » و « تَهْوِي » وإنما عدلَ في ذلك إلى المستقبل لاستحضارِ
صورةِ خطفِ الطيرِ إياه وهويِ الرِّيحِ به . والفائدةُ في ذلك ما أشرتُ إليه فيما
تقدم ، وكثيراً ما يراعى أمثالُ هذا في القرآن .

* * *

وأما الضربُ الثاني — الذي هو مستقبل — فكقوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » (٢) .

فإنَّه إنما عطفَ المستقبلَ على الماضي ، لأنَّ كفرَهم كان ووُجد ، ولم
يستجدوا بعده كفرًا ثانيًا ، وصدَّهم متجددٌ على الأيام لم يَمْضِ كونه ، وإنما
هو مستمرٌّ ، يُستأنفُ في كلِّ حينٍ .

وكذلك ورد قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ
الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » (٣) .

ألا ترى كيف عدلَ عن لفظِ الماضي هاهنا إلى المستقبل ، فقال : « فَتَصْبِحُ
الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً » ولم يقل : فأصبحت ، عطفًا على « أَنْزَلَ » وذلك لإفادةِ

(١) سورة الحج : الآيتان ٣٠ و ٣١ .

(٢) سورة الحج : الآية ٢٥ .

(٣) سورة الحج : الآية ٦٣ .

بتاء أثر المطر زماناً بعد زمان ، فإنزال الماء مغى وجوده ، واخضرار الأرض
 باق لم يمض ، وهذا كما تقول « أنعم على فلان فأروحو وأغدوا شاكرآ له » ،
 ولو قلت : فرحت وغدوت شاكرآ له ، لم يقع ذلك الموقع ، لأنه يدل على
 ماض قد كان وانقضى .

وهذا موضع حسن ينبغي أن يتأمل .

* * *

وأما الإخبار بالفعل الماضى عن المستقبل فهو عكس ما تقدم ذكره ،
 وفائدته أن الفعل الماضى إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذى لم يوجد بعد كان
 ذلك أبلغ وأؤكد فى تحقيق الفعل وإيجاده ، لأن الفعل الماضى يعطى من المعنى
 أنه قد كان ووُجد ، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل للمستقبل من الأشياء
 العظيمة التى يستعظم وجودها .

والفرق بينه وبين الأخبار بالفعل المستقبل عن الماضى أن الغرض بذلك
 تبين هيئة الفعل : واستحضار صورته ، ليكون السامع كأنه يشاهدها ، والغرض
 بهذا هو الدلالة على إيجاد الفعل الذى لم يوجد بعد .

فمن أمثلة الأخبار بالفعل الماضى عن المستقبل قوله تعالى : « وَيَوْمَ يُنْفَخُ
 فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ » (١) .

فإنه إنما قال « ففزع » بلفظ الماضى بعد قوله « يُنْفَخُ » — وهو مستقبل —
 للإشعار بتحقيق الفزع ، وأنه كائن لا محالة ، لأن الفعل الماضى يدل على وجود
 الفعل ، وكونه مقطوعاً به .

(١) سورة النمل الآية ٨٧ .

وكذلك جاء قوله تعالى : « وَيَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا » (١) .

وإنما قيل : « وحشرناهم » ماضياً بعد « نسير » و « ترى » — وهما مستقبلان — للدلالة على أَنَّ حشرهم قبل التسيير والبروز ، ليشاهدوا تلك الأحوال كأنَّه قال : وحشرناهم قبل ذلك ، لأن الحشر هو المهم ، لأنَّ من الناس من ينسكوه كالفلاسنة وغيرهم ، ومن أجل ذلك ذكر بلفظ الماضي .

ومما يجرى هذا المجرى الإخبارُ باسم المفعول عن الفعل المستقبل ، وإنما يُفعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضي ، وقد سبق الكلامُ عليه .

فمن ذلك قوله تعالى : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لِّهِ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ » (٢) .

فإنه إنما أثر اسم المفعول الذي هو « مجموع » على الفعل المستقبل الذي هو « يجمع » لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم ، وأنه الموصوفُ بهذه الصفة ، وأن شئتَ فوازنْ بينه وبين قوله تعالى « يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ » (٣) فإنَّك تعرُّ على صحة ما قلتُ .

النوع الخامس

في توكيد الضميرين

إن قيل في هذا : الموضع إن الضمائر مذكورة في كتب النحو ، فأى حاجة إلى ذكرها هاهنا ، ولم نعلم أن النحاة لا يذكرون ما ذكرته ؟

(١) سورة الكهف : الآية ٤٧ .

(٢) سورة هود الآية ١٠٣ .

(٣) سورة التغابن : الآية ٩ .

قلتُ : إن هذا يختصُّ بفصاحةٍ وبلاغةٍ ، وأولئك لا يتعرضون إليه .
 وإنما يذكرون عدد الضمائر ، وأنَّ المفصل منه كذا ، والمتصل كذا ، ولا
 يتجاوزون ذلك ، وأمّا أنا فإني أوردت في هذا الذريع أمراً خارجاً عن
 الأمر النحوي .

وأعني بقولي « تأكيد الضميرين » أن يؤكد المتصل بالمفصل ، كقولك :
 « إِنَّكَ أَنْتَ » أو يؤكد المفصلُ بمنفصلٍ مثله كقولك « أَنْتَ أَنْتَ » ، أو
 يؤكد المتصل بمتصلٍ مثله ، كقولك : « إِنَّكَ إِنَّكَ لعالم » أو « إِنَّكَ إِنَّكَ
 لجواد » .

وإنما يؤتى بمثل هذه الأقوال في معرض المبالغة ، وهو من أسرار
 علم البيان .

ولنقدّم في ذلك قولاً يحصره ، ويجمع أطرافه ، فنقول :
 إذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً في النفوس فانت بالخيار في تأكيد أحد
 الضميرين فيه بالآخر ، وإذا كان غير معلوم ، وهو مما يشك فيه ، فالأولى
 حينئذ أن يؤكد أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه ، لتقرّره وتثبته .
 فما جاء من ذلك قوله تعالى : « قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْتَ مُنْقَلَبٌ وَإِنَّمَا أَنْ
 نَكُونُ نَحْنُ الْمَلَكِينَ » (١) .

فإن إرادة السحرة الإلقاء قبل موسى لم تكن معلومةً عنده ، لأنهم لم
 يصرّحوا بما في أنفسهم من ذلك : لَكُنْهُمْ لَمَّا عَدَلُوا عَنْ مَقَابَلَةِ خَطَائِبِهِمْ
 مُوسَى بِمِثْلِهِ إِلَى توكيد ما هو لهم بالضميرين اللذين هما « نَكُونُ » و « نَحْنُ »
 دلّ ذلك على أنهم يريدون التقدّم عليه ، والإلقاء قبله . لأن من شأن مقابلة

(١) سورة الأعراف : الآية ١١٥ .

خطابهم موسى بمثله أن كانوا قالوا : إِمَّا أَنْ تُتْلَىٰ وَإِمَّا أَنْ تُتْلَىٰ ، لتكون
الجلتان متقابلتين ، فحيثُ قالوا عن أَنفُسِهِمْ : « وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُتْلِينَ »
استدلَّ بهذا القول على رغبتهم في الإنقاء قبله .

توكيد المتصل بالمتصل :

وأما توكيد المتصل بالمتصل فكقوله تعالى في سورة الكهف : « فَأَنْطَلَقَا
حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا
نُّكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ^(١) » .

وهذا بخلاف قصة السفينة ، فإنه قال فيها : « أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا ^(٢) » .

والفرق بين الصورتين أنه أكد الضمير في الثانية دون الأولى ^(٣) ، وقال
في الأولى « أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ . . . » وقال في الثانية : « أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ » .

وإنما جيء بذلك للزيادة في مكالحجة العتاب على رفض الوصية مرّة على
مرّة ، والومس بعدم الصبر .

وهذا كما لو أتى الإنسان مانهيته عنه ، فلمتته وعنفته ، ثم أتى ذلك مرّة
ثانية ، أليس أنك تزيد في لومه وتعنيفه ؟

وكذلك فعل هاهنا ، فإنه قيل في اللامة أولاً : « أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ » ثم قيل
ثانياً : « أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ » وهذا موضع يدقُّ عن العثور عليه ببادرة النظر ،
مالم يُعْطَ التأمل فيه حقه .

(١) سورة الكهف : الآيتان ٧٤ و٧٥ .

(٢) سورة الكهف : الآية ٧٢ .

(٣) أى أكد الضمير في قصة الغلام ولم يؤكد في قصة السفينة التي
هي الأولى في الترتيب القرآني .

توكيد المتصل بالمنفصل :

وأما توكيد المتصل بالمنفصل فنحو قوله تعالى : « فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ^(١) » فتوكيد الضميرين هاشمنا في قوله « إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى » أنفى للخوف من قلب موسى وأثبت في نفسه للغلبة والقهر ، ولو قال : « لَا تَخَفْ إِنَّكَ الْأَعْلَى » أو « فَأَنْتَ الْأَعْلَى » لم يكن له من التقرير والإثبات لنفي الخوف ما لقوله : « إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى » .

وفي هذه الكلمات الثلاث ، وهي قوله : إِنَّكَ ، أَنْتَ ، الْأَعْلَى ، ست فوائد :

الأولى : « إِنَّ » المشددة التي من شأنها الإثبات لما يأتي بعدها ، كقولك « زيد قائم » ، ثم تقول : « إِنَّ زيدا قائم » ففي قولك : « إِنَّ زيدا قائم » من الإثبات لقيام زيد ما ليس في قولك : « زيد قائم » .

الثانية : تكرير الضمير في قوله « إِنَّكَ أَنْتَ » ولو اقتصر على أحد الضميرين لما كان بهذه المسكاة في التقرير لغلبة موسى والإثبات لقهره .

الثالثة : لأم التعريف في قوله « الْأَعْلَى » ولم يقل : « أَعْلَى » ولا « عالٍ » لأنه لو قال ذلك لكان قد نكّره ، وكان صالحا لكل واحد من جنسه ، كقولك : « رجل » فإنه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال ، وإذا قلت « الرجل » فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف ، وجعلته علما فيهم وكذلك جاء قوله تعالى : « إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى » أي : دون غيرك .

الرابعة : لفظ « أفعل » الذي من شأنه التفضيل ، ولم يقل « العالی » .

الخامسة : إثبات الغلبة له من العلو ، لأن الغرض من قوله : « الْأَعْلَى »

(١) سورة طه : الآيتان ٦٧ و ٦٨ .

أى : الأغلب ، إِلَّا أَنْ فِي الْأَعْلَى زِيَادَةً ، وهى الغلبةُ من عالى .

السادسة : الاستثناءُ ، وهو قوله تعالى : « لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى » ولم يقل : « لَأَنْتَ أَنْتَ الْأَعْلَى » لَأَنَّهُ لم يجعل علةَ انتفاء الخوفِ عنه كونهُ عالياً ، وإنما نفى الخوفَ عنه أولاً بقوله : « لَا تَخَفْ » ، ثم استأنف الكلامَ ، فقال : « إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى » فكان ذلك أبلغَ فى إيقانِ موسى عليه السَّلامِ بالغلبةِ والاستعلاء ، وأثبتَ لذلك فى نفسه .

وربما وقع لبعض الأغمار أن يعترضَ على ما ذكرناه فى تأكيد أحدِ الضميرين بالآخر ، فيقول : لو كانَ تأكيدُهما أبلغَ من الاختصارِ على أحدهما لوردَ ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه حيثُ هو أولى بما هو أبلغُ وأوكدُ من القول ، وقد رأينا فى القرآن الكريم مواضعَ تختصُّ بذكر الله تعالى ، وقد وردَ فيها أحدُ الضميرين دون الآخر كقوله عزَّ اسمه . « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^(١) » ولم يقل : إِنَّكَ أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فما الموجِبُ لذلك إن كانَ تأكيدُ أحدِ الضميرين بالآخر أبلغَ من الاختصارِ على أحدهما ؟ !

الجوابُ على ذلك أَنَّا نقول : قدَّمنا القولَ فى أوَّل هذا النوع أَنه إذا كانَ المعنى المقصود معلوماً ثابتاً فصاحبُ الكلامِ مُخَيَّرٌ فى تأكيد أحدِ الضميرين بالآخر ، فإنَّ أكَّدَ فقد أتى بفضل بيانٍ ، وإن لم يؤكِّد فلأنَّ ذلك المعنى ثابتٌ لا يفتقرُ فى تقريره إلى زيادةٍ تأكيد كهذه الآية المشار إليها ، وهى قوله تعالى : « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ » فَإِنَّ الْعِلْمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا يفتقرُ إلى تأكيدٍ يقرِّره .

(١) سورة ال عمران : الآية ٢٦ .

وقد ورد ما يجري مجرى هذه الآية مؤكداً كقوله تعالى : « وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ^(١) » .

فأكد في هذه الآية وَلَمْ يَوْكَّدْ في الأخرى ، وقد عرّفك الطريق في ذلك .

وأما إذا كان المعنى المقصود غير معلوم ، وهو مما يُشَكُّ فيه ، فالأولى أن يؤكد بالضميرين في الدلالة عليه ، كقوله تعالى : « قَلْبًا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى » فإن موسى لم يكن متيقناً أنه غالبٌ للسحرة ، فلذلك أكد خطابه بالضميرين ، ليكون أبلغ في تقرير ذلك في نفسه .

توكيد المنفصل بمنفصل :

وأما توكيد المنفصل بمنفصل مثله ؛ فكقول أبي تمام ^(٢) :

لَا أَنْتَ أَنْتَ وَلَا الدَّيَارُ دِيَارُ خَفَّ الْهَوَى وَتَوَلَّتْ الْأَوطَارُ

فقوله : « لَا أَنْتَ أَنْتَ وَلَا الدَّيَارُ دِيَارُ » من الملبح النَّادِر في هذا الموضع ، لأنه هو هو والديار الديار ، وإنما البواعث التي كانت تبعثُ على قضاء الأوطار زالت فبقِيَ ذلك الرجلُ وليس هو هو على الحقيقة ، ولا الديارُ في عينه من الحُسْن تلك الديار .

(١) سورة المائدة : الآية ١١٦ .

(٢) ديوان أبي تمام ١٤٤ وهذا البيت مطلع قصيدة في مدح أبي سعيد الشغري .

وعلى هذا ورد قول أبي الطيب المتنبي^(١) :

قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدَّكَ بِشْرِ الْمَلِكِ الْهَامُ

فقوله « أنت أنت » من تأكيد الضميرين المشار إليهما ، وفائدته المبالغة في مدحه ، ولو مدحه بما شاء الله لما سدد مسدّ قوله : « أنت أنت » أى : أنك المشار إليه بالفضل دون غيرك .

وأما قوله « وأنت منهم » فخرج عن هذا الباب ، وهو كلامٌ مستأنف لا يتعلّق بتوكيد الضميرين ، كأنه قال : أنت الموصوفُ بكذا وكذا ، وأنت من هذا القبيل ، يريد بذلك مدح قبيله به .

وهذا البيت لم أمثل به اختياراً له واستجادةً ، وإنما مثّلت به ليعلم مكان توكيد المنفصل بالمنفصل ، وإلاّ فالبيت ليس من المرضى ، لأن سبكه سبكٌ عارٍ من الحسن ، وفيه تقديم وتأخير .

وقرأتُ في كتاب (الأغاني) لأبي الفرج أن عمرو بن ربيعة قال لزياد ابن الهبولة^(٢) : « يا خيرَ الفتيان ، ارددْ على ما أخذته من إيلي » فردّها عليه ، وفيها فحلاًها ، فنازعه الفحل إلى الإبل ، فصرّعه عمرو ، فقال له زياد : « لو صرّعتمُ يابني شَيْبانَ الرّجال كما تصرّعون الإبل لكنتمُ أنتمُ أنتم » فقال عمرو له : « لقد أعطيتَ قليلاً ، وُسْمَتَ جَليلاً ، وجررتَ على نَفْسِكَ وِيلاً طَوِيلاً » فقوله له : « لكنتمُ أنتمُ أنتم » أى : أنتم الأشداء ، أو الشجعان ،

(١) ديوان المتنبي ٤ - ٧٩ من قصيدة يمدح فيها المغيث بن علي

العجلي ، مطلعها :

فؤاد ماتسليه المدام وعمر مثل ماتهب اللثام

(٢) في القاموس المحيط (٤ - ٦٧) أن ابن هبولة ، أو الهبولة ،

أو الهبول : ملك من ملوكهم .

أَوْ ذُو النَجْدَةِ وَالْبَاسِ ، أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى ؛ إِلَّا أَنْ فِي « أَنْتُمْ » الثَّانِيَةِ تَخْصِيصًا لَهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَكُنْتُمْ أَنْتُمْ الشُّجْعَانُ دُونَ غَيْرِكُمْ ، وَلَوْ مَدَحَهُمْ بِأَيِّ شَيْءٍ مَدَحَهُمْ مِنْ وَصْفِ الْبَاسِ وَالشَّدَةِ وَالشَّجَاعَةِ لَمَا بَلَغَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ ، أَعْنَى « أَنْتُمْ » الثَّانِيَةِ .

وهذا موضعٌ من علم البيانِ تتسكَّأُ بحاسِنه ، فأعْرِفه .

النوع السادس

فِي عَطْفِ الْمَظْهَرِ عَلَى ضَمِيرِهِ وَالْإِفْصَاحِ بِهِ بَعْدَهُ

وهذا إِنَّمَا يُعَمَّدُ إِلَيْهِ لِفَائِدَةٍ ، وَهِيَ تَعْظِيمُ شَأْنِ الْأَمْرِ الَّذِي أَظْهَرَ عَنْدهُ الْإِسْمُ الْمَضْمَرُ أَوَّلًا .

وَمِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ : « وَلَمَّا تَلَّاقَيْنَا وَبَنُو تَمِيمٍ أَقْبَلُوا نَحْنُ نَا بَرَكُضُونَ ، فَرَأَيْنَا مِنْهُمْ أَسْوَدًا نَكَلًّا تَسَابِقُ الْأَسِنَّةِ إِلَى الْوُرُودِ ، وَلَا تَرْتَدُّ عَلَى أَعْقَابِهَا إِذَا ارْتَدَّتْ أَمْثَالُهَا مِنَ الْأَسْوَدِ ، وَتَنَاجَدَ بَنُو تَمِيمٍ عَلَيْنَا بِحِمْلَةٍ ، فَلَدْنَا بِالْفَرَارِ ، وَاسْتَبَقْنَا إِلَى تَوَلِيَةِ الْأَدْبَارِ » فَإِنَّهُ إِنَّمَا قِيلَ : « وَتَنَاجَدَ بَنُو تَمِيمٍ » مَصْرَحًا بِاسْمِهِمْ ، وَلَمْ يَقُلْ « وَتَنَاجَدُوا » كَمَا قِيلَ « أَقْبَلُوا » لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّعَجُّبِ مِنْ إِقْدَامِهِمْ عِنْدَ الْحِمْلَةِ ، وَثِبَاتِهِمْ عِنْدَ الصَّدْمَةِ ، لِأَسِيًّا وَقَدْ أَرْدَفَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ « لَدْنَا بِالْفَرَارِ ، وَاسْتَبَقْنَا إِلَى تَوَلِيَةِ الْأَدْبَارِ » كَأَنَّهُ قَالَ : وَتَنَاجَدَ أَوْلَئِكَ الْفَرَسَانُ الْمَشَاهِيرَ ، وَالْكُمَاةُ الْمُنَاكِرَ ، وَحَمَلُوا عَلَيْنَا حِمْلَةً وَاحِدَةً ، فَوَلَّيْنَا مُدْبِرِينَ مِنْهُمْ مَزِينِ » .

وَمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ

الخلقَ ثمَّ اللهُ يُنْشِئُ النُّشْأَةَ الْآخِرَةَ^(١) ، ألا ترى كيف صرَّح باسمه تعالى في قوله : « ثمَّ اللهُ يَنْشِئُ النُّشْأَةَ الْآخِرَةَ » مع إيقاعه مبتدأ في قوله : « كيف يَبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ » وقد كان القياسُ أن يقول : كيف يَبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ ثمَّ يَنْشِئُ النُّشْأَةَ الْآخِرَةَ .

والفائدة في ذلك أنه لما كانت الإعادة عندهم من الأمور العظيمة ، وكان صدرُ الكلام واقعاً معهم في الإبداء ، وقرَّروا أنَّ ذلك من الله ، احتجَّ عليهم بأنَّ الإعادة إنشاءٌ مثلُ الإبداء ، وإذا كان الله الذي لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ هو الذي لا يُعْجِزُهُ الإبداء ، فوجبَ أن لا تُعْجِزَهُ الإعادة ، فللدلالة والتنبيه على عظم هذا الأمر الذي هو الإعادة أبرَز اسمه تعالى ، وأوقعه مبتدأً ثانياً .

وعلى هذا ورد قوله تعالى : « وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ^(٢) » .

ألا ترى أنَّه قال أولاً : « وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ » فذكر مضمرّاً تقدّم الكلام فيه ، ثم عطف المظهر الذي هو له ، وهو قوله « ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ » وكان العطف لو أضمر كما أضمر الأول لقليل : ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْكُمْ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ؟

وفائدة الإظهار هاهنا للمطوف بعد إضماره أولاً التنويه بذكر رسول الله

(١) سورة العنكبوت : الآيتان ١٩ و ٢٠ .

(٢) سورة التوبة : الآيتان ٢٥ و ٢٦ .

صلى الله عليه وسلم ، وذكر المؤمنين ، أو لأنَّ الأمر عظيم ، وهو الانتصارُ بعد الفرار ، فأى الأمرين قدّر كان لإظهارِ المعطوف مناسبا .

وهكذا يكون عطفُ المظهر على ضميره ، فإنه يستندُ إلى فائدةٍ بهم ذكرها فإن يكنْ هناك ^(١) مثلُ هذه الفائدةِ وإلا فلا يحسنُ الإظهار بعدَ الإضمار .

وكذلك جاء قوله تعالى : « إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَارٌ مِمَّا قَدَرُوا » وقال الذين كفروا للحقِّ لمَّا جاءهم إن هذا إلا سِحْرٌ مُبِينٌ ^(٢) » فإنه إنما قال : « وقال الذين كفروا » ولم يقل : وقالوا كالذى قبله للدلالة على صدور ذلك عن إنكارٍ عظيم ، وغضبٍ شديد ، وتعجبٍ من كفرهم ببلغٍ لاسيا وقد انضاف إليه قوله : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ » وما فيه من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه ، وما فى ذلك من المبادهة ، كأنه قال : وقال أولئك الكفرة المتمردون بجرائزهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحقِّ المبين قبل أن يتدبرّوه : إن هذا إلا سِحْرٌ مُبِين .

وعلى نحوٍ من ذلك وردَ قوله تعالى : « ص * وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتْ حِينَ مَنَاصٍ » وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ^(٣) .

(١) فى الأصل « فإن لم يكن هناك » وسياق المعنى يقتضى حذف « لم » والتقدير : إن يكن هناك مثل هذه الفائدة حسن الإظهار ، وإلا فلا يحسن الإظهار .

(٢) سورة سبأ الآية ٤٣ .

(٣) سورة ص : الآيات ١ و٢ و٣ و٤ .

وكان القياسُ أن يُقال : وقالوا هذا ساحر كذاب ، عطفًا على «عَجَبُوا»
 وإنما أتى باسم الكافرين -- مظهرًا بعد إضمار -- للأشعار بتعظيم
 ما اجترأوا عليه من القول في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، أولًا لأن هذا القول
 كان أهمَّ عندهم وأرْسَخَ في نفوسهم ، فصرَّح باسم قائله ، دلالةً على ما كان
 في أنفسهم منه .

النوع السابع

في التفسير بعد الإبهام

اعلم أن هذا النوع لا يعمدُ إلى استعماله إلا لضربٍ من المبالغة ، فإذا جيءَ
 به في كلامٍ فإنما يفعل ذلك لتفخيم أمر المبهم وإعظامه ، لأنه هو الذى يطرُقُ
 السَّمْعُ أولًا . فيذهبُ بالسَّامِعِ كلَّ مذهب ، كقوله تعالى : « وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ
 الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ^(١) » .

ففسَّر ذلك الأمر بقوله « أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ » وفي إبهامه أولًا
 وتفسيره بعد ذلك تفخيمٌ للأمر ، وتعظيمٌ لشأنه ، فإنه لو قال : وقضينا إليه
 أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ ، لما كان بهذه المكانة من الغخامة ، فإنَّ الإبهامَ
 أولًا يوقعُ السَّامِعَ في حيرةٍ وتفكُّرٍ ، واستعظامٍ لما قرع سمعه ، وتشوُّفٍ إلى
 معرفته ، والاطِّلاع على كنهه .

وعلى نحوٍ من هذا جاء قوله تعالى : « قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى *
 وَلَقَدْ مَنَّاْ عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى . أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي
 التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ^(٢) » .

(١) سورة الحجر الآية ٦٦ .

(٢) سورة طه : الآيات ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ .

ففسّر « ما يوحى » بقوله « أن اقذفه » وهذا كالأول في إيهامه أولاً وتفسيره ثانياً .

ومثل هذا وردّ قوله تعالى في سورة أم الكتاب : « اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم » فإنه إنما قال ذلك ولم يقل : اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم لما في الأول من التنبيه والإشعار بأن الصراط المستقيم هو صراط المؤمنين ، فدلّ عليه بأبلغ وجه ، كما تقول : هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم ؟ ثم تقول : فلان ، فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك : هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل ؟ لأنك تثبت ذكره مُجْملًا ومفصلاً ، فجعلته عامّاً في الكرم والفضل ، كأنك قلت : مَنْ أراد رجلاً جامعاً للخصلتين جميعاً فعليه فلان !

فإن قيل : فما الفرق بين عطف المظهر على ضميره وبين التفسير بعد الإيهام فإن المضمّر كالإيهام ؟

فالجواب عن ذلك أنى أقول :

إن كان سؤالك عن فائدتيهما فإنهما في الفائدة سواء ، وذلك أنهما إنما يرادان لتعظيم الحال ، والإعلام بفخامة شأنها .

وإن كان سؤالك عن الفرق بينهما في العبارة ، فإنى أقول .

المضمّر يأتى بعد مظهرٍ تقدّم ذكره أولاً ، ثم يُعطف المظهر على ضميره ، أى ضمير نفسه ، كالمثال الذى ضربناه فى بنى تميم .

وأما التفسير بعد الإيهام فإن المبهّم يقدّم أولاً ، وهو أن يذكر شيئاً يقع عليه إيهامه بمثل احتمالات كثيرة ، ثم يفسّر بايقاعه على واحدٍ منها ، وليس كذلك عطف المظهر على ضميره .

ومَّا جاء من التفسير بعد الإبهام قوله تعالى : « وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ . مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَرْزُقُونَ فِيهَا بغيرِ حسابٍ ^(١) » .

الأتري كيف قال : « أهدكم سبيل الرشاد » فأيهم سبيل الرشاد ، ولم يبين أى سبيل هو ، ثم فسّر ذلك فافتتح كلامه بدم الدنيا ، وتصغير شأنها ، ثم نفى ذلك بتعظيم الآخرة والاطّلاع على حقيقتها ، ثم ثلث بذكر الأعمال سيئها وحسنها ، وعاقبة كلٍّ منهما ، ليُذبّط عما يُتلف ، وينشط لما يُزلف ، كأنه قال : سبيل الرشاد هو الإعراضُ عن الدنيا ، والرغبةُ في الآخرة ، والامتناعُ عن الأعمال السيئة ، خوفَ المقابلةِ عليها ، والمصارعةُ إلى الأعمال الصالحة ، رجاءَ المجازاةِ عليها .

وكذلك ورد قوله تعالى : « وَاذْ يَرَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ^(٢) » .

فإنه إنما قال « القواعد من البيت » ولم يقل « قواعد البيت » لما في إبهام القواعد أولاً وتبيينها بعد ذلك من تفخيم حال المبين ما ليس في الإضافة .

ومَّا يجرى هذا المجرى قوله تعالى : « وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعَ إِلَى اللَّهِ مُوسَى ^(٣) » .

(١) سورة المؤمن : الآيات ٣٨ ، ٣٩ و ٤٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٢٧ .

(٣) سورة المؤمن : الآيتان ٣٦ و ٣٧ .

فإنه لما أراد تفخيم ما أملّ فرعون من بلوغه أسباب السموات أبهمها أولاً ، ثم فسرهما ثانياً ، ولأنه لما كان بلوغها أمراً عجيبيّاً أراد أن يورده على نفس متشوّقة إليه ، يعطيه السامع حقه من التعجّب ، فأبهمه ليشتوّف إليه نفس هامان ، ثم أوضحه بعد ذلك .

وعلى هذا الأسلوب ورد قوله تعالى : « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا ما بصاحبيكم من جنّة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد » (١) .

فإنه قال أولاً : « أعظكم بواحدة » فأبهم الواحدة ، ثم فسرّها بقوله : « أن تقوموا لله مثنى وفردى ، ثم تفكروا » (٢) .

وهذا في القرآن الكريم كثير الاستعمال :

وأما الإبهام من غير تفسير فكثير شائع في القرآن الكريم أيضاً ، كقوله تعالى : « وفعلت فعلتك التي فعلت » (٣) .

وكذلك ورد قوله تعالى : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » (٤) أي للطريقة ، أو الحالة ، أو الملة التي هي أقومها وأسدّها ، وأي ذلك قدّرت لم تجذله مع الإفصاح ذوق البلاغة الذي تجده مع الإبهام ، وذلك لذهاب الوهم فيه كلّ مذهب ، وإيقاعه على احتمالات كثيرة .

وهذا كقول القائل : (لو رأيت عليّاً بين الصّنفين) فإنه لو وصفه مهما

(١) سورة سبأ : الآية ٤٦ .

(٢) في الأصل « وأن » موضع « ثم » .

(٣) سورة الشعراء : الآية ١٩ .

(٤) سورة الإسراء : الآية ٩ .

وصَف من تَجَدَّةٍ وشجاعةٍ وثباتٍ وإقدامٍ وأطال القولَ في ذلكَ لم يكن بمثابة ما يترامى إليه الوهمُ مع الإيهام ، وهذا للعارف برُموز هذه الصَّناعة وأسرارها .

وعلى هذا الأسلوبِ ورد قوله تعالى : (فغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ)^(١) وأبلغ من ذلك قوله تعالى : (وَالْمَوْتِفِكَةُ أَهْوَى . فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى)^(٢) فإنه قال في تلك الآية : (فغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ) فذكر (اليم) وهو البحر ، فصار الذي غشيهم إنما هو منه خاصة ، وقال في هذه الآية : (فغَشَّاهَا مَا غَشَّى) فأبهم الأمر الذي غشَّاهَا به ، وجعله عاماً ، وذلك أبلغ ؛ لأنَّ السامع يذهبُ وهمه فيه كلَّ مذهب .

وأما ما جاء من ذلك شعراً فكقول البحترى^(٣) :

بَعِيدٌ مَقِيلُ الصَّدْرِ لَا يَقْبَلُ التِّي يُحَاوِلُهَا مِنْهُ الْأَرِيبُ الْمُخَادِعُ^(٤)
قوله (التي يحاولها) من الإيهام المقدم ذكره في الآية .
ومما ينتظم بذلك قول الشاعر في أبيات الحماسة^(٥) :

(١) سورة طه : الآية ٧٨ .

(٢) سورة النجم : الآيتان ٥٣ و ٥٤ .

(٣) ديوان البحترى ٢ / ٤٦ من قصيدة له في مدح الفتح بن خاقان ،
مطلعها :

ألت وهل إلمامها لك نافع وزارت خيالا والعيون هواجع
(٤) رواية الديوان لصدر البيت هكذا

* مبيد مقيل السر لا يدرك الذي *

(٥) هو دريد بن الصمة ، من قصيدة قالها في رثاء أخيه عبد الله بن الصمة « وأول المذكور منها في ديوان الحماسة ١ — ٣٤٢ :
نصحت لعارض وأصحاب عارض ورهط بنى السوداء والقوم شهدي

صَبَاً مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ

فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعُدْ^(١)

قوله : (صَبَاً مَا صَبَا) من الإيهام الذي لو قَدَّرْتَ مَا قَدَّرْتَ في تفسيره لم تجد له من فضيلة البيان ما تجد له مع الإيهام .

وعليه ورد قول أبي نواس :

وَلَقَدْ نَهَزْتُ مَعَ الْفَوَاةِ بَدَلُوهُمْ

وَأَسَمْتُ سَرَحَ اللَّحْظِ حِينَ أَسَامُوا

وَبَلَغْتُ مَا بَلَغَ أَمْرُو بِشَبَابِهِ فَإِذَا عَصَارَةٌ كُلُّ ذَلِكَ أَنَام

قوله : (وبلفت ما بلغ أمرؤ بشبابه) من هذا النمط المشار إليه ، وهو من المليح النادر .

ومما يجري على هذا النهج قول الآخر في وصف الخمر :

مَضَى بِهَا مَا مَضَى مِنْ عَقْلِ شَارِبِهَا

وَفِي الزُّجَاجَةِ بَاقٍ يَطْلُبُ الْبَاقِي

والكلام على هذا البيت كالكلام على البيت الذي قبله .

ومثله ورد قول بعض المتأخرين : (فؤاد فيه مافيه) .

وعلى هذا ورد قول في فصل من تقليد لبعض الوزراء ، فقلت :

(وَأَنْتَ مُوَهَّلٌ لَوَاحِدَةٍ مَتَخَلِّقٌ لَهَا غُرُرَ الْجِيَادِ ، وَتَنَادِيهَا الْعُلَمَاءُ بِلِسَانِ

(١) صبا الأول من الميل ، والثاني من الصباء ، وهو حادثة السن .

والمعنى أنه مال إلى اللهو مدة صغرسنه ، فلما شاب ترك الملاهي . هكذا

شرحه التبريزي (١ / ٣٤٥) من ديوان الحماسة .

الإتحاد، وتَفَخَّرُ بِهَا سُمِرُ الأَقْلَامِ عَلَى سُمُرِ الصَّعَادِ ، فَابْسُطْ يَدَكَ لِأَخْذِ كِتَابِهَا ،
 واسْمَعْ لَطِيبَ ذِكْرِهَا بَعْدَ سَعْيِكَ فِي طَلَابِهَا ، واعْلَمْ أَنَّ الخُطَّابَ إِلَيْهَا كَثِيرٌ
 لَكِنَّهَا صَدَّتْ بِكَ عَنْ خُطَّابِهَا ، وَلَقَدْ مَضَى عَلَيْهَا زَمَنٌ وَهِيَ نَفُورٌ ، حَتَّى اسْتَقْدَاهَا
 الْآنَ تَأْنِيسُكَ ، وَلَمْ تَسْبِقِ الْأَقْدَارُ بِاسْمِكَ إِلَّا لَتَكُونَ سُلَيْمَانُهَا وَهِيَ بَلْقَيْسُكَ .
 وَهَذَا الْوَزِيرُ كَانَ اسْمُهُ (سَلِيْمَان) . فَسُقْتُ الْمَعْنَى إِلَيْهِ فِجَاءً كَمَا تَرَاهُ مِنْ
 الْحَسَنِ وَاللَّطَافَةِ .

وَأَمَّا قَوْلِي (وَأَنْتَ مُؤَهَّلٌ لِوَحْدَةٍ) فَانْه مِنْ الْإِبْهَامِ مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ ،
 وَذَلِكَ بِخِلَافِ مَا وَرَدَ فِي الْآيَةِ الْمُقَدِّمِ ذِكْرُهَا ؛ لِأَنَّ تِلْكَ مِنَ التَّفْسِيرِ
 بَعْدَ الْإِبْهَامِ .

وَمَا يَنْتَظَمُ فِي هَذَا السَّلَكِ (الْإِسْتِثْنَاءُ الْعَدَدِيُّ) وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْمِبَالِغَةِ ،
 لَطِيفُ الْمَأْخُذِ ، وَفَائِدَتُهُ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَطْرُقُ سَمْعَ الْخَاطِبِ ذِكْرُ الْعَقْدِ مِنَ الْعَدَدِ
 فَيَكْثُرُ مَوْجَعُ ذَلِكَ عِنْدَهُ ، وَهُوَ شَبِيهٌ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِبْهَامِ أَوَّلًا ، ثُمَّ التَّفْسِيرِ
 بَعْدَهُ ثَانِيًا ، وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ : أُعْطِيَتْهُ مِائَةٌ إِلَّا عَشْرَةً ، أَوْ أُعْطِيَتْهُ أَلْفًا
 إِلَّا مِائَةً ، فَإِنَّ ذَلِكَ أُبْلَغُ مِنْ أَنْ لَوْ قَالَ : أُعْطِيَتْهُ تِسْعِينَ ، أَوْ تِسْعِمِائَةً .

وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ
 سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) ^(١) وَلَمْ يَقُلْ : تِسْعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ عَامًا ، لِفَائِدَةٍ حَسَنَةٍ ،
 وَهِيَ ذِكْرُ مَا ابْتَدَأَ بِهِ نُوحٌ مِنْ أُمَّتِهِ ، وَمَا كَابَدَهُ مِنْ طَوْلِ الْمَصَابِرَةِ ، لِيَكُونَ
 ذَلِكَ تَسْلِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَلْقَاهُ مِنْ أُمَّتِهِ وَتَثْبِيتهً لَهُ ، فَإِنَّ
 ذِكْرَ رَأْسِ الْعَدَدِ الَّذِي هُوَ مُنْتَهَى الْعُقُودِ وَأَعْظَمُهَا أَوْقَعُ وَأَوْصَلُ إِلَى الْغَرَضِ
 مِنْ اسْتِطْلَاقِ السَّمْعِ مَدَّةَ صَبْرِهِ ، وَمَا لِقَاةَ مِنْ قَوْمِهِ .

(١) سورة العنكبوت : الآية ١٤

النسوع الثامن

فى استعمال العام فى النفسى والخاص فى الاثبات
أعلم أنه إذا كان الشئان أحدهما خاصاً والآخر عاماً فإن استعمال العام
فى حالة النفسى أبلغ من استعماله فى حالة الإثبات ، وكذلك استعمال الخاص
فى حالة الإثبات أبلغ من استعماله فى حالة النفسى .

ومثال ذلك الإنسانية والحيوانية ، فإن إثبات الإنسانية يوجب إثبات
الحيوانية ، ولا يوجب نفى الحيوانية ، وكذلك نفى الحيوانية يوجب نفى
الإنسانية ، ولا يوجب إثباتها إثبات الإنسانية .

ومما ينتظم بذلك الأسماء المفردة الواقعة على الجنس التى يكون بينها وبين
واحدتها التأنيث ، فإنه متى أريد النفسى كان استعمال واحدتها أبلغ ، ومتى
أريد الإثبات كان استعمالها أبلغ .

وكذلك يتصل بهذا النوع الصفتان الواردتان على شىء واحد ، فإنه إذا
لزم من وجود إحداها وجود الأخرى اكتفى بها فى الذكر ، ولم يحتاج الى
ذكر الأخرى ، لأنها تسمى ضمناً وتبعاً ، أو أن يبدأ بها فى الذكر أولاً ، ثم
تسمى الأخرى بعدها .

وأما الصفات المتعددة فإنه ينبغى أن يبدأ فى الذكر بالأدنى مرتبة ، ثم
بعدها بما هو أعلى منها ، إلى أن ينتهى إلى آخرها .

هذا فى مقام المدح ، فإن كان فى مقام الذم عكست القضية .

فالأول — وهو الخاص والعام — نحو قوله تعالى (مثلهن كمثل الذى
استوفد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم)^(١) ولم يقل : ذهب

(١) سورة البقرة : الآية ١٧ .

بضوئهم ، موازنًا لقوله (فلما أضاءت) لأن ذكر النور في حالة النفي أبلغ ، من حيث أن الضوء فيه الدلالة على النور وزيادة ، فلو قال : ذهب الله بضوئهم لكان المعنى يعطى ذهاب تلك الزيادة ، وبقاء ما يسمى نوراً ، لأن الإضاءة هي فرطُ الإنارة ، قال الله تعالى (هُوَ الَّذِي جَمَعَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا)^(١) فكلُّ ضوءٍ نور ، وليس كلُّ نورٍ ضوءاً .

فالغرض من قوله تعالى (ذهب الله بنورهم) إنما هو إزالة النور عنهم أصلاً ، فهو إذا أزاله فقد أزال الضوء .

وكذلك أيضاً قوله تعالى (ذهب الله بنورهم) ولم يقل : (أذهب نورهم) لأنَّ كلَّ من ذهب بشيء فقد أذهب ، وليس كلُّ من أذهب شيئاً فقد ذهب به ، لأنَّ الذهابَ بالشئ هو استصحابُ له ومُضَيُّ به ، وفي ذلك نوعُ اختِجارٍ بالذهوب به ، وإمساكُ له عن الرجوع إلى حالته ، والعود إلى مكانه ، وليس كذلك الإذهب للشئ لزوالِ معنى الاختِجار عنه .

ومما يُحمَلُ على ذلك الأوصافُ الخاصَّةُ إذا وقعت على شَيْئَيْنِ ، وكان يلزمُ من وصفِ أحدهما وصفُ الآخر ، ولا يلزمُ عكسُ ذلك . ومثالُ قوله تعالى : « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ »^(٢) . فإنه إنما خصَّ العَرْضَ بالذكِّر ، دون الطُّول ، المعنى الذي أشرنا إليه ، والمرادُ بذلك أنه إذا كانَ هذا عَرْضُها فكيف يكون طولها ؟

وهذا في حالة الإثبات ، ولو أريد النفي لكان له أسلوبٌ غير ما ذكرناه ؛ وهو أنه كان يخصُّ به الطول دون العرض .

* * *

(١) سورة يونس : الآية ٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٣٣ .

وأما الأسماء المفردة الواقعة على الجنس فنحو قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام : (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا أَنَا كَرَّارٌ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . قَالَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (١) :

فإنه إنما قال (ليس بي ضلالة) ولم يقل : ليس بي ضلال ، كما قالوا ، لأن نفي الضلالة أبلغ من نفي الضلال عنه ، كما لو قيل : ألك تمر ؟ فقلت في الجواب : مالى تمر ، وذلك أننى للتمر ، ولو قلت (مالى تمر) لما كان يؤدى من المعنى ما أداه القول الأول .

وفى هذا الموضوع دقة تحتاج إلى فضل تمام ، فينبغى لصاحب هذه الصناعة مراعاته ، والعناية به .

فإن قيل : لا فرق بين الضلالة والضلال ، وكلاهما مصدر قولنا ضلَّ يضلُّ ضلالاً ، وضلَّ يضلُّ ضلالةً ، كما يقال : لَدَّ يَلْدُ لِدَاداً وَلِدَادَةً !

فالجواب عن ذلك : أن الضلالة تكون مصدراً كما قلت ، وتكون عبارة عن المرة الواحدة ، تقول ضلَّ يضلُّ ضلالةً ، أى مرة واحدة ، كما تقول ضرب يضرب ضربةً ، وقام يقوم قومةً ، وأكل يأكل أكلةً :

والمراد بالضلالة فى هذه الآية إنما هو عبارة عن المرة الواحدة من الضلال ، فقد نفي ما فوقها من المرتين والمرار الكثيرة .

* * *

وأما الصفتان الواردتان على شيء واحد فكقول الأشرئ النخعي (٢) :

(١) سورة الأعراف : الآيتان ٦٠ و ٦١ .

(٢) هو مالك بن الحارث ، أحد بنى النخع ، والأشرئ لقب له ،

كان شاعراً يمني من شعراء الصحابة ، شهد حرب القادسية أيام عمر بن الخطاب التى كانت بين المسلمين والفرس ، وكان لعل فى حروبه مثل ما كان =

- بَقِيْتُ وَفَرِيْ وَانْحَرَفْتُ عَلَى الْعُلَا
 وَلَقِيْتُ أَضْيَاقِيْ بِوَجْهِ عُبُوسٍ (١)
 إِنْ لَمْ أَشْنُ عَلَى ابْنِ حَرْبٍ غَارَةً
 لَمْ تَخْلُْ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نَفُوسٍ (٢)
 خَيْلًا كَأَمْثَالِ السَّعَالَى شُرْبًا
 تَعْدُوْ بَيِضٍ فِي الْكَرْبِيَّةِ شُوسٍ (٣)
 حَمِيَّ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ
 لَمَعَانُ بَرْقٍ أَوْ شُعَاعُ شَمُوسٍ (٤)

= على ارسول الله صلى الله عليه وسلم . كتب له على بولاية مصر ، فخرج يريد بها ، وبلغ ذلك معاوية ، فعظم عليه الأمر ، فبعث إلى المقدم على الحراج بالقلزم بعده وبمعيته إن كفاه شرمالك فلما انتهى الأشتر إلى القلزم استقبله ذلك الرجل ، وعرض عليه النزول عنده فنزل فأتاه بطعام فأكل ، ثم جاءه بعسل وضع فيه سما فشربه فمات ، وذلك سنة ثلاث وثلاثين للهجرة ، فقال معاوية لما بلغه ذلك : إن لله جنوداً منها العسل .

(١) في الأصل «حلفت وفدى» موضع «بقيت وفري» والوفر المال ، يقول : بقيت مالى ، ولم أنفقه فيما يكسبني الذكر الجميل .

(٢) يدعوى على نفسه بما يكسبه السوء إن لم يشن أى يفرق الغارة على ابن حرب يعنى معاوية بن أبى سفيان .

(٣) في الأصل «شرما» موضع «شربا» والتصويب عن الحماسة ٤٩/١ والسعالى الغيلان ، وقيل هى بنات الغيلان ، والشرب الضمر . والبيض من البياض كناية عن الكرم ونقاء العرض ، والشوس جمع أشوس ، وهو الغضبان أو المتكبر ، ونصب «خيلا» على أنه بدل من غارة فى البيت قبله .

(٤) فى ديوان الحماسة (١/ ٤٩) - «مضان برق» موضع «لمعان برق»

ألا ترى أنه رقى في التشبيه من الأدنى إلى الأعلى فقال « لمعانُ برق أو شعاعُ شمس » لأن لمعان البرق دون شعاع الشمس ١٩

ومما وردَ من ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : « ما لهذا الكتابِ لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها » (١) فإن وجود المؤاخذة على الصغيرة يلزم منه وجود المؤاخذة على الكبيرة .

وعلى القياس المشار إليه أولاً فينبغي أن يكون لا يغادر كبيرةً ولا صغيرةً لأنه إذا لم يغادر صغيرةً ، فمن الأولى ألا يغادر كبيرةً .

ومما إذا لم يغادر كبيرةً ، فإنه يجوز أن يغادر صغيرةً ، لأنه إذا لم يعفُ عن الصغيرة فيقضى القياسُ أنه لا يعفُوا عن الكبيرة ، وإذا لم يعفُ عن الكبيرة فيجوز أن يعفُوا عن الصغيرة .

غير أن القرآن الكريم أحقُّ أن يتبع ، وأجدر بأن يقاس عليه لا على غيره والذي ورد فيه من هذه الآية ناقض لما تقدم ذكره .

وكذلك ورد قوله تعالى : (فَلَا تَقُلْ لَهَا أَفٌ وَلَا تَنْهَرْهَا) (٢) لأن التأنيف أدنى درجة .

وقد تقدم قولِي في أول هذا النوع أنه إذا جاءت صفتان يلزم من وجود إحداهما وجود الأخرى أن يكتفى بذكرها دون الأخرى لأن الأخرى تجب ضمناً وتبعاً ، وأن يبدأ بها في الذكر ، ثم تجب الأخرى بعدها ، وعلى هذا فيقال : أولاً : فلا تنهرهما ولا تقل لهما أفٌ ، لكن إذا لم يقل لهما (أفٌ) امتنع أن ينهرهما .

(١) سورة الكهف : الآية ٤٩

(٢) سورة الإسراء : الآية ٢٣

وقد كان هذا هو المذهب عندي ، حتى وجدت كتاب الله تعالى قد وردَ بخلافه .
وحينئذٍ عدتُ عما كنتُ أراهُ وأقول به .

* * *

وأما الصفات المتعددة الواردة على شيء واحد فكنقول أبي عبادة البحرى في وصف تحول الرّكاب^(١) :

يَتَرَقَرَقْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضْنَ غَمَاراً مِنَ السَّرَابِ الْجَارِ
كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بَلَّ الْأَسْهُمُ مَبْرِيَةً بَلَّ الْأَوْتَارِ
الآتَرَى أَنَّهُ رَقِيَ فِي تَشْبِيهِ نُحُولِهَا مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى ، فَشَبَّهَا أَوَّلًا
بِالْقِسِيِّ ، ثُمَّ بِالْأَسْهُمِ الْمَبْرِيَّةِ ، وَتِلْكَ أُبْلَغُ فِي النُّحُولِ ، ثُمَّ بِالْأَوْتَارِ ، وَهِيَ أُبْلَغُ
فِي النُّحُولِ مِنَ الْأَسْهُمِ .

وكذلك ينبغي أن يكون الاستعمالُ في مثل هذا الباب .

وقد أغفل كثيرٌ من الشعراء ذلك فن جماتهم أبو الطيّب المتنبي في قوله^(٢) :

يَا بَدْرُ يَا بَحْرُ يَا غَمَامَةً يَا لَيْتَ الشَّرَى يَا حِمَامُ يَا رَجُلُ
وَيَنْبَغِي أَنْ يَبْدَأَ فِيهِ بِالْأَدْنَى فَالْأَدْنَى ، فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ كَالْمُرْتَفِعِ

(١) ديوان البحرى ٢ / ٣٠ من قصيدة له في مدح أبي جعفر بن حميد ، ومطلعها :

أُبْكَاءُ فِي الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ وَسَلَوَا بِزَيْنَبٍ عَنِ نَوَارِ
(٢) ديوان المتنبي ٣ / ٢١٥ من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار ، وقد فصّد لعلّة مطلعها :

أُبْعَدُ نَأَى الْمَلِيحَةِ الْبِخْلِ فِي الْبَعْدِ مَا لَا تَكْلِفُ الْإِبِلُ

من محلٍّ إلى محلٍّ أعلى منه ، وإذا خالفه كان كالمخفض من محلٍّ إلى محلٍّ أدنى منه .

فأما قوله (يا بدر) فإنه اسم المدوح ، والابتداء به أولى ، ثم بعده فيجب أن يقول : يارجل ، ياليت ، ياغامة ، يا بحر ، يا حام ، لأن الليث أعظم من الرجل . والبحر أعظم من الغامة ، والحمام أعظم من البحر ، وهذا مقام مدح ، فيجب أن يرقى فيه من منزلة إلى منزلة ، حتى ينتهي إلى المنزلة العليا آخرًا ، ولو كان مقام ذم لعكس القضية .

وعلى مثله ورد قول أبي تمام يفتخر^(١) :
سَمَاءِي أَوْسٌ فِي الْفَخَارِ وَحَاسِمٌ وَزَيْدُ الْقَنَا وَالْأَثْرَمَانِ وَرَافِعٌ^(٢)
نَجُومٌ طَوَالِيعُ جِبَالٍ فَوَارِعٌ غُيُوثٌ هَوَامِيعٌ سُبُولٌ دَوَافِعٌ^(٣)
فإن السُّبُولَ دُونَ الْغُيُوثِ ، وَالْجِبَالَ دُونَ النَّجُومِ ، وَلَوْ قَدَّمَ مَا آخَرَ لَمَا اخْتَلَّ النِّظْمُ بَأَن قَال :

سُبُولٌ دَوَافِعٌ غُيُوثٌ هَوَامِيعٌ جِبَالٌ فَوَارِعٌ نَجُومٌ طَوَالِيعٌ^(٤)
وهذا عندي أشدُّ ملامةً من المتنبي ، لأن المتنبي لا يمكنه تقديم ألفاظ بيته

(١) ديوان أبي تمام ٤٧٩ من قصيدة له يصف فيها قومه ، ويفتخر بهم ، ومطلعها :

أَلَا صَنَعَ الْبَيْنَ الَّذِي هُوَ صَانِعٌ فَإِنْ تَكْ مَجْزَاعًا فَمَا الْبَيْنَ جَازِعٌ
(٢) بين هذا البيت والبيت الذي يليه :

وكان إِيَّاسٌ مَا إِيَّاسٌ وَعَارِفٌ وَحَارِثَةُ أَوْ فِي الْوَرَى وَالْأَصَابِعُ
(٣) رواية الديوان « طواليع » موضع « طوالع » و « هواميع » موضع « هوامع » .

(٤) هذا على رواية ابن الأثير ، أما على رواية الديوان فإن النظم يختل بالتقديم والتأخير على النحو الذي افترضه ابن الأثير .

وتأخيرها ، وأبو تمام متمكّن من ذلك ، وما أعلم كيف ذهب عليه هذا الموضع مع معرفته بالمعاني !!

النوع التاسع

في التقديم والتأخير

وهذا بابٌ طويل عريض ، يشتمل على أسرارٍ دقيقة ، منها ما استخرجته أنا ، ومنها ما وجدته في أقوال علماء البيان ، وسأورد ذلك مبدئياً . وهو ضربان :

الأول : يختصُّ بدلالة الألفاظ على المعاني ، ولو أُخِّرَ المقدم أو قدّم المؤخر لتغير المعنى .

والثاني : يختصُّ بدرجة التقديم في الذكر ؛ لاختصاصه بما يوجب له ذلك ، ولو أُخِّرَ لما تغيّر المعنى .

فأما الضرب الأول فإنه ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : يكون التقديم فيه هو الأبلغ .

والآخر : يكون التأخير فيه هو الأبلغ .

فأما القسم الذي يكون التقديم فيه هو الأبلغ فمكتنّيم المفعول على الفعل ، وتقديم الخبر على المبتدأ ، وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل .

فمن ذلك تقديم المفعول على الفعل كقولك : زيداً ضربتُ ، وضربتُ زيداً ، فإن في قولك « زيداً ضربتُ » تخصيصاً له بالضرب دون غيره ، وذلك بخلاف قولك : « ضربتُ زيداً » لأنك إذا قدّمتَ الفعل كنتَ

بالخيار في إيقاعه على أى مفعولٍ شئت ، بأن تقول : ضربتُ خالدًا ، أو بكرًا
أو غيرها ، وإذا أخرته كَرِمَ الاختصاصُ للمفعول .

وكذلك تقديمُ خبر المبتدأ عليه ، كقولك : « زيد قائم » ، و « قائم
زيد » فقولك « قائم زيد » قد أثبت له القيامَ دونَ غيره ، وقولك « زيد
قائم » أنت بالخيار في إثبات القيام له ، ونفيه عنه ، بأن تقول : ضاربٌ ،
أو جالسٌ ، أو غير ذلك .

وهكذا يجرى الحكم في تقديم الظرف ، كقولك : إنَّ إلىَّ مصير هذا
الأمر ، وقولك : إنَّ مصيرَ هذا الأمر إلىَّ ، فإنَّ تقديمَ الظرف دلَّ على أن
مصير الأمر ليس إلا إليكَ ، وذلك بخلاف قولك : إنَّ مصيرَ هذا الأمر إلىَّ ،
إذ يحتملُ إيقاعَ الكلام بعد الظرف على غيرك ، فيقال : إلى زيد ، أو عمرو ،
أو غيرها .

وكذلك يجرى الأمرُ في الحال والاستثناء .

وقال علماء البيان ، ومنهم الزَّخَشَرِيُّ — رحمه الله — : إنَّ تقديمَ هذه
الصُّورة المذكورة إنما هو للاختصاص ، وليس كذلك .

والذى عندي فيه أنه يُستعمل على وجهين :

أحدهما : الاختصاصُ .

والآخر : مراعاةَ نظمِ الكلام ؛ وذلك أن يكونَ نظمه لا يُحسن إلا
بالتقديم ، وإذا أُخِرَ المقدم ذهبَ ذلك الحسنُ ، وهذا الوجه أبلغُ وأؤكدُ
من الاختصاص .

فأما الأوَّل — الذى هو الاختصاصُ — فنحو قوله تعالى : (قلْ أَفَغَيْرَ
اللهِ تَأْمُرُونِى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ

لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ
وَكَُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ^(١) .

فإنه إنما قال : « بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ » ولم يقل : بَلِ اعْبُدِ اللَّهَ ، لأنه إذا تقدم
وجب اختصاصُ العبادة به دون غيره ، ولو قال : بَلِ اعْبُدْ لِحَاجَةِ إِبْقَاعِ الْفِعْلِ عَلَى
أَيِّ مَفْعُولٍ شَاءَ .

وأما الوجهُ الثاني — الذى يختصُّ بنظم الكلام — فنحو قوله تعالى :
(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) .

وقد ذكر الزمخشريُّ فى تفسيره أنَّ التقديم فى هذا الموضع قصد به
الاختصاص ، وليس كذلك ، فإنه لم يقدِّم المفعولَ فيه على الفعل للاختصاص ،
وإنما قدِّم لمكان نظم الكلام ، لأنه لو قال : نَعْبُدُكَ وَنَسْتَعِينُكَ ، لم يكنْ له
من الحسن ما لقوله « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » ألا ترى أنه تقدَّم قوله
تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) فجاء
بعد ذلك قوله « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » ، وذلك لمرعاةِ حُسْنِ النَّظْمِ السَّجْعِيِّ
الذى هو على حَرَفِ النون ، ولو قال : نَعْبُدُكَ وَنَسْتَعِينُكَ لذهبت تلك الطلاوة ،
وزال ذلك الحُسْنُ .

وهذا غير خافٍ على أحدٍ من الناس ، فضلاً عن أرباب علم البيان .
وعلى نحوٍ منه وردَّ قوله تعالى : (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا
لَا تَخَفْ إِنَّا أَنْتَ الْأَعْلَى ^(٢)) وتقدير الكلام : فَأَوْجَسَ مُوسَى فى نَفْسِهِ خِيفَةً ،
وإنما قدِّم المفعولَ على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وبحرف الجر
قصداً لتحسين النظم .

(١) سورة الزمر . الآيات ٦٤ و٦٥ و٦٦

(٢) سورة طه : الآيتان ٦٧ و٦٨

وعلى هذا فليس كلُّ تقديم لما مكانه التأخير من باب الاختصاص ، فبطل
إذا ما ذهب إليه الزمخشري وغيره .

ومما وردَ من هذا البابِ قوله تعالى : (خُذُوهُ فَعُْلُوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمِ
صَلُّوهُ ^(١)) فإنَّ تقديم الجحيم على التَّصلية ، وإنَّ كانَ فيه تقديمُ المفعول على
الفعل ، إلَّا أنه لم يكنْ هاهنا للاختصاص ، وإنما هو للفضيلة السَّجَّعية ، ولا
مِراءَ في أنَّ هذا النظم على هذه الصُّورة أحسنُّ من أنْ لو قيل : خُذُوهُ فَعُْلُوهُ ثُمَّ
صَلُّوهُ الجحيم .

فإن قيل : إنما قُدِّمَت الجحيم للاختصاص ، لأنها نارٌ عظيمة ، ولو أُخِّرَتْ
لجأزَّ وقوع الفعلِ على غيرها ، كما يقال : ضربتُ زيداً ، وزيداً ضربتُ ،
وقد تقدَّم الكلامُ على ذلك .

فالجوابُ عن ذلك : أن الدركَ الأسفلَ أعظمُ من الجحيم ، فكان ينبغي
أنْ يُخَصَّ بالذِّكرِ دونَ الجحيم ، على ما ذهب إليه ، لأنَّه أعظمُ .

وهذا لا يذهبُ إليه إلَّا من هو بَنَجَوَةٌ عن رُمُوزِ الفصاحةِ والبلاغةِ ،
ولفظة « الجحيم » ههنا في هذه الآية أولى بالاستعمالِ من غيرها ، لأنها جاءتْ
ملائمةً لنظم الكلام ، ألا ترى أنَّ من أسماء النارِ السَّعِيرُ ، وَلَظَى ، وَجَهَنَّمَ ؛
ولو وضعَ بعضُ هذه الأسماء مكانَ الجحيم لما كان له من الطَّلَاوةِ والحُسْنِ
ما للجحيم ، والمقصودُ بِذكر الجحيم إنما هو النار ، أي صَلُّوهُ النار ، وهكذا
يُقَالُ في (ثم في سِلْسِلَةِ ذَرْعِهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ) ^(٢) .

(١) سورة الحاقة : الآيتان ٣٠ و ٣١

(٢) سورة الحاقة : الآية ٣٢

فإنه لم يقدم السلسلة على السالك للاختصاص ؛ وإنما قدمت لمكان نظم الكلام .

ولا شك أن هذا النظم أحسن من أن لو قيل : ثم اسلكوه في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً ؛ والكلام على هذا كالكلام على الذى قبل .

وله في القرآن نظائر كثيرة ، ألا ترى إلى قوله تعالى : « وآية لهم الليلُ نسلخُ منه النهارَ فإذا هم مُظلمون * والشمسُ تجري لمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذلكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ » (١) .

فقوله « وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ » ليس تقديم المفعول فيه على الفعل من باب الاختصاص ، وإنما هو من باب مُراعاة نظم الكلام ، فإنه قال : « الليلُ نسلخُ منه النهارَ » ثم قال « والشمسُ تجري » فافتضى حسن النظم أن يقول « والقمر قدرناه » ليكون الجميع على نسقٍ واحدٍ في النظم ، ولو قال : وقدرنا القمر منازل لما كان بتلك الصورة في الحسن .

وعليه وردَ قوله تعالى : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ » (٢) .

وإنما قدّم المفعول لمكان حسن النظم السجعى .

وأما تقديم خبر المبتدأ عليه فقد تقدّمت صورته كقولك : « زيد قائم » « وقائم زيد » .

(١) سورة يس : الآيات ٣٧ و ٣٨ و ٣٩

(٢) سورة الضحى : الآيتان ٩ و ١٠

فِيمَا وَرَدَ مِنْهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتُهُمْ
حُصُونُهُمْ مِنْ اللَّهِ » (١) .

فَإِنَّهُ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ وَلَمْ يَقُلْ : وَظَنُّوا أَنَّ حُصُونَهُمْ تَمْنَعُهُمْ ، أَوْ مَا نَعْتُهُمْ ،
لأنَّ فِي تَقْدِيمِ الْخَبَرِ الَّذِي هُوَ « مَا نَعْتُهُمْ » عَلَى الْمَبْتَدَأِ الَّذِي هُوَ « حُصُونَهُمْ »
دَلِيلًا عَلَى فُرْطِ اعْتِقَادِهِمْ فِي حَصَانَتِهَا ، وَزِيَادَةِ وُثُوقِهِمْ بِمَنْعِهَا إِيَّاهُمْ .

وَفِي تَصْوِيبِ ضَمِيرِهِمْ إِسْمًا لِأَنَّ وَإِسْنَادَ الْجُمْلَةِ إِلَيْهِ دَلِيلٌ عَلَى تَقْرِيرِهِمْ
فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ فِي عِزَّةٍ وَامْتِنَاعٍ لَا يُبَالِي مَعَهَا بِقَصْدٍ قَاصِدٍ ، وَلَا تَعَرُّضٍ
مَتَعَرِّضٍ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي قَوْلِكَ : وَظَنُّوا أَنَّ حُصُونَهُمْ مَا نَعْتُهُمْ
مِنْ اللَّهِ .

وَمِنْ تَقْدِيمِ خَبَرِ الْمَبْتَدَأِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « قَالَ أَرَأَيْتُ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي
يَا إِبْرَاهِيمَ » (٢) .

فَإِنَّهُ إِنَّمَا قَدَّمَ خَبَرَ الْمَبْتَدَأِ عَلَيْهِ فِي قَوْلِكَ « أَرَأَيْتُ أَنتَ » وَلَمْ يَقُلْ :
أَأَنْتَ رَأَيْتُ ، لِأَنَّهُ كَانَ أَهَمُّ عِنْدَهُ ، وَهُوَ بِهِ شَدِيدُ الْعَنَاءِ (٣) .

وَفِي ذَلِكَ ضَرْبٌ مِنَ التَّعَجُّبِ وَالْإِنْكَارِ لِرَغْبَةِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ آلِهَتِهِ ،

(١) سُورَةُ الْحَشْرِ : الْآيَةُ ٢

(٢) سُورَةُ مَرْيَمَ . الْآيَةُ ٤٦

(٣) وَهَذَا كَذَا فِي «مَدَارِكِ التَّنْزِيلِ» ، وَحَقَائِقِ التَّأْوِيلِ « لِلنَّسْفِيِّ (٢٩/٣) »

قَالَ : لِإِنَّهُ قَدَّمَ الْخَبَرَ عَلَى الْمَبْتَدَأِ ، لِأَنَّهُ كَانَ أَهَمُّ عِنْدَهُ .

وَرَأَى جَمْهُورُ النُّحَاةِ أَنَّ «أَنْتَ» فَاعِلٌ لِلْمَبْتَدَأِ «رَأَيْتُ» الْمَعْتَمِدِ

عَلَى اسْتِفْهَامٍ ، وَلَيْسَ مَبْتَدَأٌ مُؤَخَّرًا كَمَا ذَكَرَ ، وَذَلِكَ لِلْفَصْلِ بَيْنِ «رَأَيْتُ»

وَالْمَعْمُولِ «عَنْ آلِهَتِي» بِأَجْنَبِيٍّ وَهُوَ «أَنْتَ» وَانْظُرْ حَاشِيَةَ الصَّبَّاحِ عَلَى شَرْحِ

الْأَشْمُونِيِّ ٨/٢

وَأَنَّ أَلَمَّتَهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْغَبَ عَنْهَا ، وَهَذَا بِخِلَافِ مَا لَوْ قَالَ : أَأَنْتَ رَاغِبٌ
عَنْ أَلَمَّتِي ؟ .

وَمِنْ غَامِضِ هَذَا الْمَوْضِعِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا
هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا » (١) .

فَإِنَّهُ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَقُلْ : فَإِذَا أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا شَاخِصَةٌ لِأَمْرَيْنِ :
أَحَدُهُمَا : تَخْصِصُ الْأَبْصَارِ بِالشَّخْصِ دُونَ غَيْرِهَا ، أَمَّا الْأَوَّلُ فَلَوْ قَالَ :
فَإِذَا أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا شَاخِصَةٌ لِحَازٍ أَنْ يَضَعَ مَوْضِعَ « شَاخِصَةٌ » غَيْرَهُ ،
فَيَقُولُ ، « حَاطَّةٌ » أَوْ « مَطْمُوسَةٌ » أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا قَدِمَ الضَّمِيرُ اخْتَصَّ
الشَّخْصُ بِالْأَبْصَارِ دُونَ غَيْرِهَا .

وَأَمَّا الثَّانِي فَإِنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَنْ الشَّخْصَ خَاصًّا بِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ دَلَّ عَلَيْهِ
بِتَقْدِيمِ الضَّمِيرِ أَوَّلًا ، ثُمَّ بِصَاحِبِهِ ثَانِيًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : فَإِذَا هُمْ شَاخِصُونَ دُونَ
غَيْرِهِمْ ، وَلَوْ لَا أَنَّهُ أَرَادَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْمَشَارَ إِلَيْهِمَا لَقَالَ : فَإِذَا أَبْصَارُ الَّذِينَ
كَفَرُوا شَاخِصَةٌ ، لِأَنَّهُ أَخْصَرَ بِحَذْفِ الضَّمِيرِ مِنَ الْكَلَامِ .

وَمِنْ هَذَا النُّوعِ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ سَتَلَ عَنْ مَاءِ الْبَحْرِ ،
فَقَالَ : « هُوَ الطَّهُورُ مَأْوُهُ ، الْحِلُّ مَيَّتَتُهُ » وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ : هُوَ الَّذِي
مَأْوُهُ طَهُورٌ ، وَمَيَّتَتُهُ حِلٌّ ، لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ هَاهُنَا بِمَعْنَى الَّذِي .

وَأَمَّا تَقْدِيمُ الظَّرْفِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مَقْصُودًا بِهِ الْإِثْبَاتُ فَإِنَّ
تَقْدِيمَهُ أَوْلَى مِنْ تَأْخِيرِهِ ، وَفَائِدَتُهُ إِسْنَادُ الْكَلَامِ الْوَاقِعِ بِهِدَهُ إِلَى صَاحِبِ
الظَّرْفِ دُونَ غَيْرِهِ .

فإذا أريد بالكلام النفي فيحسن فيه تقديم الظرف وتأخيرهُ ، وكلا هذين الأمرين له موضع يختص به .

فأما تقديمه في النفي فإنه يقصد به تفضيل المنفى عنه على غيره ، وأما تأخيره فإنه يقصد به النفي أصلاً من غير تفضيل .

فأما الأول — وهو تقديم الظرف في الإثبات — فكمثولك في الصورة المقدمة : **إِنَّ إِلَىٰ مَصِيرِ هَذَا الْأَمْرِ ، وَلَوْ أَخَّرْتَ الظَّرْفَ ، قُلْتَ : إِنْ مَصِيرِ هَذَا الْأَمْرِ إِلَىٰ ، لَمْ يَعْطِ مِنَ الْمَعْنَى مَا أَعْطَاهُ الْأَوَّلُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَوَّلَ دَلَّ عَلَى أَنَّ مَصِيرَ الْأَمْرِ لَيْسَ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَذَلِكَ بِخِلَافِ الثَّانِي إِذْ يَحْتَمِلُ أَنْ تَوَقَّعَ الْكَلَامَ بَعْدَ الظَّرْفِ عَلَى غَيْرِكَ ، فَيَقَالُ : إِلَىٰ زَيْدٍ ، أَوْ عَمْرٍو ، أَوْ غَيْرِهِمَا .**

وعلى نحو منه جاء قوله تعالى : **« إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ »** (١) .

وكذا جاء قوله تعالى : **« يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ »** (٢) .

فإنه إنما قدَّم الظرفين هاهنا في قوله **« لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ »** ليدلَّ بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله لا بغيره .

وقد استعمل تقديم الظرف في القرآن كثيراً كقوله تعالى : **(وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)** (٣) أى تنظر إلى ربها دون غيره ، فتقديم

(١) سورة الغاشية : الآيتان ٢٥ و ٢٦

(٢) سورة التغابن : الآية ١

(٣) سورة القيامة : الآيتان ٢٣ و ٢٤

الظرف هاهنا ليس للاختصاص^(١) ، وإنما هو كالذى أشرتُ إليه في تقديم المفعول ، وأنه لم يقدّم للاختصاص ، وإنما قدّم من أجل نظم الكلام ، لأنّ قوله تعالى :

« وجوه يومئذٍ ناضرة ، إلى ربها ناظرة » أحسن من أن لو قيل : وجوه يومئذٍ ناضرة ناظرة إلى ربها ، والفرق بين النظمين ظاهر .

وكذا قوله تعالى : (وَالتَّغَى السَّاقُ السَّاقُ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)^(٢) فإنّ هذا روعى فيه حسن النظم ، لا الاختصاص في تقديم الظرف .

وفي القرآن مواضع كثيرة من هذا القبيل يقيسها غيرُ العارف بأسرار الفصاحة على مواضع أخرى وردت للاختصاص ، ولبست كذلك .
فمنها قوله تعالى : (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ)^(٣) .

وقوله تعالى : (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ)^(٤) . و « لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ »^(٥) . و (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)^(٦) .

فإنّ هذه جميعها لم تقدم الظروف فيها للاختصاص ، وإنما قدمت لمراعاة الحسن في نظم الكلام ، فاعرف ذلك .

(١) ناقض المؤلف نفسه بقوله إن تقديم الظرف هاهنا ليس للاختصاص بعد تفسيره الآية بقوله « تنظر إلى ربها دون غيره »

(٢) سورة القيامة : الآيتان ٢٩ و ٣٠

(٣) سورة القيامة : الآية ١١

(٤) سورة الشورى : الآية ٥٣

(٥) سورة القصص : الآية ٨٨

(٦) سورة هود : الآية ٨٨

وأما الثانى — وهو تأخير الظرف وتقديمه فى النفي — فنحو قوله تعالى :
 (الْمَ . ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) ^(١) وقوله تعالى : (لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ
 عَنْهَا يَنْزِفُونَ) ^(٢) . فإنه إنما أحرّ الظرف فى الأوّل لأنّ القصد فى إيلاء حرفِ
 النفي الرّيب نفى الرّيب عنه ، وإثبات أنّه حقٌّ وصِدقٌ ، لا باطل وكذب ، كما
 كان المشركون يدّعونهُ ، ولو قدّم الظرف لقصد أن كتاباً آخر فيه الرّيب
 لا فيه ، كما قصد فى قوله تعالى : « لَا فِيهَا غَوْلٌ » فتأخير الظرف يقتضى النفي
 أصلاً من غير تفضيل ، وتقديمه يقتضى تفضيل المتنّى عنه ، وهو خرّ الجنة على
 غيرها من سُحُور الدنيا ، أى ليس فيها مافى غيرها من العوّل . وهذا مثل قولنا :
 لا عيبَ فى الدار ، وقولنا : لا فيها عيبٌ ، فالأوّل نفى العيب عن الدار قطعاً ،
 والثانى تفضيلُ لها على غيرها ، أى ليس فيها مافى غيرها من العيب ، فأعرف
 ذلك فإنه من دقائق هذا الباب .

وأما تقديم الحال فكقولك : « جاء راكباً زيدٌ » ، وهذا بخلاف
 قولك : « جاء زيد راكباً » ، إذ يَحْتَمِلُ أن يكونَ ضاحكاً ، أو ماشياً ،
 أو غير ذلك .

وأما الاستثناء فجاء هذا الجرى ، نحو قولك : « ما قام إلاّ زيداً أحدٌ » ،
 أو « ما قام أحدٌ إلاّ زيداً » ، والكلامُ على ذلك كالكلام على ما سبق .

المعاظلة المعنوية :

وأما القسم الثانى فهو أن يقدّم ما الأوّل به التأخير ، لأنّ المعنى يَحْتَمِلُ
 بذلك ويضطرب ، وهذا هو (المعاظلة المعنوية) وقد قدّمنا القول فى المقالة

(١) سورة البقرة : الآيتان ١ و ٢

(٢) سورة الصافات : الآية ٤٧

الأولى المختصة بالصناعة اللفظية بأن المعاطلة تنقسم قسمين : أحدهما لفظي ،
والآخر معنوي .

أما اللفظي فذكرناه في بابهِ ^(١) .

وأما المعنوي فهذا بابُهُ وموضعُهُ ، وهو كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على
الموصوف ، وتقديم الصلة على الموصول ، وغير ذلك مما يرد بيانه .

فمن هذا القسم قول بعضهم :

فَقَدْ وَالشَّكُّ بَيْنَ لِي عَنَاءٍ بَوْشَكَ فِرَاقِهِمْ صُرْدٌ يَصِيحُ ^(٢)

فإنه قدّم قوله « بوشك فراقهم » وهو معمول « يصيح » و « يصيح »
صفة لصرّد على « صرد » ، وذلك قبيح .

ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال : هذا من موضع كذا رجلٌ وردَ اليوم ،
وإنما يجوز وقوع المعلوم بحيثُ يجوز وقوع العامل ! فكلا لا يجوز تقديم
الصفة على موصوفها فكذلك لا يجوز تقديم ما اتصل بها على موصوفها .

ومن هذا النحو قول الآخر :

فَأَصْبَحْتُ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا كَأَنَّ قَفْرًا رُسُومَهَا قَلَمًا

فإنه قدّم خبر كأن عليها ، وهو قوله (خطّ) .

وهذا وأمثاله مما لا يجوز قياسٌ عليه ، والأصلُ في هذا البيت : فَأَصْبَحْتُ

(١) انظر (النوع السابع - في المعاطلة اللفظية) وقد سبق في صفحة ٣٩٦

وما بعدها من انقسم الأول من هذا الكتاب .

(٢) الصرد - بضم الصاد وفتح الراء - طائر ضخيم الرأس يصيد

العصافير

بعد بهجتها قفراً ، كأنَّ قلماً خطَّ رسومَهَا ، إلا أنه على تلك الحالة الأولى في الشعر
مختلٌّ مضطرب .

والمعاظلة في هذا الباب تتفاوت درجتها في القبح ، وهذا البيت المشار
إليه من أقبحها ، لأنَّ معانيه قد تداخلت ، وركب بعضها بعضاً .

ومما تجرّى هذا المجرى قولُ الفرزدق :

إلى مَلِكٍ ما أمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أبوه ولا كانت كَلِيبٌ تُصَاهِرُهُ^(١)

وهو يريد إلى ملكٍ أبوه ما أمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ وهذا أقبحُ من الأوّل ،
وأكثرُ اختلالاً .

وكذلك جاء قوله أيضاً :

ولَيْسَتْ خُرَاسَانُ التي كانَ خَالِدٌ بها أَسَدٌ إِذْ كانَ سَيْفًا أَمِيرَهَا

وحديثُ هذا البيت ظريف ، وذلك أنَّه فيما ذكر يمدحُ خالدَ بنَ عبد الله
القَسْرِيّ ؛ ويهجو أَسَدًا^(٢) ، وكان أَسَدٌ وليها بعدَ خالدٍ ؛ وكأنه قال : وليست
خُرَاسَانُ بالبلدِ التي كان خالدٌ بها سَيْفًا إِذْ كانَ أَسَدٌ أَمِيرَهَا .

وعلى هذا التقدير ففي (كان) الثانية ضميرُ الشأنِ والحديث ، والجملةُ
بعدها خبرٌ عنها ، وقُدِّمَ بعضُ ما (إِذْ) مضافةٌ إليه ، وهو (أَسَدٌ) عليها وفي
تقديم المضافِ إليه أو شيءٌ منه على المضافِ من القبحِ ما لا يخفاء به .

(١) ديوان الفرزدق ٣١٢/١ من قصيدة له في مدح الوليد بن عبد الملك

بن مروان ، ومطلعها :

كَمْ مِنْ منادٍ والشريفانِ دونه إلى الله تشكّى والوليدُ مفارقة

ورواية الديوان « أبوها » موضع « أبوه »

(٢) هو أَسَدُ بن عبد الله القسري .

وأيضاً فإنَّ أسدَّ أحدُ جزأى الجملة المفسرة للضمير ، والضمير لا يكون تفسيره إلا من بعده ، ولو تقدّم تفسيره قبله لما احتاج إلى تفسير ، ولما سمّاه الكوفيون (الضمير المجهول) .

وعلى هذا النحو ورد قول الفرزدق أيضاً :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكَ أَبُو أُمِّهِ حَتَّى أَبُوهُ يُقَارِبُهُ (١)
ومعنى هذا البيت : وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مملّكاً
أبو أمه أبوه .

وعلى هذا المثال المصوغ في الشعر قد جاء مشوهاً كما تراه .

وقد استعمل الفرزدق من التعاضل كثيراً ، كأنه كان يقصد ذلك ويتعمده ، لأن مثله لا يجيئ إلا متكلفاً مقصوداً .

وإلا فإذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجرّى على سجيّتها وطبعها في الاسترسال لم يعرض له شيء من هذا التعقيد ، ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم في هذا الضرب المشار إليه ، إذ المقصود من الكلام إنما هو الإيضاح والإبانة وإفهام المعنى ، فإذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به .

(١) ديوان الفرزدق ١٠٨ / ١ وقال جامع الديوان إن هذا البيت لم يرد في أصوله ، ولكنه ورد في عدة مراجع موثوق بها شاهداً للتعقيد المعنوي ، وقد قالوا فيه أنه من قصيدة له من الطويل يمدح بها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزومي خال هشام بن عبد الملك ، ولكنني لم أجده في قصيدة ما ، فلعلها ضاعت ، أولعل البيت أهمل من بين أبيات القصيدة على فرض وجودها ، على أن رواية الديوان لم يذكرها قصيدة بائنة نصوا على أنه مدح بها إبراهيم بن هشام هذا — انظر شرح ديوان الفرزدق — مطبعة الصاوي — القاهرة ١٩٣٦ م .

ولا فرقَ عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسيَّة والروميَّة وغيرهما .

واعلم أنَّ هذا الضربَ من الكلام هو ضدُّ الفصاحة ، لأنَّ الفصاحة هي الظهور والبيان ، وهذا عارٍ عن هذا الوصف .

وأما الضرب الثاني ^(١) الذي يختصُّ بدرجة التقدُّم في الذِّكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك فإنه ما لا يحصرُه حدٌّ ، ولا ينتهي إليه شرح ، وقد أشرنا إلى نبذةٍ منه في هذا الكتاب ، ليستدلَّ بها على أشباهها ونظائرها .

فمن ذلك تقديم السَّبَبِ على المسبَّب ، كقوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فإنه إنما قدِّم العبادَةَ على الاستعانة لأنَّ تقديم القُرْبَةِ والوسيلة قبل طلب الحاجة أنجحُ لحصولِ الطَّلَب ، وأسرعُ لوقوع الإجابة ، ولو قال : إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، وإِيَّاكَ نَعْبُدُ ، لكان جائزاً ، إلَّا أنه لا يسدُّ ذلك المسدَّ ، ولا يقعُ ذلك الموقع .

وهذا لا يخفى على المنصف من أرباب هذه الصَّناعة .

وعلى نحو منه جاء قوله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً لِنُخْضِيَ بِهِ بَلَدَةً مَّيْنًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآمِيَّ كَثِيراً) ^(٢) .

(١) سبق للمؤلف في هذا الفصل أن جعل التقديم والتأخير ضربين . الأول يختصُّ بدلالة الألفاظ على المعاني ولو أخرج المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى ، والثاني يختصُّ بدرجة التقدُّم في الذكر ، لاختصاصه بما يوجب له ذلك ، ولو أخرلما تغير المعنى .

(٢) سورة الفرقان : الآيتان ٤٨ و ٤٩

فقدّم حياة الأرض وإسقاء الأنعام على إسقاء الناس ، وإن كانوا أشرف محلاً لأنّ حياة الأرض هي سببُ حياة الأنعام والناس ، فلمّا كانت بهذه المثابة جملةً مُقدّمة في الذكر ، ولمّا كانت الأنعام من أسباب التّعيش والحياة للناس قدّمها في الذكر على الناس ، لأنّ حياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم ، فقدّم سقى ما هو سببُ نمائهم ومعايشهم على سقيهم .

ومن هذا الضّربِ تقديم الأكل على الأقل ، كقوله تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) (١) .

وإنّما قدّم الظالم لنفسه للإبذان بكثرتّه ، وأنّ معظم الخلق عليه ، ثم أتى بعده بالمقتصدين ، لأنّهم قليلٌ بالإضافة إليه ، ثم أتى بالسابقين ، وهم أقلّ من القليل — أغنى من المقتصدين — قدّم الأكل ، وبعده الأوسط ، ثم ذكر الأقلّ آخرّاً .

ولو عكست القضية لكان المعنى أيضاً واقعاً في موقعه ، لأنّه يكون قد رُوِيَ فيه تقديمُ الأفضل فالأفضل .

ولنوضّح لك في هذا وأمثاله طريقاً تَقْتَفِيهِ ، فنقول :

اعلم أنّه إذا كان الشّيئان كلّ واحدٍ منهما مختصّاً بصفةٍ فانت بالخيار في تقديم أيّهما شئت في الذكر ، كهذه الآية ، فإنّ السابق بالخيرات مختصّ بصفة الفضل ، والظالم لنفسه مختصّ بصفة الكثرة ، فقس على هذا ما يأتيك من أشباهه وأمثاله .

ومن هذا الجنس قوله تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ

يَمْشَى عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشَى عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشَى عَلَى أَرْبَعٍ ^(١) .
 فإنه إنما قدّم الماشي على بطنه ، لأنه أدلّ على القدرة من الماشي على رجلين
 إذْ هُوَ ماشٍ بغير الآلة المخلوقة للمشى ، ثم ذكر الماشي على رجلين ، وقدمه
 على الماشي على أربع ، لأنه أدلّ على القدرة أيضاً حيث كثرت آلات المشي
 في الأربع .

وهذا من باب تقديم الأعجب فالأعجب .

فإن قيل : قد ورد في القرآن الكريم في مواضع منه ما يخالف هذا الذي
 ذكرته كقوله تعالى في سورة هود : (وما نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدودٍ * يومَ
 يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِأُذُنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا
 ففِي النَّارِ ^(٢)) ثم قال : (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ ^(٣)) فقدّم أهل
 النار في الذّكر على أهل الجنة ، وهذا مخالف للأصل الذي أصلته في هذا
 الموضع . !

فالجواب عن ذلك : أن هذا الذي أشرت إليه في سورة هود وما أشبهه
 له أسرار تحتاج إلى فضل تأمل ، وإمعان نظر ، حتّى تفهم .

أمّا هذا الموضع فإنه لما كان الكلام مسوّفاً في ذكر التخويف والتحذير
 وجاء على عقب قصص الأولين ، وما فعل الله بهم من التعذيب والتدمير ، كان
 الأليق أن يوصل الكلام بما يناسبه في المعنى ، وهو ذكر أهل النار ، فمن
 أجل ذلك قدّموا في الذّكر على أهل الجنة .

(١) سورة النور : الآية ٤٥

(٢) سورة هود : الآيات ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦

(٣) سورة هود : الآية ١٠٨

وإذا رأيتَ في القرآن شيئاً من هذا القليل وما يجزى مجراه فتأمله ، وأمعن
نظرك فيه ، حتى يتبين لك مكانُ الصواب منه .

واعلم أنه إذا كان مطلعُ الكلام في معنى من المعاني ، ثم يجيء
بعده ذكر شيئين أحدهما أفضلُ من الآخر ، وكان المعنى المفضول مناسباً
لمطلع الكلام ، فانت بالخيار في تقديم أيهما شئت ، لأنك إن قدمت
الأفضل فهو في موضعه من التقديم ، وإن قدمت المفضول فلأن مطلع
الكلام يناسبه .

وذكر الشيء مع ما يناسبه أيضاً وارداً في موضعه ، فمن ذلك قوله تعالى :
(وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَّ بِهَا وَإِن تَصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ * لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
يَهْبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهْبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يَزَوْجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاءً
وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)^(١) .

فإنه إنما قدّم الإناء على الذكور مع تقدّمهم عليهن ، لأنه ذكر البلاء
في آخر الآية الأولى ، وكفران الإنسان بنسيانه للرحمة السابقة عنده ، ثم عقب
ذلك بذكره ملكه ومشيتته ، وذكر قسمة الأولاد ، فقدّم الإناء ، لأن سياق
الكلام أنه فاعل ما يشاء ، لا ما يشاؤه الإنسان ، فكان ذكر الإناء اللاتي
هُنَّ من جملة ما لا يشاؤه الإنسان ولا يختاره أهم ، والأهم واجب التقديم ، وليلى
الجنس الذي كانت العربُ تعدّه بلاءً ذكر البلاء .

ولما أخرج ذكر الذكور ، وهم أحقّاء بالتقديم ، تدارك ذلك بتعريفه إبتاهم ،
لأن التعريف تنويه بالذكر ، كأنه قال : ويَهْبُ لِمَن يَشَاءُ الفرسان الأعلام

(١) سورة الشورى : الآيات ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ .

المذكورين الذين لا يَحْفَقُونَ عليكم ، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حَقَّةً من التقديم والتأخير ، وعرفَ أن تقديمَ الإنث لم يكن لتقدمهن ، ولكن لمقتَضِ آخر ، فقال : (ذكراناً وإنثاً) وهذه دَقَائِقُ لطيفة قلَّ من يتنبَّه لها ، أو يعثر على رُموزها .

ومن هذا الباب قوله تعالى : (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) ^(١) .

فإنه إنما قدَّم الأرضَ في الذِّكر على السماء ، ومن حقها التأخير ، لأنه لما ذكر شهادته على شئون أهل الأرض وأحوالهم ، ووصل ذلك بقوله : (وما يَعْزُبُ) لام بينهما ، ليلي المعنى المعنى .

فإن قيل : قدَّ جاء تقديمُ الأرض على السماء في الذِّكر في مواضع كثيرة من القرآن ! !

قلنا : إذا جاءت مقدِّمة في الذِّكر فلا بدَّ لتقدميها من سببٍ اقتضاه ، وإن خفيَ ذلك السبب ، وقد يستنبطه بعضُ العلماء دون بعضٍ !

النوع العاشر

في الحروف العاطفة والجارة

وهذا موضع لطيف المأخذ ، دقيق المغزى ، وما رأيتُ أحداً من علماء هذه الصنعة تعرَّضَ إليه ، ولا ذكره . وما أقولُ إنهم لم يعرفوه ، فإن هذا النوع من الكلام أشهر من أن يخفى ، لأنه مذكورٌ في كتبِ العربيَّة جميعها .

(١) سورة يونس : الآية ٦١

ولستُ أعني بإيراده هاهنا ما يذكره النحويون من أن الحروف العاطفة
تتبع [المعطوف] المعطوف عليه في الإعراب ، ولا أن الحروف الجارّة
تجرّ ما تدخل عليه . بل أمراً وراء ذلك ، وإن كان المرجح فيه إلى الأصل
النحويّ .

فأقول : إن أكثر الناس يضعون هذه الحروف في غير مواضعها ،
فيجعلون ما ينبغي أن يجرّ بعلى [مجروراً]^(١) بني ، وفي هذه الأشياء دقائق
أذكرها لك .

حروف العطف :

أما حروفُ العطفِ فنحو قوله تعالى : (والَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينُ *
وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ)^(٢) .

فالأول عطفه بالواو التي هي للجمع ، وتقديم الإطعام على الإسقاء ،
والإسقاء على الإطعام ، جائز ، لولا مراعاة حسن النظم ، ثم عطف الثاني بالفاء
لأن الشفاء يعقب المرضَ بلا زمانٍ خاليٍّ من أحدهما ، ثم عطف الثالث بثم ،
لأن الإحياء يكونُ بعدَ الموتِ بزمانٍ ، ولهذا جيء في عطفه بثم التي
هي للتراخي .

ولو قال قائل في موضع هذه الآية : الذي يطعمني ويسقيني ، ويمرضني
ويشفي ويُميتني ويحييني ، لكان للكلام معنى تامّ ، إلا أنه لا يكون كعنى
الآية ، إذ كلُّ شيءٍ منها قد عطف بما يناسبه ، ويقع موقع السداد منه .

ومما جاء من هذا الباب قوله تعالى (قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * من أَيِّ

(١) في الأصل « فيجعلون ما ينبغي أن يجر بعلى بني في حروف الجر »
وهي عبارة مختلطة لا تبين عن المراد .

(٢) سورة الشعراء : الآيات ٧٩ و ٨٠ و ٨١

ثُمَّ خَلَقَهُ * مِنْ نَظْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ *
ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (١) .

أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا قَالَ : (مِنْ نَظْفَةٍ خَلَقَهُ) كَيْفَ قَالَ (فَقَدَرَهُ) ، وَلَمْ يَقُلْ ثُمَّ
قَدَرَهُ ، لِأَنَّ التَّقْدِيرَ لَمَّا كَانَ تَابِعًا لِلْخَلْقَةِ وَمُلَازِمًا لَهَا عَطْفُهُ عَلَيْهَا بِالْفَاءِ ؟ وَذَلِكَ
بِخِلَافِ قَوْلِهِ (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) لِأَنَّ بَيْنَ خَلْقَتِهِ وَتَقْدِيرِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَبَيْنَ
إِخْرَاجِهِ مِنْهُ وَتَسْهِيلِ سَبِيلِهِ مُهْمَلَةٌ وَزَمَانًا ، فَلِذَلِكَ عَطْفُهُ بِثُمَّ .

وَعَلَى هَذَا جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ) لِأَنَّ
بَيْنَ إِخْرَاجِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وَبَيْنَ مَوْتِهِ تَرَاخِيًا وَفُسْحَةً ، وَكَذَلِكَ بَيْنَ مَوْتِهِ
وَنُشُورِهِ أَيْضًا ، وَلِذَلِكَ عَطْفُهُمَا بِثُمَّ ، وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ مَوْتِ الْإِنْسَانِ وَإِقْبَارِهِ
تَرَاخٍ وَلَا مُهْمَلَةٌ عَطْفُهُ بِالْفَاءِ .

وَهَذَا مَوْضِعٌ مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ شَرِيفٌ ، وَقَلَمًا يَتَفَتَّنُ لَاسْتِعْمَالِهِ كَمَا يَنْبَغِي .

وَمِمَّا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مَرْيَمَ وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ :
(حَمَلَتْهُ فَانْتَبَسَتْ بِهَ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاوَعَا الْحَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ
يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا) (٢) .

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ حَمْلَهَا بِهِ ، وَوَضْعُهَا إِيَّاهُ كَانَا مُتَقَارِبِينَ ، لِأَنَّهُ
عَطْفَ الْحَمْلِ وَالِانْتِبَازَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي مَضَتْ إِلَيْهِ ، وَالْحَاضُ الَّذِي هُوَ
الطَّلُقُ بِالْفَاءِ ، وَهِيَ لِلْفَوْرِ ، وَلَوْ كَانَتْ كَغَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ لِعُطِفَ بِثُمَّ الَّتِي
هِيَ لِلتَّرَاخِيِ وَالْمُهْمَلَةِ .

أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْآخِرَى (قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ

(١) سورة عبس : الآيات ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢

(٢) سورة مريم : الآيتان ٢٢ و ٢٣

شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره * ثم السبيل يسره) فلما كان بين تقديره في البطن ، وإخراجه منه مدة متراخية ، عطف ذلك بـ ثم ، وهذا بخلاف قصة مريم — عليها السلام — فإنها عطفت بالفاء . وقد اختلف الناس في مدة حملها فقيل إنه كان كحمل غيرها من النساء ، وقيل : لا ، بل كان مدة ثلاثة أيام ، وقيل : أقل ، وقيل : أكثر .

وهذه الآية مزيلة للخلاف ، لأنها دللت صريحاً على أن الحمل والوضع كانا متقاربين على الفور من غير مهلة ، وربما كان ذلك في يوم واحد أو أقل ، أخذاً بما دللت عليه الآية .

ومما ورد من هذا الأسلوب قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَاهَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ)^(١) .

ففي الآية المقدّم ذكرها قال : (من نطفة خلقه فقدره) فعطف التقدير على الخلق بالفاء ، لأنه تابع له ، ولم يذكر تفاصيل حال الخلق ، وفي هذه الآية ذكر تفاصيل حاله في تنقله ، فبدأ بالخلق الأول ، وهو خلق آدم من طين ، ولما عطف عليه الخلق الثاني — الذي هو خلق النسل — عطفه بـ ثم ، لما بينهما من التراخي ، وحيث صار إلى التقدير الذي يتبع بعضه بعضاً من غير تراخ عطفه بالفاء ، ولما انتهى إلى جعله ذكراً أو أنثى — وهو آخر الخلق عطفه بـ ثم .

فإن قيل : إنه قد عطف المضغة على العلق في هذه الآية بالفاء ؛ وفي

(١) سورة المؤمنون : الآيات ١٢ و ١٣ و ١٤

أخرى بهم ، وهى قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ ^(١)) .
فالجواب عن ذلك ^(٢) ..

* * *

واعلم أن فى حروف العطف موضعاً تلتبس فيه الفاء بالواو ، وهو موضع يحتاج فيه إلى فضل تأمل .

وذلك أن فعل المطاوعة لا يعطفُ عليه إلا بالفاء دون الواو ، وقد يجىء من الأفعال ما يلتبس بفعل المطاوعة ، ويعطى ظاهره أنه كذلك إلا أن معناه يكون مخالفاً لمعنى فعل المطاوعة ، فيعطف حينئذ بالواو ، لا بالفاء ، كقوله تعالى : (وَلَا تَطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ^(٣)) .

فقوله (أغفلنا قلبه) ههنا بمعنى صادفناه غافلاً ، وليس منقولاً عن (غفل) حتى يكون معناه صدّدناه ، لأنه لو كان كذلك لكان معطوفاً عليه بالفاء ، وقيل : فاتبع هواه ، وذلك أنه يكون مطاوعاً ، وفعل المطاوعة لا يعطف إلا بالفاء ، كقولك : أعطيتُهُ فأخذ ، ودعوته فأجاب ، ولا تقول : أعطيتُهُ وأخذ ؛ ولا دعوته وأجاب ، كما لا يقال : كسرتُهُ وانكسر ، وكذلك لو كان معنى (أغفلنا) فى الآية صدّدنا ومنعنا لكان معطوفاً عليه بالفاء ، وكان يقال : ولا تطيع من أغفلنا قلبه عن ذِكْرِنَا فاتبع هواه ، فلما لم يكن كذلك ، وكان العطف عليه بالواو ، فطريقه أنه لما قال : (أغفلنا قلبه عن ذِكْرِنَا ؛ واتبع هواه) أن

(١) سورة الحج : الآية ٥

(٢) لم يذكر هذا الجواب فى أصول الكتاب التى بين أيدينا ولا فيما

طبع منه .

(٣) سورة الكهف : الآية ٢٨ .

يكون معناه وجدناه غافلاً ، فقد غفل لا محالة ، فكأنه قال : ولا تطع من غفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ، أى لا تطع من فعل كذا وكذا ، يعدد أفعاله التى توجب ترك طاعته ، فاعرف ذلك .

حروف الجر :

وأما حروف الجر فإن الصواب يشذ عن وضعها فى مواضعها ، وقد علم أن (فى) للوعاء ، و (على) للاستعلاء ، كقولهم : زيد فى الدار ، وعمرى على الفرس ، لكن إذا أريد استعمال ذلك فى غير هذين الموضعين مما يشكل استعماله عدل فيه عن الأولى .

فيمّا ورد منه قوله تعالى : قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ^(١) .

ألا ترى إلى بداعة هذا المعنى المقصود لخالفه حرف الجر ها هنا ، فإنه إنما خولف بينهما فى الدخول على الحق والباطل لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركض به حيث شاء ، وصاحب الباطل كأنه مُنغمس فى ظلام منخفض فيه : لا يدرى أين يتوجه ، وهذا معنى دقيق ، قلما يراعى مثله فى الكلام .

وكثيراً ما سمعتُ إذا كان الرجل يلوم أخاه أو يعاتب صديقه على أمر من الأمور ، فيقول له : أنت على ضلالك القديم كما أعهدك ، فيأتى بعلى فى موضع « فى » وإن كان هذا جائزاً ، إلا أن استعمال « فى » ههنا أولى ، لما أشرنا إليه .

ألا ترى إلى قوله تعالى في سورة يوسف : (قَالُوا تَاللّٰهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ
الْقَدِيمِ ^(١)) .

ومن هذا النوع قوله تعالى : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَابْنِ السَّبِيلِ ^(٢)) .

فإنَّه إِنَّمَا عَدَلَ عن اللّام إلى [في] في الثلاثة الأخيرة للإيدان بأنهم
أُرسخُ في استحقاق التصدُّق عليهم من سَبَق ذكره باللام ، لأنَّ [في] للوعاء
فنبه على أنَّهم أَحَقَّاء بأن توضعُ فيهم الصَّدَقَاتُ ، كما يوضع الشيءُ في الوعاء ،
وأن يُجْعَلُوا مَظَنَّةً لها ، وذلك لما في فكِّ الرقابِ وفي الغرمِ من التخلص ، وتكرير
[في] قوله [وفي سبيل الله] دليلٌ على ترجيحِهِ على الرِّقابِ وعلى الغارمين ،
وسياقُ الكلام أن يقال : وفي الرِّقابِ والغارمين وفي سبيلِ الله وابنِ السَّبيل ،
فلما جيءُ في مرَّة ثانية ، وفصل بها بين الغارمين وبين سبيلِ الله ، علم أن
سبيلِ الله أَوْ كَدُ في استحقاق النِّفقة فيه .

وهذه لطائفٌ ودقائق لا توجد إلا في هذا الكلام الشريف ، فاعرفها ،
وقس عليها .

(١) سورة يوسف : الآية ٩٥

(٢) سورة التوبة : الآية ٦٠

النوع الحادى عشر

فى الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية

والفرق بينهما

ولم أذكر هذا الموضع لأن يجرى الأمرُ فيه على ما يجرى مجراه فقط ، بل لأن يقاسَ عليه مواضع أخرى مما تماثله وتُشابهه ، ولو كان شَبهاً بعيداً .

وإنما يُعَدُّلُ عن أحدِ الخطَّابين إلى الآخر لضربٍ من التأكيد والمبالغة . فمن ذلك قولنا : قام زيدٌ ، وإنَّ زیداً قائمٌ ، فقولنا : [قام زيد] معناه الإخبار عن زيد بالقيام ، وقولنا : [إنَّ زیداً قائمٌ] معناه الإخبار عن زيد بالقيام أيضاً ، إلا أنَّ فى الثانى زيادةً ليست فى الأول ، وهى توكيدهُ بأنَّ المُشَدَّدة التى من شأنها الإثبات لما يأتى بعدها ، وإذا زيدَ فى خبرها اللامُ ، فقليل : إنَّ زیداً قائمٌ ، كان ذلك أكثر توكيداً فى الإخبار بقيامه ، وهذا مثالٌ ينبئُ عليه أمثلة كثيرةٌ من غير هذا النوع .

فَمِمَّا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْ لَهُمْ سَمْعًا وَلَا تَهِنِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْخَائِلِينَ) (١) فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا خَاطَبُوا الْمُؤْمِنِينَ بِالْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ ، وَشَيَاطِينُهُمْ بِالْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ الْمَحْقَقَةِ بِإِنَّ الْمَشْدُودَةَ ، لِأَنَّهُمْ فِي مَخَاطَبَةِ إِخْوَانِهِمْ بِمَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الثَّبَاتِ عَلَى اعْتِقَادِ الْكُفْرِ ، وَالْبُعْدِ مِنْ أَنْ يَزُولُوا عَنْهُ عَلَى صَدَقِ وَرَغْبَةِ وَوُفُورِ نَشَاطِ ، فَكَانَ ذَلِكَ مُتَقَبَّلًا مِنْهُمْ ، وَرَأْيًا عِنْدَ إِخْوَانِهِمْ .

وَأَمَّا الَّذِى خَاطَبُوا بِهِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّمَا قَالَوهُ تَكْلِيفًا وَإِظْهَارًا لِلْإِيمَانِ

(١) سورة البقرة : الآية ١٤

خوفاً ومداجاةً ، وكانوا يعلمون أنهم لو قالوه بأوكد لفظٍ وأسده لما راج لهم عند المؤمنين إلا رواجاً ظاهراً لا باطناً ، ولأنهم ليس لهم في عقائدهم باعثٌ قوى على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به إخوانهم من العبارة المؤكدة فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين : [آمنا] وفي خطاب إخوانهم : [إننا معكم] .

وهذه نُكَّتْ تخفى على من ليس له قَدَمٌ راسخةٌ في علم الفصاحة والبلاغة .

وما يجرى هذا الجرى ورودُ لَامِ التوكيد في الكلام ، ولا يجرى ذلك إلا لضربٍ من المبالغة .

وفائدته أنه إذا عبر عن أمرٍ يعزُّ وجوده ، أو فعلٍ يكثر وقوعه ، جرى باللام ، تحقيقاً لذلك .

فمما جاء منه قوله تعالى في أول سورة المنافقين : (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ^(١)) .

فانظر إلى هذه اللامات الثلاثة الواردة في خبرٍ إن ، والأولى وردت في قول المنافقين ، وإنما وردت مؤكدة لأنهم أظهروا من أنفسهم التصديق برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتملقوا له ، وبالغوا في التماق ، وفي باطنهم خلافه ، وأما ما ورد في الثانية والثالثة فصحيحٌ لا ريب فيه ، واللام في الثانية لتصديق رسالته ، وفي الثالثة لتكذيب المنافقين فيما كانوا يظهرونه من التصديق الذين هم على خلافه .

(١) سورة المنافقون : الآية ١

وكذلك وردَ قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام : (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)^(١) .

فإنه إنما جىء باللام ههنا لزيادة التوكيد في إظهار الحبة ليوسف عليه السلام والإشفاق عليه ، ليلغوا الغرض من أبيهم في السّاحة بإرساله معهم .

ومن هذا الباب قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَتَكَبَّهُونَ^(٢)) . ثم قال : أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ)^(٣) .

ألا ترى كيف أَدْخَلَتِ اللّامُ في آيةِ المَطْعُومِ ، دون آيةِ المَشْرُوبِ ؟ وإنما جاءت كذلك لأنَّ جعل الماء العذب ملحاً أمهلُ إمكاناً في العرف والعادة ، والوجودُ من الملح أكثر من الماء العذب ، وكثيراً ما إذا جرت المياه العذبة على الأراضي المتغيرة التربة أحوالها إلى الملوحة . فلم يحتج في جعل الماء العذب ملحاً إلى زيادة تأكيد ، فلذلك لم تدخل عليه لام التأكيد المفيدة لزيادة التحقيق ، وأما المَطْعُومُ فإنَّ جعله حطاماً من الأشياء الخارجة عن المعتاد ، وإذا وقع فلا يكون إلا غن سَخَطٍ من الله شديد ، فلذلك قرن بلام التأكيد زيادة في تحقيق أمره ، وتقرير إيجاده .

ومِمَّا يتصل بذلك قوله تعالى : (وَإِنَّا لَنَنْحُنُّ مُّحْيٍ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ

(١) سورة يوسف : الآيتان ١١ و١٢

(٢) سورة الواقعة : الآيات ٦٣ و٦٤ و٦٥

(٣) سورة الواقعة : الآيات ٦٨ و٦٩ و٧٠

الوارثون) ^(١) فاللّام في « لَنَحْنُ » هي اللّامُ المُشارُ إليها .

وكذلك وردَ قوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) ^(٢) فَإِنَّ هَذِهِ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ (لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ) و (لَيُمَكِّنَنَّ) و (لَيُبَدِّلَنَّهُمْ) إِنَّمَا جَاءَتْ لِتَحْقِيقِ الْأَمْرِ ، وَإِثْبَاتِهِ فِي نَفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَّهُ كَائِنْ لَا مُحَالَةَ .

ومِمَّا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى فِي التَّوَكِيدِ لَامُ الْإِبْتِدَاءِ الْحَقِيقَةِ لَمَّا يَأْتِي بِعُودِهَا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أُمَيِّنَا مِنْهُ) ^(٣) فاللّامُ [لِيُوسُفُ] لَامُ الْإِبْتِدَاءِ ، وَفَائِدَتُهَا تَحْقِيقُ مَضْمُونِ الْجُمْلَةِ الْوَارِدَةِ بِعُودِهَا أَيْ أَنَّ زِيَادَةَ حُبِّهِ إِيَّاهُمَا أَمْرٌ ثَابِتٌ لَا مَرَأَ فِيهِ .

ومن هذا النوع قولُ بعضهم :

وَالشَّيْبُ إِنْ يَظْهَرُ فَإِنَّ وَرَاءَهُ عُمُرًا يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسٌ
لَمْ يَنْتَقِصْ مِنْهُ الْمَشِيبُ قَلَامَةً وَلَمَّا بَقِيَ مِنْهُ أَلْبٌ وَأَكْيَسُ

فَقَوْلُهُ : [وَلَمَّا بَقِيَ مِنْهُ] تَقْدِيرُهُ : وَمَا بَقِيَ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا أُدْخِلَ عَلَى [مَا] هَذِهِ اللَّامُ قَصْدًا لَنَا كَيْدَ الْمَعْنَى لِأَنَّهُ مَوْضِعٌ يَحْتَاجُ إِلَى التَّأَكِيدِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ قُوَّةَ الْعُمُرِ فِي الشَّبَابِ ؟ وَلَمَّا أَرَادَ هَذَا الشَّاعِرُ أَنَّ يَصِفَ الْمَشِيبَ — وَليسَ مِمَّا يَوْصَفُ ، وَإِنَّمَا يُذَمُّ — أَتَى بِاللّامِ لِتَوْكِيدِ مَا قَصَدَهُ مِنَ الصِّفَةِ .

(١) سورة الحجر : الآية ٢٣

(٢) سورة النور : الآية ٥٥

(٣) سورة يوسف : الآية ٨

وكذلك ورد قول الشاعر ^(١) من أبيات الحماسة :

إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ مَجَاهِلُ قَوْمِنَا وَنُقِيمُ سَالِفَةَ الْعَدُوِّ الْأَضْيَدِ ^(٢)

وَمَتَى نَجِدَ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ نُصْلِحُ وَإِنْ نَرَا صَالِحًا لَا نُفْسِدُ ^(٣)

وهذا كثيرٌ سائغٌ في الكلام ، إلا أنه لا يتأتى لمكان العناية بما يعبر

به عنه .

ألا ترى إلى قول الشاعر : [إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ مَجَاهِلُ قَوْمِنَا] فإنه لما كان الصَّفْحُ مما يشقُّ على النفس فعله ، لأنه مقابلةُ الشرِّ بالخير ، والإساءة بالإحسان ، أَكْثَرَهُ بِاللَّامِ ، تحقيقاً له .

فإن عرى الموضع الذي يؤتى فيه بهذه اللام من هذه الفائدة المشار إليها وما يجرى مجراها فإن ورودَ اللام فيه لغير سببٍ اقتضاه .

وأكثرُ ما تستعملُ هذه اللام في جوابِ القسم ، لتحقيقِ الأمرِ المُقَسَّمِ عليه ، وذلك في الإيجابِ دونَ النفي ، لأنها لا تستعملُ في النفي .

ألا ترى أنه لا يقال : وَاللَّهِ لِلْأَقْمَتِ ، وإنما يقال : وَاللَّهِ قُمْتُ ، لكن في الإيجابِ تُستعملُ ، ويكونُ استعمالها حسناً ، كقولك : وَاللَّهِ لَأَقُومُ ^(٤) فَإِنْ

(١) هو مضرس بن ربيع ، أحد بني أسد ، شاعر جاهلي محسن ، وانظر

البيتين وما بعدهما في حماسة أبي تمام (٣٦ / ٢)

(٢) المجاهل جمع مجهولة ، وهي ما يحمل على الجهل ، والساقطة صفحة العنق ، والأصيد الذي يرفع رأسه كبراً .

(٣) رواية ديوان الحماسة «ومتى نخف» موضع «ومتى نجد» .

(٤) التوكيد بالنون هنا واجب ، لأن الفعل مضارع مثبت وقع جواباً

للقسم ، ولا اختيار حينئذ للمتكلم ، وإن كان التأكيد يحقق الغاية التي بينها ابن الأثير ، ولكن النون شرط في الصحة أيضاً .

أُضِيفَ إِلَيْهَا التُّونَانُ الْخَفِيفَةُ وَالثَقِيلَةُ كَانَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي التَّأْكِيدِ ، كَقَوْلِكَ .
[وَاللَّهُ لَا قَوْمَ لَنَا] .

وعلى ذلك وردت الآية المتقدم ذكرها ، وهى قوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَوَابًا لِقَسْمٍ ؛
فَالنُّونُ الْوَارِدَةُ بَعْدَ اللَّامِ زِيَادَةٌ فِي التَّأْكِيدِ وَهِيَ تَأْكِيدَانِ أَحَدُهُمَا مُرَدَّفٌ بِالْآخَرِ :

وكذلك فاعلم أن النون الثقيلة متصلة بهذا الباب ، فإذا استعملت في موضع فإنما يقصدُ بها التأكيد .

فَمَّا جَاءَ مِنْهَا قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ ^(١) فِي مَعَانِيَةِ الْفَتْحِ بْنِ خَافَانَ ^(٢) :

هَلْ يَجْذِبَنَّ ^(٣) إِلَى عَطْفِكَ مَوْقِفٌ ثَبَتُ لَدَيْكَ أَقُولُ فِيهِ وَتَسْمَعُ

(١) ديوان البحتري ٢١/١ من قصيدة له مطلعها :

شوق إليك تفيض منه الأدمع وجوى عليك تضيق عنه الأضلع
(٢) الذى فى الديوان أنه قال هذه القصيدة فى مدح أمير المؤمنين
المتوكل على الله ، وفى القصيدة ما يؤكد أنها فى مدح الخليفة المتوكل ،
لاوزيره الفتح بن خاقان ومن ذلك قوله :

شرفا بنى العباس إن أباكم	عم النبي وعيصره المتفرع
إن الفضيلة للذى استسقى به	عمر وشفع إذ غدا يستشفع
وأرى الخلافة وهى أعظم رتبة	حقاً لكم ووراثه ما تنزع
أعطاكموها الله عن علم بكم	والله يعطى من يشاء ويمنع
من ذا يساجلكم وحوض محمد	بسقاية العباس فيكم يشفع
ملك رضاه رضا الملوك وسخطه	حتف العدا ورداهم المتوقع
متكرم متورع من كل ما	يتجنب الممتلك المتورع
يا أيها الملك الذى سقت الورى	من راحتيه غمامة ما تقلع

(٣) فى الأصل « تحملن » وهو تصحيف ، والتصويب عن الديوان .

ما زال لي من حُسن رأيك موئلاً آوى إليّ من الخطوبِ ومَفزَع
 فعَلَامٌ أنكرت الصديقَ وأقبلت نحوى رِكابُ^(١) الكاشحينَ تَطَلَعُ
 وأقامَ يطعمُ في تهضمٍ - جانبي مَنْ لم يكنْ من قبلُ فيه يَطْمَعُ
 إلا يكنْ ذنبٌ فعدلكَ واسعٌ أو كان لي ذنبٌ فصفوكَ أوسعُ

وهذه أبيات حسنة [مليحة] في بابها، يحى بها حرُّ الصدود ، ويُستال
 بها صعر الخلدود ، وإِنما ذكرتها بحملتها لكان حُسْنُهَا .

والبيتُ الأوّلُ هو المراد ألا ترى أَنَّهُ قال : [هل يجابنُ إلى عطفك
 موقف] فالتونُ جاءت قصداً للتأكيد ، وهو في هذا المقام مُتَمَنٍّ ، فأحبُّ أن
 يؤكد هذه الأَمْنِيَّةَ .

وكلُّ ما يحىء من هذا البابِ فَإِنَّه واقعٌ هذا الموقع ، وإذا استُعْمِلَ عبثاً
 لغير فائدةٍ تقتضيه فَإِنَّه لا يكون استعماله إلا من جاهل بالأسرار المعنوية .

وأما ما يُمَثِّلُ به النجاةُ من قول القائل : والله لأقومنَّ ، فَإِنَّه مثالٌ نحوى
 يُضرب للجواز ، وإلا فإذا قال القائلُ : والله لأقومنَّ ، وأكده ، كان ذلك
 لغواً ، لأنه ليس في قيامه من الأمرِ العزيز ، ولا من الأمرِ العسير ، ما يحتاجُ
 معه إلى التأكيد ، بل لو قال : والله لأقومنَّ إليك ، مهدداً له ، لكان ذلك
 واقعاً في موقعه .

فافهمْ هذا ، وقِسْ عليه .

(١) في الأصل « جناب » موضع « ركاب » والتصويب عن الديوان .

النوع الثاني عشر

في قوة اللفظ لقوة المعنى

هذا النوع قد ذكره أبو النجاشي في كتاب [الخصائص] إلا أنه لم يورده كما أوردته أنا ، ولا نبه على ما نبهت عليه من النكت التي تضمنتها وهذا يظهر بالوقوف على كلامه .

فأقول : أعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً ؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني ، وأمثلة للإبانة عنها ، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني ، وهذا الانزعاج فيه لبيانه .

وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة .

فمن ذلك قولهم : خشن ، وأخشوشن ، فعنى [خشن] دون معنى [أخشوشن] لما فيه من تكرير العين ، وزيادة الواو ، نحو فعل ، وأفعوعل . وكذلك قولهم : أعشب المكان ، فإذا رأوا كثرة العشب قالوا : [أعشوشب] .

ومما ينتظم بهذا السلك : قدر ، واقتدر ، فعنى [اقتدر] أقوى من معنى [قدر] قال الله تعالى : (فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ أَخَذًا عَزِيزًا مُّقْتَدِرًا)^(١) فمقتدر هاهنا أبلغ من قادر ، وإنما عدل إليه للدلالة على التنخيم للأمر ، وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب ، أو للدلالة على بسطة القدرة ، فإن المقتدر أبلغ في البسطة من القادر ، وذاك أن [مقتدر] اسم فاعل من [اقتدر] و [قادر] اسم فاعل من [قدر] ولا شك أن [افتعل] [أبلغ] من [فعل] .

(١) سورة القمر : الآية ٤٢ .

وعلى هذا ورد قول أبي نواس (١) :

فَعَفَوْتَ عَنِّي عَفْوَ مُقْتَدِرٍ حَلَّتْ لَهُ نِقَمٌ فَأَلْفَاها

أى عفوت عني عفو قادرٍ متمكن القدرة لا يردُّه شيءٌ عن إمضاء قدرته .
وأمثال هذا كثيرة .

وكذلك ورد قوله تعالى في سورة نوح عليه السلام : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) (٢) فَإِنَّ [غَفَّارًا] أبلغُ في المغفرة من [غَافِر] ، لأنَّ [فَعَّالًا] يدلُّ على كثرة صدور الفعل ، و [فاعِلًا] لا يدلُّ على الكثرة .

وعليه ورد قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (٣)
فالتَّوَّابُ هو الذى تتكرر منه التوبة مرةً على مرةً ، وهو [فَعَّال] ، وذلك أبلغُ من التائب الذى هو [فاعِل] ، فالتائب اسم فاعلٍ من تَابَ يَتَوَّبُ ، فهو تائب ، أى صدرت منه التوبة مرةً واحدةً ، فإذا قيل [تَوَّاب] كان صدور التوبة منه مرارًا كثيرة .

وهذا وما يجرى مجراه إِنَّمَا يعمد إليه لضربٍ من التوكيد ، ولا يوجد ذلك إلا فيما فيه معنى الفِعْلِيَّة ، كاسم الفاعل ، والمفعول ، وكالفعل نفسه ، نحو قوله

(١) ديوان أبي نواس ١٠٩ من أبيات أربعة كتب بها إلى الفضل بن الربيع بعد إطلاقه من السجن ، والأبيات الثلاثة التى قبل هذا البيت :

ما من يد فى الناس واحدة كيد أبو العباس أولاهما
نام التقاة على مضاجعهم وسرى إلى نفسى وأحياها
قد كنت خفتك ثم أمتنى من أن أخافك خوفاً لك الله

(٢) سورة نوح : الآية ١٠

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٢٢

نعالى : (فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْفَاوُونَ)^(١) فَإِنَّ معنى [كُتِبِكُوا] من الكَبِّ ، وهو القلب ، إلا أَنَّهُ مكرَّر المعنى ، وإِنَّمَا استُعْمِلَ في الآية دلالة على شدة العقاب ؛ لَأَنَّهُ مَرَّضٌ يقتضى ذلك .

ولربَّما نظرَ بعضُ الجهالِ في هذا ، فقامَ عليه زيادةُ التَّصْفِيرِ ، وقال : إِنها زيادةٌ ؛ ولكنها زيادةٌ نقصٍ ، لَأَنَّهُ يُزَادُ في اللفظ حرفٌ ، كقولهم في الثلاثي في رَجَلٍ : « رُجِيلٌ » ، وفي الرباعي في قنديل : [قَنَيْدِيلٌ] فالزيادة وردت ههنا فنقصت من معنى هاتين اللفظتين .

وهذا ليسَ من البابِ الذي نحنُ بصددِ ذكره ، لَأَنَّهُ عارٍ عن معنى الفعلية ، والزيادة في الألفاظ لا توجبُ زيادةً في المعاني إلا إذا تضمنت معنى الفعلية ، لأنَّ الأسماءَ التي لا معنى للعمل فيها إذا زيدت استحالَ معناها .

ألا ترى أَنَّا لو نقلنا لفظة [عذب] — وهي ثلاثيةٌ — إلى الرباعيِّ ، قلنا [عَذِيبٌ] على وزن [جَعْفَرٌ] لاستحالَ معناها ، ولم يكن لها معنى .

وكذلك لو نقلنا لفظة [عَسَجَدَ] وهي رباعيةٌ إلى الخماسيِّ ، قلنا : [عَسَجَدِدَ] على وزن [جَعْمَرَشٌ] لاستحالَ معناها .

وهذا بخلافِ ما فيه معنى الفعلية كقادر ومُقتدر ، فإنَّ [قادرٌ] اسمُ فاعلٍ [قدر] وهو ثلاثيٌ ، و [مقتدر] اسمُ فاعلٍ [اقتدر] وهو رباعيٌّ ، فذلك كان معنى القدرة في اقتدر أشدَّ من معنى القدرة في قدر ، وهذا لا نزاع فيه .

وهذا البابُ بجملة لا يقصدُ به إلا المبالغة في إيرادِ المعاني ، وقد يُستعملُ

في مقام المبالغة ، فينعكسُ المعنى فيه إلى ضده ، كما جاء لأبي كرام التميمي^(١)
من شعراء الحماسة ، وهو قوله :

لِلَّهِ تَيْمٌ أَيْ رُمَحٌ طِرَادٍ لَأَقَى الْحِمَامَ وَأَيْ نَصَلَ جِلَادٍ^(٢)
وَمَحَشٌ حَرْبٍ مُقَدِّمٌ مُتَعَرِّضٌ لِلْمَوْتِ غَيْرٌ مُكَذِّبٌ حَيَّادٍ^(٣)

فلفظه [حياد] قد وردت ههنا ، وإنما أوردتها هذا الشاعر ، وقصد بها
المبالغة في وصف شجاعة هذا الرجل ؛ فانعكسَ عليه المقصد الذي قصده ، لأن
[حياداً] من [حيّد] فهو [حيّاد] أي وجد منه الحيدودة مراراً ، كما
يُقال : [قتل] فهو [قتل] أي وجد منه القتل مراراً ، وإذا كان هذا الرجل
غير حيّاد كان حائداً ، أي وجدت منه الحيدودة مرة واحدة ، وإذا وجدت
منه مرّة كان ذلك جُبناً ، ولم يكن شجاعاً ، والأولى أن كان قال : غير
مكذب حائد .

(١) اسمه زاهر -- كما في شرح التبريزي ٢٨٠/١ - وكان بارز رجلاً
يقال له « تيم » وكان أحد الفرسان ، فقتله زاهر ، وأخذ يفخّم أمره ،
لأن ثناءه عليه وإكباره له راجع إليه ، إذ صار قتيله .

(٢) رواية الحماسة للشطر الثاني

* لَأَقَى الْحِمَامَ بِهِ وَنَصَلَ جِلَادَ *

واللام في « لله تيم » للتخصيص والتعجب ، مثل قولهم « لله درة »
وقوله « أي رمح طرد » تعجب أيضاً .

(٣) في الأصل جِيَادٍ موضع « حياد » والتصويب عن الحماسة ،
وقوله محش حرب معطوف على رمح ، جعله آلة للمحش ، وهو إيقاد
النار ، وفي الحماسة غير معرّد موضع « غير مكذب » والتعريد ترك القصد
وسرعة الانهزام ، والحياد المائل

وينبغي أن يُعَلَّمَ أنه إذا وردت لفظة من الألفاظ ويجوز حملها على التضعيف الذي هو طريقُ المبالغة ، وحملها على غيره ، أن يُنظَرَ فيها ، فإن اقتضى حملها على المبالغة فهو الوجه .

فإن ذلك قولُ البحترى في قصيدته التي مطلعها :

* مَنِ النَّفْسِ فِي أَسْمَاءٍ لَوْ تَسْتَطِيعُهَا ^(١) *

وهي قصيدةٌ مدحٌ بها الخليفة المتوكل — رحمه الله — وذكر فيها حديث الصُّلح بين بنى تغلب ، فمَّا جاء فيها قوله :

رَفَعَتْ بِضَبْعِي تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائِلٍ وَقَدْ يَلُتُّ أَنْ يَسْتَقِلَّ صَرِيحُهَا
فَكُنْتُ أَمِينَ اللَّهِ مَوْلَى حَيَاتِهَا وَمَوْلَاكَ فَتَحُ يَوْمَ ذَلِكَ شَفِيعُهَا
تَأَلَّفْتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا شَرَدَتْ بِهِمْ حَفَاطُ أَخْلَاقٍ بَطِيءٌ رُجُوعُهَا
فَأَبْصَرَ غَاوِيَهَا الْحُجَّةُ فَاهْتَدَى وَأَقْصَرَ غَالِيَهَا وَدَانَى شَسُوعُهَا

فقوله [تَأَلَّفْتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا شَرَدَتْ بِهِمْ] يجوزُ أن تحفَّفَ لفظة [شَرَدَتْ] ويجوز أن تثقل ، والتثميل هو الوجه ، لأنه في مقام الإصلاح بين قومٍ تنازعوا واختلفوا ، وتباينت قلوبهم وآراؤهم .

وكلُّ ما يحى من الألفاظ على هذا النحو فينبغي أن يجرى هذا الجرى .
وهاهنا نكتةٌ لا بد من التنبيه عليها ، وذلك أن قوَّةَ اللفظ لقوة المعنى لا تستقيم إلا في نقل صيغة إلى صيغة أكثر منها ، كنقل الثلاثي إلى الرباعي ؛

(١) عجز هذا المطلع هو :

* بها وجدها من غادة وولوعها *

وهي أولى قصائد الديوان ٢/١ وقد قالها البحترى في مدح أمير المؤمنين المتوكل على الله ، ويذكر صالح بنى تغلب .

وإلاّ فإذا كانت صيغة الرباعي مثلاً موضوعة لمعنى فإنه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثى إلى مثل تلك الصيغة .

ألا ترى أنه إذا قيل فى الثلاثى [قَتَلَ] ثم نقل إلى الرباعى فقيل [قَتَلَ] بالتشديد فإنّ الفائدة من هذا النقل هى التأكيد ، أى أن القتل وجد منه كثيراً ، وهذه الصيغة الرباعية بعينها لو وردت من غير نقل لم تكن دالة على التأكيد كقوله تعالى : (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)^(١) فإنّ [كَلَّمَ] على وزن [قَتَلَ] ولم يُردّ به التأكيد ، بل أريد به أنه خاطبه ، سواء كان خطابه إياه طويلاً أو قصيراً ، قليلاً أو كثيراً ، وهذه اللفظة رباعية ، وليس لها ثلاثى نقلت عنه إلى الرباعى ، لكن قد وردت بعينها ، ولها ثلاثى ورباعى ، فكان الرباعى أكثر وأقوى فيما دلّ عليه من المعنى ، وذلك أن تكون [كَلَّمَ] من الجرح : أى جرح ، ولها ثلاثى وهو [كَلَّمَ] مخففاً ، أى جرح ، فإذا وردت مخففة دلّت على الجراحة مرة واحدة ، وإذا وردت مثقلة دلّت على التأكيد .

وكذلك ورد قوله تعالى : (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)^(٢) فإنّ لفظة [رَتَّلَ] على وزن لفظة [قَتَلَ] ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة ، وإنما المراد بها أن تكون القراءة على هيئة التأتى والتدبر ، وسبب ذلك أن هذه اللفظة ثلاثى لها ، حتى تنقل عنه إلى الرباعى ، وإنما هى رباعية موضوعة لهذه الهيئة المخصوصة من القراءة .

وعلى هذا فلا يستقيم معنى الكثرة والقوّة فى اللفظ والمعنى إلاّ بالنقل من وزن إلى وزن أعلى منه ، فاعرف ذلك .

(١) سورة النساء : الآية ١٦٤ .

(٢) سورة المزمل : الآية ٤ .

ومن هاهنا شدَّ الصواب عمن شدَّ عنه في [عالم] و [عليم] فإن جمهور علماء العربية يذهبون إلى أن [علما] أبلغ في معنى العلم من [عالم] وقد تأملت ذلك ، وأنعمت نظري فيه ، فحصل عندي شك في الذي ذهبوا إليه ، والذي أوجب ذلك الشك هو أن عالماً وعلماً على عدّة واحدة ، إذ كلُّ منهما أربعة أحرف ، وليس بينهما زيادة ينقل فيها الأدنى إلى الأعلى .

والذي يوجبُه النظر أن يكون الأمرُ على عكسِ ما ذكرُوه ، وذلك أن يكور [عالم] أبلغ من [عليم] ، وسببه أن عالماً اسمُ فاعِلٍ من [عَلِمَ] وهو مُتَعَدٍّ ، وأن علماً اسمُ فاعِلٍ من [عَلِمَ] إلا أنه أشبه وزن الفعل القاصر ، نحو شرفُ فهو شريف ، وكرمُ فهو كريم ، وعظمُ فهو عظيم ، فهذا الوزن لا يكون إلا في الفعل القاصر ، فلما أشبهه [عليم] انحطَّ عن رتبة [عالم] الذي هو مُتَعَدٍّ ، ألا ترى أن [فَعِلَ] — بفتح الفاء وكسر العين — يكون مُتَعَدِّياً نحو عَلمٌ وحمْدٌ ، ويكونُ قاصراً غير مُتَعَدٍّ ، نحو غَضِبَ وشَبِعَ ، وأما [فَعُلَ] — بفتح الفاء وضمّ العين — فإنه لا يكون إلا قاصراً غير مُتَعَدٍّ ، ولما كان [فَعِلَ] — بفتح الفاء وكسر العين — متردداً بين المُتَعَدِّي والقاصر ، وكان [فَعُلَ] بفتح الفاء وضمّ العين — قاصراً غير مُتَعَدٍّ صار القاصرُ أضعفَ مما يدور بين المُتَعَدِّي والقاصر ، وحيثُ كان الأمرُ كذلك وأشبهه وزن المُتَعَدِّي وزن القاصر حطَّ ذلك من درجته ، وجعله في الرتبة دون المُتَعَدِّي الذي ليس بقاصر .

هذا هو الذي أوجب لي التشكيك فيما ذهب إليه غيري من علماء العربية ولربّما كان ما ذهبوا إليه لأمر خفي عني ، ولم أطّيع عليه .

النوع الثالث عشر

في عكس الظاهر

وهو نفي الشيء بإنباته ، وهو من مُسْتَطَرَفَاتِ علم البيان ، وذاك أنك تذكر كلامًا يدل ظاهره أنه نفي لصفة موصوف وهو نفي للموصوف أصلاً .

فما جاء منه قول علي بن أبي طالب — رضى الله عنه — في وصف مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُدْنِي فَلَتَانُهُ » أى : لَا تُدَاعِ سَقَطَاتُهُ .

فظاهر هذا اللفظ أنه كان ثمّ فلتاتٌ ، غير أنها لا تُدَاعِ ، وليس المراد ذلك ، بل أراد أنه لم يكن ثمّ فلتاتٌ فُتْدِي .

وهذا من أغرب ما توسّعت فيه اللغة العربية ، وقد ورد في الشعر كقول بعضهم (١) :

* وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ (٢) *

فإن ظاهر المعنى من هذا البيت أنه كان هناك ضبٌّ ، ولكنه غير مُنْجَحِرٍ ، وليس كذلك ، بل المعنى أنه لم يكن هناك ضبٌّ أصلاً .

وهذا النوع من الكلام قليل الاستعمال . وسبب ذلك أن الفهم يكاد يأباه ، ولا يقبله إلا بقريئة خارجية عن دلالة لفظه على معناه ، وما كان عارياً عن قريئة فإنه لا يفهم منه ما أراد قائله :

وسأوضح ذلك فأقول : أمّا قولنا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) وهو عمرو بن أحرر الباهلي من أبيات يصف فيها فلاة .

(٢) صدر هذا البيت قوله :

* لَا تَفْزَعِ الْأَرْبُ أَهْوَالَهَا *

[لَا تَنْتَهِ فَلَئِنَّهُ] فَإِنَّ مَفْهُومَ هَذَا اللفظ أَنَّهُ كَانَتْ هُنَاكَ فَلَتَاتٌ ، إِلَّا أَنَّهَا تَطَوَّى وَلَا تَنْشُرُ ، وَتَكْتُمُ وَلَا تَذَاعُ ، وَلَا يَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ فَلَتَاتٌ إِلَّا بِقَرِينَةٍ خَارِجَةٍ عَنِ اللفظ ، وَهِيَ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَتْ فِي النُّفُوسِ ، وَتَقَرَّرَ عِنْدَ الْقَوْلِ أَنَّ مَجْلِسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْزَعَةٌ عَنِ فَلَتَاتِ تَكُونُ بِهِ وَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَوْقَرُ ، فَلَمَّا قِيلَ : إِنَّهُ [لَا تَنْتَهِ فَلَئِنَّهُ] فَهَمْنَا مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ فَلَتَاتٌ أَصْلًا ، وَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ :

* وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ *

فَإِنَّهُ لَا قَرِينَةَ تَخْصُّصُهُ ، حَتَّى يُفْهَمَ مِنْهُ مَا فُهِمَ مِنَ الْأَوَّلِ ، بَلِ الْمَفْهُومُ أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ ضَبٌّ ، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مُنْجَحِرٍ .

وَلَقَدْ مَكُنْتُ زَمَانًا أُطَوِّفُ عَلَى أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ ، قَصْدًا لِلظَّفَرِ بِأَمْثَلِهِ مِنَ الشَّعْرِ جَارِيَةٍ هَذَا الْجُرَى ، فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا بَيْتًا ، لَامَرِيءٍ الْقَيْسِ ^(١) ، وَهُوَ :

عَلَى لَاحِبٍ لَا يَهْتَدِي لِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعُودُ الدِّيَافِي جَرَجَرًا ^(٢)

(١) شعراء النصرانية ٤٧/١ من قصيدة قالها يصف توجهه إلى قيصر مستنجدًا على بني أسد ، ومطلعها :

أَرَى أُمَ عَمْرٍو دَمْعُهَا قَدْ تَحَدَّرَا بِكَاءٍ عَلَى عَمْرٍو مَا كَانَ أَصْبَرَا

(٢) اللاحب الطاريق ، سافه شمه ، وَفِي الْأَصْلِ سَاقَهُ بِالْقَافِ ، وَهُوَ تَصْغِيرُ الْعُودِ الْجَمَلِ الْمَسْنُوفِ فِيهِ بَقِيَّةٌ ، وَالْدِيَا فِي نِسْبَةٍ إِلَى دِيَاثٍ وَهِيَ قَرْيَةٌ بِالشَّامِ تَنْسَبُ إِلَيْهَا النُّجَاطِبُ ، جَرَجَرٌ رَدَدُ صَوْتِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ « الْعُودُ النِّيَاطِي » ، وَفِي شُعْرَاءِ النُّصْرَانِيَّةِ « الْعُودُ النُّبَاطِي » . وَرَوَى ابْنُ قَتَيْبَةَ الْبَيْتَ هَكَذَا :

عَلَى ظَهْرِ عَادِي تَحَارِبِهِ الْقَطَا إِذَا سَافَهُ الْعُودُ الدِّيَافِي جَرَجَرَا
وَانْظُرِ الشَّعْرَ وَالشُّعْرَاءَ ٦٧/١ - وَفِي الْأَسَانِ ٦٦/١ رَوَى صَدْرُ الْبَيْتِ هَكَذَا :

* عَلَى لَاحِبٍ لَا يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ *

فَقَوْلُهُ [لَا يُهْتَدَى لِنَارِهِ] أَيْ أَنْ لَهُ مَنَارًا إِلَّا أَنَّهُ لَا يُهْتَدَى بِهِ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ ذَلِكَ ، بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا مَنَارَ لَهُ يُهْتَدَى بِهِ .

وَلِيَّ أَنَا فِي هَذَا بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ ، وَهُوَ :

أَدْنَيْنَ جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَنْ يُرَى لَذِيُولَهِنَّ عَلَى الطَّرِيقِ غَبَارُ

وَوَظَاهِرُ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ يَمْشِينَ هَوْنًا لِحَيَائِهِنَّ ، فَلَا يَظْهَرُ لَذِيُولَهِنَّ غَبَارُ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ ذَلِكَ ، بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُنَّ لَا يَمْشِينَ عَلَى الطَّرِيقِ أَصْلًا ، أَيْ أَنَّهُنَّ مُحَبَّاتٌ ، لَا يَخْرُجْنَ مِنْ بَيْوتِهِنَّ ، فَلَا يَكُونُ إِذَا لَذِيُولَهِنَّ عَلَى الطَّرِيقِ غَبَارُ ، وَهَذَا حَسَنٌ رَائِقٌ ، وَهُوَ أَظْهَرُ بَيَانًا مِنْ قَوْلِهِ :

* وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ *

فَمِنْ اسْتِعْمَلَ هَذَا النُّوعَ مِنَ الْكَلَامِ فَلَيْسَتْ عَمَلُهُ هَكَذَا ، وَإِلَّا فَلْيَدْعُ ، عَلَى أَنَّ الْإِكْتِنَارَ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ عَمِيرٌ ، لِأَنَّهُ لَا يَظْهَرُ الْمَعْنَى فِيهِ .

النوع الرابع عشر

فِي الِاسْتِدْرَاجِ

وَهَذَا الْبَابُ أَنَا اسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ مُخَادَعَاتُ الْأَقْوَالِ الَّتِي تَقُومُ مَقَامَ مُخَادَعَاتِ الْأَفْعَالِ ، وَالْكَلَامُ فِيهِ وَإِنْ تَضَمَّنَ بَلَاغَةً ، فَلَيْسَ الْغَرَضُ هَاهُنَا ذِكْرُ بَلَاغَتِهِ فَقَطْ ، بَلِ الْغَرَضُ ذِكْرُ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ النَّسَكَةِ الدَّقِيقَةِ فِي اسْتِدْرَاجِ الْخَصْمِ إِلَى الْإِذْعَانِ وَالتَّسْلِيمِ . وَإِذَا حُقِّقَ النَّظَرُ فِيهِ عِلْمُ أَنَّ مَدَارَ الْبَلَاغَةِ كُلَّهَا عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ انْتِفَاعٌ بِإِيرَادِ الْأَلْفَاظِ الْمَلِيحَةِ الرَّائِقَةِ ، وَلَا الْمَعْنَى اللَّطِيفَةَ الدَّقِيقَةَ ، دُونَ أَنْ تَكُونَ مُسْتَجْلِبَةً لِبُلُوغِ غَرَضِ الْخَاطَبِ بِهَا :

والكلامُ في مثل هذا ينبغي أن يكونَ قصيراً في خلايه ، ولا قصيراً في خطايه .

فإذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم إلى إلقاء يده ، وإلا فليس^(١) بكاتبٍ ولا شبيه له إلا صاحبُ الجدل ، فكما أن ذاك يتصرف في المغالطات القياسية ، فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الخطائية .

وقد ذكرتُ في هذا النوع ما يُتعلَّم منه سلوكُ هذه الطريق .

فمن ذلك قوله تعالى : (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)^(٢) .

ألا ترى ما أحسنَ مأخذَ هذا الكلام والطفه ، فإنه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم ، فقال : لا يخلو هذا الرجل من أن يكونَ كاذبًا ، فكذبه يعودُ عليه ولا يعمدها ، أو يكونُ صادقًا ، فيصيبكم^(٣) بعضُ الذي يعدُّكم إن تعرضتمُ له :

وفي هذا الكلام من حُسنِ الأدبِ والإنصافِ ما أذكرُهُ لك فأقول : إنما قال : [يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ] وقد علم أنه نبيٌّ صادقٌ ، وأن كل ما يعدُّهم به لا بدَّ وأن يصيبهم ، لا بعضه ، لأنه احتاج في مُقابلة خصوم موسى عليه السلام أن يسلك معهم طريقَ الإنصافِ والملاطفة في القول ، ويأتيهم من جهةِ المناصحة ، ليكون أدعى إلى سُكونهم إليه ، فجاء بما علم أنه أقرب

(١) سياق المعنى يقتضى حذف كلمة « وإلا » .

(٢) سورة المؤمن : الآية ٢٨ .

(٣) في الأصل « يصيبكم » .

إلى تسليمهم لقوله ، وأدخل في تصديقهم إياه ، فقال : [وإن يك صادقاً يُصِبُّكم بعض الذي يعدكم] وهو كلامُ المُنصفِ في مقابلةٍ غيرِ المشتطِّ ، وذلك أنه حينَ فَرَضَهُ صادقاً فقد أثبتَ أنه صادقٌ في جميع ما يعدُّ به ، لكنه أَرَدَفَ بقوله : [يصِبُّكم بعضُ الذي يعدُّكم] ليهضمَه بعضُ حقِّه في ظاهرِ الكلامِ فيريهم أنه ليسَ بكلامٍ من أعطاهُ حقَّه وافيّاً ، فضلاً عن أن يتعصَّبَ له ، وتقديمِ الكاذبِ على الصّادقِ من هذا القبيل ، كأنه برّظَهم ^(١) في صدرِ الكلامِ بما يزعمونه ، لئلا ينفروا منه .

وكذلك قوله في آخر الآية : [إن الله لا يهدي من هو مسرفٌ كذابٌ] أي هو على الهدى ، ولو كان مُسْرِفًا كذابًا لما هداه الله للنبوةِ ، ولا عَصَدَهُ بالبيناتِ .

وفي هذا الكلامِ من خداعِ الخصمِ واستدراجِه مالا خفاءَ به ، وقد تضمَّن من اللطائفِ الدَّقِيقَةِ ما إذا تأمَّلْتَهُ حقَّ التأملِ أعطيتَهُ حَقَّهُ من الوصفِ .

ومما يجزى على هذا الأسلوبِ قوله تعالى : (واذْكُرْ في الكتابِ إبراهيمَ إنه كانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) ^(٢) .

هذا كلامٌ يهزُّ أعطافَ السّامعين ، وفيه من الفوائد ما أذكُرُه ، وهو أنه

(١) يقال برّط فلان فلانا رشاه ، فبرّطال فارتشى .

(٢) سورة مريم : الآيات ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥

لما أراد إبراهيم عليه السلام أن ينصح أباه ويعظه ويُنقذه مما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم الذي عصى به أمر العقل ، رتب الكلام معه في أحسن نظام ، مع استعمال المجاملة واللفظ ، والأدب الحميد ، والخلق الحسن ، مُستنصِحاً في ذلك بنصيحة ربه ، وذلك أنه طالب منه أولاً العلة في خطيئته طلباً مُنبهٍ على تماديه ، مُوقظٍ من غفلته ، لأنَّ المعبود لو كان حياً مميّزاً سميعاً بصيراً مقتدرًا على الثواب والعقاب ، إلا أنه بعضُ الخلق يستخفُّ عقلَ من أهله للعبادة ، ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلائق كالملائكة والنبیین ، فكيف بمن جعل المعبود جامداً لا يسمع ولا يبصر ، يُعنى به الصنم ،

ثم ثنى ذلك بدعوته إلى الحق ، مترقياً به ، فلم يسمِ أباه بالجهل المطلق ، ولا نفسه بالعلم الفائق ، ولكنه قال : إنَّ معي لطائفة من العلم وشيئاً منه ، وذلك علمُ الدلالة على سُلوک الطريق ، فلا تستنكف ، وهبْ أنى وإياك في مسيرٍ وعندى معرفةً بهدایة الطريق دونك ، فأتبعنى أُحِجَّكَ من أن يضلَّ .

ثم ثلث ذلك بتثبيطه عما كان عليه ونهيه ، فقال : إنَّ الشيطان الذي استعصى على ربِّك ، وهو عدوك وعدوُّ أبیک آدم ، هو الذى ورطك في هذه الورطة ، وألقاك في هذه الضلالة ، وإنما ألقى إبراهيم عليه السلام ذكر معاداة الشيطان آدم وذريته في نصيحة أبيه لأنه لإمعانه في الإخلاص لم يذكر من جنایة الشيطان إلا التى تخصُّ بالله ، وهى عصيانه واستكباره ، ولم يلتفت إلى ذكر معاداة آدم وذريته .

ثم رُبَّع ذلك بتخويفه إياه سوء العاقبة ، فلم يصرِّح بأنَّ العقاب لا حقَّ به ولكنه قال : « إنى أخافُ أن يمسَّكَ عذابٌ » ، فنكَّر العذاب ملاطفةً لأبيه ، وصدَّر كل نصيحةٍ من هذه النصائح بقوله [يا أبتِ] توسلاً إليه ، واستعطافاً .

وهذا بخلاف ما أجابه به أبوه ، فإنه قال : (أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ)^(١) . فأقبل عليه بفظاظَةِ الكُفْرِ ، وَغِلَظِ العناد ، فناداه باسمه ، ولم يقابل قوله « يَا أَبَتِ » بقوله « يَا بَنِيَّ » ، وقَدَّمَ الخبر على المبتدأ في قوله « أَرَاغِبُ أَنْتَ ، لأنه كَانَ أَمُّهُمْ عنده » وفيه ضربٌ من التَّعَجُّب والإنكار لرغبة إبراهيم عن آلهته .

وفي القرآن الكريم مواضعٌ كثيرةٌ من هذا الجنس لا سيَّما في مخاطبات الأنبياء — صلواتُ الله عليهم — للكفار ، والرد عليهم ، وفي هذين المثالين المذكورين هاهنا كفايةٌ ومقنعٌ .

وبلغنى حديثٌ تَقَاوُض فيه الحُسَيْن بنُ عليٍّ — رضى الله عنهما — ومعاوية بن أبي سُفْيَان في أمرٍ ولده يزيدَ ، وذلك أَنَّ معاويةَ قَالَ للحُسَيْن : « أُمَّا أَثْمُكَ فَاطِمَةُ فَإِنهَا خَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ ، وَبِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرٌ مِنْ امْرَأَةٍ مِنْ كَلْبٍ ، وَأُمَّا حُبِّي يَزِيدَ فَإِنِّي لَوْ أُعْطِيتُ بِهِ مِثْلُكَ مِثْلُ الغُوطَةِ^(٢) لَمَّا رَضَيْتُ ، وَأُمَّا أَبُوكَ وَأَبُوهُ فَإِنَّهُمَا تَحَاكَمَا إِلَى اللَّهِ ، فَحُكْمُ لِأَبِيهِ عَلَى أُنْبِيَاكَ » .

وهذا كلامٌ من معاويةَ كَلَّمَ أَمْرَزُهُ بِفِكْرِي عَجِبْتُ مِنْ سَدَادِهِ ، فَضْلًا عن بلاغته وفصاحته . فَإِنَّ معاويةَ عِلِمَ مَا لَعَلَّ — رضى الله عنه — من السَّبْق

(١) سورة مريم الآية ٤٦

(٢) الغوطة — بالضم ثم السكون وطاء مهملة — هي الكورة التي منها دمشق . استدارتها ثمانية عشر ميلا ، يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ، ولا سيما من شمالها ، فإن جبالها عالية جداً ، وتمتد فيها أنهار تسقى بساقيها ، وهي أنزهر بلاد الدنيا وأحسنها منظراً ، وتصب فضلاتها في بحيرة هناك (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ١٠٠٦) .

إلى الإسلام والأثر فيه ، وما عنده من فضيلة العلم ، فلم يعرض في المناقشة إلى شيء من ذلك ولم يقل أيضاً : إن الله أعطاني الدنيا ونزعها منكم ، لأن هذا لا فضل فيه ، إذ الدنيا بناها البر والفاجر ، وإنما صانع عن ذلك كله بقوله : (إن أباك وأباه تحاكما إلى الله ، فحكم لأبيه على أبيك) وهذا قول إيهامي يورهم شبهة من الحق .

وإذا شاء من شاء أن ينافر خصمه ، ويستدرجه إلى الصمت عن الجواب فليقل هكذا .

الباب الخامس عشر

في الإيجاز

وهو حذف زيادات الألفاظ ، وهذا نوع من الكلام شريف ، لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة ، من سبق إلى غايتها وما صلى ، وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلي ، وذلك لعلو مكانه ، وتعذر امكانه .

والنظر فيه إنما هو إلى المعاني لا إلى الألفاظ ، ولست أعني بذلك أن تحمل الألفاظ ، بحيث تعري عن أوصافها الحسنة ، بل أعني أن مدار النظر في هذا النوع إنما يختص بالمعاني ، فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير ، ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل .

ومثال هذا كالجوهرة الواحدة بالنسبة إلى الدراهم الكثيرة ، فمن ينظر إلى طول الألفاظ يؤثر الدراهم لكثرتها ، ومن ينظر إلى شرف المعاني يؤثر الجوهرة الواحدة لنفسيتها ، ولهذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم الفاتحة (أم الكتاب) وإذا نظرنا إلى مجموعها وجدناه يسيراً ، وليست من الكثرة

الى غاية تكونُ بها أمّ « البقرة » و « آل عمران » وغيرهما من السور الطوال
فعلينا حينئذ أن ذلك لأمر يرجع الى معانيها .

معاني القرآن :

والكلام في هذا الموضع يخرج بنا الى غير ما نحن بصدده ، لأنه يحتاج فيه
إلى ذكر المراد بالقرآن الكريم ، وما يشتمل عليه سورة وآياته إلى حصر
أقسام معانيه ، لكننا نشير في ذلك إشارة خفيفة ، فنقول :

المراد بالقرآن هو دعوة العباد إلى الله تعالى ، ولذلك انحصرت سورة
وآياته في ستة أقسام : ثلاثة منها هي الأصول ، وثلاثة هي الفروع .

أما الأصول :

فالأول منها : تعريف المدعو إليه ، وهو الله تعالى ، ويشتمل هذا
الأصل على ذكر ذاته وصفاته وأفعاله .

والأصل الثاني : تعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك
إلى الله تعالى ، ويشتمل هذا الأصل على التبتل بعبادة الله بأفعال القلب
وأفعال الجوارح .

والأصل الثالث : تعريف الحال بعد الوصول إلى الله تعالى ، أعني بعد
الموت ، ويشتمل هذا الأصل على تفصيل أحوال الدار الآخرة من الجنة والنار
والصراط والميزان والحساب ، وأشياء ذلك .

فهذه الأصول الثلاثة .

وأما الفروع :

فالأول منها : تعريف أحوال المجيبين للدعوة . ولطائف صنع الله بهم .

من النصرة والإدالة ، وتعريف أحوال المخالفين للدعوة والمجادين لها ،
وكيفية صُنع الله في التدبير عليهم ، والتنكيل بهم .

والفرع الثاني : ذكرُ مجادلة الخصوم ومُحاجَّتِهِمْ ، ومُخْلَصُهُمْ بِالْمُجَادَلَةِ وَالْمُحَاجَّةِ
على طريقِ الحق ، وهؤلاء هم اليهود والنصارى ، ومن يجري مجراهم من أرباب
الشرائع والفلاسفة والمُفْجِدَةِ من غير أرباب الشرائع .

والفرع الثالث : تعريفُ عِمَارَةِ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ ، وكيفية أخذ الزاد والأهبة
للاستعداد ، وذلك قياسُ الشريعة ، وتبيينُ الحكمة في أوامرها التي تتعلق
بأفعال أهل التنكيل .

فهذه الأقسام الستة المشار إليها هي التي تدورُ معاني القرآن عليها
ولا تتعداها .

وها هنا تقسيمٌ آخر يطولُ الخطبُ فيه ، ولا حاجة إلى ذكره .
وإذا نظرنا إلى سورة الفاتحة ، وتأملنا ما فيها من المعاني وجدناها مشتملةً
على أربعة أقسامٍ من الستة المذكورة ، ولذلك سمّاها النبي صلى الله عليه وسلم
« أُمَّ الْكِتَابِ » .

كما أنه قال : « إن سورة الإخلاص تعدلُ ثلث القرآن » ، وإذا نظرنا في
الأقسام الستة وجدنا سورة الإخلاص بمنزلة ثلث القرآن .

وكذلك قال صلى الله عليه وسلم : « آية الكرسي سيدة آي القرآن » .
ويروى أنه سأل أبي بن كعب^(١) — رضى الله عنه — فقال : أي آية

• (١) هو أبي بن كعب بن قيس ، أبو المنذر الأنصاري المدني ، سيد
القراء ، وأقرأ هذه الأمة ، قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفراً على
النبي بعض القرآن للإرشاد والتعليم ، وقرأ عليه من الصحابة ابن عباس ، =

معك في كتاب الله أعظم ؟ فقال : (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)^(١) فضرب في صدره ، وقال : « لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ » ، وكلُّ هذا يرجعُ إلى المعاني ، لا إلى الألفاظ ، فاعرف ذلك وبينه لرموزه وأسرارهِ .

* * *

وأعلم أنَّ جماعة من مُدَّعى علم البيان ذهبوا إلى أنَّ الكلام ينقسمُ قسَمين :

فمنهُ ما يحسنُ فيه الإيجاز ، كالأشعار والمسكَّاتبات .

ومنهُ ما يحسنُ فيه التَّطْوِيلُ كالمُحَلِّطِ والتَّقْلِيدِ ، وكتبِ الفتوح التي تقرأ في ملأ من عوامِّ الناس ، فإنَّ الكلام إذا طال في مثل ذلك أثرَ عندهم وأفهمهم ، ولو اقتصر فيه على الإيجاز والإشارة لم يقعْ لأكثرهم ، حتى يقال في ذكر الحرب : « التقى الجمعان ، وتطاعن الفريقان ، واشتد القتال ، وحسب النضال . . . » وما جرى هذا الجرى .

والمذهبُ عندي في ذلك ما أذكره ، وهو أن فهم العامة ليس شرطاً معتبراً في اختيار الكلام ، لأنَّه لو كان شرطاً لوجبَ على قياسه أن يُستعمل في الكلام الألفاظ العامية المبتذلة عندهم ، ليكونَ ذلك أقربَ إلى فهمهم ، لأنَّ العلة في اختيار تطويل الكلام إذا كانتْ فهمَ العامة إيَّاه ، فكذلك تجعلُ تلك العلةُ بعينها في اختيار المبتذل من الكلام ، فإنَّه لاخلاف في أن العامة إلى فهمه أقربُ من فهم ما يقلُّ ابتذالهم إيَّاه ، وهذا شيءٌ مدفوعٌ .

= وأبو هريرة ، ومن التابعين عبد الله بن عياش ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، توفي سنة ثلاث وثلاثين .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٥ .

وأما الذي يجب توحيه واعتماده فهو أن يسلك المذهب القويم في تركيب الألفاظ على المعاني ، بحيث لا تزيد هذه على هذه ، مع الإيضاح والإبانة . وليس على مستعمل ذلك أن يفهم العامة كلامه ، فإن نور الشمس إذا لم يره الأعمى لا يكون ذلك نقصاً في استنارته ، وإنما النقص في بصر الأعمى ، حيث لم يستطع النظر إليه :

عَلَى تَحْتِ الْقَوَافِي مِنْ مَعَادِنِهَا وَمَا عَلَى بَأْنٍ لَا تَفْهَمُ الْبَقَرُ
وحيث انتهى بنا القول إلى هذا الموضع فلنرجع إلى ماهو غرضنا ومهمتنا من الكلام على الإيجاز ، وحده ، وأقسامه ، ونوضح ذلك إيضاحاً جلياً ، والله الموفق للصواب ، فنقول :

حد الإيجاز :

هو دلالة اللفظ على المعنى ، من غير أن يزيد عليه .

والتطويل هو ضد ذلك ، وهو أن يدل على المعنى بلفظ يكفيك بعضه في الدلالة عليه ، كقول العجيز السلولي^(١) من أبيات الحماسة .

طُلُوعُ النَّيَا بِالْمَطَايَا وَسَابِقُ إِلَى غَايَةِ مَنْ يَبْتَدِرُهَا يُقَدِّمُ^(٢)

(١) هو ابن عبد الله بن عبيدة ، يصل نسبه إلى سلول بن مرة ، شاعر مقل إسلامي من شعراء بني أمية ، جعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء لإسلام وكان كريماً جواداً اتصله الملوك والأمراء .

(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٢٦٥ ثانياً أربعة أبيات اختارها أبو تمام أولها :
أن ابن عمي لابن زيد وإنه لبلال أيدى جلة الشول بالدم
والجلة لمسة من الإبل ، والشول النوق التي يحف لبنها ، ول أيدىها يريد أنه يعرقبها إذا أراد نحرها - والمعنى أن ابن عمه يقطع بالسيف أيدى الإبل العظيمة السمينة قبل أن ينحرها للأضياف ، ليمكن من نحرها .

فصدُرُ هذا البيتِ فيه تطويلٌ لا حاجةٌ إليه ، وعجزُهُ من محاسن الكلام المتواصفة ، ومَوْضِعُ التطويل من صدره أنه قال « طَلوعُ الثنايا بالمطايا » وإن لفظة « المطايا » فضلةٌ لا حاجةٌ إليها .

وبيانُ ذلك أنه لا يخلوا الأمرُ فيها من وجهين :

إمّا أن يريد أنه سَابِقُ الهمة إلى معالي الأمور ، كما قال الحجاج على المنبر عند وُصُوله العراق :

* أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا (١) *

أى : أَنَا الرَّجُلُ المشهورُ السَّابِقُ إلى معالي الأمور :

فإنَّ أَرَادَ العَجْيزُ بقوله « طَلوعُ الثنايا » ما أَشْرَتْ إليه فذِكرُ « المطايا » يفسد ذلك المعنى ، لأنَّ معالي الأمور لا يُرقى إليها بالمطايا .

وإنَّ أَرَادَ الوجهَ الآخر ، وهو أنه كثيرُ الأسفار ، فاختصاصُهُ الثنايا بالذِّكرِ دونَ الأرض من المفاوز وغيرها لا فائدة فيه .

وعلى كِلَا الوجهَيْن فإنَّ ذكرَ المطايا فضلةٌ لا حاجةٌ إليه ، وهو تطويلٌ باردٌ غثٌ .

فقسْ على هذا المثالِ ما يجرى مجراه من التَّطويلات التي إذا أُسْقِطَتْ من الكلام بقيَ على حاله لم يتغيَّرُ شيءٌ .

وكذلك يجرى الأمرُ في ألفاظٍ يُوصَلُ بها الكلامُ ، فتارةً تبحى لفائدةً ، وذلك قليل ، وتارةً تبحى لغَيْرِ فائدةٍ ، وذلك كثير ، وأَكْثَرُ ما تردُّ في الأشعار ، ليوزنَ بها الأبياتُ الشعرية ، وذلك نحو قولهم : لَعَمْرُى ، ولعمرك ،

(١) هنا صدر البيت ، وعجزه .

* متى أضع العمامة تعرفوني *

ونحو : أصبح ، وظلّ ، وأضحى . وبات ، وأشباه ذلك ، ونحو : يا صاحبي ،
ويا خليلي ، وما يجري هذا الجرى .

فمّا جاء منه قولُ أبي تمام :

أَقْرَؤا - لَعَمْرَى - مُحْكَمَ السُّيُوفِ

وكانت أحقّ بفصل القضاء^(١)

فإنّ قوله « لَعَمْرَى » زيادةٌ لأحاجة للمعنى إليها ، وهى حشوٌّ فى الكلام ،
لأفائدة فيه ، إلا إصلاح الوزن لاغير .

ألا ترى أنّها من باب القسم ، وإنما يردُّ القسمُ فى موضعٍ يؤكّد به المعنى
المراد ، إمّا لأنّه مما يشكُّ فيه ، أو مما يعزُّ وجوده ، أو ما جرى هذا الجرى ،
وهذا البيتُ الشعريّ لا يفتقر معناه إلى توكيدٍ قسميّ ، إذ لا شكّ فى أن
السيوفَ حاكمةٌ ، وأنّ كلَّ أحدٍ يقرُّ لحكمها ، ويدعّن لطاعتها .
وكذلك قوله أيضاً :

إذا أنا لم أَلَمْ عَثَرَاتِ دَهْرٍ بُلَيْتُ بِهِ الْغَدَاةَ فَنَ أَلُومُ^(٢)

فقلّله « الغداة » زيادةٌ لأحاجة بالمعنى إليها ، لأنّه يتمّ بدونها ، لأنّ عَثَرَاتِ

(١) ديوان أبى تمام ٣٤٨ من قصيدة يرثى بها خالد بن يزيد بن مزيد
الشيبانى ومطلعها :

نعاء إلى كلى حى نعاء ففى العرب اختط ربع الفناء
ورواية الديوان « أقروا لعمري بحكم السيوف » .

(٢) ديوان أبى تمام ٤٢٥ من قصيدة يشكو فيها الدهر بنيسابور ،
ومطلعها :

صريع هوى تغاديه المموم بنيسابور ليس له حميم

الدهر لم تنله الغداة ولا العشي ، وإنما نالته ، ونيلها إياه لا بد وأن يقع في زمن من الأزمنة كأننا ما كان ، ولا حاجة إلى تعيينه بالذکر .

وعلى هذا ورد قول البحتري :

ما أحسن الأيَّامَ إلَّا أنها بِاصاحبي إذا مضت لم ترجع^(١)

فقوله « يا صاحبي » زيادة ، لا حاجة بالمعنى إليها ، إلا أنها وردت لتصحيح الوزن لا غير .

وهذه الألفاظ التي ترد في الأبيات الشعرية لتصحيح الوزن لا عيب فيها ، لأننا لو عيناها على الشعراء لتججرونا عليهم وضيّقنا ، والوزن يضطر في بعض الأحيان إلى مثل ذلك .

لكن إذا وردت في الكلام المغمور فإنها إن وردت حشواً ، ولم ترد لفائدة ، كانت عيباً .

وقد ترد في الأبيات الشعرية ويكون ورودها لفائدة ، وذلك هو الأحسن كقول البحتري :

قومٌ أهاونا الوفر حتى أصبحوا أولى الأنام بكل عرضٍ وافر^(٢)

فقوله « أصبحوا » بمعنى صاروا ، أي أنهم صاروا أولى الناس بالأعراض

(١) ديوان البحتري ٢/٢١٥ من قصيدة له في مدح يوسف بن محمد ،

مطامعها :

بين الشقيقة فاللوى فالأجرع دمن حبسن على الرياح الأربع
ورواية الديوان « ما أحسن الأيام لو لا أنها » .

(٢) ديوان البحتري ٢/١٦٧ من قصيدة له في مدح محمد بن عبد الله

ابن طاهر مطامعها :

لا زال محتفل الغمام الباكرو يهيم على حجرات أعلى الحاجر

الوافرة ، وهذه اللفظة لم ترد في هذا البيت حشواً كما وردت في بيتي أبي تمام
المقدم ذكرهما .

وسأزيد هذا الموضع بياناً بمثالٍ أضر به للتطويل حتى يستدل به على
أمثاله وأشباهه ؛ والمثال الذي أضر به هو حكاية أوردت بمحضر مني ،
وذلك أنه جلس إلى في بعض الأيام جماعة من الإخوان ، وأخذوا في مفاوضة
الأحاديث ، وانساق ذلك إلى ذكر غرائب الوقائع التي تقع في العالم ، فذكر
كل من الجماعة شيئاً ، فقال شخص منهم : إني كنت بالجزيرة العمرية في زمن
الملك فلان ، وكنت إذ ذاك صبياً صغيراً ، فاجتمعت أنا وقررت من الصبيان في
الحارة الفلانية ، وصعدنا إلى سطح طاحون لبني فلان ، وأخذنا نلعب على
السطح ، فوقع صبي منا إلى أرض الطاحون ، فوطئه بغل من بغال الطاحون ،
نفقنا أن يكون آذاه ، فأسرعنا النزول إليه ، فوجدناه قد وطمه البغل ، نحتته
خيانةً صحيحة حسنة لا يستطيع الصانع الحاذق أن يفعل خيراً منها . فقال له
شخص من الحاضرين : والله إن هذا عي فاحش ، وتطويل كثير . لا حاجة
إليه ، فإنك بصدد أن تذكر أنك كنت صبياً تلعب مع الصبيان على سطح
الطاحون ، فوقع صبي منكم إلى أرض الطاحون ، فوطئه بغل من بغال الطاحون ،
نحتته ولم يؤذه ، ولا فرق بين أن تكون هذه الواقعة في بلد نعرفه ، أو في
بلد لا نعرفه ؛ ولو كانت بأقصى المشرق أو بأقصى المغرب لم يكن ذلك قدحاً
في غرابتها ، وأما أن تذكر أنها كانت بالجزيرة العمرية ؛ في الحارة الفلانية ؛
في طاحون بني فلان ، وكان زمن الملك فلان ، فإن مثل هذا كله تطويل
لا حاجة إليه ، والمعنى المقصود يفهم بدونه !!

فاعلم أيها الناظر في كتابي هذا أن التطويل هو زيادات الألفاظ في الدلالة

على المعاني، ومهما أمكنك حذف شيء من اللفظ في الدلالة على معنى من المعاني فإن ذلك اللفظ هو التطويل بعينه^(١).

قسما الإيجاز :

وأما الإيجاز فقد عرفت أنك أنه دلالة اللفظ على المعنى ، من غير أن يزيد عليه .

وهو ينقسم قسمين :

أحدهما : الإيجاز بالحذف ، وهو ما يحذف منه المفرد والجملة ، لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه .

والقسم الآخر : مالا يحذف منه شيء ، وهو ضربان :

أحدهما : ماساوى لفظه معناه ويسمى (التقدير) .

والآخر : مازاد معناه على لفظه ، ويسمى (القصر) .

واعلم أن القسم الأول — الذى هو الإيجاز بالحذف — يُتنبه له من غير كبير كلفة في استخراجِه ، لمكان المحذوف منه .

(١) البلاغيون على أن الزيادة إن كانت لغير فائدة وكانت تلك الزيادة غير متعينة اختص هذا باسم (التطويل) كما في قوله : « وأنى قوذا كذبا ومينا » فإن الكذب والمين واحد ، وإن كانت تلك الزيادة متعينة لالفائدة اختص هذا باسم (الحشو) كقول الشاعر :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

فإن لفظ «الندى» فيه حشو يفسد المعنى ، لأن المعنى أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت ، وهذا الحكم صحيح في الشجاعة دون الندى ، لأن الشجاع أوعلم أنه يخلد في الدنيا لم يخش الهلاك فلم يكن لشجاعته فضل بخلاف الباذل ماله ، فإنه إذا علم أنه يموت هان عليه بذله .

وأما القسمُ الثاني فإنَّ التَّعَبُّهَ له عَسِرٌ ، لأنَّه يحتاجُ إلى فضلٍ تأمُّلٍ ،
وطولِ فِكْرَةٍ ، خلفاءُ ما يستدلُّ عليه ، ولا يَسْتَنْبِطُ ذلكَ إلا مَنْ رَسَتْ قَدَمُهُ في
مُمارَسَةِ عِلْمِ البَيانِ ، وصارَ له خَلِيقَةٌ ومِلْكَةٌ .

ولم أَجدْ أَحَدًا عَلمَ هَذينِ القَمَينِ بَعَلَامَةٍ ، ولا قَيِّدَهما بَقَيِّدٍ ، وقد أَشرتُ
إِلَى ذلكَ فيما يَأْتِي من هَذا البابِ عِندَ تَفْصِيلِ أُمُثَلِهما ، فليُؤَخَّرْ من هَناكَ .

فإنَّ قِيلَ : إنَّ هَذا التَّقْسِيمَ الَّذِي قَسَمْتَهُ في الحَذُوفِ وغيرِ الحَذُوفِ ليسَ
بصَحِيحٍ ، لأنَّ المَعْنَى لَيسَتْ أَجْسامًا كالأَلْفاظِ ، حَتَّى يَصِحَّ التَّقْدِيرُ بَيْنَهما ، ثُمَّ
لو سَلِمَتْ جَوَازُ التَّقْدِيرِ في المِساوَةِ لم أَسَلِّمْ جَوَازَ الزِيادَةِ ، فليسَ لِقائِلٍ أَنْ يَقولَ :
هَذا المَعْنَى زائِدٌ عَلى هَذا اللفظِ ، لأنَّه إِنْ قالَ ذلكَ قِيلَ : فَمِنْ أَيْنَ فُهِمَتْ تِلْكَ
الزِيادَةُ الخارِجَةُ عَنِ اللفظِ ، وقد عُلِمَ أَنَّ الأَلْفاظَ إِنما وُضِعَتْ لِلدَّلالةِ عَلى إِمْفَهِامِ
المَعْنَى ؟ فَإِنْ قالَ إِنها فُهِمَتْ من شَيْءٍ خارجٍ عَنِ اللفظِ ، قِيلَ لَه : فَتِلْكَ
الزِيادَةُ بِإِزاءِ ذلكَ الشَّيْءِ الخارجِ عَنِ اللفظِ ، والباقِي مُساوٍ لِللفظِ ، وإِنْ قالَ :
إِنها فُهِمَتْ مِنَ اللفظِ ، قِيلَ : فَكَيْفَ تَفْهَمُ مِنْهُ وَهِيَ زائِدَةٌ عَلَيْهِ . فَإِنْ قالَ :
إِنها فُهِمَتْ مِنْ تَرْكِيبِهِ ، لأنَّ التَّرْكِيبَ أَمْرٌ زائِدٌ عَلى اللفظِ ، قِيلَ : الأَلْفاظُ
تَدُلُّ بِانْفِرَادِها عَلى مَعْنَى ، وَبِتَرْكِيبِها عَلى مَعْنَى آخَرَ ، وَاللفظُ المَرْكَبُ يَدُلُّ
عَلى مَعْنَى مَرْكَبٍ ، وَاللفظُ المَفْرَدُ يَدُلُّ عَلى مَعْنَى مُفْرَدٍ ، وَتِلْكَ الزِيادَةُ إِنْ أُريدَ
بِها زِيادَةُ مَعْنَى المَرْكَبِ عَلى المَرْكَبِ فلا يَخْلُو : إِمَّا أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الزِيادَةُ
مَفهُومَةً مِنْ دَلالةِ اللفظِ المَرْكَبِ عَلَيْها ، أَوْ مِنْ دَلالةِ شَيْءٍ خارجٍ ، فَإِنْ كَانَتْ
مَفهُومَةً مِنْ دَلالَتِهِ عَلَيْها لم تَكُنْ زائِدَةً عَلَيْهِ ، إِذْ لو كَانَتْ زائِدَةً عَلَيْهِ لَمَّا دَلَّ
عَلَيْها ، وَإِنْ كَانَتْ مَفهُومَةً مِنْ دَلالةِ الشَّيْءِ الخارجِ عَنْهُ فَهِيَ بِإِزاءِ ذلكَ الشَّيْءِ
الخارجِ ، والباقِي مُساوٍ لِلباقِي ! .

فالجوابُ عن ذلك أن نقول :

هذا الذى ذكره كلامٌ شبيهٌ بالسَّفْطَةِ ، وهو باطلٌ من وجهين :
أحدهما : أنَّ المعانى إذا كانت لا تزيدُ عَلَى الألفاظِ فيلزمُ من ذلك أنَّ
الألفاظَ لا تزيدُ أيضاً عَلَى المعانى ، لأنهما متلازمان عَلَى قياسِك ، ونحن نرى
معنى قد دُلَّ عَلَيْهِ بِالْفَظِّ ، فإذا أُسْقِطَ من تلك الألفاظِ شئٌ لا يَنْقُصُ ذلك
المعنى ، بل يَبْقَى عَلَى حاله .

والوجهُ الآخرُ : أن الإيجازَ بالحذفِ أقوى دليلاً عَلَى زيادةِ المعانى عَلَى
الألفاظِ لأننا نرى اللفظَ يدلُّ عَلَى معنى لم يَتَضَمَّنْهُ ، وفهمُ ذلك المعنى
ضرورةٌ لا بدَّ منه ، فعلمنا حينئذٍ أنَّ ذلك المعنى الزائدُ عَلَى اللفظِ مفهومٌ من
دلالاته عليه .

فإن قيل : إنَّ المعنى الزائدَ عَلَى اللفظِ المحذوفِ لا بدَّ له من تقديرٍ لفظيٍّ
آخر يدلُّ عَلَيْهِ ، وتلك الزيادةُ بإزاء ذلك اللفظِ المقدَّر ؟

قلتُ فى الجوابِ عن ذلك :

هذا لا يَنْقُضُ ما ذهبتُ إِلَيْهِ من زيادةِ المعنى عَلَى اللفظِ ، لأنَّ المعنى
الزائدَ ظاهرٌ ، واللفظُ الدالُّ عَلَيْهِ مُضْمَرٌ ، وإذا كان مُضْمَرًا فلا يَنْطَقُ بِهِ ،
وإذا لم يَنْطَقْ بِهِ فكأنه لم يكنْ ، وحينئذٍ يَبْقَى المعنى موجودًا . واللفظُ الدالُّ
عليه غير موجود ، وكذلك كلُّ ما يُعْلَمُ من المعانى بمفهومي الخطابِ .

ألا ترى أَنَّكَ إذا قلتَ لَنَ دخلَ عليك : « أهلاً وسهلاً » عُلِمَ أن الأهلَ
والسهلَ منصوبانِ بعاملٍ محذوفٍ ، تقديرُهُ « وجدتُ أهلاً ولقيتُ سهلاً »
إِلَّا أنَّ لَفْظَتِي « وجدت » و « لقيت » محذوفتان ، والمعنى الذى دَلَّ
عليه باق ، فصار المعنى حينئذٍ مفهومًا مع حذفهما ، فهو إذاً زائدٌ لا محالة

وكذلك جميع الحذوفات على اختلافها ، وتشعب مقاصدها ، وهذا لانزاع فيه
لبيانه ووضوحه .

وقد سَنَح لي في زيادة المعنى على اللفظ في غير الحذوفات دليل أنا
ذاكره ، وهو أنا نجد من الكلام ما يدل على معنيين وثلاثة ، واللفظ
واحد ، والمعاني التي تحته متعددة .

فأما الذي يدل على مَعْنَيْنِ : فالكنائيات جميعها ، كالذي ورد في
الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه — رضى الله عنهم — أنهم
« كانوا إذا خرجوا من عنده إلا يتفرقون إلا عن ذَواق » وهذا يدل
على مَعْنَيْنِ :

أحدهما : إطعام الطعام ، أى أنهم لا يخرجون من عنده حتى يطعموا .
الآخر : أنهم لا يتفرقون إلا عن استفادة علم وأدب يقوم لأنفسهم
مقام الطعام لأجسامهم .

وأما الذي يدل على ثلاثة معانٍ فكقول أبي الطيب المتنبى :
وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً
لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ (١)

(١) ديوان المتنبى ١/ ١٨٥ من قصيدة له في مدح كافور ، وقد حمل
إليه ستمائة دينار ، مطلعها قوله :
أغالب فيك الشوق ، والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر ، والهجر أعجب
وقد شرح العكبري البيت المذكور بقوله : يريد أن أشد الظلم وأقبحه
حسد المنعم عليك ، يريد : من بات في نعمة رجل ، ثم بات حاسداً له
فهو أظلم الظالمين ، يريد : أن الحاسدين يحسدونه ، وهو منقول من قول
الحكيم : « أقبح الظلم حسد عبدك الذي تنعم عليه لك » .

فهذا يدلُّ عَلَى ثلاثة معانٍ :

الأول : أَنَّهُ يحسُدُ من أَنعمَ عليه .

الثاني : ضِدُّ الأول .

الثالث : أَنَّهُ يحسُدُ كلَّ ربِّ نعمةٍ كائنًا مَنْ كان ، أَى : يحسُدُ من باتَ في نِعَماءٍ نَفْسِهِ يَتَقَلَّبُ .

وهذا وأمثاله من أدلِّ الدليل على زيادة المعنى على اللفظ ، وهو شئٌ استخرجته ، ولم يكن لأحدٍ فيه قولٌ سابق !

* * *

وحيثُ فرغنا من الكلام على هذا الموضع فلنُتِمِّعهُ بذكر أقسام الإيجاز المشار إليها أولاً ، وما ينصرفُ إليه ، فنقول :

الإيجاز بالحذف :

أما الإيجازُ بالحذف فإنه عجيبُ الأمر ، شبيه بالسَّحر ، وذلكَ أَنَّكَ ترى فيه تركَ الذِّكرِ أَفصحَ من الذِّكرِ ، والصَّمتَ عن الإفادةِ أزيدَ للأفادةِ ، وتجديكَ أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطقْ ، وأتمَّ ما تكونُ مُبينًا إذا لم تبينْ ، وهذه جملةٌ تنسِكِرُها حتى تخبرُ ، وتدفعُها حتى تنظرُ .

والأصلُ في المحذوفاتِ جميعها على اختلافِ ضروبها أن يكونَ في الكلامِ ما يدلُّ على المحذوفِ ، فإن لم يكنْ هناك دليلٌ على المحذوفِ ، فإنه لغوٌ من الحديث ، لا يجوزُ بوجهٍ ولا سببٍ .

ومن شرطِ المحذوفِ في حُكمِ البلاغةِ أَنَّهُ متى أظهرَ صارَ الكلامُ إلى شئٍ غثٍّ ، لا يناسبُ ما كانَ علميهِ أولاً من الطَّلَاوةِ والحسنِ .

وقد يظهرُ المحذوفُ بالإعرابِ كقولنا « أهلاً وسهلاً » فإنَّ نصبَ الأهلِ

والسهل بدلٌ على ناصبٍ محذوفٍ ، وليس لهذا من الحسن ما للذي لا يظهرُ
بالإعرابِ ، وإنما يظهرُ بالنظر إلى تمامِ المعنى ، كقولنا : « فلانٌ يحلُّ ويعقِدُ »
فإن ذلك لا يظهرُ المحذوف فيه بالإعراب ، وإنما يظهر بالنظر إلى تمامِ المعنى ،
أى أنه يحلُّ الأمور ويعقدها .

والذى يظهرُ بالإعراب يقعُ في المفردات من المحذوفات كثيراً ، والذى
لا يظهرُ بالإعراب يقع في الجمل من المحذوفات كثيراً .

وسأذكرُ في كتابي هذا ما وصل إلى علمه ، وهو ينقسمُ قسمين :
أحدهما حذفُ الجمل .

والآخرُ : حذفُ المفردات .

وقد يردُّ كلامٌ في بعض المواضع ، ويكونُ مشتملاً على القسمين معاً .

* * *

القسم الأول - حذف الجمل :

فأما القسم الأول ، وهو الذى تحذف منه الجمل ، فإنه ينقسم إلى قسمين
أيضاً :

أحدهما : حذفُ الجمل المفيدة التى تستقلُّ بنفسها كلاماً . وهذا أحسنُ
المحذوفات جميعها ، وأدملها على الاختصار ، ولا تكاد تجده إلا في كتاب
الله تعالى .

والقسم الآخر : حذفُ الجمل غير المفيدة ، وقد وردَ هاهنا مختلطين .
وجملتهما أربعةٌ أُضرب :

(١) الضرب الأول : حذف السؤال المقدر (ويسمى الاستئناف) :

ويأتى على وجهين :

الوجه الأول : اعادة الاسماء والصفات :

وهذا يحى تارة بإعادة اسم من تقدم الحديث عنه ، كقولك : أحسنتُ إلى زيد ، زيدٌ حقيقٌ بالإحسان .

وتارة يحى بإعادة صِفته ، كقولك : أحسنتُ إلى زيد ، صدِّيقُ القديمُ أهلٌ لذلك منك .

وهو أحسنُ من الأوَّل وأبلغ ، لانطوائه على بيان الموجب للإحسان وتخصيصه .

فمَّا وردَ من ذلك قوله تعالى : ﴿ اَلَمْ * ذٰلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ فِيْهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ * الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيْمُوْنَ الصَّلٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنٰهُمْ يُنْفِقُوْنَ * وَالَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَا اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُوْنَ * اُولٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّنْ رَبِّهِمْ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ﴾ (١) .

والاستئناف واقع في هذا الكلام على « أولئك » لأنه لما قال : « اَلَمْ ذَلِك الْكِتَابُ » إلى قوله « وبالأخرة هم يوقنون » اتجه لسائل أن يقول : ما بال المستعملين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى ؟ فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا — دون الناس — بالهدى عاجلاً ، وبالفلاح آجلاً .

الوجه الثاني : الاستئناف بغير اعادة الاسماء والصفات :

وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَمَالِيَ لَا اُعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِيْ وَالَّذِي تَرْجِعُوْنَ * اَتَتَّخِذُ مِنْ دُوْنِهٖ اِلٰهَةً اِنْ يُّرَدَّنِ الرَّحْمٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّيْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُوْنَ * اِنِّىْ اِذَا لَنِ ضَلَالٍ مُّبِيْن * اِنِّىْ اَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُوْنَ *

(١) سورة البقرة : الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ .

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿١﴾ .

فخرجُ هذا القول مخرجُ الاستئنافِ ، لأنَّ ذلكَ مِنْ مَظَانِّ المسألةِ عَنْ حاله عند لقاءِ ربِّه .

وكانَ قائلًا قال : كيفَ حالُ هذا الرَّجُلِ عند لقاءِ ربِّه بعدَ ذلكَ التَّصَلُّبِ في دينه والتَّسَخُّي لوجهه برُوحه؟ فقيل : « قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ » ولم يقل : قيل له ، لأنَّ نَصِيبَ الغرضِ إلى القولِ ، لا إلى المقولِ له ، مع كونه معلومًا . وكذلكَ قوله تعالى : « يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ » مرتبٌ على تقديرِ سؤالِ سائلٍ عما وجد .

وَمِنْ هَذَا النَّحْوِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا قَوْمِ اْعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ * مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٢﴾ .

والفرقُ بين إنباتِ الفاءِ في « سَوْفَ » كقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اْعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ * مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣﴾ . وبين حذفِ الناءِ هاهنا في هذه الآية أنَّ إنباتِها وصلُّ ظاهرٌ بحرفِ موضوعٍ للوصلِّ ، وحذفُها وصلُّ خفيٌّ تقديرى بالاستئنافِ الذي هو جوابٌ لسؤالٍ مُقدَّرٍ ، كأنهم قالوا : فإذا يكونُ إذا عملنا نحن على مكائتنا ، وعملتَ أنت . فقال : سَوْفَ تعلمون ، فوصلَّ تارة

(١) سورة يس : الآيات ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧

(٢) سورة هود : الآية ٩٣ .

(٣) سورة الزمر : الآيتان ٣٩ و ٤٠

بالفاء ، وتارة بالاستئناف ، للتفنن في البلاغة . وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف ، وهو قسم من أقسام علم البيان تتكاثر محاسنه ، فأعرفه إن شاء الله تعالى .

(٢) الضرب الثاني : الاكتفاء بالسبب عن المسبب ، وبالمسبب عن السبب :

فأما الاكتفاء بالسبب عن المسبب فكقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرْجِ إِذْ قُضِيَنا إِلَى مُوسَى الْأَمْرِ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ * وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ^(١) كأنه قال : وما كنت شاهداً لموسى وما جرى له وعليه ، ولكننا أوحيناك إليك ، فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ، ودل به على المسبب الذي هو الوحي ، على عادة اختصارات القرآن ، لأن تقدير الكلام . ولكننا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى موسى إلى عهدك قروناً كثيرة ، فتطاول على آخرهم — وهو القرن الذي أنت فيهم — العمر ، أي أمد انقطاع الوحي ، فاندurst العلوم ، فوجب إرسالك إليهم ، فأرسلناك ، وعرفناك العلم بقصص الأنبياء ، وقصة موسى ، فالحذف إذا جملة مفيدة ، وهي جملة مطولة ، دل السبب فيها على المسبب .

وكذلك ورد قوله تعالى عقيب هذه الآية أيضاً : (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَأْنَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) ^(٢) .

فإن في هذا الكلام محذوفاً لولاه لما فهم ، لأنه قال : « وما كنت بجانب

(١) سورة القصص : الآيتان ٤٤ و ٤٥ .

(٢) سورة القصص : الآية ٤٦ وفي الأصل « لعلمهم يهتدون »

وهو خطأ .

الطُّور إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ « وهذا لا بدَّ له من محذوف ، حتى يستقيم نظم الكلام ، وتقديره ولكن عرفناك ذلك ، وأوحينا إليك رحمة من ربك ، لتنذِرَ قومًا ما أتاهم من نذيرٍ مِنْ قَبْلِكَ « فذكر الرحمة التي هي سبب إرساله إلى الناس ، ودلَّ بها على المسبَّب الذي هو الإرسال .

وأما حذفُ الجملة غير المفيدة من هذا الضرب فنحو قوله تعالى حكايةً عن مريمَ عليها السلام : (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) (١) .

فقوله « ولنجعل آية للناس » تعليلٌ مُعلَّله محذوفٌ ، أى : وإنما فعلنا ذلك لنجعل آية للناس ، فذكر السبب الذى صدرَ الفعلُ من أجله ، وهو جعله آيةً للناس ودلَّ به على المسبَّب الذى هو الفعل .

ومما وردَ من ذلك فى الأخبار النبوية قصة : الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ — رضى الله عنه — والرجل الأنصارى الذى خاصمه فى شِراجِ الحرة (٢) التى يُسقى منها النخل ، فلما حضرا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال للزُّبَيْرِ « اسقِ ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ » فنضب الأنصارى ، وقال : « يا رسول الله : إِنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ ؟ فَتَلَوْنِ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وقال : « اسقِ يَازُبَيْرُ ، ثُمَّ احْبَسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدُرِ » وفى هذا الكلام محذوف تقديره : أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ حَكَمْتَ لَهُ ؟ ، أو قَضَيْتَ لَهُ . أو ماجرى هذا الجرى ، فذكر السبب الذى هو كونه ابن عمته ، ودلَّ به على المسبَّب الذى هو الحكم أو القضاء ، لدلالة الكلام عليه :

(١) سورة مريم : الآيتان ٢٠ و ٢١ .

(٢) الشرح — بفتح فسكون — مسير الماء من الحرة إلى السهل ، وجمعها شراج ، بكسر الشين .

وَأَمَّا الْاِكْتِفَاءُ بِالسَّبَبِ عَنِ السَّبَبِ فَكَقَوْلُهُ تَعَالَى : (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)^(١) أَيْ : إِذَا أُرِدْتَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ ، فَاسْتَفِ بِالسَّبَبِ الَّذِي هُوَ الْقِرَاءَةُ ، عَنِ السَّبَبِ الَّذِي هُوَ الْإِرَادَةُ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْاسْتِعَاذَةَ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ ؛ وَالَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ أَنَّهَا بَعْدَ الْقِرَاءَةِ ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ : « إِذَا ضَرَبْتَ زَيْدًا فَاجْلِسْ » ، فَإِنَّ الْجُلُوسَ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الضَّرْبِ ، لَا قَبْلَهُ .

وَهَذَا أَوَّلَى مَنْ تَأَوَّلَ مِنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ : فَإِذَا تَعَوَّذْتَ فَقَرَأْ ، فَإِنَّ [فِى] ذَلِكَ قَلْبًا لَا ضَرُورَةَ تَدْعُوا إِلَيْهِ . وَأَيْضًا فَلَيْسَ كُلُّ مُسْتَعِذٍ أَوْاجِبَةٍ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ .

وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ)^(٢) .

وَالْوُضُوءُ إِنَّمَا يَكُونُ قَبْلَ الصَّلَاةِ ، لَا عِنْدَ الْقِيَامِ إِلَيْهَا ، لِأَنَّ الْقِيَامَ إِلَيْهَا هُوَ مَبَاشَرَةٌ لِأَفْعَالِهَا مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالْقِرَاءَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الْوُضُوءِ ، وَتَأْوِيلُ الْآيَةِ : إِذَا أُرِدْتَ الْقِيَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلْ ، فَاسْتَفِ بِالسَّبَبِ عَنِ السَّبَبِ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلْيَتَوَضَّأْ) .

أَيْ : إِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَإِنَّمَا يَعْبُرُ عَنِ إِرَادَةِ الْفِعْلِ بِلَفْظِ الْفِعْلِ ، لِأَنَّ الْفِعْلَ مُسَبَّبٌ عَنِ الْإِرَادَةِ ، وَهُوَ مَعَ الْقَصْدِ إِلَيْهِ مَوْجُودٌ ، فَكَانَ مِنْهُ بِسَبَبٍ وَمَلَابَسَةٍ ظَاهِرَةٌ .

(١) سورة النحل : الآية ٩٨ .

(٢) سورة المائدة الآية ٦ .

ومن ذلك قوله تعالى : (فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ
اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) (١) .

أى : فضرب فانفجرت منه ، فاكتفى بالسبب — الذى هو الانفجار —
عن السبب الذى ، هو الضرب .

(٣) الضرب الثالث : وهو الاضمار على شريطة التفسير :

وهو أن يُحذف من صدر الكلام ما يؤتى به فى آخره ، فيكون الآخر
دليلاً على الأول .

وهو ينقسم إلى ثلاثة أوجه :

الأول : أن يأتى على طريق الاستفهام ، فتذكر الجملة الأولى دون

الثانية ، كقوله تعالى : (أَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ
رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (٢) تقدير
الآية : أفن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسى قلبه . ويدل على المحذوف
قوله « فويل للقاسية قلوبهم » .

الوجه الثانى : يرد على حدّ التثنية والإثبات ، كقوله تعالى : (لَا يَسْتَوِي

مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ
أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا) (٣) تقديره : لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح
وقاتل ، ومن أنفق من بعده وقاتل ، ويدل على المحذوف قوله « أُولَئِكَ
أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا » .

(١) سورة البقرة : الآية ٦٠ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٢٢ .

(٣) سورة الحديد : الآية ١٠ .

الوجه الثالث : أن يرد على غير هذين الوجهين ، فلا يكون استفهاماً ،
ولا نفياً وإثباتاً ، وذلك كقول أبي تمام ^(١) .

يَتَجَنَّبُ الْآثَامَ ثُمَّ يَخَافُهَا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامٌ
وهذا البيتُ مختلفٌ نسخُ ديوانه في إثباته ، فمنها ما يجيء فيه :
يَتَجَنَّبُ الْآيَامَ خِيفَةً غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامٌ
ولبس بشيء ، لأن المعنى لا يصحُّ به .

وكنْتُ سئِلْتُ عن معناه ، وقيل : كيف ينطبقُ عجزُ البيت على صدره ،
وإذا تجنَّب الآثَامَ وخَافَهَا فكيف تكون حسناته آثاماً . ففكرتُ فيه ،
وأنعمتُ نظري ، فسنح لي في القرآن الكريم آيةً مثله ، وهى قوله تعالى :
(وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) ^(٢) وفى صدر البيت إضمارٌ مفسَّر في
عجزه ، وتقديره أنه يتجنَّب الآثَامَ ، فيكونُ قد أتى بحسنة ، ثم يخافُ تلك
الحسنة ، فكأنما حسناته آثام ، وهو على طباق الآية سواء .

ومن الإضمار على شريطة التفسير قولُ أبي نُوَاس :

سُنَّةُ الْعُشَاقِ وَاحِدَةٌ فَإِذَا أُحْبِبْتَ فَاسْتَكِنَ

خُذَفَ لَفْظَ الاسْتِكَانَةِ مِنَ الْأَوَّلِ ، وذكره فى الثانى ، أى : سُنَّةُ الْعُشَاقِ
وَاحِدَةٌ ، وهى الاسْتِكَانَةُ ، فَإِذَا أُحْبِبْتَ فَاسْتَكِنَ ، ومن النَّاسِ من يقول :
« فَإِذَا أُحْبِبْتَ فَاسْتَكِنَ » ، وهذا لامعنى له ، لأنَّه إِذَا لم يَبَيِّنْ سُنَّةَ الْعُشَاقِ

(١) ديوان أبي تمام ٢٨٠ من قصيدة له فى مدح المأمون مطلعها :

دَمْنُ أَلَمٍ بِهَا فَقَالَ سَلَامٌ كَمَ حَلِّ عَقْدَةِ صَبْرِهِ الْإِلَامُ

(٢) سورة (المؤمنون) : الآية ٦٠

ماهى فبأى شئ يستن المسن منها . لكنه ذكر السنة في صدر البيت من غير بيان ، ثم بيدها في عجزه .

(٤) الضرب الرابع : ما ليس بسبب ولا مسبب ، ولا اضممار على شريطة النفسير ، ولا استئناف :

فأما ما حذف فيه من الجمل المفيدة فكقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام : (قَالَ تَزَرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ) (١) .

قد حذف من هذا الكلام جملة مفيدة ، تقديرها : فرجع الرسول إليهم ، فأخبرهم بمقالة يوسف ، فعجبوا لها ، أو فصدقوه عليها ، وقال الملك : ائتوني به .

والمحذوف إذا كان كذلك دل عليه الكلام دلالة ظاهرة ، لأنه إذا ثبتت حاشيتا الكلام ، وحذف وسطه ظهر المحذوف ، لدلالة الحاشيتين عليه . وكذلك ورد قوله تعالى في هذه السورة أيضاً : (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) (٢) .

(١) سورة يوسف : الآيات ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ .

(٢) سورة يوسف : الآيات ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ .

قد حذف أيضاً من هذا الكلام جملة مفيدة ، تقديرها : نعم إنهم تجهزوا وساروا إلى مصر ، فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه .

وقد ورد هذا الضرب في القرآن الكريم كثيراً ، كقوله تعالى في سورة القصص : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كُنْ تَقْرَ عَنُهَا)^(١) .

في هذا محذوف ، وهو جواب الاستفهام ، لأنها لما قالت : « هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم » ؟ احتاج إلى جواب ، لينتظم بما بعده من رده إلى أمه ، والجواب : فقالوا : نعم ، فدلّتهم على امرأة ، نجى بها ، وهى أمه ، ولم يعلموا بمكانها فأرضعته ، وهذه الجملة الثانية — أعنى قوله تعالى : « فرددناه إلى أمه » — تدلّ على المحذوف ، لأنّ رده إلى أمه لم يكن إلا بعد ردّ الجواب على أخته ، ودلائها إيتام على امرأة تُرضعه .

ويكفى هذا الموضع وحده لمن يتبصّر في مواقع المحذوفات وكيفيتها .

ومما يجرى على هذا المنهج قوله تعالى في قصة سليمان — عليه السلام — وقصة الهدهد في إرساله بالكتاب إلى بلقيس : (قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ)^(٢) .

وفي هذا محذوف ، تقديره : فأخذ الكتاب ، وذهب به ، فلما ألقاه إلى المرأة وقرأته قالت : يا أيها الملأ .

(١) القصص : الآيات ١٢ و ١٣ .

(٢) سورة النمل : الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ .

ومن حذف الجمل المفيدة ما يفسر تقدير المحذوف منه بخلاف ما تقدم .
الأنرى أن الآيات المذكورة كلها إذا تأملها المتأمل وجد معانيها متصلة من
غير تقدير المحذوفات التي حذفت منها ؛ ثم إذا قدر تلك المحذوفات سهل
تقديرها ببديهة النظر .

والذى أذكره الآن ليس كذلك ، بل إذا تأمل المتأمل وجد غير
متصل المعنى ، وإذا أراد أن يقدر المحذوف عسر عليه .

فمما جاء منه قوله تعالى : (وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِّمَّا مِنْ
فَوْاقِ . وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ . اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ
وَإِذْ كُنْ عَبْدًا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ)^(١) فهذا الكلام إذا أمّله المتأمل لم
يجده متصل المعنى ، ولم ينبئن له بحجى ذكر داود عليه السلام رادقاً لقوله تعالى
(اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) ، وإذا أراد أن يقدر هاهنا محذوفاً يوصل به المعنى
عسر عليه ، وتقديره يحتمل وجهين .

أحدهما : أنه قال : « اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ » وخوفهم أمر معصية الله ،
وعظمها في عيونهم بذكر قصة داود الذى كان نبياً من الأنبياء . وقد آتاه الله
ما آتاه من النبوة والملك العظيم ، ثم لما زلّ زلّة قوبل بكذا وكذا ، فما الظن
بكم أنتم مع كفركم .

الوجه الآخر : أنه قال : « اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ » واحفظ نفسك أن تزلّ
فى شيء مما كلفته من مصابرتهم ، واحتمال أذاهم ، واذكر أخاك داود وكرامته
على الله كيف زلّ تلك الزلّة ، فلقى من توبيخ الله مالم يلقى ؟ !! .

فهذا الكلام كما تراه يحتاج الى تقدير ، حتى يتصل بعضه ببعض ، وهو من أغراض ما يأتي من المحذوفات ، وبه يُتنبّه على مواضع أخرى غامضة .

* * *

وأما ما ورد من هذا الضرب في حذف الجمل التي ليست بمفيدة فنحو قوله تعالى : (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا . قَالَ رَبِّ أَتَى بِكَ غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا . قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا . قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا . فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا . يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) (١) .

هذا الكلام قد حذف منه جملة دلّ عليها صدره ، وهو البشري بالغلام ، وتقديرها : ولما جاءه الغلام ونشأ وترعرع قلنا له : يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، فالجملة المحذوفة ليست من الجمل المفيدة .

وعلى هذا النهج ورد قوله تعالى : (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى * قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِيَ * قَالَ يَبْنَؤُنَّ أُمٌّ لَا تَأْخُذُ بِالْحَيَاتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) (٢) .

(١) سورة مريم : الآيات ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ .

(٢) سورة طه : الآيات ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ .

وقد حُذِفَ من هذا الكلام جملة إلا أنها غير مفيدة ، وتقديرها . فلما
رجع موسى ، ورآهم على تلك الحال من عبادة العجل قال لأخيه هارون :
مامنَعَكَ إذ رأيتهم ضلّوا ألا تتبّعني ؟

وكذلك وردَ قوله تعالى في قصّة سليمان — عليه السلام — من سورة النمل
(قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ ^(١) أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ
عَفَرْتُ مَنْ الْجِنَّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ
أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ
طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ
أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ .
قَالَ نَكُرُوا هَآءَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ
لَا يَهْتَدُونَ) ^(٢) .

وفي هذا المحذوف تقديره : فلما جاء به قال : نكروا لها عرشها ، لأنَّ
تنكيره لم يكن إلا بعد أن جرى به إليه ، وقد أغنى عن المحذوف صدر الكلام
وآخره ، وكان ذلك دليلاً عليه .

وما ورد على ذلك شعراً قولُ أبي الطَّيِّب المتنبي ^(٣) :

(١) سقطت عبارة «يا أيها الملأ» من الأصول ومن المطبوع .

(٢) سورة النمل : الآيات ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ .

(٣) ديوان المتنبي ٤ / ١٥٦ من قصيدة له يذكر فيها مسيره من مصر ،
ويرثي فاتكا ، ومطلعها :

حَتّام نحن نساوي النجم في الظلم وما سراه على خف ولا قدم

لَا أَبْغِضُ الْعَيْسَ لَكِنِّي وَقَيْتُ بِهَا

قَلْبِي مِنَ الْهَمِّ أَوْ جَسْمِي مِنَ السَّقَمِ^(١)

وهذا البيت فيه محذوف ، تقديره : لَا أَبْغِضُ الْعَيْسَ لِإِنْضَائِي بِهَا فِي الْأَسْفَارِ ، ولكنني وقيتُ بها كذا وكذا ، فالثاني دليلٌ على حذف الأول .

وهذا موضعٌ يحتاجُ في استخراجِه واستخراجِ أَمْثَالِه إلى فكرةٍ وتدقيقِ نظرٍ .

ومما يتصلُ بهذا الضرب حذفُ ما يحىءُ بعد « أَفْعَلْ » كقولنا : « اللَّهُ أَكْبَرُ » فإنَّ هذا يحتاجُ إلى تمام ، أى : أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ كَبِيرٍ ، وَأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُتَوَهَّمُ كَبِيرًا ، أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى .

ومثله يَرَدُّ قَوْلُهُمْ : زَيْدٌ أَحْسَنُ وَجْهًا ، وَأَكْرَمُ خُلُقًا ، تَقْدِيرُهُ : أَحْسَنُ وَجْهًا مِنْ غَيْرِهِ ، وَأَكْرَمُ خُلُقًا مِنْ غَيْرِهِ ، أَوْ مَا يَسُدُّ هَذَا الْمَسَدَّ مِنَ الْكَلَامِ .
وعليه وَرَدَ قَوْلُ الْبُحْتَرِيِّ^(٢) :

اللَّهُ أَعْطَاكَ الْحُبَّةَ فِي الْوَرَى وَحَبَاكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَا يُنْكَرُ

(١) يريد أن إلتاعها في السفر لم يكن بغضا لها منى ، ولكن أسافر عليها لأتقى قلبي وأحفظه من الحزن ، وجسمي من السقم ، إذا غلب الهواء والماء وسافر صرح جسمه ، وكذلك المحزون يتنسم بروح الهواء ، أو يصير إلى مكان يسر بالإكرام فيه .

(٢) ديوان البحتري ١ / ١١ من قصيدة له يمدح فيها المتوكل على الله ، وينذكر خروجه يوم الفطر ، ومطلعها :

أخفى هوى لك في الضلوع وأظهر وألام في كمد عليك وأعذر

وَلَأَنْتَ أَمْلَأُ فِي الْعُيُونِ لَدَيْهِمْ وَأَجَلٌ قَدَرًا فِي الصُّدُورِ وَأَكْبَرُ
أَي : أَنْتَ أَمْلَأُ فِي الْعُيُونِ مِنْ غَيْرِكَ .

* * *

القسم الثاني - حذف المفردات :

وأما القسم الثاني المشتغلُ عَلَى حذف المفردات فإنه يَتَصَرَّفُ عَلَى أربعة عشر ضَرْبًا :

(١) الضرب الأول : حذف الفاعل والاكتفاء في الدلالة عليه بذكر الفعل :
كقول العرب : « أَرْسَلْتُ » وهم يُرِيدُونَ : جاء المطر ، ولا يذكرون
السَّمَاءَ .

ومنه قولُ حاتم^(١) .

أَمَّا وَيَّ ، مَا يُغْنِي النَّوَاءَ عَنِ الْفَقَى
إِذَا حَشَرَ جَتَّ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
يُرِيدُ : النَّفْسَ ، ولم يَجْرِ لها ذكر .

وعَلَى هذا ورد قوله تعالى : (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ . وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ)^(٢)
والضمير في « بَلَغَتْ » للنَّفْسِ ، ولم يَجْرِ لها ذكر .

وقد نصَّ عثمانُ بْنُ جُنَّيٍّ — رحمه الله تعالى — على عدم الجواز في حذف

(١) ديوان حاتم الطائي ١١٨ — من مجموع يشتمل على خمسة دواوين
من أشعار العرب : للنابعة ، وعروة بن الورد ، وحاتم طي ، وعلقمة
الفحل ، والفرزدق (المطبعة الوهبية — القاهرة ١٢٩٣ هـ) — والبيت من
قصيدة رواها ابن الكلبي لحاتم ، ومطلعها :

أماوى قد طال التمجيب والهجر وقد عذرتنى من طلا بكم العذر

(٢) سورة القيامة : الآيتان ٢٦ و ٢٧ .

الفاعل ، وهذه الآية وهذا البيت الشعري وهذه الكلمة الواردة عن العرب على خلاف ما ذهب إليه^(١) .

إلا أن حذف الفاعل لا يجوز على الإطلاق ، بل يجوز فيما هذا سبيله ، وذلك أنه لا يكون إلا فيما دلّ الكلام عليه .

ألا ترى أن التي تبلغ التراقي إنما هي النفس ، وذلك عند الموت ، فعلم حينئذ أن النفس هي المرادة ، وإن كان الكلام خالياً عن ذكرها ، وكذلك قول حاتم « حَشَرَجَتْ » فإن الحشرجة إنما تكون عند الموت .

وأما قول العرب « أُرْسَلَتْ » — وهم يريدون أُرْسِلَتْ السماء — فإن هذا يقولونه نظراً إلى الحال ، وقد شاع فيما بينهم أن هذه كلمة تقال عند مجيء المطر ، ولم ترد في شيء من أشعارهم ، ولا في كلامهم المنشور ، وإنما يقولها بعضهم لبعض إذا جاء المطر

فالفرق بينها وبين « حَشَرَجَتْ » وبين « بَلَغَتْ التراقي » ظاهر ، وذلك أن « حَشَرَجَتْ » « وَبَلَغَتْ التراقي » يفهم منها أن النفس التي حشرجت ، وأنها هي التي بلغت التراقي .

وأما « أُرْسَلَتْ » فلو لا شاهد الحال ، وإلا لم يجوز أن تكون دالة على مجيء المطر ، ولو قيل في معرض الاستسقاء : « إنا خرجنا نسالُ الله ، فلم نزل حتى أُرْسَلَتْ » ، لفهم من ذلك أن التي أُرْسَلَتْ هي السماء ، ولا بد في الكلام من دليل على المحذوف ، وإلا كان لغواً لا يلتفت إليه .

(١) هذا ليس من باب حذف الفاعل إلا عند الكوفيين ، والضمير في الآية عائد إلى النفس ، وكذلك في بيت حاتم ، وفي قوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » فإن الضمير في « توارت » عائد إلى الشمس ، ولم يتقدم لها ذكر ، وذلك إذا كان الاسم الظاهر مفهوماً من سياق الكلام .

(٢) الضرب الثاني : حذف الفعل وجوابه :

اعلم أن حذف الفعل ينقسم قسمين :

أحدهما : يظهرُ بدلالةِ المفعولِ عليه ، كقولهم في المثل : « أَهْلَكَ وَاللَّيْلَ »
فنصبُ « أَهْلَكَ » و « اللَّيْلَ » يدلُّ عَلَى محذوفٍ ناصبٍ ، تقديره « الْحَقُّ
أَهْلَكَ وَبَادِرَ اللَّيْلِ » وهذا مثلُ يُضْرَبُ في التحذير .

وعليه وَرَدَ قوله تعالى (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا)^(١) .
ومما ورد منه في الأخبار النبوية أن جابراً تزوج ، فقال له رسولُ الله صلى
الله عليه وسلم : ما تزوجتَ ؟ قال : نَيْبًا ، فقال : « فهِلَّا جَارِيَةٌ تَلَاعِبُهَا
وَتَلَاعِبُكَ » : يريدُ : فهِلَّا تزوجتَ جَارِيَةً : فحذفَ الفعل ، لدلالةِ
الكلامِ عليه .

ومما وردَ منه شعراً قولُ أبي الطَّيِّبِ المُنْتَبِي في قصيدته الكافية التي يمتدحُ
بها عَضُدَ الدَّوْلَةِ أَبَا شُجَاعٍ بَنَ بُوَيْهٍ ، ومطلعُها^(٢) :

* فِدَى لَكَ مَنْ يَقْصُرُ عَنْ مَدَاكَ *^(٣)

وسأذكرُ الموضعَ الذي حُذِفَ مِنْهُ الفعلُ وجوابه ، لتعلُّقِ الأبياتِ
بعضُها ببعضٍ ، وهي من محاسنِ ما يؤتى به في معنى الوداع ، ولم يأتِ لغيره
مثلُها ، وهي :

(١) سورة الشمس : الآية ١٣ .

(٢) ديوان المتنبي ٣٨٥ / ٢ .

(٣) هذا صدر المطلع ، وعجزه :

* فلاملك إذن إلا فداكا *

إِذَا التَّوَدَّيعُ أَعْرَضَ قَالَ قَلْبِي
عَلَيْكَ الصَّمْتُ لَا صَاحِبْتَ فَأَكَ (١)
وَلَوْلَا أَنْ أَكْثَرَ مَائِي
مُعَاوِدَةً لَقَلْتُ وَلَا مُنَاكَ (٢)
قَدْ اسْتَشْفَيْتُ مِنْ دَاءٍ بَدَأَ
وَأَقْتُلُ مَا أَعْلَاكَ مَا شَفَاكَ
فَأَكْتَمْتُ مِنْكَ نَجْوَانًا وَأَخْفَى
هُمُومًا قَدْ أَطْلَتْ لَهَا الْعِرَاكَ (٣)
إِذَا عَاصَيْتُهَا كَانَتْ شَيْءًا دَادًا
وَأِنْ طَاوَعْتَهَا كَانَتْ رِكَكَ (٤)
وَكَمْ دُونَ الثَّوْبَةِ مِنْ حَزِينٍ
يَقُولُ لَهُ قُدُومِي : ذَا بَذَاكَ (٥)
وَمِنْ عَذَبِ الرُّضَابِ إِذَا أَنْخَنَّا
بِقَبْلِ رَحْلٍ « تُرْوَكٌ » وَالْوِرَاكَ (٦)

(١) إذا ظهر التوديع قال لي قلبي : اسكت ، ولا تتكلم بالوداع ، قال الواحدى ، ويجوز أن يكون المعنى : لا تمدح غيره ، ومعنى « لا صاحبت فاك » أى : لا نطقت : دعاء عليه .

(٢) معناه : لولا أن قلبي أكثر ما يتمنى ويطلب معاودة خدمة الممدوح ، لقلت له : لا بلغت منك : وقال الواحدى : لا بلغت منك فى الارتحال ، حتى لا أفارقه ، ولكنه يتمنى الارتحال للعود إليه .

(٣) رواية الديوان « فأستر منك » موضع « فأكتم منك » .

(٤) الركاك : الضعاف ، وهو جمع ركيك كضعيف .

(٥) الثوبية مكان بالكوفة على بعد ثلاثة أميال منها . ومعنى البيت : كم دونها من إنسان حزين لفراقى ، فإذا قدمت فرح لقدمى ، فيقوله القدم . هذا السرور بالغم الذى كنت لقيته بالبعد ، وهذا كقول أبى تمام :

ولست فرحة الأبواب إلا لموقوف على ترح الوداع
وقول ابن الرومى يخاطب أمه وقد أراد سفرأ :

فقلت لها إن اكتئاباً بشاخص سيتبعه الله ابتهاجاً بقادم

(٦) الرضاب ماء الأسنان ، وتروك اسم ناقة أعطاه له عضد

الدولة ، والوراك جلد يتخذها الراكب تحت وركه ، يقول : كم هناك من شخص عذب الرضاب ، إذا أنخت إليه ناقى قبل رحلها ووراكها إعجاباً بها ، يفديها بنفسه لإكرامها لها إذا أدنيتى إليه .

يُحَرِّمُ أَنْ يَمْسَ الطَّيِّبَ بَعْدِي وَقَدْ عَبِقَ الْعَبِيرُ بِهِ وَصَاكَ^(١)
يَحْدُثُ مَقْلَتِيهِ النَّوْمُ عَنِّي فَلَيْتَ النَّوْمَ حَدَّثَ عَنْ نَدَاكَ
وَمَا أَرْضَى لِقَلْتِيهِ بِحُلْمٍ إِذَا انْتَبَهَتْ تَوَهَّمُهُ ابْتِشَاكَ^(٢)
وَلَا إِلَّا بَأَن يُصْنِي وَأُحْكِي فَلَيْتَكَ لَا يَتِيَّمُهُ هَوَاكَ

فقوله « ولا مناكا » . فيه محذوف ، تقديره : ولا صاحبت مناكا .
وكذلك قوله . « وَلَا إِلَّا بَأَن يُصْنِي وَأُحْكِي » فإن فيه محذوفاً ، تقديره :
ولا أَرْضَى إِلَّا بَأَن يُصْنِي وَأُحْكِي .

وأما القسم الآخر : فإنه لا يظهر فيه قسم الفعل ، لأنه لا يكون هناك
منصوب يدل عليه . وإنما يظهر بالنظر إلى ملاءمة الكلام .

فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا
خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)^(٣) .

فقوله : « لقد جئتمونا » يحتاج إلى إضمار فعل . أي : فليل لهم : لقد
جئتمونا ، أو فقلنا لهم .

وقد استعمل هذا في القرآن الكريم في غير موضع ، كقوله تعالى :

(١) في الأصل « عاق » موضع « عبق » ، والتصويب عن الديوان ،
وصاك الشيء بالشئ ، لصق به .

(٢) التبشك والابتشاك الكذب ، وأبشك القول ، وحرفه ،
واختلقه ، بمعنى .

(٣) سورة الكهف : الآية ٤٨ .

(وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَذَّيْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) (١).

فَقَوْلُهُ: « أَلَذَّيْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا » يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرِ الْفِعْلِ الْمَضْمَرِ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) (٢) . فَقَوْلُهُ : « وَإِنْ جَاهَدَاكَ » . لَا يَدُلُّ لَهُ مِنْ إِضْمَارِ الْقَوْلِ ، أَيْ : وَقُلْنَا لَهُ : إِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا .

وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ : (إِيْقَاعُ الْفِعْلِ عَلَى شَيْئَيْنِ ، وَهُوَ لِأَحَدِهِمَا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ) (٣) .

وَهُوَ (٤) لِأَمْرِكُمْ وَحْدَهُ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ ، وَادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ، لِأَنَّ مَعْنَى « أَجْمَعُوا » مِنْ « أَجْمَعَ الْأَمْرَ » ، إِذَا نَوَاهُ ، وَعَزَمَ عَلَيْهِ .

وَقَدْ قَرَأَ أَبُو بِيٍّ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — « فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ » وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى مَا أَشْرَفْتُ إِلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ هُوَ مُثَبَّتٌ فِي مَصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥) .

(١) سُورَةُ الْأَحْقَافِ : الْآيَةُ ٢٠ .

(٢) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ : الْآيَةُ ٨ .

(٣) سُورَةُ يُونُسَ : الْآيَةُ ٧١ . (٤) وَهُوَ أَيْ الْفِعْلُ

(٥) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ بْنُ الْحَارِثِ ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْهَمْلِيُّ الْمَكِّيُّ ، أَحَدُ السَّابِقِينَ وَالْبَلَدِيِّينَ وَالْعُلَمَاءِ الْكِبَارِ مِنَ الصَّحَابَةِ ، أَسْلَمَ قَبْلَ عَمْرِو . وَعَرَّضَ الْقُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَفْشَى الْقُرْآنَ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ، تَوَفَّى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ ، وَلَهُ بَضْعٌ وَسْتُونَ سَنَةً .

ومن حَذَفِ الفعل ، بابٌ يسمَّى (باب إِيْقَامَةِ المَصْدَرِ مَقَامَ الفِعْلِ) .
 وإِنَّمَا يُفْعَلُ ذلك لضَرْبٍ من المبالغة والتوكيد ، كقوله تعالى : (فَإِذَا لَقِيتُمُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ)^(١) قوله : « فَضَرْبَ الرِّقَابِ » أصله : فاضربوا
 الرِّقَابَ ضَرْبًا ، مُحَذَفَ الفعل ، وأَقِيمَ المَصْدَرُ مقامه . وفي ذلك اختصارٌ ، مع
 إعطاء معنى التَّوَكُّيدِ المَصْدَرِي .

وأما (حذف جواب الفعل) فإنه لا يكون في الأمر المحتوم كقوله تعالى :
 (فَذَرْنَهُمْ يَمْخُضُوا وَيَلْعَبُوا)^(٢) فجزَمَ « يَمْخُضُوا » و « يَلْعَبُوا » لأنَّهما جوابُ
 أمر « فذرهم » .

وحذفُ الجوابِ في هذا لا يدخلُ في باب الإيجاز ، لأنَّا إِذَا قلنا ذَرْنَهُمْ
 أَيْ : ائْرُكْهُمْ ، لا يحتاجُ ذلك إلى جوابٍ . وكذلك ما يجري مجراه .

وإنما يكونُ الجوابُ بالفاءِ في ماضٍ ، كقولنا : « قلتُ له : اذْهَبْ فَذْهَبَ »
 وحينئذٍ يظهرُ الجوابُ المحذوفُ كقوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا
 فَدَمَّرْنَاهُمْ تَذْمِيرًا)^(٣) .

ألا ترى كيف حُذِفَ جوابُ الأمرِ في هذه الآية ؟ فإنَّ تقديره : قلنا
 اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا ، فَذْهَبَا إِلَيْهِمْ ، فَكَذَّبُوهُمَا ، فَدَمَّرْنَاهُمْ

(١) سورة محمد : الآية ٤ .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٨٣ .

(٣) سورة الفرقان : الآيتان ٣٥ و ٣٦ .

تدميراً ، فذكر حاشيتي القصة أولها وآخرها ، لأنهما المقصود من القصة بطولها ،
أعنى إلزام الحجة ببغثة الرسل ، واستحقاق التدمير بتكذيبهم .

ومن هذا الضرب أيضاً قوله تعالى : (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى
يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ . أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا نَزْعًا وَنَلْعَبَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ .
قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ
غَافِلُونَ : قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا خَاسِرُونَ . فَلَمَّا ذَهَبُوا
بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ)^(١) .

جواب الأمر من هذا الكلام محذوف ، وتقديره : فأرسله معهم ، ويدلنا
على ذلك مجاء بعده من قوله : « فلما ذهبوا به » .

كما حذف أيضاً في قوله هزَّ وجلَّ : (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ
أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُون . يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
سِمَانٍ)^(٢) الآية .

جواب الأمر من هذا الموضع محذوف ، وتقديره : فأرسلوه إلى يوسف ،
فأتاه فقال له : يوسفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ .

وكذلك قوله تعالى : (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ
ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي

(١) سورة يوسف : الآيات ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ . و « نزع » ونلعب
بالنون فيهما مكى وشامى وأبو عمرو - وكذلك هو في الأصل ، وبانياء
فيهما مدنى وكوفى ، وبكسر العين حمجازى من ارتعى يرتعى افتعال
من الرعى .

(٢) سورة يوسف : الآيتان ٤٥ و ٤٦ .

بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ . قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ (١) الْآيَةُ .

ففي هذا الكلام حذف واختصار ، استغنى عنه بدلالة الحال عليه ، وتقديره : فرجع الرسول الى الملك برسالة يوسف ، فدعا الملك بالنسوة ، وقال لهن : ما خطبكن . . ؟

وهكذا ورد قوله تعالى (ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) (٢) .

وقد حذف جواب الأمر هاهنا ؛ وتقديره . فَأْتُوهُ بِهِ فَلَمَّا كَلَّمَهُ . . .

وفي سورة يوسف — عليه السلام — محذوفات كثيرة من أولها إلى آخرها .

فانظر أيها المتأمل إلى هذه المحذوفات المذكورة هاهنا التي كأنها لم تحذف من هذا الكلام لظهور معناها وبيانه ؟ ودلالة الحال عليه . وعلى نحو من ذلك ينبغي أن تكون محذوفات الكلام .

(٣) الضرب الثالث : حذف المفعول به :

وذلك مما نحن بصدده أخص ، فإن اللطائف فيه أكثر وأعجب ، كقولنا : فلان يحل ويمقد ، ويمزق وينقض ، ويضر وينفع ، والأصل في ذلك على إثبات المعنى المقصود في نفسك للشئ على الإطلاق .

وعلى هذا جاء قوله تعالى : (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا) (٣) .

(١) سورة يوسف : الآيتان ٥٠ و ٥١ .

(٢) سورة يوسف : الآية ٥٤ .

(٣) سورة النجم : الآيتان ٤٣ و ٤٤ .

ومن بدیع ذلك قوله عز وجل : (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ
مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا
لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ . فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ
فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)^(١) .

فإنَّ في هاتين الآيتين قد حُذِفَ المفعولُ به في أربعةٍ أما كن ، إذ المعنى :
وجد أمة^(٢) من النَّاسِ يَسْقُونَ مواشيَهُمْ ، وامرأتين تَذُودَانِ مواشيَهُمَا ، وقالتا :
لانسقي مواشينا ، فسقى لهما مواشيَهُمَا . لأنَّ الغرض أن يعلم أنه كان من الناس
سقى : ومن الامرأتين ذودٌ ، وأنَّهُما قالتا : لا يكونُ منا سقى حتى يُصْدِرَ
الرِّعَاءُ^(٣) وإنَّه كان من موسى عليه السلامُ بعد ذلك سقى . فأما كونُ المسقى
غناؤاً وإبلاؤاً وغير ذلك فمخرجٌ عن الغرض .

وقد وردَ في الشُّعر من هذا النوع قولُ البعيثِ بنِ حُرَيْثٍ^(٤) من أبيات
الحماسة: (٥)

(١) سورة القصص : الآيتان ٢٣ و ٢٤ .

(٢) الأمة الجماعة الكبيرة .

(٣) يصدر أى يرجع ، والرعاء جمع راع ، كقيام جمع قائم .

(٤) شاعر محسن ، هو ابن حريث بن جابر ، ولهم شاعران آخران
يقال لهما « البعيث » أحدهما : المجاشعي ، واسمه خدّاش ، شاعر مشهور ،
وله نقائض بين جرير والفرزدق ، والآخر : البعيث التغلبي ، وهو بعيث بن
رزام ، وكان يهاجى زرعة بن عبد الرحمن . حكاه الأمدى في « المؤتلف
والمختلف » .

(٥) ديوان الحماسة ١ / ١٤٩ من جملة أبيات أولها :

خيال لأم السلسيل ودونها مسيرة شهر للبريد المذبذب

دَعَانِي يَزِيدُ بَعْدَ مَاسَاءَ ظَنُّهُ وَعَبَسَ وَقَدْ كَانَا عَلَى حَدِّ مَنْكَبٍ (١)
 وَقَدْ عَلِمَا أَنَّ الْعَشِيرَةَ كُلَّهَا سَوَى مُحْضَرٍ مِنْ حَاضِرِينَ وَغُيِّبَ (٢)

فالمفعول الثاني من «عَلِمَا» محذوف، لأنَّ قوله: «أَنَّ الْعَشِيرَةَ» في موضع مفعول «عَلِمَا» الأوَّل، وتقديرُ الكلام: قد عَلِمَا أَنَّ الْعَشِيرَةَ سَوَى مُحْضَرٍ مِنْ حَاضِرِينَ وَغُيِّبَ لاغْنَاءَ عَنْهُمْ، أَوْ سَوَاءَ حُضُورِهِمْ وَغُيْبَتِهِمْ، أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْجَرَى.

وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ أَيْضًا: حَذْفُ الْمَفْعُولِ الْوَاردِ بَعْدَ الْمَشْيِئَةِ وَالْإِرَادَةِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ) (٣).

فمفعولُ «شَاءَ» هَاهُنَا محذوف، وتقديرُهُ: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَذْهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ لَذَهَبَ بِهَا.

وعلى مَحْوٍ مِنْ ذَلِكَ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ) (٤).

(١) فِي الْأَصْلِ جَدُّ مَوْضِعِ «حَدِّ» وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْحِمَاسَةِ، وَالْحَدُّ الْطَرَفُ وَالْمَنْكَبُ النُّكْبَةُ وَهِيَ النَّائِبَةُ - وَالْمَعْنَى دَعَانِي يَزِيدُ وَعَبَسَ لِنَصْرَتِهِمَا، وَقَدْ كَانَا أَشْرَفًا عَلَى الْهَلَاكِ، وَذَلِكَ تَفْسِيرُ «سَاءَ ظَنُّهُ».

(٢) فِي الْحِمَاسَةِ «خَاذِلِينَ» مَوْضِعِ «حَاضِرِينَ»، وَالْغَيْبُ جَمْعُ غَائِبٍ - يَقُولُ: اسْتَغَاثَا بِي مَتَيْقِنِينَ أَنْ كُلَّ عَشِيرَتِهِمَا - إِذَا لَمْ أَحْضَرْ - بَيْنَ شَاهِدٍ لَا يَنْصُرُ، وَغَائِبٍ لَا يَحْضُرُ، وَدَلَّ بِهَذَا الْكَلَامَ عَلَى الضَّرُورَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْاسْتِغَاثَةِ بِهِ.

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ ٢٠

(٤) سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ ٣٥.

وَمَا جَاءَ عَلَى مِثَالِ ذَلِكَ شِعْراً قَوْلُ الْبُحْتَرِيِّ (١) .

لَوْ شِئْتَ لَمْ تُفْسِدِ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ كَرَمًا وَلَمْ تَهْزِمِ مَآثِرَ خَالِدٍ
الأصلُ في ذلك . لو شِئْتَ أَنْ لَا تُفْسِدَ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ لَمْ تُفْسِدِهَا ، فَحَذَفَ
ذَلِكَ مِنَ الْأَوَّلِ ، اسْتَفْنَاءً بِدَلَالَتِهِ عَلَيْهِ فِي الثَّانِي .

وقد تقدّم أَنَّ مِنَ الْوَاجِبِ فِي حُكْمِ الْبَلَاغَةِ أَلَّا تَنْطِقَ بِالْحَذْفِ ، وَلَا
تُظْهِرُهُ إِلَى اللَّفْظِ ، وَلَوْ أَظْهَرْتَ لَصِرْتَ إِلَى كَلَامٍ غَثٍّ .

ومجىءُ المِشْيَةِ بِعَدِّ « لَوْ » وَبَعْدِ حُرُوفِ الْجَزَاءِ هَكَذَا مَوْقُوفَةً غَيْرَ مُعَدَّاةٍ
إِلَى شَيْءٍ كَثِيرٍ شَائِعٍ بَيْنَ الْبُلَغَاءِ .

ولقد تَكَثَّرَ هَذَا الْحَذْفُ فِي « شَاءَ » وَ « أَرَادَ » حَتَّى إِنَّهُمْ لَا يَسْكَدُونَ
يُبْرِزُونَ الْمَفْعُولَ إِلَّا فِي الشَّيْءِ الْمُسْتَغْرَبِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ
يَتَّخِذَ وَلِداً لَا صُطْقَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) (٢) .

وعلى هَذَا الْأَسْلُوبِ جَاءَ قَوْلُ الشَّاعِرِ (٣) :

(١) ديوان البحتري ٤٢/٢ من قصيدة له في مدح يوسف بن محمد ،

ومطلعها :

عجباً لطيف خيالك المتعاهد ولو صلك المتقارب المتباعد

(٢) سورة الزمر : الآية ٤ .

(٣) هو الخريمي ، واسمه إسحاق بن حسان ، ويكنى أبا يعقوب ،

وهو من العجم ، وكان مولى ابن خريم ، الذي يقال لأبيه « خريم الناعم »

وكان أبو يعقوب متصلاً بمحمد بن منصور بن زياد ، كاتب البرامكة ،

وله فيه مدائح جياذ ، ثم رثاه بعد موته ، فقال له أحمد بن يوسف

الكاظم : يا أبا يعقوب ، مدائحك لآل منصور بن زياد أحسن من مراثيك

وأجود ! فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء ، ونحن اليوم نعمل على

الوفاء ، وبينهما بون بعيد !

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ (١)

فلو كان على حدّ قوله تعالى : « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى » لوجب أن يقول : ولو شئت لبكيت دماً ، ولسكنته ترك تلك الطريقة ؛ وعدل إلى هذه ؛ لأنه أليق في هذا الموضع . وسبب ذلك أنه كان بدعاً عجيباً أن يشاء الإنسان أن يبكي دماً ، فلما كان مفعول المشيئة ممّا يستعظم ويستغرب كان الأحسن أن يذكر ولا يضر .

﴿ ٤ ﴾ الضرب الرابع : وهو حذف المضاف والمضاف إليه ، وإقامة كل واحد منهما مقام الآخر :

وذلك بابٌ عريضٌ طويلٌ شائعٌ في كلام العرب ، وإن كان أبو الحسن الأخفش (٢) — رحمه الله — لا يرى القياس عليه .

(١) أنظر ديوان المعاني (٢/ ١٧٥) قال أبو هلال العسكري : وأخبرنا أبو أحمد قال : سمعت بن يزيد يقول : لو سئلت عن أحسن أبيات تعرفني المراثي لم أختار على أبيات الحريري :

ألم تربي أبنى على الليث بنية	وأحى عليه الترب لا أنخس
وأعددت ذخراً لكل ملمة	وسهم المنايا بالذخائر مولع
وإني وإن أظهرت مني جلادة	وصانعت أعدائي عليه لموجع
ولو شئت أن أبكي دماً لبكيت	عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

(٢) هو سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط ، وهو أحد الأخافش الثلاثة المشهورين ، كان مولى بنى مجاشع بن دارم ، من أهل بلخ ، سكن البصرة ، وقرأ النحو على سيدييه ، وكان أسن منه ، ولم يأخذ عن الخليل ، وكان معتزلياً ، دخل بغداد ، وأقام بها مدة ، وروى وصنف بها ، قال المبرد : أحفظ من أخذ عن سيدييه الأخفش ثم الناشئ ، ثم قطرب ، قال : وكان الأخفش أعلم الناس بالكلام ، وأحدثهم بالحدل ، صنف الأوساط في النحو ، ومعاني القرآن ، والمقاييس =

فَأَمَّا حَذْفُ الْمُضَافِ فَكَقَوْلُهُ تَعَالَى : (حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ
وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) ^(١) يُحْذَفُ الْمُضَافُ إِلَى يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ^(٢) ،
وَهُوَ سَدُّهُمَا ، كَمَا حُذِفَ الْمُضَافُ إِلَى الْقَرْيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) ^(٣)
أَي : أَهْلَ الْقَرْيَةِ ^(٤) .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى) ^(٥) أَي : حَصَلَةُ
مَنْ اتَّقَى ، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ تَقْدِيرُهُ . وَلَكِنَّ ذَا الْبِرِّ مَنْ اتَّقَى ، وَالأَوَّلَى
أَوَّلَى لِأَنَّ حَذْفَ الْمُضَافِ ضَرْبٌ مِنَ الْإِتْسَاعِ ، وَالْخَبَرُ أَوَّلَى بِذَلِكَ مِنَ الْمَبْتَدَأِ ،
لِأَنَّ الْإِتْسَاعَ بِحَذْفِ الْأَعْجَازِ أَوَّلَى مِنْهُ بِحَذْفِ الصَّدُورِ .

= فِي النَحْوِ وَالِاشْتِقَاقِ ، وَالْمَسَائِلِ : الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ ؛ وَالْعُرُوضِ وَالْقَوَا فِي
وَالْإِصْوَاتِ ؛ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَمَاتَ سَنَةَ ٢١٠ وَقِيلَ ٢١٥ وَقِيلَ ٢٢١ هـ -
وَأَنْظُرْ بَغِيَةَ الْوَعَاةِ ٢٥٨ .
(١) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ : الْآيَةُ ٩٦ .

(٢) هُمَا اسْمَانِ أَعْجَمِيَانِ بِدَلِيلِ مَنَعَ الصَّرْفِ ، وَهَمْزُهُمَا عَاصِمٌ فَقَطْ ، وَهُمَا
مِنْ وَلَدِيَا فِثْنِ بْنِ نُوحٍ ، أَوْ يَأْجُوجَ مِنَ التَّرْكِ ، وَمَأْجُوجَ مِنَ الْجِبَلِ وَالذَّيْلِمِ . قَالَ النَّسْفِيُّ فِي
تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى « إِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ » قِيلَ :
كَانُوا يَأْكُلُونَ النَّاسَ ، وَقِيلَ : كَانُوا يُخْرِجُونَ أَيَّامَ الرَّبِيعِ فَلَا يَبْرُكُونَ شَيْئًا
أَخْضَرَ إِلَّا أَكَلُوهُ ، وَلَا يَابَسًا إِلَّا احْتَمَلُوهُ .. كُلُّهُمْ قَدْ حَمَلَ السِّلَاحَ ، وَقِيلَ :
هَمَّ عَلَى صَنْفَيْنِ طَوَالَ مَفْرُطِ الطَّوْلِ ، وَقَصَارِ مَفْرُطِ الْقَصْرِ (٢٠ / ٣) .

(٣) سُورَةُ يُوسُفَ : الْآيَةُ ٨٢ .

(٤) عَقِبَ النَّسْفِيِّ عَلَى هَذَا الْآيَةِ بِمَثَلِ مَا عَقِبَ بِهِ ابْنُ الْأَثِيرِ ، قَالَ النَّسْفِيُّ
(٢٩ / ٣) : أَيُّ فَتْحٍ سَدُّهُمَا ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ ، كَمَا حُذِفَ الْمُضَافُ إِلَى قَرْيَةٍ ، وَقَالَ
فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : إِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ قَبِيلَتَانِ مِنْ جَنْسِ الْإِنْسِ ، يَقَالُ : النَّاسُ عَشْرَةُ
أَجْزَاءَ ، تَسْعَةٌ مِنْهَا يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ .

(٥) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : الْآيَةُ ١٨٩ .

وقد حُذِفَ المضافُ مكرراً في قوله تعالى : (فقبضت قبضةً من أثر
الرَّسُولِ)^(١) أى : من أثر حافرِ فرس الرسول .

وهذا الضربُ أكثر اتساعاً من غيره .

ومتما جاء منه شِعْراً قول بعضهم^(٢) من شعراء الحماسة :

إِذَا لَأَقَيْتَ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ كَفَى قَوْماً بِصَاحِبِهِمْ خَبيراً^(٣)

هَلْ اعْفُو عَنْ أَصُولِ الْحَقِّ فِيهِمْ إِذَا عَسُرَتْ وَأَقْطَعُ الصُّدُورَ^(٤)

أَرَادَ : أَنَّهُ يَقْطَعُ مَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الضَّغَائِنِ وَالْأَوْغَامِ^(٥) ؛ أى : يزيلُ

ذلك بإحسانه من عفوٍ وغيره ، فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه .

وأما حذف المضاف إليه . فإنه قليل الاستعمال .

(١) سورة طه : الآية ٩٦

(٢) لم ينسبهما أبو تمام في ديوان الحماسة ٢ / ٢٧٣ ، ونقل التبريزي

عن أبي هلال ، أن البيتين لجنامة بن قيس أخى بلعاء بن قيس أحد بني أبي
بكر بن كلاب ، ومن شعرائهم ، وكان رئيساً على قبيلته يوم الفجار
الثاني ، لما قتل أخوه بلعاء بن قيس .

(٣) رواية ديوان الحماسة « كفى قومي » موضع « كفى قوما » ،

وقوله « بصاحبهم » يعنى به نفسه .

(٤) أراد بقوله « أصول الحق » أى ، أصل حقى ، وبقوله « اقتطع

الصدور » أى : آخذ ما سهل مأخذه ، والمعنى : إن سألت عن حقيقى
فأسألى قومي ، فإنهم أخبر بصاحبهم ، ولو سألتهم عن حسن معاماتى لهم
ورأفتى بهم لأخبروك بأنى أتسامح بما يجب لى عليهم من الحقوقى ، وآخذ
اليسير منها ، ولا أستقصى فى تقاضيه .

(٥) الأوغام جمع وغم ، ومن معانيه المناسبة هنا ، الحرب ،

والثرة ، والحق الثابت فى الصدر .

فَمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) ^(١) أَيْ : مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ وَمِنْ بَعْدِهِ .

وَرَبَّمَا أُدْخِلَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَا لَيْسَ مِنْهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ) ^(٢) قِيلَ : أَرَادَ ظَهَرَ الْأَرْضِ ، مُخَذِّفُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ الْمَاءَ وَالْأَلْفَ قَائِمَةٌ مَقَامَ الْأَرْضِ أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ «ظَهَرَهَا» يَرِيدُ بِهِ الْأَرْضَ ، لِأَنَّهُ ضَمِيرٌ رَاجِعٌ إِلَيْهَا .
وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ جَرِيرٍ ^(٣) :

إِذَا أَخَذْتَ قَيْسَ عَالِيكَ وَخَذِفَ بِأَقْطَارِهَا لَمْ تَدْرِ مِنْ أَيْنَ تَسْرَحُ ^(٤)
وَهَذَا لَا يَسْمَى إِيْجَازًا ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعْوِيضٌ ^(٥) بِالضَمِيرِ عَنِ الضَّمِيرِ .

(٥) الضرب الخامس : وهو حذف الموصوف والصفة وإقامة كل منهما مقام الآخر :

وَلَا يَكُونُ أَطْرَادُهُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ ، وَأَكْثَرُهُ يَجِيءُ فِي الشَّعْرِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ كَثْرَتُهُ فِي الشَّعْرِ دُونَ الْكَلَامِ الْمُنْشُورِ لِامْتِنَاعِ الْقِيَاسِ فِي أَطْرَادِهِ .

(١) سورة الروم : الآية ٤

(٢) سورة فاطر : الآية ٤٥

(٣) ديوان جرير (١١١) من قصيدة له مطلعها :

أَجْدُ رَوَاحِ الْقَوْمِ أَمْ لَا تَرُوحُ نَعَمْ كُلٌّ مِنْ يَعْْنِي بِجَمَلٍ مَتْرَحٍ

(٤) قيس وخندف قبيلتان . يقول : إِذَا أَخَذْنَا عَلَيْكَ الطَّرِيقَ لَمْ يَكُنْ

لَكَ رَوَاحٌ وَلَا مَسْرَحٌ ، بَلْ تَنْجَحِرُ فَلَا تَظْهَرُ . وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ إِحْدَى

نَقَائِصِهِ فِي هِجَاءِ الْأَخْطَلِ . وَفِي الْأَصْلِ «بِأَنْظَارِهَا» مَوْضِعٌ «بِأَقْطَارِهَا»

وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الدِّيَّانِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ «تَعْرِیْضٌ» - بِالرَّاءِ مَوْضِعُ الْوَاوِ - وَهُوَ تَحْرِيفٌ :

فَمَا جَاءَ مِنْهُ فِي الشُّعْرِ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ مِنْ أَيْبَاتٍ فِي صِفَةِ إِيَوَانَ كِسْرَى ،
فَقَالَ فِي ذِكْرِ التَّصَاوِيرِ الَّتِي فِي الْإِيَوَانِ — وَذَلِكَ أَنَّ الْفُرْسَ كَانَتْ تَحَارِبُ
الرُّومَ فَصَوَّرُوا صُورَةَ مَدِينَةِ «أَنْطَاكِيَّةَ» ^(١) فِي الْإِيَوَانِ وَحَرْبَ الرُّومِ وَالْفُرْسِ
عَلَيْهَا — فَمَا ذَكَرَهُ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ ^(٢) :

وَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَاكِيَّةَ ارْتَعْتَ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسٍ ^(٣)
وَالْمَنَايَا مَوَائِلَ وَأَنْوَشِيرَ وَأَنْ يُزْجَى الصُّفُوفَ تَحْتَ الدَّرَفْسِ ^(٤)
فِي اخْضِرَّارٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصْفَرٍ يَخْتَالُ فِي صَبِغَةِ وَرْسٍ
قَوْلُهُ « عَلَى أَصْفَرٍ » أَيْ : عَلَى فَرَسٍ أَصْفَرٍ ، وَهَذَا مَفْهُومٌ مِنْ قَرِينَةِ الْحَالِ ،
لَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ . « عَلَى أَصْفَرٍ » عَلِمَ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ فَرَسًا أَصْفَرَ .
وَالصِّفَةُ تَأْتِي فِي الْكَلَامِ عَلَى ضَرْبَيْنِ :

(١) إِمَّا لِلتَّأْكِيدِ وَالتَّخْصِصِ .

(٢) وَإِمَّا لِلدَّحِّ وَالذَّمِّ .

(١) أَنْطَاكِيَّةُ — بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ وَالْيَاءُ مُخَفَّفَةٌ — مَدِينَةٌ هِيَ قَصْبَةُ
الْعَوَاصِمِ مِنَ الثُّغُورِ الشَّامِيَةِ ، مِنْ أَعْيَانِ الْبِلَادِ وَأَمْهَاتِهَا ، مَوْصُوفَةٌ بِالزَّاهَةِ
وَالطَّيِّبِ وَالْحَسَنِ وَطَيِّبِ الْهَوَاءِ وَعَذُوبَةِ الْمَاءِ وَكَثْرَةِ الْفَوَاكِهِ ، وَسَعَةِ
الْخَيْرِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَلَبٍ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ .

(٢) دِيَوَانُ الْبَحْتَرِيِّ ١٠٨/١ مِنْ قَصِيدَتِهِ السِّينِيَّةِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي مَطْلَعُهَا :

صَنَتْ نَفْسِي عَمَّا يَدْنِسُ نَفْسِي وَتَرَفَعَتْ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبَسٍ

(٣) فِي الدِّيَوَانِ « فَإِذَا » مَوْضِعٌ « وَإِذَا » .

(٤) فِي الْأَصْلِ « يَرْمَى » مَوْضِعٌ « يُزْجَى » وَ« الدَّرَسُ » مَوْضِعٌ

الدَّرَفْسُ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَمَعْنَى يُزْجَى يَسُوقُ ، وَالْدَّرَفْسُ هُوَ الْعِلْمُ
الْكَبِيرُ . وَمَوَائِلَ قَائِمَاتٌ تَنْتَظِرُ الْعَمَلَ وَقْتَ الْحَرْبِ ، وَأَنْوَشِرَوَانَ أَحَدَ
الْأَكَاسِرَةِ .

وكلاهما من مقامات الإِسْهَابِ والتَّطْوِيلِ ، لامن مقامات الإِيجَازِ والاختصار
وإذا كان الأمرُ كذلك لم يُلَقَّ الحذفُ به ، هذا مع ما يَنصَافُ إليه من
الالتباسِ وضدِّ البيان .

ألا ترى أنَّك إذا قلتَ : مررتُ بطويلٍ ، لم يَينَ من هذا اللفظِ المَروورُ
به ، إنسانٌ هو أم رُمحٌ ، أم ثوبٌ ، أم غيرُ ذلك .
وإذا كان الأمرُ على هذا فحذفِ الموصوفِ إنما هو شيءٌ قام الدليلُ عليه ،
أو شهدتْ به الحالُ ؛ وإذا استَبدَّهمَ كان حذفه غيرَ لائقٍ .

ومما يؤكِّدُ عندك ضعفَ حذفِهِ أنَّك تجدُ من الصفاتِ ما لا يمكنُ حذفُ
موصوفِهِ ، وذلكَ أنْ تكونَ الصِّفَةُ جملَةً نحو : مررتُ برجلٍ قامَ أبوه ؛
ولقيتُ غلاماً وجهه حسنٌ . ألا تَرَكَ لو قلتَ : مررتُ بقامِ أبوه ، ولقيتُ
وجهه حسنَ ، لم يَجْزُ ؟

وقد وردَ حذفُ الموصوفِ وإقامةُ الصِّفَةِ مقامَهُ في غيرِ موضعٍ من القرآن
الكَرِيمِ ، كقوله تعالى : (وَآتَيْنَا مُوَدَّ النَّافَةِ مُبْصِرَةً) ^(١) فإنه لم يُردْ أنْ
النَّافَةِ كانتْ مبصرةً ، ولم تكنْ عَمِيَاءَ . وإنما يُريدُ آيَةً مُبْصِرَةً : فحذفَ
الموصوفَ ، وأقامَ الصِّفَةَ مقامَهُ .

ولقد تأملتُ حذفَ الموصوفِ في مواضعٍ كثيرةٍ ، فوجدتُ أكثرَ
وُقوعِهِ في النداءِ ، وفي المصدَرِ .

أما النداءُ فكقولهم : يَا أَيُّهَا الظَّرِيفُ ، تَقْدِيرُهُ : يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الظَّرِيفُ .

(١) سورة الإسراء . الآية ٥٩ .

وعليه ورد قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ) ^(١) تقديره: يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ السَّاحِرُ .
وكذلك قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ^(٢) تقديره: يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ
الَّذِينَ آمَنُوا .

وأما المصدر فكقوله تعالى: (وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى
اللَّهِ مَتَابًا) ^(٣) ، تقديره: وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا .

وقد أُقيمت الصفة الشبيهة بالجملة مقام الموصوف المبتدأ في قوله تعالى:
(وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ) ^(٤) أى: قَوْمٌ دُونَ ذَلِكَ .

وأما حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها: فإنه أقل وجوداً من حذف
الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، ولا يكاد يقع في الكلام إلا نادراً ،
لمكان استيهامه .

فمن ذلك ما حكاه سيبويه ^(٥) - رحمه الله - من قولهم: «سِيرَ عَلَيْهِ

(١) سورة الزخرف: الآية ٤٩ ، وتتمة الآية: (وقالوا يا أيها الساحر ادع
لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون) .

(٢) تردد هذا النداء في آيات كثيرة من سور القرآن الكريم .

(٣) سورة الفرقان: الآية ٧١

(٤) سورة الجن: الآية ١١

(٥) هو أبو بشر ، ويقال أبو الحسن ، عمرو بن عثمان بن قنبر امام
البصريين ، أصله من البيضاء من أرض فارس ، ونشأ بالبصرة ، وأخذ عن
الخليل ويونس وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمير ، قال أبو عبيدة:
قيل ليونس بعد موت سيبويه: ان سيبويه صنف كتاباً في ألف ورقة من علم
الخليل ، فقال ومتى سمع سيبويه هذا كله من الخليل؟ جيئوني بكتابه ،
فالما رآه قال: يجب أن يكون صدق فيما حكاه عن الخليل كما صدق فيما حكاه
عنى . وقال بعضهم: كنت عند الخليل فأقبل سيبويه ، فقال: مرحباً بزائر لا يعمل ؛
قال: وما سمعت الخليل يقولها لغيره واختلف في وفاته بين ١٨٠ و ١٦١ =

لَيْلٌ» وهم يُريدون : ليلٌ طويل ، وإنما حُذِفَت الصِّفَةُ في هذا الموضع لما دلَّ من الحال عليه ، وذلك أَنَّهُ يُحْسُنُ في كلام القائل لذلك من التَّطْوِيع والتَّعْطِيع والتَّعْظِيم والتَّعْظِيم ما يقومُ مقامَ قوله : طويل ، وأنتَ تحسُّ هذا من نَفْسِكَ إِذَا تأملتَهُ ، وهو أَن يكونَ في مَدَحِ إنسانٍ والثَّناء عليه ، فتقولُ : « كان واللهِ رجلاً » أي : رجلاً فاضلاً ، أو شجاعاً ، أو كريماً ، أو ما جرى هذا الجُورَى من الصِّفَاتِ . وكذلك تقولُ : « سألناه فوجدناه إنساناً » أي : إنساناً سمحاً ، أو جواداً ، أو ما أشبهه . فعلى هذا ونحوه تُحذفُ الصِّفَةُ ، فأما إن عَرِيتَ عن الدلالة عليها من اللفظ أو الحال فإنَّ حذفها لا يجوزُ .

وقد تأملتُ حذفها فوجدته لا يسوغُ إلَّا في صفةٍ تقدِّمها ما يدلُّ عليها ، أو تأخر عنها ، أو فهمَ ذلك من شيءٍ خارجٍ عنها .

أما الصِّفَةُ الَّتِي تقدِّمها ما يدلُّ عليها ، فقوله تعالى : (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَافِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً)^(١) فحذف الصِّفَةُ ، أي : كان يأخذُ كلَّ سَفِينَةٍ صحيحةٍ غَصْباً ، ويدلُّ على المحذوفِ قوله : « فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا » . فإنَّ عَيْبَهُ إِيَّاهَا لم يُخْرِجْها عن كونِها سَفِينَةً ، وإنما المأخوذ هو الصَّحِيحُ دُونَ المَعِيبِ ، فحذفت الصِّفَةُ هاهُنَا لأنَّه تقدِّمها ما يدلُّ عليها .

= ١٨٨ و ١٩٤ : بالبيضاء أو بشرار ، أو بالذرب ، أو بالبصرة . وقال ابن الجوزي : مات بساوة . ومن أعجب العجب هذا الاختلاف الكثير في وفاة هذا العلم الإمام ! .

(١) سورة الكهف : الآية ٧٩ .

وأما التي تأخر عنها ما يدل عليها فقول بعض شعراء الحماسة^(١) :

كلُّ امرئٍ سَتَيْمٌ مِنْهُ الْعَرَسُ أَوْ مِنْهَا يَتِيمٌ^(٢)

فإنه أراد كلَّ امرئٍ متزوج ، إذ دلَّ عليه ما بعده من قوله : « ستيمٌ منه » ، « أو منها يتيم » إذ لا يتيمٌ هي إلا من زوج ، ولا يتيمٌ هو إلا من زوجة . فجاء بعد الموصوف ما دلَّ عليه ، ولولا ذلك لَمَا صحَّ معنى البيت ، إذ ليس كلُّ امرئٍ يتيمٌ من عرسٍ ولا يتيمٌ منه عرسٌ إلا إذا كان متزوجاً .
وأما ما يفهم حذف الصفة فيه من شيء خارج عن الكلام فقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا صلاةَ لجارِ المسجدِ إلا في المسجدِ » فإنه قد علم جواز صلاة جاري المسجد في غير هذا المسجد من غير هذا الحديث ، فعلم حينئذ أن المراد به الفضيلة والكمال ، وهذا شيء لم يعلم من نفس اللفظ ، وإنما علم من شيء خارج عنه .

(١) هو يزيد بن الحكم الثقفي ، شاعر إسلامي عاصر الفرزدق وجريراً ، ومر عليه الفرزدق ذات يوم وهوينشد في المجلس شعراً ، فقال : من هذا الذي ينشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ، فقال : نعم ، أشهد الله أن عمي ولدته ، وكان شاعر ثقيف في الإسلام ، والبيت من قصيدة له يعظ فيها ابنه بدراً ، أولها .

يابدرا والامثال بضربها الذي اللب الحكيم



وهي في ديوان الحماسة (٢/٤١) .

(٢) في الأصل « ستيم » وهو تحريف ، والتصويب عن ديوان الحماسة (٢/٤٤) والأيم من لا زوج له ، والعرس الزوج ، ويتيم منه تصبح المرأة أيمًا بموت الزوج وعكسه يتيم منها ، والمعنى أن الموت لا بد منه لكل حي ، وأن نظام الأسرة لا بد أن يفترق عقده .

(٦) الضرب السادس : وهو حذف الشرط وجوابه :

فَأَمَّا حَذْفُ الشَّرْطِ فَنَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي
وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)^(١) .

فالفاء في قوله تعالى : « فاعبدون » جوابُ شرطٍ محذوفٍ ، لأنَّ المعنى :
إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ، فَإِنْ لَمْ تَخْلُصُوا إِلَى الْعِبَادَةِ فِي أَرْضٍ فَأَخْلَصُوهَا فِي غَيْرِهَا ،
ثُمَّ حُذِفَ الشَّرْطُ ، وَعُوضَ مِنْ حَذْفِهِ تَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ مَعَ إِفَادَةِ تَقْدِيمِهِ مَعْنَى
الِاخْتِصَاصِ وَالِإِخْلَاصِ .

وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُهُ تَعَالَى : (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى
مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ)^(٢) : أَيْ فَحَلَقَ فَعَلَيْهِ فِدْيَةٌ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : « النَّاسُ مُجْزِئُونَ بِأَعْمَالِهِمْ » ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ ،
وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ » أَيْ : إِنْ فَعَلَ الْمَرْءُ خَيْرًا جُزِيَ خَيْرًا ، وَإِنْ فَعَلَ شَرًّا
جُزِيَ شَرًّا .

وَعَلَى نَحْوِ مَنْ ذَلِكَ حَاءُ قَوْلِهِ تَعَالَى « فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى
سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ »^(٣) تَقْدِيرُ ذَلِكَ : فَأَفْطَرَ فَعِدَّةً مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ .

(١) سورة العنكبوت : الآية ٥٦

(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٦

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٤ وفي الأصل « ومن كان منكم . . »
بالواو بدل الفاء ، وليس كذلك في هذه الآية ، وإنما وردت بالواو في
الآية التالية (١٨٥) في قوله تعالى : « ومن كان مريضاً . . »

ولهذا ذهب داودُ الظاهريُّ^(١) إلى الأخذِ بظاهر الآية ، ولم ينظرْ إلى حذفِ الشرطِ فأوجبَ القضاء على المريض والمسافرِ ، سواء أفاطر أم لم يفاطر .
ومن حذفِ الشرطِ قوله تعالى : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ *) وقال الذين أوتوا العلمَ والإيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^(٢) .

اعلم أن هذه الفاء التي في قول الشاعر :

* فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَ *^(٣)

وحقيقتها أنها في جوابِ شرطٍ محذوفٍ بدلٌ عليه الكلامُ كأنه قال :
إن صحَّ ما قلتم إن خراسان أقصى ما يُراد بنا ، فقد جئنا خراسان ، وأن لنا
أن مخلص .

وكذلك هذه الآية ، يقول : إن كنتم مُنكرين للبعث ، فهذا يومُ
البعث ، أي : قد تبينَ بطلانُ قولكم .

(١) هو أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني ، المعروف بالظاهري ، كان زاهداً كثير الورع ، وكان من أكثر الناس تعصبا للامام الشافعي رضي الله عنه ، وصنف في فضائله والثناء عليه كتابين ، وكان صاحب مذهب مستقل ، وتبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية ، وانتهت إليه رئاسة العلم ببغداد ، وكان مولده بالسوفة سنة اثنين ومائتين ، ونشأ ببغداد ، وتوفي بها سنة سبعين ومائتين في ذى القعدة .

(٢) سورة الروم : الآيتان ٥٥ و ٥٦ .

(٣) جزء من بيت ، وهو بتمامه :

قالوا : خراسان أقصى ما يُراد بنا ثم القفول ، فقد جئنا خراسانا

وَأَمَّا حَذْفُ جَوَابِ الشَّرْطِ ، فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَذَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)^(١) فَإِنَّ جَوَابَ الشَّرْطِ هَاهُنَا مُحذوفٌ ، تَقْدِيرُهُ : إِنْ كَانَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ ؟ وَيَدُلُّ عَلَى الْحَذْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » .

(٧) الضَرْبُ السَّابِعُ : وَهُوَ حَذْفُ الْقَسَمِ وَجَوَابِهِ :

فَأَمَّا حَذْفُ الْقَسَمِ فَنَحْوُ قَوْلِكَ : « لَأَفْعَلَنَّ » أَيْ : وَاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْسَامِ الْمُحْلُوفِ بِهَا .

وَأَمَّا حَذْفُ جَوَابِهِ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)^(٢) .

فَجَوَابُ الْقَسَمِ هَاهُنَا مُحذوفٌ ، تَقْدِيرُهُ : لِيُعَذِّبُنَّ ، أَوْ نَحْوَهُ ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا بَعْدَهُ مِنْ قَوْلِهِ : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ » إِلَى قَوْلِهِ : « سَوَّطَ عَذَابٍ » .

وَتَمَّا يَنْتَظِمُ فِي هَذَا السَّلَكِ قَوْلُهُ تَعَالَى : (قَ . وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ . بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ)^(٣) فَإِنَّ مَعْنَاهُ :

(١) سورة الأحقاف : الآية ١٠ .

(٢) سورة الفجر : الآيات ١ - ٨ .

(٣) سورة (ق) : الآيتان ١ و ٢ .

قَ ، والقرآنَ الحَـمِيدَ ، لَتُبْعَنَّ ! والشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكَ مَا بَعْدَهُ مِنْ ذِكْرِ التَّبْعِ فِي قَوْلِهِ : أُنْذِرْ مِتْمَنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ^(١) .

وقد وَرَدَ هَذَا الصَّرْبُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ :
(وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا . وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا . وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا . فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا . فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا . يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ) ^(٢) .

جَوَابُ الْقِسْمِ هَاهُنَا مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ : لَتُبْعَنَّ ، أَوْ لَتُحْشَرَنَّ . وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا أَتَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ ذِكْرِ الْقِيَامَةِ فِي قَوْلِهِ : « يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ » وَكَذَلِكَ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ .

(٨) الصَّرْبُ الثَّامِنُ : وَهُوَ حَذْفُ (لَوْ) وَجَوَابُهَا :

وَذَاكَ مِنَ الْطَفِ ضُرُوبِ الْإِيحَازِ وَأَحْسَنِهَا .

فَأَمَّا حَذْفُ « لَوْ » فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) ^(٣) .

تَقْدِيرُ ذَلِكَ : إِذْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَا كُنْتَ تَقُولُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِارْتَابِ الْمُبْطِلُونَ) ^(٤) .

تَقْدِيرُهُ . إِذْ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ .

وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَحْذُوفَاتِ .

(١) سورة (ق) : الآية ٣

(٢) سورة النازعات : الآيات ١ - ٧ .

(٣) سورة (المؤمنون) : ٩١

(٤) سورة العنكبوت : الآية ٤٨ .

ومما جاء من ذلك شعراً قول بعضهم^(١) في صدر الحماسة :

لو كنت من مازن لم تستبح إيلي

بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان^(٢)

إذا لقام بنصرى معشر خشن

عند الحفيظة إن ذو لوثه لاني^(٣)

فـ « لو » في البيت الثاني محذوفة ، لأنها في البيت الأول قد استوفت جوابها بقوله « لم تستبح إيلي » ثم حذفها في الثاني ، وتقدير حذفها : إذ لو كنت منهم لقام بنصرى معشر خشن ، أو : إذ لو كانوا قومي لقام بنصرى معشر خشن .

وأما حذف جواب « لو » فإنه كثير شائع . وذلك كقولك : لو

(١) هو قريظ بن أنيف أحد بني العنبر ، وهو شاعر إسلامي ، قال البغدادى تتبعت كتب الشعراء والتراجم ، فلم أظنر له بترجمة . وانظر ديوان الحماسة (١٣ / ١) .

(٢) قوله « بنو اللقيطة » هكذا في شراح الحماسة والشواهد ، وقال أبو محمد الأعرابي : والصواب ما أنشده أبو الندى :

لو كنت من مازن لم تستبح إيلي بنو الشقيقة من ذهل بن شيبان
قال : والشقيقة هي بنت عباد بن يزيد بن عوف بن ذهل بن شيبان ، وأما اللقيطة فهي أم حصن بن حذيفة من بني فزارة ، ولا اتصال لها بذهل بن شيبان ،

(٣) اللوثة اللين مع الضعف ، يقول : لو كنت من هذه القبيلة لما أغار بنو ذهل على إيلي ، ولو كان ذلك لقام بنصرى قوم صعب أشداء ، يشفعون عني ، ويأخذون بحقي ممن اعتدى على إذا لان ذو الضعف ولم يدفع ضيما ، ولم يحم حقيقة .

زُرْتُنَا ، لَوْ أَلَمْتَ بِنَا ، معناه . لأَحْسَنَّا إِلَيْكَ ، أَوْ لَأَكْرَمْنَاكَ ، أَوْ مَا جَرَى
هَذَا الْمَجْرَى .

وَمِمَّا وَرَدَ مِنْهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا
قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ » (١) .

فَإِنَّ جَوَابَ « لَوْ » هَاهُنَا مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ : لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا ، وَحَالًا
هَائِلَةً ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ، مِمَّا جَرَى مَجْرَاهُ .

وَمِمَّا جَاءَ عَلَى نَحْوِ هَذَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُفُونَ عَنْ
وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ » (٢) .

تَقْدِيرُهُ : لَوْ يَعْلَمُونَ الْوَقْتَ الَّذِي يَسْتَعْجِلُونَهُ ، وَهُوَ وَقْتُ صَعْبٍ شَدِيدٍ
تَحِيطُ بِهِمْ فِيهِ الْقَارُ مِنْ وَرَاءِ وَقْدَامِ ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى دَفْعِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ،
وَلَا يَجِدُونَ نَاصِرًا يَنْصُرُهُمْ ، لَمَّا كَانُوا بِتِلْكَ الصِّفَةِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِسْتِهْزَاءِ
وَالِاسْتَعْجَالِ ، وَلَكِنْ جَهَلَهُمْ بِهِ هُوَ الَّذِي هُوَ بِهِ عَلَيْهِمْ .

وَمِمَّا يَجْرَى عَلَى هَذَا النَّهْجِ قَوْلُهُ تَعَالَى : (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى
رُكْنٍ شَدِيدٍ) (٣) .

جَوَابُ « لَوْ » فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَحْذُوفٌ كَمَا حُذِفَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَوْ أَنَّ
قُرْآنًا سِيرْتِ بِهِ الْجِبَالَ) (٤) .

(١) سُورَةُ سَبَأٍ : الْآيَةُ ٥١ .

(٢) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ : الْآيَتَانِ ٣٨ وَ ٣٩ .

(٣) سُورَةُ هُودٍ : الْآيَةُ ٨٠ .

(٤) سُورَةُ الرَّعْدِ : الْآيَةُ ٣١ .

أى : لو أن لي بكم قوةً لدفعتم ، أو منعتكم ، أو ما أشبهه ، وكذلك قوله : « ولو أن قرآنًا سُرَّت به الجبال » لكان هذا القرآن .

وهذا الضربُ من المحذوفاتِ أظهرُ الضروبِ المذكورة ، وأوضحها ، لعلمِ الخطابِ به ، لأنَّ قوله تعالى - حكايةً عن لوط عليه السَّلام - : « لو أن لي بكم قوةً أو أوى إلى رُكنٍ شديدٍ » ، يقسارُ الفهمُ فيه إلى أنَّ الكلامَ يحتاجُ إلى جوابٍ .

ومما جاء منه شعراً قولُ أبي تمامٍ في قصيدة البائية^(١) ، التي يمدحُ بها المعتصمَ عند فتحه مدينةَ عموريةَ : (٢) .

لو يعلمُ الكفرُ كم من أعْصُرٍ كَمَتَ له المراقِبُ بينَ السمرِ والقضبِ^(٣)
فإنَّ هذا محذوفُ الجوابِ ؛ تقديرُه : لو يعلمُ الكفرُ ذلكَ لأخذَ أهبةَ الحِذارِ ، أو غير ذلك .

واعلم أنَّ حذفَ هذا الجوابِ لا يسوغُ في أيِّ موضعٍ كان من الكلامِ ، وإنما يحذفُ ما دلَّ عليه مكانُ المحذوفِ .

ألا ترى أنه قد وردَ في القرآن الكريم غير محذوفٍ ، كقوله تعالى :

(١) من قصيدته التي أولها :

السيوفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ في حدهِ الحد بين الجد والعب

(٢) عمورية - بفتح أوله وتشديد ثانيه - بلد ببلاد الروم ، غزاه

المعتصم ففتحها ، وكان من أعظم فتوح الإسلام .

(٣) رواية الديوان « كمنت له المنية » وفي بعض الروايات « لم يعلم »

مكان « لو يعلم » ، و « خبأت » موضع « كمنت » والسمر الرماح ، والقضب السيوف .

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ
أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ^(١) .

وهذا ليس كالذي تقدّم من الآيات ، لأنّ تلك علم مكان المحذوف
منها ، وهذه الآية لو حُذِفَ الجواب فيها لم يُعلم مكانه ، لأنه يحتمل وجوهاً ،
منها أن يُقال : لما آمنوا ، أو لطلبوا ما وراء ذلك . وقد تقدّم القول في أوّل
باب الإيجاز أنّه لا بدّ من دلالة الكلام على المحذوف .

(٩) الضرب التاسع : وهو حذف جواب (لولا) :

فمن ذلك قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شَهَادَةٌ
إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ
أَنْ لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ
أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا إِنْ
كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ * وَوَلَا فُضِّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
حَكِيمٌ^(٢)) .

فجواب « لولا » هاهنا محذوف ، تقديره : لما أنزل عليكم هذا الحكم
بطريق التلاعن ، وستر عليكم هذه الفاحشة بسببه .

وكذلك ورد قوله تعالى : (إِنْ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي

(١) سورة الحجر : الآيات ١٤ و ١٥

(٢) سورة النور : الآيات ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ .

الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ *
وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١) .

تقديره : ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته لعجلَ لكم العذاب ، أو فعلَ
بكم كذا وكذا .

(١٠) الضرب العاشر : وهو حذف جواب (لما) وجواب (أما) :

فأما حذفُ جواب « لما » فكقوله تعالى : (فلما أسلما وتلَّهُ لِلْجَبِينِ *
وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ (٢)) .

فإنَّ جوابَ « لما » هاهنا محذوفٌ ، وتقديره : فلما أسلما وتلَّهُ لِلْجَبِينِ
وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا كَانَ مَا كَانَ مِمَّا يَنْطِقُ بِهِ الْحَالُ ،
ولا يحيطُ بِهِ الوصفُ من استبْشَارِهَا واعتباطِهَا ، وشكرِهَا عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ
عليهما من دفعِ البلاءِ العظيمِ بعد حُلُولِهِ ، وما أشبهه ذلكَ تَمَّا اكْتِسَبَاهُ بِهِذِهِ
الْمِحْنَةُ مِنْ عَظَائِمِ الْوَصْفِ دُنْيَا وَآخِرَةً ، وقوله : « إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ »
تعليلٌ لتحويلِ ما خَوَّلَهُمَا مِنَ الْفَرْحِ وَالشُّرُورِ بعد تلكِ الشَّدَّةِ الْعَظِيمَةِ .

وأما حذفُ جواب (أمَّا) فنحو قوله تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ
وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) (٣) .

(١١) الضرب الحادي عشر : وهو حذف جواب (اذا) :

فَمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ

(١) سورة النور : الآيتان ١٩ و ٢٠ .

(٢) سورة الصافات : الآيات : ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٠٦ .

لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ * وَمَا تَأْنِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (١).

ألا ترى كيف حذف الجوبُ عن « إذا » في هذا الكلام وهو مذكول عليه بقوله : « إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ » كأنه قال : وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ أَعْرَضُوا ، ثُمَّ قَالَ : وَدَأَّبَهُمُ الْإِعْرَاضُ عَنْ كُلِّ آيَةٍ وَمَوْعِظَةٍ .

(١٢) الضرب الثاني عشر : حذف المبتدأ والخبر :

أما حذف المبتدأ فلا يكون إلا مفرداً ، والأحسنُ هو حذف الخبر ، لأنَّ منه ما يأتي جملةً ، كقوله تعالى : (وَاللَّائِي يَتُسَّنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) (٣) .

وهاهنا قد حذف خبر المبتدأ ، وهو جملةٌ من مبتدأٍ وخبر ، وتقديرها : واللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ .

ومما ورد منه شعراً قولُ أبي عُبادة البَحرِيّ (٣) :

كُلُّ عُذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَلَكِنْ أَعُوْزُ الْعُذْرُ مِنْ بَيَاضِ الْعِذَارِ

(١) سورة يس : الآيتان ٤٥ و ٤٦ .

(٢) سورة الطلاق : الآية ٤ .

(٣) ديوان البَحرِيّ ٢ / ٢٩ من قصيدة له يمدح فيها أبا جعفر بن حميد ، ويستوهبه غلاماً ، ومطلعها :

أبكاء في الدار بعد الدار وسلوا بزئيب عن نوار

وهذا قد حُذِفَ مِنْهُ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ ، إِلَّا أَنَّهُ مَفْرُذٌ غَيْرُ جُمْلَةٍ ، وَتَقْدِيرُهُ : كُلُّ
عَذْرِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ مَقْبُولٌ أَوْ مَسْمُوعٌ ، أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْجَرَى .

(١٣) الضَرْبُ الثَّلَاثُ عَشَرَ : وَهُوَ حَذْفُ (لَا) مِنَ الْكَلَامِ وَهِيَ مُرَادَةٌ
وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُونُسَ) ^(١) يَرِيدُ بِهِ :
لَا تَفْتَأُ ، أَيْ : لَا تَزَالُ ، فَحَذَفَتْ « لَا » مِنَ الْكَلَامِ ؛ وَهِيَ مُرَادَةٌ .
وَعَلَى هَذَا جَاءَ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ ^(٢) :

فَقُنْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي
أَيْ : لَا أَبْرَحُ قَاعِدًا ، فَحَذَفَتْ « لَا » فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَهِيَ مُرَادَةٌ .
وَمِمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ أَبِي مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيِّ ^(٣) لَمَّا نَهَاهُ سَدُّ بْنُ

(١) سورة يوسف : الآية ٨٥ .

(٢) من قصيدته التي أولها :

أَلَا عَمِ صَبَاحًا أَيُّهَا الظَّلَلُ الْبَالِي وَهَلْ يَعْمَنُ مِنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي
(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي الْأَشْتِقَاقِ (٣٠٤) فَقَالَ : كَانَ شَاعِرًا فَارِسًا
شَجَاعًا ، شَهِدَ يَوْمَ الْقَادِسيَّةِ ، وَكَانَ لَهُ فِيهَا بِلَاءٌ عَظِيمٌ ، وَقَدْ شَهِدَهُ
يَوْمَئِذٍ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرْبٍ وَغَيْرُهُ مِنْ فُرْسَانِ الْعَرَبِ ، فَلَمْ يَبْلُ أَحَدٌ بِلَاءَهُ . وَذَكَرَهُ
ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ (٣٨٧ / ١) قَالَ : هُوَ مِنْ ثَقِيفٍ ، وَكَانَ
مَوْلَعًا بِالشَّرَابِ ، مُشْتَهَرًا بِهِ . وَذَكَرَ ابْنُ سَلَامٍ أَنَّهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بَنِ حَبِيبٍ
ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَمِيرِ الثَّقَفِيِّ ، قَالَ : وَأَبُو مُحَمَّدٍ رَجُلٌ شَاعِرٌ شَرِيفٌ ، وَكَانَ قَدْ
غَلَبَ عَلَيْهِ الشَّرَابُ ؛ فَضُرِبَ فِيهِ مَرَارًا ، ثُمَّ حَبَسَهُ سَعْدُ بِالْقَادِسيَّةِ فِي
الْقَصْرِ مَعَهُ ، وَالنَّاسُ يَقْتَتِلُونَ ، فَجَالُ الْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ ، وَهُوَ يَنْظُرُ .
وَكَانَ مَقِيدًا يَوْمَئِذٍ عِنْدَ زَيْدٍ ، أُمٌّ وَلَدَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ ، فَقَالَ لَهَا :
أُطْلِقِيْنِي ؛ فَلَمَّا لَكَ اللَّهُ ، لَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَسَلِمْتَ لِأَرْجَعْنَ حَتَّى
أَضْعُرَ رَجُلِي فِي الْقَيْدِ ، فَأُطْلِقْتَهُ وَحَمَلْتَهُ عَلَى فَرَسٍ لِسَعْدٍ ، فَأَخَذَ الرَّمْحَ ،
فَخَرَجَ فَقَاتَلَ ، فَحَطَمَ الْمُشْرِكِينَ ، وَكَانَ سَبَبَ الْهَزِيمَةِ (طَبَقَاتُ الشُّعْرَاءِ) . (٢٢٦)

أَبِي وَقَّاصٍ (١) — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — عَنْ شَرْبِ الخمر ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ فِي قِتَالِ
الْفَرَسِ بِالْقَادِسيَّةِ (٢) :

رَأَيْتُ الخمرَ صالحةً وَفِيهَا مَنَاقِبُ تُهْلِكُ الرَّجُلَ الحَلِيمَا
فَلا وَاللَّهِ أَشْرَبُهَا حَيَاتِي وَلَا أُسْقَى بِهَا أَبَدًا نَدِيمًا
يُرِيدُ : لَا أَشْرَبُهَا ، فَحَذَفَ « لَا » مِنَ الْكَلَامِ ، وَهِيَ مِنْهُومَةٌ مِنْهُ .

(١٤) الضَرْبُ الرَّابِعُ عَشَرَ : وَهُوَ حَذْفُ الْوَاوِ مِنَ الْكَلَامِ وَاثْبَاتُهَا :

وَأَحْسَنُ حُذُوفِهَا مِنَ الْمُعْطُوفِ وَالْمُعْطُوفِ عَلَيْهِ ، وَإِذَا لَمْ يُذَكَّرِ الْحَرْفُ
الْمُعْطُوفُ بِهِ كَانَ ذَلِكَ بِلَاغَةً وَإِيجَازًا كَقَوْلِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (٣) — رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ « كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنَامُونَ ثُمَّ يَصُتُّونَ وَلَا يَتَوَضَّئُونَ »
أَوْ قَالَ : ثُمَّ يَصُتُّونَ لَا يَتَوَضَّئُونَ .

(١) اسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبيد مناف بن زهرة بن
كلاب القرشي الزهري ، ويكنى سعد أبا إسحاق ، كان سابع سبعة
في إسلامه ، أسلم بعد ستة . شهد بدرًا والحديبية وسائر المشاهد وهو
أحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى وأخبر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم توفي وهو عنهم راض . وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة . وبقيّة
أخباره في « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » ٦٠٦ وما بعدها .

(٢) قرية قرب الكوفة من جهة البر ، بينها وبين الكوفة خمسة عشر
فرسخًا ، وبينها وبين العذيب أربعة أميال عندها كانت الوقعة العظمى
بين المسلمين وفارس قتل فيها أهل فارس وفتحت بلادهم على المسلمين .
(٣) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد ، خادم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، يكنى أبا حمزة ، سمى باسم عمه أنس بن النضر ، روى
عن أنس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن
عشر سنين ، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة ، ومات أنس في الطف على
فرسخين من البصرة سنة إحدى وتسعين .

فقوله : « لا يتوضَّئون » بحذف الواو أبلغُ في تحقيق عدم الوضوء من قوله : « ولا يتوضَّئون » بإثباتها . كأنه جعل ذلك حالةً لهم لازمة : أى أنها داخلةٌ في الجملة ، وليست جملةً خارجةً عن الأولى . لأنَّ واو العطف تُؤدِّنُ بانفراد المعطوف عن المعطوف عليه . وإذا حُذفتُ في مثل هذا الموضع صارَ المعطوف والمعطوفُ عليه جملةً واحدةً .

وقد جاء مثلُ ذلك في القرآن الكريم ، وذلك أنَّه يُذكرُ جُلٌّ من القول كلُّ واحدةٍ منها مُستقلةً بنفسها ، ثم تُسرَّدُ سرِّداً بغير عاطف . كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ، قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ، وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) (١) .

تقديرُ هذا الكلام : لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ، وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ، وقد بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ، فلما حُذفت الواوُ جاء الكلامُ أَوْجَزَ وأحسنَ طلاقةً ، وأبلغَ تأليفاً ونظماً .

وأمثاله في القرآن الكريم كثيرٌ .

* * *

واعلم أنَّه قد حُذفت الواوُ وأثبتت في مواضع :
فأما إثباتها فنحو قوله تعالى : (وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ) (٢) .

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٨

(٢) سورة الحجر : الآية ٤ .

وَأَمَّا حَذْفُهَا فَنَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ) (١) .

وعلى هذا فلا يجوزُ حذفُ الواو وإثباتُها في كلِّ موضعٍ ، وإنما يجوزُ ذلك فيما هذا سبيله من هاتين الآيتين .

ولنبينَ لك في ذلك رَسْمًا تَتَّبِعُهُ فَنَقُولُ :

أَعْلَمْ أَنَّ كُلَّ اسْمٍ نَسَكِرُهُ جَاءَ خَبَرُهُ بَعْدَ إِلَّا يَجُوزُ إِثْبَاتُ الْوَائِ فِي خَبَرِهِ وَحَذْفُهَا ، كَقَوْلِكَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا إِلَّا وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ إِلَّا عَلَيْهِ ثِيَابٌ ، بَغَيْرِ وَائٍ ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي يَقَعُ عَلَى النَّسَكَةِ نَاقِصًا فَلَا يَكُونُ إِلَّا بِحَذْفِ الْوَائِ ، مَحْوُ قَوْلِكَ : مَا أَظُنُّ دَرَهْمًا إِلَّا هُوَ كَافِيكَ ، وَلَا يَجُوزُ « إِلَّا وَهُوَ كَافِيكَ » بِالْوَائِ لِأَنَّ الظَّنَّ يَحْتَاجُ إِلَى شَيْئَيْنِ ، فَلَا يُعْتَرَضُ فِيهِ بِالْوَائِ ، لِأَنَّهُ يَصِيرُ كَالْمَكْتَفَى مِنَ الْأَفْعَالِ بِاسْمٍ وَاحِدٍ .

وكذلك جوابُ ظَنَنْتُ ، وَكَانَ ، وَإِنْ ، وَأَشْبَاهِهَا ، نَخْطَأُ أَنْ نَقُولَ : إِنْ رَجُلًا وَهُوَ قَائِمٌ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ .

ويجوزُ هذا في « لَيْسَ » خَاصَّةً ، نَقُولُ : لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ . لِأَنَّ السَّكْلَامَ يَقْتَضِيهِمْ تَمَامُهُ بِلَيْسَ وَبِحَرْفٍ وَنَسَكِرُهُ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ : لَيْسَ أَحَدٌ ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ ، فَجَازَ فِيهَا إِثْبَاتُ الْوَائِ ، وَلَمْ يَجْزِ فِي « أَظُنُّ » لِأَنَّكَ لَا تَقُولُ : مَا أَظُنُّ أَحَدًا ، فَأَمَّا « أَصْبَحَ » وَ « أَمْسَى » وَ « رَأَى » فَإِنَّ الْوَائِ فِيهِمْ أَسْهَلُ ؛ لِأَنَّهُنَّ تَوَاقُفٌ فِي حَالٍ ، وَ « كَانَ » وَ « أَظُنُّ » وَنَحْوُهَا بَيْنَيْنِ عَلَى النِّقْصِ ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ [كَانَ] تَامَةً .

(١) سورة الشعراء : الآية ٢٠٨ .

وكذلك « لا » في التَّنْزِيهِ وغيرها ، نحو لا رَجُلَ ، وما مِنْ رَجُلٍ ،
فيجوز إثبات الواو فيها وحذفها .

واعلم أن العرب قد حذفت من أصل الألفاظ شيئاً لا يجوز القياس عليه ،
كقول بعضهم ^(١) .

كَانَ إِبْرِيْقُهُمْ ظِيٌّ عَلَى شَرَفٍ مُقَدَّمٌ بِسَبَا الْكَتَّانِ مَلْثُومٌ ^(٢)

فقوله . « بِسَبَا الْكَتَّانِ » يريد : بِسَبَائِبِ الْكَتَّانِ ^(٣) .

(١) هو علقمة بن عبدة ، علقمة الفحل ، من قصيدته التي أولها :
هي ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم
والقصيدة في شعراء النصرانية ٤٩٨ .

(٢) في الأصل «مقدم» وهي رواية شعراء النصرانية (٥٠١) بالقاف
موضع «مقدم» والمقدم الذي جعل القدم على فيه ، وهو خرقة تجعل في فم
الإبريق ، والشرف المكان العالي المشرف .

(٣) هذا عيب من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن عند قدامة بن جعفر
سماه (التثايم) قال : وهو أن يأتي الشاعر بالألفاظ يقصر عنها العروض ،
فيضطر إلى ثلثها والنقص منها مثال قول أمية بن أبي الصلت :

ما أرى من يعينني في حياتي غير نفسي إلا بنى إسرال
وقول علقمة بن عبدة :

كَانَ إِبْرِيْقُهُمْ ظِيٌّ عَلَى شَرَفٍ مُقَدَّمٌ بِسَبَا الْكَتَّانِ مَلْثُومٌ
أراد «بِسَبَائِبِ الْكَتَّانِ» فحذف للعروض .

وقال لبيد بن ربيعة : * درس المنا بمتالع فأبان *

أراد بالمنا « المنازل » وانظر «نقد الشعر» لقدامة ١٣٦ طبعة ليدن ،
والطبعة الثانية ٢٩٩ من كتاب « قدامة بن جعفر والنقد الأدبي » للدكتور
بدوى طبانه . والسبائب جمع سبيبة ، وهي الشقة من النسيج ، أو البيضاء
خاصة .

وكذلك قول الآخر .

يُذَرِّينَ جَنْدَلَ حَائِرٍ ، اِجْنُوبِهَا فَسَكَانَمَا تُذَكِّي سَنَابِكُهَا الْحَبَا^(١)
فهذا وأمثاله ممَّا يَقْبَحُ ولا يَحْسُنُ ، وإن كانتِ العربُ قد استعملته فإنه
لا يجوزُ لنا أن نستعمله .

* * *

أما القسم الثاني من الإيجاز فهو ما لا يحذف منه الشيء :
وذلك ضربان :

أحدهما : ما ساوى لفظه معناه^(٢) ، ويسمى (التقدير) .
والآخر : ما زاد معناه على لفظه ، ويسمى (الإيجاز بالقصر) .
فأما (الإيجاز بالتقدير) فإنه الذي يمكن التعبير عن معناه بمثل ألفاظه
وفي عدتها .

وأما الإيجاز بالقصر . فإنه ينقسم قسمين :

أحدهما : ما دلّ لفظه على احتمالات متعدّدة ، وهذا يمكن التعبير عنه بمثل
ألفاظه وفي عدتها ، والآخر : ما يدلّ لفظه على احتمالات متعدّدة ، ولا يمكن
التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها ؛ لا ، بل يستحيل ذلك .

(١) في الأصل « بدر بن جندل حائر » وهو تحريف والتصويب عن
لسان العرب في مادة - ح ب ح ب والضمير في « يذرين » للخييل ،
والجندل الصخر . والحبا أراد به الحباحب ، وهو رجل من بني محارب بن
خصفة : ضرب بناره المثل لأنه كان لا يوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان
فقلوا « نارالحباحب » .

(٢) ليس هذا من الإيجاز عند جمهور البلاغيين ، وإنما هو قسم
برأسه ، يسمونه « المساواة » .

الضرب الأول : الإيجاز بالتقدير :

ونُورِد الآن الضربَ الأولَ الذي هو (الإيجازُ بالتقدير) :

فَمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْقَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ)^(١) .

فَقَوْلُهُ : « قَتَلَ الْإِنْسَانُ » دُعَاءٌ عَلَيْهِ ، وَقَوْلُهُ : « مَا أَكْفَرَهُ » تَعَجُّبٌ مِنْ إِفْرَاطِهِ فِي كُفْرَانِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ .

وَلَا نَرَى أُسْلُوبًا أَغْلَظَ مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ وَالتَّعَجُّبِ ، وَلَا أَخْشَنَ مَسًّا ، وَلَا أَذَلَّ عَلَى سُخْطٍ ، مَعَ تَقَارُبِ طَرَفِيَّةٍ ، وَلَا أَجْمَعَ لِلْإِمَّةِ عَلَى قِصَرِ مَتْنِهِ !
ثُمَّ إِنَّهُ أَخَذَ فِي صِفَةِ حَالِهِ مِنْ ابْتِدَاءِ حُدُوثِهِ إِلَى مُنْتَهَى زَمَانِهِ ، فَقَالَ : « مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ » ؟ .

ثُمَّ بَيَّنَ الشَّيْءَ الَّذِي خَلَقَ مِنْهُ بِقَوْلِهِ : « مِنْ نُطْقَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ » أَيُّ : هَيَّأَ لَهَا يَصْلَحُ لَهُ .

« ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ » أَيُّ : سَهَّلَ سَبِيلَهُ ، وَهُوَ مَخْرَجُهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ، أَوِ السَّبِيلَ الَّذِي يَخْتَارُ سُلُوكَهُ مِنْ طَرِيقِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى ، لِأَنَّهُ تَالٍ لَخَلْقِهِ وَتَقْدِيرِهِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ تَيْسِيرُ سَبِيلِهِ لِمَا يَخْتَارُهُ مِنْ طَرِيقِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ .

« ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ » أَيُّ : جَعَلَهُ ذَا قَبْرِ يَوَارَى فِيهِ .

« ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ » أَيُّ : أَحْيَاهُ .

(١) سورة عبس : الآيات ١٧ - ٢٣ .

« كَلَّا » . رَدُّعَ لِلإِنْسَانِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ .

« لَمَّا يَقْضِ مَا أَمْرُهُ » أَيْ لَمْ يَقْضِ مَعَ تَطَاوُلِ زَمَانِهِ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ ، يَعْنِي أَنَّ إِنْسَانًا لَمْ يَخْلُ مِنْ تَقْصِيرٍ قَطُّ .

أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي أَوْرَدْتَ أَنَّ تَحْدِفَ مِنْهُ كَلِمَةً وَاحِدَةً لَمَّا قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ ، لِأَنَّكَ كُنْتَ تَذْهَبُ بِجُزْءٍ مِنْ مَعْنَاهُ ؟ .

وَالِإِيحَازُ هُوَ أَلَّا يُمْكِنُكَ أَنْ تَسْقُطَ شَيْئًا مِنْ أَلْفَاظِهِ ^(١) .

وَالْآيَاتُ الْوَارِدَةُ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ كَثِيرَةٌ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ) ^(٢) .

فَقَوْلُهُ : « فَلَهُ مَا سَلَفَ » مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ خَطَايَاهُ الْمَاضِيَةَ قَدْ غُفِرَتْ لَهُ . وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيهَا ، إِلَّا أَنَّ قَوْلَهُ : (فَلَهُ مَا سَلَفَ) أُبْلِغُ ، أَيْ أَنَّ السَّالِفَ مِنْ ذُنُوبِهِ لَا يَكُونُ عَلَيْهِ إِلَّا مَا هُوَ لَهُ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) ^(٣) .

فَ (عَلَيْهِ كُفْرُهُ) كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ ، تُغْنِي عَنْ ذِكْرِ ضُرُوبٍ مِنَ الْعَذَابِ ، لِأَنَّ مَنْ أَحَاطَ بِهِ كُفْرُهُ فَقَدْ أَحَاطَ بِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ .

وَعَلَى نَحْوِ هَذَا جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ^(٤) .

(١) أَيْ مِنْ أَلْفَاظِ هَذَا الْكَلَامِ

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : الْآيَةُ ٢٧٥ .

(٣) سُورَةُ فَاطِرٍ : الْآيَةُ ٣٩ .

(٤) سُورَةُ النَّحْلِ : الْآيَةُ ٩٠ .

فهذه الآية من جوامع الآيات الواردة في القرآن الكريم .
 وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَهَا عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ، فَقَالَ لَهُ :
 يَا بَنَ أَخِي ، أَعِدَّهُ ، فَأَعَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِرَاءَتَهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ لَهُ
 الْحُلَاوَةَ ، وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ ، وَإِنْ أَعْلَاهُ لَمُشْعِرٌ ، وَإِنْ أَسْفَلُهُ لَمَغْدِقٌ ، وَمَا هُوَ
 بِقَوْلِ الْبَشَرِ .

ومن هذا النحو قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ
 بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ
 الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ *
 وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
 ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي
 غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ^(١) .

وهذه الآيات من قوارع القرآن العجيبة التي دلت على تخويف وإرهاب ،
 ترق له القلوب ، وتشعر منه الجلود ، وهي مُشتملة على قصرها على حال
 الإنسان منذ خلقه إلى حين حشره وحشر غيره من الناس ، وتصوير ذلك الأمر
 الفظيع في أسهل لفظ وأقربه ، وما مررت عليها إلا جددت لي موعظة ،
 وأحدثت عندي إيظاظا .

ومن هذا الضرب ، وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَعَائِهِ لِأَبِي سَلَمَةَ ^(٢)

(١) سورة (ق) : الآيات ١٦ - ٢٢ .

(٢) هو أبوسلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي
 المخزومي . اسمه عبد الله بن عبد الأسد . وأمه برة بنت عبد المطلب بن
 هاشم ، كان ممن هاجر بامرأته أم سلمة بنت أبي أمية إلى أرض الحبشة ثم
 شهد بدرا بعد أن هاجر الهجرتين . وجرح يوم أحد جرحا اندمل ثم انتقض
 فمات منه . وذلك ثلاث ماضين لجمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة ،
 وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأته .

عند موته ، فقال : « اللهم ارفعْ درجته في المهتدين ، واخلفه في عقبه في الغابرين لنا وله يارب العالمين » .

وهذا دعاء جامع بين الإيجاز وبين مناسبة الحال التي وقع فيها ، فأوله مفتتحٌ بالمهم الذي يقتدر إليه المدعو له في تلك الحال ، وهو رفع درجته في الآخرة ، وثانيه مُردفٌ بالمهم الذي يؤثبه المدعو له من صلاح حلِّ عقبه من بعده في الدنيا ، وثالثه مُختتمٌ بالجمع بين الدّاعي والمدعو له .

وهذا من الإيجاز البالغ الذي هو طباق ما قصد له .

وكلامُ النبيّ صلى الله عليه وسلم كله هكذا ، كما قال : « أُوتيتُ جوامعُ الكلم » .

وكذلك وردَ قوله صلى الله عليه وسلم يوم بدرٍ ، فإنه قال : « هذا يومٌ له ما بعده » وهو شبيهٌ بقوله تعالى : (قلْ ما سلفَ) .

ولمَّا جرح عمرُ بنُ الخطاب — رضى الله عنه — الجراحة التي مات بها اجتمع إليه الناس ، فجاءه شابٌّ من الأنصار ، وقال : أبشرْ يا أميرَ المؤمنين ببشرى الله ، لك من مُحبّة رسول الله وقديم في الإسلام ما علمتْ ، ووُلّيتْ فعدلتْ ، ثمّ شهادة » .

وهذا كلامٌ شديدٌ ، قد حوى المعنى المقصودَ ، وأتى به في أوجز لفظٍ وأحسنه ، ومع ما فيه من الإيجاز فإنه مُستغرب ، وسببُ استغرابه أنّه جعل المساءة بُشرى ، وأخرجها نخرجَ السرّة ، وتلطف في ذلك فأبلغ ، ولو أراد الكاتبُ البالغُ والخطيبُ المصنّع أن يأتي بذلك على هذا الوجه لأعوزه .

ومن هذا النمط ما كتبه طاهر بن الحسين^(١) إلى المأمون^(٢) عند لقائه
 [علي بن] عيسى بن ماهان^(٣) وهزمه إياه ، وقتله ، فكتب إليه : « كتابي
 إلى أمير المؤمنين ، ورأس [علي بن] عيسى بن ماهان^(٣) بن يدي ، وخاتمه
 في يدي ، وعسكره مصرف تحت أمري ، والسلام »^(٤) .
 وهذا من الكتب المختصرة التي حوت الغرض المطول ، وما يكتب في
 هذا المقام مثله .

(١) كان جده رزيق بن همام ، مولى طلحة الطلحات الخزاعي المشهور
 بالكرم والجود المفرط ، وكان طاهر من أكبر أعوان المأمون ، وسيره من
 مرو كرسى خراسان لما كان المأمون ، بها إلى محاربة أخيه الأمين ببغداد
 لما خلع الأمير بيعته ، وسير الأمين أبا يحيى علي بن عيسى بن ماهان لدفع
 طاهر عنه ، فتواقعا ، وقتل علي في المعركة ومولد طاهر سنة تسع وخمسين
 ومائة وتوفي يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع
 ومائتين بمدينة مرو .

(٢) ويروى أنه كتب بهذا الكتاب إلى الفضل بن سهل أول وزراء
 المأمون .

(٣) في الأصل « عيسى بن ماهان » والصحيح ما ذكرناه .

(٤) ويروى أن نص الكتاب إلى الفضل بن سهل « أطل الله بقاءك ،
 وكبت أعدائك وجعل من يشنك فدائك » كتبت إليك ورأس علي
 ابن عيسى في حجرى وخاتمه في يدي ، والحمد لله رب العالمين » فلما
 وصل الكتاب إلى الفضل نهض ، فسلم على المأمون بأمر المؤمنين ،
 وأمد طاهرا بالرجال والقواد وسماه « ذا اليمينين وصاحب جبل الدين »

ولما ارسل المهلبُ بنُ أبي صُفرة^(١) أبا الحسن المدائني^(٢) إلى الحجاج بن يوسف يخبره أخبارَ الأزارقة كله كلاماً موجزاً كالذي نحنُ بصدد ذكره هاهنا . وذلك أن الحجاجَ سأله ، فقال : كيف تركتَ المهلبُ ؟ فقال : أدرك ماأملَ ، وأمنَ ممّا خاف .

فقال : كيف هو الجُنْدُ ؟ . قال : والدُّرُوفُ .

قال : كيف جُنْدُهُ له ؟ قال : أولادُ بررة .

قال : كيف رضاهم عنه ؟ . قال : وَسِعَهُمْ بفضله ، وأغْنَاهُمْ بعدله^(٣) .

قال . كيف تصنعونَ إذا لقيتم العدوَّ ؟^(٤) قال : نلقاهم بجِدًّا [فنقطعُ

(١) عمل المهلب لبني أمية ، وحارب عنهم الأزارقة ، وآخر ماتولى من الأعمال بلاد خراسان ، تولاهما من جهة الحجاج يوم كان له العراقان وما زال عليهما حتى توفي سنة ٨٣ هـ ، وهو من كبار رجال الإسلام في تلك الدولة ، وقد اشتهر هو وآله بالكرم والشجاعة .

(٢) اختلط الأمر على ابن الأثير ، فإن المهلب لم يرسل أبا الحسن المدائني ، وإنما أرسل مالك بن بشير ، وأبو الحسن المدائني إنما هو رواية هذا الخبر فقط ، والصحيح ما ذكره صاحب العقد (١ / ١٢٢) أن أبا الحسن المدائني قال : لما هزم المهلب بن أبي صفرة قطرى بن الفجامة صاحب الأزارقة بعث إلى مالك بن بشير ، فقال له : إني موفدك إلى الحجاج - فلما دخل على الحجاج قال له : ما اسمك ؟ قال : مالك بن بشير ، قال : ملك وبشارة ! كيف تركتَ المهلب ؟ . . . »

(٣) رواية العقد الفريد (١ / ١٢٢) : « وسعهم ، بالفضل وأقنعهم بالعدل » .

(٤) وفي العقد : « إذا لقيتم عدوكم » .

فيهم ^(١) [ويَقْتُونَا بِجَدِّهِمْ] فيطمعون فينا ^(١) قال : كذلك الجدد إذا
لَقِيَ الجدد .

[قال : فما حالُ قَطَرِي ؟ قال : كادنا ببيعض ما كدناه .

قال : فما منعكم من اتِّباعه ، قال : رأينا المُقامَ من وراءه خيراً من اتِّباعه ^(١) .

قال : فأخبرني عن بني ^(٢) المهلب ، قال : هم أخلاس ^(٣) القتال بالليل ،
مُحَاةُ السَّرح ^(٤) بالنهار .

قال : أيُّهم أفضل ^(٥) [قال : ذلك إلى أبيهم .

قال : لتقولن ^(١) .

قال : هم كحلقةٍ مضروبةٍ لا يُعرفُ طرفاها ^(٦) .

فقال الحجاجُ لجلسائه : هذا واللهِ هُوَ الكلامُ الفضلُ الذي ليس
بمصنوع ^(٧) .

* * *

(١) زيادة عن العقد الفريد

(٢) في العقد « ولد المهلب » موضع « بني المهلب » .

(٣) في العقد « أعداء القتال » موضع « أخلاس القتال » .

(٤) في الأصل « السرج » بالجميم المعجمة ، وهو تصحيف ، والسرج
هو المسال السائم من الأنعام ، ويروى : كانوا حمة السرج نهارة فإذا
أيلوا ففرسان البيات .

(٥) وفي رواية : فأبهم كان أنجد ؟

(٦) ويروى : « كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها »

(٧) رواية العقد : « فقال الحجاج لجلسائه : هذا والله الكلام

المطبوع لا الكلام المصنوع »

وقد وردَ في الأخبار النبوية من هذا الضرب شيءٌ كثيرٌ ، وسأوردُ منه أمثلةً يسيرةً .

فمن ذلك قولُ النبي صلى الله عليه وسلم : « الحلالُ بينٌ ، والحرامُ بينٌ ، وبينهما أمورٌ متشابهاتٌ » :

وهذا الحديثُ من أجمع الأحاديثِ للمعاني الكثيرة ، وذلك أنه يشتملُ على جُلِّ الأحكام الشرعية ، فإن الحلالَ والحرامَ إما أن يكونَ الحكمُ فيهما شيئاً لا خلافَ فيه بين العلماء ؛ وإما أن يكونَ خافياً يتجاذبه وجوهُ التنازلات ، فكلُّ منهم يذهبُ فيه مذهباً

وكذلك جاء قوله صلى الله عليه وسلم : « الأعمالُ بالنيَّاتِ ، وإنما لكلُّ امرئٍ ما نوى » .

فإن هذا الحديثَ أيضاً من جوامع الأحاديثِ للأحكام الشرعية .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم . « المضعِفُ أميرُ الرِّكَبِ » . وقد وردَ آخرُ هذا الحديثِ بلفظٍ آخر . فقال صلى الله عليه وسلم : « سيروا بسيرِ أضعفكم » ، إلا أن الأولَ أحسنُ ، لأنه أبلغُ معنى ، فإن الأميرَ واجبُ الحكم ، فهو يُدبِّعُ . وإذا كان المضعِفُ أميرَ الرِّكَبِ كانوا مؤتمرين له في سيرهم ونزولهم ، وهذا المعنى لا يوجدُ في قوله « سيروا بسيرِ أضعفكم » ،

وأحسنُ من هذا كله ما وردَ عنه صلى الله عليه وسلم في حديثٍ مطوَّلٍ يتضمنُ سؤالَ جبريلَ عليه السلام ، فقال من جملته : « ما الإحسانُ » . قال : « أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

فقوله « تعبد الله كأنك تراه » من جوامع الكلام ، لأنه ينبوُ منابَ كلامٍ كثيرٍ ، كأنه قالَ : تعبد الله مخلصاً في نيتك ، واقفاً عند أدب الطاعة

من الخضوع والخشوع ، آخذاً أهبة الحذر ، وأشباه ذلك ، لأنَّ العبد إذا خدَمَ مولاهُ ناظراً إليه استتقى في آداب الخدمة بكلِّ ما يجدُ إليه السبيل ، وما ينتهى إليه الطوقُ .

ومما أطربني من ذلك حديثُ الحديبية ، وهو أنَّه جاء بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ^(١) إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقالَ له : إني تركتُ كعبَ بنَ لُؤَيٍّ بنِ عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ مَعَهُمُ الْعُوذُ^(٢) الْمَطَافِيلُ^(٣) ، وهم مقاتِلوكَ وصادُوكَ ، عن البيتِ » فقالَ له النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ قَرِيشاً قد نهَكَتَهُمُ الْحَرْبُ ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْنَاَهُمْ مُدَّةً ، ويدْعُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ ، فَإِنْ أَظْهَرَ عَلَيْهِمْ وَأَحْبَبُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ، وَإِلَّا كَانُوا قَدْ جَمَّحُوا ، وَإِنْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَقَاتِلُهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا ، حَتَّى تَنْفِرَ سَالِقَتِي هَذِهِ ، وَلَيَنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ » .

وهذا الحديثُ من جوامعِ الكلامِ ، وهو من النصيحةِ والبلاغةِ على غايةٍ لا ينتهى إليها وصفُ الواصفِ .



(١) هو بديل بن ورقاء بن عبد العزى الخزاعي ، أسلم يوم فتح مكة هو وابنه عبد الله بن بديل وحكيم بن حزام بمر الظهران ، وقيل أسلم قبل الفتح ، وذكر ابن إسحاق أن قريشا يوم فتح مكة لحقوا إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودار مولاه رافع « وشهد بديل وابنه عبد الله حنيناً والطائف وتبوك .

(٢) العوذ الحديثات النتاج من الظباء وكل أنثى .

(٣) المطافيل جمع مطفل يقال طفنا لبلنا تطفيلا إذا كان معها أولادها ، فرفقنا بها في السير ، هذا هو الأصل ، والمطفل ذات الطفل .

وَأَمَّا مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ شعراً فَقَوْلُ النَّابِغَةِ (١) :

وَإِنَّكَ (٢) كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذَرِّكِي

وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

وَتَخْصِيصُهُ اللَّيْلَ دُونَ النَّهَارِ مِمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ !

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ (٣) :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَحْأَ لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثٍ ، أَيْ الرَّجَالُ الْمُهَذَّبُ

وعلى هذا الأسلوب ورد قول الأغشى في اعتذاره إلى أوس بن لام عن

هَجَائِهِ إِيَّاهُ :

وإني على ما كان مني لنادمٍ وإني إلى أوس بن لام لتائبٌ

وإني إلى أوسٍ ليقبل عذرتي ويصفح عني ماحيت لراغبٍ

فهب لي حياتي ، فالحياء لقائمٍ بشكرٍ فيها خيرٌ ما أنت واهبٍ

سأخو بمدح فيك إذ أنا صادقٌ كتاب هجاء سارٍ إذ أنا كاذبٌ

(١) ديوان النابغة — من مجموع مشتمل على خمسة دواوين من أشعار العرب — ٥٥ من قصيدة له في مدح النعمان بن المنذر ، والاعتذار إليه ، وهجاء مرة بن ربيعة لما قذف عليه عند النعمان ، ومطلعها :

عفا ذو حساً من فرتني فالقوارع فجنبا أريك فالتلاع الدوافع

(٢) رواية الديوان « فإنك » بالفاء .

(٣) المصدر السابق ١٤ من قصيدة له أولها :

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب

وهذا من المعاني الشريفة في الألفاظ الخفيفة ، وهو من طناناث
الأعشى المشهورة .

وعلى نحو منه جاء قول الفرزدق (١) :
صَبَحْنَا هُمُ الشَّمْتَ الْجِيَادَ كَأَنَّهَا قَطَا هَيَّجَتْهُ يَوْمَ رِيحِ أَجَادِلِهِ (٢)
إِلَى كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَطَبْنَا بَنَاتِهِمْ بَارِعَنَ جَرَّارٍ كَثِيرٍ صَوَاهِلِهِ (٣)
إِذَا مَا لَتَقِينَا نَكَحَّتْنَا رِمَاحُنَا مِنْ الْقَوْمِ أَبْكَارًا كَرَامًا عَقَائِلَهُ (٤)
وَإِنَّا لَمَنَاعُونَ تَحْتَ لَوَائِنَا حِمَانًا إِذَا مَا عَادَ بِالسَّيْفِ حَامِلُهُ

وهذا من محاسن مايجي في هذا الباب .

ومما يجري هذا الجري قول جرير (٥) :

(١) شرح ديوان الفرزدق ٧٣٦/٢ والنقائض ٦٢٩ الطبعة أوربا «
من قصيدة في هجاء جرير وأرلها :
سمونا لنجران اليماني وأحله ونجران أرض لم تديث مقاوله
وهي إحدى نقائضه وقد نقضها عليه جرير بقوله :
ألم تر أن الجهل أقصر باطله وأمسى عماء قد تجلت مخايله
(٢) رواية الديوان والنقائض :
صباحناهم الجرد والحياد كأنها قطا أفزعته يوم طل أجادله
والأجادل جمع الأجلد وهو الصقر .
(٣) رواية الديوان للشطر الثاني :

* بارعن مثل الطود جم صواهله *

(٤) رواية الديوان « من الحى » موضع « من القوم »
(٥) ديوان جرير ٤٦٢ والنقائض ١/١٤٤ « طبع مصر » وهى من
قصيدة له فى هجاء البعث والفرزدق ، مطلعها :

عوجى علينا وأربعى ربة البغل ولا تقتلبنى لا يحل لكم قتلى
وهى نقيضة لقصيدة البعث التى أولها :
لهاج عليك الشوق أطلال دمنة بناصفة الجوين أوجانب الهيجل

تَمَعَّى رَجُلٌ مِنْ تَمِيمٍ مَنِيَّتِي وَمَا ذَادَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ زَائِدٌ مِثْلِي ^(١)
 فَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كَانَ حِلْمِي فِيهِمْ وَكَانَ عَلَى جَهْلِهِمْ أَعْدَائِهِمْ جَهْلِي ^(٢)
 وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ مُتَغَزِّلاً ، وَهُوَ مِنْ مُحَاسِنِ أَقْوَالِهِ ^(٣) .

سَرَتِ الْهُمُومُ فَبِشْنٍ غَيْرِ نِيَامٍ وَأَخُو الْهُمُومِ يَرُومُ كُلَّ مَرَامٍ
 دُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنَزَلَةِ اللَّوَى وَالْعِيشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الْأَقْوَامِ
 وَلَقَدْ أَرَاكَ وَأَنْتَ جَامِعَةُ الْهُوَى أَتُنِي ^(٤) بِمَهْدِكَ خَيْرَ دَارٍ مَقَامٍ
 طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ فَلَيْسَ ذَا حِينَ الزِّيَارَةِ ^(٥) فَارْجِعِي بِسَلَامٍ
 تُجْرِي السَّوَالِكَ عَلَى أَغْرَ كَأَنَّهُ بَرْدٌ تَحْدَرُ مِنْ مَتُونِ غَمَامٍ
 لَوْ كَانَ عَهْدُكَ كَالَّذِي حَدَّثْتَنَا لَوْ صَلَّتْ ذَاكَ فَكَانَ خَيْرَ زِمَامٍ ^(٦)
 وَلَقَدْ أَرَانِي وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلَى فِي مَوْكِبٍ ^(٧) طَرَفِ الْحَدِيثِ كِرَامٍ

(١) رواية الديوان « لى الردى » موضع « منيتى » .
 (٢) فى الأصل « مثلى » موضع « جهلى » والتصويب عن الديوان والنقائض
 (٣) ديوان جرير ٥٥١ والنقائض ٢٥٦/١ وهى نقيضة قصيدة الفرزدق التى أولها :

عفى المنازل آخر الأيام قطر ومور واختلاف نعام

(٤) رواية الديوان « نبنى » بالنون .

(٥) رواية الديوان « وليس ذا وقت الزيارة » .

(٦) فى الأصل « خير زمام » وفى الديوان « غير زمام » ، وإذا

كان لنا أن نفضل آثرنا رواية ابن الأثير ، لاتصال معنى الكلام ، ولذلك أبقيناها ، ورواية الموشح (١٦٧) توافق رواية الديوان .

(٧) رواية الديوان « فى فتية » ويروى الشطر الثانى أيضاً :

* فى فتية طرفى لحديث كرام *

لَوْلَا مُرَاقِبَةُ الْعُيُونِ أَرَيْنَا حَدَقَ الْمَهَا ^(١) وَسَوَالفَ الْأَرَامِ
وَلِإِذَا صَرَفْنَ عُيُونَهُنَّ بِنَظَرَةٍ نَفَذَتْ نَوَافِذُهَا بِغَيْرِ سِهَامِ
هَلْ تَنْفَعُنَّكَ إِنْ قَتَلْنَ مُرَقَّشًا ^(٢) أَوْ مَا فَهَانَ بِعُرْوَةِ بَنِ حِزَامِ ^(٣)
وَحَلَاوَةُ هَذَا الْكَلَامِ أَحْسَنُ مِنْ إِجْجَازِهِ ، وَلَقَدْ أَعْوَزَ غَيْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ ،
حَتَّى أَقَرَّ بِإِعْوَاذِهِ .

(١) رواية الديوان « أريننا مقل المهما » وهى أجود ، لمناسبة ما بعدها فى الإخبار عن جماعة الإناث .

(٢) المرقش الأكبر ، هو عوف ، وقيل عمرو بن سعد من مالك ابن بكر بن وائل ، وهو عم ربيعة بن سفيان المعروف بالمرقش الأصغر والمرقش لقب غلب عليه لقوله :

الدار قفر والرسوم كما رقص فى ظهر الأديم قلم

وكان للمرقشين جميعا موقع فى بكر بن وائل وفى حروبها مع بنى تغلب ، وبأس وشجاعة ونجدة ، وللمرقش الأكبر شعر حسن ، وهو يعد من أهل الطبقة الأولى فى الشعر ، وكان بنو بكر يدعون التقدم له ولعمرو بن قميشة ، إلا أن شعره قليل ، تولت عليه يد الضياع ، مات نحو سنة ٥٥٢ م ، ودفن فى أرض مراد . وسائر أخباره فى « شعراء النصرانية » ٢٨٢ .

(٣) يروى « ابن حذام » و « ابن حمام » و « ابن خذام » .
روى محمد بن سلام الجمحى (طبقات فحول الشعراء ٣٣) قول امرئ القيس :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن حذام

قال ابن سلام : « وهو رجل من طيء ، لم يسمع شعره الذى بكى فيه ، ولا شعر ذكر فيه ، غير هذا البيت الذى ذكره امرؤ القيس » .

ومن باب الإيجاز الذى يسعى « التقدير » قولُ على بن جبلة .

وما لأمريء حاولتهُ عنك مهربٌ ولو حملهُ في السماء المطالعُ
بلى هاربٌ ما يهتدى لمكانه ظلامٌ ولا ضوءٌ من الصبح ساطعُ

فهذا هو الكلام الذى ألفاظه وفاقُ معانيه ، فإنه قد اشتمل على مدح رجلٍ بشمول مُلكه وعموم سُلطانه ، وأنه لا مهربَ عنه إن يحاوله ، وإن صعد السماء ، ثم ذكر جميع المهاربِ فى المشارق والمغارب ، وأشار إلى أنه يبلغ الظلام والضياء . وذلك مما تزدُّ عبارته على المعنى المندرج تحته ، ولا قصرت عنه .

ومن هذا الضرب قولُ أبو نواس^(١) ، وهو من نادر ما يأتى فى هذا الموضع :

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلُوها وَأَدْلَجُوا بها أَثَرٌ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ
مَسَاحِبُ مَنْ جَرَّ الزُّقَاقَ عَلَى الثَّرَى وَأَضْغَاثُ رِيحَانٍ^(٢) جَنَى وَيَاسِسُ
حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي فَجَدَدْتُ عَهْدَهُمْ وَإِنِّي عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لِحَاسِسُ
تُدَارُ^(٣) عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسَجَدِيَّةٍ حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ

(١) ديوان أبى نواس ٢٩٥ وهى إحدى خمرياته .

(٢) الزقاق جمع زق ، وهو وعاء من جلد يحمل فيه الماء ونحوه ، والأضغاث جمع ضغث ، وهو القبضة من الحشيش ، وجنى جنى لساعته .

(٣) فى الديوان « تدور » وقبل هذا البيت بيتان أغفلهما ابن الأثير ، وهما :

ولم أدر منهم غير ما شهدت به بشرقى ساباط الديار البسابس
أقمنا بها يوماً ويومين بعده ويوماً له يوم الترحل خامس
والبسابس - جمع بسبس بالفتح - وهو القفر .

قَرَارَتِهَا (١) كِسْرَى وَفِي جَنْبَاتِهَا مَهَا تَدْرِيهَا (٢) بِالْقِسِيِّ الْفَوَارِسُ
فَلَرَّاح (٣) مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا (٤) وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ

وَمِمَّا انْتَهَى إِلَى مَنْ أَخْبَارَ ابْنَ الْمَزْرَعِ (٥) قَالَ : سَمِعْتُ الْجَاحِظَ يَقُولُ :
لَا أَعْرِفُ شَعْرًا يُفْضَلُ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ الَّتِي لِأَبِي نُوَّاسٍ ، وَلَقَدْ أَنْشَدْتُهَا أَبَا شُعَيْبٍ
الْقَلَّالَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا أَبَا عُمَانَ ، إِنَّ هَذَا لَهَوُ الشَّعْرِ ، وَلَوْ نَقَرَ لَطَنٌ ، فَقُلْتُ لَهُ :
وَيَحْكُ ! مَا تَفَارَقُ عَمَلَ الْجِرَارِ وَالْخَزَفِ ! .

وَلَعَمْرِي إِنَّ الْجَاحِظَ عَرَفَ فَوْصَفَ ، وَخَبَرَ فَشَكَرَ ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ
هُوَ الْحَقُّ .

(١) فِي الْأَصْلِ « قَرَارِهَا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالصُّوَابُ عَنِ الدِّيَوَانِ .

(٢) أَدْرَى الصَّيْدَ خَتْلَهُ ، وَادْرَى غَفْلَتَهُ بِمَعْنَى تَحِيْنِهَا .

(٣) رَوَايَةُ الدِّيَوَانِ : « فَلِلْخَسْرِ » .

(٤) رَوَايَةُ الدِّيَوَانِ : « جُيُوبُهُمْ » ، وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْفَوَارِسِ

فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ ، وَالْمُرَدُّ صُورَهُمُ الْمَرْسُومَةُ عَلَى جَنْبَاتِ الْكُثُوسِ .

(٥) هُوَ يَمْرُتُ بْنُ الْمَزْرَعِ بْنِ مُوسَى بْنِ سَيَّارِ الْعَبْدِيِّ ، مِنْ عَبْدِ

قَيْسِ الْبَصْرِيِّ ابْنِ أُخْتِ أَبِي عَثْمَانَ الْجَاحِظِ ، نَحْوَى أَدِيبٍ رَاوِيَةٍ ،

ذَكَرَهُ الزُّبَيْدِيُّ فِي نَحْوَةِ مِصْرَ ، أَخَذَ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ الْمَازَنِيِّ وَأَبِي

حَاتِمِ السَّجِسْتَانِيِّ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَخِي الْأَصَمِيِّ وَنَصَرَ بْنِ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيِّ

وكَانَ مِنْ مَشَايِخِ الْعِلْمِ وَالشَّعْرِ ، أَخْبَارِيًّا حَسَنَ الْآدَابِ ، دَخَلَ بَغْدَادَ ،

وَمَاتَ بِطَبْرِيَّةَ ، وَقِيلَ بِدِمَشْقَ سَنَةَ ثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ لَهُ

وَلَدٌ يُقَالُ : لَهُ مَهْلَهْلُ بْنُ يَمُوتَ .

وعلى هذا الأسلوب جاء قول أبي تمام (١) :

إنَّ القَوَافِيَّ وَالْمَسَائِيَّ لَمْ تَزَلْ مثل النُّظَامِ (٢) إِذَا أَصَابَ فَرِيدَا
هِيَ جَوْهَرٌ نَثْرٌ فَإِنْ أَلْفَتْهُ بالشَّعْرِ صَارَ قَلَائِدَا وَعُتُودَا
فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ وَكُلِّ مَقَامَةٍ يَأْخُذْنَ مِنْهُ ذِمَّةٌ وَعُهُودَا
فَإِذَا الْقَصَائِدُ لَمْ تَكُنْ خُسْفَاءَهَا لَمْ تَرْضَ مِنْهَا مَشْهَدَا مَشْهُودَا
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ الْعَرَبُ الْأُولَى يَدْعُونَ هَذَا سُودَدَا مُحْدُودَا
وَتَنْدُبُ عَنْدهُمْ الْعُلَا إِلَّا عُلَاً جُعِلَتْ لَهَا مِرْرَ الْقَرِيضِ (٣) قِيودَا

الضرب الثاني : الإيجاز بالقصر :

وأما الضربُ الثاني : وهو الإيجاز بالقصر : فإنَّ القرآنَ الكريمَ ملآنٌ منه وقد تقدَّم القولُ أنَّه قسمان (٤) :

أحدهما : ما يدل على احتمالات متعددة :

فمن ذلك قوله تعالى (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَحْشَى * فَأَنْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَفَغَشَّيْهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشَّيْهُمْ * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (٥)) .

(١) ديوان أبي تمام ٩٠ من قصيدة له في مدح خالد بن يزيد

الشيباني ، مطلعها :

طلال الجميع لقد عفوت حميدا وكفى على رزئي بذلك شهيدا

(٢) رواية الديوان « الجمان » .

(٣) رواية الديوان « مرر القصيد » والمرر الحبال المحكمة .

(٤) أنظر صفحة ٣٣٣ من هذا القسم .

(٥) سورة طه : الآيات ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ .

فَقُولِهِ : « فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ » من جوامع الكلم التي يستدلُّ على قِلَّتِهَا بِالْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ ، أَيْ : غَشِيَهُمْ مِنَ الْأُمُورِ الْهَائِلَةِ وَالْخَطُوبِ الْفَادِحَةِ مَا لَا يَعْلَمُ كُنْهَهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَحِيطُ بِهِ غَيْرُهُ .

وَمِنْ هَذَا الصَّرْبِ قَوْلُهُ تَعَالَى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)^(١) .

فَجَمَعَ فِي الْآيَةِ جَمِيعَ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، لِأَنَّ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ صَلَةَ الرَّحِمِ وَمَنْعَ اللِّسَانِ عَنِ الْغِيبَةِ ، وَعَنْ الْكُذْبِ ، وَغَضَّ الطَّرْفَ عَنِ الْحَرَمَاتِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَفِي الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ الصَّبْرَ ، وَالْحِلْمَ ، وَغَيْرَهُمَا ،

وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ فِي دُعَائِهِ : « اللَّهُمَّ هَبْ لِي حَقَّكَ ، وَأَرْضَ عَنِّي خَلْقَكَ » ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا هُوَ الْبَلَاغَةُ » .
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : (أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ)^(٢) .

فَإِنَّهُ دَخَلَ تَحْتَ الْأَمْنِ جَمِيعُ الْمَحْبُوبَاتِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نَفَى بِهِ أَنْ يَخَافُوا شَيْئًا مِنَ الْفَقْرِ ، وَالْمَوْتِ ، وَزَوَالِ النِّعْمَةِ ، وَنَزُولِ النِّقْمَةِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الْمُسْكَرَةِ .

وَأَشْبَاهُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرَةٌ ، فَهُوَ يَكْثُرُ فِي بَعْضِ الصُّوَرِ وَيَقْلُ فِي بَعْضٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ شَاءَ يَرْتَعْ فِي الرِّيَاضِ الْأَنَاقِ فَعَلَيْهِ بَالُ حَمٍّ » .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَخْرَاجُ بِالضَّمَّانِ » وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا اشْتَرَى عَبْدًا ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ مُدَّةً ، ثُمَّ وَجَدَ بِهِ عَيْبًا ، فَنَاصَمَ الْبَائِعَ إِلَى

(١) سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٨٢ .

النبي صلى الله عليه وسلم ، فردّه عليه ، فقال : يا رسول الله ، إنه استَغَلَّ غُلَاهِي ، فقال : « الخراجُ بالضمان » . ومعنى قَوْلِهِ « الخراجُ بالضمان » أن الرجل إذا اشترى عبداً فاستغله ، ثم وجد به عيباً دلّسه عليه البائع فله أن يرده ، ويسترجع الثمن جميعه ، ولو مات العبدُ أو أبقَ أو سرقه سارقٌ ، كان في مال المشتري ، وضمانه عليه ، وإذا كان ضمانه عليه فخرّاجه له ، أى له ما تحصل من أجرة عمله .

وأما ماوردَ شعراً ؛ فقولُ السَّمَوَيْلِ بنِ عاديا الغَسَّانِي (١) من جملة أبياته اللامية المشهورة (٢) ، وذلك قوله منها :

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل
فإن هذا البيت قد اشتمل على مكارم الأخلاق جميعها من سماحة ، وشجاعة ، وعفة ، وتواضع ، وحلم ، وصبر ، وغير ذلك ، فإن هذه الأخلاق كلّها من ضيم النفس ، لأنها تجدد بحملها ضيماً ، أى مشقة وعناء .

وقد تقدّم القول أن الإيجاز بالقصر يكون فيما تضمّن لفظه محتملات كثيرة . وهذا البيت من ذلك القبيل ، ولا أعلم أن شاعراً قديماً ولا حديثاً أتى بمثله ، وقد أخذه أبو تمام ، فأحسن في أخذه ، وهو :

وظلمت نفسك طالباً إنصافها فعجبت من مظلومة لم تظلم

(١) هو السموعل بن غريض بن عاديا ، والناس يدرجون غريضاً في النسب ، وينسبونه إلى عاديا جده ، وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلى بتماء . والسموعل يضرب به المثل في الوفاء ، لأنه أسلم ابنه ، ولم يخن أمانته في أذراع أودعها عنده امرؤ القيس .

(٢) ديوان الحماسة ١/ ٣٦ وأولها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

فَفَازَ فِي بَيْتِهِ هَذَا بِالْمُقَابَلَةِ بَيْنَ الضَّئِيفَيْنِ فِي الظُّلْمِ وَالْإِنْصَافِ ، ثُمَّ قَالَ :
« فَعَجِبْتُ مِنْ مَظْلُومَةٍ لَمْ تَظْلَمْ » . وَهَذَا أَحْسَنُ مِنَ الْأَوَّلِ .

وَمَعْنَى قَوْلِهِ « ظَلَمْتَ نَفْسَكَ طَالِبًا لِإِنْصَافِهَا » أَيْ : أَنْتَ أَكْرَهْتَهَا عَلَى
مُشَاقَّةِ الْأُمُورِ ، وَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمْتَهَا ، ثُمَّ إِنَّكَ مَعَ ظُلْمِكَ إِيَّاهَا قَدْ
أَنْصَفْتَهَا ، لِأَنَّكَ جَلَبْتَ إِلَيْهَا أَشْيَاءَ حَسَنَةً تُكْسِبُهَا ذِكْرًا جَمِيلًا ، وَجَدًّا مُؤَنِّلًا ،
فَأَنْتَ مُنْصِفٌ لَهَا فِي صُورَةِ ظَالِمٍ .
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :

* فَعَجِبْتُ مِنْ مَظْلُومَةٍ لَمْ تَظْلَمْ *

أَيْ أَنْتَ ظَلَمْتَهَا ، وَمَا ظَلَمْتَهَا ، لِأَنَّ ظُلْمَكَ إِيَّاهَا أَدَّى إِلَى مَا هُوَ
جَمِيلٌ حَسَنٌ .

وَهَذَا الْقَدْرُ فِي الْأَمْثَلَةِ كَافٍ فِي هَذَا الْبَابِ .

الْقِسْمُ الْآخِرُ مِنَ الضَّرْبِ الثَّانِي ، فِي الْإِيجَازِ بِالْقَصْرِ :

وَهُوَ الَّذِي لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْ أَلْفَاظِهِ بِأَلْفَاظٍ أُخْرَى مِثْلِهَا ، وَفِي عَدَّتِهَا ،
وَهُوَ أَعْلَى طَبَقَاتِ الْإِيجَازِ مَكَانًا ، وَأَعْوَزُهَا إِمَّاكَانًا ، وَإِذَا وُجِدَ فِي كَلَامٍ بَعْضُ
الْبُلْغَاءِ فَإِنَّمَا يَوْجَدُ شَاذًا نَادِرًا .

فَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ
حَيَاةٌ) ^(١) .

فَإِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى : « الْقِصَاصُ حَيَاةٌ » لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ إِلَّا بِأَلْفَاظِهِ

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : الْآيَةُ ١٧٩ .

كثيرة ، لأنَّ معناه أَنَّهُ إِذَا قُتِلَ الْقَاتِلُ امْتَنَعَ غَيْرُهُ عَنِ الْقَتْلِ ، فَأَوْجَبَ ذَلِكَ حَيَاةَ لِلنَّاسِ .

وَلَا يَلْتَفَتُ إِلَى مَاوَرَدَ عَنِ الْعَرَبِ مِنْ قَوْلِهِمْ : « الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ » .
فَإِنْ مِنْ لَا يَعْلَمُ يَظُنُّ أَنَّ هَذَا عَلَى وَزْنِ الْآيَةِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ :

الوجه الأول : أَنَّ « الْقِصَاصَ حَيَاةً » لِفِطْرَتَانِ ، وَ « الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ » ثَلَاثَةُ أَلْفَاظٍ .

الوجه الثاني : أَنَّ فِي قَوْلِهِمْ « الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ » تَكْريراً لَيْسَ فِي الْآيَةِ .

الوجه الثالث : أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ قَتْلٍ نَافِيًا لِلْقَتْلِ ، إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَى حَكْمِ الْقِصَاصِ (١) .

(١) قَالَ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ : وَالْإِيجَازُ : الْقَصْرُ وَالْحَذْفُ ، فَالْقَصْرُ تَقْلِيلُ الْأَلْفَاظِ وَتَكْثِيرُ الْمَعَانِي ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ » وَيَتَبَيَّنُ فَضْلُ هَذَا الْكَلَامِ إِذَا قُرِنَتْهُ بِمَا جَاءَ عَنِ الْعَرَبِ فِي مَعْنَاهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ « الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ » فَصَارَ لَفْظُ الْقُرْآنِ فَوْقَ هَذَا الْقَوْلِ ، لَزِيَادَتِهِ عَلَيْهِ فِي الْفَائِدَةِ ، وَهُوَ إِبَانَةُ الْعَدْلِ الْمَذْكُورِ الْقِصَاصِ ، وَذَكَرَ الْعَوْضُ الْمَرْغُوبَ فِيهِ لِمَذْكَرِ الْحَيَاةِ ، وَاسْتِدْعَاءَ الرِّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ لِحُكْمِ اللَّهِ بِهِ ، وَلِإِيجَازِهِ فِي الْعِبَارَةِ ، فَإِنَّ الَّذِي هُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِمْ « الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ » إِنَّمَا هُوَ « الْقِصَاصُ حَيَاةً » وَهَذَا أَقْلُ حُرُوفًا مِنْ ذَلِكَ ، وَلِبَعْدِهِ مِنَ الْكَلْفَةِ بِالتَّكْرِيرِ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ « الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ » وَلَفْظُ الْقُرْآنِ بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ . وَبِحَسَنِ التَّأْلِيفِ ، وَشِدَّةِ التَّلَاوُمِ الْمَذْكُورِ بِالْحُسْنِ ، لِأَنَّ الْخُرُوجَ مِنَ الْفَاءِ إِلَى اللَّامِ أَعْدَلَ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ اللَّامِ إِلَى الهمزة (وَانْظُرِ الصَّنَاعَتَيْنِ ١٧٥) .

وقد صاغ أبو تمام هذا المعنى الوارد عن العرب في بعض بيت من شعره ، فقال (١) :

وَأَخَافُكُمْ كَيْ تُغْمِدُوا أَسْيَافَكُمْ إِنَّ الدَّمَ الْمُعْتَرَّ (٢) يَحْرُسُهُ الدَّمُ
فقوله : « إِنَّ الدَّمَ الْمُعْتَرَّ (٢) يَحْرُسُهُ الدَّمُ » . أحسن مما ورد عن العرب من قولهم : « القتل أنفى للقتل » ،

ويروى عن مَعْن بن زائدة (٣) أنه سأل أبو جعفر المنصور ، فقال له : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : دَوْلَتُنَا أَوْ دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، فقال : ذَاكَ إِلَيْكَ ! .

فقوله « ذَاكَ إِلَيْكَ » من الإيجاز بالقصر الذى لا يمكن التعبير عنه إلا بالفاظ كثيرة ، لأن معنى قوله « ذَاكَ إِلَيْكَ » ، وهو لفظتان ، أنه إن زاد إحسانك على إحسان بنى أُمَيَّةَ ، فأنتم أحبُّ إلىّ ، وهذه عشرة ألفاظ .

فإن قيل : كيف لا يمكن التعبير عن ألفاظٍ بألفاظٍ أخرى مثلاً وفى

(١) ديوان أبى تمام ٢٧٤ من قصيدة له فى مدح مالك بن طوق ، مطلعها :

أَرْضُ مَصْرَدَةٍ وَأُخْرَى تُتَجَمُّ تِلْكَ الَّتِى رَزَقْتَ وَأُخْرَى تُحْرَمُ

والمصردة التى لا تنال من السقى إلا قليلاً ، وتُتَجَمُّ تُمَطَّرُ عَلَى الدَّوَامِ .

(٢) فى الأصل « المَعْتَرَّ » والتصويب عن الديوان ، ومعنى المَعْتَرَّ

المضطرب .

(٣) هو مَعْن بن زائدة الشيبانى ، أحد أجواد العرب وفرسانهم ، وكان

فى أيام بنى أُمَيَّةَ متنقلاً فى الولايات ، ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة

الغزارى أمير العراقين ، فلما انتقلت الدولة إلى بنى العباس ، وجرى بين

أبى جعفر المنصور وبين يزيد بن عمر ماجرى من محاصرة واسط أبلى مَعْن

مع يزيد بلاء حسناً ، فلما قتل يزيد هرب مَعْن خوفاً من المنصور . ثم

دخل مَعْن فى شعبة المنصور ، وصار من خواصه ، وقتل مَعْن بسجستان إذ

كان والياً عليها سنة ١٥٢ هـ .

عدتها ، وفي المترادف من الألفاظ ما هو دليل على خلاف ذلك ، فإنه إذا قيل :
 « راح » ثم قيل : « مُدَامَة » أو « سُلَافَة » . كان ذلك سواء ، وقامت هذه
 اللفظة مقام هذه اللفظة .

قلت في الجواب : ليس كل الألفاظ المترادفة يقوم بعضها مقام بعض .
 ألا ترى أن لفظة « القصص » لا يمكن التعبير عنها بما يقوم مقامها ، ولما عُبِّرَ
 عنها بالقتل في قول العرب « القتلُ أنفى للقتل » ظهر الفرق بين ذلك وبين
 الآية في قوله تعالى : « ولكم في القصص حِياة » ، فالذي أَرَدْتُهُ أنا إنما هو
 الكلام الذي لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها ، وفي عدتها ، فإن
 كان كذلك ، وإلا كان داخلًا في هذا القسم المشار إليه .

النوع السادس عشر

في الإطناب

هذا النوع من الكلام أُنعمتُ النظر فيه ، وفي التكرير ، وفي التطويل ،
 فلمكتنى حيرة الشبه بينها طويلاً ، وكنت في ذلك كعمرو بن الخطاب — رضى
 الله عنه — في الكلالة ، حيث قال : قد أعيانى أمر الكلالة ^(١) ، وكنت سألت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها كثيراً ؛ حتى ضرب في صدري ، وقال :
 « ألا يكفيك آية الصَّيف » ؟ .

(١) الكلالة من لا ولد له ولا والد ، ومالم يكن من النسب لحا ، أو
 من تكلم نسبته بنسب كابين العم وشبهه ، أو هى الأخوة للأم ، أو بنو
 العم الأبعد ، أو ما خلا الوالد والولد ، أو هى من العصبية من ورث معه
 الأخوة للأم ، ولهم أحكام يرجع إليها في قواعد الميراث .

وبعد أن أنعمتُ نظري في هذا النوع الذى هو (الإطناب) وجدته^(١) ضرباً من ضروب التأكيد التى يُؤتى بها فى الكلام قصداً للمبالغة . ألا ترى أنه ضربٌ مفردٌ من بينها برأسه لا يشاركه فيه غيره ؟ لأن من التأكيد ما يتعاقب بالتقديم والتأخير ، كاستقديم المفعول ، وبالاعتراض ، كالاعتراض بين القسم وجوابه ، وبين المعطوف والمعطوف عليه ، وأشباه ذلك ، وسيأتى الكلام عليه فى بابه .

وهذا الضرب الذى هو الإطناب ليس كذلك .

اختلاف علماء البيان فى الإطناب :

ورأيت علماء البيان قد اختلفوا فيه ؛ فمنهم من ألحقه بالتطويل الذى هو ضد الإيجاز^(٢) ، وهو عنده قسمٌ غيره ، فأخطأ من حيث لا يدري ، كأبى هلال العسكرى والغامى ، حتى إنه قال : إنَّ كتبَ الفتوح وما جرى مجراها مما يُقرأ على عوامِّ الناس ينبغى أن تكون مطوّلة مطنّباً فيها^(٣) .

وهذا القول فاسدٌ ، لأنه إن عنى بذلك أنها تكون ذات معانٍ متعددة

-
- (١) فى الأصل « وجدت » من غير الضمير ، والسياق يقتضيه .
 (٢) يفرق أبو هلال بين الإطناب والتطويل ، فالإطناب عنده بلاغة ، والتطويل عى ، لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلاً بما يقرب ، والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوى على زيادة فائدة (وانظر الصناعتين ١٩١) .
 (٣) عبارة أبى هلال فى الصناعتين ١٩٠ : « ولا شك فى أن الكتب الصادرة عن السلاطين فى الأمور الجسيمة ، والفتوح الجليلة ، وتفخيم النعم الحادثة ، والترغيب فى الطاعة ، والنهي عن المعصية ، سبيلها أن تكون مشبعة مستقصاة ، تملأ الصدور ، وتأخذ بمجامع القلوب » ولا نرى تناقضاً بين تفريقه بين الإطناب والتطويل ، ورأيه فى إشباع هذه الكتب واستقصائها بما يدل على الإطناب .

قد استقصى فيها شرح تلك الحادثة من فتح أو غيره فذلك مسلم ، وإن عني بذلك أنها تكون مكررة المعاني ، مطولة الألفاظ ، قصداً لإفهام العامة ؛ فهذا غير مسلم ، وهو مما لا يذهب إليه من عنده أدنى معرفة بعلم الفصاحة والبلاغة .
ويكفي في بطلانه كتاب الله تعالى ، فإنه لم يجعل لخواص الناس فقط ، وإنما جعل لغوامهم وخواصهم ؛ وأكثره ، لا بل جميعه مفهوم الألفاظ للغوام ، إلا كلمات معدودة ، وهي التي تسمى « غريب القرآن » . وقد تقدم الكلام على ذلك في المقالة الأولى المختصة بالألفاظ ^(١) .

وعلى هذا فينبغي أن تكون الكتب جميعها مما يقرأ على عوام الناس وخواصهم ذات ألفاظ مهلهة مفهومة ، وكذلك الأشعار والخطب ، ومن ذهب إلى غير ذلك فإنه بنجوة عن هذا الفن .

وعلى هذا فإن الإطناب لا يختص به عوام الناس ، وإنما هو للخواص ، كما هو للغوام .

وسأبين حقيقته في كتابي هذا ، وأحقق القول فيه ، بحيث تزول الشبهة التي خبط أرباب علم البيان من أجلها ، وقالوا أقوالاً لا تعرب عن فائدة .

حقيقة معنى الإطناب :

والذي عندي فيه أنه إذا رجعنا إلى الأسماء واشتقاقها وجدنا هذا الاسم مناسباً لمسامه ، وهو في أصل اللغة مأخوذ من أطنب في الشيء ، إذا بالغ فيه ، ويقال : أطنبت الريح ، إذا اشتدت في هبوبها ، وأطنب في السير ، إذا اشتد فيه .

(١) انظر تفصيل رأى ابن الأثير في هذا في صفحة ٢٢٧ وما بعدها من التيسير الأول من هذا الكتاب .

وعلى هذا فإن حملناه على مقتضى مُسمّاه كان معناه المبالغة في إيراد المعاني ،
وهذا لا يختصُّ بنوع واحدٍ من أنواع علم البيان ، وإنما يوجد فيها جميعها ،
إذ ما من نوع منها إلا ويمكنُ المبالغة فيه .

وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن يُفرد هذا النوع من بينها ، ولا يتحقق
إفراده إلا بذكر حدّه الدالُّ على حقيقته .

حد الاطناب :

والذى يُحدُّه به أن يقال : هو زيادةُ اللفظ على المعنى لفائدةٍ .

فهذا حدّه الذى يميّزه عن (التطويل) . إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن
المعنى لغير فائدة (١) .

(١) وعند البلاغيين أن (التطويل) هو أن يزيد اللفظ على أصل المراد
للفائدة ، ولا يكون اللفظ الزائد متعيناً كقول عدى بن زيد العبادى :
فقدت الأديم اراشيه وألفى قولها كذبا ومينا
فإن الزائد هو « كذباً » أو « مينا » ولا يتعين أحدهما للزيادة ولا يرجع .
فإن كانت الزيادة متعينة اختص ذلك باسم (الحشو) وهو زيادة معينة
للفائدة كقول أبى الطيب :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لو لا لقاء شعوب
فإن لفظ «الندى» فيه حشو يفسد المعنى ، لأن المعنى أنه لا فضل في الدنيا
لشجاعة والصبر والندى لو لا الموت ، وهذا الحكم صحيح في الشجاعة دون
الندى ، لأن الشجاع لو علم أنه يخاد في الدنيا لم يخش الهلاك في الإقدام
فلم يكن لشجاعته فضل ، بخلاف الباذل ماله ، فإنه إذا علم أنه يموت
هان عليه بذله . وقد يكون الحشو غير مفسد للمعنى كقول الشاعر :

ذكرت أخى فعلاودنى صداع الرأس والوصب

فإن لفظ الرأس حشولا فائدة فيه ، لأن الصداع لا يستعمل إلا في الرأس
وليس بمفسد للمعنى ، وفي هذا وغيره أقوال يرجع إليها في موسوعات البلاغة .

وأما (التكرير) فإنه دلالة للفظ على المعنى مردداً ، كقولك لمن تستدعيه :
أسرع أسرع ، فإن المعنى مردد ، واللفظ واحد .

وسيرد بيان ذلك مفصلاً في باب بعد باب الإطناب ، لأنني ذكرت الإيجاز ،
ثم الإطناب ، ثم التكرير ، وهي أبواب يتبع بعضها بعضاً .

وإذا كان (التكرير) هو إيراد المعنى مردداً فنه ما يأتي لفائدة ، ومنه
ما يأتي لغير فائدة .

فأما الذي يأتي لفائدة فإنه جزء من الإطناب . وهو أخص منه ، فيقال
حينئذ : إن كل تكرير يأتي لفائدة فهو إطناب ، وليس كل إطناب تكريراً
يأتي لفائدة ، وأما الذي يأتي من التكرير لغير فائدة فإنه جزء من التطويل ،
وهو أخص منه ، فيقال حينئذ : إن كل تكرير يأتي لغير فائدة تطويل ،
وليس كل تطويل تكريراً يأتي لغير فائدة .

وكنتم قد مت القول في باب الإيجاز بأن الإيجاز هو دلالة اللفظ على المعنى
من غير زيادة عليه .

وإذا تقررت هذه الحدود الثلاثة المشار إليها فإن مثال الإيجاز والإطناب
والتطويل مثال مقصدي يسلك إليه في ثلاثة طرق : فالإيجاز هو أقرب الطرق
الثلاثة إليه ، والإطناب والتطويل هي الطريقتان المتساويتان في البعد إليه ،
إلا أن طريق الإطناب تشتمل على منزله من المنازه لا يوجد في طريق
التطويل^(١) ، وسيأتي بيان ذلك بضرب الأمثلة التي تسهل من معرفته .

(١) هذا هو تمثيل أبي هلال ، وقد سبقت الإشارة إلى شيء من
كلامه في الهامش (٢) من صفحة (٣٥٥) .

والإطنابُ يوجد تارةً في الجملة الواحدة من الكلام ، ويوجد تارةً في
الجل المتعددة .

والذى يوجد في الجمل المتعددة أبلغ ، لاتساع المجال في إيرادها .
وعلى هذا فإنه بجملة ينقسم قسمين :

(١) القسم الأول : الذى يوجد فى الجملة الواحدة من الكلام :
وهو يرد حقيقةً ومجازاً .

أماً الحقيقة فمثل قولهم : رأيته بعيني ، وقبضته بيدي ، ووطنته بقدمي ،
وذقته بفمي ، وكل هذا يظن الظان أنه زيادة لا حاجة إليها ، ويقول إن الروية
لا تكون إلا بالعين ، والقبض لا يكون إلا باليد ، والوطء لا يكون إلا بالقدم ،
والذوق لا يكون إلا بالفم ، وليس الأمر كذلك ، بل هذا يقال في كل شيء
يعظم مناله ، ويعزُّ الوصول إليه ، فيؤكد الأمر فيه على هذا الوجه ، دلالة على
نيله والحصول عليه ، كقول أبي عبادة البحرى ^(١) :

تأمل من خلال السجف وانظر بعينك ما شربت ومن سقاني ^(٢)
تجد شمس الضحا تدنو بشمس إلى من الرحيق الخسرواني
ولما كان الحضور في هذا المجلس مما يعزُّ وجوده ، وكان الساقى فيه
على هذه الصفة من الحسن ، قال : انظر بعينك .

(١) ديوان البحرى ١ / ٩٢ من قصيدة له في مدح المعترف بالله ، ومطلعها :

رويدك إن شانك غير شانى وقصرك لست طاعة من نهانى

(٢) السجف - بفتح السين وكسرهما - الستر ، والسجف الستران

المقرونان بينهما فرجة ، أو كل باب ستر بسترين مقرونين فكل شق
سجف - وفي الديوان :

* تأمل من خلال الشك فانظر *

وعلى هذا وردَ قوله تعالى : (ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَهِكُمْ ^(١)) .

فإنَّ هذا القولَ لما كان فيه افتراءٌ عَظَمَ اللهُ تعالى على قائله :

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ : إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ، وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ^(٢)) .

فصرَّحَ في هذه الآية بما أَشْرَتْ إِلَيْهِ مِنْ تَعْظِيمِ الْأَمْرِ الْمُتَوَلَّى .

وَفِي مَسَاقِ الْآيَةِ الْمَشَارِ إِلَىهَا جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ، وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ، ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَهِكُمْ ، وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ^(٣)) .

أَلَا تَرَى أَنَّ مَسَاقَ الْكَلَامِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَقُولُ لَزَوْجَتِهِ : « أَنْتِ عَلَى كَظْهِرِ أُمِّي » وَيَقُولُ لِمَمْلُوكِهِ : « يَا بُنَيَّ » فَضَرَبَ اللَّهُ لَذَلِكَ مَثَلًا ، فَقَالَ : كَيْفَ تَكُونُ الزَّوْجَةُ أُمًّا ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ الْمَمْلُوكُ ابْنًا ؟ وَالْجَمْعُ بَيْنَ الزَّوْجِيَّةِ وَالْأُمُومَةِ وَبَيْنَ الْعُبُودِيَّةِ وَالْبُنُوَّةِ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ كَالْجَمْعِ بَيْنَ الْقَلْبَيْنِ فِي الْجَوْفِ ؛ وَهَذَا تَعْظِيمٌ لِمَا قَالُوهُ ، وَإِنْكَارٌ لَهُ ، وَلَمَّا كَانَ الْكَلَامُ فِي حَالِ الْإِنْكَارِ وَالتَّعْظِيمِ أَتَى بِذِكْرِ الْجَوْفِ ، وَإِلَّا فَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الْقَلْبَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْجَوْفِ ، وَالتَّمَثِيلُ بِقَوْلِهِ : « مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ » وَهُوَ تَامٌ ،

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤ .

(٢) سورة النور : الآية ١٥ .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٤ .

لكن في ذكر الجوف فائدة ، وهي ما أشرت إليها ، وفيها أيضاً زيادة تصوير
للمعنى المقصود ، لأنه إذا سمعه المخاطب به صور لنفسه جوقاً يشتمل على قلبين ،
فكان ذلك أسرع إلى إنكاره .

وعليه ورد قوله تعالى : (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ)^(١) .
فكما أن القلب لا يكون إلا في الجوف فكذلك السقف لا يكون
إلا من فوق ، وهذا مقامُ ترهيبٍ وتخويفٍ ، كما أن ذاك مقامُ إنكارٍ
وتعظيمٍ .

ألا ترى إلى هذه الآية بكاملها ، وهي قوله تعالى : (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ
الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ)^(١) ، ولذكر لفظة « فَوْقِهِمْ » ، فائدة
لا توجد مع إسقاطها من هذا الكلام ، وأنت تُحسّر هذا من نفسك ، فإنك
إذا تلوت هذه الآية يُخَيَّلُ إليك أن سقفاً خرَّ على أولئك من فوقهم ، وحصل
في نفسك من الرعب ما لا يحصل مع إسقاط تلك اللفظة .

وفي القرآن الكريم من هذا النوع كثيرٌ كقوله تعالى : (فَإِذَا نَفِخَ
فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً
وَاحِدَةً)^(٢) .

وقوله : (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى)^(٣) .

(١) سورة النحل : الآية ٢٦ .

(٢) سورة الحاقة : الآيتان ١٣ و ١٤ .

(٣) سورة النجم : الآيتان ١٩ و ٢٠ .

وكلُّ هذه الآياتِ إنما أُظنِبَ فيها بالتأكيـدِ لِمعانِ اقتضـتْها ، فإنَّ
النَّفْخَ في الصُّورِ الذي تقومُ به الأمواتُ من القُبُورِ مَهولٌ عَظِيمٌ ، دَلٌّ على
القدرةِ البَاهِرةِ ، وكذلك حَمْلُ الأرضِ وَالْجِبَالِ .

فلما كانا بهذه الصِّفَةِ قِيلَ فِيهِمَا : « نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ » وَ « دَكَّةٌ وَاحِدَةٌ » .
أَيُّ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الْمَهُولَ الْعَظِيمَ سَهْلٌ يُسِيرُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَمْضِي الْأَمْرَ فِيهِ
بِنَفْخَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَدَكَّةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى طَوِيلٍ مَدَّةٍ ، وَلَا كَلْفَةٍ مَشَقَّةٍ .
فجئنا بِذِكْرِ الْوَاحِدَةِ لِنُكَيِّدَ الْأَعْلَامَ بِأَنَّ ذَلِكَ هَيِّنٌ سَهْلٌ عَلَى عِظَمِهِ .
وهذه المواضعُ وَأَمْثَالُهَا تَرَدُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَيَتَوَهَّمُ بَعْضُ النَّاسِ
أَنَّهَا تَرْدُ لغيرِ فائِدةٍ اقْتَضَتْهَا . وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَمْرَارَ الْبَلَاغِيَّةَ
لَا يَتَنَبَّهَ لَهَا إِلَّا الْعَارِفُونَ بِهَا ، وَهَكَذَا يَرَدُّ مَا يَرَدُّ مِنْهَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ .

وَهَاهُنَا نَكْتُمُ لَا بَدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَيْهَا : وَذَلِكَ أَنِّي نَظَرْتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
« نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ » وَ « دَكَّةٌ وَاحِدَةٌ » وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى »
فَوَجَدْتُ ذَلِكَ غَيْرَ مَقِيسٍ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، وَسَأَبِّينُهُ بِبَيَانٍ شَافٍ ، فَأَقُولُ :
إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : « وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى » إِنَّمَا جِيءَ بِهِ لِتَوَازُنِ الْفَقْرِ
الَّتِي نَظُمَتِ السُّورَةُ كُلُّهَا عَلَيْهَا وَهِيَ : « وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى » وَلَوْ قِيلَ :
« أُنْفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ » وَلَمْ يَقُلْ « الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى » لَكَانَ
الْكَلَامُ عَارِيًّا عَنِ الطَّلَاوَةِ وَالْحُسْنِ . وَكَذَلِكَ لَوْ قِيلَ : وَمَنَاةُ الْأُخْرَى مِنْ
غَيْرِ أَنْ يَقَالَ « الثَّالِثَةُ » لِأَنَّهُ نَقَصٌ فِي الْفَقْرَةِ الثَّانِيَةِ عَنِ الْأُولَى ، وَذَلِكَ قَبِيحٌ ،
وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي بَابِ السَّجْعِ ^(١) ، لَكِنَّ التَّأَكِيدَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ
جَاءَ ضَمِنًا لِتَوَازُنِ الْفَقْرِ وَتَبَعًا .

(١) انظر صفحة (٣٣٣) وما بعدها من القسم الأول من هذا الكتاب ،
لَتَرَى تَقْسِيمَ الْمُؤَلِّفِ لِلْسَّجْعِ ، وَمَا يَسْتَحْسِنُ مِنْ أَقْسَامِهِ .

وأما « نفخةٌ واحدة » و « دكةٌ واحدة » فإنما جيء بلفظ الواحدة
فيهما - وقد علم أن النفخة هي واحدة والدكة هي واحدة - لمكان نظم
الكلام ، لأن السورة التي هي « الحاقة » جارية على هذا المنهاج في توازنها
السجعية ، ولو قيل : « نفخة » - من غير واحدة - و « دكة » - من غير
واحدة - ثم قيل بعدها : « فيومئذ وقعت الواقعة » لمكان الكلام
منثوراً ^(١) محتاجاً إلى تمام . لكن التأكيّد جاء فيهما ضمناً وتبعاً .

وإذا تبين ذلك واتضح فاعلم أن الفرق بين هذه الآيات وبين قوله تعالى :
« ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه » ظاهرٌ ، وذلك أن « نفخة » هي
واحدة ، و « مناة » هي الثالثة .

وأما ما جاء منه على سبيل المجاز ، فقوله تعالى : « فإنها لا تعمى الأبصارُ
وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » ^(٢) .

فقائدة ذكر « الصدور » ها هنا أنه قد تُعورف وعلم أن العمى على
الحقيقة مكانه البصر ، وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها ، واستعماله
في القلب تشبيه ومثل ، فلما أريد إثبات ما هو خلاف المتعارف من نسبة
العمى إلى القلوب حقيقة ، ونفيه عن الأبصار ، احتاج هذا الأمر إلى زيادة
تصوير وتعريف ، ليتقرر أن مكان العمى إنما هو القلوب ، لا الأبصار .

وهذا موضع من علم البيان كثيرة محاسنه ، وافرة لطائفه ، والمجاز فيه
أحسن من الحقيقة ، لمكان زيادة التصوير في إثبات وصف الحقيقي للمجازي
ونفيه عن الحقيقي .

(١) أى من غير مراعاة للتوازن ، ومعنى « محتاجاً إلى تمام » أى :
إلى تمام يكمل به التوازن .

(٢) سورة الحج : الآية ٤٦ .

(٢) ولما القسم الثاني المختص بالجميل ، فإنه يشتمل على ضروب أربعة :

(١) الأول منها : أن يذكر الشيء فيؤتى فيه بمعان متداخلة ، إلا أن

كل معنى يختص بخصيصة ليست للآخر :

وذلك كقول أبي تمام ^(١) :

قَطَعَتْ إِلَى الزَّائِبِينَ هِيبَاتُهُ وَالتَّائِثَ مَأْمُولُ السَّحَابِ الْمُسْبِلِ ^(٢)

مِنْ مِثَّةٍ مَشْهُورَةٍ وَصَنِيعَةٍ بَكْرٍ وَإِحْسَانٍ أَغْرَ مُحَجَّلٍ

فقوله « مِثَّةٍ مَشْهُورَةٍ ، وَصَنِيعَةٍ بَكْرٍ ، وَإِحْسَانٍ أَغْرَ مُحَجَّلٍ » تداخلت معانيه ، إذ المِثَّةُ ، والصَنِيعَةُ ، والإِحْسَانُ ، متقاربٌ بعضُهُ مِنْ بعضٍ ، وليس ذلك بتكريرٍ ، لأنه لو اقتصر على قوله : مِثَّةٌ ، وَصَنِيعَةٌ ، وَإِحْسَانٌ ، لجاز أن يكون تكريراً ، ولكنه وصف كل واحدةٍ من هذه الثلاثِ بصفةٍ أخرجتها عن حُكم التكرير ، فقال : « مِثَّةٌ مَشْهُورَةٌ » ، فوصفها بالاشتهار لعظم شأنها ، و« صَنِيعَةٌ بَكْرٍ » ، فوصفها بالبكارة ، أى : أنها لم يُؤت بمنثلها من قبل ، و« إِحْسَانٌ أَغْرَ مُحَجَّلٍ » ، فوصفه بالغرّة والتَّحْجِيلِ ، أى هو ذو محاسن متعدّدة ، فلما وصف هذه المعاني المتداخلة التي تدلُّ على شيءٍ واحدٍ بأوصافٍ متباينة صار ذلك إطناباً ، ولم يكن تكريراً .

ولم أجدُ في ضُروب الإطنابِ أحسنَ من هذا الموضع ، ولا ألطف ،

(١) ديوان أبي تمام ٢٣٣ من قصيدة له في مدح الحسن بن وهب ،

مطلعها :

ليس الوقوف يكف شوقك فانزل تبلل غليلا بالدموع فيبيل

(٢) في الأصل « الزائبين » موضع « الزائبين » وهما نهران ، وفيه

« التائث » من غير واو العطف ، و« مأمور » موضع « مأمول » . والتصويب عن

الديوان ، ومعنى التائث أبطأ . والمسبل المطر .

وقد استعمله أبو تمام في شعره كثيراً ، بخلاف غيره من الشعراء ،
كقوله (١) :

زكى سجاياه (٢) تضيف ضيوفه ويرجى مرجيه ويسأل سائله

فإن غرضه من هذا القول إنما هو ذكر المدوح بالكرم وكثرة العطاء
إلا أنه وصفه بصفات متعددة ، فجعل ضيوفه تضيف ، وراجيه يرجى ،
وسائله يسأل ، وليس هذا تكريراً ، لأنه لا يلزم من كون ضيوفه تضيف
أن يكون راجيه مرجواً ، ولا أن يكون سائله مسئولاً ، لأن ضيفه
يستصحب ضيفاً ، طمعاً في كرم مضيفه ، وسائله يسأل ، أى : يعطى السائل
عطاءً كثيراً يصير به معطياً ، وراجيه يرجى ، أى أنه إذا تعلق به رجاء راج
فقد أيقن بالفلاح والنجاح ، فهو حقيق بأن يرجى ، لمكان رجائه إياه ،
وهذا أبلغ الأوصاف الثلاثة .

(٢) الضرب الثانى : يسمى النفى والاثبات :

وهو أن يذكر الشيء على سبيل النفى ، ثم يذكر على سبيل الإثبات
أو بالعكس ، ولا بد أن يكون في أحدهما زيادة ليست في الآخر ، وإلا كان
تكريراً . والغرض به تأكيد ذلك المعنى المقصود .

فمما جاء منه قوله تعالى : « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله
واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، والله عليم بالمتقين * »

(١) ديوان أبي تمام ٣٧٨ من قصيدة له في رثاء القاسم بن طوق ، مطلعها :

جوى ساور الأحشاء والقلب واغله ودمع يضيم العين والجفن هامله

(٢) رواية الديوان :

* وكن سجاياه يضيف ضيوفه *

إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ، فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ » (١) .

واعلم أن لهذا الضرب من الإطئاب فائدة كبيرة ، وهو من أوكده وجوهه ، ألا ترى أنه قال : « لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ » ، ثم قال : « إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » ، والمعنى في ذلك سواء ، إلا أنه زاد في الثانية قوله : « وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ » ولولا هذه الزيادة لكان حكم هاتين الآيتين حكم التكرير .

وهذا الموضع ينبغي أن يُعامل ، ويُنعم النظر فيه .

وعليه ورد قوله تعالى : « أَلَمْ * غَلَبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بضع سنينَ اللَّهُ الْأَمْرَ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بَنَصْرَ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ » (٢) .

فقلوه : « يعلمون » بعد قوله : « لا يعلمون » من الباب الذي نحنُ بصدده ذكره ، ألا ترى أنه نفى العلمَ عن النَّاسِ بما خفيَ عنهم من تحقيق وعده ، ثم أثبت لهم العلمَ بظاهر الحياة الدنيا ؟ فكأنهم علموا وما علموا ، إذ العلمُ بظاهر الأمور ليس بعلم ، وإنما العلم هو ما كان بالباطن من الأمور .

(١) سورة التوبة : الآيتان ٤٤ و ٤٥ .

(٢) سورة الروم : الآيات ١ - ٧ .

(٣) الضرب الثالث : وهو أن يذكر المعنى الواحد تاماً لا يحتاج إلى زيادة
ثم يضرب له مثال من التشبيه :

كقول أبي عبادة البُحترى^(١) :

ذاتُ حُسْنٍ لو استزادتُ من الحُسْنِ إليه لما أصابتْ مزيداً
فهيَ كالشمس بهجةً ، والقضيب اللّـسـدنِ قدّاً ، والرّئم طرفاً وجيداً^(٢)
ألا ترى أن الأول كافٍ في بلوغ الغاية في الحُسْن ، لأنه لما قال :
« لو استزادتُ لما أصابتْ مزيداً » دخلَ تحته كلُّ شيء من الأشياء
الحسنة ، إلا أن التشبيه مزية أخرى تفيدُ السامعَ تصويراً وتخيلاً ، لا يحصلُ
له من الأوّل .

وهذا الضرب من أحسن ما يجيء في باب الإطناب .

وكذلك ورد قوله^(٣) :

تردد^(٤) في خُلقي سوددٍ سماحاً مُرجى وبأساً مهيباً
فكالسيف إن جمته صارخاً وكالبَحَر إن جمته مُستغيباً

(١) ديوان البُحترى ٢ / ٣٤ من قصيدة له في الفخر ، مطلعها :

إنما الغي أن يكون رشيداً فانقصا من ملامه أو فزيدا

(٢) روى هذا البيت في الديوان هكذا :

فهي الشمس بهجة ، والقضيب اللـسـدنِ لينا ، والرئم طرفاً وجيداً

(٣) ديوان البُحترى ١ / ٥٨ من قصيدة له في مدح الفتح بن أخاقان

وعتابه ، ومطلعها :

لوت بالسلام بنانا خضيباً ولحظا يشوق الفؤاد الطروبا

(٤) رواية الديوان « تنقل » موضع « تردد » .

فالبيتُ الثاني يدلُّ على معنى الأول ، لأنَّ البحر والسيف للباس المهيب ،
إلا أنَّ في الثاني زيادة التشبيه التي تفيدُ تخيُّلاً وتصويراً .

(٤) الضرب الرابع : أن يستوفى معانى الغرض المقصود من كتاب
أو خطبة أو قصيدة :

وهذا أصعبُ الصُّروب الأربعة طريقاً ، وأضيقها باباً ، لأنه يتفرَّعُ
إلى أساليب كثيرة من المعانى ، وأربابُ النظم والنثر يتفاوتون فيه ، وليسَ
الخاطرُ الذى يقذفُ بالدرر في مثله إلا معدومَ الوجود ، ومثاله ومثالُ
الإيجاز مثال مُجمل ومُفصل . وقد تقدَّم القولُ أن الإيجازَ والإطنابَ
والتطويل بمنزلةٍ مقصدٍ يُسلكُ إليه ثلاثة طرق .

وقد أوردتُ هاهنا أمثلةً لهذه الأساليب الثلاثة ، وجعلتها على هيئةِ
المقصد الذى تُسلكُ إليه الطرق الثلاثة .

فمن ذلك ما ذكرته في وصف بُستانٍ ذى فواكه متعدِّدة .

فإذا أريدَ وصفُهُ على حكم (الإيجاز) قيل : « فيه من كلِّ فاكهةٍ
زَوْجَان » وهذا [من] كلام الله تعالى ^(١) ؛ وقد جمع جميع أنواع
الفاكهة بأحسن لفظٍ وأخصره .

وإذا أريدَ وصفُ ذلك البُستان على حكم (الإطناب) قيل فيه ما أذكره
وهو فصلٌ من كتاب أنشأته ، وهو :

« جنةٌ علَتْ أرضُها أن تسك ماء ، وغنيت ينبؤوها أن تستجدى
سما ، وهى ذاتُ ثمارٍ مختلفة الغرابة ، وتُرْبَةٌ مُنْجِبةٌ ، وما كلُّ تربةٍ توصف
بالنجابة .

(١) كما جاء في سورة الرحمن (آية ٥٢) قوله تعالى : « فيهما من كل
فاكهة زوجان » .

» ففيها الشمس الذى يسبق غيره بقدمه ، ويقذف أيدى الجانين
بنجومه ؛ فهو يسمو بطيب الفرع والنَّجار^(١) ؛ ولو نظَّم في جيد الحساء
لاشْتَبَهَ بقلادةٍ من نِضار^(٢) وله زمنُ الربيع الذى هو أعدلُ الأزمان ، وقد
شَبَّهَ بسنِّ الصِّبَا فى الأسنان .

» وفيها التُّفَّاح الذى رقَّ جلده ؛ وعُظْمَ قدُّه ، وتورَّد خدُّه ؛ وطابت
أنفاسُه ؛ فلا بانُ الوادى ولا رنْدُه^(٣) ؛ وإذا نُظِرَ إليه وُجِدَ منه حظُّ
الشَّمِّ والنظر ؛ ونسبته من مُرر الغزلان أولى من نسبته الى منابت الشجر .
» وفيها العِنَبُ الذى هو أكرمُ الثمار طينةً ، وأكثرها ألوان زينةً ،
وأولُ غرنسٍ اغترسه نوحٌ — عليه السلام — عندَ خروجه من السفينة ،
فقطفهُ يميلُ بكفِ قاطِفِه ، ويفرى بالوصفِ لسانَ واصِفِه .
» وفيها الرُّمَّانُ الذى هو طعامٌ وشرابٌ ، وبه شبهتْهُودُ الكعاب ،
ومن فضله أنه لا تَوَى له فيرمى نواه ، ولا يخرجُ اللؤلؤُ والمرجان من
فاكهة سواه .

» وفيها التِّين الذى أقسم الله به تنويرها بذكره ، واستتر آدم — عليه
السلام — بورقه إذ كشفت المعصية من ستره ، وخصَّ بطول الأعناق ، فما
يُرى بها من ميل فهو نشوة من سكره ، وقد وُصف بأنه راقَ طعاماً ، ونعمَ
جسماً ، وقيل : هذا كنيفٌ مُلئٌ شهداً ، لا كنيفٌ مُلئٌ علماً .

(١) نجار الشيء — بكسر النون وضحها — والنجر أيضاً — بفتح
النون — الأصل .

(٢) النضار الذهب أو الفضة ، والمعنى الأول هو ما يناسب هذا
الاستعمال .

(٣) الرند شجر طيب الرائحة ، والعود ، والآس .

« وَفِيهَا مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ مَا يُرْهِى بِلَوْنِهِ وَشَكْلِهِ ، وَيَشْغُلُ بِلَذَّةِ مَنْظَرِهِ عَنْ لَذَّةِ أَكْلِهِ ، وَهُوَ الَّذِي فَضَّلَ ذَوَاتِ الْأَفْنَانِ بَعْرَجُونَهُ ، وَلَا تَمَاسِيلَ كَيْبِنُهُ وَبَيْنَ الْحُلُوءِ : « هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ » (١) .

« وَفِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَشْكَالِ الْفَاكِهَةِ وَأَصْنَافِهَا ، وَكُلُّهَا مَعْدُودٌ مِنْ أَوْسَاطِهَا لَا مِنْ أَطْرَافِهَا .

« وَلَقَدْ دَخَلْتُهَا فَاسْتَهْوَتْني حَسَدًا ، وَلَمْ أَلَمْ صَاحِبَهَا عَلَى قَوْلِهِ : « لَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا » (٢) .

فهذا الوصفُ على هذه الصورة يسمَّى (إِطْنَابًا) لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِ عَنْ فَائِدَةٍ .
وَذَلِكَ الْأَوَّلُ هُوَ (الِإِيجَازُ) لِأَنَّهُ اشْتَمَلَ بِاخْتِصَارِهِ عَلَى جَمِيعِ أَصْنَافِ الْفَاكِهَةِ .

وَأَمَّا (التَّطْوِيلُ) : فَهُوَ أَنْ تَعُدَّ الْأَصْنَافَ الْمَذْكُورَةَ تَعْدَادًا مِنْ غَيْرِ وَصْفٍ لَطِيفٍ ، وَلَا نَعْتَ رَاقِيٍّ ، فَيَقَالُ : مِشْمَشٌ ، وَتَفَاحٌ ، وَعَنْبٌ ، وَرَمَانٌ ، وَنَخْلٌ ، وَكَذَا ، وَكَذَا .

وَانْظُرْ أَيْهَا الْمُتَأَمِّلُ إِلَى مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ فِي الْإِيجَازِ وَالِإِطْنَابِ وَالتَّطْوِيلِ ، وَقَسِّمْ عَلَيْهَا مَا يَأْتِي مِنْهَا .
وَسَأَزِيدُ ذَلِكَ بَيَانًا بِمِثَالٍ آخَرَ ، فَأَقُولُ :

(١) سُورَةُ لَقْمَانَ الْآيَةُ ١١ .

(٢) مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا » سُورَةُ الْكَهْفِ : الْآيَةُ ٣٥ .

قد وردَ في باب (الإيجاز) كتابُ كُتبه طاهرُ بنُ الحُسين إلى
المأمون — رحمه الله تعالى — يخبره بهزيمة [عليّ بن] ^(١) عيسى
ابن ماهانَ وقتله إياه ، وهو : « كتابي إلى أمير المؤمنين ، ورأسُ [علي
ابن] ^(١) عيسى بن ماهان بين يدي ، وخاتمه في يدي ، وعسكره مُصرفٌ
تحت أمرى ، والسلام » .

وهذا كتاب جامع للمعنى ، شديد الاختصار .

وإذ كتبَ ما هو في معناه على وجه (الإطناب) قيل فيه ما أذكره ،
وهو ما أنشأته مثلاً في هذا الموضع ، ليُعلم به الفرقُ بين الإيجاز والإطناب ،
وهو :

« أصدرَ كتابه هذا ؛ وقد نُصر بالفئة القليلة على الفئة الكثيرة ؛
واقطب باليد المملأ والعين القريرة ؛ وكان انتصاره بجدّ أمير المؤمنين لا بجدّ
نصله ؛ والجدّ أغنى من الجيش وإن كثُرَ أمدادُ خيله ورجله ؛ وجيء
برأس [عليّ بن] ^(١) عيسى بن ماهان وهو على جسدٍ غير جسده ؛ وليس

(١) زيادة ليست في الأصل ، وكان عليّ بن عيسى بن ماهان هو
والفضل بن الربيع من رجال الأمين ، وكان عليّ بن عيسى صاحب أمره
كله ، وعقد له في سنة ١٩٥ على كور الجبل كلها : نهاوند وهمدان وقم
وأصفهان ، حربها وخراجها ، وقد شخّص في هذه السنة إلى حرب
المأمون ، حتى بلغ الرى ، فلقية طاهر بن الحسين ، واستمر القتال بينهما
إلى أن قتل عليّ سنة ١٩٥ . وقد سبق إيراد هذا الكتاب قبل ذلك في هذا
القسم الثانى .

لَهُ قَدَمٌ فَيَقَالُ : إِنَّهُ يَسْعَى بِقَدَمِهِ ، وَلَا يَدُ ؛ فَيَقَالُ : إِنَّهُ يَبْطِشُ بِيَدِهِ ، وَلَقَدْ طَالَ وَطُولُهُ مُؤَوِّذُنْ بِقَصْرِ شَانِهِ ، وَحَسَدَتِ الضِّيَاعُ الطَّيْرُ عَلَى مَكَانِهَا مِنْهُ وَهُوَ غَيْرُ مُحْسُودٍ عَلَى مَكَانِهِ ؛ وَأَحْضَرَ خَاتَمَهُ وَهُوَ الْخَاتَمُ الَّذِي كَانَ الْأَمْرُ يَجْرِي عَلَى نَقْشِ أَسْطَرَّةٍ ؛ وَكَانَ بَرَجُوهُ أَنْ يَصْدُرَ كِتَابُ الْفَتْحِ بِحُجَّتِهِ فَحَالَ وَرُودُ الْمَنِيَةِ دُونَ مَصْدَرِهِ ، وَكَذَلِكَ الْبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَبَيْلٌ ، وَمَصْرَعُهُ جَلِيلٌ ، وَسَيْفُهُ وَإِنْ مَضَى فَإِنَّهُ عِنْدَ الضَّرْبِ كَلِيلٌ ، وَقَدْ نَطَقَ الْفَأْلُ بِأَنَّ الْخَاتَمَ وَالرَّأْسُ مَشِيرَانِ بِالْحُصُولِ عَلَى خَاتَمِ الْمَلِكِ وَرَأْسِهِ ، وَهَذَا الْفَتْحُ أَسَاسٌ لِمَا يُسْتَقْبَلُ بِنَاوِهِ وَلَا يُسْتَقَرُّ الْبِنَاءُ إِلَّا عَلَى أَسَاسِهِ ، وَالْعَسَاكِرُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَرْبًا صَارَتْ لَهُ سَلَامًا ، وَأَعْطَتْهُ الْبَيْعَةَ عِلْمًا بِفَضْلِهِ وَلَيْسَ مِنْ تَابِعٍ تَقْلِيدًا كَمَنْ هُوَ تَابِعٌ عِلْمًا ، وَهَمَّ الْآنَ مُصَرِّفُونَ تَحْتَ الْأَوَامِرِ ، مُمْتَحِنُونَ بِكُشْفِ السَّرَائِرِ ، مَطِيفُونَ بِاللَّوَاهِ الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ بِاسْتِفْتَاكِ الْمَقَالِدِ ، وَاسْتِظْآءِ الْمَنَابِرِ ، وَكَمَا سَرَتْ خُطُواتُ الْقَلَمِ فِي أَثْنَاءِ هَذَا الْقَرطَاسِ ، فَكَذَلِكَ سَرَتْ طَلَائِعُ الرَّعْبِ قَبْلَ الطَّلَائِعِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ ، وَلَيْسَ فِي الْبِلَادِ مَا يَفْلُقُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ بَابًا ، وَلَا يَحْسُرُ نَقَابًا ، وَعَلَى اللَّهِ إِيْتِمَامُ النَّعْمِ الَّتِي افْتَتَحَهَا ، وَإِجَابَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُقْتَرَحَاتِهِ الَّتِي اقْتَرَحَهَا ، وَالسَّلَامُ .

وَهَذَا الْكِتَابُ يُشْتَمِلُ عَلَى مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ مِنْ الْمَعْنَى ، إِلَّا أَنَّهُ فَصَّلَ ذَلِكَ الْإِجْمَالَ .

وَلَوْ كَتَبْتُ عَلَى وَجْهِهِ (التَّسْطُويل) الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِيهِ لَقِيلَ : « أَصْدَرَ كِتَابَهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا ، وَالتَّقَى عَسْكَرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَسْكَرُ عَدُوِّهِ الْبَاغِي .

وَتَطَاعَنَ الْفَرِيقَانِ ، وَتَزَاخَفَ الْجَمْعَانِ ؛ وَحَى الْقِتَالُ ، وَاشْتَدَّ النَّزَالُ ،

وترادفت الكتائب وتلاحقت المقائب^(١) وقتل [على بن] عيسى بن ماهان واحدًا من رؤسائه وقطع ، ونزع الخاتم من يده وخلع ، وترك جسده طعمًا للطيور والسباع ، والذئاب والضباع ، وانجالت الوقعة عن غلب أمير المؤمنين ونصره ، وخذلان عدوه وقهره ، والسلام .

فهذا الكتابُ يشتملُ على تطويلٍ لا فائدة فيه ، لأنه كرر فيه معاني يتم الغرضُ بدونها ، وذكرَ مالا حاجة إليه في الإعلام بالواقعة .

فانظر إلى هذه الكتب الثلاثة ، وتأملها كما تأملت الذي تقدمها .

وبعدَ ذلك إني أوردُ لك كتاباً وتقليداً يوضحان لك فائدة الإطناب ، أما الكتابُ فإنه كتابُ كُتِبَته عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب — رحمه الله — إلى ديوان الخلافة ببغداد يتضمن فتح البيت المقدس ، واستنقاده من أيدي الكفار ، وذلك في معارضة كتاب كُتِبَ به عبدُ الرحيم ابنُ عليّ البيسانى^(٢) عنه ، وكان الفتحُ في السابع والعشرين من شهر رجب من سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

« خلد الله سلطانَ الديوان العزيز النبوى ، وجعل أيام دولته أتراباً ، ومناقب مجدها هضاباً ، وزادها على مرور الأيام شباباً ، وأوسعها توشيةً

(١) المقائب جمع مقنب — على زنة منبر — جماعة الخيل مابين الثلاثين إلى الأربعين : أو زهاء ثلثمائة .

(٢) هو القاضى الفاضل عبد الرحيم بن علي البيسانى اللخمي ، ولد بعسقلان ، ونشأ ببلاد فلسطين ، حيث أُم بالعربية والأدب ، ثم كتب في الإسكندرية في دواوينها حتى ظهر فضله ، فتنقل إلى القاهرة زمن العاضد ، ولما استولى صلاح الدين على مصر كان بمنزلة وزير له ، ووزر بعده لابنه العزيز ، وتوفي سنة ٥٩٦ هـ .

وإذهاباً ، إذا أوسع غيرها تلاشياً وذهاباً ، ومنحها في الدنيا والآخرة عطاءً وفاً لا عطاء حساباً ، ومثل جُودها في عيُونُ الأعداء شيئاً عجائباً ، وأراهم منها وراءهم في اليقظة إرهاباً وإرعاباً ، وفي المنام إبلاً صعباً تقود خيلاً عراباً ، لو جمعت المصور في صعيدٍ واحدٍ لكان هذا العصر عليها فخرًا ، وفاز بسبق أوائلها وإن جاء آخرًا ، وليس ذلك إلا لحظوته بالدولة الناصرية التي كسته خبرًا ، وقلته دُرراً ، ودونت له من المحامد سيرًا ، وجعلت في كل ناحية من وجهه شمسًا وقرًا .

« وقبض الله لها من الخادم ولياً يوصل يومه في طاعتها بأمره ؛ ولا يرى إلا ومن نفسه في خدمتها رقيب على نفسه ، وطالما سعى بين يديها بمساع تفصّ بأخبارها محافل القوم ؛ ويقال له فيها : ماضرك ما صنعت بعد اليوم ، وقد سلفت منها آيات تمايل في أشباهها وأضرابها ، واستؤنف لها الآن واحدة تدعى بأُم كتابها . وهي فتحة البيت المقدس الذي تفتحت له أبواب السماء وكثرت بأحاديث مجده كواكب الظلماء . واسترد حق الإسلام . وطالما سعت لهم في طلبه بالزاد والماء . ومن أحسن ما أتى به أنه آنس قبلته الثانية بقبلته الأولى . وأطال منه كل ما قصرته يد الكفر وكانت هي الطولى . وبه صح لهذا البيت معنى اسمه . وانتقل إلى الطهارة ونزاهتها عن الرجز ووضيحه . ولم يجره الخادم حتى طوى ما حوله من البلاد المنجدة والغائرة . وكان مركزاً لدائرتها . فغادره وهو طرف من أطراف الدائرة . ولما شارفه نظر منه إلى ظلة من الظلل . ورأى بلداً قد استقر على متن الجبل مثل الجبل . ويطيف به وادٍ يستهزئ بعصمته بنوب الدهر . وقد انعطف على جوانبه انعطاف الحبوة على الظهر^(١) . والمسالك إليه مع ذلك ذات تعاريج ومعارج

(١) يقال : احتبى بالشوب اشتمل ، أو جمع ظهره وساقيه بعمامة ونحوها والاسم الحبوة بفتح الحاء وكسرهما .

وهي ضيقةٌ مُستَوِرةٌ يَطْلُقُ عليها اسمُ الطَّرْقِ ولا يَطْلُقُ عليها اسمُ المِزَاجِ .
فلما رآه قال : هذا أُمْنِيَّةٌ لمن يرى . وعِلِمَ حينئذٍ أن كلَّ الصيْدِ في جَوْفِ
الْفَرَا^(١) إلا أن لسانَ حاله خاطبه وهو أَفْصَحُ الخُطَابِ . وقال : امددْ يدك
فليسَ دُونها من حِجَابِ .

«وكان قد برز من السَّلاحِ في لباسٍ رائعٍ من المنعة . وأخْرَجَ من السَّوادِ
الأعظمِ ما خَدَعَ العيونَ . والحربُ خُدْعَةٌ . وما يمنعُ رقابَ البلادِ بكثرةِ
السَّوادِ . ولا يحصى بعوالى الأسوارِ بل بعوالى الصَّعَادِ . وفي يومٍ كذا وكذا خيمَ
المسلمونَ في عُقْرِ داره . ونزلوا منه نزولَ الجارِ إلى جانبِ جاره . ثم ارتادوا
موقفًا للقتالِ . وإن لم يكنْ هناك موقفٌ يَقْرُبُ مناله . ولا يَدَسِّعُ مجاله . واتفقَ
الرَّأْيُ على لسانِ المتجنِّيقِ في خطبةٍ عقليَّةٍ . أبلغَ خطابًا . وأدنى من المطلوبِ
طَلابًا . وأنه إذا ضَرَبَ بعصاه الحجرَ انبجستْ عيونُ أهله دِمَاءً . كما انبجستْ
عيونُ الحجرِ ماءً .

« هذا وَالْعِزَّامُ تنظُرُ إلى هذا الرَّأْيِ نظرَ المُسْتَجْهِلِ . وتصدُّ عنه صدودَ
المُسْتَعْجِلِ . وتقولُ : ما بَارْتِيَادِ السَّهْلِ تُمْلِكُ الصَّعَابِ . ومن ابْتَنَى السَّيْفَ
صَرَحًا لم يَنَأَ عنه بلوغُ الأسبابِ ، والحديدُ لا يَفْطَحُ إلا بالحديدِ . والركنُ
الشديدُ لا يُصَدِّمُ إلا برُّ كُنٍ شديدٍ . فعندها صَمَّمَ الخادمُ أن يلقى البلدَ موائبًا

(١) قال ابن السكيت : الفراء الحمار الوحشى ، وجمعه فراء ،
قالوا : وأصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين ، فاصطاد أحدهم
أرنبا . والآخر ظيما ؛ والثالث حماراً . فاستبشر صاحب الظبي بما نالا ،
وتطاولا عليه ، فقال الثالث : «كل الصيد في جوف الفراء» أى : هذا
الذى رزقت وظفرت به يشتمل على ما عندكما ، وذلك أنه ليس مما يصيده
الناس أعظم من الحمار الوحشى ، ولا استعمال المثل بقية — انظر أمثال
الميداني ٨٢/٢ .

لامواربًا . وأن يجعل للزحف جانبًا وللمنجنيق جانبًا . ونوى أن يبذري
صفحة وجهه أمام الناس . وتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في الاتقاء به
إذا اشتدّ البأس ، ولا شك أن قلوب الجيوش بمنزلة قلوبها . وأن النفاذ لأسنة
الرماح لا لكعوبها . ولا يشتفى من الوغى إلا من كان طرفه أمام طرفه .
ومن وقف خلف جنوده فقد جعل عزائمها من خلفه .

« ولما وقع الزحف صُورِعَ البلد صراعًا ، بعد أن قُورِعَ قِراعًا ؛ ثم هزَّ
هزة طوته يمينها . ونشرته بشمالها . وأذاقته العذاب الأدنى دون العذاب
الأكبر من نكالها . وبدون ذلك يكون عرك أديمه . وعطف شكيمه . ولم
يكن قتاله بالسهم التي غايتها أن تصف أجنتها للمطار . وتنال بكلومها من
فوق الأسوار . بل بالسيف التي إذا جالدت بلدًا أخذت بكظمه وتوغلت
في هجمه . وأغنت سرعة خطواتها إليه عن المنجنيق وإبطاء هدمه . والسيف
ليس بمرتو من النفس التي تظل طائشة عند لقاءها . جائشة عند استيفائها .
فالقوب توصف بأنها تجيش إذا كانت أعدادًا . والنفوس لا تجيش إلا إذا
كانت ثمادًا . وما يستوى وجوه الأقران في إقدامها وإحجامها . فمنها المظلم
إذا رابها الروع بإشراقها . ومنها المشرق إذا شابها الروع بإظلامها . وكانت
وجوه المؤمنين في هذا المقام أحظى بلباس الإشراق . وأتم أبدراً . والبدور
لا يكون تمامها في الحاق . فممنهم إلا من عرض نفسه ليوم العرض . ومشى
إلى جنة عرضها السموات والأرض . حتى اتسع المكر . وضاق بأعداء الله
المقر ، وحرقت أوعار الخناديق ، وصار الرجاء لمنطقة السور كالمناطق ، ولم
يستشهد منهم إلا عدد يسير ، لاندخله لأم التعريف ، وكانت أجنحة الملائكة
مطيفة بهم ، فأكرم بالمطاف به وبالمطيف .

« وقد أسعد الله أولئك بالشهادة التي هي الفوز الأكبر ، وقرنها بإدناء

مضاجعهم من الأرض المقدسة التي هي أرض الحشر ، فما يسرُّهم أن يعودوا إلى الدنيا إلا للاستزادة من ثواب الجهاد . وأيسرُ ذلك أن أرواحهم في حواصل طير خُضريّ تعلّق من ثمار الجنة إلى يوم المعاد .

« ولما رأى الكفار أن صليهم قد صار خواراً ، وأن زئيرهم قد انقلبَ خواراً ، أذعنت أيديهم باستسلامها ، وصانعتْ بالمال عن الرقاب واسترقاقها ، وبالبلد عن النفوس وحمائمها ، فأبى السيف أن يترك رقاباً تغذى بأكلها . ويحلُّ من عشقها على مداومة وصلها .

« وذكر الخادم أن سلف هؤلاء انتزع هذا البلد قسراً ، وفتك بمن كان به من المسلمين غدرًا ، وذلك نأرٌ ذخره الله لك حتى تحظى في الآخرة بثوابه ، وتجمل في الدنيا بزيينة أثوابه ، والمسلم أخو المسلم يأخذُ بدمه ، وإن تطاولت أمدادُ السنين على قدمه ، فيا بعدَ عهدٍ هذا النأر من نأيره ، ويا طيب خبره عند سامعه ، وحسن أثره عند ناظره .

« ولما تحقق العزم على ذلك أشار ذوو الرأى بقبول الفدية المبذولة ، وألاً يحمل العدو على ما ليست نفسه عليه بمحمولة ، فإن النقد^(١) إذا أُخرج صار ذا أنيابٍ وأظفار ، واستضرى حتى يلتحق بالسباع الضوار . وهؤلاء إذا رأوا عينَ القتل تجرّدوا للقتال ، وركبوا الأهوالَ للنجاة من الأهوال . ومن يُدع إلى خِطةٍ رُشد فليقبلها . ومن أنشط له عقل الأمور فلا يعقلها . وعلى كل حالٍ فإن الفدية للمسلمين أرغب . وأموالٌ يتقوى بها على العدو خيرٌ من دماء تذهب .

« هذا وبالبلد من أسارى المسلمين من حياة أحدهم بحياة كل نفس ،

(١) النقد بالتحريك جنس من الغنم .

ومن حُرْمَتُهُ عند الله خيرٌ مما طلعت عليه الشمس ، ولا يوازي فتحه عنوةً أن يتعدى إليهم أضرارُهُ ، ولا شك أنهم يعاجلون بالقتل قبل أن تدخل أقطارُهُ .

« فرأى الخادمُ عند ذلك أن الرأيَ مشتركٌ ، وأنَّ له مُعْتَرَكاً كما أن السيفَ له مُعْتَرَكٌ ، وتقررَ تسليمُ البلدِ وُدوعُ أهله قد خضبتْ أحداقُها ، وأقرحتْ أَمَاقُها (١) ولم تطبْ أنفسهم بفراق قلمه حتى كادت الهامُ تفارق أعناقها ، فعلى حَبِّ ذلك الترابِ تقوم قِيامَتُهُمْ ، وتشيلُ نَعَامَتُهُمْ ، وإطالماً ابتهلوا عنده أيامَ الحصارِ ، واستنصروه فلم يُحْظُوا منه بِمَعُونَةٍ الانتصارِ ، وكيف يرجي النصرُ من معبودٍ تُقرُّ شِيعَتُهُ بقتله ؟ أم كيف يدفع عن غيره من كان هو مبتلى بمثله ! . وهذه عقولٌ سَخِيفَةٌ نَفَذَ فيها كيدُ شيطانها ، وأخفى عنها محجَّةَ الحقِّ على وضوح بيانها .

« ولقد كان يومُ التسليمِ عريضَ الفخارِ ، زائدُ العمرِ على عُمرِ أبويهِ من الليل والنهار ، واشتقَّ من اسمه معنى السلامة للمسلمين والهلاكِ للكفار ، وزاده نغراً إلى نغره أنه وافق اليومَ المسافرَ عن ليلة المعراج النبويِّ الذي كان في تلك الأرض موعده ، ومن صخرتها مَصْعَدُهُ ، وذلك هو الإسراء الذي ركب إليه ظهرُ السِّبْرَاقِ (٢) واستفتح له أبواب السَّمْعِ الطِّبَاقِ ؛ ولقي فيه الأنبياءَ على إختلاف درجاتهم ؛ فظفرَ خيرُ ملقىٍّ بِبحيرٍ لاقٍ . وبركةُ ذلك اليوم سَرَّتْ إلى هذا فأطالت من شهرته ؛ وضمِنَتْه نصرَةُ الدِّينِ الحَنِيفِ الذي

(١) جمع مَأَق ومَوْق طرف العين مما يلي الأنف ، وهو مجرى الدمع من العين ، أو مقدمها أو مؤخرها .

(٢) البراق دابة ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، قال صاحب القاموس (٢١٢/٣) وكانت دون البغل وفوق الحمار .

لله عناية بنصرته ؛ وجعلته تاريخاً يُرّخُ بفتححه كما أرّخ للنبي صلى الله عليه وسلم
بدار هجرته ؛ وإذا أنصف واصفه قال إنه لليوم البدرى في اقتراب النسب ؛
وإنه العجيبة التي لم تجفل عنها الأيام في صفر وإنما أجفلت عنها رجب .
فما أكثر الفائز فيه والمغبون ؛ والمسرور والحزون ؛ فمن جد راكب ؛
ومن جد راجل ؛ ومن عزّ قادم وذلّ راحل .

» ولطالما جدّ الخادم في السعى له وأبصارُ العدا تزلقه ، وألسنتهم تسلفه .
وما منهم إلا مَنْ أكرّ الشناعة بأن ذلك السعى للاستكثار من البلاد ،
والله يعلم أنه لم يكن إلا للاستكثار من موارد الجهاد . لاجرم أن صدقَ النّية
كان له عُقبى الدار ، وتلك الأقوال الكاذبة كان لها عُقبى البوار . ويوم
هذا الفتح يفتقرُ قبله الى أيام تجلو بياضه عن سوادها ، ويلتجّ لها بطون
المساعى حتى يكون هو نتيجة ميلادها ، ولما ظفّر به الخادم لم يكن لأهل
النجامة ^(١) ، فيه قولٌ يرُدُّ كذابه ، ولا يقبلُ صوابه ، والشهبُ الطالعة على
ذوات السروج أصدقُ نبأً من الشهب الطالعة من ذوات البروج ؛ على
أنهما وإن اتفقا رجحاً فإنهما يختلفان علماً ، فلمْ هذه يُسألُ عنه نغر
الأعناق ؛ وعلم هذه يُسألُ عنه بطونُ الأوراق .

» ولما دخل البلد وجد به أمماً لولا أن ضربت عليهم الذلّة لدافعوا
المنايا مكاثرة ؛ وغالبوا السيوف مصابرة ، وهم طوائفٌ مختلفوا الألسنة
والألوان ؛ وإن قيل إنهم أناسي فإن صورهم صورُ الجان ؛ ومنهم طائفة
استشعرت حبسَ نفوسها ؛ وخصت الشعر عن أوساط رؤوسها ؛ وتوحّشت
بالرهبانية حتى ارتاعت العيون من أشكالها ولبوسها .

(١) النجامة عمل المنجم والمتنجم والنجم من ينظر في النجوم بحسب

مواقيتها وسيرها .

« ولما رأوا طلعة الإسلام داخلّة عليهم أعانوا بالجوار^(١) ، واصطرخوا جميعاً كما يصطرخون غداً في النار ؛ وزادهم غيظاً إلى غيظهم أنهم رأوا الصلاة قائمة وقد صارَ الناقوسُ أذاناً ؛ وكلمة الكفر ايماناً ؛ وأقيمت الجمعة ؛ وهي أوّلُ جمعة حظيَ الأقصى بمشهدها ؛ وحضرتها الأمة الإسلامية بأنحمرها وأسودها ، فمن باكٍ بدمعة سروره الباردة ، ومن مجيلٍ نظره في نعمة الله الواردة ، ومن شاكر للزمن الذي أبقاه إلى يومه هذا الذي كلُّ الأيام له حاسدة ، من كان مولده تقدّم قبله أو بعده فكأنه لم يولد ، وكانت هذه الجمعة في رابع شعبان ، وهو الشهر الذي جعله الله طليعةً لشهر الصيام ؛ وليلة نصفه هي الليلة المعروفة بإحياء قيامها إلى حين وفاة شخص الظلام . والتي يُغفرُ فيها لأكثر من شعر غم كلبٍ من ذوى الذنوب والآثام .

« وَجىء باللواء الأسود ، فرُكزَ من المنبر في أعلاه . ونطقَ لسانُ حاله . فقال : من كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مولاهُ فأنا مولاه . ولم يكن لسانُ الخطيبِ بأفصحَ بياناً من لسانه . غير أن هذا يزُهي ببلاغ موعظته وهذا يزُهي بعزة سُلطانه . ولما ذُكرتْ سماتُ الخلافةِ المعظمة أتبعها الناسُ بالدعاء الذي ملأَ المسجدَ بعجيجه . وسبقَ الكرامُ الكاتبون بزَميله إلى السماء ووشيجه . وكان اليومُ فصلاً . والموقفُ حفلاً . وذلك الدعاء فرضاً لا نقلاً .

« ولا ينتهى الوصفُ إلا ماشوهدَ بالبلدِ من الآثارِ العجيبة التي تستلبُ العجّلان . وتستحلبُ الأذهان . وتستنطقُ الألسنة بالتسبيح لله الذي فطر الإنسان ومن جملة ذلك ما تُبْوهي في حُسنه من البيع والصّوامع . ذواتِ الأبنية الرّوائع . التي رُوِّصَتْ بالزُّخارف ترويض الأزهار . ورُفعت معاقدها حتى

(١) الجؤار رفع الصوت بالدعاء ، والتضرع ، والاستغاثة .

كادت النجوم تُوحى إليها بالأسرار ، وما منها إلا ما يقال إنه إرم ذات العباد .
التي لم يُخلق مثلها في البلاد . ولقد ألان الله لهم الحجارة حتى تحيروا في توسيعها
بضروب الاختيار . وجعلوها أعاجيب للأسماع والأبصار . وقبل فيها هذه
روضات جنان لا أفنية ديار .

هذا إلى غيره مما وُجد من معبودات القوم الموصوفة بأنها آلهة الصناب .
اللاتي من ذوات النصب . وأكثر ذلك وُجد في المسجد موضوعاً . وعلى قبته
مرفوعاً . فأنزلت على قرونها . واستنّ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في
طعن عيونها واستوطن المؤمن مكان الكفور . وبدلت الظلمات بالنور .
وقالت الصخرة : الآن جُمع بيني وبين الحجر الأسود لخطب الإسلام . والجمع
بين الأختين في هذا الأمر من الحلال لا من الحرام : وقال الأقفى : سبحان
الذي أسرى إلى بجنده . كما أسرى بعبده . وأعاد لي عهد الفتح الأول بهذا
الفتح الذي أتى من بعده . وعود الزاهب أرنجى لدوام أحقابه . وخلود
الإنسان لا يكون إلا في مآبه . وهذا هو الخطب الذي جدّد للإسلام عهود
ابن خطابه^(١) — رضى الله عنه — إلا أن مُستنقذ الطريدة أولى بها من
صاحبها . ولئن غصبتها يد غالبة فقد جاء الله باليد التي غصبتها من غاصبها .

« هذا ولم يستنقذها الخادم إلا بإنضاء سلاح أنفته الواقعة الأولى التي
استأصلت حماة البلاد . واستباححت أغياها بقتل الأساد . فكانت لهذا الفتح
عنواناً . ولتقرير أصوله بنياناً . ولم ينبج بها من طواغيت الكفر إلا طاغية
ترايس . فإن السيوف أسارته وبفؤاده فلق من أوجالها . وفي عينيه دهمش
من أهوالها . وقد قرن الله هذا الفتح ببشرى موته . وكفى المسلمين مئونة
الاهتمام لقوته . فقرّ من الواقعة . ولم ينبج بذلك الفرار . واعتصم بذات

(١) يشير إلى فتوح المسلمين في خلافة عمر الخطاب رضى الله عنه .

جداره . فقتله الخوف من وراء الجدار . ولا فرق بين قتيل خوف السفار وبين قتيل السفار . ولقد فر من المكروه إلى مثله . ولكنه انتقل من ميتة عزه إلى ميتة ذله .

« وكذلك آثار الخادم في أعداء الله . فهم هلكي بسيفه في مواقف الطراد . فإن فرّوا فبخوفه على جنوب الوساد . وبعد هذه فهل يمترون في أن دماءهم قد استجابت لمراده وأن سوء لديه من أمكن منها في دنوه ومن امتنع منها في بعاذه . وكل ذلك مستمد من الاستنصار بعناية الديوان العزيز التي من شأنها أن تجعل الرؤيا حقاً ، وأحاديث الآمال صدقاً ، وتقرب بعيدات الأمور حتى تجعل الشرق غرباً والغرب شرقاً ، فهذا الفتح منسوب إليها ، وإن كان الخادم هو الساعي في تسهيله ، والمجاهد بنفسه وماله في سبيله ، فعلى عطف دولتها ترقم أعلامه ، وفي أيامها تؤرخ أيامه .

« ولو أبيع للقلم الخيلاء في مقام المقال ، كما أبيع لصاحبه في مقام القتال ، لاختلت مشيئته في هذا الكتاب ؛ ولقال ، وأسهب ، فليس إلا كشار هاهنا من الإسهاب ، لكنه منعه من ذلك أن يكون ممن فخر بعمله فأبطله ، وأرسل خطابه إلى الديوان العزيز ؛ فلم يقبضه بالأدب حين أرسله ؛ وقد ارتاد من يبلغ عنه مشاريع هذه الوقائع التي اختصرها ، ويمثل صورها لمن غاب عنها كما تمثل لمن حضرها ؛ ويكون مكانه من النباهة كريماً كمكانها ؛ وهي عرائس المساعي ؛ فأحسن الناس بياناً مؤهلاً لإبداع حسناتها ؛ والسائر بها فلان وهو راوى أخبار نصرها التي صجبتها في تجميع الرجال ، وعوالى إسنادها مأخوذة من طرق العوال ، والأيام والليالي رواة ؛ فما الظن برواية الأيام والليالي ؟ .

وستتلو هذه الأخبار الصادقة بمشيئة الله أخباراً مثلها صادقة ؛ وما

دامت السيوف ناطقة في يد الخادم فالألسنة عنها ناطقة ، وللآراء العالية
مزيد العلو إن شاء الله تعالى .

وأما التقليد ، فإنه تقليد انشأته لمنصب الحسية ، وهو :

« أما بعد ، فقد جعل الله جزاء التمسكين في أرضه أن يقام بمحدوده
فرضه ، ونحن نسأله التوفيق لهذا الأمر الذي ثقل حمله ؛ وعُدِمَ أهله ، فقد
جىء بنا في زمن أصبح الناس فيه سُدى ، وعاد الإسلام فيه غريباً كما
بدا . وهو الزمن الذي كثرت فيه أشراط ^(١) اليوم الأخير ؛ وغربت
فيه الأمة حتى لم يبق إلا حثالة ^(٢) كحثة التمر والشعير .

« ومن أهم ما نقرر بناءه ؛ ونقدم عناءه ؛ ونصلح به الزمن وأبناءه ،
أن نُمضي أحكام الشريعة المطهرة على ما قرّرت في تعريف ما عرفته ،
وتذكير ما نكرته ومدار ذلك على النظر في أمر الحسبة التي تنزل منه
بمنزلة السلك من العقيد ، والكف من الزند . وقد أخلصنا النية في
ارتداد من يقوم فيها ويكفيها ؛ ويصطفى لها ولا يصطفىها ؛ وهو أنت أيها
الشيخ الأجل « فلان » ، أحسن الله لك الأثر ؛ وصدق فيك النظر ،
فتو لها غير موكول إليها ؛ بل معاناً عليها .

« واعلم أن الناس قد أमतوا سنناً وأحيوا بدعا ، وتفرقوا فيما أخذته
من المحدثات شيعاً ؛ وأظلم منهم من أقرهم على أمرهم ؛ ولم يأخذهم بقوارع
زجرهم ؛ فإن السكوت عن البدعة رضا بمكانها ؛ وترك النهي عنها

(١) الاشرط العلامات .

(٢) الحثالة ما لا خير فيه ، والردىء من كل شيء .

كالأمر بإتيانها . ولم يأتِ بنا الله تعالى إلا ليُعيدَ الدين قائماً على أصوله
صادعاً بحكم الله فيه وحُكم رسوله .

« ونحنُ نأمرُك أن تتصنَّحَ أحوالَ الناس في أمر دينهم الذي هو
عِصمةُ مالهْم . وأمر معاشهم الذي يتميز به حرامهم من حلالهم . فابدأ أولاً
بالنظر في العمائد ، واهد فيها إلى سبيل الفرقة الناجية ^(١) الذي هو سبيلُ
واحد ، وتلك الفرقةُ هي السلفُ الصالحُ الذين لزموا مواطنَ الحقِّ فأقاموا ،
وقالوا : ربُّنا الله ثم استقاموا . ومن عداهم شعبٌ دانوا أدياناً . وعبدوا من
الأهواء أو ثنائاً ، واتَّبَعُوا ما لم ينزل به الله سلطاناً (ولو شاء لَرَبَّنا كهُم فلمَ نَقُتْهُمْ
بِسِماهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ في لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) ^(٢) فمن انتهى من
هؤلاء إلى فلسفةٍ فاقتله ولا تسمع له قولاً ، ولا تقبل منه صرّاً ولا عدلاً ،
وليكن قتلُه على رموس الأَشهاد ، ما بينَ حاضرٍ وباد ، فما تكدرت الشرائعُ
بمثل مقالته ، ولا تدنست علومها بمثل أثر جهالته والمنتحى إليها يعرف بِنُكْرِهِ ،
ويُستدلُّ عليه بظلمة كفره ، وتلك ظلمةٌ تدرك بالقلوب لا بالأبصار ، وتظهرُ
زيادتها ونقصها بحسب ما عند رائيها من الأنوار ، وما تجده من كتبها التي هي
سمومٌ نافعة ، لا علومٌ نافعة ؛ وأطاع مُلَفِّفة ، لا أقوالٌ مؤلِّفة ، فاستأصل شافئها ^(٣)

(١) يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليأتين
على أمتي ما أتى على بني إسرائيل ، تفرق بنو إسرائيل على اثنتين
وسبعين ملة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، تزيد عليهم
ملة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا : يا رسول الله من الملة
الواحدة ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي . وفي هذا الحديث روايات ،
والملة الواحدة هي الفرقة الناجية .

(٢) سورة محمد : الآية ٣٠ .

(٣) الشافعة الأصل ، واستأصل الله شافئته أذهبه ، وأزاله من أصله .

بالتزيق ، وافعل بها ما يفعله الله بأهلها من التحريق ، ولا يقنك ذلك حتى
تجتهد في تتبع آثارها ، والكشف عن مكان أسرارها . فمن وجدت في بيته
فليؤخذ جهاراً ، ولينكل به إشهاراً ، وإيقل هذا جزاء من استكبر استكباراً ،
ولم يرج الله وقاراً .

« وأما من تحدث في القدر ، وقال فيه بمخالفة نص الخبر ، فإيس في شيء
من رتبة الإسلام ، وإن تنسك بمداومة الصلاة والصيام ، قال النبي صلى الله
عليه وسلم : « القدرة مجوس هذه الأمة » . والمراد بذلك أنهم ماثلوا بين الله
والعبد ، والضيء والظلمة . فعلاج هذه الطائفة أن تجزى بأن تُحزى ، فليقابل
جمعها بالتكسير ، واسمها بالتصغير ، ولتنقل إلى ثقل الحدود عن خفة التعزير
ومن كان منها ذا مكانة ناهية فليهبط ، أو شهادة عادلة فليسقط :

« وكذلك يجرى الحكم فيمن قال بالتشبيه والتجسيم ، أو قال بحدوث
القرآن القديم ، ومن ملحدى القرآن فرقة فرقت بين المعنى والخط ، وفرقة
قالت فيه بالشكل والنقط ، وكل هؤلاء قوم خبثت سرائرهم ، وعيت
بصائرهم ، وعظمت عند الله جرائمهم ، تُغذم بالتوبة التي تطهر أهلها ، وتجب
ماقبلها ، وليست التوبة عبارة عن ذكرى اللسان ، والقلب لأم في قبضة
النسيان ، بل هي عبارة عن الندم على مافات ، واستئناف الإخلاص فيما هو
آتي ، وقد جعل الله التائب من أحبابه ، ووصفه في مواضع كثيرة من كتابه ،
ومن فضله أن الملائكة يستغفرون لذنبه ، ويشفعون له إلى ربه ، فإن أثبت هذه
الطوائف إلا أصراراً ، ولم يزد دعائك إلا فراراً ، فاعلم أن الله قد طبع على
قلوبهم طبعاً ، وألحقهم بالذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكره وكانوا
لا يستطيعون سماعاً ، تُغذم عند ذلك بحدد الجلد ، فإن لم ينجع فبحدد ذوات

الحدّ ، فإن هذه أمراضٌ عمى لا تُرجى لها الإفاقة ، ولا تُبرىء منها إلا الدّماء المراقبة .

« وأما الفرقة المدعوّة بالرافضة التي هي لما رفعه الله خافضة ، فإنهم أناسٌ ليسَ لهم من الدين إلا اسمه ، ولا من الإسلام إلا رسمه ، وإذا نقّب عن مذهبهم وُجدَ على العصبية موضوعاً ، ولغير ما شرعه الله ورسوله مشروعاً ، ذبّوا عن علىّ — رضى الله عنه — فأسلموه ، وأخروه إذ قدّموه ، وهؤلاء وضعوا أحاديث فقلّوها ، وأوّلوها على ما أوّلوها ، فتبع الآخر منهم الأول على غمّة ، وقالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة .

« وهمنا خيرٌ ما ذكرناه من عقائد محلوّة ، ومذاهب غير منقولة ولا مقبولة ، وبالهدى يتبين طريق الضلال ، وبالصحة يظهر أثر الاعتلال ، ولا عقيدة إلا عقيدة السنة والكتاب ، ولا دين إلا دين العجايز والماء والحراب .

« وإذا فرغنا من الوصية بالأصول التي هي للدين ملاك ، فلنتبعها بالفروع التي هي له مساك :

« وأوّل ذلك الصلاة ، وهي في مباني الإسلام الخمس أو كدُخْمِسه ، وآخر ما وصّى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند مفارقة نفسه . ومن فضلها أنها العمل الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر ، ولا عذر في تركها لأحد من النّاس ، فيقال : إنه يُعذّر ، فانّ جمع الناس إليها ، واحمّاهم عليها ، ومُرّهم بالاجتماع لها في المساجد ، ونادٍ فيهم بفضيلة صلاة الجماعة على صلاة الواحد ، وراقبهم عند أوقات الأذان في الأسواق التي هي معركة الشيطان ، فمن شُغل بتشمير مكسبه ، ولها عنها بالإقبال على هواه ولعبه ، نفذه بالآلة العمرية التي تضع من قدره ، وتذيقه وبال أمره ، ولا يمنعك عن ذى هيبة هيئته ، ولا عن ذى شبيبة

شيبته ، فإنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه
وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ،

» ومن مهمات الصلاة يوم الجمعة الذي هو في الأيام بمنزلة الأعياد في
الأعوام ، وفيه الساعة المخصوصة بالدعاء المجاب ، التي ما صادفها عبدٌ إلا
ظفرَ بالطلّاب ، فسرّ الناسَ بابتدائه في البواكر ، والفوز فيه بقربان
البدنات (١) الأخير ، فإنّه اليوم الذي لم تطلع الشمس على مثله ، وبه فضل هذا
الدّين على أهل الكتاب من قبله — فهو واسطة عقد الأيام السبعة ، ولاشتماله
على مجموع فضائها سمّي يوم الجمعة ، وفي الأعوام مواسم لصلوات مخصوصة
كالترّاويح في شهر رمضان ، والרגائب في أول جمعة من رجب ، وليلة
النصف من شعبان ، فلتعلاّ المساجد في هذه المواسم التي تكثرت فيها شهاداتُ
الذّلال في كتب الطاعات ، ومحو الآثام ، ومن حضرها وليس همّه إلا أن يمرّ
بها طرّوقاً ويواعد إليها أصدانه رفناً أو فسوقاً ، فهؤلاء هم الخلف الذين أضاعوا
الصلاة واتّبعوا الشهوات . فابعث عليهم قوماً يسلبونهم سلباً ؛ ويوجعونهم
ضرباً ، ويمثلون عيونهم بهكابة وقلوبهم رعباً ، فبيوت الله مطهّرة من هذه
الأدناس ؛ ولم تعمّر لشياطين الإنس ، وإنما عمّرت للناس ، فلا يحضرها إلا راكمٌ
وساجدٌ أو ذاكرٌ وحامدٌ .

وهاهنا عظيمةٌ عضيمة (٢) ؛ وفاحشةٌ ينقّه لها من ليست نفسه بفقيرة ؛
وهي الربّاء ؛ فإنه قد كثّر أكله ؛ وتظاهر به فاعله ؛ وقال فساقُ الفقهاء
بتأويله ؛ وتوصّوا إلى شبهةٍ تحمليه ، ولا يتسارعُ إلى ذلك إلا مَنْ أعمى الله
قلبه ؛ ومحق كسبه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لعن الله اليهود ؛

(١) البدنات الاضاحي .

(٢) العضيمة الإفك والبهتان .

حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فُجِمَلُوهَا ؛ وَبَاعُوهَا وَأَكَلُوهَا ثُمَّ أَنَهَا . وَنَحْنُ
نَأْمُرُكَ أَنْ تَشْمُرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ تَشْمِيرًا يَرْهَبُهُ النَّاسُ ، وَلَا تَدْعُ رَبًّا حَتَّى تَضَعَهُ
وَأَوَّلَ رَبًّا تَضَعُهُ رَبًّا الْعَبَّاسِ ^(١) ؛ فَتَأْدِيبُ الْكَبِيرِ قَاضٍ بِتَهْذِيبِ الصَّغِيرِ .
وَالْأُسُوءَةُ بِالرَّفِيعِ خِلَافُ الْأُسُوءَةِ بِالنَّظِيرِ ؛ وَجَلُّ مُعَامَلَةِ الرَّبِّ تَجَرُّى فِي سَوَاقِ
الصَّعْرِفِ الَّذِى تَخْلَفُ بِهِ النُّقُودُ ؛ وَتَفْتَرِضُ فِيهِ الْعُقُودُ ؛ وَيَخَاضُ فِي نَارِ
نِيرِهِ إِلَى النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ، وَبِهِ قَوْمٌ أَوْسَعُوا عَيُونَ الْمَوَازِينِ غَمَزًا ،
وَأَلْسِنَتَهَا هَمَزًا وَلَمَزًا ؛ وَأَصْبَحَ الدُّرْهَمُ وَالِدِّينَارُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الصَّنَمَيْنِ :
السَّلَاتِ وَالْعَزَى ؛ وَلَا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ الْعَرَصُ مُقَاضٍ عَلَى ثِيَابِهِ . وَقَدْ
جَمَعَ بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَرَامِ وَالْمُحْجُومِ عَلَى ارْتِكَابِهِ . فَعُدِّلْ مِيلَ هَؤُلَاءِ تَعْدِيلًا
وَتَحَوَّلْهُمْ عَلَى مَرُورِ الْأَيَّامِ تَحْوِيلًا ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ وُلِّيتَ مِنَ الْكَيْلِ
وَالْمِيزَانِ أَمْرَيْنِ هَلَسْتَ فِيهِمَا الْأُمُّ السَّائِقَةُ . فَبَايَعْتُمَا بِيَدِكَ مَبَاشَرَةً
الِاخْتِيَارِ وَالِاخْتِيَارِ . وَلَا تَقِلْ أَهْلُهُمَا عَثْرَةً فَإِنَّ الْأَفْئِلَةَ لَا تَنْتَهَى عَنِ
الْعِثَارِ . وَكُلُّ هَؤُلَاءِ مِنْ سَوَادِ النَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يَزْكُ غَرْسُهُ . وَلَا فَهَيْتُ
نَفْسُهُ وَابْسَ هُمُّهُ إِلَّا فَرْجُهُ أَوْ ضِرْسُهُ . نَخَذَهُمْ بَالَةَ التَّعْزِيرِ الَّتِى هِىَ نَزَاعَةُ
لِلشَّوْى ، تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى ، وَمَنْ آثَارَهَا أَنَهَا تَرْجُ أَرْضَ الرَّأْسِ
رَجًّا . وَتَفَرِّجُ سَمَاءَهُ فَرْجًا . وَيَسْلُكُ بِصَاحِبِهِ هَدْيًا وَنَهْجًا . وَقَدْ كَثُرَ فِي
الْأَسْوَاقِ الْخِلَابَةُ وَالنَّجْشُ ^(٢) . وَتَلَقَّى الرَّثْكَانَ . وَبِيعَ الْحَاضِرُ لِلْبَادِىِ

(١) مِنْ خُطْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُجَّةِ الْوُدَّاعِ
قَوْلُهُ : « وَإِنْ رَبًّا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ — أَى سَاقِطٌ لِاحْسَابِ عَلَيْهِ —
وَلَمْ يَأْتِ أَوَّلَ رَبًّا أَبْدَأَ بِهِ رَبًّا عَمَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » .

(٢) النَّجْشُ أَنْ تَوَاطَىءَ رَجُلًا إِذَا أَرَادَ بَيْعًا أَنْ نَمْدَحَهُ ، أَوْ أَنْ
يَزِيدَ الْإِنْسَانَ أَنْ يَبِيعَ بِيَاعَةً فَيَسَاوِمُهُ فِيهَا بِشَمْنٍ كَثِيرٍ . لِيَنْظُرَ لِيَلِكُ نَازِلًا
فَيَقِيعَ فِيهَا ، أَوْ أَنْ يَنْفِرَ النَّاسُ عَنِ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِهِ .

وتنفيق السَّاعةِ باليمين الكذَّابة وكلَّ هذه من المحظورات التي وردت الأخبارُ
النَّبويَّةُ ببيانها ، والنهي عن تورُّد مكانها . فَمَنْ قَارَفَ شيئاً منها جاهلاً بتحريمه
فَقَوِّمُهُ بالتعليم ، واهدهِ إلى الصِّراطِ المستقيم ، ومن عرف ما اقترف فأذقه حرَّ
التَّأديب ، قبل أن يُذاقَ غداً حرَّ التعذيب ، وأعلمه أنَّ الأرزاق بيدِ الله تعالى
لا ينقصها عجزُ القاعد ، ولا يزيدها حرصُ الكادح ، وقد ينقلبُ الجاهد فيها
بصفقةِ الخاسر ، والواعدُ بصفقةِ الراجح ، ومن سُنَّ الله تعالى أن يُنمى الحلال وإن
كان يسيراً ، ويمحقَ الحرامَ وإن كان كثيراً .

« ومن الناس مَنْ آتاه الله مالا فبثَّ في الأسواقِ جنودَ ذهبه وورقه ،
واحتمكر ماحله الميزانُ من ذواتِ رطله ، ووسَّعه الكيل من ذواتِ وسقه ،
فأصبحَ فقراءُ بلده في ضيقٍ من عدمِ الرِّفقِ ومددِ الرِّزْقِ ، فليمنعْ هؤلاء أن
يحملوا رزقَ الله محتكرًا ، ومعاشَ عباده محتجرًا ، وليؤمروا بأن يتراحوا ،
ولا يتزاحوا ، وأن يأخذ الغني منهم بقدرِ الكفافِ ، ويتركَ للفقير ما يُعينه على
الإسعافِ ، قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — : « لاحكراً في سوقنا ،
لا يعمدُ رجالٌ بأيديهم فضولٌ من أذهب إلى رزقٍ من أرزاقِ الله تعالى ينزلُ
بساحتنا ، فيحتكرونه علينا ؛ ولكن أيُّما جالبٍ جلب على عمود كبدته فذلك
ضيفُ عمر ، فليبيِّعْ كيف شاء الله ، وليمسكْ كيف شاء الله » .

« وأما التسعيرُ فإنه وإن آثره القاطنون ، وحكم به القاسطون ، وقيل :
إن في ذلك للفقير تيسيرَ العسير ؛ فليس لأحدٍ أن يكون يد الله في حفظ
ما رَفَعَ ، وبذلِ ما منع ، فتف أنت حيث أوفقتك حكم الحق ، ودع ما يعنُّ لك
من مصلحة الخلق ، ولا تكن ممن اتبع الرأى والنظر ، وترك الآية والخبر ،

فَحِكْمَةُ اللَّهِ مَطْوِيَّةٌ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ عَلَى أَمْسَةِ رَسَلِهِ ، وَلَيْسَتْ مِمَّا يَسْتَنْبِطُهُ ذُو الْعِلْمِ بِعِلْمِهِ ؛ وَلَا يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ ذُو الْعَقْلِ بِعَقْلِهِ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

« وَمِمَّا نَأْمُرُكَ بِهِ أَنْ تَمْحُوَ الصَّغِيرَةَ كَمَا تَمْحُوُ الْكَبِيرَةَ ، فَإِنَّ لَمْ الذُّنُوبَ كَالْقَطْرِ يَصِيرُ بِمَجْتَمَعِهِ سَيْلًا مُتَدَفِّقًا ؛ وَكَانَ أَوَّلُهُ قَطْرًا مُتَفَرِّقًا .

« وَقَدْ اسْتَمَرَّ فِي النَّاسِ عَوَائِدُ تَهَانُونَا بِاسْتِمْرَارِهَا ، وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى ثَقُلِ أَوْزَارِهَا ، فَمِنْ ذَلِكَ لَبَسُ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ الَّذِي لَمْ يَلْبَسْهُ إِلَّا مَنْ عَدِمَ عِنْدَ اللَّهِ خَلَاقًا ؛ وَإِنْ قِيلَ إِنَّهُ شِعَارٌ لِلْفَنَى فَلَمْ يَزِدْ صَاحِبُهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ إِلَّا إِمْلَاقًا ، وَلِلْبُؤْسِ عِبَادَةٌ مَعَ التَّقْوَى أَحْسَنُ فِي الْعْيُونِ شِعَارًا ، وَأَعْظَمُ فِي الصُّدُورِ وَقَارًا .

« وَيَلْتَحِقُ بِهَذِهِ الْمَعْصِيَةِ صَوْغُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ آتِيَةً يَمْنَعُ مِنْهَا حَقَّ الصَّدَقَاتِ ، وَهُوَ حَقٌّ بِقَاتِلِ مَانِعِهِ ، وَيُعْصَى فِي اسْتِعْمَالِهَا أَمْرُ اللَّهِ وَهُوَ حَدُّهُ مِنْ حُدُودِهِ يِعَاقِبُ عَاصِيَهُ ، وَيَثَابُ طَائِعُهُ .

« وَكَذَلِكَ يَجْرَى الْحُكْمُ فِي الصُّورِ الْمَرْقُومَةِ فِي الْبُيُوتِ وَالْثِّيَابِ ، وَعَلَى السُّتُورِ الْمَعْلُوقَةِ عَلَى الْأَبْوَابِ ، وَإِخْرَاجِهَا فِي ضُرُوبِ أَشْكَالِ الْحَيَوَانِ ، لِلْمَلَاعِبَةِ الصَّبِيَّانِ ، وَذَلِكَ مِمَّا لَلَّخَقَ اللَّهُ فِي التَّقْدِيرِ ، وَلِهَذَا يُؤْمَرُ صَانِعُهُ بِنَفْخِ الرُّوحِ فِيمَا صَوَّرَهُ مِنَ التَّصْوِيرِ .

« وَمِمَّا يُغَافَلُ نَكِيرُهُ إِطَالَةُ الذُّبُولِ لِالْاجْتِرَارِ ، وَالْمُبَاهَاةُ لِمَا فِيهَا مِنْ عُنْجَبِيَّةِ الثَّنِيَّةِ وَالِاسْتِكْبَارِ ، وَلَنْ يَخْرِقَ صَاحِبُهَا الْأَرْضَ بِإِعْجَابِهِ ، وَلَا يَبْلُغَ طَوْلَ

(١) سورة النساء : الآية ٨٢ .

الجبّال بإطالة ثيابه^(١) . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينظر يوم القيامة إلى من جرّ ثوبه خيلاً » .

« ومما هو أشدّ نكيراً أمرُ الحمامات ، فإنّ الناس قد أصرُّوا بها على الاجهار وتركِ الاستتار ، والتهاونُ بأمرِ العورات التي لصاحبها اللعنة وله سوء الدار .

« والنساء في هذا المقام أشدّ تهالكاً من الرجال ، وقد ابتذلن أنفسهنّ حتى أفرطن في فاحشة الابتذال ، ولهنّ محدثاتٌ من المنكر أحدثها كثرة الإرفاء والإتراف ، وأهمل إنكارها حتى سرّت في الأوساط والأطراف ، وقد أحدثن الآن من الملابس ما لم يخطر للشيطان في حساب . وتلك من لباس الشهرة الذي لا يستترُّ منه إسبالُ مرطٍ^(٢) ولا إذناء جلباب .

« ومن جملتها أنهنّ يفتصّين عصائب كأمثال الأسنمة ، ويخرجن من جهارة أشكالها في الصور الملعنة ، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فيما ورد عنه من الأخبار ، وجعل صاحبها مدوداً من زُمرَةِ أصحاب النار .

« ومما حيد فيه عن السنن قراءة القرآن بضروب الألحان ، وتلك قراءةٌ تخرج حروفها من غير خرج ، وتبدؤا معوجةً وهو قرآنٌ عربيٌّ غير ذى عوج ، وقد أمر الله بترتيله ، وإبراده على هيئة تنزيله ، فمن قرأه بالترجيع والترديد ، وزلزل حروفه بالتعطيط والتديد ، فقد ألحقه بدرجات الأغاني ، وذهب بما فيه من طلاوة الألفاظ والمعاني .

(١) مأخوذ من قول الله تعالى : ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا « سورة الإسراء : الآية ٣٧ .

(٢) المرط : بالكسر كساء من صوف أو خز وجمعه مروط .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإيّاكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتائب وسيجيءُ بعمى قومٌ يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنّوح لا يجاوزُ حناجرهم مفتونةٌ قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » .

« ويلتحقُ بذلك افتناء القيناتِ المغنّيات اللاتي يلعبنَ بالعتول لهنَّ بالأسماع ويُسْغِنِ الشيطانَ بغنائهنَّ عن بُث الجنود والأشباع ، وفتيا النفس الأمارَةِ في ذلك أن تقول : هؤلاء إمّا يحلُّ نعمةُ سماعِهنَّ كما يحلُّ ما تحت قناعتِهنَّ ، وقد علم أن لكلِّ شيءٍ تماماً ، وقد ينقلبُ الحلالُ فيصيرُ حراماً . ومنَ حامٍ حولَ الحى يوشِكُ أن يقع فيه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تبمعوا القيناتِ المغنّياتِ ، ولا تشتروهنَّ ، ولا تملّوهنَّ ، ولا خيرَ في تجارةٍ فيهنَّ ، وثمنهنَّ حرامٌ » . وفي مثل هذا أنزلتُ : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) ^(١) .

وكذلك يجرى الحكمُ في الموائِط اللاتي يجملان الحسن موفوراً ، والقبح مستوراً ، ويخدعن نظر الناظر حتى يجعلنهُ مسحوراً ، فهنَّ يبدن صدقاً من كذبٍ وجداً من لعب ، وفعلهنَّ هذا من الفسّ الذي نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنه ، وقال ، إنّه ليس منه ^(٢) ، وقد لعن الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة ، والواشرة والمستوشرة ^(٣) .

(١) سورة لقمان : الآية ٦

(٢) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم « من غشنا فليس منا » أو من غش أمتي فليس مني » .

(٣) الواصلة التي تصل شعرها بشعر غيرها ، والواشرة التي تحدد أسنانها ، والواشمة التي تشم يدها أو غير ذلك من أعضائها ، والمستفعل من كل هذه الأشياء من يطلبها .

« ومن غش المنكرات أيضاً خضابُ الشَّيبِ الذي يخالفُ فيه الظاهر الباطن ، ويتخلَّق صاحبة بخلقِ الكاذبِ الخائن ؛ وهَبْ أنه أخفى لون شعره وهل يخفى أخلاق لباسه . وإذا استسنَّ ملائمُ المرء . فلا يغنيه سواد عارضه ، ولا سوادُ رأسه ، وقد جعل الله الشَّيبَ من نعمه المبشِّرة بطول الأعمار ، وسمَّاه نوراً للوَّنه وهدايته ولا تستوى الظلمات والأَنْوار ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : [« قَوْمٌ يَخْضُبُونَ بِالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ ، لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » . والأولى بصاحب ^(١)] الشَّيبُ أن يشتغل بتغيير صِيفَةِ الْكِتَابِ ^(٢) ويدُ أَبَ في محو سواد العقاب بديباض الثواب ، ففي بقية عمره مندوحةٌ لادخار ما يحمدهُ ذُخْرُهُ ، وتبديل ما تقدَّم سطرُهُ .

« ومما خولفت فيه السُّنَّةُ عقدُ مجالس التعازي لحضور الناس ، وإظهار شعارِ الأَسْوَدِ والأَزْرَقِ مِنَ اللَّبَاسِ ، والتَّشْبِيهِ ^(٣) بالجاهلية في النُّوحِ والندب ، ومجاورة دمع العين وخشوع القلب إلى الإعلان بإسقاطِ الرَّبِّ ، وقد تواطأ النساء على ضرب الخيام على القبور ، وجعل الأعياد مواسمَ لاجتماع الزائر والمزور ، فصارت المآتم بينهم ولائم والمنادبُ عندهم مآدب ، وربما نشأ من ذلك ما يفضُّ طرفاً ، ويجدعُ أنفًا ، ويوجبُ حدًّا وقذفًا ، وهكذا أهمل أمر الإسلام في تشبُّه أهل الذمَّة بأهله ، وما كانوا يُشابهوه في زِيَّ غرته ومخالفوه

(١) سقط هذا الحديث من أصول الكتاب وجميع طبعاته . وقد أكملنا الحديث الشريف ، ونقلنا الكلمتين الواردتين بعده من رسائل ابن الأثير (١٤٧) التي حررها وحققها الأستاذ أنيس المقدسي - بيروت ١٩٥٩ م .
(٢) أي محو ما كتب عليه من ذنوب بالتوبة والعمل الصالح .
(٣) في الأصل « التشبيه » وهو تحريف ، والصواب عن رسائل ابن الأثير .

فى سلوك سُبُهله ، ولا بدّ من الفيار بأن يشدّ النصرانى عُقْدَة زَنّاره ، وَيُصَفِّرَ اليهودى أعلّى إزاره .

« وَلِيَمْنَعُوا مِنَ التّظَاهِرِ ^(١) بِطُغْيَانِ النِّعْمَةِ وَعُلُوِّ الْهَمَةِ ، وَيُؤْمَرُوا بِالْوُقُوفِ عِنْدَ مَا حَكَمَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَأَخَذُوا فِيهِ بِالِاخْتِفَاءِ وَالْاِكْتِنَامِ ، نَحْمُورَهُمْ تُسْتَرُّ ، وَشَعَائِرُ دِينِهِمْ لَا تَظْهَرُ ، وَمَوْتَانِهِمْ تَقْبَرُ بِالْخُمُولِ قَبْلَ أَنْ تَقْبَرُ ، فَلَا يُوْقَدُ خَلْفَ مِيْتَتِهِمْ مَصْبَاحٌ ، وَلَا يَتَّبَعُ بِنْدَبٍ وَلَا صِيَاحٌ .

» وَمَا عَرَفَ النَّاسُ مُنْكَرَهُ إِثَارَةَ التَّحْرِيشِ بَيْنَ الْحَيَوَانَاتِ ، وَهِيَ ذَوَاتُ أَكْبَادٍ رَطْبَةٍ ، وَأَخْلَاقٍ صَعْبَةٍ ، وَمَا مِنْهَا إِلَّا مَا يَحِلُّ أَكْلُهُ ، وَلَا يَحِلُّ قَتْلُهُ ، كَالْكَبْشِ ، وَالْحِجَلَةِ ، وَالْدِيكِ ، وَالشَّامَانِ ، وَمَا أَشْبَهَهَا ، وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ مِنْ اقْتِنَائِهَا ، وَالْمَوَاطِبَةِ عَلَى إِضْرَامِ شَحْنَائِهَا ، وَرَبَّمَا نَشَأَ مِنْ ذَلِكَ فَتْنَةٌ تَمُوتُ إِلَى ضِرَابٍ ، وَشَقٌّ ثِيَابٍ ، وَإِحْدَاثِ شَجَاجٍ ، وَإِثَارَةِ عَجَاجٍ ، وَتَحَرُّبٍ إِلَى أَحْزَابٍ كَثِيرَةٍ وَأَفْوَاجٍ .

» وَيَتَّصِلُ بِهِذِهِ الْمُنْكَرَاتِ الْمَذْكُورَةِ أَشْيَاءُ أُخْرَى تَجْرَى مَجْرَاهَا فِي التَّقْدِيمِ ، وَتَنْزَلُ مِنْزِلَتَهَا فِي التَّحْرِيمِ ، فَاحْكَمْ فِيهَا بِحُكْمِكَ ، وَامْضُ فِي شِبْهَاتِهَا بِدَلِيلِ عِلْمِكَ ، وَنَبْ عَنَّا فِي التَّنْذِيرِ وَالتَّحْذِيرِ وَالتَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ ، حَتَّى يَتَقَوَّمَ الْأَوْدُ ، وَيَتَضَحَّ الرُّشْدُ ، وَيَمْكُثَ فِي الْأَرْضِ مَا يَنْفَعُ وَيُذْهَبُ الزَّيْبُ ، وَلِيَكُنْ عَمَلُكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْمَعُ وَيَرَى ، وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى .

» وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ عِبَادَةٌ يَتَعَدَّى نَفْعَ صَاحِبِهَا إِلَى غَيْرِهِ ، وَتَسْتَضِيفُ خَيْرَ الْمَأْمُورِ بِهَا إِلَى خَيْرِهِ ، وَهِيَ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ الَّذِي تَقَانُلُ فِيهِ عَوَاصِي النُّفُوسِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ « الظَّاهِر » وَهُوَ تَحْرِيفٌ :

وتضربُ فيه رُءوس الشَّهوات التي هي أَمْنَع من معاقِد الرُّءوس ، فقتيله يحيا ،
بقنله ، وجريحه يؤسَى بِجراحة نصله . وبمثل هذا الجهاد تُسْتَنْزَل أمداد النِّعم
مضغمة ، كما تستنزل أمداد النصر مردفة ، فأقدم عليه ذا عزمٍ باتر ، وطرفٍ
ساهر ، وقدمٍ ثابتٍ صابر ، حتى تظلَّ لمعاقل الشَّيطان فاتحاً ، وتكونَ فيمن
دعا إلى الله وعمل صالحاً .

« واعلم أنك في صَدِيحَةٍ كُلِّ يومٍ يبتدرُكُ المَلَكُ والشَّيطانُ ، وكلُّ منهما
يقول : يا أيها الإنسان ، فإنَّ أَجَبْتَ نداء المَلَكِ كتبكَ في زُمرةٍ من مَهْدِ لُجْنِهِ ،
وخاف مقام ربه ، وعُرِّجَ بِعَمَلِكَ ^(١) إلى الله طيِّباً نَشْرَهُ ، مضاعفاً أَجْرَهُ ، وإنَّ
أَجَبْتَ نداء الشَّيطانِ كتبكَ في زُمرةٍ مَن أَغْوَاهُ ، وقرنكَ بمن أَغفلَ اللهُ قلبه
واتَّعَ هواه ، ثمَّ نزل به إلى الأرض خبيثاً مخبئاً ، وأقبل به على إِخوانه من
الشَّياطين محدثاً .

« وهذا آخر ماعِهدناه إِلَيْكَ من العهد الذي طَوَّقْتَ اليومَ بكتابِهِ ،
وستناقش غداً على حسابِهِ ، وكما جعلناه لك في الدنيا ذِكْراً فَاجْعَلْهُ لك في الآخرة
ذِخْراً ، إن شاء الله تعالى ، والسلام » .

وهذا الذي ذكرته في هذين من الكتاب والتقليد يتضمَّن إطناباً ، مستوفى
الأقسام ، ولولا خوف الإطالة التي لا حاجةَ إليها لأُورِدَتْ قصائدٌ من الشُّعر
أيضاً ، حتى لا يخلو الموضوع من ضَرْبِ أُمثلةٍ من المنظوم والمشور ، ولكن
في الذي ذكرته كفاية لمن يحمله على أشباهه ونظائره .

(١) في الأصل « وعرج بك » ورواية رسائل ابن الأثير (١٤٨)
أنسب ، ولذلك آثرناها .

فإن قيل : إنَّ الأطناب في الكلام قد وضعتموه إسمًا على غير مسمًى ،
فإنَّ الكلام لا يخلو من حالين : إما أن لا يزيدَ لفظه على معناه ، وهو (الإيجاز)
أو يزيدَ لفظه على معناه ، وهو (التطويل) ، وليس هاهنا قسمٌ ثالثٌ ، فما
الإطنابُ إذاً . . ؟

قلت في الجواب : إعلم أنَّ (الإيجاز) هو ضدُّ (التطويل) ، كما أنَّ
السَّوادَ ضدُّ البياض ، غير أن بين الضدين مراتب ومنازلَ ليست أضداداً ،
فالإطنابُ لا إيجازٌ هو ولا تطويلٌ ، كما أن الحمرةَ أو الخضرةَ ليست بياضاً
ولا سواداً .

وقد قدمنا القولَ أنَّ الإطنابَ يأتي في الكلام مؤكداً كالذي يأتي بزيادةِ
التصوير للمعنى المقصود ، إما حقيقةً وإما مجازاً ، والتطويل ليس كذلك فإنه
التعبير عن المعنى بلفظ زائدٍ عليه ، يفهم ذلك المعنى بدونِهِ . فإذا حُذفتْ تلك
الزيادةُ بقي المعنى المعبر عنه على حاله ، لم يتغيَّر منه شيء .

وهذا بخلاف الإطناب ، فإنه إذا حُذفتْ منه تلك الزيادةُ المؤكدة للمعنى
تغيَّر ذلك المعنى ، وزال ذلك التأكيدهُ عنه ، وذهبتْ فائدةُ التصوير والتخييل
التي تفيدُ السامعَ ما لم يكن إلاَّ بها .

ألا ترى إلى قوله تعالى (فإنَّها لا تَعْمَى الأبصارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القلوبُ
التي في الصدُور) وهذا لا يسمَّى إيجازاً ، لأنه أتى فيه بزيادةٍ لفظٍ ، وهو ذكر
الصدور ، وقد عِلِمَ أنَّ القلوبَ لا تكون إلا في الصدور ، ولا يسمَّى تطويلاً ،
لأنَّ التطويلَ لا فائدةَ فيه أصلاً ، وهذا فيه فائدةٌ ، وهي ما أشرنا إليه وكذلك
بأقْسامِ الإطناب التي نبيها عليها ، وهذا لانزاع فيه .

المثل السائر

في أدب الكاتب والشاعر
لضياء الدين بن الأشير

قدمه وعلق عليه

دكتور أحمد الجوفى و دكتور بدوى طبانة

القسم الثالث

النوع السابع عشر

في التكرار

قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف ،
ومما [أشبه] ذلك مما يختلط بهذا النوع القبي هو « تكرير المعاني
والألفاظ » .

واعلم أن هذا النوع من مقاتل علم البيان ، وهو دقيق المأخذ .

وحده هو : دالة اللفظ على المعنى مرددا ، وربما اشتبه على أكثر الناس
بالإطناب مرة وبالتطويل أخرى . وقد تقدم الكلام على الفرق بين هذه
الأنواع الثلاثة في باب الإطناب ^(١) فلا حاجة إلى إعادته هاهنا .

وأما التكرير فقد عرفت كنهه ، وهو ينقسم قسمين :

أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى

والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ . فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى
فكقولك لمن تستدعيه « أنيرع أنيرع » ومنه قول أبي الطيب المتنبي ^(٢) :

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جِبْرَائِيلَ وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مُقَامٌ

وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك : « أظنني ولا تمنيني » .
فإن الأمر بالطاعة نفى عن الممنوعة .

(١) أنظر صفحة ٣٥٧ من القسم الثاني من هذه الطبعة .

(٢) ديوان المتنبي ٧٩/٤ من قصيدته في مدح الميث بن علي العجلي ، ومطلعها :

فؤاد ما تسليه الدمام وعمر مثل ما تهب اللثام

وكل من هذين التسمين ينقسم إلى مفيد ، وغير مفيد :

ولا أغني بالمفيد ها هنا ما يمتنيه النحاة ، فإنه عندهم عبارة عن اللفظ المركب ، إتمام الاسم مع الاسم ، بشرط أن يكون للأول بالثاني علاقة معنوية يسع مكلفاً جملة ، وإما من الاسم مع الفعل التام للتصرف على الشرط أيضاً ، وإما من حرف النداء مع الاسم ، فهذا هو المفيد عند النحاة .

وأما لم أقصد ذلك ها هنا ، بل مقصودي من المفيد أن يأتي لعنى ، وغير المفيد أن يأتي لغير معنى .

واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيذاً له وتشييداً من أمره . وإما يُنقل ذلك للدلالة على العناية بالشئ الذى كررت فيه كلامك ؛ إما مبالغة في مدحه ، أو في ذمه أو غير ذلك ، ولا يأتي إلا في أحد طرفي الشئ المقصود الذكر ، والوسط عارٍ منه ، لأن أحد الطرفين هو المقصود بالمبالغة ، إما بمدح أو ذم أو غيرها ، والوسط ليس من شرط المبالغة ، وغير المفيد لا يأتي في الكلام إلا عياً وخطلاً من غير حاجة إليه .

[التكرير في اللفظ والمعنى]

أما الأول ، وهو الذى يوجد في اللفظ والمعنى ، فإنه ينقسم إلى ضربين : مفيد ، وغير مفيد .

فالأول المفيد ، وهو فرعان :

الأول : إذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والقصود به

عرضه مختلفاه :

كقوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَبْعَثُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنهَآ لَكُمْ ،
وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةَ تَكُونُ لَكُمْ ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ
الْحَقَّ بِحِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ، لِحَقِّ الْحَقِّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ
وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ^(١) ﴾

هذا تكرير في اللفظ والمعنى ، وهو قوله « يحق الحق » وليحق الحق » .
وإما جيء به هنا لاختلاف المراد ، وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين ،
والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها ، وأنه ما نصرهم
وخذل أولئك إلا لهذا الغرض .

ومن هذا الباب قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ • قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ • قُلْ
اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي • فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ^(٢) ﴾ .

فكرر قوله تعالى : « قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ »
وقوله « قُلْ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي » والمراد به فرضان مختلفان ، وذلك أن

(١) سورة الأنفال : الآيات ٨٥ و ٨٦ .

(٢) سورة الزمر : الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

الأول إخبار بأنه مأثور من جهة الله بالعبادة له والإخلاص في دينه ، والثاني إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته ، مخلصاً له دينه ، ولدلائله على ذلك قدّم المعبود على فعل العبادة في الثاني ، وأخّره في الأول ، لأن الكلام أولاً واقع في الفعل نفسه وإيجاده ، وثانياً فيمن يفعل الفعل من أجله ، ولذلك رتب عليه « فاعبدوا ما شئتم من دونه » .
وعليه ورد قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ آمَنُوا بِذُكْرِهِمْ حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (١) .

وظاهر الأول والثاني أنهما سواء في المعنى ، وليس كذلك ، لأن الثاني فيه تخصيص غير موجود في الأول ، ألا ترى أننا إذا قلنا « زيدٌ الأفضل » وقلنا « الأفضل زيدٌ » كان في الثاني تخصيص له بالأفضل ، وهذا التخصيص لا يوجد في القول الأول الذي هو « زيدٌ الأفضل » ويجوز أن تبدل صفة الفضل فيه بغيرها أو بضدها ، فيقال « زيد الأنجل » أو « زيد الأقمص » وإذا قلنا « الأفضل زيدٌ » وجب تخصيصه بالنفس ، ولم يكن تفيير عنه .

وكذلك يجزى الحكم في هذه الآيات ، فإن الله تعالى قال : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » ثم قال : « لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ » « فوصفهم بالامتناع عن الذهاب إلا بإذنه ، وهذه صفة يجوز أن تبدل بغيرها

من الصفات . كما قال تعالى في موضع آخر ﴿ إِنَّا لِلْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ نُمِّمٌ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ (١) .

فجاء بصفة غير تلك الصفة . ولما قال : « إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله » وجب تخصيصهم بذلك الوصف دون غيره ، وهذا موضع حسن في تكرير المعاني .

ومما يعُدُّ من هذا الباب قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٢) .

وقد ظن قوم أن هذه الآية تكريرٌ لا فائدة فيه ، وليس الأمر كذلك ، فإن معنى قوله « لا أعبد » يعنى في المستقبل من عبادة آلِهَتِكُمْ ، ولا أنتم تاعبدون فيه ما أطلبه منكم من عبادة إلهي ، « ولا أنا عابدٌ ما عبدتم » . أى : وما كنتُ عابداً قدماً فيما سلف ما عبدتم ، يعنى أنه لم يُعبد وُجْهٌ عبادة صنم في الجاهلية في وقت ما ، فكيف يُرجى ذلك منى في الإسلام ؟ « ولا أنتم عابدون » في الماضي في وقت ما أنا على عبادته الآن .

ومما يجزى هذا الجزى قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٣) .

(١) سورة الحجرات : الآية ١٥ .

(٢) سورة الكافرون .

(٣) سورة فاتحة الكتاب : الآيات ١ و ٢ و ٣ .

فَكَرَّرَ «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» مَرَّتَيْنِ ، وَفَعَّلَهُ فِي ذَلِكَ أَنْ الْأَوَّلَ يَتِمُّقُ
بِأَمْرِ الدُّنْيَا ، وَالثَّانِي بِأَمْرِ الْآخِرَةِ .

فَمَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الدُّنْيَا يَرْجِعْ إِلَى خَلْقِ الْعَالَمِينَ فِي كَوْنِهِ خَلَقَ كُلًّا مِنْهُمْ
هَلْ أَكْمَلَ صِفَةً ، وَأَعْطَاهُ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ حَتَّى الْبَقَّةُ وَالذَّبابُ . وَقَدْ يَرْجِعُ
إِلَى غَيْرِ الْخَلْقِ كَالذَّرَارِ الْأُرْزَاقِ وَغَيْرِهَا .

وَأَمَّا مَا يَمْتَلِكُنَّ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ فَمِنْهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الرَّحْمَةِ الثَّانِيَةِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
 تَذِي ذُو يَوْمِ الدِّينِ .

وبالجملة فاعلم أنه ليس في القرآن مكرراً لا فائدة في تكرره ،
فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر فأنتظر نظرك فيه فأنتظر إلى سوابقه
وتوابعه ، لتكشف لك الفائدة منه .

وَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَكَرَّرًا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ • إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝١١﴾ .

فَكَرَّرَ قَوْلَهُ : « فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا^(٢) » ، إِذْ كُنْهَ عِنْدَهُمْ ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ
فِي نَفْسِهِمْ ، مَعَ تَطْلِيقِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِإِلَهِ ، فَجَعَلَ عِلَّةَ الْأَوَّلِ كَوْنَهُ أَمِينًا
فِيهَا بَيْنَهُمْ ، وَجَعَلَ عِلَّةَ الثَّانِي حَسْمَ طَعَمِهِ فِيهِمْ ، وَخُلُوهُ مِنَ الْأَغْرَاضِ
فَمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ .

(١) سورة الشعراء : الآيات ١٠٥ — ١١٠ .

(٢) زيادة عن الأصل يقتضيها السياق .

ومن هذا الحق قوله تعالى : ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۖ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ۚ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا كَذِبَ الرُّسُلِ فَحَقَّ عِقَابٌ ^(١) ﴾

وإنما كرر تكذيبهم هاهنا لأنه لم يأت على أسلوب واحد ، بل تنوع فيه بضروب من الصنعة ، فذكره أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإيهام ، ثم جاء بالجنلة الاستثنائية ، فأوضحه بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل ، لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعهم . وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إيهامه ، والتنوع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً ، وبالاستثنائية ثانياً ، وما في الاستثناء من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص للبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه .

وهذا باب من تكرير اللفظ والمعنى حسن غامض ، وبه تعرف مواقع التكرير ، والفرق بينه وبين غيره ، فافهمه إن شاء الله تعالى .

الفرع الثاني من الضرب الأول ^(٢) :

إذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد ، والمزاد به غرض واحد ، كقوله تعالى : ﴿ قَتَلَ كَيْفَ قَدَرَهُ ۚ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَرَهُ ^(٣) ﴾ .

والتكرير دلالة للتعجب من تقديره ، وإصابته الفرض ، وهذا كما يقال : « قَتَلَهُ اللهُ مَا أَشْجَمَهُ ! أَوْ مَا أَشْعَرَهُ ! » .

(١) سورة ص : الآيات ١٢ و ١٣ و ١٤ .

(٢) أى التكرير المفيد .

(٣) سورة المدثر : الآيات ١٩ و ٢٠ .

وعليه وَرَدَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

« أَلَا يَا اسْمَئِيلَی نُمُّ اسْمَئِيلَی نُمَّتْ اسْمَئِيلَی ^(١) »

وهذا مبالغة في الدعاء لها بالتسمية ، وكل هذا يُجَاهِدُ به لتقرير المعنى المراد لإثباته .

وعليه ورد الحديث النبوي ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

« إِنَّ بَنِي هِشَامٍ بِنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْزِلُونِي ابْنَتَهُمْ عَلِيًّا ،
فَلَا آذَنُ ، ثُمَّ لَا آذَنُ ، ثُمَّ لَا آذَنُ ، إِلَّا أَنْ يُطْلَقَ عَلَيَّ ابْنَتِي وَيُنْكَحَ
ابْنَتَهُمْ »

فقوله « لَا آذَنُ ثُمَّ لَا آذَنُ ، ثُمَّ لَا آذَنُ » من التكرير الذي هو أشدُّ
موقفاً من الإيجاز ، لأنَّ أبواب العناية إلى تأكيد القول في منع عليٍّ - رضي الله
عنه - من التزويج بابتنة أبي جهل بن هشام .

وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ أَوَّلَى لَكَ فَأُورَى ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأُورَى ^(٢) 》 .

ومن أجل ذلك نقول : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » لأنَّ قولنا
« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » مثل قولنا « وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » وهما في المعنى سواء ،
ولمَّا كَرَّرْنَا القول فيه لتقرير المعنى وإثباته ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُخَالِفُ
فِيهِ كَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ .

(١) صدر بيت وعجره * ثلاث تحيات وإن لم تكلمني * والبيت في ديوان الحماسة ٢/٣٧٧

والبيت ثلاث ثلاثة أبيات رواها أبو تمام ، ولم ينسبها لصاحبها ، والأبيات هي :

ولا غرو إلا ما يخبر سالم	بأن بني أشباهها نذرنا دى
ومالي من ذنب إليهم علمته	سوى أنني قد قلت يا سرحة اسمي
نعم فاسملي ثم اسملي ثم اسملي	ثلاث تحيات وإن لم تكلمني

(٢) سورة القيامة : الآيتان ٣٥ و ٣٤

والتسكير في مثل هذا المقام أبغض من الإيجاز ، وأحسن وأشد موقفاً

ومما جاء في مثل هذا قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتَنُيهُم مِّمَّا جَاءَ قَيْبُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَيَجْعَلُهُ كَيْفًا فَتَرى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ • وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ كُمُتَابِينَ ^(١) .

فَقَوْلُهُ : « مِنْ قَبْلِهِ » بِمَدِّ قَوْلِهِ : « مِنْ قَبْلِ » فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ عَهْدَهُمْ بِالْمَطَرِ قَدْ بَعُدَ وَتَطَاوَلَ ، فَاسْتَحْكَمَ بِأَسْمِهِمْ ، وَتَعَادَى إِلَيْهِمْ ^(٢) ، فَكَانَ الْاِسْتِبْشَارُ عَلَى قَدَرِ اغْتِمَامِهِمْ بِذَلِكَ .

وعلى ذلك ورد قوله تعالى : ﴿ فَأَنلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ﴾ (٣) .

فَقُولُهُ : « لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ » يَقُومُ مَقَامَ قَوْلِهِ « وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ » ، لِأَنَّ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لَا يَدِينُ دِينَ الْحَقِّ ، وَإِنَّمَا كَرَّرَ هَاهُنَا لِاخْتِطَابِ عَلَى الْأُمُورِ بَقَائِهِمْ ، وَالتَّسْجِيلِ عَلَيْهِمُ الْمَذْمُومَ ، وَرَجَّهَهُمُ بِالْعِظَائِمِ ، لِيَسْكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى لَوْجُوبِ قِتَالِهِمْ وَحَرَمِهِمْ .

وقد قلنا : إن التكرير إنما يأتي لما أُلهم من الأمر ، بصرف العناية إليه ليثبت ويترعرع .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا

(۱) سورة الروم : الآيتان ۴۸ و ۴۹

(٢) الإبلّاس اليأس ، يقال : أبلس إذا يئس .

(٣) سورة التوبة الآية ٢٩ .

تَرَابًا أَتَيْنَا لَكَ خَلْقَ جَدِيدٍ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ، وَأُولَئِكَ
الْأَغْلَالُ فِي أَعْقَابِهِمْ ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ^(١) ﴿

فتكبر لفظاً « أُولَئِكَ » من هذا الباب الذي أشرنا إليه ، لمكان
شدة النكير ، وإغلاظ العقاب بسبب إنكارهم البعث .

وعلى هذا ورد قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
هُمْ الْأَخْسَرُونَ ^(٢) ﴾ .

فإنه إنما تكررت لفظه « هُمْ » للإيدان بتحقيق الخسار ، والأصل فيها
وهم في الآخرة الأخسرون ، لكن لما أريد تأكيد ذلك جيء بتكرير
هذه اللفظة المشار إليها .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ^(٣) ﴾ .
وأمثال هذا في القرآن كثير .

وكذلك ورد قوله تعالى في سورة القصص :

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ
يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ ، أَنَا مُوسَى ابْنُكَ أَتَوَى مُبِينٌ • فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي
هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ^(٤) •

(١) سورة الرعد : الآية •

(٢) سورة النمل : الآية •

(٣) سورة الحشر : الآية ١٧

(٤) سورة القصص : الآيتان ١٨ و ١٩

فَقَوْلُهُ تَعَالَى « فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ » بِتَكْرِيرِ « أَنْ » مَرَّتَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مُؤْمِنِي - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَمْ تَكُنْ مُسَارَعَتُهُ إِلَى قَتْلِ الثَّانِي كَمَا كَانَتْ مُسَارَعَتُهُ إِلَى قَتْلِ الْأَوَّلِ ، بَلْ كَانَ عَنْهُ إِبْطَالٌ فِي بَسْطِ يَدِهِ إِلَيْهِ ، فَعَبَّرَ الْقُرْآنُ عَنْ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ » .

وَجَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنَ النَّحْوِيِّينَ مُقَاوَضَةٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، فَقَالَ : إِنْ (أَنْ) الْأُولَى زَائِدَةٌ ، وَلَوْ حُذِفَتْ فَقِيلَ : فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ ، لَكَانَ الْمَعْنَى سَوَاءً ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى « فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَاهُ عَلَى وَجْهِهِ » ^(١) . وَقَدْ اتَّفَقَ النُّحَاةُ عَلَى أَنَّ « أَنْ » الْوَارِدَةَ بَعْدَ « لَمَّا » وَقَبْلَ الْفِعْلِ زَائِدَةٌ .

فَقُلْتُ لَهُ : النَّحَاةُ لَا فِتْنًا لَهُمْ فِي مَوَاقِعِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، وَلَا عِنْدَهُمْ مَعْرِفَةٌ بِأَسْرَارِهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ نَحَاةٌ ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ وَجَدُوا « أَنْ » تَرِدُ بَعْدَ « لَمَّا » وَقَبْلَ الْفِعْلِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَفِي كَلَامِ فَصَحَاءِ الْعَرَبِ ، فَظَنُّوا أَنَّ الْمَعْنَى بِوُجُودِهَا كَالْمَعْنَى إِذَا أُسْقِطَتْ ، فَقَالُوا : هَذِهِ زَائِدَةٌ . وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، بَلْ إِذَا وَرَدَتْ « لَمَّا » وَوَرَدَ الْفِعْلُ بَعْدَهَا بِإِسْقَاطِ « أَنْ » دَلَّ ذَلِكَ عَلَى الْفَوْرِ ، وَإِذَا لَمْ تَنْقُطْ لَمْ يَدُلَّنَا ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ كَانَ عَلَى الْفَوْرِ ، وَإِنَّمَا كَانَ فِيهِ تَرَاخٍ وَإِبْطَالٌ .

وَبَيَانُ ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنِّي أَقُولُ : فَائِدَةُ وَضَحِ الْأَلْفَاظِ أَنْ تَكُونَ أَدَلَّةٌ عَلَى الْمَعْنَى ، فَإِذَا وَرَدَتْ لَفْظَةً مِنَ الْأَلْفَاظِ فِي كَلَامٍ مَشْهُودٍ لَهُ بِالْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، فَلَا أُولَى

أَنْ تُحْمَلَ تِلْكَ الْإِظْفَةُ عَلَى مَعْنَى ، فَإِنْ لَمْ يَوْجَدْ مَعْنَى بَعْدَ التَّنْقِيبِ وَالتَّنْقِيرِ
وَالْبَحْثِ الطَّوِيلِ قِيلَ : هَذِهِ زَائِدَةٌ ، دُخِلَتْ فِي السَّكَلَامِ كَرُوحِهَا مِنْهُ .

وَلَمَّا نَظَرْتُ أَنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَجَدْتُ لَفْظَةً « أَنْ » الْوَارِدَةَ بَعْدَ « لَمَّا »
وَقَبْلَ الْفِعْلِ دَالَّةً عَلَى مَعْنَى ، وَإِذَا كَانَتْ دَالَّةً عَلَى مَعْنَى فَكَيْفَ يَدْخُلُ
أَنْ يُقَالُ إِنَّهَا زَائِدَةٌ ؟ .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّهَا إِذَا كَانَتْ دَالَّةً عَلَى مَعْنَى فَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ دَالَّةً عَلَى
غَيْرِ مَا أَشْرَتْ أَنْتَ إِلَيْهِ .

قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : إِذَا ثَبَتَ أَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى مَعْنَى فَالَّذِي أَشْرَتْ إِلَيْهِ مَعْنَى
مُنَاسِبٌ وَاقِعٌ فِي مَوْقِعِهِ ، وَإِذَا كَانَ مُنَاسِبًا وَاقِعًا فِي مَوْقِعِهِ فَقَدْ حَصَلَ الْمُرَادُ مِنْهُ ،
وَدَلَّ الدَّلِيلُ حِينَئِذٍ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِزَائِدَةٍ .

الْوَجْهُ الْآخَرُ : أَنَّ هَذِهِ الْإِظْفَةَ لَوْ كَانَتْ زَائِدَةً لَكَانَ ذَلِكَ قَدْ خَافِيَ كَلَامَ
اللَّهِ تَعَالَى ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَكُونُ قَدْ نَطَقَ بِزِيَادَةٍ فِي كَلَامِهِ لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا ، وَالْمَعْنَى
يَتِمُّ بِدُونِهَا ، وَحِينَئِذٍ لَا يَكُونُ كَلَامُهُ مُنْجِزًا ، إِذْ مِنْ شَرَطِ الْإِعْجَازِ عَدَمُ
التَّطَوُّيلِ الَّذِي لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ التَّطَوُّيلُ عَيْبٌ فِي السَّكَلَامِ ، فَكَيْفَ
يَكُونُ مَا هُوَ عَيْبٌ فِي السَّكَلَامِ مِنْ بَابِ الْإِعْجَازِ ؟ هَذَا مُحَالٌ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ » فَإِنَّهُ إِذَا نَظَرَ
فِي قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ إِخْوَتِهِ مِنْذُ الْقُوَّةِ فِي الْعُجْبِ إِلَى أَنْ جَاءَ
الْبَشِيرُ إِلَى أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجِدَّ أَنَّهُ كَانَ نائمًا مُبْطَلًا بِعِيدٍ ، وَقَدْ اخْتَلَبَ الْمَفْسَّرُونَ
فِي طَوَّلِ تِلْكَ الْمُدَّةِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ نائمًا بِمُدَّةٍ بَعِيدَةٍ وَأَمَدٌ مُتَطَاوِلَةٌ لَمَا جِئْتُ بِأَنْ بَعْدَ
« لَمَّا » وَقَبْلَ الْفِعْلِ ، بَلْ كَانَتْ تَسْكُونُ الْآيَةَ : فَلَمَّا جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ .

وهذه دقائق ورموز لا تؤخذ من النحاة ، لأنها ليست من شأنهم .

واعلم أن من هذا النوع قسمان يكون المعنى فيه مضافاً إلى نفسه مع اختلاف اللفظ ، وذلك يأتي في الألفاظ المترادفة .

وقد ورد في القرآن الكريم واستعمل في فصيح الكلام ، فمنه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ ﴾ ^(١) والرجز هو العذاب .

وعليه ورد قول أبي تمام ^(٢)

مَوْضُوعٌ يَثْقُلُ الْعِيبُ مُضْطَلَعٌ بِهِ وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْخَطُوبُ وَجَلَتْ
وَالثَّقَلُ هُوَ الْعِيبُ ، وَالْعِيبُ هُوَ الثَّقَلُ .

وكذلك ورد قول البحتري ^(٣) .

وَيَوْمَ تَمَثَّلْتَ لَأَوْدَاعٍ وَسَلَّمْتَ بَعَيْنَيْنِ مَوْضُوعًا بِلَعِظِمَا السَّخَرِ
تَوَهَّنْتُمَا أَلْوَى رَأَجَفَانِهَا الْكَرَى

كَرَى النَّوْمِ أَوْ مَاتَ بِأَعْطَافِهَا الْخَمَرُ

فإن الكرَى هو النوم .

(١) سورة سبأ : الآية ٥٠ .

(٢) ديوان أبي تمام . من قصيدة له يمدح فيها حبيش بن العاق ، ومطلعها .

نسائلها أي المواطن حلت وأي بلاد أوطنتها وأيت

(٣) ديوان البحتري ١/ ٥٤ من قصيدة له في مدح المتوكل مطلعها :

مَنْ لَاحَ بَرَقَ أَوْبَدًا طَلَلْ قَفَرٌ جَرَى مَسْتَهْلٌ لَا بَكْمَى وَلَا نَزَرُ

ورُبَّمَا أَشْكَلَ هَذَا الْمَوْضِعُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَتَاعِلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، وَظَنُّوهُ
تَمَّالاً فَائِدةً فِيهِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلِ الْفَائِدةُ فِيهِ هِيَ التَّأْكِيدُ لِلْعَنَى الْمَقْصُودِ
وَالْمِجَالَفَةُ فِيهِ .

أَمَّا الْآيَةُ فَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ » أَيْ : عَذَابٌ مُضَاعَفٌ
مِنْ عَذَابٍ . وَأَمَّا بَيْتُ أَبِي تَمَّامٍ فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ الْمِجَالَفَةَ فِي وَصْفِ الْمَدْحِ
نَحْمَهُ لِلْأَنْقَالِ .

وَأَمَّا بَيْتُ الْبَحْتَرِيِّ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَشَبِّهَ طَرَفَهَا لِفُتُورِهِ بِالنَّائِمِ ، فَكَرَّرَ
الْعَنَى عَلَى طَرِيقِ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ تَأْكِيداً لَهُ ، وَزِيَادَةً فِي بَيَانِهِ .

وَهَذَا الْمَوْضِعُ لَمْ يُذَيِّعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَايَ .

وَلَرُبَّمَا أُدْخِلَ فِي التَّكْرِيرِ مِنْ هَذَا النُّوعِ مَا لَيْسَ مِنْهُ وَهُوَ مَوْضِعٌ لَمْ يَذَيِّعْ
عَلَيْهِ أَيْضاً أَحَدٌ سِوَايَ .

فَمَنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(١) فَلَمَّا تَكَرَّرَ
« إِنَّ رَبَّكَ » مَرَّتَيْنِ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ أَذِلُّ عَلَى الْمُنْفَرَةِ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا
ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢)

وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ

(١) سورة النحل : الآية ١١٩ .

(٢) سورة النحل : الآية ١١٠ .

أَنْ يُحَمِّدُوا بِمَا لَمْ يُفَعِّلُوا فَلَا تُحْسِبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ^(١) .

وهذه الآيات يُظَنُّ أنَّها من باب التَّكْرِيرِ ، وليست كذلك .

وقد أُنْعِمْتُ نَظْرِي فيها فرأيتها خارجة عن حُكْمِ التَّكْرِيرِ ، وذلك أنه أَطَالَ الْفَصْلَ من الكلامِ ، وكان أَوَّلُهُ يَنْتَقِرُ إلى تمامِ إِنْ يَقْتَضِيهِ إِلَّا بِهِ ، فالأَوَّلَى في بابِ الْفَصَاحَةِ أَنْ يُعَادَ لَفْظُ الْأَوَّلِ مرَّةً ثَانِيَةً ، ليكونَ مُقَارِنًا لِتَمَامِ الْفَصْلِ ، كُنِيَ لَا يَجِيءُ ، الكلامُ مَنْشُورًا لَا سِيَّمَا فِي « إِنْ وَأَخَوَاتِهَا » .

فَإِذَا وَرَدَتْ « إِنْ » وكانَ بَيْنَ اسْمِهَا وَخَبَرِهَا فَسْخَعَةٌ طَوِيلَةٌ من الكلامِ . فإِعَادَةُ « إِنْ » أَحْسَنُ في حُكْمِ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ ، كَالَّذِي تَقْدَمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ .

وعليه وَرَدَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ مِنْ شُعْرَاهُ الْحَمَاسَةِ ^(٢) .

أَسْجِنًا وَقِيدًا وَاشْتِيَاكًا وَغُرْبَةً وَنَائِي حَبِيبٍ إِنْ ذَا أَعْظِيمُ
وَإِنْ أَمْرًا دَامَتْ مَوَائِقُ عَمْدِهِ عَلَى مِثْلِ ذَذَا إِيَّاهُ لَكَرْيَمِ ^(٣)
فَإِنَّهُ لَمَّا طَالَ الْكَلَامُ بَيْنَ اسْمِ « إِنْ » وَخَبَرِهَا أُعِيدَتْ « إِنْ » مرَّةً ثَانِيَةً ،
لأنَّ تَقْدِيرَ الْكَلَامِ : وَإِنْ أَمْرًا دَامَتْ مَوَائِقُ عَمْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْكَرِيمِ ،

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٨ .

(٢) ديوان الحماسة ١٠٥/٢ ولم ينسبهما أبو تمام .

(٣) رواية البيت الثاني في ديوان الحماسة :

وَإِنْ أَمْرًا دَامَتْ مَوَائِقُ عَمْدِهِ عَلَى مِثْلِ مَا قَاسَمْتَهُ لَكَرْيَمِ
وعلى هذه الرواية لا يكون البيت موضعاً للاستشهاد ، لأنه لا تكرار فيه .

(م — ٢ النثر السائر)

لكن بين الاسم الخبر مدى طويل ، فإذا لم تُمدَّ « إن » مرة ثانية لم يأت على الكلام سجة ولا روثق .

وهذا لا يتنبه لاستعماله إلا الفصحاء إما طبعاً وإما علماً .

وكذلك يجري الأمر إذا كان خير « إن » عاملاً في معمولٍ يطولُ ذكرُهُ ، فإن إعادة الخبر ثانية هو الأحسن .

وعلى هذا جاء قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ حَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ^(١) 》 .

فلما قال : « إِنِّي رَأَيْتُ » ثم طال الفصل كان الأحسن أن يُعيد لفظ الرؤية فيقول « رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ » .

وكذلك جاءت الآية المذكورة هاهنا مثل هذه وهي قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ^(٢) 》 فإنه لما طال الفصل أعاد قوله ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمُفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ 》 فاعلم ذلك وضع يدك عليه .

وكذلك الآية التي قبلها وهي قوله تعالى « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوءَ بِحِمْلِكُم ^(٣) 》 .

(١) سورة يوسف : الآية ٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٨ .

(٣) سورة النحل : الآية ١١٩ .

وَكَذَلِكَ الْآيَةُ الْأُخْرَى وَهِيَ : « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا » .

وَمِنْ بَابِ التَّسْكِيرِ فِي الْفِظِ وَالْمَعْنَى الدَّلَالُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَؤُلَاءِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ^(١) ﴾

فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَرَّرَ نِدَاءَ قَوْمِهِ هَاهُنَا لِيُزِيدَهُ التَّذْيِيبَ لَهُمْ وَالْإِقَاطَ مِنْ سِفَةِ الْعَفَلَةِ ، وَلِأَنَّهُمْ قَوْمُهُ وَعَشِيرَتُهُ ، وَهُمْ فِيهَا يَتَّبِعُونَ مِنْ الضَّلَالِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ وَجْهَ خَلَاصِهِمْ ، وَنَصِيحَتَهُمْ عَلَيْهِ وَاجِبَةٌ ، فَهُوَ يَتَحَرَّزُ لَهُمْ ، وَيَتَأَلَّفُ بِهِمْ ، وَيَسْتَعِدِّي بِذَلِكَ أَلَاءَ بَتَمِوِهِ ، فَإِنَّ مُرُورَهُمْ مُرُورَهُ ، وَغَمُّهُمْ غَمُّهُ ، وَأَنْ يَنْزِلُوا عَلَى نَصِيحَتِهِ لَهُمْ .

وَهَذَا مِنَ التَّسْكِيرِ الَّذِي هُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِيحَازِ ، وَأَشَدُّ مَوْعِظًا مِنَ الْاِخْتِصَارِ ، فَاعْرِفْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَعَلَى نَحْوِ مَنْهُ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّمْرِ : ﴿ فَذُقُوا عَذَابِي وَنَذْرَ * وَاقْدِرْنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِ كَرِهْتُمْ مِنْ مُدَّ كَر ^(٢) ﴾ .

فَإِنَّهُ قَدْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ فِي السُّورَةِ كَثِيرًا ، وَقَائِدَتُهُ أَنْ يُجَدِّدُوا عِنْدَ اسْتِمَاعِ كُلِّ نَبَأٍ مِنَ الْأَوَّلِينَ إِذْ كَارُوا وَإِقَاطًا ، وَأَنْ يَسْتَأْنِفُوا تَنْبِيَهَا وَاسْتِيقَاطًا ، إِذَا تَجَمُّعُوا الْحُثُّ عَلَى ذَلِكَ وَالْبُحْثُ إِلَيْهِ ، وَأَنْ تُقَرَّعَ لَهُمْ الْأَمَّا مَرَّاتٍ ، لئَلَّا يَغْلِبَهُمُ السُّهُو ، وَتَسْتَوَلِيَ عَلَيْهِمُ الْعَفَلَةُ .

(١) سورة المؤمن : الآيتان ٣٨ و ٣٩ .

(٢) سورة القمر : الآيتان ٣٩ و ٤٠ .

وهكذا حُكِمُ التَّكْرِيرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

وَذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ نِعْمَةٍ عَدَّدَهَا عَلَى عِبَادِهِ .

وَأَمْثَالُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرٌ .

وَعَمَّا وَرَدَ مِنْ هَذَا النَّوعِ شِعْرًا قَوْلُ بَعْضِ شُعَرَاءِ الْحَمَاسَةِ (١) :

إِلَى مَعْدِنِ الْيَزِّ الْمُوَنْتَلِ وَالنَّدَى هُنَاكَ هُنَاكَ الْفَضْلُ وَالْخُلُقُ الْجَزْلُ (٢)

فَقَوْلُهُ « هُنَاكَ هُنَاكَ » مِنَ التَّكْرِيرِ الَّذِي هُوَ أْبْلَغُ مِنَ الْإِيجَازِ ، لِأَنَّهُ مَعْرُضٌ مَذْحٍ ، فَهُوَ يَقَرِّرُ فِي نَفْسِ السَّامِعِ مَا عِنْدَ الْمَدُوحِ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ مُشِيرًا إِلَيْهَا ، كَأَنَّهُ قَالَ أَذْلَكُمْ هَلَى مَعْدِنٍ كَذَا وَكَذَا وَمَقَرٍّ وَمُقَادِرٍ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْمَسَاوِرِ بْنِ هِنْدٍ (٣) :

جَزَى اللَّهُ عَفًى غَالِبًا مِنْ عَشِيرَةٍ إِذَا حَدَّثَانِ الدَّهْرَ نَابَتْ نَوَائِمُهُ (٤)

(١) نسبته أبو تمام إلى خلف بن خليفة مولى قيس بن ثعلبة ، وهو شاعر إسلامي مجيد مقل : ناصر جريراً والفرزدق ، ويعرف بالأقطع ، لأنه قطعت يده بسرقه اتهم بها .
(٢) رواية ديوان الحماسة ٣٣٦/٢ « المؤيد » موضع « المؤئل » والبيت من جملة أبيات أولها :

عدلت إلى فخر العشيرة والهوى إليهم وفي تعداد مجدهم شغل
(٣) هو ابن قيس بن زهير بن حذيفة بن خزيمة بن ربيعة ، هكذا قال التبريزي ، وقال غيره : هو شاعر إسلامي مقل .

(٤) بعد هذين البيتين بيتان ، وهما :
إذا قلت عودوا عاد كل شمردل أشم من الفتيان جزل مواهبه
إذا أخذت بزل الخنافس سلاحها تجرد فيها مثاق الممال كاسبه
راجع ديوان الحماسة ٢٩١/٢ . ولم ينسب أبو تمام هذه الأبيات للمساور ، ولكنه رواها بعد أبيات المساور أولها :

فدأ لبني هند غداة دعوتهم بجو وبال النفس والأبواب
ثم روى بعد هذه الأبيات الأربعة ، ونسبها لآخر . ورواية الحماسة في البيت الأول « جزى الله خيراً غالباً .. » .

فَكَمْ دَأَفَمُوا مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ تَلَاَحَتْ عَلَى وَمَوْجٍ قَدْ عَلَتْنِي غَوَارِبُهُ^(١)

فصدر البيت الثاني وعجزه يدلان على معنى واحد ، لأن تلاحم الكرب
عليه كفعالي الموج من فوقه . وإنما سوغ ذلك لأنه مقام مدح وإطراء ،
ألا ترى أنه يصف إحصان هؤلاء القوم عند حدثان دهره في التكرير ،
وفي قبائله لو كان القائل هاجياً ، فإن المجيء في هذا كالمدح ، والتكرير
إنما يحنن في كلال الطريقين لا في الوسط .

واعلم أنه إذا وردت « إن » المكسورة المخفضة قبل « ما » كانت
بمعناها سواء .

ألا ترى إلى قوله تعالى : « إن هم إلا كالألقام » فـ « إن » و « ما »
بمعنى واحد ، وإذا أوردت من بعد « ما » كانت من باب التكرير كقولنا :
« ما إن كذا وكذا » ، أي : ما يكون كذا وكذا ، وإذا وردت في الكلام
فإنما ترد في مثل ما أشرنا إليه من التكرير ، فإن استعملت في غير ما يكون
منها لفائدة يفتجها تكريرها كان استعمالها لغواً لافائدة فيه .

وقد زعم قوم من مدعي هذه الصناعة أن أبا الطيب الممتلي أتى في هذا
البيت بتكرير لا حاجة به إليه ، وهو قوله^(٢) :

العارض الهين ابن العارض الهين ابن
العارض الهين ابن العارض الهين ابن

(١) الغوارب أعلى الموج وأعلى الظهر .

(٢) ديوان المتنبي ٢٠٩/٤ من قصيدة له في مدح أبي عبيد الله محمد بن عبد الله القاضي
الأنطاكي ، ومطلعها :

أفاض الناس أغراس لنا الزمن يخلو من المم أخلام من الفطن

وليس في هذا البيت من تكرير ، فإنه كقولك « الموصوف بكذا وكذا
ابن الموصوف بكذا وكذا » أى : أنه عريق النسب في هذا الوصف .

وقد ورد في الحديث النبوي مثل ذلك ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم
في وصف يوسف الصديق عليه السلام « الكريم ابن الكريم يوسف بن
يوسف بن إسحاق بن إبراهيم » .

ولقد فوضني في هذا البيت المشار إليه بعض علماء الأدب ، وأخذ يطن
من جهة تكراره ، فوقفته على مواضع الصواب فيه ، وعرفته أنه كالخبر
النبوي من جهة المعنى سواء بسواء ، لكن لفظه ليس بمرضى على هذا
الوجه الذي قد استعمل فيه ، فإن الألفاظ إذا كانت حسناً في حال انفرادها
فإن استعمالها في حال التزكيب يزيد حُسناً على حُسنها ، أو يذهب
الحسن عنها .

وقد تقدم الكلام على ذلك في المقالة الأولى من الصنعة اللفظية^(١) .

ولو تهيأ لأبي الطيب المتنبي أن يبدل لفظة « العارض^(٢) » بلفظة
« السحاب » أو ما يجري مجراها لكان أحسن .

وكذلك لفظة « ألهم^(٣) » فإنها ليست بمرضية في هذا الموضع
على هذا الوجه . ولفظة « العارض » وإن كانت قد وردت في القرآن ،

(١) انظر صفحة (٢١١) من القسم الأول من هذه الطبعة .

(٢) العارض السحاب يعترض في الأفق ، ومنه قوله تعالى « عارض ممطرنا » .

(٣) هفت السماء تهتن وهتنا وهتنا وهتنا وهتنا ، وتهانت : انصبت ، أو هو فوق
المطل ، أو الضيف الدائم ، أو مطر ساعة ثم يفر ثم يعود ، وسحاب هاتن وهتون .

وَهِيَ لَفْظَةٌ حَسَنَةٌ ، فَالْفَرْقُ بَيْنَ وُرُودِهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَوُرُودِهَا فِي هَذَا الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ ظَاهِرٌ .

وقد تقدم الكلام على مثلها من آية وبَيْتِ لَأَبَى الطَّيِّبِ أَيْضًا ، وَهِيَ فِي لَفْظَةِ الْقَفْظِيَّةِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْأَلْفَاظِ الْمُفْرَدَةِ فَلْيُؤْخَذَ مِنْ هُنَاكَ ^(١) .

وكثيراً ما يَقَعُ الْجُنْهَالُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ ، وَهُمْ الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ :

وَكَذَا كُلُّ أَخِي حَذَاقَةٌ مَامَشَى فِي بَابِ إِلَّا زَلَقَ

فَتَرَى أَحَدَهُمْ قَدْ جَمَعَ نَفْسَهُ ، وَظَنَّ عَلَى جَهْلِهِ أَنَّهُ هَالِمٌ ، فَيُسْرِعُ فِي وَصْفِ كَلَامٍ بِالْإِبْجَازِ ، وَكَلَامٍ بِالتَّطْوِيلِ ، أَوْ بِالتَّكْرِيرِ ، وَإِذَا طَوَّلَ بَأَن يُبْدَى سَبَباً لِمَا ذَكَرَهُ لَمْ يَوْجَدْ عِنْدَهُ مِنَ الْقَوْلِ شَيْئاً ، إِلَّا تَحَكُّماً تَخَضُّعاً صَادِراً عَنْ جَهْلٍ تَخَضُّعٍ .

الضرب الثاني من التكرير في اللفظ والمعنى :

وهو غَيْرُ الْمُفِيدِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مَرْوَانَ الْأَصْفَرَ ^(٢) :

سَقَى اللَّهُ نَجْدًا وَالسَّلَامُ عَلَى نَجْدٍ وَيَا حَبِيبًا نَجْدٌ عَلَى النَّأْيِ وَالْبُعْدِ
نَظَرْتُ إِلَى نَجْدٍ وَبَعْدَادُ دُونَهَا أَلَيْ أَرَى نَجْدًا وَهَيْهَاتَ مِنْ نَجْدٍ

وهذا من الصَّحِيحِ الضَّعِيفِ ، فَإِنَّهُ كَرَّرَ ذِكْرَ « نَجْدٍ » فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ثَلَاثًا ،

(١) انظر صفحة (٢١٣) من القسم الأول من هذه الطبعة، وقد وازن فيها بين استعمال كلمتي « الفصل » و « الشهد » في شعر الأعرج ولأبي الطيب وآية من القرآن الكريم .

(٢) هو أبو السمت مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة ، وهو مروان الأصغر ، ويقال لجده مروان بن أبي حفصة مروان الأكبر . كان شاعراً ساقط الشعر ، هاسر الوائق والمتوكل ، وله قصائد عدة في المتوكل وأحمد بن أبي دؤد .

وفي البيت الثاني ثلاثاً ، ومُرادُه في الأول الثناء على نجدٍ ، وفي الثاني أنه تَلَفَّت إليها نَظِيرًا مِنْ بَنَدَادٍ ، وَذَلِكَ مَرَّتِي بَعِيدٌ .

وهذا المعنى لا يحتاجُ إلى مثلِ هذا التَّكْرِيرِ .

أما البيتُ الأولُ فَيُجَمَّلُ على الجائزِ من التَّكْرِيرِ ، لأنه مقامُ تشويقٍ وتحزُّنٍ ومَوْجِدَةٍ بِفَرَّاقِ نَجْدٍ . ولما كان كذلك أُجِيزَ فيه التَّكْرِيرُ ، على أنه قد كان يُمكنُ أن يصوغَ هذا المعنى الوارد في البيتينِ معاً مِنْ غيرِ أن يَأْتِيَ بهذا التَّكْرِيرِ الْمُتَتَابِعِ سِتَّ مَرَّاتٍ .

وعلى هذا الأسلوبِ وردَ قولُ أبي نُوَاسٍ^(١) :

أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَلَاثًا وَيَوْمًا لَهُ الْتَرَحُّلُ خَامِسُ^(٢)

ومُرادُه مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَقَامُوا بِهَا أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ ، وَيَا عَجَبًا لَهُ يَأْتِي بِمِثْلِ هَذَا الْبَيْتِ السَّخِيفِ الدَّالِّ عَلَى الْعِيِّ الْفَاحِشِ فِي ضِمْنِ تِلْكَ الْآيَاتِ الْعَجِيبَةِ الْحُسْنِ الَّتِي تَقْدَمُ ذِكْرُهَا فِي بَابِ الْإِيْجَازِ^(٣) ، وَهِيَ :

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَدْلَجُوا

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا مَا أوردناه في صدرِ هذا النوعِ ، وهو قولُ
أبي الطَّيِّبِ :

(١) ديوان أبي نواس (٢٩٥) من جملة أبيات من خزياته أولها .

ودار ندامى عطلوها وأدجلوا بها أثر منهم جديد ودارس
(٢) رواية الديوان في هذا البيت :

أقمنا بها يوماً ويومين بعده ويوماً له يوم الترحل خامس
(٣) راجع صفحة (٣٤٦) من القسم الثاني من هذه الطبعة .

وَلَمْ أَرِ مِثْلَ جِبْرَانِي وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مَقَامٌ^(١)
 فهذا هو التكريرُ الفاحشُ الذي يُؤثرُ في الكلامِ نقصاً .
 ألا ترى أنه يقول : لم أَرِ مِثْلَ جِبْرَانِي في سوءِ الجوار ، وَلَا مِثْلِي في
 مُصَابَرَتِهِمْ وَمُقَامِي عِنْدَهُمْ ، إلا أنه قد كرّر هذا المعنى في البيتِ مرّتين .
 وعلى نحو من ذلك جاء قولُ أيضاً :
 وَقَلَعْتُ بَالْتَهُمُ الَّذِي قَلَعَلَ الْحِشَا قَلَا قَلَّ عَيْسُ كَلْهُنَّ قَلَا قَلَّ

* * *

(التكرير في المعنى دون اللفظ)

وأما القسمُ الثاني من التكرير ، وهو الذي يوجد في المعنى دون اللفظ .
 فذلك ضربان : مُفِيدٌ وَغَيْرُ مُفِيدٍ .

الضرب الأول : المفيد

وهو نوعان :

الأول إذا طرأ التكرير في المعنى برل على معنيين مختلفين :

وهو موضعٌ من التكرير مشكل ، لأنه يسبق إلى الهم أنه تكريرٌ يدلُّ
 على معنى واحدٍ .

فيمّا جاء منه حديثُ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ^(٢) في غزوةِ الفتح ، وذلك -

(١) من قصيدته التي أولها :

فؤاد ما تسليه الدمام وعمر مثل ما تهب اللثام
 وقد سبق في صفحة (٣) من هذا القسم الثالث .

(٢) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي ، حليف قريش ، ويقال إنه من مذحج وقيل هو
 حليف الزبير بن العوام . شهد بدر والحديبية ، ومات سنة ثلاثين بالمدينة ، وهو ابن خمس وثلاثين
 سنة . وصلى عليه عثمان ، وقد شهد افة لحاطب بالإيمان في قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ... » . وانظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن
 عبد البر ٣١٢/١ .

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرَ^(١) وَالْمُقَدَّادَ^(٢) — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ — فَقَالَ : « اذْهَبُوا إِلَى رَوْضَةِ خَاح » ، فَإِنْ بِهَا ظَمِئَةٌ مِمَّا كَتَبْتُ ، فَأَتُونِي بِهِ » قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَنَزَجْنَا تَقْمَادِي بَيْنَا خَيْلُنَا ، حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ ، وَإِذَا فِيهَا الظَّمِئَةُ ، فَأَخَذْنَا الْكِتَابَ مِنْ عِقَاصِهَا^(٣) ، وَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِذَا هُوَ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَمَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا يَا حَاطِبُ ؟ فَقَالَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَجْعَلْ عَلِيٌّ ، إِنِّي كُنْتُ أَسْرَأَ مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ » ، وَكَانَ مِنْ مَعِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَمْ يَمْ قَرَابَةً يَحْمُونَ بِهَا أَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ بِمَكَّةَ ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ قَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ اللَّتَابِ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي ، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي ، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ » . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهُ قَدْ صَدَّقَكُمْ » .

(١) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي ، أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم . أسلم الزبير . وهو ابن خمس عشرة سنة ، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، ومن السبعة الذين هم أهل الشورى ، ومات مقتولا في فتنة الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين .

(٢) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن زبيبة البهراوى ، من بهراء من قضاة ، وقيل هو كندى من كندة ، شهد بدرًا والمشاهد كلها ، وكان من الفضلاء النجباء الكبار الحيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مصر ، ودفن في أرضة بالجرف ، فحمل إلى المدينة ، ودفن بها ، وصلى عليه عثمان بن عفان سنة ثلاث وثلاثين .

(٣) خاخ : موضع بين الحمين ، به روضة خاخ ، بقرب حمراء الأسد من المدينة ، قال الأحرص .

ليست لياليك من خاخ بمائدة كما مهدت ولا أيام ذى سلم

(٤) العقيقة : الضفيرة ، وعقم الشعر ضفره على الرأس .

فَقَوْلُهُ « مَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا ، وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي ، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ » مِنَ التَّكْرِيرِ الْحَسَنِ .

وَبَعْضُ الْجُهَالِ يَظُنُّهُ تَكْرِيرًا لَا فَائِدَةَ فِيهِ ، فَإِنَّ الْكَفْرَ وَالْإِرْتِدَادَ عَنِ الدِّينِ سَوَاءٌ ، وَكَذَلِكَ الرِّضَا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ . وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ هُوَ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ وَأَنَا كَافِرٌ ، أَيْ : بَاقٍ عَلَى الْكَفْرِ ، وَلَا مُرْتَدًّا ، أَيْ : أَنِّي كَفَرْتُ بَعْدَ إِسْلَامِي ، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ ، أَيْ : وَلَا إِثَارًا لْجَانِبِ الْكُفَّارِ عَلَى جَانِبِ الْمُسْلِمِينَ . وَهَذَا حَسَنٌ فِي مَكَانِهِ ، وَاقِعٌ فِي مَوْقِعِهِ .

وَقَدْ يُحْمَلُ التَّكْرِيرُ فِيهِ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْفَرْعِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدْدِ ذِكْرِهِ هَاهُنَا ، وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ التَّكْرِيرُ فِيهِ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدَةٍ ، وَسَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي الْفَرْعِ الثَّانِي الَّذِي يَلِي هَذَا الْفَرْعَ الْأَوَّلَ .

وَالَّذِي يَجُوزُهُ أَنَّ هَذَا الْمَقَامَ هُوَ مَقَامُ اعْتِزَالٍ وَتَنْصِلٍ هَمَّا رُمِيَ بِهِ مِنْ تِلْكَ الْقَارِعَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي هِيَ نِفَاقٌ وَكُفْرٌ ، فَكَرَّرَ الْمَعْنَى فِي اعْتِزَالِهِ قَصْدًا لِنَاكِدٍ وَلِتَقَرِيرٍ لِمَا يَنْفِي عَنْهُ مَا رُمِيَ بِهِ .

وَمِمَّا يَنْتَظَمُ بِهَذَا السَّلَكِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي الْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنِيَيْنِ : أَحَدُهُمَا خَاصٌّ ، وَالْآخَرُ عَامٌّ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١) .

فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ خَيْرٍ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ ، وَذَلِكَ أَنَّ اخْتِيَارَ أَنْوَاعٍ كَثِيرَةٍ مِنْ جُمْلَتِهَا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ .

نفاذة التكرير ها هنا أنه ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله ،
كقوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ (١) .

وكقوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ﴾ (٢) .

وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ
فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ﴾ (٣) .

فإن الجبال داخله في جنة الأرض ، لكن لفظ الأرض عام ، والجبال
خاص . وقادته ها هنا تعظيم شأن الأمانة المشار إليها وتفخيم أمرها .

وقد ورد هذا في القرآن الكريم كثيرا .

ومما ورد منه شعرا قول [المقنع الكندي (٤)] من أبيات الحماسة (٥) :

وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لختيف جدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا نجدي بنيت لهم نجدا (٦)

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٨

(٢) سورة الرحمن . الآية ٦٨

(٣) سورة الأحزاب . الآية ٧٢

(٤) بياض في الأصل موضع اسم الشاعر ، وهو محمد بن ظافر بن عمير ينتهي نسبه إلى
كندة بن عفير ، وإنما لقب بالمقنع لأنه كان أجمل الناس وجهاً ، وكان إذا حسر اللثام من
وجهه أصابته العين ويلعبقه هنت ومشقة ، فكان لا يعشى إلا مقنعا ، هكذا ذكر التبريزي .
وهو شاعر مقل من شعراء الإسلام في عهد بني أمية ، وكان له عل وشرف ومروءة
في عصره ، وكان متخرقا في عطاياه ، سمح اليد بآله ، لا يرد سائلا عن شيء سأله إياه .
(٥) ديوان الحماسة ٣٣/٢ من جملة أبيات أولها .

يماني في الدين قوي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حدا
وانظر أمالي القالي ٢٨٠/١ وفيها ثلاثة أبيات ليست في رواية أبي تمام .

(٦) رواية الحماسة « فإن أكلوا .. » ورواية الأمالي « فإن يأكلوا .. »

وَأَن صَيَّهْ وَأَغْنِي حَفِظْتُ غَيْرَهُمْ وَأَن هُمْ هَوُوا غَنِي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا
فهذا من الخاص والعام ، فإن كل لحم يؤكل للإنسان فهو تضييع لغنيه ،
وليس كل تضييع لغنيه أكلاً للحمة .

ألا ترى أن كل اللحم هو كفاية عن الاغتياب ؟ وأما تضييع الغيب ،
فمنه الاغتياب ، ومنه التخلي عن النصرة والإعانة ، ومنه إهمال السعي في كل
ما يعود بالنفع كأننا ما كان .

وعلى هذا فإن هذين البيتين من الخاص والعام المشار إليهما في الآية المقدم
ذكرهما ، وهو موضع يرد في الكلام البليغ ، ويظن أنه لا فائدة فيه .

الفرع الثاني : إذا طالع التكرير في المعنى برل على معنى واحد لا غير

وقد سبق مثال ذلك في أول هذا الباب ، كقولك : « أطيعني ولا تمصني »
فإن الأمر بالطاعة انتهى عن المعصية ، والفائدة في ذلك تثبيت الطاعة في
نفس المخاطب .

والكلام في هذا الموضع كالكلام في الموضع الذي قبله من تكرير اللفظ
والمعنى إذا كان الفرض به شيئاً واحداً ، ولا نجد شيئاً من ذلك يأتي في الكلام
إلا أننا كيد الفرض المنصود به ، كقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوَّالْكُفِّ قَاتِلُواهُمْ ،
وَإِن تَمَتُّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَذَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ (١) ۝ ﴾

فإنه إنما كرّر العفو والصفح والمغفرة — والجميع بمعنى واحد —
لزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده ، والزواج عن زوجته .

وهذا وأمثاله يُنظر في الفرض المقصود به ، وهو موضع يكون التكرير
فيه أوجز من لغة الإيجاز ، وأولى بالاستعمال . وقد ورد في القرآن كثيراً
كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام :

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

فإن البَثَّ والحزن بمعنى واحد ، وإنما كرّره هاهنا لشدة الخطب النازل
به ، وتكاثر مسأله المأفدة في قلبه ، وهذا المعنى كالذي قبله .

وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ ^(٢) بعد ثلاثة وسبعة
تنوب مناب قوله ثلاثة وسبعة مرتين ، لأن « عشرة » هي ثلاثة وسبعة ،
ثم قال « كاملة » ، وذلك توكيد ثالث ، والمراد به إيجاب صوم الأيام
السبعة عند الرجوع في الطريق على الفوز ، لا عند الوصول إلى البلد ، كما ذهب
إليه بعض الفقهاء .

وبيانه أتي أقول : إذا صدر الأمر من الأمر على المأمور بلفظ التكرير
مجرداً من قرينة تخرجه عن وصفه ، ولم يكن موقتاً بوقت معين ، كان
ذلك حثاً له على المبادرة إلى امتثال الأمر على الفوز ، فإنك إذا قلت
لمن تأمره بالقيام : « قم قم قم » ، فإنما تريد بهذا اللفظ المسكر أن يبادر
إلى القيام في تلك الحال الحاضرة .

(١) سورة يوسف . الآية ٨٦

(٢) سورة البقرة . الآية ١٩٦ وقبل هذه الجملة « فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام
في الحج وسبعة إذا رجعتم » .

فَإِنْ قُلْتَ : الْفَرَضُ بِتَكَرُّرِ الْأَمْرِ أَنْ يَتَكَرَّرَ فِي نَفْسِ الْأُمُورِ أَنَّهُ مُرَادٌّ مِنْهُ ، وَلَيْسَ الْفَرَضُ الْحُثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى امْتِثَالِ الْأَمْرِ ؟

قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : إِنَّ الْمَرَّةَ الْوَاحِدَةَ كَافِيَةٌ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ أَنَّ الْقَدَى أَمَرَ بِهِ مُرَادٌّ مِنْهُ ، وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ لَا تَخْلُو إِمَّا أَنْ تَكُونَ دَالَّةً عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ ، أَوْ دَالَّةً عَلَى زِيَادَةِ مَعْنَى لَمْ تَكُنْ فِي الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ . فَإِنْ كَانَتْ دَالَّةً عَلَيْهِ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ كَانَ ذَلِكَ تَطْوِيلًا فِي الْكَلَامِ ، لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ .

وَقَدْ وَرَدَ مِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، كَهَذِهِ الْآيَةِ الْمَشَارُ إِلَىهَا وَغَيْرِهَا مِنْ الْآيَاتِ ، وَالتَّطْوِيلُ فِي الْكَلَامِ عَيْبٌ فَاحِشٌ عِنْدَ الْبُلَاهُاءِ وَالْفَصَحَاءِ ، وَالْقُرْآنُ مُمَجَّزٌ بِبِلَاغَتِهِ وَفَصَاحَتِهِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ فِيهِ تَطْوِيلٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ ؟ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الزِّيَادَةُ دَالَّةً عَلَى مَعْنَى زَائِدٍ عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ . وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَتِلْكَ الزِّيَادَةُ هِيَ الْحُثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى امْتِثَالِ الْأَمْرِ .

فَإِنْ سَأَلْتَنِي إِلَى ذَلِكَ ، وَإِلَّا فَبَيِّنْ مَعْنَى تِلْكَ الزِّيَادَةِ بَيَانٍ غَيْرَ مَا ذَكَرْتَهُ أَنَا ، وَلَا أَرَاكَ تَسْتَطِيعَ ذَلِكَ ! فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّ الْوَاوَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ » لَوْ لَا أَنَّ تُؤْ كَدَ بِقَوْلِهِ : « تِلْكَ عَشْرَةٌ » لَظُنُّ أَنَّهَا وَرَدَتْ بِمَعْنَى « أَوْ » أَيْ : فَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ أَوْ سَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ ، فَلَمَّا قِيلَ « تِلْكَ عَشْرَةٌ » زَالَ هَذَا الظَّنُّ ، وَتَحَقَّقَتِ الْوَاوُ أَنَّهَا عَاطِفَةٌ ، وَلَيْسَتْ بِمَعْنَى « أَوْ » .

قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : هَذَا بَاطِلٌ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ :

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ : أَنَّ الْوَاوَ الْعَاطِفَةَ لَا تُجْعَلُ بِمَعْنَى « أَوْ » أَيْنَ وَرَدَتْ مِنْ

الكلام ، ولما تُجعل بمعنى « أَوْ » حالَ ضرورةٍ ترجيحٍ جانبها على جانبِ
جملتها عاطفةً ، لأنَّ الأصلَ منها أن تكونَ عاطفةً ، فإذا عدلَ بها عن أصلها
احتاجَ إلى ترجيحٍ ، ولا ترجيحَ لها هنا .

الوجهُ الثاني : بلاغِيٌّ ، وذلكَ أنَّ القرآنَ الكريمَ مُنتهى البلاغةِ
والفصاحةِ لمكانِ إعجازِهِ ، فلو كانَ معنى الواوِ في هذه الآيةِ بمعنى « أَوْ »
لقل : فتلاثةُ أيامٍ في الحجِّ وسبعةٌ إذا رَجَعْتُمْ ، ولم يُحتجَّجْ إلى هذا التطويلِ
في قوله : فتلاثةُ أيامٍ في الحجِّ وسبعةٌ إذا رَجَعْتُمْ تلكَ عشرةٌ كاملةٌ .

الوجهُ الثالثُ : أنَّ هذا الصَّومَ حُكْمٌ من أحكامِ العباداتِ ، والعباداتُ
يُجبُ فيها الاحتياطُ ، وأنَّ تُؤدَّى على أكلِ صَوْرَةٍ ، لئلا يدخلها النقصُ ،
وإذا كانَ الأمرُ على ذلكَ فكيفَ يُظنُّ أنَّ الواوِ في هذه الآيةِ بمعنى « أَوْ » ؟

الوجهُ الرابعُ : أنَّ السبعةَ ليستَ بمائةٍ لثلاثةٍ حتى تُجعلَ في قبليتها ، لأنَّ
معنى الآيةِ إذا كانتِ الواوُ فيها بمعنى « أَوْ » إما أنْ تصوموا ثلاثةَ أيامٍ
في الحجِّ أو سبعةً إذا رَجَعْتُمْ .

فإنَّ قاتَ : هذا تعبدٌ لا يُعقلُ معناهُ كغيرِهِ مِنَ التَّعْبُدَاتِ التي لا يُعقلُ
معناها ؟ قلتُ في الجوابِ : إنَّ لنا من التَّعْبُدَاتِ ما لا يُعقلُ معناه ، كعددِ
رَكَعَاتِ الصَّلَوَاتِ ، وعددِ الطَّوَافِ والسَّعْيِ ، وأشباهِ ذلكَ ، ولنا ما يُعقلُ
معناه كهذه الآيةِ ، فإنَّا نقولُ التفاوتَ بَيْنَ الصَّومِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ ، ونعقلُ
التفاوتَ بَيْنَ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ وَالْعَدَدِ الْقَلِيلِ .

وعلى هذا فلا يخلو إما أن يكونَ صومُ الأيامِ السَّبعةِ عند الرجوعِ في

الطريق أو عند الوصول إلى البلد ، فإن كان في الطريق فإنه أشق من الصوم بمكة ، لأن الصوم في السفر أشق من الصوم في الحضر ، فكيف يُجمل صوم سبعة أيام في السفر في مُقابلة صوم ثلاثة أيام بمكة ؟ وإن كان الصوم عند الوصول إلى البلد فلا فرق بين الصوم بمكة والصوم عند الوصول إلى البلد ، لأن كليهما صوم في المقام ببلد من البلاد ، لا تفاوت بينهما حتى يُجمل صوم ثلاثة أيام في مُقابلة سبعة أيام ، على غير مثال ولا تساوٍ .

فعلى كلاً التقديرين لا يجوز أن تكون الواو في « سبعة إذا رجعتهم » بمعنى « أو » فتحقق أنها إذا للعطف خاصة .

وإذا كانت للعطف خاصة فتأكيدها بعشرة كاملة دليل على أن المراد وجوب صوم الأيام السبعة في الطريق قبل الوصول إلى البلد .

فإن قلت : إن الصوم بمكة أشق من الصوم في الطريق ، لأن الواجب عليه الصوم بمكة في نصب وتعب بتصرف زمانه في السعي والطواف والصلاة والحج وغير ذلك ، قلت في الجواب : هذا لا يلزم ، إذ الواجب عليه سعي واحد وطواف واحد ، وما عدا ذلك نافلة لا يلزم ، ونحن في هذا المقام ناظرون إلى ما يجب لا إلى النافلة ، والذي يجب أدائه بمكة يُفرغ منه في ساعة واحدة ، فكيف تجعل الزيادة على ذلك دليلاً يورد في هذا المقام ؟ هذا غير وارد ، وهذا ورد في قوله تعالى : ﴿ إِذَا نَقَرْتُمُ الْمُنَاقِقَ فَلْيَاوِزُوا لَهُمْ أَوْ بِكُفْرِهِمْ هَلْ يَعْلَمُ جُنُودَ اللَّهِ أَنْ يُؤْخَذَ عَلَيْهِمْ مِنْ صَفَرَتِهِمْ خَلْفَةً وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (النمل : ٨٤) ، فلو كان المقام في مكة أشق من السفر لكانت مكة من الأماكن التي لا يجوز فيها السفر ، وهذا غير صحيح ، بل مكة من الأماكن التي يجوز فيها السفر ، وهذا هو الوجه لتعظيم مكة .

شأن ذلك اليوم في عسره وشدة على الكافرين .
وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَعَلَيْتُمُ الْكُفْرَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، كَفَرْنَا بِكُمْ ، وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْبَغْضَاءُ وَالْبُغْضَاءُ أَبْدَأُ حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾ ^(١) فَإِنَّ الْبَغْضَاءَ وَالْمَدَاوَةَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَإِنَّمَا حَسُنَ إِبْرَاهِيمُ مَعًا فِي مَعْرِضٍ وَاحِدٍ ، لَنَا كَيْدُ الْبِرَاءَةِ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ صَلَواتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ، وَبَيْنَ الْكُفْرَانِ مِنْ قَوْمِهِمْ حَيْثُ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ .
والمبالغة في إظهار القطعية والمصادقة ورد مثل ذلك في مثل هذا الموضع كالإيجاز في موضعه ، وَلَنْ تَرَى شَيْئًا يَرُدُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ إِلَّا وَهُوَ لِأَمْرِ اقْتِضَاءٍ ، وَإِنْ خَفِيَ عَلَيْكَ مَوْضِعُ الْمَرْفِعِ فَاسْأَلْ عَنْهُ أَهْلَ الْعَارِفِينَ .
ومما ورد منه شعراً قول بعضهم في آيات الحماسة ^(٢) :

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاطِئًا بَعِيدًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ الْمَحَلِ
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَاقْتِدَارُهُمْ وَإِحْسَانُهُمْ حَتَّى حَسِبْتَهُمْ أَهْلًا
فَإِنَّ الْإِكْرَامَ وَالْإِقْتِدَارَ دَاخِلَانِ تَحْتَ الْإِحْسَانِ ، وَإِنَّمَا كَرَّرَ ذَلِكَ لِلتَّنْوِيهِ
بَذَكَرِ الصَّنِيعِ وَالْإِيجَابِ لِحَقِّهِ . وَمَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ الْأَعَشَى فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ
الَّتِي يَمْدَحُهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مِنْهَا ^(٣) :

(١) المبتحنة ٤ .

(٢) هو بكير بن الأخنس كما في البيان والتبيين (٢٣٣/٣) على أن المقطوعة ليست منسوبة إلى أحد في شرح الحماسة لتبريزي والمرزوقي ولا في عيون الأخبار (٣٤١/١) ولا في وفيات الأعيان في ترجمة المهلب بن أبي صفرة . وفي البيان والتبيين (فقيراً بعيد الدار بدلاً من (بعيداً عن الأوطان) والبيت الثاني في البيان .

فَمَا زَالَ بِي إِطْفَائِلُهُمْ وَاقْتِدَارُهُمْ وَإِكْرَامُهُمْ حَتَّى حَسِبْتَهُمْ أَهْلًا
وفي شرح الحماسة للمرزوقي « في زمن محل » بدلاً من (في زمن المحل)
(٣) البيت من قصيدته التي مطلعها :

أَلَمْ تَقْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا وَهَذَاكَ مَا عَادَ السَّلِيمُ مَسْهَدَا

وفي الديوان (ولا من حتى) شرح الديوان ١٣٥ .

فَالَيْتُ لَا أَرْنِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ وَجَى حَتَّى تَلَاقَى مُحَمَّدًا
فَإِنْ الرَّجْبِي وَالْكَلَالَةُ مَعَهَا سَوَاءٌ ، وَإِنَّمَا حَسَنَ تَكَرُّرِهِ هَاهُنَا لِلاِشْغَارِ
بِيعْدِ الْمَسَافَةِ .

الضرب الثاني منه القسم الثاني في تكرير المعنى دوره اللفظ :

وهو غير المقيد ، فمن ذلك قول أبي تمام :

قسم الزمان رُبُوبَهَا بَيْنَ الصَّبَا وَقُبُورِهَا وَأَنْثَلَانَا^(١)
فَإِنَّ الصَّبَا هِيَ الْقَبُولُ .

وليس ذلك مثل التكرير في قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ
الْوَسْطَى ﴾^(٢) فيما يرجع إلى تكرير اللفظ والمعنى ، ولا مثل التكرير في قوله تعالى :
﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(٣) فيما يرجع إلى تكرير
المعنى دون اللفظ ، وقول أبي تمام : الصبا والقبول لا يشتمل إلا على معنى واحد لا غير .
وهذا الضرب من التكرير قد خبط فيه علماء البيان خبطاً كثيراً ،
والأكثر منهم أجازوه ، فقالوا : إن كانت الألفاظ متغايرة والمعنى المعبّر
عنه واحداً فليس استعمال ذلك بمعييب ، وهذا القول فيه نظر ، والقى عندي

(١) البيت من قصيدته في مدح مالك بن ملح ومطلعها :

قف بأطول الدارسات علانا أمست حبال قطنهن رنانا

(ديوان أبي تمام ٣١٤/١) . وفي الفاموس المحيط : القبول ريج الصبا لأنها تقابل
الدبور أو لأنها تقابل باب الحكمة أو لأن النفس قبلها (مادة قبل)
وفي شرح الحاشية للرزوقي : قيل في القبول إنما الصبا ، وقال النصر بن شميل :
القبول ريج بين الصبا والجنوب .

وقال ابن الأعرابي : القبول كل ريج لبنة طيبة المنس قبلها النفس ، فليس للرد على أبي
تمام وجه . وقال ابن المستوفى : الصحيح أن الصبا هي القبول ، وما الذي منه أبا تمام أن يجعل
موضع (قبولها) (جنوبها) فسكان يسلم من التشنيع عليه (ديوان أبي تمام ٣١٥/١) وقد
ذكر الحفاحي نقد البيت (مر الفصاحة ٢٢٥) . وكذلك أبو هلال ذكره (الصناعتين ١٢١) .

(٣) آل عمران ١٠٤

(٢) البقرة ٣٨

فيه أن الفائر يعاب على استعماله مطلقاً إذا أتى لمير فائدة ، أما النظم فإنه يعاب عليه في موضع دون موضع .

أما الموضع الذي يعاب استعماله فيه فهو صدور الأبيات الشعرية وما والاها ، وأما الموضع الذي لا يعاب فيه فهو الأعجاز من الأبيات ، لمكان القافية ، وإنما جاز ذلك وإن لم يكن عيباً ، لأنه قافية ، والشاعر مضطر إليها ، والمضطر بحل ما حرم عليه ، كقول امرئ القيس في قصيدته اللامية التي مطلعها :

(ألا أنم صباحاً أبها الطلل البالي)

فقال :

وهل ينعمن إلا سعيدٌ تحلّد قليلُ الموم لا يبيت بأوجال^(١)
وإذا كان قليل الموم فإنه لا يبيت بأوجال ، وهذا تكرير المعنى ، إلا أنه ليس بعيب ، لأنه قافية .

وكذلك قال الخطيب : —

قالت أمانة لا تحزغ قلت لها إن المزاء وإن الصبر قد غابا
هلا التست لنا إن كنت صادقةً مالا نعيش به في الناس أو نشباً^(٢)
فالبيت الأول معيب ، لأنه كرر المزاء والصبر ، إذ معاً هما واحد ، ولم يرد

(١) ديوان امرئ القيس ٢٧ والمطلع في الديوان :

(ألا أنم صباحاً) والبيت الثاني :

وهل يعمن إلا سعيدٌ تحلّد قليل الموم ما يبيت بأوجال
الأوجال : جمع وجل وهو الفزع .

(٢) البيتان من قصيدته في مدح بغيض ، ومطلعها :

طافت أمانة بالركبان آونةً يحسنه من قوام ما ومنقبها
وفي الديوان (في المزج) بدلا من (الناس) ديوان الخطيب ١٢١ .

حافية ، لأن القافية هي الباء ، وأما البيت الثاني فليس به عيب ، لأن التكرير جاء في النسب ، وهو قافية .

وبما يجرى هذا الجرى قول للنقل اليشكري :

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَاةِ الْخِطْمِ دَرَّ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
السَّكَّابِ الْحِمْيَاءَ تَرَى فَلَ فِي الدَّمْعِ فِي الْحَرِيرِ (١)

فإن الدمع والحري سواء ، وقد ورد قافية فلا بأس به من أجل ذلك ، فإن قيل إن الحري هو الإبريسم للنسوج بدليل قوله تعالى : ﴿ وَجِزَامٌ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ ﴾ (٢) فإنه لم يرد خيوط إبريسم ، وإنما أراد أثواباً من الإبريسم ، وأما الدمع فإنه خيوط الإبريسم مخلوة ، بدليل قول امرئ القيس :

وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدَّمْعِ الْمُفْتَلِ (٣)

فإنه لم يرد إبريسماً منسوجاً ، وإنما أراد خيوط الإبريسم ، فالجواب عن ذلك أنه لو حل بيت النقل على ذلك لفقد مضاه ، لأن المرأة لا ترنل في خيوط من الإبريسم ، وإنما ترنل في الأثواب منه ، وأما قول امرئ القيس (كهداب الدمع) فإنه لو كان الدمع هو الخيوط المخلوة من الإبريسم لما

(١) البيتان من قصيدته التي مطلعها .

إن كنت عاذلي فسرى نحو العراق ولا تهوى

(الأسعيات ٥٢)

(٢) الإنسان ١٢ .

(٣) الفطر من البيت :

فظل المسدري برغم بلحمها
والبيت من المعلقة التي مطلعها :

قفا نيك من ذكرى حبيب ونزل
بسقط الوى بين الدخول وحول

(الديوان ١١)

احتاج أن يقول كهذاب ، فإن الهداب جمع هُذب ، ثم قال (المَنْتَل) ، فدل
بذلك على أن الدمقس يطلق على الإبريسم سواء كان منسوجاً أو غير منسوج ،
وكذلك الحرير أيضاً ، وعند الاستعمال يفهم المراد منه بالقريفة ، ألا ترى أنه لما
قال للنخل (ترفل في الدمقس وفي الحرير) ففهم من ذلك أنه أراد أثواباً من
الدمقس ومن الحرير ، لأن الرثول لا يكون في خيوط من الإبريسم ، وإنما
يكون في أثوابه .

وعما يجري على هذا المنهج قول الآخر من شعراء الحماصة^(١) :

إني وإن كان ابن عمّي غائباً لمُقاذِفٍ من خَلْفِهِ وورائه
فإن خلفاً ووراء بمعنى واحد ، وإنما جاز تكرارهما لأهمها قافية ، وعلى هذا
ورد قول أبي تمام .

دِمْنٌ كَانَ الْبَيْنَ أَصْبَحَ طَالِباً دِمْنًا لَدَى آثَارِنَا وَحُودًا^(٢)

فإن الدمنة هي الحقد . وكذلك قول أبي الطيب المتنبي :

بَحْرٌ تَمُودٌ أَنْ يُذِمَّ لِأَهْلِهِ مِنْ دَهْرِهِ وَطَوَارِقِ الْحِذْثَانِ

(١) هو الهذيل بن مشجمة البولاني . المعنى أنه يقاتل دونه إذا كان هو هادياً له ،
وقد تحلف عنه ابن عمه ، ويقاقل ورائه إذا تقدمه ابن عمه ، فقوله (من ورائه) من البين
الظاهر أنه بمعنى القدام (شرح ديوان الحماصة للرزوقي ٤/١٦٨)

(٢) البيت من قصيدته في مدح خالد بن يزيد الشيباني ومطلعها :

طلل الجيـح لقد عفوت حميداً وكفى على رزئي بذاك شهيداً

وفي الديوان (لدى آرامها) بدلاً من (لدى آثارنا)
الدمن الأول جمع دمنة وهي آثار القوم في الديار ، ثم يسمى المنزل دمنة لأن الدمنة فيه .
والدمن الثاني جمع دمنة ، وهي الحقد وبقيته في القلب ، ومعنى بالآرام النساء شبهها بالظباء
البيضاء ، يقول إن الفراق طلب عند ظباء هذه الدمن آثاراً (ديوان أبي تمام ٢/٤١١) .

فتركته وإذا أدم من الورى راعاك واستثنى بنى حمدان^(١)
فإن الدهر وطوارق الحدثنان سواء ، وإنما جاز استعمال ذلك لأنه قافية .
وأما ما ورد في أثناء الأبيات الشعرية فكقول عنقرة :

حُيِّت من طللٍ تقادم عنده أقوى وأقفر بعد أم المهيم^(٢)
فقوله أقوى وأقفر من المغيب ، لأنهما لفظان وردا بمعنى واحد في ضرورة ؛
إذ الضرورة لا تكون إلا في القافية كما أريتك .

وأما ما ورد من صدور الأبيات فكقول البحترى :

ألمت وهل للمامها بك نافع وزارت خيالا والعيون هواجم^(٣)

فإن قول (ألمت) وقوله (زارت خيالا) سواء ، فلا فرق إذا بين صدر
البيت ومجزئه ، فإن قيل إنه أراد بالإلمام زيارة اليقظة ، ثم قال (وزارت خيالا)
فالجواب عن ذلك أنه لم يرد إلا زيارة المنام في الحالتين ، لأنه قال : (ألمت وهل

(١) البيهقي من قصيدته في مدح سيف الدولة عند انصرافه من بلد الروم سنة ٣٤٥ ،
وأشده إيماها بآمد ، ومطلها :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهو المحل الثاني

(شرح ديوان المتنبي ٣/ ٣٩٥) .

بحر هنا خبر مبتدأ محذوف ، أى النهر الذى عبره سيف الدولة بحر . يذم لأهله :
يحيهم . الحدثنان : نواب الدهر . بنو حمدان : عشيرة سيف الدولة ، أى أن هذا النهر الذى
عبره سيف الدولة بحر تعود أن يجبر أصحابه من حوادث الدهر بأن يمنع العدو من العبور
إليهم ، لكن لما هزته أنت تركته يجبر أهله من كل أحد إلا من بنى حمدان ، يعنى أن غيرك
لا يقدر على عبوره .

(٢) من معلقته التى مطلها :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم؟

(٣) من قصيدته في مدح الفتح بن خاقان ، (الديوان ٧٦/٢) وفي الديوان

لك نافع :

إلمامها بك نافع) ولو كان في اليقظة لما قل وهل إلمامها بك نافع ، فإنه لا نفع
أنفع من زيارة المحبوب في اليقظة ، وهذا غير خاف لا يحتاج إلى السؤال عنه .
فإن قيل لم أجزت ذلك لناظم وحظرت على الناثر ؟

قلت في الجواب : أما الناثر فإنه إذا سجع كلامه فالغالب أن يأتي به مزدوجا
على فقرتين من الفقر ، ويمكنه إبدال تلك الفقرتين بغيرهما ، فيسلم منه ، وأما الشاعر
فإنه يصوغ قصيدا ذا أبيات متعددة على قافية من القوافي ، فإذا تكرر لديه شيء
من الكلام في آخر بيت من الأبيات عسر إبداله من أجل القافية ، وهذا غير خاف
والسؤال عنه غير وارد .

وهذا الذي ذكرته إذا ورد في غير القافية سمي إخلاء ، ويقال إن البحري
كان يُخل كثيرا في شعره ، وهو لعمري كذلك ، إلا أن حسن سبكه ، ورونق
ديباجته يغفر له ذلك . ويروى عنه أنه كان إذا مثَّل بين يدي الفتح بن خافان
وزير المتوكل مادحا له اختال بين يديه محجبا بنفسه ، فقدم خطوات ؛ ثم تأخر ،
وقال أي شيء تسمعون ؟ فقم عليه ذلك بمضى حسنة ، وحمل الفتح بن خافان
عليه ، فقال له الفتح : لو رمانا بالحجارة لكان ذلك مفضورا له فيما يقوله .

النوع الثامن عشر

في الاعتراض

وبعضهم يسميه الحشو ، وحده كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب
لو سقط لبقى الأول على حاله .

مثال ذلك أن نقول زيد قائم ، فهذا كلام مفيد وهو مبتدأ وخبر ،
فإذا أدخلنا فيه لفظا مفردا قلنا زيد والله قائم ، ولو أزلنا القسم منه بقى
على حاله ، وإذا أدخلنا في هذا الكلام لفظا مركبا قلنا : زيد على ما به من المرض

قائم ، فأدخلنا بين المبتدأ والخبر لفظاً مركباً وهو قولنا على ما به من المرض ، فهذا هو الاعتراض ، وهذا حده .

واعلم أن الجائز منه وغير الجائز يؤخذ من كتب العربية ، فإنه يكون مُستقصى فيها ، كالاقتراض بين القسم وجوابه ، وبين الصفة والوصف ، وبين المظوف والمظوف عليه ، وأشبه ذلك مما يحسن استعماله ، وكالاقتراض بين المضاف والمضاف إليه ، وبين إن وإسمها ، وبين الجار والمجرور ، وأمثال ذلك مما يقيح استعماله ، وليس هذا مكانه ، لأن كتابنا هذا موضوع لمن استكمل معرفة ذلك وغيره مما أشرنا إليه في صدر الكتاب .

وليس المراد هنا من الاعتراض إلا ما يُفَرِّق به بين الجيد والردى ، لا ما يُعَلِّم به الجائز وغير الجائز ، لأن كتابنا هذا موضوع لقد ذكر ما يتضمنه الكلام على اختلاف أنواعه من وصفى البلاغة والفصاحة ، فالذى أذكره في باب الاعتراض إنما هو ما اشتمل على شيء من هذين الوصفين المشار إليهما .

[قسما الاعتراض]

واعلم أن الاعتراض ينقسم إلى قسمين :

أحدهما لا يأتي في الكلام إلا لفائدة ، وهو جار مجزئ التوكيد .

والآخر أن يأتي في الكلام لغير فائدة ، فإما أن يكون دخوله فيه كحز وجه منه ، وإما أن يؤثر في تأليفه نقصاً وفي معناه فساداً .

[القسم الأول]

وهو الذى يأتي في الكلام لفائدة كقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم - وإنه لقسّم لو تعلمون عظيم - إنه لقرآن كريم ﴾ ^(١) ، وذلك اعتراض بين القسم

الذى هو فلا أقسم بمواقع النجوم ، و بين جوابه الذى هو ﴿ إنه أقرآن كريم ﴾ وفى نفس هذا الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذى هو قسم و بين صفته التى هى عظيم ، وهو قوله ﴿ تعلمون ﴾ فذاك اعتراض كما ترى .
 . وفائدة هذا الاعتراض بين القسم وجوابه إنما هى تمظيم شأن المقسم به فى نفس السامع ، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ لو تعلمون ﴾ اعتراضاً بين الصفة والموصوف ، وذلك الأمر بحيث لو علم وفى حقه من العظيم ،

وهذا مثل قولنا : إن هذا الأمر لعظيم ، بحيث لو تعلم يا فلان عظمه لقدرته حق قدره . فإن ذلك يكبره فى نفس الخاطب ، ويظل متطلماً إلى معرفة عظمه . وكذلك ورد قوله تعالى ﴿ ويجعلون لله البنات - سبحانه - ولهم ما يشتهون ﴾ ^(١) .
 وتقديره ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون ، فاعتراض بين المفعولين سبحانه ، وهو مصدر يدل على التنزيه ، فكأنه قال ويجعلون لله البنات وهو منزّه عن ذلك ، ولهم ما يشتهون ، وفائدة هذا ما هنا ظاهرة .

وكذلك ورد قوله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام ﴿ قالوا انفقدوا المالك وإمّن جاء به حملٌ بعيرٍ وأتابه زعيم قالوا تالله - لقد علمتم - ما جئنا انفد فى الأرض وما كنا سارقين ﴾ ^(٢) فقوله (لقد علمتم) اعتراض بين القسم وجوابه ، وفائدته تقرير إثبات البراءة من الفساد ، والنزاهة من تهمة السرقة ، أى أنه قد علمتم هذا منا ، ونحن مع علمكم به نقسم بالله على صدقه .

وقد ورد الاعتراض فى القرآن كثيراً ، وذلك فى كل موضوع يتعلق بنوع من خصوصيته المبالغة فى المعنى المقصود .

ومن هذا القسم قوله تعالى ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية - والله أعلم بما ينزل -

(٢) يوسف ٧٢ .

(١) النحل ٥٧ .

(٣) النحل ١٠١ .

قالوا إنما أنت مفتري بل أكثرهم لا يعلمون ﴿٣﴾ فهذا الاعتراض بين إذا وجوابها ، لأن تقدير الكلام وإذا بدلنا آية مكان آية قالوا إنما أنت مفتر ، فاعتراض بينهما بقوله تعالى ﴿ والله أعلم بما يزل ﴾ وهو مبند وخبره ، وفائدته إعلام القائلين أنه مفتر أن ذلك من الله وليس منه ، وأنه أعلم بذلك منهم .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ ووَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَلَّةً أُمًّا وَهَنًا عَلَى عَلَى وَهْنٍ - وَفِصَالَهُ فِي سَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِكَ ﴾ (١)

الآ ترى إلى هذا الاعتراض الذى قد طبق بمفصل البلاغة ؟ وفائدته أنه لما أوصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم من المشاق في حمل الولد وفضاله ، إيماءاً بالتوصية بها وتذكيراً بحقوقها ، وإنما خصها بالذكر دون الأب ، لأنها تتكاف من أمر الولد ما لا يتكافه ، ومن ثم قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبر ؟ قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك .

ومما جاء على هذا الأسلوب قوله عز وجل ﴿ وإذا قتلتم نفساً فادارأتم فيها - والله مخرج ما كنتم تكتمون - فقلنا اضربوه ببعضها ، كذلك يحيى الله الموتى ويربكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ (٢)

فقوله ﴿ والله مخرج ما كنتم تكتمون ﴾ اعتراض بين العطف والمطوف عليه ، وفائدته أن يقرر في نفوس مخاطبين وقلوب سامعين أن تدارأتم نفساً فادارأتم فيها ، لأن الله تعالى مظهر ذلك ، ولو جاء الكلام غير معترض فيه لكان : وإذا قتلتم نفساً فادارأتم فيها ، فقلنا اضربوه ببعضها . ولا يخفى على البليغ الفرق بين ذلك وبين كونه معترضاً فيه .

ومما ورد من ذلك شعراً قول امرئ القيس .

ولو أن ما اسمى لأذنى معيشة كفاى - ولم أطلب - قليل من المال

ولكنما أسمى لمجد مؤنل وقد يُذكرُ المجد المؤنل أمثالي^(١)
تقديره كفاً قليل من اللال ، فاعترض بين الفعل والفاعل بقوله (ولم أطلب)
وقائده تحقير المعيشة ، وأنها تحصل بغير طلب وعناء ، وإنما الذى يحتاج إلى
الطلب هو المجد المؤنل .
وكذلك قول جرير :

واقدر أراى - والجديدُ إلى بلى - فى موكب طرف الحديث كرام^(٢)
تقديره فى موكب طرف الحديث ، فاعترض بين المفعولين ، وإنما جاء بهذا
الاعتراض تعريضاً عما مضى من الذة وذلك التعميم الذى فاز به من عشرة أولئك
الأحباب ، (فكانه قال)^(٣) : ولقد أهدنى فى كذا وكذا من الذة ، وذلك قد
مضى وسلف وبلى جديده ، وكذلك كل جديد فإنه إلى بلى .
والاعتراض إذا كان هكذا كسا الحديث لطفاً إن كان غزلاً ، وكساه أبهة
وجلالاً إن كان مديحاً . أما ما يجرى مجراه من أساليب الكلام ، وإن كان
هجاءً كساه تأكيداً وإثباتاً كقول كثير عزة :

لو ان الباخلين - وأنت منهم - رأوك تعلموا منك المطالا^(٤)

(١) من قصيدته التى مطلعها :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى
وعل يعمن من كان فى العصر الخالى
(الديوان ٢٩) للؤنل الذى يشمر وبفيد ، وهو أيضاً الكثير .

(٢) من قصيدته فى الرد على الفرزدق ، ومطلعها :

سرت الموم فبتن غير نيام
وأخو الموم يروم كل مرام
والبيت فى الديوان هكذا :

ولقد أراى والجديد إلى بلى
فى فتية طرف الحديث كرام
(الديوان ٥٥٩) .

(٣) ما بين قوسين زيادة رأينا أنها توضح المراد .

(٤) ديوان كثير ١٠١/١ .

فقوله وأنت منهم من محمود الاعتراض ونادره ، وفائدة هاهنا التصريح بما هو المراد ، وتقدير هذا الكلام قبل الاعتراض : لو أن الباخلين رأوك ، فاعترض بين اسم أن وهو الباخلين ، وبين خبرها وهو رأوك بالمبتدأ ، أو الخبر القى هو « وأنت منهم » .

ومن محاسن ما جاء في هذا الباب قول سوار بن المضرب السعدي :

فلو سألت سراة الحمى سألني على أن قد تلون بي زمانى
تخبرها ذوو أحساب قومي وأعدائي فكل قد بلاني^(١)

وهذا اعتراض بين لو وجوابها ، وهو من فائق الاعتراض ونادره ، وتقديره :
فلو سألت سراة الحمى سألني تخبرها ذوو أحساب قومي وأعدائي ، وفائدة « على أن قد تلون بي زمانى » أى أنهم يخبرون عني على تلون الزمان ، يريد تنقل حالاته من خير وشر ، وليس من عجمه الزمان وأبان عن جوهره كغيره ممن لم يصحبه ولا أبان عنه .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإن النقي لي إن لحظت مطالبي من الشعر إلا في مديحك أطوع^(٢)

(١) في الأصل نسبة الشعر للمضرب السعدي ، والصواب نسبتهما إلى ابنه سوار (شرح التبريري للحجاسة ١/ ١٢٥) .

(٢) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف النخعي ، ومطالعها :

ألا إنه لولا الخلط المودع وربح عفا منه مصيف ومرج
الديوان (٣٣٣/٢) قال أبو الفتح عثمان بن جني : الفصل بين المضاف والمضاف إليه كثير ، وقد جاء الطائي الكبير بالتقديم والتأخير فقال : (البيت) وتقديره أن النقي - لو لحظت مطالبي - أطوع لي من الشعر ، إلا في مديحك ، أى فإنه يطيعني في مديحك ويسارع إلى . وهذا كقوله أيضاً معنى ولفظاً :

تفاير الشعر فيه إذ سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتل

وهذا البيت فيه اعتراضان :

الأول : بين اسم إن وخبرها ، تقديره ، وإن النفي أطوع لي من الشعر ، فاعتراض بين الاسم والخبر بقوله « إن لحظت مطالبي » .
أما الاعتراض الثاني : فقوله « إلا في مديحك » فجاء بالجملة الاستثنائية مقدمة ، وموضعها التأخير ، فاعتراض بها بين الجملة التي هي خبر إن .

وتقدير البيت بجملة « وإن النفي أطوع لي من الشعر إن لحظت مطالبي إلا في مديحك » وفائدة قوله إلا في مديحك من الاعتراض الذي اكتسب به الكلام رقة وفائدة حسنة ، والمراد به وصف جود المدح بالإسراع ، ووصف خاطر شعره بالإسراع إذا كان في مدحه خاصة دون غيره ، فهذا الاعتراض يتضمن مدح المدح والملاح معاً ، وهو من محاسن ما يحىء في هذا اللوضع .

وكذلك ورد قوله :

رَدَدْتَ رَوْقِي وَجْهِي فِي صَحِيفَتِهِ رَدَّ الصَّقَالِ بِيَهَاءِ الصَّارِمِ الْخَلِيمِ
وما أبالي - وخير القول أصدقه - حَقَنْتُ لِي مَاءَ وَجْهِي أَمْ حَقَنْتَ دُمِي (١)
فقوله « وخير القول أصدقه » اعتراض بين المفعول والفعل ، لأن موضع حقنت نصب ، إذ هو مفعول أبالي ، وفائدته إثبات ما مائل به بين ماء الوجه والدم ، أي أن هذا القول صدق ليس بكذب .

[القسم الثاني] :

وأما القسم الثاني وهو والذي يأتي في الكلام لغير فائدة فهو ضربان :

(١) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف والبيتان في الديوان هكذا :

رَدَدْتَ رَوْقِي وَجْهِي فِي صَحِيفَتِهِ رَدَّ الصَّقَالِ بَوَجْهِ الصَّارِمِ الْخَلِيمِ
وما أبالي وخير القول أصدقه حَقَنْتُ لِي مَاءَ وَجْهِي أَوْ حَقَنْتَ دُمِي

(الديوان ٢١٨/٣) الصقال : الاسم من الصقل . الخدم : السريع القطع .

الضرب الأول : يكون دخوله في الكلام كخروجه منه لا يكتسب به قبحا ولا حسناً ، فمن ذلك قول النابغة :

يقول رجال مجهلون خليفتي لعل زيادا - لا أبا لك - غافل^(١)
فقوله لا أبا لك من الاعتراض الذي لا فائدة فيه ، وليس مؤثراً في البيت حسناً ولا قبحاً .

ومثله جاء قول زهير :

سِئْتُ تكاليف الحياة ومن يعيشُ نمانين حولا - لا أبا لك - بسأم^(٢)
وقد وردت هذه اللفظة وهي « أبا لك » في موضع آخر ، فكان للاعتراض بها فائدة حسنة ، كقول أبي تمام :

« عتابك عني - لا أبا لك - واقصدي »^(٣)

فإنه لا كره عتابها اعتراض بين الأمر والمعطوف عليه بهذه اللفظة على طريق الذم .

الضرب الثاني : وهو الذي يؤثر في الكلام نقصاً وفي المعنى فساداً ، وقد تقدم ذكر أمثاله وأنظاره في باب التقديم والتأخير ، وإنما جيء به ذكره هنا مكرراً لإتمام التقسيم الاعتراضي فيما أفاد وفيما لا يفيد ، وقد ذكرت من ذلك مثالا واحداً أو مثالين ، فما ورد منه قول بعضهم :

(١) من قصيدة في رثاء النعمان بن المنذر ، مطلوها :

دعك الهوى واستجها لك المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل
(٢) من مملوكة التي مطلوها .

أمن أم أو في دمنة لم تسكلم بحومانة الدراح فالتسليم
(٣) لم نمر على النس في ديوانه .

فَقَدْ وَالشَّكُّ بَيْنَ لِي عَنَاءُ بَوْشَكَ فِرَاقَهُمْ صُرْدٌ يَصِيحُ^(١)

فإن في هذا البيت من ردى الاعتراض ما أذكركه لك ، وهو الفصل بين
قد والفعل الذى هو بَيْنَ ، وذلك قبيح لقوة اتصال قد بما تدخل عليه من الأفعال
الأتراها تعد مع الفعل كالجزم منه ، ولذلك أدخلت عليه اللام المراد بها تأكيد
الفعل كقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾^(٢) وكقوله
﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾^(٣) وقول الشاعر :

وَلَقَدْ أَجْمَعُ رِجْلِي بِهَا حَذَرَ الْمَوْتِ وَإِنِّي لَقَرُورُ^(٤)

إلا إن فصلَ بين قد والفعل بالقسم ، فإن ذلك لا بأس به نحو قولك :
قد والله كان ذاك ، وقد فصل في هذا البيت أيضاً بين المبتدأ الذى هو الشك وبين
الخبر الذى هو عناء بقوله « بَيْنَ لِي » وفصل بين الفعل الذى هو « بَيْنَ » وبين
فاعله الذى هو « صرد » بخبر المبتدأ الذى هو عناء ، فجاء معنى البيت كما تراه ،
كأنه صورة مشوهة قد نقلت أعضاؤها بعضها إلى مكان بعض .
ومن هذا الضرب . قول الآخر :

نَظَرْتُ وَشَخِصْتُ - مَطْلَعِ الشَّمْسِ - ظِلَّهُ إِلَى الْغُرْبِ حَتَّى ظَلَّهُ الشَّمْسُ قَدْ عَقَلَ
أَرَأَيْتَ نَظَرْتُ مَطْلَعِ الشَّمْسِ وَشَخِصْتُ ظِلَّهُ إِلَى الْغُرْبِ حَتَّى عَقَلَ الشَّمْسُ أَى
حَاذَاهَا ، وعلى هذا التقرير فقد فصل بمطلع الشمس بين المبتدأ الذى هو
« شخص » وبين خبره الجملة وهو قوله ظله إلى الغرب ، وأغلظ من ذلك أنه

(١) أصل التركيب فقد بين صرد يصيح بوشك فراقهم ، والشك لى عناء .

(٢) الزمر ٦٥ . (٣) البقرة ١٠٢ .

(٤) من مقطوعة عمرو بن معديكرب (شرح ديوان الحماسة الموزوق ١٨١/٣)

الضمير في قوله بها للفرس . والمعنى : أركضها وأستدر جريها ، ذهاباً في الفرار ، واحترازاً
من الموت ، وإنى لكثير الحرب إذا كان الحرب أغنى ، وإنى مراغمة العدو أدهى .

فصل بين الفعل وفاعله بالأجنبي ، وهذا وأمثاله مما يفسد المعاني ويورثها اختلالاً .
واعلم أن الفائز في استعمال ذلك أكثر ملازمة من الناقص ، وذلك أن الناقص مضطر إلى إقامة ميزان الشعر ، وربما كان مجال الكلام عليه ضيقاً فيلقيه طلب الوزن في مثل هذه الورطات ، وأما الناقص فلا يضطر إلى إقامة الميزان الشعري ، بل يكون مجال الكلام عليه واسعاً ، ولهذا إذا اعترض في كلامه اعتراضاً يفسده توجه عليه الإنكار ، وحق عليه الذم .

النوع التاسع عشر

في السكناية والتعريض

وهذا النوع مقصور على الميل مع المعنى وترك اللفظ جانباً . وقد تكلم علماء البيان فوجدتهم قد خلطوا السكناية بالتعريض ، ولم يفرقوا بينهما ، ولا حدوا كلا منهما محد يفصله عن صاحبه ، بل أوردوا لها أمثلة من النظم والنثر ، وأدخلوا أحدهما في الآخر ، فذكروا للسكناية أمثلة من التعريض ، وللتعريض أمثلة من السكناية . فمن فعل ذلك القاعى^(١) وابن سنان الخفاجي^(٢) والمسكرى^(٣) .
فأما ابن سنان فإنه ذكر في السكناية قول امرئ القيس :

فصرنا إلى الحسنى ورق كلامها ورُضت فذات صعبة أي إدلال^(٤)

(١) هو أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالقاعى . كان من فضلاء عصره ، وله شعر مشهور ، وهو من شعراء نظام الملك (الباب لابن الأثير ١٦٦/٣) .

(٢) الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى سنة ٤٦٦ هـ مؤلف من الفصاحة .

(٣) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل المسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ مؤلف كتاب الصناعاتين .

(٤) البيت من قصيدته التي مطلعها :

ألا عم صباحا أيها الطال البالي وهل يمين من كان في العصر الحالى

(الديوان ٢٢) .

صرنا إلى الحسنى : إلى ما تحب من الأمور . رُضت : ابتنتها بالكلام والمداواة كما يروض المعر أو الحصان بالسير .

وهذا مثال ضربه للكناية على المباضة ، وهو مثال للتعريض^(١) .

ووجدت في كتاب الذكرة لابن حمدون البغدادي ، وكان مشار إليه عندهم بفضيلة و، مرفقة لا سيما في فن الكتابة ، فوجدت في كتابه ذلك بابا مقصوراً على ذكر الكناية والتعريض وما قيل فيهما نظماً ونثراً ، وهو محشوٌ بالمخاط بين هذين القسمين من غير فصل بينهما ، وقد أورد أيضاً في بعضه أمثلة غثة باردة .

وسأذكر ما عندي في الفرق بينهما ، وأميز أحدهما عن الآخر ، ليُعرف كل منهما على انفراده فأقول :

[الكناية] :

أما الكناية فقد حُدَّتْ بمحدّ ، فقليل هي اللفظ الدال على الشيء ، على غير الوضع الحقيقي ، بوصف جامع بين الكناية والمكْنَى عنه ، كاللّمس والجامع ، فإنّ الجامع اسم موضوع حقيقي ، واللّمس كناية عنه ، وبينهما الوصف الجامع ، إذّ الجامع لمس وزيادة ، فسكان دالاً عليه بالوضع المجازي .

وهذا الحد فاسد ، لأنه يجوز أن يكون حدّاً للتشبيه ، فإنّ التشبيه هو اللفظ الدال على غير الوضع الحقيقي للجامع بين المشبّه والمشبّه به وصفة من الأوصاف ، ألا ترى أنا إذا قلنا : زيد أسد ، كان ذلك لفظاً دالاً على غير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين زيد والأسد ، وذلك الوصف هو الشجاعة ، ومن ها هنا وقع الخلط لمن أشرت إليه في الذي ذكره في حد الكناية .

(١) قال ابن سنان الحفاجي : ومن هذا الجنس حسن الكناية مما يجب أن يكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح ، وذلك أصل من أصول الفصاحة ، وشرط من شروط البلغة ، إلى أن قال . ومما يستحسن من الكنایات قول امرئ القيس (البيت) لأنه كنى عن المباضة بأحسن ما يكون من العبارة (سر الفصاحة ١٥٦) .

وأما علماء أصول الفقه فإنهم قالوا في حد الكناية إنها اللفظ المحتمل ،
يريدون بذلك أنها اللفظ الذي يحتمل الدلالة على المعنى وعلى خلافه . وهذا قاسد
أيضا ، فإنه ليس كل لفظ يدل على المعنى وعلى خلافه بكناية .

دليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا لم تستح فافعل ما شئت »
فإن هذا اللفظ يدل على المعنى وعلى خلافه ، وبيان ذلك أنه يقول في أحد
معانيه : إنك إذا لم يكن لك وازع يزعمك عن الحياء فافعل ما شئت ، أما معناه
الآخر فإنه يقول : إذا لم تفعل فعلا يستحى منه فافعل ما شئت ، وهذا ليس
من الكناية في شيء ، فبطل إذا هذا الحد .

ومثال الفقيه في قوله إن الكناية هي اللفظ المحتمل مثال من أراد أن
يحدد الإنسان فأتى بحد الحيوان ، فمير بالأعم عن الأخص ، فإنه يقال كل إنسان
حيوان ، وليس كل حيوان إنسانا ، وكذلك يقال ها هنا ، فإن كل كناية لفظ
محتمل ، وليس كل لفظ محتمل كناية .

والذي عندي في ذلك أن الكناية إذا وردت تجاذبها جانبا حقيقة ومجاز ،
وإجاز حملها على الجانبين معا ، ألا ترى أن اللبس في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نَسْتَمِمْ
النساء ﴾ يجوز حمله على الحقيقة والمجاز ، وكل منهما يصح به المعنى ولا يحتل ،
ولهذا ذهب الشافعي رحمه الله إلى أن اللبس هو مصاحبة الجسد الجسد ، فأوجب
الوضوء على الرجل إذا لمس المرأة ، وذلك هو الحقيقة في اللبس ، وذهب غيره
إلى أن المراد باللبس هو الجماع ، وذلك مجاز فيه ، وهو الكناية . وكل موضع
ترد فيه الكناية فإنه يتجاذبه جانبا حقيقة ومجاز ، ويجوز حمله على كليهما معا ،
وأما التشبيه فليس كذلك ولا غيره من أقسام المجاز ، لأنه لا يجوز حمله إلا على
جانب المجاز خاصة ، ولو حمل على جانب الحقيقة لاستحال المعنى ، ألا ترى أنا
إذا قلنا : (زيد أسد) لا يصح إلا على المجاز خاصة ، وذلك أنا شبهنا زيدا
بالأسد في شجاعته ، ولو حملناه على جانب الحقيقة لاستحال المعنى ، لأن

زيداً ليس بالحيوان ذا الأربع والذهب والوبر والأنياب والخالب .

وإذا كان الأمر كذلك أخذ الكناية الجامع لها هو أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز . والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، يقال كنيت بكذا عن كذا ، فهي تدل على ما تكلمت به ، وعلى ما أردته في غيره ، وعلى هذا فلا تخلو إما أن تكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة ومجاز ، أو في لفظ تجاذبه جانباً مجاز ومجاز ، أو في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة وحقيقة ، وليس لنا قسم رابع ، ولا يصح أن تكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة وحقيقة ، لأن ذلك هو اللفظ المشترك ، وإذا أطلق من غير قرينه فخصه كان مُشبهاً غير مفهوم ، وإذا أضيف إليه القرينة صار مختصاً بشيء بعينه ، والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وذلك مخالف للفظ المشترك إذا أضيف إليه القرينة ، لأنه يختص بشيء واحد بعينه لا يتعداه إلى غيره ، وكذلك لا يصح أن تكون الكناية في لفظ تجاذبه جانباً مجاز ومجاز ، لأن المجاز لا بد له من حقيقة نُقِلَ عنها ، لأنه فرع عليها .

وذلك اللفظ الدال على المجازين إما أن يكون للحقيقة شركة في الدلالة عليه أو لا يكون لها شركة ، فإن كان لها شركة في الدلالة فيكون اللفظ الواحد قد دل على ثلاثة أشياء : أحدها الحقيقة ، وهذا مخالف لأصل الوضع ، لأن أصل الوضع أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره ، وهذا هنا تكون قد تكلمت بشيء وأنت تريد شيئاً غيره ، وإن لم يكن للحقيقة شركة في الدلالة كان ذلك مخالفاً للوضع أيضاً ، لأن أصل الوضع أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره ، فيكون الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به وعلى غيره ، وإذا أُخْرِجَت الحقيقة عن أن يكون لها شركة في الدلالة لم يكن الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به ، وهذا محال ، فتحقق حينئذ أن الكناية أن تتكلم بالحقيقة ، وأنت تريد المجاز ، وهذا الكلام

في حقيقة الدليل على تحقيق أمر الكناية لم يكن لأحد فيه قول سابق .

واعلم بأن الكناية مشتقة من السر ، يقال كسيتُ الشيء إذا سترته ، وأجرى هذا الحكم في الألفاظ التي يُستَرُّ فيها المجاز بالحقيقة ، فتكون دالة على السّر وعلى المستور معا ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ تَسْتَمِ الْأُنثَى ﴾ فإنه إن حل على الجامع كان كناية ، لأنه سَتَرُ الجامع بلفظ اللامس الذي حقيقة مصاحفة الجسد الجسد ، وإن حل على الملامسة التي هي مصاحفة الجسد الجسد كان حقوة ، ولم يكن كناية ، وكلاهما يتم به المعنى .

وقد تأولت الكناية بغير هذا ، وهي أنها مأخوذة من الكُنْيَةِ التي يقال فيها أبو فلان ، فإننا إذا نادينا رجلا اسمه عبد الله وله ولد اسمه محمد فقلنا يا أبا محمد ، كان ذلك مثل قولنا يا عبد الله ، فإن شئنا ناديناه بهذا أو شئنا ناديناه بهذا ، فكلاهما واقم عليه ، وكذلك يجري الحكم في الكناية ، فإننا إذا شئنا حملناها على جانب المجاز ، وإذا شئنا حملناها على الحقيقة ، إلا أنه لا بد من الوصف الجامع بينهما لئلا يلحق بالكناية ما ليس منها ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَمِجَةً وَلِي نَمِجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾^(١) فكفى بذلك عن النساء ، والوصف الجامع بينهما هو التأنيث ، ولولا ذلك لقبل في مثل هذا الموضع إن أخِي له تِسْعٌ وَتِسْعُونَ كِبْشًا وَلِي كِبْشٌ وَاحِدٌ ، وقيل هذه كناية عن النساء ، ومن أجل ذلك لم يُلْتَفَتْ إلى تأويل من تأول قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابُكَ فَطَهِّرْ ﴾^(٢) أنه أراد بالثياب القلب على حكم الكناية ، لأنه ليس بين الثياب والقلب وصف جامع ، ولو كان بينهما وصف جامع لكان التأويل صحيحا .

فإن قيل فما الدليل على اشتقاق الكناية من كنية الشيء إذا سترته ،
ومن الكنية ؟

قلت في الجواب : أما اشتقاقها من كنية الشيء إذا سترته ، فإن المستور
فيها هو المجاز ، لأن الحقيقة نفهم أولا ويتسارع إليها الفهم قبل المجاز ، لأن
دلالة اللفظ عليها دلالة وضعية ، وأما المجاز فإنه يُفهم بعد فهم الحقيقة ، وإنما
يفهم بالنظر والفكرة ، ولهذا يحتاج الى دليل ، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ ،
فالحقيقة أظهر والمجاز أخفى ، وهو مهتور بالحقيقة ، ألا ترى الى قوله تعالى :
(أو لاسم النساء) فالفهم يتسارع فيه إلى الحقيقة التي هي ملازمة الجسد الجسد ،
وأما المجاز القمى هو الجماع ، فإنه يفهم بالنظر والفكر ، ويحتاج الذهاب إليه
الى دليل ، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ .

وأما اشتقاقها من الكنية فلأن عبد الله في هذه الصورة المذكورة هو حقيقة
هذا الرجل ، أى الاسم الموضوع بإزائه أولا ، وأما أبو محمد فإنه طارىء عليه
بعد عبد الله ^(١) لأنه لم يكن له إلا بعد أن صار له ولد اسمه محمد ، وكذلك الكناية
فإن الحقيقة لها هو الاسم للوضوع أولا فى أصل الوضع ، وأما المجاز فإنه طارىء
عليها بعد ذلك ، لأنه فرع ، والفرع إنما يكون بعد الأصل ، وإنما يُعمد الى
ذلك الفرع المناسبة الجامعة بينه وبين الأصل على ما تقدم الكلام فيه ، وهذا
التقدير كاف فى الدلالة على اشتقاق الكناية من ذينك المعنيين المشار إليهما .

فإن قيل إنك قد ذكرت أقسام المجاز فى باب الاستعارة التى قدمت ذكرها
فى كتابك هذا ، وحصرتها فى أقسام ثلاثة ، وهى التوسم فى الكلام ، والاستعارة ،
والتشبيه ، ونراك قد ذكرت الكناية فى المجاز أيضا ، فهل هى قسم رابع لتلك

(١) كان فى الأصل قاب بين الاسمين محمد وعبد الله ، فصححناها هكذا ليتلاءم الكلام
هنا مع سابقة عند قوله إنها مأخوذة من الكنية .

الأقسام الثلاثة أم هي من جملتها ؟ فإن كانت قسما رابعا فذلك نقض للحصر الذى حصرته ، وإن كانت من جملتها فإنك أعدت ذكرها ها هنا مرة ثانية ، وهذا المكرر لا حاجة إليه .

فالجواب عن ذلك أنى أقول : أما الحصر الذى ذكرته فى باب الاستعارة فهو ذاك ، ولا زيادة عليه ، وأما الكناية فهى جزء من الاستعارة ، وكذلك الكناية فإنها لا تكون إلا بحيث يُطوَّى المسكّن عنه ، ونسبتها إلى الاستعارة نسبة خاص إلى عام ، فيقال كل كناية استعارة ، وليس كل استعارة كناية ، ويُفترق بينهما من وجه آخر ، وهو أن الاستعارة لفظها صريح ، والصريح هو ما دل عليه ظاهر لفظه ، والكناية ضد الصريح ، لأنها عدول عن ظاهر اللفظ ، وهذه ثلاثة فروق أحدها الخصوص والعموم ، والآخر الصريح ، والآخر المحل على جانب الحقيقة والمجاز . وقد تقدم القول فى باب الاستعارة أنها جزء من المجاز ، وعلى ذلك تكون نسبة الكناية إلى المجاز نسبة جزء الجزء وخاص الخاص .

وكان ينبغي أن تذكر الكناية عند ذكر الاستعارة فى النوع الأول من هذه الأنواع المذكورة فى المقالة الثانية ، وإنما أفردتها بالذكر ها هنا من أجل التمييز ؛ لأن من العادة أن يذكر جميعاً فى مكان واحد .

وقد بأتى فى الكلام ما يجوز أن يكون كناية ، ويجوز أن يكون استعارة ، وذلك يختلف باختلاف النظر إليه بمفرده والنظر إلى ما بعده ، كقول نصر بن سيار فى أبياته المشهورة التى يحرض بها بنى أمية عند خروج أبى مسلم :

أرى خال الرماد وميضَ جَرٍّ ويوشى أن يكون له ضرامُ
فإن النار بالزندان تُورى وإن الحرب أولها الكلامُ

أقول من التعجب : ليت شعري أليفاظ أم نيام ؟
فإن هبوا فذاك بقاءك ، وإن رقدوا فإني لا أنام^(١)

فالبيت الأول لوروده بمفرده كان كناية ، لأنه لا يجوز عمله على جانب الحقيقة وحده على جانب المجاز ، أما الحقيقة فإنه أخبر أنه رأى وميض جمر في خلل الرماد ، وأنه سيضطرم ، وأما المجاز فإنه أراد أن هناك ابتداء شرٍّ كامن ، ومنه بميض جمر من خلل الرماد ، وإذا نظرنا إلى الأبيات في جملتها اختص البيت الأول منها بالاستمارة دون الكناية ، وكثيراً ما يراد مثل ذلك وبشكل لتجاذبه بين الكناية والاستمارة ، على أنه لا بشكل إلا على غير العارف .

[التعريض]

وأما التعريض : فهو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي ، فإليك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب : والله إني لمتحاج ، وليس في يدي شيء ، وأنا عريان والبرد قد آذاني ، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب ، وليس هذا اللفظ موضوعاً في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازاً ، إنما دل عليه من طريق المفهوم ، بخلاف دلالة اللمس على الجماع . وعليه ورد التعريض في

(١) كان نصر بن سيار والياً على خراسان لهشام بن عبد الملك ، وقد بعث إليه بهذه الأبيات يحذره فيها ذبوع السخط على بني أمية هناك ، وانتشار الدعوة لبني العباس .
والأبيات في الأمانى ١٤ / ١٢٦ ومروج الذهب ٢ / ٢٥٢ والمقد الفريد ١ / ٢٤٠ هكذا :

أرعى خلل الرماد وميض نار	ويوشيك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالمودين تذكي	ولن الحرب أولها السلام
فإن لم تطفئوها تحن حرباً	مشمرة يشيب لها الغلام
أقول من التعجب ليت شعري	أليفاظ أم نيام ؟
فإن يك قومنا أضعوا نياماً	فقل قوموا فقد حان القيام
فقرى من رحالك ثم قول	على الإسلام والعرب السلام

خطبة النكاح ، كقولك للمرأة : إنك خلّية وإني لعَرَب ، فإن مثل هذا لا يدل على طلب النكاح حقيقة ولا مجازا .

والتمريض أخفى من الكناية ، لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز ، ودلالة التمريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي ، وإنما سمى التمريض تمريضا لأن المعنى فيه يفهم من عُرْضه أى من جانبه ، وعُرْض كل شيء جانبه .

واعلم أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معاً ، فتأتى على هذا تارة ، وعلى هذا أخرى ، وأما التمريض فإنه يختص باللفظ المركب ، ولا يأتى في اللفظ المفرد البتة .

والدليل على ذلك أنه لا يُفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز ، وإنما يُفهم من جهة التلويح والإشارة ، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ، ولكنه يحتاج في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب ، وعلى هذا فإن بيت امرئ القيس الذي ذكره ابن سنان مثالا للكناية هو مثال للتمريض ، فإن فرض امرئ القيس من ذلك أن يذكر الجماع ، غير أنه لم يذكره ، بل ذكر كلاما آخر يُفهم الجماع من عُرْضه ، لأن المصير إلى الحسنى ورقة الكلام لا يفهم منهما ما أَراده امرؤ القيس من المعنى لا حقيقة ولا مجازا ، وهذا لا خفاء به ، فاعرفه .

وحيث فرقنا بين الكناية والتمريض ، وميزنا أحدهما عن الآخر ، فلنفصلهما ونذكر أقسامهما ، ونبدأ أولا بالكناية فنقول :

الكناية

اعلم أن الكناية تنقسم قسمين : أحدهما ما يحسن استعماله ، والآخر ما لا يحسن استعماله ، وهو عيب في الكلام فاحش ، وقد ذهب قوم إلى أن الكناية تنقسم أقساماً ثلاثة . تمثيلاً : وإردافاً ، ومجاورة .

فأما التمثيل :

فهو أن تراد الإشارة إلى معنى ، فيوضع لفظاً لمعنى آخر ، ويكون ذلك مثلاً للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه ، كقولهم فلان نقي الثوب ، أى منزّه من العيوب .

وأما الإرداف :

فهو أن تراد الإشارة إلى معنى ، فيوضع لفظاً لمعنى آخر ، ويكون ذلك إردافاً للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه ولازماً له ، كقولهم فلان طويل النجاد ، أى طويل القامة ، فطول النجاد رادف لطول القامة ولازم له ، بخلاف نقاء الثوب في الكناية عن النزاهة من العيوب ، لأن نقاء الثوب لا يلزم منه النزاهة من العيوب ، كما يلزم من طول النجاد طول القامة .

وأما المجاورة :

فهى أن تريد ذكر الشيء فتتركه إلى ما جاوره كقول عنترة :
بزجاجة صفراء ذات أميرة قرأت بأزهر في الشمال مقدم^(١)
يريد بالزجاجة النحر ، فذكر الزجاجة وكفى بها عن النحر ، لأنها مجاورة لها .

(١) من معلقته . الأسرة : جمع سر وسرور وهما الخط من خطوط اليد والجنبه وغيرها وتجمم أيضاً على أسرار ، والأسرار تجمم على أسرارير .
أزهر : إبريق مشرق . مقدم : مسدود الرأس بالقدم وهو هنا المصفاة .

وهذا التقسيم ليس سيج ، لأن من شرط التقسيم أن يكون كل قسم منه مختصا بصفة خاصة تفصله عن هوم الأصل ، كقولنا : الحيوان ينقسم أقساما منها الإنسان ، وحقيقته كذا وكذا ، ومنها الأسد ، وحقيقته كذا وكذا ، ومنها الفرس ، وحقيقته كذا وكذا ، ومنها غير ذلك ، وهاهنا لم يكن التقسيم كذلك ، فإن التمثيل على ما ذكر عبارة عن مجموع الكناية ، لأن الكناية إنما هي أن تراد الإشارة الى معنى ، فيوضع لفظ لمعنى آخر ، ويكون ذلك اللفظ مثالا للمعنى الذى أريدت الإشارة إليه .

الأتى الى قوله تعالى : ﴿ إن هذا أخى له نعم وتسمون نعمة ولى نعمة واحدة ﴾^(١) فإنه أراد الإشارة الى النساء فوضع لفظا لمعنى آخر وهو النماج ، ثم مثل به النساء ، وهكذا يجرى الحكم فى جميع ما يأتى من الكنايات ، لكن منها ما يتضح التمثيل فيه ، وتكون الشبهة بين الكناية والمكنى عنه شديدة المناسبة ، ومنه ما يكون دون ذلك فى الشبهة . وقد تأملت ذلك وحققت للنظر فيه ، فوجدت للكناية إذا وردت على طريق اللفظ المركب كانت شديدة المناسبة واضحة الشبهة ، وإذا وردت على طريق اللفظ المفرد لم تكن بتلك الدرجة فى قوة المناسبة والمباشرة ، ألا ترى الى قولهم « فلان نقى الثوب » وقولهم « اللبس » كناية عن الجماع ، فإن نقاء الثوب أشد مناسبة وأوضح شبهة ، لأننا اذا قلنا : نقاء الثوب من الدنس كغزاهة العرض من العيوب اتضعت المشابهة ، ووجدت المناسبة بين الكناية والمكنى عنه شديدة الملاءمة ، وإذا قلنا « اللبس كالجماع » لم يكن بتلك الدرجة فى قوة المشابهة ، وهذا الذى ذكر فى أن من الكناية تمثيلا وهو كذا وكذا ، غير سائغ ولا وارد ، بل الكناية كلها هى ذاك ، والذى قدمته من القول هو الحاصر لها ولم يأت به أحد غيرى كذلك .

وأما الإرداف :

فإنه ضرب من اللفظ المركب ، إلا أنه اختص بصفة تخصه وهي أن تكون الكناية دليلا على للسكنى عنه ولازمة له ، بخلاف غيرها من الكنايات ، ألا ترى أن طول النجماد دليل على طول القامة ولازم له ، وكذلك يقال فلان عظيم الرمد ، أى كثير إطماع الطعام ، وعليه ورد قول الأعرابية في حديث أم زرع في وصف زوجها « له إبل قليلات المسارح ، كثيرات للبارك ، إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك »^(١)

وعرض الأعرابية من هذا القول أن تصف زوجها بالجود والكرم ، إلا أنها لم تذكر ذلك باللفظ المريح ، وإنما ذكرته من طريق الكناية على وجه الإرداف القى هو لازم له .

وكذلك ورد في الأخبار النبوية أيضا ، وذلك أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن غسلها من الحيض ، فأمر أن تغتسل ، ثم قال : « خذي فرصة من مسك فتطهري بها »^(٢) قالت : كيف أنظف بها ؟ فقال : تطهري بها . قالت : كيف أنظف بها ؟ قال سبحانه الله ، تطهري بها . فاجتذبتها عائشة رضي الله تعالى عنها إليها ، وقالت : تدبى بها أثر الدم ، فقولها « أثر الدم » كناية عن الفرج على طريق الإرداف ، لأن أثر الدم في الحيض لا يكون إلا في الفرج ، فهو رادف له .

وما ورد في ذلك شعرا قول عمر بن أبي ربيعة :

بعيدة مهوى القُوطِ إِمَّا لنوفل أبوها وإما عيْدُ شمسٍ وهائمٍ^(٣)

(١) من وصف الزوجة الماشرة لزوجها ، والنس في البخارى « له إبل كثيرات المبارك ، قليلات المسارح ، إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك » .
(صحيح البخارى ٣/ ١٨٤) .

(٢) صحيح البخارى ١/ ٤٩ . . الفرصة بكسر الفاء خرقه أو قطنه تمشح بها المرأة من الحيض .

(٣) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢٠٠ .

فإن بمد مهوى القرط دليل على طول العنق .

ومن لطيف هذا الموضع وحسنه ما يأتي بالفتة مثل ، كقول الرجل إذا نقي من نفسه القبيح « مثل لا يفعل هذا » أى أنا لا أفعله ، فنفي ذلك عن مثله ، ويريد نفيه عن نفسه ، لأنه إذا نفاه عن يمانه وبشابهه فقد نفاه عن نفسه لا محالة ، إذ هو بنى ذلك عنه أجدر . وكذلك يقال « مثلك إذا سئل أعطى » أى أنت إذا سئلت أعطيت ، وصب ورود هذه الفتة في هذا الموضع أنه يحمل من جماعة هذه أوصافهم وتثبيتاً للأمر وتوكيداً ، ولو كان فيه وحده لقلق منه موضعه ولم يرأس فيه قدمه .

وهذا مثل قول القائل إذا كان في مدح إنسان « أنت من القوم الكرام » أى لك في هذا الفعل سابقة ، وأنت حقيق به ، ولست دخيلاً فيه .

وقد ورد هذا في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وهو السميع البصير ^(١) ، والفرق بين قوله ليس كمثل شيء ، وبين قوله ليس كمثل شيء ، هو ما أشرت إليه ، وإن كان الله سبحانه وتعالى لا مثل له حتى يكون لمثله مثل ، وإنما ذكر ذلك على طريق المجاز قصداً للمبالغة .

وقد يأتي هذا للموضع بنحو لفظة مثل وهي مقصودة ، كقولك للعربي « العرب لا تخفر القدم » أى أنت لا تخفر القدم ، وهذا أبلغ من قولك : أنت لا تخفر القدم ، لما أشرت إليه . وعلى نحو من هذا جاء قول أبي الطيب المتنبي :

أست من القوم الذى من رماحهم ندامهم ومن قتلاهم مهجة البخل ^(٢)

(١) الشورى ١١ .

(٢) من قصيدة في رثاء أبي الهيثم عبد الله بن سيف الدولة وقد توفي سنة ٣٣٨ ، والبيت في الديوان :

أست من القوم الألى من رماحهم ندامهم ومن قتلاهم مهجة البخل
(ديوان المتنبي ٢١١/٣)

وإذا فرغت من ذكر الأصول التي قَدِّمْتُ ذكرها ، فإني أتبعها بضرب الأمثلة نثراً ونظماً ، حتى يزداد ما ذكرته وضوحاً .

فمن ذلك ما ورد في القرآن الكريم ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ ^(١) ، فإنه كَتَبَ من الغيبة بأكل الإنسان لحماً لإنسان آخر مثله ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله مَيْتًا ، ثم جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالهبة ، فهذه أربع دلالات واقعة على ما قَصِدَتْ له مطابقةً للمعنى الذي وردت من أجله .

فأما جعل الغيبة كأكل الإنسان لحماً لإنسان آخر مثله فشدید للمناسبة جداً ، لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم ، وتمزيق العرض مماثل لأكل لحماً للإنسان لحماً من يقتابه ، لأن أكل اللحم تمزيق على الحقيقة ، وأما جعله كالحكم الأخ فلما في الغيبة من الكراهة ، لأن العقل والشرع مجتمعان على استكراهها ، أمران بتركها والبعد عنها ، ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحماً الأخ في كراهته . ومن المعلوم أن لحماً الإنسان مستكره عند إنسان آخر ، إلا أنه لا يكون مثل كراهته لحماً أخيه ، وهذا القول مبالغة في استكراه الغيبة . وأما جعل اللحم مَيْتًا فمن أجل أن المقتاب لا يشمر بشيئته ولا يحس بها . وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالهبة ، فلما جُبِلَتْ عليه النفوس من الميل إلى الغيبة والشهوة لها مع العلم بقبحها .

فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكفاية تجدها من أشد الكفايات شَبَهاً ، لأنك إذا نظرت إلى كل واحدة من تلك الدلالات الأربع التي أشرنا إليها وجدتها مناسبة لما قَصِدَتْ له .

وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿ وَأَوْزَرَ لَكُمْ أَرْزَامَهُمْ وِدَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

وَأَرْضًا لَمْ تَطْأُوهَا» (١) ، والأرض التي لم يطأوها كفاية عن مفاتيح النساء ، وذلك من حَسَنِ الكناية ونادره .

وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ﴾ (٢) فكفى بالماء عن العلم ، وبالأودية عن القلوب ، وبالزبد عن الضلال ، وهذه الآية قد ذكرها أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتابه للوسوم بإحياء علوم الدين ، وفي كتابه الموسوم بالجواهر ، والأربعين ، فأشار بها إلى أن في القرآن الكريم إشارات وإيماءات لا تنكشف إلا بعد الموت ، وهذا يدل على أن الغزالي رحمه الله تعالى لم يعلم أن هذه الآية من باب الكنايات التي لفظها يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز . وقد رأيت جماعة من أئمة الفقه لا يحققون أمر الكناية ، وإذا سئلوا عنها عبروا عنها بالمجاز ، وليس الأمر كذلك ، وبينهما وصف جامع ، كهذه الآية وما جرى مجراها ، فإنه يجوز حمل الماء على المطر النازل من السماء وعلى العلم ، وكذلك حمل الأودية على مهابط الأرض وعلى القلوب ، وهكذا يجوز حمل الزبد على الغشاء الرابي الذي تقذنه السيول ، وعلى الضلال ، وليس في أقسام المجاز شيء يجوز حمله على الطرفين معاً سوى الكناية .

وبلغنى عن القراء النحوي أنه ذكر في تفسير آية وزعم أنها كناية ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ، وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَيَتَزَوَّلَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ (٣) فقال إن الجبال كفاية عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الآيات .

وهذه الآية من باب الاستعارة لا من باب الكناية ، لأن الكناية لا تكون إلا فيما جاز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز ، والجبال هنا لا يصح بها المعنى إلا إذا حتمت على جانب المجاز خاصة ، لأن مكر أولئك لم يكن أن يزول منه جبال الأرض ، فإن ذلك محال .

(٢) الرعد ١٧ .

(١) الأحزاب ٢٧ .

(٣) إبراهيم ٤٦ .

وأما ما ورد في الأخبار النبوية فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنه كانت امرأة فيمن كان من قبلنا ، وكان لها ابن عم يحبها ، فراودها عن نفسها ، فامتنعت عليه ، حتى إذا أصابها شدة فجاءت إليه تسأله ، فراودها ، فسكنته من نفسها ، فلما قدم منها مقعد الرجل من المرأة قالت له : لا يحل لك أن تفرض الخاتم إلا بحقه ، فقام عنها وتركها . وهذه كناية واقعة في موقعها .

ومن ذلك أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم : « رُوَيْدُكَ سَوَفَكَ بالقوارير »^(١) يريد بذلك النساء ، فكسى عنهن بالقوارير ، وذلك أنه في بعض أسفاره وغلّام أسود اسمه أنجشة يحذو ، فقال له يا أنجشة رُوَيْدُكَ سَوَفَكَ بالقوارير ، وهذه كناية لطيفة .

وكذلك ورد حديث الحديبية ، وذلك أنه لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرّكبة^(٢) ، جاءه بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِيّ في نفر من قومه من أهل تهامة ، فقال : « تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي زلوا عِدَادَ مِيَاهِ الْحَدْيِيَةِ ، معهم الْعُوذُ الْمُطَافِيلُ وم مقاتلوكم وصادّوك عن البيت »^(٣) وهذه كناية عن النساء والصبيان ، والعوذ جمع هائذ وهي الناقة التي وضعت وقوى ولدها ، وهذا يجوز حمله

(١) كان أنجشة يحذو بالنساء ركابهن . ويرتجز بنسب الشعر والرجز وراءهن ، فلم يؤمن أن يصيبهن ما يسمعن من رقيق الشعر فيهن ، أو يقيم في قلوبهن حداؤه ، فأمر أنجشة بالكف عن نفسه وحدائه حذار صبوتهن إلى غير الجليل . وقيل إن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في الشئ واشتدت فأزججت الراكب فأنتميته فنهائ من ذلك ، لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة . « لسان العرب مادة قرر والنهاية لابن الأثير ٣/٢٤٠ .

(٢) الركبة : البئر .

(٣) العوذ : جمع هائذ وهي من الإبل الحديثة النتاج . المطافيل : التي معها أولادها ، يريد أنهم خرجوا معهم النساء والصبيان .

وفي سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري أن الذي أتى النبي صلى الله عليه وسلم بشر بن صفيان السكبي أوبسر ، وأنه لقيه بصفان ، وهو منهل بين الجحفة ومكة أو بين المسجدين ، أو غير ذلك . فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعوا بيسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمر ، وقد نزلوا بنى ملوى يخلفون بالله لا تدخلها عليهم أبداً .

(سيرة ابن هشام ٢/٣٠٩ وتاريخ الطبري ٣/٧٢)

على طريق الحقيقة ، كما جاز حمله على طريق المجاز ، أى معهم الأموال من الإبل ،
وهى كانت جل أموال العرب ، أى أنهم قد أحضروا أموالهم ليقاتلوا دونها ،
ولما جاز حل العوذ للطفيل على النساء والصبيان وعلى الأموال كان من
باب الكفاية .

ومن ذلك ما ورد فى إقامة الحد على الزانى ، وهو أن يشهد عليه برؤية العيل
فى المكحلة ، وذلك كفاية عن رؤية الفرج فى الفرج .

ومن لطيف الكنايات أن امرأة جاءت لعائشة رضى الله عنها فقالت لها :
« أَقِيدَ جَمَلِي ؟ » فقالت عائشة رضى الله عنها « لا » . أرادت المرأة أن تضع لزوجها
شيئاً يمنعه عن غيرها ، أى تربطه أن يأتى غيرها ، فظاهر هذا اللفظ هو تقييد
الجل ، وباطنه ما أرادته المرأة وفهمته عائشة منها .

وكذلك يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذلك أنه جاء إلى النبی
صلی الله علیه وسلم فقال يا رسول الله : « هلكت ، قال : وما أهلكك ؟ قال :
حَوَاتُ رَحْلِي الْبَارِحَةِ » . فقال النبی صلی الله علیه وسلم : « أَقْبِلْ وَأَذِيرْ وَأَتَّقِ
الدُّبَرَ وَالْحَيْضَةَ » .

ويروى أن عمرو بن العاص زوج ولده عبد الله رضى الله عنه فمكثت المرأة
عنده ثلاث ليال لم يَذْنُ منها ، وإنما كان ملتفتاً إلى صلاته ، فدخل
عمرو بعد ثلاث ، فقال : كيف ترين بَعْلَكَ ؟ فقالت : نعم البَعلُ إلا أنه
لم يُفَتِّشْ لَنَا كَفْناً ، ولا قَرُبَ لَنَا مَضْجَعاً . فقولها لم يقش لنا كنفاً ولا قرب
لنا مضجعاً من الكناية العراء الظاهرة .

ومن أنطاف ما بلغت فى هذا قول عبد الله بن سلام ، فإنه رأى على رجل
ثوباً مصفراً ، فقال : « لو أن ثوبك فى تنور أهلك أو تحت قدرم كان خيراً » .
فذهب الرجل وأحرقه نظراً إلى حقيقة قول عبد الله ، وظاهر مفهومه ، وإنما أراد

المجاز منه ، وهو لو صرفت ثمنه إلى دقيق تمخزه أو حطب تطبخ به كان خيراً ،
والغنى متجاذب بين هذين الوجهين ، فالرجل فهم منه الظاهر الحقيقي فمضى
وأحرق ثوبه ، ومراد عبد الله غيره .

ومن هذا القسم ما ورد من أمثال العرب ، كقولهم إياك وعقيلة الملح .
وذلك كناية عن المرأة الحسناء في منبت السوء ، فإن عقيلة الملح هي اللؤلؤة تكون
في البحر ، فهي حسنة وموضعها ملح .

وكذلك قولهم : ليس له جلد النمر ، كناية عن العداوة .
وقد يقاس على هذا أن يقال لبس له جلد الأسد ، ولبس له جلد الذئب ،
وليس له جلد الأرقم ، لأن هذا كله مثل قولهم لبس له جلد النمر ، إذ العداوة محتملة
في الجميع ، وكذلك قولهم : « قلب له ظهر المِجَن » كناية عن تغيير المودة .
ومما ورد في ذلك شمرأ قول أبي نواس :

لا أذود الطائر عن شجره قد بلوت الدُّ من ثمره^(١)

وهذا له حكاية ، وهو أنه كان لأبي نواس صديقة تنشاه ، فقيل له إنها
تختلف إلى آخر من أهل الرِّيب ، فلم يصدق ذلك حتى تبصها يوماً من الأيام ،
فرآها تدخل منزل ذلك الرجل ، ثم إن ذلك الرجل جاءه وكان صديقاً له فكلمه ،
فصرف وجهه عنه ، ثم نظم قصيدته المشهورة التي مطلعها « أيها المنتاب عن عُفْره »
وهذا البيت من جملة أبياتها .

وكذلك ورد قوله أيضاً :

(١) من قصيدته في مدح العباس بن عبيد الله ، التي مطلعها :
أيها المنتاب عن عُفْره لست من ليل ولا من سمره

(الديوان ٤٢٧)

المنتاب : المتردد مرة بعد مرة . العفر : يسكون الغاء من ليالي الشهر السابعة والثامنة
والثاسعة . وحرك الغاء لضرورة الشعر ، يقول : أيها الزائر للسير والحديث لست مني وأنت
منك ، لأن ليل لا يشبه ليلك ، وسمرى بعيد من سمرك ، لأنني وني وأنت غادر .

ونافذة إلى من الثَّقابِ تلاحظى بظرفٍ مُتَرابٍ
كشفتُ قناعها فإذا عجوزٌ مُمَوَّهةٌ المِزَارِقُ بالخِضابِ
فما زالت تُحَمِّسُنِي طويلاً وتأخذ في أحاديث التَّصانِي
تُحاول أن يقوم أبو زياد ودون قيامه شَيْبُ الغرابِ
أنتِ بجراها تكثال فيه فقامت وهي قارعةُ الجِرابِ^(١)

فقوله : أنتِ بجراها تكثال فيه كناية ، إذ الجراب يجوز حمله على الحقيقة
والمجاز ، وكذلك الكيل أيضاً .

ومما جاء من هذا الباب أيضاً قول أبي تمام في قصيدته التي يستعطف بها
مالك بن طوق على قومه التي مطلعها :

« أَرْضٌ مُصَرَّدةٌ وَأَرْضٌ مَنجَمٌ »

مالى رأيت ترابكم يَبْسُ الثرى مالى أرى أطوادكم تَتَهَدَّمُ^(٢)

فببس الثرى كناية عن تَنَكَّرُ دات البين ، تقول ببس الثرى ببى وبين
خلان إذا تنكر الود الذى بينك وبينه ، وكذلك تهدم الأطواد ، فإنه كناية عن
خفة الحلوم وطيش العقول .

(١) ليست في الديوان .

(٢) مطلع القصيدة في الديوان : أرض مصردة وأخرى تنجم .

مصردة : قليلة الرى والمطر . تنجم : يدوم عليها المطر .

والبيت في الديوان هكذا :

مالى رأيت ترابكم يَبْسُ له مالى أرى أطوادكم تَهْدَمُ

الضمير في (له) يعود على شخص المذكور في القصيدة من قبل اسمه مالك ، أغضبه هؤلاء
وهو عظيم جليل النفع . (الديوان ١٩٩)

ومن الكناية الحسنة قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته التي يعاتب فيها سيف الدولة بن حمدان التي مطلعها :

« وا حرّ قلباه ممن قلبه شـبـيـم »

ونثر ما قنصته راحتي قنصُ شهبُ البزاةِ ضوًّا فيه والرخمُ^(١)

يشير بذلك إلى أن سيف الدولة يستوى في المنال منه هو وغيره ، هو البازي وغيره الرخمة ، وإن حل المعنى على جانب الحقيقة كان جائزاً .

وعلى هذا ورد قول الأقيشر الأسيدي ، وكان عتيبا لا يأتي النساء ، وكان كثيراً ما يصف ذلك من نفسه ، فجلس إليه يوما رجل من قبض فأنشد الأقيشر :

ولقد أروح بمشرف ذي ميعة عَمِيرِ الْمَكْرَةِ ماؤهُ يَنْفَعُ
مَرِحٍ يطير من المِراحِ لُهاهُ وَيَكاد جِلْدُهُ إهابه يَنْفَعُ^(٢)

(١) الديوان ١١٦/٤ مطلع القصيدة :

وا حر قلباه ممن قلبه شبـيـم ومن مجسمى وحالى عنده سقم

شبـيـم : بارد . الشهب : جم أشهب وهو ما فيه بياض يخالطه سواد ، الرخم : جم رخمة وهي طائر من الجوارح الكبيرة الجسم الوحشية الطباع ، قالوا إنه موصوف بالقدر والقدر . البزاة : جم باز وهو ضرب من الصقور .

(٢) الميعة : المراد بها القوة والنشاط ، من ماع الشيء يمعم إذا جرى على وجه الأرض متيسطا ، وماع الفرس إذا جرى .

ينفعد : يسيل ويجري على الأرض .

والبيتان في الأغاني (٨٣/١٠) هكذا

ولقد أروح بمشرف ذي شمرة عسر المكرة ماؤهُ ينفعد

مرح يطير من اللماح مراحه وتسكاد جلدته به تنفعد

والصواب الأقيشر كما في الأغاني لا الأقيس كما في الأصل . وينفعد بالفاء لا بالفاء كما

كانت بالأصل .

ثم قال له : أتبصر الشعر ؟ قال : نعم ، قال : فما وصفتُ ، قال : فرسا .
قال : أفكنت تركبه لو رأيته ؟ قال : إني والله وأنتني عطفه ، فكشف له عن
أبرزه ، وقال : هذا وصفتُ فقم واركبه ، فوثب الرجل عن مكانه ، وقال : قبحك
الله من جلس سائر اليوم .

وكذلك أيضا يحكى أنه وفد سعيد بن عبد الرحمن على هشام بن عبد الملك ،
وكان جميل الوجه ، فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الوليد بن يزيد ،
فراوده عن نفسه ، فوثب من عنده ، ودخل على هشام وهو يقول :

إنه والله لولا أنت لم ينبج مني سالما عبد الصمد

فقال هشام : ولم ذلك ؟ قال :

إنه قد رام مني خطئة لم ير منها قبله مني أحد

قال : ما هي ، قال :

راح جهلاى وجهلا بأبى بدخل الأفعى على حبس الأسد^(١)

قال : فضحك هشام . وقال : لو فعلت به شيئا لم أنكره عليك .

ومن أطف ما سمعته في هذا الباب قول أبى نواس في المجاء :

إذا ما كنت جار أبى حسين فتم ويداك في طارف السلاج

فإن له نساء سارقات إذا ما بين أطراف الرماح

مرقن وقد نزلت عليه أبرى فلم أظفر به حتى الصباح

(١) حبس الأسد : المراد غيله ، لأن الحبس الجبل العظيم ونطاق المودج وثوب يطرح
على الفرائش للنوم عليه .

فجاء وقد تمخّدتْ جانباها بَيْنَ إِلَى من ألم الجراح^(١)
 تنمهره عن العضو للشار إليه بأطراف الرماح تبهر في غاية اللطافة والحسن .
 وقد أُذْخِلَ في باب الكناية ما ليس منه كقول نُصَيْب :

فصَاحُوا فَأَتَوْنَا بِالْقَى أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ^(٢)

فهذا يروى من الجاحظ ، وما أعلم كُفٍ ذهب عليه مع شهرته بالمعرفة بفن
 الفصاحة والبلاغة ، فإن الكناية هو ما جاز حمله على جانب الحقيقة ، كما يجوز
 حمله على جانب المجاز ، وهاهنا لا يصح ذلك ولا يستقيم ، لأن الثناء للحقائب
 لا يكون إلا مجازاً ، وهذا من باب التشبيه للضمير الأداة الخارج عن الكناية ،
 والمراد به أن في الحقائب من عطايك ما يعرب عن الثناء ، لو سكت أمحائها عنه .

ما يقيح ذكره هو الكناية :

وأما القسم المختص بما يقيح ذكره من الكناية فإنه لا يحسن استعماله ،
 لأنه عيب في الكلام قاحش ، وذلك لعدم الفائدة المرادة من الكناية فيه .

فما جاء منه قول الشريف الرضي يربى امرأة :

« إِنْ لَمْ تَكُنْ نَصْلًا فَتَعَمْدُ نَصَالًا »^(٣)

-
- (١) ليست الأبيات في ديوان أبي نواس المطبوع .
 (٢) الصناعتين ٢١٤ وعبود الأخبار ٢٩٩/١ والأغانى ١٣٠/١ من مقطوعة في
 مدح سليمان بن عبد الملك .
 (٣) البيت في الديوان هكذا .

إلا يكن نصلاً فتعمد نصول غالته أحداث الزمان يقول
 أولاً يكن بأبى شبول ضيق ندى أظافره فأمر شبول
 في تمزية أبى سعيد طى بن محمد بن أبى خلف عن أخت له توفيت .
 (ديوان الشريف الرضى ٦٧٧/٢)

وفي هذا من سوء الكناية مالاخفاء به ، فإن الوهم يسبق في هذا الموضع إلى ما يبيح ذكره ، وهذا المعنى أخذه من قول الفرزدق ، فمسحه وشوه صورته ، فإن الفرزدق رثى امرأته فقال :

وَجَفَنُ سِلَاحٍ قَدْ رُزْتُ فَلَمْ أُنْخِ عَلَيْهِ وَلَمْ أُبَثْ إِلَيْهِ الْبَوَاكِيَا
وفي جوفه من دَارِمٍ ذُو حَفِيزَةٍ لَوْ أَنَّ الْمَنِيَا أُمُيِّلَتْ — إِيَالِيَا^(١)
وهذا حسن بدیع في معناه ، وما كُنِيَ عن امرأة ماتت بِجُمُعِ^(٢) أحسن
من هذه الكناية ، وَلَا أَفْخَمَ شَأْنًا ، فجاء الشريف الرضي فأخذ معناها وفعل به
ما ترى ، وليس كل من تصرف في المعاني أحسن في تصرفها ، وأبقى هذه الرموز
في تأليفها .

وقد عكس هذه القصة مع أبي الطيب المتنبى فأحسن فيما أساء به أبو الطيب
طريق الكناية ، فأخطأ حيث قال :

إِنِّي عَلَى شَخَفٍ بِمَا فِي خُجْرِهَا لِأَعِفَّ عَمَّا فِي سَرَائِلَاتِهَا^(٣)
وهذه كناية عن الزاهة والعمفة إلا أن الفجور أحسن منها .

وقد أخذ الشريف الرضي هذا المعنى فأبرزه في أحسن صورة حيث قال :

(١) البيتان في الديوان هكذا .

وغمد سلاح قد رزئت فلم أنخ عليه ولم أبث عليه البواكيا
وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو ان المنيا أميئت ليايا
(الديوان ٨٩٤/٢)

(٢) ماتت المرأة بجمع : مثله أي عذراء أو حاملا أو مثقلة والمراد هنا أنها حامل .

(٣) من قصيدته في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران (الديوان ٢٥٥/١) وقد ذكره
أبو هلال في الصناعتين وعابه ٣٧٥ . قال صاحب بن عباد : كان الشعراء يصفون المآزر
تفريها لألفاظها عما يستعشم ، حتى تغطي هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح ، وكثير من الدهر
أحسن عندى من هذا العفاف . واعتذر بعضهم عن المتنبى بأنه قال : سراييلاتها ، جمع سرايل
وهو القميص ، وكذا رواه الخوارزمي ، يريد أنه مع حبه لوجههن يعف عن أبدانهن .

أَحْنُ إِلَى مَا تَضَمَّنَ الْخُزْمُ وَالْحَلَى وَأَصْدِفُ عَمَّا فِي ضَمَانِ الْمَآزِرِ^(١)
وَأَمْثَالُ هَذَا كَثِيرٌ ، وَفِيهَا ذِكْرُهُ مِنْ هَذِينَ الْمَثَالِينَ مَقْتَعٌ .

وَأَمَّا التَّعْرِيفُ فَقَدْ صَبَقَ الْإِعْلَامُ بِهِ ، وَعَرَفْنَاكَ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكُنْيَاةِ ،
فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَطَلْتَ هَذَا بَالِهْتُنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ؟ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ
كَبِيرٌ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾^(٢) ، وَغَرَضُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ
هَذَا الْكَلَامِ إِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، لِأَنَّهُ قَالَ : فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ، وَذَلِكَ
عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِهْزَاءِ ، وَهَذَا مِنْ رَمُوزِ الْكَلَامِ ، وَالتَّوَلُّوْا فِيهِ أَنْ قَصَدَ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَرُدَّ بِهِ نِسْبَةُ الْفِعْلِ الصَّادِرِ عَنْهُ إِلَى الصَّنَمِ ، وَإِنَّمَا قَصَدَ تَقْدِيرَهُ لِنَفْسِهِ
وَلِإِثْبَاتِهِ عَلَى أَسْلُوبِ تَعْرِيفٍ يَبْلُغُ فِيهِ غَرَضُهُ مِنْ إِثْرَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ ،
وَقَدْ يُقَالُ فِي هَذَا غَيْرُ مَا أَشْرَتْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ أَنَّ كَبِيرَ الْأَصْنَامِ غَضِبَ أَنْ تَعْبُدَ مَعَهُ
هَذِهِ الْأَصْنَامُ الصَّغَارَ فَكَسَرَهَا ، وَغَرَضُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَحْجُوزُ أَنْ يَعْبُدَ
مَعَ اللَّهِ تَعَالَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَإِنْ مِنْهُ دُونُهُ مَخْلُوقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ ، فَجَعَلَ إِسْهَاقُ
الْقَوْلَ إِلَى كَبِيرِ الْأَصْنَامِ مَثَالًا لِمَا أَرَادَهُ .

وَمِنْ هَذَا التَّقْسِيمِ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ
مَا تَرَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا بَادِي الرَّأْيِ وَمَا رَى
لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾^(٣) ، فَقَوْلُهُ مَا تَرَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا
تَعْرِيفٌ بِأَنَّهُمْ أَحَقُّ مِنْهُ بِالنَّبُوءَةِ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَجْهَلَ فِي أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ
لَجَعَلَهَا فِيهِمْ ، فَقَالُوا هَبْ أَنْتَ وَاحِدٌ مِنَ الْمَلَأِ وَمَوَازِيَهُمْ فِي الْمَنْزَلَةِ ، فَمَا جَعَلْتَ أَحَقَّ
مِنْهُمْ بِهَا ؟ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِمْ وَمَا رَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ .

(٤) مِنْ قَصِيدَتِهِ فِي مَدْحِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ خَالِدٍ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

بَغِيرِ شَفِيعِ نَالِ عَفْوِ الْمَقَادِرِ أَخُو الْجِدِّ لَا مُسْتَنْصِرًا بِالْمَعَادِرِ

وَفِي الدِّيْوَانِ (يَحْنُ) بَدَلًا مِنْ (أَحْنُ) وَيَصْدَفُ بَدَلًا مِنْ أَصْدَفِ (الدِّيْوَانُ ٣٤٣)

(٦) هُوَ ٢٧ .

(٥) الْأَنْبِيَاءُ ٦٣ .

وكان مروان بن الحكم واليا على المدينة من قبل معاوية ، فعزله ، فلما قدم إليه قال له : عزائك ثلاث لو لم تكن إلا واحدة ممنن لأوجبت عزاك : إسداهن أنى أمرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفى منه ، والثانية كراهتك أمر زياد ، والثالثة أن ابنتي رَمْلَةَ استعذتك على زوجها عمر بن عثمان فلم تُعِدها .

فقال له مروان : أما عبد الله بن عامر فإنى لا أنتصر منه فى ساطانى ، ولكن إذا تساوت الأقدام عَهِمَ أين موضعه ، وأما كراهتى أمر زياد فإن سائر بنى أمية كرهوه ، وأما استعذاء رَمْلَةَ على عمر بن عثمان فوالله إنه لتأتى على صنه وأكثر . وعندى بنت عثمان فمأ كُشف لها ثوبها . يريد بذلك أن رَمْلَةَ بنت معاوية إنما استعذت لطلب الجماع فقال له معاوية : يا ابن الوزغ^(١) است هناك ، فقال مروان : هو ذاك . وهذا من التعريضات اللطيفة .

ومثله فى اللطافة ما يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذلك أنه كان يخطب يوم الجمعة ، فدخل عليه عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فقال له عمر : أية ساعة هذه ؟ فقال عثمان : يا أمير المؤمنين انقلبت من أمر السوق فسمعت النداء ، فما زدت على أن توضأت . فقال عمر : والوضوء أيضا ، وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالنَّسَل^(٢) .

فقوله «أية ساعة هذه» تعريض بالإنكار عليه ، لتأخره عن الحجى إلى الصلاة ، وترك السَّبْق إليها ، وهو من التعريض العربى عن الأدب .

ووقفت فى كتاب العقْد^(٣) على حكاية تعريضية حسنة للموقع ، هى أن

(١) الوزغ : الرجل الفاسد المريض الفسل . والوزغة عركة سام أبرص جمعها وزغ .

(٢) فى الصناعتين ١٦ ذكر لهذا الحوار موجز ، وفى نهايته : أما سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال . « من أتى الجمعة فليغتسل » .

(٣) العقْد الفريد لابن عبد ربه .

امراة وقفت على قيس بن عبادة فقالت : « أشكو إليك قلة الفأر في بيتي » فقال :
ما أحسن ما وُردت عن حاجتها ، املأوا بيئتها خبزاً وسمنا ولحماً .

ومن خفي التمريض وفامضه ما ورد في الحديث الشريف ، وهو أن النبي
صلى الله عليه وسلم خرج وهو محتضن أحد ابني بنته ، وهو يقول : « والله إنكم
لَتُجَبِّونَ وَتُبَخِّلُونَ وَتُجَمَّلُونَ ، وإنكم من رِيحان الله ، وإن آخر وطأة وطئها
الله بوج » (١) .

اعلم أن وجًا بالطائف ، والمراد به غزاة حنين ، وحنين واد قبل
وَجْرَ ، لأن غزاة حنين آخر غزاة أوقع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
المشركين ، وأما غزوات الطائف ونهوك اللتان كانتا بعد حنين فلم يكن فيها وطأة
أى قتال ، وإنما كانتا مجرد خروج إلى الفزو من غير ملاقاته عدو ولا قتال .

ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « وإن آخر وطأة
وطئها الله بوج » على ما قبله من الحديث هو التأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته ،
لأن غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان ، ووفاته صلى الله عليه وسلم كانت في ربيع
الأول من سنة إحدى عشرة ، وبينهما سنتان ونصف ، فكأنه قال : وإنكم من
ريحان الله أى من رزقه ، وأنا مفارقكم عن قريب ، إلا أنه صانع عن قوله :
وأنا مفارقكم عن قريب بقوله : وإن آخر وطأة وطئها الله بوج ، وكان ذلك
تمريضاً بما أراده وقصده من قرب وفاته صلى الله عليه وسلم .

وعما ورد في هذا الباب شعراً قول الشَّيْذَرِ الحارثي :

بني عننا لا تذكروا الشعرَ بَعْدَ مَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ النَّبِيِّ الْقَوَايَا (٢)

(١) اسم واد بالطائف لا بلد به ومنه ، « آخر وطأة وطئها الله بوج » يريد غزوة
حنين لا الطائف (القاموس المحيط مادة وج) .

(٢) الصواب الشَّيْذَرِ وكانت بالأصل الشَّيْذَرِ . ورد الشعر في شرح ديوان الحماسة
للرزوقي (١٤٤/١) وللتبريزي ٦١/١ .

الضمير على وزن زبير موضع قرب ذات عرق وموضع بديار بني كلاب .

وليس قصده ها هنا الشعر بل قصده ما جرى لهم في هذا الموضع من الظهور عليهم والظلمة ، إلا أنه لم يذكر ذلك ، بل ذكر الشعر ، وجعله تعريضا لما قصده ، أى لا تفتخروا بعد تلك الوقعة التى جرت لكم ولنا بذلك المكان .

ومن أحسن التمریضات ما كتبه عمرو بن مسعدة الكاتب إلى المأمون فى أمر بعض أصحابه وهو : « أما بعد فقد استشفع بى فلان إلى أمير المؤمنين ، ليتطول فى إلحاقه بنظرائه من الخاصة ، فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين ، وفى ابتدائه بذلك تعدى طاعته » .

فوقع للمأمون فى ظهر كتابه : « قد عرفت تهريبك وتهريضك لنفسك ، وقد أجبتك إليها » (١) .

واعلم أن هذين القسمين من السكناية والتمريض قد وردا فى غير اللغة العربية ، ووجدتهما فى اللغة الميربانية ، فإن الإنجيل الذى فى أيدي النصارى قد أتى منهما بالكثير .

ومما وجدته من السكناية فى لغة الفرس : أنه كان وجل من أساورة (٢) كسرى وخواصه ، فقيل له إن الملك يختلف إلى امرأتك ، فهجرها لذلك ، وترك فراشها ، فأخبرت كسرى ، فدعاه وقال له : قد بلغنى أن لك عينا عذبة وأنت لا تشرب منها ، فما سبب ذلك ؟ قال : أيها الملك ، بلغنى أن الأسد يردّها نخفته ، فاستحسن كسرى منه هذا الكلام ، وأسنى عظامه .

(١) فى الصناعتين نص هذه الرسالة مع تغيير ٣٦٨ .
(٢) الأساورة : جمع أسوار بضم الهمزة وكسرهما وهو القائد من الفرس أو هو الفارس .

النوع العشرون

في المغالطات المعنوية

وهذا النوع من أحلى ما استعمل في الكلام وأطفه ، لما فيه من التورية ، وحقيقته أن يذكر معنى من المعاني له مثل في شيء آخر ونقيض ، والنقيض أحسن موقعاً وأطف مأخذاً ، فالأول الذي يكون له مثل يقع في الألفاظ المشتركة ، من ذلك قول أبي الطيب المتنبي :

بِشَاهِمٍ بِكُلِّ أَقْبَى نَهْدٍ لِفَارِسِهِ عَلَى الْخَيْلِ الْخِيَارِ
وَكُلِّ أَصَمٍّ يَغْشَى جَانِبَهُ عَلَى الْكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُجَارٍ
يَنَادِرُ كُلَّ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِ وَلِبَتُهُ لَتَمَلْبِهِ وَجَارٍ^(١)

فالتعليب هو هذا الحيوان المعروف ، والوجار اسم بيته ، والتعليب أيضاً هو طرف سنان الرمح ، فلما اتفق الاسمان بين التعالين حسن ذكر الوجار في طرف اللسان ، وهذا نقل المعنى من مثله إلى مثله .

وعليه ورد قول المتنبي :

بِرَغْمِ شَيْبٍ فَارَقَ السِّيفَ كَفَّهُ وَكَانَا عَلَى الْعِلَاتِ يَصْطَاحِبَانِ

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما أوقع بني عقيل وقشير وبني العجلان وبني كلاب حين هانوا وخالفوا عليه (الديوان ٢/ ٢٤٣) .
يشاهم : يطردم . الأقب : الضامر البطن . نهدي : مرتقم . يقول إنه يطردم بكل فرس ضامر نهدي لفارسه الخيار ، إن شاء لحق وإن شاء سبق . أصم : رمح صلب ليس بأجوف . يغسل : يضطرب . مزار : مسال مهرق . ينادر : يترك والضمير للرمح . اللبة : أعلى الصدر . التعليب . المراد هنا ما دخل من الرمح في السنان . الوجار : بيت الوحش من ضميم وتعليب ونحوهما يقول : إن هذا الرمح يترك من يلتفت إليه من الأعداء ونحوه مطعون يدخل تعالبه في نحره .

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَاتُ سَيْفِهِ رَفِيقُكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِي (١)
فَإِنْ شَبِيهَا الْخَارِجِيُّ الَّذِي خَرَجَ عَلَى كَافُورِ الْإِخْشِيدِي وَقَصَدَ دِمَشْقَ
وَحَاصَرَهَا وَقَتَلَ عَلَى حَصَارِهَا كَانَ مِنْ قَيْسٍ ، وَلَمْ تَزَلْ بَيْنَ قَيْسٍ وَالْبَيْنِ عِدَاوَاتٍ
وَحُرُوبٍ ، وَأَخْبَارُ ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ .

وَالسَّيْفُ يُقَالُ لَهُ يَمَانِي فِي نَسَبِهِ إِلَى الْبَيْنِ ، وَمَرَادُ الْمُتَنَبِّئِي مِنْ هَذَا الْبَيْتِ
أَنْ شَبِيهَا لَمَّا قَتَلَ وَفَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ فَكَأَنَّ النَّاسَ قَالُوا لِسَيْفِهِ أَنْتَ يَمَانِي
وَصَاحِبُكَ قَيْسِي ، وَلِهَذَا جَانَبَهُ السَّيْفُ وَفَارَقَهُ ، وَهَذِهِ مِثَالُهَا حَسَنَةٌ ، وَهِيَ كَالْأَوَّلَى
إِلَّا أَنَّهَا أَدَقُّ وَأَغْمَضُ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ مِنْ أَيْيَاتِ يَهُجُو بِهَا شَاعِرًا لَجَاءَ مِنْ جِهَاتِهَا قَوْلُهُ :
وَحَاطْتُكُمْ بِمِصْرَ الْقُرْآنِ بِيَمِضِهِ فُجِئْتُمْ الشُّعْرَاءَ فِي الْأَنْعَامِ
وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الشُّعْرَاءَ اسْمُ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالْأَنْعَامُ اسْمُ
سُورَةٍ أَيْضًا ، وَالشُّعْرَاءُ جَمْعُ شَاعِرٍ ، وَالْأَنْعَامُ مَا كَانَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ .
وَكَذَلِكَ وَرَدَ بِبَعْضِ قَوْلِ الْعِرَاقِيِّينَ يَهُجُو رَجُلًا كَانَ عَلَى مَذْهَبِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَذْهَبِ
الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَنْ مَبْلَغٌ عَنِ الْوَجِيهَةِ رِسَالَةٌ وَإِنْ كَانَ لَا تُجِدِي لَدَيْهِ الرِّسَالَةُ

(١) مِنْ قَصِيدَتِهِ فِي مَدْحِ كَافُورِ الْإِخْشِيدِي بَعْدَ قَتْلِ شَبِيحِ الْمُعْتَمِدِي بِدِمَشْقَ سَنَةِ ٣٤٨ هـ
لَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِ . (الديوان ٤/٤٧٢) .

كَانَ شَبِيحٌ مِنَ الْقَرَامِطَةِ ، وَكَانُوا مَعَ سَيِّفِ الدَّوْلَةِ ، وَتَوَلَّى شَبِيحٌ مَعْرَةَ النِّعَانِ دِهْرًا
طَوِيلًا ، ثُمَّ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ فَوْقَ عِصْرَةِ آلَافٍ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ عَلَى كَافُورٍ ،
وَقَصَدَ دِمَشْقَ فَحَاصَرَهَا ، فَيُقَالُ إِنَّ امْرَأَةً أَلْقَتْ عَلَيْهِ رَحِيَّ فَنَصَرَعَتْ فَانْهَزَمَ مِنْ كَانُوا مَعَهُ ،
وَيُقَالُ إِنَّهُ حَدَّثَ بِهِ صَرَحٌ مِنَ الْخُرَفَةِ أَنَّ أَصْحَابَهُ وَمُضُوا فَأَخَذَهُ أَهْلُ دِمَشْقَ وَقَتَلُوهُ .
قَيْسٌ : مِنْ قَيْسِ الْعَدْنَانِيَّةِ . يَمَانِي : مِنَ الْيَمَانِيَّةِ .

وَكَانَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَأَوَّلِكَ شِقَاقٌ وَتَنَازُعٌ وَاخْتِلَافٌ ، يَقُولُ : كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ أَغْرَتَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَيْفِهِ لِكَثْرَةِ قَطْعِهِ إِيَّاهَا ، فَقَالَتْ لِسَيْفِهِ : إِنَّ شَبِيحًا الَّذِي يَصَاحِبُكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِي ،
وَالسَّيْفُ الْجَدِيدُ تَنْسَبُ إِلَى الْبَيْنِ ، فَفَارَقَهُ سَيْفُهُ لَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ غَالَفَ لَهُ فِي الْأَصْلِ .

تَمَذَّهَبَتْ لِنَعْمَانٍ بَعْدَ ابْنِ حَنْبَلٍ وَفَارَقَتْهُ إِذْ أَعْوَزَتْكَ الْمَاءَ كُلَّ
وَمَا اخْتَرْتَ رَأْيِي الشَّافِعِي تَدِينُنَا وَلَكِنَّمَا تَهْوَى الْقَدَى مِنْهُ حَاصِلٌ
وَعَمَّا قَلِيلٍ أَنْتَ لَا شَكَّ صَائِرٌ إِلَى مَالِكٍ قَافِظُنْ لِمَا أَنَا قَائِلٌ
وَمَالِكٌ هُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ صَاحِبُ الْمَذْهَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَالِكٌ هُوَ خَازِنُ
النَّارِ ، وَهَذِهِ مِثَالُهَا لَطِيفَةٌ .

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا سَمِعْتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ هُوَ قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ ابْنِ سُلَيْمَانَ فِي الْإِبِلِ (١) :
صَلْبُ الْعَصَا بِالضَّرْبِ قَدْ دَمَّاهَا تَوَدُّ أَنْ اللَّهُ قَدْ أَفْنَاهَا
إِذَا أَرَادَتْ رَشْدًا أَغْوَاهَا مَحَالُهُ مِنْ رَقَةٍ إِيَّاهَا (٢)
فَالضَّرْبُ لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ يُطْلَقُ عَلَى الضَّرْبِ بِالْعَصَا ، وَعَلَى الضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ
وَهُوَ السَّيْرُ فِيهَا ، وَكَذَلِكَ دَمَّاهَا فَإِنَّهُ لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ يُطْلَقُ عَلَى شَيْئَيْنِ أَحَدُهُمَا يُقَالُ
دَمَّاهُ إِذَا أَسَالَ دَمُهُ ، وَدَمَّاهُ إِذَا جَعَلَهُ كَالدَّمِ وَهِيَ الصُّورَةُ ، وَكَذَلِكَ لَفْظُ الْفَنَاءِ
فَإِنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى غَنَبِ الثَّلَبِ ، وَعَلَى إِذْهَابِ الشَّيْءِ إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ ، يُقَالُ
أَفْنَاهُ إِذَا أَذْهَبَهُ ، وَأَفْنَاهُ إِذَا أَطْعَمَهُ الْفَنَاءَ وَهُوَ غَنَبُ الثَّلَبِ ، وَالرَّشْدُ وَالْقَوَى

(١) يريد الشاعر الفيلسوف أحمد بن عبد الله بن سليمان المروزي المولود بالمرة سنة ٣٦٣ هـ والمتوفى بها سنة ٤٤٩ هـ .

(٢) ليس البيتان بسقط الزند ولا بالازوميات وقد جاء بلسان العرب مادة (دى) :
دى الراعى الماشية جعلها كالدى ، وأنشد أبو العلاء :

صَلْبُ الْعَصَا بِرَعِيَّةٍ دَمَّاهَا يَبُودُ أَنْتَ اللَّهُ قَدْ أَفْنَاهَا
أَيُّ أَنَّهُ أَرَعَاهَا فَسَمِعْتُ حَتَّى صَارَتْ كَالدِّي .

وَذَكَرَ فِي مَادَّةِ (فَي) أَنَّ الرَّاجِزَ وَصَفَ رَاعِيَّ غَنَمٍ فَقَالَ :

صَلْبُ الْعَصَا بِالضَّرْبِ قَدْ دَمَّاهَا يَقُولُ نَيْتُ اللَّهُ قَدْ أَفْنَاهَا
وَأَفْنَاهَا أَيُّ أَنْتِ لَهَا الْفَنَاءُ وَهُوَ غَنَبُ الثَّلَبِ حَتَّى تَغْزُرَ وَتَسْمَنَ .

وَجَاءَ فِي كِتَابِ الْعَصَا لِأَسَامَةِ بْنِ مَنَظَرٍ (نَوَادِرُ الْمَخْطُوطَاتِ ١٨٨) : « قَالَ الرَّاعِي
يَصِفُ رَاعِيًّا :

صَلْبُ الْعَصَا بِضَرْبَةٍ دَمَّاهَا إِذَا أَرَادَ رَشْدًا أَغْوَاهَا
وَالضَّرْبَةُ هِيَ السَّيْرُ وَالسَّفَرُ ، وَدَمَّاهَا أَيُّ تَرَكَّهَا كَالدَّمِ ، وَأَغْوَاهَا أَيُّ أَرَعَاهَا .
وَالْفَنَاءُ وَهُوَ نَيْتُ تَسْمَنَ عَلَيْهِ الْإِبِلُ » .

نباتان^(٣) يقال أغواه إذا أضله ، وأغواه إذا أطعمه القوى ، ويقال طلب رشداً إذا طلب ذلك النبات ، وطلب رشداً إذا طلب الهداية ، وبعض الناس يظن هذه الأبيات من باب القفز ، وليس كذلك لأنها تشتمل على ألفاظ مشتركة ، وذلك معنى ظاهر يُستخرج من دلالة اللفظ عليه ، والقفز هو الذى يستخرج عن طريق الحزر والخدس ، لا من دلالة اللفظ عليه ، وسأوضح ذلك إيضاحاً جلياً فى النوع الحادى والعشرين ، وهو الذى يتلو هذا الباب ، فليؤخذ من هناك .

ويزوى فى الأخبار الواردة فى غَزَاةٍ بدر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان سارراً بأصحابه يقصد بدرأ ، فلقبهم رجل من العرب فقال : **يَمْنٌ للقوم ؟** فقال النبى صلى الله عليه وسلم من ماء ، فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء ، لينظر أى بطون العرب يقال لها ماء ، فسار النبى صلى الله عليه وسلم لوجهته ، وكان قصده أن يكتم أمره .

وهذا من المغالطة للمثلية ، لأنه يجوز أن يكون المراد أن خلقهم من ماء . وقد جاءنى شئ من ذلك فى الكلام للثور ، فمفه ما كتبه فى فصل من كتاب عند دخولى إلى بلاد الروم ، أصف فيه البرد والتلج ، قلت : **« ومن صفات هذا البرد أنه يعقد الدُّرَّ فى خَلْفِهِ ، والدمع فى طَرْفِهِ ، وربما تعدى إلى قَلْبِ الخاطر فأجفَّه أن يجرى بوصفه ، فالشمس مأسورة ، والنار مقرورة ، والأرض شهباء غير أنها حَوَالِيه ، ومَسِيلَات الجبال أنهار غير أنها جامدة لم تَخْضْ »** ومكان المغالطة من هذا الكلام فى قولى **« والأرض شهباء غير أنها حَوَالِيه لم تَرْضْ »** فإن الشهباء من الخليل يقال فيها حَوَالِيه أى لها حول ، ويقال إنها مَرْوَصَةٌ أى ذُلَّت للركوب ، وهذه الأرض مضى للتلج عليها حول ففى شهباء حَوَالِيه ، وقولى لم تَرْضْ أى لم تسلك بَدُ .

(٣) لم نجد فى اللسان ولا القاموس أن الرشد والغواء أو القوى نوعان من النبات ، وإنما وجدنا أن حب الرشاد نبات وكذلك الفاقة .
والشطر الرابع غامض لعل فيه تصحيحاً لم نهتد إليه .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم فقلت : « ولقد نزلت منه بهلبي الصنم
أحنفي الأخلاق^(١) ، ولقيته فكأنني لم أرغ من أحب بلوعة الفراق ، ولا كرامة
للأهل والوطن حتى أقول إنني قد استبدلت به أهلاً ووطناً ، وعهدى بالأيام وهي
من الإحسان فاطمة ، فاستولدتها بحواره حسناً » .

وهذه تورية لطيفة ، فإن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن
رضي الله عنهما ولدها ، وفاطمة هي اسم فاعل من القِطام ، يقال فَطَمْتُ فهي
فاطمة ، كما يقال فُطِمَ فهو فاطِمٌ^(٢) ، والحسن هو الشيء الحسن الأسلوب .

ومن هذا الأسلوب ما كتبت في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان فقلت :
« وعهدى بقلبي وهو يتحلى من البيان بأسمائه ، وتبرز أنوار المعاني من
ظلماته ، وقد أصبحت يدي منه وهي حاملة الخطب ، وأصبح خاطري أبا جهل
بعد أن كان أبا لهب » .

وهذا أحسن من الأول وأحلب عبارة ، فانظر أيها المتأمل إلى ما فيه من
التورية اللطيفة ، ألا ترى أن الخاطر يُحمد فيوصف بأنه وقاد وملتهب ، ويُذمُّ
فيوصف بأنه بليد وجاهل ؟ وأبو لهب وأبو جهل هما الرجلان المعروفان ، وكذلك
حالة الخطب هي المرأة المعروفة ، وإذا ذمَّ القلم قيل إنه حطَبٌ ، وإن صاحبه
حاطب ، فلما نقَّلت أنا هذا المعنى الذي قصدته جئت به على حكم المغالطة ،
ووريت فيه تورية .

والمسلك إلى مثل هذه المعاني وتصحيح المقصد فيها عسر جداً ، لا جرم أن
الإجادة فيها قليلة .

(١) مهلبى : نسبة إلى المهلب بن أبي صفرة القائد الباسل الذي حارب الخوارج مرات ،
وكان كريماً سديماً . أحنف : نسبة إلى الأحنف بن قيس عاش إلى الدولة الأموية وكان مشهوراً
بالعلم وكرم الخلق .

(٢) في القاموس المحيط مادة فطم : ناقة فاطم بلغ حوارها سنة . وأفطمت السفلة حان
أن تفطم ، فإذا فطمت فهي فاطم ومقطومة .

وبما يجرى هذا المجرى ما ذكرته في وصف شخص بمعالى الأمور وهو :
 « من أبرّ مساعيه أنه حاز قفلَ المَكْرُمات ومفتاحها ، فإذا سئل مَنْقِبَةً كان
 منّاءها ، وإذا سئل مَنْهَبَةً كان مَنّاحها ، وأحسنُ أثرٍ من ذلك أنه أخذ بأعنة
 الصَّطاب والآن يَجاحها ، فإذا شهد حَوْمَةً حرب كان منصورها ، وإذا لقي مُهْجَةً
 خَطَب كان مَنّاحها . »

والمخالطة في هذا الكلام في ذكر المنصور والسفاح ، فإنهما لقب خليفين
 من بنى العباس ، والسفاح أول خلفائهم ، والمنصور أخوه الذى ولى الخلافة من
 بعده ، وهما أيضا من النصر فى حومة الحرب ، والسفاح الذى هو الإِراقة ،
 والمهجة دم القلب ، فكأنى قلت هو منصور فى حومة الحرب ومُربق قدم
 الخطوب ، وقد اجتمع فى هذا الكلام المنصور والمنصور والسفاح ، وهذا من
 المخالطة المثلية لا من النقيضية ، ولا خفاء بما فيها من الحسن .

ومن ذلك ما كتبه فى كتاب إلى بعض الإخوان فقلت : « وقد علمتُ أن
 ذلك الأنس بقربه يُعقِبُ إيماشا ، وأن تلك النملة من لقائه تجعل الأكبَاد عطاشا ،
 فإن شيمة الدهر أن يُبدِّل الصَّفوَ كدرا ويوسع أيام عقوقه طولا ، وأيام برّه قصرأ ،
 وما أقول إلا أنه تَعَرَّ ب تلك المسرة المسروقة فأقام عليها حدّ الفقع ، ورأى العيش
 فيها خَفْضا فأزاله بعامل الرفم . »

والمخالطة فى هذا الكلام هى فى ذكر الخفض والرفع ، فإن الخفض هو سعة
 العيش ، والخفض هو أحد العوامل النحوية ، والرفع هو من قولنا رفعت الشيء
 إذا أزلته ، والرفع هو أحد العوامل النحوية أيضا ، وهذا من المخالطات الخفية .
 ومن ذلك ما كتبه فى فصل أصف فيه الحصى وكنت إذ ذاك بحصن سُمَيْسَاط
 وهو بلد من بلاد الأرمن ، فقلت : « وِمَا أكره فى حال المرض بهذه الأرض
 أن الحى خَيِّمت بها فاستقرت . ولم تقنع بأهلها حتى مَرَّتْ إلى تربتها ، فترى

وقد أخذتها النافض^(١) فاقشعرت ، ولم يُشكل أمرها إلا لأنها حتى أُرْمِيَتْ
، مُتَّحِمَةً اللسان ، وقد تشبه الأمراضُ وأهلُ بلادها في الإِبان ، وإذا كانت
الحنى كافرَةً لم تزل للمسلم حَرْبًا ، وشَكَاةً لا تُسَمَّى شَكَاةً ، وإنما تسمى
طعنا وضربا ، ولهذا صارت الأدوية في علاجها ليست بأدوية ، وأصبحت أيام
نحرها في الناس غير مبتدأة بأيام تَرْوِيَةٍ ، وليس موسمها في فصل معلوم بل كل
فصول العام من مواسمها ، ولو كانت تَبْدُئُهَا أَصِيبِينَ أَوْ مَيِّيًا فَارْقِينَ بكتاب لترجمته
بمبدها وخادها .

والمغالطة هاهنا في قولى : وأصبحت أيام نحرها في الناس مبتدأة بأيام تروية ،
والمراد بذلك أنها تُقْبَلُ بفترة من غير تَرْوَةٍ أَى من غير تلبث ، ويوم النحر هو
يوم عيد الأضحى ، وقبله يوم يُسَمَّى يوم التروية ، فالمغالطة حصلت بين نحر الحنى
للناس ونحر الضحايا ، إلا أن يوم النحر مبتدأ بيوم تَرْوِيَةٍ ، ولاخفاء بما في هذه
المغالطة من الحسن والاطافة .

وأما القسم الآخر وهو النقيض فإنه أقل استعمالا من القسم الذى قبله ،
لأنه لا يتهيأ استعماله كثيرا .

فن جملة ما ورد شعرا لبعضهم وهو قوله :

وما أَشْيَاهُ تَشْرِيرُهَا بِمَالٍ فَإِنْ نَفَقَتْ فَأَكْثَرُ مَا تَكُونُ

يقال نَفَقَتِ السلعة إذا راجت ، وكان لها سوق ، ونَفَقَتِ الدابة إذا ماتت ،
وموضع المناقضة هاهنا في قوله إنها إذا نَفَقَتْ كسدت ، لجاء بالشئ ونقيضه ،
وجعل هذا سببا لهذا ، وذلك من المغالطة الحسنة .

ومن ذلك ما كتبه في جملة كتاب إلى ديوان الخلافة يتضمن فتوح بلد من

(١) النافض : حى الرعدة مذكر . يقال أَخَذْتُهُ حى بنافض وحى نافض ، ونقضته
الحنى فهو منقوض .

بلاد الكفار ، فقلت في آخر الكتاب : وقد ارتاد الخادم من يُبَلِّغُ عنه مشاريح هذه الوقائع التي اختصرها ، ويمثل صورها لمن غاب عنها كما تمثّلت لمن حضرها ، ويكون مكانه من النباهة كريما كمكانها ، وهي عرائس المساعي ، فأحسن الناس بيانا مؤهّل لإبداع حسابها ، والسائر بها فلان ، وهو راوى أخبار نصرها ، التي صحتّها في تجميع الرجال ، وعو إلى إسنادها مأخوذة من طرف العوال ، والليالي والأيام لها رُوَاة ، فما الظن برواية الأيام والليالي ،

في هذا الفصل مغالطة نقيضية ومغالطة مثلية ، أما المغالطة المثلية فهي في قولي « وعو إلى أسنادها مأخوذة من طرف العوال » وقد تقدم الكلام على هذا وما يجري مجراه في القسم الأول ، وأما المغالطة النقيضية فهي قولي : « وهو راوى أخبار نصرها التي صحتّها في تجميع الرجال » وموضع المغالطة منه أنه يقال في رواية الأخبار فلان عدلٌ صحيح الرواية ، وفلان مجروح أي سقيم الرواية ، غير موثوق به ، فأنيبتُ بهذا المعنى على وجه النقيض ، فقلت صحة أخبار هذه الفتوح في تجميع الرجال أي تجريحهم في الحرب ، وفي هذا من الحسن ما لا خفاء به .

وقد أوردت من هذه الأمثلة ما فيه كفاية ومقنع .

فإن قيل إن الضرب الأول من هذا النوع هو التجنيس الذي لفظه واحد ومعناه مختلف كالمثال الذي مثله ، وفي قول أبي الطيب ثعلب ووجار ، فإن للثعلب هو الحيوان المعروف وهو أيضا طرف السنان ، وكذلك باقي الأمثلة ، قلت في الجواب إن الفرق بين هذين النوعين ظاهر ، وذلك أن التجنيس يذكّر فيه اللفظ الواحد مرتين ، فهو يستوى في الصورة ويختلف في المعنى ، كقول أبي تمام :

بكل فتى ضَرَبَ يُرَضُّ لاقنا مُحَيًّا مُحَلَّى حَلِيهِ الطاعنُ والضربُ^(١)

(١) من قصيدته في مدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني (الديوان ١/ ١٩٩) -
الحياء : الوجه .

فالضرب الرجل الخفيف ، والضرب هو الضرب بالسيف في القتال ، فاللفظ لابد من ذكره مرتين والمعنى فيه مختلف ، والمغالطة ليست كذلك ، بل يذكر فيها اللفظ مرة واحدة ، ويُدلّ به على مثله وليس بمذكور .

النوع الحادى والعشرون

في الأحاجي

وهي الأغالوط من الكلام ، وتسمى الألتاز جمع لآز^(١) ، وهو الطريق الذى ياتوى وبشكل على سالكة ، وقيل جمع آفز بفتح اللام وهو ميلك بالشئ من وجهه ، وقد يسمى هذا النوع أيضاً المعنى ، وهو يشتبه بالكناية تارة وبالتعريض أخرى ، ويشتهر أيضاً بالمغالطات المعنوية ، ووقع في ذلك عامة أرباب هذا الفن ، فمن ذلك أن أبا الفرج الأصفهاني ذكر بيتي الأفيثير الأسدى في جملة الألتاز وهما :

ولقد أروح بمشرف ذى مينة عَمِر المكرة ماؤه يَتَقَصَّدُ
مَرَحٌ يطير من المراح لعابه ويكاد جلد إهابه يَتَقَدُّدُ^(٢)

وهذان البيتان من باب الكناية ، لأنهما يجهلان على الفرس وعلى المصو المخصوص ، وإذا حمل اللفظ على الحقيقة والمجاز فكيف يعد من جملة الألتاز ؟ وكذلك فعل الحريرى في مقاماته فإنه ذكر في الأحاجي التي جعلها على حكم الفتاوى كناية ومغالطة معنوية ، وظن أنهما من الأحاجي المُفِيرة ، كقوله :

(١) الاز على وزن نهر وعلى وزن قفل وبضم اللام والزين معاً ، وبتعريكهما ، وبضم اللام وفتح الزين : المائل بالشيء عن وجهه (القاموس المحيط)

(٢) البيتان في الأغاني للأفيثير الأسدى لا الأقيس كما في الأصل ، هكذا :

ولقد أروح بمشرف ذى شمرة عَمِر المكرة ماؤه يتقصّد

مرح يطير من المراح لعابه ويكاد جلدته به تتقدّد

(الأغاني ١٠ / ٨٢) مابة التقدم . والصواب يتقصّد بالغاء لا بالقاف . وسبق قد

شرحهما .

« يحملُ الصائمُ أن يأكلَ نهراً »^(١) والنهار من الأسماء المشتركة بين النهار الذي هو ضد الليل وبين فرخ الخبازي فإنه يسمى سهاراً ، وإذا كان من الأسماء المشتركة صار من باب المفاعلات المعنوية لا من باب الأحاجي ، والألفاظ شيء منفصل عن ذلك كله ، ولو كان من جملة لما قيل لفز وأحجية ، وإنما قيل كناية وتعمير ، ومنه ما يطابق عليه المفاصلة ، ومنه شيء آخر خارج عن ذلك فجمل لفزاً وأحجية .

وكنيت قدمت القول بأن الكناية هي اللفظ الدال على جانب الحقيقة وعلى جانب المجاز ، فهو يحمل عليهما معاً ، وأن التعمير هو ما يفهم من عرض اللفظ لا من دلالاته عليه حقيقة ولا مجازاً ، وأن المفاصلة هي التي تطلق ويراد بها شيان أحدهما دلالة اللفظ على معنيين بالاشتراك اللفظي ، والآخر دلالة اللفظ على المعنى وتقيضه ، وأما اللفز والأحجية فلإيهما شيء واحد ، وهو كل معنى يستخرج بالحدس والخبر لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ومجازاً ، ولا يفهم من عرضه ، لأن قول القائل في الضرس :

وصاحب لا أملُ الدهرِ صُحْبَتُهُ يَشْتَقِي لِنَفْسِي وَيَسْعَى سَعْيَ مُجْتَمَعِهِ

ما إن رأت له شخصاً فذوقتُ عَيْنِي عَلَيْهِ افترقنا فُرْقَةَ الأبد

لا يدل على أنه الضرس لا من طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ولا من

(١) المقامة الثانية والثلاثون ، فيها مائة مسألة فقهية ملفزة ، منها : أيجوز للمعذور أن يفطر في شهر رمضان ، قال : ما رخص فيه إلا للصبيان . قال : فهل للمعسر أن يأكل فيه ، قال : نعم بل عليه . المعذور : المتبادر أن للمعذور من أصابه عذر يحمل له الفطر وهو أيضاً المحتون فلا يسوغ له الفطر ، وهنا تورية . المعسر : من دخل بعمره ، وهو لا يجوز له أن يفطر ، وهو أيضاً المسافر الذي ينزل في آخر ليلة ليسترخ ثم يرتحل ، وهو ممن يباح لهم الفطر .

طريق المفهوم ، وإنما هو شيء يُخَدَسُ ويُحْزَرُ ، والخواطر تختلف في الإسراع والإبطاء عند عبورها عليه .

فإن قيل إن اللفز يعرف من طريق المفهوم ، وهذان البيتان يعلم معناهما بالمفهوم .

قلت في الجواب : إن القدي يعلم بالمفهوم إنما هو التمريض ، كقول القائل إني أفقر وإني لاحتاج ، فإن هذا القول لا يدل على المسألة والطلب لا حقيقة ولا جهازاً ، وإنما فهم منه أن صاحبه مريض للطلب ، وهذان البيتان ليسا كذلك ، فإنهما لا يشتملان على ما يفهم منه شيء إلا بالخدس والحزر لا غير ، وكذلك كل لفظ من الألفاظ .

وإذا ثبت هذا فاعلم أن هذا الباب الذي هو اللفز والأخجية والمعنى يتنوع أنواعاً :

فمنه المصحف ، ومنه للمكوس ، ومنه ما ينقل إلى الآلات غير العربية ، كقول القائل اسمي إذا صحفته بالفارسية آخر ، وهذا اسمه اسم تركي ، وهو دنكر بالبدال المهملة والنون ، وآخر بالفارسية ديكور بالبدال المهملة والياء الممجة بثنتين من تحت ، وإذا صحفت هذه الكلمة صارت دنكر بالنون ، فانقلبت الياء نوناً بالتصحيح ، وهذا غير مفهوم إلا لبعض الناس دون بعض .

وإنما وضع واستعمل لأنه مما يشهد القرينة ويحدد الخطر ، لأنه يشتمل على معان دقيقة يحتاج في استخراجها إلى توقد الذهن والحدس في معارج خفية من الفكر ، وقد استعمله العرب في أشعارهم قليلاً ، ثم جاء المخدثون فأكثروا منه ، وربما أتى منه بما يكون حسناً وعليه منحة من البلاغة ، وذلك عندى بين يمين ، فلا أعده من الأحاجي ولا أعده من فصيح الكلام .

فما جاء منه قول بعضهم :

قد سُمِّيتْ آبا لهم بالنار والنارُ قد نشفت من الأوار

ومعنى ذلك أن هؤلاء القوم الذين هم أصحاب الإبل ذوو وجهة وتقدم ولم
يُسَمَّ معلوم ، فلما وردت إليهم الماء عُرِفَتْ بذلك الوَسْم ، فَأَفْرَجَ لها الناس حتى
شربت ، وقد اتفق له أنه أتى في هذا البيت بالشيء وضده ، وجعل أحدهما سبياً
للآخر ، فصار غريباً عجيباً ، وذلك أنه قال سُمِّيت بالنار ، وقال إن النار تُشْفَى
من الأوار ، وهو العطش ، وهذا من محاسن ما يأتي في هذا الباب .

وعما يجرى على هذا النهج قول أبي نواس في شجر الكرم :
لنا هَجْمَةٌ لَا يُدْرِكُ الذَّنْبُ سَخْلَهَا وَلَا رَاءَهَا زَوُ الْفِجَالَةِ وَالْخِطَرُ
إِذَا امْتَحِنَتْ أَوَانُهَا مَالُ صَفْوُهَا إِلَى الْحَوْ إِلَّا أَنْ أَوَارَهَا خَضَرُ^(١)
ومن هذا القبيل قول بعضهم :

سَمِعْتُ رَوَاحِلُ مَا يُنَخِّنُ مِنَ الْوَنَا شَيْمٌ تَسَاقُ بِسَبْعَةِ زُهْرٍ
مُتَوَاصِلَاتٌ لَا الدُّوبُ يُمِلُّهَا بَاقٍ تَعَاقِبُهُمْ عَلَى الدَّهْرِ^(٢)
هذان البيتان يتضمنان وصف أيام لزمان ولياليه وهى الأسبوع ، فإن الزمان
عبارة عنه ، وذلك من الألفاظ الواقعة في موقعها .

وعلى هذا الأسلوب ورد قول أبي الطيب المتنبي في السفن من جملة قصيدته
التي مدح بها سيف الدولة عند ذكر عبوره الفرات وهى :
(الرأى قبل شجاعة الشجمان) فقال :

(١) الديوان ١٠٢ وفى الأصل لا يدرى يدلا من لا يدرك ، وغض بدلا من نزو .
الهجمة : القدح العظيم الضخم . السخل : جم سخله وهى ولد الشاة . نزو : وثب . الفجالة :
جم الفحل . الخطر : الإبل السكتيرة . الحو : الذى فى القاموس الحو هوادلى خضرة أو حمرة
إلى سواد . والحو جم أحوى وحواء وهو النبات الضارب إلى سواد لشدة خضرته أو الأحمر
إلى سواد .

(٢) شيم : جم أشيم وشيماء وهو الذى به علامة .

وحشاهُ عاديةً بغيرِ قوائمٍ عُقِمَ البُطونُ حوالِكَ الألوانِ
تأني بما سَبَتَ الخيولُ كأنها تحت الحِسانِ مَرايضُ الغِزلانِ^(١)
وهذا حسن في بابه .

ومن ذلك قول بعضهم في حَجَرِ المَمَكِ :
ومُدْرِيعٍ من صِبْغَةِ الليلِ بُرْدَهُ يُفَوِّ طَوْزًا بِالْغُضَارِ وَيُطْلَسُ
إذا سألوه عن قَوْرِ يَصْنَعُ أَشْـكَلًا أجاب بما أعيا الورى وهو آخرُ
وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه ، وكان سمعه بعض المتأخرين من أهل
زماننا فأجاب عنه ببيتين على وزنه وقافيته وهما :
سؤالك جلودٌ من الصَّخرِ أسودٌ خفيفٌ لطيفٌ ناعمٌ الجسمِ أطلَسُ
أُقيمَ بسوقِ الصَّرفِ حُكْمًا كأنه من الزَّنجِ قاضٍ بالخلوقِ مُطْلَسُ
وقد رأيت هذا الشاعر وهو حائكٌ بمزارة ابن عمر ، وليس عنده من أسباب
الأدب شيء سوى أنه قد أصاح لسانه بطرفٍ يسيرٍ من علم النحو لا غير ، وهو
مع ذلك يقول الشعر طبعاً ، وكان يجيد في الكثير منه .
ومن الألفاظ ما يرد على حكم المسائل الفقية ، كالقدي أوردته الحريري في
مقاماته^(٢) . وكنت ستأت عن مسألة منه وهي :

(١) من قصيدة في مدح سيف الدولة (الدبوان ٣٨٩/٤) حشاه : الضمير عائد على الماء . عادية : راکضة . عقيم : جمع عقيم وهو الذي لا يلد . يقول إن سيف الدولة حشا ماء النهر سفناً تمدو ولا قوائم لها ، وهي عقم لا تلد ، وألوانها سود لأنها مطلية بالقار ، شبهها بالخليل العادية ، والخيول من عادتها أن تنتج ، ولها قوائم ، وهذه السفن تحمل النساء اللاتي سباهن القرسان ، وكانهن غزلان والسفن مرايض لها . (٢) يفوف : يزخرف . رجعتنا (صفة) بدلاً من صنعة .
(٢) اللقائمة الثانية والثلاثون بها مائة مسألة فقهية ملفزة ، وهناك مقامات غيرها فيها ألفاظ شتى من النحو وغيره .

ولى خالة وأنا خالها ولى عمّة وأنا عمّها
فأما التى أنا عمّ لها فإن أبى أمّه أمّها
أبوها أخى وأخوها أبى ولى خالة هكذا حكمها
فأبى الفقيه الذى عنده فنون الدراية أو علمها
يُبين لنا نسبها خالصا ويكشفُ لـلنفس ما همّها
فلسنا مجوسا ولا مشركين شريفة أحمد أنتمها

وهذه المسألة كُتبت إلى فتاوماتها تأمل غير مُتجلبج في الفكر ، ولم ألبث
أن انكشف لى ما تحتها من اللز ، وهو أن الخالة التى الرجل خالها تصور على
هذه الصورة ، وذلك أن رجلا تزوج امرأتين اسم إحداهما عائشة واسم الأخرى
فاطمة ، فأولد عائشة بنتا وأولد فاطمة ابنا ، ثم زوج بنته من أبى امراته فاطمة ،
فجاءت بنت ، فتلك البنت هى خالة ابنه ، وهو خالها ، لأنه أخو أمها .

وأما العمّة التى هو عمها فصورته أن رجلا له ولد ولولده أخ من أمه فزوج
أخاه من أمه أم أبيه فجاءت بنت ، فتلك البنت هى عمته ، لأنها أخت أبيه ،
وهو عمها لأنه أخو أبيها .

وأما قوله ولى خالة هكذا حكمها ، فهو أن تكون أمها أخت ، وأختها أمه
كما قل أبوها أخى وأخوها أبى ، وصورته أن رجلا له ولد ولولده أخت من
أمه فزوجها من أبى أمه ، فجاءت بنت ، فأختها أمه وأمها أختها .

وأحسن من ذلك كله والطف وأحل قول بعضهم فى الخلخال :

ومضروب بلا جُرم مليح اللون معشوق
له قدّ اللال على مليح القدّ معشوق
وأكثر ما يرى أبداً على الأمشاط فى الشوق

وبلغنى أن بعض الناس سمع هذه الآيات فقال : قد دخلت السوق فما رأيت على الأمشاط شيئاً ، وظن أنها الأمشاط التي يُرَجَّل بها الشمر ، وأن السوق سوق البيع والشراء .

واعلم أنه قد يأتي من هذا النوع ما هو ضروب وألوان ، فمنه الحسن الذى أوردت شيئاً منه كما تراه ، ومنه المتوسط الذى هو دونه فى الدرجة ، فلا يوصف بحسن ولا قبح ، كقول بعضهم :

راحت ركبهم وفى أكوارها ألفان من عُم الأثيل الواعد
ما إن رأيت ولا سمعت بأزكب حملت حدائق كالأظلام الراكدة^(١)
وهذا يصف قوماً وفدوا على ملك من الملوك ، فأعطاهم نخلا ، وكتب لهم بها كتاباً ، والأثيل الموضع الذى كتب لهم إليه ، والعُم العظام الرءوس من النخيل ، والواعد الاقفاء^(٢) من النخيل ، فلما حلوا الكتب فى أكوارهم فكأنهم حلوا النخل ، وهذا من متوسط الأناز .

وقد جاء من ذلك ما هو بشع بارد فلا يستخرج إلا بمسائل الجبر والمقابلة أو بخطوط الرمل من القهض الداخلى أو القهض الخارج والبياض والحمر وغيرها ، واثن كان معناه دقيقاً يدل على قَرط الدكاء فإن لا أعدده من اللغة العربية ، فضلاً عن أن يوصف بصفات الكلام الحمودة ، ولا فرق بينه وبين لغة القرس والروم وغيرها من اللغات فى عدم الفهم .

وأما ما ورد من الأناز نثراً فقد ألتز الحريرى فى مقاماته أنازاً ضمنها ذكر

(١) كان البيت الثانى (ما إن رأيت ولا بأرك هكذا) فرجنا تصحيحه ليستقيم للبنى ، وأغلب الظن أن كلمة (هكذا) مقعمة لما وجد الناسخ أن فى الشطر كلمة ناقصة (ما إن رأيت ولا سمعت) فلما لم يجد كلمة (بأرك) كتب : هكذا .
(٢) جم قنو بكسر القاف وضمة الكسابة

الابرة والمِرْوَد وذكر الدينار وهى أشهر كما يقال من « قفانبك »^(١) فلا حاجة إلى إيرادها فى كتابى هذا .

وقد ورد من الألفاظ شئ فى كلام العرب المفسور ، غدر أنه قليل بالنسبة إلى ما ورد فى أشعارها .

وقد تأملت القرآن الكريم فلم أجد فيه شيئاً منها ، ولا ينبغى أن يتضمن منها شيئاً ، لأنه لا يستنبط بالحذس والخزر كما تستنبط الألفاظ ،

وأما ما ورد للعرب فيروى عن امرئ القيس وزوجته عدة من الألفاظ ، وذلك أنه سألهما قبل أن يتزوجها فقال : ما اثنان وأربعة وثمانية ؟ فقالت : أما الاثنان فتدنيا المرأة ، وأما الأربعة فأخلاف الناقة ، وأما الثمانية فأطباء الكلبة ، ثم إنه تزوجها وأرسل إليها هدية على يد عبده ، وهى حلة من عَصَب^(٢) البين ونَحْي من عسل ، ونَحْي من سمن ، فزل العبد ببعض المياه واس الحلة فطلق طرفها بسمة^(٣) فانشق ، وفتح النحيين وأطعم أهل الماء ، ثم قدم على المرأة وأهلها خلوف^(٤) ، فسأل عن أبيها وأُمها وأخيها ودفع إليها الهدية ، فقالت له : أعلم مولاك أن أبى ذهب يُقَرَّبُ بعيداً ويُبعد قريباً ، وأن أمى ذهبت تَشُقُّ النَّفْسَ نفسين ، وأن أخى يَرَقُبُ الشمس ، وأخبره أن سماء كم انشقت ، وأن وطاميك نَضِيبًا .

فماد العبد إلى امرئ القيس وأخبره بما قالته له ، فقال : أما أبوها فإنه ذهب يحالف قوما على قومه ، وأما أمها فإنها ذهبت تقبل امرأة^(٥) ، وأما أخوها فإنه فى مَرَحٍ برعاه إلى أن تقرب الشمس ، وأما قولها إن سماء كم انشقت فإن

(١) مشهورة كقصيدة امرئ القيس التى مطلعها « قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل »

(٢) العَصَب : ضرب من البرود . النَحْي : زق السمن .

(٣) السمرة : شجرة شائكة جميعها سمر .

(٤) خلوف : غائبون عن الحى .

(٥) تقبل على وزن تعلم : أى تتلقى الولد عند الولادة .

الحلة انشقت ، وأما قولها إن وعاءكم نضيبا فإن النحيين نقصا ، ثم قال للعبد :
اصدقني ، فقال له : إني نزلت ماء من مياه العرب وفعلت كذا وكذا .

فهذا وأمثاله قد ورد عنهم إلا أنه يسير

وكذلك يروى عن شَنَّ بن أنصى وكان ألزم نفسه ألا يتزوج إلا امرأة
تلائمه ، فصاحبه رجل في بعض أسفاره ، فلما أخذ منهما السير قال له شَنَّ :
أَتَحْمِلُنِي أَمْ أَحْمَلُكَ ؟ فقال له الرجل : يا جاهل هل يحمل الراكب راكبا ؟ فأمسك
عنه ، وسار حتى أتيا على زرع ، فقال شَنَّ : أترى هذا الزرع قد أُكِلَ ؟ فقال له
يا جاهل : أما تراه في سبيله ، فأمسك عنه .

ثم سارا ، فاستقبلتهما جنازة ، فقال شَنَّ أترى صاحبها حيا ؟ فقال له الرجل :
ما رأيتُ أَجْهَلَ منك ، أترام حلولا إلى القبر حيا ؟

ثم لهما وصلا إلى قرية الرجل فسار به إلى بيته ، وكانت له بنت فأخذ
يُطَرِّفُهَا بِحَدِيثِ رَفِيقِهِ ، فقالت ما نطق إلا بالصواب ، ولا استفهم إلا عما يُسْتَفْهَمُ
عن مثله . أما قوله : أَتَحْمِلُنِي أَمْ أَحْمَلُكَ فإنه أراد أن يحدثني أم أحذرك حتى تقطع
الطريق بالحديث .

وأما قوله أترى هذا الزرع قد أُكِلَ ، فإنه أراد هل استأنف ربه ثمنه
أم لا ؟ وأما استفهامه عن صاحب الجنازة فإنه أراد هل خَلَّفَ لَهُ عَقِيبًا يَحْيَا بِذِكْرِهِ
أم لا ؟ فلما سمع كلام ابنته خرج إلى شَنَّ وحديثه بتأويلها ، فخطبها فزوجه إياها .
وأدق من هذا كل . وألطف ما يحكى عن رجل من المنافذة أصحاب شيرز
وهو أولهم الذي استفذه من أيدي الروم بالمسكر والخديعة ، ولذلك قصة طريفة
وليس هذا موضع ذكرها ، وكان قبل ملكه في خدمة محمود بن صالح صاحب
حلب ، وكان إذ ذاك يلقب بسديد الملك ، فبنا به مكانه ، وحدث له حادثة
أوجبت له أن هرب ومضى إلى مدينة طرابلس^(١) في زمن بنى عمار أصحاب

(١) بلد بالشام ، بفتح الطاء وضم الباء واللام . وكانت في الأصل ترابلس .

البلد ، فأرسل إليه ابن صالح واستعطفه ليعود إليه . فخافه ولم يعد ، فأحضر ابن صالح رجلا من أهل حلب صديقاً لابن منقذ وبينه وبينه ألفة مودة أكيدة ، وأجلسه بين يديه ، وأمره أن يكتب إليه كتاباً عن نفسه يؤثقه من جهة ابن صالح ليعود ، فما وسعه إلا أن يكتب ، وهو يعلم أن باطن الأمر في ذلك خلاف ظاهره ، وأنه متى عاد ابن منقذ إلى حلب هآك ، ذأفكر وهو يكتب في إشارة هيأه لا تُقبم ، ليضعها فيه يحذر بها ابن منقذ ، فأداه فسكره أن كتب في آخر الكتاب عند إنشائه « إن شاء الله تعالى » وشدد إن وكسرها ، ثم سلم الكتاب إلى ابن صالح ، فوقف عليه وأرسله إلى ابن منقذ ، فلما صار في يده وعلم ما فيه قال : هذا كتاب صديقي وما يُشفي ، ولو أنه يعلم صفاء قلب ابن صالح لي لما كتب إلى ولا غرني ، ثم عزم على العود ، وكان عنده ولده ، فأخذ الكتاب وكرّر نظره فيه ، ثم قال له : يا أبت مكانك ، فإن صديقك قد حذرك وقال لا تعد ، فقال : وكيف أقال : إنه قد كتب « إن شاء الله تعالى » في آخر الكتاب ، وشدد إن وكسرها ، وضبطها ضبطاً صحيحاً لا يصدرُ منه عن سهو ، ومعنى ذلك أنه يقول : « إن الملا يأمرون بك ليقتلوك »^(١) وإن شككت في ذلك فأرسل إلى حلب .

وهذه من أعجب ما يلقى من حدة الذهن وفطنة الخاطر ، ولولا أنه صاحب الحادثة الخوفة لما تنفطن إلى مثل ذلك أبداً ، لأنه صرّب من علم الغيب ، وإنما الخوف دله على استنباط ما استنبطه

ووجد لبعض الأدباء كُفر في حَمَام ، فمنه ما أجاد فيه كقولهِ : « وقد أظلمتها

تَمَلَّذَاتُ نَجُومٍ ، لَا اسْتِرَاقَ لَهَا وَلَا رُجُومَ ، وَهِيَ مُرَكَّبَةٌ فِي ذَلِكَ سَمَتْ
اسْتِدَارَتُهُ ، وَسَكَنَتْ إِدَارَتُهُ .

أَعْجَبَ بِهَا مِنْ أَنْجَمٍ عِنْدَ الصُّبْحِ ظَاهِرَةٌ
لَكُنْهَا إِذَا كَدَا نَجْمُ الظُّلَامِ غَايَةً

فَهِيَ عَلَى الْقِيَاسِ جَنَّةٌ نَعِيمٌ ، مَبْدِيَّةٌ عَلَى لَطْفِ جَحِيمٍ ، لَا خُلُودَ فِيهَا
وَلَا مُقَامَ ، وَلَا تَزَاوَرَ بَيْنَ أَهْلِهَا وَلَا سَلَامَ ، أَسْهَارُهَا مُتَدَفِّقَةٌ ، وَمِيَاهُهَا مُتَرْقِفَةٌ ،
وَالْأَكْرَابُ بِهَا مَوْضُوعَةٌ ، وَالنَّمَارِقُ عَنْهَا مَرْزُوعَةٌ .

يُطَبِّعُ بِهَا الْمَوْلَى أَوْامِرَ عَبْدِهِ وَيُصْبِحُ طَوْعًا فِي يَدَيْهِ مَقَاتِلُهُ
وَيُرْفَعُ عَنْهُ النَّجَاجُ عِنْدَ دُخُولِهِ وَتُسَلَّبُ مِنْ قَبْلِ الْجُلُوسِ غِلَائِلُهُ

التَّجَمُّلُ بِهَا مَعْدُومٌ ، وَالْخَادِمُ فِيهَا مَخْدُومٌ ، يُنْكَرُ بِهَا النَّسْتَرُ مِنَ اللَّبَدِ ،
وَيُسْكِرُهُ حَرُّهَا إِذَا جَاوَزَ الْخَلْدَ .

هَذَا الْأَمْرُ مِنْ فَصِيحِ الْأَلْفَاظِ ، وَلَا يَقَالُ إِنْ صَاحِبِهِ فِي الْمَمَى صَانِعُ الْمُكَازِ ،
وَإِذَا تَطَرَّزَ غَيْرُهُ بِمُسْمَعٍ مِنَ الْوَشْيِ فَهَذَا كَلَامُ طِرَازٍ .

وَمَا سَمِعْتُهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْحَسَنَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْمَحَادِثَاتِ مَا يُنْحَكِي عَنْ عُمَرَ
ابْنِ هُبَيْرَةَ وَشُرَيْكِ النَّمَيْرِيِّ ، وَذَلِكَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ كَانَ سَارًّا عَلَى بَرْدَوْنٍ
لَهُ وَإِلَى جَانِبِهِ شُرَيْكُ النَّمَيْرِيِّ عَلَى بَغْلَةٍ ، فَتَقَدَّمَ شُرَيْكُ فِي الْمَسِيرِ ، فَصَاحَ بِهِ عُمَرُ :
اغْضُضْ مِنْ لَجَامِهَا ، فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ إِسْمَها مَكْتُوبَةٌ ^(١) . فَتَبَسَّمَ عُمَرُ ،

ثم قال : وَيَمْحَكَ ، لم أرَ هذا ، فقال له شريك : ولا أنا أردته .

وكان عمر أراد قول جرير :

فَقَضَّ الطَّارِفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ . فَلَاحِظًا بَلَفْتَ وَلَا كَلَامًا (١)

فأجابه شريك بقول الآخر :

لَا تَأْمَنَنَّ فَرَارِيًّا خَزَاتَ بِهِ هَلِي فُلُوصِكَ وَاسْتَبْهَنَ بِأَسْيَارِ (٢)

وهذا من الألفاظ اللطيفة ، وتأنف كل من هذين الرجلين لمثلِهِ
الطِفِّ وَأَحْسَنُ .

ومما يجزى هذا الجري أن رجلا من تميم قال لشريك النخعي : ما في
الجوارح أحبُّ إلي من البازي . فقال له شريك : إن كان يصيد القَطَا .

وكان النخعي أراد قول جرير :

أَنَا الْبَازِيُّ الْمُسْطَلُّ عَلَى نُمَيْرٍ أُنَيْجَ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا انْصِبَابًا (٣)

وأراد شريك قول الطرماح .

تَمِيمٌ بِطَرُقِ الْأَوْثَمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكَتْ طُرُقَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتْ

(١) ديوان جرير ٧٥ من قصيدة في هجاء الراعي .

(٢) البيت لسالم بن دارة في هجاء بني فزارة (الشعر والشعراء ١/ ٣٦٤) .
الفلوس : الناقة الشابة . أكتبها : قيدها .

(٣) الديوان ٧٢ من هجاء للراعي .

واعلم أن خواطر النام تنفاضل كفاضل الأشخاص ، ومن هنا
قيل : سبحان خالق أبي موسى وعمرو بن العاص^(١)

النوع الثاني والمثرون في المبادئ والافتتاحات

هذا النوع هو أحد الأركان الخمسة البلاغية المشار إليها في الفصل التاسع من
مقدمة الكتاب .

وحقيقة هذا النوع أن يُجملُ مَطْلَعُ الكلام من الشعر أو الرسائل دَلَالاً
على المعنى المقصود من هذا الكلام إن كان فَتَحاً فَتَحاً ، وإن كان هَنَاءً هَنَاءً ،
أو كان عَزَاءً هَزَاءً ، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني .

وقائده أن يُعرف من مَبْدَأِ الكلام ما المراد به ، ولِمَ هذا النوع ؟

والقاعدة التي يُبْنَى عليها أساسه أنه يجب على الشاعر إذا نظم قصيداً أن
ينظر ، فإن كانت مديحاً صريحاً لا يختص بمحادثة من الحوادث فهو مُحَيَّرٌ بَيْنَ
أن يفتتحها بقرن أو لا يفتتحها بقرن بل يرتجل المديح ارتجالاً من أولها
كقول القائل :

(١) يحسن أن نعقب على ابن الأثير في الألفاظ برأى ابن سنان المفاجي ، وقد سبقه
بنحو قرنين من الزمان ، قال المفاجي : « فإن قيل : لما تقولون في الكلام الذي وضع لقرناً ،
وقصد ذلك فيه ؟ قيل : إن الموضوع على وجه الإغفار قد قصد قائله إغفاء المعنى وإخفاءه ،
وجعل ذلك فناً من الفنون التي تستخرج بها أدهام الناس ويمتنع أذهانهم . فلما كان وضعه
على خلاف وضع الكلام في الأصل كان القول فيه مخالفاً لقولنا في فصيح الكلام ، حتى صار
يحسن فيه ما كان ظاهره يدل على التناقض ، أو ما جرى مجرى ذلك وقد كان شيخنا
أبو العلاء يستحسن هذا الفن ويستعمله في شعره كثيراً . (سر الفصاحة ٢١٥) .

إن حارتِ الأهابُ كيف تقولُ في ذا المقامِ فمُذَرُّها مَقْبُولُ
سامحْ بفضلِكَ مادِحِيكَ فما لَمَمَ أبدأ إلى ما نستحقُّ مَبِيلُ
إن كان لا يُرضيكِ إلا مُحْسِنٌ فالْحَسَنونَ إذا لَدَيْكَ قَلِيلُ
فإن هذا الشاعرُ إِرْتَجَلَ المديحَ من أول القصيدة ، فأتى به كما ترى حَسَنًا
لَا مَقَامًا .

وأما إذا كان القصيدُ في حادثة من الحوادث كَفَتْحِ مَقِيلٍ^(١) أو هزيمة
جيش أو غير ذلك فإنه لا يَنْبَغِي أن يَبْدَأَ فيها بِغَزَلٍ ، وإن فعل ذلك دَلُّ
على ضَمَفٍ قَرِيجَةٍ الشاعر وقصوره عن الغاية ، أو على جهله بوضع الكلام
في مواضعه .

فإن قيل إنك قلت بحب على الشاعر كذا وكذا فلم ذلك ؟
قلت في الجواب : إن الغزل رِقَّةٌ تُخَفِّضُ ، والألفاظ التي تنظم في الحوادث
المشار إليها من فحل الكلام ومعين القول ، وهى صِدُّ الغزل ، وأيضا فإن
الأسماح تكون متعلامة إلى ما يُقال في تلك الحوادث والابتداء بالخلوض في
ذكرها لا الابتداء بالغزل ، إذ المَهْمُ واجبُ التقديم .

ومن أدب هذا النوع ألا يذكر الشاعر في افتتاح قصيدة بالمديح
ما يُتَطَيَّرُ منه ، وهذا يرجع إلى أدب النفس لا إلى أدب الدرس ، فينبغي أن
يُخْتَرَزَ منه في مواضعه ، كوصف الديار بالدُّنُورِ وللنازل بالهَفَاءِ وغير ذلك من
تَشَتَّتِ الألف ودم الزمان ، لا سيما إذا كان في التهاني ، فإنه يكون أشدَّ قُبْحًا ،
وإنما يَسْتَعْمَلُ ذلك في الخطوب النازلة والنوائب الحادثة ، ومتى كان الكلام
في المديح مفتتحا بشيء من ذلك تظير منه سامعه .

(١) كانت بالأصل مقيل .

ولأنما خُصَّتْ الابتداءات بالاختيار ، لأنها أولُ ما يَطْرُقُ السَّمْعُ من الكلام ، فإذا كان الابتداء لا تقا بالمعنى الوارد بعده تَوَفَّرَتِ الدواعي على استماعه .

ويكفيك من هذا الباب الابتداءات الواردة في القرآن الكريم ، كالتحميدات المفتتحة بها أوائلُ السُّور ، وكذلك الابتداءات بالنداء كقوله تعالى في مفتتح سورة النساء ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ وكقوله تعالى في أول سورة الحجج : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ فإن هذا الابتداء مما يوقظ السامعين للإصغاء إليه .

وكذلك الابتداءات بالحروف ، كقوله تعالى ﴿ أَلَمْ وَطِّنْكُمْ ﴾ وغير ذلك ، فإن هذا أيضاً يَبْعَثُ الاستماعَ إليه ، لأنه يَقَرِّعُ السَّمْعَ شَيْءٌ غَرِيبٌ ليس له بمثله عادة ، فيكون سبباً للتَّطَلُّعِ نحوه والإصغاء إليه .

ومن قبيل الابتداءات قولُ ذِي الرُّمَّةِ : « مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا لَمَّا يَنْسَكِبُ »^(١) ، لأن مقابلة المدوح بهذا الخطاب لا خفاء بقبحه وكرهته .

ولما أنشد الأخطلُ عبدَ الملكِ بنَ مَرْثُوانَ قصيدته التي أولها « خَفَّ الطَّيْنُ فَرَاخُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا »^(٢) قال له عند ذلك : لا بل منك ، وتطأير

(١) كانت عين عبد الملك دأمة الدمع ، فلما افتتح ذو الرمة قصيدته في مدحه بقوله :

ما بال عينك منها الدمع ينسكب كأن من كلِّ مغربة سرب

وهو لا يخاطبه في الحقيقة وإنما يخاطب نفسه على سبيل التجريد ، لم يسترح عبد الملك إلى قبج المواجهة بهذه الصورة ، لأنها توهم أنه هو المراد ، فقال له : وما سؤالك عن هذا يابن الفاعلة ، وكرهه وأمر بإخراجه .

(٢) الشطر الثاني : وأزعجتهم نوى في صرفها غير (الديوان ١٠٤)

من قوله فغيرها ذو الرمة وقال : « خَفَّ الْقَطِينُ فَرَّاحُوا الْيَوْمَ أَوْ بَكُرُوا » .
ومن شاء أن يذكر الديار والأطلال في شعره فليبدأ بأدب القطامي على
جفاء طبعه وبعده عن فطانة الأدب ، فإنه قال : إِنَّا مُحَيُّوكَ فَاسْلَمَ إِثْمَا
الطَّل (١) فبدأ قبل ذكر الطلل بذكر التحية والدعاء له بالسلامة .

وقد قيل إن امرأ القيس كان يجيد الابتداء بكفوله : « أَلَا أَنْتُمْ
صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي » (٢) وكفوله : « قِفَا نَبِيكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيب
وَمَنْزِل » (٣)

ومما يُكره من الابتداءات قولُ أبي تمام : « تَجَرَّعُ أَمْسَى قَدْ أَفْقَرَ
الْجَرَّعُ الْفَرْدُ » (٤) . وإنما اتقى أبا تمام في مثل هذا المسكوه تَكْتِبُهُ لِلتَّجْنِيسِ
بين تَجَرَّعُ وَالْجَرَّعُ ، وهذا أدب الرجل ، فإنه كثيراً ما يقع في ذلك .

وكذلك استُفْبِحَ قولُ البحتري : « فَوَازُ مَلَاهِ الْحَزْنُ حَتَّى تَصَدَّعَا » (٥) .
فإن ابتداء المديح بمثل هذا طيرةٌ ينبو عنها السمع ، وهو أجدر بأن يكون
ابتداء مرثية لا مديح ، وما أعلم كيف يخفى هذا على مثل البحتري وهو من
مُفْلِقِي الشُعْرَاءِ .

-
- (١) الشطر الثاني : وإن بليت وإن طالت بك الطليل (الأغاني ١٦ / ١٨) .
(٢) الشطر الثاني : وهل يعنى من كان في العصر الحالي (الديوان ٢٧) .
(٣) السطر الثاني : بسقط الأوى بين الدحول فحول (الديوان ٨) .
(٤) تكملة البيت : ودع حتى عين يجتنب ماءها الوجد (الديوان ٨٠ / ٢) .
الجرع : ما سهل من الأرض . الحبسى : ماء قليل في الأرض .
(٥) ليس المظلم بديوانه .

وحُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَغَ الْمُعْتَصِمُ مِنْ بِنَاءِ قَعْرِهِ بِالْمِيدَانِ جَلَسَ فِيهِ ، وَجَمِيعَ أَهْلِهِ
وَأَصْحَابِهِ ، وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِي زِينَتِهِمْ ، فَمَرَأَى النَّاسُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ،
فَاسْتَأْذَنَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِي فِي الْإِنْشَادِ ، فَأُذِنَ لَهُ ، فَأَنْشَدَ شِعْرًا حَسَنًا
أَجَادَ فِيهِ ، إِلَّا أَنَّهُ اسْتَفْتَحَهُ بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَهَفَافُهَا فَقَالَ :

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْيَلَى وَتَحَاكَرِ يَالَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ

فَتَطَيَّرَ الْمُعْتَصِمُ بِذَلِكَ ، وَتَغَامَزَ النَّاسُ عَلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ كَيْفَ ذَهَبَ
عَلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ مَعَ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمِهِ وَطَوَّلَ خِدْمَتِهِ الْمُلُوكَ ، ثُمَّ أَقَامُوا يَوْمَهُمْ
وَانصَرَفُوا ، فَمَا عَادَ مِنْهُمْ اثْنَانِ إِلَى ذَلِكَ الْمَجْلَسِ ، وَخَرَجَ الْمُعْتَصِمُ إِلَى
مُزَيْنَ مَنْ رَأَى وَخَرِبَ الْقَعْرَ ^(١) .

فَإِذَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَذْكُرَ دَارًا فِي مَدِينَةٍ فَلْيَذْكُرْ كَمَا ذَكَرَ أَشْجَعُ السُّلَمِي .
حَيْثُ قَالَ :

قَعْرٌ عَلَيْهِ نَجْمَةٌ وَسَلَامٌ خَلَمَتْ عَلَيْهِ جَاهِلُهَا الْأَيَّامُ ^(٢)

وَمَا أَجْدَرُ هَذَا الْبَيْتَ بِمَفْتُوحِ شِعْرِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي أَنْشَدَهُ الْمُعْتَصِمُ ،
فَإِنَّهُ لَوْ ذَكَرَ هَذَا أَوْ مَا جَرَى مَجْرَاهُ لَكَانَ حَسَنًا لَا نِقَا .

(١) الصناعتين ٤٣٢ وفي سر الفصاحة ١٧٥ أن أبا نواس أنشد الفضل بن يحيى
قصيدته التي مطلعها :

أربع البلى إن الخشوع لبأدى عليك وإنى لم أخنك ودأدى
فتطير الفضل من هذا الابتداء . فلما انتهى إلى قوله :

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم بنى بركم من رائحين وغاد
استعكم تطيره ، فلم يمس إلا أسبوع حتى نكسب بنو بركم ، وقتل جعفر بن يحيى .
(٢) الصناعتين ٤٣٣ . وبه (نشرت) .

وسئل بعضهم عن أحق الشعراء ، فقال : من أجاد الابتداء والمطلع ،
ألا ترى إلى قصيدة أبي نواس التي أولها :

يا دارُ ما فعلت بك الأيام لم تبق فيك بشاشة نُسْتام^(١)

فإنها من أشرف شعره وأعلاه منزلة ، وهي مع ذلك مُستكرهة الابتداء ،
لأنها في مدح الخليفة الأمين ، وافتتاح المديح مذكر الديار ودُورها مما يُقطِرُ
منه ، لا سيما في مشافة الخلفاء والملوك ، ولهذا يختار في ذكر الأماكن والنازل
مارق لفظه وحسن النطق به كالغُذيب والفُؤيز ورامة وبارق والعقيق وأشياء
ذلك^(٢) ، ويختار أيضاً أسماء النساء في الغزل نحو سعاد وأميمة وفوز وما جرى
هذا المجرى .

وقد عيب على الأخطل في تغزله بقُدور وهو اسم امرأة ، فإنه مستقبح في
الذكر ، وقد عيب على غيره الغزل باسم تماضر ، فإنه وإن لم يكن مستقبحاً في
معناه فإنه ثقيل على اللسان ، كما قال البحري :

إن للبَّين مِنَّةٌ لا تُؤدَّى ويبدأ في تماضير بيضاء^(٣)

فغزله بهذا الاسم مما يشوه رقة الغزل ، ويثقل من خفته ، وأمثال هذه
الأشياء يجب مراعاتها والتحرز منها .

وقد استثنى من ذلك ما كان اسم موضع تضمن وقعة من الوقائع ، فإن

(١) الديوان ٤٠٧ .

(٢) أسماء أماكن ومياه يكثر ورودها في الشعر وبخاصة في الغزل .

(٣) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٣/١) .

ذكره لا يكره ، وإن كان في اسمه كراهة ، كما ذكر أبو تمام في شعره مواضع
مكروهة الأسماء لضرورة ذكر الوقائع التي كانت بها ، كذكر الحشال وعقوقس
وأمثالهما ، وكذلك ذكر أبو الطيب المتنبي هنزيط وشميصاوط وما جرى مجراها ،
وهذا لا عيب في ذكره ، لسكان الضرورة التي تدعو إليه .

وهكذا يسأخ الشاعر والكاتب أيضا في ذكر ما لا بد من ذكره وإن
قبح ، ومهما أمكنه من التورية في هذا المقام فليسلسكها ، وما لا يمكنه فإنه
معذور فيه .

واعلم أنه ليس من شرط الابتداء ألا يكون مما يتطير منه فقط ،
فإن من الابتداءات ما يستقبح وإن لم يتطير منه ، كقول أبي تمام : « قَدْكَ
أَنْتَبِ أُرَبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ » ^(١) . وكفوله : « تَتَقَى جَهَنَّمَ لَنْتُ طُوعِ
مُؤْنِي » ^(٢) . وكقول أبي الطيب المتنبي : « أَقْلُ نَعَالِي بَلَهْ أَ كَثْرُهُ نَجْدِ » ^(٣)

(١) قَدْكَ أَنْتَبِ أُرَبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ كم تعذلون وأنتم سجرائي
مطلع قصيدته في مدح محمد بن حسان الضبي (الديوان ٢٢/١) . قَدْكَ : حسبك .
أَنْتَبِ : استعنى . سجرائي : أصدقائي .

(٢) تَقَى جَهَنَّمَ لَنْتُ طُوعِ مُؤْنِي وليس جنبي إن عذلت بمصهي
مطلع قصيدته في مدح عباس بن لهيعة الحضرمي (الديوان ١٠٣/١) .
تَقَى : أمر للواحد من تقى الخفف . جَهَنَّمَ : المراد ثوراتي وعصيانتي . الجنيب :
المجنوب ، والمراد به هواء ونفسه . يقول لماذله إن عذلك لا يجدي نفعا ، لأن لا أطيع
المؤنب ، وليس قلبي منقاد لي إذا لامني أحد .

(٣) أَقْلُ نَعَالِي بَلَهْ أَ كَثْرُهُ نَجْدِ وإذا الجد فيه نلت أم لم أقل جد
مطلع قصيدته في مدح محمد بن سيار بن سكرم التيمي (الديوان ١٠٧/٢) .
الغفال : الفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه . بَلَهْ : اسم فعل بمعنى دع . الجد بكسر
الجي : الاجتماع ، وفتحها الخط . يقول : أقل فلي مجد ، دع أ كثره ، فكل أنفالي قليلها
وكثيرها في سبيل المجد ، وهذا المعنى الدائب في سبيل المجد يعد حظا لي سواء نلت مطلوبي
أم لم أنله .

وكقوله : « كُنِّي أَرَانِي وَبِكَ لَوْمَتِكَ أَلْوَمَا » (١) .

والمعجب أن هذين الشاعرين المفلقين يبتدئان بمثل ذلك ، ولهما من الابتداءات الحسنة ما أذكره .

أما أبو تمام فإنه افتتح قصيدته التي مدح بها المعتصم عند نفيجه مدينة عمورية فقال :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصفائح في متونهن جلاء الشك والريب

هذه الأبيات لما قصة ، وذلك أنه لما حضر المعتصم مدينة عمورية زعم أهل النجامة أنها لا تفتح في ذلك الوقت ، وأفاضوا هذا حتى شاع وصار أحدىثة بين الناس ، فلما فتحت بنى أبو تمام مطلع قصيدته على هذا المعنى ، وجعل السيف أصدق من الكتب التي خبرت بامتناع البلد واعتصامها ، ولذلك قال فيها :

والعلم في شهب الأرماع لامعة بين الخمسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية أم أين النجوم وما صافوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصاً وأحاديثاً ملففة . ليست بنبع إذا عدت ولا غرب (٢)

وهذا من أحسن ما يأتي في هذا الباب .

(١) كنى أَرَانِي وبِكَ لَوْمَتِكَ أَلْوَمَا هم أقام على فؤاد أنجما

مطلع قصيدته في مدح لإنسان مجهول (الديوان ١٨٤/٤) .

كني : دعى . أَرَانِي : يريد عرفني وأهلقي . وبِكَ : كلمة تعجب وإنكار . هم فاعل أَرَانِي . أنجم : أطلع . يقول لأعاذلة : اترك عذلي ، فقد أَرَانِي الهم المقيم على فؤادى القادم مع المريب أن لَوْمَتِكَ إِيَّاي أحق بأن يلام مني .

(٢) من قصيدته في مدح المعتصم بعد فتح عمورية (الديوان ٤٥/١) .

الصفائح : السيوف . النبع : شجر صلب تتخذ منه القسي . الغرب : شجر ضيف لاقوة له .

وكذلك قوله في قصيدة يمدحه بها أيضا ، ويذكر فيها خروج بابك الحرمي عليه وظفّره به ، وهي من أمهات شعره قال :

الحق أبلجُ والسبوف عوارٍ فحذارٍ من أسدِ العرين حذارٍ^(١)
وكذلك قوله متغزلا :

عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلما وأن تُغيبَ الأيام فيهم فرُبما^(٢)
وهذا من الأفرال الحلوة الرائقة ، وهو من محاسن أبي تمام المعروفة .

وكذلك قوله في أول مرثية :

أصمّ بك الناعي وإن كان أنتما وأصبح مَفَى الجود بعدك بَلغما^(٣)

وأما أبو الطيب فإنه أكثر من الابتداءات الحسنة في شعره ، كقوله في قصيدة يمدح بها كافورا ، وكان قد جرت بينه وبين سيده نزعةٌ ، فبدأ قصيدته بذكر الغرض المقصود فقال :

حَسَمَ الصِّلحُ ما اشتمَّتْهُ الأعادي وأذاعته ألسُنُ الحساد^(٤)
وهذا من بدیع الابتداء ونادره

(١) في مدح المعتصم (الديوان ٢ / ١٩٨) .

(٢) في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٣ / ٢٣٢) تغيب : من أعتب إذا أعطاه العتي أو طلبها إليه . فربما : فرجما دنا البعيد .

(٣) الديوان ٣٧٤ طبعة محمد جمال والمطلع بالموازنة ٩٤ وبمعجم البلدان ٨ / ٨٨ في رثاء أبي نصر محمد بن حميد الطائي .

(٤) كان قوم من القلماء اتصلوا بأبن الإخشيد سيد كافور ، وأرادوا أن يفسدوا الأمر على كافور ، فطالبه بتسليمهم إليه ، فسلمهم بعد أن امتنع مدة سببت وحشة ، ولا تسلمهم كافور ألفام في النبل واصطلاحا (الديوان ٢ / ١٥٦) .

وكذلك ورد قوله في سيف الدولة وكان ابن الشُّشُتِيق حلف لِبَاقِيَتِهِ
كِفَاحًا ، فلما التقيا لم يطق ذلك وولى هاربا ، فافتتح أبو الطيب قصيدته بِفَحْوَى
الأمر فقال :

عُقِّي الْيَمِينَ عَلَى عُقِّي الْوُغَى نَدَمٌ ماذا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ
وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ وَاعِدُهُ مادلُ أَنْكَ فِي الْمَيْعَادِ مُتَّعِمٌ ^(١)

وكذلك قوله وقد فارق سيف الدولة إلى مصر ، فجمع بين ذكر فراقه إياه
ولقائه كافرًا في أول بيت من القصيدة فقال :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مَذَمٍّ وَأَمْ وَمَنْ يَمُتُّ خَيْرٌ مِمِّمٍ ^(٢)

ومن البديع النادر في هذا الباب قوله متغزلا في مطلع قصيدته القافية وهي :

أَتَرَاهَا لَكثْرَةَ الْعَشَاقِ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِ ^(٣)

وله مواضع آخر كثيرة لا حاجة إلى ذكرها .

ومن محاسن الابتداءات التي دلت على المعنى من أول بيت في القصيدة ما قرأته
في كتاب الروضة لأبي العباس المبرِّد ، فإنه ذكر غزوة غزاها الرشيد هارون
رحمه الله في بلاد الروم ، وأن يقفور ملك الروم خضع له وبذل الجزية ، فلما عاد عنه

(١) (الديوان ١٦٧/٤) يقول : من حلف أن عاقبة الحرب له كانت عاقبته الندم ،
لأنه ربما لا يظفر ، والقسم لا يزيد في الإقدام ، لأن الجبان لا يقدم وإن حلف . يشير إلى أن
البطريق السمي ابن شمشيق أقسم عند ملك الروم أنه لا بد أن يظفر بسيف الدولة ، وسأله
أن ينجده ببطارقته وبالمدد والمدد ، ففعل ، فغاب ظنه وانهمزم .

(٢) الديوان ٣٣٣/٤ .

(٣) مطلع قصيدته في مدح أبي العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان
(الديوان ١٧١/٣) يريد أنها لكثرة عشائرها الباكين تنوم أن الدم خلقه في العيون
فلا ترحم من يبكي .

واستقر بمدينة الرقة وسقط الثلج نقض نقفور العهد ، فلم يجسر أحدٌ على إعلام
الرشيد ، لمكان هيئته في صدور الناس ، وبذل يحيى بن خالد للشعراء الأموال
على أن يقولوا أشعاراً في إعلانه ، فكلهم أشفق من لقائه بمثل ذلك ، إلا شاعراً
من أهل جدة يكنى أبا محمد ، وكان شاعراً مقلِّعاً ، فنظم قصيدة وأنشدها الرشيد ،
أولها :

نَقَضَ الذي أعطيتَه نَقْفُورُ فطليح دَارَةُ البَوَارِ تَدُورُ
أَبْشَرُ أَمِيرَ اللُّؤْمَنِينَ فَإِنَّهُ فَتَحَ أَمَّاكَ بِهِ الإلهَ كَبِيرُ
نَقْفُورُ إِنَّكَ حِينَ تَغْدِرُ أَنْ نَأَى عَنْكَ الإِمَامَ لَجَاهِلٌ مَفْرُورُ
أُظُنْتُ حِينَ غَدَرْتَ أَنَّكَ مُفْلِتٌ هَبْلَتَكَ أُمُّكَ ، مَا ظَنَنْتَ غُرُورُ

فلما أنهى الأبيات قال الرشيد : أو قد فعل ؟ ثم غزاه في بقية الثلج وفتح
مدينة هرقله .

وقرات في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ما رواه من شعر سُديف
في تحريض الخليفة السفاح رحمه الله على بني أمية فقال : قدم سُديف من مكة
إلى الحيرة والسفاح بها ، ووافق قدومه جلوس السفاح للناس ، وكان بنو أمية
يجلسون على الكرامى تكريماً لهم ، فلما دخل عليه سُديف حَسَرَ لثامه ، وأنشده
أبياتاً من الشعر ، فالتفت رجلٌ من أولاد سليمان بن عبد الملك ، وقال لآخر
إلى جانبه : قَتَلْنَا وَاللهَ الْعَبْدُ . فلما أنهى الأبيات أمر بهم السفاح فأخرجوا
من بين يديه ، وقَتَلُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، وكتب إلى عماله بالبلاد يأمرهم بقتل
من وجدوه منهم .

ومن الأبيات :

أصبح الدين ثابتاً في الأساس بالبهاليل من بني القباس
 أنت مهدى هاشم وهداها كم أناس رجوك بمد إباس
 لا تُقيلن عَبدَ شمس عذاراً واقطعن كُلاً رَقلةً وغراس
 أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والإنتاس
 خوفهم أظهر التودد منهم وبهم منكم كحز المواسي
 أقصمهم أيها الخليفة وأخيم عنك بالسيف شاة الأرجاس
 واذكرن مضرع الحسين وزيد وقيلا بجانب المهراس
 ولقد ساءنى وساء سوائى قُرْبهم من منابر وكرامى^(١)
 وهذه الأبيات من فاخر الشعر وفادره افتتاحاً وابتداءً وتحريضاً وتأليفاً ،
 ولو وصفتها بما شاء الله وشاء الإسماعيل والإطنا ب لما بلغت مقدار ما لها من الحين .

ومن لطيف الابتداءات ما ذكره منيار ، وهو :

أما وهواها عذرةً وتفضلاً لقد نقل الواشى إليها فأنحلاً
 سى جُهدَه لكن تجاوز حدَه وكثر قارتابتن ولو شاء قللاً^(٢)

(١) الأبيات من قصيدة بالأغاني ٩٢/٤ مع تفسير لطيف . زيد : المراد زيد بن علي زين العابدين بن الحسين . وكان قد خرج بالكوفة على هشام بن عبد الملك ، فقتل وصلب سنة ١٢١ أو ١٢٢ هـ . القتيل الذى بجانب المهراس (وكانت بالأصل الهرماس) المراد حمزة بن عبد المطلب ، قتله وحشى غلام جبير بن مطعم يوم أحد ، والمهراس ماء بأحد ، وقد نسب الشاعر قتل حمزة إلى بنى أمية لأن قائد الناس يوم أحد كان أبا سفيان بن حرب ، ولأن وحشياً قتله بتحريض هند أم معاوية ، وقالوا إنها لاكت قطعة من كبد حمزة . رقله : نخلة . طالت وفانت اليد . والمراد اقض على كبيرهم وعلى صغيرهم .

(٢) الديوان ١٩٤/٣ عذرة : معذرة . أحمل : بالغ في مكروه وكبده .
 كان قد وشى به بعض حماده في أمر يتصل بالملك شامشاه جلال الدولة أبى طاهر بن يويه ، ثم تبينت براءته وأنعم للملك عليه ، فأنشأ قصيدة يمدحه بها ويعرض بالواشى .

فإنه أبرز الاعتذار في هيئة الفزل ، وأخرجه في معرض النسب ، وكان قد وُثِّقَ به إلى المدوح ، فافتتح قصيدته بهذا المعنى فأحسن .

ومما جاء على نحو ذلك قول بعض المتأخرين من العراقيين :

وراءك أقوال الوُشاةِ الفواجِرِ ودونك أحوال القرامِ المُخامرِ
ولولا ولوعُ منك بالصدِّ ما سَعَوْا ولولا الهوى لم أُنْتَدَبَ للمعادرِ

فسلك في هذا القول مسلك مبيار ، إلا أنه زاد عليه زيادة حسنة ، وهي المعاتبة على الإصغاء إلى أقوال الوشاة والاستماع منهم ، وذلك من أغرب ما قيل في هذا المعنى .

ومن الخدافة في هذا الباب أن تُجَعَلَ التَّحْمِيدَاتُ في أوائل الكتب السلطانية مناسبةً لمعاني تلك الكتب ، وإنما خَصَّصَتْ الكتب السلطانية دون غيرها لأن التَّحْمِيدَ لا تصدر في غيرها ، فإنها تكون قد تضمنت أموراً لا تُقَى بالتَّحْمِيدِ ، كفتح معقل^(١) أو هزيمة جيش أو ما جرى هذا المجرى .

ووجدت أبا إسحاق الصابى على تقدمه في فن الكتابة قد أدخل هذا الركن الذي هو من أوكد أركان الكتابة ، فإذا أتى بتحميدة في كتاب من هذه الكتب لا تكون مناسبةً لمعنى ذلك الكتاب ، وإنما تكون في وادٍ والكتاب في وادٍ ، إلا ما قلُّ من كتبه . فمما خالف فيه معناه أنه كتب كتاباً يتضمن فتح بغداد وهزيمة الأتراك عنها ، وكان ذلك فتحاً عظيماً ، فابتدأ بالتَّحْمِيدِ فقال : « الحمد للهوبَّ العالمين ، الملك الحق المبين ، الوحيد الفريد ، المولى المجيد

(١) كانت بالأصل معقل .

الذى لا يوصف إلا بسلب الصفات ، ولا يُنعتُ إلا برفع النعوت ، الأزلى
بلا ابتداء ، الأبدى بلا انتهاء ، القديم لا مُنْذُ أمدٍ محدود ، الدائم لا إلى
أجلٍ معدود ، الفاعل لا من مادة استمدها ، ولا بآلة استعملها ، الذى لا تدركه
العين بلحاظها ، ولا تحمده الألسن بألفاظها ، ولا تخلقه المصور بمرورها ،
ولا شهزمه الدهور بمرورها ، ولا تصارعه الأجسام بأقطارها ، ولا تجانسه
الصُّور بأعراضها ، ولا تجاربه أقدام النظر أو الأشكال ، ولا نزاحه مناقب
الفرناء والأمثال ، بل هو الصمد الذى لا كُفء له ، والقدُّ الذى لا تَوأم
معه ، والذى لا تخزيمه المَنُون ، والفيثوم الذى لا تشغله الشئون ،
والقدير الذى لا تؤدّه المضيلات ، والخبير الذى لا تعييه المشكلات .

وهذه التعميدة لا تناسب الكتاب الذى افتتح بها ، ولكنها تصلح أن
توضع فى صدر مصنف من مصنفات أصول الدين ، ككتاب الشامل للجوينى
أو كتاب الاختصار أو ما جرى مجراها ، وأما أن توضع فى صدر كتاب
فتتح فلا .

وهو وإن أساء فى هذا الموضع فقد أحسن فى مواضع أخرى ، وذلك أنه
كتب كتاباً عن الخليفة الطائف - رحمه الله تعالى - إلى الأطراف ، عند عودته إلى
كرسى ملكه وزوال ما نزل به وبآية المطيع - رحمه الله تعالى - من فادحة الأثر
فقال : « الحمد لله ناظم الشمل بمد شماته ، وواصل الحبل بمد بقاته ، وجابر
الوَهْن إذا اشلم ^(١) ، وكاشف الخطب إذا أظلم ، والقاضى للمسلمين بما يصمُّ
نشرهم ، ويشدُّ أزرهم ، ويصلح ذات بينهم ، ويحفظ الأئمة عليهم ، وإن

(١) كانت بالأصل (نلم) .

شابت ذلك في الأحيان شوائب من الحداث ، فلن نتجاوز بهم الحد الذي يُوَقِّظُ غافلهم ، وَيُذَبِّهُ ذاهلهم ، ثم إنهم عائدون إلى فضل ما أولاهم الله وعودهم ، وَوَقَّعَ لهم ووعدهم ، من إيمان ميرزبهم وإعذاب ثيرزبهم ، ولما عازاز جانبهم ، وإذلال مُجانبهم ، وإظهار دينهم على الدين كله ، ولو كره المشركون .

وهذه تحميدة مناسبة لموضوع الكتاب ، وإن كانت المعاني فيها مكررة كالذي أنكرته عليه وعلى غيره من الكتاب ، وقدمت القول فيه في باب السجع ، فليؤخذ من هناك .

ومن المبادئ التي قد أُخْلِقَتْ وصارت مزدرة أن يقال في أوائل التقليدات إن أحقَّ الخِدمِ بأن تُرعى خدمة كذا وكذا ، وإن أحق من قُلْد الأعمال من اجتمع فيه كذا وكذا ، فإن هذا ليس من المبادئ المستحسنة ، ومن استعمله أولاً فقد ضَعَفَ فكرته عن اقتراح ما يحسن استعماله من المبادئ ، والذي تبعه في ذلك إما مُقلِّدٌ ليس عنده قدرة على أن يختار لنفسه ، وإما جاهلٌ لا يفرق بين الحسن والقبيح والجيد والردى .

وأهل زماننا هذا من الكتاب قد قَصَرُوا مبادئ تقاليدهم على هذه الفاتحة دون غيرها ، وإن أنوا بتحميدة من التعاميد كانت ميانة لمعنى التقليد الذي وُضِعَتْ في صدره .

وكذلك قد كَانَ الكتاب يستعملون في التقليدات مبدأ واحد لا يتجاوزونه إلى غيره ، وهو « هذا ما عهد فلان إلى فلان » والتحميد خير ما افتتح به التقليداتُ وَكُتِبَ الفتح وما جرى مجراها ، وقد أنكرت ذلك على استعماله في مفتتح تقليد أنشأته بولاية والي فقلت : « كانت التقليدات تفتتح بكلام ليس

بذى شان ، ولا يوضع فى ميزان ، ولا يُجْتَنَى من أفنان ، وغاية ما يقال هذا ما عهد فلان إلى فلان ، وتلك فاتحة لم تكن جديدة فتخلق^(١) بتطاول الأيام ، ولا حسنة النظم فيصاها بمثلها من ذوات النظام ، وهذا التقليد مفتتح بحمد الله الذى تكفل لحامده بالزيادة ، وبدأ النعمة ثم قرنها من فضله بالإعادة ، وهو الذى بلغ بنا من مآرب الدنيا منتهى الإرادة ، وسلم إلينا مقادها فذل لنا بها كل مقادة ، ووسد الأمر منا إلى أهله فاستوطأت الرعايا منه على وسادة ، ونرحو أن يجمع لنا بين سعادة الأولى والأخرى حتى تتصل هذه السعادة بتلك السعادة . ثم نصلى على نبيه محمد الذى ميزه الله على الأنبياء بشرف السيادة ، وجعل انشقاق القمر له من آيات النبوة وانشقاق الإيوان من آيات الولادة ، وعلى اله وأصحابه الذين شادوا الدين من بعده فأحسنوا فى الإشادة ، وبسطت عليهم الدنيا كما بسطت على الذين من قبلهم فلم يحولوا عن خلق الزهادة . أما بعد كذا وكذا ، ثم أهيئت التقليد إلى آخره .

ومن الحذاقة فى هذا الباب أن يجعل الدعاء فى أول الكتاب من السلطانيات والإخوانيات وغيرها متضمناً من المعنى ما بنى عليه ذلك الكتاب ، وهذا شئ افردت بابتداعه ، وتراه كثير فيما أنشأته من المسكاتبات ، فإنى توخيت فيها وقصدته . فمن ذلك ما كتبت فى الهناء بفتح وهو « هذا الكتاب مُشَافِهٌ بخدمة الهناء للمجلس السامى الفلانى جدد الله له فى كل يوم فتحاً ، وبدل عرش كل ذى سلطان لديه صرحاً ، وجعل كل موقف من مواقف جوده وبأسه يوم فطر ويوم أضى ، وكتب له على لسان الإسلام ولسان الأيام ثناء خالداً ومدحاً ،

وأسكنه بعد العمر الطويل داراً لا يظماً فيها ولا يَضْحَى ، ثم أخذت بعد ذلك في إنشاء الكتاب المتضمن معاني ما يقتضيه ذلك الفتح .

ومن ذلك ما ذكرته في الهناء بمولود وهو « جَدَدُ اللَّهِ مَسَرَّاتِ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ الْفَلَائِي وَوَصَلَ صَبُوحَ هَنَائِهِ بِنُبُوقِهِ ، وَأَمْتَمَهُ بِسَلِيلِهِ الْمُبَشِّرِ بِطُرُوقِهِ ، وَأَبْقَاهُ حَتَّى يَسْتَقْضِيَهُ بِنُورِهِ ، وَبَرَزَنِي عَنْ فَوْقِهِ ، وَسَرَّ بِهِ أَبْكَارَ الْمَعَانِي حَتَّى تَخْلُقَ أَعْظَافَهَا بِخُفُوقِهِ ، وَجَمَلَهُ كَزَرْعٍ أُخْرِجَ شَطَاهُ فَأَزْرَهُ فَاسْتَعَاظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ » ثم أخذت في إتمام الكتاب بالهناء بالمولود على حسب ما اقتضاه ذلك المعنى .

فأتمم ما أوردته ها هنا من هذين اللتالين ، وانسج على منوالهما فيما تقصده من المعاني التي تبي عليها كتبك ، فإن ذلك من دقائق هذه الصناعة .

وأما فوائج الكتب التي أنشأتها فمنها ما اخترعته اختراعاً ولم أَسْبِقْ إليه ، وهي عِدَّةٌ كَثِيرَةٌ ، وَقَدْ أوردت ها هنا بعضها .

ومن ذلك مفتتح كتاب إلى ديوان الخلافة وهو « نَشَاتٌ سَحَابَةٌ مِنْ سَمَاءِ الدِّيَوَانِ الْعَزِيزِ النَّبَوِيِّ ، جَمَلَ اللَّهُ الْخُلُودَ لِدَوَاتِهِ أَوْطَانًا ، وَالْحُدُودَ لَهَا أَرْكَانًا ، وَنَهَضَ أَبْيَاهَا فِي أَيَّامِ الدَّهْرِ أَعْيَانًا ، وَصَوَّرَهَا فِي وَجْهِهِ عَيْنًا وَفِي عَيْنِهِ إِنْسَانًا ، وَمَدَّ ظَاهَا عَلَى النَّاسِ عَدْلًا وَإِحْسَانًا ، وَجَمَعَ الْأُمَمَ عَلَى دِينِ طَاعَتِهَا وَإِنْ تَفَرَّقُوا أَدْيَانًا ، وَأَتَانَاهَا مِنْ مَعْجَزَاتِ سُلْطَانِهِ مَا لَمْ يَتْرَكْ بِهِ لِمِيرِهَا سَاطِنًا ، فَارْتَحَ الْخَادِمَ لَا لِقَاتِمًا ، وَبَسَطَ يَدَهُ لَا لِسَقَاتِمًا ، وَقَالَ رَحْمَةً مُرْسَلَةً لَا تُخَشِّي رُغُودَهَا ، وَلَا تُخَلِّفُ وَعُودَهَا ، وَمِنْ شَأْنِهَا تَرْوِضُ الصَّنَائِعَ الَّتِي تَبْقَى آثَارُهَا ، لَا الْخَمَائِلَ الَّتِي تَذْوِي أَزْهَارُهَا ، وَقَدْ يُعْبَرُ عَنْ الْكِتَابِ وَنَائِلِهِ بِالسَّحَابِ وَوَابِلِهِ ، فَإِنْ صَدَرَ عَنْ يَدِ كَيْدِ الدِّيَوَانِ الْعَزِيزِ فَقَدْ وَقَعَ التَّشْبِيهُ مَوْقِعَ الصَّوَابِ ، وَصَدَقَ حِينَئِذٍ قَوْلُ الْقَائِلِ : إِنْ الْبَحْرُ عَنَصَرَ السَّحَابَ ،

لكن فرّق بين ما يجود بمائه وما يجود بتمامه ، وبين ما يسم الأرض الساحلة ،
وبين ما يسمى الأقدار الخاملة ، وما زالت كتب الديوان العزيز تُضرب لها
الأمثال ، وتُضرفُ ثُجوها الآمال ، ويُرى الحسد فيها حسناً وإن عد في غيرها
من سيء الأعمال ، وهذا فصل من أول الكتاب .

ومن جملة الكتب المشار إليها مفتتح كتاب كتبت إلى بعض الإخوان ، وأرسلته
إليه من اللوصل إلى أرض الشمال من بلاد الروم ، وهو « طلع كوكب من أفق
المجلس السامى لا خلت سيادته من عدو وحاسد ، ولا شينت بتوأم يُخرّجها من
حكم الواحد ، ولا عدمت صُحبة الجدود المتيقظة في الزمن الرائد ، ولا أوحشت
الدنيا من ذكره الخالد ، الذى هو عمر خالد ، ولا زال مرفوعاً إلى الملأ الذى
يُسلم به أن الدهر للناس ناقد ، والكواكب تختلف مطالعها في الشمال والجنوب ،
فمنها ما يطلع دائماً في أحدهما وهو في الآخر دائم للغروب ، وكتاب المجلس
كوكب لم ير بهذه الأرض مطلقاً ، وإن عليم من السماء أين موضعه ، ولما ظهر
الآن للخادم سبّح له حامداً ، وخرّ له ساجداً ، وقال قد عبّدت الكواكب من
قبل فلا عجب أن أكون لهذا الكوب تابداً ، وها أنا قد أصبحت بال مكوف
على عبادته مُقرّى ، وقال الناس هذا ابن أبى كبشة الكتاب لا ابن أبى كبشة
الشمرى » وهذا مطلع غريب ، والساقية التالية لمطالعته أغرب .

ومن أغرب ما فيها قولى « وها أنا قد أصبحت بال مكوف على عبادته مقرى ،
وقال الناس هذا ابن أبى كبشة الكتاب لا ابن أبى كبشة الشمرى » والمراد
بذلك أن أبا كبشة كان رجلاً في الجاهلية يعبّد الشمرى ، يخالف بذلك دين
قومه ، ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قالت قریش هذا قد خالف ديننا ، وسموه
(م — ٨ المثل السائر)

ابن أى كبشة ، أى أنه قد خالفنا كما خالف أبو كبشة قومه فى عبادة الشمرى ،
فأخذت أنا هذا المعنى وأودعته كتابى هذا فجاء كما تراه مبتدعاً غريباً .

ومن جملة الكتب المشار إليها مفتتح كتاب كتبه إلى بعض الإخوان وهو
« طلعت من الغرب شمسٌ فقيل قد آذنت أشراطُ الساعة بالافتراق ، ولم يُسلم
أن تلك الأنوار إنما هى أنوارُ الكتاب ، لم تألف الأبصارُ من قبله أن تطلم
لشمسٍ من المغرب ، وليس ذلك إلا كتاب المجلس لا سلبه الله مزية هذا
الوصف الكريم ، وآتاه من الفضل ما يقال معه وفوق كل ذى علم عليم ، وأخى
النفوس من كلمها برُوح كليمه كما شفى غليها من أفلامه بسُقيا الكليم ، ولما
ورد عن الخادم صار ليله نهاراً ، وأصبح الناس فى الحديث به أطواراً ، والنصف
منهم يقول قد جرت الشمس إلى مستقرها ، والشمس لا تجد قراراً » وهذا
الكتاب فى الحسن والفرابة كالذى قبله .

ومن جملة الكتب المشار إليها مفتتح كتاب كتبه إلى الإخوان وهو
« تأوب زورٌ من جانب المجلس السامى أدنى الله داره ، وجعل كلماته التامة جاره ،
وأشهد أفعال التقوى ليله وأفعال المسكارم نهاره ، ووهبه من أعمار العمر
طواله ، ومن أعمار العيش قصاره ، ولا أفدّر السابقين إلى العالى أن يجزوا
معه ، ولا أن يشقوا غباره ، وليس ذلك الزورُ إلا سطوراً فى قرطاس ،
ولا فرق بين الكتاب وبين مرسله فى ملاطفة الإيفاس ، والله لا يصنعُ تمشى
هذا الزائر ويُقره عيني برؤيته حتى لا أزال به قرير الناظر ، ومع هذا فانى عاتب
لتأخره ، وها هنا مظنة العتاب ، ومن تأخر عنه كتاب صديقه فلا بد أن يخطر له
خاطر الارتياح ، والظنين بالمودة لا يرى إلا ظنينا ، وقد قيل إنها وديمة وقليل
ما يحج على الودائع أميناً » وهذا فصل من الكتاب .

وَمِنْ جَهَةِ الْكُتُبِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا مَفْتَتَحُ كِتَابِ كُتُبِهِ إِلَى بَعْضِ الْإِخْوَانِ وَهُوَ
 « سَمِعْتُ رَوْضَةً مِنْ جَانِبِ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ جَعَلَ اللَّهُ الْعَالِي لَهُ رِذَاءً ، وَنَهَايَاتِ
 الْمَسَاعِي لَهُ ابْتِدَاءً ، وَفِدَاءَهُ بَيْنَ يُقَعَّرُ عَنْ دَرَجَتِهِ حَتَّى تَكُونَ الْأَكْرَامُ لَهُ فِدَاءً ،
 وَهَدَى الْحَامِدَ لِأَفْعَالِهِ وَأَهْدَى الْبَقَاءَ لِأَيَّامِهِ ، حَتَّى يَجْتَمِعَ لَهُ الْأَمْرَانِ لَهُ هُدًى
 وَإِعْدَاءً ، وَآتَاءَهُ مِنَ السِّيَادَةِ مَا يَحْمِلُ أَعْدَاءَهُ أَصَادِقُ ، وَمِنْ السَّعَادَةِ مَا يَحْمِلُ
 أَصْدِقَاءَهُ أَعْدَاءَهُ ، فَاسْتَشَقَّى الْخَادِمَ رِبَاهًا^(١) ، وَتَلَقَّى بِالْتَحِيَّةِ مُحَيَّاها ، وَاسْتَمْتَعَ
 بِأَزْهَارِهَا الَّتِي أَنْبَتَهَا سُقْيَا الْأَقْلَامِ ، لَا سَقْنَى الْغَمَامِ ، وَقَالَ هَذَا رَبِيعُ الْأَرْوَاحِ
 لَا رَبِيعِ الْأَجْسَامِ ، وَلَوْ رَامَ الْإِحَاطَةَ بِوصفِهَا لَسَكَاتِ الْأَقْوَالِ الْمَطْوُولَةُ فِيهَا
 مُخْتَصَرَةٌ ، وَلَسَكَنَ الْكَفَى بِأَنْ رَفَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى يَتِمَّتْ أَنْ الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ ،
 وَمِنْ أَوْصَافِهَا أَنَّهَا جَاءَتْ رَائِدَةٌ ، وَمِنْ شَأْنِ الرُّوضِ أَنْ يُرْتَدَّ ، وَحَلَّتْ مُحَاسِنُهَا
 الَّتِي هِيَ فِي غَيْرِهَا مِنْ حِظِّ الْبَصَرِ ، وَفِيهَا مِنْ حِظِّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْفَوَادِ ، وَلَمَّا
 سَرَحَ فِيهَا نَظْرَهُ وَجَدَ شَوْقَهُ حَامَةً تُفَرِّدُ فِي أَكْنَافِهَا ، وَتَرْدُدُ الشَّجَا لِبُعْدِ أَلْفِهَا ،
 إِذَا رَدَدْتَهُ الْحُلُمُ لِقَرَبِ أَلْفِهَا ، وَهَذَا قَوْلُ عَزْدِ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ عِلَامَةٌ ، وَإِذَا تَمَثَّلَ
 كِتَابُ الْحَبِيبِ رَوْضَةٌ فَهَلْ يَتِمَّتْ شَوْقُ مَحَبَّةِ إِلَّا حَامَةً ؟ أَوَى فَرْقُ بَيْنِ هَذِهِ وَبَيْنِ
 أَخَوَاتِهَا مِنْ ذَوَاتِ الْأَطْوَاقِ ، إِلَّا أَنَّهَا تُتَمَلَّى شَجْوَاهَا عَلَى صَفَحَاتِ الْقُلُوبِ وَتَلْكَ
 تَمْلِيَةً عَلَى عَذَابَاتِ الْأَوْرَاقِ .

وَهَذَا فَصْلٌ مِنَ الْكِتَابِ وَهُوَ غَرِيبٌ عَجِيبٌ ، وَفِيهِ مَعْنِيَانِ مُبْتَدِعَانِ ،
 وَأَعْجَبُهُمَا وَأَغْرَبُهُمَا قَوْلِي « حَتَّى يَتِمَّتْ أَنْ الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ » وَهَذَا مُسْتَخْرَجٌ مِنْ
 الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ .

وَمِنْ جَهَةِ الْكُتُبِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا مَفْتَتَحُ كِتَابِ كُتُبِهِ إِلَى بَعْضِ الْإِخْوَانِ وَهُوَ
 « تَضَوَّعَتْ تَفْحَةٌ مِنْ تَلْقَاءِ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ رَعَى اللَّهُ عَمَلَهُ وَسَقَاهُ ، صَانٌ وَدَمٌ

(١) كَانَتْ بِالْأَصْلِ (رِبَاهًا) .

وَوَقَاهُ ، وَبَسْرَى لِقَاءَ الْمَصَا بِمُنْقَاهُ ، فَطَعِرَتِ الطَّرِيقَ الَّتِي سَابَرْتُهَا ، وَالرَّيْحَ الَّتِي
جَاوَرْتُهَا ، فَأَفْرَشْتُهَا خَدْنِي ، وَضَمَمْتُ عَلَيْهَا وَدْنِي ، وَجَطَمْتُ رُذْنًا^(١) لِحَبِيبِي
وَلَطِيمَةً لِرُذْنِي ، وَسِخَابًا^(٢) لِحَقْدِي ، وَهَلَّتْ أَنَّهُ لَيْسَتْ بِنَفْثَةِ طَيْبٍ ، وَلَكِنَّهَا
كِتَابٌ حَبِيبٌ ، فَإِنْ مَنَاشِقُ الْأَرْوَاحِ غَيْرُ مَنَاشِقِ الْأَجْسَامِ ، وَلَا يَسْتَوِي عَرَفُ
الطَّيِّبِ وَعَرَفُ الْأَقْلَامِ ، ثُمَّ مَدَدْتُ يَدِي إِلَى الْكِتَابِ بَعْدَ أَنْ صَالَحْتُ يَدَ مُوَصَّلِهِ
كَأَنَّ صَالَحَتِ عَبْقَ مَبْدَلِهِ^(٣) ، وَقُلْتُ أَهْلًا بِنِ أَذْنِي مِنَ الْحَبِيبِ مَزَارًا ، وَأَهْدَى
أَسْبَى قُرَّةَ وَلَقَابِي قَرَارًا .

وهذا في الغرابة كأخواته التي تقدمت ، ولم أستقص ما اخترعته من هذا
الباب في مطالع الكتب .

وأما ما أتيتُ فيه بالحسن من المعاني ولكنه غير مخفوع ، فمن ذلك مطلع
كتاب كتبه عن الملك نور الدين أرسلان بن مسعود صاحب الموصل إلى الملك
الأفضل علي بن يوسف يتضمن تمزية وتهنئة ، أما التمزية فبوقاة أخيه الملك العزيز
عنان صاحب مصر ، وأما التهنئة فبوراثة الملك من بعده وهو « لا يعلم القلم أينطقه
بلسان التمزية أم بلدان التهنئة ، لكنه جمعهما جميعاً فأتى بهما على حُكْمِ التثنية ،
وفي مثل هذا الخطاب يظل القلم حاراً ، وقد وقف موقف الخط والرضا فخط
أولاً ثم رضى آخره ، وهذا البيت الفاصري يتداول درجات الملافاً تمضي إلا وإليه
ترجع ، وشموسه وأقماره تَتَنَاقَلُ مطالع السعود فما يقيب منها غائب إلا وآخر يطالع ،
والناس إن فجموا ماجد ، رَدَّفَهُ من بعده ماجد ، وإن قيل إن الماضي كان واحداً

(١) كانت في الأصل ردعاً

(٢) الدخاب على وزن كتاب فلادة من مسك (نوع من الطيب) وقرنفل وعسل

بلا جوهر .

(٣) العبق : مصدر عبق الطيب إذا فاحت رائحته ، وكانت في الأصل (عبق)

المنديل : على وزن مقعد المود أو أجوده كالمنديل .

تقبل بل الآتي هو الواحد » وهذا فصل من أول الكتاب .
ثم كتبت في هذا المعنى كتابين آخرين وفي القدي أوردته من هذا الفصل مقتنع .

ومن هذا الأسلوب ما كتبت به إلى بعض الإخوان جوابا عن كتابه ، وكانت الكتب قد انقطعت بيني وبينه زمانا وهو (لقاء كُتُب الأحياء كلقاء الأحياء ، وقد تأتي بعد يأس منها فيشتبه دمع السرور بدمع الاكتئاب ، ومن أحسنها كتاب المجلس السامي القلاني جعل الله الآيات له صحبا ، والمعاني له عقيبا ، ورفع مجده فوق كل ماجد حتى تكون حسناتهم لدى حسناته ذنبا ، ولا زال اسمه في الأنفوس عذا ، وذكره في الألسنة رطباً ، ووده لكل إنسان إنسانا ولكل قلب قلبا » ثم انتهيت إلى آخر الكتاب على هذا النسق ، وإنما ذكرت هاهنا مبدأه لأنه الغرض المقصود في هذه الموضع .

ومن ذلك ما كتبت به إلى بعض الإخوان جوابا عن كتابه وهو « البُشرى تمطى للكتاب كما تُعطى لرسوله ، وكل منهما يؤتي حقَّ قدره وينزل في منزله ، وكذلك فعل الخادم بكتاب المجلس السامي القلاني لازال محله أنيسا ، وذكره لفرقدين جلسبا ، وسعَّيه على المسكارم حبيسا ، ومجده جديد الملابس إذا كان المجد لبسا » وههنا ذكرت في هذا الكتاب كما ذكرت من الذي قبله ، فإني لم أذكر إلا مبدأه الذي هو الغرض .

وعما ينتظم هذا السالك ما كتبت به في صدر كتاب يتضمن تمزية وهو « لو لم يجلس قلبي ثوب الحداد لمجر مداده ، ونضاعته سواده ، وبعد عن قرينته ، وعاد إلى طينته ، وحرَم على نفسه أن يمتطى يدا ، أو يجري إلى مدى ، لكنه أحد فَنَدَبَ وبكى فسكَبَ ، وسطر هذا الكتاب من دموعه ، وضَمَّته ما حملته أحناء خلوعه ، وإنما استعار ذلك من صاحبه الذي أعده ، وأبدى إليه من عزمه

ما أبداء ، وهو نائب عنه في تمزية سيدنا أحمد الله صبره ، ويسر أمره ، وأرضى عنه
 دهره . ثم أنهيت الكتاب إلى آخره .

ومن محاسن هذا الباب أن يفتح الكتاب بآية من القرآن الكريم ، أو
 بخبر من الأخبار النبوية ، أو ببيت من الشعر ، ثم يبنى الكتاب عليه ، فمن ذلك
 ما كتبه في ابداء كتاب يتضمن البشرى بفتح وهو :

ومن طلب الفتح الجليل فإنما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم^(١)

وقد أخذنا بقول هذا الشاعر الحكيم ، وجعلنا السيف وسيلة إلى استنتاج
 الملوك المقيم ، ورأية المجد لا تنصب إلا على النصب ، والراحة الكبرى لا تنال
 إلا على جسر من التعب^(٢) ، وكتابنا هذا وقد استوينا على مملكة فلاة وهي
 للمملكة التي تسمى الآمال دونها صرعى ، وإذا قيس إليها غيرها من الممالك
 كانت أصلا وكان غيرها فرعا ، وهذا فصل من أول الكتاب .

ومن ذلك ما كتبه في مفتاح تقليد بالحنية وهو « ولتكن منكم أمة يدعون
 إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون^(٣) »

(١) من قصيدة المتنبي في مدح سيف الدولة ، التي مطلعها .
 على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

الديوان ١٢٢/٤ .

(٢) من قول أبي تمام :

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من التعب

من قصيدته في مدح المنتصم بعد فتح عمورية التي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

الديوان ٤٥/١ .

(٣) قرآن كريم سورة آل عمران ١٠٤ .

هذا أمر يشتمل على معنى الخصوص دون العموم ، ولا يختص به إلا ذرؤ الأوامر
المطاعة وذرؤ المعلوم ، وقد جمع الله لنا هذين الوصفين كليهما ، وجعلنا من المستخلفين
عليهما ، فنبدأ أولاً بحمده الذي هو سبب للزيد ، ثم لناخذ في القيام بأمره
الذي هو على كل نفس منه رقيب عتيد ، ولاريب أن إصلاح العباد يسرى إلى
الأرض حتى تزكو بطونها ، وتنام عيونها ، ويشترك في بركات السماء ساكنها
ومسكونها ، والأمر بذلك حِلٌّ إن لم تتوزَّعْهُ الأَكْفُ ثَقُلْ على الرقاب ،
وإذا انتشرت أطراف البلاد فإنها تفتقر إلى مساعدة من مستناب ومُستَناب ،
وقد اخبرنا لمدينة فلانة رجلا لم نال في اختياره جمدا ، وقد منافيه خيرة الله التي
إذا صدقت نيتها صادقت رُشداً ، وهو أنت أيها الشيخ فلان ، قابسط يدك
بقوة إلى أخذ هذا الكتاب ، وكن كحكمة من حسناها التي يَرَجَّح بها ميزان
الثواب ، وحقق نظرنا فيك فإنه من الله الذي ليس دونه حجاب .

فتأمل كيف فملت في هذه الآية التي بنيت التقليد عليها ، وهو من محاسن
للبادئ الافتتاحات .

وكذلك فملت في موضع آخر وهو مفتتح كتاب كتبه إلى شخص كلفته
السفارة إلى مخدومه في حاجة عرضت وهو « إن أولى الناس بإبراهيم الَّذِينَ
انبعوه وهذا النبي والذين آمنوا »^(١) . هذا القول ينجع آثاره ، وتُحْمَلُ عليه
أنظاره ، وأولى الناس بسيدنا من شاركه في الحُمة أدبه ، وإن لم يشاركه في الحُمة
نسبه ، فإن المناقب أقارب ، والمآثر أواصر :

وليس يَعْرِفُ لى فضلى ولا أدبى إلا امرؤ كان ذا فضل وذا أدب

ونتيجة هذه المقدمة بَشَتْ خُلُقَهُ الكريم على هوارف أفضاله ، واستهداء
صَنِيعَةِ جَاهِهِ التي هي أكرم من صَنِيعَةِ مَالِهِ ، ولا تِجَارَةَ أَرْبَحُ من هذه التِجَارَةِ ،
والساعى فيها شريك في الكسب يرى من الخسارة .

وأما الأخبار النبوية فَيُسَلِّكُ بها هذا المسلك ، بأن يذكر الخبر في أُصْدَرِ
الكتاب ، ثم يُبْنَى عليه ، ولذا كرر منها ولو مثالا واحدا ، وهو توقيع كَتَبْتَهُ لَوْهٍ
رجل من أصحاب السلطان ، وتوفي والده ونقل ما كان باسمه إليه فقلت : « قال النبي
صلى الله عليه وسلم أنا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَمَنْ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَإِورَثْتَهُ ،
وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ كَلًّا أَوْ ضِيَاعًا فَإِلَى وَعَلَى » وهذا خُلُقٌ من الأخلاق النبوية
لا مزيد على حسنه ، وأصاليب المكارم بأمرها موضوعة في ضمنه ، ونحن نرجو
أن نَمُشَى على أثره ، فَتَنْتَزِلَ مِنْهُ رَدِيفُهُ ، أو نَتَشَبَّهُ به فنبلغ مبلغ مُدَّةٍ أو نَصِيفِهِ ،
وقد أَرَانَا الله ذلك في قوم صَحَبُونَا فَأَسْهَفْنَا بِمَبَاغِي الْإِنْعَامِ ، وَأَحْدَنَامِ صُحْبَةِ الْإِلَهِي
وَالْأَيَّامِ ، وَتَكَلَّفْنَا أَيْتَانَهُمْ مِنْ بَدَمٍ حَقٍّ وَدَوَا أَنْ يَكُونُوا فِي الْأَيْتَامِ ، وهذا
ابن فلان رحمه الله عَمَّنْ كَانَ لَهُ فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ قَدَمٌ صِدْقٍ وَأَوَّلِيَّةٌ سَبْقٍ ،
وَحَفِظَ كِتَابَ الْحِفَاظَةِ عَلَيْهَا ، فَقِيلَ لَهُ فِي تِلَاوَتِهِ اقْرَأْ وَارْقَ .

ثم أَسْهَيْتِ التَّوْقِيعَ إِلَى آخِرِهِ ، فَتَأَمَّلْ مَفْتَتِحَ هَذَا التَّوْقِيعِ ، فَإِنَّهُ تَعْمِنُ نَصِ
الخبر من غير تغيير ، وقد ضَمَّنْتَهُ بَعْضَ خَيْرِ آخِرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ ، وهو قوله
اقْرَأْ وَارْقَ ، قال النبي صلى الله عليه يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل
كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها .

وقد مَنَّتْ لَكَ هَاهُنَا أَمْثَالًا يُقْتَدَى بِهَا فَاحْذَرْ حَذْوَهَا وَامْضِ عَلَى سَهْجِهَا ،
والله الموفق للصواب .

النوع الثالث والمشرون

في التخلص والاقتضاب

وهذا النوع أيضا كالتى قبله فى أنه أحد الأركان الخمسة التى تقدمت الإشارة إليها فى الفصل التاسع من مقدمة الكتاب ، وينبغى أيضا التوضيح لهذه القضية أن تصرف إليه جل همته ، فإنه منهم عظيم من مهمات البلاغة .

[التخلص]

أما التخلص فهو أن يأخذ مؤلف الكلام فى معنى من المعانى ، فبينما هو فيه إذ أخذ فى معنى آخر غيره ، وجعل الأول سببا إليه ، فيكون بعضه أخذًا برقاب بعض ، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا ، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه ، ويكون متعبا للوزن والقافية فلا تواتيه الألفاظ على حسب إرادته ، وأما النثر فإنه مطلق العنان ،ضى حيث شاء ، فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما يشق على النثر .

وأما الاقتضاب فإنه ضد التخلص ، وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذى هو فيه ، ويستأنف كلاما آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ، ولا يكون للثانى علاقة بالأول ، وهو مذهب العرب ومن يليهم من المحضرين .

وَأَمَّا الْخَدَثُونَ فَإِنَّهُمْ تَصَرَّفُوا فِي التَّخْلِصِ فَأَبْدَعُوا وَأَظْهَرُوا مِنْهُ كُلَّ غَرِيبَةٍ ،
فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

يَقُولُ فِي قَوْمَيْسٍ صَخْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ الشَّرَى وَخَطَا الْمَهْرِيَّةَ الْقَوْدُ
أَمْطَعَ الشَّمْسَ تَبْغِي أَنْ تَوُثِّمَ بِنَا فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ^(١)

وهذان البيتان من بديع ما يأتي في هذا الباب ونادره .

وكذلك قوله أيضاً في وصف أيام الربيع ثم خرج من ذكره وما وصفه به
من الأوصاف فقال :

خُلِقَ أَطْلٌ مِنَ الرَّبِيعِ كَأَنَّهُ خُلِقَ الْإِمَامُ وَهَذِيهُ الْمَتَيْسَرُ
فِي الْأَرْضِ مِنْ عَدْلِ الْإِمَامِ وَجُودِهِ وَمِنَ النَّبَاتِ الْقَضُّ سُرُجٌ مُزْهِرُ
تَفْسَى الرِّيَاضُ وَمَا يُرَوِّضُ جُودَهُ أَبْدَأُ عَلَى مَرِّ الْقِيَالِي يُذَكِّرُ^(٢)
وهذا من ألطف التخلصات وأحسنها .

(١) في مدح عبد الله بن طاهر لما خرج إليه (الديوان ١٣٢/٢) قومس : بلد بين
المراق وخراسان وطبرستان بالقرب من أصفهان . المهرية : الإبل الكريمة نسبة إلى مهره
ابن حيدان . قود : طويلات الأثاق للأفرد قوداء . والقي بالديوان (تبغى أن
تؤم بنا) .

(٢) من قصيدته في مدح المتصم (الديوان ١٩١/٢) والذي بالديوان (يروض
فضله) بدلا من جوده ، وفي الأصل (عل مر الزمان ويذكر) فأصلنا القطر
من الديوان . يريد أن الرياض تنسى وتذبل أما فطه فلا ينقص ولا يفسى .

وكذلك قوله في قصيدته الغائية التي أولها «أما الرسوم فقد أذكرن ما سلفا»
فقال فيها^(١) :

غَيْدَاهُ جَادَ وَلِيَّ الْحَسَنِ سُنَّتَهَا فَصَافِعُهَا يَبْدِيهِ جَنَّةُ أَهْلِهَا
يُضْحِي الْمَذُولُ عَلَى تَأْنِيهِ كَلْفًا بُعْذَرَمَنْ كَانَ مَشْفُوقًا بِهَا كَلِيفًا
وَدَعَ فَوَادِكَ تَوْدِيعَ الْفِرَاقِ فَا أَرَاهُ مِنْ سَقَرِ التَّوْدِيعِ مُنْصَرَفًا
يُجَاهِدُ الشَّوْقَ طَوْرًا نَمَّ يَجْذِبُهُ جِهَادُهُ لِلْقَوَائِي فِي أَبِي دُلْفَا

وهذا أحسن من الذي قبله ، وأدخل في باب الصنعة .

وكذلك جاء قوله :

زَعَمْتَ هَوَاكَ عَفَا الْفِدَاةَ كَمَا عَفَتْ مِنْهَا طُلُولُ بِاللَّوَى وَرُسُومُ
لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمُ أَنْ التَّوَى صَبْرٌ وَأَنْ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمُ
مَازَلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوَدَادِ وَلَا غَدَتْ نَقَمِي عَلَى إِلْفِ سَوَاكَ تَحُومُ^(٢)

وهذا خروج من غزل إلى مديح أغزل منه .

(١) من قصيدته في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان ٣٥٩/٢) ، التي مطلعها .

أما الرسوم فقد أذكرن ما سلفا فلا تكفن من شأنك أو يكفا
ولي الديوان (روضة أنفا)

ولي الحسن : الحسن المتوالي للاتباع ، من الولي وهو للطرف بعد للطرف .

(٢) من قصيدته في مدح أبي الحسين محمد بن المهيم بن شبابة (الديوان ٢٨٩/٣) ، التي مطلعها :

أَسْقَى طُلُوحَهُمْ أَجْشَ هَزِيمٍ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ خُضْرَةٌ وَنِيمٍ
كَانَ الْأَصْلُ (التوى أجبل) و (ما حلت من سنن الوداد) .

ومن البديع في هذا الباب قول أبي نواس من جملة قصيدته المشهورة
التي أولها « أجارة بَيْتَيْنَا أبوك غيور » فقال عند الخروج إلى ذكر
المدوح :

تقول التي من بيتها خَفَ مَرْكَبِي عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ رَاكَ تَسِيرُ
أما دون مِصْرٍ لِلْفَتَى مُتَطَلِّبُ بَلَى إِنَّ أَسْبَابَ الْفَتَى لَكثير
مَقَاتِ لَهَا وَسَمِعْتَهَا بَوَادِرُ جَرَتْ فُجْرَى فِي جُرَيْهِنَ عَمِير
ذُرَيْبٍ أَكْثَرُ حَاسِدِيكَ بِرَحْطَةٍ إِلَى بَلَدٍ فِيهَا الْخَصِيبُ أَمِير^(١)

ومما جاء من التخلصات الحسنة قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته الدالية
التي أولها « عواذلُ ذات الخال في حواصد » :

وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمُهَنْدُ فِي يَدِي مَوَارِدَ لَا يُصْدِرْنَ مَنْ لَا يُجَالِدُ
ولكن إذا لم يحمل القلبُ كَفَّهُ عَلَى حَالَةٍ لَمْ يَحْمِلِ الْكَفَّ سَاعِدُ
خَلِيلٌ إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَلِمَ مِنْهُمْ الدَّغْوَى وَمَنْ الْقَصَائِدُ ؟
فَلَا تَمَجِّبَا إِن السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدُ^(٢)

(١) الديوان (٤٨٠) من قصيدته في مدح الخصيب . بالديوان (عن بيتها) و فيه
(الخصيب) . بوادر : دموع مستبقات . صير : راحة ذككية ، أى اختلط
بهما .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :
عواذل ذات الخال في حواصد وإن ضجيع الخود منى أساجد
(الديوان ١ / ٣٠٥) .

لا يصدرن من لا يجالده : أورد نفسي في الحرب . وارد ملاك لا يرجع واردها حيا .
ومعنى البيت الثاني أن قوة الضرب إنما تكون بالقلب لا بالسكف ؛ فإذا لم تقو السكف بقوة
القلب فإنها لا تقوى بقوة الساعد .

وهذا هو الكلام الآخذ بمضه برقاب بعض .

الآ ترى إلى الخروج إلى مدح المدوح في هذه الأبيات كأنه أفرغ في قالب واحد ، ثم إن أبا الطيب جمع بين مدح نفسه ومدح سيف الدولة بيت واحد من بدائمه المشهورة .

وكذلك قوله أيضاً وهو من أحسن ما أتى به من التخلصات ، وهو في قصيدته الثانية التي أولها « يَرْبُ بِحَاسِنُهُ حُرِمْتُ ذَوَاتِهَا » فقال في أمثلتها :

وَمَطَالِبٍ فِيهَا الْمَلَاكُ أُتِيَتْهَا	تَبَّتِ الْجَفَانُ كَأَنِّي لَمْ آتِهَا
وَمَقَابِرٍ بِمَقَابِرٍ غَادَرَتْهَا	أَقْوَاتٍ وَخَيْشٍ كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا
أَقْبَلْتُهَا غُرَرَ الْجِيَادِ كَأَنَّمَا	أُيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبِيَّاتِهَا
الثَّابِتِينَ فَرُوسَةً كَجُلُودِهَا	فِي ظَهْرِهَا وَالطَّعْنَ فِي لَبَّاتِهَا
فَسَكَّاهَا تُتَجِّتُ قِيَامًا تَحْتَمُّ	وَكَأَنَّهُمْ وَلِلَّوَا عَلَى صَهَوَاتِهَا
تَلَاكَ النُّفُوسُ الْقَالِبَاتُ عَلَى الصَّلَا	وَالْمَجْدُ يَطْلُبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا
سُقِيَتْ مُنَابِقُهَا الَّتِي سَقَّتِ الْوَرَى	بِيَدَيَّ أَبِي أَبُوبَ خَيْرٍ نَبَاتِهَا ^(١)

= ومعنى البيت الرابع أنه في الشعراء ممتاز كسيف الدولة في السيوف ، فكل منهما منقطع النظير وإن كان له أشباه وقفاطر في التسمية .

(٢) من قصيدته في مدح أبي أبوب أحمد بن عمران (الديوان ١/٢٥٥) .

مقاب : جمع مقب وهو الطائفة من الخيل تجتم لافارة . أقوات : مفعول ثان لفادرتها يقول رب جيش من الفرسان لقيته بمثله من صهي فتركته قوتا لاوحوش التي كانت قوتا له يصيدها ويذبحها ويأكلها .

أقبلتها فرر الجياد : جعلتها تقبل فرر جيادها التي أوصلتها إلى أهدائها وشفت سدورها منهم ، كأن هذه الفرر أيدي بني عمران . تتجت : ولدت . صهواتها : جم صهوة وهي مقعدا لفارس على الحصان .

فانظر إلى هذين التخلّصين البديين ، فالأول خرج به إلى مدح قوم المدوح ،
والثاني خرج به إلى نفس المدوح ، وكلاهما قد أغرب فيه كل الإغراب .
وعلى هذا جاء قوله :

إِذَا صُنْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَحَالاً لِهَاطِلٍ وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالاً لِهَاطِلٍ
وَالْإِجَادَةُ فِي إِيرَادِ الْأَلْفَاظِ وَاخْتِيَارِ الْمَعَانِي ، كَالْبَحْتَرِيِّ فَإِنْ مَكَانَهُ مِنَ الشَّعْرِ
لَا يُجْهَلُ ، وَشَعْرُهُ هُوَ السَّهْلُ الْمَتْنَعُ الَّذِي تَرَاهُ كَالشَّمْسِ قَرِيباً ضَوْؤُهَا بَعِيداً
مَكَانَهَا ، وَكَالْقَنَاءِ لِيَنَامِسَهَا خَشِيناً سِينَانَهَا ، وَهُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ قَيْمَةُ الشَّعْرَاءِ فِي الْإِطْرَابِ ،
وَعَنْقَوْثُمْ فِي الْإِغْرَابِ ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّهُ لَمْ يَوْفُقْ فِي التَّخْلِصِ مِنَ الْغَزْلِ
إِلَى الْمَدِيحِ ، بَلِ اقْتَضَبَهُ اقْتَضَاباً .

ولقد حفظت شعره فلم أجده من ذلك شيئاً مرضياً إلا اليسير ، كقوله
في قافية الباء من قصيدة .

وَكَفَانِي إِذَا الْحَوَادِثُ أَظْلَمَ - مِنْ شَهَابٍ بَغْرَةً ابْنِ شِهَابٍ^(١)

وكقوله في قافية الدال من قصيدة :

قَصَدَتْ لَتَجْرَانِ الْعِرَاقِ رِكَابُنَا يَطْلُبُنِ أَرْحَبَهَا مَحَلَّةَ مَاجِدِ

(١) من قصيدته في مدح أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طلفج (الديوان ٤ / ٣٠٣)
كان الأصل (مصالاً لفاتك) .

(٢) من قصيدته في مدح أحمد بن إسماعيل بن شهاب التي مطلعها :

مَا عَلَى الرِّكَبِ مِنْ وَثُوفِ الرِّكَابِ فِي مَفَانِي الصَّبَا وَرَسْمِ التَّصَا
الديوان ١ / ٧١) .

أَلَيْتُ لَا تَلْقَيْنَ جَدًّا صَاعِدًا فِي مَطْلَبٍ حَقٍّ تُنْخَنَ بِصَاعِدٍ^(١)
وكقوله في قصيدته التي أولها « حَلَفْتُ لَهَا مَا لَمْ يَوْمُ التَّفَرُّقِ » فإنه تشوق
فيها إلى العراق من الشام ، ووصف العراق ومنازله ورياضه فأحسن في ذلك كله ،
ثم خرج إلى مدح الفتح بن خاقان بسياقة آخذة بعضها برقاب بعض فقال :
رَبَّاعٌ مِنَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ لَمْ تَزَلْ غَنَى أَهْدِيمِ أَوْ فَسْكَ كَأَيُّ لَوْفٍ^(٢)

ثم أخذ في مدحه بعد ذلك بضروب من المعاني ، وكذلك ورد قوله
في قصيدته التي أولها : « مِيلُوا إِلَى الدَّارِ مِنْ لَيْلَى نُحْيِيهَا » فإنه وصف البركة
غابعد في أوصافها ، ثم خرج منها إلى مدح الخليفة المتوكل فقال :

كَانَهَا حِينَ لَجَّتْ فِي تَدْفِيقِهَا يَدُ الْخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَادِيهَا^(٣)
وأحسن ما وجدته له ، وهو مما تَلَطَّفَ فيه كل التَّلَطُّفِ قوله في قصيدته
التي يمدح بها ابن بسطام ومطلعا « نَصِيبُ عَيْنِيكَ مِنْ سَحْجٍ وَتَسْجَامِ » فقال
عند تخلصه إلى المديح :

هَلِ الشَّبَابُ مُلِمٌّ بِي فَرَاغَةً أَيَّامُهُ لِي فِي أَعْقَابِ أَيَّامٍ ؟
لَوْ أَنَّهُ بَابِلُ عَمْرِ يُجَاذِبُهُ إِذَا تَطَلَّبْتَهُ عِنْدَ ابْنِ بَسْطَامِ^(٤)

(١) من قصيدته في مدح صاعد بن مخلد (الديوان ١٥٨/١)
في الأصل (فظنك أزجيبها علة ما جد) ولا معنى له ، و«هـ» (حتى تنأخ) والديوان
أصوب .

(٢) تسكة المطلع : وبالوجد من قلبى بها التعلق (الديوان ١٢٢/٢) وبالديوان
(تسكا كما لمروق) .

(٣) تسكة المطلع : ثم ونسألها عن بعض أهلها (الديوان ٣١٨/٢) .

(٤) لم نشر على الشطر ولا على البيت في ديوانه . وقوله (لو أنه بابل عمر) فيه
تحريف وغموض .

وهذا من الملائح في هذا الباب .

وله مواضع أخرى يسيرة بالنسبة إلى كثرة شعره .

وقال أبو الملاح محمد بن قائم المعروف بالغامى^(١) إن كتاب الله خال من التخلص . وهذا القول قاسد لأن حقيقة التخلص إنما هي الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطفية تلائم بين الكلام الذى خرج منه والكلام الذى خرج إليه ، وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة كالخروج من الوعد والذبح والإندار والبشارة بالجنة إلى أمر ونهى ووعد ووعد ، ومن محكم إلى منشا به ، ومن صفة لنبي مرسل وملاك مُنزَل إلى ذم شيطان مريد وجبار عنيد ، بلطائف دقيقة ومعاني آخذ بعضها برقاب بعض .

فما جاء من التخلص في القرآن الكريم قوله تعالى وانزل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا تهتدأ أصناما فنظل لها عاكفين . قال هل بسمونكم إذ تدعون أو ينقمونكم أو يخشرون ؟ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإسهم عدو لي إلا رب العالمين الذى خلقني فهو يهدين ، والذى هو يطمئني ويثقفني ، وإذا مررت فهو يشفيني ، والذى يُميتني ثم يُحْيِينِي ، والذى أطمعُ أن يَغْفِرَ لي خطيئتي يوم الدين ، ربِّ هبْ لي حُكْمًا وألحِقني بالصلحين ، واجعل لي لسان صدق في الآخرين ، واجعلني من ورثة جنة النعم ، واغفرْ لأبي إنه كان من الضالين ، ولا تُخزني يوم يبعثون . يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأزلفت الجنة للمتقين ، وبرزت الجحيم للقافرين ، وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون

(١) أبو الملاح محمد بن قائم ، كان من شعراء عصره وفصلاته . وهو من شعراء نظام الملك (الباب لابن الأثير ١٦٦/٣) .

من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ، فكذلكوا فيها هم والعاون ،
وجنود إبليس أجمعون ، قالوا هم فيها يختصمون بالله إن كنا لفي ضلال مبين ،
إذ نسويكم رب العالمين ، وما أضلنا إلا الجرمون ، قالنا من شافعين
ولا صديق حميم ، فلو أن لنا كرة ففككون من المؤمنين ^(١) .

هذا كلام يسبكر العقول ، ويسحر الأبواب ، وفيه كفاية لطالب البلاغة ،
فإنه متى أنعم فيه نظره ، وتدر أثنائه ومطأوى حكمته علم أن في ذلك غنى عن
تصفح الكتب المؤلفة في هذا الفن ، ألا ترى ما أحسن ما رتب لإبراهيم عليه
السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا سؤال
مستفهم ، ثم أنمى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ، ولا تبصر
ولا تسمع ، وعلى تقليد آبائهم الأقدمين فكسره ، وأخرجه من أن يكون
شبهة فضلا عن أن يكون حجة ، ثم أراد الخروج من ذلك إلى ذكر الإله الذي
لا تجب العبادة لإلهه ، ولا ينفي الرجوع والإجابة إلا إليه ، فصور المسألة في
نفسه دونهم بقوله : « فإلهم عدو لي » ، على معنى أنى فكرت في أمرى فرأيت عبادتى
لها عبادة للعدو وهو الشيطان فاجتنبها ، وآزت عبادة من الخير كله في يده ،
وأوام بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه ، لينظروا فيقولوا ما نصحننا إبراهيم
إلا بما نصح به نفسه ، فيكون ذلك أدعى لهم إلى القبول لقوله ، وأبعث على
الاستماع منه ، ولو قل فإنهم عدو لكم لم يكن بذلك المنابة ، فتخلص عند تصويره
المسألة في نفسه إلى ذكر الله تعالى ، فأجرى عليه تلك الصفات العظام من تفخيم

شأنه ، وتعديد نعمه ، من لدُنْ خَلَقَهُ وأنشأه إلى حين وفاته ، مع ما يُرجى في الآخرة من رحمته ، ليعلم من ذلك أن من هذه صفاته حقيقٌ بالعبادة ، واجب على الخلق الخضوع له والاستكانة لعظمته .

ثم خرج من ذلك إلى ما يلزمه ويقاضيه ، فدعا الله بدعوات المخلصين ، وابتهل إليه ابتهاال الأولابين ، لأن الطالب من مولاه إذا قدم قبل سؤاله وتضرعه الاعتراف بالنعمة كان ذلك أنسرع للإجابة ، وأنجح لحصول الطلبة . ثم أدرج في ضمن دعائه ذكر البعث ، ويوم القيامة ومجازاة الله تعالى من آمن به واتقاه بالجنة ومن ضل من عبادته بالدار ، لجمع بين الترغيب في طاعته ، والترهيب من معصيته .

ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون سؤالا ثانيا عند معاينة الجزاء ، وهو سؤال موضح لهم مستهزئ بهم ، وذكر ما يُدفنون إليه عند ذلك من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال ، وتتمى العودة ليؤمنوا . .

فانظر أيها المتأمل إلى هذا الكلام الشريف الآخذ بعضه برقاب بعض ، مع احتوائه على ضروب من المعاني ، فيخلص من كل واحد منها إلى الآخر باطيفة ملائمة ، حتى كأنه أفرغ في قالب واحد ، فخرج من ذكر الأصنام وتنفير أبيه وقومه من عبادتهم إياها ، مع ما هي فيه من التسمي عن صفات الإلهية ، حيث لا تفرو ولا تنفع ، ولا تبصر ولا تسمع ، إلى ذكر الله تعالى ، فوصفه بصفات الإلهية ، فأنظم شأنه ، وعدد نعمه ، ليؤكد بذلك أن العبادة لا تصح إلا له . ثم خرج من هذا إلى دعائه إياه وخضوعه له ، ثم خرج منه إلى ذكر يوم

القيامه وثواب الله وعقابه ، فتدبر هذه التخلصات اللطيفة المودعة في أثناء هذا الكلام .

وفي القرآن مواضع كثيرة من التخلصات ، كالذي ورد في سورة الأعراف ، فإنه ذكر فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية من آدم إلى نوح عليهم السلام ، وكذلك إلى قصة موسى عليه السلام ، حتى انتهى إلى آخرها الذي هو :

﴿واختار موسى قومَهُ سَبعِينَ رَجُلًا مِمَّنْ ءَامَنُوا ، فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ ءِيبِي ، أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ، إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ، أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ . وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ ، قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَعْلَمُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^(١)﴾ .

هذا تخلص من التخلصات الحسان ، فإن الله تعالى ذكر الأنبياء والقرون

للأضحية إلى عهد موسى عليه السلام ، فلما أراد ذكرنا صلوات الله عليه وسلامه ذكره بتخلص انتظم به بعض الكلام ببعض .

ألا ترى أنه قال قال موسى عليه السلام « واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة » فأجيب بقوله تعالى قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين آمنوا منكم كذا وكذا ، ومن صفتهم كيت وكيت ، وهم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ، ثم وصفه صلوات الله عليه بصفاته إلى آخر الكلام .

ويا لله العجب كيف يزعم الغافلون أن القرآن خالٍ من التخصيص ؟ ألم يكفه سورة يوسف عليه السلام ، فإنها قصة برأسها ، وهي مضمّنة شرح حاله مع إخوته من أوّل أمره إلى آخره ، وفيها عده تخلصات في الخروج من معنى إلى معنى ، وكذلك إلى آخرها .

ولو أخذت في ذكر ما في القرآن الكريم من هذا النوع لأطلت ، ومن أنعم نظره فيه وجد من ذلك أشياء كثيرة^(١) .

وقد جاني من التخصيصات في الكلام للنشور أشياء كثيرة ، وسأذكر هاهنا نبذة يسيرة منها ؛ فمن ذلك ما أوردته في كتاب إلى بعض الإخوان أصِف فيه الربيع ثم خرجت من ذلك إلى ذكر الأشواق فقلت « وكما أن هذه

(١) أورد الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن ٤٣/١ - ٥٠ دعوى الغافلون التي ذكرها ابن الأنبر ، وذكر أمثلة من التخصيص في القرآن الكريم ، بعضها ذكره ابن الأنبر ، ونرجع أن الزركشي نقل من ابن الأنبر لأن الزركشي توفي سنة ٧٩٤ وابن الأنبر توفي سنة ٦٣٧ .

الأوصاف في شأنها بديعة ، فكذلك شوق في شأنه بديع ، غير أنه لجره فصل صيف وهذا فصل ربيع ، فأنا أملى أحاديثه المعجبة على النوى ، وقد عرفت حديث من قتله الشوق فلا أستغض حديث من قتله الهوى .

ومن هذا الأسلوب ما كتبه إلى بعض الإخوان أيضا وأرسلته إليه من بلاد الروم ، وهو كتاب يشتمل على وصف البرد وما لاقيته منه ، ثم خرجت من ذلك إلى ذكر الشوق فقلت « وما أشكوه من بردها أن الفرو لا يلبس إلا في شهر ناجر ، وهو قائم مقام الظل الذي يتبرّد به من لفتح المواجر ، ولقرط شدته لم أجد ما يخففه ، فضلا عما يذهبه ، فإن النار للمدة له تطالب من الدفء أيضا ما أطلبه ، لكن وجدت نار أشواق أشدّ حرّاً ، فاصطليت بحمّرها التي لا تزد كى بزناد ، ولا تؤل إلى رماد ، ولا يدفع البرد الوارد على الجسد بأشدّ من حرّ الفؤاد . غير أنى كنت في ذلك كن صدّ خلة بخلة ، واستشفي من عملة بطة ، وأقتل ما أعلك ما شفاك ، فإظنك بمن يصطلى نار الأشواق . وقد قنع من أخيه بالأوراق ، فضنّ عليه بالأوراق . »

وما ينتظم في هذا العقد ما ذكرته في مفتتح كتاب يتضمن عنابة ببعض للتظلمين فاستطردت فيه إلى ذكر المكتوب إليه وهو « هدايا السكارم أنفس من هدايا الأموال ، وأبقى على تعاقب الأيام والليال ، وقد حل هذا الكتاب منها هدية نورث خدأ ، وتكسب تجدأ ، وهى خير توابا وخير مرّدا ، ولا يسير بها الاسجية طبع على السكرم ، وخلفت من غنصر الديم ، كسجية مولانا أعلاه الله علوا تفخر به الأرض على السماء ، وتحسده شمس النهار ونجوم الظلماء ، ولا زالت أيادية مخجلة صوب الفام ، مُعديّة على نوب الأيام ، مغنية بشرف فضلها على شرف الأخوال والأهمام . وتلك الهدية هى تجديد الشفاعة في أمر

فلان ، ومن إيمان المرء سعيه في حاجة أخيه ، وإن لم يسه بشيء أسباب أواخيه .
فإن المؤمنين إخوة وإن تباينت مناسبتهم ، وتفاوتت مراتبهم ، ومن صفاتهم أن
يسمى بذمتهم أدناهم ، وخيرهم من عذاه من الأمر ما عناهم . ثم مضيت على
هذا النهج إلى آخر الكتاب .

ومن ذلك ما كتبت من كتاب إلى صديق استحدثت مودته ، وهو من
أهل العراق وكنت اجتمعت به بالموصل ، ثم سار عني فكتبت إليه أسند به
رطباً ، فقلت « هذه المسكانية ناطقة بلسان الشوق الذي تزف كدائم زفيف
الأوراق ، وتسجع سجع ذوات الأطواق ، وتهف وهي مقيمة بالموصل
فقدسج من هو مقيم بالعراق ، وأبرح الشوق ما كان عن فراق غير بعيد ،
وود استحدثت حلتة ، واللذة مقترنة بكل شيء جديد . وأرجو ألا يبلى قدم
الأيام لهذه الحلدة لباساً ، وأن يعاذ في نظرة الجن والإنس حتى لا يخشى جنة
ولا لباس . وقد قيل إن للمودات طمعا ، كما أن لها ونما ، وأن ذا اللب يصادق نفسه
قبل أن يصادق جسما . وإني لأجد لمودة سيدنا حلاوة يستلذ دوامها ، وقد
أذكر أنني الآن بحلاوة الرطب الذي هو من أرضها ، وغير عجيب لمناسبة
الأشياء أن يذكر بعضها ببعضها ، إلا أن هذه الحلاوة تنال بالأفواه ، وتلك
تنال بالأسرار ، وفرق بين ما يُفترس بالأرض وما يُفترس بالقلب في
شرف الثمار ، فلا ينظر سيدنا على في هذا التمثيل ، وربما كان ذلك تعريضا
يتوب مناب التطفيل . »

وهذا من التخلصات البديعة ، فانظر أيها المتأمل كيف سقت الكلام
إلى استمداء الرطب ، وجعلت بعضه آخذاً برقاب بعض ، حتى كأنه أفرغ
في قالب واحد ، وكذلك فليكن التخلص من معنى إلى معنى .
وهذا القدر من الأمثلة كاف للتعلم .

ومما استظرف من هذا النوع في الشعر قول (ابن الزمكرم)^(١)
الموصلى وهو :

وإبل كوجّه البرقعيدى مظلم ورزد أغانيه وطول قرونه
سريت ونوى فيه يوم مشرد كعقل سليمان بن قنيد ودينه
على أوتق فيه التفات كأنه أبو جابر في خطبه وجنونه^(٢)
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه سنا وجه قرواش وضوء جبينه^(٣)

وهذه الأبيات لها حكاية ، وذلك أن هذا الممدوح وهو شرف الدولة قرواش
ملك العرب وكان صاحب الموصل ، فاتفق أنه كان جالسا مع ندمائه في ليلة من
ليالى الشتاء وفي جملتهم هؤلاء الذين هجاء الشاعر ، وكان البرقعيدى مغنيا

(١) ذكر ياقوت هذه الأبيات غير منسوبة إلى قائمها (مادة برقعيد) .

ورجعنا إلى كثير من كتب الأدب ، أعلنا نهدي إلى تصويب اسم القائل (ابن
الزمكرم) كما ذكره المؤلف ، فلم نثر على ضالتنا . ثم رجعنا إلى السكامل في التاريخ لابن
الأثير ، وتعقبنا كل ما ذكر عن قرواش الذى جاء ذكره في الأبيات ، فوجدناه يذكر
أن الشاعر اسمه ابن الزمكرم (السكامل لابن الأثير ٣٠٨/٧) أما فوات الوفيات لابن شاكر
٢٦٥/٢ فهو يذكر الأبيات منسوبة لظاهر الجزرى .

(٢) أولى : الولقى : الناقة السريعة ، والأولى : الجنون وشبهه ، وامله ذكر
(الأولى) مريدا به التذكير ليدل به على الجمل السريع ، وإن كانت اللفظة لا تطاوعه
في هذا .

(٣) البرقعيدى : منسوب إلى برقعيد ، بلد من أعمال الموصل ، منه بنو حمدان التغلبون
سيف الدلة وأهله . والأبيات في هجاء سليمان بن قنيد الموصل ومدح قرواش ابن الملقد
أمير بنى عقيل ، مع تغيير يسير (معجم البلدان مادة برقعيد) .

والأبيات في السكامل لابن الأثير ٣٠٨/٧ كما هي ، عدا ظلمة بدلا من مظلم . وهي
كما قال في قرواش وابن قنيد والبرقعيدى وأبي جابر ، وقد أجمع أهل البيان على أنها غاية في
الجودة ، لم يقل أحد خيرا منها في معناها .

وقد مات قرواش أو قتل سنة ٤٤٤ (فوات الوفيات ٢٦٥/٢) ،

أو سنة ٤٤٢ (البداية والنهاية ١٢/٦٢) .

وسليمان بن فهد وزيراً ، وأبو جابر حاجباً ، فالتقى شرف الدولة من هذا الشاعر أن يهجوهم المذكورين ويمدحه ، فأنشد هذه الأبيات ارتجالاً ، وهي غريبة في بابها لم يستع بمثلها ، ولم يرض قائلها صناعة التخصيص وحدها حتى رقى في معانيه للقصودة إلى أعلى منزلة ، فابتدأ البيت الأول بهجو البرقيدي ، فجاءه في ضمن مراده ذكر أوصاف ليل الشتاء جميعها ، وهي الظلمة والبرد والطول ، ثم إن هذه الأوصاف الثلاثة جاءت ملائمة لما شُبِّهَتْ به مطابقة له ، وكذلك البيت الثاني والثالث ، ثم خرج إلى المديح بالطف وجه وأدق صنعة ، وهذا يسمى الاستطراد ، وما سمعت في هذا الباب بأحسن من هذه الأبيات .

وما يجرى على هذا الأسلوب ماورد لابن الحجاج البغدادي وهي أبيات لطيفة جداً :

ألا ياماء دجلة لست أدري بأنى حاسدك طول عمرى
ولو أنى استطعت سكرت سُكراً عليك فلم تكن ياماء تجرى
فقال الماء : ما هذا عجب بما استوجبت ياليت شعرى
قلت له : لأنك كل يوم تترى على أبى الفضل بن بشر
تراه ولا أراه وذاك شيء يضيق عن احتمالك فيه صبرى^(١)

وما علمت معنى في هذا القصد اللفظ ولا أرق ولا أعذب ولا أحلى من هذا اللفظ ، ويكفى ابن الحجاج من الفضيلة أن يكون له مثل هذه الأبيات .

(١) معاهد التنصيص ٢٥٣/٤ وفيه البيت الثالث هكذا :

فقال الماء قل لي كل هذا بم استوجبت ياليت شعرى
وفي البيت الأخير كلمة صدرى بدلا من صبرى .

ولا تظن أن هذا شيء انفرد به المحدثون لما عندهم من الرقة واللطافة ،
وقالت من تقدمهم لما عندهم من قسّ العيش وغلظ الطبع ، بل قد تقدم أولئك
إلى هذا الأسلوب وإن أقلوا منه وأكثر منه المحدثون ، وأى حُسن من محاسن
البلاغة والفصاحة لم يُسبقوا إليه ؟ وكيف لا وهم أهل علم وعلمهم أخذ ؟

فإن ذلك ما جاء للفردق وهو :

ورَكْبِي كَأَن الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُم لَهَا ثِرَّةٌ مِنْ جَذَاهَا بِالْحَمَائِبِ
تَمْرَوْنَ يَخْبِطُونَ اللَّيْلَ وَهِيَ تُنْفَسُهُمْ عَلَى شُعْبِ الْأَكْوَادِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
إِذَا مَا رَأَوْا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارٌ غَالِبٌ (١)

فانظر إلى هذا الاستطراد ما أغلظه وأخفاه .

واعلم أنه قد يقصد الشاعر التخلص فيأني به قبيحا ، كما فعل أبو الطيب المتنبي
في قصيدته التي أولها [مِلْكُ الْقَطْرِ أَغْطِشُنَا رُبُوعًا] فقال عند الخروج من
الغزل إلى المدح :

غَدَا بِكَ كُلَّ خِلْوٍ مُسْتَهَامَا وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتَوِرٍ خَلِيْعَا
أَحْبَبُكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٍ نَبِيرًا وَإِنْ إِبْرَاهِيمَ رِيْعَا (٢)

(١) الديوان ٣٠/١ وكان البيت الأول بالأصل (عندما ، لها قوة) والبيت الثاني
(يخطبون) أما البيت الثالث فقد كات بالأصل (إذا آنسوا) وهي رواية معاهد التنصيص
وفي الأغاني (إذا استوضحوا) .

(٢) الديوان ٤٢٧/٢ في مدح علي بن إبراهيم النخعي . ملك القطر : المطر الدائم .
الخلو : الخالي من الهوى : المستهام : الداهب اللب من الهوى . الخليع : الذي ترك الحياء
وتهتك في الهوى . أو يقولوا : إلى أنت يقولوا . نبير : جبل بالحجاز . ريع : أخيف . إن
إبراهيم . هو علي المدوح .

هذا تخلص كما تراه وارد ليس عليه من مسحة الجمل شيء ، وها هنا يكون
الاقتضاب أحسن من التخلص .

فينبغي لسالك هذه الطرق أن ينظر إلى ما يصوغه ، فإن واتاه التخلص حسفا
كأينبغي ، وإلا فليدعه ولا يستكرهه حتى يكون مثل هذا كما فعل أبو الطيب .
ولهذا نظائر وأشباه ، وقد استعمل ذلك في موضع آخر في قصيدته التي أولها :
« أحيأ وأيسرُ ما قاسيتُ ما قَتَلَا » فقال :

عَلَّ الأَمِيرَ بَرَى ذُلِّي فيشفع لي إلى التي تركتني في الهوى مثلاً^(١)
والإضراب عن مثل هذا التخلص خيرٌ من ذكره ، وما ألقاه في الهوى
إلا أبو نواس فإنه قال :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هواك لعل الفضل يجمع بيننا^(٢)
على أن أبا نواس أخذ ذلك من قيس بن ذريح ، لكنه أفسده ولم يأت
به كما أتى به قيس ، ولذلك حكاية وهو أنه لما هام بلبني في كل واد وجن بها
رق له الناس ورحوه ، فسعى له ابن أبي عتيق إلى أن طلقها من زوجها وأعادها
إلى قيس ، فزوجها إياه ، فقال عند ذلك :

جَزَى الرِّحْمَ أُنْضَلَ ما يُجَازِي على الإحسان خيراً من صدق
فقد جربتُ إخواني جميعاً فما أَلَيْتُ كَأَن أَيْ عتيق
سعى في جمع شملِي بعد صدعٍ ورأى جدتُ فيه عن طريق
وأطفأ لوهةً كانت بقلبي أغصتني حرارُها بريق^(٣)

(١) الديوان ٣٥٢/٣ في مدح سميد بن عبد الله بن الحسن الكلابي المنبجي .

(٢) الديوان ٤٧٤ .

(٣) الأغاني ١٢٩/٨ كان في الأصل (وقد جربت) و (رأى حرت)

وبين هذا الكلام وبين كلام أبي نواس بَوْنٌ بعيد ، وقد حكى عن
ابن أبي عتيق أنه قال : يا حبيبي أميك من هذا المديح ، فإسمعه أحد
إلا ظننى قوادا .

[نار فتنضاب]

وأما الانتضاب فهو الذى أشرنا إليه فى صدر هذا النوع ، وهو قطع الكلام
وامتئاف كلام آخر غيره بلا علاقة تكون بينه وبينه .

فمن ذلك ما يقرب من التخالص وهو فصل الخطاب ، والذى أجمع عليه
المحققون من علماء البيان أنه أما بعد ، لأن المتكلم يفتتح كلامه فى كل أمر دى
شأن بذكر الله وتحميده ، فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض للسوق إليه فصل
بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد .

ومن الفصل الذى هو أحسن من الوصل لقطة هذا ، وهى علاقة وكيدة بين
الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره كقوله تعالى : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم
وإسحق ويعقوب أولى الأيد والأبصار ، إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار
ولمهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ، واذكر إسماعيل وإليسع وذوالكفلى وكل
من الأخيار ، هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب ، جفاتي عدين مفتحة لهم
الأبواب ^(١) 》 .

الأتى إلى ما ذكره قبل (هذا) ؟ ذكر من ذكر من الأنبياء عليهم
السلام ، وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر غيره وهو ذكر الجنة وأهلها ، فقال
« هذا ذكر » ثم قال « وإن للمتقين لحسن مآب » ثم لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد

أن يعقبه بذكر أهل النار قال « هذا وإن للطاغين شرٌّ مآب » وذلك من فصل الخطاب الذي هو أ لطاف موقفا من التخاص .

وقد وردت لفظة هذا في الشعر ، إلا أن ورودها فيه قليل بالنسبة إلى الكلام المنشور ، فن ذلك قول الشاعر المعروف بالخباز البلدي^(١) في قصيدة أولها .
« الميش غَضُّ والزمان فريرُ » .

إني ليعجبني الزمان في سُحرةٍ وِروقي لي بالجاشرية زير^(٢)
وأكاد من فَرَح السرور إذا بدا ضوه الصباح من الستور أطير
وإذا رأيتُ الجوّ في رِضِيّةٍ لفَتَيْم في جَنابِها نكسر
منقوشة صَدَرَ البزاة كأنه فَيَرُوزَجْ قد زانه بلور
نادت ب اللذات وَيَحْك فانتَهزُ فُرَصَ المني يا أيها المفلور
رمل بي إلى جَوْرِ السقا فإني أهوى سَفَاة الكأس حين تَجُورُ
هذا وكم لي بالجيئة سَكْرَةٍ أنا من بقايا شَرِبها مخور
باكسرتها وغصونها مفزورة والماء بين مُروزها^(٣) مذخور
في صِتة : أناد والنديمُ وقِيئةُ والكأسُ والزمار والأطنبور

(١) من بلدة يقال لها بلد من بلاد الجزائر التي فيها الموصل . اسمه أبو بكر محمد بن أحمد بن حدان . وكان أميا ، وشعره كله ملح وتحف وطرف ، ولا تغلو مقطوعة له من معنى حسن أو مثل سائر (بقيمة الدهر ٢ / ٢٠٨) .

(٢) الجاشرية : شرب مع الصبح ، وهي أيضا البحر . الزير : وترمن أو تار المود .

(٣) المرز بالفتح الحباس الذي يحبس الماء ، فارسي معرب (هامش القاموس مادة مرز) والمروز هم مرز ، يريد أن الأخصان متعابكة تحبس الماء . مفزورة : أصابها مطر غزير أو ماء كثير .

هذه الأبيات حسنة وخروجها من شِدْق هذا الرجل المحباز عجيب ، ولو جاءت في شعر أبي نواس لزانت ديوانه .

والاقتضاب الوارد في الشعر كثير لا يحصى ، والتخلص بالنسبة إليه قطرة من بحر ، ولا يكاد يوجد التخلص في شعر الشاعر المجيد الا قليلا بالنسبة إلى للقتضب من شعره .

فن الاقتضاب قول أبي نواس في قصيدته النونية التي أولها .

« يا كثير النوح في الدِّمَنِ »

وهذه القصيدة هي عين شعره ، والملاحاة للعيون ، وهي تنزل منه منزلة الألف لا منزلة النون ، إلا أنه لم يُكْمَل حسنها بالتخلص من الغزن إلى المديح ، بل اقتضبه اقتضابا ، فبينما هو يصف الخمر ويقول :

فَاسْقِنِي كَأْسًا عَلَى عَذَلٍ كَرِهَتْ مَسْمُوعَهُ أَذَى
مَنْ كَتَيْتِ اللونَ صَافِيَةً خَيْرَ مَا سَلَسْتُ فِي بَدَنِي
مَا اسْتَقَرْتُ فِي فَوَادِ فَقِي فَدَرَى مَا لَوْعَةُ الْحَزَنِ
حتى قال .

تضحك الدنيا إلى مَلِكٍ قَامَ بِالْآثَارِ وَالسُّنَنِ
سَنَ لِلنَّاسِ النَّدى فَذِدُوا فَكَأَنَّ الْبَخْلَ لَمْ يَسْكُنْ (١)
فأكثر مدائح أبي نواس مقتضبة هكذا ، والتخلص غير ممكن في كل الأحوال ، وهو من مستصعبات علم البيان .

ومن هذا الباب الذي نحن بصدد ذكره قول البحتري في قصيدته المشهورة بالجوذة التي مدح بها الفتح بن خافان وذكر لقاءه الأسد وقتله إياه ، وأولها

(١) الديوان ٤١٢ ومطلعا :

يا كثير النوح في الدمن لا عليها بل على السكن

« أجدك مايفك يسرى لزينا »

وهى من أمهات شعره ، ومع ذلك لم يوفق فيها للتخلص من الغزل إلى المديح ، فإنه بينما هو فى تغزله وهو يقول :

مهديك إن منيت منيت موعدا جهاماً وإن أرتقت خلباً
وكنيت أرى أن الصدود الذى مفعى دلال فما إن كان إلا تبجتها
فوا أسفاً حتام أزال مانها وآمن خوافاً وأغيب مذنباً ؟

حقى قال فى أثر ذلك :

أقول لركب معتفين تدرعوا على عجل قطعاً من الليل قهراً
ردوا نائل الفتح بن خاقان إنه أعم ندى فوسم وأبسر مطلباً^(١)

فخرج إلى المديح بنهد وصلة ولا سبب .

وكذلك قوله فى قصيدته المشهورة بالجودة التى مدح بها ابن خاقان أيضاً ، وذكر نجاته عند انخفاف الجسزبه وقد أغرب فيها كل الإغراب ، وأحسن كل الإحسان ، وأولها (مضى لاح برق بداطلل قفر) :

فبينما هو فى غزلها حقى قال :

لعمرك ما الدنيا بنا قصة الجدى إذا بقى الفتح بين خاقان والقطر^(٢)
فخرج إلى المديح مقتضياً له متعلقاً به ، وأمثال هذا فى شعره كثير .

(١) الديوان ٥٥/١ وفى الديوان (علتك إن منيت) و (أقرب مطلباً) .

(٢) الديوان ٢١٧/١ ومطلع القصيدة .

مضى لاح برق أو بدا طلل قفر جرى مستهل الدمع لا بكى ولا نزر

النوع الرابع والعشرون في التناسب بين المعاني

ويقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول في المطابقة، وهذا النوع يسمى "البديع" أيضا ، وهو في المعاني ضدّ التجنيس في الألفاظ ، لأنّ التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى ، وهذا هو أن يكون المعنيان ضدّين

وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده ، كالسواد والبياض والليل والنهار ، وخالفهم في ذلك قدامة بن جعفر الكاتب ، فقال : المطابقة إيراد لفظين متساويين في البناء والصيغة مختلفين في المعنى . وهذا الذي ذكره هو التجنيس بمينه ، غير أن الأسماء لامشاحة فيها إلا إذا كانت مشتقة .

ولننظر نحن في ذلك وهو أن نكشف عن أصل المطابقة في وضع اللفظ ، وقد وجدنا الطابق في اللفظ من طابق البعير في سيره إذا وضع رجله موضع يده ، وهذا يؤيد ما ذكره قدامة ، لأن اليد غير الرجل لا ضدّها ، والموضع الذي يقعان فيه واحد ، وكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذي يجمعهما واحد ، فقدامة سمى هذا النوع من الكلام مطابقا حيث كان الاسم مشتقا مما سميّ به ، وذلك مناسب وواقع في موقعه ، إلا أنه جعل للتجنيس اسما آخر وهو المطابقة ، ولا بأس به إلا إن كان مثله بالضدين كالسواد والبياض ، فإنه يكون قد خالف الأصل الذي أصله بالمثل الذي مثله ^(١) .

(١) ذكر قدامة أن الناس يضعون من صفات الشعر المطابق والمجانس ، وهما داخلان في باب اختلاف اللفظ والمعنى . ومعناها أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة =

وأما غيره من أرباب هذه الصناعة فإنهم سموا هذا الضرب من الكلام مطابقة لغير اشتقاق ولا مناسبة بينه وبين مُسمّاه ، هذا الظاهر لنا من هذا القول ، إلا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن .

وانرجع إلى ذكر هذا القسم من التأليف وإيضاح حقيقته فنقول : الأليق من حيث المعنى أن يُسمى هذا النوع المقابلة ، لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين ، إما أن يقابل الشيء بضده ، أو يقابل بما ليس بضده ، وليس لنا وجه ثالث ، فأما الأول وهو مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض وما جرى مجراها فإنه ينقسم قسمين : أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى ، والآخر مقابلة في المعنى دون اللفظ .

(المقابلة في اللفظ والمعنى)

أما المقابلة في اللفظ والمعنى فكقوله تعالى « فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَيَبْكُوا كَثِيرًا ^(١) » فقابل بين الضحك والبكاء والقليل والكثير .

وكذلك قوله تعالى « لَكِيلًا نَأْسُوا عَلَى مَا فَتَحْنَا بِكَ آتَاكُم ^(٢) » وهذا أحسن ما يجيء في هذا الباب .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير المال عين ساهرة لعين نائمة .

== واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة . ثم حرف (المطابق) بأنه ما يشترك في لفظة واحدة بعينها ، وحرف (المجانس) بأن تكون اللفظة اشتراكها في اللفظ متجانسة على جهة الاشتقاق (قد الشعر ٩٢ طبعة برل . ليدن) .

وقد سبق الآدمي ابن الأثير إلى نقد قدامة في تصرفه في المصطلحات ، قال الآدمي : وهذا باب — أعني المطابق — أقبه قدامة (المتكافؤ) وسمى ضرباً من التجانس (المطابق) وما علمت أن أحد فعل هذا غيره ... ولم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه مثل عبد الله ابن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألف فيها (الموازنة بين أبي تمام والبحتري ٢٧٥ / ١ طبعة دار المعارف) .

(١) التوبة ٨٢ .

(٢) الحديد ٢٣ .

ومن الحسن المطبوع الذى ليس بمتكلف قول على رضى الله عنه لعثمان رضى الله عنه : « إن الحق ثقیل مرى ، والباطل خفیف وری ، وأنت رجل إن صدقت سیخطت ، وإن كذبت رخصت » فقابل الحق بالباطل ، والثقیل المری بالخفیف الوبى ، والصدق بالكذب ، والسخط بالرضا ، وهذه خمس مقابلات فى هذه الكلمات الفصار .

وكذلك ورد قوله رضى الله عنه : — لما قال الخوارج لاحكمم إلا لله تعالى : « هذه كل حق أريد بها باطل » . وقال الحجاج بن يوسف لسعيد بن جبیر رضى الله عنه وقد أحضره بین يديه ليقضه ، فقال له ما اسمك ؟ قال سعيد بن جبیر ؟ قال ، بل أنت شقی بن كسیر . وقد كان الحجاج من الفصحاء المدودین ، وفى كلامه هذا مطابقة حسنة ، فإنه نقل الاسمين إلى ضدّهما ، فقال فى سعيد شقی وفى جبیر كسیر .

وهذا النوع من الكلام لم يختص به اللغة العربية دون غيرها من اللغات . وما وجدته فى لغة الفریس أنه لما مات قباد أحد ملوكهم قال وزيره : « حَرَّ كَنَّا بِسَكُونِهِ » .

وأوّل كتاب الفصول لأبقراط فى الطب قوله : العمر قصير والصناعة طويلة . وهذا الكتاب على لغة اليونان .

ومن كلامى فى هذا الباب ما كتبه فى صدر مکتوب إلى بعض الإخوان وهو : « صدر هذا الكتاب عن قلب مُتَمِيز ، وَجَدِ سائر ، وصَبَرَ مُلِم ، وَجَزَعَ عذر ، وخاطراً دهشته لوعة الفراق فليس بخاطر » .

وكذلك كتبت إلى بعض الإخوان أيضاً قلت : « صدر هذا الكتاب عن قلب مأنوس باقائه ، وطرف مستوحش لفراقه ، نهذا مروّع بكآبة إظلامه ، وهذا ممتع بهجة إشرافه ، غير أن لقاء القلوب لقاء عُنِيَتْ بمثله خواطر (م — ١٠ النثر السائر)

الأنكار ، وتتفاجى به وراء الأستار ، وذلك أخو الطيف المم في المنام ، القى
يومه بقاء الأرواح على لقاء الأجسام .

ومن هذا النوع ما ذكرته في كتاب أصف المسير من دمشق إلى الموصل
عن طريق المناظر فقلت في جملة : « ثم زلت أرض الخابور ففرقت الأرواح
وشرفت الجسوم ، وحصل الإعدام من المسار والإزال من الهموم ، وطالبتني
النفس بالعود والقدرة مفلسة ، وأويت إلى ظل الآمال والآمال مضمسة » .

ومن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب إلى بعض الإخوان وعرضت فيه
بذكر جماعة من أهل الأدب فقلت : « وهم مسئولون الأينسونى في نادى فضلهم
الذى هو منبع الآمال وماتقط اللآل ، فوجوه أفاضله مشرقة بأيدي الأفلام
المتسودة ، وقلوب معانيه مستنبطة بنار الخواطر المتوقدة ، والواغل إليه
بشكر من خمرته التى تنبه العقول من إغفائها ، ولا يشمر بها أحد غير أكلها »
وهذه الفصول المذكورة لاحفاء بما تضمنته من محاسن المقابلة .

ومما ورد من هذا النوع شعراً قول جرير :

وأعور من نبيهان أمّا نهاره فأعمى وأما آيله فبصير^(١)

وكذلك ورد قول الفرزدق :

قبّح الإله بنى كليب إنهم لا يغيرون ولا يفون لجار

يستيقظون إلى نهيقي حارم وتنام أعينهم عن الأوتار^(٢)

فقابل بين العذر والوفاء ، وبين التيقظ والنوم ، وفي البيت الأول معنى
يسأل عنه .

(١) من قصيدته في هجاء أعور نيهان (الديوان ٢٦٤) يريد أنه في النهار أعمى عن
الخيبرات ، وفي الليل يصير بالسيئات .

(٢) ديوان الفرزدق ٤٤٨ / ٢ في هجائه لجرير من قصيدة مطلعها :

يا بن المراغة إنما جاريته بمسبقين لدى الفعال قصار
كان بالأصل (بجار) .

وكذلك ورد قول بعضهم :

فلا الجودُ يُفنى للمالَ والجُدُّ مُقبلٌ ولا البخلُ يُبقى للمالَ والجُدُّ مُدبرٌ
وقد أكثر أبو تمام من هذا في شعره فأحسن في موضع وأساء في موضع ،
فن إحسانه قوله :

ما إن ترى الأحسابَ بيضاً وضّاً إلا بحيث ترى المفايا سودا
وكذلك قال من هذه القصيدة أيضاً :

شَرَفٌ على أُولَى الزَّمانِ وإنا خَافُ أَمَفاسِبٍ أن يكونَ جديداً^(١)
وعلى هذا المنهج ورد قوله :

إذا كانت الثَّمَنى سَلوباً من امرئ غدت من خليجى كَنه وهى مُتَبِعٌ
وإن عَثَرَت سودُ اللَّيالى وبِيضها بوَحْدَتِهِ أَلَمِيَّتُها وهى مُجْتَمِعٌ
ويوم يظل العزُّ يُحْفَظُ وَسَطُه بِسُمرِ العوالى والنفوسُ تُضَيِّعُ
مَصِيفٍ من الهِجاءِ ومن جَاحِمِ الوَغى وَلسكنه من وابلِ الدمِ مَرَبِعٌ^(٢)
ومن هذا الأسلوب قوله أيضاً :

تَقَرَّبَ الشُّمَّةَ القُصوى إذا أَخَذَتْ سِلَاحَها وهو الإِرْقالُ والرَّمْلُ
إذا تَضَلَّمتُ من أرضٍ فَصَلَّتْ بها كانت هى العزُّ إلا أنها ذُلُّ

(١) من قصيدته فى مدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ، ومطامها .

طلال الجبيع لقد عفوت حميدا وكفى على رزئى بذاك شهيدا

(الديوان ١/٤١٠) كان فى الأصل (سوف) بدلا من شرف ، يريد أن ما كان حديثا جديدا كان خلقا لا يتفكر فيه

(٢) من قصيدته فى مدح أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى (الديوان ٢/٣٩٧) كان فى الأصل (وهو تبع) و (هيجاء) و (حاجم) ، السلوب : التى سلب منها ولدها . المتبع التى يتبعها ولدها . خليجى كفه المراد السكب الواحدة . يقول : إذا كانت النعمة من نعم واحدة فإن نعمة هذا المدح يتبعها غيرها من النعم . مصيف من الهيجا : هذا اليوم مصيف من حر الحرب . مربع : مجتمعا .

الْمَرْضِيَّاتُكَ مَا أُرْتَعَتْ آثَرُهَا وَالْمَهَادِيَّاتُكَ وَهِيَ الشَّرْدُ الضَّلُّ^(١)
وعلى هذا النحو ورد قوله :

وفاضرة الصَّبَا حين استَبَكَّرَتْ طِلَاعَ المِرْطِ والدزع الِيدِيَّ
تَشَكَّى الْأَيْنَ من نِصْفِ مَرِيحٍ إِذَا قَامَتْ وَمِنْ نِصْفِ بَطْنِ^(٢)
وقد جاء لأب نواس ذلك فقال :

أَقْلَى قَدْ نَدِمْتُ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْإِقْرَارِ عُدْتُ مِنَ الْجُحُودِ
أَنَا اسْتَهْدَيْتُ عَفْوَكَ مِنْ قَرِيبٍ كَمَا اسْتَمَقَيْتُ صَخَطَكَ مِنْ بَعِيدِ^(٣)
فقابل بين الأضداد من الجحود والإقرار والعفو والسخط والقرب والبعد .
وعلى نحو من ذلك ورد قول علي بن جبلة في أبي دَأْفٍ الِيجَلِيِّ^(٤) وهو :
أَيْمُ المَهِيرِ وَنِكَاحُ الْأَيْمِ يَوْمَكَ يَوْمَ أَبُوْسٍ وَأَنْعَمُ
وَجَمْعُ نَجْدٍ وَنَدَى مَقْسَمِ
وكذلك قوله أيضا :

هو الأمل المبسوط والأجل الذي يُبْرِءُ عَلَى أَيَّامِهِ الدَّهْرُ أَوْ يَخْلُو

(١) من مقطوعة يصف فيها شدة البرد بخراسان ويصف الإبل (الديوان ٣٦٠)
والبيت الأخير بالديوان قبل الأول . والذي بالديوان (وهو الرشد والضلل) والإرقان والرمل
ضربان من السير . ذلل : مطيعة منقادة .

(٢) من قصيدته في مدح الحسن بن وهب (الديوان ٣ / ٣٥١) .

استبكرت : تم شبابها . طلاع المِرْطِ : ملؤه يعني مرط المرأة .

اليدى : الواسم ، ويروى اليدى بالياء وهو البديع المجيب .

نصف مريم : يريد خصرها الرقيق . نصف بطنٍ يريد ردفها الثقيل

(٣) الديوان ٤٥٣ وليس البيت الثاني به ، وبعد البيت الأول :

وإن تصفح فإحسان جديد سبقت به إلى شكر جديد

(٤) يعرف علي بن جبلة بالمشكوك ، كان مداحا مجيدا ووصافا بارعا ، وكان ضريرا ،

مدح المأمون وحيد بن عبد الحميد الطوسي وأكثر من مدح أبي دأف وأجاد ومدح غير
هؤلاء (طبقات الشعراء لابن المعتز ١٧٠ والشعر والشعراء ٥٥٠ وتاريخ بغداد ٣٥٩/١١
وشذرات الذهب ٣٠/٢) .

ولا تحسن الأيام تفعل ففعله وإن كان في نصر ينفها التفض والفعل
فيعش واحداً أما الشراء فمُسَلَّمٌ مُبَاحٌ وأما الجار فهو حتى يسأل
وعما جاء من هذا القسم قول البحري :

أحسن الله في ثوابك عن نفس مضاع أحسنت فيه البلاء
كان مستمعا قعرٌ ونحرو ما فأجدي ومظلماً فأضاء^(١)
ومن أحسن ما ورد له في هذا الباب قوله :

أشكو إليك أغاملاً ما تنطوي بخلاً وإملافاً تُقصمها لليد
أرضيهم قولاً ولا يرضوني فعلاً وتلك قضية لا تُقصد
فأدّم منهم ما يدم ورءا صاحتهم فعمدت مالا يُحمد^(٢)
وعلى هذا النهج ورد قوله :

وتوقى منك الإساءة جاهداً والعيد أن أتوقع الإحسانا
وكما بسرّك لين مهي راضيا فكذلك فإخش خشونتي غضباناً^(٣)
وأما أبو الطيب المتنبي فإنه استعمل هذا النوع قليلاً في شعره ، فن ذلك
قوله :

يقال إذا لاقوا خفافاً إذا دُهِوا كثيراً إذا شدّوا وأقليل إذا هُدوا^(٤)

(١) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٢/١) .
(٢) من قصيدته في مدح أبي أيوب بن أخت أبي الوزير الديوان (١٧٦/١) والنسب
بالديوان (ما تنطوي ببسا) والضمير في أرضيهم عائداً على الناس في قوله :

الناس حولك روضة ما تترقى ربا النبات ومنهل ما يورد

(٣) من قصيدته في عتاب أبي العباسي بن بسطام الديوان (٢٧٩/٢) .

(٤) من قصيدته في مدح محمد بن سيار بن مكرم التهيمي ، التي مطلعها : =

وكذلك قوله :

لِلرَّبِّ مَالٌ كَلِمَاتٌ شَدِيدَةٌ شَدِيدَةٌ تَجْمَعُ فِي ثَشْيَبِهِ لِلْأُيْلَا شَمْلٌ^(١)

بما استعذبه قوله في هذا الباب :

كَأَنَّ سُهَادَ اللَّيْلِ يَنْشَقُّ مُقَاتِي فَبَيْنَهُمَا فِي كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصْلٌ^(٢)

وعما جاء من هذا الباب :

لَمَّا اعْتَقْنَا لِلْوَدَاعِ وَأَغْرَبْتَ عَبْرَانُنَا عَنَّا بِدَمْعٍ نَاطِقٍ

فَرَقْنَا بَيْنَ مَعَاجِرٍ وَمَحَاجِرٍ وَجَمَعْنَا بَيْنَ بَنَفْسِجٍ وَشَقَاتِي^(٣)

وهذا تحته معنى يسأل عنه غير المقابلة ، وذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالبنفسج والشقائق هو عارض الرجل وخذ المرأة ، لأن من العادة أن يشبه العارض بالبنفسج . وهذا قول غير سائغ ، لأن العارض إنما يشبه بالبنفسج عند أول ظموزه ، فإذا طرأ وظهرت خضرته في ابتداء سن الشباب شُبه بالبنفسج ، لأنه يكون بين الأخضر والأسود ، وليس في الشعر ما يدل على أن تلودع كان شابا قد طرأ عارضه ، والذي يقتضيه المبنى أن المرأة قامت للوداع فزقت خمارها ، ولطمت

== أقل فعالي بله أكثره مجد وذا الجدي فيه ثلث أم لم أتل جد

الديوان ١٠٨/٢) يقال : نعت لما يخ في البيت السابق له ، يريد أنهم يقال الوطاة على . المدو . خفاف : سريعو الإجابة للنجدة . كثير لإشداد دلالة على أن الواحد منهم يسد مسد الجماعة .

(١) من قصيدته في مدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي ، التي مطلعها :

عزيز أسي من دأؤه الحدق النجل عياء به مات المحبون من قبل

(الديوان ٣/٣٧٠) شت : تفرق . الشمل : الاجتماع ، أي كلما تفرق شمل ماله

اجتمعت معاليه .

(٢) من القصيدة نفسها .

(٣) المعاجر : جمع معجر على وزن منبر ثوب تمتجر به المرأة .

المحاجر : جمع محجر على وزن مجلس وهو للمعين .

حدها ، فجمعت بين أثر العلم ، وهو شبيه بالنفسج ، وبين لون الخلد وهو شبيه
الشفائق ، وفترقت بين خمارها وبين وجهها بالتزيق ولها وموجدة على الوداع ،
هذا هو معنى البيت لا مذهب إليه هذا الرجل .

[المقابلة في المعنى دوره اللفظي] :

وأما المقابلة في المعنى دون اللفظ في الأضداد فمما جاء منه قول المقنع الكندي
من شعراء الحماسة :

لهم جُلٌّ مالى إن تتابع لى غنى وإن قلَّ مالى لم أكفهم رِفداً^(١)
فقوله تتابع لى غنى بمعنى قوله كثر مالى ، فهو إذا مقابلة من جهة المعنى لا من
جهة اللفظ ، لأن حقيقة الأضداد اللفظية إنما هي في المفردات من الألفاظ نحو قام
وقعد وحل وعقد وقل وكثر ، فإن القيام ضد القعود ، والحل ضد العقد ، والقليل
ضد الكثير ، فإذا ترك المفرد من الألفاظ وتوصل إلى مقابله بألفاظ مركب كان
ذلك مقابلة معنوية لا لفظية ، فاعرف ذلك .

[مقابلة الشيء بما ليس بضده] :

وأما مقابلة الشيء بما ليس بضده فهي ضربان : أحدهما ألا يكون مثلاً
والآخر أن يكون مثلاً ، فالضرب الأول يتفرع إلى فرعين :
الأول : ما كان بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقارب ، كقول قُرَيْب
ابن أُنَيْف :

(١) اسم الشاعر محمد بن ظهير بن عمير ، من شعراء الدولة الأموية وكان فيما قالوا
جيلاً مشرق الوجه ، فكان يستوجهه لجماله ، فسمى المقنع . وهذا البيت من أبيات اختارها
أبو تمام في الحماسة ، أولها .

يماني في الدين قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حدا
(شرح ديوان الحماسة للرزوقي ١١٧٨/٣ .)

يَجْزُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفَرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا^(١)

فقابل الظلم بالمغفرة ، وليس ضدًّا لها ، وإنما هو ضد العدل ، إلا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل حسنت المقابلة بينهما وبين الظلم ، وعلى هذا جاء قوله تعالى « أَشِدُّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِيمَةٌ بَيْنَهُمْ »^(٢) فإن الرحمة ليست ضد الشدة ، وإنما ضد الشدة اللين ، إلا أنه لما كانت الرحمة من مسببات اللين حَسُنَتْ المقابلة بينها وبين الشدة .

وكذلك ورد قوله تعالى « إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ، وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ »^(٣) . فإن المصيبة سيئة ، لأن كل مصيبة سيئة وليس كل سيئة مصيبة ، فالتقابل ها هنا من جهة العام والخاص .

النوع الثاني : ما كان بين المقابل والمقابل به بُعْدٌ ، وذلك مما لا يحسن استعماله كقول أم النجيف وهو سعد بن قُرْطُوقٍ وقد تزوج امرأة كانت تهته عنها فقالت من أبيات تدمها فيها :

تَرَبَّصْ بِهَا أَيَّامَ عِلِّ صُرُوفِهَا سَتَرِمِي بِهَا فِي جَاحِمٍ مُسْتَهَرٍّ
فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدَمَنَاهُ إِلَهُهُ بِمَذْمُومَةِ الْأَخْلَاقِ وَاسِعَةِ الْحِرِّ^(٤)

(١) من أبيات في الحماسة ، يقرع فيها قومه على تخليهم من نصرته ، أولها :

لو كنت من مازن لم تستبح ليلي بنو الاقطة من ذهل بن شيبانا

(شرح الحماسة للرزوقي ٢٢/١ والتبريزي .

(٢) الفتح ٢٩ .

(٣) التوبة ٥٠ .

(٤) في الأصل أم النجف ، وابن قرط ، لكن الذي في شرح الحماسة للتبريزي ٣٥٢/٤

وفي شرحها للرزوقي ١٨٦٢/٤ هو ما أثبتناه .

فقولها بمذمومة الأخلاق واسعة الحر من المقابلة البعيدة ، بل الأولى أن كانت قالت بضيق الأخلاق واسعة الحر ، حتى تصح المقابلة ، وهذا مما يدل على أن العربى غير مهتد إلى استعمال ذلك بصنعتة ، وإنما يحىء له منه ما يحىء يعطيه لا بتشكافه ، وإذا أخطأ فإنه لا يعلم ولا يشعر به ، والدليل على ذلك أنه لو أبدت لفظة مذمومة بلفظة ضيقة لصح الوزن وحصلت المقابلة ، وإنما يُنذَرُ من يُنذَرُ في ترك المقابلة في مثل هذا المقام إذا كان الوزن لا يواتيه . .

وأما المخدثون من الشعراء فإلهم اعتنوا بذلك خلاف ما كانت العرب عليه ، لا جرّم أنهم أشدّ ملامة من العرب .

فمن ذلك قول أبى الطيب المتنبي :

لَمَنْ تَطَلَّبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُتَرَدَّ سَهَا سرور محب أو إساءة مجرم^(١)

فإن المقابلة الصحيحة بين المسحب والمبغض لا بين المحب والمجرم ، وليست متوسطة أيضا حتى يقرب الحال فيها ، وإنما هى بعيدة ، فإنه ليس كل من أجرم إليك كان مفضالك .

[المواخاة بين المعاني .]

ومما يتصل بهذا الفرب ضرب من الكلام يسمى المواخاة بين المعاني والمواخاة بين المباني ، وكان ينبغي أن نمقد له بابا مفردا ، لكننا لما رأينا أنه ينفطر إلى التقابل من وجه وصلناه به .

(١) هذه هى رواية الديوان (٣٤٣/٤) وفى الأصل يطلب ويرد ومساءة . والبيت من قصيدة فى مدح كافور .

أما المواخاة بين المعاني فهو أن يذكر المعنى مع أخيه ، لا مع الأجنبي ، مثاله أن تذكر وصفا من الأوصاف وتقرنه بما يقرب منه ويلتئم به ، فإن ذكرته مع ما يبعد منه كان ذلك قدحا في الصناعة ، وإن كان جائزا .
فمن ذلك قول السكيت :

أم هل ظمأن بالعلماء رافعة وإن تكامل فيها الدل والشنب^(١)

فإن الدل يذكر مع العننج وما أشبهه ، والشنب يذكر مع اللعس وما أشبهه ، وهذا موضع يفاظ فيه أرباب النظم والنثر كثيرا ، وهو مظنة الغلط ، لأنه يحتاج إلى ناقد ففكرة وحذق ، بحيث توضع للمعاني مع أخواتها لا مع الأجنبي منها .

وقرأت في كتاب الأغاني لأبي الفرج أنه اجتمع نصيب والسكيت وذو الرمة فأنشد السكيت « أم هل ظمأن » البيت ، فعقد نصيب واحدة ، فقال له السكيت : ماذا تحمى ؟ قال خطأك ، فإنك تباعدت في القول ، أين الدل من الشنب ؟ ألا قلت كما قال ذو الرمة :

كلماء في شفتيها حوة ، لعس وفي لثاث وفي أنيابها شنب^(٢)

ورأيت أبا نواس يقع في ذلك كثيرا كقوله في وصف الديك :

له اعتدال وانتصاب قد وجلده يشبه وشى البرد

(٢) ليس البيت بالهاشميات . الشنب : ماء ورقة وعذوبة ويرد في الأسنان .

(١) الأغاني ١/ ١٣٤ مع بعض تغيير . الشنب : ماء ورقة وعذوبة ويرد في الأسنان . العلماء : سمراء الشفة . الحوة : حمرة مشوبة بسواد . اللعس : سواد مستحسن في الشفة .

كانها الدُّبَابُ فِي الْفَرِيدِ مُخَذَّوْدَبُ الظَّهْرِ كَرِيمُ الْجَدِّ (١)
 فإنه ذكر الظهر وقرنه بذكر الجد ، وهذا لا يناسب هذا ، لأن الظهر من
 جملة الخلق ، والجد من النسب ، وكان ينبغي أن يذكر مع الظهر ما يقرب منه
 ويواخيه .

وكذلك أخطأ أبو نواس في قوله أيضاً :

وَقَدْ حَلَفْتُ بِمِثْنَا مَبْرُورَةٍ لَا تُكَذِّبُ
 رَبِّ زَمْزَمَ وَالْحَوْضِ وَالصَّفَا وَالْمَحْصَبِ (٢)

فإن ذكر الحوض مع زمزم والصفا والمحصب غير مناسب ، وإنما يذكر
 الحوض مع الصراط والميزان وما جرى مجراها ، وأما زمزم والصفا والمحصب فيذكر
 معها الركن والحطيم وما جرى مجراها .

وعلى هذا الأسلوب ورد قوله أيضاً :

أَحْسَنُ مَنْ هَنَزَلْ بِذِي قَارٍ مَنْزِلُ خَمَارَةٍ وَخَارِ
 وَشَمُّ رَحَايَةٍ وَرَجِيَّةٍ أَحْسَنُ مِنْ أَيْنُقٍ بِأَكْوَارِ (٣)
 فالبيت الثاني لامقارنة بين صدره وعجزه ، وأين شَم الرِيحَان من الأَيْنُق

(١) في الديوان تحقيق الغزالي (٦٤٥) مقطوعة في وصف ديك هندي ، أولها :
 أَنْتِ دَيْكَا مِنْ دَيْوَكِ الْهِنْدِ كَرِيمٌ هَمْ وَكَرِيمٌ جَدِّ
 وليس بهاذن البيتان . لكنهما في ديوانه من قصيدة في وصف ديك (الطبعة العمومية)
 (٢) من مقطوعة مطلعها :

حَدَانِ مَالِكٌ تَغْضَبُ عَلَيَّ فِي غَيْرِ مَغْضَبِ
 (الديوان ٧٢٤) .

(٣) الطام في الديوان (١٦٠) :
 أَحْسَنُ مَنْ مَنْزَلْ بِذِي قَارٍ مَنْزِلُ خَمَارَةٍ بِالْأَنْبَارِ
 الأَكْوَارِ : جمع كور وهو الرحل .

بالأكوار ؟ وكان ينبغي له أن يقول ثم الریحان أحسن من ثم الشيخ والقيصوم ،
وركوبُ الفتيات الرُود أحسن من ركوب الأبنق بالأكوار ، وكل هذا
لا يُعْنَطُنُ لوضعه في مواضعه في كل الأوقات . وقد كان يظلم على " السمو " في بعض
الأحوال حتى أسلاك هذه الطريق في وضع المعاني مع غير أنسابها وأقاربها ، ثم إنى
كفت أنامل ما صنعت به بعد حين فأصلح ما سموت عنه .

[المُواخَاة بين المَبَانِي]

وأما المُواخَاة بين المَبَانِي فإنه يتعلق بمباني الألفاظ .

فمن ذلك قول أبي تمام في وصف الرماح :

مُثَقَّفَاتٌ سَكَبْنَ العُرْبَ سُمَرَتَهَا والرُّومَ زُرْقَتَهَا والعاشقُ القَضَا^(١)

وهذا البيت من أبيات أبي تمام الأفراد ، غير أن فيه نظرا ، وهو قوله العرب
والرُوم ، ثم قال العاشق ، ولو صح أن يقول العاشق لكان أحسن ، إذ كانت
الأوصاف تجري على (سج) واحد ، وكذلك قوله سمرتها زرقتها ، ثم قال القضا ،
وكان ينبغي أن يقول قضفها أو دقمها .

وعلى هذا ورد قول مسلم بن الوليد :

تَقَضَّتْ بِكَ الأَحْلَاسُ أَنْفَصَ إِقَامَةٍ واسترجعت نزعها الامصار
فاذعبت كما ذعبت غواذي مُزْنَةٍ يُثْنِي عليها السهل والأوعار^(٢)

(١) البيت من قصيدة في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى المجلى (الديوان ٣٥٩/٣)
ونصه في الديوان :

مُثَقَّفَاتٌ سَكَبْنَ الرُّومَ زُرْقَتَهَا والعرب سمرتها والعاشقُ القضا
مُثَقَّفَاتٌ مقومات . القصف : النعانة والضمور ، يقول إنها مقومات معدلات ، سمر
كالرب ، زرق الأسنة كالرُوم ضامرة كالعاشق .

(٢) من رثائه ليزيد بن مزيد ، والبيتان في الديوان ٣١٣ ::

والأحسن أن يقال السهل والوعر ، أو السهل والأوعار ، ليكون البناء اللفظي واحداً ، أئى أن يكون اللفظان واردين على صيغة الجمع أو الأفراد ، ولا يكون أحدهما مجموعاً ، والآخر مفرداً :

وكذلك ورد قول أبى نواس فى الخمر :

صَنَرَاهُ تَجَدَّهَا مَرَّازٍ بِهَا جَاءَتْ عَنِ النَّظَرَاءِ وَالْمَثَلِ^(١)

فجمع وأفرد فى معنى واحد ، وهو أنه قل النظراء مجموعاً ، ثم قل المثل مفرداً ، وكان الأحسن أن يقول النظير والمثل ، أو النظراء والأمثال .

وعلى ذلك ورد قوله أيضاً ، والإنكار بتوجه فيه أ كثر من الأول ، وهو :

أَلَا يَا ابْنَ الْفَرِّقَنِ قَنُوتَا قَنُوتَا أَمَا وَاللَّهِ مَا مَاتُوا لَتَبْقَى

وَمَالِكٌ فَاعْلَمْ أَنَّ فِيهَا مَقَامٌ إِذَا اسْتَكْمَلْتَ أَجَالًا وَرَزَقًا^(٢)

وموضع الإنكار هاهنا أنه قال آجالاً ورزقاً ، وكان ينبغى أن يقول أرزاقاً أو أن يقول أجلاً ورزقاً ، وقد زاده إنكاراً أنه جمع الأجل فقال آجالاً ، والإنسان ليس له إلا أجل واحد ، ولو قال أجلاً وأرزاقاً ، لماعيب ، لأن الأجل واحد والأرزاق كثيرة ، لاختلاف ضربها وأجناسها .

== نقضت بك الآمال أحلاس الغنى واسترجعت نزاعها الأمصار
فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة أننى عليها السهل والأوعار
الأحلاس : جمع حلس وهو الذى يوضع تحت الرجل
(١) من قصيدته التى مطلعها :

كَانَ الشَّبَابُ مَطْيِئَةَ الْجَهْلِ وَعَمْسَنَ الضَّحَكَاتِ وَالْهَزَلَ
(الديوان ٤٢) المرازب والمرازبة جمع مرزبان وهو أحد الحكام والقواد القرس .

(٢) رواية الديوان ٩٨ (المطبعة العمومية)
أَلَا يَا ابْنَ الْفَرِّقَنِ قَنُوتَا وَبَادُوا أَمَا وَاقَّةٌ مَا بَادُوا لَتَبْقَى
وَمَالِكٌ فَاعْلَمْ أَنَّ فِيهَا مَقَامٌ إِذَا اسْتَكْمَلْتَ أَجَالًا وَرَزَقًا

وإذا أنصفنا في هذا الموضع وجدنا النار مطالباً به دون النازح، لمكان إمكانه من التصرف . وقد كنت أرى هذا الضرب من الكلام واجباً في الاستعمال ، وأنه لا يحسن المحيد عنه ، حتى مررت في القرآن الكريم ما يخالفه ، كقوله تعالى في سورة النحل ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِنْ دَعَا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّيْاً ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَائِلِ ﴾ (١) . ولو كان الأحسن لزوم البناء اللفظي على صن واحد لجمع اليمين كما جمع الشمال ، أو أفرد الشمال كما أفرد اليمين .

وكذلك ورد قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَبَّحَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَتُغْمِغِهِمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (٢) فجاء الجمع في الألفاظ والأبصار وأفرد السمع .

وكذلك ورد قوله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ ﴾ (٣) فذكر السمع بلفظ الأفراد وذكر الأبصار والجلود بلفظ الجمع .

وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة هكذا ، ولو كان هذا معتبراً في الاستعمال لورد في كلام الله تعالى الذي هو أنصح من كل كلام ، والأخذ في مقام الفصاحة والبلاغة إنما يكون منه والمعول عايه .

وينبغي أن يقاس على هذا قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يَمِينًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَبُشْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) .

(١) النحل ٤٨ .

(٢) النحل ١٠٨ .

(٣) فصلت ٢٠ .

(٤) يونس ٨٧ .

وربما قيل إن هذه الآية اشتملت على تثنية وجمع وإفراد ، وظنُّ أنها من هذا الباب ، وليس كذلك لأنها مشتملة على خطاب موسى وهارون عليهما السلام أولاً في اتخاذ المساجد لقومهما ، ثم ثنى الخطاب لهما ولقومهما جميعاً ، ثم أفرد موسى عليه السلام ببيشارة المؤمنين ، لأنه صاحب الرسالة .

[مقابلة الشيء بمجمله]

الضرب الثانى فى مقابلة الشيء مثله وهو يتفرع إلى فرعين : أحدهما مقابلة المفرد بالمفرد ، والآخر مقابلة الجملة بالجملة .

النوع الأول كقوله تعالى « نسوا الله فسيهم »^(١) وكقوله تعالى « ومكروا مكراً ومكراً مكرأ »^(٢) وقد روى هذا الموضوع فى القرآن الكريم كثيراً ، فإذا ورد فى صدر آية من الآيات ما يحتاج إلى جواب كان جوابه ماثلاً ، كقوله تعالى « من كفر فعليه كفره »^(٣) وكقوله تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها »^(٤) ، وهذا هو الأحسن ، وإلا فلو قيل من كفر فعليه ذنبه ، كان ذلك جائزاً . لكن الأحسن هو ما ورد فى كتاب الله تعالى ، وعليه مدار الاستعمال .

وهذا الحكم يجرى فى النظم والنثر من الأسجاع والأبيات الشعرية ، فأنما إن كان ذلك غير جواب ، فإنه لا يلتزم فيه هذه المراجعة اللفظية . ألا ترى أنه قد قولت الكلمة بكلمة هى فى معناها وإن تسكن مساوية لها فى اللفظ ، وهذا يقع فى الأنفاظ المترادفة ، ولذا يستعمل ذلك فى الموضع الذى ترد فيه الكلمة غير جواب .

(١) التوبة ٦٧

(٢) النمل ٥٠

(٣) الروم ٤٤ .

(٤) الشورى ٤٠

فما جاء منه قوله تعالى تعالى : « وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ » ^(١) ولو كان لا تورد الكلمة إلا مثلاً لقل وهو أعلم بما تعلمون .

وكذلك قوله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ، إذ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا لا نخف ، خصمان ، بفسى بعضنا على بعض » ^(٢) فقال لا تخف بعد قوله ففزع ، ولما كان هذا في معنى هذا قبول أحدهما بالآخر ، ولم يقابل اللفظ بنفسه .

وكذلك جاء قوله تعالى : « لئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون » ^(٣) فذكر الاستهزاء الذي هو في معنى الخوض واللعب ، وقابل به الخوض واللعب ، ولو ذكره على حد المماثلة والمساواة لقال : أفي الله وآياته ورسوله كنتم تخوضون وتلعبون ..

فإن قيل إنك قد احتججت بالقرآن الكريم فيما ذكرته ، ونرى قد ورد في القرآن الكريم ما ينقضه كقوله تعالى « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها » ^(٤) ولم يقل جزاء سيئة سيئة مثلها ، فالجواب على ذلك أني أقول أردت أن تنقض على ما ذكرته فلم تنقضه ، ولعنك شيدته ، والذي ذكرته هو

(١) الزمر ٧٠

(٢) من ٢١ — ٢٢ .

(٣) التوبة ٦٥ .

(٤) يونس ٢٧

دليل لي لالك ، ألا ترى أنه لا فرق بين قوله تعالى « جزاء سيئة بمثلها » وبين قوله « جزاء سيئة سيئة مثلها » ، إذا المعنى واحد لا يختلف ، ولو جاء عوضاً عن السيئة لفظة أخرى في معناها كالأذى والسوء أو ماجرى مجراها لصح لك ما ذهبت إليه .

وقد ذهب بعض المتصديرين في علم البيان أنه إذا ذكرت اللفظة في أول كلام يحتاج إلى تمام وإن لم يكن جواباً كالذي تقدم ، فينبغي أن تُعاد بعينها في آخره ، ومتى عدل عن ذلك كان معيباً ، ثم مثل ذلك بقول أبي تمام وقول أبي الطيب المتنبي ، فقال إن أبا تمام أخطأ في قوله :

بَسَطَ الرَّجَاءَ لَنَا بَرَّغِمِ نَوَائِبٍ كَثُرَتْ بِهِنَّ مَصَارِعُ الْأَمَالِ^(١)

فحيث ذكر الرجاء في صدر البيت فكان ينبغي أن يعيد ذكره أيضاً في عجزه ، أو كان ذكر الأمال في صدر البيت وعجزه . وكذلك أخطأ أبو الطيب المتنبي في قوله :

إِنِّي لِأَعْلَمُ وَاللَّيْبُ خَيْرٌ أَنْ الْحَيَاةَ وَإِنْ حَرَمَتْ غُرُورُ^(٢)

فإنه قال إنِّي لأَعْلَمُ واللَّيْبُ خَيْرٌ ، وكان ينبغي أن يقول إنِّي لأَعْلَمُ واللَّيْبُ عَلِيمٌ ، ليكون ذلك تنابلاً صحيحاً .

وهذا الذي ذكره هذا الرجل ليس بشيء ، بل للمعتمد عليه في هذا الباب أنه

(١) من قصيدة في مدح الحسن بن رجاء ، مطلعها :

كفى وذاك فإني لك قائل لست هوادي عزمي بتوالي
(الديوان ٧٦/٣)

(٢) من رثائه لمحمد بن إسحاق التتويحي (الديوان ٢٧٨/٢)

إذا كانت اللفظة في معنى أختها جاز استعمالها في المقابلة بينهما ، والدليل على ذلك ما قدمناه من آيات القرآن الكريم ، وكفى به دليلاً ، وهذه الرموز التي هي أمرار الكلام لَا يَتَفَتَّنُ لَا استعمالها إلا أحذر رجلين : إما فقيه في علم البيان قد مارسه ، وإما مشقوق اللسان في الفصاحة قد خُلِقَ عارفاً بلطائفها ، مستغنياً عن مطالعة معانيها ، وهذا لا يكون إلا عربي الفطرة يقول ما يقوله طبعا ، على أنه لَا يُسَدِّدُ في جميع أقواله ، ما لم تكن معرفته الفطرية ممزوجة بمعرفته العرفية .

الفرع الثاني في صفات الحمد بالحمد :

اعلم أنه إذا كانت الجملة من الكلام مُسْتَقْبَلَةً قوبلت بمستقبلية ، وإن كانت ماضية قوبلت بماضية ، وربما قوبلت الماضية بالمستقبلية ، والمستقبلية بالماضية ، إذا كانت إحداها في معنى الأخرى .

فمن ذلك قوله تعالى : « قل إن ضللتُ فإنما أضِلُّ على نفسي ، وإن اهتديت فبما يُوحى إليّ ربِّي »^(١) فإن هذا تقابل من جهة المعنى ، ولو كان للتقابل من جهة اللفظ لقال وإن اهتديت فإنما أهدى لما .

وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ما عليها فهو بها ، أعني أن كل ما هو وبال عليها وضارٌّ لها فهو بسببها ومنها ، لأنها الأمارة بالسوء ، وكل ما هو لها مما ينعفها ، فهداية ربها وتوفيقه إياها ، وهذا حُكْمٌ عام لكل مكلف ، وإنما أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستندَ ذلك إلى نفسه ، لأن الرسول إذا دخل تحتَه مع علوِّ محله وسداد طريقته كان غيره أولى به .

ومن هذا الضرب قوله تعالى : « ألم يَرَوْا أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْهَرًا »^(٢) فإنه لم يراعِ التقابل في قوله « ليسكنوا فيه ومبهرًا » ، لأن

(١) سورة سبأ ٥٠ .

(٢) سورة النمل ٨٦ .

القياس يقتضي أن يكون « والنهار ليُبصروا فيه » وإنما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، وهذا النظم المطبوع غير المكلف ، لأن معنى قوله مبصرا ليُبصروا فيه طُرُق القلب في الحاجات .

واعلم أن في تقابل المعاني بابا عجيب الأمر يحتاج إلى فضل تأمل ، وزيادة نظر ، وهو يختص بالفواصل من الكلام المنشور وبالأجزاء من الآيات الشعرية .

فما جاء من ذلك قوله تعالى في ذم المنافقين : « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ^(١) » . وقوله تعالى : « وإذا قيل لهم : آمنوا كما آمن الناس قلوا : أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ^(٢) » .

ألا ترى كيف فصل الآية الأخرى يعلمون ، والآية التي قبلها يشعرون . وإنما فعل ذلك لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل ، تحتاج إلى نظر واستدلال ، حتى يكتب الناظر العلم والعرفة بذلك ، وأما التناقض وما فيه من البني المؤتى إلى الفتنه والفساد في الأرض فأمر دينوى مبنى على الماديات ، معلوم عند الناس ، خصوصا عند العرب وما كان فيهم من التجارب والتناور ، فهو كالحسوس عديم ، فلذلك قال فيه « يشعرون » ، وأيضا فإنه لما ذكر السفه في الآية الأخيرة وهو جهل ، كان ذكر العلم معه أحسن طباقا ، فقال « لا يعلمون » .

وآيات القرآن جميعها فصلت هكذا ، كقوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير ^(٣) » . وكقوله تعالى :

(١) سورة البقرة ١١ - ١٢ .

(٢) سورة البقرة ١٣ .

(٣) سورة الحج ٦٣ .

«لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ»^(١) . وكقوله : «لَمْ يَكُنْ لَكَ شَيْءٌ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْمَلَكُ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ، وَبِمَسْكِ السَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ»^(٢) .

فإنه إنما فصّلت الآية الأولى بلطف خبير ، لأن ذلك في موضع الرحمة لخلقه بإنزال الغيث وغيره . وأما الآية الثانية فإنما فصّلت بغير حميد ، لأنه قال : «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» لا لحجة ، بل هو غنى عنها جواد بها ، لأنه ليس كل غنى نافعا لغيره ، إلا إذا كان جوادا مُنِعِمًا ، وإذا جادوا أنعم هذه المنعم عليه واستحق عليه الحمد ، فذكر الحميد ليدل على أنه الغنى النافع بفضائه خلقه .

وأما الآية الثالثة فإنما فصّلت برؤوف رحيم ، لأنه لما عدّد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الأرض لهم ، وإجراء الفلك في البحر بهم ، وتسييرهم في ذلك المول العظيم ، وخلق السماء فوقهم ، وإمساكه إياها عن الوقوع ، حسن أن يفصل ذلك بقوله رؤوف رحيم ، أي أن بهذا الفعل فعل رؤوف بكم رحيم لكم .

واعلم أيها المتأمل لكتابنا هذا أنه قد توجّد هذه الملائمة والمناسبة في كلامنا ناظم أو ناثير .

ومن الآيات ما تشكّل فاصلته فتحتاج إلى فكرة وتأمل ، كقوله تعالى : «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ، وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ»^(٣) .

فإنه قدوردت الفاصلة في غير هذا الموضع بتواب رحيم ، ويظن الظان أن هذا كذلك ، ويقول إن التوبة مع الرحمة لأمع الحكمة ، وليس كما يظن ، بل الفاصلة بتواب حكيم أو كى من تواب رحيم ، لأن الله عز وجل حكم بالتلاعن على الصورة التى أمر بها ، وأراد بذلك ستر هذه الفاحشة على عباده ، وذلك حكمة منه ، ففصّلت الآية الواردة في آخر الآيات بتواب حكيم ، فجمع فيها بين التوبة المرجوة من صاحب المعصية وبين الحكمة فى سترها على تلك الصورة .

وهذا الباب ليس فى علم البيان أكثر منه نفعا ولا أعظم فائدة
وعما جاء من هذا الباب قول أبى الطيب للتنبى :

وقفت وما فى الموت شكٌ لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائمٌ
تمر بك الأبطال كلهم هزيمةً ووجهك وضاحٌ وتفرُّك باسمٍ
وقد أخذ على ذلك ، وقيل لو جعل آخر البيت الأول آخر البيت الثانى
وأخر البيت الثانى آخر البيت الأول لكان أولى .
ولذلك حكاية ، وهى أنه لما استنشد سيف الدولة يوما قصيدته التى أولها :
« على قدر أهل العزم تأتي العزائم »^(١).

فلما بلغ إلى هذين البيتين قال قد انتقدتهما عليك ، كما انتقد على امرئ
النيس قوله :

كأنى لم أركب جورا للذة ولم أتبطن كاعبادات خَلخال

(١) مطلع القصيدة فى مدح سيف الدولة لما بنى ثغر الحدث ٣٤٣ هـ
على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم
الديوان ١٢٢/٤

• ولم أَسْبَأَ الوَقْءَ الرَّوِّيَّ وَلَمْ أَقُلْ : لَخِيلَ كَرَّمَى كَرَّةً بَعْدَ إِخْفَالِ (١)

فَبَيْتِكَ لَمْ يَلْعَنَمْ شَطْرَاهَا ، كَمَا لَمْ يَلْعَنَمْ شَطْرًا يَبْقَى أَمْرِي الْقَيْسَ ، وَكَانَ يَنْبَغِي
لَكَ أَنْ تَقُولَ :

وَقَفْتَ وَمَا فِي اللُّوتِ شَكٌّ لَوَاتِفٌ وَوَجْهَكَ وَضَّاحٌ وَتَشْرِكَ بِاسْمِ
تَصْرُ بِكَ الْإِبْطَالُ كَلَمَى هَزِيمَةً كَأَنَّكَ فِي جَنَّةِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ

نَقَالَ لِلنَّازِئِ : إِنْ صَحَّ أَنْ الْقَدَى اسْتَدْرَكَ عَلَى أَمْرِي الْقَيْسَ هَذَا أَعْلَمَ بِالشَّرْمَةِ
فَقَدْ أَخْطَأَ أَمْرُ الْقَيْسِ وَأَخْطَأْتُ أَنَا ، وَهَلَا نَا يَعْلَمُ أَنَّ التَّوْبَ لَا يَعْلَمُهُ الْبِرَّازُ كَمَا
يَعْلَمُهُ الْحَائِكُ ، لِأَنَّ الْبِرَّازَ يَعْرِفُ جَهْلَهُ وَالْحَائِكُ يَعْرِفُ تَفَاصِيلَهُ ، وَإِنَّمَا قَرَنَ
أَمْرُ الْقَيْسِ النِّسَاءَ بِالذِّمَّةِ الرُّكُوبَ لِلصِّيدِ ، وَقَرَنَ السَّمَاحَةَ بِسَبَاءِ الْخَمْرِ الْأَضْيَافَ
بِالشَّجَاعَةِ فِي مَنَازِلَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَكَذَلِكَ لَمَّا ذَكَرْتُ الْمَوْتَ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ
أَتَّبَعْتُهُ بِذِكْرِ الرَّدَى فِي آخِرِهِ ، لِيَكُونَ أَحْسَنَ تَلَاوُماً ، وَلَمَّا كَانَ وَجْهُ الْمُهْزَمِ الْجَرِيحِ
عَبُوساً وَعَيْنُهُ بَاكِيةً قُلْتُ وَوَجْهَكَ وَضَّاحٌ وَتَشْرِكَ بِاسْمِ ، لِأَجْمَعِ بَيْنَ الْأَصْدَادِ .

القسم الثاني في صفة التقسيم وفاداه :

وَلَسْنَا زَيْدٌ بِذَلِكَ هَاهُنَا مَا تَقْتَضِيهِ الْقِسْمَةُ الْعَقْلِيَّةُ كَمَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْمُتَكَلِّمُونَ ،
فَإِنْ ذَلِكَ يَقْتَضِي أَشْيَاءَ مُسْتَحْتَبَةً ، كَقَوْلِهِمُ الْجَوَاهِرُ لَا تَخْلُو إِذَا تَكُونُ مَجْتَمِعَةً أَوْ
مَفْتَرَقَةً ، أَوْ لَا مَجْتَمِعَةً وَلَا مَفْتَرَقَةً ، أَوْ مَجْتَمِعَةً وَمَفْتَرَقَةً ، أَوْ بَعْضُهَا مَجْتَمِعَةٌ وَبَعْضُهَا مَفْتَرَقَةٌ .
أَلَا تَرَى أَنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ صَحِيحَةٌ مِنْ حَيْثُ الْعَقْلُ ، لِاسْتِيفَاءِ الْأَقْسَامِ جَمِيعِهَا ،
وَإِنْ كَانَ مِنْ جَهْلَتِهَا مَا يَسْتَعِيلُ وَجُودَهُ .

(١) مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطْلَعُهَا :

أَلَا عَمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الظُّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَمْنَعُنِي مَنْ كَانَ فِي الْمَصْرِ الْخَالِي
(الديوان ٢٧)

وإنما نريد بالتقسيم هاهنا ما يقتضيه اللفظ مما يمكن وجوده ، من غير أن يُترك
منها قسم واحد ، وإذا ذُكرت قام كل قسم منها بنفسه ، ولم يشارك غيره ، فتارة
يكون التقسيم بلفظة إِمَّا ، وتارة بلفظة بَيْن ، كقولنا بين كذا وكذا ، وتارة بلفظة
منهم كقولنا منهم كذا ومنهم كذا ، وتارة يَأْن يذكر العدد المراد أولا بالذكر ثم
يقسم ، كقولنا : فانشعب القوم شعباً أربعمائة : فشعبة ذهبت يميناً ، وشعبة ذهبت
شمالاً ، وشعبة وقفت بمكانها ، وشعبة رجعت إلى ورأسها .

فما جاء من هذا القسم قوله تعالى : « ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا
من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مُقْتَصِدٌ ، ومنهم سابقٌ بالخيرات »^(١) .
وهذه قسمة صحيحة ، فإنه لا يخلو العباد من هذه الثلاثة ، فإما عاصٍ ظالم
لنفسه ، وإما مطيع مبادر إلى الخيرات ، وإما مقتصد بينهما .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : « وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ، فَأَصْحَابُ اليمين ما أصحُّ
لليمين ، وأصحاب المشأمة ما أصحُّ للمشأمة والسابقون السابقون »^(٢) . وهذه الآية
منطبقة المعنى على الآية التي قبلها ، فأصحاب المشأمة هم الظالمون لأنفسهم ، وأصحاب
اليمين هم المقتصدون ، والسابقون هم السابقون بالخيرات .

وعلى نحو ذلك جاء قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا »^(٣)
فإن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع ، وليس لنا قسم ثالث .

فإن قيل إن استيفاء الأقسام ليس شرطاً ، وترك بعض الأقسام لا يقدح
في الكلام ، وقد ورد في القرآن الكريم ، كقوله تعالى : « لا يستوي أصحابُ

(١) سورة فاطر ٣٢

(٢) سورة الواقعة ٧ - ١٠

(٣) سورة الرعد ١٢

النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون » (١) فذكر أصحاب الجنة دون أصحاب النار ، فالجواب على ذلك أنى أقول هذا لا ينقض على ما ذكرته ، فإن استيفاء الأقسام يلزم فيما استتبهم الإجمال فيه ، ألا ترى إلى قوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم » فإنه حيث قال (فهم) لزم استيفاء الأقسام الثلاثة ، ولو اقتصر على قسمين منها لم يجز ، وأما هذه الآية التى هى « لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة » فإنه إنما خص أصحاب الجنة بالذكر ، للعلم بأن أصحاب النار لا فوز لهم ، ولو خص أصحاب النار بالذكر لعلم أيضا بالأصحاب الجنة

وكذلك كل ما يجرى هذا المجرى ، فإنه إنما يُنظرُ فيه إلى المُستبهم وغير للمستبهم فاعرفه .

وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة يُعجَبون بقول بعض الأعراب ، ويزعمون أن ذلك من أصح التقسيات وهو قولهم : « النعمُ ثلاث : نعمة فى حال كونها ، ونعمة تُرجى مستقبله ، ونعمة تأتي غير مُحْتَسَبَة ، فأبقى الله عليك ما أنت فيه ، وحقق ظنك فيما ترجيه ، وتفضل عليك بما لم تحسبه » .

وهذا القول فاسدٌ ، فإن فى أقسام النعم التى قَسَمَها نقصا لا بد منه ، وزيادة لاحاجة إليها ، فأما النقصُ فإغفال اللزمة الماضية ، وأما الزيادة فقوله بعد المستقبل « ونعمة تأتي غير مُحْتَسَبَة » ، لأن النعمة التى تأتي غير مُحْتَسَبَة داخلة فى قسم النعمة المستقبل ، وذلك أن النعمة المستقبل تنقسم قسمين : أحدهما يُرجى حصوله ، والآخر لا يُحْتَسَب ، فقوله « ونعمة تأتي غير مُحْتَسَبَة » يوم أن هذا القسم غير المستقبل وهو داخل فيه .

وعلى هذا فكان ينبغي له أن يقول: النعم الثلاث نعمة ماضية ، ونعمة في حال كونها ، ونعمة تأتي مستقبلة ، فأحسن الله آثار النعمة الماضية ، وأبقى عليك النعمة التي أنت فيها ، ووفر حظك من النعمة التي تستقبلها .

ألا تراه لو قال ذلك لكان قد طَبَّقَ به مَفْصِلِ الصواب ؟
وقد استوفى أبو تمام هذا المعنى في قوله :

جِئْتُ لَنَا فِرْقُ الْأَمَانِي مِنْكُمْ بِأَبَرِّ مِنْ رُوحِ الْحَيَاةِ وَأَوْصَلَ
فَصْنِيعَةٍ فِي يَوْمِهَا وَصْنِيعَةٍ قَدْ أُخْوِكَتْ وَصْنِيعَةٍ لَمْ تَحْوِلْ
كَالْزَيْنِ مِنْ مَاضِي الرَّبَابِ فَوَقِيلَ مُتَنَظِّرٍ وَتُحْيِمٍ مُتَمَلِّلٍ^(١)

ووقف أعرابي على مجلس الحسن البصري رضي الله عنه فقال : « رحم الله عبدا أعطى من سعة ، أو آتى من كفاف ، أو آثر من قلة » فقال الحسن البصري : ما ترك لأحد عذرا .

وقد عاب أبو هلال العسكري على جميل قوله :

لو كان في قلبي كَقَدَرِ قُلَامَةٍ حُبًّا وَصَلْتُكَ أَوْ أَتَيْتُكَ رَسَائِلِي^(٢)
فقال أبو الهلال إن إتيان الرسائل داخل في جملة الوصل^(٣) ، وليس الأمر

(١) من مدحه لأحمد بن أبي دؤاد الإباضي (الديوان ٤٩/٣) في الأصل فوق بدلا من فرق .

(٢) قبل هذا البيت أبيات منها :

فَلَرَبِّ هَارِضَةٍ هَلِينَا وَصَلَهَا بِالْجِدِّ تَخْلُطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ
فَأَجَبْتُهَا بِالرَّفْقِ بَعْدَ تَعَرُّفِي بِبَنِيهِ عَنْ وَصَالَتِكَ شَاغِلِي
(الديوان ٨٣)

(٣) الصنائع ٣٤٨ .

كما وقع له ، فإن جيلا إنما أراد بقوله وصلتك أى أتيتك زائرا وقاصدا ،
أو كنت راسلتك مراسلة ، والوصل لا يخرج عن هذين الوصفين ، إما زيارة
وإما رسالة .

ومن أعجب ما وجدته فى هذا الباب ما ذكره أبو الملاء محمد بن غانم
المعروف بالغانمى وهو قول الدهاس بن الأحنف :

وِصَالِكُمْ هَجْرٌ وَحُبُّكُمْ قِلٌّ وَعَطْفُكُمْ صَدٌّ وَسِدُّكُمْ حَرْبٌ^(١)
ثم قال الغانمى : هذا والله أصح من تقسيمات إقليدس^(٢) .

ويا لله العجب ، أين التقسيم من هذا البيت ؟ هذا والله فى وادٍ والتقسيم
فى وادٍ ، ألا ترى أنه لم يذكر شيئا تحضره القسمة ، وإنما ذم أحبابه فى سوء
صنيعهم به ، فذكر بعض أحواله معهم ، ولو قال أيضا :

وَلَيْتَكُمْ هُنْفٌ وَقُرْبُكُمْ نَوَىٰ وَإِعْطَاؤُكُمْ مَّنْعٌ وَصِدْقُكُمْ كِذْبٌ

لكان هذا جائزا . وكذلك لو زاد بيتا آخر لجاز ، ولو أنه تقسيم لما احتمل
زيادة ، والأولى أن يضاف هذا البيت الذى ذكره الغانمى إلى باب المقابلة ، فإنه
أولى به ، لأنه قابل الوصل بالهجر ، والمطف بالصد ، والسلام بالحرب .

ومن فساد التقسيم قول البحترى فى قصيدته التى مطلعها :

« ذاك وادى الأراك فاحبس قليلا » فقال :

(١) الديوان ١٣

(٢) سبق التعريف بالغانمى . إقليدس : رياضى هندسى يونانى قديم .

قَفْ مَشُوقًا أَوْ مُسَمِّدًا أَوْ حَزِينًا أَوْ مُعِينًا أَوْ عَازِرًا أَوْ حَذُولًا^(١)

فإن المشوق يكون حزينًا ، والمسمد يكون معينا ، وكذلك يكون عازرا .
وكثيرا ما يقيم البهقري في مثل ذلك .

وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي وهو .

فأفخر فإن الناسَ فيكَ ثلاثةٌ مُستَـمِـظِّمٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلٌ^(٢)

فإن المستمظم يكون حاسدا والحاسد يكون مستمظما ، ومن شرط التقسيم
ألا تتداخل أقسامه بعضها في بعض .

ومن هذا الأسلوب ما ورد في أبيات الحماسة^(٣) وهو :

وَكُنْتَ أَمْرًا إِمَّا أَتَمَمْتُكَ خَالِيَا قَحْنَتْ وَإِمَّا قَلْتَ قَوْلًا بَلَا هِلْمٍ
فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ أَتَمَمْتَهُ بِمَزَلَةٍ بَيْنَ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ
فَإِنْ الْخِيَانَةَ مِنَ الْإِثْمِ ، وَهَذَا تَقْسِيمٌ فَاسِدٌ .

(١) في مدح محمد بن علي عيسى القمي . والشرط الثاني هو : « مقصرا من صباية أو
مطيلا » الديوان ٢١٠/٢

(٢) من قصيدة في مدح القاضي أبي الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي ، مطلعها :
لله يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت ومن منك أو اهل
(الديوان ٤٥٥/٢)

وفي الديوان (يا أفخر) يريد ما هذا أفخر ، غذف للنأدي كقراءة علي بن حمزة (ألا
يا اسجدوا لله الذي يخرج الحب) أو أن حرف النداء هنا لتفنيه مثل ألا ، كقول ذي الرمة :
ألا يا اسلمى يادارى على البلى ولا زال منهلا بجر عائلك القطر
(٣) ذكر التبريزي أن القائل عبد الله بن همام السلولي ، وكان قد وشى به واشى إلى
زياد بن أبي سفيان ، ثم جم بينهما زياد ، فقال عبد الله لفاشى هذين البيعين وفي الحماسة
(وأنت امرؤ إما أتممتك)

(شرح التبريزي لديوان الحماسة ١٤٢/٣ وشرح الرزوقي ١١٣٩/٣)

ومما جاء من ذلك شرا قول بعضهم في ذكر منهزمين « فمن جريح مُتَضَرِّجٍ
بدمائه ، وهارب لا يلتفت إلى ورائه » فإن الجريح قد يكون هاربا ، والهارب
قد يكون جريحا . ولو قال فَمِنْ بين قتيل ومأسور وفاج ، لصح له التقسيم ،
أولو قال فَمِنْ بين قتيل ومأسور لصح له التقسيم أيضا ، لعدم الناجي بينهما .

وقد أحسن البحترى في هذا المعنى حيث قال :

غَادَرْتُهُمْ أَيْدِي الْمَنِيَّةِ صُبْحًا بِالْقَنَّا بَيْنَ رُكْعٍ وَسُجُودٍ
فَهُمْ فَرَقَتَانِ بَيْنَ قَتِيلٍ قُنِصَتْ نَفْسُهُ بِمَحْدٍّ الْحَدِيدِ
أَوْ أُسِيرَ غَدَالُهُ السَّجْنُ لَحْدًا فَهُوَ حَيٌّ فِي حَالَةِ الْمَحْجُودِ
فِرْقَةٌ لِلسَّيْفِ يَنْفُذُ فِيهَا السُّحُكُ قَصْدًا أَوْ فِرْقَةٌ لِلْقَبُودِ^(١)

ومن فساد التقسيم قول أبي تمام :

وَوُفِّقَ بَيْنَ حُكْمِ الدُّلِّ مُنْقَطِعٍ صَالِيهِ أَوْ مَجْهَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلٍ^(٢)

فإنه جعل صالي هذا الموقف إما ذليلا عنه أو هالكا فيه ، وهاهنا قسم ثالث
وهو ألا يكون ذليلا ولا هالكا ، بل يكون مُقَدِّمًا فيه ناجيا . وفي هذا نظر
على من ادعى فساد تقسيمه ، فإن أبا تمام قصد التلو في وصف هذا الموقف ،
فقال إن الناس فيه أحدٌ رجلين : إما ذليل عن مَوْرِدِهِ ، وإما هالك فيه ، أي
أنه لا ينجو منه أحدٌ يَرُدُّه .

وهذا تقسيم صحيح لا فساد فيه .

(١) ليست بدوياته .

(٢) من قصيدته في مدح المعتصم بالله وأدى في الديوان (ومشهد بين حكم القل)

ترتيب التفسير

والقسم الثالث في ترتيب التفسير وما يصح من ذلك وما يفسد .
اعلم أن هذه الترتيب في ذلك أن ويذكر في الكلام معان مختلفة ، فإذا عيّد إليها بالذكر لتفسير قدم للقدم وأخر المؤخر ، وهو الأحسن ، إلا أنه قد ورد في القرآن الكريم وغيره من الكلام الفصيح ، ولم يراع فيه تقديم للقدم ولا تأخير المؤخر ، كقوله تعالى : « أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب ^(١) » ولو قدم تفسير المقدم في هذه الآية وأخر تفسير المؤخر لقل إن نشأ نسقط عليهم كسفاً من السماء أو نخسف بهم الأرض .

وكذلك ورد قوله تعالى : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . واما الذين ابيضت وجوههم ^(٢) » فقدم المؤخر وأخر المقدم .

والقسمان وردا جهماً في القرآن الكريم .

فما روى فيه تقديم المقدم وتأخير المؤخر قوله تعالى : « وما تؤخره إلا لأجل معدود ، يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ، فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد . واما الذين سعدوا في الجنة خالدين

(١) سورة سبأ ٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٦ .

فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ^(١) »

ومن ذلك قوله تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة^(٢) .

وكذلك قوله تعالى : « هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرة^(٣) » فلما قدم الليل في الذكر على النهار قدم سبب الليل وهو السكون على سبب النهار وهو التعيش .

ومن ذلك ما كتبه في كتاب تمزية وهو فصل منه قلت : ولقد أوحشت منه للعالي كما أوحشت المنازل ، وآمت المسكرام كما آمت الحلائل ، وعمت لوعة خطبه فما تشكك كل إلا إلى ثا كل ، وما أقول فيمن عدت الأرض منه حياها ، والحمد تحياها ، فلو نطق الجاد بلسان ، وتصور المعنى لعيان ، لأفربت تلك عن ظمأ صيدها ، وبرزت هذه حاصرة حول فقيدها .

ومن ذلك ما كتبه في فصل من كعاب إلى بعض الإخوان قلت : « وما زالت أيادي سيدنا متنوعة في زيادة جردها وكتابها ، فهذه متطولة بترقية وزدها ، وهذه آخذة بسنة أغبابها ، وأحسن ما في الأولى أنها تأتي متحلية بفواضل الإكثار ، وفي الثانية أنها تأتي متحلية بفضائل الاختصار ، فاختصار هذه في فوائد أقلامها ، كتطويل تلك في عوائد إنعامها ، وقد أصبحت خواطري مستغرقة بإنشاء القول المبكر في شكر الفضل المطول وجواب البيان المختصر ،

(١) سورة هود ١٠٥

(٢) سورة الإسراء ١٢

(٣) سورة يونس ٦٧ كان في الأصل تحريف في الآية .

وما جعل الله لها من سلطان للبلاغة ما يَسْتَعِيلُ بأداء حقوق تُنْقَلُ على الرقاب ،
ومقابلة بلاغات تُنْقَلُ على الأبواب .

ومما جاء من ذلك شعرا قول إبراهيم بن العباس :
لنا إبلٌ كُومٌ يَضِيقُ بها الفضا وَيَقْتَرُ عنها أرضها وسماؤها
فإن دورها أن تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنا وَمِنْ دوننا أن تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُها
حيى وقرى فالوت دُونَ مَرَامِها وَأُسِرَ خَطْبُ يَوْمَ حُوقَها^(١)
وهذه الأبيات من نادر ما يحىء في هذا الباب معنى وترتيب تفسيره .

ومما جاء منه أيضا قول أبي تمام :
وما هو إلا الوخى أو حَدٌّ مُرْهَفٍ نَيْلٌ طَبَاهُ أَخَذَ عَى كُلِّ ما قَلِ
فهذا دواء الداء من كُلِّ عالم وهذا دواء الداء مِنْ كُلِّ جاهل
وكذلك قوله أيضا :

وكان لهم غَيْثًا وَرِطًا مُضْمِدٌ فَيَسْأَلُهُ أو باحثٌ فَيَسْأَلُهُ^(٢)

وهذا من بدیع ما يأتى في هذا للباب .
ومما ورد منه قول على بن جبلة :
حقى وَقَفَ الأيامَ بالسُّخْطِ والرضا على بَذَلِ عُرفٍ أو على حدٍ مُنْصَلِ
ومن الحسن في هذا الباب قول أبي نواس :

(١) ديوان إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ١٦٣ كوم : جمع كوما وهى الناقة الضخمة السنام

(٢) من قصيدته في مدح المتصم والأفشين التي مطلعها :

فدا الملك معصور الحمى والنازل منور وحف الروض هذب الناهل

الديوان ٧٩/٣

(٣) الديوان ٣٢٧ في رثاء القاسم بن طوق

يَرْجُو وَيَخْشَى حَالَتَيْكَ الْوَرَى كَأَنَّكَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ^(١)

وكذلك ورد قول بعض المتأخرين ، وهو القاضي الأَرَجَانِي :

يَوْمَ الْمَتِيمِ فِيكَ حَوْلٌ كَامِلٌ يتعاقب الفصلان فيه إذا أُنْمِيَ
ما بين حَرٍّ جَوَى وماء مَدَامَجٍ إن حَنَ صَافَ وإن بَكَى وَجَدَا شَتَا^(٢)
ومأ أخذ على الفرزدق في هذا الباب قوله :

لَقَدْ جِئْتَ قَوْمًا لَوَجَلَّتْ إِلَيْهِمْ طَرِيدَ دِمٍ أَوْ حَامِلًا ثِقْلَ مَغْرَمٍ
لَأَلْفَيْتَ مِنْهُمْ مُعْطِيًا أَوْ مُطَاعًا وراءك شَزْرًا بِالْوَشِيحِ الْقَوْمُ^(٣)

لأنه أصاب في التفسير وأخطأ في الترتيب ، وذلك أنه أتى بتفسير ما هو أول
في البيت الأول ثانيًا في البيت الثاني ، والأوّل أن كان أتى بتفسير ذلك مرتبًا ،
ففسر ما هو أول في البيت الأول بما هو مكان في البيت الثاني .

(١) من قصيدته التي مدح بها العباس بن الفضل بن الربيع ، التي مطلعها :

أَمْنُكَ لَأَمْكُتُومَ إِظْهَارِ أَمْ مِنْكَ تَغْيِيبِ وَإِنْكَارِ
الدُّبَّوَانُ ٤٤٤ تَغْيِيبِ : دَفَاعِ هُنِي

(٢) من مدحته للفقير جمال الدين بن الحسن بن سليمان ، ومطلعها :

يَا مَعْرُضًا قَدْ آتَى أَنْ تَتَلَفَتَا تَعْدِيبِ قَلْبِي الْمُسْتَهَامَ إِلَى مَتَى

(٣) كان القعقاع بن عوف بن معبد بن زرارة قد أصاب دما في بني سعد بن زيد مناة
وهرب ، فشكاه بنو سعد إلى والي البصرة حينئذ عبيد الله بن زياد ، فبعث وراءه رئيس
شرطته هبيرة بن ضمضم المجاشعي ، وقال له : لكن لم تأتني به قتلتك ، فظفر به هبيرة ، فامتص عليه ،
فصوب إليه هبيرة الرمح ليسلم وهو لا يريد قتله ، فأصابه الرمح في جوفه فأت مكانه ،
وعاد هبيرة خائبًا ، فقال الفرزدق أياتا يعرض فيها بضمضم ، مطلعها .

وقائلة والدمع يحدر كحلها لبش المدى أجرى إليه ابن ضمضم
والبيتان في الديوان هكذا :

لَقَدْ خَنْتَ قَوْمًا لَوْ لَجَأْتَ إِلَيْهِمْ طَرِيدَ دِمٍ أَوْ حَامِلًا ثِقْلَ مَغْرَمٍ
لَأَلْفَيْتَ مِنْهُمْ مُطْعَمًا وَمُطَاعًا وراءك شَزْرًا بِالْوَشِيحِ الْقَوْمُ
(الديوان ٧٤٩/٢ شَزْرًا : الرَادُّ فِي غَضَبٍ . الْوَشِيحُ الْقَوْمُ : الرَّمْحُ .

واعلم أن الناظم لا ينكر عليه الذى ينكر على النار ، لأن الناظم يضطره الوزن والقافية إلى ترك الأولى .

وأما فساد التفسير فإنه أقبح من فساد ترتيبه ، وذلك أن يؤتى بكلام ثم يفسر تفسيراً لا يناسبه ، وهو عيب لا تسامح فيه بحال . وذلك كقول بعضهم :

فيا أيها الحيرانُ في ظلمة الدُّجَى ومنَّ خاف أن يلقاه بنى من العدا
تعالَ إليه تَلَقَّ من نور وجهه ضياء ومن كَفَى بهجراً من الندى

وكان يجب على هذا الشاعر أن يقول بإزاء بنى العدا ما يناسبه من النصرة والإعانة أو ما جرى مجراها ليكون ذلك تفسيراً له ، كما جعل بإزاء الظلمة الضياء ، وفسرها به ، فأما أن جعل بإزاء ما يَتَخَوَّفُ منه مجراً من الندى ، فإن ذلك غير لائق .

النوع الخامس والعشرون

في الاقتصاد والتفريط والإفراط

اعلم أن هذه المامى الثلاثة من الاقتصاد والتفريط والإفراط توجد في كل شيء من علم وصناعة وخلق ، ولا بد لنا من ذكر حقيقتها في أصل اللغة ، حتى تتبين نقلها إلى هذا النوع من الكلام .

فأما الاقتصاد في الشيء فهو من القصد الذى هو الوقوف على الوسط الذى لا يميل إلى أحد الطرفين ، قال الله تعالى : « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مُقْتَصِدٌ ومنهم سابق بالخيرات ^(١) » فظلم النفس والسبق بالخيرات طرفان ، والاقتصاد وسط بينهما .

وقال تعالى : « والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يُقترُوا وكان بين ذلك قَوَامًا ^(١) » فالإسراف والإقتار طرفان ، والقَوَام وسطٌ بينهما .

وقال الشاعر ^(٢) .

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلق يأتي دونه الخلقُ
وأما التفريط فهو التقصير والتصنيع ، ولهذا قال الله تعالى : « ما فرطنا
في الكتاب من شيء » ^(٣) أى ما أهملنا ولا ضيعنا .

وأما الإفراط فهو الإسراف وتجاوز الحد ، فيقال أفرط في الشيء إذا أسرف
وتجاوز الحد ، والتفريط والإفراط هما الطرفان البعيدان ، والاقتصاد هو
الوسط المعتدل .

وقد نُقِلَتْ هذه المصانى الثلاثة إلى هذا النوع من علم البيان .

أما الاقتصاد فهو أن يكون المعنى للضمير في العبارة على حسب ما يقتضيه المعبرُ
عنه في منزلته .

وأما التفريط والإفراط فهما ضدان ، أحدهما أن يكون المعنى للضمير في
العبارة دون ما يقتضيه منزلة المعبر عنه ، والآخر أن يكون المعنى فوق منزلته .

[التفريط]

والتفريط في إيراد المعاني الخطائية قبيح لا يجوز استعماله بوجه من الوجوه ،
والإفراط يجوز استعماله ، فنه الحسن ، ومنه دون ذلك ،

(١) سورة الفرقان ٦٧ .

(٢) هو سالم بن وابصة . شرح المحاسة للتبريزي ٢/٢٣٦ وللرزوقي ٧١٠ .

(٣) سورة الأنعام ٣٨ .

فما جاء من التفريط قول قول الأعشى :

وما مُزِيدٌ من خليج الفسرا ت جَوْنٌ فَوَارِبُهُ تَلْتَطِمُ
بأَجْوَدَ منه بَمَاعُورِهِ إِذَا مَا سَمَاؤُهُمْ لَمْ تَقِمُ (١)

فإنه مدح ملكا بالجد بما عونه ، والماعون كل ما يستعان به من قدوم أو
قصة أو قدير أو ما أشبه ذلك ، وليس للملوك في بذله مدح ، ولا لأسياط
الناس أيضا ، وفي مدح السوق به قولان ، ومدح الملوك به عيب وذم فاحش ،
وهذا من أفتح التفريط .

وما يجري هذا المجرى قول الفرزدق :

أَلَا لَيْتَنَا كُنَّا بَعِيرَيْنِ لَا رِزْدَ عَلَى حَاضِرٍ إِلَّا نَشَلُ وَنُقَذِفُ
كَلَانَا بِهِ عُرٌّ يُخَفُّ قِرَافَهُ
طَلَى النَّاسِ مَطْلَى الْمَشَاعِرِ أَخْشَفُ (٢)

(١) من قصيدته في مدح قيس بن معد يكرب ، التي مطلعها :

أَتَجِرُ غَابِيَةً أَمْ نَلَمْ أَمْ الْحَبْلُ وَاهٍ بِهَا مَنْجَذَمُ
الديوان ٣٥ .

(٢) من إحدى نقائضه (الديوان ٢ / ٥٥١) والبيتان في الديوان هكذا :

فَالَيْتَنَا كُنَّا بَعِيرَيْنِ لَا رِزْدَ عَلَى مَنْهَلٍ إِلَّا نَشَلُ وَنُقَذِفُ
كَلَانَا بِهِ عُرٌّ يُخَفُّ قِرَافَهُ
وكان بالأصل (قِرَافَهُ) و (المشاعر) .

المنهل : الماء . نشل : نظرد . العر بفتح العين : الجرب وبضمها فرح ليست بالجرب .
القراف : الخالصة وداء يقتل البعير . المشاعر : أصول الفخذين والإبطان ، لأنها أول
ما يشتد فيها الجرب . ويروي الأشاعر . الأخشف : الجلد اليابس من الجرب .

ولكثير عزة أمنية مثل هذه في قوله :

أَلَا لَيْتَنَا يَاعِزُّ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ
كَلَانَا بِهِ عُرٌّ فَنَ يَرْنَا يَقْلُ
فَكُونُ لَقَى مَالٌ كَثِيرٌ مَقْلُ
إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهَا صَاحَ أَمَلُهُ
بسيرات ترمى في الخلاء ولعرب
على حسنها جرباء تسمى وأجرب
فلا هو برحمان ولا نحن نطلب
طينا فلا تنفك نرى ونضرب

(للوشم ١٥٥)

هذا رجل ذهب عنه حين نظم هذين البيتين ، فإن مراده منهما الفضل
بمحبوبه ، وقد قصر تمنيه على أن يكون هو ومحبوبه كجهدين أجريين ،
لا يقربهما أحد ولا يقربان أحداً إلا طردهما ، وهذا من الأمانى السخيفة ، وله
في غير هذه الأمانى مندوحات كثيرة .

وما أشبه هذا بقول القائل :

يَا رَبِّ إِنْ قَدَّرْتَهُ امْتَقِلْ غَيْرِي فَلِلْأَفْدَاحِ أَوْ لِلْأَكْوَاسِ

وَإِذَا حَكَمْتَ لَنَا بَعَيْنَ مُرَاقِبٍ

فِي الدَّهْرِ فَلَتَكُ مِنْ عُيُونِ النَّارِ جَسَدٍ

فانظر كم بين هاتين الأمانيتين .

ومما أخذ على أبي نواس في قصيدته اليمية الموصوفة التي مدح بها الأمين
محمد بن الرشيد وهو قوله :

أَصْبَحْتَ يَا ابْنَ زُبَيْدَةَ ابْنَةَ جَعْفَرٍ

أَمَّا لَمَقَدِّ حِبَالِهِ اسْتَحْكَمُ (١)

فإن ذكر أم الخليفة في مثل هذا للوضع قبيح .

وكذلك قوله في موضع آخر :

وَلَيْسَ كَجَدَّتَيْهِ أُمُّ مُوسَى إِذَا نُسِيتَ وَلَا كَاخْبِزُرَانَ (٢)

(١) من قصيدته في مدح الأمين التي مطلعها :

يَا دَارَ مَا ضَلَّتْ بِكَ الْأَيَّامُ ضَامِتُكَ وَالْأَيَّامُ لَيْسَ تَضَامُ

(الديوان ٤٠٧)

(٢) من مدحته للأمين ، التي أولها :

وَضِيئًا بِالْأَمِينِ مِنَ الزَّمَانِ فَأَضْحَى الْمَلِكُ مَمُورَ الْغَانِ

وهذا لقوم من الحديث لا فائدة فيه ، فإن شرف الأناث إنما هو إلى الرجال لا إلى النساء . وباليث شمرى أما سمع أبو نواس قول قَتِيلَةَ بنت هُذَيْلٍ في النبي صلى الله عليه وسلم :

أَمَحَّدُ وَلَأَنْتَ نَجَلُ كَرِيمَةٍ من قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرَقُ
ما كان ضَرَكُ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّما مَنَ النَّقَى وهو المَنِيضُ المَحْنَقُ (١)

فإنها ذكرت الأم بغير اسم الأم ، وأبرزت هذا الكلام في هذا اللباس الأنيق . وكذلك فليكن للداح إذا مدح ، وأبو نواس مع لطافة طبعه وذكراته يوما كان يوصف به من القفلة قد ذهب عليه مثل هذا الموضع مع ظهوره .

وليس لقائل أن يعترض على ما ذكرته بقوله تعالى حكاية عن موسى وأخيه هارون عليهما السلام « قال يا ابن أمِّ لا تأخذْ بليحي ولا براسي » (٢) فإن الفرق بين الموضعين ظاهر ، لأن للنكر على أبي نواس إنما هو التحلف باسم الأم وهي زبيدة ، وكذلك اسم الجدة وهي الخيزران ، وليس كذلك ما ورد في الآية . فإن قيل قد ورد في القرآن الكريم ما بسوغ لأبي نواس مقامه وهو قوله تعالى :

(١) وفدت قتيلة بنت النضر بن الحارث على النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمر بقتله عقب هزوة بدر ، فألعدته أليانا أولها :

ياراكبا إن الأئيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق
بلغ به ميتا فإن تحية ما إن تزال بها الركائب تحقق .

سيرة ابن هشام (٣٥٩/١) والإصابة ٨٨٤ قسم النساء ومعجم البلدان (الأئيل) والصدرة ٣٠/١ وذكر ابن إسحاق في السيرة وأبو الفرج في الأغاني ٩/١ والمصري في زهر الأدب ٢٧/١ أنها بنت الحارث ، وتكون إذا أخت النضر لابنته

الأئيل : موضع كان فيه قبر النضر . المظنة : المنزل المظلم : من صبح خامسة : تريد من من صبح ليلة خامسة الليلة التي تبدأ فيها السير إلى الأئيل وأنت على الطريق غير عادل عنه تحقق : تضرب وتهرك .

(٢) - سورة طه ٩٤

« وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ آلَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ^(١) » فناداه باسم أمه ، فقلت الجواب عن ذلك من وجهين .

أحدهما أن عيسى عليه السلام لم يكن له أب فنودى باسم أمه ضرورة ؛ إذ لو كان له أب لنودى باسم أبيه .

الوجه الآخر أن هذا النداء إنما هو من الأعلى إلى الأدنى ، إذ الله سبحانه وتعالى هو الرب وعيسى عليه السلام عبده ، وهذا لا يكون تفريطاً ، لأنه لم يعبّر عنه بما هو دون منزلته .

على أن أبا نواس لم يوقه في هذه المرة إلا ما سمعه عن جرير في مدح همر بن عبد العزيز كقوله :

وَتَبَى الْمَجْدَ يَا عُمَرَ بْنَ أَيْلَى وَتَكْفَى الْمُجَلَّ السَّيِّئَةَ الْجَمَادَا ^(٢)
وكذلك قال فيه كثيرٌ عزةً أيضاً .

وليس للميمب من هذا يخاف ، فإن العرب قد كان يعبّر بعضها بعضها بنسبته إلى أمه دون أبيه ، ألا ترى أن همر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقال له ابن حنتمة ، وإنما كان يقول ذلك من يفض منه ، وإنما قول النبي صلى الله عليه وسلم للزبير بن صفية « بَشْرُ قَاتِلِ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ » فإن صفية كانت عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما نسبها إليها رفعا لقدره في قرب نسبه منه وأنه ابن عمته ، وليس هذا كالأول في الفض من همر رضى الله عنه في نسبه إلى أمه ^(٣) .

(١) سورة المائدة ١١٦

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

أبت هيثاك بالمدن الرقادا وأنكرت الأمداق والبلادا

(الديوان ١٣٤)

(٣) لم يكن النسب إلى الأم تحقيرا ، كما توهم ابن الأثير .

فقد كانت له بواث شتى ، منها تكريم الأم المنجبة وتمجيدها ، ومنها الفخر بها امرأتها ، ومنها مدح أبنائها بنسبهم إليها ، ومنها أن تكون الأم أعظم شهرة من الأب وعراقته .

وكان في قبلي من الأحياء للتحقير (المرأة في الشعر الجاهل للدكتور أحمد الحوفي ٨٠)

وقد طاب بعض من يهتم نفسه بالمعرفة قول أبي نواس في قصيدته السينية
التي أولها « نَبْهٌ أَدْرِيكَ قَدْ نَعَسَ » . فقال من جعلها :

وَرِثَ الْخِلَافَةَ خَامِسًا وَبَخِرَ سَادِسَهُمْ سَدَسًا^(١)

قال وفي ذكر السادس نظر ، وبأعجابه مع معرفته بالشعر ، كيف ذهب
عليه هذا الموضع ، أما قرأ سورة الكهف ؟ يريد قوله تعالى : « ويقولون خمسة
سادسهم كلهم »^(٢) وهذا ليس بشيء ، لأنه قد ورد في القرآن الكريم ما ينقضه
وهو قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَلْعَنُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ
نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هَؤُلَاءِ بِمُتَّبِعِهِمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ »^(٣) .

ومما عبت على البحري قوله في مدح الفتح بن خاقان في قصيدته المشهورة
عند لقائه الأسد التي مطلعها « أَجِدُّكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرِي لَزِينَا » . فقال :

شَهِدْتُ لَقَدْ أَنْصَتَهُ حِينَ تَنْبَرِي لَهُ مُصَلِّيًا عَضْبًا مِنْ الْبَيْضِ بِقَضْبًا
فَلَمْ أَرْضِ غَاثَيْنِ إِبْدَاقٍ مِنْكُمَا حِزًّا إِذَا الْهَيْبَةُ لِلنَّكْسِ كَذَّبًا^(٤)

قوله إذا الهيبه النكس تقريظ في المدح ، بل كان الأولى أن يقول إذا
البطل كذب ؛ وإلا فأى مدح في إقدام المقدم في الموضع القى يفر منه الجبان .

(١) من قصيدته في مدح الأمين (الديوان ٤١٧)

والمعروف أنه سادس خلفاء بني العباس ، والخمسة هم عبد الله السفاح والنصور والهادي والمهدي
والرشيد . وسدسهم صار لهم سادسا

(٢) سورة الكهف ٢٣ .

(٣) سورة المجادلة ٧

(٤) مطلع القصيدة :

أَجِدُّكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرِي لَزِينَا خِيَالُ إِذَا آبُ الظَّلَامِ تَأْوِيَا

وفي الأصل تنبرى بدلا من تنبرى (الديوان ٥٦/١)

ألا قال كما قال أبو تمام :

فَقِيَ كَلِمَا ارْتَادَ الشَّجَاعُ مِنَ الرَّدَى مَفَرًا غِدَاةَ الْمَازِقِ ارْتَادَ مَهْمَرًا^(١)

وهل أسلوب البهتري ورد قول بعضهم من شعراء الحماسة :

وَأَنى لِقَوْلٍ لَعَفَى مَرَحَبًا وَلِلطَّالِبِ الْمَعْرُوفِ إِنَّكَ وَاجِدُهُ

وَأَنى لَمَنْ أَسْطَى الْكَفَّ بِالْندَى إِذَا شَنِجَتْ كَفَّ الْبَخِيلِ وَسَاعِدُهُ^(٢)

وهذا معيب من جهة أنه لا فضل في بسط يده عند قبض يد البخيل ، وإنما الفضيلة في بسطها عند قبض الكرام أيديهم .

ومن هذا الباب قول أبي تمام .

يَقِظُ وَفَوَ أَكْثَرَ النَّاسِ إِفْضَا ، عَلَى نَائِلٍ لَهُ مَسْرُوقُ^(٣)

فإنه أراد أن يمدح فذم

وعما هو أقبح من ذلك قوله أيضا :

تُشَقُّ الْحَرْبُ مِنْهُ حِينَ تَنْتَلِي مَرَاجِلُهَا بِشَيْطَانٍ رَجِيمٍ^(٤)

وقد استعمل هذا في شعره حتى أخش كقوله :

(١) من رثائه لمحمد بن حميد ، ومطلع القصيدة :

أصم بك الناعي وإن كان أسما وأصبح مفتي الجود بمدك بلقا

وقد تقدمت القصيدة .

(٢) الفاتل هو إياس بن الأرت (شرح الحماسة للتبريزي ٢١٨/٤) والمرزوق ١٦٨٥/٤

الطائي : طالب المعروف أو الطعام . شنجت كفه وساعده : كناية عن ظهور الجذب والبخل .

(٣) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف ؛ ومطلعها :

ما عهدنا كذا بكاء المشوق . كيف والدم آية المشوق

الديوان ٢ / ٤٣٠ .

(٤) من مدحته لبعض بني عبد الكريم الطائيين (الديوان ٢١٧) ومطلعها :

أرامة كنت مألّف كل ريم لو استمعت بالأنس المقيم

تثنى : تجعل لها أُنثى وهي الحجارة التي ينصب عليها القدر . المراحل : القدر . وفي الأصل

(ينق الحرب) ، ليست القصيدة بالديوان .

أَنْتَ دَلَوُ السَّمَاحِ أَوْهَوِ مِى قَلِيبٌ وَأَنْتَ دَلَوُ الْقَلِيبِ (١)

ومراد من ذلك أنه جعله سبباً لمطاء المشار إليه ، كما أن الدلو سبب في امتياح الماء من القليب ، ولم يبلغ هذا المعنى من الإغراب إلى حدّ يُدَنِّدُنْ أبو تمام حوله هذه الدبنة ويلقيه في هذا المثال السخيف ، على أنه لم يقنع بهذه السقطة القبيحة في شعره ، بل أوردتها في مواضع أخرى منه فمن ذلك قوله :

مَا زَالَ يَهْزِي بِالْمُكَارِمِ وَالْعَلَا حَقِي ظَنَّنَا أَنَّهُ مَحْمُومٌ (٢)

فإنه أراد أن يبالغ في ذكر المدحوح بالهيج بالمكارم والعلا ، فقال ما زال يهذي ، وما أعلم ما كانت حاله عند نظم هذا البيت .

وعلى نحو منه جاء قول بعض المتأخرين :

وَيَلْحَقُهُ عِنْدَ الْمُكَارِمِ هَزَةٌ كَمَا انْتَقَضَ الْمَجْهُودُ مِنْ أُمِّ مِلْدَمٍ (٣)

وهذا وأمثاله لا يجوز استعماله ، وإن كان المعنى المقصود به حسناً ، وكم من يباوّل معنى كريماً فأساء في التصيير عنه حتى صار مذموماً كهذا وأمثاله .

(١) القليب : البئر . ليست القصيدة بالديوان . البيت بالصناعتين ٣٥٦

(٢) من مدحه لأبي الحسين محمد بن شبابة بن الهيثم التي مطلعها :

أَسْقَى طُلُوحَهُمْ أَجْشَ هَزِيمٍ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَتَعِيمُ

(الديوان ٢٨٩/٣) والبيت في الديوان هكذا :

مَا زَالَ يَهْزِي بِالْمَوَاهِبِ دَائِبًا حَقِي ظَنَّنَا أَنَّهُ مَحْمُومُ

وروى بالمواهب والندی .

أجش : يوصف به الرعد كأن به جشة وقوة . هزيم : رعد ذو صوت ، أو رعد بمطر .

(٣) أم ملدم : الحمى .

ومن أحسن ما قيل في مثل هذا الموضع قول ابن الرومي :

ذهب الفين تهرهم مُدَّأهم هز الكُماة عوالي المران
كانوا إذا مُدَّحُوا رأوا ما فيهم فالأزيمية منهم بمكان^(١)

ومن شاء أن يمدح فليمدح هكذا وإلا فليسكت .

ووجدت أبا بكر محمد بن يحيى المعروف بالصولي قد عاب على حسان بن ثابت
رضي الله عنه قوله :

إنا الجففاتُ الفرُّ يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجمة دما^(٢)

وقال إنه جمع الجففات والأسياف جمع قلة وهو في مقام نخر ، وهذا مما
يحط من المعنى ويضع منه ، وقد ذهب إلى هذا غيره أيضا ، وليس بشيء لأن
الفرض إنما هو الجمع ، سواء أكان جمع قلة أم جمع كثرة .

(١) الهيوان ٤٧٤ من تصبغة ، طلما :

للمادحون اليوم أهل زماننا أولى من الهاجين بالجرمان

(٢) كان النابغة الذبياني تضرب له قبة من آدم بسوق هكاظ ، يجتمع إليه فيها الشعراء ،
فدخل إليه حسان بن ثابت وصنيد الأعمش وقد أنشده شعره ، وأنشدته الحنساء إحدى مرثيها ،
فقال النابغة : لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك ، لقلت إنك أشعر الناس ، أنت والله أشعر من
كل ذات مثانة ، فقات والله ومن كل ذي خصيتين . فقال حسان : أنا والله أشعرك ومنها
قال النابغة : حيث تقول ماذا ، قال حيث أقول :

لنا الجففات الفر يلمعن بالضحا وأسيافنا يقطرن من نجمة دما

ولدتا بني الصفاء وابني محرق فأكرم بناخلا وأكرم بنا ابنا

فقال النابغة : إنك لشاعر ، لولا أنك قلت عدد جفانك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر
بمن ولدك . وفي رواية أخرى أنه قال له : قلت الجففات فقلت المدد ، ولو قلت الجفان لكان
أكثر ، وقلت يلمعن في الضحا ، ولو قلت يبرقن بالدجا لكان أبلغ في المديح ، لأن الضيف
باللil أكثر طروفا ، وقلت يقطرن من نجمة دما ، فقلت على قلة القتل ، ولو قلت يجرين
لكان أكثر ، لانصباب الدم ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . فقام حسان
منكسرا منقطعا .

(الأغاني ٨ / ١٨٨ والموشح للمرزياني ٦٠)

ويدل على ذلك قوله تعالى « إن إبراهيم كان أمةً قلنا لله حنيفاً ولم يك من المشركين ، شاكراً لأنعمه اجتباؤه وهداه إلى صراطٍ مستقيم » ^(١) أقرى نعم الله كانت قليلة على إبراهيم صلوات الله عليه ؟

وكذلك ورد قوله عز وجل في سورة النمل « وأدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاً مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ، فلما جاءتهم آيَاتنا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَحَجَّدُوا بِهِمْ وَاسْتَفْتَيْنَاهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلُمًا وَعُتُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ^(٢) » فقال واستيقنتها أنفسهم فجمع النفس جمع قلة ، وما كان قوم فرعون بالقليل حتى تجمع نفوسهم جمع قلة ، بل كانوا مئين ألوفا ، وهذا أيضا مما يبطل قول الصولي وغيره في مثل هذا الموضوع ،

وكذلك ورد قوله عز وجل « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ^(٣) » والنفوس الكموقة والنائمة لا ينتهي إلى كثرتها كثرة لأنها نفوس كُُل من في العالم .

وأعلم أن للمدح ألفاظا تخصه وللذم ألفاظا تخصه ، وقد تعمق قوم في ذلك حتى قالوا من الأدب ألا نخطب الملوك ومن يقاربهم بكاف الخطاب ، وهذا غلط بارد ، فإن الله الذي هو مَلِكُ الملوك قد خطب بالكاف في أول كتابه العزيز فقيل « يَاكَ تَعْبُدُ وَيَاكَ نَسْتَعِين » .

وقد ورد أمثال هذا في مواضع من القرآن غير محصورة ، إلا أني قد راجعت نظري في ذلك فرأيت الناس بزمانهم أشبه منهم بآياهم ^(٤) والعوائد لا حكم لها ،

(٢) سورة النمل ١٢ — ١٤

(٤) كانت في الأصل (بآياهم)

(١) سورة النحل ١٢٠ — ١٢١

(٣) سورة الزمر ٤٢

ولا شك أن العادة أوجبت للناس مثل هذا التعمق في ترك الخطاب بالكاف ،
لكنني تأملت أدب الشعراء والكتاب في هذا الموضع فوجدت الخطاب لا يعاب
في الشعر ، ويعاب في الكتابة إذا كان الخطاب دون الخطاب درجة ، وأما إن
كان فوقه فلا عيب في خطابه إياه بالكاف ، لأنه ليس من التفريط في شيء ،
فمن خطاب الكاف قول النابغة :

وإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسم^(١)

وكذلك ورد قوله أيضاً :

حلفت فلم أرك لنفسك ربيبة وليس وراء الله للمرء مذهب^(٢)

وعليه جاء قول بعض المتأخرين أيضاً فقال أبو تواس :

إليك أبا المصور عذبتُ نافق زيارة خيل وامتحان كريم

لأنعلم ما تأتي وإن كنت طالا بأنك مهما تأت غير ملوم^(٣)

وكذلك ورد قول السلايمي^(٤) :

إليك طوى عرض البسطة جاعل قصارى المطايا أن يلوّح لها القصر

وبشرت آمالي بملك هو الوري وداري الدنيا ويوم هو الدهر^(٥)

(١) من قصيدته في الاعتذار إلى النعمان بن المنذر (الديوان ٧١)

(٢) من اعتذاره للنعمان بن المنذر (الديوان ١٧)

(٣) من قصيدة في مدح الفضل بن الربيع ، مطلعها :

لمن دس تزاد حسن رسوم على طول ما أدوت وطيب نسيم

(الديوان ٤٤٧)

(٤) من أشهر شعراء العراق ولد بكرخ ببغداد ٣٣٦ هـ وينسب إلى بني مخزوم (بنية

الدهر ٣٩٥/٢)

(٥) قصارى المطايا : هدفها وغايتها . وكانت بالأصل نصار المطايا (بنجمة الدهر ٤٠١/٢)

وعليه ورد قوله البحرى :

واقعد أنيتك طالبا فبسطت من

أقبل وأطلب جودك منك مطلبى^(١)

وجل خطاب الشعراء المدوحين إنما هو بالكاف .

وذلك محذور على الكتاب ، فإنه ليس من الأدب عندم أن يخاطب الأذى الأعلى بالكاف ، وإنما يخاطبة مخاطبة النائب لا مخاطبة الحاضر .

على أن هذا الباب مجملته 'يوكل' النظر فيه إلى فطنة الخطيب والشاعر ، وليس مما يؤقف فيه على المسموع خاصة .

ومن أطف ما وجدته أنك إذا خاطبت المدوح أن تترك الخطاب بالأمر بأن تقول افعل كذا وكذا وتخرجه مخرج الاستفهام ، وهذا الأسلوب حسن جدا ، وعليه مسحة من جمال ، بل عليه الجمال كله .

فما جاء منه قول البحرى فى قصيده أولها . « بؤدى لو يهوى الذول ويعشق » فقال فيها :

فهل أنت يا ابن الراشدين محتضى بياقوتة تينى على وتشرى؟^(٢)

وهذا من الأدب الحسن فى خطاب الخليفة ، فإنه لم يخاطبه بأن قال ختمنى بياقوته على سبيل الأمر ، بل خاطبه على سبيل الاستفهام ، وقد أعجبني هذا المذهب وحسن عندى .

(١) الديوان ١/٢٠

وفيه (إني أنيتك) . أطلب جودك منك مطلبى : أعطاني ما طلبت

(٢) من قصيدته فى مدح المعتز بالله ، والشطر الثانى من البيت هو :

فيلم أسباب الهوى كيف تطلق

(الديوان ٢/١٢٤)

تبنى : تمنى وتقبل . ويصح أن تكون تبنى على وزن تطلى والمضى واحد .

وقد حذا حذو البحترى شاعر من شعراء عصرنا ، فقال في مدح الخليفة الناصر
 محمد بن الله أبي المباس أحمد من قصيدته على قافية الدال ، فقال من أبيات يصف
 بها قصيدته :

أَمْ قُبُولُهُ يَا ابْنَ الْخِلَافَةِ مِنْ قَبْلِ لَدُنْكَ بَوْصَفِي غَادَةُ الشَّعْرِ رُؤْدُهُ (١)

فقوله أَمْ قُبُولُهُ من الأدب الحسن الذى نسج فيه على منوال البحترى .

وهذا باب مفرد ، وهو باب الاستفهام فى الخطاب ، وإذا كان الشاعر فطنا
 عالما بما يضمنه من الألفاظ والمعاني تَصَرَّفَ فى هذا الباب بتصرفات ،
 واستخرج من ذات نفسه شيئا لم يسبقه إليه أحد .

واعلم أن من المعاني ما يُعَبَّرُ عنه بألفاظ متعددة ، ويكون المعنى المندرج تحتها
 واحدا ، فن تلك الألفاظ ما يليق استعماله بالمدح ، ومنها ما يليق استعماله بالذم ،
 ولو كان هذا الأمر يرجع إلى المعنى فقط لكانت جميع الألفاظ الدالة عليه سواء
 فى الاستعمال ، وإنما يُرْجَعُ فى ذلك إلى العرف دون الأصل .

ولنضرب له مثلا ، فنقول : هل يجوز أن يخاطب الملك فيقال له بحق دماغك
 قياساً على بحق رأسك ؟ وهذا يرجع إلى أدب النفس دون أدب الدريس ، فإذا
 أراد مؤلف الكلام أن يمدح ذَكَرَ الرأس والمائة والكاهل وما جرى هذا
 المجرى ، فإذا أراد أن يهجو ذَكَرَ الدماغ والقَدَّال (٢) وما جرى هذا
 المجرى ، وإن كانت معاني الجميع مقاربة . ومن أجل ذلك حُسِّنَت الكناية فى
 الموضع الذى يقبح فيه التصريح .

(١) الرُّؤْد والرَّاد والرُّئْد : الشابة المسنة . المعنى هل تقبل فى مدحى لك غادة من شعرى

(٢) قال : مجتمع مؤخر الرأس

ومن أحسن ما بلغنى من أدب النفس فى الخطاب أن عثمان بن عفان رضى الله عنه سأل قَبَاطَ بْنَ أَشِيْمَ فقال له : أنت أ كَبِرُ أُمِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أ كبر منى ، وأنا أقدم منه فى الميلاد .

فانظر إلى أدب هذا العربى القدى من شأنه وشأن أمثاله جفاء الأخلاق ، والبعد عن فطانة الآداب .

ابو فرط :

وأما الإفراط فقد ذمه قوم من أهل هذه الصناعة وحده آخرون ، وللذهب عندى استعماله ، فإن أحسن الشعر أ كَذِبُه ، بل أصدقُه أ كَذِبُه ، لكنه تتفاوت درجاته ، فنه المستحسن القدى عليه مدار الاستعمال ، ، ولا يطلق على الله سبحانه وتعالى ، لأنه مهما ذكر به من المغالاة ^(١) فى صفاته فإنه دون ما يستحقه .

ومما ورد من ذلك فى الشعر قول عنتره :

وأنا المنيّة فى المواطنِ كلِّها والطَّعنُ منى سابقِ الآجالِ ^(٢)

وقد يروى ^(٣) بالياء وكلا المعنيين حسن إلا أن الياء أكثر غلوا .

ومما جاء على نحو ذلك قول بشار :

إذا ما غضبنا غضبةً مُضْرىةً هتكنا حجابَ الشمسِ أو قطرت دما ^(٤)

(١) كانت الكلمة بالأصل (المعاملات)

(٢) ديوان عنتره ١٢٩ والبيت بالديوان هكذا :

وأنا المنية حين تشجر القنا والطعن منى سابق الآجال
(٣) يروى سابق الآجال ، أى يسوقها .

(٤) روى البيت هكذا بالضم والضمراء لابين قتيبة ١٧٨ والبيت بالأغانى ٣١/٣ هكذا

إذا ماغضبنا غضبة مضربة هتكنا حجاب الشمس أو قطر الدما

ومنه ما يستهجن ، كقول النابغة الذبياني :

إذا اِرْتَعَتْ خاف الجبانُ رعاها ومن يَتَقَلَّبُ حيث عَلَى يَفْرَقُ ^(١)

وهذا يصف طول قامتها ^(٢) لكنه من الأوصاف المنكرة التي خَرَجَتْ بها
المفالة عن حيز الاستحسان .

وكذلك ورد قول أبي نواس :

وأخَفَتْ أهلَ الشُّركِ حتى إنه كَتَمَ خُفَاكَ النُّطْفُ التي لم تَخْلُقْ ^(٣)

وهذا أشد إفراطاً من قول النابغة .

وبروي أن العتاني لقي أبا نواس فقال له : أما استحييت الله حيث تقول ،
وأشده البت ، فقال له : وأنت ماراقت الله حيث قلت :

ما زلتُ في عَمَرَاتِ الموتِ مُطَرِّحاً يَضِيْقُ عَنِي وَسَيْعُ الرأى من حِيلِ
فلم تَزَلْ دَائِباً تَسْعَى بِطُفْكَ لِي حتى اخْتَلَمَتْ حَيَاتِي من يَدِي أَجَلِ

فقال له العتاني : قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل قولك ، ولكنك قد
أعددت لكل ناصح جواباً :

(١) من أبيات له في الغزل ، وبعده :

وإن ضحكك للعصم ظلت روايا إليها وإن تبسم لي المزن يبرق
رتعت : تفرطت ، الرهنة : القرط

الديوان من مجموعة دواوين طبعة المطبعة الأهلية ببيروت م ٥٦

(٢) لعله يريد طول عنقها ، لأن البيت كناية عن طول الرقبة لاطول القامة

(٣) من مدحة للرشد ، مطالعها :

خلق الشباب وشرنى لم تغلق ورميت في هرض الزمان بأفوق

الديوان ٣٩٨ خلق مل وزن سمع وكرم ونصر : بل . الفقرة : الحدة والنفط . هرض :
هدف . أفوق : سهم كسر فوقه أى موضع الوتر من السهم .

وقد أورد أبو نواس هذا المعنى في قالب آخر فقال :

كَدَّتْ مَنَادِمُ الدِّمَاءِ سُيُوفَهُ فَاتَّقَلْنَا تَحْتَاظُهَا الْأَجْفَانُ
حَتَّى الْفَى فِي الرَّحْمِ لَمْ يَكْ صُورَةً لِفَوَادِهِ مِنْ خَوْفِهِ خَفَقَانُ^(١)

وما يحىء في هذا الباب ما يجري هذا الجرى .

وقد استعمل أبو الطيب المتنبى هذا القسم في شعره كثيراً فأحسن في مواضع منه ، فمن ذلك قوله :

عَجَاجًا تَمَثَّرُ الْعِثْبَانُ فِيهِ كَانَ الْجَوُّ وَغَثَّ أَوْ خَبَارُ^(٢)

ثم أعاد هذا المعنى في موضع آخر فقال :

هَقَدَتِ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِثْرًا لَوْ تَبَقَّعِي مَنَفَا عَلَيْهِ لَأَمْكَنَا^(٣)

(١) من مدحه للرشيده ، مطلعها :

حى الديار إذ الزمان زمان وإذ الشباك لنا حرى وممان

الديوان ٤٠٤

الرحم : بكسر الراء وسكون الحاء ، وبكسرهما مما مقر الجنين في بطن أمه . الشباك :
جم شبكة . حرى : خلىق بنا . ممان : هون . يريد أن شباك الهوى فيما مضى كانت تصيب .

(٢) من مدحه لسيف الدولة ، مطلعها :

طوال لنا تطاهاها نصار وطترك في ندى ووفى بحار

الديوان ٢٤٣

عجاجة : منصوبة على التبعية لما قبلها في بيت سابق . والعجاج : الثبار .

العقبان : جم عقاب وهو طير جارح . الوعث : المسكان السهل اللين الذى تنفوس فيه
الأقدام . الحبار : مالان من الأرض واسترخى . يريد أن العقبان التى تسير فوق الجيش تمر
في ذلك الثبار الكثيف ، فكأن الجوار أرض لينة تنفوس فيها أرجلها .

(٣) من قصيدة في مدح بدر بن عمار (الديوان ٤٢٥/٤) السنايك : جم سنك وهو
طرف مقدم الحافر . العثير : الثبار . العنق : سير شديد .

وهذا أكثر مخالفة من الأول .

ومن ذلك قوله أيضاً :

كَأَنَّمَا تَتَلَقَّاهُمْ لَتَسْلُكَهُمْ ۖ فَالظُّلُمُ يَفْتَحُ فِي الْأَجْوِافِ مَا يَسَعُ ^(١)

وعلى هذا ورد قول قيس بن الخطيم :

مَلَكَتْ بِهَا كَفًى فَأَنْهَرَتْ فَتَقَعَهَا ۖ رَرَى قَامٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا ^(٢)

لكن أبو الطيب أكثر غلواً في هذا المعنى ، وقيس بن الخطيم أحسن ، لأنه قريب من الممكن ، فإن الطعنة تنفذ حتى يتبين فيها الضوء ، وأما أن يحمل للظلمون مسلكاً يسلك كما قال أبو الطيب فإن ذلك مستحيل ، ولا يقال فيه بعيد .

أو نقصاً :

وأما الاقتصاد فهو وسط بين المنزلتين ، والأمثلة له كثيرة لا تحصى ، إذ كل ما خرج عن الطرفين من الإفراط والتفريط فهو اقتصاد .

ومن أحسنه أن يحمل الإفراط مثلاً ، ثم يستثنى فيه بلو أو يكاد وما جرى مجراها .

فمن ذلك قوله تعالى « يكاد البرق يخطف أبصارهم ^(٣) » وكذلك قوله عز وجل : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه إبداً ^(٤) » وقد ورد هذا في القرآن الكريم كثيراً .

(١) من مدح حيف الدولة ، مطلع القصيدة :

غبرى بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

الديوان ٣٩٢/٢

(٢) شرح الحامسة للرزوق (١٨٤/١) يصف طعنة لابن عبد القيس :

طعنت ابن عبد القيس طعنة نائراً لها نفذ لولا الشعاع أضاعها

الشعاع : بفتح الشين الدم المتفرق ، يريد أن الطعنة كانت تظهر الضوء لولا الدم المنثني

من الجرح . (٣) سورة البقرة ٢٠ (٤) سورة الجن ١٩

ومما ورد منه شعرا قول الفرزدق :

يَسْكَدُ يُنْسِكُهُ عِرْقَانِ رَاحَتِهِ رُكْنُ الْحَاطِمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ^(١)
وكذلك ورد قول البحري :

فَلَوْ أَنَّ مَشْتَقًا نَسَكَّافَ فَوْقَ مَا فِي وَسْمِهِ لَسَمَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ^(٢)
وهذا هو اللذهب المتوسط .

النوع السادس والصنوع

في الاشتقاق

اعلم أن جماعة علماء البيان يَفْصِلُونَ الاشتقاق عن التجنيس ، وليس الأمر كذلك ، بل التجنيس أمر عام لهذه النوعين ومن الكلام ، وذلك أن التجنيس في أصل الوضع من قولهم : جانس الشيء الشيء إذا ماله وشابهه ، ولما كانت

(١) من قصيدة منسوبة للفرزدق ، وليست في ديوانه مطمعا :

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا النقي الطاهر العلم

وفلك أن هشام بن عبد الملك كان يطوف بالبيت ، فأراد استلام الحجر فلم يقدر ، فنصب له منبر ، فجلس عليه ، وبينما هو كذلك إذ أقبل على بن الحسين فطاف ، وأنى ليستلم الحجر ، فتنحى له الناس هيبة وإجلالا ، فعاظ ذلك هشاما ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذي أكرمه الناس وأعظموه ؟ فقال هشام : لا أعرفه ، لئلا يعظم في نفوس أهل الشام ، فقال الفرزدق - وكان حاضرا - هذه القصيدة .

(زهر الآداب ٦٥/١ والأغاني ٤٠/١٩) وتروى القصيدة للحزب السكتاني

عمرو بن عبيد بن وهب في مدح عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وتروى لداود بن سلم في مدح ثُم بن العباس بن عبيد الله بن العباس . وتروى للعين المنقري في علي بن الحسين .

(٢) من قصيدته في مدح المتوكل وتنهته بعيد الفطر ، مطمعا :

أخفى هوى لك في الضلوع وأظهر وآلام في كبد عليك وأعذر
(الديوان ٢١١/١) وبالأصل (لو أن)

الحال كذلك ووجدنا من الألفاظ ما يتماثل ويتشابه في صيغته وبنائه علمنا
أن ذلك يُطلق عليه اسمُ التجنيس .

وكذلك لما وجدنا من المعاني ما يتماثل ويتشابه علمنا أن ذلك يُطلق عليه
اسم التجنيس أيضا .

فالتجنيس إذا ينقسم قسمين : أحدهما تجنيس في اللفظ ، والآخر
تجنيس في المعنى .

فأما الذى يتعلق باللفظ فإنه لم يُنقل عن بابه ولا غُيِّر اسمه ، وقد تقدم
ذكره في باب الصناعة اللفظية .

وأما الذى يتعلق بالمعنى فإنه نُقل عن بابه في التجنيس ، وسمى الاشتقاق «
أى أحد اللعين مُشتقٌّ من الآخر . وهو على ضربين : صغير وكبير ، فالصغير أنه
تأخذ أصلا من الأصول فتجعم بين مصانیه وإن اختلفت صيغته ومبانيه ،
كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه ، نحو سَلِمَ وسَلِمَ
وسَلِمَان وسَلَمَى والسَلِيم اللدیع أطلق عليه ذلك تفاؤلا بالسلامة .

والأصل في ذلك أن يضع واضع اللغة اسما أول لمسمى أول ، ثم يجد مسمى
آخر أو مسميات شبيهة بالمسمى الأول ، فيضع لها اسما كالاسم الأول ،
كقوله ضَرير اسم للأعوى ، والضرضد النفع ، والضراء الشدة من الأمر ،
والضرة بالضم المزال وسوء الحال ، والضرة الضيق والضرة إحدى
الزوجتين ، فإن هذه المسميات كلها تدل على الأذى والشر ، وأسمائها متشابهة
لم تخرج عن الضاد والراء ، إلا أنا الآن لانلم ما هو الأول منها حتى نحكم على
الثانى أنه مشتق منه ، اسكن نعلم في السليم اللدیع أنه مشتق من السلامة ، لأنه

خدها ، قيل من أجل التفاؤل بالسلامة ، وعلى هذا جاء غيره من الأصول ،
كقولنا هَشَمَكَ هاشم ، وحاربك محارب . وسالمك سالم ، وأصاب الأرض
صَيَّب ، فهذه الألفاظ كلها لفظها واحد ومعناها واحد ، أما هاشم فإنه لم يسم بهذا
الاسم إلا لأنه هَشَمَ الثريد في عام مَحَلٍ فسمى بذلك ، وأما محارب فإنه اسم
قائل من حارب فهو محارب ، وأما سالم فمن السلام وهو اسم قائل من سلم ،
وأما الصَيَّب فهو المطر الذي يشتد صَوْبُهُ أى وقفه على الأرض .

ولا يقاس على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم «أَسْلَمُ سَالِمًا-الله» ،
و«غَفَّارٌ غَفْرًا-الله لها» ، و«عَصِيَّةٌ عَصَتْ-الله» فإن أَسْلَمَ وغَفَّارٌ وعَصِيَّةٌ أسماء
مقبائل ، ولم تَسَمَّ أَسْلَمٌ من السالمة ، ولا غَفَّارٌ من المغفرة ، ولا عَصِيَّةٌ من تصغير
عصا . وهذا هو التجنيس ، وليس بالاشتقاق ، والنظر في مثل ذلك يحتاج إلى فكرة
موتدبر ، كي لا يختلط التجنيس بالاشتقاق .

ومما جاء من ذلك شعرا قول البحترى :

أَتَجِئْتِي سَلَمِي بِكَاطِلَةٍ اسْلَمًا^(١)

وكذلك قول الآخر :

وما زال مَقُولًا مَقَالَ من القندي وما زال مَحْبُوسًا عن المجد حَابِسًا^(٢)

وربما ظن أن هذا البيت وما يجرى مجراه تجنيس ، حيث قيل فيه مَقُولٌ
ومَقَالٌ ومَحْبُوسٌ وحَابِسٌ ، وليس الأمر كذلك .

وهذا الموضوع يقع فيه الاشتباه كثيرا على من لم يتقن معرفة . وقد تقدم القول

(١) مطلع قصيدته في مدح أحمد وإبراهيم ابني المدير . وعجزه : (وتعلم أن الهوى
ماهجتا) الديوان ٢/ ٢٣٩ .

(٢) جرير في هجاء الفرزدق . والبيت في الديوان (٣٢٦) هكذا .
فما زال مَقُولًا مَقَالَ عن الملا وما زال مَحْبُوسًا عن المجد حَابِسًا

أن حقيقة التجنيس هي اتفاق اللفظ واختلاف المعنى ، وعقال ومعقول وحابس
ومحبوس اللفظ فيها واحد والمعنى أيضا واحد ، فهذا مشتق من هذا ، أى قد شق منه .
وكذلك ورد قول عنقره :

لقد علم القائل أن قومي لهم حد إذا ليس الحديد^(١)
فإن حدا وحديدا لفظا واحد ومعناها واحد .

وأما الاشتقاق الكبير فهو أن تأخذ أصلا من الأصول فتعقد عليه وعلى
أركيبه معنى واحدا يجمع تلك التركيب وما تصرف منها ، وإن تباعد شيء من
ذلك عنها رُدَّ باطاف الصنعة والتأويل إليها ، ولتضرب لذلك مثالا فنقول إن
اللفظة (ق م ر) من الثلاثي لها ست تركيب وهي ق م ر ، ق م ر ، ر ق م ،
م ق م ، م ق ر ، م ر ق فهذه التركيب الستة يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدّة ،
فأقرب شدة شهوة اللحم ، وقدر الرجل إذا غلب من يقاربه والرقم الداهية
وهي الشدة التي تلحق الإنسان من دهره ، وعيش مرمق أى ضيق ، وذلك وع
من الشدة أيضا ، والمقر شبه الصبر يقال أقمر الشيء أمره ، وفي ذلك شدة على
الفتاق وكراهة ، ومرق اللحم إذا نفذ من الرمية ، وذلك لشدة مضائه وقوته .
واعلم أنه إذا سقط من تركيب الكلمة شيء فجاز ذلك في الاشتقاق ، لأن
الاشتقاق ليس من شرطه كمال تركيب الكلمة ، بل من شرطه أن الكلمة
كيف تقلبت بها تركيبها من تقديم حروفها وتأخيرها أدت إلى معنى واحد يجمعها .

فهناك ما سقط من تركيب الثلاثي اللفظة (وس ر) فإن لها خمس تركيب
وهي وس ر ، وق س ، س وق ، ق وس ، وس ق ، وسقط من جملة التركيب

(١) في شرح الحماسة لدمر زوق ٢٨٨/١ نسبة البيت إلى حيان بن ربيعة . وروايته هكذا :

لقد علم القائل أن قومي ذو وجود إذا ليس الحديد

قسم واحد وهو س ق و ، وجميع الخمسة المذكورة تدل على القوة والشدة أيضا ،
فالوسق من قولهم استوسق الأمر أي اجتمع وقوى ، والوقس ابتداء الحرب ،
وفي ذلك شدة على من يصيبه وبلاء ، والسوق متابعة السير ، وفي هذا عناء
وشدة على السائق والمسوق ، والقسوة شدة القلب وغلظه ، والقوس معروفة ،
وفيها نوع من الشدة والقوة لزعها المهم وإخراجه إلى ذلك المرمى المتباعد .

واعلم أنا لا ندعى أن هذا يطرّد في جميع اللغة ، بل قد جاء شيء منها كذلك ،
وهذا مما يدل على شرفها وحكمتها ، لأن الكلمة الواحدة تنقلب على ضروب من
التقابل ، وهي مع ذلك دالة على معنى واحد ، وهذا من أعجب الأمور التي
توجد في لغة العرب وأغربها ، فاعرفه .

إلا أن الاستعمال في النظم والنثر إنما يقع في الاشتقاق الصغير دون الكبير ،
وسبب ذلك أن الاشتقاق الصغير تكثر الألفاظ الواردة عليه ، والاشتقاق
الكبير لا يكاد يوجد في اللغة إلا قليلا ، وأيضا فإن الحُبْنَ اللفظي الذي هو
الفصاحة إنما يقع في الاشتقاق الصغير ولا يقع في الاشتقاق الكبير ، ألا ترى إلى
هذين الأصلين الواردين هاهنا وهما (ق ر م) و (وس ق) إذا نظرنا إلى
رأكيهما ، وأردنا أن نسبكهما في الاستعمال باتّ منهما مثل ما يأتي في
الاشتقاق الصغير حسنا وروثنا ، لأن ذاك لفظه لفظ تجنيس ، ومعناه معنى
اشتقاق ، والاشتقاق الكبير ليس كذلك .

النوع السابع والعشرون

في التضمين

هذا النوع فيه نظر بين حسن يكتب به الكلام طلاوة ، وبين معيب عند قوم ، وهو عند معدود من عيوب الشعر ، ولكل من هذين القسمين مقام .

التضمين المحم

فأما الحسن الذي يكتب به الكلام طلاوة فهو أن يضم الآيات والأخبار النبوية ، وذلك يراد على وجهين : أحدهما تضمين كلي ، والآخر تضمين جزئي .

فأما التضمين الكلي فهو أن تذكر الآية والخبر بجملة ، وأما التضمين الجزئي فهو أن تدرج بعض الآية والخبر في ضمن كلام ، فيكون جزءا منه ، كالذي أوردته في حل الآيات والأخبار في الفصل العاشر من مقدمة الكتاب .

وقد قيل إنه لا يجوز درج آيات القرآن الكريم في غضون الكلام من غير تبين ، كي لا يشتبه ، وهذا القول لا أقول به ، فإن القرآن الكريم أبين من أن يحتاج إلى بيان ، وكيف يخفى وهو للمعجز الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ، فإن كانت المفاوضة في التفرقة بينه وبين غيره من الكلام إذا أدرج فيه مع جاهل لا يعرف الفرق فذاك لا كلام معه ، وإن كان الكلام مع عالم بذلك فذاك لا يخفى أنه القرآن الكريم من غيره .

ومذهب في هذا هو ما تقدم ذكره في الفصل العاشر من مقدمة الكتاب ، وهو أحسن الوجهين عندى ، وذاك أنه لا تؤخذ الآية بكلمها ، بل يؤخذ جزء منها ويجعل أولا لكلام أو آخرها ، هذا إذا لم يقصد به التضمين ، فأما إذا

تُصَدِّ التَّضْمِينُ فُتُوْخُذُ الْآيَةُ بِكُلِّهَا ، وَتُدْرَجُ دَرْجًا ، وَهَذَا يَنْسُكِرُهُ مِنْ لَمْ يَذُقَ مَا ذُقَتْهُ مِنْ طَعْمِ الْبَلَاغَةِ ، وَلَا رَأَى مَا رَأَيْتُهُ .

التضمين المذهب

وأما المذهب عند قوم فهو تضمين الإسناد ، وذلك يقع في بيتين من الشعر أو فصائين من الكلام المنثور ، على أن يكون الأول منهما مُسْتَفِيدًا إِلَى الثَّانِي ، فَلَا يَقُومُ الْأَوَّلُ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَتِمُّ مَعْنَاهُ إِلَّا بِالثَّانِي ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْدُودُ مِنْ عِيُوبِ الشَّعْرِ . وَهُوَ عِنْدِي غَيْرُ مَعْيُوبٍ ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ سَبَبٌ عِيْبُهُ أَنْ يُتِمَّقَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ عَلَى الثَّانِي فَلَيْسَ ذَلِكَ بِسَبَبٍ يوجب عيبًا ، إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْبَيْتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ فِي تَعَلُّقِ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ وَبَيْنَ الْفَرَقَتَيْنِ مِنَ الْكَلَامِ الْمُنْثُورِ فِي تَعَلُّقِ أَحَدَاهُمَا بِالْأُخْرَى ، لِأَنَّ الشَّعْرَ هُوَ كُلُّ لَفْظٍ مَوْزُونٍ مُقَنَّى دَلٌّ عَلَى مَعْنَى ، وَالْكَلَامَ الْمَسْجُوعَ هُوَ كُلُّ لَفْظٍ مُقَنَّى دَلٌّ عَلَى مَعْنَى ، فَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا يَجْعَلُ فِي الْوِزْنِ لَا غَيْرَ .

وَالْفَقْرُ الْمَسْجُوعَةُ الَّتِي يَرْتَبِطُ بِمَعْضَا بِمَعْضٍ قَدْ وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي مَوَاضِعَ مِنْهُ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ « فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ، قَالَ قَاتِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَنتَ لِمَنِ الْمَصْدَقِينَ ، أَفْتَدِمُنَا وَكَذَّابًا وَعِظَامًا أَنَا كَلْدَيْنُونَ ^(١) » .

فهذه الفقر الثلاث الأخيرة مرتبطة بمَعْضَا بِمَعْضٍ ، فَلَا تَقْهَمُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ إِلَّا بِالَّتِي تَلِيهَا ، وَهَذَا كَالْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ فِي ارْتِبَاطِ بَعْضِهَا بِمَعْضٍ ، وَلَوْ كَانَ عِيْبُهُ لَمْ يَرُدَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَّ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ أَيْضًا « فَإِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مِنْ هَوْصَالٍ الْجَحِيمِ ^(٢) » فَلَا يَتَيَّنُ الْأَوَّلَانِ لَا تَقْهَمُ أَحَدَاهُمَا إِلَّا بِالْأُخْرَى .

(١) سورة الصافات ٥١ - ٥٣

(٢) سورة الصافات ١٦١ - ١٦٣

وهكذا ورد قوله عز وجل في سورة الشعراء: «أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ»^(١) ، فهذه ثلاث آيات لا تفهم الأولى ولا الثانية إلا بالثالثة ، ألا ترى أن الأولى والثانية في معرض استفهام يفتر إلى جواب ، والجواب هو في الثالثة ؟ .

ومما ورد من ذلك شعرا قول بعضهم :

ومن البَلَوَى التي لِي س لها في الفام كُفْهُ

أَنْ مَنْ يَعْرِف شَيْئًا يَدَّعَى أَكْثَرُ مِنْهُ

ألا ترى أن البيت الأول لم يقم بنفسه ولا يتم معناه إلا بالبيت الثاني ؟
وقد استعملته العرب كثيرا ، وورد في شعر حول شعرائهم ، فمن ذلك قول
أمرئ القيس :

فقلتُ له لما تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَزْدَفَ أَهْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ^(٢)

وكذلك ورد قول الفرزدق :

وَمَا أَحَدٌ مِنَ الْأَقْوَامِ عَدَا عُرُوقَ الْأَكْرَمِينَ إِلَى الثَّرَابِ

بِمَحْفِظِينَ إِنْ فَضَّلْتُمُونَا عَلَيْهِمْ فِي الْقَدِيمِ وَلَا غِضَابِ^(٣)

(١) سورة الشعراء ١٠٥ — ١٠٧

(٢) من معلقته ، في وصف الليل (الديوان ١٨) وقيل البيتين :

وليل كوج البحر أرخى سدوله على بأنواع المهوم ليتلى

(٣) من فخر الفرزدق لما اجتمع هو وجريرو وكثير وابن الرطاح عند سليمان بن عبد الملك

وقال لهم : أنشدونا من فخرتم شيئا حسنا ، فبدرهم الفرزدق فقال :

ولو رفع السحاب إليه قوما علونا في السماء إلى السحاب

(الأغانى ٢٣/١٩ والديوان ٣٦/١)

وكذلك ورد قول بعض شعراء الحماسة :

أَقْمُرِي أَرْدَطُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً عَلَيْهِ وَإِنْ عَالُوا بِهِ كُلُّ مَرْكَبٍ
مِنَ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَاغِيٌّ جَزِيلٌ وَلَمْ يُخْزِكَ مِثْلُ هَجْرٍ^(١)

الضرب الثاني من التضمين ، وهو أن يضمن الشاعر شعره والفائز ثمره
كلاماً آخر لغيره ، قصداً للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود ، ولو لم يذكر ذلك
التضمين لكان المعنى تاماً .

وربما ضمن الشاعر البيت من شعره بنصف بيت أو أقل منه كما قال جعظلة :
قَمِ قَاسِقِيهَا يَا غِلَامَ وَغَنِّني ذَهَبَ الْقَيْنِ يُعَاشُ فِي أَكْنَاهِمُ^(٢)
أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَقُلْ فِي هَذَا الْبَيْتِ ذَهَبَ الْقَيْنِ يُعَاشُ فِي أَكْنَاهِمُ لَكَانَ
الْمَعْنَى تَاماً لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ ، فَإِنْ قَوْلُهُ قَمِ قَاسِقِيهَا يَا غِلَامَ وَغَنِّ فِيهِ كِفَايَةً ،
إِذْ لَا حَاجَةَ لَهُ إِلَى تَعْيِينَ الْغَنَاءِ ، لِأَنَّ فِي ذَلِكَ زِيَادَةً عَلَى الْمَعْنَى الْمَقْهُومِ لِأَعْلَى
الْفَرَضِ الْمَقْصُودِ .

وقد ورد هذا في عدة مواضع من شعر أبي نواس في الحمريات ، كقوله
في مخاطبة بعض خلطائه على مجلس الشراب :

فَقُلْتُ هَلْ لَكَ فِي الصَّبْهِاءِ تَأْخُذُهَا مِنْ كَفِّ ذَاتِ هَرْنٍ قَالَمِشٍ مُقْتَبِلُ
حَيْرَةٍ كَشَمَاعِ الشَّمْسِ صَافِيَةٍ يُحِيطُ بِالسَّكَّاسِ مِنْ لَأَلَاهَا شُعْلُ

== والرواية في الديوان :

فأ أحد من الأقوام عدوا
محتفظين إن فضلتونا
ممنطين : غضاب من الفيطة بمعنى الغضب
ممنطين : غضاب من الفيطة بمعنى الغضب

(١) شرح المزدوق للحماسة ٣٥٨/١ والفائز هو خالد بن نضلة كان الحيوان ١٠٣/٣
والبيان والديبين ٢٥٠/٣

(٢) الشطر الثاني صدر بيت للبيد بن ربيعة :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم
وبقيت في خلف كجلد الأجر

«قال هاتِ وأسمنا على طربِ» ودُعْ هَريرة إن الركب مُرتحلٌ^(١)
وكذلك قوله أيضاً :

وظني خُلوِبِ اللفظ خُلُوٍ كلامه مُقَبَّلُهُ سهلٌ وجانبُهُ وَغَرُ
نَحَلْتُ لَهُ مِنْهَا نَحْرًا لَوَجْهِهِ وَأَمَكَنَّ مِنْهُ مَا تَحِيْطُ بِهِ الْأَرُ
قَعَمْتُ إِلَيْهِ وَالسَّكْرَى كَحُلِّ عَيْنِهِ قَبَّلْتُهُ وَالصَّبُّ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ
إِلَى أَنْ نَجَلَى نَوْمُهُ عَنْ جُفُونِهِ وَقَالَ: كَسَبَتِ الذَّنْبَ قُلْتُ: لِي الذُّدُّ
فَأَعْرَضَ مُزَوَّرًا كَأَنَّهُ بَوَّاحُهُ تَفَقَّؤُ رُمَانٍ وَقَدْ بَرَدَ الصَّدْرُ
فَمَا زِلْتُ أَرْقِيهِ وَاللَّيْمُ خَدَّهُ إِلَى أَنْ تَقْنَى رَاضِيًا وَبِهِ سُبُكْرُ
أَلَا قَاتِلِي بِأَدَارِيٍّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مِنْهُ لَا بَجْرًا نِكَ الْفَطْرُ^(٢)

وقد استعمل هذا الضرب كثيرا الخطيبُ عبد الرحمن بن نباتة رحمه الله ،
فن ذلك قوله في بعض خطبه وهو : « فيا أيها الغفلة المطرقون ، أما أنتم بهذا
الحديث مُصدّقون ، فإلکم منه لا تُشفقون ، فو ربّ السماء والأرض إنه لحق مثل
ما أنکم تنطقون^(٣) » .

الحمد لله
بسم محمد بن نباتة

٣٧٤

(١) الديوان ١١٦ كانت بالأصل (ذات حر) و (وتطير بالكاس) و (غنينا على
طرب) ذات من : ذات فرج . مقبل : ضير . حبرية : منسوبة إلى الحيرة بالمرأى . لألأها :
بريقها والشر الأخر من مطلع قصيدة الأعشى :
ودع هريرة إن الركب مرتحل ومل تطبيق وهاها أيها الرجل
(الديوان ٥٥)

(٢) الديوان ١٠١

وق الديوان (سكت له منها) و (راضيا وله الشكر) . نَحَلْتُ : أعطيت . تَفَقَّؤُ رومان: رمان
متكسر ، يريد حمرة الوجه من الحجل أو الآثار التي فيه من تلك الليلة . البيت الأخير لقي
الرملة . الجرعاء : الرملة الطيبة للنبث لا وعودتها فيها أو السكتيب جانب منه ومل وجانب حجارة
(٣) (فو ربّ السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنکم تنطقون) سورة القاربات ٢٣

وكذلك قوله في ذكر يوم القيامة وهو: « فيَوْمٍ مِّنْذُ تَقْدِرُ الْخَلْقَ عَلَى اللَّهِ جَهَنَّمَ »
فيحاسبهم على ما أحاط به علما ، وينفذ في كل عامل بعده حُكْمًا ، وَعَذَّتْ الْوُجُوهُ
لِلْحَيِّ لِلْقِيَوْمِ وقد خاب من حَلِّ ظُلُمٍ (١) .

ألا ترى إلى براءة هذا التضمين الذي كأنه قد رُصِعَ في هذا للوضع رَضْمًا ؟
وعلى نحو من ذلك جاء قوله في ذكر يوم القيامة وهو: « هناك يقع الحساب
على ما أحصاه الله كتابًا ، وتكون الأعمال المشوبة باللفاق سَرَابًا ، يوم يقوم
الروح ولللائكة صفا ، لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا (٢) »
ومما ينتظم بهذا السالك قوله في خطبة أخرى وهو: « أسكنهم الله الذي
أنطقهم ، وأبدم الذي خلقهم ، وصيِّدُهم كما أخلقهم ، ويجمعهم كما فرقهم ،
يُعيدُ الله العالمين خلقا جديدا ، ويجعل للظالمين نار جهنم وقودًا ، ويوم تكونون
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا ، يوم تجدد كل نفس ما عملت من
خير مُحَضَّرًا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً (٣) » .

ومن هذا الباب قوله أيضا: « هناك يُرْفَعُ الحجاب ، ويوضع الكتاب ،
ويُجْعَلُ مَنْ وَجَبَ له الثواب ومن حُقَّ عليه العقاب ، فيضربُ بينهم بسور
له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب (٤) »

وأمثال هذه التضمينات في خطبة كثيرة ، وهي من محاسن ما بيىء في هذا النوع .

(١) (وعذت الوجوه .. ظلما) سورة طه ١١١ هم : ليس بهم شيء مما كان في الدنيا نحو
البرص والمرج ، أو مرارة (الظلموس المحيط مادة بهم)

(٢) (لا من أذن... صوابا) سورة التبا ٣٨

(٣) (يكون الرسول عليكم شهيدا) سورة البقرة ١٤٣ (يوم تجدد كل نفس ... أمداً
بيدا) سورة آل عمران ٣٠

(٤) « بسور ... العذاب » سورة الحديد ١٣

النوع الثامن والعشرون

الإرصاد

وحقيقته أن يبني الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرصدها له ، أى
أعدّها في نفسه ، فإذا أنشد صدر البيت عرّف ما يأتي في قافيته ، وذلك من
عمود الصنعة ، فإن خبر الكلام مادل بعضه على بعض .

وفي الافتخار بذلك يقول ابن نُهانة السعدي :

خُذْهَا إِذَا أُنْشِدْتَ فِي التَّوَمِ مِنْ طَرِبِ صُدُورُهَا عُرِفَتْ مِنْهَا قَوَائِفُهَا
يَنْتَسِي لَهَا الرَّاكِبُ الْعَجَلَانُ حَاجَتَهُ وَيُصْبِحُ الْحَاسِدُ الْفَضْبَانُ يُطْرِيهَا^(١)
فمن هذا الباب قول النابغة :

فِدَاءَ لَامِرِي سَارَتْ إِلَيْهِ بِعَذْرَةٍ رَبَّهَا عَمِي وَخَالِي
وَلَوْ كَفَى الْيَمِينَ نَفْتِكَ خَوْفًا لَأَفْرَذْتُ الْيَمِينَ عَنِ الشَّالِ^(٢)
ألا ترى أنه يُعَلِّمُ إذا عرفت القافية في البيت الأول أن في البيت الثاني
ذكر الشال ؟

وكذلك جاء قول البحتري :

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَمَتْ بَلَا سَبَبٍ يَوْمَ الْقَاءِ كَلَامِي
فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّتْهُ بِمَحَلَّلٍ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَمَتْهُ بِمَحْرَامٍ^(٣)

(١) يتيمة الدهر ٣٧٩/٢ وكان بالأصل يطويهها .

(٢) من مديحه للنعمان بن المنذر والاعتذار له

وبالأصل « ولو كفى اليمين نفتك خوفا »

(٣) من قصيدته في مدح المتوكل ، التي مطلعها .

ألاهل أئاماها بالفتيت سلامي وهل خبرت وجدى بها وغراي

(الديوان ٢٢٢/٢)

فليس يذهب على السامع - وقد عرف البيت الأول وصدر البيت الثاني - أن عجزه هو ما قاله البحرى .

وقد جاء الإرساد فى الكلام المنشور كما جاء فى الشعر .

فمن ذلك قوله تعالى : « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلَفُوا ، ولولا كلمة سَبَقَتْ من ربك لَقُضِيَ بينهم فيما فيه يَخْتَلَفُونَ »^(١) .

فإذا وقف السامع على قوله تعالى (لَقُضِيَ بينهم فيما فيه) عرف أن بعده يَخْتَلَفُونَ ، لما تقدم من الدلالة عليه .

ومن ذلك أيضا قوله عز وجل : « فمنهم من أَرْسَلْنَا عليه حاصبا ، ومنهم من أَخَذْنَاهُ الصَّيْحَةُ ، ومنهم من خَسَفْنَا به الأرض ، ومنهم من أَغْرَقْنَا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »^(٢) وعلى نحو منه جاء قوله تعالى : « مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا من دُونِ اللَّهِ أولياءَ كَمَثَلِ الصَّنَكِبُوتِ اتَّخَذَتْ أُبَيَّتَا ، وَإِنْ أَوْفَرَ بُيُوتٍ لَبَّيْتُ الصَّنَكِبُوتِ »^(٣) فإذا وقع السامع على قوله عز وجل (وَإِنْ أَوْفَرَ بُيُوتٍ) يعلم أن بعده بيت الصَّنَكِبُوتِ .

ورأيت أبا هلال العسكري قد سَمَّى هذا النوع التَّوشيح^(٤) ، وليس

(١) سورة يونس ١٩

(٢) سورة العنكبوت ٤٠

(٣) سورة العنكبوت ٤١

(٤) فى كتاب الصناعتين ٣٨٢ « سَمَّى هذا النوع التَّوشيح ، وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى ، ولو سَمَّى تبيينا لكان أقرب ، وهو أن يكون مبتدأ الكلام يبنى من مقطعه ، وأوله يغير بآخره ، وصدره يشهد بعجزه ، حتى لو سمعت شمرا ، أو عرفت زواية ، ثم سمعت صدر بيت منه وقفت على عجزه قبل بلوغ السماع إليه ... » ومن هذا يبدو أن ابن الأنبر قد وهم فى نسبة تسمية هذا الفن (التَّوشيح) إلى أبى هلال العسكري ، والحقيقة أن الذى سماه بذلك قدامه بن جعفر ، لأنه حمل التَّوشيح من أنواع ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر معنى البيت ، وقال فى تعريفه : هو أن يكون أول البيت شاهدا بقافيته ومعناها متعلقا به ، حتى أن القى يعرف قافية القصيدة إذا سم أول البيت منها عرف آخره ، وبانت له قافيته (نقدا الشعر)

كذلك ، بل تسميته بالإرصاد أولى ، وذلك حيث ناسب الاسم سماءً ولاق به ،
وأما التوشيع فإنه نوع آخر من علم البيان ، وصيغتي ذكره بعد هذا النوع
إن شاء الله تعالى .

وأعلم أنه قد اختلف جماعة من أرباب هذه الصناعة في تسمية أنواع علم
البيان ، حتى إن أحدهم يضع لنوع واحد منه اسمين اعتقاداً منه أن ذلك النوع
نوعان مختلفان ، وليس الأمر كذلك ، بل هما نوع واحد .

فمن غلط في ذلك الفاعلي^(١) ، فإنه ذكر باباً من أبواب علم البيان وسماه
التبليغ ، وقال : هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن يكون للقافية
فيما ذكره صنع ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر إليها ، حتى يتم وزنه ، فيبان بذلك
الغاية القصوى في الجودة ، كقول امرئ القيس :

كَانَ عِيُونُ الْوَحْشِ حَوْلَ خِيَانِنَا وَأَرْحَلُنَا الْجَزْعُ الْقَدَى لَمْ يُثَقِّبْ^(٢)

فإنه أتى بالتشبيه تاماً قبل القافية ، ولما جاء بها بلغ الأمد الأقصى في المبالغة .

ثم إن الفاعلي ذكر بعد هذا الباب باباً آخر وسماه الإشباع ، فقال : هو
أن يأتي الشاعر بالبيت مُملّئاً القافية على آخر أجزائه ، ولا يكاد يفعل ذلك
إلا حذقاً الشمرء ، وذلك أن الشاعر إذا كان بارعاً جَلَبَ بقدرته وذكاؤه
وفطنته إلى البيت - وقد تمت معانيه واستغنى عن الزيادة فيه - قافية متممة
لأعاريضه ووزنه ، فجاءها نقماً للمذكور ، كقول ذي الرثمة :

(١) أبو العلاء بن غانم المعروف بالفاعلي كان من فضلاء عصره وشمرائه

(الباب ١٦٦/٣)

(٢) الديوان ٥٣ الجزع القدي لم يثقب : شبه عيون الوحش فيها من سواد وبياض
بجزع غير مثقب لأن ذلك أصفى له وأتم لحسنه .

قِفِ الْعَيْسَ فِي أَطْلَالِ مَيَّةٍ فَاسْأَلِ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرِّدَاءِ لِلْسَّلْسِلِ (١)

هذا كلام الغامى بعينه ، والبايان المذكوران سواء ، لا فرق بينهما بحال .
والدليل على ذلك أن بيت امرئ القيس يتم معناه قبل أن يؤتى بقافيته ،
وكذلك بيت ذى الرمة ، ألا ترى أن امرأ القيس لما قال : « كان عيون الوحش
حول خباتنا ، وأرحلنا الجزع » أتى بالتشبيه قبل القافية ، ولما احتاج إليها جاء بزيادة
حسنة ، وهى قوله لم « يثقب » .

وهكذا ذو الرمة فإنه لما قال :

قِفِ الْعَيْسَ فِي أَطْلَالِ مَيَّةٍ فَاسْأَلِ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرِّدَاءِ ...
أتى بالتشبيه أيضاً قبل أن يأتى بالقافية ، ولما احتاج إليها جاء بزيادة حسنة
وهى قوله : السلسل .

واعلم أن أبا هلال العسكري قد سمي هذين القسمين بوجهما الإيصال (٢) ،
وقال هو أن يستوفى الشاعر معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ، ثم يأتى بالقطع

(١) ديوان ذى الرمة ٧٢ العيس : النوق البيض . أخلاق الرداء : الرداء الذى صار
خلقا وقطعا

(٢) الصناعتين ٣٨٠ « هو أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ، ثم يأتى
بالقطع فيزيد معنى آخر زيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا . وأصل الكلمة من قولهم
وغل في الأمر إذا أبعد القهاب فيه .

وقد وهم ابن الأثير هنا أيضا في نسبة تسمية هذا الفن (الإيصال) إلى أبي هلال العسكري .
والحقيقة أن هذا الفن من مستخرجات قدامة ، وهو واضح لقيه ، وجعله من أنواع
اثتلاف القافية مع سائر معنى البيت ، وروى قدامة أن محمد بن يزيد النحوى قال : حدثنى
التوزى قال : قلت للأصمعي : من أشعر الناس ؟ فقال : من يأتى إلى المعنى الخسيس فيجعله
بالغة كبيرا ، أو إلى الكبير فيجعله خسيسا ، أو ينقض كلامه قبل القافية ؛ فإذا احتاج إليها أفاد
بها معنى . قال : قلت نحو من ؟ قال : نحو ذو الرمة ، وأورد البيت المذكور هنا . ثم قال :
فتم كلامه قبل « السلسل » ثم قال « السلسل » فزاد شيئا . ثم قال ذو الرمة

أظن الذى يجدى عليك سؤالها دموعا كتبديد الجمان المفصل

فتم كلامه ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصل » فزاد شيئا

فيزيد فهمه معنى آخر ، وأصل الإيفال من أوغل في الأمر إذا أبعد الذهاب فيه ، ثم مثل أبو هلال ذلك بقول ذي الرمة (قف العيس في أطلال مية فاسأل) وهذا أقرب أمدأ من الغامى ، لأنه ذكره في باب واحد ، وسماه باسم واحد ، ولم يذكره في باب آخر كما فعل الغامى .

وليس الأخذ علم الغامى في ذلك مناقشته على الأسماء ، وإنما المناقشة على أن ينتصب لإيراد علم البيان وتفصيل أبوابه ، ويكون أحد الأبواب التي ذكرها داخل في الآخر فيذهب عنه ويغنى عليه^(١) ، وهو أشهر من فلق الصباح .
وهاهنا ما هو أغرب من ذلك ، وذلك أنه قد سلك قوم في منشور الكلام ومنظومه طرقا خارجة عن موضوع علم البيان ، وهى بنجوة عنه ، لأنها في واد وعلم البيان في واد .

فمن فعل ذلك الحريرى صاحب المقامات ، فإنه ذكر تلك الرسالة^(٢) التى هى

(١) فى الأصل (فيذهب عليه ويغنى عنه) فرجنا هذا التصويب .
(٢) فى المقامة الحلبية (السادسة والأربعون) عشر مقطعات من الأبيات فى كل مقطرة ثلاث لفظى . فمن ذلك الأخفاف أى كلمة مهملة وأخرى معجمة مثل قوله :
اسمح فبت السماح زين ولا تحب آملا تضيف
ولا تظن الدهور تبقى مال ضنين ولو تلفت
ومن ذلك العوائل أى الخالية من الحروف المعجمة ، مثل :
أعد لسادك حد السلاح وأورد الأمل ورد السماح
ومن ذلك المرائس أى المعجمة كلها مثل :
شفقتى بجهن طي غضيب غنج يقتضى تفيض جفى

الخ الخ

وفى المقاومة السمى قندية (الثامنة والعشرون) خطبة مهملة الحروف مثل قوله :
أحمد حمد موحد مسلم ، وأدعوه دعاء مؤمل مسلم ، وهو آفة لا إله إلا هو الواحد الأحد ،
العادل المصدق ، لا والده ولا ولد ، ولا دره معه ولا مساعد ، أرسل عمدا للإسلام ممهدا ،
وللملة موطدا

وفى المقامة الرقطاء (السادسة والعشرون) رسالة مكونة من كلمات حرف مهملة وتاليه معجم ، مثل :

أخلاق سيدنا تحب ، وبمقوته ياب ، وقربه تحف ، ونأبه تلف ، وخلته نسب ، وقطيعته نصب ، وغربه ذلق ، وشبهه تأتلق الخ

كلمة ممجبة وكلمة مهملة ، والرسالة التي حرف من حروف ألفاظها معجم والآخر غير معجم ، ونظم غيره شعراً آخر كل بيت منه أول البيت القدي يليه ، وكل هذا وإن تضمن مشقة من الصناعة فإنه خارج عن باب الفصاحة والبلاغة ، لأن الفصاحة هي ظهور الألفاظ مع حسنها على ما أشرت إليه في مقدمة كتابي هذا ، وكذلك البلاغة فإنها الانتهاء في محاسن الألفاظ والمعاني ، من قولنا بلغت المكان إذا انتهيت إليه .

وهذا الكلام المصوغ مما أتى به الحريري في رسالته وأورده ذلك الشاعر في شعره لا يتضمن فصاحة ولا بلاغة ، وإنما يأتي ومعانيه غثة باردة ، وسبب ذلك أنها تستكره استكرها ، وتوضع في غير مواضعها ، وكذلك ألفاظه فإنها نجى مكرهه أيضاً غير ملائمة لأخواتها ، وعلم البيان إنما هو الفصاحة والبلاغة في الألفاظ والمعاني ، فإذا أخرج عنه شيء من هذه الأوضاع المشار إليها لا يكون محدوداً منه ولا داخلاً في باب .

ولو كان ذلك مما يوصف بحسن في ألفاظه ومعانيه لورد في كتاب الله عز وجل وهو معدن الفصاحة والبلاغة ، أو ورد في كلام العرب للفصحاء ، ولم يره في شيء من أشعارهم ولا خطبهم .

ولقد رأيت رجلاً أديباً من أهل المغرب وقد تفلن في شيء عجيب ، وذلك أنه شجرة شجرة ونظمها شعراً ، وكل بيت من ذلك الشعر يقرأ على ضروب من الأصاليب انبعا لشب تلك الشجرة وأغصانها ، فتارة تقرأ كذا وتارة يكون جزء منه هاهنا ، وتارة هاهنا ، وتارة يقرأ مقلوباً ، وكل ذلك الشعر وإن كان له معنى إلا أنه ضرب من الهذيان ، والأولى به وبأمثا أن يلتحق بالشعبذة والمالحة والمصارعة لا بدرجة الفصاحة والبلاغة .

ورأيت أبا محمد بن عبد الله بن سنان الخفاجي قد ذكر بابا من الأبواب في كتابه^(١) فقال : ينبغي ألا تستعمل في الكلام المنظوم والمنثور ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم ، ولا الألفاظ التي تختص بها بعض المهن والعلوم ، لأن الإنسان إذا خاض في علم وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك الصناعة^(٢) ، ثم مثل ذلك بقول أبي تمام :
مَوْدَّةٌ ذَهَبَتْ أَثْمَارُهَا شَبَهُ وَهِيَّةٌ جَوْهَرٌ مَعْرُوفُهَا عَرَضٌ^(٣)
وبقوله أيضاً :

خَرْقَاءُ يَلْعَبُ بِالْمَقُولِ حَبَابُهَا كَتَلْعَبُ الْأَفْئَالُ بِالْأَسْمَاءِ^(٤)

وهذا الذي أنكره ابن سنان هو عين المعروف في هذه الصناعة .

إن الذي تكرهون منه هو الذي يشبهه قلبي

وسأبين فساد ما ذهب إليه فأقول : أما قوله إنه يجب على الإنسان إذا خاض في علم أو تكلم في صناعة أن يستعمل ألفاظ أهل العلم وأصحاب تلك الصناعة ،

(١) سر الفصاحة ١٥٩

(٢) تكملة كلام الخفاجي : وبهذا شرف كلام أبي عثمان الجاحظ ، وذلك أنه إذا كاتب لم يعدل عن ألفاظ الكتاب ، وإذا صنف في الكلام لم يخرج من عبارات المتكلمين ، فكأنه في كل علم يخوض فيه لا يعرف سواه ، ولا يحسن غيره (١٥٩)

(٣) من قصيدته في عتاب هياش بن لميعة التي مطلعها :

ذل السؤال شجاً في الخلق معترض من دونه شرق من تحته جرض الديوان ٤٠٠ طبعة محمد جمال .

الجوهر والعرض من اصطلاحات علماء الكلام . الجرض : الفضة .

(٤) الديوان ٣٣/١ من قصيدته في مدح محمد بن حسان الضبي ، وهذا البيت من خرباته فيها ، خرقاء : وصف الخمر بالخرق وهو في الأصل العجز عن إحسان العمل ، يقال للمرأة خرقاء ، أي أن الخمر لا تحسن أن تعمل شيئاً لكنها تلعب بالعقوق ، ويقهرها من حال إلى حال ، كما تمل الأففال بالأسماء ، فترفعها تارة وتنصبها تارة . الحباب : طرائق الماء إذا مزجت

فهذا مسلم إليه ، ولكنه شذ عنه أن صناعة المنظوم والنثر مستمدة من كل علم وكل صناعة ، لأنها موضوعة على الخوض في كل شئ ، وهذا لا ضابط له يضبطه ولا حاصر يحصره ، فإذا أخذ مؤلف الشعر أو الكلام المنثور في صوغ معنى من المعاني وأداه ذلك إلى استعمال معنى قهقري أو نحوي أو حسابي أو غير ذلك فليس له أن يتركه ويحذف عنه ، لأنه من مقتضيات ذلك المعنى القوي قصده .

ألا ترى إلى قول أبي تمام في الاعتذار :

فإن يك جرمٌ عنَّ أو تلكُ ذَفْوَةٌ هل خطأ مني فمُذِرِي على عَمْدٍ ^(١)

فإن هذا من أحسن ما يجيء في باب الاعتذار عن الذنب ، وكان ينبغي له على ما ذكره ابن سنان أن يترك ذلك ولا يستعمله حيث فيه لفظنا الخطأ والعمد اللتان هما من أخص ألفاظ الفقهاء .

وكذلك قول أبي الطيب المتنبي .

ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنما ردَّ الإلهُ نُفُوسَهُم والأغصُرَا
نُصِفُوا أنما نَصَقَ الحسابُ مُقَدِّمًا وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرًا ^(٢)

(١) الديوان ١١٧/٢ من مدحه لأبي المنيث الرافقي واعتذاره له

(٢) من قصيدته في مدح أبي الفضل محمد بن العميد ، التي مطلعها :

باد هودك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجرد دمعك أو جردى

وقوله لقيت كل الفاضلين ، معطوف على كلام سابق يتحدث فيه عن تمثل فلاسفة وعلماء

وعظماء وكرماة في شخص ابن العميد . (الديوان ٣١٦/٢) نسقوا : سردوا . فذلك : حكاية

قول الحاسب إذا أجل حسابه ، فهي فاعل أتى أي أن هؤلاء الفاضلين تتابعوا متقدمين عليك في أزمانك ، فلما أتيت بدمهم جعت ما كان فيهم من فضائل ، فكنت بمثابة إجمال الحاسب الذي

تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل فيكتب في آخرها فذلك كذا وكذا

(الديوان ٣١٦/٢)

وهذا من المائى البديعة ، وما كان ينبغي لأبى الطيب أن يأتى فى مثل هذا
الوضع بلفظة ذلك التى هى من ألفاظ الحساب ، بل كان يترك هذا المعنى الشريف
الذى لا يتم إلا بتلك اللفظة موافقة لابن سنان فيما رآه وذهب إليه ، وهذا محض
الخطأ وعين الخطأ .

وأما أنكره على أبى تمام فى قوله :

مَوْدَّةٌ ذَهَبٌ أَمَارُهَا شَبَّةٌ وَهَيْئَةُ جَوْهَرٌ مَعْرُوفُهَا عَرَضٌ

فإن هذا البيت ليس مفكرا لما استعمل فيه من ألفاظ الجواهر والعروض
التيين هما من خصائص ألفاظ المتكلمين ، بل لأنه فى نفسه ركيك ، لتضمنه
لفظة الشبة فإنها لفظة عامية ركيكة وهى التى أسخفت بالبيت بجملة ، ورب
قليل أفسد كثيرا ، وأما ألفاظ الجواهر والعروض فلا عيب فيها ولا ركاكة عليها .

وأما البيت الآخر وهو :

خَرَقَاءُ يَلْعَبُ بِالْعُقُولِ حَمَاهُا كَتَلَمَّ بِ الْأَفْئَالِ بِالْأَسْمَاءِ .

فليس بمنكر ، وهل يشك فى أن التشبيه الذى تضمنه واقع فى موقعه ؟ ألا
ترى أن الفعل ينقل الاسم من حال إلى حال ، وكذلك تفعل الخمر بالعقول فى
تنقل حالها ، فما الذى أنكره ابن سنان من ذلك ؟
وقد جاء لبعض المتأخرين من هذا الأسلوب مالا يُدافعُ فى حسنه ، وهو قوله :

عَوَامِلُ رَزَقٍ أَقْرَبَتْ لَفَةَ الرِّدَى لِحِشْمٍ لَهُ خَفَضٌ وَرَأْسُ لَهُ نَصْبٌ

فإنه لما حصل له للشبهة فى الاسمية بين عوامل الرياح والعوامل النحوية
حسن موقع ما ذكره من الخفض والنصب ، وعلى ما ذكر ابن سنان فإن ذلك
غير جائز ، وهو من مسخسات المعانى هذا من أعجب الأشياء

وهل هذا الأسلوب ورد قول بعضهم :

وفى من مازين قاق أهل البصرة
أمة مفرقة وأبوه نكيره

وهل يشك في حسن هذا المعنى ولطافته ؟

وكذلك ورد من هذا النوع في شعر بعض العراقيين بهجو طيبيا ، فقال :

قال حمار الطيب توما لوأ نصفوني لكنت أركب
لأنى جاهل بسيط وراكبي جمل مركب

وهذا من المعنى الذى أغرب فى الملاحه ، وجمع بين خفة السخرية ووقار النصيحة .

وقد تقدم القول فى صدر كتابى هذا أنه يجب على صاحب هذه الصناعة أن يتعلق بكل علم وبكل صناعة ، ويخوض فى كل فن من الفنون ، لأنه مكلف بأن يخوض فى كل معنى ، فاضمم يدك على ما ذكرته ونصت عليه ، وارك ماسواه ، فليس القائل بملء واجتهاده كالقائل بظنه وتقليده .

وهذا النوع إذا استعمل على الوجه المرصى كان حسنا ، وإذا استعمل بخلاف ذلك كان قبيحا ، كما جاء فى كلام أبى العلاء بن سليمان المرمى وهو قوله فى رسالة كتبها إلى بعض إخوانه « حرس السعادات ما أدغمت القاء فى الظاء ، وتلك سعادة بغير انتهاء » وهذا من الفث البارد ، لكن قد جاء فى الشعر ما هو حسن فائق كقوله :

قدونكم خفص الحياة فإننا نصبتا المطايا فى القفلة على اللقاع^(١)

(١) شرح التنوير على سقط الزند ١٠٩/٢ نصبتا المطايا : أمددناها للسير . خفص الحياة : لينها ونعيمها .

والخفض والنصب من الإعراب النحوى ، والخفض رفاهة الميش ، والقطع
من منصوبات النحو ، والقطع قطع الشيء يقال قطعتة إذا بترته .

النوع التاسع والعشرون

فى التوشيح

وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفین ، فإذا وقف من
البيت على القافية الأولى كان شعرا مستقيا من بحر على عروض ، وإذا أضاف
إلى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى كان أيضا شعرا مستقيا من بحر
آخر على عروض ، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى لبيت كالوشاح ، كذلك يتجرى
الأمر فى الفقرتين من الكلام المنشور ، فإن كل فقرة منهما تصاغ من سبعتين ،
وهذا لا يكاد يستعمل الا قليلا وليس من الحسن فى شيء ، واستعماله فى الشعر
أحسن منه فى الكلام المنشور .

فإن ذلك قول بعضهم :

اسلم ودُمت على الحوادث مارسا ركننا ثبير أو هضابُ حراء^(١)
ونل المرادُ ممكنا منه على رغم الدهور وفز بطول بقاء

وهذا الجيد الذى يأتى فى هذا النوع ، إلا أن أثر التكلف عليه باذظاهر ،
وإذا نظر إلى هذين البيتين وجداهما يذكران على قافية أخرى وبحر آخر ،
وذلك أن يقال :

(١) ثبير : جبل بظاهر مكة . حراء : جبل بمكة به غار تحث فيه رسول الله .

أسلم ودُمتَ على الحوا دث مازسا ركنا شير
ونل للراد ممكننا منه على رغم الدهور

وقد استعمل ذلك الحريري في مقامته نحو قوله :

ياخاطِبَ الدنيا الدنيَّةِ إنها شَرَكُ الردى وَقَرَارُ الأَكْدارِ
دارمى ما أضحكْتَ فى يومها أبكتَ غداً بُعْداً لها مِن دارِ
وإذا أَظَلَّ سحابها لم يَنْتَقِمِ منه صَدَى لَجْهائِهِ القَرارِ^(١)

واعلم أن هذا النوع لا يستعمل إلا متكلفاً عند تماطى التمكن من صناعة
النظم ، وحسنه مُنَوِّطٌ بما فيه من الصناعة لا بما فيه من البراعة .

ألا ترى أنه لو نُظِمَ عليه قصيد من أوله إلى آخره يتضمن غزلاً ومديحاً على
ما جرت إعادة القصائد أليس أنه كان يحىء بارداً غثاً لا يسلم منه على محك النظر
عشره ؟ والمشر كثير ، وما كان على هذه الصورة من الكلام فإنما يستعمل
أحياناً على الطبع لا على التكلف ، وهو وأمثاله لا يحسن إلا إذا كان يسيراً كالرقم
فى التوب أو الشية فى الجلد .

(١) من الممكن أن تقرأ الأبيات هكذا ، وقد وردت على الوجهين فى المقامة الشعرية
(الثالثة والمعرون) ١٦٦

ياخاطب الدنيا الدنيا	ة إنها شرك الردى
دارمى ما أضحكْتَ	فى يومها أبكتَ غداً
وإذا أَظَلَّ سحابها	لم ينتقم منه صدى

لم ينتقم منه صدى : لم يرتو منه عطش

النوع الثلاثون

في السرقات الشعرية

ولربما أعترض معترض في هذا الموضوع فقال قد تقدم نثر الشعر في أول الكتاب ، وهو أخذ النثر من الناظم ، ولا فرق بينه وبين أخذ الناظم من الناظم ، فلم يكن إلى ذكر السرقات الشعرية إذاً حاجة ، ولو أنعم هذا المعترض نظره لظهر له الفرق ، وعلم أن نثر الشعر لم يُتعرَّض فيه إلى وجوه المأخذ وكيفية التوصل إلى مداخل السرقات ، وهذا النوع يتضمن ذكر ذلك مفصلاً .

واعلم أن الفائدة من هذا النوع أنك تعلم أين تضع يدك في أخذ المعاني ، إذ لا يستغنى الآخر عن الاستعارة من الأول^(١) ، لكن لا ينبغي لك أن تمجّل في سبك اللفظ على المعنى المسروق فتنادى على نفسك بالسرقة ، فكثيراً ما رأينا من مجلّ في ذلك فطر وتعاطى فيه البديهة فقر .

والأصل المعتمد عليه في هذا الباب التورية والاختفاء^(٢) بحيث يكون ذلك أخفى من سواد الغراب ، وأطرف من عنقاء مُتَرَبِّ في الإغراب .

(١) قال أبو هلال العسكري : ليس لأحد من أصناف القائلين غنى من تناول المعاني من تقدمهم ، والصب على قوالب من سبقهم ، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم ، ويبرزوها في معارض من تأليفهم . (الصناعتين ١٩٦)

(٢) قال القاضي الجرجاني : فإن الشاعر الماخذ إذا خلق المعنى المختلس عدله من نوعه وصفه ، وعن وزنه ونظمه ، وعن رويته وقافيته . فإذا مر بالنبي الغفل وجدما أجنبيين متباهدين ، وإذا تأملهما الفطن الذكي عرف قرابة ما بينهما ، والوصلة التي تجمعهما (لوساطة ١٩٩) وقال أبو هلال : والماخذ يخفي ديبه إلى المعنى يأخذه في مسترة فيصنع له بالسبق إليه أكثر من يحربه (الصناعتين ١٩٨)

وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه ليس لقائل أن يقول إن لأحد من المتأخرين معنى مبتدعاً، فإن قول الشعر قديم منذ نطق باللغة العربية وإنه لم يَبْقَ معنى من المعاني إلا وقد طرق مراراً .

وهذا القول وإن دَخَلَ في حيز الإمكان إلا أنه لا يُلْتَفَتُ إليه ، لأن الشعر من الأمور المتناقلة ، والذي تَفَلَّطَهُ الأخبار وتواردت عليه أن العرب كانت تنظم المقاطيع من الأبيات فيما يعين لها من الحاجات ، ولم يزل الحال على هذه الصورة إلى عهد امرئ القيس ، وهو قبل الإسلام بمائة سنة زائداً فناقصاً ، فقصده القصائد ؛ وهو أول من قصد ؛ ولو لم يكن له معنى اختص به سوى أنه أول من قصد القصائد لكان في ذلك كفاية . وأى فضيلة أكبر من هذه الفضيلة ؟ ثم تقابح المقتصدون واختير من القصائد تلك السبع التي علفت على البيت ، وانفتح للشعراء هذا الباب في التقصيد . وكثرت المعاني المقولة بسببه ، ولم يزل الأمر ينمى ويزيد ، ويؤتى بالمعاني الغريبة واستمر ذلك إلى عهد الدولة العباسية وما بعدها إلى الدولة الحمدانية ، فمظم الشعر وكثرت أساليبه ، وتشعبت طرقه ، وكان ختامه على الثلاثة المتأخرين وهم أبو تمام حبيب بن أوس وأبو عبادة الوليد بين عبيد البحرى وأبو الطيب المتنى .

فإذا قيل إن المعاني المبتدعة سُبِقَ إليها ولم يَبْقَ معنى مبتدع عورض ذلك بما ذكرته .

والصحيح أن باب الابتداع للمعاني مفتوح إلى يوم القيامة . ومن القى بحجر على الخواطر ، وهى قاذفة بما لانهاية له ؟ إلا أن من المعاني ما يتساوى الشعراء فيه ، ولا يطاق عليه اسم الابتداع لأول قبل آخر ، لأن الخواطر تأتي به من غير حاجة إلى تباع الآخر الأول ، كقولهم في الغزل :

عَفَتِ الدِّيارُ وما عَفَتَ آثارُهن من القلوب

وكقولهم إن الطيف يجود بما يَبْخَلُ به صاحبه ، وإن الواشى لو علم بمزار

الطيف لساده ، وكقولهم في المديح إن عطاءه كالبحر وكالسحاب ، وإنه لا ينفع عطاء اليوم عطاء غد ، وإنه يجود ابتداء من غير مسألة وأشباه ذلك ، وكقولهم في المرائي إن هذا الرزء أول حادث ، وإنه استوى فيه الأبعد والأقارب ، وإن الذهاب لم يكن واحدا وإنما كان قبيلة ، وإنه بعد هذا الذهاب لا يمد للنية ذنب ، وأشباه ذلك .

وكذلك يجرى الأمر في غير ما أشرت إليه من معان ظاهرة تتوارد الخواطر عليها من غير كلفة ، وتستوى في إيرادها ، ومثل ذلك لا يُطلق على الآخر فيه اسم السرقة من الأول ، وإنما يطلق اسم السرقة في معنى الخصوص كقول أبي تمام :

لا تنكروا ضربى له من دونه مثلاً شروداً في الندى والياس
قاله قد ضرب الأفل لنوره مثلاً من المشكاة والنهراس

فإن هذا معنى مخصوص ابتدعه أبو تمام ، وكان لا ابتداعه سبب والحكاية فيه مشهورة ، وهى أنه لما أنشد أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التى مطلعها « ما فى وقوفك ساعة من باس »^(١) انتهى إلى قوله :

إقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حليم أخف فى ذكاء إياس

فقال الحكيم الكندي : وأى فخر فى تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب ؟ فأطرق أبو تمام ، ثم أنشد هذين البيتين معتذرا عن تشبيه إياه بعمرو وحاتم وإياس ، وهذا معنى يشهد به الحال أنه ابتدعه ، فتنأتى من بعده بهذا المعنى أو بجزء منه فإنه يكون سارقاً له .

(١) من قصيدته فى مدح أحمد بن المعتصم (الديوان ٢/٢٤٢)

وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي في عضد الدولة وولديه :
 وأنت الشمسُ تَبْهَرُ كُلَّ عَيْنٍ فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مَعَهَا اثْنَتَانِ
 فَمَا شَأْنُ عَيْشَةِ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا بِضَوْسَهُمَا وَلَا يَتَحَاسَدَانِ
 وَلَا مَلَكًا سِوَى مُلِكِ الْأَعَادِي وَلَا وَرِثًا سِوَى مَنْ تَقْتُلَانِ
 وَكَانَ ابْنًا عَدُوًّا كَأَبْنَاهُ لَهُ يَأْتِي حُرُوفِ أَنْبِيَاءٍ (١)
 وهذا معنى لأبي الطيب ، وهو الذي ابتدعه أى أن زيادة أولاد عدوك
 كزيادة التصغير ، فإنها زيادة نقص .

وما ينبغي أن يقال إن ابن الرومي ابتدع هذا المعنى الذى هو :
 تُشْكِي الْحُبَّ وَتُفْنِي الدَّهْرَ شَاكِيَةً (٢)
 كَالْقَوْسِ تُضْمِي الرَّمَايَا وَهِيَ مِرْنَانٌ
 فإن علماء البيان يزعمون أن هذا المعنى مبتدع لابن الرومي ، وليس كذلك
 ولكنه مأخوذ من المثل المضروب ، وهو قولهم (يَلْدَغُ وَيَهْيُ) (٣) .
 ويضرب ذلك لمن يبتدىء بالأذى ثم يشكو ، وإنما ابن الرومي قد ابتدع معانى

(١) الديوان ٤٨٦/٤ من قصيدته التى مطلعها :

مفانى الشدب طينا فى المفانى بمنزلة الربيع من الزمان

(٢) أشكى الحب . تزيده أذى وتفعل به ما يوجب شكواه : تصمى الرمايا : تصيب
 المصيد فتقتله مكانه . وفى الأصل (يشكى ويلغى) ، لكن قبل البيت قوله :
 يارب حسنة منهن قد فعلت سوءا رقد تفعل الأسواء حسنا
 وهذا يعين تأنيث الفعلين .

(٣) يهى : يهى ، من صامت المقرب تصمى إذا صاحت ، ومنه حديث على رضى الله عنه
 « أنت مثل المقرب تلغ وتهى » أى تلغ وهى صائحة . تاج العروس مادة صأى

آخر غير ما ذكرته ، وليس الغرض أن يؤتى على جميع ما جاء به هو ولا غيره من
المعاني المتقدمة ، بل الغرض أن يبين المعنى المبتدع من غيره . والقى عندى فى
السرقا أن مى أورد الآخر شيئا من ألقاظ الأول فى معنى من المعانى ولو لفظة
واحدة فإن ذلك من أدل الدليل على سرقته .

واعلم أن علماء البيان قد تكلموا فى السرقا الشعرية فأكثرها ،^(١)
وكنف ألفت فيها كتابا ، وقسمته ثلاثة أقسام : نسخا وسلحا ومسحا .

أما النسخ فهو أخذ اللفظ والمعنى رمة من غير زيادة عليه ، مأخوذاً ذلك
من نسخ الكتاب .

وأما السلخ فهو أخذ بعض المعنى ، مأخوذاً ذلك من سلخ الجلد الذى هو
بعض الجسم المسلوخ .

وأما المسخ فهو إحالة المعنى إلى مادونه ، مأخوذاً ذلك من مسخ
الآدميين قرده

وما هنا قسمان آخران أخلفت بذكرهما فى الكتاب الذى ألقته ؛ فأحدهما
أخذ المعنى مع الزيادة عليه ، والآخر عكس المعنى إلى ضده ، وهذان القسمان
ايضا بنسخ ولا ساخ ولا مسخ :

(١) من العلماء والنقاد الذين درسوا السرقا القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز
الجزائى مؤلف الوساطة ، فقد قسم المعانى ثلاثة أقسام : المعانى المشتركة التى لا يجوز ادعاء السرقا
فيها ، والمعانى المبتدعة التى كانت فى أصلها مخترعة ثم استفادت وتنقلت فليس أحد أولى بها
من أحد ، والمعانى المختصة التى حازها المبتدع فلكها ، فصار المبتدع مختلصا سارقا
(الوساطة ١٧٩)

وكذلك أبو هلال المسكرى الذى أفاض فى الكلام فى السرقا وضروبها وتكلم فى
الأخذ الحسن ووسائله والبيع وضروبه (الصناعتين ١٩٦)

وكل قسم من هذه الأقسام يتنوع ويتفرع ويخرج به القسمة إلى مسالك دقيقة ، وقد استأنفت ما فاتني من ذلك في هذا الكتاب ، والله الموفق للصواب .

ومن المعلوم أن المرققات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها إلا بحفظ الأشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد ، فن رام الأخذ بنواصيها والاشتغال على قواصمها بأن يتصفح الأشعار تصحفا ويقنع بتأملها ناظرا ، فإنه لا يظفر منها إلا بالحواشي والأطراف ،

وكنت سافرت إلى الشام في سنة سبع وثمانين وخمسة ، ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يلتهجون بيت من شعر ابن الخياط في قصيدة لها ولها :

خذ من مَبا نجد أمانا لقلبه (١) .

ويزعمون أنه من المعاني الغريبة ، وهو .

أغارُ إذا آنت في الحى أنه حذارا عليه أن تكون لُحاه

(١) تكملة البيت : « فقد كاد رايها يطير بلبه »

وهو مطلع قصيدة لطيفة منها :

ولما كما ذاك النسيم فإنه	مضى هب كان الوجد أيسر خطبه
خليلى لو أحبيتها لعلمتا	محل الهوى من مفرم القلب صبه
تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى	يتوق ، ومن يعلق به الحب يصبه
غرام على يأس الهوى ورجائه	وشوق على بعد المزاد وقربه
وفى الركب مطوى الضلوع على جوى	مضى يدعه داعى الغرام يلبه
إذا خطر من جانب الرمل نفعة	تضمن منها داؤه دون صبه
ومحتجب بين الأسننة معرض	وفى القلب من إعراضه مثل حبه
أغار إذا آنت في الحى أنه	حذارا وخوفا أن تسكون لبه

والأبيات لأحمد بن محمد بن علي بن صدقة النغلي المعروف بابن الحياط الشاعر الدمشقي

الـ كاتب المذوق سنة ٤٩٧ هـ (السكامل لابن الأثير ١٢ / ١٩٣)

فقلت لهم : هذا البيت مأخوذ من شعر أبي الطيب اللثبي في قوله :

لَوْ قُلْتُ لِلدَّنْفِ الْمَشُوقِ فَدَيْتُهُ عَمَّا بِهِ لِأَعَزَّتَهُ بِفِدَائِهِ^(١)

وقول أبي الطيب أدقُّ معنى ، وإن كان قولُ ابن الخياط أرقَّ لفظاً .
ثم إنى وَقَفْتُهُمْ عَلَى مواضع كثيرة من شعر ابن الخياط قد أخذها من
شعر اللثبي .

وسافرت إلى الديار المصرية في سنة ست وستمين فوجدت أهلها يُعجبون
ببيت من الشعر يَعزُّونه إلى شاعر من أهل البين يقال له «عمارة»^(٢) ، وكان حديث
عهد بزماننا هذا في آخر الدولة العلوية بمصر ، وذلك البيت من جهة قصيدة له
يمدح بها بعض خلفائها عند قدومه عليه من البين وهو :

فَهَلْ دَرَى الْبَيْتُ أَنِي بَعْدَ فُرْقَتِهِ مَا سِيرْتُ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ^(٣)

فقلت لهم : هذا البيت مأخوذ من شعر أبي تمام في قوله مادحا لبعض

(١) من قصيدته التي مطلعها :

القلب أحلم يا عدول بدائه وأحق منك بحجفته وبمائه
الديوان ١/١ أى أن القلب أدرى منك أيها اللائم بدائه وما أدرك من ألم الهوى ، فهو يلتبس
شفاء في البكاء ويامر الجفن به .

الدنف : المريض من الشق . أغرته : بقتته على الغيرة . بفدائه : بفدائك إياه .
(٢) عمارة البني : شاعر سياسي كبير ولد سنة ٥١٥ هـ باليمن ، ثم رحل إلى مصر
سنة ٥٥٠ هـ في عهد الخليفة الفائز ووزيره يومئذ طلائع بن رزبك ، ونال من الكرم
ما ألج لسانه بالشكر .

ولما سقطت الدولة الفاطمية حزن عليها حزنا شديدا ، لكنه اضطر إلى مدح صلاح الدين
الأيوبي . ثم انضم بالاشتراك في مؤامرة لخلع صلاح الدين ، فسلم فبمن صلبوا سنة ٥٦٩ هـ
(٣) من قصيدته في مدح الخليفة الفائز بن الظاهر ووزيره الصالح ، التي مطلعها :

الحمد لله ليس بعد العزم والهمم حمدا يقوم بما أولت من النعم

(ديوان عمارة البني)

الخلفاء في حجة حجها ، وذلك بيت من جملة أبيات خمسة :

يا من رأى حرماً ينرى إلى حرَم طوبى لمنْ تَلِمَ يأتى ومُنْزَمٌ (١)
ثم قلت في نفسى يالله العجب ! ليس أبو تمام وأبو الطيب من الشعراء
الذين دَرَسَتْ أَسْماؤُهُمْ ، ولا هما من لم يُعْزَفْ ولا اشتهر أمره ، بل هما كما يقال
أشهر من الشمس والقمر ، وشعرهما دأب في أيدي الناس ، بخلاف غيرها ،
فكيف خَفِيَ على أهل مصر ودمشق بيتا ابن الخطيب وهمارة المأخوذان من
شعرهما ؟ وعلت حينئذ أن سبب ذلك عدم الحفظ للأشعار والاقتناع بالنظر
في دواوينها .

ولما نصبت نفسى للخوض في علم البيان ورمت أن أكون معدوداً من
علمائه ، علمت أن هذه الدرجة لا تنال إلا بنقل ما في الكتب إلى الصدور ،
والاكتفاء بالحفظ عن المسطور .

ليس بِمِلِّمٍ ما حَوَى الفِطْرُ ما القَلَمُ إلا ما حَوَاهِ الصَّدْرُ

ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وأنفذت شطراً من الشعر
في الحفوظ منه والمسموع ، فألقيته بحر الأيوقف على ساحله ، وكيف يُدْتَمَرُ
إلى إحصاء قول لم يخص أسماء قائله ؟ فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثر
فوائده ، وتنشعب مقاصده ، ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم في اتباع من
قَصَرَ نظره على الشعر القديم ، إذ المراد من الشعر إنما هو إبداع المعنى
الشريف في اللفظ الجزل واللاطيف ، ففى وجد ذلك فكل مكان خيمت
فهو بابل .

(١) ليس البيت بديوانه

وقد اكتفت في هذا بشعر أبي تمام حبيب بن أوس وأبى عبادة الوليد (البحتري) وأبى الطيب المنبي، وهؤلاء الثلاثة هم لآت الشعر وعزاه ومناثه^(١)، الذين ظهروا على أيديهم خسناته ومستحسناته، وقد حوت أشعارهم قرابة المئتين.

(١) يريد أنهم آله الشعر.

اللات : صنم كان لأهل الطائف وكانت قريش وسائر العرب تعظمه، وهو صخرة مربعة . وسموا به فقالوا : زيد اللات وتم اللات (الأصنام لابن السكلي ١٦) وقيل إنه بيت كان بنحلة فميدته قريش (تفسير الطبري ٣٥/٢٧) ويرى بروكلمان أن اللات هي الإلهة التي كانت تعرف في الطائف بالربة أي السيدة، وهي تقابل الأم الكبرى للالهة عشتار عند الساميين الشماليين (العرب والإمبراطورية الميرية ٢٧) وذكر الطبري أن اللات مشتقة من الله، ألحقت به التاء فأنت، كما قيل عمرو للمذكر واللاتني عمرة (تفسير الطبري ٣٤/٢٧) وطلت اللات إلى فجر الإسلام إذ بعث النبي أبانفيان والمغيرة بن شعبة لهدمها بالطائف (دحلان ٣٧٩/٢) بعد أن أسلمت ثقيف، وعلماها المغيرة يضرب بالمعول، وخرجت نساء ثقيف حسرا يكنين عليها ويتهمن بالجين رجالهن لأنهم لم يدافعوا عنها (ابن هشام ١٩٨/٤) المزى :

كانت المزى أعظم الأصنام عندهم . وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حراض، فبنى عليها بيت ؟ وكانوا يسمعون فيه الصوت . وسموا بها فقالوا عبد المزى . وكانوا يزورونها ويهدون إليها ويتقربون بالقبض عندها (الأصنام ١٨) ويختلف المؤرخون في عبادتها، فابن هشام يذكر أنهم قريش وبنو كنانة (السيرة ٨٧/٤) وغيره يذكر أنهم غطفان . وهي شجرة سمرة بعث إليها النبي خالد بن الوليد فقطعها . وزعموا أنها خرجت منها شيطانة مكشوفة الرأس تاهرة الشعر، تضرب رأسها وتولول فضربها خالد بالسيف فقتلها وهو يقول :

يا عذ كفر الله لا سبحانه
إني رأيت الله قد أهانك

فلما رحم إلى النبي أخبره بما فعل، فقال : تلك المزى ولن تمعبدا (أخبار مكة لللازقي ٧٤/١) والنيسابوري على هامش الطبري ٤١/٢٧ والزيبي دحلان على هامش السيرة الحلبية ٣٤٠/٢ . وتسمية المزى مشتقة من اسم الله تعالى العزيز أو هو مؤنث الأعز كما ذهب النيسابوري (الطبري ٣٤/٢٧) والنيسابوري على هامشه)

مناة :

أقدم أصنامهم ؟ كانت تعظمه الأوس والخزرج ومن ينزل يثرب ومكة وماحولها، وينحجون له ويهللون، وسموا به فقالوا عبد مناة وزيد مناة (الأصنام ١٣) . وهي صخرة سميت بذلك لأن دماء القرابين كانت تنحى عندها أي تراق وطلت فائقة إلى أن بعث النبي سعد بن زيد أو أبانفيان بن حرب أو علي بن أبي طالب فهدمها (الزيبي دحلان ٣٤٢/٢) ويرى بروكلمان أنها إلهة القضاء والقدر، وكانت معروفة في مكة، ثم شاعت عبادتها على الخصوص بين قبائل هذيل البدوية المجاورة (العرب والإمبراطورية الميرية ٧٧)

إلى فصاحة القدماء ، وجهت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء .

أما أبو تمام فإنه رَبُّ معانٍ ، وصَيْقَلُ البابِ وأذهان ، وقد شَهِدَ له بكل معنى مبتكر لم يَمْشِ فيه على أثر ، فهو غير مُدَاْفِعٍ عن مقام الإغراب الذي رَزَّز فيه على الأضراب .

ولقد مارستُ من الشعر كل أول وأخير ، ولم أقل ما أقول فيه إلا عن تنقيب وتنقيح ، فمن حفظ شعر الرجل وكشَفَ عن غامضه ، وراضٍ في فكره برائعه ، أطاعته أَعِنَّةُ الكلام ، وكان قوله في البلاغة ما قالت : إذما ، نَحْنُ مني في ذلك قول حكيم ، وتعلم تفوق كل ذي علم عليم .

وأما أبو عبادة البحتري فإنه أَحْسَنَ في سَبْكِ اللفظ على المعنى ، وأراد أن يَشْمُرَ فَعْنَى ، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبينما يكون في شَطَفِ نَجْدٍ إِذْ تَشَبَّهَتْ بِرَيْفِ العراق .

وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال : أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحتري . ولعمري إنه أنصف في حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن أبا عبادة أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، في اللفظ المصوغ من سلاحة الماء ، فأدرك بذلك بُعد المرام مع قربهِ إلى الأفهام . وما أقول إلا أنه أتى في مدانيه بأخلاط الفألية^(١) ، ورَقِيَ في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فَقَصَرَتْ عنه خطاه ، ولم يُنْطِلِ الشعر من قياده ما أعطاه ، لكنه حظي في شعره بالحكم

والأمثال ، واختصّ بالإبداع في وصف مواقف القتال .

وأنا أقول قولاً لست فيه مُتَأَثِّماً ولا منه مُتَلَمَّماً ، وذلك أنه إذا خاض في أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى وصف معركة كان لسانه تظن الفريقين قد تقابلا ، والслаحين قد تواصلوا ، فطريقه في ذلك تَصِلُ بسلكه ، وتقوم بعذر تاركه . ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة ابن حمدان فيصف لسانه ما أدى إليه عيانه . ومع هذا فإن رأيت الناس عاذلين فيه عن سَنَنِ التوسط ، فيما مُفَرِّط في وصفه وإما مُفَرِّط .

وهو وأن انفرد بطريق صار أبا عُذْرِهِ ، فإن سعادة الرجل كانت أكبر من شعره ، وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ، ومهما وصف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء .

ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لا تَظْلِمِينَ كَرِيباً بعد رؤيته إن الكرام بأشخام يَدَا خَتَمُوا
ولا تُبْلِ بشير بعد شاعره قد أُنْصِدَ القولُ حتى أُجِدَّ الصَّعَمُ (١)

ولما تأملت شعره بعين المَدَلَّةِ البعيدة عن الهوى ، وعين المعرفة التي ماضل صاحبها وما عَوَّى ، وجدته أقساماً خمسة : خمسٌ في الغاية التي انفرد بها دون غيره ، وخمسٌ من الشعر الذي يساويه فيه غيره ، وخمسٌ من متوسط الشعر ، وخمسٌ دون ذلك ، وخمسٌ في الغاية المتفجرة التي لا يُبْأَى بها ، وعدمها خير من وجودها ،

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

عني اليمين على الوضئ ندم ماذا يزيحك في إلبامك القسم

بل بئته أن الطريق أدم عند ملكك أن يهزم سيف الدولة ، فلما حارب سيف الدولة هزمه
الهيوان ١٦٧/٤ . شاعره : يريد نفسه .

ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها فإنها هي التي ألبسته لباس الملام ، وجعلت
عرضه شارة لسهام الأقوام . ولما نزلها هنا أن يسأل ويقول : لم عدلت إلى
شعر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم ؟ .

فأقول : إنني لم أعدل إليهم اتفاقاً ، وإنما عدلت إليهم نظراً واجتهاداً ،
وذلك أني وقفت على أشعار الشعراء قديماً وحديثاً ، حتى لم أترك ديواناً لشاعر
مفلق يثبّت شعره على الحك إلا وعرضته على نظري ، فلم أجد أجمع من ديوان
أبي تمام وأبي الطيب للمعاني الدقيقة ، ولا أكر استخراجاً منهما لطيف الأغراض
والمقاصد ، ولم أجد أحسن تهذيباً للألفاظ من أبي عبادة ، ولا أنقش ديباجة
ولا أبهج سبكاً ، فاخترت حينئذ دواوينهم ، لاشتغالها على محاسن الطرفين من
للمعاني والألفاظ . ولما حفظتها ألفت ما سواها مع ما بقي على خاطري من غيرها .

وقد أوردت في هذا الموضوع من السرقات الشعرية ما لم يورده غيري ،
ونبت على غوامض منها ، وكنت قدمت القول أني قسمتها إلى خمسة أقسام ،
منها الثلاثة الأول ، وهي النسخ والسلخ والمسخ ، ومنها القسمان الآخران ، وهما أظن
أبين ما تنقسم إليه هذه الأقسام من تشعبها وتفرعها فأقول :

(الفسخ)

أما النسخ فإنه لا يكون إلا في أخذ المعنى واللفظ جميعاً ، أو في أخذ المعنى
وأكثر اللفظ ، لأنه مأخوذ من نسخ الكتاب ، وعلى ذلك فإنه ضربان :

المقول :

يسمى وقوع الحافر على الحافر^(١) ، كقول امرئ القيس :

وَقِفْنَا بِهَا صَحْبِي عَلَى ظِلِّهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أُمِّي وَتَجَلِّ^(٢)

وكقول طرفة :

وَقِفْنَا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطْيَمِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أُمِّي وَتَجَلِّ^(٣)

وقد أكثر الفرزدق وجريز من هذا في شعرهما ، فنه ماوردًا فيه مورد

امرئ القيس وطرفة في تخالفهما في لفظة واحدة كقول الفرزدق :

أَتَمْدَلُ أَحْسَابًا لَثَامًا مُحَامَاتَهَا بِأَحْسَابِنَا إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ^(٤)

وكقول جرير :

أَتَمْدَلُ أَحْسَابًا كِرَامًا مُحَامَاتَهَا بِأَحْسَابِكُمْ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ^(٥)

(١) ذكر أبو هلال البتيني الآتين وغيرهما ، على أنه مما أخذ بلفظه ومعناه ، وادعى
أخذه أو ادعى له أنه لم يأخذه ، ولكن وقع له كما وقع للأول ، ثم علق على ذلك بأنه مريب
وإن ادعى الآخر أنه لم يسم قول الأول ، بل وقع لماذا كما وقع لذاك ، فإن صحة ذلك لا يعلمها
إلا الله عز وجل ، والمريب لازم للآخر (الصناعتين ٢٢٩) .

(٢) من مطلقته — الديوان ٩

(٣) من مطلقته . جبهة أشعار العرب ١٣٠

(٤) البيت بديوان الفرزدق :

أَتَمْدَلُ أَحْسَابًا لَثَامًا أَدَقَّةً بِأَحْسَابِنَا إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ

(الديوان ٥١٩/٢)

(٥) البيت كذلك في ديوانه ٣٧١

ومنه ما تساوى فيه لفظ كقول الفرزدق :

وغير قد نسقتُ مشمّراتٍ طوالع لا تطيقُ لها جوابا
بسكل مُذَيِّة وبسكل تفرّ غرائبهن تنفسبُ انتسابا
يلفنّ الشمس حين تكون شرقا ومسقط رأسيها من حيث غابا^(١)

وذلك قال جرير من غير أن يزيد .

وقد حكى أن امرأة من عقيل يقال لها ليلي كان يتحدث إليها الشباب ،
فدخل الفرزدق إليها وجعل يحادثها ، وأقبل فتى من قومها كانت تألفه ، فدخل
إليها فأقبلت عليه ، وترك الفرزدق ، ففاض ذلك فقال للفتى : أتصارعنى ؟
فقال : ذلك إليك ، فقام إليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق فصرة وجلس على
صدره ، فضرط فوثب الفتى عنه ، وقال يا أبا فراس ، هذا مقام المائذ بك والله
ما أردتُ ما جرى فقال : ويحك والله ما أبى أنك صرعتنى ، ولكن كأنى بآبن
الأتان - يعنى جريرا - وقد بلغه خبرى فقال بهجونى :

جلست إلى ليلي لتخطى بقربها نغانك دبر لا يزال يمحون
فلو كنت ذا حزم شددت وكاهه كما شد جربان الدلائس قيون

قال فوالله ماضى إلا أيام حتى بلغ جريرا الخبر ، فقال فيه هذين البيتين^(٢)
وهذا من أغرب ما يكون فى مثل هذا الموضع وأعجبه .

(١) الديوان ١٢٣/١ من هجائه لجرير . والبيت الأول فى الديوان هكذا :

وغير قد نسقت مشمّرات طوالع لا تطيق لها جوابا
وفيه (غواربهن) . وفى الأصل (وسقت)

(٢) ليس البيتان فى ديوان جرير

ويقال إن الفرزدق وجريرا كانا ينطقان في بعض الأحوال عن ضمير واحد ، وهذا عندي مستبعد ، فإن ظاهر الأمر يدل على خلافه ، والباطن لا يعلمه إلا الله تعالى ، والا فإذا رأينا شاعرا متقدما الزمان قد قال قولا ، ثم سمعناه من شاعر أتى من بعده علمنا بشهادة الحال أنه أخذ منه . وهب أن الخواطر تتفق في استخراج المعاني الظاهرة المتداولة ، فكيف تتفق الألسنة أيضا في صوغها الألفاظ ؟

ومما كنت أستحسنه من شعر أبي نواس قوله من قصيدته انتى أولها :
(دع عنك لوى فإن اليوم إقراء^(١)).

دارت على فتية ذل الزمان لهم فإيصيهم إلا بما شاءوا
وهذا من على الشعر ، ثم وقفت في كتاب الأغاني لأبى الفرج على هذا البيت في أصوات ممتد وهو :

لنقى على فتية ذل الزمان لهم فأصابعهم إلا بما شاءوا
وما أعلم كيف هذا^(٢).

(١) ديوان أبي نواس ٦ والبيت بالديوان هكذا :

دارت على فتية دان الزمان لهم فإيصيهم إلا بما شاءوا
(٢) رواية الأغاني (٢٤/١) : قال الوليد بن يزيد يوما : لقد اشتقت إلى معبد ، فوجه الريد إلى المدينة ، فأتى بمعبد ، وأمر الوليد ببركة قد هيئت ، فلبث بالحر والماء ، وأتى بمعبد فأجلس والبركة بينهما ، وبينهما ستر قد أرخى ، فقال له : غنى بمعبد ، ففناه هذه الأبيات
لنقى على فتية ذل الزمان لهم فأصابعهم إلا بما شاءوا
ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر هدها
أبكى فراقهم عيني وأرقها إن التفرق للأحباب بكاء
وفي الأغاني رواية أخرى ١٢٣/٦ تنوير هذه ، ملخصها أن الحمين بن الضحاك قال في قصيدة له مطلعها :

بدلت من نفعات الورد باللاء ومن صبوحك دار الإبل والشاة

الضرب الثاني من الفسخ :

وهو الذى يؤخذ فيه المعنى وأكثرا لفظ ، كقول بعض المتقدمين يمدح
مُعَبِّدًا صاحب الفناء :

أَجَادَ طَوْنِسٌ وَالشَّرِيفُ بَعْدَهُ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لَمَعِدُ
ثم قال أبو تمام .

مَحَاسِنُ أَصْنَافِ الْمَغْنِينَ جَمَّةٌ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لَمَعِدُ
وهذه قصيدة أولها :

غَدَتِ تَسْتَجِيرُ الدَّمَخَ خَوْفَ نَوَى غَدِ

فقال :

وَقَائِمُ أَصْلُ النِّصْرِ فِيهَا وَفَرُّهُ إِذَا عُدَّ الْإِحْسَانُ أَوْ لَمْ يُعَدِّ
فَهِيَ تَكُنْ مِنْ وَقَعَةٍ بَعْدُ لَا تَكُنْ سِوَى حَسَنِ مَا فَعَلَتْ مُرَدِّدٌ^(١)
محاسن أصناف المغنين جهة البيت .

== أبياتا ، أعجب بها ؛ فقال له سامعها : أنت تحوم حول أبي نواس فى قوله :

دع هناك لوى فإن اللوم لأغراء وداونى بالنى كانت مى الداء
وتفاضيا ، فاستدل سامعه بأبيات أبي نواس (دارت على فتية) ، وفى رواية أخرى أن
أبا نواس والحسين بن الضحاك تناخدا لصيدبتهما ، وحكما بينهما ابن مناذر .

(١) من قصيدته فى مدح أبي سميعة محمد بن يوسف الطائى ، ومطلعها فى الديونن

٢٢/٢ هكذا :

سرت تستجير الدمخ خوف نوى غد وعاد قتادا عندهما كل مرقد

السلخ

وأما السلخ فإنه ينقسم إلى اثني عشر ضربا ، وهذا تقسيم أَوْجَبَتْهُ الْقِسْمَةُ ،
وإذا تأملته علمت أنه لم يبق شيء خارج عنه .

فالأول : أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو إياه ، وهذا
من أدق السرقات مذهبا ، وأحسنها صورة ، ولا يأتي إلا قليلا ،
فن ذلك قول بعض شعراء الحماسة :

أقد زادني حبا لنفسي أنى بفيض إلى كل امرئ غير طائل^(١)

أخذ المثنى هذا المعنى ، واستخرج منه معنى آخر غيره ، إلا أنه شبيه به ، فقال :
وإذا أمتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأننى فاضل^(٢)

والعرفة بأن هذا المعنى أصله من ذاك للمعنى عسر فامض ، وهو غير متبين
اللمن أعرق في ممارسة الأشعار ، وخاص في استخراج المعاني ، وبيانه أن الأول
يقول إن بفض القى هو غير طائل إياى مما زاد نفسى حبا إلى ، أى جعلها في
عينى ، وحسنها عندى كَوْنُ القى هو غير طائل مبغضى ، والمثنى يقول : إن ذم
الناقص إياى شاهد بفضلى ، فذم الناقص إياه كبغض الذى هو غير طائل ذلك

(١) الشعر للطرماح بن حكيم الطائي (شرح الحماسة للدرزوقي ١/٢٢٧ والأفاني ١٠/١٥٠)
غير طائل : غير فاضل ، دون خيس .

(٢) من قصيدته في مدح القاضي أبي الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي ، ومطلعها :
لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت ومن منك أوائل
ورواية الديوان (بأنى كامل) وهى أولى من (فاضل) لتضاد كلمة ناقص الديوان ٣/٤٦٨

الرجل ، وشهادة ذم الناقص إياه بفضل كتبه حسن بنفض الذي هو غير طائل
نفس ذلك الرجل عنده .

ومن هذا الضرب ما هو أظهر مما ذكرته وأبين ، كقول أبي تمام :
رَعَتَهُ الْفِيَّافِي بَعْدَ مَا كَانَ حَقِيقَةً رَعَاهَا وَمَا هُوَ الرُّوضُ يَنْهَلُ سَائِكُهُ (١)

أخذ البهتري هذا المعنى واستخرج منه ما يشابهه ، كقوله في قصيدة يفخر فيها بقومه :
شَيْخَانِ قَدْ تَقَلَّ السِّلَاحُ عَلَيْهِمَا وَعَدَا هَا رَأَى السَّمِيعُ الْمُبْصِرُ
رَكِبَا الْفَنَّا مِنْ بَعْدِ مَا حَمَلَا الْفَنَّا فِي عَسْكَرٍ مُتَحَامِلٍ فِي عَسْكَرٍ (٢)

فأبو تمام ذكر أن الجبل رعى الأرض ثم سار فيها فرعته ، أى أهزلاته ،
فكانها فطت به مثل ما فعل بها . والبهتري نقل هذا إلى وصف الرجل
بملؤ السن والهرم ، فقال : إنه كان يحمل الرمح في القتال ، ثم صار يركب عليه ،
أى يتوكأ منه على عصا ، كما يفعل الشيخ الكبير .

وكذلك ورد قول الرجلين أيضا فقال أبو تمام :

لَا أَظْلِمُ النَّأْيَ قَدْ كَانَتْ خَلَاثَتُهَا

مَنْ قَبْلَ وَشَكِ النَّوَى عِنْدِي نَوَى قَدْ فَا (٣)

(١) من قصيدته في مدح أبي العباس عبد الله بن طاهر ، التي مطلعها :
هَنْ عَوَادِي يُوسُفُ وَصَوَاحِبِهِ فَمَزَ مَا قَدَمَا أُدْرِكُ السُّؤْلَ طَالِبِهِ
(الديوان ٢٣٠/١) الفيافي : الأماكن الخالية والفقر ، يريد أن مركوبه هزل من سيره
في الفقر بعد ما كان سمينا ، فكانها رعته بعد ما رمى نبتها .

(٢) من رثائه لقومه (الديوان ٤٥/٢) وفي الديوان البيت الثاني قبل الأول

(٣) من قصيدته في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي التي مطلعها :
أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرْنَ مَاسَلِفًا فَلَا تُسَكِّنُ عَنْ شَأْنِكَ أَوْ يَكْفَا
(الديوان ٣٥٩/٣) قذف بضم القاف والقال وفتحهما بعيدة ، أى لا أكذب على النأي
فأقول إنه فرق بيننا ، فقد كانت أخلاقها لي قبل الفراق فرقا يمنعني الوصول إليها .

أخذه البحرى فقال :

أَعَانِكَ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرَّبِي

إِلَيْكَ فَأَلْحَى الشَّيْبَ إِذْ هُوَ مُبْعِدِي ^(١)

وهذا أوضح من الذى تقدمه وأكثر بياناً .

الضرب الثانى من المعنى :

أن يؤخذ المعنى مجرداً من اللفظ ، وذلك مما يصعب جداً ، ولا يكاد يأتى إلا قليلاً .

فمنه قول عروة بن الورد من شعراء الحماسة :

وَمِنْ يَكُ مِثْلِي ذَاهِيَالٍ وَمُقْتَرَا

مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ

لِيَبْتَاعَ عُذْرًا أَوْ يَبْذُلَ رَغِيْبَةً وَمُبْتَاعٌ نَفْسٍ عُذْرَهَا يَمِثُلُ مُنْجِحٌ ^(٢)

أخذ أبو تمام هذا المعنى فقال :

فَنَقَى مَاتَ بَيْنَ الضَّرْبِ وَالطَّمَنِ مِيتَةً

تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ ^(٣)

فَعُرُوْةُ بْنُ الْوَرْدِ جَمَلَ اجْتِهَادَهُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ عُذْرًا يَقُومُ مَقَامَ النِّجَاحِ ،

(١) الديوان ١٩٦/١ من قصيدته فى مدح أحمد بن المديبر

(٢) شرح الحماسة للمرزوقى ٤٦٥/١ وديوان عروة بن الورد ٨٨ وفيهما (أو يصيب

رغيبه)

(٣) من رثائه لمحمد بن حميد الطوسى ، ومطالع القصيدة :

كَذَا فَلْيَجِلْ الْحَطَبُ وَلْيَقْدَحِ الْأَمْرُ فَلَيْسَ لَعْنٍ لَمْ يَفْضَ مَاؤُهَا عُذْرُ

الديوان ٣١٩ وفى الأغاني ٩٩/١٥ أبيات منها .

وأبو تمام جعل الموت في الحرب الذي هو غاية اجتهاد المجتهد في لقاء العدو قائما مقام الانتصار ، وكلا المعنيين واحد ، غير أن اللفظ مختلف .

وهذا الضرب في مرقاة المعاني من أشكها وأدقها وأغربها وأبعدها مذهبا ، ولا يفتن له ويستخرج من الأشعار إلا بعض الخواطر دون بعض . وقد يحى منه ما هو ظاهر لا يباغ في الدقة مبالغ هذه الأبيات المشار إليها ، كقول ابن المقفع في باب الرثاء من كتاب الحماسة :

فقد جسرنا نَفْثًا فَقَدْ نَاكَ أَثْنَا

أَمِنَّا عَلَى كَلِّ الرَّايا مِنَ الْجَزَعِ^(١)

وجاء بعده من أخذ هذا المعنى فقال :

وقد عَزَى ربيعةً أَنْ يَوْمًا عَلَيْهَا مِثْلَ يَوْمِكَ لَا يَمُودُ

وهذا من البديع النادر .

وهاهنا ما هو أشد ظهورا من هذين البيتين في هذا الضرب من المرقاة الشعرية ، وذلك يأتي في الألفاظ المترادفة التي يقوم بعضها مقام بعض ، وذلك لاعتداد بهلكان وضوحه

(١) من رثاء عبد الله بن المقفع ليحيى بن زياد أو لابن أبي العوجاء عبد الكريم شرح الحماسة للمرزوق ٨٦٣/٢ والتبريزي .

وابن المقفع هو أبو محمد عبد الله بن المقفع أحد الباقاء الأولين والمترجمين السابقين ، وهو من سلالة فارسية . كان أبوه المقفع مجوسيا ، وسبب تلقيبه بالمقفع أنه كان يعمل في جباية الحراج لولاية الرافق زمن بني أمية فخان في بعض المال فضر به الوالي حتى تقفمت يده أي تشنجت . ولد ابن المقفع حوالي ١٠٦ هـ وسماه أبوه روزبه ، ونشأ بالبصرة ، وتعلم على علماء عصره وطى أبيه ، وأجاد العربية والفارسية ، ثم كتب لولاية من بني أمية ومن بني العباس ، وترجم كثيرا من كتب الفرس إلى العربية وقتل سنة ١٤٢ هـ لضغينة سياسية ولأنها بالزندقة

لكن قد يحىء منه ما هو وصفه من صفات الترادف، لا الاسم نفسه، فيكون
حسناً كقول جرير :

وَلَا تَمْنَعُكَ مِنْ أَرْبٍ لِحَاظِهِمْ سِوَا ذُو الْعِمَامَةِ وَالْمَخَارِ (١)
أخذ أبو الطيب المتنبي هذا المعنى فقال :

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاقَةٌ كَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِصَابٌ (٢)

الضرب الثالث من السليخ :

وهو أخذ المعنى ويسير من اللفظ ، وذلك من أفصح السرقات وأظهرها
شناعة على السارق ، فمن ذلك قول البحرى فى غلام :

فَوَقَّ ضَعْفَ الصَّغِيرِ إِنْ وَكَلِ الْأُمْرَ

إِلَيْهِ وَدُونَ كَيْدِ الْكِبَارِ (٣)

سبقة أبو نواس فقال :

لَمْ يَخَفْ مِنْ كِبَرِهَا يُرَادُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ وَلَا أُرَى مِنَ الصَّغِيرِ (٤)

وكذلك قوله (البحرى) أيضا :

كُلُّ عَيْدٍ لَهُ إِقْضَاءٌ وَكُنْفَى كُلُّ يَوْمٍ مِنْ جُودِهِ فِي عَيْدٍ (٥)

(١) من قصيدته فى هجاء الفرزدق والبعث (الديوان ١٩٢) وقيل البيت بيت فاحش .
الأرب : الحاجة القبيحة التى ذكرها فى البيت السابق

(٢) من قصيدته فى مدح سيف الدولة بعد أن أوقع بهنى كلاب الخارجين عليه ، التى مطلعها
بنيرك راعياً عسب الذئاب وغيرك صارماً ظم الضراب
وهو يعبر فى البيت إلى ما فعله سيف الدولة بهم ؛ إذ سبى نساءهم ، فصار الرجال كالنساء ذلاً
وخزياً .

(٣) من قصيدته فى مدح أبى جعفر بن حميد واسمها به غلاما (الديوان ٢٥/٢) وفى
الديوان (الضارب) بدلاً من (للصغير) .

(٤) ليس البيت فى ديوانه

(٥) ليس البيت فى ديوانه .

أخذه من علي بن جبلة :

لأعيد يوم من الأيام منتظرًا والناس في كل يوم منك في عيد^(١)

وكذلك قوله (البحري) :

جاد حتى أفنى السؤال فلما باد منّا السؤال جاد ابتداء^(٢)

أخذه من علي بن جبلة :

أعطيت حتى لم تدع لك سائلاً وبدأت إذ قطع الغداة سؤالها

وقد انتضح البحري في هذه المأخذ غاية الافتضاح ، هذا على بسطة بابه في الشعر وفناه عن مثله .

وقد سلك هذا الطريق نحو الشراء ، ولم يستكفوا من سلوكها ،

فمن ذل ذلك أبو تمام فإنه قال :

قد قلصت شفاته من حفيظته فخيّل من شدة التمسيس مئتمها^(٣)

سبه عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن فقال :

وإذا شئت أن ترى الموت في صو

رة ليت في لبدني رثباً

فألفه غير أننا لبدناه أبيض صارم وأسمر غالي

تلق لنا قد قلصت شفاته فيرى ضاحكاً لعين الصيال

(١) هارميد المدح وبخاصة مدح أبي دلف المجل وحيد الطوسي والألمون (طبقات الشعراء لابن المقر ١٧٠ والضر والعمراء ٥٥٠)

(٢) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٣/١)

(٣) من قصيدته في مدح إسحاق بن إبراهيم (الديوان ١٦٥/٣) قلصت : أبرزت أسفانه من شدة الغضب

وكذلك قال أبو تمام .

فلم أمدحك تفخيماً بشعري ولكنني مدحت بك المدحاً^(١)

أخذه من حسان بن ثابت في مدحه للنبى صلى الله عليه وسلم حيث قال :

ما إن مدحت محمداً بمقاتي لكن مدحتُ مقاتي بمحمد^(٢)

ولاشك أن أبا بكر رضى الله عنه سمع قول حسان حيث استخلف عمر رضى

الله عنه ، فقال له عمر : استخلف غيري ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : ما حبوناك بها ، وإنما حبوناها بك .

وهكذا فعل ابن الرومى ، فما جاء له قوله :

جرّخته العميون فاقصص منها بجوى في القلوب دامي الندوب^(٣)

سبقه أبو تمام فقال :

ذميت بالاحطّات وجنته فاقصص ناظره من القلب^(٤)

(١) من مدحه لإسحاق بن إبراهيم (الديوان ١/ ٣٤٥)

(٢) ليس البيت بديوان حسان .

وحسان هو حسان بن ثابت الأنصارى الخزرجى التجارى أشعر شعراء رسول الله . وقد عمر طويلاً حتى كلف بصره في حياته ، ومات سنة ٦٤ هـ زمن معاوية عن عشرين ومائة سنة . كان حسان من بيت عريق في الشعر ، إذ كان أبوه وجده شاعرين ، وكان ابنه عبد الرحمن وحفيده سعيد بن عبد الرحمن شاعرين . واشتهر حسان بأنه شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي زمن النبوة ، وشاعر النبيين كلها في الإسلام .

(٣) ديوان ابن الرومى ١٧٣/٢

الندوب : الجروح . الجوى : الألم والوجد .

(٤) لم نجد البيت في ديوانه

وكذلك قول ابن الرومي :

وَكَلِّتُ نَجْدَكَ فِي اقْتِضَائِكَ حَاجَتِي وَكُنِّي بِهِ مُتَقَاضِيَا وَوَكِيلَا^(١)
سبقه أبو تمام فقال :

وَإِذَا الْهَجْدُ كَانَ عَزَّيْنِي عَلَى الْمَرْءِ تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضَى^(٢)
وكذلك قال ابن الرومي :

وَمَالِي عِزًّا عَنْ شَبَابِي عَلِمْتُهُ سَيَوِي أَنِّي مِنْ بَعْدِهِ لَا أَخْلُدُ^(٣)
سبقه منصور البري فقال :

قَدْ كِدْتُ أَقْضِي عَلَى فَوْتِ الشَّبَابِ أُمِّي لَوْلَا تَعَزَّيُّ أَنْ الْعَيْشَ مُنْقَطِعُ^(٤)
وكذلك فعل أبو الطيب المتنبي ، فما جاء منه قوله :

فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ النَّصَارِ وَأَغْطَى صُدُورَ الْقَنَاءِ الذَّائِلِ^(٥)

(١) ليست بديوانه المطبوع .

(٢) من قصيدته في مدح ابن أبي دؤاد التي مطلعها :

بدلت هجرة من الإجماع يوم شدوا الرجال بالأفراض
(الديوان ٣١٦ / ٢)

(٣) الديوان ٣٩٤ من قصيدته التي مطلعها :

أبين ضلوعي حجرة تتوقد على ما مضى أم حسرة تتجدد

(٤) من قصيدته في مدح الرشيد (الأغاني ١٢ / ١٨) ومنها في الشباب :

ما تنقض حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يرتجم
بان الشباب وفاتني بلذته صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أوفي شبابي كنه غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبسم
ومصور النمرى كان هند الرشيد مقدما ، وكان الرشيد يعطيه ويجزل له ، وكان يظهر
بأنه عباسي المذهب وهو في باطن نفسه شيعي .

(٥) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما استنقذ من أسر الحارثي أبا وائل تغلب بن

داود ، ومطلعها :

إلام طماعية العاذل ولا رأي في الحب للعاقل =

أخذه من قول الفرزدق :

كَانَ الْفِدَاءُ لَهُ صُدُورُ رِمَاحِنَا وَالْخَيْلُ إِذْ رَهَجَ الْغُبَارُ مُثَارٌ^(١)

وكذلك قوله (المتنبي) أيضاً :

أَيْنَ أَرْمَمْتَ أَيُّهُمْ هَذَا الْهَامُ نَحْنُ نَبَتْ الرُّبَا وَأَنْتَ الْغَامُ^(٢)

أخذه من بشار حيث قال :

كَانَ النَّاسَ حِينَ تَغِيْبُ عَنْهُمْ نَبَاتُ الْأَرْضِ أَخْطَاهُ الْقَطَارُ^(٣)

وكذلك قوله (المتنبي) :

فَلَا زَالَتْ دِيَارُكَ مُشْرِقَاتٍ وَلَا دَانَيْتَ يَا شَمْسُ الْغُرُوبَا

لَأُضْبِحَ آمِنًا فِيكَ الرَّزَايَا كَمَا أَنَا آمِنٌ فِيكَ الْعُيُوبَا^(٤)

== (الديوان ٣ / ١٨٦) النضار : الذهب . القنا الذابل : الرماح . أى ضمن لهم الذهب ثم أعطاهم صدور الرماح . وذلك أن سيف الدولة استنقذه من أيديهم بغير فداء، إذ أتى الخارجى بجيشه وقتله وأتخذ أبا وائل .

(١) من قصيدة له في مناقضة جرير (الديوان ٢ / ٤٦٩)

(٢) مطلع قصيدته في مدح للتنبي حينما عزم على الرحيل عن أنطاكية .

(الديوان ٤ / ٧٩) .

(٣) من قصيدته في الفخر (الديوان ٣ / ٢٤٧) والبيت في الديوان :

كَانَ النَّاسَ حِينَ تَغِيْبُ عَنْهُمْ نَبَاتُ الْأَرْضِ أَخْلَفَهُ الْقَطَارُ
القطار : بكسر القاف جمع قطار وقطرة والمراد المطر ، وبضم القاف المطر الغزير .

(٤) من قصيدته في مدح علي بن محمد بن سيار التميمي .

(الديوان ١ / ١٦٧) التي مطلعها :

ضروب الناس عشاق ضروباً فأعذرهم أشفهم حبيباً

أخذه من ابن الرومي حيث قال :

أَسْلِمٌ قَدْ سَلِمَتْ مِنْ الصُّيُوبِ أَلَا قَسَلَمٌ كَذَاكَ مِنَ الْخُطُوبِ^(١)

والذي عندي في الضرب للشار إليه أنه لابد من مخالفة المتأخر المتقدم ،
إما بأن يأخذ المعنى فيزيده معنى آخر ، أو يوجز في لفظه ، أو يكسوه عبارة
أحسن من عبارته .

ومن هذا الضرب ما يستعمل على وجه يزداد قبحه ، وتكثر البشاعة به ،
وهو أن يأخذ أحد الشعراء معنى من قصيدة لصاحبه على وزن وقافية ، فيودعه
قصيدة له على ذلك الوزن وتلك القافية ، ومثاله في ذلك كمن سرق جوهرة من
طوق أو نطاق ، ثم صاغها في مثل ماسرقة منه ، والأولى به أن كان نظم تلك
الجوهرة في عقد أو صاغها في سوار أو خلخال ليكون أكرم لأمرها .

ومن فعل ذلك من الشعراء فافتضح أبو الطيب المتنبي حيث قال في قصيدته
التي أولها : (غیری بأكثر هذا الناس ینخدع^(٢)) .

لم یُسَلِّمَ السَّكْرُ فِي الْأَعْقَابِ مُهْجَتَهُ إِنْ كَانَ أَسْلَمَهَا الْأَضْحَابُ وَالشَّيْعُ

وهذه القصيدة مصوغة على قصيدة لأبي تمام في وزنها وقافيتها أولها :
« أی القلوب علیکم لیس ینصدع^(٣) » .

(١) من قصيدته في مدح سالم بن عبد الله بن عمر الأخباري (الديوان ٢٩٥/١)

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة ؛ التي مطلعها :

غیری بأكثر هذا الناس ینخدع إِنْ قَاتَلُوا جَبَنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا

(الديوان ٣٩٣/٣) يقول إن هذه الواقعة التي هزم فيها المسلمون قد خذل فيها الجند سيف
الدولة لكتبه كره على الأعداء بنفسه ، فدافعت نفسه عن نفسه

(٣) الديوان ٣٢٢ في رثاء بني حيد

وهذا للمنى الذى أورده أبو الطيب مأخوذ من بيت منها وهو :
 ما طالب عنكم من الإقدام أكرمه فى الرّوع إذ غابت الأنصار والشّيم
 وليس فى السرقات الشّرية أفصح من هذه السرقة ، فإنه لم يكتف الشاعر
 فيها بأن يسرق للمنى حتى ينادى على نفسه أنه قد سرقه .

الضرب الرابع منه الصلح :

وهو أن يؤخذ للمنى فيعكس ، وذلك حسن يكاد يخرج منه حسنة عن حد
 السرقة ، فن ذلك قول أبى نواس :

قالوا عَشِقْتَ صغيرةً فَأَجَبْتُهُمْ أَشْهَى الْمَطِيِّ إِلَى مَالٍ يُرْكَبُ
 كَمْ بَيْنَ حَبَّةِ لَوْلُوٍ مَشْفُوءَةٍ لَيْسَتْ وَحَبَّةِ لَوْلُوٍ لَمْ تُشَقَّبِ (١)

فقال مسلم بن الوليد فى عكس ذلك :

إِن لِلطَّيَةِ لَا يَلْذُ رُكُوبُهَا حَتَّى تُذَلَّ بِالزَّمامِ وَتَرْكَبَا
 وَالْحُبُّ لَيْسَ بِنَافِجٍ أَرْبَابُهُ حَتَّى يُفْصَلَ فِي النَّظَامِ وَيُنْقَبَا (٢)

ومن هذا الباب قول ابن جعفر :

ولما بَدَأَ لى أَنها لَا تُرِيدُنِي وَأَنْ هِوَاها لَيْسَ عَنِّي بِمُنْجَلِي
 تَمَنَيْتُ أَنْ تَهْوَى سِوَايَ لَعَلَّما

تَذُوقُ صَبَابَاتِ انْهَوَى فَتَرَقَّ لى (٣)

(١) الديوان ٢٩ (المطبعة المومنية)

(٢) الديوان ٣٠٥

(٣) هو علي بن عبد الله بن جعفر يذهب نسبة إلى أبي طالب ، وهو قاتل هذين البيتين
 (الأغانى ١٩/١٤٢) وفى الأغاني (لاتردنى)

وقال غيره :

ولقد سرّني صدودك عني في طلائيك وامتناعك عني
حذراً أن أكون مفتاح غيري وإذا ما خلوت كنت التمني

أما ابن جعفر فإنه تذاب (١) وألقى عن منكبه رداء الغيرة ، وأما الآخر
فجاء بالضد من ذلك وتعالى به غاية الغلو .

وكذلك ورد قول أبي الشَّيْص :

أجدُ اللامة في هواك قديزة شغفاً بذكرك فليمني اليوم (٢)
أخذ أبو الطيب للضمي هذا المعنى وعكسه فقال :

أُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنْ لِللَّامَةِ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ (٣)

وهذا من السرقات الخفية جداً ، ولأن يسمي ابتداء أولى من أن يسمي
سرقة ، وقد توخيت في شيء من شمرى فجاء حسناً ، فمن ذلك قولي :

(١) ورد في الأغاني ١٤٢/١٩ نسبة البيت إلى ابن جعفر أيضاً . وذلك أن التوكل
سأله عن تدبته في البيتين الأولين فقال له ابن جعفر : جعلت فداك ، اسمع بيتين قلتهما في
الغيرة ، وأنشد البيت .

(٢) تذاب وتذاب : استغنى وتحايل ، من تذاب للناقة إذا استغنى لها مقبها
بالذنب ليطفها على غير ولدها .

(٣) في الأغاني أن علي بن عبد الله أنشد لنفسه أبياتا ، منها هذا البيت (الأغانى
١٤٢/١٩) وفي المقد القديم ٣٧٤/٥ نسبتها إلى أبي الشَّيْص ، وكذلك في شرح الرزوقي
للحماسة ٣٧٣/٣ . أما الشاعر فاسمه محمد بن عبد الله بن رزين ، وهو ابن عم دهل الشاعر
وكان في زمن الرشيد معاصراً لأبي نواس ، والشَّيْص معناه في الأصل التمر الرديء .
والآيات هي :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد اللامة في هواك قديزة حبا لذكرك فليمني اليوم
أشبهت أعدائي فصررت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهم
وأمنت نفسي صاغراً مامن يهون عليك ممن يكرم

(٤) من أبيات أجازها باقتراح سيف الدولة (الديوان ١/١)

لولا الكرام وما سَنُوهُ من كَرَمٍ لم يَذِرْ قَاتِلُ شِعْرِ كَيْفَ يَمْتَدِّحُ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَالِمٍ :

وَلَوْلَا خِلَالُ سَنَى الشَّرِّ مَا دَرَى
بُنَاةُ الْمَلَأِ مِنْ ابْنِ تَوْتَى الْمَكَارِمِ (١)

الضرب الخاص من الملح :

وهو أن يؤخذ بعض المعنى ، فمن ذلك قول أمية ابن أبي الصلت يمدح
جدهم جُدعان :

عَطَاكَ زَيْنٌ لَامَرِيءَ إِنْ حَبَوْتَهُ يَهْذِلُ وَمَا كُلُّ عَطَاءٍ يَزِينُ
وَلَيْسَ بِشَيْءٍ لَامَرِيءَ يَهْذِلُ وَجْهَهُ إِلَيْكَ كَمَا بَعْضُ السُّؤَالِ يَشِينُ (٢)
أَخَذَهُ أَبُو تَامٍ فَقَالَ :

تُدْعَى عَطَايَاهُ وَفَرَأَوْفَى إِنْ شِهَرَتْ كَانَتْ فَخَارًا لِمَنْ يَفْقُوهُ مُؤَنَّفًا
مَا زِلْتُ مَتَقَطِّرًا رُغْبَةً زَمَنًا حَتَّى رَأَيْتُ سَوْأًا يَخْتَنِي شَرَفًا (٣)
فَأَمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أُنِيَ بِمَعْنِيَيْنِ اثْنَيْنِ ؛ أَحَدُهُمَا أَنَّ عَطَاءَكَ زَيْنٌ ، وَالْآخَرُ أَنَّ

(١) من قصيدته في مدح أحد بن دواد (الديوان ١٨٣/٣) وفي الديوان (بناة الندى)

(٢) الأغاني ٣/٨ والديوان ٦٣

أمية شاعر جاهل حفل ديوانه بالتوحيد والكونيات والبث والحساب الخ قال فيه
الأصمعي ذهب أمية في شعره بعامية ذكر الآخرة ، وذهب عنبرة بعامية ذكر الحرب ، وذهب عمر بن
أبي ربيعة بعامية ذكر القباب (الأغاني ١٢٥/٤) وقد أدرك الإسلام وتوفي سنة ٩٠ هـ وكان
قد قرأ الكتب واتصل بالقدسيين وليس الموح و تنسك و حرم الخمر والالوان
وعبد الله بن جدعان جواد عربي مشهور ربما كان النبي يحضر طعامه ، وقد حضر في داره
قبل النبوة خلفا لرد المظالم

(٣) من مدحه لأبي ذلف الجبل مطلقا .

أما الرسوم فقد أذكرن ماسلفا فلا تنكفي من شأنك أو يسكفا

(الديوان ٣٦٥/٢)

خطاه غمرك شين ، وأما أبو تمام فإنه أتى بالمعنى الأول لاغير .

ومن هذا الضرب قول علي بن جبلة :

وَأَثَلَ مَالِمْ بِمَجْهَوْلٍ مُتَقَدِّمٍ وَإِنْ نَالَ مِنْهُ آخِرٌ فَهُوَ تَائِبٌ

قال أبو الطيب المتنبي :

تَرَفَّعَ عَنْ عَوْنِ الْمَكَارِمِ قَدْرُهُ فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إِلَّا عَذَارِيَا^(١)

فعل بن جبلة اشتغل ما قاله علي مضمين : أحدهما أنه فعل مالم يفعل أحد من تقدمه ، وإن نال منه الآخر شيئا فإنما هو مقتدبه وتابع له . وأما أبو الطيب فإنه لم يأت إلا بالمعنى الواحد ، وهو أنه يفعل مالا يفعل غيره ، غير أنه أبرزه في صورة حسنة .

ومن ذلك قول أبي تمام :

كَلِمَةُ رَبِّ الْأَعْمَدِ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُبْتَدَأْ عَرَفَ إِذَا لَمْ يُقَدِّمْ^(٢)

قال البحتري :

وَمِثْلُكَ إِنْ أَبْدَى الْفَعَالَ أَحَادَهُ وَإِنْ صَنَعَ لِلْعُرُوفِ زَادَ وَتَمَامُ^(٣)

فأبو تمام قال إن للمدح يرُب صنيعه ، أى يستديمه ، ويعلم أنه إذا لم

(١) من قصيدته في مدح كافور التي مطلعها :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب الدنيا أن يكن أمانيا
(الديوان ٢٨/٤) المون : جم عوان وهى التى فوق البكر دون الفارض . المذارى :
جم عذراء وهى البكر ، أى أنه أجل قنرا من أن يفعل فى المكرمات فعلا قد سبقه إليه
أحد ، وإنما يأتى بها ابتداء

(٢) من مدحه لابن شيبان ٢٤٨/٣

(٣) من قصيدته في مدح الفتح بن خافان التي مطلعها :

يهون عليها أن آيت متيا أحالج شوقا في الضمير مكتبا
(الديوان ٢٢٧/٢)

يستدله فما ابتدأه ، والبحترى قال إنه يستديم صنيعة لاغير ، وذلك بعض ما ذكره أبو تمام .

وكذلك قال البحترى :

اذْفَعْ بِأَمْنَالِ أَبِي غَالِبٍ عَادِيَةَ الْعُدَمِ أَوْ اسْتَعْفِفِ^(١)

أخذه عن تقدمه ، حيث قال :

انْتَجِ الْفَضْلَ أَوْ تَحُلْ عَنِ الدُّنْيَا فَهَاتَانِ غَايَةُ الْهِمَمِ

فالبحترى أخذ بعض هذا المعنى ولم يستوفه .

وكذلك ورد قول ابن الرومي :

نَزَلْتُمْ عَلَى هَامِ الْمَعَالَى إِذَا ارْتَنَى إِلَيْهَا أَنْفُسٌ غَيْرُكُمْ بِالسَّلَامِ^(٢)

أخذه أبو الطيب المتنبى فقال :

فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ مَا طَلَبُوا فَإِذَا أَرَادُوا غَايَةَ نَزَلُوا^(٣)

وهذا بعض المعنى الذى تضمنه قول ابن الرومي ، لأنه قال إنكم نزلتم على

هَامِ الْمَعَالَى وإن غيركم يرقى السهارجيا ، وأما المتنبى فإنه قال إنكم إذا أردتم غَايَةَ نَزَلْتُمْ ،

وأما قوله (فوق السماء) فإنه يعنى عنه قول ابن الرومي (نزلتم على هَامِ الْمَعَالَى) إذ

للمعالي فوق كل شيء ، لأنها مختصة بالعلو مطلقا .

(١) من قصيدته في مدح أبي غالب أحد بن المدير التى مطلعها :

لَمْ تَبْلُغِ الْحَقَّ وَلَمْ تَنْصَفْ عَيْنَ رَأَتْ بَيْنًا فَلَمْ تَذَرَفْ

(الديوان ١٠٢/٢)

(٢) ليست بديوانه المطبوع

(٣) من مدحه لمعبد الدولة بقصيدة مطلعها :

اَثَلْتُ فَإِنَّا أَبْيَا الطَّلَلِ نَبِيٌّ وَتَرْزَمُ تَحْتُنَا الْإِبِلُ

(الديوان ٣٧/٤)

النضرب السادس من السليح :

وهو أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر ، فمما جاء منه قول الأخنس بن شهاب :
إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَانُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانًا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنَضَارِبُ^(١)

أخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه ، وهو قوله :

إِنْ قَصُرَ الرَّمْحُ لَمْ يَمْشِ الْخَطَا عَدَدًا
أَوْ عَرَدَ السِّيفُ لَمْ يَهْمَمْ بِتَقْرِيدِ^(٢)

وكذلك ورد قول جرير في وصف أبيات من شعره :

غَرَائِبُ أَلْفٍ إِذَا حَانَ وَرْدُهَا أَخَذْنَ طَرِيقًا لِقَصَائِدِ مُعَلَّمَا^(٣)

أخذه أبو تمام فزاد عليه ، إذ قال في وصف قصيدة له ، وقرن ذلك
بالممدوح :

غَرَائِبُ لَأَتَّ فِي فَنَائِكَ أَنْسَمَا

مِنَ الْمَجْدِ فَهِيَ الْآنَ غَيْرُ غَرَائِبِ^(٤)

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ٢/٢٢٧ وفيه (وإن قصرت)

وهو الأخنس بن شهاب بن شريق ينتهي نسبه إلى تغلب ، شاعر جاهلي قديم قبل
الإسلام بدهر . وهو غير الأخنس بن شريق الثقفي الصحابي

(٢) من قصيدته في مدح داود بن يزيد المهلبى (الديوان ١٥٩) تمرید : عدم قطع ،
أى لم يهم بإبعاد السيف عن الضريبة

(٣) من قصيدته في هجاء البعيث (الديوان ٥٤٢) والنسب في الديوان :

فَأَنَّى لَهَا جِيهَمٌ بِكُلِّ غَرِيبَةٍ شُرُودُ إِذَا السَّارَى بَلِيلٌ تَرْنَمًا
غَرَائِبُ أَلْفَا إِذَا حَانَ وَرْدُهَا أَخَذْنَ طَرِيقًا لِقَصَائِدِ مُعَلَّمَا

(٤) من مدحه لأبى دلف بقصيدة مطلقها :

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَاعِبِ أَذْيَلَتْ مَصُونَاتِ الدَّمُوعِ السَّوَاكِبِ

(الديوان ١/٢٢١)

وكذلك ورد قول ولد مسنمة بن عبد الملك :

أذلّ الحياض وكُرّة اللّيت وكُلّا أراه طامعا وبَيْلا
فإن لم يكن غمّ إحداها فنهأ إلى اللوت سيرا جملا
أخذه أبو تمام فقال :

مَثَلَ اللوت بين عينيه والحدّ لّ وكُلّا رآه خطبا عظيما
ثم سارت به الحسيّة قدما فأما العدا ومات كريما^(١)
فزاد عليه بقوله « فأما العدا ومات كريما » .

وبروى أنه نظر عبد الله بن طي رضى الله عنه عند قتال الروانة إلى فتى
عليه أبهة الشرف ، وهو يولي في القتال بلاء حسنا ، فناده : يا فتى لك الأمان ،
ولو كنت مروان بن محمد . فقال : إلا أكنه فلت بدونه .

قال : فلك الأمان ، ولو كنت من كنت . فأطرق ثم تمثل جهذين البيهقي للذكورين .
وكذلك ورد قول أبي تمام :

يصدّ عن الدنيا إذا منّ سودّد ولو برزت في زيّ عذراء ناهد^(٢)
أخذه من قول ابن المعتز بن غيلان :

ولست بنظّار إلى جانب الملا إذا كانت التلياء في جانب النقر^(٣)

(١) الديوان ٣٣٤ في رثاء جعفر الطائي

(٢) من مدحه لابن الحسن محمد بن الهيثم بن شبابة التي مطلعها .

فقوا جدودا من عهدكم بالمهاد وإن هي لم تسع لشدان ناشد

(الديوان ٦٨/٢)

(٣) تصويب اسمه من الأغاني ١٢ / ٥٤ وكان في الأصل المذل ، بغير ابن .

إلا أنه زاده زيادة حسنة بقوله : « ولو برزت في زى عذراء فاهد » .

ومما يجرى هذا الجرى قول البحترى :

خَلَّ عَنْنَا فَإِنَّمَا أَنْتَ فِينَا وَאוֹعֲמִירוֹ أَوْ كَالْحَدِيثِ لِلنُّعَادِ (١)

أخذه من قول أبي نواس :

قُلْ لِمَنْ يَدْعِي سَلِمَتِي سَفَاهَا لَسْتُ مِنْهَا وَلَا قُلَامَةٌ ظَفِيرُ
إِنَّمَا أَنْتَ مُلْصَقٌ مُنْطَلِقٌ وَأَوِ الْحِقْتُ فِي الْمَجَاءِ ظُلُمًا بِمَمْرٍ (٢)

إلا أن البحترى زاد على أبي نواس في قوله : أو كالحديث المعاد .

وهكذا ورد قول البحترى أيضاً :

رَكِبُوا الْفَرَاتَ إِلَى الْفَرَاتِ وَأَمْلُوا جَذْلَانِ يُبْدِعُ فِي السَّمَاحِ وَيُغْرِبُ (٣)

أخذه من مسلم بن الوليد في قوله :

رَكِبْتُ إِلَيْهِ الْبَحْرَ فِي مَوْخِرَاتِهِ فَأَوْفَتْ بِنَا مِنْ بَعْدِ بَحْرِ إِلَى بَحْرِ (٤)

== وهو عبد الصمد بن المنذر بن غيلان . وفي الأغاني :

وَلَسْتُ بِمَيَّالٍ إِلَى جَانِبِ الْفَقْرِ إِذَا كَانَتْ الْقَلِيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ
وَإِنِّي لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنْبَغِي وَحَسْبُكَ أَنْ أَقْهَ أَتْنِي عَلَى الصَّبْرِ

(١) من هجائه لعل بن الجهم (الديوان ١/١٩١)

(٢) في هجاء أشجع السلمي (الديوان ٥٤٥) وكان في الأصل (سلياً) والبيت

الغاني بالديوان :

إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ سَلِمَى كِرَادٍ الْحِقْتُ فِي الْمَجَاءِ ظُلُمًا بِمَمْرٍ

(٣) من مدحته لإسحاق بن إبراهيم بن مصعب (الديوان ٦٢/١) .

(٤) الديوان ١١١ وروى ركبنا إليه البحر . مؤخراته : أو آخر ركوبه . والضيق
في أوفت يعود على السفينة المذكورة قبل ذلك

إلا أن البحترى زاد عليه بقوله : « جذلان يبدع في الدجاج ويفرب » .

وكذلك ورد قول أبي نواس :

وليس لله مُشْتَكِرٌ أن يَجْمَعَ المَالَمَ في واحدٍ^(١)

وهذا البيت قد لُحِجَ به الناس لهجا كثيرا ، ومنهم من ظنه مبتدعا لأبي نواس ، ويحكي عن أبي تمام أنه دخل على ابن أبي دواد^(٢) فقال له : أحسبك عاتبا يا أبا تمام ، فقال : إنما يُقْتَبُ عَلَى واحد ، وأنت الناس جميعا ؛ قال : من أين هذه يا أبا تمام ؟ قال : من قول الخاذق أبي نواس ، وأنشده البيت ، وهذه الحكاية عندي موضوفة لأن أبا تمام كان عارفا بالشعر حتى إنه قال : لم أنظم شعرا حتى حفظت سبعة عشر ديوانا للنساء خاصة دون الرجال ، وما كان يخفى عليه أن هذا المعنى ليس لأبي نواس ، وإنما هو مأخوذ من قول جرير :

إذا عَصِيتَ عليك بَنُو تميم حَسِبْتَ الناسَ كُلَّهُم غَضابا^(٣)

إلا أن أبا نواس زاد زيادة حسنة ، وذلك أن جريرا جعل الناس كلهم بنى تميم ، وأبا نواس جعل العالم كله في واحد ، وذلك أبلغ .
ومما ينتظم في هذا السلك قول الفرزدق :

(١) من مدحته لما رون الرشيد (الديوان ٤٥٤)

(٢) هو ابن أبي دواد الإباضي ، كان من جالة العلماء في عصر المأمون ، وقد عرف فضله ، فأوصى أخاه المعتصم به ، وكتب في كتاب الوصية له بالخلافة « وأبو عبد الله أحمد بن أبي دواد لا يفارئك ، أشرك في المشورة في كل أمرك ، فإنه موضع ذلك » فكان المعتصم لا يفعل فعلا باطنا ولا ظاهرا إلا برأيه ، ثم حُفِيت حاله كذلك عند الوائق بعد المعتصم ، ثم فُلج في خلافة المتوكل ومات سنة ٢٤٠ هـ .

ويقول ابن خلكان « دواد » بضم الدال وفتح الواو . وفي القاموس المحيط في مادة « داود » : وأحد بن أبي دواد معروف . ومن هذا يظهر لك خطأ من يهيز الواو ، وقد وقع في ذلك كثير .

(٣) الديوان ٧٨ من قصيدته في هجاء الراعي النبري

عَلَامَ تَلَفَّتَيْنِ وَأَنْتِ تَنْحِي وَخَيْرُ النَّاسِ كُلُّهُمْ أُمَامِي
مَتَى تَأْنِي الرُّصَافَةَ نَسْتَرْجِي مِنْ الْأَنْسَاعِ وَالِدَبْرِ الدَّوَامِي^(١)

أخذه أبو نواس فصار أملاك به ، وأحسن فيه غاية الإحسان ، فقال :

وَإِذَا اللَّطِيُّ بِنَا بَلَعَنَّ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ^(٢)

فأمر ردق قال : (تسترجي من الأنساع والدبر الدوامي) وليست استراحتهما
بمانعة من معاودة إنسابها مرة أخرى ، وأما أبو نواس فإنه حرم ظهورهن على
الرجال ، أي أنها تُغْفَى من السفر إعفاء مستمرا ، ولا شك أن أبا نواس لم ينتبه
لهذه الزيادة إلا من فعل العرب في السَّائِبَةِ وَالْبَحِيرَةِ^(٣) .

وعلى هذا الأسلوب ورد قول اللقي :

وَمَلُومَةٌ زَرَدٌ ثَوْبُهَا وَلَكِنَّهُ بِالْقَمَا مُخْمَلٌ^(٤)

(١) من قصيدته في مدح هشام بن عبد الملك (الديوان ٨٣٥) وفي الديوان
(إلام تلفتين)

(٢) من قصيدته في مدح الأمين (الديوان ٤٠٧)

(٣) السائبة : البعير يدرك نتاج نتاجه فيسبب أي يترك لأيرك والناقة كانت تسبب في
الجاهلية للنذر ونحوه أو كانت إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث مسبيت أو كان الرجل إذا
قدم من سفر بعيد أو نجت دابته من حرب أو مشقة قال هي سائبة ، وكانت لا تمنع من ماء
ولا كلاً ولا تركب .

البحيرة : كانوا إذا لاجت الناقة أو الشاة عشرة أبطن يجرها وتركوها ترعى وحرما
لحها إذا ماتت على نسائها وأكلها الرجال ، أو التي خليت بالأراع ، أو هي ابنة السائبة ،
وكانوا يجرمون لحها وتركوها .

(٤) من قصيدته في مدح سيف الدولة (الديوان ٢٤١/٣)

ملومة : كناية مجتمعة ، والكلمة معطوفة على كلمة مرفوعة من قبل . زرد ثوبها . ثيابها
دروع لها . والزرد خلق الدرع . أي حال بينهم وبين ما يشتهون جيشك الذي اتخذ فرسانه
الدروع لباسهم ، إلا أن ذلك الثوب يخل بالرماح كالخيل لتلك الثياب

أخذه من أبي نواس في قوله :
أَمَامَ خَمْسِ أَرْجُونَ كَأَنَّهُ قَبِيضٌ مَحُوكٌ مِنْ قَتَا وَجِيادٍ^(١)

فزاد أبو الطيب زيادة صار بها أحق من أبي نواس بهذا المعنى .

وكذلك قال أبو الطيب المتنبي :
وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا فَإِنَّكَ فِي السَّكْرَمِ الْأَوَّلِ^(٢)
فأخذه أنا وزدت عليه فقلت :

أَنْتَ فِي الْجُودِ أَوَّلٌ وَقَضَى الْإِلَهَ بِالْأَلَا يُرَى لَكَ الدَّمَارُ ثَانٍ
وهذا النوع من السرقات قليل الوقوع بالنسبة إلى غيره .

الضرب السابع من الضم

وهو أن يؤخذ المعنى فيكمى عبارة أحسن من العبارة الأولى ، وهذا هو
المحمود الذي يخرج به حسنه عن باب السرقة .

فمن ذلك قول أبي تمام :

جَذْلَانِ مِنْ ظَفَرٍ حَرَّانٍ أَنْ رَجَعَتْ مَخْضُوبَةً مِنْكُمْ أَظْفَارُهُ بَدِيمٌ^(٣)

(١) من قصيدته في مدح الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي (الديوان ٤٧٣) الخميس :
الجيش العظيم . أَرْجُونَ : أحر

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

أَيْتَمُّ فِي الْخَيْمَةِ الْعَذْلُ وَتَشْمَلُ مِنْ دَهْرٍ مَا يَشْمَلُ

(٣) من قصيدته في مدح مالك بن طوق التقي (الديوان ١٩١/٤) وجذلان حاء
من الفاعل في البيت السابق :

فقد انثنى بالنايا في أسنته وقد أقام خباركم على اللقم
اللقم : العارفين بالواقع .

أخذه البحترى فقال :

إذا اخترت يوما ففاضت دماؤها

تذكرت القرُبي ففاضت دموعها^(١)

ومن هذا الأسلوب قولها أيضا ، قال أبو تمام :

إن الكرام كثير في البلاد وإن قَلُوا كما غيَرُهم قَلُوا وإن كَثُرُوا^(٢)

وقال البحترى :

قل الكرام فصار يكثر فذُهم ولقد يهلُ الشيء حتى يكثر^(٣)

وعلى هذا النحو ورد قول أبي نواس :

يدُلُّ على ما في الضمير من التي

تقلب عَيْنِيهِ إلى شخصٍ من يَهْوَى^(٤)

أخذه أبو الطيب اللنبي فقال :

وإذا خامرَ الهوى قلبَ صَبٍّ فعليه لُكْلُ عَيْنٍ دَلِيلٌ^(٥)

(١) من قصيدته في مدح المتوكل وذكر صلح بني تغلب (الديوان ٣١٦/٢) والضمير عائد على الفرسان من الطرفين

(٢) من قصيدته في مدح عمر بن عبد العزيز الطائي (الديوان ١٨٦/٢)

(٣) من قصيدته في مدح إسحاق بن كنداج (الديوان ٢١/٢) فذم : فريدم ،

(٤) من قصيدة في النزل والخمر مطلعها :

شجاني وأبلائي تذكر من أهوى وألبسي ثوبا من الضرر البلوى

(الديوان ١١٨)

(٥) من قصيدته في مدح سيف الدولة (الديوان ٣٣٤/٣) التي مطلعها :

ليالي بعد الظاعين شكول طوال وليل العاشقة بن طويل

ومما ينتظم في هذا السلك قول أبي الطيب المتوفى :

إذا ما ازددت من بعد التناهي فقد وقع انتقاصي في ازدياد^(١)

أخذه ابن نباتة السعدي^(٢) فقال :

إذ كان نقصان الفتى من تمامه فكل صحيح في الأناام عليل

وكذلك ورد قول أبي العلاء بن سليمان في مرثية :

وما كلفة البدر المنير قديمة ولكنها في وجهه أثر اللطم^(٣)

أخذه للشاعر المعروف بالقيسراتي فقال :

وأهوى التي أهوى لها البدر ساجدا ألت ترى في وجهه أثر الثرب

وكذلك قول ابن الرومي :

إذا شئت عين امرئ شيب نفسه فمئن سواه بالشاقو أجدر^(٤)

عالم

(١) من مدحه لعلي بن إبراهيم التنوخي (الديوان ٩١/٢) والنس في الديوان :

إذا ما ازددت من بعد التناهي فقد وقع انتقاصي في ازديادي

يريد أنه إذا بلغ الشباب نهايته فزيادة العمر بعد ذلك زيادة في النقصان ، لا يترتب على

هذا من ضعف الشيخوخة ، كما قال عبد الله بن طاهر :

إذا ما زاد عمرك كان نقصا ونقصان الحياة مع التمام

وكما قال آخر :

إذا اسقى الهلال وصار بدرا تبينت الحاق من الهلال

(٢) تقدم التعريف به . والاسم يروى بضم النون وبفتحها وهو أبو نصر عبد العزيز

محمد بن نباتة السعدي التيمي أحد خول الشعراء . توفي سنة ٤٠٥ في بغداد .

(٣) من قصيدته في رثاء أبي إبراهيم الملوحي (سقط الزند ٢٩٢/١) وفي الديوان

(اللطم) يريد أن السكافة التي ترى فيه ليست قديمة ولكنها من لطمه لا بلفه نعم المتوفى .

أخذه من تأخر زمانه عنه فقال :

إذا كان شَيْبِي بَغِيضًا إِلَى فِكَيْث يَكُونُ إِلَيْهَا حَبِيبًا (١) ؟

ومما ينخرط في هذا السلك قول بعضهم :

مُحْضَرَةُ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَبَنْتَهَا عُقُودَهَا

أخذه أبو تمام فقال :

كَأَنَّ عَلَيْهَا كُلَّ عَتِيدٍ مَلَاةٍ

وَحُسْنًا وَإِنْ أَخْنَحَتْ وَأَمْسَتْ بِلَا عِقْدٍ (٢)

ثم أخذه البحتري فقال :

إذا أطفأ الياقوتَ لِأَشْرَقُ وَجْهَهَا فَإِنَّ عَدَاءَ مَا تَوَخَّتْ عُقُودَهَا (٣)

وأمثال هذا كثيرة ، وفيما أوردناه مقنع .

الضرب الثامن منه السليخ :

وهو أن يُؤْخَذَ الْعَفَى وَيُسَبَّكَ سَبْكَاً مُوجِزاً ، وذلك من أحسن السرقات ، لا فيه من الدلالة على بسطة الناظم في القول ، وسعة باعه في البلاغة .

(١) القائل هو أبو هلال العسكري ، وقبل البيت قوله :

فلا تمجيباً أن يعين المشيب فإعين من ذاك إلا معيباً

(الصناعتين ٤٨)

(٢) من قصيدته في مدح أبي الفيث الراقى (الديوان ١١١/٢) وبالديوان تقديم

أمست على أضحت

(٣) من قصيدته في مدح صاعد بن مخلد (الديوان ١٠٦/١) وبالديوان (حسنها)

بدلاً من (وجهها) .

فمن ذلك قول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته

وقار بالطيبات الف — انك اللهم سج (١)

أخذه سلم الخاسر — وكان تلميذه — فقال :

من راقب الناس مات غمًا وقار بالآلة الجسور (٢)

فبين البيتين لفظتان في التأليف .

ومن هذا الأسلوب قول أبي تمام :

برزت في طلب العالی واحدا فيها تسير مُتَوَرِّأ أو مُنْجِدا

عجبا بأنك سالم في وخشة في غاية مازلت فيها مُفْرَدا (٣)

(١) الديوان ٧٥/٢ — الفانك : القائل واستماره للجريء والذي لا يبالي لإنكار الناس . الفج : المرى بالشئ المتأخر عليه المقام .

(٢) ذكر أبو هلال في الصناعتين ٢١٤ إن بشار لما سمى بيت سلم قال : ذهب ابنه القاعة يتيق . وفي شرح ديوان بشار ٧٥/٢ وطبقات الشعراء لابن المعتز ١٠٠ أنه قال : فهو أخف منه وأعذب ، واقه لا أكلت ولا شربت اليوم . فلما بلغ ذلك سلما استنقع إلى بشار بجماعة ، فذهبوا به فقال بشار : أين هو الخبيث ؟ قالوا : هاهوذا ، فقام إليه وسلم ، فقبل سلم رأسه وقال له : يا أبا معاذ خربحك وتليذك . قال بشار : ياسلم من أذى يقول ؟ من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... قال : أنت يا أبا معاذ . قال : فن أذى يقول : من راقب الناس مات غمًا ... قال : خربحك يا أبا معاذ . قال : أفتأخذ معاني التي قد عنيت بها وتبيت في استنباطها ، فتكسوها ألفاظا أخف من ألفاظي . حق يروى ما نقول وبذهب شعري ؟ لأرضى عنك أبدا . فإزال يضرع إليه والقوم يشفون حتى رضى عنه .

وسلم الخاسر هو سلم بن عمرو شاعر بصري قدم بغداد ومدح المهدي والهادي وهارون والبرامكة . وسمى بالخاسر لأنه ورث من أبيه مصحفا فباعه واشترى طنبوراً (الأغانى ٧٣/٢١)

(٣) من مدحته لأحمد بن عبد الكريم الطائي (الديوان ١٠٤/٢)

أخذه ابن الرومي فقال :

عَرَبْتُهُ انْخِلَاطِقُ الزُّهْرُ فِي النَّاسِ وَمَا أَوْحَشْتُهُ بِالتَّغْرِيبِ (١)

وكذلك ورد قول أبي نواس :

وَكَلَّتْ بِالْأَمْرِ عَيْنَا غَيْرَ غَافِلَةٍ
مَنْ جُودَ كَفَّكَ تَأْسُو كُلِّ مَا جَرَحَا (٢)

أخذه ابن الرومي فقال :

الْأَمْرُ يُفْسِدُ مَا اسْتَطَاعَ وَأَخَذَ
يَنْتَعِمُ الْإِفْسَادَ بِالْإِصْلَاحِ (٣)

وعلى هذا ورد قول ابن الرومي :

كَأَنِّي أَسْتَدْنِي بِكَ ابْنَ حَفِيَّةٍ
إِذَا التَّرْنُّعُ أَذْنَاهُ مِنَ الصُّدْرِ أَبَدَا (٤)

أخذه بعض شعراء الشام وهو ابن قحيم الحموي (٥) فقال :

فَهَوَ كَالسَّهْمِ كُلَّمَا زِدْتُهُ مِنْكَ دُنُوًّا بِالتَّرْنُّعِ زَادَكَ بُعْدًا

(١) من قصيدته في مدح يحيى بن علي المنجم (الديوان ١٠٦/١)

(٢) من قصيدته في مدح أبي العباس (الديوان ٤٥٧)

(٣) من قصيدته في مدح أحمد بن شيبان (الديوان ١٠٤/٢)

(٤) غير موجود بالديوان

(٥) هو أبو المجد مسلم بن الحضر بن مسلم بن قسيم الحموي - التنوخي ، ذكره العباد في
المزبدة في شعراء حماة بأسلوبه المسجوع المصنوع بقوله « أبو المجد مجيد للشعر ، وحيد للدمر
غريد للعصر ، ذوقه للقلوب مسترقة ، وللفول مسترقة ... » إلى أن قال « كان نالك
العشيران وابن منير في زمانهما ، وسبقهما في ميدانهما ، نبغ في عصر شيخوختهما ، وبلغ
إلى درجتها ، وراق شعرهما شعره ، وفاق شعرهما شعره ، لم يكنه خاله عمره ، وقل شباً =

. ولقيت جماعة من الأدباء بالشام ، ووجدتهم يزعمون أن ابن قسيم هو الذي ابتدع هذا المعنى ، وليس كذلك ، وإنما هو لابن الرومي .

ومما يجرى هذا المجرى قول أبي العتاهية :

وإني لمعدورٌ على فرط حبها لأن لها وجهًا يدلُّ على عُذري^(١)
أخذه أبو تمام فقال :

له وجهٌ إذا أبصرته ته فاجاك من عُذري^(٢)

فلو جز في هذا المعنى غايه الإيجاز .

ومما يجرى على هذا السبج قول أبي تمام :

كانت مُساءةُ الرُّكبانِ تخبرُني

عن أحمد بن سعيد أطيّب الخبرِ

حقّ التّقيّة فلا والله ما سمعت

أذني أحسن مما قد رأى بهري

شبابه ، وحلى حبا آدابه ، وأمر جنى جنابه ، وحل شعوب بشابيه ، وذلك في سنة ثيف وأربعين وخمائه « ومن العجيب أن يقول المأد بعد ذلك « ووجدت في ديوانه لنا فاحشاء : ووهنا بالخل جائشا . ونظرت في ديوان شعره ، فالتقطت فرائد دره ، وفلائت بسعده ... » وقال عنه ابن عساكر : شاب شاعر ، قدم دمشق ، ومدح أنا بك زكي . واختار له طائفة من الأبيات [وانظر خريدة القصر ، وجريدة العصر ١/ ٣١١ قسم شعراء الشام - بهقي الدكتور شكرى فيصل - دمشق ١٩٥٥]

(١) ليس بالديوان

(٢) الديوان ٣٧٤

أخذه أبو الطيب المتنبي فأوجز حيث قال :
وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ إِقْرَاهِ فَلَمَّا انْقَضَى صَفَرُ الْخَلْبِ (١)

وكذلك قولهما في موضع آخر ، فقال أبو تمام :
كَمْ صَارِمٍ قَضَبَ أُنَافَ عَلَى فَنَى مِنْهُمْ لِأَغْبَاهِ الْوَعَى جَهَالِ
سَبَقَ الْمَشِيبَ إِلَيْهِ حَتَّى انْبَزَّه
وَطَنَ النَّهْيَ مِنْ مَقَرِّهِ وَقَدَّالِ (٢)

أخذه أبو الطيب فزاد وأحسن حيث قال :
يَسَاقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلِّ حَادِثَةٍ فَمَا يُصِيبُهُمْ مَوْتٌ وَلَا هَرَمٌ (٣)
ومن هذا الضرب قول بعض الشعراء .

أَمِنْ خَوْفٍ فَقَرَّ وَجَلَّتْهُ وَأَخْزَتْ لِنَفَاقِ مَا تَجَمُّعُ
فَصَرَتْ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنَى وَمَا كَفَتْ تَعْدُو الذِّى تَصْنَعُ

(١) من مدحه لعل بن أحمد بن عامر الأبطاكي (الديوان ٣١١/٢)

(٢) من قصيدته في مدح المعتصم بعد هزيمة الغرمية (الديوان ١٤١/٣)

في الأصل كَمْ صَارِمٍ قَضَبَ أُنَافَ عَلَى قَفَا . يقول هذا الصارم سبق إلى هذا الفنى الشيخ
فسلبه رأسه وأم دماغه الذى هو وطن العقل .

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة وقد انتصر على الروم

مطلعها :

عقبى اليبين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك فى إقدامك القسم

(الديوان ١٨٣/٤)

أخذه أبو الطيب للثني فقال
ومن يُنْزِقِ الساعاتِ في جَمْعِ ماله
مُخافَةً فَقَرٍ فَأَلْذَى فَعَلَّ الْفَقْرُ (١)

المضرب الناصح منه السليح :
وهو أن يكون المافى عاما فيجمل خاصا ، أو خاصا فيجمل عاما ، وهو من
المسرات التي يسامح صاحبها .

فمن ذلك قول الأخطل :
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْنِي مِنْهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ (٢)
أخذه أبو تمام فقال .

اللوم من بَحَثَ يدها وأَغْتَدَى للبخل ترَبًا ساء ذاك صَنِيعًا (٣)
وهذا من العام الذي جعل خاصا ، ألا ترى أن الأول هي عن الإتيان
بما ينمى عنه مطلقا ، وجاء بالخلق منكرا فجعله شائعا في بابها ، وأما أبو تمام
فإنه خصص ذلك بالبخل ، وهو خلق واحد من جملة الأخلاق .

(١) من مدحه لعل بن أحمد بن عامر الأنطاكي ، ، ومطلع القصيدة :
أطاعن خيلا من فوارسها الدهر وحيدا وما قولي كذا ومعنى الصبر
(الديوان ٣٠٥/٢)

(٢) ويروي لأبي الأسود الدؤلي ويروي للمتوكل الليثي وقد أكد ذلك الأمدى في
الزوائد والمختلف ١٧٩ والبرزبانى في معجم الأدباء ٤١٠

(٣) النسخ بالديوان صفحة ٢٨٦ هكذا :
اللوم من بَحَثَ يدها وأَغْتَدَى في تالدي للسائلين مطيعا
أبي فأعصى الماذلين وأَغْتَدَى للبخل ترَبًا ساء ذاك صَنِيعًا

وأما جعل الخالص عاما فسنقول أى تمام :

ولو حارَدَتْ شَوْلٌ عَدَزَتْ إِقْلَحَهَا

ولَكِنْ مُنِعَتْ الدَّرُّ وَالْفَرْغُ حَافِلٌ^(١)

أخذه أبو الطيب المغنبي فجعله عاما إذ يقول :

وما يُؤْلِمُ الحرمانُ من كَفٍّ حَارِمٍ

كما يُؤْلِمُ الحرمانُ من كَفٍّ رَازِقٍ^(٢)

الضرب العاشر من السلم :

وهو زيادة البيان مع المساواة فى المعنى ، وذلك بأن يؤخذ المعنى فيضرب له

مثال بوضحه .

فما جاء منه قول أى تمام :

هو الصَّنْعُ إِنْ يَنْجَلُ فَنَنْفَعُ وَإِنْ يَرَثُ فَلَا رَيْثُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ الْفَنَعُ^(٣)

(١) من قصيدة فى مدح محمد بن عبد الملك الزيات

(الديوان ١٢٩/٣)

أى أن مطلق دام وطال مع طول أمل فيك ، ولو كان ذلك لإعوازك لمذرتك ، ولكنك
حرمتهى ومالك كثير ، وعطاؤك ممكن .

حارَدَتْ : قل لبئها . الشَوْلُ : النوق القليلات اللين ، جمع شائلة . حافل : ممتلئ

(٢) من قصيدة فى مدح سيف الدولة بن حمدان مطلقها :

تذكرت ما بين العذيب وبارق بحر عوالينا ومجرى السوابق

(الديوان ٧٧/٣)

(٣) من قصيدة فى مدح أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى ، مطلقها :

أما إنه لولا الخليط المودع وربيع عفا منه مصيف ومربيع

(الديوان ٣١٩/٣)

والقافية بالديوان (أسرع) بدلا من (أنفع)

أخذه أبو الطيب فأوضحه بمثال ضربه له وذلك قوله :

ومن الخير بطنه سيبك عني أسرع السخب في المير الجهم^(١)

وهذا من المبتدع لامن المسروق ، وما أحسن ما أتى بهذا المعنى في المثال المناسب له .

وكذلك قولهما في موضع آخر ، فقال أبو تمام :

قد قاصت شفتاه من حفيظته فخيّل من شدة التقييس مبيّساً^(٢)

أخذه أبو الطيب المتنبّي فقال :

وجاهل مدّه في جهله ضحكى حتى أتته يدّ فراءة ولم

إذا رأيت نيوب الأيث بارزة فلا تظنّ أن الأيث مبيّس^(٣)

وما يتخبط في هذا السلك قول أبي تمام :

وكذاك لم تُفرط كآبة عاطل حتى يجاورها الزمان بحالي^(٤)

(١) من قصيدة في مدح أبي الحسين علي بن أحمد المرى الخراساني مطلعها :

لا افتخار إلا لمن لا يضام مدرك أو محارب لا ينام
(الديوان ٢٨٦/٤)

سيبك : عطائك . الجهم : السحاب التي لاماء فيه

(٢) من قصيدته في مدح إسحاق بن إبراهيم (الديوان ١٧٠/٣) أي قد أبرزت شفتاه أسنانه من شدة الغضب

(٣) من قصيدته في عتاب سيف الدولة التي مطلعها :

واحر قلباه بمن قلبه شيم ومن مجسمى وحالى عنده سقم

(الديوان ١٠٤/٤) شيم : بارد . والبيت الثاني بالديوان (إذا نظرت) يد فراءة : يد باطشة شديدة الافتراس .

(٤) من قصيدته في مدح المعتصم مطلعها :

آلت أمور الشرك شرآل وأقر بعد تخمط وصيال

(الديوان ١٣٢/٣)

أحذه أبو عبادة البحتري فقال :

وقد زادها إفراطاً حُسنَ جوارِها لاخلاقِ أصفارٍ عن المجدِ خُيبِ
وحُسنُ دَراريِّ الكواكبِ أن تُرى طوالعَ في داجٍ من الليلِ غُيبِ^(١)

فإنه أنى بالمعنى مضر وباله هذا المثال الذي أوضحه وزاده حسناً

الضرب الحادي عشر من السلمح :

وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد ، ومثاله أن يدلك الشاعران طريقاً واحدة فتخرج بهما إلى موردٍين أو روضتين ، وهناك يتبين فضل أحدهما على الآخر .

فما جاء من ذلك قول أبي تمام في مرثية بولدين صغيرين :

تجدُ تأوَّبَ طارقاً حتى إذا قُلْنَا أقامَ الدهرَ أصبحَ راحِلاً
نَجْمانَ شاءَ اللهُ ألاَّ يَطْلُمَا إلا ارتدادَ الطرفِ حتى يَأُفْلا
إن الفجيلةَ بالرياضِ نواضراً لأجلُ منها بالرياضِ ذَوَابِلاً
لنَهَى على تلكِ الشواهدِ فيهما لو أُخِّرَتْ حتى تكونَ شمائلًا
إذَ الملالَ إذا رأيتَ نُموه أيقنْتَ أن سيكونَ بذراً كاملاً
قلْ للأميرِ وإن لقيتَ مؤقراً منه بَرِيبُ الحادثاتِ حِلاً حِلاً
إن تُرَزَّ في طَرَفِ نهارٍ واحدٍ رَزَّ أُنْ هاجماً لَوْنَةً وبَلابلاً
فالتَّغْلُ ليس مَضاعفاً لِمَطِيَةٍ إلا إذا ما كانَ وَهْماً بازِلاً
لا غَرَوْا إن فَنَنانٍ من عِيدانِهِ لِقِيَا حامِماً للبريةِ آكلاً

(١) من قصيدته في مدح الفتح بن خاقان (الديوان ٥٠/١)

وبالديوان (خلائق أصفار) داج فيهب : مظلم شديد الظلام .

إِنْ الْأَشَاءُ إِذَا أَصَابَ مُشَدَّبٌ مِنْهُ أَنْمَلُ ذُرًّا وَأَثُّ أَسَافِلَا
شِمَخَتْ خِلَالَكَ أَنْ يُوَاسِيكَ أَمْرُوٌّ أَوْ أَنْ تَذَكَّرَ نَاسِيًا أَوْ غَافِلَا
إِلَّا مَوَاعِظُ قَادِمَا لَكَ سَمَحَةٌ إِنْجَاحُ لُبِّكَ سَامِعًا أَوْ قَاتِلَا
هَلْ تَسْكُفُ الْأَيْدَى بَهْزٌ مُهْنِدٌ إِلَّا إِذَا كَانَ الْحَسَامُ الْفَاصِلَا ١

وقال أبو الطيب في مراثية بطفل صغير :

فَإِنْ تَكَ فِي قَبْرِ فَبَانِكَ فِي الْحَشَا
وَلِنْ تَكَ طِفْلًا فَالْأَمْسَى لَيْسَ بِالطِّفْلِ
وَمِثْلُكَ لَا يُبْكِي عَلَى قَدَرِ سِنِّهِ
وَلَكِنْ عَلَى قَدَرِ الْفِرَاسَةِ وَالْأَصْلِ
أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الذِّي مِنْ رِمَاحِهِمْ

تَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَامُ مُهْجَةِ الْبُخْلِ ؟

بِمَوْلُودِهِمْ صَمْتُ الْأَسَانِ كَغَيْرِهِ وَلَكِنْ فِي أَنْعَافِهِ مَنَطِقَ الْفَصْلِ
أَسْلَمِيهِمْ عَلَيْهِمْ عَنْ مُصَابِيهِمْ وَيَسْأَلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنِ الشُّغْلِ
عَزَّكَ سَيْفُ الدَّوَلَةِ الْمُتَعَدِّي وَفَبَانِكَ تَصَلُّ وَالشَّدَائِدُ لِلْفَصْلِ
تَخُونُ الْمُنَادِيَ عَمْدَهُ فِي سَلِيلِهِ وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ

(١) ليست القصيدة بديوانه بشرح التبريزي ولا بطبعة محمد جمال

تأوب طارقا : رجع زائرا . شمائل : طباع . موقر : رزين . حلال : رزين .
أو سيد شجاع . وهم : جل ضخم قوى ذلول . بازل : جل بلغ التاسعة من عمره فاكتمل .
فتنان : المراد ولدان . الأشاء : صفار النخل . أنمَل : اعتدل وانتصب . أث : النف وكثر .
إسجاع : سمحة . المهند : السيف . الحسام الفاصل : السيف القاطع .

بنفسى وليدٌ عادٍ مِن بَندِ حِلِهْ إلى بَنَنِ أُمٍّ لَا تُطَرِّقُ بِالْحَمَلِ
بَدَا وَلَهْ وَعِندُ السَّعَابَةِ بِالرَّوَى وَصَدَّ وَفِينَا غُلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحَلِ
وَقَدْ مَدَّتِ الْحِيلُ الْعِتَاقُ عِيُونَهَا

إلى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرَّكَّابِ مِنَ النُّقْلِ
وَرَبَعَ لَهُ جَيْشُ الْعَدُوِّ وَمَا مَشَى
وَجَاشَتْ لَهُ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَفَعَّلَى (١)

نفأمل أيها الناظم إلى ما صنع هذان الشاعران فى هذا المقصد الواحد ،
وكيف هام كل واحد منهما فى واد منه ، مع اتفاقهما فى بعض معانيه ؟ .

وسأبين لك ما اتفاقاه وما اختلفا ، وأذكر الفاضل من المفضول ،
فأقول : أما الذى اتفقا فيه فإن أبا تمام قال :

كأننى على تلك الشوهد فيهما لو أخرت حتى تكون شمائلنا
وأما أبو الطيب فإنه قال :

عوله دهم صمتُ للسان كغيره ولكن فى أعطافه منطق الفصل

(١) من مراثيه لأبى الهيثم عبد الله بن سبقت الدولة (الديوان ٢٠٩/٤) وبالفديوان
(الخيلة والأصل) و (الألى من رماحهم) . الفراسة : الخيلة . الأعطاف : جمع عطف وهو
الجانب . منطق الفصل : القول الصائب الحاسم . مصابهم : إصابتهم . الشغل : الاهتمام بما هذا
كسب الثناء والمحامد . نزاءك : تمز عزاءك ، أو الزم عزاءك . به : الضمير يعود على العزاء .
فصل : سيف . الرجل : جمع راجل وهو الماشى . تطرق بالحل : لا تخرج الولد من بطنها .
الروى : الرواء والرى . غلة : عطش . المحل : الجديب . الخيل العتاق : الكرام . الركاب
مانوضم فيه الرجل من السرج . ريم : أخيف . جاشت : غلت وهاجت . الضروس :
الشديدة العض .

فأتى بالمعنى الذى أتى به أبو تمام ، وزاد عليه بالصناعة اللفظية ، وهى المطابقة
فى قوله صمت اللسان ومنطق الفصل .

وقال أبو تمام :

نجمان شاء الله ألا يعلما إلا ارتداد الطرف حتى بأفلا

وقال أبو الطيب :

بدآ وله وعد السحابة بالزوى وصدّ وفينا غلة البلد المحل

فوافقه فى المعنى وزاد عليه بقوله (وصدّ وفينا غلة البلد المحل) لأنه بين
قدر حاجتهم إلى وجوده وانتفاعهم بحياته .

وأما ما اختلفا فيه فإن أبا الطيب أشعر فيه من أبى تمام أيضاً ، وذلك
أن معناه أمتن من معناه ، ومبناه أحكم من مبناه .

وربما أكبر هذا القول جماعة من المقلدين الذين يقفون مع شبهة الزمان
وقدمه ، لأمع فضيلة القول وتقدمه ، وأبو تمام وإن كان أشعر عنده من
أبى الطيب فإن أبا الطيب أشعر منه فى هذا الموضع .
وبيان ذلك أنه قد تقدم القول على ما اتفقا فيه من المعنى .

وأما الذى اختلفا فيه فإن أبا الطيب قال :

عزاهك سيف الدولة المقتدى به فإنك نصل "شدائد للنصل

وهذا البيت بمفرده خير منبقى أبى تمام الذين هما :

أن ترزّ فى طرفى نهار واحد رزّان هاجا لوعة وبلا بلا

فَالثَّقُلُ لَيْسَ مُضَاعَفًا لَطِيبَةٍ إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهَمًا بَارِزًا
فَإِنْ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ (وَالشَّدَائِدُ لِلانْصِل) أَوْ كَرَمُ لَفْظًا وَمَعْنَى مِنْ قَوْلِ
أَبِي تَمَامٍ (إِنْ الثَّقُلُ إِنَّمَا يَضَاعَفُ لِلْبَازِلِ مِنَ اللَّطَايَا) .

وقوله أيضا :

تَحُونُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيهِ وَتَنْصَرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ

وهذا أشرف من يبقَى أبى تمام الذين هما :

لَا عَرَوْا إِنْ فَنَنَانٍ مِنْ عَهْدَانِهِ لَقِيَا حِمَامًا لِلْبَرِّيَّةِ آ كَلَا
إِنْ الْأَشَاءُ إِذَا أَصَابَ مُشَدِّبٌ مِنْهُ انْتَمَلٌ ذُرًّا وَأَثٌ أَصْفَلَا

وكذلك قال أبو الطيب :

أَلَسْتُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِي مِنْ رَمَاحِهِمْ

نَدَامَ وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مُهْجَةُ الْبُخْلِ
تُسَلِّمُهُمْ عَلَيْهِمْ عَنْ مَصَائِبِهِمْ وَيَسْفُلُهُمْ كَنْبُ التَّنَاءِ عَنْ الشُّغْلِ

وهذان البيتان خير من يبقَى أبى تمام الذين هما :

شَمَخْتُ خِلَالَكَ أَنْ يُوَاسِيَكَ أَمْرُو

أَوْ أَنْ تُذَكِّرَكَ نَاسِيَا أَوْ غَافِلَا

إِلَّا مَوَاعِظَ قَادَهَا لَكَ سَمَحَةٌ إِنْجَاحُ لُبِّكَ سَامِعَا أَوْ قَاتِلَا

واعلم أن التفضيل بين المعنيين المتقنين أبسر خطبا من التفضيل بين المعنيين

المتخلفين .

وقد ذهب قوم إلى منم المفاضلة بين المعنيين المختلفين ، واحتجوا على ذلك بأن قلوا : المفاضلة بين الكلامين لا تكون إلا باشتراكهما في المعنى ، فإن اختلفت التأليف في نظم الألفاظ لا يكون إلا باعتبار المعاني المتدرجة تحتها ، فإلم يكن بين الكلامين اشتراك في المعنى فإنه لا يعلمُ مواقعُ النظم في قوة ذلك المعنى أو ضعفه وانساق ذلك اللفظ أو اضطرابه ، وإلا فكلُّ كلامٍ له تأليفٌ يخصه بحسب المعنى المُتدرِّج تحتَه ، وهذا مثل قولنا : العسلُ أحلى من الخَلِّ ، فإنه ليس في الخَلِّ حلاوة حتى تقاس حلاوة العسل عليها .

وهذا القول قاسد ، فإنه لو كان ما ذهب إليه هؤلاء من منم المفاضلة حقا لو جبَّ أن تسقط التفرقة بين جيد الكلام ورديئه وحسنه وقبيحه ، وهذا محال .

وإنما خفيَ عليهم ذلك لأنهم لم ينظروا إلى الأصل الذي تقع المفاضلة فيه . سواء اتفقت المعاني أو اختلفت ، ومن هنا وقع لهم الغلط .

وسأبين ذلك فأقول : من المعلوم أن الكلام لا يختص بمزية من الحسن حتى تتصف ألفاظه ومعانيه بوصفين هما الفصاحة والبلاغة ، فثبت بهذا أن النظر إنما هو في هذين الوصفين اللذين هما الأصل في المفاضلة بين الألفاظ والمعاني على اتفاقهما واختلافهما ، فمتى وجدّا في أحد الكلامين دون الآخر ، أو كانا اخص به من الآخر ، حكم له بالفضل .

وقرأت في كتاب الأغاني لأبي الفرج في تفضيل الشعر أشياء تتضمن خطأ كثيرا ، وهو مروي عن علماء العربية ، لكن عدّرتهم في ذلك ، فإن معرفة الفصاحة والبلاغة شيء خلاف معرفة النحو والإعراب .

فما وقفت عليه أنه مثل أبو عمرو بن العلاء عن الأخطل فقال : لو أدرك يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً^(١) .

وهذا تفضيل بالأعصار لا بالأشعار ، وفيه ما فيه ، ولولا أن أبا عمرو عندي بالمكان المثل لبسط لسانى فى هذا الموضع .

وسئل جرير عن نفسه وعن الفرزدق والأخطل فقال : أما الفرزدق ففى يده نبتة من الشعر وهو قابض عليها ، وأما الأخطل فأشدنا اجترأ ، وأرمانا للفرائص^(٢) ، وأما أنا فمدينة الشعر .

وهذا القول فى التفضيل قول إقناعى^(٣) لا يُحصل منه على تحقيق ، لكنه أقرب حالا مما روى عن أبى عمرو بن العلاء .

وسئل الأخطل عن أشعر الناس فقال : الذى إذا مدح رفع ، وإذا هجا وضع ، فليل فمن ذاك ؟ قال : الأعشى . قيل : ثم من ؟ قال طرفة .

وهذا قول فيه بعض التحقيق ، إذ ليس كل من رفع بمدحه ووضع بهجائه كان أشعر الناس ، لأن المعانى الشعرية كثيرة والمدح والهجاء منها .

وسئل الشريف الرضى عن أبى تمام وعن البحتري وعن أبى الطيب ، فقال : أما أبو تمام فخليب منير ، وأما البحتري فواصف جؤذر^(٤) ، وأما المتنبى فقاتل عسكر .

(١) الأغانى ١٦٣/٧ وفيه تفضيل له على معاصريه

(٢) الفرائص : جرم فريضة وهى الأجمة بين الجنب والكف ، والمراد المقاتل . وكانت

بالأسل (الفرائص) ولطها الفرائص كما رجحنا ، أو القريض بمعنى الشعر

(٣) يريد أنه كلام خطابى لا دليل عليه .

(٤) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، والمراد أنه صاحب فزل

وهذا كلام حسن واقع في موقعه ، فإنه ، وصف كلا منهم بما فيه من غير تفضيل .

ويروى عن بشار أنه وصف نفسه بحودة الشعر والتقدم على غيره فقليل له : ولم ذاك ؟ فقال : لأنني نظمت أثنى عشر ألف قصيدة وما تخلو واحدة منهن من بيت واحد جيد ، فيكون لي حينئذ اثنا عشر ألف بيت .

وقد تأملت هذا القول فوجدته على بشار لاله ، لأن باقلا الذي يضربُ به المثل في الصبي لو نظم قصيدا لما خلا من بيت واحد جيد ، ومن الذي ينظم قصيدا واحدا من الشعر ولا يسلم له منه بيت واحد ؟ لكن كان الأولى ببيشار أن قال : لي اثنا عشر ألف قصيدة ليس واحدة منهن إلا وجيدها أكثر من رديئها ، وليس في واحدة منهن ما يستقط ، فإنه لو قال ذلك وكان محبًا لاستحق التقدم على الشعراء ، ومع هذا فقد وصل إلى ما في أيدي الناس من شعره مُقصداً ومقطعا ، فما وجدته بتلك النايبة التي ادعاه ، لكن وجدت جيده قليلا بالنسبة إلى رديئة ، وتندر^(١) له الأبيات اليسيرة .

وبلغني عن الأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما أنهم قالوا : هو أشعر الشعراء المحدثين قاطبة ، وهم عندي معذرون ، لأنهم ما وقفوا على معاني أبي تمام ، ولا على معاني أبي الطيب ، ولا وقفوا على ديباجة أبي عبادة البحرى وهذا الموضع لا يستغنى فيه علماء العربية وإنما يستغنى فيه كاتبٌ ببلغ أوشاعر مُفلق ، فإن أهل كل عالم أعلم به . وكذا لا يسأل الفقيه عن مسألة حسابية فكذلك لا يسأل الحاسب عن مسألة فقهية ، وكذا لا يسأل أيضا النحوى عن مسألة طيبة ،

(١) تندر : هنا بمعنى تظهر وتشتهر من الدور لا من الندرة

فكذلك لا يسأل الطبيب عن مسألة نحوية . ولا يعلم كل علم إلا صاحبه الذي
قلب ظهره لبطنه وبطنه لظهره .

على أن علم البيان من الفصاحة والبلاغة محبوب إلى الناس قاطبة ، وما من
أحد إلا ويحب أن يتكلم فيه ، حتى إنى رأيت أجلاف العامة ممن لم يحفظ بيده ،
ورأيت أغتنام^(١) الأجnas ممن لا ينطق بالكلمة صحيحة ، كلهم يخوض في فن
الكتابة والشعر ، ويأتون فيه بكل مضحكة ، وهم يظنون أنهم عالمون به ،
ولا لوم عليهم ، فإنه بلغنى عن ابن الأعرابي^(٢) - وكان من مشاهير العلماء -
أنه عرض عليه أرجوزة أبي تمام اللامية التي مطلعها :

(وعاذل عذلتني في عذله)

وقيل له هذه لفلان من شعراء العرب ، فاستحسنها غاية الاستحسان ، وقال :

هذا هو الديباج المنسرواني^(٣) ، ثم استكتبها ، فلما أنهاها قيل له :
هذه لأبي تمام ، فقال :

من أجل ذلك أرى عليها أثر الكلفة . ثم أتى الورقة من يده ، وقال :
ياغلام خرق خرق^(٤) .

(١) الأغم : من لا يفتح شيئاً ، جمه فم على وزن فقل .

(٢) أبو عبد الله محمد بن زياد كان من أكابر أئمة اللغة بالكوفة ، وكان ربيباً للفضل
الضبي وسمع منه الدواوين وصحبها ، وكان من أحفظ الناس للغة والأنساب ، توفي سنة ٥٢٣
(الفهرست ٦٩ ووفيات الأعيان ١/ ٤٩٢)

(٣) الديباج المنسرواني : الحرير الفارسي الفاخر

(٤) في الصناعتين ٤٥ أن ابن الأعرابي كان يأمر بكتابة جميع ما يجري في مجلسه .
فأشده رجل يوماً أرجوزة أبي تمام في وصف السحاب ، على أنها لبعض العرب .
سارية لم تكتمل بضم كدراء ذات هطلان محض

فإذا كان ابن الأعرابي مع علمه وفضله لا يدري أي طرفيه أطول في هذا
أقن ، ولا يعلم أين يضع يده فيه ، ويبلغ به الجهل إلى أن يقف مع التقليد
الشفيع الذي هذا غاية ، فما الذي يقول غيره ؟ وما الذي يتكلم فيه سواه ؟

والمذهب عندي في تفضيل الشعراء أن الفرزدق وجريرا والأخطل أشعر
العرب أولا وآخرا ، ومن وقف على الأشعار ، ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة ،
علم ما أشرت إليه .

ولا ينبغي أن يُوقف مع شعر امرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى ، فإن
كلام أولئك أجاد في معنى اختص به ، حتى قيل في وصفهم : امرؤ القيس
إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا شرب .

وأما الفرزدق وجريرا والأخطل فإنهم أجادوا في كل ما أتوا به من المعاني
المتخلفة ، وأشعر منهم عندي الثلاثة المتأخرون ، وهم أبو تمام وأبو عبادة البحتري
وأبو الطيب اللثبي^(١) ، فإن هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مداني في طبقة الشعراء .

أما أبو تمام وأبو الطيب فرّبا المعاني ، وأما أبو عبادة فرّبا الألفاظ
في ديباجتها وسبكها . وبلغني أن أبا عبادة البحتري سأل ولده أبا الفوارس عن
الفرزدق وجريرا أيهما أشعر ، فقال : جريرا أشعر . قال : وبم ذلك ؟

.....

فقال ابن الأعرابي . اكتبوها . فلما كتبوها قيل له : إنها لحبيب بن أوس ، قال :
خرق خرق ، لا جرم أن أثر الصنعة فيها بين .

(١) لقد قال منذ بضعة أسطر إن الفرزدق وجريرا والأخطل هم أشعر العرب أولا
وآخرا . وما هوذا يقول إن أبا تمام والبحتري واللثبي أشعر منهم ، فكيف ذلك .

قال : لأن حوكه شبه بنحوك^(١) . قال فكذلك أمك ، أوفى الحكم
 حصية ؟ قال يا أبت فمن أشبه ؟ قال : الفرزدق . قال : وبم ذاك ؟ قال :
 لأن أهاجى جرير كلها تدور على أربعة أشياء هي : القين ، والزنا ، وضرب
 الرومي بالسيف ، والنفي من المسجد ، ولا يهجو الفرزدق بسوى ذلك .
 وأما الفرزدق فإنه يهجو جريرا بأشياء مختلفة ، ففى كل قصيد يرميه بسهام فهد
 السهام التى يرميه بها فى القصيد الآخر^(٢) . وأنا استكذب راوى هذه الحكاية ،
 ولا أصدقه ، فإن البختري عندى ألب من ذلك ، وهو طارف بأسرار الكلام ،
 خبير بأوساطه وأطرافه وجيده ورديته ، وكيف يدعى على جرير أنه لم يهجو
 الفرزدق إلا بتلك المعانى الأربعة التى ذكرها ، وهو القائل :

لما وضعت على الفرزدق ميسمى وعلى البعث جدعت أنف الأخطل^(٣)

فجمع بين هجاء هؤلاء الثلاثة فى بيت واحد .

ولقد تأملت كتاب النقائض فوجدت جريرا رب تمزّل ومدبح وهجاء
 وانتخار ، وقد كما كل معنى من هذه المعانى ألقاها لائقه به . ويكتفيه من
 ذلك قوله :

وعاد عوى من غير شيء دميته بقارة أفاذاها تظطر الدما
 علمى لقوال لكل قريبة ورود إذا السارى ليل ترنا
 خرّوج بأفواه الرواة كأنها شبا هندوانى إذا مز صما

(١) يربط أسلوبه وتعبيره .

(٢) فى الصناعتين ٢٤ ذكر لهذا التفضيل موجز

(٣) الديوان ٤٤٣ .

غرائب الألف إذا حان وزدها أخذن طريقاً للقصائد مُنلماً^(٢)

ولولم يكن لجرير سوى هذه الأبيات لتقدم بها الشعراء ، وسأذكر من هجائه للفردق ما ليس فيه شيء من تلك المعاني الأربعة التي أشار إليها الجعفي إليها ، فمن ذلك قوله :

وقد زعموا أن الفردق حية وما قتل الحيات من أحد قبلي
ألم تراني لا تُبِلُ ربيتي فمن أرم لا تحطىء مقائله نبلي
رأيتك لا تحمي عقلاً ولم ترذ قتلاً فما لاقت شر من القتل^(٣)
وقوله :

أبلغ هديتي الفردق ألسها عيب يزاد على حسير بمثل
إني انصبت من السماء عليكم

حق اختطفك يافردق من عل^(٤)

(١) كان بالأصل (بقافية أنفاذا يقطر الدما) و (جروح بأفواه الرواة) و (هز صمصا) . وبالديوان (قرأ . هندواني) الديوان ٤٤٤ أنفاذا : أقطارها . ورود : كثيرة ورود يريد أن قصائده سريعة الذبوع . خروج بأفواه الرواة : دائمة على ألسنتهم لا يستطيعون كتمانها . شيا هندواني : حد سيف . صم : قطع وأصاب المفصل . معل : معلوم معروف

(٢) من هجائه للبعث والفردق (الديوان ٤٦٤) وترتيب الأبيات في الديوان أن الثالث هو الثاني ، وبين الأول والثاني ثلاثة أبيات ، وبين الثاني والثالث ستة أبيات . وبالأصل (لا أنبل ربيتي) فأصلحناها من الديوان .

لا تبلى ربيتي : لا ينجو من رمي من أرميه ولا يشفى . المقال : القلوس الفتية والمراد المرأة
(٣) من هجائه للفردق (الديوان ٤٤٤ ، ٤٤٨) والببت الثاني هنا قبل الأول في الديوان . وفي الديوان (هب يزاد) حسير : كليل عهد

وقوله :

رَهْمَ الْفَرَزْدَقِ أَنْ سَيِّئَةً تَلُّ مِرْبَعًا أَبْشَرَ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَامْرِئِيعُ
وَرَأَيْتُ نَفْلَكَ بِالْفَرَزْدَقِ قَصَّرْتَ وَرَأَيْتُ قَوْسَكَ لَيْسَ فِيهَا مَنَزَعُ
إِنْ الْفَرَزْدَقَ قَدْ تَبَيَّنَ لَوْمُهُ
حَيْثُ التَّقَتْ حُسْشَاؤُهُ وَالْأَخْدَعُ^(١)

وقوله :

أَحَارِثُ خَذَ مَنْ شَأْنَتْ مِنَّا وَمِنْهُمْ وَدَعْنَا قَيْسَ بَجْدًا تَمَدُّ قَوَاضِيَهُ
لَيْسَتْ سِلَاحِي وَالْفَرَزْدَقُ لُغْبَةٌ عَلَيْهِ وَشَاخَا كَرْجٍ وَجَلَّاجُهُ
فَلَسْتُ بِذِي عِزٍّ وَلَا ذِي أُرُومَةٍ وَمَا تَمَطُّ مِنْ ضَيْمٍ فَإِنَّكَ قَابِلُهُ^(٢)

وقوله :

لَا يَخْفَيْنِ عَلَيْكَ أَنْ مُجَاشِعًا لَوْ يُنْفَخُونَ مِنَ الْخَوَرَةِ طَارُوا

(١) من هجائه للفرزدق (الديوان ٣٤٨ ، ٣٥١) والبيت الثاني هنا موضعه بالديوان بعد أبيات من الثاني . مريم : لقب لزواوية جرير ، وكان الفرزدق قد حلف ليقطنه . المحضاء : العظم الناقص خلف الأذن . الأخدع : عرق في صفحة العنق . وبالديوان (ووجدت قوسك) منزع : مد .

(٢) من هجائه للفرزدق (الديوان ٤٨٥) بالأصل (فضائله) والأبيات بالديوان هكذا ، مع تباعد ما بينها :

ليست أداثي والفرزدق لامة عليه وشاخا كرج وحلاجه
أحارث خذ

ولست بذى دره ولاذى أرومة وما تخط من ضيم فإنك قابله
كرج : السكرج المهر والسكرجى الخنث . الجلجل : جمع جلجل وهو الجرس الصغير .

قد يُؤْمَرُونَ فَلَا يُفَكُّ أَسِيرُهُمْ وَيُقَتَّلُونَ فَتَسْلَمُ الْأَوْتَارُ^(١)
وقوله :

بَنَى مَالِكٌ إِنْ الْفَرَزْدَقَ لَمْ يَزَلْ
يُلْقَى الْخَازِي مِنْ لَدُنْ أَنْ تَبْعًا
مَدَدَتْ لَهُ الْفَيَاطِ حَتَّى زَكَّتْهُ
قَسْوَدَ الْقَوَائِدِ ذَا عُلُوبٍ مُوَقَّعًا^(٢)
وقوله :

أَلَا إِنَّمَا كَانَ الْفَرَزْدَقُ كَثْمَلِيًّا
ضَفًّا وَهُوَ فِي أَشْدَاقِ كَلِثِ ضَهَارِمٍ^(٣)
وقوله :

مَهْلًا فَرَزْدَقُ إِنْ قَوْمِكَ فِيهِمْ
لِلظَّالِمِينَ عَلَى الْعَمَى بِجَمِيعِهِمْ
خَوَرُ الْقُلُوبِ وَخِيفَةُ الْإِلَاحِ
وَالنَّازِلُونَ بَشَرًا دَارَ مُقَامٍ^(٤)

(١) من رثائه لزوجه (الديوان ٧٠٧) كان بالأصل (قتلهم الأوتار) وبالديوان (فا يفك)

(٢) من هجائه للفرزدق (الديوان ٣٣٤) كان بالأصل (أن تبعا) والبيتان بالديوان هكذا :

بني مالك إن الفرزدق لم يزل
مددت له الفيات حتى نضته
فلو الخازي : رضيعها . ذو علوب : المراد جروح . بولع : مرى من قرب أو مكوى
الذئابي : العجز . مقطع : لا قدرة له على الضراب

(٣) (الديوان ٥٥٨) الضبارم : الأسد القوي الشديد . ضفا : صاح
(٤) هذان البيتان كما في النقائض مما هجابه جرير هسان بن ذهل السليطي ، ورواية
النقائض للبيت الأول : (أبي أدبرة إن فيكم فاعطوا) ولكنهما في الديوان من هجاء جرير
للفرزدق (الديوان ٥٥٧) .

وقوله :

إِذَا سَفَرْتَ يَوْمًا نَسَاهُ مُجَاشِيعٌ بَدَتْ سَوَادَةٌ مِمَّا يُجِنُّ الْإِرَاقِعُ
مَبَاشِيعٌ عَنْ غِيبِ الْخَزِيرِ كَأَنَّمَا تُصَوِّتُ فِي أَغْضَاجِنِ الضَّفَادِعِ
رَأَتْ مَالِكُ نَبِلَ الْفَرَزْدَقِ قَصْرَتْ

عَنِ الْمُنُو لَا يَأْتِي عَنْ الْمُنُو بَارِعٌ
أَتَعْدِلُ أَحْسَابًا كَرَامًا حَمَاهَا بِأَحْسَابِكُمْ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ
إِذَا قِيلَ أَيْ النَّاسِ شَرِّ قَبِيلَةٍ وَأَعْظَمُ عَارًا قِيلَ : تِلْكَ مُجَاشِيعٌ^(١)

وقوله :

عَلِقَ الْأَخِيطَلُ فِي حِيَالِي بَعْدَمَا عَزَرَ الْفَرَزْدَقُ ، لَا لَمَّا لِلْعَائِرِ
لَقِيَ الْفَرَزْدَقُ مَالِقِيَتَ وَقَبْلَةَ طَاحَ الْبَعِيعُثُ بِنَهْزِ غَرَضٍ وَافِرِ
وَإِذَا رَجَوْا أَنِ يَنْقَضُوا إِلَى مِرَّةٍ
مَرَسَتْ قَوَائِي عَلَيْهِمْ وَمَرَارِي^(٢)

ولجبرير مواضع كثيرة في هجاء الفرزدق غير هذه ، ولولا خوف الإطالة

(١) من هجائه للفرزدق والبعيث (الدبوان ٢٦٧) وترتيبها هنا يخالف ترتيبها في الديوان . والبيت الأول بالديوان هكذا :

رَأَتْ مَالِكُ نَبِلَ الْفَرَزْدَقِ قَصْرَتْ عَنْ الْمُنُو إِذَا لَا يَأْتِي النَّالُو نَازِعٌ

وكان بالأصل (رأت ملا مثل) و (غيب الهزير)

نبل الفرزدق : شعره . لا يأتلي : لا يقصر . النلو : رفع الدين بالسهم إلى أقصى غاية مباحيم : متخات . الخزير : حساء من دسم . الأهنج : الأمعاء . مجاهم : قوم الفرزدق

(٢) من هجائه الاخطل (الدبوان ٣٠٧)

كان بالأصل (التميس) بدلا من البعث . ورواية الديوان (لقى الأخطل ما لقيت) و (أن ينقضوا مني لوى) لالما له : لا اقتماش له من سقطته .

لاستقصيتها جميعا .

ولو سلمتُ إلى الباحثي ما زعم من أن جريرا ايس له في هجاء الفرزدق
إلا تلك المعاني الأربعة لا عترض عليه بأنه قد أقر لجرير بالفضيلة .

وذاك أن الشاعر المقلق أو الكاتب البليغ هو الذي إذا أخذ معنى واحدا
تصرف فيه بوجوه التصرفات ، وأخرجه في ضروب الأساليب ، وكذلك فعل
جرير ، فإنه أبرز من هجاء الفرزدق بالنفسين كل غريبة ، وتصرف فيه تصرفا
مختلف الأنحاء ، فمن ذلك قوله :

أَلْهَى أَبَاكَ مِنَ الْكَارَمِ وَالْمُلَا

كُلِّ الْكَثَافِ وَارْتَفَاعِ الْمِرْجَلِ^(١)

وقوله :

وَجَدَ الْكَثِيفُ ذَخِيرَةً فِي قَبْرِهِ وَالْكَلِمَتَانِ جُمْعُنِ وَالْمُنْشَارُ
يَبْكِي صَدَاهُ إِذَا تَصَدَّعَ مِرْجَلُ أَوْ إِنْ تَفَلَّقَ بُرْمَةٌ أَهْشَارُ
قَالَ الْفَرَزْدَقُ رَقِيبِي أَكْبَارَنَا

قالت : وكيف ترقع الأكيار^(٢) ؟

وقوله :

إِذَا أَبَاؤُنَا وَأَبُوكَ عُدُّوا أَبَانِ الْمُتَعَرِّقَاتِ مِنَ الْعَرَابِ

(١) من هجائه لفرزدق (الديوان ٤٤٧) ارتفاع الرجل : إصلاحه ، لي الكتائف :
إصلاح الضباب لأن الكثيفة الضبة ، أو الكثيفة كلبتا الحداد يعيره في الحالين بالحدادة
(٢) من قصيدته في رثاء زوجته (الديوان ٢٠٢) بالأسل (الكنيف . والنشار)
وبالديوان (تلثم برمة) السكتيف : الضبة وكلبتا الحداد . النشار : هو النشار . تفلق برمة
أعشار : تتكسر قدر أجزاء عشرة . الأكيار : جمع كبر .

فَأَوْزَنَكَ الْعَلَاةَ وَأُورَثُونِي رِبَاطَ الْخَلِيلِ أَفْنِيَةَ الْقَبَابِ
وَسَيْفُ أَبِي الْفَرَزْدَقِ فَأَعْلَمُوهُ قَدُومٌ غَيْرُ ثَابِتَةٍ النَّصَابِ^(١)

فانظر أيها الواقف على كتابي هذا إلى هذه الأساليب التي تصرف فيها
جرير وأدارها على هجاء الفرزدق بالقيين ، فقال أولا : إن أباء شغل عن المكارم
بصناعة القيون ، ثم قال ثانيا : إنه يبكي عليه ويندبه بعد الموت اليرنجل والبرمة
الأعشار التي يصلحها ، ثم قال ثالثا : إن أمك أوردتك آفة القيون ، وأورثني
أبى رباط الخليل .

وقد أورد جرير هذا المعنى على غير هذه الأساليب التي ذكرتها ، ولا حاجة
إلى التطويل بذلك ها هنا ، وهذا القدر فيه كفاية .

وحيث انتهى بنا القول إلى ها هنا فلنرجع إلى النوع الذي نحن بصدد ذكره ،
وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد ، فما جاء منه قول النابغة :

إِذَا مَا غَزَا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُ عَصَابُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِهِ صَائِبُ
جَوَانِحُ قَدْ أُيْقِنَ أَنْ قَبِيلَهُ

إِذَا مَا التَّقَى الْجَمَانُ أَوَّلُ غَالِبِ^(٢)

وهذا المعنى قد توارد عليه الشعراء قديما وحديثا ، وأوردوه بضروب
الصورات .

(١) الديوان ٢٧ ، ٢٩ — كان بالأصل (جدوا بأن المفرقات من القباب) وف
الديوان (الفرزدق قد علمتم) . المفرقات : القرف والمفرقة من القرس وغيره ما يداني الهجنة
أى أمه عربية لا أبوه . أبان : استبان . المراب : الخالصة العروبة . العلاة : السندان .
الرباط : الخيل أو الخمس منها أو المكان المعد للمرابطة

(٢) (الديوان ٤٣) من مدحه لعمر بن الحارث الأصغر بن الحارث الأهرج بن
الحارث الأكبر بن أبي شمر الضائي حين هرب إلى الشام ونزل عنده . جوائح : مائلات
للقوم والانتقاض .

قال أبو نواس :

تَتَمَنَّى الطَّيْرُ عَزْوَتَهُ ثِقَةً بِأَحْمٍ مِنْ جُزْرِهِ ^(١)

وقال مسلم بن الوليد :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرُ عَادَاتِ وَثَقْنَهَا فَمَنْ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ بُرٍّ تَحَلِّ ^(٢)

وقال أبو تمام :

وَقَدْ ظَلَلَتْ أَهْناقُ أَعْلَامِهِ ضُحًى بِعَقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرِّايَاتِ حَقِي كَأَنَّهَا مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ ^(٣)

وقد ذكر هذا المعنى غير هؤلاء ، إلا أنهم جاء وبشيء واحد لا تفضل بينهم فيه ، إلا من جهة حسن السبك ، أو من جهة الإيجاز في اللفظ . ولم أر أحدا أغرب في هذا المعنى فسلكت هذه الطريق مع اختلاف مقصده إليها إلا مسلم بن الوليد فقال :

أَشْرَبَتْ أَرْواحَ العِدا وَقُلُوبَهَا خَوْفاً فَأَنَفَسُهَا إِلَيْكَ تَطْيِيراً

(١) من قصيدته في مدح العباس بن عبيد الله (الديوان ٤٣١) وزهر الآداب ١٣٤/٤ ورواية الديوان (تتأني الطير فدوته) ومعنى تتأني تقصد . الجزر : جمع جزور وهو البعير أو الناقة المحزورة ، والمراد قتل الحرب .

(٢) من قصيدته في مدح يزيد بن مزيد الشيباني (الديوان ١٢) .

(٣) من قصيدته في مدح المعتصم والأفيعين (الديوان ٨٢) وفي الديوان (عقبان أعلامه) شبه الأعلام بالعقبان ، وجعل عقبان الطير آلفة لها لما اعتادت من أكل لحوم الأعداء . وفي أخبار أبي تمام لاصولي حديث عن هذا المعنى قال فيه الذي سبق إليه مسلم وأبو نواس ، وسبقهم جميعا إليه النابغة ، ثم قال إن معنى النابغة من قول الأفوه الأودى الشاعر الجاهلي :
فترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن ستمار

(أخبار أبي تمام ١٦٤) ومثل هذا بالصناعتين ٢٢٥

لَوْحًا كَمَتَكَ فَطَالَ بَتُّكَ بِذَخْلِهَا شَهِدَتْ عَلَيْكَ ثَعَالِبٌ وَنُورٌ^(١)

فهذا من المליح البديع الذي فَضَّلَ به مسلمٌ غيره في هذا المعنى .

وكذلك فعل أبو الطيب اللنبي ، فإنه لما انتهى الأمر إليه سلك هذه الطريق التي سلكها من تقدمه ، إلا أنه خرج فيها إلى غير المقصد الذي قصدوه ، فأغرب ، وأبدع ، وجاز الإحسان بجملة ، وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون غيره .

فما جاء منه قوله :

تَفَدَّى أُنْمُ الطَّيْرِ عُمْرًا سِلَاحَهُ نَسُورُ التَّلَا أَخْدَانُهَا وَالْقَشَائِمُ
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِفَيْرٍ مَخَالِبٍ وَقَدْ خَلَقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ^(٢)

ثم أورد هذا المعنى في موضع آخر من شعره فقال :

سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ تَرْجُفُ تَحْتَهَا

سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَّتْهَا صَوَارِمُهُ^(٣)

وهذا معنى قد حوى طرفي الإغراب والإعجاب .

(١) من قصيدته في مدح منصور بن يزيد (الديوان ٢٢٠) بالديوان (ملاحم ونور) - دخلها : ثأرها

(٢) من مدحه لسيف الدولة بقصيدته التي مطلعها :

على قدر أهل الزم نأتى الزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم

(الديوان ١٢٢/٤) أحداثها والقشائم : صفاتها وكبارها . القوائم : مقابض السيوف .

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة (الديوان ٥٥/٤) ورواية الديوان (يزحف تحتها) .

وقال في موضع آخر :

وَدَى كَجَبٍ لَادُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ بَنَاجٍ وَلَا الْوَحْشُ الْمُتَارُ بِسَالِمِ
تَمَرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ تُطَالِمُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ الْقَشَاشِمِ
إِذَا ضَوَّوْهَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَامِ (١)

وهذا من إيجاز أبي الطيب المشهور ، ولولم يكن له من الإحسان في شعره إلا هذه الأبيات لاستمتع بها فضيلة التقدم .

ومما ينتظم بهذا النوع ما توارد عليه أبو عبادة البهتري وأبو الطيب المتنبى في وصف الأسد ، وقصيدتهما مشهورتان ، فأول إحداها :

(أَجْدَكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرَى لَزِينَهَا)
وَأَوَّلُ الْأُخْرَى (فِي الْخَلْدِ إِنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلًا) .

أما البهتري فإنه ألم بطرف مما ذكر بشر بن عوَّانة في أبياته الرائية التي أولها :

أَقْلَمُ لَوْ شَهِدْتَ بَيْطُنَ خَبْتٍ وَقَدْ لَاقَى الْمَزَزُ أَخَاكَ بِشْرًا (٢)

وهذه الأبيات من البط العالى الذى لم يأت أحد بمثله ، وكل الشعراء لم تسم قرائعهم إلى استخراج معنى ليس بذكور فيها ، ولولا خوف الإطالة لأوردتها بجملة ، لكن الغرض إنما هو المفاضلة بين البهتري وأبي الطيب

(١) من قصيدته في مدح الأمير أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طلفج (الديوان ٤/ ٣٠٤)

ذو لب : ذو جلبة ، يصف الجيش . القشاشم : النور . البيض : جمر بيضا وهى الخوذة .

(٢) من مقامات بديع الزمان الهمداني : وأغلب الظن أن بشرا هذا شخص اخترعه

البديع وأجرى على لسانه الأبيات .

فما أورده من الماني في هذا القصد للشار إليه .

فما جاء للبحرئ من قصيدته :

وَمَا تَنْقِمُ الْحَسَادُ إِلَّا أَصَالَهَ لَدَيْكَ وَعَزَمْنَا أَرْحِيًا مُهْدَبًا
وَقَدْ جَرَّ بَوَا بِالْأَمْسِ مِنْكَ عَزِيمَةً فَضَلَّتْ بِهَا السِّيفَ الْحُسَامَ الْمَجْرَبَا
غَدَاةَ لِقَيْتِ الْآيْتِ وَالْآيْتُ مُحْذِرٌ يُحَدِّدُ نَابَا لِقَاءَ وَخَلْبَا
إِذَا شَاءَ غَادَى عَانَةً أَوْغَدَا عَلَى عَقَائِلِ يَرْسِبِ أَوْ تَقْنَصُ رَرْبَا
شَوْدَتْ لَقَدْ أَنْصَفَتْهُ حِينَ تَنْبَرِي لَهُ مُصْلَقًا عَضْبًا مِنَ الْبَيْضِ مِقْضَبَا
فَلَمْ أَرْضِ غَامِينَ أَصْدَقَ مَسْكَا عِرَاكَا إِذَا الْهَيْبَةُ الْفَنَكْسُ كَذْبَا
هَزَبَرَا مَشَى يَنْبِي هَزَبَرَا وَأَغْلَبَا مِنَ الْقَوْمِ يَفْشَى بِاسِيلِ الْوَجْهِ أَغْلَبَا
أَدَلَّ بِشَنْبٍ نَمَ هَالَتَهُ صَوْلَةٌ رَاكَ لَهَا أَمْضَى جَنَاقَا وَأَشَقْبَا
فَأَخْبَجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْعَمًا وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبَا
فَلَمْ يُفْنِهِ أَنْ كَرَّ نَحْوُكَ مُقْبِلًا وَلَمْ يُنْجِهِ أَنْ حَادَ عَنْكَ مُنْكَبَا
حَمَلَتْ عَلَيْهِ السِّيفَ لَا عَزَمُكَ انْتَفَى وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلَا حَدُّهُ نَبَا^(١)

وعما جاء لأبي الطيب المثنى في قصيدته :

أَمْعَرُ الْآيْتِ الْهَزَبَرِ بِسَوْطِهِ لَمَنْ ادْخَرْتَ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا ؟
وَرَدَّ إِذَا وَرَدَ الْبُحَيْرَةُ شَارِبَا وَرَدَ الْفَرَاتَ زَيْبُهُ وَالنَّيْلَا

(١) من قصيدته في مدح عبد الله بن دينار ووصف مبارزته للأسد (الديوان ٥٥)
بالديوان (وماتنقم الحساد) و (يوم تنبري) . أرحي : الأرحى الواسع الخلق . مخدر : ملازم للأجرة .
غادى عانة : باكر قطيعا من حجر الوحش . عقال سرب : طباء نفيسة . تقنص رربا : افترس
قطيعا من بقر الوحش . مقضب : قاطع . ضرغامين : أسدين . النكس : الجبان . هزبر :
أسد . أغلب : ضم النطق والأسد يوصف بذلك . أدل بشنب : انبسط بالهياج . أمضى
جناقا : أقوى قلبا .

مَقْصُوبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَا بَسَ فِي فِيلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلَا
 مَا قُوبِلَتْ عَيْنَاهُ الْأَطْلَقَاتَا تَحْتَ الدُّجَى نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولَا
 فِي رُخْدَةِ الرَّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَفْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَا
 يَطَا الْأَرَى مُتَرَفِّقًا مِنْ نَبِيهِ فَكَأَنَّهُ أَسَى يَجْسُ عَلِيلَا
 وَبَرْدُ فُفْرَتِهِ إِلَى بَابُوفِهِ حَتَّى تَصِيرَ رَأْسُهُ إِكْبِيلَا
 قَصَصَتْ مَخَافَتَهُ الْخَطَا فَكَأَنَّمَا رَكِبَ الْكَمَى جَوَادَةً مَشْكُولَا
 أَلْفَى فَرِسَتَهُ وَزَجَرَ دُونَهَا وَقَرُبَتْ قُرْبًا خَالَهُ تَطْنِيلَا
 فَتَشَابَهَ الْقُرْبَانِ فِي إِقْدَامِهِ وَفَهَانَا فِي بَذَلِكِ لِلْأَكُولَا
 أَسَدٌ يَرَى عُضْوِيهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا مَقَامًا أَزَلَّ وَسَاعِدَا مَفْتُولَا
 مَا زَالَ يَجْتَمِعُ نَفْسُهُ فِي زَوْرِهِ حَتَّى حَسِبْتَ التَّعْرِضَ مِنْهُ الطُّولَا
 وَكَأَنَّا غَرَّتْهُ عَيْنٌ قَادِي لَا يُبْصِرُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيلَا
 أَفَفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّيْنَةِ تَارَكَ فِي عَيْنِهِ لَلْعَدَدِ الْكَثْرَ قَلِيلَا
 وَالطَّارُ مَضَاهُ وَلَيْسَ بِمُخَافٍ مِنْ حَقْفِهِ مِنْ خَافَ عَمَّا قِيلَا
 خَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحَتْهُ فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيلَا
 تَمَحَّجُ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ فَمَضَى يُهْرُولُ أَمْسٍ مِنْكَ مَهُولَا
 وَأَصْرُهُ عَمَّا فَرَّ مِنْهُ فِرَارُهُ وَكَفَتْلِهِ إِلَّا يَمُوتَ قَتِيلَا
 تَلَفُ الْقَدَى اتَّخَذَ الْجِرَاءَةَ خُلَّةً وَعَظُ الْقَدَى اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلَا^(١)

(١) من لصيدته في مدح بدر بن عمار لما خرج إلى أسد فهرب الأسد منه ، وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شحم وثقل ، فوثب إلى كفل قوسه ، فأهبطه عن سل سيفه ، فضربه بالسوط فرغه في التراب ، فأحاط به الجيش فقتله (الديوان ٤٣٤/٣) بالديوان (و بربر دونها) و (فتشابه الخلقان)

وسأحكم بين هاتين القصيدتين ، والذي يشهد به الحق وتقيقه النصية
أذكره ، وهو أن معاني أبي الطيب أكثر عدداً ، وأسد مقصداً ، ألا ترى
أن البحترى قد قصرَ مجموع قصيدته على وصف شجاعة المدوح في تشبيهه
بالأسد مرة وتفضيله عليه أخرى ، ولم يأت بشيء سوى ذلك ، وأما أبو الطيب فإنه
أتى بذلك في بيت واحد وهو قوله :

أَمَعَّرَ اللَّيْثَ الْهَزْبِرُ بَسَوطَهُ لَمَنْ أَدْخَرَتِ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا ؟

ثم إنه تَفَنَّنَ في ذكر الأسد ، فوصف صورته وهيئته ، ووصف أحواله
في انفراده في جنسه ، وفي هيئة مشبه واختياله ، ووصف خلق مخله مع شجاعته ،
وشبه للمدوح به في الشجاعة ، وفضله عليه بالسقاء ، ثم إنه حَظَّفَ بعد ذلك
على ذكر الألفة والحمية التي بعثت الأسد على قتل نفسه بقاء للمدوح ، وأخرج ذلك
في أحسن مخرج ، وأبرزه في أشرف معنى .

وإذا تأمل للعارف بهذه الصناعة أبيات الرجلين عرف ببديهة النظر
ما أشرفت إليه .

والبحترى وإن كان أفضل من اللقبي في صوغ الألفاظ وطلاوة السبك ، فاللقبي
أفضل منه في النوص على المعاني .

== معفر : مخرج في التراب . الهزبر : الأسد الشديد . الصارم : السيف القاطم . ورد : لونه
عمر . البجيرة : بحيرة طبرية . الفرات والنيل : نهرا بالعراق ، والنيل أيضا نهر بمصر
لكن المبالغة على هذا تكون قد جاوزت القلو . القيل : الأجمة . البدة : الشعر المجتمع على
كتف الأسد . الفريق الملول : الجماعة النازلة بمكان . الفقرة : الشعر المجتمع على قفاه .
البافوخ : الرأس . الإكليل : التاج . الكمي : البطل المنتصر في سلاحه . مشكول : مقيد .
زجر : صاح ، وكذلك بربر . تطفل : تطفل أي دخول على الآكل من غير دعوة . تشابه
القريبان أو الخلقتان أي تشابههما في الجرأة والإقدام ، وتخالفتا في أن الأسد يجبل بطعامه
وأنت جواد . متن : جانب الصلب . أزل : قليل لحم العجز والفضذين مقتول : متدمج شديد .
زوره : وسط صدره . ادنى : قريب . مضاض : مؤلم . التجديد : الانطراح على الأرض .
ابن عمته : الأسد الذي هرب من بدر بعد ذلك

وعما يدل على ذلك أنه لم يعرض لما ذكره في أبياته الرائية ، لعله أن
بشراً قد ملك رقاب تلك الممانى واستحوذ عليها ، ولم يترك لغيره شيئاً يقوله فيها ،
ونظانة أبي الطيب لم يقع فيها وقع فيه البهتري من الانسحاب على ذبل بشر ، لأنه
قصر عنه تقصيراً كثيراً ، ولما كان الأمر كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك
الطريق ، وسلك غيرها فجاء فيما أورد مبرزا .

واعلم أن من أبين البيان في المفاضلة بين أرباب النظم والنثر أن يتوارد
اثنان منهما على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معانٍ كتوارد البهتري
والمخني ها هنا وعلى وصف الأسد ، وهذا أبين في المفاضلة من التوارد على معنى
واحد يصوغه هذا في بيت من الشعر وفي بيتين ، ويصوغه الآخر في مثل ذلك ، فإن
بعد المدى يُظهر ما في السوابق من الجواهر^(١) ، وعنده يتبين رجح الراجح وخُسْر
الخاسر . فإذا شئت أن تعلم فضل ما بين هذين الرجاين فانظر إلى قصيدتهما
في مرأى النساء التي مفتتح إحداها :

يا أخت خدر أخ يا بنت خير أب كنايةً بهما عن أكرم العرب^(٢)
وهي لأبي الطيب
ومفتتح الأخرى

غروب دمع من الأجفان ينهملُ وحرقةً بقليل الحزن تشعل^(٣)

وهي لبهتري ، فإن أبا الطيب انفراداً ابتدأ ما أتى به في معاني قصيدته ،
والبهتري أتى بما أكثره غثاً بارداً ، وللتوسط منه لا فرق فيه بين رثاء
امرأة ورجل .

ومن الواجب أنه إذ سلك الناظم أو النثر مسلكاً في غرض من الأغراض

(١) السوابق : الخيل الجياد السبابة . يريد أن بعد الغاية يظهر ما في الخيل للتسابق
من كرم ونفاة

(٢) مطلع قصيدته في رثاء أخت سيف الدولة (الديوان ١/٩٩)

(٣) ليست بديوانه

الايخرج عنه ، كالذى سلكه هذان الرجلان فى الرثاء بامرأة ، فإن من حذافة الصنعة أن يذكّر ما يليق بالمرأة دون الرجل .
وهذا الموضع لم يأت فيه أحداً بما ثبت على المحك إلا أبو الطيب وحده ،
وأما غيره من مؤلفى للشعراء قديماً وحديثاً فإنهم قصّروا عنه .
وله فى هذا المعنى قصيدة أخرى مفتحة :

نَمِدُّ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِيَّ وَتَقْتُلُنَا النَّوْنُ بِلَا قَتَالٍ (١)
وكفى بها شاهداً على ما ذكرته من انفرادها بالإبداع فيما أتى به .

والافتيا عندى بينه وبين البحرى أن أبا الطيب أفدّ فى المضيق ، وأعرف باستخراج المعنى الدقيق ، وأما للبحرئى فإنه أعرف بصوغ الألفاظ، وحوك ديباجتها .
وقد قدمت أن الحكم بين الشاعرين فى اتفاقهما فى المعنى أبين من الحكم بينهما فيما اختلفا فيه ، لأنهما مع الاتفاق فى المعنى يتبين قولاهما ويظهران ظهوراً يُعَلِّمُ ببديهة النظر ، ويتسارع إليه فهم من ليس بثاقب الفهم ، أما اختلافهما فى المعنى فإنه يحتاج فى الحكم بينهما فيه إلى كلام طويل يَمَرُّ فهمه ، ولا يتفطن له إلا بعض الناس دون بعض ، بل لا يتفطن له إلا الفذ الواحد من الناس .

ولى فى هذا مقالة مفردة ضمنها الحكم بين المعنيين المختلفين ، وتكلمت عليه كلاماً طويلاً عريضاً ، وأقت الدليل على ما نصصت عليه ، وما منعنى من إيرادها فى كتابى هذا إلا أنها صنعت لى بعد تصنيفه وشيوعه فى أيدي الناس وتناقل اللُغَمَ .

وعلى هذا الأسلوب توارد للبحرئى والشريف الرضى على ذكر القذّب ،
فى قصيدة للبحرئى دالية أولها .

(١) فى رثاء والده سيف الدولة (الديوان ١٧٠/٣)
المشرفية : السيوف . العوالى : الرماح .

(سلامٌ عليكم لا وفاء ولا عهد) ^(١)

ومقطوعة للشريف الرضى أولها :

وعارى الشوى وللنكبين من الطوى

أنيح له بالليل عارى الأشاجم ^(٢)

وقد أجاد البحترى فى وصف حاله مع الذئب ، والشريف أجاد فى وصف
الذئب نفسه .

المسوخ

وأما المسوخ ، فهو قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة ، والقسمة تقتضى
أن يُقرَنَ إليه ضِدُّه ، وهو قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة .

فالأول كقول أبى تمام :

وقول أبى الطيب للننقى :

فنى لا يرى أن الفريضة مقتلٌ ولكن يرى أن العيوب مقاتل ^(٣)

(١) من قصيدته فى وصف الذئب حين لقيه (الديوان ١/ ١٨٥)

(٢) من قصيدته فى وصف الذئب (الديوان ٥٠٢)

الشوى : جم هواة وهى جلدة الرأس أو البدان أو الرجلان أو الأطراف . الطوى :
الجوع الأشاجم : أصول الأصابع التى تنصل بمصب ظاهر الكف ، للفرد أشجم
(٣) من قصيدته فى مدح محمد بن عبد الملك الزيات
مطلعا :

مى أنت من ذهلية الحى ذاهل وقلبك منها مدة الدهر آهل

(الديوان ١٢٦/٣)

الفريضة : عرق فى العنق ، واللحمة التى بين الجنب والكف لاتزال ترمده

وقول أبي الطيب للثغبي :

بَرَى أَنْ مَا بَانَ مِنْكَ لَضَارِبٍ بِأَقْتَلَ عَمَّا بَانَ مِنْكَ لَعَابٍ^(١)
فهو وإن لم يشوه المعنى فقد شوه الصورة ، ومثاله في ذلك كمن أودع
الوثنى شُملاً وأعطى الورد جُملاً^(٢) وهذا من أرذل السرقات .
وعلى نحو منه جاء قول عبد السلام بن رُغبان :

نَحْنُ نُعَزِّيكُ وَمِنْكَ الْهُدَى مُسْتَخْرَجٌ وَالصَّبْرُ مُسْتَقْبَلُ
قَوْلُ بِالْقَلِّ وَأَنْتَ الَّذِي أَوَى إِلَيْهِ بِهِ نَقْلُ
إِذَا عَفَا عَنْكَ وَأَوْدَى بِنَا الْهَدَى هَرَفْ ذَاكَ الْمُحْسِنُ الْمُجِيلُ^(٣)
أخذه أبو الطيب فغاب أعلاه أسفله فقال :

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرِّزْيَةِ فَضْلاً تَكُنْ الْإِفْضَلُ الْأَعَزُّ الْآجَلاً
أَنْتَ يَا فَوْقَ أَنْ تُعَزِّيَ عَنِ الْأَخْسَبِ بَابِ فَوْقَ الَّذِي يُعَزِّيكُ عَقْلاً
وَبِالْفَاظِ اعْتَدَى فَإِذَا عَزَا كَ قَالَ الَّذِي لَهُ قَاتَ قَبْلاً^(٤)
والبيت الأخير من هذه الأبيات هو الآخر قدراً ، وهو المخصوص بالسخ .
وأما قلب الصورة الفبيحة إلى صورة حسنة فهذا لا يسمى سرقة ، بل يسمى
إصلاحاً وتهذيباً

-
- (١) من قصيدته في مدح أبي القاسم طاهر بن الحسين مطلعها
أَعِيدُوا صَبَاحِي فَبِهِ عِنْدَ الْكَوَامِ وَرَدُوا رَقَادِي فَهِيَ لِحْظُ الْحَيَابِ
(الديوان ١/ ١٨٣)
المعنى أنك ترى أن الذي ظهر من الإنسان لضاربه بالسيف كالضيق ليس بأقفل مما ظهر
للعائب ، فالعيب أشد من القتل .
(٢) الشمل : الشمال على وزن كتاب شيء مثل الخلالة ينطلى به ضرع الشاة إذا ثقلت
أو غاص بالعنز ، والجمل شمل . الجمل : دويبه تشبه الخنفساء .
(٣) الأغانى ١٢/ ١٤٢ من قصيدته في تمزية جعفر بن علي الهاشمي . وقبل البيت الأخير
نَحْنُ فَدَى لَكَ مِنْ أَمَةٍ وَالْأَرْضُ وَالْأَوَّلُ
(٤) من قصيدته في تمزية سيف الدولة في أخته الصغرى وتسلية عن أخته الكبرى
مطلعها =

فن ذلك قول أبي الطيب المتنبي :

لو كان ما تعطيتهم من قبل أن تعطيتهم لم يعرفوا التأميلا^(١)

وقول ابن نباتة السعدي :

لم يبق جودك لي شيئا أوامه تركتني أضعب الدنيا بلا أمل^(٢)

وعلى هذا النحو ورد قول أبي نواس في أرجوزة بصف فيها اللعاب بالكرة والصولجان ، فقال من جملتها .

جن على جن وإن كانوا بشر كأنما خيطوا عليها بالإبر^(٣)
ثم جاء للتنبي فقال :

فكانها نتجت قياما تحتم وكأنهم ولدوا على صمواتها^(٤)

وبين القولين كما بين السماء والأرض ، فإنه يقال ليس للأرض إلى السماء نسبة محسوسة ، وكذلك يقال هاهنا أيضا ، فإنه بقدر ما في قول أبي نواس من النزول والضعف ، فكذلك في قول أبي الطيب من العلو والقوة .

== إن يكن صبر ذي الرزية فضلا تكن الأفضل الأعز الأجل
(الديوان ٣٠١ / ٣) يريد أن المعزى لسيف الدولة يهتدى بالفاظه ، ويخاطبه بما تلمحه من قوله ، فقدره مرتفع عن التحية .

(١) من منحه لسيف الدولة (الديوان ٤٤٩ / ٤)

(٢) الديوان ٤١١ ويتيمه الدهر ٣٨٨ / ٢ من مدحه لسيف الدولة بن حمدن

(٣) ليست بالديوان . وهي أرجوزة مطلما .

قد أشهد اللهو بفتيان فرر من ولد العباس سادت البعر

(٤) من قصيدته في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران (الديوان ٢٥٥ / ١) نتجت :

ولدت . الصهوات : للراد مقاعد الفرسان على ظهور الخيل .

القصيدة مطلما :

سرب محاسنه حرمت ذواتها داني الصفات بعيد موصوفاتها

[تم القسم الثالث من كتاب المثل السائر لابن الأثير]

يليه القسم الرابع ، محتويا على :

١ - نكحة المثل السائر .

٢ - كتاب الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد .

٣ - - فهارس الكتاب متنوعة ومفصلة .

المثل السائر

في أدب الكاتب والشاعر

يضياء الدين بن الأثير

قدّمه وحققه وعلّق عليه

دكتور أحمد الحوفي دكتور بدوي طبانة

القسم الرابع

ويليه

كتاب الفلك الدائر على المثل السائر
لابن أبي الحديد

دار نهضة مصر للطبع والنشر
الفيّالة - القاهرة

تكملة باب السرقات

وربما ظن بعض الجهال أن قول الشماخ :

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَلَّتْ رَحْلِي عَرَابَةً فَأَشْرَقِي بَدَمَ الْوَرَّتَيْنِ^(١)

وقول أبي نواس :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بَنَّا بَلَفَنَ مُحَمَّدًا فَظَهَرُوهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامَ^(٢)

من هذا القبيل الذي هو قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة ، وليس كذلك ، فإن قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة هو أن يؤخذ المعنى الواحد فيكسى عبارتين ، إحداهما قبيحة والأخرى حسنة ، فإن الحسن والقبح إنما يرجع إلى التعبير لا إلى المعنى نفسه ، وقول أبي نواس هو عكس قول الشماخ ، وقد تقدم مثل ذلك فيما مضى من ضروب السرقات .

(١) الديوان ٩٢ والأغاني ١٠٢/٨ عرابة بن أوس كان سيداً من سادات قومه وجواداً من أجوادهم . في كتاب الصناعاتين ٢١٠ أن أبا نواس قال : والله ما أحسن الشماخ حيث قال (البيت) هلا قال كما قال الفرزدق :

علام تلفتين وأنت تحقني وخير الناس كلهم أمامي
مني تردى الرصافه تستريحني من التهجير والدبر الدامي
وكان قول الشماخ عيباً عندي ، فلما سمعت قول الفرزدق تبعته ، فقلت :
وَإِذَا الْمَطِيُّ بَنَّا بَلَفَنَ مُحَمَّدًا فَظَهَرُوهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامَ
فربنا من خير من وطئ الحصا فلها علينا حرمة وذمام
وقلت : (وذكر ثلاثة أبيات أخر) .

ثم ذكر أبو هلال بعد أن فرغ من كلام أبي نواس أن الشماخ تبع ذا الرمة في قوله :
إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بَلَّالًا يَلْقَنِي فَقَامَ بَقَاسٍ بَيْنَ وَصْلِكَ جَازِرِ
والشماخ بن ضرار شاعر مخضرم ، شهد له الخطيئة بأنه أشعر غطفان
(٢) من قصيدته في مدح الأمين (الديوان ٤٠٨)

ألا ترى إلى قول أبي الطيب المتنبي وقول الشريف الرضى ، فقال
أبو الطيب :

إِنِّي عَلَى شَفْعِي بِمَا فِي خُرْهَا لَأُعِفَّ عَمَّا فِي سَرَا وَبِلَاتِهَا^(١)

وقول الشريف الرضى :

أَحِنُّ إِلَى مَا تَصْمَنُ الْخَمْرُ وَالْحَلَى وَأَصْدِفُ عَمَّا فِي صَمَانِ الْمَازِرِ^(٢)

فالمنى واحد والعبارة مختلفة في الحسن والقبح .

وهذه السرقات وهي ستة عشر نوعاً لا يكاد يخرج عنها شيء ، وإذا أنصف
الناظر في الذي أتيت به هاهنا علم آتى قد ذكرت ما لم يذكره غيره ، وأنا أسأل
الله التوفيق لأن أكون لفضله شكورا ، وألا أكون مختالا نفورا .

وإذ فرغت من تصنيف هذا الكتاب ، وحررت القول في تفصيل أقسام
الفصاحة والبلاغة والكشف عن دقائقهما وحقائقهما ، فينبغي أن أختمه بذكر
فضيلتهما فأقول :

اعلم أن هذا الفن هو أشرف الفضائل وأعلاها درجة ، ولولا ذلك لما نفخر
به رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة مواقف ، فقال تارة : « أنا أفصح
من نطق بالضاد » . وقال تارة : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَ لَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي ، كَانَ
كُلُّ نَبِيٍّ يَبِيعُ فِي قَوْمِهِ ، وَبِيعْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْفَنَائِمُ ،

(١) من قصيدته في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران التي مطلعها :

سرب بحاسنه حرمت ذواتها داني الصفات بعيد موصوفاتها

(الديوان ١ / ٢٥٢)

(٢) الديوان ٣٤٣ وفي الديوان (يمن ، ويصدق)

وجعلت لي الأرض طيبةً وطهوراً ، ونصرت بالرعب بين يديّ مسيرة شهر ،
وأوتيت جوامع الكلم » .

وما سُمِعَ بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتخر بشيء من العلوم سوى
علم الفصاحة والبلاغة ، فلم يقل إنه أفقه الناس ، ولا أعلم الناس بالحساب ولا بالطب
ولا بغير ذلك ، كما قال : أنا أفصح من نطق بالضاد .

وأيضاً فلو لم تكن هذه الفضيلة من أعلى الفضائل درجة لما اتصل الإعجاز
بها دون غيرها ، فإن كتاب الله تعالى نزل عليها ، ولم ينزل بمعجز من مسائل
الحساب ولا من مسائل الطب ولا غير ذلك من العلوم ، ولما كانت هذه الفضيلة
بهذه المكانة صارت في الدرجة العالية .

والمنشور منها أشرف من المنظوم لأسباب ، من جعلها أن الإعجاز لم
يَتَّصِلْ بالمنظوم ، وإنما اتصل بالمنشور .

الآخر أن أسباب النظم أكثر ، ولهذا نجد المجيدين منهم أكثر من المجيدين
من الكتاب ، بل لا نسبة لهؤلاء إلى هؤلاء ، ولو شئت أن تُخَصِّصَ أرباب
الكتابة ، من أول الدولة الإسلامية إلى الآن لما وجدت منهم من يستحق اسم
الكاتب عشرة ، وإذا أحصيت الشعراء في تلك المدة وجدتهم عدداً كثيراً ،
حتى لقد كان يجتمع منهم في العصر الواحد جماعة كثيرة ، كل منهم شاعر
مُفْلِقٌ ، وهذا لا نجد في الكتاب ، بل ربما ندر الفرد الواحد في الزمن الطويل .

وليس ذلك إلا لوعورة المسلك من النثر ، وبعد مناله ، والكاتب هو أحد
دِعَامَتِي الدولة ، فإن كل دولة لا تقوم إلا على دعامتين من السيف والقلم ،
وربما لا يفتقر الملك في مله إلى السيف إلا مرة أو مرتين ، وأما القلم فإنه

يفتقر إليه على الأيام ، وكثيرا ما يستغنى به عن السيف ، وإذا سئل عن الملوك الذين غبرت أيامهم لا يوجد منهم من حَسُنَ اسمه من بعده إلا من حظى بكتاب خطب عنه ، وفخَّم أمر دولته ، وجعل ذكرها خالدا يتناقله الناس ، رغبة في فصل خطابه ، واستحسانا لبداعة كلامه ، فيكون خلود ذكرها في خفارة ما دَوَّنه قلمه ، ورقته أساطيره .

وليس الكاتب بكتاب حتى يضطر عدو الدولة أن يروى أخبار مناقبها في حقله ، ويصبح لسانه حامد لساعياها ، وبقلبه ما به من غلة .

ولقد أحسن أبو تمام في هذا المعنى حيث قال :

سَأْجِدُ حَتَّى أُبْلَغَ الشَّعْرَ شَأْوَهُ إِنْ كَانَ طَوْعًا لِي وَلَيْسْتُ بِمُجَاهِدٍ
فَإِنْ أَنَا لَمْ يَحْمَدْكَ عَنِّي صَاغِرًا عَدُوٌّ فَاعْلَمْ أَنِّي غَيْرُ حَامِدٍ^(١)

وهذا الذي ذكرته حق وصدق ، لا ينكره إلا جاهل به ، وأنا أسأل الله الزيادة من فضله ، وإن لم أكن أهلا له ، فإنه هو من أهله .

ووقفت على كلام لأبي إسحاق الصابي في الفرق بين الكتابة والشعر ، وهو جواب لسائل سأله فقال : إن طريق الإحسان في منشور الكلام يخالف

(١) من قصيدته في مدح أبي الحسين محمد بن المهدي بن شبابة التي مطلعها :
قَتَلُوا جَدُّوهُ مِنْ مَهْدِهِمْ بِالْحَمْدِ وَإِنْ عَمِي لَمْ تَسْمَعْ لِنَشْدَانِ فَاشْدُ
(الديوان ٢ / ٧٧)

يروى بالديوان (كان لي طوعا وكان طوعا لي) يريد أن قصائده في مدح أبي الحسين يجب بها أعداؤه فيروونها ، فإن أعدوا فكأنهم قد حرموا .

طريق الإحسان في منظومه ، لأن الترسل هو ما وضع معناه ، وأعطاك سماعه في أول وهلة ما تضمنته ألفاظه ، وأنغر الشعر ما غمض ، فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة منه .

ثم قال بعد ذلك : ولسائل أن يسأل فيقول : من أى جهة صار الأحسن في معنى الشعر الغموض وفي معانى الترسل الوضوح ؟

فالجواب أن الشعر بُني على حدود مقررة ، وأوزان مقدرة ، وفُصِّلَت أبياته ، فكان كل بيت منها قائماً بذاته ، وغير محتاج إلى غيره ، إلا ما جاء على وجه التضمين وهو عيب . فلما كان النفس لا يمتد في البيت الواحد بأكثر من مقدار عروضة وضربه وكلاهما قليل ، احتيج إلى أن يكون الفصل في المعنى ، فاعتمد أن يلطف ويدق .

والترسل مبنى على مخالفة هذه الطريق ، إذ كان كلاماً واحداً لا يتجزأ ولا يتفصل إلا فصولاً طوالاً ، وهو موضوع وضع ما يهذه^(١) أو يمر على أسمع شئ من خاصة ورعية ، وذوى أفهام ذكية وأفهام غبية ، فإذا كان متسلسلاً ساغ وقرب ، فجميع ما يستحب في الأول يكره في الثانى ، حتى إن التضمين عيب في الشعر وهو فضيلة في الترسل .

ثم قال بعد ذلك : والفرق بين المترسلين والشعراء أن الشعراء إنما أغراضها التي يرمون إليها وصف الديار والآثار ، والحنين إلى الأهواء والأوطار ، والتشبيب بالنساء ، والطلب والاجتداء ، والمديح والمجاء ، وأما المترسلون فإنما يترسلون في أمر سداد ثغر ، وإصلاح فساد ، أو تحريض على جهاد ، أو احتجاج على فئة ، أو مجادلة لمسألة ، أو دعاء إلى ألفة ، أو نهى عن فرقة ، أو تهنئة بعطية ، أو تعزية برزية ، أو ماشا كل ذلك .

(١) يهذه : يقطع في سرعة أو مرة بعد مرة .

هذا ما انتهى إليه كلام أبي إسحاق في الفرق بين الترسل والشعر .
ولقد عجبت من مثل ذلك الرجل الموصوف بذلاقة اللسان وبلاغة البيان ،
كيف يصدر عنه هذا القول الناكِبُ عن الصَّواب ، الذي هو في باب ،
ونصي^(١) النظر في باب ، اللهم غَفراً .

وسأذكر ما عندي في ذلك لا إرادةً للطنن عليه ، بل تحقيقاً لحل النزاع
فأقول : أما قوله : إن الترسل هو ما وَضَحَ معناه ، والشعر ما غَمَضَ معناه ، فإن
هذه دعوى لا مَسْتَنَدَ لها ، بل الأحسن في الأمرين معا إنما هو الوضوح والبيان .

على أن إطلاق القول على هذا الوجه من غير تقييد لا يَدُلُّ على القرض
الصحيح ، بل صوابُ القول في هذا أن يقال كل كلام من منشور ومنظوم
فينبغي أن تكون مفردات ألفاظه مفهومة ، لأنها إن لم تكن مفهومة فلا
تكون فصيحة ، لكن إذا صارت مركبة نقلها التركيب عن تلك الحال

في فهم معانيها ، فمن المركب منها ما يفهمه الخاصة والعامة ، ومنه ما لا يفهمه
إلا الخاصة وتفاوت درجات فهمه ، ويكفي من ذلك كتاب الله تعالى ، فإنه
أفصح الكلام ، وقد خوطب به الناس كافة من خاص وعام ، ومع هذا فإنه
ما يتسارع الفهم إلى معانيه ، ومنه ما يَنْفَمِضُ فيعرف فهمه ، والألفاظ المفردة ينبغي
أن تكون مفهومة ، سواء كان الكلام نظماً أو نثراً ، وإذا تركبت فلا يلزم
فيها ذلك ، وقد تقدم في كتابي هذا أدلة كثيرة على هذا فتؤخذ من مواضعها .

وأما الجواب الذي أجاب به في الدلالة على غموض الشعر ووضوح الكلام
المنثور ، فليس ذلك بجواب ، وهَبْ أن الشعر كان كل بيت منه قائماً بذاته ،

فَلِمَ كان مع ذلك غامضا ؟ وهَبْ أن الكلام المنشور كان واحدا لا يتجزأ ، فلم كان واضحاً ؟ ثم لو سلمت إليه هذا فإذا يقول في الكلام المسجوع الذي كل فقرة منه بمنزلة بيت من شعر ؟ .

أما قوله في الفرق بين الشاعر والكاتب : « إن الشاعر من شأنه وصف الديار والآثار والحنين إلى الأهواء والأوطار ، والتشبيب بالنساء ، والطلب والاجتداء ، والمديح والهجاء ، وإن الكاتب من شأنه الإفاضة في سداد ثغر ، أو إصلاح فساد ، أو تحريض على جهاد ، أو احتجاج على فئة ، أو مجادلة لمسألة ، أو دعاء إلى ألفة ، أو نهى عن فرقة ، أو تهنئة بمطية ، أو تعزية برزية » فإن هذا تَعَكُّمٌ مُحَضٌّ لا يستند إلى شبهة ، فضلا عن بَيِّنَةٍ .

وأى فرق بين الشاعر والكاتب في هذا المقام ؟ فكما يصف الشاعر الديار والآثار ، ويحن إلى الأهواء والأوطار ، فكذلك يكتب الكاتب في الاشتياق إلى الأوطان ، ومنازل الأحباب والإخوان ، ويحن إلى الأهواء والأوطار ، ولهذا كانت الكتب الإخوانيات بمنزلة الفزل والنسيب من الشعر .

وكما يكتب الكاتب في إصلاح فساد أو سدّادِ ثغر أو دعاء إلى ألفة أو نهى عن فرقة أو تهنئة أو تعزية ، فكذلك الشاعر .

فإن شدَّ عن الصابي قصائد الشعراء في أمثال هذه المعاني فكيف خفي عنه قصيدة أبي تمام في استعطاف مالك بن طوق على قومه التي مطلعها :

(لو أن دَهْرًا رَدَّ رَجَعَ جَوَابِي)^(١) .

(١) الشطر الثاني : أو كف من شأويه طول عتاب (الديوان ١ / ١٠٨)

للأوأن : تنثية شأو وهو الطلق ، واستمارة ما هنا للدمر كأنه يذهب إلى فعله النسيب .
وضده ، والمراد من البيت أنه لو نفع عتابه للدمر لما نفعه .

أم كيف أخل بالنظر في ديوان أبي الطيب المتنبي ، وهما في زمن واحد ، فما تأمل قصيدته في الإصلاح بين كافور الإخشيدي وبين مولاه التي مطلعها :

(حَسَمَ الصلح ما اشتته الأعدى ^(١)) .

وكذلك لا شك أنه لم يقف على قصيدة أبي عبادة البحترى في غزو البحر التي مطلعها :

(ألم ترتقليسَ الربيع المبكر ^(٢)) :

ولو أخذتُ في تعداد قصائد الشعر في الأغراض التي أشار إليها وخصَّ بها الكاتب لأطلتُ ، وذكرت الكثير الذي يحتاج إلى أوراق كثيرة ، وكل هذه الفروق التي نص عليها وعددها فليست بشيء ، ولا فرق بين الكتابة والشعر فيها .

والذي عندي في الفرق بينهما هو من ثلاثة أوجه :

الأول : من جهة نظم أحدهما ونثر الآخر ، وهذا فرق ظاهر .

الثاني : أن من الألفاظ ما يُعاب استعماله نثراً ولا يعاب نظماً ، وذلك شيء استخرجته ، ونهت عليه في القسم الأول المختص باللفظة المفردة في المقالة الأولى من هذا الكتاب ، وسأعيد هاهنا شيئاً فأقول : قد ورد في شعر أبي تمام قوله :

(١) تكملة البيت : وأذاعته ألسن الحساد (الديوان ٧ / ١٥٦) كان قوم قد حاولوا أن يفسدوا ما بين ابن الإخشيدي وكافور ، فطالب كافور بتسليمهم إليه ، فامتنع ابن الإخشيدي ثم سلمهم ، وصالح كافورا

(٢) في مدح أحمد بن دينار بن عبد الله ووصف مركب اتخذوه وهو والى البحر ، وغزاه فيه بلاد الروم (الديوان ١ / ٢٧) . والقطر الثاني : وما حاك من وشى الرياض للشعر ، التقليل : السير في الظلم . الوشى : الزخرف . اللعسر : الطيب الرائحة القاذرة

هي العَرِمْسُ الوَجْناءُ وابنُ مِلَمَّةٍ
وجأشٌ على ما يَحْدِثُ الدهرُ خافِضٌ^(١)

وكذلك ورد في شعر أبي الطيب المتنبي كقوله :

ومَهْمَةٌ جُبْتُهُ على قَدَمِي تَعَجِّرُ عنه العَرَامِسُ الذُّلُّ^(٢)

فلفظه المهمة والعَرِمْس لا يُعَاب استعمالها في الشعر ، ولو استعمالا في كتاب أو خطبة كان استعمالها معيبا . وكذلك ما يشاكلهما ويناسبهما من الألفاظ ، وكل ذلك قد ضبطته بضوابط ، وحددته بحدود تفصله عن غيره من الألفاظ ، فليؤخذ من المقالة الأولى ، ولولا خوف التكرار لأعدته هاهنا .

الثالث : أن الشاعر إذا أراد أن يشرح أمورا متعددة ذوات معان مختلفة في شعره ، واحتاج إلى الإطالة بأن ينظم مائتي بيت أو ثلاثمائة أو أكثر من ذلك ، فإنه لا يجيد في الجميع ولا في الكثير منه ، بل يجيد في جزء قليل ، والكثير من ذلك رديء ، غير مرضي ، والكتاب لا يؤتَى من ذلك ، بل يطيل في الكتاب الواحد إطالة واسعة تبلغ عشر طبقات من القراطيس أو أكثر ، وتكون مشتملة على ثلاثمائة سطر أو أربعمائة أو خمسمائة ، وهو يجيد في ذلك كله ، وهذا لا نزاع فيه ، لأننا رأيناه وسمعناه وقلناه .

(١) من قصيدته في مدح دينار بن عبد الله التي مطلعها :

مهاة النقا لولا الشوى والسايش وإن محض الإعراض لي منك ما حصى
(الديوان ٢ / ٢٩٤) وبالديوان (هي الحرة)

الحرة : الجيدة . العَرِمْس : الناقة الصلبة . الوجناء : الناقة الشديدة . الملم : القديد من كل شيء ، والملمة الشديدة . الجأش : النفس أو القلب (تاج العروس) . خافض : الخفض الدعة وعيش خافض ناعم وادع

(٢) من قصيدته في مدح بدر بن عمار (الديوان ٢ / ٤٠٥)

مهمة : فلاة . العرامس : جمع عَرِمْس وهي الناقة الصلبة الشديدة . الذل : اللذلة بالعمل . الروضة بالسير ، جمع ذلول الذكر والمؤنث .

وعلى هذا فإنى وجدت العجم يَفْضُلُون العرب في هذه النكتة المشار إليها ،
فإن شاعريهم يذكرون كتابا مصنفا من أوله إلى آخره شعرا ، وهو شرح قصص
وأحوال ، ويكون مع ذلك في غاية الفصاحة والبلاغة في لغة القوم ، كما فعل
الفردوسي في نظم الكتاب المعروف بشاه نامه ، وهو ستون ألف بيت من
الشعر ، يشتمل على تاريخ الفرس ، وهو قرآن القوم ، وقد أجمع القوم وفصحاؤهم
على أنه ليس في لغتهم أفصح منه ^(١) ، وهذا لا يوجد في اللغة العربية على اتساعها
وتشعب فنونها وأغراضها ، وعلى أن لغة العجم بالنسبة إليها كقطرة من بحر .

اللهم صَلِّ على سيدنا محمد النبي الأُمِّي وآله وصحبه الطيبين الطاهرين ،
وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين ؟

(١) الفردوسي هو أبو القاسم الفردوسي أكبر شعراء الفرس في القرن الرابع الهجري .
وراه الإيرانيون أكبر شعراء الفرس جميعا . ولد بين سنتي ٣٢٠ و ٣٣٠ هـ وتوفي سنة
٤١١ أو ٤١٦ هـ وهو ناظم ملحمة الفرس الكبرى المعروفة بالشاهنامه أي كتاب الملوك .
والشهور أن أبياتا ستون ألف بيت ، ولكن النسخ المختلفة الموجودة الآن تزيد على ذلك
وتنقص ، وقد اتصل الفردوسي بالسلطان محمود الغزنوي وقدم له الشاهنامه ، فأعرض عنه ،
ولم يحسن جائزته . فتركه الشاعر مفاضا ، وهجاه بأبيات مثبتة في بعض نسخ الشاهنامه . وله
غيرها قصة يوسف وزليخا ، وليست الشاهنامه مقصورة على تاريخ الفرس وحروبهم ، بل
بها روائع في الوصف والقصص العاطفية والمغظات والحكم وهي فوق ذلك مثال في روعة الأسلوب .

الفلك والدار

على المثل السائر

لابن أبي الحديد

قدّم له ، وحققه ، وعلق عليه

دكتور أحمد الحوفي و دكتور بدوي طبائنه

تدوير

رأينا أن نضم إلى كتاب المثل السائر أهم كتاب في الرد عليه ، هو (الفلک الدائر على المثل السائر) لابن أبي الحديد ، لتسكتم الفائدة بهما معا .
وفي هذه الصفحات التي تصدر بها الكتاب نعرف بمؤلفه ونعرف بالكتاب نفسه .

ابن أبي الحديد^(١)

هبة :

هو عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد ، المدائني المعتزلي الشيعي الفقيه الشاعر .

ولد في غرة ذي الحجة سنة ٥٨٦ هـ وكان من أعيان العلماء الأفاضل ، بارعا في علم الكلام على مذهب المعتزلة ، أدبيا جيد النثر والشعر .

اشتغل زمنا في الدواوين السلطانية ، وأدرك إغارة المغول على بغداد ، ولما هجم عليها هولاكو في ٢٠ من المحرم سنة ٦٥٦ هـ وأسرف في التخريب والتقتيل كان ابن أبي الحديد وأخوه موفق الدين أحمد بن أبي الحديد من الذين نجوا من القتل في دار الوزير مؤيد الدين محمود بن العَلَمِي^(٢) . وقابل خواجه

(١) اعتمدنا في التعريف به على فوات الوفيات لابن شاكر ٦/١ وعلى ما نقل في نهاية شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة من (معجز الآداب في معجم الألقاب) لأحمد محمد بن أبي المعالى الشيباني القوطي . وعلى محاضرات الحضري في تاريخ الدولة العباسية ،

(٢) كان وزيراً المستنعم بالله ، وكان من كبار رجال الشيعة . وكانت الفتن كثيرة بين أهل السنة والشيعة ، وكان يسوؤه أن الشيعة مضطهدون من أهل السنة ، وأن البيت العباسي يعضد أهل السنة . فيقال إن الوزير كاتب هولاكو وحرضه على فتح بغداد ، وهو يريد إسقاط الخلافة العباسية وبعض المؤرخين يدلل على هذه التهمة ، وبعضهم يبرئها منها .

نصير الدين الطوسي ، فوكل الإشراف على خزائن الكتب ببغداد إليه وإلى أخيه موفق الدين والشيخ تاج الدين على بن أنجب .

ولكن أيامه لم تطل ، فقد توفى في جمادى الآخرة سنة ٦٥٦

مؤلفاته :

أما مؤلفاته فإنها كثيرة تدل على كلفه بالثقافة الشرعية والأدبية ، وقد سلم بعضها من عادة الدهر ، وطبع .

١ - شرح نهج البلاغة .

ألفه لخزانة كتب الوزير مؤيد الدين محمود بن العلقمي . وهو شرح مفصل لخطب ورسائل الإمام علي ، يحتوي على مسائل كثيرة لم يحتو عليها كتاب من جنسه . ولما فرغ من تأليفه بعثه إلى الوزير مع أخيه مؤيد الدين أبي المعالي ، فأرسل إليه الوزير مائة دينار ، وجلة سنوية ، وفرسا .

وقد طبع هذا الشرح .

٢ - العبرى الحسان .

وهو كتاب فريد الوضع ، اختار فيه نصوصا شتى من علم الكلام والتاريخ والشعر ، وأودعه قطعا من إنشائه وترسلاته ومنظوماته ، وقد ذكره في كتابه الفلك الدائر .

٣ - الاعتبار على كتاب الذريعة في أصول الشريعة للسيد المرتضى ، في ثلاثة مجلدات .

٤ - شرح المحصل للإمام نجر الدين .

وهو نقض لكتاب المحصل وردود عليه .

- ٥ - نقص الحصول في علم الأصول .
- وهو رد آخر على الإمام فخر الدين .
- ٦ - شرح مشكلات الفرر لأبي الحسن البصري في أصول الكلام .
- ٧ - شرح الياقوتة لابن نوبخت في علم الكلام أيضاً .
- ٨ - الوشاح الذهبي في العلم الأدبي .
- ٩ - انتقاد المصنّف للغزالي ، في أصول الفقه .
- ١٠ - الحواشي على كتاب المفصل في النحو .
- ١١ - الفلك الدائر على المثل السائر

شعره :

له شعر كثير ، أجله وأكثره شهرة القصائد السبع العَوَيات ، نظمها
في صباه بالمداثن سنة ٦١١ هـ في الإشادة بعلي بن أبي طالب . ويروى أنه نظم
فصيح ثعلب في يوم وليلة .

١ - من شعره ما كتب به إلى الوزير ابن العلقمي لما بعث إليه مكافأة
على تأليف شرح نهج البلاغة :

أَيَّارِبَّ الْعِبَادِ رَفَعْتَ صُنْعِي وَطَلْتَ بِمَفْكِ وَبَلَلْتَ رِيقِي

وَزَيْغَ الْأَشْمَرِيِّ^(١) كَشَفْتَ عَنِّي فَلَمْ أَسْأَلْكَ تَنْيَاتِ الطَّرِيقِ^(٢)
أَحَبَّ الْإِعْتَزَالَ وَنَاصِرِيهِ ذَوَى الْأَلْبَابِ وَالنَّظَرَ الدَّقِيقَ
فَأَهْلَ الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ أَهْلِي نَعَمْ فَرِيقَهُمْ أَبَدًا فَرِيقُ
وَشَرَحَ النَّهْجَ لَمْ أَدْرِكْهُ إِلَّا بِعَوْنِكَ بَعْدَ تَجَهُّدٍ وَضِيقِ
تَمَثُّلٍ إِذْ بَدَأْتَ بِهِ لِعَيْنِي هُنَاكَ كَذِرْوَةُ الطَّوْدِ السَّحِيقِ
فَتَمَّ بِحَسَنِ عَوْنِكَ وَهُوَ أَنَايَ مِنَ الْعَيُوقِ^(٣) أَوْ بَيِّضَ الْأَنْوَقِ^(٤)
بِأَلِّ الْعَلَقَمِيِّ وَرَتَّ زَنَادَى وَقَامَتْ بَيْنَ أَهْلِ الْفَضْلِ سُقَى
فَكَمْ ثَوْبٍ أَتَيْقُ نَلْتُ مِنْهُمْ وَنِلْتُ مِنْهُمْ ، وَكَمْ طَرَفٍ عَتِيقِ^(٥)
أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُمْ وَأَنْحَسَى عَلَى أَعْدَائِهِمْ بِالْخَنْفَقِيِّ^(٦)

(١) الأشمري هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشمري ، ينتسب إلى أبي موسى الأشمري ، كان معتزلياً أولاً ، ثم خرج على مذهب المعتزلة وحاربهم بمثل سلاحهم ، وأخذ من مذهبهم بعض الآراء ، ومن مذهب خصومهم بعضاً ، وكون لنفسه مذهباً مختاراً حاول فيه أن يوفق بين العقول والمنقول ، وهو أميل إلى مذهب أهل السنة ، يثبت الصفات لله تعالى من علم وقدرة وإرادة ، وهي صفات أزلية قائمة بذاته تعالى . ويقول بإمكان رؤية الخالق سبحانه وتعالى في الآخرة ، لكن يستحيل أن تكون الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة .

ومذهبه في الوعد والوعد مخالف للمعتزلة من كل وجه :
ولكن بعض العلماء الكبار من أهل السنة لم يوافقوه على آرائه كلها ، ورأوا أن بعضها مشوب بآراء المعتزلة .

(الملل والنحل ١ / ٨٥)

(٢) تنيات الطرق : الطرق المتنوعة المعوجة .
(٣) العيوق : نجم أحمر مضى في طرف الحجر الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .
(٤) يبيض الأنوق : الأنوق : على وزن صبور العقاب والرخة ، وهو أهن من يبيض الأنوق لأنها تهرزه فلا يكاد يظف أحد ؛ لأن أوكارها في القل الصعبة .
(٥) الطرف : الفرس الأصيب الكريم .

(٦) الخنفيقي : الصرمة جدا من النوق والفرلان وحكاية جرى الخيل ، وهو مشى فيه اضطراب وللراد الداهية .

٢ — ومن شعره قوله في مناجاة الله وبيان مذهبه في الاعتزال :

وَحَقِّكَ لَوْ أَدْخَلْتَنِي النَّارَ قُلْتُ لِلَّهِ ذِينَ بِهَا قَدْ كُنْتُ مِنْ يُحِبُّهُ
وَأَفْنَيْتُ عَمْرِي فِي دَقِيقِ عُلُوسِهِ وَمَا بَغَيْتِي إِلَّا رِضَاهُ وَقُرْبُهُ
هَبُونِي مَسِيئًا أَوْضَعَ الْعِلْمُ جَهْلَهُ وَأَرْبَعَةً دُونَ الْبَرِيَّةِ ذَنْبُهُ^(١)
أَمَّا يَقْتَضِي شَرْعُ التَّكْرَمِ عَفْوَهُ أَيَحْسُنُ أَنْ يُنْسَى هَوَاهُ وَحُبُّهُ ؟
أَمَّا رَدَّ زَيْغِ ابْنِ الْخَطِيبِ وَشَكُّهُ وَتَمْوِيهِمْ فِي الدِّينِ إِذْ عَزَّ خَطْبُهُ ؟
أَمَّا كَانَ يَنْوِي الْحَقَّ فِيمَا يَقُولُهُ أَلَمْ تَنْصُرِ التَّوْحِيدَ وَالْعَدْلَ كُتْبُهُ
وَغَايَةَ صِدْقِ الْعَبْدِ أَنْ يَعْذِبَ الْأَسَمَ إِذَا كَانَ مِنْ يَهْوَى عَلَيْهِ يَصْبُهُ

فرد عليه الشيخ صلاح الدين الصفدى بقوله :

عَلِمْنَا بِهَذَا الْقَوْلِ أَنَّكَ آخِذٌ بِقَوْلِ اعْتِزَالٍ جَلٍّ فِي الدِّينِ خَطْبُهُ ؟
فَتَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ فِي الْحَشْرِ مَا يَرَى وَذَاكَ اعْتِقَادٌ سَوْفَ يُرَدِّدُكَ غَيْبُهُ
وَتَنْفِي صِفَاتِ اللَّهِ وَهِيَ قَدِيمَةٌ وَقَدْ أَثْبَتَتْهَا عَنْ إِهْلِكَ كُتْبُهُ
وَتَعْتَقِدُ الْقُرْآنَ خَلْقًا وَمُحَدَّثًا وَذَلِكَ دَاءٌ عَزَّ فِي النَّاسِ طِبُّهُ
وَتُثْبِتُ لِلْعَبْدِ الضَّعِيفِ مَشِئَةً يَكُونُ بِهَا مَا لَمْ يُقَدِّرْهُ رَبُّهُ
وَأَشْيَاءُ مِنْ هَذِي الْفَضَائِحِ جَمَّةٌ فَأَيُّكُمْ دَاعِيَ الضَّلَالِ وَحِزْبُهُ ؟
وَمَنْ ذَا الَّذِي أَضْحَى قَرِيبًا إِلَى الْهُدَى

وَجَاءَ عَنِ الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ ذَنْبُهُ
وَمَاصِرَّ نَفَرَ الدِّينِ قَوْلُهُ نَظْمَتُهُ وَفِيهِ شَنَاعٌ مُفْرِطٌ إِذْ تَسْبَهُ

(١) أَوْضَعَ الْعِلْمُ جَهْلَهُ : لَزَمَهُ ، مِنْ أَوْضَعْتَ الْإِبِلَ إِذَا رَعَتْ الْحُمْضَ حَوْلَ الْمَاءِ وَلَمْ تَبْرَحْهُ .

٣ — ومن شعره قوله :

لو لا ثلاث لم أخف صرعتي ليست كما قال فتى العبد^(١)
 أن أنصر التوحيد والعدل في كل مكان باذلاً جهدي
 وأن أناجي الله مستمعاً مخلوة أحلى من الشهد
 وأن أتية الدهر كبراً على كل لثيم أضمر الخد
 لذلك لا أهوى فتاة ولا خيراً ولا ذا مئعة نهدي

(١) يريد طرفة بن العبد حيث قال :

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتي وجدك لم أحفل متى قام عودي
 فنهن سقى العاذلات بشربة كبيت متى ما نعل بالماء تزيدي
 وكري إذا نادى المضاف مجنبا كسيد الفضا نيته التوردي
 وتقدير يوم الدجن والدجن معجب يبهكنة تحت الطراف الممدي

(من معاني طرفة بن العبد)

عودي : من يحضره عند موته وينوح عليه .

الكميت : من الحمر التي تضرب إلى السواد . متى ما نعل بالماء : أي تخرج به .

كري : عطفي . المضاف : الذي نزلت به الميموم : المحجب : فرس في وظيفه أحد يدابه
 ليس بالاعوجاج الشديد وهذا يدل على القوة . سيد : ذئب . الفضا : شجر ، وذئابه .

أخيت الذئاب . المتورد : الذي يطلب أن يرد الماء :

الدجن : المطر الغزير واللباس القيم الأرض . بهكنة : المرأة الممتلئة أو الحفيضة الروح
 المليحة الطيبة الرائحة . معجب : يعجب من رآه . الطراف الممدي : الحباء ذو الأعمدة من آدم

الفلك الدائر على المثل السائر

— ١ —

ألف هذا الكتاب ليرد به على كتاب ابن الأثير (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لأنه وجد فيه — كما قال في المقدمة — الحمود والمردود .

أما الحمود فإنشاء ابن الأثير وصناعته ، إلا في الأقل النادر .

وأما الردود فنظره وجدله واحتجاجه واعتراضه وتحامله على الفضلاء ، وإفراطه في الإعجاب بنفسه ، والتقريط لعلمه وصناعته .

كذلك قصد من تأليفه إلى أن يبين لمن راقهم كتاب المثل السائر من أكابر أهل الموصل وبغداد مافي الكتاب من وجوه النقص وألوان المآخذ ، وأن يُعلم ابن الأثير ورؤساء بلده أن في خدم المستنصر من يفوقه علما وافتنانا .

وكان كتاب المثل السائر قد وصل إليه في غرة ذي الحجة سنة ٦٣٣ هـ فتصفحه ، وعلق عليه في خمسة عشر يوما كما ذكر في المقدمة ، ولم يعاود النظر فيه مرة ثانية .

ولما ألفه كتب إليه أخوه موفق الدين هذين البيتين :

المثل السائر ياسيدى صَنَّفْتَ فِيهِ الْفَلَكَ الدَّائِرَا

لكن هذا فلكٌ دائرٌ أَصْبَحْتَ فِيهِ الْمَثَلَ السَّائِرَا

وقد قدم كتابه إلى خزانة كتب الخليفة المستنصر بالله^(١) .

(١) أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن الظاهر : بوبع بالخلافة يوم وفاة والده في ١٤ من رجب سنة ٦٢٣ (١١ يوليو سنة ١٢٢٦) واستمر في الخلافة إلى أن تولى في ١٠ من جمادى الآخر سنة ٦٤٠ وله آثار جليلة في بغداد منها المدرسة المستنصرية ، وكان شهيدا حوادا عادلا .

أما تسمية الكتاب فقد أراد بها — كما ذكر في المقدمة — نقض كتاب المثل وإبطاله ومحوه ، لأنهم يقولون لما باد ودثر قد دار عليه الفلك ، كأنهم يريدون أنه قد طحنه ومحاه .

— ٢ —

رأينا أن نخرج هذا الكتاب ، لأنه وثيق الصلة بكتاب المثل السائر ، وهو في جملته تعليق عليه ونقله ، وتوسعة لمجال الدراسات البلاغية والنقدية .

والنسخة التي اعتمدنا عليها مطبوعة على الحجر سنة ١٣٠٩ هـ على نفقة الميرزا محمد الشيرازي ، في ١٨٤ صفحة من القطع المتوسط .

وطبعها رديئة جداً ، تنوء بالتحريف والأغلاط ، وليس بها ترتيب ما ، وكل ما بها من شعر مدمج بالنثر إدماجاً .

وكثيراً ما يكتفي المؤلف بالإشارات إلى بعض النصوص ، وكثيراً ما يذكر النص مبتوراً ، سواء أكان آية قرآنية أم بيت شعر أم مثلاً ، وكثيراً ما يورد النصوص غير منسوبة إلى قائلها ، وفي بعض الأحيان ينسبها إلى غير قائلها .

فاجتهدنا في معالجة هذا كله .

صححنا النصوص المحتاجة إلى تصحيح ، وأكملنا ما يحتاج إلى إكمال ، ونسبنا النصوص المجهولة إلى قائلها ما استطعنا ، وصوبنا نسبة بعضها إلى أصحابها ، ورجعنا كل نص إلى مصدره الذي أخذ منه أو الذي صححناه منه .

وراجعنا ما نقله من (المثل السائر) فقرة فقرة ، سواء أكان النقل كاملاً أم ملخصاً ، ونبهنا على ذلك .

وعرفنا بكثير من الأعلام والأحداث التي ذكرها في كتابه .

وشرحنا ما يحتاج من نثر المؤلف إلى شرح .

يتبين من دراسة (الفلك الدائر) أن ابن أبي الحديد كان معجبا بنثر ابن الأثير ، وببراعته في حل المنظوم ، والاقتياس من القرآن الكريم والحديث النبوي ، ويغلب على نقده الموضوعية .

ونستطيع أن نقسم نقده ثلاثة أقسام :

١ — بعضه حق ، منله قوله :

(١) قال المصنف — ابن الأثير — : « ولا أدعى فيما ألفتة فضيلة الإحسان ، ولا السلامة من سَبَق اللسان » . ثم قال بعد سطر واحد : « وإذا تركت الهوى قلت إن هذا الكتب بدیع في إغرابه ، وليس له صاحب من الكتب فيقال إنه متفرد من بين أصحابه » .

وعلق ابن أبي الحديد بقوله : وهل يدَّعي أحد فضيلة الإحسان بأبلغ من هذا الكلام ؟ وقد قال قبل هذا التواضع بثلاثة أسطر : « إن الله هداني لا ابتداع أشياء لم تكن من قبلي مبدعة ، ومنحنى درجة الاجتهاد التي لا تكون أقوالها تابعة وإنما تكون مُتَّبَعَة » .

فن يزعم أن الله هداه في هذا الفن إلى ابتداع أشياء لم يُسَبَقَ بها ، وورقه فيها درجة الاجتهاد التي يتبعها الناس كيف يقول : لا أدعى فيما ألفتة فضيلة إلا وبلغتها ؟

(ب) وكان ابن الأثير قد نبه الكتّاب على أن يعملوا فيما يعلمون ما يتصل بالنحو والصرف واللغة وقال : « وأما الإدغام فلا حاجة إليه لكتاب ، لكن الشاعر ربما احتاج إليه ، لأنه قد يضطر في بعض الأحوال إلى إدغام حرف ، وإلى فك إدغام من أجل إقامة الميزان الشعري » . ثم قال بعد ذلك : « وإنما قصدنا أن يكون الكتاب الذى يكتب فى هذا المعنى مشتملا على الترهيب والترهيب والمساحة فى موضع والمحاقة فى موضع » .

وتلقف ابن أبى الحديد كلمة (المحاقة) فعلق عليها بقوله : قد ظهرت فائدة علم الإدغام فى باب الكتابة ، فإن الكاتب أراد أن يوازن لفظة المساحة بلفظة المحاقة ، وسها عن أن المحاقة بفك الإدغام غير جائزة .

(ح) قال ابن الأثير : « وقد مدح أبو الطيب كافورا بقوله :

فما لك تُغنى بالأسِنَّة والقَنَا وَجَدُّكَ طَعَّانٌ بغير سِنَانٍ ؟
وما لك تختار القِسِيَّ وإنما عن السعدِ يَرَى حَى دونك المَلَوَانِ ؟

وهذا يحتمل المدح والذم ، بل هو بالذم أشبه ، لأنه يقول إنك لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك ، بل بجِدٍّ وسعادة ، وهذا لأفضل فيه ، لأن السعادة ينالها الخامل والجاهل ومن لا يستحقها . وأكثر ما كان المتنبي يستعمل هذا الفن فى القصائد الكافوريات » .

وعلق ابن أبى الحديد على هذا تعليقا يدل على ذوقه الصائب ، واطلاعه الواسع ، وتحرره مما تناقله الناس ، فقال : إن الناس واقع لهم واقع ظريف مع المتنبي فى هذا الباب ، وكان أصله الشيخ أبو الفتح عثمان بن جنى رحمه الله .

وزعم بعضهم أن المتنبي كان يفيض كافورا وَيَحْنَقُ عليه ، فكان يقصد ذلك ويتعمده بالشعر المَوْجَّه الذى يحتمل المدح والذم .

ومنهم من زعم أن كافورا كان يتفطن لذلك ويفضى عنه ؛ وينقلون هذا عن المتنبي .

وما كان ذلك قط ، ولا وقع شيء منه ، ولا قصد أبو الطيب نحو ذلك أصلا .

ثم ضرب أمثلة من مدح المتنبي لسيف الدولة ، فيها مدح بالجدِّ وحسن الحظ ، كقوله :

ولقد رُمْتُ بالسعادة بعضا من نفوسِ العدا فأدركتَ كُلاً
وقوله :

إذا سعت الأعداء في كَيْدِ تجده سعى جدُّه في كيدهم سعى مُحْنَقِ
وقوله :

لو لم تكن تجرى على أسيافهم مَهْجَاهُهم لَجَرَتْ على إقباله
وقوله :

هم يَطْلُبُونَ قَمْنَ أَدْرَكُوا وهم يكذبون فمن يَقْبَلُ
وهم يتمنون ما يشتهون ومنْ دونه جدُّك المقبل

وضرب أمثلة أخرى من شعر المتنبي فيها إشارة بالخط المواتى والسعد المسعف ، ثم قال : ولكن سيف الدولة لما اشتهر بإخلاص أبي الطيب له عدل

الناس عن هذا الشعر الذى يتضمن ذكر الجدد والخط فلم يذكره ، ولم يجعله متوسطا بين المدح والذم ، وقالوا ذلك فى كافور لما حدث تغيره مع أبى الطيب ، وانحرف كل منهما عن صاحبه ، ومجاهرة أبى الطيب له بالهجاء بعد أن فارقه . ثم زاد الفكرة تأكيداً بأمثلة من شعراء آخرين .

(د) قال ابن الأثير فى تفسير بيت أبى صخر الهذلى :

عجبتُ لسعى الدهر بينى وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

إنه يحتمل وجهين من التأويل : أحدهما أنه أراد بسعى الدهر سرعة تقضى الأوقات مدة الوصال ، فلما انقضى الوصل عاد الدهر إلى حالته الأولى فى السكون والبطء .

والآخر أنه أراد بسعى الدهر سعى أهل الدهر بالنائم والوشايات ، فلما انقضى ما كان بينهما من الوصل سكنوا وتركوا السعاية .

فعلق ابن أبى الحديد بقوله : التفسير الثانى هو الصحيح ، والأول غير صحيح ، واللفظ لا يحتمله ، وفى البيت ما يمنع منه ، لأنه قال (بينى وبينها) وهذه اللفظة تمنع من أن يريد سرعة تقضى الزمان أيام وصالنا ، فإنها قرينة حمل لفظ السعى على العناية والقيمة بالشئ ، لا على السعى بمعنى الحركة والسير .

ألا تراهم يقولون سعى فلان بين فلان وفلان بالشئ ، أى ضرب بينهم ، وحمل بعضهم على بعض ، ولا يقولون سعى بينهم من السعى بمعنى الحركة والسير ؟

وليس هذا مقصود البيت . ولو أراد السعى بمعنى سرعة مرور الزمان
لقال عجبت لسمى الدهر أيام وصلنا ، أو ما يشبه ذلك .

وفساد المعنى الأول ظاهر عند من له أدنى نقد للمعاني الشعرية .

(هـ) قال ابن الأنثير : الأسماء المترادفة هي التي يتحد فيها المسمى ، وتختلف
أسماءه ، كالخمر والراح والمدام .

وعلق ابن أبي الحديد بقوله : هذا من أمثال الفلطات التي نبه عليها
المنطقيون ، فقالوا قد يُظنُّ في كثير من الأسماء أنها مترادفة ، وهي في الحقيقة
متباينة ، كالسيف والصارم والمُهَنَّد ، فكل واحد من هذه مباين للآخر ،
فالأسماء الموضوعه لها متباينة في الحقيقة ، وإن ظنَّ في الظاهر أنها مترادفة .

وكذلك ما مثل به هذا المصنف ، فإن الخمر اسم موضوع لهذا الشراب
الخاص ، والراح اسم لما ترتاح النفس إليه ، والمدام اسم لما يُدَامُ استعماله ،
فالمعاني متباينة لاحتمال ، وإن تَوَهَّم في الظاهر أنها مترادفة .

(و) قال ابن الأنثير في بيان المشترك اللفظي : إن مقصود واضع اللفظ
البيان والتجنيس ، والبيان يحصل بالألفاظ المتباينة السكافية في الإفهام ،
وأما التجنيس فإنه عمدة الفصاحة والبلاغة ، ولا يقوم به إلا الأسماء المشتركة .

ورد ابن أبي الحديد بأن عدم الاشتراك اللفظي لا يذهب التجنيس ، فإن
التجنيس يحدث بين لفظتين متشابهتين في حروفهما الأصلية ، كقول أبي تمام :
« متى أنت عن ذُهْلِيَّةٍ الحى ذاهِلٌ ؟ »

وأكثر التجنيس في الشعر والرسائل مثل هذا ، ولا يستعمل التجنيس بالمشارك
إلا نادراً .

ورداً أيضاً بأن عدم التجنيس لا يذهب حسن الكلام ، وضرب أمثلة بأدب عبد الحميد وابن المقفع ومن قبلها ومن بعدها من الفصحاء ، وقال : فهل ترى لأحد منهم تجنيساً في كلامه إلا أن يقع اتفاقاً غير مقصود ؟

٢ — وبعبارة بجانب للحق ، إذ كان الصواب فيما قاله ابن الأثير .

من ذلك أن ابن الأثير ذهب إلى أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة ، وثقافة متنوعة ، وقد قيل : ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم ، ويخوض في كل فن ، وملاك هذا كله الطبع ، فإنه إذا لم يكن ثم طبع فإنه لا تغني تلك الآلات شيئاً ...

وعلق ابن أبي الحديد على هذا بأنه من دعاوى الكتّاب وتزويقاتهم ، ولا يُعوّل عليه محصل ، لأن الفنون التي يذكرها الكتاب ، ويزعمون أن الكتابة مفتقرة إليها ، إن أرادوا بها ضرورتها لها فهذا باطل ، لأن سحبان وائل وقس بن ساعدة وغيرها من خطباء العرب ما كانت تعرفها ، كذلك من كان في أول الإسلام من الخطباء كعأوية وزباد وغيرها .

وإن أرادوا أنها متممة ومكملة فهذا حق ، لكن عدمها لا يقتضي سلب اسم الكتابة ، مع أن ما يحتاج إليه الكاتب يحتاج إليه الشاعر وزيادة .

ويبدو من تعليقه هذا أنه غفل عما تنبيه إليه ابن الأثير من ضرورة الثقافة للكاتب .

ولم يكن موفقاً في تمثيله بقسّ وسحبان ومعأوية وزباد ، لأن هؤلاء خطباء ، ولم يعرض ابن الأثير لثقافة الخطباء ، بل عرض لثقافة الكتّاب والشعراء .

والذى يقرأ ما كتبه ابن الأثير فى هذا الفصل يحده قد أشرك الشعراء مع الكتاب فى ألوان الثقافة ، واختص الشعراء بنوع منها هو علم العروض والقوافى الذى يقام به ميزان الشعر .

فلا محل إذاً لاعتراض ابن أبى الحديد بقوله : مع أن ما يحتاج إليه الكاتب يحتاج إليه الشاعر وزيادة .

- وبعضه يبدو منه أن ابن أبى الحديد يتحامل أحياناً ، ويقسو على ابن الأثير ، وإن كانت السمة الغالبة على كتابه أنه نقد موضوعى مدعوم بالبراهين .

من ذلك قوله : إن هذا الموضع من المواضع التى اشبهت على هذا الرجل .

وقوله : وهذا من الغلط على ما تراه .

وقوله : إن كان هذا الرجل ممن ينفى القياس فى الشرعيات كلفناه كلاماً أصولياً ، كما نكلم الشيعة والنظام وأهل الظاهر وغيرهم ممن نفى القياس فى الفقه .

وإن كان يعترف بالقياس فى الشرعيات فالقياس فى النحويات كالقياس فى الشرعيات .

وإذا كان ابن أبى الحديد قد أخذ على ابن الأثير إعجابه بفننه وإشادته بكتابه ، فإن ابن أبى الحديد قد تورط فى مثل هذا .

من ذلك قوله :

وقد كنت شرعت في حلّ سينيات المتنبي ، وأن أجعل ذلك كتابا مُفَرِّداً ، وأنا أورد هاهنا بعض ذلك ، ليكون معارضاً لما جاء به هذا الرجل .

ومن ذلك أنه أورد مثالا من نثره في حل بيتي المتنبي :

بناها فأعلى والقنا يَفْرَعُ القنا وموجُ المنايا حوله متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ومن جُثِّ القتل عليها تمام

وأورد مثالين لابن الأثير في حل البيتين .

ثم قال : ومن عنده أدنى ذوق في فن الكتابة يعرف الفرق بين كلامنا وهذا الكلام .

ثم قال : والزيادات العجيبة ، والتسميطات والأسجاع التي أتينا بها تزدى على ما أتى به هذا الكاتب ، وتتجاوزه أضعافاً مضاعفة .

ومن هذا ما ذكره في المقدمة من الزهو بعلماء بغداد والفخر بأدبائها ، وتفضيلهم على من سواهم تفضيلاً مبالغاً فيه ، وهو يريد نفسه ، وإن كان قد حاول أن يستل نفسه ممن أشاد بهم .

نص الكتاب

الحمد لله الذي فَآوَتْ بَيْنَ عُقُولِ الْبَشَرِ وَأَخْلَقَهُمْ ، كما فَآوَتْ بَيْنَ أَعْمَارِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ ، فكان من خَفَايَا تَدْبِيرِهِ ، ولَطَائِفِ حِكْمَتِهِ وَتَقْدِيرِهِ ، أن أَرْضَى كَلَّا مِنْهُمْ بِعَقْلِهِ وَخُلُقِهِ ، لا بِعُمُرِهِ وَرِزْقِهِ ، فلست تَرَى مِنْهُمْ إِلَّا الرَّاضِيَ بِعَقْلِهِ وَآرَائِهِ ، الْمُعْجَبُ بِمَا يَرِشَحُ مِنْ إِنْائِهِ ، الْحَامِدُ لِسَجِيَّتِهِ ، الزَّارِي عَلَى الْفَائِزِينَ عَنْ طَرِيقَتِهِ ، تَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ^(١) »

وَقُلْ أَنْ تَجِدَ مِنْهُمْ الْقَانِعَ بِدُنْيَاہِ ، الرَّاضِيَ عَنْ وَقْتِهِ بِمَا قَسَمَ لَهُ [الله] ^(٢) وَأَعْطَاهُ .

فَلَا تَرَى إِلَّا قَانِطًا أَوْ سَاخِطًا أَوْ حَاسِدًا أَوْ غَابِطًا ، دَأْبُهُمُ الْكَذْحُ وَالنَّصَبُ وَالْجِدُّ وَالْأَطْلَبُ ، تَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ [صلى الله عليه وسلم] ^(٣) : «لَوْ كَانَ لابْنُ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ ذَهَبٍ [لَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَالِثٌ] ^(٤) .

وصلى الله على سيدنا محمد رسوله الْمُؤَيَّدِ بِرُوحِ قُدْسِهِ ، وَالْمُعْصُومِ مِنَ الْخَطَا فِي الْقَوْلِ وَلِبْسِهِ ، وَالْحَاكِمِ بَأَنٍ مِنْ جُمْلَةِ الثَّلَاثِ الْمُهْلِكَاتِ عُجِبَ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ [مِنْ] ^(٥) نَوْعِهِ وَجِنْدِهِ .

وبعد ، فقد وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ نَصِيرِ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمُوصِلِيِّ الْمَعْرُوفِ

(١) سورة الإسراء ٨٤ .

(٢) ما بين قوسين زيادات يقتضيها السياق .

(٣) ما بين قوسين زيادات يقتضيها السياق .

(٤) ما بين قوسين زيادات يقتضيها السياق .

(٥) ما بين قوسين زيادات يقتضيها السياق .

بابن أثير الجزيرة ، المسمى « كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر »
فوجدت فيه المحمود والمقبول ، والمردود والمرذول .

أما المحمود منه فإنشاؤه وصناعته ، فإنه لا بأس بذلك إلا في الأقل
النادر . وأما المردود فيه فنظره وجدله واحتجاجه واعتراضه ، فإنه لم يأت
في ذلك في الأكثر الأغلب بما يلتفت إليه مما يعتد عليه .

فداني على تتبعه ومناقضته في هذه المواضع النظرية أمور ، منها إزراؤه
على الفضلاء ، وغضه منهم ، وعيبه لهم ، وطعنه عليهم ، فإن في ذلك ما يدعوا
إلى الغيرة عليهم ، والانتصار لهم .

ومنها إفراطه في الإعجاب بنفسه ، والتبجح برأيه ، والتعريض لمعرفته
وصناعته ، وهذا عيب قبيح يحبط عمل الإنسان والاجتهاد ، ويوجب المقت
من الله والعباد .

ومنها أنه قد أومأ مراراً في كتابه إلى عتاب دهره ، إذ لم يعطه على
قدر استحقاقه ، فأردنا أن نعرفه أن الأرزاق ليست على مقادير الاستحقاق ،
وأن الرزق مقسوم لا يحلبه الفضل ، ولا يرده النقص .

ومنها أن جماعة من أكابر الموصلي قد حسن ظنهم في هذا الكتاب
جداً ، وتمصّبوا له ، حتى فضّلوه على أكثر الكتب المصنفة في هذا الفن ،
وأوصلوا منه نسخاً معدودة إلى مدينة السلام^(١) وأشاعوه ، وتداوله
كثير من أهلها .

فاعترضت عليه بهذا الكتاب ، وتقرّبت به إلى الخزانة الشريفة المقدّسة النبوية الإمامية المستنصرية ، عمر الله تعالى بمارتها أنديّة الفضل وربّاعه ، وأطال بطول بقاء مالهما يد العلم وبّاعه ، وجعل ملائكة السماء أنصاره وأشياعه ، كما جعل ملوك الأرض أعوانه وأتباعه .

وكان أكثر قصدي في ذلك أن يعلم مصنف هذا الكتاب ورؤساء بلديته أنّ من أصاغر خول^(١) هذه الدولة الشريفة — فالعجب مبهر ، ولا أنبيء عني فيثلي كثير — من إذا ألغز أدرى ، وإذا ضرب أفرى^(٢) وإذا رشق أضفى^(٣) ، وإذا نسكا^(٤) أدعى ، وأن دار السلام ، وحضرة الإمام ماخلت كما تزعم المواصلّة ممن إذا سوبق خلّى ، وإذا بوسر^(٥) فاز بالقدح المعلى^(٦) ، وإذا خطب خضعت لبراعته المناهل^(٧) ، وإذا كتب سجّدت لبراعته الذوايل ، وإذا شاء علم الناس السحر ، وما أنزل على

(١) الخول : الخدم والبيد والإماء وغيرهم من الخاشية ، لوالده والجميع والمذكر والمؤنث

(٢) فرى وأفرى : شق .

(٣) أضفى الصيد : رماه فقتله مكانه .

(٤) لكأ القرحة هل وزن منه : قشرها قبل أن يبرأ فندبت . ونكى الأعداء نكابة : جرحهم .

(٥) بر : من معانيها قهر وابتداء الشيء ، ويظهر أن المؤلف صاغ من الفعل بأسر بمعنى غالب وسابق ، ثم بناء للجهول .

(٦) القدح الممل : أحد قداح الميسر عند العرب في الجاهلية ، وهي هيدان تتخذ من النبر وهو شجر متين لين تصنع منه القسي والسهام ، والقداح الراجعة سبعة وغير الراجعة ثلاثة ، والممل أكثر الراجعة حظاً لأن له سبعة أنصبة .

(٧) المناهل : جهمنصل وهو السيف .

الْمَلَكِينَ بَبَائِلَ ، وَأَنَّ فِي الْأَغْفَالِ الْمَغْمُورِينَ مِنْ رَعَايَاهَا مَنْ لَوْ هَدَرَ^(١) لَقَرَّتْ
لَهُ الشَّقَاشِقُ^(٢) ، وَلَوْ نَطَقَ لَتَجَلَّتْ بِشُمُوسِهِ الْمَهَارِقُ^(٣) ، وَلَوْ جَرَدَ حُسَامُ
قَلَمِهِ لَقَالَ الْمَلِكُ لِلسَّيْفِ اغْرُبْ فَأَنْتَ طَالِقٌ ، فَكَيْفَ بَسَدَنَةُ^(٤) كَعْبَتِهَا
وَالْحَافِينَ بِشَرِّيفِ سُدَّتِهَا^(٥) ، فَيُحُولُ الْبَلَاغَةُ الَّذِينَ إِذَا رَكَضَ أَحَدُهُمْ
فِي حَلَبَةِ الْبَيَانِ أَحْجَلَ الثُّرُوقَ ، وَسَخَّرَ بِالرِّيَّاحِ ، وَإِذَا ضَرَبَ الْأَعْدَاءُ
بِصَارِمِ اللِّسَانِ قَدَّ السَّلُوقُ الْمَضَاعَفَ ، حَتَّى تُوَقَّدَ نَارُ الْحَبَابِ
فِي الصَّفَاحِ^(٦)

وهذا الكتابُ وَقَعَ إِلَى فِي غُرَّةِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ،
فَتَصَفَّحُهُ ، أَوَّلًا أَوَّلًا فِي ضَمَنِ الْأَشْغَالِ الدِّيَوَانِيَّةِ الَّتِي أَنَا بِصَدَدِهَا ، وَعَلَّقْتُ
فِي هَذَا الْكِتَابِ فِي أَمْنَاءِ تَصَفُّحِهِ عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمُسْتَدْرَكَةِ فِيهِ إِلَى نِصْفِ الشَّهْرِ
الْمَذْكُورِ ، فَكَانَ مَجْمُوعُ مَطَالَعَتِي لَهُ وَاعْتِرَاضِي عَلَيْهِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَلَمْ

(١) هدر البعير هدرًا وهديرًا : صوت في غير شفقة

(٢) الشقاشق جمع شفقة بالكسر : شيء كالرثة يخرج البعير من فيه إذا هاج .

(٣) المهارق . جمع مهراق وهي الصحيفة .

(٤) السدنة : جمع سادن وهو خادم الكعبة أو خادم بيت الصنم .

(٥) السدة : باب الدار .

(٦) من قول النابغة في مدح الفاسنة ووصف سيوفهم :

تقد السلوق المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباب

السلوقي : الدروع المنسوبة إلى سلوق على وزن صبور بلدة باليمن تنسب إليها الدروع والسيوف .
الصفاح : حجارة عراض رقائق . الحباب : ذباب يطير بالليل له شعاع كالسراج ، ومنه نار
الحباب . أو نار الحباب ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة ، وقيل كان
أبو حباب رجلاً لا يوقد ناره إلا بالطبخ الشخت ثلاثاً ترى ، وقيل إنها من المحببة وهي الشررة
تسقط من الزناد .

أَعَاوِدُ النَّظَرِ فِيهِ دَفْعَةً ثَانِيَةً ، وَرُبَّمَا يَسْنَحُ لِي عِنْدَ الْمَعَاوِدَةِ نُكْتُ أُخْرَى ،
وَإِنْ وَقَعَ ذَلِكَ أَحَقَّقْتُهَا .

وَقَدْ سَمَّيْتُ هَذَا الْكِتَابَ (الْفَلَكَ الدَّائِرَ عَلَى الْمَثَلِ السَّائِرِ) لِأَنَّهُ شَاعَ
مِنْ كَلَامِهِمْ ، وَكَثُرَ فِي اسْتِعْمَالِهِمْ أَنْ يَقُولُوا لِمَا بَادَوْدَرَّ « قَدْ دَارَ عَلَيْهِ الْفَلَكَ »
كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ قَدْ طَحَنَهُ وَحَا صُورَتَهُ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :
إِنْ كُنْتَ تَنْشُدُهُمْ فَإِنَّهُمْ هَمَدُوا وَدَارَ عَلَيْهِ الْفَلَكَ ^(١)

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الْمَعُونَةَ وَالتَّوْفِيقَ ، وَأَسْتَغْنِيهِ الْهُدَايَةَ إِلَى سِوَاءِ الطَّرِيقِ
بِمَنَّةِ وَكَرَمِهِ .

— ١ —

قَالَ الْمَصْنَفُ : « نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَبْلُغَ بِنَا مِنَ الْحَمْدِ مَا هُوَ أَهْلُهُ ^(٢) » .

أَقُولُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَا تَكَلَّمَ سَأَلَ أَمْرًا يَسْتَحِيلُ عَقْلًا ، لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا نِهَايَةَ لِمَا هُوَ
أَهْلُهُ مِنَ الْحَمْدِ ، سِوَاءِ جَمَلِ الْحَمْدِ بِمَعْنَى الْمَدْحِ أَوْ أَخَصَّ .

أَمَّا الْأَوَّلُ فَلَانُ جَلَالَتِهِ تَعَالَى وَعَظَمَتُهُ وَصِفَةُ كَمَالِهِ لَا تَقِفُ عِنْدَ غَايَةٍ ،
وَلَا تَنْقَطِعُ عِنْدَ حَدٍّ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلَأَنَّ نِعْمَتَهُ لَا نِهَايَةَ لَهَا بِتَعْرِيزِهِ إِيَّانَا لِلثَّوَابِ
وَالنَّعِيمِ الَّذِي لَا نِهَايَةَ لَهُ ، فَإِذَا هُوَ سَبْحَانَهُ أَهْلُ الْحَمْدِ الَّذِي لَا نِهَايَةَ لَهُ عَلَى

(١) لَيْسَ الْبَيْتُ بِدَبَّوَانِهِ .

(٢) نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَبْلُغَ بِنَا مِنَ الْحَمْدِ مَا هُوَ أَهْلُهُ .

كلا التفسيرين ، ويستحيل أن يبلغ بنا إلى ذلك ، لأن القوة المتناهية لا تقوى على أمورٍ غير متناهية .

وليس لظان أن يظن هذا القول يجرى مجرى قول الناس الحمد لله كما هو أهله ، فإن ذلك كلام مجمل ، لا يتضمن سؤالا ، ولا يقتضى دعاء تعالى أن يجعلنا حامدين حمدا لا بداية له ولا نهاية .

— ٢ —

قال المصنف : « وأن يعلمنا من البيان ما تقصر عنه مزية النطق وفضله » ^(١)

أقول : هذا أيضاً سؤال أمر مستحيل ، لأن النطق هو كال الصورة الإنسانية إن أخذ على تفسير التعليم الطبيعي ، والفصل المميز إن أخذ على تفسير التعليم المنطقي . وعلى كلا التفسيرين فيه يكون الإنسان إنساناً ، فيستحيل أن يفضلته البيان في مرتبة وفضيلة ، لأن الفرع لا يفضل الأصل الذى لولاه لما كان .

واعلم أن هذين الاعتراضين قد يعتذر المصنف عنهما بأنه إنما قال ذلك على سبيل المبالغة ، ويسمى غلوًا ، وهو مستهجن في الكتابة وأحد عيوبها القبيحة ، وإنما يسلكه الشعراء ، وأما الكاتب ففى سعة عنه ، ومذهب الكتابة غير مذهب الشعر .

(١) عبارة ابن الأثير : « وأن يعلمنا من البيان ما تقصر عنه مزية الفضل وأصله »

قال المصنف : وأن يُوفَّقنا للصلاة على رسوله محمد الذى هو أفصح من نطق بالضاد ، ونسخ بهديه شريعة كل هاد^(١) .

أقول فى هذا الكلام عيب ظاهر ، وذلك أنه عطف الفعل وهو « نسخ » على الاسم وهو « أفصح » وهذا قبيح . ألا ترى أنه يقبح أن يقال : زيد أفصح القوم ، وضرب زيد . والوجه أن يقال الذى هو أفصح من نطق بالضاد ، والمنسوخ بهداه شريعة كل هاد .

قال المصنف : « ولأدعى فيما ألفتَه فضيلة الإحسان ، ولا السلامة من سبقِ اللسان » . ثم قال بعد سطر واحد : « وإذا تركت الهوى قلت إن هذا الكتاب بديع فى إعرابه ، وليس له صاحب من الكتب ، فيقال إنه متفرد من بين أصحابه »^(٢) .

أقول : وهل يدعى أحد فضيلة الإحسان بأبلغ من هذا الكلام ؟ وقد قال قبل هذا التواضع بثلاثة أسطر : « إن الله هدانى لأبتدع أشياء لم تكن من قبلى مُبتدعةً ، ومنحى درجة الاجتهاد التى لا تكون أقوالها تابعةً

(١) عبارة ابن الأثير : « وأن يوفَّقنا للصلاة على نبيِّنا ومولانا محمد رسوله الذى هو أفصح من نطق بالضاد . ونسخ هدية شريعة كل هاد » ٣٥/١ .

(٢) عبارة ابن الأثير : « فيقال إنه متفرد بين أصحابه من إخوانه أو من أتباعه »

ولمّا تكون مُتَّبَعَةً^(١) . فمن يزعم أن الله هداه في هذا الفن إلى إبتداع أشياء لم يسبق بها ، ورزقه فيها بلوغ درجة الاجتهاد التي يتبّعها الناس ، ولا تكون تابعة لأحد منهم ، كيف يقول لا أدعى فيما ألفتُه فضيلة إلا وبلغتها ؟ .

قال المصنف : « موضوع الحساب هو الأعداد من جهة ما يعرض لها من الضرب والقسمة ونحوها ، وموضوع الطب بدن الإنسان من جهة ما يصح ويمرض ، وموضوع النحو هو اللفظ من جهة الدلالة على المعنى من طريق الوضع اللغوي ، وموضوع علم البيان هو اللفظ والمعنى من جهة الحسن والقبح . ثم قال : صاحب هذا العلم هو والنحو يشتركان في النظر في دلالة الألفاظ على المعنى من جهة الوضع اللغوي ، وتلك دلالة عامة ، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة ، وهي دلالة خاصة »^(٢) .

أقول أما موضوع علم النحو فغير ما ذكر ، بل الذي ذكر موضوع علم اللغة ، لأن اللغوي هو الذي ينظر في الألفاظ من حيث كانت دلالة بالوضع

(١) المقدمة ١/٣٧ .

(٢) قال ابن الأنبر : « وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة » صاحبه يسأل عن أحوالها اللفظية والمعنوية ، وهو والنحو يشتركان في أن النحو ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي ، وتلك دلالة عامة ، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة ، وهي دلالة خاصة ، والمراد بها أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء النحو والإعراب . ألا ترى أن النحو يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ، ويعلم مواقع إعرابه ، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة . ٣٩/١ .

اللغوى على المعانى ، وأما موضوع علم النحو فهو الألفاظ من جهة تفييرات
تلتق أو آخرها أو تلتحقها أنفُسها على قول من جعل التصريف جزءا من
النحو ، ولم يجعله علما مفردا .

قال المصنف : « وقد غلط مُفسِّرو الأشعار فى اقتصارهم على شرح المعنى ،
وما فى الشعر من الكلمات اللغوية ، وتبئين مواضع الإعراب فيه دون
ما تضمنته من أسرار البلاغة والفصاحة » .

أقول : إن مُفسِّرى الأشعار جعلوا قصدهم وكدهم كشف مراد الشاعر
ليُعلم ، ففسَّروا الألفاظ اللغوية وما فى الشعر من إعراب نحوى يتعلق
فهم المعنى به ، وتارة يشرحون المعنى فقط ، إذا لم يكن فى البيت ألفاظ لغوية ،
ولا يرتبط المعنى بإعرابه ، كأنهم إنما وضعوا الشروح المصنفة لتفسير مراد
الشاعر فقط ، فكل ما يذكرونه من زيادة على ذلك مقصودة بالعرض
لا بالذات ، وإذا كانت الحال هكذا لم يجز أن يقال إنهم غلطوا لإخلالهم
بنقد الشعر والكلام على ما فيه من علم الصناعة الشعرية ، والبحث عن
فصاحته وبلاغته ؛ لأن ذلك فن مفرد لم يصعوا شروحهم له ، وكذلك لم
يتكلموا فى العروض والقوافى ودقائق التصريف . فإن قلت قد تسكلم
كثير من شارحى الأشعار فى العروض والقوافى ودقائق فى التصريف أيضا ،
قلت : وقد تسكلم كثير من شارحى الأشعار فى نقدها ، وبحثوا عن فصاحتها
وبلاغتها وما تحتتهما من أسرار ذلك . ثم يقال له إن جمهور مُفسِّرى القرآن

اقتصروا على شرح المعاني والمفردات والإعراب وأسباب النزول ، وما يتضمنه الكتاب العزيز من الفقه والأصول ونحوها ، ولم يذكروا في تفاسيرهم نقداً ما فيه من البلاغة والفصاحة وأسرارها ، فإن ارتكبت من ذلك قياسك ، وغلطت المفسرين ، كنت مغلطاً لأكابر الصحابة ، كعلي بن أبي طالب عليه السلام ، وعبد الله بن عباس ، وهما اللذان أخذ علم التفسير كله عنهما ، ويكفيك ذلك قبجاً وشناعةً ، وإن لم تغلط المفسرين ، فقد انتقص ما قلته من شرح الأشعار .

— ٧ —

قال المصنف : « وصناعة تأليف الكلام من المنشور والمنظوم تفتقر إلى آلات كثيرة . وقد قيل إن كل ذي علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه ، فيقال فلان الكاتب لما يفتقر إليه من الخوض في كل فن » ^(١) .

أقول هذا الكلام من أهبات ^(٢) الكتاب وتزويقاتهم ، ولا يعول عليه محصل ، وهذه الفنون التي يذكرونها الكتاب ، يزعمون أن الكتابة مفتقرة إليها ، إن أرادوا بها ضررتها لها فهذا باطل ، لأن سحبان ^(٣)

(١) ملخص من كلام ابن الأثير ١/ ٤٠ .

(٢) الأهبات : جمع أهبة على وزن سكرة وهي العظمة والكبر .

(٣) سحبان وائل خطيب فصبح يضرب به المثل في البيان والفصاحة ، خطب أمام معاوية فلم يشعر شاعر ولم يخطب خطيب ، لأنهم بهروا بفصاحته (البيان والتبيين ١/ ٦ ،

وُقِسًا^(١) وَغَيْرَهَا مِنْ خُطَبَاءِ الْعَرَبِ مَا كَانَتْ تَعْرِفُهُمَا ، وَكَذَلِكَ مَنْ
كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْخُطَبَاءِ كَمَاوِيَّةَ^(٢) وَزِيَادَ^(٣) وَغَيْرَهُمَا .

وإن أرادوا أنها مُتَمِّمَةٌ وَمُكَمِّلَةٌ فهذا حَقٌّ ، وَلَكِنْ عَدَمُهَا لَا يَقْتَضِي
سَلْبَ اسْمِ الْكِتَابَةِ ، مَعَ أَنَّ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ السَّكَاتِبُ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
الشَّاعِرُ وَزِيَادَةٌ .

— ٨ —

قال المصنف : « ومن أقسام الفاعل والمفعول ما لا يفهم إلا بعلامة ،
كتقديم المفعول على الفاعل ، فإنه إذا لم يكن ثمَّ علامةٌ تُبَيِّنُ أَحَدَهُمَا عَنْ
الآخر ، وإلاَّ لأشكَلَ الأمرُ ، كقولك « ضرب زيد عمر » بالوقف عليهما
ويكون زيد هو المضروب ، فإنك إذا لم تنصِبْ زيدا وترفع عمرا لم يفهم ماذا

(١) قس بن ساعدة الإيادي خطيب جاهل من قبيلة إياد ، كان يخطب الناس وبمطهر
في سوق عكاظ ، وسمه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : رأيته بالسوق على جبل أحر
وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل
ما هو آت آت (البيان والتبيين ١/٣٠٨) .

وقال الجاحظ : ولإياد مزبة ليست لأحد من العرب ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الذي روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جملة بمكاظ وموعظته ، وهذا إسناد تعجز
عنه الأمانى ، وتنقطع دونه الآمال (البيان والتبيين ١/٥٢) .

(٢) معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية سنة ٤١ هـ وكان من دهاء العرب
وفصحاءهم .

(٣) زياد بن أبيه أحد ولادة معاوية وخطباء العرب المشهورين وساستهم . الحقه
معاوية بنسب أبي سفيان سنة ٤٤ هـ فكان عضده القوى وولاه البصرة والكوفة وسائر
العراق ، ولم يزل والياً حتى توفى :

أردت . ومن هذا قوله تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » ^(١) .

أقول إن هذه الآية لا مدخل لها في هذا الموضع ، لأننا لو وقفنا على الفاعل والمفعول منها لم نحصل الالتباس ، لعلمنا أن الله لا يخشى أحداً لا من العلماء ولا من غيرهم ، فالآية تدلُّ بنفسها لا بعلاقة لفظية على أنه تعالى مفعولٌ ، وأن العلماء فاعل ، بخلاف ما إذا وقفنا على زيد ومحمد في ضرب زيد محمداً ، فقد بان أن تمثيله بهذه الآية مضاهياً بضرب زيد محمد غير صحيح ، وأن أحدَ المثاليين لا يشابه الآخر .

قال المصنف : « وكل خماسيٌّ يُحذفُ منه في التصغير حرفٌ ، سواء كان في الكلمة حرف زائد أو لم يكن ، مثال الزائد منطلق تصغيره مُطِيلِق ، فإن كان في الكلمة حرفان زئدان استنبقت الميم لأنها زِيدَتْ لمعنى وأسقطت الثون لأنها زِيدَتْ لغير معنى ، ومثال الأصول جَجَمِرَش تصغيره جُجَمِير » ^(٢) .

أقول : هذه القضية على إطلاقها غيرُ صحيحة ، فإنهم قالوا في تصغير حمراء ونحوها حُمَيْراء ، وهى خماسية ، ولم يسقطوا شيئاً ، وكذلك لفظة أَجَمَال ^(٣) صفروها فقالوا أَجَيْمَال ، فهذه الخماسيات ما أسقطوا منها شيئاً ، ولا تصرفوا فيها بشيء سوى ياء التصغير فقط ، ومن الخماسيات ما تصرفوا فيه نوعَ تصرفٍ ،

(١) المثل السائر ١/٤٥ ، والآية من سورة فاطر ٢٨ .

(٢) المثل السائر ١/٤٩ .

(٣) أجمال : جم جل .

ولم يُسْقَطُوا منه شيئا ، نحو ميزان فإنهم قالوا مُوَيِّزِينَ ، فأبدلوا ولم يسقطوا ،
وبالجملة فقوله كلُّ خماسيٍّ لا بُدَّ أن يسقطَ بعضُ حروفِهِ قولٌ غيرُ صحيح .

— ١٠ —

قال المصنف : « وقد غلطَ أبو نُوَاسٍ فيما لا يغلطُ فيه مثلهُ حيث قال :
كَانَ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ ^(١)
فَإِنْ فُعَلَى أَفْعَلٍ لَا يَجُوزُ حَذْفُ اللَّامِ مِنْهَا إِلَّا إِذَا أُضِيفَتْ ، وَإِنَّمَا يُحَذَّفَانِ
مِنْ فُعَلَى الَّتِي لَا أَفْعَلَ لَهَا ، نَحْوُ حُبَلَى ^(٢) .

أقول إنَّنا لا ننكر أن كثيرا من أئمة العربية طعنَ في هذا البيت ، لكنَّ
كثيرا منهم انتصرَ له ، وقالوا قد وَجَدْنَا فُعَلَى أَفْعَلَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ
وارادةً بغير لام ولا مضافة ، مثل دُنْيَا فِي قَوْلِ الرَّاجِزِ .
« فِي سَعَى دُنْيَا طَالَ مَا قَدْ مَدَّتْ »

وقول الآخر « لَا تَبَخَّلَنَّ بِدُنْيَا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ » . ومثلها أُخْرَى ، وقد جاء جُلَّى
في قوله :

وإن دعوت إلى جُلَّى ومكرمة ^(٣)

(١) ديوان أبي نواس ٢٤٣ وأكثر الرواة على أنها (فواقها) وهي التفافات التي
تعلو الماء أو الحجر .

(٢) اللؤلؤ السائر ١/٥٢ .

(٣) تسكئة البيت : يوما سراة كرام الناس فادهينا .
من قصيدة لبعض بني قيس بن ثعلبة ، ويقال إنها لبشامة بن جزء (حزن) النهشلي ،
مطلما :

إنا عبيوك يا سلمى لحينا
وإن سقيت كرام الناس فاسقينا
(شرح الحماسة للمرزوقي ١/١٠٠) .

وقالوا : طَوَّبَ لَكَ .

وفي البيت وجه ، وهو أن يُجْعَلَ مِنْ في قوله من فواقعها زائدة على مذهب أبي الحسن ، زيادة مِنْ في الواجب ، فإنه يذهب إلى ذلك ^(١) .

ويحتج بقوله تعالى : « فيها مِنْ برد » أى فيها برد ، وعلى هذا يكون فُعِلَ من البيت مضافة ، وقد وَقَعَ الاتفاقُ على جوازه .

(١) أبو الحسن الأخفش ، يرى هو والكسائي وهشام زيادة (من) بلا شرط مستدلين بقوله تعالى : « يغفر لكم من ذنوبكم » لأن (من) في حيز الإيجاب وهي زائدة داخلة على المعرفة ، قالوا : ولو لم نقل زيادتها في الآية لزم التناقض بينها وبين قوله تعالى : « إن الله يغفر الذنوب جميعا » ، وأجيب بأن قوله تعالى « يغفر لكم من ذنوبكم » خطاب لقوم نوح ، وقوله تعالى : « إن الله يغفر الذنوب جميعا » خطاب لأمة محمد عليه الصلاة والسلام . على أنه لو كان الخطاب لأمة واحدة لم يلزم التناقض بين الآيتين ، لأن غفران بعض الذنوب لا يناقض غفران كلها ، بل عدم غفران بعضها يناقض غفران كلها .

والصحيح أن (من) في الآية تبعية ، أى يغفر لكم شيئا من ذنوبكم كما قال صيبويه . والجمهور يشترط لزيادة (من) ثلاثة شروط :

أحدها أن تكون مسوقة بنفي نحو « ما جاءنا من بشر ولا نذير » أو نهي بلا نحو « لا يلتفت منكم من أحد » أو استفهام بهل خاصة .
مثل قوله تعالى : « هل من خالق غير الله يرزقكم » وبعضهم ألحق الحمزة بهل في هذا الباب .

الثاني أن يكون مجرورها نكرة كما تقدم .

الثالث أن يكون مجرورها المنكر فاعلا أو مبتدأ أو اسما لكان أو مفعولا به . . .
وبعض الكوفيين أجازوا زيادتها بشرط تنكير مجرورها فقط .

ونقل السعد عن القوم أن (من) لا تراد في الإثبات إلا في تمييزكم الخبرية إذا فصل منها بفعل متعد كقوله تعالى : « كم تركوا من جنات وهيون .

قال المصنف : « وقد غلط أبو تمام في قوله :

بالقائم الثامن المستخلفِ أطَّأَتْ قواعدُ الملكِ ممتدًّا لها الطَّوْلُ^(١)

والصواب انطَّطَتْ بالتاء ، لأن التاء تبدل من الواو في موضعين :

أحدهما مقيسٌ عليه كهذا الموضع ، لأنك إذا بنيتَ افتعل من الوَعْدِ قلت اتَّعَدَ ، وهنا يجب أن يكون انطَّطَ لأنه من وَطَدَ يَطْدُ ، ، مثل وَعَدَ يَعِدُ «
أقول : قرأت بخط أبي زكريا رحمه الله : قال : العلماء : اشتقاق اطَّأَتْ من الطَّوْدِ ، وهو الجبلُ بُني على افْتَعَلْتَ من ذلك ، فقيل اطَّأَتْ لينا غير مهموز لأن تاء الافتعال إذا كان بعدها تاء قُلبَتْ ألفاً ، ثم هَمْزَهَا في الشعر للضرورة .

قال المصنف : « وقد لَحَنَ أبو نَواسٍ في أمرٍ ظاهريٍّ ، فقال لحمد

ابن الأمين :

ياخَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ إِلَّا النَّبِيُّ الطَّاهِرُ الْمَيْمُونُ^(٢)
فَرَفَعَ بَعْدَ الاستثناء من المَوْجِبِ «

أقول إن أبا نواس يستعمل في شعره مذهب الكوفيين كثيراً ، وهذا

من جملة مذاهبهم ، وقد قال :

(١) تصويب البيت من المثل السائر ٥٣/١ .

الديوان ١٦٧ .

(٢) ديوان أبي نواس ٣٣٧ ومنه أكلنا الشطر الثاني وصحناه .

لمن طللٌ عـافي الحل دفين (عفا عَهْدُهُ إِلَّا خوالِدُ جُونُ^(١))
فابتدأ بقوله خوالد جون ، وحَذَفَ الخبرَ وتقديره فَإِنَّ الأَمِينَ لَا يَفْضُلُهُ .
على أن من الناس مَنْ رواه « إِلَّا النَّبِيُّ الطَّاهِرَ المَيْمُونَ » فنصب اللفظتين
الأُولَيَيْنِ على الاستثناء من المَوْجَبِ وَنَعْتِهِ ، وَرَفَعَ المَيْمُونَ على حذف المبتدأ ،
تقديره هو الميمون ، ويجوز في الوصف إذا كُرِّرَ أَنْ يَتَّبَعَ وَأَنْ يُسْتَأْنَفَ .

— ١٣ —

قال المصنف : « وقد خفي على أبي الطيب المتنبي أمرُ ظاهر ، فقال بِصِفْ نَاقَةَ :
وتَكَرَّرَتْ رُكْبَاتُهَا عَنْ مَبْرَكٍ تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ مَسْكَاً أَذْ فَرَا
فجمع في حال التثنية فقال رُكْبَاتُهَا عَنْ مَبْرَكٍ تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ
لِلنَّاقَةِ إِلَّا رَكْبَتَانِ »^(٢) .

أقول إن هذا من اتَّسَاعِ الْعَرَبِ ومذاهبها غَيْرُ بَعِيدٍ ، كقولهم : امرأة
ذات أَوْرَاقٍ ، وهما وَرِكان ، وقال الشاعر :
وَلَا رَهْلٌ لِبَاتِهِ وَبَادِلُهُ^(٣) وقد جاء مثله في حكم داود وسليمان في الغنم
التي نَفَشَتْ فِي الْحَرْثِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ .

(١) من أبيات له في مدح الأمين ، منها :

وَلِيَّ عَهْدٍ مَا لَهُ قَرِينٌ وَلَا لَهُ خَبِيرٌ وَلَا خَدِينٌ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِسُلَى هَارُونَ يَا خَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ
إِلَّا النَّبِيُّ الطَّاهِرَ المَيْمُونَ زَلَّتْ لَهُ الدُّنْيَا وَعِزَّ الدِّينُ

(٢) التصويب من ديوان المتنبي ٣٦٨/١ ومن المثل السائر ١/٥٥ .

(٣) هذا هو العطر الثاني من البيت :

فَنِي قَدْ قَدَّ السَّيْفُ لَا مَتَضَائِلَ وَلَا رَهْلَ لِبَاتِهِ وَأَبَاجِلَهُ

وهو من قصيدة لزَيْنَبَ بنت الطَّائِرَةِ في رثاء أخيها :

(شرح الحماسة للرزوقي ١٠٤٦/٣)

رهل : مسترخ . اللبات : المراد الصدر . الأباجل : جم أجمل وهو عرق في بامان
القرع وعرق فليظ في الرجل .

وعلى رواية (بَادِلُهُ) فإنها جم بَادِلُهُ وهي لحمه بين الإبط والثندوة .

قال المصنف : « فأما الإدغام فلا حاجة إليه لكاتبٍ ، لكنَّ الشاعرَ ربَّما احتاجَ إليه ، لأنه قد يَضْطَرُّ في بعض الأحوالِ إلى إدغام حَرْفٍ أَوْفَكٍ أو إدغام من أجل إقامة الميزان الشعري » .

أقول إن المعرفة بأبواب الإدغام ومبأ حثِّه كما يحتاجُ إليه الشاعرُ لإقامة الميزان الشعري قد يحتاجُ إليه الكاتبُ للقرينة ، وقد يُصيبُ فيه وقد يُخطئُ .

مثال الخطأ أن تقول « وأخلص بعدما نافق ، وأصبح بعدما شاقق » فقد دعتهُ القرينة إلى أن أخطأ في فَكَّ الإدغام في موضع لا يجوز فكهُ فيه .
ومثال الصواب أن يقال أَوْلَاهُمْ بالإحسانِ مَنْ لم يَفْشَ ولم يُمارِقْ ، ولم يَشُقَّ عصا ولم يَشَاقِقْ .

قال المصنف : « والأسماء المترادفة هي التي يتحد فيها المسمَّى وتختلف أسماؤه ، كالخمر والراح والمُدام ، فإن المسمَّى بها شيء واحد ، والأسماء كثيرة ^(١) .
أقول : هذا الموضع من أمثال الغلطات التي نَبَّه عليها المنطقيُّون ، فقالوا قد يُظنُّ في كثير من الأسماء أنها مترادفة ؛ وهي في الحقيقة متباينة ، كالسيف والصَّارم والمهند موضوع للنسوب إلى الهند ، فكل واحدٍ من هذه المعاني

مباينٌ للآخر ، فالأسماءُ الموضوعَةُ لها متباينةٌ في الحقيقة ، وإن ظُنَّ في الظاهر أنها مترادفةٌ .

وكذا ما مَثَلَ به هذا المصنّفُ ، فإن الحراسم موضوع لهذا الشراب المخصوص ، وإن كان مُشْتَقًّا غير مُرْتَجَلٍ ، والراح اسم لما تَرْتاح النفس إليه ، والمُدَامُ اسم لما يُدَام استعمالُهُ ، كأنه أُدِيمَ بَدَامُ فالمعاني متباينةٌ لا محالة ، وإن تَوَهَّم في الظاهر أنها مترادفة .

- ١٦ -

قال المصنف : « والأسماء المشتركة هي التي تَتَّحِدُ ، وتختلف مُسمَّياتُها كالعَيْنُ » ^(١) .

أقول ينبغي أن تزداد في ذلك زيادةٌ فيقال هي التي وُضِعَتْ لها وَضْعًا أَوَّلًا ، ويكون ذلك احترازًا عما يَدُلُّ على شيء بالحقيقة وعلى غيره بالحجاز فإنه مُتَّحِدٌ تختلف مُسمَّياتُهُ ، ولا يُسَمَّى مُشْتَرَكًا .

- ١٧ -

قال المصنف : من الناس من منع وُقُوعَ اللفظ المُشْتَرَكِ بمعنى أنه لا يكون حقيقةً في مُسمَّيتين ، بل يكون مجازًا في أحدهما ، واحتجَّ بأن ذلك مُحِلٌّ بفائدة وَضْعِ اللغة ، لأن مقصودَ الواضع الإِفْهَامُ والإِبَانَةُ ، والاشتراك يُحِلُّ بذلك .

(١) قال ابن الأثير : كذلك يحتاج (السكاتب) إلى معرفة الأسماء المشتركة ، ليستعين بها على استعمال التجنيس في كلامه ، وهي اتحاد الاسم واختلاف المسميات ، كالعَيْنِ فإنها تطلق على العين الناطقة وعلى ينبوع الماء وعلى المطر وغيره ... (المثل السائر ١/٥٦) .

ثم أجاب فقال لا نُسَلِّمُ أن مقصودَ الواضع هو البيانُ فقط ، بل البيان والتجنيس ، فالبيان يحصل بالألفاظ المتباينة التي هي كافية في الإيهام ، وأما التجنيس فإنه مُهِمٌّ في هذه اللغة ، لأنه عمدةُ الفصاحة والبلاغة ، ولا يقوم به إلا الأسماء المشتركة ، وهي وإن أُخِلَّتْ بفائدة البيان إلا أنه إخلالٌ يمكن استدراكه بالقربية الدالة على المراد من اللفظ المشترك ، والإخلالُ بوضع الألفاظ المشتركة تسقط به الفصاحة والبلاغة وروّتها ، ولا استدراك له بحال ، فكان وضعُ الألفاظ المشتركة مُتَعَيِّنًا^(١) .

أقول : لا نُسَلِّمُ أنه بتقدير عَدَمِ الألفاظ المشتركة يذهب التجنيس من الكلام ، ولا يزول رَوْنُهُ وبهاؤه كما زعم هذا الرجل ، وبيّنه أن التجنيس يُحْصَلُ بِتَسَاوِيهِ لَفْظَتَيْنِ فِي الْحُرُوفِ الْأَصْلِيَّةِ ، وإن كانت في إحداها زوائد ليست في الأخرى ، مثاله قول أبي تمام :

مَتَى أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةٍ الْحَيِّ ذَاهِلٌ^(٢) .

وقوله :

تُطِلُّ الطُّلُولُ الدَّمْعَ مِنْ كُلِّ مَوْقِفٍ

وقوله :

مَنَازِلُ لَمْ يُخَفِّ الرَّبِيعُ رُبُوعَهَا

(١) ملخص ما قاله ابن الأنبر ٥٧/١ .

(٢) نكلتني : وقلبك منها مدة الدهر آمل

وهو مطلع قصيدته في مدح محمد بن عبد الملك الزيات (الديوان ١١٢/٣) .

فذهُلِيَّةٌ منسوبةٌ إلى ذُهَلٍ اسم رجل ، وذاهل فاعل ذَهَلَ عن الأمرِ
يَذْهَلُ . ويُطل الطلُولُ كذلك ، لأن يُطْلُ مضارع أَطْلَّ دَمَهُ أَى أَهْدَرَهُ ،
والطلول جمع طَلَل ، وهو ما شَخَصَ من آثار الديار . وكذلك الربيع وهو
العُشْبُ والرُّبُوع جمع رُبُوع وهو المنزل ، فهذه كلها تتضمن التجنيس ، وليست
من المشتركات ، لأنها ليست لفظتين متماثلتين دالتين على مُسمَّين مختلفين ،
كلفظة العَيْن .

وأكثر التجنيس في الشعر والرسائل مثل هذا ، ولا يَسْتَعْمَلُ فيه التجنيس
بالمشترك إلا في النادر أيضاً ، فلو كان كل تجنيس في الذَّهْنِ بالمشترك فَقَطْ لم
يكن ذلك من المقصودات الأصلية التي تَقْتَضِي وضع المشترك مع ما فيه من
تَرَدُّدٍ فَهَمَّ السَّامِعِ وَعَدَمِ معرفته ، فإن مَحْذُورَ ذلك أعظمُ من تَرْوِيقِ
اللفظِ بالمشاركات ، خصوصاً ويمكن استدراك غير اللفظ بغيرِ التجنيس ، كالمطابقة
والمقابلة وغيرها من أنواع البديع .

وَالْعَجَبُ من قَوْلِ هذا الرجل إن عدم التجنيس يذهبُ حُسْنَ الكلامِ ،
وقوله إن واضع اللغة نظر إلى ما تحتاج إليه للفصاحة والبلاغة ، فوجدَ من مُهِمَّاتِ
ذلك التَّجْنِيسِ الذي لا يَقُومُ إلا بالأسماء المشتركة ، وهو يرى القرآن عارياً
عن التجنيس ، وهو أَحْسَنُ الكلامِ وَأَفْصَحُهُ وَأَبْلَغُهُ ، كما قال تعالى : « اللَّهُ
نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ^(١) » .

وليت شِعْرِي كيف تحتاجُ البلاغةُ إلى التجنيس ؟ أترأه يَعْلَمُ ما البلاغة ؟

(١) الله أنزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ،
ثم تلبس جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله .
سورة الزمر ٢٣ .

أَلَمْ يَسْمَعْ كَلَامَ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى^(١) وَأَبْنِ الْمَقْفَعِ^(٢) وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهَا مِنَ
الْكِتَابِ، وَمَنْ كَانَ قَبْلَهُمَا مِنْ فَصْحَاءِ الْعَرَبِ الَّذِينَ كَلَامُهُمْ مَحْضُ الْبَلَاغَةِ؟ فَهَلْ
تَرَى لِأَحَدِهِمْ تَجْنِيسًا فِي كَلَامِهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَقَعَ ذَلِكَ اتِّفَاقًا غَيْرَ مَقْصُودٍ قَصْدُهُ؟

— ١٨ —

قَالَ الْمَصْنَفُ: وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُشْتَرِكُ فِي الْكَلَامِ الْعَزِيزُ قَالَ سُبْحَانَهُ:
«وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ»^(٣) فَالسَّاعَةُ الْأُولَى
هِيَ الْقِيَامَةُ، وَالسَّاعَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ هَذَا الْمَقْدَارُ الْخُصُوصُ مِنَ الزَّمَانِ «^(٤)» .

أَقُولُ لِذَلِكَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَنَّ السَّاعَةَ فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ
هَذَا الْمَقْدَارُ الْمَعَيَّنُ مِنَ الزَّمَانِ، وَتُسَمِّيَتِ الْقِيَامَةُ سَاعَةً لَمَّا يَجْرِي فِيهَا مِنَ
الْأَهْوَالِ وَالْأُمُورِ الشَّاقَّةِ، وَهَذِهِ عَادَتُهُمْ إِذَا اسْتَعْظَمُوا أَمْرًا يَقَعُ فِي زَمَانٍ
مَخْصُوصٍ اكْتَفَوْا بِذِكْرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِمْ يَوْمَ الْجَمَلِ^(٥)

وَيَوْمَ ذِي قَارِ^(٦) وَلَيْلَةَ الْهَرِيرِ^(٧)، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: «هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ
(١) . عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى مَوْلَى فَارِسِيِّ ابْنِي عَامِرٍ نَشَأَ بِالشَّامِ فِي أَخِرَاتِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ،
وَكُتِبَ لِمُرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ سَنَةَ ١٢٧ هـ وَبَعَثَ مِنَ الزُّعَمَاءِ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي النَّثْرِ الْقَنَى .
تُوفِيَ سَنَةَ ١٣٢ هـ .

(٢) ابْنُ الْمَقْفَعِ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَقْفَعِ أَحَدُ خُلُوفِ الْبَلَاغَةِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الْأَوَّلِ وَلَدُ
حَوَالَى ١٠٦ هـ وَقُتِلَ سَنَةَ ١٤٢ هـ وَلَهُ مَوْلاَتَانِ شَقِيَّتَانِ مِنْهُمَا الْأَدَبُ السَّكْبِيُّ وَالْأَدَبُ الصَّغِيرُ وَتَرْجُمَةُ
كَلِمَةٍ وَدَمْنَةٍ .

(٣) سُورَةُ الرُّومِ ٥٥ .
(٤) لَمْ تَجِدْ هَذَا النَّصَّ فِي كَلَامِ ابْنِ الْأَثِيرِ عَنِ الْمُشْتَرِكِ وَلَسَكُنَّا وَحْدَنَا قَدْ اسْتَدْلَ بِآيَةٍ
فِي التَّجْنِيسِ الْحَقِيقِيِّ (لِلثَّلِ السَّائِرِ ١/ ٣٤٣)

(٥) مَوْقِفَةٌ كَانَتْ بَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَالسَّيِّدَةِ عَائِشَةَ سَنَةَ ٣٦ هـ
بِالْقُرْبِ مِنَ الْبَصْرَةِ، وَانْقَضَتْ فِيهَا عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَانْحَصَرَ بَعْدَهَا الْفِرَاقُ بَيْنَ حَزْبَيْنِ
اِثْنَيْنِ هُمَا حَزْبُ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ . وَحَزْبُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

(٦) يَوْمَ ذِي قَارِ أَشْهُرُ الْوَقَاتِمِ بَيْنَ بَنِي بَكْرٍ وَابْنِ وَائِلٍ وَبَنِي شَيْبَانَ وَبَنِي عَجَلٍ وَبَنِي كَسْرَى
وَحُلَفَائِهِ مِنَ الْعَرَبِ، كَانَ النَّصْرُ فِيهِ لِلْعَرَبِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بَعْدَ الْبُعْثَةِ . وَقَدْ أَشَادَ الشُّعْرَاءُ بِانْقِصَارِ الْعَرَبِ آيَةً إِشَادَةً (مَرْجِعُ الذَّهَبِ ١/ ١٣٤)
وَالنَّفْيَةِ وَالْإِشْرَافِ ٢٠٨ وَالْأَغَانِي ٢/ ٢٩ وَ ٢٠٢/ ١٣٢ وَتَارِيخُ الطَّيْبَرِيِّ ١٤٦/ ١ .

(٧) لَيْلَةُ الْهَرِيرِ: لَيْلَةٌ بِصَفَيْنِ كَانَتْ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ، حَدَّثَ مَعَاوِيَةَ أَنَّهُ هَمَّ فِيهَا بِالْفِرَارِ،
لَوْلَا أَيْبَاتُ لَعَمْرَوْ بْنِ الْإِثْنَانَةِ نَهَبَتْهُ وَقُوَّتُهُ عَلَى الْبَقَاءِ (الْمَدِينَةُ ١/ ١٠) وَمِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ الْهَرِيرِ بَيْنَ بَكْرٍ وَابْنِ وَائِلٍ وَتَعَمَّ (الْقَامُوسُ الْمُهَيْطُ مَادَّةُ هَرٍ) .

تُوعَدُونَ^(١) » ولم يقل أحدٌ من لفظة يوم مشتركة ، وأنها في هذا الموضع بمعنى القيامة وفي غيره بمعنى هذا الزمان الخصوص ، وعلى هذا يكون معنى قوله تقوم الساعة أن تحضر الساعة التي وُعدُوا بالمجازاة فيها ، فلا تكون اللفظة مشتركة كما زعمه هذا المصنّف ، أو يكون مجازاً في القيامة حقيقة في الوقت الخصوص ، فلا يتم أيضاً ما يريد من الاشتراك .

ويؤكد بطلان الاشتراك أن العرب لم تكن تعرفُ القيامة فيضعوها لها لفظة الساعة ، كما وضعوا لفظة الفرس لهذا الحيوان الخصوص ، اللهم إلا أن يقال إنها حقيقة شرعية ، فيكون ذلك تسليماً لما يقوله المعارض ، لأن الحقيقة الشرعية مجازٌ حقيقي في أصل الوضع .

- ١٩ -

قال المصنف : وقد تعسّف قومٌ وأجابوا عن شبهة الاشتراك في اللغة فقالوا : الأسماء المشتركة إنما وضعتها قبائلٌ مختلفةٌ لا واضع واحد . قال : وهذا باطل ، لأنه قد ورد من الجموع ما يقعُ على مسمّين مختلفين مثل كعاب جمع كعب وجمع الكعبة لهذه البنيةِ المخصوصة ، وقد ورد لفظٌ مفردٌ وجمعٌ لغيره على وزنه ، مثل الراح اسم الخمر ، وجمع راحةٍ وهي راحة الكف ، ومثل عقاب للمعقوبة وجمعُ عقبةٍ ، ونظائر هذا كثيرة^(٢) .

أقول لصاحب هذا الجواب أن يقولَ إن هذه الجموعَ أيضاً وضعتها قبائلٌ مختلفون ، فوضع بنو تميم مثلاً الكعاب جمع كعبة ، وكذلك ما جاء مثل الراح المفرد بمُسَمًّى والراح الجمع لمُسَمًّى آخر يجوز أن يكون ورداً عن قبيلتين كل واحدة منهما وضعت اللفظة بمُسَمًّى غير ما وضعت القبيلة الأخرى له ،

(١) سورة الأنبياء ١٠٣ « لا يميزهم الفزع الأكبر ، وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم تُوعَدُونَ » .

(٢) (الهل السائر ١/٥٩)

فالقَدَرُ الأولُ عن وقوع الاشتراك في اللغة مُطَرِّدٌ فيما ظَنَّ هذا المصنف أنه لا يمكن
اطِّرادُهُ فيه حَدُّو النُّعْلِ بالنُّعْلِ .

- ٢٠ -

قال المصنف « وَحَدُّ المَثَلِ هو القولُ الوجيزُ المرسلُ ليعْمَلَ عليه ^(١) » .
هذا باطل بقوله تعالى : « أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ^(٢) » فإنه قولٌ وجيزٌ أُرْسِلَ ليعْمَلَ
عليه، وليس بمَثَلٍ ، وأيضاً فإنَّ أَرَادَ بقوله ليعْمَلَ عليه أى ليعمل بموجب ما فيه
من الاقتضاء والطلب ، فهذا باطل بأكثر الأمثال ، نحو قولهم : هو أَفْعَلُ
من كذا .

وإن أَرَادَ بقوله ليعمل عليه أن يُسْتَعْمَلَ في الموضع اللائق ، فكلُّ بَيْتٍ
شِعْرِ من أشعار الجاهلية والمُحَدِّثِينَ قولٌ وجيزٌ مُرْسَلٌ يستعمل في موضع يليق
به ، وذلك يقتضى أن يكون الشعر كله أمثالا ، ولم يقل بذلك قائل .

والصحيح أن يُقَالَ المَثَلُ يُطْلَقُ على نَوْعَيْنِ : أَحَدُهُما ما قُصِدَ به
المبالغة بلفظه أَفْعَلُ ، كقولهم : أَشْغَلُ من ذَاتِ النَّحْيَيْنِ ^(٣) ، والثاني كُلُّ كَلَامٍ
وجيزٍ منشورٍ أو مَنْظُومٍ قيل في واقعة مخصوصه تَضَمَّنَ مَعْنَى وحكمة ، وقد تهيأ
بِتَضَمُّنِهِ ذلك لأنَّ يُسَدِّشُهُ به في نظائِرِ تلك الواقعة .

- ٢١ -

قال المصنف : وقد كتبت كتابا لمن اقترحه على أذكر فيه فتح مصر معارضا
لكتاب كتبه عبد الرحيم بن علي البَيْسَانِي في المعنى فقلت فيه . « ومن

(١) المثل السائر ٦٢/١

(٢) تكرر هذا الأمر في سورة البقرة ٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠ وفي سور أخرى .

(٣) كانت امرأة من بني تيم الله بن ثعلبة تبيع السمن في الجاهلية ، فأناها خوات بن جبير
الأنصاري يبتاع منها سمنا ، فلم ير أحدا عندها ، وسأومها ، فغلب نحيها — وعاء لبن —
فنظر إليه ، ثم قال : أمسكه حتى أنظر إلى غيره ، فلما حلب آخر قال أريد غير هذا فأمسك به ،
فلما شغل يديها ساورها فلم تقدر على دفعه ، حتى قضى ما أَرَادَ وهرب (يجمع الأمثال للعبداني
: (٧٥٥/١)

جُمِلَتْهَا مَا فَعَلَهُ الْخَادِمُ فِي الدَّوْلَةِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَقَدْ قَامَ بِهَا مَنَبَرٌ وَسِرِيرٌ ، وَقَالَتْ
مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَرَدَّ الدَّعْوَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ إِلَى مَعَادِهَا ، وَأَذْكَرَ الْمُنَابِرَ
مَا نَسِيتُهُ بِهَا مِنْ زَهْوٍ وَأَعْوَادِهَا ، وَلَمْ يُعِدْهَا إِلَى وَطَنِهَا حَتَّى تَغَرَّبَتْ لَهَا
الْأَرْوَاحُ عَنْ أَوْطَانِهَا ، وَسَهَرَتْ لَهَا أَجْفَانُ الشُّيُوفِ سَهَرَ الْعُيُونِ عَنْ
أَجْفَانِهَا .

قَالَ فَانْظُرْ إِلَى كَيْفَ آتَيْتَ فِيهِ بِكَلَامِ الْحَبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ
الْأَنْصَارِيِّ^(١) حَيْثُ قَالَ يَوْمَ السَّقِيفَةِ لِلْمُهَاجِرِينَ : مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ . وَالْقِصَّةُ
مَشْهُورَةٌ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : بَلْ نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُرَزَاءُ قَالَ : وَهَذَا
نُسَكْتُهُ هَذَا الْفَتْحُ الَّتِي عَلَيْهَا الْمُعْوَلُ ، وَمَرْكَزُهُ الَّذِي عَلَيْهِ يَدُورُ .

وَعَجِيبٌ مِنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَيْهَقِيِّ مَعَ تَقْدِمِهِ فِي فَنِّ الْكِتَابَةِ كَيْفَ
فَاتَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ فِي كِتَابِهِ^(٢) .

أَقُولُ إِنَّ الْقَاضِيَ الْجَلِيلَ الْفَاضِلَ النَّبِيلَ أَبَا عَلِيٍّ عَبْدِ الرَّحِيمِ كَانَ مُوَفَّقًا حَيْثُ
لَمْ يَذْكُرْ مَا ذَكَرَهُ هَذَا الرَّجُلُ وَأَعْجَبَ بِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ
وَالْأَنْصَارِ رَامُوا أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ أَمِيرٌ وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَمِيرٌ ، وَمُلُوكُ الدَّوْلَةِ

(١) هُوَ الْحَبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَوْحِ بْنِ زَيْدِ السُّلَمِيِّ . يَكْنَى أَبَا عَمْرٍو ، شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ
ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً .

كَانَ يُقَالُ لَهُ ذُو الرَّأْيِ ، وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ
يَنْزِلَ عَلَى مَاءٍ بِدَرٍّ لِقَاءَ الْقَوْمِ .

وَشَهِدَ أَحَدًا وَالتَّحْدِثُ وَالْمُشَاهَدَةُ كُلُّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ يَوْمَ السَّقِيفَةِ : أَنَا جَذْبِلُهَا
الْمُحَكَّمُ وَعَذِيقُهَا الْمَرْجَبُ ، مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ .

مَاتَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . الْإِسْتِيعَابُ ٣١٦/١ .

جَذْبِلُهَا الْمُحَكَّمُ : الْجَذَلُ عَوْدُ يَنْصَبُ لِلْجَرِيِّ لَتَحْتَكُ بِهِ ، وَمِنْهُ : أَنَا جَذْبِلُهَا الْمُحَكَّمُ وَهُوَ
تَصْغِيرُ تَعْظِيمٍ . يَرِيدُ أَنْ يُحَكِّمَ عِنْدَكَ يَشْتَقِي النَّاسَ بِرَأْيِهِ كَمَا تَشْتَقِي الْإِبِلُ الْجَرِيَّ بِاحْتِكَامِهَا بِهَذَا الْعَوْدِ .
عَذِيقُهَا الْمَرْجَبُ : الْعَذِيقُ النَّخْلَةُ يَكْثُرُ حَمْلُهَا فَيَجْعَلُ تَحْتَهَا دَعَامَةً تَسْمَى الرَّجْبَةَ ، أَوِ الْمَرَادُ أَنَّهُ
نَافِعٌ كَرِيمٌ كَهَذِهِ النَّخْلَةِ الَّتِي يَكْثُرُ حَمْلُهَا .

(٢) مَلَخَصٌ مِنَ الْخُلَلِ السَّائِرِ ٦٦/١

الطَّالِبِيَّة^(١) بمصر لم يقتصرُوا على أن يكون منهم خليفة ومن الأئمة العباسية خليفة ، بل كانوا يَدْعُونَ أن الخلافة ليست إلا لهم خَاصَّةً ، دُونَ غيرهم ، وما زالت الحربُ بين الفريقين قائِمةً ، والمنهج سائِمةً على ذلك ؛ ولو لم يَكُنْ إلا مَا جَرَى في الأيام القائمة لكفى . فكيف كان القاضي الفاضل على جلالته من يَذْهَبُ عليه هذا ، وَيُسَبِّهُ واقعتهم بواقعة الأنصار ، ويُورِدُ كلامَ الجباب ابن المنذر ، وَيُسَوِّهُ وَجْهَ رسالته الحسناء به ؟ وإِنَّمَا تَرُصِّعُ الرِّسَالَةُ بِالْوَقَائِعِ وَالْأَيَّامِ المشهورة إِذَا كانت مطابقةً للحال الحاضرة ، لا إِذَا كانت مخالفةً لها ، فأما الكلام المنثور الذي أنشأه في هذا فليس من جيِّد قوله ، وفيه مالا يَجُوزُ ، وإن جاز فهو على ضَعْفٍ شديدٍ وَتَكَلُّفٍ عَظِيمٍ . فمن ذلك قوله : « وَأَذْكَرَ المناير ما نَسِيَتْهُ بها من زَهْوِ أَعْوَادِهَا » فإن الباء في بها لا محالة متعلقة بزهو ، وإلا لم يَبْقَ للكلام معنى ، وحينئذ التقدير « وَأَذْكَرَ المناير ما نسيته من زهو أَعْوَادِهَا » وحرف الجر إِذَا تعلق بالمصدر صار من صِلَتِهِ ، فلا يجوز تقدُّمُهُ عليه إلا على تأويل بعيد ، وهو أن يُقَدَّرَ مثله شيء قد دَلَّ عليه المصدر المتأخر ، وهو في هذا الموضع خاصة متعذر التقدير أو مُسْتَهْجَنُ التقدير .

ومن ذلك قوله « وَسَهَّرَتْ لها أَجْفَانُ السُّيُوفِ سَهَرَ الْعَيُونِ عَنْ أَجْفَانِهَا » فقوله سهر العيون عن أجفانها كلام بارد ، لأن العيون لا تَسْهَرُ عن الأَجْفَانِ ، وما سَمِعْنَا من نثر ولا نَظْمٍ سَهَّرَتْ عَيْنِي عن جَفْنِي . ولا شُبُهَةٌ أَنَّهُ أراد وَسَهَّرَتْ لها أَجْفَانُ السُّيُوفِ سَهَرَ أَجْفَانِ الْعَيُونِ ، فلم يَسْتَوْسِقْ^(٢) له ذلك ، فَأَتَى بِلَفْظٍ إِمَّا أَلَا يَكُونُ صحيحاً أصلاً ، أو يحتاج في تصحيحه إلى تَعَبٍ شديد ، ليس تحت اللفظ من المعنى الغريب ما يُساوِي ذلك التَّعَبَ .

(١) الطالبية هي الفاطمية .

(٢) لم يستوسق . لم يجتمع .

- ٢٢ -

قال المصنف : وإنما قصدنا أن يكون الكتاب [الذى يكتب] فى هذا المعنى مشتملاً على الترغيب والترهيب والمساحة فى موضع والمحاقة فى موضع^(١) .
أقول قد ظهرت فائدة علم الإدغام فى باب الكتابة كما قدمناه ، فإن الكاتب أراد أن يوازن لفظة المساحة بلفظة المحاققة ، وسهأ عن أن المحاققة بفك الإدغام غير جائزة .

- ٢٣ -

قال المصنف : اللفظ قد يُتَأَوَّلُ فى المعنى وضده ، وقد يُتَأَوَّلُ على المعنى وغيره الذى ليس بضدٍّ . والأولُ أغربُ وأظرفُ . فما جاء منه قوله عليه السلام : « صلاةٌ فى مسجدى هذا خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فى غيره من المساجد إلا المسجد الحرام »

قال فهذا الحديث يستخرج منه معنيان ضدَّان : أحدهما أن المسجد الحرام أفضلُ من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلُ من المسجد الحرام ، إلا أن صلاةً واحدةً فيه لا تفضلُ ألفَ صلاةٍ فى المسجد الحرام ، بل تفضلُ مادونها بخلاف المساجد الباقية ، فإن ألفَ صلاةٍ فيها تقصرُ عن صلاةٍ واحدةٍ فيه^(٢) .

أقول هذا الحديث لا يدلُّ على أن المسجد الحرام أفضلُ من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا على أن مسجد رسول الله أفضلُ من المسجد الحرام ، وليس الأمر كما توهمه هذا الرجل ، وإنما يدلُّ على أن حكم المسجد الحرام مخالفٌ لهذا الحكم الذى قد حكم به صلى الله عليه وسلم فى حقِّ مسجده وباقي المساجد ، لأن تقدير الكلام كلُّ مسجدٍ فى الأرض إذا صلَّى فيه ألف صلاةٍ فهى فى الفضيلة دون الصلاة الواحدة فى مسجدى ، وأستثنى من هذا الحكم

(١) المثل السائر ٧١/١

(٢) ملخص من المثل السائر ٧٦/١

المسجد الحرام فدلّ في المطابقة على أن المسجد الحرام يُخالفُ باقي المساجد في هذا الحكم .

هذا هو الذى يدل عليه هذا اللفظ فقط ، ولا يدلّ على شيء آخر ، لا أَفْضَلِيَّةَ مسجده على المسجد الحرام ، ولا أَفْضَلِيَّةَ المسجد الحرام على مسجده .

لكن هذه المخالفة تحتل أموراً ، منها أن يكون مسجده عليه السلام لا تَفْضُلُ الصلاة الواحدة فيه أَلْفَ صلاةٍ في المسجد الحرام ، بل تَفْضُلُ تِسْعَمِائَةٍ صلاةٍ أو ثمانمائة صلاة مثلاً .

ومنها أن يكون مسجده صلى الله عليه وسلم تَفْضُلُ الصلاة الواحدة فيه صلاةً واحدةً قى المسجد الحرام ، لا فَرْقَ بينهما .

ومنها أن تكون الصلاة الواحدة في المسجد الحرام أَفْضَلَ من صلاةٍ كثيرةٍ في مسجده ، إما ألف صلاة أو أَقَلَّ منها أو أكثر ، ومراتب ذلك غير متناهية ولا معلومة ، فهذه الاحتمالات كلها تَدْخُلُ تحت المخالفة التى دَلَّ الاستثناء عليها .

فقد ظهر أنه لم يَصِبْ في قوله إن هذا الحديث يمكن أن يستخرج منه مَعْنَيَانِ ضِدَّانِ ، هما أَفْضَلِيَّةُ مسجده عليه السلام ، للمسجد الحرام ، والآخر أَفْضَلِيَّةُ المسجد الحرام لمسجده عليه السلام ، لأننا قد بَيَّنَّا أن الحديث إنما يدلّ على أن حكم المسجد الحرام مُخالفٌ لما قد حَكَمَ به في حقّ مسجده وَبَقِيَّةِ المساجد ، ولا يدل على شيء آخر لافي هذا ولا في ذاك ، لكن المخالفة المدلول عليها يمكن انقسامها إلى أَفْضَلِيَّةٍ كل واحد منهما ، وإلى تساويهما أيضاً .

فالحاصل أن الحديث مادل على شيئين ضدين كما ذكره صلى الله عليه وسلم، وإن سلم له أنه قد دلّ فإنه يدلّ أيضاً على المساواة، وهى أمر ثالث، قصدت أيضاً، وهى شىء غير أفضلية كل واحد منهما، وذلك لم يذكره المصنف، فقد ظهر أن الذى ذكره مستدرك على كلا التقديرين.

— ٢٤ —

قال المصنف: وقد قال أبو الطيب المتنبي:

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن بات فى نعمائه يتقلب

قال: هذا البيت يستخرج منه معنيان ضدان، أحدهما أن المنعم عليه يحسد المنعم، والآخر [أن المنعم يحسد] المنعم عليه^(١)

أقول أما أولاً فإن هذين المعنيين ليسا بضدين، لأنه يجوز اجتماعهما معاً، فيكون زيد قد أنعم على عمرو، ثم حسده، وعمرؤ يحسده أيضاً، فيكون المنعم والمنعم عليه كل واحد منهما يحسد صاحبه، فقد بطل التضاد الذى ذكره، ووجب دخول هذا البيت فى القسم الآخر، وهو أن تتناول اللفظ على المعنى وغيره لا على المعنى وضده، وأيضاً فإن لفظة البيت تشعر بأنه أراد أن المنعم عليه يحسد المنعم، وكذلك سياق الشعر، أما لفظ البيت فلا أنه سمّا ظالماً وقال إنه أظلم الظالمين، ولا شبهة أن من أنعم عليه بنعمة فحسد من أنعم بها عليه وودّ زوال نعمته، وانتقالها إليه، فإنه يكون قد كافأ الإحسان بالإساءة، وكان ظالماً. فإذا أنعم إنسان على غيره، ثم حسد ذلك الغير فإنه

(١) التصويب من المثل السائر ٧٧/١

والبيت من قصيدته فى مدح سيف الدولة التى مطلعها:

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

الديوان ١٢٨/١

لا يُسَمَّى ظالماً ، لأنه لم يكافئ الإحسان بالإساءة . نعم قد يسمى بخيلاً كما قال ابن هاني :

وَهَبَ الدَّهْرُ نَفْسًا فَاسْتَرَدَّ رُبَّمَا جَادَ بِخَيْلٍ فَحَسَدَ^(١)

وأما سياق البيت فإن هذا المصنف ذكر في بيت أبي الطيب وهو :

فَإِنْ نَلْتُ مَا أَمَلْتُ مِنْكَ فَرُبَّمَا شَرِبْتُ بُمَاءَ يُعْجِزُ الطَّيْرَ وَرَدُّهُ^(٢)

أنه ليس متردداً بين المدح والذم كما قد توهمه قوم ، لأن سياق الشعر يقتضي أنه أراد المدح لا الذم ، وإذا كان كذلك فسياقُ هذا الشعر يقتضي أنه أراد أن المنعم عليه يحسد المنعم ، لأنه قال :

تَرِيدُ بِكَ الْحَسَادُ مَا اللَّهُ دَافِعٌ وَسُمِرُ الْعَوَالِي وَالْحَدِيدُ الْمَذَرَبُ

إذا طلبوا جَدًّا وأعطوا وحكموا وإن طلبوا الفضل الذي فيك خُيِّبُوا

ولو جاز أن تعطى علاك وهبتها ولكن من الأشياء ما ليس يوهب

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب^(٣)

فهذا يدل على أن الممدوح يعطى هؤلاء وهم يحسدونه ، وإذا كانت السياقة تدل على أنه أراد هذا المعنى خرج من كونه دالاً على معنيين ضدّين كما حكم به في البيت المتقدم .

(١) هو أبو القاسم محمد بن هاني الأزدي الأندلسي ، ولد بالأندلس بمدينة إشبيلية ونشأ بها واشتغل بالأدب ومهر في الشعر ، ولما خرج معز الدولة يريد مصر شيعة ومدحه بقصيدة مشهورة ، ثم جاء إلى مصر ليحقق به فقتل بركة سنة ٣٦٢ .
(وفيات الأعيان ٤/٤٩)

(٢) من قصيدته في مدح كافور التي مطلعها :
أود من الأيام ما لا توده وأشكو إليها بيننا وهي جنده
الديوان ١/٢٦٢

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة
الديوان ١/١٢٨

قال المصنف : وقد قال أبو الطيب أيضاً في كافور :

فما لك تُغنى بالأسِنَّةِ والقَنَّا وَجَدُّكَ طَعَانُ بِفِيرِ سِنَانِ
ومالك تختار القِيسَى وإنما عن السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ المِلْوَانِ^(١)
فإن هذا يحتمل المدح والذم ، بل هو بالذم أشبه ، لأنه يقول إنك لم
تبلغ ما بلغتُه بسَعْيِكَ واهتمامك ، بل بجِدِّ وسَعَادَة ، وهذا لأفضل فيه ،
لأن السعادة ينالها الخاملُ والجاهلُ وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا . قال : وأَكْثَرُ ما كان
المتنبى يَسْتَعْمِلُ هذا القَنَّ في القصائد الكافوريات^(٢)

أقول إن الناس واقعٌ لهم واقعٌ ظريفٌ مع المتنبى في هذا الباب ، وكان
أصلُه الشيخ أبو الفتح عثمان بن جِيٍّ^(٣) رحمه الله ، فإنه نَبَّهَ المتنبى ، ولم يكن
ذلك لبُغْضِه لكَافور وحنَقِه عليه ، فصار فيه حديثٌ طويل .

وزعمَ مَنْ جاء بعده أن المتنبى كان يَقْصِدُ ذلك وَيَتَعَمَّدُهُ وَيَمْدَحُه بالشعر
الموجَّه الذي يَحْتَمِلُ المدح والذم .

ومنهم مَنْ يزعمُ أن كافورا كان يَتَفَتَّنُ لذلك ، ويُفْضِي عنه ، وَيَتَقَلَّوْنَ
هذا عن المتنبى ، وما كان ذلك قطُّ ولا وَقَعَ شَيْءٌ منه ، ولا قَصَدَ أبو الطَّيِّبِ
نَحْوَ ذلك أصلاً .

(١) رواية الديوان تقديم البيت الثاني على الأول . وفيه (يرمى دونك الثقلان) .
الديوان ٢٤٧/٤ .

(٢) المثل السائر ٧٨/١

(٣) هو أبو الفتح عثمان بن جى الإمام النحوى ، كان من أحذق أهل الأدب وأعلمهم
بالنحو والتصريف ، صنف في ذلك كتباً تفوق فيها على المتقدمين وأهجز من مثلاً التآخرين ،
منها المحصائى وشرح ديوان المتنبى . وكان يحضر مجلس المتنبى ويناظره ، وكان المتنبى
يجيب بذكائه وحذقه ويقول : هذا الرجل لا يعرف قدره كثير من الناس .
ولد حوالى سنة ٣٣٠ وتوفى سنة ٣٩٢ هـ (معجم الأدباء ٨١/١٢)

فأما هذان الشيثان فقد قال في سيف الدولة أبي الحسن^(١) مثلها كثيرا ،
نحو قوله له :

ولقد رمت بالسعادة بعضاً من نفوس العدا فأدر كنت كلاً^(٢)
وقوله له :

إذا سعت الأعداء في كيد مجده سعى جدّه في كيدهم سعى مُحَنَق^(٣)
وهذه الرواية الأولى من رواية من روى (سعى مجده في جدّه) لأن قوله
بعدها :

وما ينصر الفضل المبين على العدا إذا لم يكن فضل السميد الموق
يؤكد ما ذكرناه
ونحو قوله له :

لوم تكن تجرى على أسيافهم مهجّاتهم لجرت على إقباله^(٤)
ونحو قوله له :

هم يطلبون فمن أدركوا وهم يكذبون فمن يقبل

- (١) سيف الدولة بن حمدان أمير حلب الذي مدحه المنبي كثيراً .
(٢) من قصيدته في تمزية سيف الدولة بأخته الصغرى وتسلية بالكبرى التي مطلعها :
إن يكن صبر ذى الرزية فضلا تكن الأفضل الأعز الأجيلا
الديوان ٩٦/٤
(٣) صوبنا البيت من الديوان .
وهو من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :
لمينيك ما يلقى الفؤاد وما لى ولحب ما لم يبق منى وما بقى
الديوان ٤٥٧/١
(٤) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :
لا الحلم جاد به ولا بمثابة لولا ادكار وداعه وزيا له
الديوان ٥٠/٢

وهم يتمنون ما يشتهون ومن دونه جدك المقبل^(١)
وقد قال لعضد الدولة أبي شجاع وهو أعظم ملكاً من سيف الدولة
أبي الحسن، وأشدُّ بأساً، وأكثر انتقاداً للشعر، وهو يدكر هزيمته (وهشودان)
وهو بعيد عن عسكر لدولة أبيه :

وَلَيْتَ يَوْمِي فَنَاءَ عَسْكَرِهِ ولم تكن دانياً ولا شاهداً
وَلَمْ يَغِبْ غَائِبٌ خَلِيفَتُهُ جيش أبيه وجدّه الصاعد^(٢)

وقال له في هذه القصيدة وقد صرح بأنه يقهر الأعداء بالجد فقط :
إن كان لم يعمد الأمير لما لقيت منــــه فيمنه عامداً
فلا يُبَلِّ قاتل أعاديه أقامنا نال ذاك أم قاعد^(٣)
وقال له في قصيدة الوداع :

وأيّاً شئت يطرُق فكوني أذاة أو نجاة أو هلاكا

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :
أيقده في الحبة المذل وتشمّل من دمرها بشمل
الديوان ٥٩/٢

(٢) من قصيدته في مدح عضد الدولة أبي شجاع حينما حارب وهشودان ملك
الديلم وهزمه وأثنى عسكره ، ولم يحضر عضد الدولة القتال في الوقتين ، ولم يكن قريباً منهما
فكتب النصر له وهو غائب ، كأن سمعه غاب عنه في قتالهم .
مطلع القصيدة :

أزائر ياخيال أم طائد أم عند مولاك أني راقداً
الديوان ١ / ٢٩٨

(٣) الخطاب موجه إلى ملك الديلم الذي لم يقصده الأمير بنفسه .
ومعنى البيت الثاني أن من قتل أعاديه لا يبالي أقتلهم فأما أم قاعدا ، بنفسه أم بغيره .
قال الواحدى : كان حقه أن يقول لا يبالي بحذف الياء للجزم لكنه ناس على قولهم لا يبيل
يعنى لا تبال وانما جاز ذلك لسكونة الاستعمال ولم يكثر استعمالهم لا يبيل فيجوز فيه ما جاز
في غيره .

يُسْرَدُ يَمْنُ فَنَّا خُسْرَ عَنِي قَنَا الْأَعْدَاءَ وَالطَّعْنَ الدَّرَاكَ^(١)

وقال لغيره من ممدوحيه :

نَفَذَ الْقَضَاءَ بِمَا أَرَدْتَ كَأَنَّهُ لَكَ كَلِمًا أَرْزَمْتَ شَيْئًا أَرْزَمًا
وَأَطَاعَكَ الذَّهْرَ الْعَصَى كَأَنَّهُ عَيْدٌ إِذَا نَادَيْتَ لَتَى مَسْرَعًا^(٢)

ولكن سيف الدولة لما اشتهر بإخلاص أبي الطيب في ولائهِ عَدَلَ الناس عن هذا الشعر الذي يتضمن ذِكْرَ الْجَدِّ وَالْحَظِّ ، فلم يذكروه ، ولم يجعلوه مَوْجَهًا متوسطًا بين المدح والذم ، وقالوا ذلك في كافور لما حدث تغيُّره مع أبي الطيب ، وانحراف كل واحدٍ منهما عن صاحبه ، ومُجَاهَرَةُ أبي الطيب له بعد مفارقتِه بالهَجَاءَ .

وَلَوْ تَأَمَّلْتَ الْأَشْعَارَ كُلَّهَا وَأَرَدْتَ أَنْ تَسْتَنْبِطَ مِنْهَا مَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَجَاءً لَقَدَرْتَ .

هذا السَّيِّدُ الْحَمِيرِيُّ مِنَ الشَّيْعَةِ الْعَلَوِيَّةِ^(٣) ، لَا يَحْتَلِفُ فِي ذَلِكَ اثْنَانِ

(١) من قصيدته في وداع أبي شجاع عضد الدولة ومدحه التي مطلعها :
فَدَى لَكَ مَنْ يَقْصُرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا مَلِكَ إِذْنٌ إِلَّا فِدَاكَ
فَنَا خُسْرُو : اسم عضد الدولة . الطعن الدراك : المتتابع .
الديوان ١٧/٢

(٢) من قصيدته في مدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الإصبع الكاتب التي مطلعها :
أَرْكَابُ الْأَحْيَابِ إِنْ الْأَدْمَاءُ تَطْسُ الْغُدُودَ كَمَا تَطْسُنُ الْيَرْمَعَا
تَطْسُ : تدق . اليرمع . حجارة بيض صغار رخوة :
الديوان ٤٢٤/١

(٣) شاعر شيعي ولد سنة ١٠٥ وتوفي سنة ١٧٣ فأدرك الدولة الأموية والعباسية وكان من غلاة الشيعة ، يفرط في سب أصحاب رسول الله وأزواجه ، فتعاضى الناس شعره . ولولا ما في شعره من سب السلف ما تقدمه أحد من طبقته (الأغاني ٣/٧) .

وقال أبو عمرو الجاحظ في كتاب الياقوتة إن بعض الشيعة أنشدَ أبا محمد قولَ السيد :

أقسمُ باللهِ وآلائه المرءَ عمّا قالَ مَسْئُولُ
أن علي بن أبي طالب على الهدى والبرِّ محبوب
وأنه كان الإمام الذي له على الأمة تفضيل
كان إذا الحرب مرَّتها القنا وأحجمت عنها البهاليل
يمشي إلى الرُّوع وفي كفه أبيض ماضى الحدِّ مَصْقُولُ
مشى العفرني بين أشباله أضجره للقنص الغيل^(١)
ذاك الذي سَلَّم في ليله عليه ميكال وجبريل
ميكال في الألف وجبريل في ألف ويتلوهم إسرافيل
في يوم بدر بددا كلهم كأنهم طيرٌ أبابيل^(٢)

تقال أبو مُخَلَّد في هذا : إن الشاعر لم يمدح صاحبك ، وإنما هجاه في موضعين : أحدهما أنه زعم أن عليا محبوب على البرِّ والهدى ، ومن جُبِلَ على أمر لم يمدح عليه ، لأنه لم يكتسبه بسعيه .
والثاني أنه زعم أنه أيد في حروبه بالملائكة ، ولا فضيلة له إذا في الظفر ، لأن أبا حية الثميري^(٣) لو أيدهُ هؤلاء لقهر الأعداء وغلبهم .

(١) أسد عفرني : شديد .

(٢) البيتان الأولان بالأغاني ٣/٧

(٣) أبو حية التبري اسمه الهيثم بن ربيع شاعر مجيد من مضمري الدولتين الأموية والعباسية ، مدح الخلفاء فيهما ، وكان أموج جباناً كذاباً بخيلاً ، وله في الأكاذيب أخبار شتى (الأغاني ١٥ / ٦١) منها أنه دخل ليلة إلى بيته كلب ، فظن أنه أصاً ، فانتضى سيفه الذي كان يصحبه لعاب النية ، ووقف في وسط داره وهو يقول : أيها المفتر بنا والمجترى علينا ، بئس والله ما اختفت لنفسك ، خير فليل ، وسيف صقيل ، لعاب النية الذي سمعت به ، مشهورة ضرته ، لا تخاف نبوته ، أخرج بالمفوع عنك قبل أن أدخل بالمقوبة عليك ، إني واقع إن أدع قيساً إليك لا تقم لها ، ولا قيس ؟ تملأ زاهة الفضاء خيلاً ورجلاً . فبينما هو كذلك إذا السكاب قد خرج ، فقال : الحمد لله الذي مسخك كلباً ، وكفاني حرباً .

واعلم أن الشعراء مازالت على قديم الدهر وخديته يمدحون الرئيس
بُعْلُوَّ جَدِّه ، ومساعدة الأقدار له ، ومطاوعة الأفلاك والكواكب والدهر
لإرادته . وأقوالهم في هذا أكثر من أن تُوردَ وتُحكى ، وإن كان
الأصل في إكثارهم من ذلك أن يُهدُوا (إلى) أَسْمَاعِ أعداء المدوح وخصومه ،
ويُوقِرُوا في صدورهم ، ويُذَمِّتُوا في نفوسهم أنه مَنْصُورٌ من السماء ، وأنه مُحَاطٌ
بالعناية الإلهية ، وأنَّ الكواكب تُساعده ، والأفضلية والأقدار تجري على
مراده ، فيوقعوا الرُّعبَ منه في الصدور ، والخوفَ في القلوب ، إلى أن
يَنخَذِلَ مَنْ يُناوِثُهُ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ وَلَا كَيْدٍ .

وقد رُوِيَ أَنَّ مَلِكَ الصِّينِ عَرَضَ عَسْكَرَهُ إِلَى الإسكندر فاستعظمه ،
ورأى ما هالَهُ ، فقال : قد كنتُ قادراً على أَنْ أَصَادِمَكَ بِهَذِهِ الْعَسَاكِرِ
الْعَظِيمَةِ ، لَكِنِّي رَأَيْتُ الْأَفْلَاكَ نَاصِرَةً لَكَ ، فَرَأَيْتُ أَلَا أَحَارِبَ مَنْ
تَنْصُرُهُ . ثُمَّ أَعْطَاهُ الطَّاعَةَ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْإِثَاوَةَ .

قال المصنف : فأما ما يدل على الشيء وغيره ، لا على الشيء وضده ،
فمثل قوله تعالى في قصة إبراهيم وولده « فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ » . فلما بَلَغَ معه
السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ » إلى قوله « فَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ »
نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ^(١) » قال : فقوله فَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ يحتمل أن يكون استئنافاً
لذكر إسحاق بعد ذكر الغلام الحليم صاحب القصة الذي هو إسماعيل . ويحتمل
أن يكون قوله وبشرناه بإسحاق بنبوته بعد البشارة بميلاده ، أو يكون قوله
فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ إشارةً إلى إسحاق وهو بشرى الولادة فقط ، وقوله وبشرناه

ياسحاق نبياً بشرى النبوة ، ويكون هو صاحب القصة لا غير ^(١) .

أقول هذا القسمُ بأنَّ يُجْعَلَ في جُمْلَةِ الْقِسْمِ الأوَّلِ وهو ما يَدُلُّ على الشَّيءِ وضِدُّهُ أَلَيَقُ ، لأنَّ هذه الآية تُجَادِ بِهَا حَتْمًا ، لأنَّه يَسْتَحِيلُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا ، لأنَّ النَّاسَ مَجْمُوعُونَ عَلَى أَنَّ أَحَدَهُمَا هُوَ الَّذِي يَبِيعُ لَا كِلَاهُمَا ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَوْلَيْنِ يَنَاقِضُ الْآخَرَ وَيُضَادُّهُ ، فَتَكُونُ الْآيَةُ مِنْ بَابِ مَا يُمْكِنُ اسْتِخْرَاجُ أَمْرَيْنِ مُتَنَافِيَيْنِ مِنْهُ ، فَلَا وَجْهَ لِإِدْخَالِهَا فِي هَذَا الْقِسْمِ ، وَلَا هِيَ مِنْ صُورَةِ إِبْنِ صَحَّحَ أَنَّ هَذَيْنِ الْإِحْتِمَالَيْنِ يَتَجَادِبَانِهَا عَلَى السَّوَاءِ .

والصَّحِيحُ أَنَّ حَمَلَهَا عَلَى أَنَّ الذَّبِيحَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ أَرْجَحُ وَأَظْهَرُ مِنْ حَمَلِهَا عَلَى أَنَّهُ إِسْحَاقُ ، لِأَنَّ الظَّاهِرَ يَقْتَضِي الْبَشَارَةَ بِمَوْلِدِ إِسْحَاقَ لَا بِنُبُوتِهِ ، لِأَنَّهُ إِذَا قِيلَ قَدْ بُشِّرَ عِمْرَانُ بِمُوسَى تَبَادَّرَتْ الْأَفْهَامُ إِلَى الْبَشَارَةِ بِمَوْلَدِهِ ، وَلِأَنَّهُ عَطِفَ عَلَى قَوْلِهِ « رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ، فَبَشِّرْنَاهُ بِقَلَامٍ حَلِيمٍ » ثُمَّ قَالَ « وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ » فَهَذِهِ الْبَشَارَةُ هِيَ مِثْلُ تِلْكَ الْبَشَارَةِ الثَّانِيَةِ (وَكِلَاهُمَا بِالْوَلَدِ ، وَلِأَنَّهُ لَوْ كَانَ صَاحِبُ الْقِصَّةِ هُوَ إِسْحَاقُ وَالْمُرَادُ بِالْبَشَارَةِ) ^(٢) الْبَشَارَةُ بِنُبُوتِهِ لَقَالَ وَبَشِّرْنَاهُ بِهِ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ، لِأَنَّ قَبْلَهُ ضَمَائِرُ كَثِيرَةٌ تَرْجِعُ إِلَيْهِ ، فَلَوْ كَانَ هُوَ الْمُرَادُ لَأَتَتْ بِالضَّمِيرِ كَالضَّمَائِرِ الْمُتَقَدِّمَةِ .

قال المصنف : ومن هذا القسم أيضا ما يحكى أن الحرورية ظفرت برجل فقالت له : ابرأ من عليَّ وعثمان .

(١) عبارة ابن الأثير : لوله تعالى « وبشرناه ياسحاق نبيا من الصالحين » قد يكون بشارة بنبوته بعد البشارة بميلاده ، وقد يكون استئنافاً بذكره بعد ذكر إسماعيل وذبحه . والتأويل متعاضد بين هذين الأمرين . ولا دليل على الاختصاص بأحدهما : ولم يرد في القرآن ما يدل على أن الذبيح إسماعيل ولا إسحاق ، وكذلك لم يرد في الأخبار التي صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ٨٠/١ .

(٢) ما بين الوسنيين تكلمة تم المعنى ملحقة بهامش النسخة الأصلية .

فقال أنا من عليٍّ وعثمان بريء. فهذا يدل على معنيين : أحدهما أنه بريء من عثمان وخذّه ، والآخر أنه بريء منهما معاً ، ولكن الرجل لم يرِدْ (إلا) الوجه (الأول) (١) .

والرواية أنا من عليٍّ ، ومن عثمان بريء بإثبات من الثانية ، وهو الصحيح ، لأنها لو حذفت لمطف بالواو على عاملين ، وهو غير جائز ، بل التقدير أنا من أصحابه ، وأنا من عثمان بريء . ولم أجد لفظة من في النسخة التي وقفت عليها بهذا الكتاب ، وامل الناسخ قد أوهم .

وأيضا فإن هذه الحكاية بأن تُلحق بالقسم الأول أولى ، لأنه قد استُخرج منها معنيان متضادان : أحدهما البراءة من عثمان والاتباع له ، والثاني البراءة من علي وعثمان ، ولا أرى أن أحد هذين القسمين منافٍ للآخر ، فهو بالقسم الأول أشبه .

قال المصنف : ومن هذا ما يحكى أن عبد المسيح بن بَقِيلَةَ دخل على خالد بن الوليد بالحيرة ، فقال له خالد : من ابن أَوْصَى أَثَرِك ؟ قال من ظَهَرَ أَبِي . قال : من أين خَرَجْتَ ؟ قال : من بَطْنِ أُمِّي . قال : عَلَامَ أَنْتَ ؟ قال : على الأَرْضِ . قال فِيمَ أَنْتَ ؟ قال : في نِيَابِي . قال : ابنُ كَمْ أَنْتَ ؟ قال : ابنُ رجل واحدٍ . قال : وهذا من توجيه الكلام على نَمَطِ حَسَنِ ، وهو يَصْلُحُ أن يكون جواباً لخالدٍ عما سأل ، وَيَصْلُحُ أن يكون جواباً لغيره مما ذكره عبد المسيح (٢) .

(١) ما بين قوسين نكتة من ابن الأثير ٨٢/١ .

(٢) المثل السائر ٨٢/١ .

أقول إن اللفظ الذى يُحتملُ على المعنى وغيره فى هذه الحكاية هو ألفاظ خالد علام أنت ؟ يَحْتَمِلُ أن يريد به على أى حال أنت ، أو على أى دين ، أو على أى عزم ، ويَحْتَمِلُ أن يُريد به على أى مكان أنت ، وكذا بقية الألفاظ ، فعبد المسيح ترك ما علم أنه غرضُ خالد ، وعدلَ إلى الحملِ الآخر الذى يَعْلَمُ أنه ليس بفرضه ، فقول المصنف « هذا من توجيهِ الكلام على نَمَطِ حَسَنٍ وهو يصلح أن يكون جوابا لخالد » هو إشارةٌ بغير شك إلى أن ألفاظ عبد المسيح ليست موجّهةً ، بل الموجّهُ ألفاظ خالد ، لأنها هى المحتملة الأمرين ، فقد بان أن قولَ المصنف أن ألفاظ عبد المسيح موجّهةٌ ليس بصحيح ، وأيضا فقوله « وهو يصلح أن يكون جوابا لخالد عما سأل ، ويصلح أن يكون جوابا لغيره » غير صحيح أيضا ، لأن هذه الأجوبة لا تصلح أن تكون أجوبةً لخالد ، لأن خالدا سأل عن أمرٍ ، فأجاب عبد المسيح عن غيره ، فالذى قال عبد المسيح لا يصلح أن يكون جوابا لخالد عما سألَه عنه ، بخلاف ما قاله هذا الرجل .

قال المصنف : وقد ورد فى التوراة : لا تأكل الجذئ بلبن أمه . وهذا التحريم يحتمل وجهين : أحدهما ما دلَّ عليه ظاهر اللفظ ، وهو تحريم أكل الجذئ بلبن أمه خاصةً ، فإذا أُكِلَ بلبن غير (لبن) أمه جاز ولم يكن حراما ، واليهود لا تقول بذلك . والآخر أن كل شيء من اللحوم بكل شيء من اللبن حرام ، وهو قولُ كافة اليهود . الثانى الذى فى التوراة لا تُنضِج الجذئ بلبن أمه ، أى لا تأكل^(١) .

وهذه سواء كانت لا تُنضِج أو لا تأكل خارجة عن هذا القسم الذى

قَبْلَهُ أَيْضاً ، لَأَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى إِنْضَاجِ الْجَدَى بِلَبَنِ أُمِّهِ ، أَوْ تَحْرِيمِ أَكْلِهِ بِلَبَنِ أُمِّهِ ،
وَلَيْسَ مِنْهَا مَا يَدُلُّ بِالمُطَابَقَةِ وَلَا بِالتَّصَمُّنِ وَلَا بِالْإِلتِزَامِ عَلَى تَحْرِيمِ أَكْلِ الْجَدَى
بِغَيْرِ لَبَنِ الْأُمِّ ، وَالْيَهُودُ لَا تَحْرُمُ أَكْلَ اللَّحْمِ بِاللَّبَنِ بِمَجْرَدِ هَذِهِ الْآيَةِ ، بَلْ
بِنُصُوصٍ أُخْرَى نَقَلَهَا فَقَهَاؤُهُمْ عَنْ نَبِيهِمْ ، فَادْخَالَ هَذِهِ الْآيَةِ فِي بَابِ الْأَلْفَاظِ
الْمُتَرَدِّدَةِ فِي الْمَعْنَى الْمُخْتَلِفَةِ لَا وَجْهَ لَهُ .

قال المصنف : وما يجرى على هذا النهج ما حُكِيَ عَنْ أَفْلَاطُونِ^(١)
أَنَّهُ قَالَ : تَرَكَ الدَّوَاءَ دَوَاءً . فَذَهَبَ بَعْضُ الْأَطْبَاءِ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ إِذَا لَطَفَ
الْمَزَاجَ وَانْتَهَى إِلَى غَايَةِ فَهُوَ دَوَاءٌ ، فَتَرَكُهُ حِينَئِذٍ وَالْإِضْرَابَ عَنْهُ دَوَاءً .

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِالتَّرْكِ الْوَضْعَ ، أَيْ تَرَكَ وَضَعَ الدَّوَاءِ عَلَى
الدَّوَاءِ دَوَاءً ، يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى حَذْقِ الطَّيِّبِ فِي وَقْتِ عِلَاجِهِ^(٢) .

أَقُولُ إِنْ مَرَادَ الْحَكِيمِ لَيْسَ وَاحِدًا مِنْ هَذَيْنِ التَّفْسِيرَيْنِ ، وَمَرَادُهُ
ظَاهِرٌ ، كَقَوْلِ الْعَامَّةِ دَائِمًا وَهُوَ أَنَّ تَرَكَ التَّدَاوِيَّ حَيْثُ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ هُوَ
التَّذَاوِيَّ بِعَيْنِهِ ، وَقَدْ شَرَحَ ذَلِكَ جَالِينُوسُ^(٣) ، فَقَالَ : الْحِمِيَّةُ فِي الصَّحَةِ
كَالتَّخْلِيطِ فِي الْمَرَضِ . فَأَمَّا التَّفْسِيرَانِ الْمَذْكُورَانِ فَبَارِدَانِ جِدًّا ، وَخُصُوصًا
الثَّانِي مِنْهُمَا ، فَإِنَّهُ بَعِيدٌ أَنْ يُحْمَلَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ . وَلَيْسَتْ الْأَدْوَاءُ كُلُّهَا

(١) أَفْلَاطُونُ مِنْ أَكْبَرِ فَلَاسِفَةِ الْيُونَانِ وَلَدَ نَحْوَ سَنَةِ ٤٢٨ قَبْلَ الْمِيلَادِ ، وَلَهُ الْفَضْلُ
فِي جَمْعِ الْأَرَاءِ الْفَلَسَفِيَّةِ الْمُتَنَازِعَةِ وَاسْتِقْبَاطِ فَلَاسِفَةٍ خَاصَّةٍ بِهِ ، وَقَدْ خَلَفَ كُتُبًا كَثِيرَةً فِي الْفَلَاسِفَةِ
صَافِهَا فِي أُسْلُوبِ حِوَارٍ ، مُتَأَثِّرًا فِي ذَلِكَ بِأَسْتَازِهِ سَقْرَاطَ ، وَاتَّخَذَ سَقْرَاطَ بَطْلًا لِكَثِيرٍ
مِنَ الْمُنَاقَشَاتِ ، وَهُوَ فِي فَلَاسِفَتِهِ أَدِيبٌ فَنَانٌ .

(٢) الْمَثَلُ السَّائِرُ ٨٣/١ .

(٣) جَالِينُوسُ طَبِيبٌ يُونَانِيٌّ قَبْلَ الْمِيلَادِ يُعْتَبَرُ مِنْ أَسَاطِينِ الطَّبِّ فِي عَصْرِهِ ، وَنَقَلَ
الْعَرَبُ كَثِيرًا مِنْ آرَائِهِ فِي كُتُبِهِمُ الطَّبِيبِيَّةِ وَقَدْ تَوَفَّى بَعْدَ بَعْتَةِ الْمَسِيحِ .

مما يوضع الدواء على داء عارض في الأعضاء الظاهرة وسطح البشرة ، وبالجملة فهو تفسير ركيك لا يُستحسنُ تحملُ كلام ذلك الحكيم الفاضل عليه .

قال المصنف : وما ينخرط في هذا السلك قول أبي صخر الهذلي :

عَجِبْتُ لَسَعَى الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فلما انقضى ما بيننا سَكَنَ الدَّهْرُ^(١)

قال : وهذا يحتمل وجهين من التأويل : أحدهما أنه أراد بسعى الدهر سُرْعَةَ تَقْضَى الأوقاتِ مُدَّةَ الوصالِ ، فلما انقضى الوصلُ عاد الدهرُ إلى حالته الأولى في الشكونِ والبُطْءِ ، والآخر أنه أراد بَسَعَى الدهر سَعَى أَهْلِ الدَّهْرِ بالتمائمِ والوشاياتِ ، فلما انقضى ما كان بينهما من الوصلِ سكنوا وتركوا السَّعَايةَ^(٢) .

أقول : التفسير الثاني هو الصحيح ، والأول غيرُ صحيح ، واللفظ لا يَحْتَمِلُهُ ، وفي البيت ما يمنع منه ، ببيان ذلك أنه قال « بَيْنِي وَبَيْنَهَا » وهذه اللفظة تنم عن أن يُرِيدَ سرعة تَقْضَى الزَّمانِ أيامَ وِصالنا ، فإنها قرينةٌ تحمل لفظَةَ السَّعَى على السَّعَايةِ والنَمِيمَةِ بالشَّرِّ لا على السَّعَى بمعنى الحركة والسير ، ألا تراه يقولون سَعَى فلانٌ بين فلان وفلان بالشر ، أى ضرب بينهم ، وحمل بعضهم على بعض ، ولا يقولون سَعَى بينهم من السَّعَى بمعنى الحركة والسَّيْرِ ، إلا أن يراد أنه كان يتحرك ويسير بين قومٍ مفترقين في أماكن شتى ، وليس

(١) البيت من قصيدة لأبي صخر الهذلي وليست لأبي كبير الهذلي كما في الأصل وهو عبد الله بن سلم السهمي الهذلي شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، مظلما :

أما والقي أبكى وأضحك والقي أمات وأحيا والقي امره الأمر
شرح الحماسة للرزوقي ١٧٣١/٣ والأماي ١٤٨/١ .

(٢) لفظ السائر ٨٤/١ .

هذا مقصود البيت ، ولو أراد السعي بمعنى سُرعةٍ مُرورِ الزمان لقال عَجِبْتُ لَسَعَى الدَّهْرُ أَيَّامَ وَصَلْنَا أَوْ مَا يُشْبِهُ ذَلِكَ ، وبالجُمْلَةِ فسادُ المَحْمَلِ الأوَّلِ ظاهرٌ عند مَنْ له أَدْنَى تَقَدُّرٍ للمعاني الشعرية .

— ٣٢ —

قال المصنف : وليس كلُّ مَنْ حَمَلَ مِيزَانًا سُمِّيَ صَرَّافًا ، ولا كلُّ مَنْ وَزَنَ بِهٍ سُمِّيَ عَرَّافًا^(١) .

أقول : العَرَّافُ هو السَّكَّانُ ، وليس الوزْنُ من السَّكَّانَةِ ولا يُنَاسِبُهَا ، ولو قال ولا كلُّ مَنْ تَفَرَّسَ أَوْ مَنْ تَسَكَّنَ سُمِّيَ عَرَّافًا كَانَ أَوَّلَى ، اللهم إِلَّا أَنْ يُرِيدَ لَيْسَ كُلُّ مَنْ وَزَنَ بِخَاطِرِهِ أَيْ لَمَحَ وَتَقَدَّرَ سُمِّيَ عَرَّافًا ، فيجوز ، لكنه تأويلٌ بعيدٌ ، وخَيْرُ الكِنَايَةِ مَا كَانَ مَعْنَاهُ جَلِيًّا ، وَيُحْمَدُ فِيهَا مِنْ وَضوحِ المعنى مَا لَا يُحْمَدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الشُّعْرِ .

— ٣٣ —

قال المصنف : والفرق بين الترجيح البياني والترجيح الفقهي أن هناك يُرَجَّحُ بَيْنَ دَلِيلَيْنِ الْخُصْمَيْنِ فِي حُكْمٍ شَرْعِيٍّ ، وَهَاهُنَا يُرَجَّحُ بَيْنَ جَانِبَيْنِ فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ فِي أَلْفَاظٍ وَمَعَانٍ خُطَابِيَّةٍ .

وبيان ذلك أن صاحب الترجيح الفقهي يُرَجِّحُ بَيْنَ خَبَرِ الْوَاحِدِ مَثَلًا وَبَيْنَ خَبَرِ التَّوَاتُرِ ، وَبَيْنَ الْمُسْنَدِ وَالْمُرْسَلِ^(٢) ، أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى ، وَهَذَا لَا يَتَعَرَّضُ لَهُ صَاحِبُ عِلْمِ الْبَيَانِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ ، وَلَسَكِنْ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُرَجَّحَ بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَجَازٍ ، أَوْ بَيْنَ حَقِيقَتَيْنِ ، أَوْ بَيْنَ مَجَازَيْنِ ، وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ نَظَرًا إِلَى الصَّنَاعَةِ الْخُطَابِيَّةِ^(٣) .

(١) المثل السائر ١ / ٨٦ .

(٢) خبر الواحد ما رواه الواحد . التواتر هو الذي رواه جمع يؤمن نواظره على الكذب واستمر هذا في إسناده . المسند هو الذي ذكر جميع رواته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . المرسل هو الذي سقط منه الصحابي الذي رواه عن الرسول .

(٣) كان في المبارة سقط فأصلحناها من المثل السائر ١ / ٨٦ .

أقول إنه قد أطال في هذا الفصل وأسهب بما لا ثمرة له إلا تسويد الكاغد ،
وتضييع الزمان ، فإن كلَّ أحدٍ يَعْلَمُ أن البابَ المعقودَ في هذا العلمِ
للترجيحاتِ لا يكونُ مُتَضَمِّناً ترجيحاتِ الفقهاء ، ولا ترجيحاتِ النحاة ،
ولا ترجيحاتِ الأصوليين ، فأىُّ حاجةٍ له إلى أن يَقْصَّ هذه القصصَ ،
ويُطِيلَ هذه الإطالة ؟ ومن العجب قوله « وبيان ذلك » وهذه لفظة تُقَالُ
فيما يَحْتَاجُ إلى بيان وبرهان . فأما مَنْ قال إن مباحث النحاة مثلاً في باب
الصَّلَةِ والموصول غير مباحث الفلاسفة في ماهية الزمان والمكان ، فإنه
لا يَنَازَعُهُ في ذلك عاقلٌ حتى يَحْتَاجُ إلى أن يقول « وبيان ذلك » .

— ٣٤ —

قال المصنف : والترجيحُ إنما يَقَعُ بين مَعْنَيَيْنِ يَدُلُّ عليهما لفظٌ واحدٌ ،
ولا يخلو الترجيحُ بينهما من ثلاثة أقسام : إما أن يكونَ اللفظُ حقيقةً
في أحدهما مجازاً في الآخر ، أو حقيقةً فيهما معاً ، أو مجازاً فيهما معاً .

قال : والترجيحُ بين الحقيقةين أو بين المجازين يَحْتَاجُ إلى نظر .

وأما الترجيحُ بين الحقيقة والمجاز فإنه يُعْلَمُ بالبديهة لمكان الاختلاف
بينهما ، والشيثان المختلفان يَظْهَرُ الفرق بينهما ، بخلاف الشيتين المتشابهين^(١) .

أقول : الذي يُعْلَمُ بالبديهة هو الفرقُ بين الحقيقة والمجاز لا الترجيحُ ،
لأنَّا إذا عَلِمْنَا في لفظٍ مُسْتَعْمَلٍ في شعر أو خطابة أنه مُتَرَدِّدٌ بين مُسَمَّيَيْنِ
وهو موضوع لأحدهما وضماً أو لاَّ ومنقول إلى الآخر ثانياً ، فقد عَلِمْنَا الفرقَ ،
وأما ترجيحُ أحدِ المَحْمَلَيْنِ على الآخر فإنه لا يُعْلَمُ الترجيحُ بين تحمليين
في لفظ واحد ، وكلاهما حقيقةً أو كلاهما مجازٌ إلا بالنظر ، ويدل على ذلك

الآية التي قد أوردتها بعد هذا الكلام بلا فصل ، وهى قوله « شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ » فإن لفظة الجلود هاهنا مترددة عنده بين الجلود الحقيقية وبين الفروج على سبيل المجاز ، ويحتاجُ ترجيحُ أحدِ المَحْمَلَيْنِ على الآخرِ إلى نظرٍ دقيق .

قال المصنف : وبيان الترجيح بين الحقيقة والمجاز قوله تعالى : « حتى إذا ما جاءوها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بما كانوا يعملون ^(١) » قال فالجلود هاهنا يمكن أن تكون هذه الجلود الحقيقية ، ويمكن أن يراد بها الفروج مجازاً ، لكنَّ المانعَ البلاغىَّ منَعَ من حمل لفظ الجلود فى هذا الموضع على حقيقتها ، لما فيه من لطف الكناية عن المَكْنَى عنه . قال : ويمكن أن يُسْتَدَلَّ على ذلك من وجه آخر استنباطاً بأن يقال إما أن يراد بالجلود هذه الجلودُ المعروفةُ والجوارح التى هى ذوات الأعمال ، والأول باطل ، لأن شهادة الجلود وهى غير فاعلةٍ شهادةٌ باطلة ، لأن المراد الإقرارُ بأن تقولَ اليَدُ أَنَا أَخَذْتُ كَذَا ، وتقولُ الرَّجُلُ أَنَا مَشَيْتُ إِلَى كَذَا ، وكذلك بقية الجوارح ، وهو باطل ، لأنه قد دَخَلَ تحته السمعُ والبصرُ فلا يكونُ لتخصيصهما بالذكر فائدةً ، أو بعض الجوارح فيكون ذلك البعضُ هو الفروج ، لأنَّ حمله عليها أَوْلَى من وجهين :

أحدهما أن الجوارحَ قد ذُكِرَتْ فى القرآن شاهدةً على صاحبها بالمُصْصِيَةِ ما عدا الْفَرْجَ ، فكان حَمْلُ الْجِلْدِ عَلَيْهِ أَوْلَى لِبِسْتِكْمَلِ ذِكْرُ جَمِيعِ الْأَعْضَاءِ ، والثانى أنه ليس فى الجوارح ما يُكْرَهُ التَّصْرِيحُ بِذِكْرِهِ إِلَّا الْفَرْجَ ، فَكُنَى عَنْهُ بِالْجِلْدِ كَرَاهِيَةً لَذِكْرِهِ . ثم سأل نفسه : لِمَ لا يجوز أن يراد كُلُّ الْجَوَارِحِ

ويكون ذِكْرُ السمع والبصر من باب التفضيل كقوله تعالى : « فاكهة ونخل ورمان »^(١) وهما من الفاكهة ؟

وأجاب فقال : هذا الكلام يؤيد استدلالنا ، لأن النخل والمان إنما أُفردا بالذكر لتفضيلتهما على الفاكهة ، وليس السمع والبصر أفضل وأكثر وزراً من غيرها من الأعضاء في المعصية ، لأن قُصارَى العِصْيَانِ بهما إبْصَارٌ مُحَرَّمٌ أو سَمَاعٌ مُحَرَّمٌ ، وكل ذلك لا يوجبُ الحُدَّ ، وأما غيرهما من الأعضاء فيقع به الكبائرُ التي توجبُ الحدودَ ، فكان ينبغي أن تكون تلك الأعضاء هي المخصوصة بالذكر دُونَ السمع والبصر^(٢) .

هذا مُلَخَّصُ ما ذكره بَعْدَ حذف التطويلات .

أقول : أما الوجه الأولُ فليس بشيء ، لأنه ما زاد على أن قال هذا مانع بلاغيٌّ يمنع من حَمَلِ الجلود على حقيقتها ، وأن تُحْمَلَ على الفُروجِ ، وهذا ضعيفٌ لأنه بمنزلة قول من يقول إن الجلودَ في قوله تعالى « كلما نَضِجَتْ جلودهم بَدَنُناهم جلوداً غيرَها »^(٣) بمعنى الفروج ، وإن هذه الآية نَزَلَتْ في الزُّنَاقِ ، وكَيَّ عن الفُروجِ بالجلودِ لأنها كنايةٌ لطيفة ، وأيضاً كان سبحانه قد ذَكَرَ ثلاثةَ أجزاءٍ مِنْ أَجْزَاءِ بَدَنِ الإنسانِ ، وهي السمعُ والبصرُ والجِلْدُ ، وقال إنها تَشْهَدُ عليهم ، فلم حَمَلِ الجِلْدُ على الفرج ؟ لأجل أن الفرجَ يَلِيقُ ألا يذَكَرَ تصريحاً ، ويحسن أن يُكْتَنَى عنه بغيره أولى من أن يُحْمَلَ السمعُ والبصرُ على الفرج لهذه العلة ، وإنما يتعين حَمَلُ الجلدِ على الفرج إذا كان بين لفظيَّ

(١) سورة الرحان ٦٨ (فيهما فاكهة ونخل ورمان) .

(٢) التل السائر ٨٨/١ .

(٣) سورة النساء ٥٦ .

الجلدِ والفرجِ أو معناها مناسبةٌ لا تحصل بين السمع والفرج ولا بين البصر والفرج ، ونحن لا نجد فرقا بين هذه الأجزاء الثلاثة ، وكلُّ واحد منها بعيدٌ عن الفرجِ لامناسبةٍ بينه وبينه ، اللهم إلا أن يكون لأجل أن الجلد جزءٌ من أجزاء ما هيّة الفرج ، فعبّر عن الكلِّ بالبعض ، وهذا بعيد جدا .

فأما استدلاله له ثانيا ، وإبطاله أن يراد بالجلود هذه الجلود الحقيقية ، لأنها ليست هي الفاعلة ، بخلاف الأعضاء كاليد والرجل ، فينبغي أن يُجاب عنه بالضحك من عاقل يتوهم أن اليد هي التي فعلت الشيء ، وأن اللسان هو الذي فكلّ النطق ، وهذا وهمٌ عامٌّ لا يعتقده محصلٌ ، فإنما إبطاله أن تكون الجلود هي جُملة الأعضاء والجوارح بقوله إنه قد ذكر السمع والبصر فلا يكون لإفرادها بالذكر فائدة ، فجوابه ما سأل عنه نفسه ، وهو أن المراد بذلك ما أراد من قوله تعالى « فإن الله هو مولاه وجبريلٌ وصالحُ المؤمنين والملائكةُ بعد ذلك ظهيرٌ » .

وقوله هذا لا يجوز ، لأن العصيانَ بالسمع والبصر أخفُّ ، فيقال له بل هو هذا الترتيب ، والصحيح في نظم الكلام ، لا كما توهمته ، مثال ذلك يقال دخلتُ قريةً كذا فوثب على الولدان والنساء وكلُّ مَنْ فيها . يؤدُّ الولدان والنساء ويخصمهم بالذكر ، لأنه ليس من شأنهم أن يثبوا بالرجال ويقبلوا عليهم ، وأنت إنما تريدُ أنه وثبَ عليك الضعيف والقوى ، فكذلك الآية تقديرها شهيدٌ عليهم من الجوارحِ بالمعصيةِ به صغيرة ، والمعصيةُ به كبيرة .

ثم يقال له سلّمنا أنه ليس المرادُ كلُّ الجوارح بل بعضها فلم قلّت إن ذلك البعض هو الفرج ؟

وقوله « لأن سائرَ الأعضاء قد ذُكر في القرآن أنها تشهدُ إلا الفرجَ

فوجب أن يكون هو المراد بالجلود لتكامل شهادة كل الأجزاء « باطل » لأنه لم يُذكر في القرآن شهادة الأعضاء ، وإنما ذُكر شهادة الأيدي والأرجل والسمع والبصر والألسنة والجلود في آيات مُتفرقة ، فأما القلوب فلم يُذكر لها صريحُ شهادة ، بل قال : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » ^(١) ولا ذُكر شهادة الذوق وهي اللهاة فيما ذاقته من الحرام والحلال ، ولا شهادة حاسة اللمس بما لمسته من المحرمات ، فقد بطل قوله إنه إنما وقع الإخلال من جميع الأعضاء من الشهادة بالفرج وحده .

وأما قوله إنه يجب حمله على الفرج لأنه مما يُكرهه التصريحُ بذِكره ، فوجب أن يجعل هذا اللفظ كنايةً عنه ، فباطل ، لأنه تعالى قد ذكره في غير موضع ، فقال : « والذين هم لفروجهم حافظون » ^(٢) وقال : « وقُلْ للمؤمنات يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ » ^(٣) وقال تعالى : « ويعلم ما في الأرحام » ^(٤) وما رأيناه كنى في هذه المواضع بكناية أصلاً .

قال المصنف . وما أُستدل به على مُراد المتكلم بقرينة دقيقة لطيفة قوله صلى الله عليه وسلم « من جعل نفسه قاضيا للمسلمين فقد ذُبِحَ بغير سكين » ^(٥) قال ومعناه أن مَنْ جعل قاضيا فقد حيلَ بينه وبين نفسه وهوها ،

(١) سورة الإسراء ٣٦ .

(٢) سورة المؤمنون ٥ .

(٣) سورة النور ٣١ .

(٤) سورة لقمان ٣٤ .

(٥) النص في المثل السائر : وأما ما يستدل عليه بقرينة لبست من توابه ، فإن ذلك أرق من الأول ، وألطف مأخذاً . فما ورد منه قول النبي صلى الله عليه وسلم : من جعل قاضيا بين الناس فقد ذبح بغير سكين « ٩٣/١ .

لأنه يكون محمولاً على الامتناع من أخذ الرشا، ومأموراً أن يحكم لعدوه على صديقه، وأن يرفع الحجاب بينه وبين الناس، ويجلس للقضاء في وقت راحته، ويُتعب نفسه ويُجهدُها. قال: فلما اشترك القضاء والذبح في الألم الشديد، وكان الذبح الحقيقي هو قطع الحلقوم، والقضاء هو قطع النفس عن هواها، لاجرم كان الشخص الذي يجعل قاضياً مذبحاً ذبحاً معنوياً. قال: وهذا موضع غامض لطيف^(١).

أقول إن تأويلات الباطنية^(٢) لآيات الكتاب العزيز أوقع وأقرب إلى العقل من هذا التأويل، وكيف يجوز أن يُنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أراد هذا المعنى؟ وهل هذا إلا في قوم أن يقال من رتب قاضياً فإنه يتعب، ويجد مشقة، وينقطع عليه كثير من أوقات راحته؟ ومنصب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل وأعظم من أن يكون هذا المقدار فخوى كلامه.

(١) ينصرف من ٩٤/١.

(٢) فرقة من الإسماعيلية الذين يفسبون الإمامة لإسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق. وفي رأيهم أن الأرض ان تخلص من إمام حتى قائم إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور. ولهم آراء شتى منها أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. وأشهر ألقابهم الباطنية، ولأنهم لزمهم هذا لقب الحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً.

وهم يلقبون بالعراق الباطنية والقرامطة والزرادكية، ويلقبون بخراسان التعليمية والملاحدة.

ويقولون نحن إسماعيلية لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص.

وقد خلط الباطنية القدماء كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على هذا المنهج. ومن آرائهم نفي للصفات لأن إثباتها الحقيقي يقتضى شركة بين الله تعالى وسائر الموجودات وذلك تشبيه.

ولهم دعوة جديدة تزعمها الحسن بن محمد الصباح في القرن الخامس الهجري.

(الملل والنحل ١/١٧٠) .

ومعلوم أنه إنما أُخْرِجَ هذه اللفظة مُخْرِجَ التحذير لأصحابه من القضاء ، لما فيه من التعرض للآثام والمواخذة الأخروية ، وأنه ليس كلُّ أحدٍ يَقْدِرُ على ضَبْطِ نفسه عن الميل إلى أحد الخصمين ، ولا يَمْلِكُ سَوْرَةَ الْقَضَبِ التي تُقْضَى به إلى الحكم بغير الحق ، ولا يستطيع تَجَنُّبُ المراقبة والحجابه لأبناء الدنيا وأصحاب السلطان ، ولذلك كان الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم يتأذون من القضاء ، ويفرّون منه ، وَيَسْتَتِرُونَ الدَّهْرَ الطَّوْلَ إذا نَدَبُوا إليه ، ويتحملون مشقة الهرب والاستتار ومفارقة الأوطان حذرا من عقاب الآخرة لا غير .

وكيف يُحَذِّرُ رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه وأُمَّتَهُ من الدخول في القضاء لكَوْنِهِ مجاهدةً لهوى النفس ، وَكَوْنِهِ يُورِثُ التَّعَبَ والمَشَقَّةَ الدنيوية ، وهو يأمرهم بالجهاد ومناهضة المشركين وقتل أولادهم وآبائهم وإخوانهم في طاعة الله ورسوله ؟

ومعلوم أن ذلك أَصْعَبُ وَأَشَقُّ منا متاعب القضاء بأضعاف مضاعفة ، وهم مأمورون به لما فيه من ثواب الجهاد ، فكذلك القضاء متاعبه ومشاقه مغمورة بما فيه من ثواب الانتصار للحكم بالحق ، ونُصْرَةُ المظلوم ، وإقامة شعائر الإسلام ، وما أعلم ما أقولُ فيمن حَمَلَ كلامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك التَّأْوِيلَ الرَّدِيءَ .

— ٣٧ —

قال المصنف : ومِثَالُ مَا يَتَرَدَّدُ بَيْنَ معنيين وَيَحْمِلُ على أحدهما القَِيْنَةُ المتقدمة في أول الكلام قوله تعالى : « لا تجملو دُعاءَ الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » ^(١) فإنه يحتمل أن يريد به لا تدعوه باسمه فتقولوا يا محمد ،

(١) سورة سبأ : ٥٤ .

كما يدعو بعضهم بعضاً بأسمائكم ، ويحتمل أن يُريدَ به أنكم إذا حَضَرْتُمْ في مجلسه فلا يَكُنْ حضوركم كحضوركم في مجالسكم ، أى لا تفارقوا مجلسه إلا بإِذنه ، والزُّمُوا معه الأدب . قال : والحمل على هذا الحمل أولى ^(١) لأن قبل هذه « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يذهبوا حتى يستأذنوه » ^(٢) .

أقول : هذه قرينةٌ متقدمةٌ لعمرى ، ولكن في الآية قرينةٌ أخرى متأخرةٌ تقتضى حمله على تحمّلٍ آخرٍ غيرِ هذا وغيرِ الحملِ الأوّلِ ، ولعله الأصحُّ ، وهو أن يراد بالدُّعاء الأمرُ ، يقال دَعَا فلان قومه إلى كذا أى أمرهم به ونَدَبَهُمْ إليه ، قال سبحانه « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكم » ^(٣) أى ندبكم . وقال سبحانه « وإِنِّي كَلِمَا دَعَوْتُهُمْ لَتَغْفِرَ لَهُمْ » ^(٤) أى أمرُهُمْ ونَدَبَهُمْ . والقرينةُ المتأخرةُ قوله « فليَحْذَرِ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ » ^(٥) « فلم كان حَمَلُ الآية على ما ذكره لأجل القرينة المتقدمة أولى من حمله على هذا الحمل لأجل القرينة المتأخرة ؟

- ٣٨ -

قال المصنف في حد الحقيقة : هى اللفظُ الدَّالُّ على مَوْضوعِهِ الأَصْلِيِّ ، والمجازُ ما أُريدَ به غَيْرُ المعنى الموضوع له فى أصل اللفظة . وهو مأخوذٌ من جَازَ من هذا الموضع إلى هذا الموضع إذا تخطاه إليه ، فالمجازُ إِذْنُ اسمٌ للمكان الذى يُجاز فيه ، كالمعَاجِ والزَّارِ وأشباهِهما .

(١) للثلاث ٩٤/١

(٢) سورة النور ٦٢

(٣) سورة الأَنْفَالِ ٢٤

(٤) سورة نوح ٧

(٥) سورة النور ٦٣

وحقيقته هو الانتقال من مكان إلى مكان ، فجُمِلَ ذلك لنَقْلِ الألفاظ من محلٍّ إلى محلٍّ (١) .

أقولُ : أما حَدُّ الحقيقةِ الذي ذكره فنَقُوضُ بلفظ الدَّابَّةِ إذا اسْتَعْمَلَتْ في الدُّودِ والقَمَلَةِ ، فإنها قد دَلَّتْ على موضوعها الأصليِّ ، لأنها موضوعةٌ لما يَدِبُّ ، مع أنها بالنسبة إلى الوضعِ العُرْفِيِّ مجازٌ ، فإذن قد دخل المجازُ العُرْفِيُّ فيما جعله حَدًّا لمُطَلَقِ الحقيقةِ ، وبلَفْظَةِ الصَّلَاةِ إذا اسْتَعْمَلَتْ في الدُّعاء ، فإنها قد دَلَّتْ على موضعها الأصليِّ ، فيكون قد دخل المجازُ الشَّرْعِيُّ فيما جعله حَدًّا لمُطَلَقِ الحقيقةِ ، وهو غير جازٍ .

والواجبُ أن يُقالَ : الحقيقةُ ما أُفِيدَ بها ما وُضِعَتْ له في أصلِ الاصطلاح الذي وَقَعَ التخاطبُ به ، فيدخلُ في ذلك الحقيقةُ اللغويةُ والعُرْفِيَّةُ والشَّرْعِيَّةُ .

فأما ما ذكره في حَدِّ المجاز فهو باطلٌ أيضاً في الحقيقتين العرفية والشعرية ، فإنهما يدلان على غير ما وُضِعَا له في الأصل ، وهما حقيقتان .

على أن قوله : « المجاز ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة » ليس بجديد ، لأنه لو عَبَّرَ بالسماء عن الأرض لكان قد أَرَادَ باللفظ غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة ، وليس مجازاً ، والأجودُ أن يُبدَلَ لفظ ما أريد به بلفظ ما أُفِيدَ به ، أو ما يُدَلُّ ، وفيه مع ذلك الإشكالُ الذي ذكرناه أولاً .

وأصلحُ ما قيل في حَدِّ المجاز أَنَّهُ لما أُفِيدَ به معنى مصطلح عليه غير ما اصطلاح عليه في أصل تلك المواضع التي وقع التخاطبُ بها ، لعلاقة بينه وبين المعنى الأول .

وهذا القيْدُ الأخيرُ يُتِمُّ تَحْدِيدَ المجازِ ، لأنه لولا تلك العلاقة لما كان مجازاً من الأول ، بل كان وضعاً جديداً .

ومن العَجَبِ أن هذا الرجل قال : « المجاز اسم للمكان الذي يُجاز فيه » ثم قال عَقِبَهُ بلافصل : « المجاز هو الانتقال من مكان إلى مكان ^(١) » فتارة يجعل الفعل هاهنا اسماً للمكان كالمقام لموضع الإقامة ، وتارة يجعله اسماً للمصدر كالمقام من قال يقول قولاً ومقالاً ، وهذه مناقضة ظاهرة .

فأما قوله : « فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل » فإنه أراد من مُسَمَّى يعدل عن اللفظ الجيد إلى اللفظ الرديء ، فإنه يوهم أن المعنى شيء يحل فيه اللفظ ، ولسنا نضايقه في ذلك وأمثاله .

قال المصنف : والفرق بين الحقيقة والمجاز بتبادُرِ الفهم عند الإطلاق إلى الحقيقة دون المجاز ، كالشمس لهذا الكوكب الخصوص دون الوجه المستحسن فإن قلت : فإننا نرى الألفاظ تُبادِرُ عِنْدَ سماعِ كثيرٍ من الألفاظ العُرفِيَّةِ إلى غير حقائقها الأصلية ، كالفائض الذي لا يفهم منه إلا الحاجةُ الخصوصية دون المظمين من الأرض . قلت هذا شيء يذْكُرُهُ الفقهاء ولا طائلَ له ، لأن المعتبر بمبادرةِ أفعالِ الخاصة من الناس لا العامة ، كالخداين والنَّجارين والمخازين والحَّاكَةِ والاساكِفَةِ ، ومعلوم أن الخواص من العلماء لا يفهمون من الفائض إلا المظمين من الأرض . قال : والعَجَبُ من الفقهاء كيف ذَوُّوا هذا وذهَبُوا إليه ^(٢) .

(١) اللؤلؤ السائر ١/١٠٥ .

(٢) ملخص من ١٠٦/١ وما بعدها .

أقول: الجواب الصحيح أن يقال إن تبادُرَ الأفهام إلى أن المراد بالعائط الحاجةُ المخصوصةُ ، وبالدَّابةِ الفرسُ ، وبالرَّأويةِ المَزادةُ ، وبالمَلِكِ الرَّسُولُ الرَّوْحاني خاصَّةً ، دليلٌ على أن هذه الألفاظَ حقائق في الوضع العُرْفِي الجديد ، وذلك لا يَنْقُضُ قَوْلَنَا إن تبادُرَ الأفهام إلى المعنى دليلٌ على أن اللفظ حقيقةٌ فيه ، لأنَّنا قد قلنا ؛ وَجِبِهِ ، وجعلنا هذه الألفاظَ حقائق ، ولكنها عُرْفِيَّاتٌ . فأما الجواب الذي أجاب به فليس بِجَيِّدٍ ، لأنه إما أنْ يَنْفِيَّ الحقائق ، العُرْفِيَّةَ أو يُثْبِتُها ، فإنْ أُنْثِبَتْها فقد بَطَلَ قَوْلُهُ إنه لا إعتبار بمواضِعِ أَهْلِ العُرْفِ ، وإنْ نَفَّاهَا فهو باطلٌ ، لأن الحقائق الأصلية اللغوية ما كانت حقائق لقرآن أنزله الله تعالى فيها ، بل لأن طائفةً من الناس تواضعوا عليها ، فلايُّ حال كانت مواضِعُ العَرَبِ في الجاهلية على ألفاظٍ مخصوصة لمعان مخصوصة تقتضي جعلها حقائق في مُسَمِّيَّاتِها ، ولا تكون مواضِعُ طائفةٍ أخرى موجودين الآن على ألفاظٍ مخصوصة لمعان مخصوصة تقتضي جعلها حقائق في مُسَمِّيَّاتِها ؟

أليس وَضَعُ الأَكْرَادِ والفرسِ والترْكِ والرُّومِ لغاتهم وألفاظهم لمعان قد اصطالحوا عليها بينهم يُوجِبُ جَعْلَ تلك الألفاظِ حقائق فيما وَضَعَتْ له ؟ فليس الأمرُ في هذا الباب موقوفاً على مواضِعِ العرب قبل الإسلام ، فقد ظهر أن الذي دَوَّنه الفقهاء هو الحقُّ ، وأن ما اعترضهم به ليس بِحَقٍّ .

ونحن نستنبط بعد هذا من نصِّ كلامه ما نَحْصُهُ به ، وننتصر به للفقهاء عليه ، وذلك أنه قال ما هذه صورته : إن كان إطلاق اللفظ بين عامة الناس من إشكافٍ وحَدَادٍ ونجارٍ وَخَبَّازٍ وَمَنْ جَرَى مجراهم ، فهو لا إعتبارَ بينهم ولا اعتدادَ بأقوالهم .

فيقالُ له ما تُعْنِي بالإشكافِ ؟ كلٌّ صانعٍ أم صانع النِّمالِ خاصة ؟

فإن قال صانع النعال خاصة ، قيل له فأنت من الخاصة لا من العامة ، وقد تبادر ذهنك إلى ما ليس بحقيقة أصلية ، لأن كلَّ صانعٍ إسكافٌ عند العرب ، وكتب اللغة كلها تشهد بذلك . وإن قال أردتُ كلَّ صانع ، قيل له لا تغالط ، فإنك قلتَ من إسكافٍ وحدادٍ ونجارٍ وخباز ، فجعلت الإسكافَ صاحبَ صناعةٍ مفردةٍ كالنجار والحداد ، ولو أردتَ العمومَ لقلتَ من حدادٍ ونجارٍ وخبازٍ وغيرِهِم من الأساكفة ، ولم تقل ذلك .

فإذا كان نصُّ كلامك يشهدُ عليك أن ذهنك قد تبادر إلى الاصطلاح العُرْفِيّ وهو قصرُ لفظةِ الدَّابَّةِ على هذا الحيوانِ المخصوص ، فقد بطلَ قولك إنه لا يتبادر إلى أفهام الخاصة عند إطلاق كلِّ لفظٍ إلا حقيقته لا غيرُ .

قال المصنف : والفرق بين الحقيقة والحجاز أنَّ الحقيقة جائزةٌ على العموم في نظائرها ، كقولنا فلان عالم ، يصدق على كل ذي علم ، بخلاف : « واسأل القرية ^(١) » لأنه لا يصحُّ إلا في بعض الجمادات دونَ بعض ، إذ المرادُ به أهلُ القرية ، لأنهم ممن يصحُّ السؤال عنهم ، ولا يجوز أن يُقالُ واسأل الحجر والتراب ^(٢) .

أقول : أما دعوى وجودِ أطراد الحقيقةِ ففيه كلامٌ ، فإننا قد رأيناها غيرَ مطرَّدةٍ في مواردِها ، إما لأنَّ العقلَ يمنعُ من ذلك ، كلفظة الدليل عند من يقولُ إنه حقيقة في فاعل الدلالة ، فإنه لما كثر استعماله في نفس

(١) سورة يوسف ٨٢ .

(٢) المثل السائر ١/١١٠ .

الدلالة لا جرم لم يحسن استعماله في حق الله تعالى إلا مقيداً كقولهم : يادليل
المصحرين ، وإما لأن الشرع يمنع من ذلك ، كتسميته تعالى بالفاضل
والسخي ، فإن الشرع يمنع من ذلك ، مع حصول حقيقتها له تعالى ، وإما
لأن اللغة تمنع من ذلك ، كامتناع استعمال الأتلق في غير الفرس ، ولا يصح
أن يعتذر عنه بأن الأتلق موضوع للعلو بهذين اللونين ، بشرط أن يكون
فرساً ، لأنه يلزم عليه أن يجوز في كل مجاز لا يطرد أن يكون سبب
عدم أطراده لاشتراط كونه ذلك المسمى بعينه ، وحينئذ لا يمكن الاستدراك
بعدم الأطراد على كونه مجازاً .

وأما قوله « عالم » لما كان موضوعاً لذى العلم أطرد في كل علم ،
« واسأل القرية » لم يطرد في كل المجادات ، فإنه استدلال على أمر كلّي
بصورة جزئية .

ومن أين له أن كل حقيقة فإنها جارية في الأطراد تجري قولنا « عالم »
لذى العلم ، وأن كل المجازات لا تطرد كقوله « واسأل القرية » ؟
ولم لا يجوز أن يكون المجاوز وإن لم يجب أطراده فإن بعضه قد يطرد
لا على سبيل الوجوب ؟

ولا يمكن أن يدعى أنه قد استقرى الألفاظ كلها فلم يجد فيها مجازاً
مطرداً ، ولو كان ذلك قد وقع لكانت ألفاظ المجاز كلها قد علمت وعلم أن
ما عداها حقيقة قبل العلم بنفي أطرادها ، وذلك يقتضي أن يكون الفرق بين
الحقيقة والمجاز قد وقع قبل هذه الدلالة .

قال المصنف : واعلم أن كل مجازٍ فله حقيقةٌ ، لأنه لا يصح أن يُطلق عليه اسم المجاز إلا لقلبه عن حقيقة موضوعه له ، وليس من ضرورة كل حقيقة أن تكون مجازاً ، فإن من الأسماء ما لا تجاز له ، كأسماء الأعلام التي وُضعت للفرق بين الذوات لا للفرق بين الصفات ^(١) .

أقول : هذا يدل على أنه يتوهم أن أسماء الأعلام حقائق في الأشخاص المسمين بها ، وليس كما توهمه ، لأن الحقيقة ما أُفيدَ به ما وُضع له ، ونعني بقولنا ما وُضع له وُضع أهل اللغة وأرباب الاصطلاح ، فتكون اللفظة حقيقة تبعاً لكونها موضوعاً لشيء قبل استعمال المستعمل ، حتى إذا استعملها المستعمل فيما وُضعت له كانت حقيقة فيه ، وأسماء الأعلام لم تقع على مسمياتها المعنوية بوضع من أهل اللغة ولامن الشرع حتى يكون من اتبعهم فيها في أصل موضوعهم فقد استعملها على حقيقتها .

وهذا الكلام كما ينبغي أن تكون الحقيقة داخلة في أسماء الأعلام ينبغي أن يكون المجاز أيضاً داخلاً فيها .

والصواب أن يقال : المجاز هو المستعمل في غير موضوعه الأصلي لمشابهة بينهما . وهذا تصريح بأن من ضرورة تحقيق المجاز ثبوت الحقيقة ، وليس يلزم من كون اللفظ موضوعاً لشيء أن يصير موضوعاً لشيء آخر بينه وبين الأول مشابهةً ومناسبةً ، لجواز أن يُعَدَّ ذلك عن بعض المسميات .

(١) المثل السائر ١/ ١١٠ : بتصرف .

وهاهنا دقيقة^٢، وهى أن دلالة اللفظ على المعنى فى الموضوع الأول قد خلت عن كونها حقيقةً ومجازاً، لأن الحقيقة استعمالُ اللفظِ فى موضوعه الأصيل، فلا تكونُ الحقيقةُ حقيقةً إلا إذا كانت مسبوقاً بالوضع الأول، والمجازُ هو المستعملُ فى غير موضوعه الأصيل، فيكون هو أيضاً مسبوقاً بالوضع الأول، فنبت أن شرطَ كونِ اللفظ حقيقةً أو مجازاً حصولُ الوضعِ الأول، فالوضع الأول واجب ألا يكون حقيقةً ولا مجازاً.

وهذا الكلامُ على ظاهره يَقْدَحُ فى قولنا المجاز فرع الحقيقة، ومتى وَجِدَ الأَصْلُ فالمجاز لا يكون مجازاً إلا والحقيقة موجودة^٣، لأن المجاز لا يَسْتَدْعِي إلا مُجَرَّدَ كَوْنِهِ موضوعاً قَبْلَ ذلك لمعنى آخر، فهو يتوقف على ذلك فقط لا على الحقيقة، لأن الوضع الأول ليس بحقيقة.

وجوابه أننا لا نَدْعِي أن المجاز يتوقف على الحقيقة، بل مُتَوَقَّفٌ على أنه موضوع فى الأصيل لمعنى آخر، متى استعمل اللفظ فى ذلك الموضوع كان حقيقةً.

قال المصنف: فأما الفرق بين الفصاحة والبلاغة فقد أكثر الناس فيه، وخلاصة ما ذكره أن الفصاحة هى الظهور، يقال أَفْصَحَ يَقْصَحُ إذا ظَهَرَ، ثم يقفون عند هذا ولا يكشفون عن السرفية^(١).

أقول: قد وقفت لأبى محمد بن الخشاب على رسالة فى الفرق بين الفصاحة والبلاغة أتى فيها بنوادر شريفة. وقد ذكر أبو هلال العسكري فى كتاب

الصناعتين كلاما جيدا في هذا المعنى^(١) . وقد ذكرنا نحن في كتاب « العبقري » الحسان « أقوالا كثيرة في هذا الباب ، وما أظن أن أحدا ممن يتصدى لكلام في هذا الفن إلا وقد قال قولاً بالغا في هذه المسألة ، فما أعلم كيف يدعى هذا الرجل على الناس أنهم يقتصرون في هذا البحث بتيفك اللفظتين لا غير .

(١) قل أبو هلال العسكري : البلاغة من قولهم بلغت الغاية إذا انتهيت إليها ، وبلغتها قهرى ، وبلغ الشئ منتهاه ، والمبالغة في الشئ الانتهاء إلى غايته . فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه ، وهى البلاغ أيضا . ويقال للدينيا بلاغ لأنها تؤدى إلى الآخرة . والبلاغ أيضا التبليغ في قوله عز وجل : « هذا بلاغ للناس » أى تبليغ . ويقال بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغا ، كما يقال نبل نبالة إذا صار نبيلاً . ويقال : أبلغت في الكلام إذا أتيت بالبلاغة فيه .

والبلاغة من صفة الكلام لامن صفة المتكلم ، وتسمية المتكلم بأنه بليغ توسع ، والحقيقة أن كلامه بليغ ، كما نقول فلان رجلك عظم والحقيقة أن أفضله محكمة ، إلا أن كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بأنه بليغ كالحقيقة ، كما أنها جعلت تسمية الزائدة راوية كالحقيقة ، وكان الراوية حامل الزائدة وهو البعير ونحوه ، ولذا سمي حامل الشعر راوية .

فأما الفصاحة فقد قال قوم إنها من قولهم أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره ، وأفصح الصبح إذا أضاء ، وأفصح اللبن إذا انجلت رغوته فظهر . وأفصح الأجمى إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح وبين .

وإذا كان الأمر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له .

وقال بعض علمائنا : الفصاحة تمام آلة البيان ، فلا يسمى الألفح والتمتام فصيحين ، لنقصان آلهما عن إقامة الحروف ، وعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين ، لأن الفصاحة تمام آلة البيان ، فهى مقصورة على اللفظ ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة إنما هى إنهاء للمعنى إلى القلب ، فكأنها مقصورة على المعنى .

ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ والبلاغة تتناول المعنى أن البيغاء يسمى فصيحاً ولا يسمى بليفاً ؛ إذ هو يقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذى يؤديه . ويجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليفاً إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكره فح ولا متكلف وخم ، ولا يمتنه من أحد الاسمين شئ مما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف وإذا كان الكلام يجمع نعوت الجودة ولم يكن فيه نظامه وفضل حزالة سمي بليفاً ولم يسم فصيحاً .

قال المصنف : ولا يجوز أن تُفسَّر الفصاحة بهذا الوجهين : أحدهما أن اللفظ قد يكون ظاهر المعنى عند زيد لا عند عمرو ، فيجب أن يكون فصيحاً غير فصيح ، وهذا محالٌ ، بل الفصيح يجب أن يكون فصيحاً مطلقاً .

والثاني أن اللفظ القبيح الذي يَنْبُو عنه السمعُ ولكنه ظاهرُ المعنى يجب أن يكون فصيحاً ، وهذا محالٌ ، لأن الفصاحة وَصْفُ حُسْنٍ ، فلا يجوز أن يكون اللفظ قبيحاً^(١) .

أقول إن أرباب علم البيان لم يقتصروا في حد الفصاحة على أنها ظهور المعنى من اللفظ فقط ، بل قالو في حدّها وحقيقتها ما يعرفه من تمارس كتبهم ، ولو قالوا ذلك لم يكن ما أورده عليهم قادحاً في كلامهم .

أما الوجه الأول فإنه ليس من شرط الفصيح أن يكون ظاهراً مكشوف المعنى لكل سامع ، فإن الرّنج والرّوم لا يفهمان المراد بالقرآن ، ولا يقدح ذلك في كونه فصيحاً ، والفصاحة أمر نسبي لأنها صفة اللفظ ، واللغات والألفاظ تختلف باختلاف الأمم قرونها وبلادها .

وأما الوجه الثاني فلأن القبيح الظاهر المعنى فصيحٌ من حيث ظهور معناه وإن كان قبيحاً من وجه آخر ، ونظير ذلك الكلام الفصيح يتصمّن شتم الأنبياء والتناء على إبليس والشرائط أو غير ذلك من الوجوه التي يقبح

(١) ذكر ابن الأثير ثلاثة اعتراضات ، لمس ابن أبي الحديد ثانیها وثالثها ، ولم يذكر أولها وهو : أنه إذا لم يكن اللفظ ظاهراً بيناً لم يكن فصيحاً ، ثم إذا ظهر وتبين صار فصيحاً
المثل السائر ١ / ١١٣ .

لأجلها ، فانه حسنٌ من وجهٍ وقبيحٌ من وجه ، وليس يُلزَمُ من قبحِ الشيء من جهةٍ ألا يكون حسناً من جهةٍ أخرى ، كالا يلزم من كَوْنِ سماعِ صَوْتِ العُودِ حراماً ألا يكون لذيقاً .

قال المصنف : والفصاحةُ مختصةٌ بالألفاظ دون المعاني ، لوجوه منها أن الفصيح هو المؤلف الاستعمال ، وإنما كان مألوف الاستعمال لحسنه ، وحسنه يُدركُ بالسمع ، لأنه أمرٌ عائِدٌ إلى تركيب حُرُوفه وخففتها وتباعدِ مخارجِها ، والذي يُدركُ بالسمع يكونُ صوتاً يأتلف من مخارج الحروف ، وكل ما ليس بمسموع لا يكون فصيحاً^(١) .

أقول هذا الكلام يحتمل أمرين : أحدهما أن يجعلَ حدَّ الفصاحة هي الألفاظُ المألوفةُ الاستعمال ، وإنما كانت مألوفة الاستعمال لخفتها وسلاستها . والآخر ألا يجعلَ ذلك حدّاً للفصاحة ، بل مراده تعليل اختصاص اللفظ بوصف الفصاحة ، وكون المعاني لا يجوز أن توصف بالفصاحة .

فإن أرادَ الأوَّلَ لم تضائق على ذلك ، لأن لكل واحد أن يتكلم بما شاء ، ويقول عنيتُ به كذا وكذا . وإن أراد الثاني وهو الظاهر من كلامه قيل له إن كان كثرةُ الاستعمال وسلاسةُ اللفظ تُوجبُ أن يُسمَّى اللفظُ فصيحاً فليس

(١) المثل السائر ١ / ١١٥ وليست به هذه الجملة (وكل ما ليس بمسموع لا يكون فصيحاً) بل ماخص قوله : إن الكلام الفصيح هو الظاهر البين ، وأعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة ، لأنها مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر ، وإنما كانت مألوفة الاستعمال لمكان حسنها ، لأن أرباب النظم والنثر غرّبوا اللغة باعتبار ألفاظها ، فاخترأوا الحسن من الألفاظ فاستعملوه ، ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه ، فحسن الألفاظ سبب استعمالها دون غيرها ، واستعمالها دون غيرها أظهرها وبيانها ، فالفصيح إذا من الألفاظ هو الحسن .

ذلك بمانع من أن توجد دلالة أخرى على تسمية المعنى فصيحاً ، فليس ذلك بمانع ، لأن دلالة على ما تدعيه لا توجب انتفاء الأدلة على إطلاق هذه اللفظة على المعنى ، فغاية ما في الباب أنك استدلت على أن اللفظ يطلق عليه الوصف بالفصاحة ، فلم قلت إن الوصف بالفصاحة لا يطلق على المعاني ؟

قال المصنف : وأيضاً فإن لفظي المُرْنَة والديمّة كلفظة البُعاق ، فكل واحد من هذه الألفاظ يدل على معنى واحد ، ولو كانت الفصاحة ترجع إلى المعاني لما اختلفت هذه الألفاظ ، ولا كان فيها ما يستحسن استعماله ، وفيها ما يستقبح ، لأنها في الدلالة على المعنى سواء . لكن لا ريب في حسن استعمال اللفظتين الأوليين ، وأما لفظة البُعاق فقيحة منكرة ^(١) .

أقول إن هذا الرجل يتوهم أن من قال إن المعاني قد توصف بالفصاحة فقد أراد المعاني المفردة ، وهذا غلط ، فإن أحدا لم يقل ذلك .

وإنما قالوا إن الكلام المركب الدال على معنى قد يسمى فصيحاً أيضاً ، وقد يقولون لمعنيين أحدهما أكثر بياناً وأوضح عند السامعين : هذا المعنى أفصح من هذا ، بل قد يقال له بليغ ، والفصاحة للألفاظ ، فوقع بينهم النزاع في ذلك ، لافي اللفظة المفردة الدالة على المسمى المفرد .

قال المصنف : وأيضاً فإن الفصيح على وزن فَعِيل بمعنى فاعل ، نحو كريم

وشريف ولطيف ، والفاعل للإبانة عن المعنى هو اللفظ لا غير ، وكانت الفصاحة مختصةً به لا غير^(١) .

أقول إن هذا الموضع من المواضع التي اشتبهت على هذا الرجل ، وذلك أن أفعال الطبائع نحو فصيح وظريف وشريف وكريم إنما تغطي الاتصاف بتلك الصفة فقط ، ولا تغطي معنى الفاعلية أصلاً ، ولا تدل على المؤثر . ألا ترى أن قولنا كريم ولطيف لا يدل على أنه فعل الكرم واللطف ، وإنما يدل على أنه ذو لطف وكرم فقط ، مع قطع النظر عن الفاعل لهما من هو .

فالفصيح معناه ذو الفصاحة ، لا فاعل الفصاحة ، كالجميل والصبيح معناهما ذو الجمال والصباحة لفاعلهما ، وهذا الرجل توهم أن فصيحاً فاعل الفصاحة ، ثم بَيَّ الدليل على هذا وقال إن فاعل الإبانة للمعنى والمسكِّف له هو اللفظ ، فكان الفصيح هو اللفظ ، وهذا من الغلط على ما تراه .

وعلى أنه لو كان ما توهمه صحيحاً لكان لخصمه أن يقول : المعنى الواضح هو الذي فعل الفهم والإدراك في نفس السامع ، وأوضحه له فأنكشف له خفواه ومغراه ، فهلاً سُميت المعنى فصيحاً بهذا الاعتبار ؟

وإن النزاع في هذه المسألة لفظي متخص . والذي قاله المحققون أنا وجدنا الاصطلاح والافة يشهدان بأن الفصاحة الألفاظ والبلاغة المعاني ، فإنهم يقولون : هذا معنى دقيق ، وهذا معنى غامض ، ولهذا يقولون في الحيوان غير الناطق كالبيغاء هو فصيح ، لإقامته الحروف ولا يسمونه بليفاً ، إذ ليس له

تَصُدُّ إِلَى الْمَعْنَى ، وَإِذَا كَانَ أَهْلُ الْفَقْرِ وَالِاسْتِعْمَالِ قَدْ اصْطَلَحُوا عَلَى ذَلِكَ وَاتَّفَقُوا عَلَيْهِ وَجَبَ اتِّبَاعُهُمْ لِأَنَّ الْبَحْثَ لَفْظِي .

قال المصنف : واعلم أن البيانَ علمٌ عقليٌّ يُدْرِكُ بِالذَّوْقِ وَالْعَقْلِ حُسْنُهُ مِنْ قُبْحِهِ ، وليس كعلم النحو ، فإنه تقليدُ العُرْفِ ، والذي تَكَلَّفَهُ النَّحَاةُ مِنَ التَّعْلِيلَاتِ وَإِلاَّ لَا يَثْبُتُ عَلَى حَكِّ النَّظَرِ ، لأنَّهم إنما سمعوا من واضح اللغة رَفَعَ الْفَاعِلَ وَنَصَبَ الْمَفْعُولَ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ أَبْدَاهُ لَهُمْ ، فَاسْتَخْرَجُوا لِذَلِكَ أُدْلَةً وَعِلَلًا ، وَإِلاَّ فَنَ أَيْنَ عِلْمٌ هَؤُلَاءِ أَنَّ الْحِكْمَةَ الَّتِي دَعَتْ الْوَاضِعَ إِلَى رَفْعِ الْفَاعِلِ وَنَصَبِ الْمَفْعُولِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ أَبْدَاهِيَ الَّتِي ذَكَرُوهَا ^(١) .

أقول : إن كان هذا الرجل ممن يَنْفِي الْقِيَاسَ فِي الشَّرْعِيَّاتِ كَلَّمَنَاهُ كَلَامًا أُصُولِيًّا كَمَا تَكَلَّمَ الشَّيْبَعِيُّ وَالنَّظَّامُ ^(٢) وَأَهْلُ الظَّاهِرِ ^(٣) وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ نَفَى الْقِيَاسَ فِي الْفِقْهِ ، وَإِنْ كَانَ يَعْتَرِفُ بِالْقِيَاسِ فِي الشَّرْعِيَّاتِ فَالْقِيَاسُ فِي الشَّرْعِيَّاتِ كَقِيَاسِ فِي النُّحُوبِ ، لِأَنَّا عَلِمْنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ الَّتِي دَعَتْ الْوَاضِعَ إِلَى رَفْعِ الْفَاعِلِ وَنَصَبِ الْمَفْعُولِ هِيَ الْوَجُوهُ الَّتِي يَذْكُرُهَا النَّحَاةُ ، لَكُونَهَا

(١) يتصرف من ١١٩/١ .

(٢) النظام هو إبراهيم بن سيار بن هانيء البصري ، انفرد في الاعتزال بمذهب خاص ، وكان أستاذ الجاحظ ، وكان متكلمًا عالمًا أدبياً له نثر جيد وشعر رقيق ، وقد بنى مذهبه الكلامي على الشك والتجربة . توفي سنة ٢٢١ هـ .

(٣) أهل الظاهر هم الذين ينكرون الرأي والقياس ، أسس للمذهب داود الظاهري الأصفهاني الأصل البغدادي الدار ، وعماد مذهبه إنكار القياس ، والاهتمام على أن في الكتاب والسنة ما يفي بمعرفة الواجبات والمحرمات ، والجرى على تقديم ظواهر الآيات والأحاديث على التعليل العقلي للأحكام .

مات ببغداد سنة ٢٧٠ هـ ونشر مذهبه بعده ابنه محمد فلتوف سنة ٢٧٩ هـ .

وقد كثر أتباع المذهب بالعراق وفارس والأندلس ، ثم انقرضوا بعد المائة الخامسة .

مناسبةً ، والحكم ثابت على وفقها ، نحو قولهم الفاعل للفعل الواحد لا يكون إلا واحداً ، والمفعولات قد تكثر وتتعدد ، والفعلُ واحدٌ ويتعدى مع ذلك إلى أشياء ، كالمفعولات في المعنى نحو الحال والظرف والمصدر ، فكان الفاعل أخفَ لِقِلَّتِهِ ، فأعطِيَ الرَّفْعَ وهو أَثْقَلُ الحركات تمديلاً بين الثقيل والخفيف . ونحو قولهم لَمَّا كان الفعلُ والفاعلُ جملةً مُفيدةً كالمبتدأ والخبر أُعْطِيَ الفاعلُ إعرابَ المبتدأ وهو الرفع للمشابهة بينهما من الجهة المذكورة ، وغير ذلك من الوجوه التي قد ذكرناها في كتاب (العبقري الحسان) وذكرها غيرنا ، فصار ذلك كتعلييلِ سُقوطِ قِضَاءِ الصلاة عن الحائضِ بالمشقة ، فإنه مناسبٌ ، وقد ثَبَتَ الحكمُ على وَقْتِهِ في سقوطِ قضاءِ الرَكْعَتَيْنِ المنقطعتين من صلاة الظهر في السَّفَرِ ، فهذا تعليلٌ متفقٌ بين القايسين على صحته . ولم يكن لقائل أن يقول من أين علمتم أن الحكمة التي دعت إلى إسقاط قضاء الصلاة عن الحائض هي المشقة ، لأن الشارع لم يذكر ذلك ، وإنما حَكَمَ بسقوط القضاء فقط ولم يذكر العِلَّةَ .

- ٤٨ -

قال المصنف : فأما نثر المنظوم فينبغي أن يكون كذا وكذا ، ثم ذكر له شروطاً ، وضرب من كلامه أمثلة أكثرها جيِّدٌ ، وفيها ما ليس بجيد مثل قوله : « فِسرْنَا في غَمَامَةٍ من الكتائبِ ، تظَلُّها غَمَامَةٌ من الطُّيورِ الأشائبِ ، فهذه يَضُمُّها بحرٌ من حَدِيدٍ ، وهذه يَضُمُّها بَرٌّ من صَمِيدٍ » ^(١) وذلك لأن الصميد وجه الأرض ، والطيور التي تظل الجيش إنما يضمها بحر من الجو والهواء لا من الأرض . ومثل قوله في ذكر الصليب : « ولم يعلموا أن الله كَتَبَ عليه الهَوَانِ »

(١) يتصرف واختصار ١٤١/١ وأصلنا النص من المثل السائر .

عَقِبَ تلك الكرامة، وأنه ذو شَعَبٍ أَرْبَعٍ، والتربيعُ نَحْسٌ في عِلْمِ النِّجَامَةِ^(١)»
فإن لفظة النجامة لفظة رديئة مستغفلة، على أن لا نَعْرِفُ صحتها أو جَوَازَها،
ولا سمعتها اسمًا للتنجيم ولا مصدرًا.

ومثل قوله: «قد عَدَّ الخادم احتمالَ تثقيله من جُلَّةِ الأيادي التي أَثْقَلَتْهُ»
وأراد أن يَجْرِي معها بِسَوابِقِ شُكْرِهِ فَأَعَجَلَتْهُ وما أَثْمَلَتْهُ، وهو الآن
مُرْتَهَنٌ منها بَيْنَ قَدِيمٍ وَجَدِيدٍ، وأصبح كَخَرَّاشٍ إِذْ تَكَاثَرَتِ الطُّبَّاءُ عَلَيْهِ
فلا يَدْرِي لِكثَرَتِهَا ما يَصِيدُ^(٢) فإن تشبيه نفسه بِخَرَّاشٍ قَبِيحٌ جدًا، لأنه
إِنْ كَانَ لا يَعْلَمُ أَنَّ خَرَّاشًا فِي هَذَا الْبَيْتِ اسْمُ كَلْبٍ فَهُوَ مُعْذُورٌ، حيث لم يَعْرِفْ
مُرَادَ الشَّاعِرِ، وَإِنْ كَانَ يَدْرِي فَقَدْ شَبَّهَ نَفْسَهُ تَشْبِيهاً قَبِيحاً. أليس هو الذي
استَقْبَحَ فِي هَذَا الْكِتَابِ قَوْلَ الرُّضَوِيِّ المَوْسَوِيِّ^(٣) :

يَعَزُّ عَلَى أَنْ أُرَاكَ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ جَانِبَيْكَ مَقَاعِدُ المَوَادِّ
لأجل لفظة مقاعد؟

وقول أبي الطيب المتنبي :

أَذَاقَ الفَوَانِي حُسْنَهُ مَا أَذَقْنِي عَفًّا فَجَازَاهُنَّ عَنِّي عَلَى الصَّرَمِ^(٤)

(١) ١٤٥/١

(٢) ١٤٨/١

(٣) هو الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى ينتهي نسبه إلى الحسين
ابن علي وله ببغداد سنة ٣٥٩ وكان من أكابر الشعراء .

(٤) صحبنا البيت من ديوان المتنبي، وهو من قصيدته في مدح الحسين بن إسحاق
الخنوخي التي مطلعها :

ملأى الذرى في ظلمها غابة الظلم لعل بها مثل الذى بنى من السقم
الديوان ٣٢٠/٢

وقد استقبح ابن الأثير بيت المتنبي وقال : وإن الصرم في اللغة القطع، فغيرها العامة، =

لأجل لفظة الصرم .

وقول أبي تمام :

أعطيتني دية القتل وليس لي عقل ولا حق عليك قديم^(١)

لأجل قوله ليس لي عقل .

ومثل قوله^(٢) في صفة فرس : وخلفها جنيب من الخيل يقبل بجذع
ويدير بصخرة ، وينظر من عين جحظة ، ويسمع بأذن حشرة^(٣) فإننا
ماسمنا إلا عينا جاحظة ولم نسمع جحظة ، ولو قال من عين حذرة لاستغنى عن
جحظة التي لم تستعمل .

وقد كان زاد في القرائن قرينة ، وآتى بلفظة امرئ القيس في قوله :

وعين لها حذرة بدرة شقت ماقيهما من آخر^(٤)

والعين الحذرة هي المكتنزة الصلبة .

وجعلتها دالة على المحل المخصوص من الحيوان دون غيره فأبدلوا الدين صادا ، ومن أجل ذلك
استكراه استعمال هذه اللفظة وما جرى مجراها ، لكن المكروه منها ما يستعمل على صيغة
الاسمية ، كما جاءت في هذا البيت . وإذا استعملت على صيغة الفعل كقولنا صرمة وتصرم
فإنها لا تكون كربة ، لأن استعمال العامة لا يدخل في ذلك .
(المثل السائر ١ / ٢٥٥) .

(١) من قصيدته في مدح محمد بن الهيثم بن شبانة التي مطلعها :

أسقى طلوعهم أجش هزيم وغدت عليهم نضرة ونعيم

الديوان ٢٩٢ / ٣ .

(٢) بريد ابن الأنثري .

(٣) من كتاب له ١ / ١٥٤ .

(٤) صوبنا البيت من لسان العرب مادة آخر . قاله امرؤ القيس في وصف فرس حجر

- أثنى - . عين حذرة : مكتنزة صلبة . بدرة : تبدر بالنظر ، ويقال هي الغامة كالبدرة .
شقت من آخر : مفتوحة كأنها شقت من مؤخرها .

ومثل قوله إن إنسانا كلفه أن يُرَّصَّ قوله «إن الملائكة لا تدخلُ بيتا فيه صورة ولا تمثال» في فصل من الكتابة فقال «قد أصبح الخادم وليس بقلبه سوى الولاء والإيمان ، فهذا يَظْهَرُ أثرُهُ في طاعة السرِّ ، وهذا في طاعة الإعلان ، وما عداها فإن دُخُولَهُ إلى قلبه من الأشياء المحظورة ، والملائكة لا تدخلُ بيتا فيه تمثال ولا صورة» (١) .

فإن ترصيع الخبر في هذا المقصد بعيدٌ جدا ، لأن الولاء والإيمان ليسا بصورة ولا تمثال . ثم إن ما عداها أمرٌ يُغْمُ ويتسع جدا إلى ما لا نهاية له ، وقد يكون مضادا لهما كالكفر والنفاق ، ولا يحسنُ أن يقال الكفر ونية الخروج على الإمام لا يدخلان في قلب ، لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ولا تمثال ، ولا هذا مناسبٌ ذاك ، ولا قريبٌ منه ، وقد سألت بعض الأصدقاء هل يمكن استعمالُ هذا الخبر في الكتابة وإخراجه في معرض آخر ، ألفت من هذا . فقلت : قد يمكن ذلك بأن يكتب إلى صديق أو حبيب : قد تمثَّلتُ صورتك في سوادِ العين وسويداءِ الجنان ، وملأت أقطارها ، فلم يبقَ لغيرها فيهما مكان ، فإذا صليت الظهر لم أعلم أركعتان هي أم ثمان ؟ وقد منعتُ صورتك القلبيةَ محلَّها من اعتقاد الهدى ، وفرَّغته لاعتقاد الضلال ، لأنهما من آثار الملك والشیطان ، والملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ولا تمثال .

واعلم أن هذا الباب وهو حلَّ النظم هو عين هذا الكتاب وخلاصته ووجه جميعه ، وطاراز حَلَّتِهِ ، وكأنه لم يُصَنَّفْهُ إلا لأجله ، وليظهر صناعته فيه .

على أن كتابته كلها إذا تأملها العارف بهذا الفن وجدها من هذا الباب، لأنها إما محلول منظوم، أو ترصيع آية أو خبر أو مثل أو واقعة، وهذه إحدى طرائق الكتاب عندي، وإليها أذهب، ولها أستعمل.

وقد كنت شرعت في حل سيفيات أبي الطيب المتنبي^(١) لشهرتها، وغلبتها على ألسنة الناس، وأن أجعل ذلك كتاباً مفرداً أتقرب به أيضاً إلى الخزانة الشريفة - عمرها الله تعالى - فخرج بعضه، وصدفة عن إتمامه عوائق الوقت أو شواغله.

وأنا أوردناها هنا بعض ذلك، ليكون معارضاً لما جاء به هذا الرجل، ولكيلا يكون كتابنا هذا مقصوداً على المناقضات النظرية والمواخذات الجدلية في علم الكتابة فقط، بل يكون حاوياً لذلك، ولجزء من الكتابة نفسها

فصل في الترهئة بعبير:

«لا زالت المواسم تَفْشَاكُ وَأَغْصَانُهَا وَرَبِيقَةٌ، وحدائقها أُنِيقَةٌ، والأعيادُ تَلْقَاكُ، وأنت عيدُها على الحقيقة، ولا بَرَحْتَ شَهْتَصِرُ من الشبابِ لَدَنَارِطِييَا، وَتَنْضُو من الأعيادِ سَمَلًا وَتَلْبَسُ قَشِيَا، فهذا اليومُ الشريفُ في الأيامِ مِنْكَ في الأنام، لَكِنَّهُ أَوْحَدُ عامٍ مُحْصُورٍ، وأنت أَوْحَدُ الأعوامِ وَالدُّهُورِ، ولا أُحِيلُ ذَلِكَ على مُحْضِ الْجَدِّ الذي أَشْهَرَكَ، وَحَاسِدُكَ رَاقِدٌ، وشانئك قَاعِدٌ.»

هذا محلول قوله:

هنيئاً لك العيد الذي أنت عيدُه وعيدٌ لمن سَمَى وَضَحَى وَعِيدَا
ولا زالت الأعيادُ لُبْسَكَ بعده تسلم مخروفاً وتعطى مجدداً

(١) سيفيات المتنبي هي قصائده في مدح سيف الدولة بن حمدان أمير حلب والموصل:

فذا اليومُ في الأيامِ مثلكَ في الوري كما كنتَ فيهم أوحداً كان أوحداً
هو الجَدُّ حتى تَفْضُلَ العَيْنُ أَخَها وحتى يكونَ اليومُ لليومِ سَيِّداً^(١)

وقد زدت عليه بأن جعلت توحيدَه بالاستحقاق لا بالجَد والإنفاق ، وفيه
زيادةٌ أخرى وهى عمومُ توحيدِه وخصوصُ توحيدِ العيدِ في أيامِ العامِ مفردة .

فصل في لقاء همدو :

«فلو كشف لك عن قلوبنا لرأيت التشوق قد فعل فيها بئر حائه ، فِعَلْ قَنَّا
الأمير في صدور أعدائه ، فإنه جعلهم هَلَكى يَطْمَنُونَ مَخْلُوجَةً وَسَلَكى ،
فالفضاء الرّحْبُ لديهم أخرجُ من القابوت ، ونَسَجُ داود عليهم أَوْهَنُ من
بَيْتِ العنكبوت » .

هذا محلول قوله^(٢) :

نُودُّهُمْ والبَيْنُ فينسا كأنه قَنَّا ابنِ أبى الهيجاءِ فى قلبِ فيلقِ
قواضٍ مواضٍ نَسَجُ داود عندها إذا وقعت فيه كنسح الخدر رَدَّتْ

وفيه أيضا حل قول امرئ القيس :

(١) من مدحه سيف الدولة ، وتهنئته بالعيد .
الديوان ١٨٩/١ .

(٢) من قصيدة فى مدح سيف الدولة ، مطلعها :

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لى ولاهب ما لم يبق منى وما بقى

الديوان ٤٦١/١ .

أبو الهيجاء : والده سيف الدولة : الفيلق : الكتيبة من الجيش . نسج داود : الدروع .
الهدرتق : العنكبوت .

نظمنهم سُلُكِي وَمَخْلُوجَةٌ كَرَكْ لَأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ^(١)

فصل في وصف منهرزم

«أَجْفَلَ إِجْفَالِ النِّعَامِ ، وَانْقَشَعَ انْقِشَاعَ الْغَامِ ، يَتَوَهَّمُ كُلَّ حَفِيفٍ يَسْمَعُهُ رَشَقَ نَابِلٍ ، وَيَرَى الْأَرْضَ فِي عَيْنِهِ كِفَّةَ حَايِلٍ . وَقَدْ كَانَ أَبِي الْأَبْنَكُصَ لَهُ قَدَمٌ ، وَعُقْبَى يَمِينِ الْجَبَانِ حِنْثٌ وَنَدَمٌ ، وَإِذَا تَرَزَّلَتِ الْأَقْدَامُ لَمْ تَرُدِّ الْيَمِينُ فِي الْإِقْدَامِ ، وَالْحَرْبُ يُحَسِّنُ الْمَزَائِمَ ، وَيُغَيِّرُ الْعَزَائِمَ ، وَيَجْعَلُ أَهْوَنَ شَيْءٍ مَا يَقُولُ اللَّوَائِمُ » .

هذا محلول قوله :

عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَعَى نَدَمٌ ماذا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ^(٢)

وقوله :

وَالْعَيَانُ الْجَلِيلِيُّ يُحْدِثُ لِلظَّنِّ زَوَالًا وَلِلْمُرَادِ انْتِقَالًا^(٣)

(١) من قصيدته التي مطلعها :

يا دار مية بالحائل فالسبب فالجبتين من عائل

الديوان ١٥١ ولما ان العرب مادة لأم

سُلُكِي : مستقيمة : مخلوجة : معوجة . كرك لأمين على نابل : مر الشاعر بنابل وصاحبه يناوله الريش في سرعة فشبه به .

(٢) مطلع قصيدته في مدح سيف الدولة حينما قيل في مجلسه إن البطريرق أقسم عند ملك الروم أنه سيفتصر على سيف الدولة ، وسأله أن ينجده بالحاريين ، ففعل ، فانهزم .
(الديوان ٢ / ٢٩٤) .

(٣) صحفنا البيت من الديوان . وهو من قصيدة في مدح سيف الدولة لما نهض لينقذ نهر الحدث من الروم ، ومطلعها :

هكذا هكذا وإلا فلا لا

ذي العالی فليطون من تمالی

(الديوان ٢ / ١٠٩) .

وقول بعض شعراء الحماسة :

ملأت عليه الأرض حتى كأنها من الضيق في عينيه كفة حابل^(١)

وقول القائل :

إذا هبت النكباء بيني وبينكم فأهون شيء ما يقول العواذل
فصل في الصفيح عمه الجرائم

« سَيْفُ الإِحْسَانِ وَالْإِجْمَالُ أَقْتَلُ مِنْ سَيْفِ الْقَتْلِ وَالِاسْتِنْصَالُ ، وَطَلْمَا غُلٌّ يَدَا مُطْلِقُهَا ، وَاسْتَرْقَ رَقَبَةً مُعْتَقُهَا ، إِلَّا أَنْ اللَّئِيمَ يُفْسِدُهُ الْإِحْسَانُ ، وَيَصْلَحُهُ الْهَوَانُ ، كَمَا يَنْفِرُ مِنَ الضَّيْمِ ذُو الْأَنْفِ الْحَيِّ ، وَيَقِرُّ عَنْهُ فِرَارُ الطَّائِرِ الْوَحْشِيِّ » :

هذا محلول قوله :

وما قتل الأحرارَ كالغفو عنهم وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا ؟
إذا أنت أكرمت الكريمَ ملكته وإن أنت أكرمت اللئيمَ تمردا^(٢)

(١) القائل هو الطرماح بن حكيم الطائي وهو من غول الشعراء الإسلاميين وفصحاءهم ، وكان صديقاً للسكريت ، والبيت من أبيات له بديوان الحماسة .
السكفة : يجوز أن يريد بها الحفيرة التي ينصب فيها الحابل الحباله ، أو يريد بها ناموس الصيد ، أو هي الحباله نفسها ، لأنها تحبل كالطوق ، وهذا أقرب لأن الحبل فسر السكفة على ذلك ، وجازت إضافتها إلى الحابل كما تضاف الحباله إليه .
الحابل : ناصب الحباله (شرح الزروقي ١/ ٢٢٨) .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة وتهنئته بالعيد ، مطلعها :
لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
(الديوان ١/ ١٩١) .

وقال الرضى الموسوى :

مامقامى على الهوانِ وعندى مَقُولٌ صارمٌ وأنفٌ حمى
واباءَ حَتَّقَ بى عن الضيم كما راع طائرٌ وحشى^(١)
وأدخلت أيضا فيه لفظة لبعض الخوارج قالها لقطرى بن الفجاءة^(٢) ،
والقصة مشهورة .

فصل فى ذكر المرسلة :

«وتوات رسالهم جعلوها عليهم أذراعا، وقصدوا بهما تزجية للوقت
ودفاعا، فظاهرهما الإعظام لنا والإجلالُ ، وباطنها الإزجاء لهم والانهالُ
هذا محلول قوله :

دروعٌ لملك الروم هذى الرسائلُ يَرُدُّ بها عن نفسه ويُسَاغِلُ
هى الزردُ الضافى عليه ولفظها عليك ثناء سابغ وفضائل^(٣)
فصل :

«باب المعمور كعبة الحياء ، ومغناطيس الشفا ، فالملك تقبلُ بساط ديوانه ،
وتَقْصُرُ عن تقبيل كُمة وبنانه
هذا محلول قوله :

تقبل أفواه الملوك بساطه ويَكْبِرُ عنها كُمة وبراجمه^(٤)

(١) ديوان الشريف الرضى ٥٤٦ هـ وقد سبق التعريف به .

(٢) زعيم من زعماء الخوارج شاعر خطيب .

(٣) من قصيدته فى مدح سيف الدولة حينما جاء إليه رسول ملك الروم (الديوان
٩٠/٤) ورواية الديوان (يرد) بدلا من (يذب) التى فى الأصل .

(٤) من قصيدته فى مدح سيف الدولة التى مطلعها :

وفاؤكما كالربسم أشجاء طامسه بأن تسعدا والدم أشفاه ساجه

فصل :

« إذا كان الهوى من القلب في الشَّغافِ والصِّمِّمِ ، واللوم يحوم حول ذلك الحِمَى والحريم ، وكلما شاهد الحرف في نار ، وكلما عاين النار استطار ، لا جرم أنه يستحيل جوهره هباء ، ويذهب زبده جُفاء ، ويثبت في محله ذلك الهوى ، ويُبقى عصاه ، ويستقر به النوى » .

هذا محلول قوله :

عذل العواذل حول قلب الثَّائِه وهوى الأحيّة منه في سَوْدَانِه
يشكو الملام إلى اللوائم حرّه ويصدّ حين يلمن عن برّ حائه^(١)
فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عينًا بالإياب المسافر

فصل في ذكر معقل :

« حماها فأجلى ، وبنها فأعلى ، ونيران المرّان تضطرم ، وأمواج الأرماع تلتطم ، وشبّا الظُّبّا يصطدم ، ولظى الوغى تحتم ، فقرّت بعد انزعاجها ، وسلمت بعد ارتجاجها ، وشفيت من ألمها ، وبرئت من لَمَمِها ، وأصبحت متقلّدة بغائم من أشلاء الفوارس ، تدفع عنها عين العائِن ونفس النّافِس ، وليست كقلائد عرّاف اليمامة وعرّاف نجد ، ولكنها قلادة طرّفاها الشرف وواسطتها المجد » .

= البراجم : مفاصل الأصابع ، مفردا برجة .

(ديوان اللّيتي ٢/ ٢٣٩) .

(١) الديوان ١/١

وقد حلت في هذا قوله في وصف قلعة الحدث :

بناها فأغلى والقنا بقرعُ القنا . ومونجُ للنايا حوّلها مُتلاطِمُ
وكان بها مثل الجنونِ فأصبحتُ

ومن جثتِ القتلى عليها تمام^(١)

وأشرت فيه إلى قوله صلى الله عليه وسلم للحسن والحسين عليهما السلام :
أعيذكما من عَيْنِ الْعَائِنِ وَنَفْسِ النَّافِسِ^(٢) . وإلى قول عروة بن حزام :
ضمنت لعراف اليمامة حُكْمَهُ وعَرَافُ نجد إن هما شفياني^(٣)

— ٤٧ —

وقد نثر هذا المصنف هذين البيتين ، فقال : « بناها والأسنة في بنائها
متخاصمة » ، وأمواج المنايا فوق أيدي البانين متلاطمة ، فما أحلت الحرب عنها
حتى زلزلت أقطارها برُكُضِ الجياد ، وأصيبت بمثل الجنون ، فعُلقت عليها
تمامُ من الروس والأجساد ، ولا شك أن الحرب تُعَرِّدُ عَمَنَ عَزَّ جَانِبِهِ ،
وتقول ألا هكذا فليُكسبِ المجدَ كاسبه^(٤) .

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما بنى ثغر الحدث ، ومطلعها :
على قدر أهل العزم تأتي الزمام وتأتي على قدر الكرام المكارم
(الديوان ٢/٢٦٩) ؛
(٢) النفس : من معانيها العين والحسد ، يقال نفسه بنفسه إذا أصابه بعين (القاموس
المحيط مادة نفس) .
(٣) عروة بن حزام بن مهاصر شاعر غزل عذري قصر حبه على عفراء بنت عمه ،
وحالت عواثق دون زواجه بها ، فرض حق قضى نحبه سنة ٢٨ أو ٣٠ .
ورواية البيت (جهليت) بدلا من (ضمنت) .
الأغاني ١٠٣/٢٠ وفوات الوفيات لابن شاكر ٣٥/٢ وتزيين الأسواق لداود
الأنطاكي ٧٥ .
(٤) للذيل السائر ١/١٣٥

ونثرها على أسلوب آخر فقال : « بناها ودُونَ ذلك البناء شَوْكُ الأَسَل ، وطوفان المنايا الذي لا يقال سَاوَى منه إلى جَبَل ، ولم يكن بناؤها إلا بعد أن هَمَدَتْ رموسٌ عن أعناق ، وكأنما أُصِيبَتْ بجُنُونٍ فَعُلِّقَتْ القَتْلَى عليها مكان التَّمائم ، أو شِئَتْ بِعَظَلٍ فَعُلِّقَتْ مَكَانَ الأَطْوَاقِ ^(١) » .

ومنَّ عنده أدنى ذَوْقٍ في فن الكتابة يَعْرِفُ الفَرْقَ بين كلامنا وهذا الكلام .

وقد نثر هذا الكاتب البيت الثاني خاصة فجاء أصلح مما قاله في نثر البيتين وهو : « سَرَى إلى حِصْنٍ كَذَا مستعيدا منه سَبِيَّةً نَزَعَهَا العدوُّ اختلاسا ، وأَخَذَهَا مخادعةً لا افتراسا ، فَأَنزَلَهَا حَتَّى اسْتَقَادَهَا ، ولا نَزَلَهَا حَتَّى اسْتَعَادَهَا ، وكأنما كان بها جُنُونٌ فَبَعَثَ لها من عزائمه عزائم ، وعلق عليها من رموس القتلى تمام » ^(٢) .

وهذا وإن كان حسنا لكن الزيادات العجيبة والتسميطات والأسجاع التي أتينا بها نحن تترى على ما أتى به هذا الكاتب ، وتتجاوزهُ أضعافا مضاعفة .

فصل :

« أنا أستعين بك عليك ، فالخصومة فيك ومنك وإليك ، وأستمحك عدلَ قضائك الذي عَمَّ الخلقَ وعداني ، وشَمِلَ الناسَ وتخطأني . وأُعِيدُ مرآةَ فِكْرِكَ وهو الجَوْهرُ الشَّرِيفُ ، والشَّعَافُ اللطيفُ ، ألا يظهر فيها تلبيس

(١) المثل السائر ١/١٣٦

(٢) المثل السائر ١/١٣٥ ومنه أصلنا النص .

الحاسدِ ، وَهُتَانُ الكاشحِ المعانِدِ ، وَأَخْلَاقُكِ الَّتِي تَظَلُّمُ إِذَا قِيسَتْ فِي الْأَطَافَةِ
بِالسَّلَافَةِ ، وَفِي الصَّفَاءِ بِالصَّهْبَاءِ ، أَنْ تَحْمِلَ قَذَى الْفِشِّ الصُّرَاحِ ، وَهِيَ الْأُظْفُ مِنْ
أَنْ تُمَزَّجَ بِالماءِ القِرَاحِ »
هذا محلول قوله :

يَا أَعْدِلِ النَّاسَ إِلَّا فِي مَعَامِلَتِي
فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكَمُ^(١)
وقول غيره :

أَخْلَاقُكَ الْفُرُ الصَّفَايَا مَا هَا
حَمَلَتْ قَذَى الْوَاشِينَ وَهِيَ سُلَافُ ؟
وَاللَّبْسُ فِي مَكْنُونِ رَأْيِكَ مَا لَهُ يَخْفَى وَأَنْتَ الْجَوْهَرُ الشَّفَافُ ؟
فصل في صفة جبش :

قَدْ تَسَرَّبَ بَلْ قَيْصًا مِنَ الزَّرْدِ الْمُحَكَّمِ إِلَّا أَنَّهُ مُحَمَّلٌ بِالرِّمَاحِ ، وَتَرَدَّى
بُرْدًا مِنَ النَّقْعِ الْمُظْلَمِ إِلَّا أَنَّهُ مُعَلَّمٌ بِوَمِيضِ الصَّفَاحِ ، تَسْحَبُ جِيَادُهُ الْحَدِيدَ
فَتُخَالِهَا تَمْشِي بِغَيْرِ قَوَائِمٍ ، وَتَسْتَقْفِي بَعْدَهُ عَنِ الْحَالِبِ بَعْدَ أَنْ خُلِقَتْ رِمَاحُهُ
وَالصُّوَارِمَ ، وَلَا يَعْرِفُ فِي بَرِيقِهِ الْبِرَامِكُ فَالْثِيَابُ مِثْلُهَا وَالْعِائِمُ ، وَبَطْنُ حَدِيدِهِ
مَاءٌ ، وَهُوَ يَخْدَعُ خَدْعَ السَّرَابِ ، تَحْسَبُ خِيَالَتُهُ سَاكِنَةً وَهِيَ تَمْرُ مَرَّةً
السَّحَابِ » .

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :
واحر قلباه بمن قلبه شيم ومن يجسمي وحالي عنده سقم
(الديوان ٢٠٨/٢) .

هذا محلول قوله :

وَمَلْمُومَةٌ زَرَدٌ ثَوْبٌ — ولكنه بالقفا مُخْمَلٌ^(١)

وقوله :

أَتَوْكَ يَجْرُونَ الحديد كأنما سَرَوْا بجياد مالمَنْ قوائمُ
إذا بَرَقُوا لم تُعرفِ البيضُ منهم نِيَابُهُمْ من مظهرها والعائِمُ

وقوله :

وما ضَرَّهَا خَلْقٌ بغير محالب وقد خُلِقَتْ أَسِيافُهُ والقوائم^(٢)

فصل :

« العادةُ طَبِيعَةٌ غَالِبَةٌ ، وَسَجِيَّةٌ إِلَى فِعْلِ الْمَعْتَادِ جاذبة . وعادتكَ طَمَعُنُ
الْأَحْدَاقِ ، وضربُ الْأَعْنَاقِ ، وَطِبَالٌ وَنِبَالٌ يَهْوِيَانِ ذَاكَ ، وَأَنْتَ تُبَالِغُ النَفُوسَ
هَوَاهَا ، وَالْقُلُوبَ مُنَاهَا ، فَأَجْرُ مَتَمَاهَا عَلَى أَعْرَاقِكَ ، وَمَعْمُودُ عَوَائِدِكَ وَأَخْلَاقِكَ ،
فَإِنَّ الْمَلِكَ لَا تَتَبُّتْ دَعَائِمُهُ ، حَتَّى يُخَضَّبَ بِالدَّمِ صَوَارِمُهُ » .

(١) من سدحة لسيف الدولة مطلعها :

أيقدح في الخيمة المذل وتشمل من دهرها يشمل

(الديوان ٦٢/٢) .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

(الديوان ٢٧٢/٢) .

هذا محلول قوله :

لكل امرئ من دهره ماتمّودا

وعاداتُ سيفِ الدولةِ الطعنُ في العدا^(١)

وقوله أيضا :

لا يَسْلَمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى حتى يُراقَ على جوانبه الدّمُ^(٢)

وقول ابن هند :

سيوفك تهوى أن تبيحَ لها العدا فلا تحرمها إن عادتكَ النّدا

فصل في شرح قوله :

لا تَمْذُلُ المشتاقَ في أشواقه

حتى يكون حشاك في أحشائه^(٣)

نثره هذا المصنف فقال : « لا تَمْذُلُ الحبَّ فيما يهواه ، حتى تطوي القلبَ على ما طواه »^(٤) .

(١) مطلع قصيدته في مدح سيف الدولة .

(الديوان ١/١٨٥) .

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم
الديوان ٢/٣٨٣

(٣) من قصيدته التي مطلعها :

القلب أعلم يا هذول بدائه
وأحق منك بجفنه وبمائه
الديوان ٣/١

(٤) التل السائر ١/١٣٣

ونثره أيضا على وجه آخر فقال : « إذا اختلفت العينان في النظر ، فالعَذْلُ
ضَرْبٌ مِنَ الهَذَرِ »^(١) :

وقد نثرناه نحن على وجوه منها : « لا تَعْذُلِ المحب في حبه ، حتى ينطق
لسانك عن قلبه » ، ومنها : « المتبُولُ يَعْذُلُ المتبُولُ ، والفارِعُ مَغْرَى بالمشغول » .
ومنها : « لو ذقتَ ما يذوق العاشق لتركْتَ عَذْلَهُ وعَرَفْتَ عُدْرَهُ ، ومن يَضَعُ يده
في الماء يَحِدُّ بَرْدَهُ وَيَعْرِفُ حَرَّهُ » ومنها : « إذا لم يتوارد القلبان على مَوْرِدٍ
واحد ، فالعاذِلُ يَضْرِبُ في حديد بارد » ومنها : « لو اتحدت الغرائز والأخلاق ،
لَعَذَرْتُ المشتاق في الأشواق ، ولكن النفس الواحدة لا تُدَبِّرُ تدبيرين ، كما
لا يكون الاتفاق واحدا ولا الواحد اثنين » . ومنها : « لو كنت تود بقلبي ،
وتراني بطرفي لَعَذَرْتَنِي فيما أَبْدِي ، ورحمتي مما أَخْفِي » وفي هذا إشارة إلى قوله
في هذه القصيدة :

ما الخلُّ إلا من أود بقلبه وأرى بطرف لا يرى بسوائه^(٢)

فصل في صفة السبوف :

« فَهَذَا نَا إِلَيْهِمْ وَفِي أَيْدِينَا النَّارُ الْمُوقَدَةُ فِي الرَّءْوَسِ ، المعبودة قبل ملة الجوس ،
التي يفسدها الماء ، ولا يطفئها الهواء ، ولا تحرقُ الأغصان ، ولا خدمت ليلة الميلاد .
ترمي بالدم لا بالشَّرَر ، وتوقدُ بالناس لا بالحجر ، تحكم تارة بالتعظيم وتارة

(١) المثل السائر ١/١٣٣

(٢) الديوان ١/٤

بالتصغير ، وتجمع قوماً جَمَعَ السَّلامَة ، وقوماً جمع التَّكسير .

هذا محلول قوله :

وفى أكَفِّهِمُ النَّارَ الَّتِي عُبِدَتْْ قَبْلَ الْمَجُوسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضْطَرُّمُ

هِنْدِيَّةٌ إِنْ تُصَغِّرْ مَعْشَرًا صَفَرُوا

بِحَدِّهَا أَوْ تَعْظُمْ مَعْشَرًا عَظُمُوا^(١)

وفدزدت عليه زيادات كثيرة ، ورمزت إلى الخبر الوارد في أن نار فارس

خمدت ليلة ميلاد نبينا صلى الله عليه وسلم ، وخرجتُ إلى قوله تعالى : « إنها

تَرْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ »^(٢) وقوله سبحانه « وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ »^(٣) ثم

خرجت إلى نسكته نحوية وهى جمع السلامة وجمع التَّكسير .

فصل :

السيف بالضارب لا بمضاء المَضَارِب ، والحُسام فى يد الجبان كَهَام ،

والكَهَامُ فى يد الشجاع حُسام ، ولذلك قال عمرو لعمر : لا لَوْمَ عَلَى ولا حَيْفَ ،

فإِنى لم أَنَحْلِكُ السَّاعِدَ ، وإنما نَحْلَتِكَ السيف .

(١) من قصيدته فى مدح سيف الدولة التى مطلعها :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك فى إقدامك القدم

الديوان ٣٠٠/٢

(٢) سورة المرسلات ٣٢

(٣) سورة النحر ٦

هذا محلول قوله :

إن السيوف مع الذين قلوبهم كقلوبهن إذا التقى الجمعان
تلقى الحسام على جراءة حدّه مثل الجبان بكفّ كل جبان^(١)

فصل في العتاب

« العتاب نسيم الحياة ، والعتب سُموم الحياة ، فأنا أعاملُك بالأول ، لأنه من نسيم
الأحباب ، والود باق مابقي العتاب ، وأجلُّ مجدك الرفيع المباني عن المعاملة
بالثاني » .

نظرت في هذا إلى قوله :

هـذا عتابك إلا أنه مقة قد ضنّ الدرّ إلا أنه كليم^(٢)

فصل في ذكر السبابا

فلم يعتمضم منا إلا رباتُ الفتاخ والوشاح^(٣) ، ومن شيمها جر الذبول لاجر
الرماح ، فإنهن طعن فيه بالعدو بالمرّان ، وكان لهن أوجه شفيع إلينا ، وهو
الشفيع العريّان ، فنحن بين لاه ولأعب ، وأهلهن عليهن بين باك ونادب ،
وهذه سجية الدنيا تعمّر البيت بخراب البيت ، وتميت الحيّ بحياة الميت » .

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

الديوان ٤٣٢/٢

(٢) من قصيدته في عتاب سيف الدولة ، مطلعها :

واحر قلباه من قلبه شيم ومن يجسسى وحالي عنده سقم

الديوان ٢٦٦/٢

(٣) الفتاخ : جمع فتخة وهي الخاتم أو الخلخال .

الوشاح : أديم عريض مرصم بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها .

هذا محلول قوله :

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الطُّبَا لَمَّى شَفَتَيْهَا وَالثَّدْيُ الدَّوَاهِدُ
تَبَكَّى عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيقُ فِي الدُّجَى
وهن لدينا مُلَقَّياتٌ كواسد

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد^(١)
وقد رمزت فيه إلى قول القائل :

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جرّ الذبول^(٢)
وقول آخر :

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

فصل في شرح قوله :

إِنَّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجًا يَدْمُوهُ مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدَمَائِهِ^(٣)

نثره المصنف فقال « القتييل بسيف العميون ، كالقتيل بسيف المنون ،

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

عواذل ذات الغال في حواسد وإن ضجيم الخود مني لماجد

الديوان ١٨٣/١

(٢) فائدة عمر بن أبي ربيعة — الأغانى ١٣٣/٨

(٣) ديوان لانتبي ٥/١ وقوله :

لا تمذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه
فجعل جريان الدموع كجريان الدماء ، لأن العاشق مثل القتييل .

غير أن ذاك لا يُجَرِّدُ من غمده ، ولا يُقَادُ صاحبه بعمّده » ونثره على وجه آخر فقال : « دَمْعُ الحب ودم القَتِيل ، متفقان في التشبيه والتمثيل ، ولا تَجِدُ بينهما بَوَناً ، سوى أنهما يختلفان لونا »^(١)

وقد نثرناه نحن على وجوه منها : القَتِيلُ المَشَحَّطُ في نَجِيْعِهِ ، كالعاشق المنخرط في دموعه ، وكلا المائنين دمٌ ، إلا أن هذا سال على أصل الخلقه ، وهذا صعد من حرقة الفرقة .

ومنها « القَتِيلُ الذي قطعت شرايينُ نَجِيْعِهِ ، أَرْوَحُ من القَتِيلِ الذي قطعت شرايينُ دموعه ، فذاك قد فارق الدنيا فأَمِنَ شَرَّها وخيرها ، وهذا كلما نضجت جلوده بُدِّلَ جلوداً غيرها »

ومنها « الدمع دمٌ أَحَالَتْ لونه نار الهوى فابيضَّ ، وقطعتْ سِلَكَهُ يَدُ النَّوَى فتبدد وارفَضَّ ، ولا فَرَّقَ بينهما عند البَصَرِ والبصيرة ، إلا أن هذا يَسِيلُ من عَضْوٍ واحد ، وذاك من أعضاء كثيرة ».

ومنها « مصارع العشاق كمصارع الشجعان ، يتماثلان في المعنى وإن اختلفا في العيان ، وكلا القَتِيلَيْنِ شهيدٌ ، فهذا نَزِيفٌ من العَيْنِ وذاك من الوَرِيدِ ».

فصل

فله آراءوك التي نَكَّسَتْ القوم عن صَهَوَاتِ الشَّوَاهِقِ لا من صَهَوَاتِ

السوابق ، وطمعت فرسانها برماح الكيد والخط لا برماح سمهر^(١) ،
فكانما كانت جبالها تشكو عطل الأعناق ، فنظمت جياذك لها مكان
القلائد ، وأدرتها مكان الأطواق ، وخضبت ذلك الصعيد بخضاب من الدماء
لا من الكتم^(٢) والحناء ، وجعلت حمامة سجودا في غير محراب ، وهجوداً
لا يزون حُكماً إلا حُكَم العذاب ، وكم هدّمت لهم من حصن بعد حصن ،
في مشهد بعد مشهد ، وأعدتها أطلالا ، ولكنها لبت لخولة ببرة همد ،
وجعلت عمارة تلك المعالم كرواجع الوشوم في نواشر المعاصم ، وأذقت الردى
أهلها والجنادل ، وسقت مافوق المعازل حتى كدت تسوق المعازل .

هذا محلول قوله :

تدكسهم والسابقات جبالهم وتظعن فيهم والرماح المكابد
وتضحي الحصون المشمخرات في الذرى
وخيلك في أعناقهن قلائد
مخضبة والقوم صرعى كأنها وإن لم يكونوا ساجدين مساجد
والحقن بالصفصاف سابور فأنهوى
وذاق الردى أهلاهما والجلامد^(٣)

(١) سمهر : رجل كان يقوم الرماح فنسبت إليه . الخط : مرأى بالبحرين ، كانت تزد
إليه رماح من الهند .

(٢) الكتم : بالجزيرة نبت يخلط بالوشم يختضب به .

(٣) الديوان ١٨٢/١ وق الديوان البيت الثالث مقدم على الأبيات .

يقول لأنك نزلهم من جبالهم منكوسين أو من خيولهم التي كأنها الجبال . المشمخرات :
المرتفعات . الصفصاف وسابور : حصنان متيمان للروم .

وأضفنا إليه من مواضع أخر ما كمل به المعنى ، وهو قول الشاعر .
 وأرضك أرضك إن تأتتنا تنم نومة ليس فيها حلم
 وزدنا عليه أن نفوسهم تعذب بعد الموت فيتألمون ، كما يتألم النائم بالأحلام
 المزججة ، وقول طرفة بن العبد :

لخولة أطلال^(١) بيرة مهمد

وقول زهير :

ديار لها بالرقتين كأنها رواجع وشم في نواشر ممصم^(٢)

وقول البحتري :

وقد سقت ما فوق المعال منهم فلم يبق إلا أن تسوق المعالا
 وزدنا على لفظة أبي الطيب وهي (مخضبة) قول على وقد قبض لحيته : « أما
 والله لتخضبن هذه بخضاب دم لا خضاب عطر وعنبر » نخرج من مجموع هذا
 ما وقفت عليه .

فصل

« عذر الخيمة واضح في السقوط ، لأنها علت على مولانا فعاهت له

(١) من مطلم مملته :

لخولة أطلال بيرة شهيد تلوح كباني الوشم في ظاهر اليد

(٢) من مملته التي مطلما .

أمن أول دمنة لم تكلم بمسومة الدرج فالتطم

يَالْهَبُوط ، وَعَلِمَتْ عَجَزَهَا عَنْ أَنْ تَشْمَلَ مِنْ يَشْمَلُ الزَّمانَ ، وَأَنْ تَعْلُو مَنْ
 يعلو على بهرام^(١) وكيوان^(٢) ، فَأَرْجَاؤُهَا فِي السَّعَةِ بِحَيْثُ يَرُ كُضُ فِي كُلِّ
 قُطْرٍ مِنْهَا جَحْفَلٌ ، وَلَكِنهَا تَضِيقُ عَنِ الْعَالَمِ الْمَجْمُوعِ فِي الْوَاحِدِ الْأَجْمَلِ ،
 وَتَقْصُرُ عَنْهُ وَتَطُولُ عَلَى الْقَنَا الذُّبْلِ ، وَأُظْهِمَهَا لَمَّا أَشْرَقَتْ بِأَنْوَارِهِ ، وَتَاهَتْ
 لَمَّا عُدَّتْ مِنْ جُحْلَةٍ دِيَارِهِ ، لَمْ تَمْلِكْ نَفْسَهَا فَخَرَّتْ وَضَعْفَتْ ، وَرُبَّ
 نَفْسٍ أَفْرَطَ عَلَيْهَا الْفَرَحُ فَزَهَقَتْ . وَلَوْ رُزِقَ النَّاسُ مَارُزِقَتْ مِنَ الشَّرَفِ
 الْبَاذِخِ الْبُنْيَانِ ، لَخَانَتْهُمْ الْأَرْجُلُ وَخَرَّتْ وَأَسْجُودَ لِلْجَبَاهِ وَالْأَذْقَانِ ، وَمَاسَقَطَتْ
 عَبَثًا وَإِنَّمَا أَشَارَتْ بِالرَّحِيلِ ، كَمَا أَنَّ الْفَضْوَاءَ^(٣) مَا خَلَّاتْ^(٤) . وَإِنَّمَا حَبَسَهَا
 حَابِسُ الْفِيلِ » .

هذا محلول قوله :

أَيَقْدَحُ فِي الْخَلِيمَةِ الْعُدْلُ وَتَشْمَلُ مَنْ دَهَرَهَا يَشْمَلُ ؟
 وتعلو الذي زحل تحته مُحَالٌ لِعَمْرِكَ مَا تُسْأَلُ ؟
 تضيق بشخصك أرجلها ويركض في الواحد الجحفل
 وتقصّر ما كفت في جوفها وتركز فيها القنا الذُّبْلُ

(١) بهرام : ملك فارسي حكم الفرس قبل الإسلام . وهم أربعة بهذا الاسم ، ولعله
 يقصد بهرام جور بن يزدجرد ، وهو الذي ربي تربية عربية في الحيرة في عهد النعمان بن المنذر
 ثم تولى ملك فارس بعد أبيه وضيظ أمورها وحى حدودها (تاريخ الطبري ٢/٧٤) ؛
 (٢) كيوان : نجم في السماء هو القى يسمى زحل .
 (٣) الفضواء : اسم ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم .
 (٤) خلّات : حُرِثَتْ أَوْ بَرَكَتْ فَلَمْ تَبْرَحَ .

رأت لون نورك في لونها كلون الفزالة لا يُغسل
 وأن لها شرفا باذخا وأن الخيام بها تَحْجَلُ
 فلا تنكرون لها صرعةً فمن فرَحَ النفس ما يقتل
 ولو بُلِّغَ الناسُ ما بُلِّغَتْ لخاتمهم حولك الأرجل
 ولما أمرت بتطينيها أشيع بأنك لا ترحل
 فما اعتمد الله تقويضها ولكن أشار بما تفعل^(١)

وزدت على ذلك الخبر المشهور وهو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركب ناقته القصواء في عام الحديبية متوجّهاً إلى مكة ، فلم تَنْبَعِثْ تحته ، فزجرها مراراً وزجرها أصحابه فلم تنبعث ، فقالوا خَلَّتْ القصواء ، فقال النبي ما خَلَّتْ ، وإنما حبسها حابسُ الفيل . وجرى من توقُّفه عن مكة وصلَّحِه قريشا في تلك السنة ما هو مشهور .

فصل

« هنيئاً لأهل كذا جميلُ رأيك وحسنُ بلائِكَ ، وعميمُ آلائِكَ ، فقد

(١) من قصيدة للعتفي يمدح بها سيف الدولة ويذكر الخيمة التي أوقعتها للريح ، وكان سيف الدولة قد ضرب خيمة كبيرة بميا قارقين وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها ، فهبت ريح شديدة أوقعت الخيمة ، فتكلم الناس في ذلك (الديوان ٥٩/٢) وقد صححنا الأبيات من الديوان :

الجحفل : الجيش العظيم . الفلأ الذيل : الرماح اللينة . الفزالة : الشمس . لا يغسل : لا يزول : التطينب : مد الأطناب .

كان الدهر جَارَ عليهم واعتدى فتقفته فاعتدل ، واعترق العظم منهم
وانتقى ، فزجرته فانتقل ، فأمرك ممتثل في خطبه ، وخوفك مائل في قلبه ،
فإن شك فليحدث بهم ضرباً من الحادثات ، لترقل له القنا باللهازم الراعفات ،
فيوماك يومٌ يُحمِدُ نارَ الحربِ والحرب ، ويوم يُبرِدُ أوارَ الجذبِ
والسغبِ .

هذا محلول قوله (١) .

هنيئاً لأهل الشَّغْرِ رأيك فيهم
وأنك حزبُ الله صرت لهم حزباً

وأنك رُعتَ الدهرَ فيها وريبه
فإن شك فليحدثُ بساحتها خطبا
فيوما تخيل تطردُ الرُّومَ عنهم ويوما بجودٍ تطرد الفقر والجدا
وقول أبي حية النُمَيْرِي :

أما إنه لو كان غيرك أرقلتُ إليه القنا بالراعفاتِ اللهازم (٢)

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما بنى مرعش ، ومطلعا :

فدينك من ربح وإن زدتنا كربا فانك كنت الشرق للشمس والغربا

الديوان ١ / ٤٤

(٢) أرقأت : أمرعت . اللهازم : جمع لهزمة ، وهي الناقه تحب الأذنين ، والمراد
منا الأعناق .

فصل

« كَرِيمٌ مَا شَتَمَ وَلَا شَتِمَ ، وَلَا ظَلَمَ وَلَا ظَلِمَ ، فَاَلْمَلُوكَ تَشْتَمُ بِالْفِعْلِ
لَا يَالْقَوْلَ ، كَالْأَسْوَدَ لَا تَفْرُسُ بِالْحِيلِ بِلَ بِالْحَوْلِ ، وَمَا أَفْرَجَتِ الْأَعْدَاءُ عَنْ
الْبِلَادِ حُبَّالَهُ بِلَ حَذْرًا مِنْ شِدَّةِ نَكَالِهِ ، وَلَا عَزَبَتْ عَنْهُ بَقِيًّا عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ
خَوْفًا مِنْ ضَرَرِ نِبَالِهِ . »

هذا محلول قوله :

وَلَمْ تَفْتَرِقْ عَنْهُ الْأُسْنَةَ رَحْمَةً وَلَمْ تَتْرَكِ الشَّامَ الْأَعَادَى لَهُ حُبًّا
وَلَكِنْ نَفَاها عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ كَرِيمٌ الشَّامَا سُبَّ قَطٍ وَلَا سَبًّا^(١)
وَقَدْ أَضِيفَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْكُمُ رَأْيُنَا وَنَشْتَمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ
وَقَوْلُ الْآخِرِ :

فَمَا بَقِيًّا عَلَى تَرْكَتَانِي وَلَكِنْ خَفَمَا ضَرَرَ النَّبَالِ

- ٥٠ -

فصل في مل قومه

تَبَارَى نَجُومَ الْقَذْفِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ نَجُومٌ لَهُ مِنْهُمْ وَرَدٌّ وَأَدْهَمُ^(٢)

(١) الديوان ٤٨/١ من قصيدته في بناء مرعش .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

إِذَا كَانَ مَدْحُ فَالْنَسِيبِ الْمَقْدَمِ . . . أكل فصيح قال شعرا منيب

الديوان ٢٥١/٢ .

ورد : ما بين السمكيت والأشقر من الخيل .

أدم : أسود . نجوم القذف : هي التي تقذف بها الشياطين .

قد حله المصنف فقال : « تركب ظهر الليل تبارى مسير شهبه ، وتستقرب
بُعْدَ المدى فى نَيْلِ مطلبه ، غير أن ذاك يَفْرِى أديم الفياهب ، وهذا يَفْرِى
أديم السَّبَاسِبِ ^(١) » .

وقد نثرناه نحن على وجوه منها : « فإزلنا نقطع الأَدَهَمَ الواقفَ بالدَّهَمِ
السَّائِرَاتِ ، ونُسارى الشَّهَبَ النِّثَرَاتِ بالشَّهَبِ الطَّائِرَاتِ ، إلا أن تلك نجُومُ
القَذْفِ والرُّجُومِ ، وهذه نجوم الغارة والهجوم .

ومنها :

« فإزلت أبارى أَدَهَمَ الليل بُذَهَمِ الخيل ، وأجارى شُهْبَهُ بالشَّهَبِ التى
تَسْبِقُ جَرَى السَّيْلِ ، حتى وَرَدَتْ مدينةَ كذا قُبَيْلَ الصُّبْحِ ، والثُّرَيَّا ^(٢)
معتزلةٌ تَعْرِضُ أَثْنَاءَ الوِشَاحِ . ومهما أَدَهَمُ ^(٣) مَقْدُودُ ^(٤) من الفَيَاهِبِ ^(٥) ،
مَطْلُومُ الوجوهِ ببعض السِّكَاكِبِ ، يَفُوتُ الرِّيحَ إِذَا جَرَى ، وَبَسْبِقِ
النَّجُومِ إِذَا انْكَدَّرَتْ ^(٦) ، إلا أن تلك تَقْذِفُ من أَنْصَتَ لَيْسَمَعَ
وَاسْتَرَقَ » .

(١) المثل السائر ١/١٥٣ .

السباسب : جمع سبب وهو المفازة .

(٢) مجموعة نجوم صغار متقاربة .

(٣) أديم : أسود .

(٤) مقدود : مقطوع والمراد مخلوق .

(٥) الفياهب : جمع فیهب وهو الظلام والعديد الظلمة .

(٦) انكدرت : تناثرت وسارت .

فسطاط مصور :

« فرأيتُ إلى خيمته من الحرير مُصَوَّرَةً بأنواع التصاوير ،
تكد آسادهما تزار وتُصُول ، وفُرُسانها تَنطِقُ وتَقُولُ ، وأُفُراسُها
تَرَكُضُ وتَجُول . لم نُفَنِّ الحائِمُ على حدائق جِنَانِها ، ولا حَاكَتْ أَيْدِي
السَّحَابِ رِياضَ جُذُرِها ، ولا عَطَّتْ^(١) إلى فروع الأراك أعناق غزلانها ،
ولا خَضَعَتْ رَعِيَّتُها لملوكها ، ولا نَظَمَتْ عِقْدَ عِذارها في سلوكها ، إذا
صافَحَتْ الرياحُ جِلْبَابَها ، ونازَعَتْها أَهْدَابُها ، مالتْ مَيْلَ الغَزَلِ ، ورقَصَتْ
رَقْصَ الشَّارِبِ الثَّمَلِ^(٢) ، قد تَأَلَّفَتْ الأضداد فيها تَأَلَّفَ الأَضْرَابُ
والأَشْكالُ ، فالكلبُ ضَيْفُ الأرنب والفهد ونَزِيلُ الغزال . »

هذا محلول قوله :

وَأَحْسَنُ مِنْ ماءِ الشَّبِيبَةِ كُلِّهِ

حَيًّا بَارِقًا فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمَةٌ

عَلَيْهَا رِياضٌ لَمْ تَحْكَمْهَا سَحَابَةٌ

وَأَغْصَانُ دَوْحٍ لَمْ تَغْنَّ حَمَائِمُهُ

وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ ثَرَبٍ مُوجَّهٌ مِنْ الدَّرِّ سَمِطٌ لَمْ يَنْقَبْهُ نَاعِمُهُ

تَرَى حَيَوَانَ الْبَرِّ مُصْطَلِحًا بِهَا يَحَارِبُ ضِدًّا ضِدَّهُ وَيَسَالِمُهُ

(١) عطت : مدت أعناقها ورءوسها متطاولة إلى الشجر لتتناول منه .

(٢) الثمل : النشوان الذي أثر فيه الشراب .

إذا صَرَبْتُهُ الرِّيحَ مَاجَ كَأَنَّهُ
تَجُولُ مَذَاكِيهِ وَتَدَايِ ضِرَاغِهِ^(١)

فصل

« قِصَارُ رُمْحِكَ أَطْوَلُ مِنْ ظِلَالِهَا ، وَطُولُ رِمَاحِ أَعْدَائِكَ أَقْصَرُ مِنْ
زِجَاجِهَا^(٢) » وَنِصَالُهَا^(٣) . وَكَمْ مِنْ رِمَحٍ قَصُرَ فَأُطْلِئَتْهُ بِخُطَاكَ ، وَكَمْ مِنْ بَلَدٍ بَعْدَ
فَقَرَبَتِهِ بَسْرَاكَ ، وَقَطَرُكَ فِي النَّدَى وَالرَّدَى سُبُولُ وَبِحَارُ ، وَعِزْمُكَ
فِي الْخُصُومِ وَالْعِدَا نُصُولُ وَشِفَارُ ، وَأَنَامِلُكَ رَاجِحَةٌ وَلَكِنْ خُلِقَتْ سُبُوفُكَ
مِنْ عَجَلٍ ، فَكَلِمَا نَهَيْتَهَا عَنْ وُلُوغِ الدِّمَاءِ قَالَتْ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ^(٤) . وَقَدْ

(١) من قصيدته في مدح سيف الدول عند نزوله أنطاكية بعد ظفوره بمحصن برزويه
وكان جالسا تحت خيمة من الديباج عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان مطالعها :
رفاؤ كما كالربع أشجاء طاسمه . بأن تسعدا والدع أشقاء ساجه
الديوان ٢٣٨/٢ .

ماء الشببية : نصارتها وحسنها . حيا : مطر . بارق : سحاب ذو برق . قازة : قبة
أو خيمة أو مظلة بعمودين نصبت لسيف الدولة وكانت من حرير . شأمة : ناظر إليه يرجو
المطر . دوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة . لم تفن حاتم : يصف الخيمة بأنها مصورة
بصور رياض وأشجار ولكن الحاتم لا تتفنى على أغصانها لأنها صور غير ذات روح . ثوب
موجه : ذو وجهين . سبط من الدر : أراد به الدوائر البيض على حاشية الأنواب التي
اتخذت منها الخيمة . يحارب ضد ضده ويسالنه : يرى الوحوش مصطاحبة بالخيمة مع أن من
طبعها التفارس وقد نشئت على الديباج في صور المتعابة ، لكنها لا تتعارب لأنها جاد لا روح
فيه . المذاكي : المسنة من الخيل : تدأى : تختل وتخدع . الضراغم : الأسود .

(٢) الزحاج : جمع زج وهو الحديد التي في أسفل الرمح .

(٣) النصال : جمع فصل وهو حديدة الرمح والسهم والسيف .

(٤) مثل قديم قاله ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، كان الحارث بن كعب قد
قتل ابنا لضبة ، ثم لقيه ضبة في الحج فقتله . فقيل له : يا ضبة أفي الشهر الحرام ؟ فقال سبق
السيف العذل :

(مجمع الأمثال للبيداني ١/١٣٣ ، ٢٢١)

يَنْسَبُ الْجَاهِلُ حِلْمَكَ أَحْيَانًا إِلَى تَدْيِيرٍ أَوْ خِدَاعٍ ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّيْثَ لَا يَأْكُلُ الْجِيْفَةَ ، وَلَا يَفْتَرِسُ الضَّبَاعَ .

هذا محلول قوله :

طُولُ قَنَاسٍ تَطَاعُنُهَا قِصَارُ
وَقَطْرُكَ فِي نِدَى وَوَعَى بَحَارُ

وفيك إذا جئى الجانى أناةً تظن كرامة وهى احتقار^(١)

وقول السموأل :

إذا قصرت أسيفنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فتطول^(٢)

(١) من قصيدته فى مدح سيف الدولة لما أوقع ببعض العرب الذين تمردوا عليه .
الديوان ٣١٦/١ وصححنا الأبيات من الديوان .

(٢) لم نجد هذا البيت فى أبيات السموأل التى بديوان الحملة وأولها :
إذا الرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
(شرح المرزوقى ١١٠/١)

ولافى البيان والبيتين ضمن بعض الأبيات السابقة ١٨٥/٣ .
ولى المفضليات ٧/٢ بيت للأخنس بن شهاب بن شريق الفطلى هو :
وإن قصرت أسيفنا كان وصلها خطانا إلى القوم الذين نضارب
وقال نعلب : هذا البيت نتنازعه الأنصار وقريش وتقلب ، فقد زعم علماء الحجاز أنه
اضرار بن الخطاب الفهرى أحد بنى محارب من قريش . وقال الأنبارى فى ترجمة الأخنس
هو أول العرب وصل قصر السيوف بالخطا ، وذكر البيت ، ثم قال : ومنه استرق كعب
ابن مالك الأنصارى قوله :

فصل السيوف إذا قصرن يخطونا قدما ولنلقها إذا لم تلحق

على أن قيس بن الخطيم أخذه بلفظه تقريبا فقال :

إذا قصرت أسيفنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب

وأما البيت الذى نسبته الأنبارى لكعب بن مالك فقد نسبته ابن قتيبة فى الشعر والشعراء
لربيعة بن مقروم ، وذكر أنه من قول قيس بن الخطيم إذ أن قيساً أخذه منه .

خزانة الأدب ٣ / ١٦٤ والمفضليات ٧/٢

فصل

«الآراء الصائبة ، والشجاعة الثاقبة، تستعبد الصوارم، وتستخدم الخنازم^(١) ،
فالتدبير أميرٌ والشجاعة جُنْدُه ، والرأى حُسام والصَّرامة غنْده .

ولولم يُلْحِظْ هذا المعنى ويُعْتَبَرْ ، لكانت السباع أَفْضَلَ من البَشَرِ ،
وطالما نُكِّسَتْ الأَعْلَامُ بِالْأَقْلَامِ ، ومِلِكَتِ الْأَصْفَاعُ بِالرَّقَاعِ ، وَنَفَذَتْ
المَكائِدُ قَبْلَ نَفْوذِ الحُدَاثِدِ . فإذا اجتمعَ لِنَفْسٍ سَعِيدَةٍ هَذَانِ الْأَمْرَانِ نَالَتْ
أَفْصَى الْإِمْكَانِ ، وبلغت من الْعَلْيَا كُلَّ مَكَانٍ » .

هذا محلول قوله :

الرأى قَبْلَ شجاعه الشجعان هو أَوَّلُ وهى الحل الثانى
فإذا هما اجتمعَا لِنَفْسٍ حرة بلغت من العلياء كلَّ مكان
ولربما طعنَ الفتى أقرانه بالرأى قبلَ تطاعُنِ الأقران
لولا العقولُ لكان أدنى ضيغَم
أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ^(٢)

(١) الخنازم : جمع غنْدم على وزن منبر وهو السيف القاطع . وكانت الكلمة بالأصل (الخنازم) .

(٢) من قصيدته فى مدح سيف الدولة .

الديوان ٤٢٥/٢ .

فصل

«عزائمك لا تفلُّ ، وآراؤك لا تفضل ، ومدائحك لا تملِّ ، وأحكامك لا تميلُ ، وسيفك شريك المنايا في قبض النفوس ، فهذه لاختطاف الأرواح ، وهذا لاختطاف الرؤوس . وكل دم لم تحصبه^(١) ظباك أصبح مظلولا ، وكل مَمت لم تشارك فيه عدو خيانةً وغلولا .

هذا محلول قوله :

شريكُ المنايا والنفوسُ غنيمةٌ فكلُّ مَمت لم يمتِه غلول^(٢)

فصل في حل قوله

وما الحسَنُ في وجْهِه الفتي شرفا له

إذا لم يكنْ في فعله والخلاتق^(٣)

قد نثرناه على وجوه منها : «شرف الفتى بأفعاله ، لا بحسنه وجماله ، كالسيف يقطع بجوهره ، لا بحسن منظره» .

ومنها « لو كان شرفُ الإنسان بصورته وخلقه لا بمعناه وخلقه ، لما قيل ما الإنسان إلا القلبُ واللسانُ » .

(١) لم تحصبه ظباك : لم تصفك وتبسطه سيوفك .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

ليالي بعد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل
الديوان ٨٨/٢ .

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

تذكرت ما بين العذيب وبارق بحر عوالينا وبحرى السوايق
الديوان ٤٦٩/١ .

ومنها: « لا تغر في الصُّورة المليحة ، وأفعالها قبيحةٌ ، كاشجرة السامية الخضراء الناضرة ، وفي أكلها الفاقة^(١) ».

ومنها: « لو كان الفخر بما بدا في الصورة وظَهَرَ ، لا بما بَطَنَ من المعنى واستترَ ، لكانت صورة الفمَارِقِ^(٢) ، أَشْرَفَ من الحيوان الناطق ».

فصل في هبة عسكر

«للاُمير أيده الله جيشان: النُورُ في الجَوِّ والحياد في الدَّوِّ^(٣)، فكان الفضاء ثوبٌ مطَّيرٌ^(٤) بالجوارح والعقبان ، وكان العز فرسٌ مُحجَّلٌ بالسَّوابق والفرُسان ، فعسكر الطير ضيفٌ يستطعم عسكرَ السَّيفِ ، فإذا رمى بهما جيشا نفاه ، فأباد هذا أرواحه ، وأباد هذا أشباحه ».

هذا محلول قوله :

له عسكرٌ أخيلٍ وطيورٌ إذا رمى بها عسكرٌ لم يَبْقَ إلا جماجمة

سحابٌ من العقبان يزحفُ تحتها

سحابٌ إذا استنقَت سقتها صوارمه^(٥)

(١) الفاقة : الداهية :

(٢) الفمَارِق : جمع فمَرِق وفمَرقة وهي الوسادة أو الطنفسة .

(٣) الدو : الدوبة وهي الفلاة .

(٤) ثوب مطير : منقوشة فيه صور الطيور .

(٥) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

وفاؤكما كالربع أشجاء طامعه بأن تسعدا والدمع أشقاء ساجه

الديوان ٢/ ٢٤٠ ومن الديوان صفحا الأبيات

وقد حله هذا المصنف فقال :

« فسرنا في غمامة من الكتائب ، تَظَلِّلُهَا غَمَامَةٌ من الطيور الأَشَابِثُ ^(١) »
فهذه يضمها بحرٌ من حديد ، وهذه يضمها بحر من صَعِيدٍ ^(٢) .

فصل

« حَسَامٌ لَوْلَا تَرَفُّقُ الْمَاءِ فِي جَوَانِهِ ، لَتَلُمَسَّتِ النَّارُ الْمَوْقِدَةَ مِنْ مُضَارِبِهِ ،
فَقَدْ أَصْرَبَهُ حُبُّ الْجَاحِمِ وَالْأَعْنَاقِ حَتَّى عَادَ نِضْوًا كَالْهَلَالِ ، وَوَدَّتْ سِبَاعُ
الطَيْرِ وَالْوَحْشِ أَنَّهَا تَفْدِيهِ بِالْخَالِبِ وَالْأَنْيَابِ إِذَا فُدِيَ غَيْرُهُ بِأَلَاءِ نَفْسِ
وَالْأَمْوَالِ ، فَأَحْسَنُ مَا خُصِّبَ بِالدَّمِ الْمَمَارُ ، لَا بِالسَّجْدِ وَالنُّضَارِ ، وَالْحَسَنَاءُ
حَسَنَاءُ وَهِيَ فِي الْأَسْمَالِ وَالْأَطْمَارِ . وَإِذَا كَانَ الْحَلِيُّ لِإِتِمَامِ النَّقْصِ يَعْمَلُ ،
فَتَشَفُّ الْأَفْضَلُ أَنْبَلُ ، وَعَطَلُ الْأَكْمَلُ أَجَلُ » .

هذا محلول قوله :

أَحْسَنُ مَا يُخْصَبُ الْحَدِيدُ بِهِ وَخَاضِيبِيهِ النَّجِيعُ وَالْفَضْبُ
فَلَا تَشِينَنَّهُ بِالنُّضَارِ فَمَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ فِيهِ وَالذَّهَبُ ^(٣)

(١) الْأَشَابِثُ ، الْأَخْلَاطُ جَمْعُ أَشَابَةٍ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ .

(٢) لِلثَّلِّ السَّائِرِ ١/١٤١ .

(٣) عَرَضَ عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ سَيُوفٌ مَذْهَبَةٌ ، وَفِيهَا سَيْفٌ غَيْرُ مَذْهَبٍ ، فَأَمْرٌ بِمَذْهَبِهِ ،
فَقَالَ الثَّنِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

الديوان ١/٥٢ .

فصل في ذكر الدنيا

«هي الهِرَّةُ تأكل أولادها ، والموتورةُ تظهر أخقادها ، أخونُ من البغايا^(١) ، وأخذعُ من الحنايا^(٢) ، تصيدُ الصقرُ بالخرَب^(٣) ، وتكسِرُ النَّبْعَ^(٤) بالغرب^(٥) ، تفدِرُ بأضيافها ، وتقتل أزواجها ليلة زفافها ، أفنت العسائر والقبائل ، ولم يحصلوا من حبها على طائل » .

هذا محلول قوله :

فلا تَنَلْكَ الليالى إن أيدىهِ —

إذا ضَرَبْنَ كَسْرَنَ النَّبْعَ بالغربِ

ولا يُعْنِ عِداؤُا أنتَ قاهرُهُ

فإنهن يَصِيدُنَ الصَّقْرَ بالخرَب^(٦)

وقوله :

فذى الدارُ أخونُ من مومِسَ وأخذعُ من كِفَّةِ الحابلِ

(١) البغايا : الطلائع تكون قبل ورود الجيش .

(٢) الحنايا : جم حنية وهي القوس .

(٣) الحرب : محركة ذكر الجبارى .

(٤) النبع : شجر صلب تتخذ منه القسي والسهام .

(٥) الغرب : نبت ضئيف يذبت على الأنهار .

(٦) من قصيدته في رثاء أخت سيف الدولة . وقد صححنا البيت من الديوان .

تَفَانَى الرِّجَالُ عَلَى جِهَاتٍ وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلٍ^(١)

فصل

« فلما أبوا لإشفاقا وجاحا ، واستنزلوا حينما عليهم مكتوبا ولهم مباحا ، هَدَّ
الأمير أيده الله إليهم في كتيبة حسناء ، تهز حوله جانبها ، كما تَنْفُضُ الْعُقَابُ
جَنَاحَيْهَا ، فهو رَيبُهَا في السَّيْرِ ، وحارسها في النزول ، وطليعها في النَّفِيرِ ،
وسائقها في القُفُولِ »

هذا محلول قوله :

يهز الجيش حولك جانبيه كما نَفَضَتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ^(٢)

وقول البحتري :

طليعتهم إن وجَّهَ الجيشَ غازيا

وسائقهم ————— إن وجَّهَ الجيشَ قافلا^(٣)

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :
الإم طماعية العاذل ولا رأى في الحب للعادل
الديوان ٣٨/٢ .

الموس : المومة : الفاجرة . الكفة : الشرك . الحابل : الصائد بالعرك .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما أوقف بيني كلاب ، مطلعها :

بغيرك راعيا عبت الذئاب وغيرك صارما ظلم الضراب
الديوان ٥٥/١ .

العقاب : طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى قوى الخالب له منقار أعقف .

(٣) من قصيدته في مدح محمد بن يوسف التي مطلعها :

أرى بين ملتف الأراك منازل موانل لو كانت مهاها موانلا
الديوان ٢٠٤/٢ ومنه أصلنا البيت .

فصل في صفة الخيل :

جيش قد حملت فيه الرِّجالُ على السَّلاهب^(١) ، بل الأفاعى على العقارب ،
وغلب فيه فائتهم الأبرَد^(٢) على الفِزلان ، بل الأجادِل^(٣) على العقبان ،
خوارق الأرض فلا تحمل إلا الأبطال والحديد ، ومتبدلاتُ الأحوالِ فكم
لها من بئر ممطرة وقصيرٍ مشيدٍ .

من كل جِيَّاش^(٤) العنان ، مضمونِ السَّبَقِ يومِ الرِّهانِ ، إن قرَعَ
الطَّودَ فصقرٌ جارحٌ ، أو ركب البحرَ فذون^(٥) سايج ، لها من النِّقعِ بَرَّاقُ
وجِلال^(٦) ، ومن السكواكب غُرُرٌ ، ومن الأهلةِ فَعَالٌ . قد خالَفَتُنَا
صُدُورُها ، وعاقَدَتُنَا لَبَّاتُها ونُحُورُها أن تجول مع فارسها حيث جال ، وأن
تَخُوضَ دونه المسكارَةَ والأهوالَ ، وأن تجرى في المضيق ولو أمَّ السَّراطُ ،
وأن تلج المأزِق^(٧) وإن كان أضيقَ من سَمِّ الخياط .

هذا محلول قوله :

فأنتهم خوارق الأرض ما نَحْ حِلِ إلا الحديدَ والأبطالَ

(١) السلاهب : جمع سلهب وسلهبة وهو الفرس الطويل العظيم .

(٢) الأبرد : النمر .

(٣) الأجادل : جمع أجدل وهو الصقر .

(٤) كانت بالأصل (جناس) .

(٥) الذون : الحوت .

(٦) الجلال : جمع جل بضم الجيم وفتحها ما تلبسه الدابة لتصان به .

(٧) كانت بالأصل (المارق) .

خافيات الألوان قد نسج النقح عليها براقما وجلالا
حالفتها صدورها والعوالى لتخوضن دونه الأهوالا
ولتمضين حيث لا يجد الرمح مداراً ولا الحصان مجالا^(١)

الترصيع بالآيات القرآنية وغيرها :

أما الترصيع بالآيات القرآنية والحكم النبوية والأمثال في الكتابة فقد
ذكر هذا المصنف من إنشائه فصولا تتضمن ذلك .

ولما كنا قد ذكرنا في حل المنظوم ما عارضنا به ما ذكره وجب أن نذكر
من كلامنا في ترصيع الآيات والأمثال فصولا تعارض ما ذكره أيضا .

فمن ذلك قولى في توقيع إلى أحد النظار ببعض الصدقات الشريفة المتقبلة :
« وليحرس فلان عليه هذا المشرب النмир عن رنق التكدير^(٢) ، ولا يشوه
وجه هذه المبرّة المتقبلة بالمطل والتأخير ، وليحذف عنه أسباب الإرجاء
والمدافعات ، ومطا عن الاعتراض والتأويلات ، فهذه صدقة يصدق بها مالك
الرقى ، وإمام الحق ، وسيد الخلق ، جعل الله تعالى صدقاته المبرورة التي

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما نهض إلى نشر الحدث لينقذه من الروم .

الديوان ١٠٥/٢ ومنه أصلنا الأبيات .

أنهم : أى الجياد .

(٢) كان الأصل (زيق التكدير) .

لا تدرِكها الأوهام ، ولا تَحْصُرُها الأفهام ، ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام^(١) ، جنودا مجندة حول لوائه المنصور ، وكافة لدولته الشريفة بالخلود إلى يوم النفخ في الصور ، ومُعَقَّبَاتٌ من بين يديه ومن خلفه من أمر الله^(٢) تحفظه أحقابا ، وباقياتٌ صالحات هي عند الله أحسنُ عملا وخيرُ ثوابا^(٣) .

وهذا الفصل قد رضع بثلاث آيات من الكتاب العزيز واقعةً مواقعها . ومن ذلك قولي من جملة من كتاب أصف فيه حربا : « حتى إذا زُلْزِلَتِ الأرض عليهم زلزالها ، وأُخْرِجَتِ أُنْقَالُهَا^(٤) ، وعركتهم الحرب عرك الرِّحَا فَنَقَالُهَا^(٥) ، وَعَصَبَتَهُمُ الْهَيْجَاهُ عَصَبَ السَّلَمِ^(٦) ، وغمرتهم غمر البين ، وَهَزَمَ الرُّوعَ هَزَّ الْجَنُوبِ ضُحَى عِيدَانِ يَبْرِينَ^(٧) ، لم يكن إلا كَحَسُونَةِ طَائِرٍ ، أو خُطُوةِ سَائِرٍ ، حتى خالطت السيوف أجسامهم » . فأول هذا الكلام من الكتاب العزيز . وقولي وعركتهم من قول زهير

فتمرركم عرك الرِّحَا بنقالها^(٨)

(١) سورة لقمان ٢٧ (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) :

(٢) سورة الرعد ١١ (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) .

(٣) سورة الكهف ٤٦ (المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) .

(٤) سورة الزلزلة ١ ، ٢ (إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أنقالها) .

(٥) الثقال : ما يوضع بين الوحي والأرض .

(٦) السلم : شجر .

(٧) يبرين : رمل شرق حجر اليمامة .

(٨) تكملة البيت :

وتضر إذا ضر يتموها فتضرم .

من معلقته .

وقولى وعصبتهم من قول الحجاج لأهل العراق: والله لأعصبنكم عصبَ
السلم ، ولألحونكم لحوَّ العصا ، ولأعمرنكم بعمار البين .

وقولى وهزهم من قول الشاعر :

يَهْزُؤُنَ المَشَى أعطافاً مُنْعَمَةً هَزَّ الجنوبُ ضُحَى عِيدَانِ يَبْرِيفَا
وَأَحْسَنُ ما نَقَلَ المنظومُ أو غيره إلى الكتابة إذا كان هكذا ، لأن الشاعر
ذكر هذا التشبيه فى الغزل فقلبته أنا إلى وصف .

وقولى حسوة طائر من قول الباخريزى شاعر المعجم ^(١) :

ولو غبت عن هذين حسوة طائرٍ لزالَ نظامٌ أو لفضَّ خِتامٌ
ومن ذلك فى توقيع لبعض العدول ، وقد رتبته مشرفاً ببعض الأعمال أحذره
من الخيانة ، وأنه إن واقع ذلك أَخَذَ طَيْلَسَانُهُ ، وَأَسْقِطَ عدالته ؛ وهو
كفاية لطيفة تنزع إلى القرآن الكريم ، سكونا إلى أمانته ونزاهته ، ووئوفا
بحريته واستنابته وكفائته ، إلى تَقَمُّصِهِ بِجِلْبَابِ الدِّيَانَةِ ، وتحليه بِمُجْلَاهَا ، وإِخْلَاداً

(١) هو أبو الحسن على بن الحسن الباخريزى الشاعر المشهور .
قال عنه ابن خلكان إنه كان أوحده عصره فى فضله وذهنه والسابق إلى حيازة القصب
فى نظمه ونثره .
اشتغل أول أمره بالفقه على مذهب الشافعى ، ثم مال إلى الكتابة ، وبرع فى الشعر ،
وصنف كتاب (دمية القصر وعصرة أهل العصر) وهو مطبوع .
ويعتبر ديلاً لكتاب بقيمة الدهر للثعاللى .
وقد وضع البيهقى كتاباً كالذيلى للدمية سماه (وشاح الدمية) قتل الباخريزى فى مجلس
أنس سنة ٤٦٧ ببلدة باخرز ، وهى ناحية من نواحي نيسابور بها قري ومزارع .
(وفيات الأعيان ١/٣٦٠ وهدرات الذهب ٣/٣٢٧) .

إلى ما هو موسوم به من العدالة التي يقرن لفظها إن شاء الله بمعناها ، ثم أتممت هذا الكلام بما يناسبه إلى أن قلت : « وأهم ما نقرضه عليه ، والدنيا أُلْقَتْ به إليه ، لزوم الأمانة والعفاف ، وصيانة العرض وحفظ الأطراف ، فليحذر أن تُدليه الأطماعُ بغرورها ، وجهلها ، وتلهيه بحلاوة شَهْدَها عن إبرئحلها ، وليسكن من إغواء الشيطان بإطعامه الشَّجَرَةَ على أتم حذر ، وأشدّ فرق ، فإنه إن استزَلَّه نزع عنه لباس الرِّضا ، ثم لا يتمكن من خَصْفِ الوَرَقِ ، فليُخْرِسْ قاعدةَ العدالة التي هي مَرْسُومٌ موسومٌ بِشَعَارِها ، ومندوبٌ إلى اقتفاء آثارها ، والاهتداء بمنارها » .

فهذه الكتابة من قوله تعالى : « يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا ^(١) » . وقولي في أول التوقيع التي يقرن لفظها إن شاء الله بمعناها لا يخفى ما فيه من الحلاوة في هذا الموضع .

ومن ذلك قولي في جملة وصايا يتضمنها توقيع لبعض النظار : « أيد الله نائب الأعمال الواسطية وحراسة الارتفاعات بالسطوة التي تزهِقُ النفوس ، وتَغْصُ لها الأبصار وتُنَكِّسُ الرؤوس ، وتحفظ بها الأموال المتمزقة في أقصى الديار ، المشردة تحت الكواكب كتبدد الكواكب ، فهو شجاعها المقْدَامُ ، وصارمها الصَّمْصَامُ ، وقد نَبَّهْنَا عمروٌ إن كنا لَا نَنَامُ ، فليستأصل شَأْفَةً ^(٢) المفسدين ،

(١) سورة الأعراف ٢٧ .

(٢) شأفة : أصل .

وليفلظ عليهم ، وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم . فالسياسة شמוש جامع لا يصحب^(١) إلا بالسيف والنطع ، وعروس فارك لا تقطف حتى يخلق ملؤها بالنجيع .

وقد رصت هذا الفصل ببعض قوله تعالى :

« وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين »^(٢) وحلت فيه قول الشاعر :

إن المعالي عروس غير واصلة ما لم يخلق رداؤها بنضح دم
ومن ذلك قولى فى هذا التوقيع فى الوصاة بتخير العمال : وعماله ونوابه
بالأعمال فهم جدوة من ناره ، وأثر من آثاره ، وشعاع من شمس ، ودوحة
من غرسه ، وفضيلتهم نتيجة فضله ، واختيار المرء بضعة من عقله ، فليحسن
فى ارتيادهم ، واختيارهم ، وليجمل فى اصطنائهم واصطفائهم ، وليتخير
أرباب الأغراض الزكية ، والأفعال المرضية ، والتجربة ، والمسألة ، والشباب ،
والحيلة ، فإن كبا منهم سابق — والجواد قد يكبو — ونبا منهم صارم —
والحسام قد ينبو — عاجله بالتقويم والإرشاد ، فإن أصرر فبالتحذير
والإبعاد ، وإن فاء فبالإقصاء والإبعاد ، وإن أنس من أحد ما يقده
فى الأمانة ، ويشهد بوقوع الخيانة عاقبه معاقبة المجرمين ، وجعله نكالا
لما بين يديه وما خلفه وموعظة للمتقين^(٣) .

(١) يصحب : يتقاد .

(٢) سورة الأنفال ٥٨ .

(٣) سورة البقرة ٦٦ (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) .

آخر هذا الفصل من القرآن العزيز . وقد تضمن أيضاً أمثالا غير خافية .
ومن ذلك قولى فى هذا التوقيع : « وليواصل بالحوول الدَّارَةَ فى أوقاتها
مواصلةً تُوجبُ له الزيادة ، وتَسْتَدِرُّ له أَخْلَافَ السَّعَادَةِ ، وتجعله ممن وَضَحَتْ
براهينه ، وثَقَلَتْ موازينه ، وأَنَارَ صَبَاحَهُ ، وفازت قَدَاحُهُ ، ويُطْلَقُ عَقْلُهُ
لِسَانَهُ إِذَا خَرَسَ العَاجِزُ فَلَا يَفُوه ، وَيَبْيِضُ وَجْهَهُ يَوْمَ تَبْيِضُ وَجُوهٌ
وَتَسْوَدُّ وَجُوهٌ ^(١) » . موضع الترصيع من هذا الكلام بالألفاظ القرآنية
الشريفة واضح .

ومن ذلك قولى فى آخر هذا التوقيع : « وليطالع الديوان العزيز بصالح
الأعمال ، ومتجددات الأحوال ، فى أوقاتها وأزمانها من غير إرجاء يُقْضَى
إلى فَوَاتِهَا وَبُطْلَانِهَا ، لِيُدَبَّرَ من تقدماته العالية ، وآرائه السامية بما يجعله من
الأرشدِين دليلاً ، والأَوْضَحِينَ سبيلاً ، وَيَنْتَظِمَ باقتفائه واحتذائه فى سلك
الذين التحق سِرُّهُمْ فى الإخلاص بإعلانهم ، ويُعَدَّ باتباعه وامْتِثَالِهِ من الذين
يَسْمَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وبِأَيْمَانِهِمْ ^(٢) » .

وموضع الترصيع من هذا الفصل بالآية أيضاً ظاهر .

ومن ذلك ما كَتَبْتُهُ فى بعض التوقيعات لناظر من نظار السواد
والضيايع : « فهى الأُمَمَاتُ الحَوَامِلُ ، والمرضعات الكَوَافِلُ ، فليَتَخَيَّرْ بها
طَيِّبَةُ البِقَاعِ ، ضامنة بنمو الارتفاع فتَحَيَّرُ الصِّيَاعَ كِتَافِيراً المُنَافِخَ ، مَنْ أَحْسَنَ
فِيهَا الاختيارَ اليومَ أَنْجَبَتْ عِرْسُهُ غَدًا ،

(١) سورة آل عمران ١٠٦ (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) .

(٢) سورة الحديد ١٢ (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسمى نورهم بين أيديهم
وبأيمنهم) .

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا^(١) ،
وَالْفَادِرِينَ^(٢) ، فَهِيَ حَامِلَةُ الْأَثْقَالِ ، وَعَامِرَةُ الْأَعْمَالِ ، وَمَرَاكِبُ الْبِضَاعَةِ
وَرَأْسُ الْمَالِ ، فليجتهِد في إِرَاحَةِ عَامِلِهَا^(٣) ، وَالسَّلَامَةُ مِنْ دَرَكٍ نَقَصَهَا وَخَلَلَهَا
وَمَاعَسَاهُ يُعْوزُهَا يُتِمُّهُ ، وَمَا تَسَرَّبَ مِنْهَا يَجْمَعُهُ وَيَلْمُهُ ، فَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ
بَأَنْ خَلَقَهَا كَثِيرَةً الْحَرَثِ ، وَسَقَامَ مِمَّا فِي بَطُونِهَا مِنْ بَيْنِ دَمٍ وَفَرَثٍ^(٤) .
وَالآيَاتُ الْمُدْرَجَةُ فِي غُضُونِ هَذَا الْكَلَامِ ظَاهِرَةٌ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي هَذَا التَّوْقِيعِ : « فَإِذَا تَمَّ ارْتِفَاعُهُ ، وَتَسْكَامُلُ صَلَاحُهُ
وَإِبْنَاعُهُ ، وَبَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ لِمِيعَادِهِ ، وَدَنَا الْوَقْتُ الَّذِي قِيلَ فِيهِ وَآتَوْا حَقَّهُ
يَوْمَ حَصَادِهِ ، فَلْيُؤْصِلْ بِالْحَوْلِ إِدْرَارًا ، وَلْيَنْدُبْ نَفْسَهُ فِي جَمْعِ الْمَالِ لَيْلًا
وَنَهَارًا ، وَلْيُرْهِفْ لِلِاسْتِيفَاءِ وَالِاسْتِخْرَاجِ شَبَا الْعَزْمِ ، وَلْيَنْتَصِبْ لِذَلِكَ انْتِصَابَ
أَمثَالِهِ مِنْ ذَوَى الْبَصِيرَةِ وَالْحَزْمِ ، فَاسْتِيفَاءُ الْأَمْوَالِ وَالْحَقُوقِ هُوَ النَّتِيجَةُ الْمُرَادَةُ ،
وَالثَّمَرَةُ الْمُسْتَفَادَةُ ، وَذَلِكَ الْمَخْضُ عَنْ هَذِهِ الرُّبُودَةِ أَسْفَرٌ ، وَذَلِكَ السَّرَارُ^(٥)
عَنْ هَذَا الْهَلَالِ أَبْدَرُ^(٦) ، وَذَلِكَ الْفَرَسُ لِهَذِهِ الْفَائِدَةِ أَثْمَرُ ، وَذَلِكَ الْبَدَلُ
لِهَذِهِ النَّفْسِ الْنَفِيسَةِ صَوَّرَ ، وَعَلَى قَالِبِهَا تَصَوَّرَ ، وَالْمَضْجَعُ فِي الْاسْتِيفَاءِ بَعْدَ

(١) : سورة الأعراف ٥٨ (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا) .

(٢) : الفدائق : على وزن سحاب وعداد : الثور أو الثوران يقرن بينهما للحرث جمع فدادين . وفي الأصل (الفدن) وقد أراد بالفدادين البقر كما يتبين من السياق .

(٣) : في الأصل (عالمها) .

(٤) : سورة النحل ٦٦ (وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَمَبْرَةٌ تَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بَطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرَثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِمًا لِلشَّارِبِينَ) .

(٥) : السرار : آخر ليلة من القمهر .

(٦) : أبدرنا : طلع لنا البدر أو سمرنا في ليلته .

ازْتَكَاذِهِ السَّابِقِ وَتَعْبِهِ مُسْتَحِقُّ الْمَثَلِ الْإِلَهِيِّ : كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ
بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا^(١) ، وَنَاهِيكَ بِهِ .

فَأُولَٰ هَذَا الْفَصْلِ آيَةٌ وَآخِرُهُ آيَةٌ أُخْرَى^(٢) .

وَفِي وَصَايَا التَّوْقِيعَاتِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْكَلَامَ النَّبَوِيَّ قَوْلِي فِي تَوْقِيعِ بَعْضِ
النَّظَارِ : « وَلْيُعْنَ بِأَمْرِ الْأَكْثَارَةِ ، فَإِنَّهُمْ عُتَارُ الْأَرْضِ وَالضِّيَاعِ ، وَقِيَامُ الْمَالِ
وَالْإِرْتِفَاعِ ، وَجُنْدُ السَّوَادِ ، وَأَوْتَادُ الْبِلَادِ ، وَلِيَسْمَلَهُمُ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ ،
وَلِيُؤْمِنَهُمْ بِوَأَثِقِ الْجُورِ وَالْإِجْحَافِ ، وَلِيَسَهِّلْ إِذْنَهُ عَلَيْهِمْ ، وَلِيُوَاصِلْ
إِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ ، فَالْكَثِيرُ مِنْهُمْ يَثْبُتُ وَيُقِيمُ بِالْبَشَرِ وَالطَّلَاقَةِ ، وَيَنْفِرُ وَيَقِرُّ
بِالْعُنْفِ وَالْفُظَّازَةِ ، وَالْإِسْتِقْصَاءِ عَلَى الرَّعِيَّةِ فِرَاقٌ ، وَفِي الْحِكْمَةِ النَّبَوِيَّةِ :
إِذَا لَمْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعَوْهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ . وَيَقَالُ إِنَّهُ لَيْسَ كَلِمَةُ أَجْمَعَ
لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْهَا » .

وَأَمَّا الْكِتَابَةُ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْأَمْثَالَ وَهِيَ مُرْصَعَةٌ بِالْوَقَائِعِ وَالْأَيَامِ وَالنَّسَكِ ،
فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي جُمْلَةِ تَوْقِيعِ : « وَأَهْمٌ مَا يُؤْمَرُ بِهِ وَإِنْ كَانَ شِيمَتَهُ ، وَآ كَدُ
مَا يُوصَى بِهِ ، وَإِنْ كَانَ خُلُقَهُ وَسَجِيَّتَهُ ، الِاسْتِمْرَارُ عَلَى مَا اشتهر بِهِ مِنَ الْأَمَانَةِ

(١) الْأَنْكَاثُ : جَمْعُ نَسَكٍ عَلَى وَزْنِ بَثْرٍ وَهُوَ الْغَزْلُ مِنَ الصُّوفِ أَوِ الشَّعْرِ يَرْمِي وَيَنْجِجُ
فَإِذَا خُلِقَتِ النَّسِيجَةُ قَطَعَتْ قِطْعًا صَغِيرًا وَنَسَكْتُ خِيوطُهَا الْمَبْرُومَةُ وَخُلِقَتْ بِالصُّوفِ الْجَدِيدِ
وَنَسَكْتُ بِهِ ثُمَّ ضُرِبَتْ بِالْمِطَارِقِ وَغُرِزَتْ ثَانِيَةً وَاسْتَعْمِلَتْ . وَمِنْ هَذَا نَسَكْتُ الْعَهْدَ وَهُوَ
نَقَضُهُ بَعْدَ إِحْكَامِهِ كَمَا تَنَسَكْتُ خِيوطَ الصُّوفِ الْمَقْزُولِ بَعْدَ إِبْرَامِهِ .

(٢) الْآيَةُ الْأُولَى (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ١٤١ .
وَالْآيَةُ الثَّانِيَّةُ (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) سُورَةُ النُّحْلِ ٩٧ .

التي فاز من تَدَرَّعَ بِأَثْوَابِهَا ، وتعلق بِأَسْبَابِهَا ، وتحلى بِسِمَطِهَا ووشاحها ،
وتَجَلَّى في لَأْلَاءِ إِضْبَاحِهَا ، وارتقى أعلى مراتبها ، واقتنى أَسْنَى مناقبها ،
وارتدى بِأَرْدِيَّتِهَا ، واجتَبَى بِأَنْدِيَّتِهَا . وَضِيرَ مَنْ نَصَا وَأَنْصَى رِكَابِهَا ، وَعِنْدَ
عن طريقها ، والقيام بحقوقها ، وباعها بِالثَمَنِ الْبَخْسِ ، وَوَكَسَ فِيهَا شَرَّ وَكَسَ ،
وَرَجَعَ بِالْجَدِّ الْمَنْعُوسِ ^(١) ، والحظ المنحوس ، والرأس المنكوس ، مُتَلَفِّفًا
في العاجل بشوب الْخِزْيِ وَالصَّغَارِ ، متعرضا في الآجل لِلنَّكَالِ وَالْبَوَارِ ،
فالحرّة لَا تَأْكُلُ بِثَدْيِهَا وَإِنْ جَاعَتْ ، ولو اضْطَرَّتْ إِلَى الدُّنْيَةِ لَمَا أَطَاعَتْ ،
وَرُبَّ أَكْلَةٍ هَاضَتْ ، وزِيَادَةٍ زِيدَ عَلَيْهَا فَفَاضَتْ ، وطالَمَا تَتُوبُ الْبِطْنَةُ
بصاحبها ، ثم يندم على سوء عاقبتها ، ومن أَكَلَ قَلِيلًا نَامَ قَرِيرًا ، وَالْثَرَى
من الْقَنَاعَةِ غَنَى وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا .»

فهذا الفصل يشتمل على أمثال عدة ^(٢) مع ما فيه ^(٣) من شرف الصنعة .

ومن ذلك ما قلته في توقيع بعض النظار بأعمال السواد : « وليجتهد في تربية
المزروعات ، ونسك كرتبة الأولاد ، وليحرسها من بوائق العيب والفساد .

(١) النعس ابن الرأى والجسم وضعهما وكساد السوق .

(٢) تجوع الحرّة ولا تأكل بثديها ، أى لا تكون ظئرا وإن آذاها الجوع . وأول
من قال ذلك الحارث بن سليل الأسدي ، وكان حليفا للعقمة بن خصفة الطائي ، فزاره فنظر
إلى ابنته الزباء وكانت من أجل أهل دهرها ، فأعجب بها ، فخطبها ، فاستمهلها عقمة ،
واستشار امرأته ، فاستشارت ابنتها ، ثم لم تزل بها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحارث ،
ورحل بها إلى قومه ، وبينما هو يوما جالس بفناء داره وهى إلى جانبه أقبل شباب من
بنى أسد ، فبسكت ، فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : مالى ولا شيوخ الذاهضين كالفرخ .
فقال لها : نسكتك أمك ، تجوع الحرّة ولا تأكل بثديها (جمع الأمثال للبيداني ٨٢/١) .

(٣) بالأصل (مما يه) .

وليستكثر من نواطيرها^(١) وسقَاتِها، في تطَوَّافِه عليها بنفسه في معظم أوقاتها ،
 ففضيلة العمل في استِتمامِه ، والهلل حَسَنٌ وليس كحُسْنِه لتمامه ، وليهتَمَّ
 بإصلاح (السكور) و (البريدات) و (الرؤف) و (المراتات) ليأمن عليها
 من الانفتاح والانفجار ، وتأسيس أساسها على شَقَا جُرْفِ هار . وليكن
 من الاعتناء بها والاهتمام بحيث يَحْلُمُ بها في المنام ، ويتخيلها في الأحلام ، فإن
 الزلل فيها مذهبُ الأموال ومُتَجَنِّح الرعية ، وهى من المصالح السكّية ، لامن
 المحَقَّرَات الجزئية ، فإياه أن يستصغر منها الصغير ، أو يستحقّر الحَقِير ، فرب
 أَمْرٍ قَلَّ ثم جَلَّ ، وفي المثل أولُ الغَيْثِ طَلٌّ^(٢) .

فهذا الفصل يشتمل على أمثال مأخوذة من الشعر ، فمنها من قول أبي تمام

هذا الهلالُ يَرُوقُ أَبْصَارُ الورى حُسْنًا وليس كحُسْنِه لتمامه^(٣)

ومنها من قوله أيضا :

وأزرقُ الفجرِ يبدو قبل أبيضِه وأوّلُ الغيثِ طَلٌّ ثم يَنْسَكِبُ

ومن ذلك قولى في هذا التوقيع : « وإياه أن يَسْلُكَ في حِرَاسَةِ الأُمُوالِ مَسْلَكَ

المداهنة ، أو يذهب في السياسة مذهب الإغضاء والملاينة ، فتَضَيِّعُ حركاتُه ،

(١) النواطير : جمع ناطور وهو حارس الكرم والنخل .

(٢) الطل : المطر الضعيف .

(٣) من أبيات في مدح إسحاق بن أبي ربيع أولها :

لولا أبو يعقوب في إبرامه سبب الملا لانحل ثنى زمامه

الديوان ٢٦٩/٣ .

وَتَذْهَبُ حَسَنَانَهُ ، وَيَصْبَحُ كَالَّتِي أَرَأَتْ سَجَلَهَا^(١) أَوْ يَصْبَحُ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا ، وَيَكْثُرُ الْعَبَثُ وَالْفَسَادُ ، وَيَسْتَحْكُمُ الطَّيْعُ وَيَزْدَادُ ، فَأَذْعَى الْأَشْيَاءُ إِلَى انْحِلَالِ النِّظَامِ وَضَعُ الصَّفْحِ مَوْضِعَ الْإِنْتِقَامِ .

وَلْيَنْتَصِبْ لَاسْتِيفَاءِ الْأَمْوَالِ وَحُلِّهَا ، فَقَدْ عَلِمَ أَنَّهَا الثَّمَرَةُ الْمُنْتَظَرَةُ ، وَالْعَايَةُ الْمُرْتَقِبَةُ ، وَالزُّبْدَةُ الَّتِي تَمُخَضُ عَنْهَا هَذِهِ الْحَرَكَاتُ ، وَالنَّاتِجَةُ الَّتِي تَقْدُمُ لَهَا هَذِهِ الْمَقْدِمَاتُ ، فَلْيُوَاصِلْ بِهَا مُوَاصِلَةً يَخْفَى جَنَاهَا ، وَيَحْمَدُ عِنْدَ الصَّبَاحِ سُرَاهَا ، وَلْيُطَالِعِ الدِّيَّانَ الْعَزِيزَ بِجَارِي أَحْوَالِهِ ، وَمُصَالِحِ أَعْمَالِهِ ، لِيَذَبَّرَ مِنْ آرَائِهِ الْعَالِيَةِ ، وَتَقَدُّمَاتِهِ السَّامِيَةِ ، بِمَا يُبَصِّرُهُ وَيُرْشِدُهُ ، وَيُوقِّعُهُ وَيُسَدِّدُهُ ، وَيَحْمِيهِ مِنْ مَوَارِدِ الرَّدَى ، وَيَجْعَلَهُ مِنَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا وَزَادَهُمْ هُدًى .

فَهَذَا الْفَصْلُ يَتَضَمَّنُ آيَتَيْنِ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَهِيَ « كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْسَاكُهَا^(٢) » وَ « الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى^(٣) » .

وَيَشْتَمِلُ عَلَى أَمْثَالٍ شَعْرِيَّةٍ وَهِيَ قَوْلُ الْمُتَنَبِّ :

وَوَضَعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السِّيفِ بِالْعَلَا

مَضِرٌّ كَوْضَعِ السِّيفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى^(٤)

(١) السَّجَلُ : الدَّلِيلُ .

(٢) سُورَةُ النِّجْلِ ٩٢ .

(٣) سُورَةُ مُحَمَّدٍ ١٧ .

(٤) مِنْ قَصِيدَتِهِ فِي مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَنَهْنِئَتِهِ بِالْعَيْدِ ، مَطْلَعُهَا :

لِسُكْلِ أَمْرٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا وَعَادَاتِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطُّغْيَانِ فِي الْعَدَا
الدِّيَّانِ ١٩١/١ .

وقول الآخر : عند الصباح يحمد القوم السرى^(١) .

ومن ذلك ما قلناه في توقيع بعض كتاب الأعمال : « وليرتب بديوان المعاملات
نائباً جلدأ يثق بأمانته ، ويطمئن إلى كفايته ، يقوم مقامه ، ويسد مسدده ، فإنه
لا غنى له عن المساعد على أئقاله ، والمعاذله في جميع أحواله ، فالوادي لا يزخر
بغير شعابه^(٢) ، والبيت لا يقوم إلا بعمده وأطنابه^(٣) ، والسيف يحتاج إلى
القائم^(٤) ، والخواري عُدَّة للقوادم » .

فهذا الفصل يتضمن أمثالا شعرية منها قول أبي تمام :

فاضمم قواصيصهم إليك فإنه لا يزخر الوادي بغير شعاب
والسهم بالريش اللوام ولن ترى بيتا بلا عمد ولا أطناب^(٥)
ومنها قول بشار :

(١) قال للفضل : أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر وهو باليمامة
أن سر إلى العراق ، فأراد سلوك المغازة ، فقال له رافع الطائي قد سلكتها في الجمالية ،
ولا أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل الماء ، فاشترى خالد مائة شارب ، فعطشها ثم سقاها
الماء ثم كتبها وكم أفواهاها وسلك للمغازة بها ، فلما مضى يومان نحر الإبل واستخرج
ما في بطونها من الماء ، فسقى الناس والحيل ومضى ، وبعد أربعة أيام بدا لهم الصدر ، فقال
خالد : عند الصباح يحمد القوم السرى (مجمع الأمثال ١/ ٣٠٣) .
(٢) شعاب الوادي : جمع شعب بكسر السين وهو الطريق في الجبل ومسيل الماء
في بطن أرض .

(٣) الأطناب : جمع طناب بضم الطاء والنون وهو حبل طويل يشد به مرادق البيت
وهو أيضا الوند .

(٤) قائم السيف : مقبضه .

(٥) من قصيدته في مدح مالك بن طوق النخعي ، مطلعها :

لو أن دهرنا رد رجح جواب أو كلف من شأوبه طول عتاب

الديوان ١/ ٩٤ .

اللوام : الذي يلائم بعضه بعضا ، وذلك أجود الريش عندهم .

ولا تجعل الشورى عليك غضاظة فإن الخوافى عدة للقوادم

وما خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الْغُلَّ أَخْتَهَا وما خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ^(١)

ومن ذلك ما قلناه في هذا التوقيع أيضا وهو :

« وليباشر بنفسه ، أو من يقوم مقامه كل ما يَسْتَوْفِي وَيُحَرِّرُ وَيُقَرِّرُ وَيُحْلُ
وَيَعْقِدُ ، وَيَسْتَظْهِرُ عَلَى الْأَمْوَالِ الْمُسْتَوْفَاةِ بِحَقِّهِ ، وَيَضْبِطُ الْحَقُوقَ بِعَمَلِهِ وَعِلْمِهِ ،
فهو الشاهد المصدق في النَقْضِ وَالْإِبْرَامِ ، وَحَذَامِ فِي صِنَاعَتِهِ ، وَالْقَوْلِ مَا قَالَتْ
حَذَامُ^(٢) » وموضع المثل من هذا الفصل والبيت الذي فيه معلومان .

ومن ذلك قولي في هذا التوقيع أيضا عند وصية الكاتب بقوانين وقواعد
يعتمدها في هذا الحساب وَرَفَعِهِ : « ولا حاجة له إلى أن يُجَرِّىَ له في هذا الباب
ما يَتَّبِعُهُ وَيَقْفُوهُ ، وَلَا يُصْثَلُ له ما يَطَأُ عَقْبَهُ وَيَتَلَوُّهُ ، فَفِيهِ تَقَرُّعُ

(١) من قصيدة له أُلْحِدَهَا إبراهيم بن عبد الله بن حسن .

الأغاني ٢٩/٣ .

(٢) أي القول السديد العتد به ما قالته ، وإلا فالصدق والكذب يستويان في أن

كلا منهما قول .

يضرب هذا المثل في التصديق : قال ابن الكلبي : إن للمثل للجب بن صعب والد حنيفة
وعجل ، وكانت حذام امرأته فقال فيها زوجها الجب :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

مجم الأمثال ٣٥/٢ .

له العَصَا^(١) ، وسواه يُقَعِّمُ له بِالْحَصَا ، والعَوَانُ لَا تُعَلِّمُ الْحِمْرَةَ^(٢) ،
والْفَطِنُ^(٣) لَا يُوصَى إِلَّا مَرَّةً . وإذا احتاج الحُسامُ إِلَى النِّمْدِ والجَوَادُ إِلَى
الهِمَز ، فهو^(٤) الْغَنِيُّ بِرُشْدِهِ عن الإرشاد ، وابن جَلَا وَطَّلَاعُ النَّجَادِ^(٥) .
هذا الفصل يتضمن أمثالا عدة منها : فغيره يقرع له بالعصا ، من
قول الشاعر :

لدى الحلم قبل اليوم ما تَقَرَّعُ الْعَصَا وما عُلِّمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا

(١) قال ابن الأعرابي : أول من قرعت له العصا عامر بن الظرب المدونى — وقيل
غيره — وكان من حكماء العرب لا تعدل بفهمه فهما ولا بحكمه حكما . فلما طعن في السن
أنكر من عقله شيئا ، فقال لبيته إنى قد كبرت سنى وعرض لى سهو ، فإذا رأيتمنى
خرجت من كلامى فأقرعوا لى الجين بالعصا . وهو الذى يريد المتلصص بقوله :

لدى الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الإنسان إلا ليطلما
وللمثل يضرب لمن إذا نبه انببه (مجمع الأمثال ١/٢٥) .

(٢) بالأصل (القران) . والعوان هى المرأة المُنزوجة . والخمرة الاختار أى أنها
لا تحتاج إلى من يعلمها وضع الحمار . يضرب المثل للرجل الجرب (مجمع الأمثال ١/١٣) :
(٣) فى الأصل (الكفن) .

(٤) فى الأصل (فهى) .

(٥) يضرب للمشهور المتعالم ، وهو من قول سحيم بن وثيل الرياحى :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع الهامة تعرفونى

وتمثل به الحاج فى خطبته بالكوفة . قال بعضهم ابن جلا النهار ، وحكى عن عيسى
ابن عمر أنه كان لا يصرف رجلا يسمى بضرب (فعل ماض) ، ويحتاج بهذا البيت ،
ويقول : لم ينون جلا لأنه على وزن فعل . قالوا : لا حجة له فى البيت لأن الشاعر أراد الحكاية
فحكى الاسم على ما كان عليه قبل التسمية . وتقديره أنا ابن الذى يقال له جلا الأمور وكشفها .

وذو الحلم هو عامر بن الظرب المدوناني حكيم العرب ، وقصته مشهورة ، وكذلك الفطن لا يؤصى إلا مرة .

وأما ابن جلا وطلاع النجاد فمثل شعزى أصله قول القائل :

أنا ابن جَلَا وطلَّاعُ الثَّنايا متى أضعَ المِمامَةَ تعرفوني

ومن ذلك ما كتبه في توقيع كاتب آخر وهو « حيث تَوَقَّلَ (من) »^(١) هذه الصناعة قلَّلها ، واجتَابَ^(٢) ملابسها وحُلَمَها ، وكشفت التجربة أنه ابنُ بَجْدَتِها ، ورضيع دِرَّتِها وجُهَيْنَةُ أخبارها ، وجَوَادُ مضارها ، ونَسَجُ وحْدِها ، وصَمَصامة غُدِّها ، واشتهرتُ عنه الأمانةُ التي تَقَمَّصُ بُرْدَها ، واستلان سُبُلِها^(٣) ، ونهج طريقها ، وحمى حقيقتها .

وفي هذا الكلام أمثال كثيرة ، وألفاظ تجري مجرى الأمثال^(٤) :

ومن ذلك ما كتبه في وصايا توقيع بعض النظار وهو : « الحركة الدائمة التي

(١) كان بالأصل تحريف في كلمة (توَقَّل) وأضفنا (من) ليستقيم المعنى .

(٢) كانت الكلمة في الأصل (وأحباب) فرجعنا أنها اجتاب بمعنى قطع وفصل .

(٣) في الأصل (واستلام شبلها) فرجعنا هذا التصويب .

(٤) عند جهنية الخبر اليقين . مثل له قصة طويلة من هشام بن الكلبي .

وقال الأصمعي وابن الأعرابي هو جفنية بالفاء ، وكان عنده خبر رجل مقتول ، وفيه يقول الشاعر :

تسائل عن أيها كل ركب وعند جفنية الخبر اليقين

فسألوا جفنية فأخبرهم خبر القتل ، وقال بعضهم هو جفينة بالخاء .

يضرب في معرفة الشيء حقيقة .

بجمع الأمثال ١/ ٣٠٤ .

ابن بجدة : البجدة الأصل ودخلة المعنى وباطنه ، وعنده بجدة ذلك أي علمه .

يقال للعالم بالشيء وللدليل الهادي .

تذهب الكلال ، وتُرْهِفُ السَّكِيلَ ، وتنزع الغُلَّ وتَشْفِي الغَلِيلَ ، وتُعْقِبُ الراحة ، وإن عَجَلَتْ النَّصَبَ ، وتُقَوِّمُ الأعمال مقام الدواء للوَصَبِ . فليسكن لها ملازما ، وعليها مواظبا ، ولمهاد الدَّعة وجانب السَّكَلِ مُجَانِبا ، فمن لم تُسَوِّدْ البَيِّدَاءَ لم تُسَوِّدْ العَلِيَاءَ ، ومن لم تَلْفَحْ جِسْمَهُ السَّائِمُ لم تُبَيِّضْ وجهه المكارم .

وهذا مأخوذ من قوله :

ما ابيضَّ وجه المرء في طلب العلا حتى يسود وجهه في البيد
ومن ذلك قولى في هذا التوقيع لناظر قد رتب على زراعة غيره ، وأمر بتربية ذلك المزروع وهو : « وبتربية المزروعات لسنة كذا الخراجية ، وترتيب النواطير والحفظة لها ، وتعاهدُها بالسقى عند حاجتها . فليكن معظمُ زمانه مصروفاً إليه ، وموقوفا عليه ، فهذا الارتفاعُ إن لم يكن غارسهُ فهو حارسهُ ، وإن كان قد سبقه إنشاءؤه وابتدأؤه فعليه تربيته وإتمامؤه ، فالأعمالُ بختامها ، والمبادئُ بآتمامها ، وليس البناءُ لمن وَضَعَ أُسَّهُ ، بل لمن كَمَلَهُ ، ولا الصيدُ لمن أثاره ، بل لمن حَصَلَهُ . »

في هذا الكلام من الأمثال المشهورة قولهم : « الأعمالُ بخواتيمها » ، ومن الأمثال النبوية قوله : ليس الصيدُ لمن أثاره ، بل لمن حصله .

ومن ذلك قولى في هذا التوقيع توصيةً بالمعاملات لسنة كذا الخراجية :
« فليضاعف رجالها ، وليعمر أعمالها ، فهو مُفْتَتِحُ ارتفاعه ، وبسكر خِدْمَتِهِ ،
(م - ١٠ - المثل السائر ج ٤)

والشاهد على وفور اجتهاده ، وعلو همته ، وعليه الاعتماد والمعول ، فليحذر
أن يقال إذا ما أول . »

هذه إشارة إلى البيت المشهور الذى قد صار مثلاً وهو :

إذا ما أول الخطى أخطا فلن يرجى لآخره انتصار
ومن ذلك قولى : « فليحكم بُنيانها ، وليشيّد أركانها ، ليستتر عوارها ،
ويأمن انفجارها ، وتثبت تحت المياه عند طغيانها ، وتقوى على تمردها
وعصيانها . وليحذر عاقبة الهويناء فيها ، ومغبة الإهمال لأمرها ، فالدخان
تلهب ناره ، والشر تبذو صفاره . »

هذان مثالان مشهوران قد وقعا فى هذا الكلام موقعهما .

ومن ذلك ما قلته فى الوصاة بالأكرّة^(١) : « والاكرّة فهم جنده الذى
به يحارب ، وسيفه الذى به يضارب ، فليُسجح فى ملكته^(٢) ، وليُنصف
ضعيفهم فى معاملته ، وليؤفرّ عليهم حصصهم وحقوقهم ، وليخفف ما استطاع
رسومهم وطسوقهم^(٣) ، فهم جند الرغبة ، لاجند الرهبة ، وعبيد البر والإحسان ،
لا عبيد الظلم والظفیان . ومن طوق الأجياد ، فقد أوثق الأقياد ، ومن
لم يملك القلوب لم يملك الأجساد . والأكرّة جند لا تزال البلاد ساكنة

(١) الأكرّة : جمع أكار وهو المرات .

(٢) الملكة : حركة الامتلاك مع القدرة على الاستبعاد .

(٣) الطسق بالفتح ما يوضع من الخراج على الأقدنة أو شبه ضريبة معلومة .

آمنة ، ما سكتوا وأمنوا ، وفي الحكمة القديمة : استوصوا بأهل الخراج ، فلا تزلون سماناً ما سمنوا .»

في هذا الكلام من الأمثال قولهم : ملكت فأسجج^(١) ، وقول أردشير بن بابك : استوصوا بأهل الخراج فإنكم ماترلون سمانا ما سمنوا . وفيه نظر إلى قول المتنبي :

وقيدت نفسي في هواك محبةً ومن وجد الإحسان قيداً تقيداً^(٢)

ومن ذلك ما صدرت به توقيعاً في تقرّظ بعض النظار وهو : « لما كان فلان من الرجال الأفراد الذين عليهم الخناصر تُعقّد ، وإذا طلبت النظائر مثلهم تعرّض وتفقّد ، وكانت شمائله وشواهد تفتق عنه بالكفاية ولو لم يُخبر ويُشهد ، له مخايل الفراسة بخصائص النجابة ، وقد دلت سوابق الاختبار له على حسن الاختيار ، وإثبات سؤالف مآثر خدماته على حميد الآثار ، واستحقاق الإيثار . وكان الديوان العزيز قد بلّاه في حالتي عمله وعظّمته ، وعرف ما تنطوى عليه أنباء برّديّه في يوم فقره وثرّوته ، وكان في أيام خدماته

(١) الإسجج : حسن العفو ، أى ملكت الأمر فأحسن العفو . وأصله السهولة والرفق . قال أبو عبيدة : يروى من عائشة أنها قالت لعل يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كلمها بكلام : ملكت فأسجج . فجهرها عند ذلك بأحسن جهاز ، وبعت معها أربعين امرأة ، وقيل سبعين حتى قدمت المدينة .
(بجمل الأمثال ١٥٨/٢) .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة وتمنّيته بعيد الأضفى ، مطلعها :
لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطمن في العدا
الديوان ١٩٤/١ .
وكان في الأصل (ومن قصد الإحسان) فأصله من الديوان .

الرجل السهم الذي ينفذ نفوذ السهم ، ويدرك بحسه الثاقب خفي الوهم
إذا سقى به أرضاً صابها^(١) ، وإن رمى به رمية أصابها ، وإن عالج تدبيره
معاملة سقيمة أبرأ أو صابها .

هذا إلى ما خص به من سياسة تمنع خطاب الضمير ، فضلاً عن خطوات
التدبير ، وإمانة ضم عليه إهابها ، وسمع قرقة جلبابها ، وضفاً عليه
سر بالها ، وتخب وراءه أذيالها . ومن أيام عطفته رب الصيانة التي لا تجحد ،
ومدخر القناعة التي هي كنز لا ينفد ، والصابر على البؤس بل على العطب ،
بل لا يصبر على النار إلا خالص الذهب . فرأى الديوان العزيز إعادة النظر
بالمعاملات الفلانية إليه ، والتعويل في إصلاح فاسدها وتقويم مائدها عليه .
علماً أنه قد سلم القوس إلى باريها ، وأضاف العقيلة إلى كفئها وكافها .
في هذا الكلام من الأمثال والنكت الرائقة ما لا خفاء به .

ومن ذلك قولي في هذا التوقيع من الوصايا : « وليهم أولاً بحفظ البذور التي
هي رأس المال ، وذخيرة الأعمال ، والعروس التي تجتني ثمارها ، والبضاعة التي
إذا حُرست أمن بوارها ، والتفريط في القليل عنها ليس بقليل ولا قريب .
وفي المثل : كم بذى الأثل دوحة من قضيب^(٢) ، وليتخيرها خالية من الغش

(١) صابت السماء : أمطرت ، وجادت الأرض ، فهو لازم ومتعمد كما في تاج العروس
مادة صوب .

(٢) الأثل : شجر واحدته أثلة وهي السمرة أو شجرة من الغضاء طويلة مستقيمة
تعمل منها القصاص والأفداح . الدوحة : الشجرة الضخمة . القضيب : الفصن . والمعنى كم من شجرة
ضخمة أصلها فرع صغير .

والدَّغْل ، فالغشُّ في المتاجر الدنيوية ، والغش في المتاجر الدينية ، كلاهما يُبْصَل
العَمَل ، ومن هَوْنٍ في البَذْرِ فَيَوْمَ الحَصَادِ يَنْدَمُ ، وكل امرئ على ما قدم
يُقَدِّمُ ، ولا يتولد عن المعلوم إلا العدمُ ، ومن أشبه أباه فما ظلم ^(١) .

هذا الفصل ينشعب شعبا ، فنه ما يَنْزِعُ إلى الخير النَّبَوِيُّ وهو قوله
« وإنكم لتقدمون على ما قدمتم » ، ومنه ما هو مأخوذ من قول القائل :

إذا أنت لم تَزْرَعْ وأدركتَ حاصدا
ندمتَ على التَّقْصِيرِ في زَمَنِ البَذْرِ
ومنه ما يَرْجِعُ إلى قوله أبي تمام :

لا تَذِلْنَ صَفِيرَ هَمِّكَ وانظر
كم بذى الأثل دوحةً من قضيب ^(٢)

(١) مثل معناه أن من أشبه أباه لم يضع الشبه في غير موضعه ، لأنه ليس أحد أولى
به منه بأن يشبهه . ويجوز أن يراد فا ظلم الأب أى لم يظلم حين وضع زرعه حيث أدى
إليه الشبه . وكلا القولين حسن .
(بمع الأمثال ١٧٠/٢) .

(٢) لا تذلين : لا تهملن . الهم : الحزن أو الهم . الأثل : شجر معروف يعظم
ويكبر ، أى لا تهمل نظرك في صغير همك ؛ فإن كان خيرا فإنه يثمر وتعلم المنفعة به ، وإن
كان مما يحذر فإنه لا يؤمن أن يتفاهم .

وهذا المعنى قصدته نهشل بن حري في قوة :
قال الأقارب لا يفررك كثرتنا وأغن شأنك هنا أيها الرجل
على بنى يشد الله أزرهم والنبي يذبت قضباننا ويكتهل
وبيت أبي تمام من قصيدته في مدح سليمان بن وهب التي مطلعها :
أى مرعى عين ووادى نسيب لحبته الأيام في ملحوب
الديوان ١٢٧/١ .

وانصبت كلمة (دوحة) مع أنها تميز اسم الخيرية ، لأن من شروط جر تمييزكم الخيرية
الاتصال ، فإن فصل نصب تمييزها حلا على الاستفهامية ، وذلك جائز في السعة ، والصحيح
اختصاصه بالشعر (حاشية الصبان على الأشموني) .

وقد دخل فيه أيضا المثل السائر : من أشبه أباه فما ظلم .

وقولى « ولا يتولد عن المعدوم إلا العدم » نكتة كلامية^(١) .

وقولى « إن الفش الديوى كالفش الدينى كلاهما يبطل العمل » ، لا يخفى ما فيه من الخلاوة مع لطف الصنعة .

ومن ذلك قولى فى الوصاة بحراسة الارتفاع وهو : « وحراسة الفلآت عند الإدراك والحصاد ، وإظهار الورعة التى تُشرد بالرقاد ، وتُغنى عن تجريد السيوف من الأغمد . فأنت رضيع لبانها ، لا شريك عنانها^(٢) ، والمضروبة بين أمثاله الأمثال ، والمنقوضة لديه الأحلاس ، والمحطوطة إليه الرحال . وسبيلك الأخذ على الفتيل والنقى ، وألا يحتقر فى هذا الباب ما هو أحقر من الحقير ، فقليل الجناية يدعو إلى كثيرها ، وربما تهاج كبيرات الأمور بصغيرها ، والشراك بالشراك^(٣) يتصل ، ومن الذود إلى الذود إبل » .

فى هذا الفصل من الأمثال والنكت قولهم : هما رضيعا لبان^(٤) ، وقولهم : هما شريكا عنان . ومن بيت الحماسة :

« يهيج كبيرات الأمور صفارها »^(٥) .

(١) من اصطلاح علماء الكلام .

(٢) العنان فى الشركة أن تكون فى شىء خاص دون سائر ما للشريكين ، أو هو التساوى فى الشركة ، لأن عنان الدابة له طائتان متساويتان .

(٣) الشراك : سير النمل .

(٤) يقال هو أخوه لبان أمه ، لأن اللبان بالكسر الرضاع ، قال يعقوب وابن السكيت لا يقال لبان أمه ، لأن اللبان الذى يشرب . وفى الأمثال هما فرسا رهان ورضيعا لبان .

(٥) لشبيب بن البرصاء :

وبيت البحترى :

من لَفًا هذا إلى محسوس ذا ومن الذَّوْدِ إلى الذَّوْدِ إبل^(١)

ومن ذلك ما قلته من الوصاء بتخير النواب والعمال وهو : « والمستنابون بالأعمال فهم اليدُ الباطِشَةُ ، والرَّجُلُ السَّاعِيَةُ ، والعَيْنُ الباصِرَةُ ، والأُذُنُ الواعِيَةُ ، وأنتَ لهم بمنزلة الجسدِ ذى الأدَوَاتِ ، والقلبُ المستعملُ للأعضاء والآلات ، فإذا صَحَّحُوا كُنْتَ الصحيح السليم ، وإذا سَقَمُوا كُنْتَ المريض السقيم ، لأنهم أجزاءك وأبغاضك ، فصحتهم صِحَّتُكَ ، وأمراضهم أمراضُكَ . فَأَذْكُ عليهم عُيُونَ التَّطَلُّعِ ، ولا تُخْلِمُهم من التَّصَفُّحِ والتَّنَبُّعِ ، واجملهم نُصَبَ عَيْنِكَ ، وتجاهَ ناظرك ، وتلقاء وجهك ، وإزاء خاطرك ، فمن كان أميناً أَقْرَبَتْهُ وَأَدْنَيْتَهُ ، ومن شككت فيه طَرَدَتْهُ وَأَقْصَيْتَهُ ، ومن ثَبَّتَ عليه هَفَوَتْ ، أو صَحَّتْ عليه عَثَرَتْ أو كَبُوتْ ، فسبيلك أن تَنَكَّلَ به ، وتبالغ في حُسْنِ أدبه . ولا تَسْلُكْ في ذلك مَسْلَكَ الجاملة والمُذَاهَنَةِ ، فما كُلُّ وقتٍ تصلح

= وإن لترك الضغينة قد بدا تراها من المولى فاستبهرها
خافه أن تجنى على وإنما يهيج كبريات الأمور صغيرها
(شرح المرزوق ١١٢٣/٣) .

(١) في الأصل (من لَفًا هذا إلى محسوس ذا) . والتصويب من الديوان .
وقبل البيت قول البحترى :

أصل النزر إلى النزر وقد يبالغ الحبل إذا الحبل وصل
ديوان البحترى ٢١٥/١ .

اللفاء : على وزن سماء التراب وكل خسيس حقير يسير . محسوس : من خس فلان
يصيب فلان إذا جعله خسيساً دينياً حقيراً .

الذود : من ثلاثة أبخرة إلى عشرة أو خمس عشرة أو عشرين أو ثلاثين أو ما بين
الثنتين والتسع . وقولهم (الذود إلى الذود إبل) يدل على أنها في موضع اثنتين لأن الثنتين
إلى العنتين جمه (القاموس المحيط مادة ذود) .

الملائنة ، وليس كلُّ ذنبٍ يَحْتَمِلُ الإغضاءَ والطَّيَّ ، ومن الأمراض ما لا يُحْسَمُ
إلا بالكسَى ، وأفسدُ الأشياءِ لقانونُ الرِّياسَةِ وَضْعُ الصَّفْحِ مَوْضِعَ السِّيَاسَةِ ،
وأدعى الأشياءِ إلى انحلالِ النِّظامِ ، الصَّفْحُ عن ذوى الذنوب والأجرامِ .
وهذه الأخيرة ، قد تقدم نظيرُها ، وهو قولنا : فأدعى الأشياءِ إلى انحلالِ
النِّظامِ ، وَضْعُ العَقْوِ مَوْضِعَ الاتِّقَامِ ، وقد ذكرنا بيتَ أبى الطيب الذى
أخذناها منه ^(١) .

ومن ذلك قولى فى خاتمة الوصايا فى هذا التوقيع : « ولا حاجةَ لنا مع كمالِهِ
وسدادِهِ ، وهَدْيِهِ المُجْمَعِ عَلَيْهِ وَرِشَادِهِ ، إلى استِقْصاءِ ما فى الوصايا والأوامِرِ ،
ولوتيقنَ الكنايةَ لقال فيها كم تَرَكَ الأوَّلُ للآخرِ ، فهو يَخْتَرَعُ من محاسنِ
التَّصَرُّفِ من الخِدْمَةِ ما يَعْجِزُ عنه الكبيرُ من أربابِ السِّيَاسَةِ والتدبيرِ ،
ويستنبطُ بِخَبْرَتِهِ ما يستغنى به عَمَّنْ يُرْشِدُهُ ، ولا يَنْبَغُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » ^(٢) .
فآخر هذا الفصل من الكتاب العزيز ، وصدره مَثَلٌ شعري نظمهُ أبو تمام
فقال :

لازَلْتَ من شُكْرِي فى حُلَةٍ لا بُسَها ذو سَلَبٍ فَاخِرِ
يقول من تَقَرَّعُ أَشْياءَهُ كم تَرَكَ الأوَّلُ للآخرِ
ومن ذلك قولى فى هذا التوقيع : « وليطالعِ الديوانَ العزیزَ بِأَحْوالِ عَمَلِهِ

(١) البيت الذى يريدُه هو :
وضع الندى فى موضع السيف بالملا مضر كوضع السيف فى موضع الندى
(٢) سورة فاطر ١٤ .

(٣) من قصيدته فى مدح أبى سعيد التى مطلعها :
قل للأُمير الأرحمى الذى كَفاه للبادى وللحاضر
الديوان ١٦١/٢ .

في أوقاتها ، من غير إزجاء يُفَضِّي إلى فَوَاتِهَا ، مستمداً من تديره الصَّائِبِ
وَرَشْدِهِ ، ما يُبَصِّرُ به سَبِيلَ قَصْدِهِ ، وَمُسْتَنْجِداً من رأيه النَّاقِبِ ما إذا شَدَّ
بِرَزْنِهِ ضَرْبَ بِنَصْلِ يَقْطَعُ الهَامَ من غَدِهِ .

هذا يتضمن من الأمثال الشعرية قول أبي الطيب المتنبي :

إذا شَدَّ رَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ في بَدِي ضَرَبْتُ بِنَصْلٍ يَقْطَعُ الهَامَ مُنْعَمًا^(١)

ومن ذلك قولي في توقيع بعض مُشْرِ في الأعمال في ذكر الأمانة : « فإنها
الدَّرْعُ التي تَسْخَرُ بالنِّبَالِ ، وَتَهْزَأُ بالنِّصَالِ ، وتضمن سلامة دَارِ عَمَّا يَوْمُ
النِّزَالِ . وَقَلَّ مَنْ أَصْبَحَ منها حَاسِرًا ، إِلَّا وَأُمْسَى في صَفْقَتِهِ خَاسِرًا ، أَوْ كَانَ
لَهَا مُجَانِبًا ، إِلَّا وَنَزَلَ عن السَّعَادَةِ جَانِبًا ، فالأمانة سِرُّ المَرْءِ وَجَوْهَرُهُ ، وباطنُ
الإنسان وَخَبِيرُهُ ، وبها يُسَيِّدُ على شَرَفِ نَفْسِهِ وِدْيَانَتِهَا ، ومنها يُعْلَمُ ثَمَنُهَا
ومقدار قيمتها ، فإن كَمَلَتْ وَتَمَّتْ دَلَّتْ على عِزَّةِ النَفْسِ وَعُلُوِّهَا ، واحتقارها
لدُنْيَا الحُطَامِ وَسُمُوِّهَا ، وإن نَقَصَتْ أَبَانَتْ عن لُزْمِ المَرْءِ وَنَقَصِهِ ، وكشفتْ عن
شَرِّهِ وَحِرْصِهِ ، فَيَسْتَسْلِفُ عاجلاً أَقْبَحَ الذِّكْرِ ، ويتحمل آجلاً أَثْقَلَ الوِزْرِ ،
وَقَلَّ أَنْ يَعْدَمَ بينهما تَقْدِيمُ المَقْبُوبَةِ وَتَعْجِيلُهَا ، وطروق الحَادِثَةِ وَحُلُولُهَا ،
فلتَكُنْ عِصْمَةَ اللَّهِ مِمَّنْ يَسْتَشْهِرُ الحَذَرُ ، وبشاهد الأشياءِ بالبصيرة قبل
مشاهدتها بالبَصَرِ . »

وفي أول هذا الفصل معنى قول الراجز ، وقد صار مثلاً :

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

أسلُ امرئٍ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في المدا
الدوان ١٩٣/١ .

وَنَثْرَةٌ^(١) تَهْرَأُ بِالنِّصَالِ كَأَنَّهَا مِنْ خِلْعِ اللَّهْلَالِ

ومن ذلك قولى فى هذا التوقيع : « غير مستهين بالنزر اليسير ، ولا مُغض عن الأمر الحقيق ، ولا مسامح فى الفتيل ولا النقيير ، فقد يهذى الأبوُسُ الغُوَيْرُ ، وكم مطرٍ بدؤه مُطَيَّرٌ » .

فى هذا الكلام ثلاثة أمثال : أحدها الفتيل^(٢) والنقيير^(٣) ، والثانى قولهم عسى الغُوَيْرُ أبوَسًا^(٤) . وقد نظمه أبو تمام فقال :

أَهْدَى لَهَا الْأَبُوسَ الْغُوَيْرُ كَمْ مَطَرٍ بِدَوِّهِ مُطَيَّرٌ^(٥)

ومن ذلك قولى فى توقيع لبعض المشرفين أيضا : « سكونا إلى تدْرِثِهِ من العِفَّةِ والنزاهة بأوفى جَنَّةٍ ، والاعتصام من حولهما وقوتهما بأتم حَوْلٍ ، وأعظم مُنَّةٍ ، واتحادهما ألزَمُ فَرَضٍ وآكدُ سُنَّةٍ ، فليواظب على حَجِّ كَعْبَتَيْهِمَا ، والتوجه إلى قِبَلَتَيْهِمَا ، والتدبُّين بِشَرَعَيْهِمَا ، والسلوك فى شِرْعَتَيْهِمَا ، وليستمر

(١) النثرة : الدرع المساء أو الواسعة .

(٢) الفتيل : السحاة التى فى شق النواة .

(٣) النقيير : النسكة فى ظهر النواة .

(٤) الغوير : تصغير غار . الأبوَس : جمع بوَس وهو الشدة . وأصل المنزل فيما يقال من قول الزباء حين قالت لقومها عند رجوع قصير من العراق ومعه الرجال وبات بالغوير على طريقه : عسى الغوير أبوَسا . أى لعل الشر بأتيتكم من قبل الغار . وجاء رجل إلى عمر ابن الخطاب يحمل لقيطا فقال عمر : عسى الغوير أبوَسا . قال ابن الأعرابي إنما عرض بهذا الرجل ، أى لملك صاحب اللقيط . ونصب أبوَسا على معنى عسى الغوير يصير أبوَسا . وقال أبو على جمل عسى بمعنى كان وتزل منزلته . بضرب للرجل يقال له لعل الشر جاء من جهتك .

يجمع الأمثال ٣١٢/١ .

(٥) لم نغتر على النص بدووانه .

على التَّغَشَّى بِبُزْدَمَا أَلْسِنِي ، وَالتَّمَرُّي عَنْ ثُوبِ الْإِسْفَافِ الدَّنِيِّ ، وَلِيَكُنْ
فِي إِحْرَازِ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ إِذَا عَرَضَ مَا هَرَا ، وَلِنَفْسِهِ عَنْ مَطْعَمِ السُّوءِ إِنْ اعْتَرَضَ
قَاهِرًا ، وَفِيَا يَثْبُتَ نَدَمُهُ جَاهِدًا ، وَلِلشَّيْطَانِ الْمُسْتُولِ لَهُ مُجَاهِدًا ، لِيَكُونَ بِأَفْعَالِهِ
الْحُسْنَةُ مَكَافِيَا لِلْإِنْعَامِ ، وَمُسْتَحَقًّا لَزِيَادَةِ الْمَوْهَبَةِ وَالِدَوَامِ ، فَقَدِيمًا قِيلَ فِي الْمَثَلِ
الزَّمِ الصَّحَّةَ يَلْزِمُكَ الْعَمَلُ .

وقد ذكره عبد الحميد بن يحيى الكاتب في رسالته إلى الكاتب .

ومن ذلك قولِي في هذا التوقيع : « فَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْحَصَادِ ، وَتَفَتَّقَتِ الْأَكْثَامُ
عَنْ ثِمَارِ الْجَهْدِ ، رَتَّبَ مِنَ الْأَعْوَانِ مَنْ يَثِقُ بِمُنَاصَحَتِهِ ، وَيَسْكُنُ إِلَى
حِرَاسَتِهِ ، وَأَذَكَّى عَلَيْهِمْ عَيُونَ التَّطَلُّعِ ، وَأَصْفَى إِلَيْهِمْ بِمَسَامِعِ التَّصَفُّحِ
وَالْتَّبَعِ ، فَمَنْ وَجَدَهُ لِلْمَحْجَّةِ سَالِكًا ، وَلِلدَّاءِ تَارِكًا ، أَقْرَاهُ وَاسْتَعْمَدَهُ ،
وَأَذْنَاهُ وَأَكْرَمَهُ ، وَمَنْ أَلْفَاهُ عَنِ الْجَدِّ (١) نَاكِبًا ، وَلَا تَبَاعَ الطَّمَعِ رَاكِبًا ،
أَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ وَتَقْوِيمَهُ ، وَفَرَى بِضَرْبِ السِّيَاسَةِ أَدِيمَهُ ، وَجَمَلَ مَا يَعْتَمَدُهُ
مِنْ نِكَالِهِ رَادَعًا لِأَمثَالِهِ ، وَنَافِعًا لَهُ فِي مُسْتَقْبَلِ أُمُورِهِ وَمَالِهِ ، فَلَيْسَ الْكُهْلُ
كَالْحَدَثِ الصَّبِيِّ ، وَلَا الْقَارِحُ (٢) كَالْجَذَعِ (٣) الْفَتِيِّ . وَالْحَوَادِثُ ذَخِيرَةُ
الْعَوَاقِبِ ، وَالْمَصَائِبُ أَمَانُ التَّجَارِبِ » .

هذا معنى قولهم في المثل المشهور : إِنْ الْمَصَائِبُ أَمَانُ التَّجَارِبِ .

(١) الجدد : المراد الطريق الواضح .

(٢) القارح : اللبازل وهو البعير في سفته الخامسة .

(٣) الجذع : البعير في سفته الثالثة .

ومن ذلك قولى فى آخر هذا التوقيع : « تحقيقٌ عليه بعدَ تعيينه واختباره ،
، وإفراده بالتقديم والتأهيل وإثارة ، أن يَهْجُرَ لَذَّةَ الرُّقَادِ فى بلوغ المراد ،
وأن يكونَ لِبْنُ المِهَادِ عنده أَوْخَشَنَ من شَوْكِ القِتَادِ ^(١) ، إلى أن يقال له قد
رَقِيتَ وَلَقِيتَ ، وعولج بك فشفيت » .

هذا ينظر إلى قول ديك الجن ^(٢) :

فإذا شوفى بنى كنت حـامـا وإذا عولج بنى كنت شفاء

ومن ذلك قولى فى هذا التوقيع أيضاً : « وليواصل مُتَجِدِّدَاتِ العملِ
فى أوقاتها ، على اختلاف أنواعها وجهاتها ، ولا يَسْتَحَقِرُ منها حقيراً ،
ولا يستصغر صغيراً ، فالكتاب سَطْرٌ إلى سَطْرٍ ، وأول الغيثِ قَطْرٌ إلى قَطْرٍ » .
هذا هو البيت المشهور للطائي :

وأزرقُ الفجرِ يَبْدُو قبلَ أبيضِهِ وأوَّلُ الغيثِ طَلٌّ ثم ينسكب ^(٣)

ومن البديع النادر اللفظة التى ضممتها إليه وهى قولى : فالكتاب سطر
إلى سطر .

ومن ذلك قولى فى توقيع لبعض النظار : « وليشرعْ فى تطوافِ المعاملاتِ

(١) القِتَاد : شجر له شوك .

(٢) اسمه عبد السلام بن رغبان ودبك الجن لقب غلب عليه .

وهو شاعر مجيد يذهب مذهب أبى تمام والشاميين فى شعره ، وكان من سأكُن
ولم يبرح نواحى الشام ولا وفد إلى العراق أو غيره متجعجعا بشعره ، وكان يقشع تشيعاً
(الأغاني ١٢/١٣٦) .

(٣) سبق هذا البيت فى توقيع لابن أبى الحديد .

واستقرائها ، ونَصَفَها واستبرأها ، ومشاهدة مزروعها وضياعها ورساتيقها^(١) وبقاعها ومحاولها وأعمدتها ونواحيها وأَكْرَبَها^(٢) ، ليحصل عنده صَوْرُها وأشكالها ، ويثبت في ذهنه هيئتها وخيالها ، ولا يقنع بالأخبار والسماع ، والتعويل على ما في المطالعات والرقاع .

فليس انْخَبَرُ كالعيان ، ولا التَّقْلِيدُ كالْبُرْهَان ، وَمَنْ عَوَّلَ على سماع الأقوال ، واكتفى بها عن مشاهدة الأحوال ، قَصُرَتْ بَنَانُهُ عند المطاولة ، وأُفْحِمَ لسانُهُ عند المجادلة ، وكان مُنْقَطِعَ المادة ، محتاجاً لنقصه إلى التمام والزيادة .

ولْيُؤَاصِلِ الحركة التي يُدْرِكُ بها ما بَعْدَ من أَعْمَالِهِ ونَأْي ، كما ذُرَاكَ ما قَرُبَ إليه ودنا ، بحيث يكون كلُّ عاملٍ من عَمَلِهِ ، ومُتَقَدِّمٍ من أَكْرَبِهِ ورجاله ، لا يأمن هُجُومَهُ على غِرَّةٍ ، وقدومه على فَتْرَةٍ ، فتكون عَمَلُهُ كُلُّهَا آخِذَةً أَهْبَتَهَا ، لابسَةً زِينَتَهَا ، منتظرةً طُلُوعَهُ عليها ، مرتقبةً وصوله إليها ، فلا يزال الاجتهاد فيها بَيْنَ الْفَارِ ، ظاهر الآثار .

هذا المعنى ينظر إلى قول (بنت) المنتشر بن (وهب) الباهلي^(٣) في قصيدتها المشهورة :

(١) الرساتيق : جمع رستاق فارسي معرب والمراد الزرعة .

(٢) الأكرة : جمع أكار وهو الحراث .

(٣) كان الأصل (أخت المنتشر بن الباهلي) .

وهي الدعاء بنت المنتشر بن وهب بن سلمة . قال السيد المرتضى في أماليه : إن هذه القصيدة من الرائي للفنيلة المشهورة بالبلاغة والبراعة ، وقيل إنها للدعاء أخت المنتشر والصواب بنته .

لَا يَأْتِي مَنْ الْقَوْمُ مُسْمَاهُ وَمُضَبَّحُهُ

من كل أَوْبٍ وإن لم يَنْزُرْ يُنْتَظَرُ

ومن ذلك قولي في صدر توقيع لـ كاتب : « لما كانت الكتابة الفلانية محتاجة إلى ناهض بأعبائها ، فارح لغمائها ، كاشف لمبهمها ومجهولها ، ضابط لمجملها وتفصيلها ، نثلت^(١) كنانة الرجال ، وعجمت عيدان النصال ، وانتصبت صوارم الكتّاب الأجلاد ليوم الجلال ، وأجريت سوابق الكتابة في مضمار السباق والطراد ، كان فلان أوراها زندا ، وأرواها عدا ، وأصفاها ورذا ، وأضفاها برذا ، وأتقنها صناعة ، وأوسعها بضاعة ، وأطهرها جنيبا ، وآمنها غيبا ، وأبعدها عيبا ، فمؤل عليه في الكتابة بالأعمال المذكورة ، علما أن قلبه يتمم نقصها ، ويرقع خرقها ، ويرأب صدعها ، ويجمع شملها ، ويحجز وهنها ، ويلئم شعنها ، ويسد خللها ، ويمحو زللها ، ويحيي رسومها الدائرة ، ويعمر ربوعها العافية » .

أول هذا الفصل مأخوذ من قول الحجاج في خطبته بالكوفة : إن أمير المؤمنين نثل كنانته فَعَجَمَهَا عوداً عودا ، فوجدني أشدها عودا ، وأصلبها مَكْسِراً^(٢) .

== وكثير من الأدباء يذهب المرنية إلى أهني باهلة واسمه عامر بن الحارث بن رباح ، وهو أخو المنصور لأمه ، ومرثيته في جهرة أشعار العرب بين الرائي السبع .
(خزائن الأدب والكمال المبرد وجمهرة أشعار العرب والأسميات وتاج المروس ٥٦٧/٢) .

(١) نثلت الكنانة : استخرج الرجل ثبلها فثتمها .

وفي الأصل (نكبت) .

(٢) عجم الرجل العود إذا غصه ليعرف صلب هو أم رخو . هذا هو الأصل فيه .

والخطبة بتاريخ الطبري ٢١٠/٧ وتهذيب الكامل للمبرد ١٧٠/١ .

وَبَاقِي أَلْفَاظِ هَذَا الْفَصْلِ ثَلَاثُ تَجَرِّى مَجْرِى الْأَمْثَالِ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي صَدْرِ تَوْقِيعٍ يَصْلَحُ أَنْ يَوْقَعَ بِهِ لِعَارِضِ الْجَيْشِ وَهُوَ :
« عَوَائِدُ الدِّيَوَانِ الْعَزِيزِ إِهْدَاءُ عَقَائِلِ النَّعَمِ إِلَى الْأَكْفَاءِ ، وَإِسْدَاءُ صَنَائِعِ الْكِرَامِ
إِلَى الْأَوْلِيَاءِ ، وَإِبْدَاعُ الْمَعْرُوفِ حَيْثُ يُنْشَرُ وَيُشْكَرُ ، لَحَيْثُ يُجَحَدُ وَيُكْفَرُ ،
وَعِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ مَوَاقِعَهُ ، لَا عِنْدَ مَنْ يُنْفَرُ وَاقِعَهُ ، وَأَنْ يَتَخَيَّرَ لِعَرُوسِ إِحْسَانِهِ
أَطْيَبَ الْمَفَارِسِ وَأَزْكَاهَا ، وَأَخْلَقَهَا أَنْ يَحْلَوْا لِي حُسْنُهَا ، لِتَكُونَ نَعْمَةً
مُسْتَقَرَّةً فِي نِصَابِهَا ، رَافِلَةً فِي قَشِيبِ جِلْبَابِهَا ، مُودَعَةً حَيْثُ تُصَانُ الْوَدَائِعُ
وَتَزْكُو الصَّنَائِعُ .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانُ الرَّجُلِ الَّذِي تُضْرَبُ بِهِ الْأَمْثَالُ ، وَلَا تَعْدِلُهُ الْأَمْثَالُ ،
وَالْمَهْذَبُ الَّذِي لَا يُسْأَلُ لَهُ أَمْرُ الرِّجَالِ ، وَالْفَائِزُ بِشَرَفِ الْإِسْتِعْلَاءِ عَلَى الْأَوَّلِينَ
وَالْحَائِزُ لِقَصَبِ السَّبْقِ يَوْمَ الرِّهَانِ ، وَالْمُتَوَحِّدُ بِخَصَائِصِهِ عَنْ مُزَاحِمَةِ الْمُنَاقِبِ ،
وَالْمُنْفَرِدُ عَنِ الْأَضْرَابِ بِجَمِيلِ الصَّرَائِبِ ، رَأَى الدِّيَوَانُ الْعَزِيزُ الْإِنْعَامَ عَلَيْهِ
بَرْدَ النَّظَرِ فِي دِيَوَانِ الْعَرْضِ الْمَعْمُورِ إِلَيْهِ ، عِلْمًا بِاسْتِقْلَالِهِ وَاضْطِلَاعِهِ ، وَثِقَةً
بِسَعَةِ صَدْرِهِ وَامْتِدَادِ نَاعِهِ ، وَسَكُونًا إِلَى إِغْنَائِهِ وَغَنَائِهِ ، وَإِيفَائِهِ وَوَفَائِهِ ، وَعِلْمَهُ
وَتَقِظَهُ ، وَحَزْمَهُ وَتَحَفُّظَهُ ، وَطَمَآنِينَةً إِلَى قِيَامِهِ بِالْمُهْمِّ ، وَدِفَاعِهِ لِلْمَلِكِ ، وَثَبَاتِهِ
حِينَ تَصِيشُ الْحُلُومُ ، وَانْتِصَارِهِ حِينَ يَحْمِشُ الْخُصُومُ . فَلْيَقَابِلْ هَذِهِ النِّعْمَةَ
بِالشُّكْرِ الَّذِي يَكُونُ لَزِيادَتِهَا مُقْتَضِيًا ، وَلِمُضَاعَفَتِهَا مُمْتَرِيًا ^(١) ، وَلَا مِثْلَهَا

(١) ممتريا : المراد جالبا وجاذبا من مرى الضرع إذا مسه ليد .

مُسْتَعْمِدًا ، ولما أخلَقَ منها مُسْتَجِدًّا ، فالنعمة ضيف قِراءُ الشكر إن وَجَدَتْهُ لم تَرِمْ^(١) ، وإن فَقَدَتْهُ لم تُقِمْ » .

في هذا الكلام إشارة إلى قول النابغة :

ولستَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيْ الرِّجَالِ الْمَهْذَبِ^(٢)

ومن ذلك قولي في هذا التوقيع : « ولينْتَصِبْ لاسْتِيفَاءِ أَمْوَالِ الْإِقْطَاعَاتِ انتصابًا يَظْهَرُ أَثَرُهُ ، وَيُجْتَنَى مَكْرُهُ ، فِي ضِمْنِ قُوَّةٍ خَالِيَةٍ مِنَ الْعُنْفِ ، وَلِئِنْ لَا يُنْسَبُ مَعَهُ إِلَى ضَعْفٍ ، فَالزَّعَاءُ كَثَرَهُمُ اللَّهُ أُولُو الْحَمِيَّةِ ، وَالنَّفُوسُ الْأَبِيَّةُ ، وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَهَمُ السَّبَاعِ الْوَحْشِيَّةِ فِي الصُّورِ الْإِنْسِيَّةِ . فليَحْسِنْ التَّوَصُّلَ فِي مُدَارَاتِهِمْ ، وَالِاسْتِيفَاءِ مِنْهُمْ ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِهَيْبَةِ الدَّيَّانِ الْعَزِيزِ عَلَيْهِمْ ، غَيْرَ مُرَاقِبٍ مِنْ ذَلِكَ لِعَظِيمِ مِنْهُمْ وَلَا جَلِيلٍ ، وَلَا مُغْضٍ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا عَلَيْهِمْ وَلَا قَلِيلٍ . فَبِالْمَالِ تُسْتَمَالُ الرِّجَالُ ، وَتُبْلَغُ الْأَمَالُ ، وَتُفْتَحُ الصِّيَاصِي^(٣) وَتَمْلِكُ النَّوَاصِي ، وَيُسْتَدْنَى الْقَاصِي . وَالْجُنْدُ بِالْمَالِ يُجْمَعُ ، وَالْمُلُكُ بِالْجُنْدِ يُجْنَعُ » .

في هذ الفصل إشارةٌ إلى الغزى^(٤) في صفة الأتراك :

من رأى قبلهمُ مجتمعا خِلَقَةَ النَّاسِ وَأَخْلَاقَ الْأَسْوَدِ

(١) لم ترم : لم تزل .

(٢) من قصيدته في الاحتذار للنعمان بن المنذر .

(٣) الصياصي : الحصون جمع صيصية .

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الأشبلي ، كان شاعرا

محسنا . ولد بفزة سنة ٤٤١ هـ وتوفي سنة ٥٢٤ هـ بين مرو وبلخ ودفن بها .

ومن ذلك ما قلت في صدر توقيع لفاطر بالسواد: «لما كان فلان من خيرِ
رشاده فعلا، وسداده قولا»، وتكاملت محاسنه وخصائصه، فلا يقال فيها
لولا، وسبقت له سوابق الكتابة التي تقلد نطاقها، وأقام أسواقها، وأحكم
ميثاقها، واجتلى بها عقائل الحماد بعد أن أغلى صدأها، وحجّت مذاهبه
في حال إصداره وإيراده، وشهدت بعفافه وأمانته ألسنة أوليائه وحساده،
رأى الديوان العزيز الإنعام عليه بنظر كذا، فليست الله التوفيق والخيرة،
وليقدّم تقواه فهي أنفع عُدّة، وأنفس ذخيرة، وليتوجّه إلى الأعمال
المذكورة بصدر رَحِبِ الفناء، وعزمِ نافذ المضاء، وأملِ واثقِ بشمول
الآلاء، وليستلك في جميع أنحائه مسلك أمثاله من ذوى الرّشاد والتحصيل،
ولا يتّبع الهوى فيضِلّ عن سواء السبيل» (١).

آخر هذا الكلام من القرآن العزيز، وفي أوله إشارة إلى قول القائل:

ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذاك لا أقول

وأنا ختم هذا الفصل بتوقيع كتبته لبعض الزعماء، وقد رتب شحنة واسط
وهو: «أولى الأُولياء باجتلاء عقائل النعم الجزيلة، وامطاء كواهل الرّتب
الجليلة، واعتلاء صموات المنازل السّنيّة، وارتقاء درجات المناصب العلية
من محضّ طاعته وعُبوديّة، واستوى سيره في الإخلاص وعلايقه،

(١) سورة م ٢٦ (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله).

وحَسَنَتْ أفعاله وآثاره ، وطابت أنباؤه وأخباره ، وكرَّم مَفْيِيهٗ ، وعَظَمَ
مَشْهَدُهٗ ، وأَبَرَّ يومُهٗ على أَمْسِهٖ ، وأَزْبَى على يومه غَدُهٗ .

ولما كنت أيها الأميرُ الأَجَلُ فلانَ الدِّينِ الجامعَ هذه الأوصاف والخصائص ،
واللتحلى من جواهر المناقب بما لم تَظْفَرْ بمثله يدُ غائِصٍ^(١) ، واقتَرَنْتَ بمِسالَتِكَ
التي سَأَلْتَ منها السيوفُ نفوساً ومهجاً ، وبرمايتك التي لم يجعل الله تعالى فيها
عَوَجاً ولا أَمْتاً^(٢) .

هذا مع ما خُصِّصَتْ به من وُفُورِ آياتِكَ ، ورُجْحانِ حِصَافَتِكَ ، وعُلُوِّ
هَمَّتِكَ ، وطهارة شيمَتِكَ ، وأَنَّكَ بذَذْتَ الأشْكَالَ والأَضْرَابَ ، وأَوْتَيْتَ
حَزَمَ الشَّيْخوخَةِ في عُنُقِوانِ الشَّبَابِ ، رُبُّى الإِنْعَامُ عَلَيْكَ بَرْدَ شَحِيمَةِ الأَعْمَالِ
الواسِطِيَةِ إِلَيْكَ ، لاسْتِقْبَالَ كَذَا .

فَتَلَقَّ هذه النِّعْمَةَ التي تُرَضِّيك بِشُكْرِ يُرْضِيها ، وهذه المَنْزِلَةَ التي تَضَاهِيكَ
بِحَمْدٍ يُضَاهِيها ، وتَوَجَّهَ إلى الأَعْمَالِ الذِّكْرَةَ بِصَدْرِ رَحْبٍ ، ورَأَى مُصِيبٍ ،
وسِيفٍ من دَمِ أَهْلِ الكَيْدِ خَضِيبٍ ، واستَشَعَرَ تقوى الله فالعاقِبَةُ لأَهْلِها
وَقِفَ عند حُدُودِها ، وَلِتَسْتَظِلَّ بِظِلِّها ، وتَذَكَّرَ لها كَلِمَةً قَصِيرَةً غير طَوِيلَةٍ :
« إِنَّ اللهَ مع الَّذِينَ اتَّقَوْا »^(٣) وَنَآهِيكَ بِهَا فَضِيلَةً .

(١) بالأصل (بما لم يظفر مثله بدعائس) .

(٢) الأمت : العوج والاختلاف في الشيء والغيب .

(٣) سورة النحل ١٢٨ .

وابدأ بالرَّفَقِ الذي ما دَخَلَ في شيء إلا زَانَهُ ، ولا استعْمَان به أحدٌ
في مُشْكِلٍ إلا أعَانَهُ .

والتقَّ الناسَ ببِشْرِكَ ولُطْفِكَ وطَوَّلِكَ ^(١) ، ولا تَبْدَأُهُم بِالْفَظَاظَةِ ، فلو كنتَ
فَظًّا غَلِيظَ القلبِ لا تَقْضُوا مِنْ حَوْلِكَ ^(٢) .

والرَّعَايَا فهِمُ الودائعُ عندكَ المونوق لهم أن تُلَحِّقَهُم أَمَانَكَ وَرِفْقَكَ ،
وتَفَرِّشَهُم ^(٣) سَدَاكَ وَرُشْدَكَ ، واكْفُفْ عَنْهُمْ الْأَذَى ، وَأَزْخِ عَنْهُمْ الْقَذَى ،
وقل لهم كما أَدَبَكَ اللهُ حُسْنًا ، وبَدِّلْهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، ولا تَعْدِن عَيْنِيكَ
إِلَى مَا مَتَّعْنَا ^(٤) ، وَكُنْ لَهُمْ حِسْبَةً ^(٥) مِنَ الْجُورِ وَحِصْنًا ، وَأَجْمِهِمْ تَمَنٍّ
بِقَرَضٍ بِهِمْ فِي عَرَضِ هَذَا ^(٦) الْأَثْنِ ، واسلكِ بِالْمَعْدَلَةِ فِيهِمْ صِرَاطًا سَوِيًّا ،
وَاجْلِ قَوِيَّهِمْ فِي الْبَاطِلِ ضَعِيفًا ، وَضَعِيفَهُمْ فِي الْحَقِّ قَوِيًّا .

وَحِرَاسَةُ الْارْتِفَاعَاتِ الدِّيَوَانِيَةِ بِالنَّطَوَاتِ الْمَرْهُوبَةِ ، وَالتَّقِمَاتِ الْمَضْبُوبَةِ ،
وَالْهَيْبَةِ الَّتِي تَمَلَأُ الْقُلُوبَ ارْتِياعًا ، وَتَطْيِرُ الْأَنْفُسَ مِنْهَا شَعَاعًا ، فَأَنْتَ فَارِسُهَا

(١) الطول والطائل والطائلة : الفضل .

(٢) سورة آل عمران ١٥٩ (ولو كنتَ فظًا ...) .

(٣) تفرشهم سدادك : توسع لهم فيه أى تشملهم به .

(٤) سورة طه ١٣١ (ولا تعدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا

لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) .

(٥) الحسبة : من قولهم حسن الحسبة أى حسن التدبير .

(٦) الأثني بفتح الهمزة أو كسرهما وسكون النون فهما والأثناء بالمد الوهن والساعة

من الليل .

المُعْلَمُ^(١)، وشُجاعها المُقَدَّم، وَلَيْشُهَا الذي تُحْجِمُ الليوثُ ولا يُنْجِمُ، فامدُّوْطَانُكَ على أهل الرِّيْبِ والفساد ، وَشَرَّدْ بِهِمْ عَنْ جميع الأعمال والبلاد ، وانتدِبْ للقيام بسياستهم كانتدابك للقيام بالفرَض ، فما كان لزعيم أن تكون له سياسة حتى يُنْخَن^(٢) في الأرض .

والأموالُ المتمزقة في أقصى الأعمال ونائبها^(٣) لا تُحْرَسُ إلا بإِراقة الدماء على جوانبها ، ومن الجَوْرِ البَيْنِ والحَيْفِ وَضَعُ الصَّفْحِ مَوْضِعَ السَّيْفِ .
ونوابك الذين تُرْتَّبُهم في الأعمال ، وتستعينُ بهم على حِرَاسَةِ الأموال ، فاصلحهم أولاً وطَهَّرْهم ، لِيَحْصُلَ بِهِمُ الصِّلاحُ والطَّهارةُ ، ولا تَرَضَ لهم أن يكونوا ممن يأمر الناسَ وَيَنْسَى نفسه الأَمارة .

وَأَلْزَمْهُمْ بِمداومةِ فِعْلِ الخيرِ يَكُونُوا (أَهْلُهُ) ، ولا تجعلهم ممن يَنْهَى عن خُلُقٍ وَيَأْتِي مِثْلَهُ .

وَأَقِمْ عَلَيْهِمُ الْأَرْصَادَ ، واقْعُدْ لهم بِالْمِرْصَادِ ، ورُضْهم على اتِّباعِ منهاجِكَ القويمِ ، واهتداءِ صِراطِكَ المستقيمِ ، وعلمهم من سجاياك الحمودةِ ما لم يَعْلَمُوا « وفوق كل ذي علم عليم » :

وحراسة الطرق والمذاهبِ ، وحماية المسالك والمشاربِ ، وقمع كلِّ ناجِمٍ

(١) الفارس المعلم : بكسر اللام هو الذي يجعل لنفسه علامة الشجاعة في الحرب .

(٢) يشخن : من أنخن في العدو أى بالغ الجراحة فيهم ، وأنخن فلانا إذا أوهنه ، وقوله تعالى (حتى إذا أنخنهم) أى غلبتهم وكثرت فيهم الجراح .

(٣) بالأصل (وذيابها)

بفساد ، أو قاذح للشر بزناد ، أو مخيف سبيل ، أو قائد رَعِيل^(١)

فكن في ذلك كالليث السَّيِّب^(٢) ينهض إلى فريسته ، والصقْر القطم^(٣)
يَنْقُضُ على طَرِيدته ، حتى تُوَسِّعَ كلَّ ساعٍ بالفساد قتلاً وأمرأً ، وتوثقَ
كلَّ عادلٍ عن السِّدَارِ حَبْساً وحَصراً ، وتَأْمنَ السُّبُلُ والأطرافُ ، وتصبح
الناسُ فيها كحمام الحرم لا يخاف .

فهذه الأعمالُ مظلمةٌ ، فكن أضوأ من السراج ، وهذه المدرة^(٤)
حجاجية^(٥) فكن أهيب من الحجاج .

وقد تلخَّصَ من مجموع وصايا المالك أن يكون الملك ذا الوينين : أزهرَ
وأقتم ، وذا طممين : أحلى من القسلِ ، وأمرأً من العلقَم ، وذا وجهين :
طلقٍ وشتم^(٦) ، وذا يومين : يوم بُؤسٍ ونعيم .

والدعامة التي تقومُ بها السِّياسةُ ، وينصبُّ عليها عملُ الرياسة هي القوة
من غير عنفٍ ، واللَّين من غير ضعفٍ ، فالرعيةُ كريضٍ هذه زُبدةُ علاجِهِ ،
والسياسةُ كبَدَنٍ هذا تعديلُ مزاجِهِ .

واجعل أعظمَ كدِّك ، وغايةَ قَصْدِكَ ، استجلابَ الأدعيةِ الصالحةِ

(١) الرعيل : الجماعة من الخيل ، وللراد هنا الثوار الخيالة .

(٢) السبب : الجائع ، وكذلك ساقب وشغبان .

(٣) القطم : الذي يشتهي اللحم . والقطامي بفتح القاف وضمة الصقر .

(٤) للمدرة : المدينة .

(٥) حجاجية : حجاج بلدة في يهود .

(٦) شتم : كربه الوجه عابس . كانت بالأصل (ستم) .

لهذه الأيام الشريفة الزاهرة ، التي يَحْسُدُها سائرُ الأيام ، ويتنافسُ الناسُ عليها فلا يبيمون ساعاتها بالأعوام ، أن تدوم لأهلها فهم من الحوادث في أمان ، وتُظَنُّ لروقيها ونصارتها أنها أيام الجنان ، أيدها الله بدوام لا تَمَسُّكَ لسحابه ، وبقاء لانفاد لحسابه .

فهذه معظم وصايا التوقيع المذكور ، وقد تضمنت من ترصيع الآيات الشريفة والآيات الشعرية والنسكت والأمثال جملة صالحة .

أما الآيات الشريفة فقوله تعالى « لا ترى فيها عرجاً ولا أمتاً^(١) » وقوله تعالى « والعاقبة للمتقين^(٢) » وقوله تعالى « مع الذين اتقوا^(٣) » وقوله تعالى « ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفّضتوا من حوّلِكَ^(٤) » وقوله « وقولوا للناس حسناً^(٥) » وقوله « وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمناً^(٦) » وقوله « ولا تمدّن عينيكَ إلى ما مَتَّعْنَاهُ أزواجاً منهم^(٧) » وقوله : « يأخذون عَرَضَ هذا الأدنى^(٨) » وقوله « أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً^(٩) » وقوله « شَرِّدْ بِهِمْ مَنْ

(١) سورة طه ١٠٧

(٢) سورة الأعراف ١٢٨ (إن للأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) وسورة القصص ٨٣ (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) .

(٣) سورة النحل ١٢٨ (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) .

(٤) سورة آل عمران ١٥٩ .

(٥) سورة البقرة ٨٣ .

(٦) سورة النور ٥٥ .

(٧) سورة طه ١٣١ .

(٨) سورة الأعراف ١٦٩ .

(٩) سورة مريم ٤٣ (فأتبعني أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً) .

خَلَفَهُمْ^(١) » وقوله « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يُنْخَنَ
في الأرض^(٢) » .

نقلته أنا إلى السياسة فقلت ما كان لزعيم أن تكون له سياسة حتى ينخن
في الأرض^(٣)

ولا يخفى ما فى النقل من اللطافتين . وقوله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر
وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ^(٤) » وقوله : « واقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ^(٥) » وقوله : « صراطك
المستقيم^(٦) » وقوله : « وفوق كل ذى علم عليم^(٧) » .
وأما حَلُّ الأبيات الشعرية فقول الشاعر :

حالك اليومَ فوقَ حالكِ بالأَمْسِ وأرجوكِ المزيْدَ غداً^(٨)
قد نثرناه نحن فقلنا : وأبرَّ يومه على أمسه ، وأربى على يومه غده .
وقول السموأل :

تَسِيلُ على حَدِّ السُّيُوفِ نفوسُنَا وَلَيْسَ على غَيْرِ السُّيُوفِ تَسِيلُ^(٩)

(١) سورة الأنفال ٥٧ (إِذَا تَفَفَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَفَرَدَ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لِمَنْ يَذْكُرُونَ) .

(٢) سورة الأنفال ٦٧ .

(٣) جملة مكررة في الأصل حذفناها .

(٤) سورة البقرة ٤٤ .

(٥) سورة التوبة ٥ .

(٦) سورة الأعراف ١٦ (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) .

(٧) سورة يوسف ٧٦ .

(٨) حذفنا في من (في الأَمْسِ) ليستقيم الوزن .

(٩) في شرح الحامسة للرزوقي ١١٠/١ روايتان : (حد الظلمات) و (حد السيوف)

ونسبة القصيدة إلى عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي أو للسموأل بن عدياء .

وأول الأبيات قوله :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

أخذناه فقلنا : بمسالكك التي سالت منها السيوف نفوسا ومهججا .

وقول المتنبي :

وشَيْخٌ فِي الشَّبَابِ وَلَيْسَ شَيْخًا يُسَمَّى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيئَةَ^(١)

حللناه نحن فقلنا : وَأَوْدَيْتَ حَزَمَ الشَّيْخُوخَةِ فِي عُنُقِ الشَّبَابِ .

وقول قطري بن الفجاءة^(٢) من شعراء الحماسة :

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا مَنِ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَا تُرَاعِي

أخذناه فقلنا : تَمَلُّ الْقُلُوبَ ارْتِيَاعًا ، وَتَطِيرُ النُّفُوسُ مِنْهَا شَعَاعًا .

وقول المتنبي :

لَا يَسْلُمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ^(٣)

(١) من قصيدته في مدح علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي التي مطلعها :
ضروب الناس عشاق ضروبا فأعذرهم أشفهم حبيبا
الديوان ١٠١/١

(٢) في الأصل (عمرو بن الإطابة) والصواب أن البيت من أبيات قطري بن الفجاءة كما في شرح التريزي للحماسة ٥٠/١

(٣) من قصيدته في هجاء إسحاق بن إبراهيم بن كيفلج مطلعها :
لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضا نظرت وختل أني أسلم
وكان أبو الطيب قد سار من الرملة يريد أنطاكية فنزل بطرابلس وبها إسحاق هذا ، وكان يحالسه ثلاثة من بني حيدرة ، فقالوا لإسحاق : أتحب أن يتجاوزك ولا يمدحك ؟ وجعلوا يفرونه ، فراسله أن يمدحه ، فاحتج بيهين لمقته ألا يمدح أحدا إلى مدة . فعاقبه من طريقه ينتظر المدة . ومات الثلاثة الذين كانوا يفرونه في مدة أربعين يوما . فهجاء المتنبي وأملى القصيدة على من يثق به ، ثم فر إلى دمشق .

(الديوان ٣٧٩/٢)

حللناه فقلنا : والأموالُ المتمزقةُ في أقاصي الأعمال ونائبها لا تحرسُ
إلا بإراقة الدماء على جوانبها .

وقول المتنبي أيضا : « ووضع الندى في موضع الانتقام »^(١) حللناه فقلنا :
ومن الجوزِ البينِ والحيفِ ، وضعُ الصفحِ في موضع السيف .

وقد حللت هذا البيت بعبارات ثلاث والمعنى واحد وقد تقدم ذكرها ،

وهي : أفسدُ الأشياء لقانون الرئاسة ، وضعُ العفو موضع السياسة .

والثانية فأدعى الأشياء إلى انحلال النظام ، وضع الصفح موضع الانتقام .
والثالثة هذا الموضع .

وقول القائل :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم^(٢)

(١) يشير إلى قول المتنبي :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلماء
مضر كوضع السيف في موضع الندى
وقد سبق .

(٢) المشهور أن هذا البيت لأبي الأسود الدؤلى من قصيدة له أولها :

حسدوا الفتي إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

وقد وقع في قصيدة المتوكل بن عبد الله الليثي فنسبه بعضهم إليه . وهو شاعر في عهد يزيد
بن معاوية ، وقصيدته أولها .

للتأنيات بذى الحجاز رسوم فيبطن مكة عهدهن قديم

قال شارح أبيات الإيضاح : نسب البيت إلى أبي الأسود الدؤلى والمتوكل بن نهم بن
مسافع الليثي ، وللطرماس بن حكيم والحسان بن ثابت ولا تخطئ .

وقال : الصحيح عندي أنه لأبي الأسود أو للمتوكل الليثي ، وقد رأيت في قصيدة كل منهما
(شرح شواهد المغنى للسيوطي وخزانة الأدب للبغدادى وشواهد العيني) .

وذكر الأمدى في المؤلفات والمختلف ١٧٩ وذكر الرزباني في معجم الشعراء ٤١٠
أنه للمتوكل الليثي .

أخذناه نحن ققلنا : وألزمهم بدائمة فعل الخير يكونوا أهله ، ولا تجملهم
من ينهى عن خلق ويأتى مثله .

وقول ابن هرمة :

كريم له وجهان وجهٌ لذي الرضا

أسيلٌ ووجهٌ في الكريهة باسل^(١)

أخذناه ققلنا : وذا وجهين طلق وشتيم .

وقول الشاعر :

له يوم يؤس فيه للناس أبؤسٌ ويومٌ نعيمٌ فيه للناس أنعمٌ

أخذنا ققلنا : ذا يومين : يوم يؤس ويوم نعيم .

وقول الشاعر :

تنافس الناسُ في أيام دولته فما يبيعون أياما بأعوام

أخذناه ققلنا : ويتنافس الناس عليها ، فما يبيعون ساعاتها بالأعوام .

(١) هو إبراهيم بن علي بن سلمة شاعر مجيد أدرك العصر العباسي .

وقد مدح للصور بقصيدة مطلعها :

سرى ثوبه عنك الصبا المتخايل .

حتى انتهى إلى قوله :

له لحظات عن حفاف سريريه إذا كرها فيما عقاب وفائل

(الأغاني ٥/ ١٧٢) .

وقول المتنبي :

نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدِّمًا وَأَنَّى فذلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا^(١)

أخذناه نحن فقلنا : بدوام لا تماسك لسحابه ، وبقاء لا نقاد لحسابه .

وأما الأمتال والنسكت فقولهم . مادخل الرفق في شيء إلا زانه .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه على قريش : اللهم اشدّد وطأتك على مُضَرّ .

وقد صار ذلك مثلاً سائراً .

وقولهم السياسة لينّ من غير ضعف ، وقوّة من غير عنف .

و يقال إن أول من قال ذلك أبو بكر الصديق . وقولهم : هذا عصر تحسده

الأعصرُ الخالية ، وقد جاء في الشعر كثيراً ، كقول ابن هاني :

فأما الليالي السالفاتُ فَقَطَّعَتْ أَنَامِلَهَا مِنْ حَسْرَةٍ وَتَنَدَّمَ

وأما الليالي الحاضراتُ فَأَذْرَكَتْ مَارَبَهَا مِنْ بَهْجَةٍ وَتَكَرَّمَ

(١) من قصيدته في مدح أبي الفضل محمد بن العميد التي مطلعها :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يحجر دمك أو جرى
وقبل البيت قوله :

من مبلغ الأعراب أنى بعدها شاهدت رسطاليس والإسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتيبه متلهكا متبديا متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأعما رد الإله نفوسهم والأعصرا
نسقوا لنا ...

(الديوان ١/ ٣٧٠)

أى أنه جمع من الفضل ما في أولئك السابقين جميعا ، لأنهم مضوا متتابعين متقدمين على ابن العميد ، فلما أنى كان فيه من الفضائل ما كان فيهم ، مثل الحساب تذكرت تفاصيله أولا ثم تجمل التفاصيل فتسكتب في آخر الحساب .

وفي الفصول المذكورة من الألفاظ والنكت الجارية مجرى الأمثال ، عدا ما ذكرناه ما لا خفاء به .

فهذه نبذة من حلّ المنظوم ذكرناها كمُجَالَّةِ الْقَرَى^(١) ، وكهَيْثَةِ الطَّارِقِ إِذَا عَرَا^(٢) .

إن وجدنا أدنى فَسْحَةٍ أُنْمَمْنَا ما شَرَعْنَا فيه من حلّ سَيْفِيَّاتِ أَبِي الطَّيِّبِ المَتْنَبِيِّ ، وتقريبها إلى خِزَانَةِ مالِكِ الأَمْرِ ، ووارثِ الدَّهْرِ ، جعله الله بَأْلَافِهِ وكراماته الجَلِيَّةَ مَمْنُوحَا ، وأعطاه من البَسْطَةِ في المُلْكِ والعُمُرِ ما لم يُعْطِهِ الإسْكَندَرُ ونُوحَا .

قال المصنف : وقد ذكر ابن سِنَانِ الخَفَاجِيَّ أَنَّ أَحَدًا ما يشترط في حُسْنِ اللفظة أن تكون مخارج حروفها متباعدة .

قال : وهذا باطل ، لأنه لو كان العلم بحسن اللفظة وقبحها مشروطا بَتَبَاعُدِ مَخَارِجِهَا أو تقاربها ، لوجب ألا يُحْكَمَ على الفورِ بَقِيحِ لَفْظَةٍ أو حسنها حتى تُعْتَبَرَ مَخَارِجُ الحُرُوفِ .

ونحن نجد الأمر بعكس ذلك ؛ فإنا ساعة ما نسمعُ اللفظة نُفَتِي بِحُسْنِهَا أو قُبْحِهَا . وما ذاك إلا لأن هذا أمرٌ يرجعُ إلى حَاسَّةِ السَّمْعِ ، فإذا اسْتَحْسَنْتَ

(١) عَجَالَةُ الْفَرَى : ما يقدم في سرعة للضيف .

(٢) الطَّارِقُ : من بطرق الباب ليلا . عرا : غفى وجاء طالبا المعروف .

شيئاً أو استقباحته ، وَجَدَتْ ما تستحسنه متباعداً خارج الحروف ، فاستحسنها واستقباحها إنما قَبْلَ اعتبارِ الخارجِ لا بعده ^(١) .

أقول : ليس يُمنكَرُ أن يُعلَمَ المعلولُ قَبْلَ العِلَّةِ ، والمشروط قبل الشرط .
الأنرى أنك إذا رأيتَ الجاريةَ الحسناءَ ، فإنك تستحسنها على الفورِ ،
ولا يتوقفُ استحسانك إياها على أن تستحضرَ في ذهنك عِلَّةَ الحُسْنِ من
رِقَّةٍ شَفَتَيْنِها وأنفِها وامتدادِ سالفَتَيْنِها ، ومُخالطةِ الحمرَةِ للبياضِ في بَشَرَةٍ
وجهِها ، وغير ذلك من أسبابِ الحُسْنِ . ولا يظعن حكمك بالحُسْنِ على الفورِ
في تعليلي الحُسْنِ بهذه الأمور ؟

ومن ذلك أنه قد اعترفَ أن كل ما نستقبحه من الألفاظ تجده متقاربَ
الحروف ، وما تستحسنه منها تجده متباعداً الحروف ، ولكنه زعمَ أنه لا يُعلَّلُ
الاستقباحَ والاستحسانَ بهما ، فقال له إذا كان تقاربُ الخارجِ والاستقباحُ
متلازمينِ لا يفترقان ، فلا بُدَّ من أمرٍ أَوْجَبَ مُلازِمَتَهُما ، فيمكنك أن تقولَ
إن الاستقباحَ أَوْجَبَ تَقَارُبَ الخارجِ فيما هو متقاربُ الخارجِ ، وهو أمرٌ
ذاتيٌّ له لا يتوقفُ على الاستقباحِ .

فإذا لم يكن الاستقباحُ أَوْجَبَ تَقَارُبَ الخارجِ ولا بُدَّ لملازمتهِ إياه من
سببٍ ، فلا سببَ إلا أن يُقالَ : الخارجُ عِلَّةُ الاستقباحِ .

(١) للنل السائر ٢٢٢/١ بتلخيص .

قال المصنف : وقد وجدنا ألفاظا متقاربة الخارج وهي غير مستقبحة ، كلفظة
مَلَعَ إِذَا عَدَا وَأُسْرَعَ^(١) .

أقول إن ابن سنان لم يدَّعِ الاطراد المطلق ، وإنما قال إن الأكثر
الأغلب استقباح الألفاظ المتباعدة الخارج ، إذا لم توجد فيها علة أخرى
توجب استقباحها ، والشاذ لا يعتد به .

على أن هذا لازم له ؛ لأنه قد اعترف أن كل لفظة متقاربة خارج
الحروف فإنها مُستقبحة ، وإن لم يُعَلَّل الاستقباح بذلك .

فأورده على ابن سنان لازم على ما اعترف هو به من تلازم الأمرين .

قال : وقد غلط أبو نواس في لفظة الظرف فقال :

اختصم الجود والجمال	فيك فصارا إلى جدال
فقال هذا يميتهُ لي	للمرف والبذل والنوال
وقال هناك وجههُ لي	للظرف والحسن والكمال
فافترقا فيك عن تراضٍ	كلاهما صادقُ المقال ^(٢)

(١) التل السائر ١/٢٢٥ .

(٢) التل السائر ١/٢٥٦ .

قال : فوصف الوجه بالظرف ، والظرف من صفات النطق خاصة ، وليس كما يتوهمه العامة من حسن الصورة ودَمَانَةِ الأخلاق^(١)

أقول : إن هذا الذى ذكره قد قاله كثير من الناس ، وقال كثير من الناس غير ذلك ، فإن صاحب ديوان الأدب قال : بالظرف الكياسة ، ولم يزد على ذلك ، وهكذا قال صاحب الصحاح . ومعلوم أن الكياسة لاتكون راجعة إلى النطق اللسانى خاصة ، وعلى كل الأحوال فأبو نواس لم يغلط ، لأن أداة الظرف وهى اللسان على ما يريده جزء من أجزاء الوجه ، فإذا قال الجمالُ إن وَجْهَهُ هذا الممدوح لى ، لأنه محلُّ الظرف ، ومحلُّ آلةِ الشيء محلُّ الشيء ، كما يقال : الرأسُ محلُّ الشَّمِّ والذوق ، لأنه محلُّ آلتيهما^(٢).

— ٥٢ —

قال المصنف : وقد غلط أبو تمام فى قوله .

وَدَمَانَةُ الْخَلْقِ الَّتِي لَوْ مَا زَجَتْ

خُلِقَ الزَّمَانُ الْقَدَمُ عَادَ ظَرِيفًا

فوصف الخلق بالظرف ، والظرف يختص باللسان والنطق^(٣) . أقول :

(١) عبارة ابن الأنبر : فأبو نواس غلط هاهنا فى أنه وصف الوجه بالظرف ، وهو من صفات النطق ، وأبو تمام غلط فى أنه وصف الخلق بالظرف ، وهو من صفات النطق أيضاً ، إلا أن هذا غلط لا يوجب فى هذه اللفظة قبجا ، لكنه جهل بمعرفة أصلها فى وضع اللفظة .

(٢) يظهر أن فى العبارة سقطا لأن جواب إذا لم يَم .

(٣) المثل السائر ٢٥٧/١ .

من قصيدة لأبى تمام فى مدح أبى سعيد عمه بن يوسف ، وقبل البيت قوله :

لك هضبة الحلم التى لو وازمت أجأ إذن نقلت وكان خفيفا =

لو سلمنا له ما يُريدُهُ من تفسير الظرف لكان لقول أبي تمام مذهبٌ لا بأسَ به ، لأن تهذيب الأخلاق ورياضتها وتسهيل حَزَنها وقَدَمِيتُهُ مما يمين على حُسْنِ التَّوَصُّلَاتِ النُّطْقِيَةِ ، وبُؤَثْرٍ في تَلْطِيفِ الْأَلْفَاظِ ، وإصابة الأغراضِ بهما .

ألا تَرَى أن النَّبِطِيَّ الجافي لا يكاد يَبْلُغُ أغراضه بالكلام ، ويُحَسِّنُ التَّوَصُّلَ إلى إدارك ما يَرْوِيه بلسانه ، بخلاف مَنْ قَدْ خالطَ وَجَرَّبَ ، وراضٍ أخلاقه وهذَّبَ نفسه ؟ فمن هذا الوجه جمل أبو تمام دَمَانَةَ الخُلُقِ مُؤَثَّرَةً في الظرفِ ، وإن كان عائداً إلى النطق اللساني خاصة .

قال المصنف : وقد ذكر ابن سنان الخفاجي في كتابه أن من أوصافِ الكلمة أن تكون مُؤَلَّفَةً من أَقَلِّ الأوزانِ تركيباً ، وأنها إذا طالت قَبِحتْ .

ومثل ذلك بقول المتنبي :

إن الكرامَ بلا كرامٍ منهمُ مِثْلُ القلوبِ بلا سُوَيْدَاوَاتِها
فإن لفظة سويداواتها قبيحة لطولها .

= والبيت بالديوان هكذا :

وحلاوة الشيم التي لو مازجت خلق الزمان القدم عاد ظريفا
(ديوان أبي تمام ٣٠٩) .

قال: ليس الأمر كذلك، فإنها لو قبحت أطولها، لقبح قوله تعالى «فسيكفيمكم الله»^(١)، وقوله سبحانه: (لَيْسَتْخَلْفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ^(٢)) فإن إحداهما تسمية أحرف، والأخرى عشرة أحرف^(٣).

أقول: أَلَسْتَ قَلْتَ فِي بَابِ الْمَعَاظِلَةِ إِنِّهِنَّ مِمَّا وَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى قَبْحِهِ، وَقَلْتَ إِنِّهَا تَكَرَّرَ الْحُرُوفُ، وَمِثْلُهَا بِقَوْلِ الْقَائِلِ:

«جَنَى جَنَاتٍ وَجَنَّاتٍ الْحَبِيبِ». وقولهم:
«وَلَيْسَ قُرْبٌ قَرْبٌ قَرْبٌ حَرْبٌ قَرْبٌ»^(٤).

فلقائل أن يقول لك: قد ورد في القرآن الكريم مثل ذلك وهو قوله تعالى:
(بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ، وَأُمَمٍ سُنِمَتَهُمْ
ثُمَّ يَعَذِّبُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ^(٥)) .

فهذه ميمات كثيرة يَتَلَوُّ بعضها بعضاً، فإما أن يكون استعمالها في القرآن غير مُسْتَحْسَنٍ، أو يكون مستحسناً، فإن لم يكن مُسْتَحْسَنًا مع أنها قد استعملت، فاخترَ لابن سنان أن تكون الكلمة الطويلة كقوله: «لَيْسَتْخَلْفَنَّهُمْ» غير مستحسنة، وقد اسْتَعْمِلَتْ، وإن كانت المغالطة قبيحةً إلا في القرآن الكريم،

(١) سورة البقرة ٣٧ .

(٢) سورة النور ٥٥ (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيْسَتْخَلْفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ)

(٣) اللؤلؤ السائر ١/٢٦٥ .

(٤) اللؤلؤ السائر ١/٤٠١ وفيه البيت كاملاً:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

(٥) سورة هود ٤٨ (قيل يأنوح اهبط بسلام منا)

فاخترَ لابنِ سنانٍ أن يكون كثرةُ حروف الكلمة قبيحةً إلا في القرآن الكريم .

وبالجملة فيما أن يلزمك ما ألزمته أو تتخلص مما يتخلص به .

قال المصنف: وأكثر أسجاع الصَّابِي^(١) وابن العميد^(٢) وكثير من المتقدمين والمتأخرين من الكتاب بتكرير المعنى بعينه في السجعتين اللزوجتين ، كقول الصَّابِي في التَّحْمِيد: «لَا تُخْلِقُهُ العصورُ بِمُرورها ، وَلَا تُهْرِمُهُ الدُّهورُ بِكُرورها» . ثم قال في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم: «فَلَمْ يَدْعُ^(٣) لِلْكَفَرِ أَنْزَاراً إِلَّا طَمَسَهُ ومحاه ، وَلَا رَسَمًا إِلَّا أَرَاهُ وَعَفَاهُ» . قال : ولا فرق بين تحوُّ الأثر ولا تعفية الرسم ، ولا بين مرور العصور ، وكُرور الدهور .

قال : ومثل قوله: «لم تزل الدولة العباسية تَعْتَلْ طَوَّراً ، وَتَصِحَّ أطواراً ،

(١) أبو اسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون ، كان كاتب الإنشاء في بغداد عن الخليفة وعند عز الدولة بن بختيار بن معز الدولة بن بويه ، وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ وكان على مذهب الصابئة كما يدل على ذلك اسمه ، وله صداقة مع الشريف الرضي ، وقد اشتهر بكتابه المسجوعة ، وله رسائل مطبوعة (وفيات الأعيان ١٢/١ وبتيمة الدهر ٢٣/٢ ومجمع الأدباء ١/٣٢٤) .

(٢) أبو الفضل محمد بن العميد . والعميد لقب أبيه على عادة أهل خراسان في التظيم كان وزيراً لركن الدولة الحسن بن بويه والد عضد الدولة سنة ٣٢٨ وكان متوسعاً في اللغة والنجوم والأدب حتى سموه الأستاذ والرئيس والباحظ الثاني . وهو صاحب مذهب في النثر معهور .

(وفيات الأعيان ٤/١٨٩) .

(٣) في المثل السائر (لم ير للكفر) .

وَتَلْتَاثُ مَرَّةً وَتَسْتَقِيلُ مَرَاراً ، مِنْ حَيْثُ أَضْلَهَا رَاسِخٌ لَا يَتَزَعَزَعُ ، وَبُنْيَانُهَا ثَابِتٌ لَا يَتَضَعُّضُ .^(١)

قال : وهذه الأسجاع كلها متساوية المعاني ، فإن الاعتلال والالتياث والطَّور والمرة والرسوخ والثبات سواء . ثم ذكر عدة مواضع من كلامه يجري هذا المجرى^(٢) .

أقول هذه سُنَّةُ السَّكْتَابِ وعادتهم مازالوا عليها قديما وحديثا ، وهم يرون ذلك من باب سَمَةِ العبارة والاقتدار على الألفاظ .

ثم إن السجمة الثانية تؤكد معنى الأولى ، والتأكيد عند البَيَانِ والكتابة ، ولذلك أَحَبُّوا فيها الإطالة ، وفي الشطر الاختصار .

ولهم في هذا الباب عُدْرٌ يتضمن تعليله . والسبب الذي لأجله تَوَسَّعُوا في عبارات الكتابةِ وَأَسْهَبُوا ، واقتصرُوا في النظمِ واختصروا أن القرآن الكريم وهو على غاية الإيجاز والاختصار قد تضمن ذلك في كثير من المواضع نحو قوله : (أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ) ^(٣) فَارْتَبَّهَا هُنَا وَالْمَلِكُ وَالْإِلَهِ بِمَعْنَى ، فَسُكِلَ وَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ السَّجَّعَاتِ قَدْ أُعْطِيَ مَعْنَى الْأُخْوَى .

ومثل قوله : (لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا)^(٤) . فإن الجنات هي البساتين ، وَلَا مَعْنَى لِلْبَسَاتِينِ إِلَّا مَا كَانَ مَحْتَوًى عَلَى الْحَبِّ وَالنَّبَاتِ .

(١) المثل السائر ٢٨٢/١ ومنه أصلها النص .

(٢) سورة الناس .

(٣) سورة النبأ ١٥ ، ١٦ .

ومثل قوله : (إنهم كانوا لا يرجون حساباً ، وكذبوا بآياتنا كذاباً) ^(١)
فإن عدم اعتقادهم للحساب هو تكذيبهم بالآيات .
ومثل هذا في القرآن العزيز كثير جداً .

فإن قلت : يمكن إن يقال إن الملكَ غيرُ الإلهِ ، لأن أمير كل بلدة يوصف بأنه ماسكها ، ولا يوصف بأنه إلهها ، وكذلك رب الدار لا يقال له إلهها ، وأيضاً يمكن أن يقال إنه أراد بالحَبِّ الأقوات ، وبالنبات ما لا ساق له من الشجر ، وبالجنات ماله ساق ، وغير ذلك من التأويلات .

قلت : إذا شرعت في هذا كان لقائل أن يقول إن قول الصابي : لا تُخلقهُ العصورُ غير قوله لا تُهَرِّمُهُ الدهور ، لأن الهرم إنما يكون للحى المختار ، والإخلاق أعمُّ من ذلك ، لأنه يكون للجماد ، فزاد أنه لا تُغيِّره الأوقات ، على كلا مذهبي المتكلمين والحكماء .

وقوله : « لم يدعْ له أثراً من آثارِ الديارِ والأماكن ولا رسماً » من قولهم قد رسمت لك في هذا الكتاب رسوماً فاعمل بها . وأيضاً فإنَّ تَعَتَّلَ غير تَلَتَّاتُ ، لأن الالتيات الضعفُ فقط ، وإن لم يكن عن علة ، ولذلك أعقبه بقوله تَسْتَقِلُّ ، كما أعقب الاعتدالَ بالصحة . ومثل هذه التَّدَقِيقَاتِ الخَفِيَّةِ في التأويلات لا يتعذر تحصيلها على من عنده فقه في موارد هذه الصناعة .

قال المصنف والتّصريحُ سبعة أنواع^(١) .

الأولُ أن يستقلَّ كلُّ واحدٍ من المِصْرَاعَيْنِ بنفسه استقلالاً تاماً ، وهو التّصريح الكامل ، كقول امرئ القيس :

أفاطمَ مهلاً بعضَ هذا التّدال وإن كنت قد أزمعتَ هجري فأجلى^(٢)
وقول المتنبي :

إذا كان مدحٌ فالنسيبُ المقدّم أكل فصيح قال شعراً متّيمٌ؟^(٣)

الثاني : أن يكون المِصْرَاعُ الأوّلُ مستقلاً بنفسه ، والثاني غير مستقل بنفسه ، بل يكون مرتبطاً بالأوّل كقول امرئ القيس :

قِفَا نَبْكَ من ذِكْرى حبيبٍ ومنزل
يسقطُ اللّوى بين الدّخولِ فَحَوْمِلِ^(٤)

وقول أبي تمام :

ألم يَأْنِ أن تروى الظّماء الحوائمُ وأن ينظّم السّملَ المبدّدَ ناظمٌ؟^(٥)

(١) المثل السائر ١/ ٣٣٨ .

(٢) من معلقته .

(٣) مطلع قصيدته في مدح سيف الدولة .

الديوان ٢/ ٢٤٩ .

(٤) مطلع المعلقة .

(٥) مطلع قصيدته في مدح أحمد بن أبي دؤاد .

الديوان ٢٨٥ .

والثالث : أن يمكن وَضْعُ كُلِّ واحدٍ من المصراعين موضع الآخر ، وهو التصريح الموجَّه ، كقول ابن الحجاج :

من شروط الصُّبوح في المِهْرَجَان خِفَّةُ الشُّربِ مَعَ خُلُوِّ المَكَانِ^(١)
وهذا في الجودة كالنوع الثاني .

والرابع : أن يكون المصراع الأول مستقلاً بنفسه ، ويفتقر فهم معناه إلى الثاني وهو مذكوم ، ويسمى التصريح الناقص ، كقول المتنبي :

مَفَانِي الشُّعْبِ طَيِّبًا فِي المَفَانِي بَمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ^(٢)

والخامس : أن يكون التصريحُ بلفظةٍ واحدةٍ في الضرب والعروض ، إما حقيقةً كقول عبيد بن الأبرص :

وَكُلُّ ذِي غِيْبَةٍ يَؤُوبُ وَغَائِبُ المَوْتِ لَا يَؤُوبُ^(٣)

وإما مجازاً كقول أبي تمام :

فَتَى كَانَ شَرِبًا لَلْعَفَاةِ وَمُرْتَعًى فَأَصْبَحَ لِلْهِنْدِيَّةِ الْبَيْضِ مَرْتَعًا^(٤)

(١) بقيمة الدمر ٦٥/٣ .

(٢) مطلع قصيدته في مدح عضد الدولة وولده ، ووصف شعب يوان .
الديوان ٤٨١/٢ .

(٣) من قصيدته التي مطلعها :

أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ فَالْقَطِيبَاتِ فَالْدُنُوبِ

(٤) من قصيدته في رثاء أبي نصر محمد بن حميد الطائي التي مطلعها :

أَمِ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَا وَأَصْبَحَ مَفْنَى الْجُورِ بِعَدِّكَ بَلَقَا
الديوان ٣٧٤ .

العفاة : طلاب العطاء . مرتعى : موضع رعى . مرتع : مسرح .

والسادس : أن يُذَكَّرَ مصراعُ الأول ويكون معلقاً على صفة يأتي ذكرها في أول المصراع الثاني ، ويسمى التصريع المعلق ، وهو معيبٌ جداً ، ومثله قول امرئ القيس :

ألا أيها الليل الطويلُ ألا انجلي بصُبحٍ وما الإصباحُ منك بِأَمثلٍ^(١)

فإن المصراع الأول معلق على قوله بصبح .

ومثله قول المتنبي :

قَدْ عَلِمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا تَدَمَّى وَأَلْفٌ فِي ذَا الْقَلْبِ أَخْرَانَا^(٢)

فإن المصراع الأول مُعَلَّقٌ على قوله تدمى .

والسابع : أن يكون التصريعُ في البيت مخالفاً لقافيته ، ويسمى التصريع المنتظم ، وهو أقبح التصريعات ، كقول أبي نواس :

أَقْلَنِي قَدْ نَدِمْتُ عَلَى الذَّنُوبِ وبالإقرارِ عُدْتُ مِنَ الْجُحُودِ^(٣)

(١) من معلقته

(٢) مطلع قصيدته في مدح أبي سهل سعيد بن عبيد الله الأنطاكي

الديوان ٤٥٧/٢

يريد أن الفراق قد علم الأجفان الفراق ، فالتقى سهراً ، وجعل الفراق يؤلف الحزن

لمغراباً في الصنعة

والبيت الآخر

(٣) أحد بيتين كتب بهما إلى الفضل بن الربيع ، والبيت الآخر هو :

وإن تصفح فإحسان جديد . . . سبقت به إلى شكر جديد

الديوان ١٠٩

أقول إن النوع السادس عند التحقيق هو النوعُ الثاني ، فإن كان الثاني جيداً كما زعم فالثاني معيب .

بيانه أن المصراعَ من النوع السادس مستقلٌ بنفسه ، غيرُ محتاجٍ إلى الذي يليه أضلاً ، لأنه لو وَقَفَ على قوله . « ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى » لكان مفيداً ، لأنه سأل الليل أن ينجلى وينكشف ، وهذا كلام تامٌ مستقلٌ بنفسه ، كقوله : « قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل » بل أتمُّ استقلالاً منه ، لأنه إذا ذَكَرَ الحبيبَ والمنزَلَ ولم يَنْفَعْتَهُمَا كان الكلام يخرج عن الإفادة . وقوله لليل : « ألا انجلى » معناه واضح ، كأنه قال ما أطولك يا ليل فانكشف .

وبيت المتنبي مثل هذا ، بل أتمُّ استقلالاً ، لأن قوله « قد علمَ البينُ منا البينَ أجفاً » كلامٌ حسنٌ مفيدٌ عند من يفهم معناه ، ومعنى هذا المصراع أن البينَ قد علمَ أجفاننا البينَ ، أى فراقَ الأُحبابِ قد علمَ أجفاننا أن يفارق بعضها بعضاً . وهذا معنى لطيفٌ ، وكلام حسنٌ مستقلٌ بنفسه ، لا حاجة له إلى المصراع الثاني ، ولا هو مُعَلِّقٌ عليه أضلاً .

وليس قوله « تدعى » يوجب تعلقَ المصراعِ الأولِ عليه ، لأن موضعه النصب ، من حيث كان صفةً لقوله (منزل)^(١) فلا فصل بين الموضعين .

(١) هكذا بالأصل ولعل الصواب (من حيث كان صفة لقوله أجفاننا كما أن يسقط الأولى

صفة لقوله منزل)

واعلم أنه قد أُخِلَّ في أقسام التصريع بقسمين آخرين : أحدهما أن يكون معنى المصراع الأول مُبَايِنًا لمعنى المصراع الثانى بالكَلْبَةِ ، لارابطة بينهما ، كقول المتنبي :

جَلَلًا كما بى فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ أَغْذَاهُ ذَا الرَّشَاءِ الْأَغْنُ الشَّيْحُ^(١)
فإنه لا مناسبة بين صَدْرِ البيت وَعَجْزِهِ ، وإن ثبت أن بينهما مناسبة كما قد تكلفه قومٌ فما الْغَرَضُ الْمِثَالُ ، وإنما الْغَرَضُ التَّمْثِيلُ .

وهذا غير القسم الأول الذى ذكره المصنف ، لأن قوله « وإن كنت قد أَرَمَعْتَ هَجْرِي فَأَجْمَلِي » له ارتباطٌ معنويٌّ فى الجملة بقوله « أفاطم مهلا » وتقدير الكلام إن كان صَدُّكَ دَلَالًا فَأَمْهَلِي مِنْهُ ، وإن كنت قد أَرَمَعْتَ الْهَجَرَ وَالْقَطِيعَةَ بالسكوية فَأَجْمَلِي من ذلك .

والقسم الثانى التصريع فى العروض بحركة تخالف حركة الضَرْب ، نحو أن يكون أَحَدُهُما بالرفع والآخر بالجر ، كقول أبى نواس :

اختصم الحسنُ والجمالُ فيك فصارا إلى جدال
وهذا يخالف القسم السابع الذى ذكره المصنف ، لأن ذاك اختلافُ الحرفين ، وهذا اختلاف الحركتين .

(١) مطلع قصيدته فى مدح مساور بن عمدة الرومى .

الديوان ١٦٤/١ ومنه أصلنا البيت .

الحل : الأمر العظيم . التبريع : الجهد والعدة . الرشأ : ولد الضبية . الشح : نبات طيب الرائحة .

قال المصنف : فأما التَّجْنِيسُ^(١) فهو أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً ،
وهذا ينقسم إلى أقسام يدخل فيها ما هو التجنيس الحقيقي وما يشبهه به .
قال : وقد يُظَنُّ أن قول أبي تمام :

أظنُّ الدَّمْعَ في خَدَّيْ سُبَيْقٍ رسوما من بكائي في الرسوم
من هذا الباب نظراً إلى مساواة اللفظ ، وهو غلطٌ ، لأن المعنى غير مختلفٍ
فيهما ، ومن شرط التجنيس وما يشابهه اختلافُ المعنى مع تماثل اللفظ .
ثم قال : فنال التجنيس الحقيقي قول أبي تمام :

من القوم جَعَدٌ أبيضُ الوجه والنَّدَى
وليس بَنَانٌ يُجْتَدَى منه بالجمدِ^(٢)
قال : الجمد : السيد ، ويقال للبخیل إنه لجمدُ البنانِ . قال ومثل قوله :
كَمْ أَخْرَزَتْ قُضْبُ الهنديِّ مُصْلَتَهُ
تَهْتَرُ من قُضْبٍ تَهْتَرُ في كُتُبِ

(١) اللؤلؤ السائر ٣٤٢/١ وما بعدها بإيجاز .
(٢) من قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الأزدي .
الديوان ١٣١ .

بيضٌ إذا انتَضِيَتْ من حُجْبِها رَجَعَتْ

أَحَقَّ بِالْبَيْضِ أَدَانَا مِنَ الْحُجْبِ^(١)

قال فالقُضْبُ : السيوف ، والقُضْبُ : القدود ، والبييضُ : السيوف ،
والبيض : النساء^(٢) .

أقول إن لفظي قُضْبُ في البيت الأول ، ولفظي البيض في البيت
الثاني ، خارجة عن باب التجنيس بالكلية ، لأن القُضْبُ جمع قُضِب ، وهو
العود الزشيق من الشجرة ، هذا هو حقيقة هذا اللفظ في أصل وضعه ، وإنما
سُمِّي السيف به مجازاً أيضاً .

ولا تظن أن تسمية السيف قضيبياً من حيث كان قاطعاً ، من القُضْب وهو
القطع ، فيكون فَعِيل بمعنى فاعل ، كقدير وعليم ، لأنهم لو كانوا أرادوا ذلك
لَسَمَوْا السيفَ العَظِيمَ العَرَضَ قُضِييَا ، وما رأيتهم سَمَوْهُ بذلك ، وإنما سموا به
السيف اللطيف .

ومثل ذلك البيض فإنها ليست من أسماء النساء ، والبيضاء امرأة لفظتين
مترادفتان كاللؤمى والهكوك^(٣) ونحوهما ، ولا البييضُ من أسماء السيوف

(١) أصلها البيهت من اللث السائر ومن الديوان ١٠ والبيتان من قصيدته في مدح
المتعم لا فتح صورية ومطلعا :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده المدين الجد واللعب
(٢) للث السائر ٣٤٤/١ وليس عبارة ابن الأثير : « فالقُضْبُ السيوف والقُضْبُ القدود
على حكم الاستمارة ، وكذلك البيض السيوف ، والبيض النساء .

(٣) من معاني اللؤمى للصدق والوفاق والخاصم وقابل المصيبة .
ومن معاني الهكوك المكان القليظ الصلب أو النهل ضد . والسمن والماجن .

ولا سمعنا أن الأبيض اسم السيف ، كما أن الليث اسم الأسد ، وإنما البيضُ
عبارة عن أشياء ذوات بياض فقط ، ثم استُعيرت اللفظة للسيوف والنساء صفةً
لا أسماءً . وهذا أمر خارج عن باب التجنيس ، ولو كان هذا من التجنيس لوجب
إذا قيل في الليل أسود وفي الجنة سوداء وفي أسود من قولهم عندي الأسودان
أن يكون هذا تجنيساً ، ولم يقل ذلك أحدٌ ، لأن هذه الصفات تختلف موصوفاتها
ولا تختلف هي .

فلئن كان مثل هذا تجنيساً ، فليكن بيتُ أبي تمام الأولُ تجنيساً ، لأن
رسوم للدمع هي مجاربه وآثاره ، ورسوم الدار جمع رسم وهو مصدر رسمتُ
الدار ، أي عَفَيْتُهَا قال : (أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَرْبَعٍ وَمَصِيفٍ) وهذا أشدُّ
اختلافاً من البيض والبيض ، والقضب والقضب .

قال المصنف : ومن التجنيس أيضاً قول أبي تمام :

أَنَاسٌ إِذَا مَا اسْتَلَحَمَ الرَّوْعُ صَدَّعُوا

صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكَتَائِبِ^(١)

قال فلفظ الصدور في البيت واحد والمعنى مختلف .

(١) المثل السائر ١/ ٣٤٤ من قصيدة لأبي تمام في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجل
مطلعا :

على مثلها من أربع وملاعب أذبلت مصونات الدموع السواكب
صدعوا : شققوا . العوالى : الرماح . الكتائب : الجيوش .

أقول . وهذا أيضا من القرار الأول الذى قلنا إنه ليس بتجنيس ، لأن
الصدر اسم لهذا المصنوع المخصوص ، لكنه لما كان هو مُقَدَّم الإنسان ، نُقِلَ إلى
صدور العوالى وهى رءوسهما وما يَتَقَدَّم منها ، وإلى صدور الكتاب وهى
ما يتقدم منها أيضا ، فالمعنى واحد فى الموضوعية ، وإذا اتحد المعنى خرج عن
باب التجنيس .

قال المصنف : ومن أقسام التجنيس أن يقع الاختلاف فى الوزن
والتركيب بحرف واحد ، كقول محمد بن وهيب :

قَسَمْتَ صُرُوفَ الدَّهْرِ بِأَسَاوِنَاثِلَا فَمَا لَكَ مَوْتُورٌ وَسَيْفُكَ وَاتِرٌ^(١)

أقول إن إدخال هذا البيت فى التجنيس من ظريف الأشياء ، فإن المعنى
فى الكلمتين واحد ، وإنما يَخْتَلِفُ الفاعل وصيغة المفعول كالمضروب ،
ولو كان هذا تجنيسا لَوَجَبَ أن يكون قَوْلُ القائل : « ضربت زيدا بالعصا
ضربا فَلَقَ المضروب بالضارب » قد تَضَمَّنَ لتجنيس فى أربعة مواضع :
الفعل ، والمصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول . وهذا لما لم يذهب إليه ذاهب .

قال المصنف في باب الموازنة : مما جاء في الموازنة شعراً قول الأول (١) :

إِنْ يَمْتَلُوكَ فَقَدْ ثَلَّتَ عُرُوشَهُمْ بُمَتَّيْبَةٍ بِنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ
بِأَشَدِّهِمْ بَأْسًا عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعَزَّهُمْ فَقْدًا عَلَى الْأَصْحَابِ
فَإِنْ بَأْسًا وَقَدْ أَى وَزْنَ وَاحِدَ .

أقول إنه قال في أول قسم الألفاظ المركبة إن صناعة تركيب الألفاظ والمعاني تنقسم إلى ثمانية أقسام ، منها السجع وهو يختص بالمنثور ، ومنها التصريح وهو يختص بالمنظوم ، ومنها التجنيس وهو عامٌ لهما ، ومنها الموازنة وهي تختص بالمنثور (٢) .

وهو هنا يذكّر أن في الشعر موازنة ، وذلك نقض لما قدّمه .

قال المصنف في الكلام عن الصناعة المعنوية : وصاحب هذا الفن لا يحتاج إلى ما ذكره الحكماء في علم المنطق في الشعر . وقد قرأت كلام أبي علي بن سينا في المنطق ، وتأملت ما قاله في الشعر فوجدته يقول إن ذلك

(١) المثل السائر ١ / ٣٨٠ والبيتان لربيعة بن عبيد بن سعد بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين أحد بني أسد . وربيعة هذا هو أبو ذؤابة الأسدي . وقد نسب الشعر في حاشية أبي تمام ١ / ٣٥٤ لرجل من بني نصر بن قعين . وفي الحاشية والمثل السائر (على أصحابه) بدلا من (على أعدائهم) .
(٢) المثل السائر ١ / ٢٧١ .

يُورَدُ عَلَى مُقَدِّمَتَيْنِ وَنَتِيجَةٍ . قَالَ وَقَدْ كَانَ ابْنُ سِينَا يَنْظُمُ الشَّعْرَ وَلَا يَرْتَبِهِ عِنْدَ إِفَاضَتِهِ فِي صَوْنِهِ بِالْأَصَالَةِ ، لِأَنَّهُ لَمْ تَخْطُرْ الْمَقْدِمَتَانِ وَالنَّتِيجَةُ لَهُ بِيَالٍ ، وَلَوْ أَنَّهُ اسْتَحْضَرَ الْمَقْدِمَتَيْنِ وَالنَّتِيجَةَ ، ثُمَّ أَتَى بِالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ بَعْدَهُمَا لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ يَنْتَفِعُ بِهِ ، وَإِنَّمَا هَذِهِ فِتَا قَعٌ وَالْفَاظُ طَوَّلَ الْقَوْمُ بِهَا كُتِبَتْهُمْ^(١) .

أَقُولُ : هَذِهِ جَفَايَةُ عُجْبِ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَدْعُوهُ قَرِطُ اعْتِقَادِهِ فِي نَفْسِهِ ، وَشَفَقُهُ بِمَا يَخْطُرُ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَلَى قَوْمٍ لَا يَعْرِفُ أَقْوَالَهُمْ ، وَلَا يُحْصَلُ مَعْنَى اصْطِلَاحَاتِهِمْ ، فَضَلًّا عَنْ أَنْ يَبْلُغَ رُتَبَتَهُمْ ، وَيَتَرَقَّى فِي دَرَجَتِهِمْ ، إِلَى أَنْ يَنْقُضَ عَلَيْهِمْ ، فَيَقَعَ هَذَا الْمَوْقِعُ .

وَلَيْسَ مَرَادُ الْقَوْمِ بِالشَّعْرِ مَا يَتَوَهَّمُ .

(١) مَلْخَصٌ مِنَ الْمَثَلِ السَّائِرِ ٢/٥ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : أَعْلَمُ أَنَّ الْمَعَانِي الْخَطَابِيَّةَ قَدْ حَصَرْتُ أَصُولَهَا ، وَأَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ حَكَمَاءُ الْيُونَانِ ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ الْمَصْرُوعَ كَلِمًا لَا جَزْئِي ، وَعَمَّا أَنْ تَحْصِرُ جَزْئِيَّاتِ الْمَعَانِي وَمَا يَتَفَرَّعُ عَلَيْهَا مِنَ التَّفْرِيعَاتِ الَّتِي لَانْتِهَائِهَا لَهَا وَلَقَدْ قَاوَضَنِي بَعْضُ الْمُتَفَلِّسِينَ فِي هَذَا ، وَانْسَاقَ الْكَلَامِ إِلَى شَيْءٍ ذَكَرَهُ لِأَبِي عَلِيٍّ بْنِ سِينَا فِي الْخُطَابَةِ وَالْعَمْرِ ، وَذَكَرَ ضَرْبًا مِنْ ضُرُوبِ الشَّعْرِ الْيُونَانِي ، وَقَامَ فَأَحْضَرَ كِتَابَ الشِّفَاءِ لِأَبِي عَلِيٍّ وَوَفَّقَنِي عَلَى مَا ذَكَرَهُ ، فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ اسْتَجَبْتُهُ ، فَإِنَّهُ طَوَّلَ فِيهِ وَعَرَضَ ، كَأَنَّهُ يَخَاطَبُ بَعْضَ الْيُونَانِ ، وَكُلَّ الْقِيِّ ذَكَرَهُ لِقَوْلِهِ لَا يَسْتَفِيدُ بِهِ صَاحِبُ الْكَلَامِ الْعَرَبِي شَيْئًا .

ثُمَّ مَعَ هَذَا جَمِيعِهِ فَإِنَّ مَعُولَ الْقَوْمِ فِيهَا يَذْكُرُ مِنَ الْكَلَامِ الْخُطَابِي أَنَّهُ يُورَدُ عَلَى مُقَدِّمَتَيْنِ وَنَتِيجَةٍ ، وَهَذَا مَا لَمْ يَخْطُرْ لِأَبِي سِينَا بِيَالٍ فِيهَا صَاغَهُ مِنْ شَعْرِ وَكَلَامٍ مُسْجُوعٍ ، فَإِنْ لَهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِ ، وَعِنْدَ إِفَاضَتِهِ فِي صَوْنٍ مَاصَاغُهُ لَمْ تَخْطُرْ لِلْمَقْدِمَتَيْنِ وَالنَّتِيجَةِ لَهُ بِيَالٍ . وَلَوْ أَنَّهُ فَكَّرَ أَوَّلًا فِي الْمَقْدِمَتَيْنِ وَالنَّتِيجَةِ ، ثُمَّ أَتَى بِالنَّظْمِ أَوْ نَثْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَا أَتَى بِشَيْءٍ يَنْتَفِعُ بِهِ ، وَلَطَالَ الْخُطْبُ عَلَيْهِ .

بَلْ أَقُولُ شَيْئًا آخَرَ : وَهُوَ أَنَّ الْيُونَانِ أَنْفُسَهُمْ لَمْ يَنْظُمُوا مَا نَظَّمُوهُ . مِنْ أَشْغَارِهِمْ لَمْ يَنْظُمُوهُ فِي وَقْتِ نَظْمِهِ وَعِنْدَهُمْ فِكْرَةٌ فِي مُقَدِّمَتَيْنِ وَلَا نَتِيجَةٍ ، وَإِنَّمَا هَذِهِ أَوْضَاعُ تَوْضِعٍ ، وَتَطَوُّلُ بِهَا مَصْنَفَاتُ كَتَبِهِمْ فِي الْخُطَابَةِ وَالْعَمْرِ ، وَهِيَ كَمَا يَقَالُ فِتَا قَعٌ لَيْسَ لَهَا طَائِلٌ ، كَأَنَّهَا شَعْرٌ الْإِبْيُورْدِي .

والذى يُريدونه بالشعر يأتى فى كل قياسٍ مُحَيَّلٍ يَعْلَمُ العاقلُ كَذِبَهُ ،
 لكنه يُحَدِّثُ له مع ذلك نَوْعَ قَبْضٍ أو بَسْطٍ أو إِقْدَامٍ أو إِحْجَامٍ ، كما يقال :
 لا تأكلوا العسل ، فإنه ثمرة مَقِيَّةٌ ^(١) ، أو يقال للحلواء الرطبة المزعفرة
 لا تأكلها فإنها غائط . فالعقل والحس يكذبان هذا الكلام الذى هو فى قوة
 قياس ، صَوْرَتُهُ هَكَذَا : كلُّ غائطٍ فهو غير مأْكَلَةٍ . ومع علمه بكذبه يَنْقَبِضُ
 عن الأكل . وأكثُرُ إقدامِ الناسِ وإحجامهم بسببِ هذه التَّخَيُّلاتِ
 والأوهام ، وهى الأَقْيَسَةُ الشَّعْرِيَّةُ التى يذكرونها ، وإنما سُمِّيتْ شَعْرِيَّةً
 لمشابهتها مقاصد الشعراء فى تَخَيُّلاتِهِمْ وَتَرْوِيقاتِهِمْ .

وأما تَوَهُمُهُ أن الشاعر يحتاج وقتَ نظمِ الشعرِ إلى استعمالِ مقدمتين
 ونتيجةٍ ، وقوله إن ابن سينا كان ينظم شعرا ولا يُرتَّبُ المقدمتين وقتَ نظمه ،
 فتَوَهُمٌ بعيدٌ ، وإن كان القوم عنده بهذه الصورة ويراهم بهذه العين
 فإنه لم يَعْرِفْهُمْ . . .

قال المصنف : وقد تَصَفَّحْتُ كتابَ الخصائص لأبى الفتح ابنِ جِىٍّ ،
 فوجدته قد ذكر فى المجاز شيئا يَتَطَرَّقُ النَظَرُ إليه ، وذلك أنه قال : لا يَمْدُلُ
 عن الحقيقةِ إلى المجازِ إلا لِمَانِ ثلاثة : وهى الاتساع ، والتشبيه ، والتوكيد ،

(١) ثمرة مَقِيَّةٌ ، يَفْقُ هذا مع قول الشاعر :
 أقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن ذمت فقل فى الزفاير
 وكان بالأصل (مرة مَقِيَّةٌ) .

فإن عُدِمَتْ هذه الثلاثة كانت الحقيقة البتّة . فمن ذلك قوله تعالى : « وأدخلناه في رحمتنا » (١) .

فهذا الكلامُ اجتمعت فيه المعاني الثلاثة المذكورة .

أما الاتّساع فإنه زاد في أسماء الجهات والحال اسمًا هو الرحمة .

وأما التشبيه فإنه شبه الرحمة — وإن لم يصحّ الدخول فيها — بما يصحّ الدخول فيه .

وأما التوكيد فإنه أخبر عما لا يُدرك بالحاسة بما يُدرك بالحاسة تعالىً بالمخبر عنه ، وتفخيمًا له ، إذ صيّر بمنزلة ما يُشاهد ويُعائِنُ .

قال والكلامُ عليه من ثلاثة وجوه : أولها أنه جعل وجودَ هذه المعاني الثلاثة سببًا لوجود المجاز ، وعدَمُها سببًا لعدَمِهِ ، وهذا خطأ ، فإنه ليس وجودُ [هذه الثلاثة سببًا لوجود] (٢) المجاز بل وجود واحد منها أيها كان سببَ وجوده . وأيضًا فلو كان وجود هذه المعاني الثلاثة سببًا لوجود المجاز لكان عدَمُ أحدها أيها كان سببًا لعدَمه ، كما إذا قلنا : لا يوجد الإنسان إلا بأن يكون حيوانًا ناطقًا ، والحيوانية والنطق سببُ وجود الإنسان ، فإذا عدِمَ واحدٌ منهما بطلَ أن يكون إنسانًا ، وكذلك كل صفة تكون مُقَوِّية لوجود شيء من الأشياء ، كان وجودها يُوجبُ وجودَ ذلك الشيء ، وعدَمُ واحد منها يُوجبُ عدَمه (٣) .

(١) بالأصل (وأدخلناه) .

(٢) ما بين قوسين زيادة يقتضيها السياق .

(٣) المثل السائر ٨٥/٢ وهنا زيادات ليست بالمثل السائر ، لأن ابن الأثير قال : هذا

مجموع قول أبي الفتح — رحمه الله — من غير زيادة ولا نقص . والنظر يتطرق إليه من ثلاثة =

أقول : ليس مراد أبي الفتح — رحمه الله — ما ظنّه ، فكيف يذهبُ إلى أن يقولَ المجازيةُ متوقفةٌ على اجتماع هذه الأمور الثلاثة ؟ وقد حَصَرْتُ ضَرْبَ أمثلةٍ كثيرةٍ للمجاز في كتابه هذا ، وكلُّ موضعٍ منها مختصٌّ بواحدٍ من هذه الثلاثة فقط ، وإِنما ذكرَ هذه الآيةَ لِيُبَيِّنَ بها أنه قد وَجَدَ مَوْضِعاً اجتمع فيه الشروطُ الثلاثةُ التي يتوقفُ المجازُ عليها لمعانٍ ثلاثة ، مثل قوله في كتاب اللّمع : والكلامُ كله ثلاثة أشياء : اسم وفعل وحرف ، فإنه لا يُرِيدُ أن كل لفظٍ من الكلام يَجْتَمِعُ لها أن تكونَ اسماً وفعلًا وحرفاً ، إِنما مراده أن كل لفظٍ من الكلام فإنها لا تخلو عن هذه الأنواع الثلاثة ، بل تكونُ واحداً منها أيها كان ، ولكنه يتسامح في اللفظ اعتماداً على فَهْمِ السامعِ ، وثقةً بأن مثلاً هذا الكلام لا يزال الناسُ يستعملونه في محاوراتهم .

فأما قوله : (فإذا عُدِمَتْ هذه الثلاثةُ كانت الحقيقةُ البتّةُ لا غيرُ) جيدٌ لا اعتراضَ عليه ، لأنه لو عُدِمَ أحدها فقط لم تأتِ الحقيقةُ متعينةً البتّةُ ، لأنَّ أحدَ القسمين الباقيين يكفي في حُسْنِ المجاز ، وإِنما تتعَيَّنُ الحقيقةُ البتّةُ إذا عُدِمَتْ الثلاثةُ كلها .

ومن هذا الموضع يجب أن يفهم معنى قوله : « لا يُعَدَّلُ عن الحقيقة إلى المجاز إلا لمعانٍ ثلاثة » لأنه لو كان أراد اجتماعَ معانٍ ثلاثة لما قال : « فإذا عُدِمَتْ هذه

== أوجه . الأول أنه جمل وجود هذه المعاني الثلاثة سبباً لوجود المجاز ، بل وجود واحد منها سبباً لوجوده . ألا ترى أنه إذا وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازاً ، وإذا وجد الانساع وحده كان ذلك مجازاً . ثم إن كان وجود هذه المعاني الثلاثة سبباً لوجود المجاز كان عدم واحد منها سبباً لعدمه ، ألا ترى أننا إذا قلنا : لا يوجد الإنسان إلا بأن يكون حيواناً ناطقاً ، فالحيوانية والنطق سبب لوجود الإنسان ، وإذا عدم واحد منهما بطل أن يكون إنساناً ، وكذلك كل صفات تكون مقدمة لوجود الشيء فإن وجودها بوجوده ، وعدم واحد منها يوجب عدمه .

الثلاثة كانت الحقيقة البتة « لأن الذي لا يحسن استعماله إلا عند اجتماع عدة أشياء يذتفي حُسن استعماله عند انتفاء واحدٍ فقط من تلك الأشياء ، لأنه إذا انتفى أحدها فقد زال اجتماع تلك الأشياء الذي جعلنا حُسن الاستعمال موقوفاً عليه .

وأما تمثيله بالإنسان والحيوانية والنطق فتمثيل غير مطابق لما نحن فيه ، لأن حملنا كلام أبي الفتح على ما قد توهمه خطأ ، إلا إن حملناه على المحمل الصحيح ، فاجتماع هذه الأشياء الثلاثة التي أشار أبو الفتح إليها ليس مقوماً للمجاز ، ولا هي أسباب وجوده ، وإنما هي شرائط حُسن استعماله ، فكيف مثلاً ذلك بأجزاء الماهية المقومة ؟ .

قال المصنف : الوجهُ الثاني أنه ذكر التشبيه والتوكيد ، وكلاهما شيء واحدٌ على الوجه الذي ذكره ، لأنه شبه الرحمة وهي لا تدرك بالبصر بمكان يُدخل فيه ، وهو صورةٌ تدرك بالبصر ، فدخل تحت ذلك التوكيد الذي هو إخبار عما لا يدرك بالحاسة بما يدرك بالحاسة ^(١) :

أقول : إن لقوله تعالى : (وأدخلناه في رحمتنا) اعتبارين : أحدهما أنه جعل الرحمة ظرفاً وصريح بذلك حين أتى بلفظة (في) وهي مختصة بالظرفية ، والرحمة هي إرادة الثواب ، والإرادة لا تكون ظرفاً .

(١) الثل السائر ٨٦/٢ . وليس عبارة ابن الأنبر (بما قد يدرك بالحاسة) .

والثاني أن فَحَوَى الكلام : رَحِمْنَا قد دَخَلَ فيها قومٌ ، كما يقول دارنا
قد دخلها قومٌ ، والدخولُ حركةٌ مخصوصةٌ ، وكل حركةٌ فهي مرثيةٌ
بالبصر ، فقد أَخْبَرَ عما لا يُدْرِكُ بالبصر ، وأحدُ هذين الاعتبارين مغايرٌ للآخر ،
ألا ترى أن قولهم (فلان قد عَضَّ الدهر) فَحَوَاهُ أمرٌ يُدْرِكُ بالبصر وهو
العَضُّ ، فلا جُلَّ تَغَايُرِ هذين الاعتبارين جعلهما أبو الفتح - رحمه الله - قسمين .

قال المصنف : على أن التوكيدَ ها هنا لا أعلم ما أراد به ، لأنه لا يُؤْتَى
به في اللغة العربية إلا لمعنيين : أحدهما أنه يَرِدُ بألفاظٍ محصورةٍ ، نحو نفسه
وعينه وكله وغير ذلك مما هو مذكور في كُتُبِ الدُّعَاةِ ، والآخر أنه يَرِدُ على
وجه التكرير ، كقولك قام زيد قام ،ريد فكرر اللفظ تحقيقاً وتوكيداً
للمعنى المقصود ، وأبو الفتح لم يَرِدْ أحدُ هذين القسمين ، فلا يكون له معنى
إلا أن يريد إبرازَ المعنى الموهوم إلى صورةِ المشاهدة ، وقد عَبَّرَ عنه بالتوكيد ،
فيكون ذلك هو التشبيهَ بَعَيْنِهِ ، فلا حاجةَ إلى إيرادِهِ بالدَّكْرِ (١) .

أقول : ما أراد أبو الفتح رحمه الله شيئاً مما تَوَهَّمَهُ هذا الرجل ، وقد اعترف
بأنه لم يفهمْ مرادَهُ مع ظهوره . وذلك أن أحدَ الأغراض الصحيحة في نقل
العبارَةِ عن موضعها الأَصْلِيِّ إلى غيره تأكيدُ المعنى على وَجْهِ يَفْعَلُ في نفس
السامع مالا تفعله الحقيقة ، كقوله تعالى : (سَتَفَرُّغُ لَكُمْ أَبْهَا الثَّقَلَانِ) (٢)

(١) المثل السائر ٨٦/٢ بتلخيص .

(٢) سورة الرحمن ٣١ الثقلان : الإنس والجن .

ومرادهُ سَنَقْصِدُ ، ولم يَقُلْ ذلك ، لأن في الفَرَاغِ معْنًى ليس في القَصْدِ ، وهو التهديد والوعيد ، فإن قَوْلَ الْمَلِكِ لصاحب الجريمة : سأفرغُ لك يَتَضَمَّنُ من التخويف ما لا يَتَضَمَّنُهُ قوله سأَقْصِدُ لك .

وقوله تعالى : (ولما سَكَتَ عن موسى الغَضَبُ)^(١) ومراده ذهب ، لكنَّ (سَكَتَ) آكَدُ لما يُريدُه ، لأن فيه دليلاً على تَوَقُّعِ عود غضبه إذا عاودوا النكْرَ في عبادتهم العجل ، كما أن الساكت يُتَوَقَّعُ كلامه .

وكقوله تعالى : (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً)^(٢) مراده عَمْدُنَا ، لكنَّ (قَدِمْنَا) آكَدُ وَأَبْلَغُ ، كأنه كان يَأْمُهَالِهَ لهم كالفائب عنهم ، ثم قَدِمَ منهم على ما لا ينبغي ، فجازاهم بحسبه ، فهذا هو مراد الشيخ أبي الفتح رحمه الله .

قال المصنف : والوجه الثالث أنه قال : وأما الاتساع فإنه زاد في أسماء الجهات والمحالِّ اسماً هو الرحمة . قال : ويلزم على قياسِ هذا القول أن يكون (جَنَاحَ الذَّلِّ) في قوله تعالى : (واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ) هكذا يكون قد زاد في أسماء الطيور اسماً هو الذَّلُّ ، وأن يكون قول أبي تمام .

لَيْسَتْ سِوَاهُ أَقْوَامًا فَكَانُوا كَمَا أَغْنَى التَّيَّمُّ بِالصَّعِيدِ

(١) سورة الأعراف ١٥٤ (ولا سَكَتَ عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) .
(٢) سورة الفرقان ٢٣ .

زيادة في أسماء اللباس ، وهو الإنسان ^(١) .

أقول : إن هذا الذي ألزمته أبا الفتح رحمه الله لا يَمْنَعُ من التزامه ، بل هو قياسٌ مُطَرَّدٌ في جميع التَّوَسُّعات ، فما الذي أنكرتَ من ذلك؟ وإنما يَصَحُّ اعتراضك لو ألزمتَهُ شيئاً لا يُقدَّرُ على التزامه ، ويحتاجُ إلى بيان الفرق بينه وبين المسألة التي الكلامُ فيها ، فأما إذا كان الكلُّ ينساقُ سياقةً واحدةً فأىُّ محذورٍ يلزِمُ أبا الفتح من ذلك ؟

قال المصنف : قد نظرتُ في كتاب (أصول الفقه) للغزالي فوجدته قد قَسَمَ المجازَ إلى أربعة عشر قِسْماً . قال : وهذه الأقسامُ الأربعة عشر تَرَجِعُ إلى ثلاثة أقسامٍ : وهى التشبيهُ ، والتوسُّعُ ، والاستعارةُ . قال : وبالتقسيمِ لا يَصَحُّ في شيءٍ إلا إذا اِخْتَصَّ كل قسم من الأقسام بصفة لا يَحْتَصُّ بها غيره ^(٢) .

أقول أنا قَبِلَ النظر في اعتراضاته على الغزالي [لا بد من تقديم مقدمة] ^(٣) وهى أنه لا بُدَّ في سائر المجازاتِ من علاقةٍ بين الأصلِ المنقولِ عنه والفرعِ المنقولِ إليه ، وإلا لم تكن تلك اللفظةُ مجازاً من تلك الحقيقة ، بل تكونُ وضْعاً جديداً لا تَمَلِّقُ له بغيره ، وليس الكلامُ في ذلك ، فالأصوليون قد

(١) للتل السائر ٨٧/٢ بتلخيص .

(٢) للتل السائر ٨٨/٢ .

(٣) كانت بالأصل تقدم مقدمة .

اتفقوا على أنه لا بُدَّ من علاقةٍ وارتباطٍ في الجملة ، لكنهم قسّموا تلك العلاقةَ وذلك الارتباطَ أقساماً كثيرة ، فقالوا : قد تكون تلك العلاقةُ باعتبار كذا ، وقد تكون باعتبار كذا إلى آخر الأقسام .

قال هذا الرجل : إن تلك الاعتبارات التي يذكرونها متداخلةٌ ، لا لأنه قد شملها الأمرُ الأعظم وهو العلاقةُ من حيثُ هي علاقةٌ ، بل لأنها في خصوصياتها التي ابتدعها الأصوليون متداخلةٌ ، وقد صَحَّتْ اعتراضاته ، وإلا فهي ساقطة .

قال المصنف : فالقسمُ الأولُ من الأقسام التي ذكرها الفزالي وهو تسميةُ الشيء باسمٍ ما يشاركه في الخاصيةِ كقولهم للشجاع أسدٌ ، وللبليد حمارٌ . قال : وهذا القسمُ إما داخلٌ في الاستعارةِ إن دُكِرَ المنقولُ إليه فقط ، كقولك ركبتُ أسداً ، أوفى التشبيه المذوفِ الأداةِ إن ذكر المنقولُ والمنقولُ إليه معاً ، كقولك زيدٌ أسدٌ^(١) .

أقول : إننا لا نخالفه في هذا ، ولكن ننظرُ فيما يقوله فيما بعدُ .

قال المصنف : والقسم الثاني تسمية الشيء باسمٍ ما يؤوّلُ إليه ، كقوله تعالى : (إني أرايَ أعصرُ خمرًا) وإما رأى أنه يعصرُ عنباً . قال : وهذا القسمُ داخلٌ في القسم المذكور قبله بصفةِ المشابهةِ بين المنقولِ منه والمنقولِ إليه ، وهو

من باب الاستعارة ، بل هذا أوْغَلُ في المشابهة منها ، لأن الخمر من العنب ، وليس الأسد من الرجل ، ولا الرجل من الأسد^(١) .

أقول : هذا القسم خارج عن القسم الذي قبَّله ، لأن القسم الذي قبله هو تسمية الشيء باسم ما يشابهه في خاصيته ، كنسمة الشجاع أسداً ؛ لأن الشجاعة من أخص صفات الأسد ، ولذلك لم يُسمُوا الأبحر أسداً ، لأنه لم يكن البخر من صفات الأسد الخاصة ، فالخمر والعنب ليت شعري في أى الخواص اشتركا حتى يقول إن هذا القسم داخل في القسم الذي قبله ؟ .

فأما قوله : بل هذا أوْغَلُ في المشابهة من الأسد للشجاع ، لأن الخمر من العنب ، وليس الأسد من الإنسان ، فإنه يقال له ليس كَوْنُ الخمر من العنب مما يقتضى المشابهة التي يُنْقَلُ لأجلها اسم أحدها إلى الآخر ، فإن الدقيق من الحنطة ، ولا يجوز أن يقال إنه لما كان منها كان أوْغَلُ في التشابه من استعارة الأسد للشجاع ، فوجب أن يُطْلَقَ على الحنطة لفظ الدقيق .

وتحقيق هذا الموضع هو أن كَوْن الشيء بعنطري من غيره ، أو استحيل غيره إليه ، لا يقتضى أن يكون بين الأمرين مشابهة في أمرٍ خاص لأحدهما قد اشتهر به ، وضرب المثل به في فنه ، كما اشتهر الأسد بالشجاعة ، وضربت به الأمثال فيها ، فلذلك نُقِلَ اسم الأسد إلى الشجاع ، للمشابهة في ذلك الأمر الخاص ، ولم يُنْقَلِ اسم الدقيق إلى الحنطة ، ولا نُقِلَ اسم الخمر إلى

العنب ، بالاعتبار الذى به نُقِلَ اسمُ الأسدِ إلى الشجاع ، بل باعتبار آخر وهو تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه .

وقد حقق الأصوليون هذا القسم تحقيقاً أزيد من هذا ، فقالوا : من أقسام المجاز إطلاق اسم السبب على المسبب ، ولا يثبت فى العلوم الحكمية ، لأن العِللَ أربعة : الفاعل ، والصورة ، والمادة ، والغاية . وكانت أنواع هذا القسم أربعة :

الأولُ تسمية الشيء باسم العلة الفاعلية إما حقيقةً أو ظناً ، كتسمية المطر سماء ، الثانى تسمية الشيء باسم العلة الصورية ، كتسميتهم اليدَ بالقُدرة ، الثالثُ تسمية الشيء باسم العلة القابلية ، كقولهم سالَ الوادى ، يعنون المطر ، الرابعُ تسمية الشيء باسم العلة الغائية ، كتسمية العقْد بالفكاح ، والعنب بالخمَر .

قال المصنف : والقسم الثالث تسمية الشيء باسم فرعه ، كقول الشاعر .
وما العيشُ إلا نومةٌ وتَشْوِيقٌ وتمرُّ على رأسِ النخيلِ وماء

فسمى الرطبَ تمرًا . وهذا القسم والذى قبله سواه ، لأن هناك سُمى العنبُ خمرًا ، وها هنا سُمى الرطبُ تمرًا ، لأنه أَضْلُ التمر ، وهما داخلان فى القسم الأول .

قال وهبٌ أنَّ الغزاليَّ لم يُحقِّقْ أمرَ المجاز ، وقسمه أقساماً لا حاجةَ إليها ،

ألم يَنْظُرْ إلى هذين القسمين اللذين هما العنبُ والخمرُ ، والرُّطْبُ والتَّمْرُ ، ويعلم
أنهما شيء واحد ، لافرقَ بينهما^(١) ؟ .

أقول : بل بينهما فرقٌ ظاهرٌ لو أمعنتَ النظر ، لأن العنب إذا صار خمرًا
فقد استحال من صورةٍ إلى صورةٍ مباينةٍ الأولى في جميع أحوالها ، إلا فيما لا بُدَّ
من الاشتراك فيه كالجسميةِ ونحوها ، فهو كالماء يستحيلُ هواءً ، والهواء يستحيل
نارًا ، والرُّطْبُ إذا صار تمرًا لم يَسْتَحِيلْ إلى صورةٍ أخرى ، بل هو ذلك الجسمُ
يَعْنِيهِ ، إلا أنه يَبَسُّ وجَفَّ بعد أن كان رطبًا ، كاللحم الغريص يصير قديدًا ،
والتين الرُّطْب يصير يابسًا ، فإنما تَغَيَّرَ منه عَرَضٌ واحدٌ ، وهو الرطوبة التي تبدلت
باليبوسة لا غَيْرُ . فَبَيَّنَ الأمرَيْنِ فرقٌ واضحٌ ، وبحسبِ ذلك الفرقِ جُعِلَ
أحدُ القسمين غيرَ الثاني .

فأما قوله : وهما داخلان في القسمِ الأولِ أيضًا ، فإنه ليس بداخل
في القسمِ الأولِ ، لأن مُعْتَمِدَ القسمِ الأولِ المشابهةُ في الوصفِ الأخصِّ ، ولا
مشابهةٌ بين الإنسان والنطفة .

فإن المصنف : والقسمُ الخامسُ تَسْمِيَتُهُ بما يدعو إليه ، كتسميتهم الاعتقاد
قولا ، نحو قولهم هذا يَقُولُ يَقُولِ الشافعي ، أى يَعتقدُ اعتقاده .
قال : وهذا القسمُ يدخل في القسمِ الأولِ أيضًا ، لأن بين الاعتقاد والقول
مناسبةٌ كالمُناسبةِ بين السَّبَبِ والمسبَّبِ ، والباطن والظاهر^(١) .

(١) المثل السائر ٢/٨٩ .

(٢) المثل السائر ٢/٩٠ .

أقول : إن كان يَعْنِي بهذه المناسبة الاشتراك في صفة خاصة ، كاشتراك الشجاع والأسد في الشجاعة ، فليس الأمر كذلك ، لأن الاعتقاد القلبيّ مثل هذه للشاركة ، وإن أراد مناسبةً أعمّ من هذا أى بينهما علاقةً وارتباطاً ، وهو الذى أراد ، لأنه مثلهُ بمناسبة السبب للمسبّب ، فهذا مُسَلَّمٌ . ولكن نحن لم نَمْنَعْ أن بين المجاز وبين موضوعه الأصلى مناسبةً في الجملة ، وكيف نمنع ذلك ، ولولا المناسبة لم يكن مجازاً ؟ .

فإن كان يحاول أن يردّ الأقسام كلّها إلى قسم واحدٍ لأجل أن الأقسام تشترك في أن بين المنقول إليه والمنقول عنه مناسبةً ، فإنه لم يفهم مراد الأصوليين في هذا الموضع ، وما هو إلا مثل أن يقول لهم : لا تُقسّموا الحكم إلى واجبٍ ونَدْبٍ ومَحْظُورٍ ومَكْرُوهٍ ، لأن هذه الأقسام قد اشتركت في أنها اقتضاء أمرٍ من المكلف . فالواجبُ ما اقتضى فعله لا بد منه ، والحرامُ ما اقتضى تركه لا بد منه ، والنَدْبُ ما اقتضى فعله مع تجويز تركه ، والمكروه ما اقتضى تركه مع تجويز فعله ، فهل يجوز لقائل : لما كان الاقتضاء بعينه هذه الأقسام ، وتباين خصوصيتها ، فلا تفصلوها ، ولا تجعلوها أقساماً متعددة ؟ .

قال المصنف : والقسم السادسُ تسميةُ الشيء باسم مكانه ، كقولهم للمطر سماء ، لأنه ينزل منها . قال : وهذا القسم أيضاً داخلٌ في الأول للمناسبة

بين المنقول والمنقول إليه . قال : على أن تسمية المطر سماء يغلب على الظن أنه حقيقة وليس بمجاز^(١)

أقول : قد بينّا أنه لا بدّ من مناسبة ما ، ولكن هذا القسم ليس بداخل في القسم الأول ، لأن مناسبة القسم الأول هي المشابهة ، كالحمار والبليد ، والأسد والشجاع ، ولا مشابهة بين المطر والفلّك ، فإنه توهم أنه لأجل العلوّ ، فالمطر الذي يمسك في الأرض أيا ما يُسمّى سماء ، قالوا : مازلت أظن السماء حتى جئتك . ونحن قد بينّا لم سمّوا المطر سماء . وأما قوله إنه حقيقة فيه فقريب ، ولا يبعد أيضا ذلك عندي .

— ٧١ —

قال المصنف : والقسم السابع تسميتهم الشيء باسم ما يجاوره ، كقولهم للمزادة رَاوِيَةٌ ، وإنما الراوية الجمل الذي يحملها . قال : وهذا القسم من باب التّوسّع لا من باب التشبيه ، ولا من باب الاستمارة ، لأنّ على قياسه ينبغي أن يُسمّى الجمل زاملة ، [لأنه يحملها]^(٢) .

أقول : إنا قد استظرّفنا اعترافه أنّ هذا القسم خارج عن الأول ، فعجبنا منه كيف لم يُعده إليه بأمرٍ ما يتعلق به ، مثل أن يقول إن المزادة يُنتَفَعُ بها ، والبعير يُنتَفَعُ به ، فتشابهها في عموم الانتفاع بهما ، ونحو ذلك من التعلّقات الضعيفة التي جرّت عاداته أن يتمسك بها .

(١) المثل السائر ٢/٩٠ .

(٢) المثل السائر ٢/٩١ وما بين القوسين زيادة من المثل السائر .

واعلم أن من الأصوليين مَنْ جعل هذا القسم مُفرداً برأسه ، وقال إن المجاورة علاقة ما بين المتجاوِرين ، فنُقِلَ بطريقها اسمُ المجاور إلى صاحبه ، وهو لاء يلزمهم قوله : فهلا سَمَوْا الجَلَ مزادةً لأنه يحملها ؟ . لأن استعمال اللفظ في معناه المجازيَّ عنده لا يؤخذ قياساً في كل موضع ، ألا يَرَى أنهم يُطلقون النَّخْلَةَ على الرجل الطويل ، ولا يطلقونها على غيره من الطَّوال ؟ ولأنه لو كُنِيَ في استعمال اللفظ المجازي مُجرَّدُ علاقةٍ وصِلَةٍ كيف كانت لقالوا للأبخر أسد ، لأن الأسد أبخر ، فلمَ لَمْ يقولوا ذلك ؟ علمنا أن هذا أمر لا يَطْرُدُ ، وأيضاً فإن هذا الرجل يَلْزَمُهُ ما ألزمهم ، لأنه إن كان يلزمهم لَمَّا قالوا إن هذا المجاز لأجل المجاورة أن يُسمَى الجَلَ زاملةً أيضاً على طريق الانساع .

ومن الأصوليين من جعل هذا القسم من أقسام المجاز بسبب العلة القابلية ، وقال إنه بمنزلة تسمية الشراب كأساً ، لأن الكأسَ قابلٌ للشراب .

— ٧٢ —

قال المصنف : القسم الثامن تسميةُ الشيء باسم جزئه ، كقولهم : أَبْعَدَ اللهُ وجهه ، وإنما يريدون سائرَ جُثَّتِهِ .

قال : وهذا القسم داخلٌ في القسم الأول ، وهو تسميةُ الشيء باسم قرعِهِ ^(١) .

أقول : قد بيَّنا أنه لا يَدْخُلُ هذا وأمثاله في القسم الأول بوجه من الوجوه أصلاً .

(١) المثل السائر ٩١/٢ .

وقد قال الأصوليون إنه قد يُسمَّى الجزء باسم الكل ، كإطلاق اللفظ العام ، مع أن المراد به الخصوص ، نحو قوله تعالى : (اقتلوا المشركين)^(١) . والمراد بعضهم ، وقد يُسمَّى الكل باسم الجزء ، كما يقال الزنجي أسود ، والمراد أسود البشرة ، لكن المجاز الأول أدخل في باب المجاز وأولى من الثاني ، لأن الجزء يلزم الكل ، وأما الكل فلا يلزم الجزء .

قال المصنف : والقسم التاسع تسمية الشيء باسم ضده ، كقولهم جَوْنٌ للابيض ، وهو اسم للأسود ، قال : وهذا ليس من المجاز ، بل هو حقيقة في الموضعين ، مثل شمتُ السيف إذا أغمدته وسلاته^(٢) .

أقول إن تسمية الشيء باسم ضده قد ذكره الأصوليون ، وقالوا إنه كقوله تعالى : (جزاء سيئة سيئةً مثلها)^(٣) وقوله : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)^(٤) . وما رأيانهم ذكروا هذا المثال الذي حكاه ، ولا يبعد عندي أن يكون ما اعترض به عليه صحيحا ، فإن أكثر أهل اللغة قالوا إن الجَوْن من الأضداد ، وليس إفسادُ المثالِ مُوجِباً لإفسادِ المثلِ عليه ، ومن الناس من جعل قوله تعالى : (جزاء سيئة سيئةً مثلها) من باب المجاز

(٢) سورة التوبة هـ (فإذا الساخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) .

(٣) للتل السائر ٩١/٢ قال ابن الأثير : لأن من الأسماء المشتركة ، كقولهم شمت السيف إذا سلته ، وشتمه إذا أغمدته ، فدل الشيم على الضدين معا بالوضع الحقيقي .

(٤) سورة الشورى ٤٠ .

(٥) سورة البقرة ١٦٨ .

لا التشبيه ، وهو الذى يسمى استعارة ، وهو القسمُ الأولُ الذى حاول هذا الرجل أن يُعيدَ إليه أكثر هذه الأقسام . وقالوا إن جزاء السيئة يشبه السيئة فى كونها سيئةً بالنسبة إلى من وَصَلَ ذلك الجزاء إليه ، وليت هذا الرجل لمّا حاول أن يعيد الأقسام إلى القسم الأول بيّنه فى هذا القسم ، فهذه المشابهة أوردّها ، فكان يأتى بشيء له ذوقٌ .

— ٧٤ —

قال المصنف : والقسم العاشر تسميةُ الشيء بفعله ، كتسمية الخمر مُسكرًا . قال : وهذا القسم داخلٌ فى القسم الأول ، وأى مشاركةٍ أقربُ من هذه للمشاركة ؟ فإن الإسكار صفةٌ لازمةٌ للخمر ، وليست الشجاعةُ صفةً لازمةً لزيد ، لأنه يمكن أن يكون زيدٌ ولا شجاعة ، ولا يمكن أن يكون خمرٌ ولا إسكار ، ألا ترى أنها لم تُسمَّ خمرًا إلا لإسكارها ، فإنها تخمرُ العقلَ أى تَسْرُه (١) .

أقول : إن هذا الرجل لم يَعْلَمْ المراد بهذا القسم ، فإن السكر هو الفاعل ، من أَسْكَرَ يُسْكِرُ ، فهو مُسْكِرٌ ، كالضارب فاعل من ضرب يضرب فهو ضارب ، ولا يكون الإنسان ضاربًا إلا إذا ضرب . وأما قَبْلَ وقوع الضرب منه وبعد انقضاء الضرب لا يكون حقيقة ، لأنه ليس فى تلك الحال بضارب ، والقوم قالوا إن الخمر تُسمى مسكرًا قبل ألا تُشْرَبَ وتُسْكِرَ شاربها ، فقد

سَمَّوْا الشَّيْءَ بِمَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَفْعَلَهُ ، وبَآثَرِهِ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَهُ وَيُؤْثَرَهُ ، وهذا هو
المجاز ، وليس يَصْلُحُ أَنْ يُحَاجَّ عَنْ هَذَا بِمَا ذَكَرَهُ مِنْ قَوْلِهِ هَذَا دَاخِلٌ
فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ ، وَأَيُّ مِشَارَكَةٍ أَقْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْمِشَارَكَةِ ، لِأَنَّ الْإِسْكَارَ لَيْسَ
صِفَةً لَازِمَةً لِلخَمْرِ ، وَإِنَّمَا الصِّفَةُ اللَّازِمَةُ لَهَا الْقُوَّةُ عَلَى الْإِسْكَارِ .

وَالْقَوْمُ مَا قَالُوا إِنَّ الْمَجَازَ فِي قَوْلِنَا الْخَمْرُ قَوِيَّةٌ عَلَى الْإِسْكَارِ ، بَلْ فِي قَوْلِنَا
الْخَمْرُ مَسْكُورَةٌ ، وَبِهَذَا بَطَلَ قَوْلُهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ خَمْرٌ وَلَا إِسْكَارٌ ، وَقَدْ يُمْكِنُ
أَنْ يَكُونَ زَيْدٌ وَلَا شَجَاعَةٌ ، فَإِنَّهُ ظَنُّ أَنْ الْإِسْكَارَ الَّذِي يَرِيدُونَهُ هَاهُنَا
هُوَ الْإِسْكَارُ بِالْقُوَّةِ ، وَلَيْسَ هُوَ مُرَادُهُمْ ، بَلْ مُرَادُهُمُ الْإِسْكَارُ بِالْفِعْلِ ، وَباعتباره
جَعَلُوا قَوْلِنَا الْخَمْرُ مَسْكُورَةٌ مَجَازًا .

وَمَا يَوْضَحُ غَلْطُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْإِسْكَارُ صِفَةً لَازِمَةً لِلخَمْرِ ،
وَلَا تَوْجَدُ خَمْرٌ إِلَّا وَهِيَ مَسْكُورَةٌ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَالَهُ وَادْعَاهُ ، لَكَانَ إِطْلَاقُ
لَفْظَةِ الْمَسْكُورِ عَلَى الْخَمْرِ حَقِيقَةً ، كإِطْلَاقِ لَفْظَةِ اللَّيْثِ عَلَى الْأَسَدِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ
هَذَا الْقِسْمُ دَاخِلًا فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ ، كَقَوْلِنَا لِلشَّجَاعِ أَسَدٌ ، وَلِلْبَلِيدِ حِمَارٌ ؟ وَأَيْنَ
الْمِثَالَةُ بَيْنَ هَذَا الْمَوْضِعِ وَبَيْنَ ذَلِكَ الْقِسْمِ ؟ فَإِنَّ ذَلِكَ الْقِسْمَ عِبَارَةٌ عَنْ شَيْئَيْنِ
تَشَابَهَا فِي صِفَةٍ خَاصَةٍ بِأَحَدِهِمَا ، فَنَقُلُ اسْمَهُ إِلَى مَا شَابَهَهُ ، وَلَيْسَتْ الْخَمْرُ مِشَارَكَةً
فِي شَيْءٍ آخَرَ يَسَمَّى مَسْكُورًا فِي مَعْنَى الْإِسْكَارِ ، فَنَقُلُ اسْمَهُ إِلَيْهَا .

قال المصنف : والقسم الحادى عشر تسميةُ الشيء بكُلِّه ، كقولك فى جواب
سائلٍ سألك : ما فعل زيد ؟ فقلت : القيام . فإن القيامَ جنسٌ يتناول
جميعَ أنواعه .

قال : وهذا القسم لا ينبغي أن يدخلَ فى أقسامِ المجاز ، لأن القيامَ لزيد
حقيقةٌ ، فإن قلتَ يشتمل على جميع أنواعه من الماضى والحاضر والمستقبل ،
قلتُ فهذا من أقربِ أقسامِ المجازِ مناسبةً ، لأنه إقامةُ المصدرِ مقامَ الفعلِ
الماضى ، والمصدر أصلُ الفعل ، وعلى هذا فإن القسمَ داخل فى القسمِ الأول^(١) .

أقول : إننا قد ذكرنا تسميةَ الجزء بالكل كيف يكون ، وضررنا لذلك
مثالاً ، فأما هذا الذى ذكره فإنه شىء غلطٌ ، قاله أبو الفتح عثمان بن جنى
فى كتاب الخصائص ، وهم فيه ، لأنه ظنَّ أن المصدرَ لفظٌ يدل على أشخاص
تلك الماهية ، وليس بصحيح ، بل المصدر لفظٌ يدل على مجرد الماهية ، وهو
القَدْرُ المشترك بين الواحد والكل .

فأما الماهيةُ من حيث هى ، فلا تستلزم الوَحْدَةَ والكثرةَ ، لأنها
لو استلزمت إحداهما لما كانت مجردةً من حيث هى ، وقد فرضناها كذلك ،
فإذن لا المصدر ولا الفعلُ المشتقُّ من المصدرِ يدلُّان على الكثرة وعلى

الوحدة ، لكنَّ أبا الفتح ذكر مثل هذا القسم بمثال مطابق فقال : أنا إذا قلت ضربت عمراً ، فإنى إنما ضربتُ بعضه .

فأما هذا المصنف فلم يعترض على الكلام كما ينبغي ، أما أولاً فلأنه ظن أن المصدر هاهنا يقوم مقام الفعل الماضى ، وليس بصحيح ، لأنك إذا قلت فعلَ زيدُ القيامَ فقد أقررت أنه صدر عنه أثرٌ مَّا مفعولٌ حسب صدور الآثار عن المؤثرات ، والفعل الماضى ليس بأثر يصدرُ عن المؤثر ، ولا المستقبل أيضاً ، ولا الحاضر ، لأن الفعل الذى هو قسم للاسم والحرف لو كان أثراً لمؤثراً لكان اسماً لا فعلاً .

وأما ثانياً فلأنه لو صحَّ ما قاله لما كان هذا القسم داخلًا تحت القسم الأول ، لأن كونه أصلاً له لا يقتضى وقوعَ الشبهة بينهما بنقلِ اسم أحدهما للآخر ، وقد قرَّرنا ذلك فيما تقدم..

قال المصنف : القسم الثانى عشر الزيادة فى الكلام لغير فائدة ، كقوله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) معناه فبرحمة من الله . قال : وهذا خطأ ، أما أولاً فإن الجاز هو دلالة اللفظ على غير ما وُضِعَ له فى أصل اللغة ، وهذه الآية دالة على الوضع اللغوى المنطوق به فى أصل اللغة .

وأما ثانياً : فإن لفظة (ما) هاهنا غيرُ خاليةٍ من المعنى ، لأنها تغطى من

الفخامة والفصاحة والجزالة ما لا تعطى الآية عند قفدها ، كقول الرباء (ولكنه شيمة ما أناس) ^(١) قال وهذا شيء لا يعرفه إلا أهله .
والغزالي معذور في ألا يعرف ذلك ، لأنه ليس من فقه ^(٢) .

أقول إن ما قاله الغزالي وغيره في هذا الموضع مأخوذ من قول شيخنا أبي عبد الله البصري المتكلم ، فإنه قال : الحقيقة ما انتظم لفظها معناها من غير زيادة ونقصان ولا نقل ، والمجاز ما لا ينتظم لفظه معناه إلا لزيادة ونقصان أو نقل ، كزيادة الكاف في قوله تعالى : (ليس كمثل شيء) ^(٣) فإننا لو أسقطنا الكاف استقام المعنى . ومثال النقصان قوله : (وأسأل القرية) ^(٤) ، فإننا إذا زدنا فيه لفظة الأهل استقام المعنى . ومثال النقل قولنا : رأيت أسدا ، تعنى به الرجل الشجاع ، فإنه منقول من السبع .

وإذا أردنا الكلام على هذا الوجه كان قوله (فيما رحمة) مجازا ، لأنه لا ينتظم اللفظ معناه إلا بحذف (ما) .

قلنا : لا نسلم أن هذا مجاز ، بل هذه دالة على الوضع اللغوي المنطوق به في أصل اللغة ، فيقال له أما أولا فإِنَّ القوم حَدَّثُوا المَجازَ بِحَدِّ هو موجود في هذا الموضع ، ولا يجوز أن يقال لمن حَدَّثَ أَمْرًا بِحَدِّ : لم قلت إن هذا هذه ؟ لأن القوم قد اختاروا أن يضعوا اللفظ المَجازَ لِمَا كان بهذه الصفة . والمنازعة بعد ذلك لهم منازعة لفظية .

(١) وردت هذه الجملة في كلمات لها مع جذية الأبرش ، قال ابن الأنبر : معنى الكلام ولكن شيمة أناس ، وإنما جاءت لفظه ماها من تنظيما لشأن صاحب تلك الشيمة وتنظيما لأمره ، ولو أسقطت لما كان للكلام هذه الفخامة والجزالة .

(٢) المثل السائر ٩٤/٢ .

(٣) سورة الشورى ١١ .

(٤) سورة يوسف ٨٢ .

وأما ثانياً فلأن (ما) في هذا الموضع حرف ، والحروف لا يدخلها المجاز بالذات ، لأنها غير مستقلة بأنفسها بالمفهومية ، بل لابد أن تنضم إلى شيء آخر لتحصيل الفائدة ، فإن انضمت إلى كلام يرتبط به ، ويحل إسقاطها بالمعنى للمفهوم منه فالمركب حقيقة ، وإلا فهو مجاز .

ولا شبهة في أن (ما) في هذا الموضع ليست مرتبطة بغيرها ارتباطاً مفهوماً للمعنى المطلوب .

فأما جوابه الثاني فيلزم عليه أن يكون قوله تعالى : (واخفض لهما جناح الذل)^(١) حقيقة لا تعطى من الفخامة والفصاحة ما لا تعطيه الآية عند حذفه . وكذلك القول في سائر المجازات .

فإن قال إنني لم أجعل إفادة هذه اللفظة الفخامة والجزالة مخرجة لها من باب المجاز ، وإنما منعت قول من قال إنه لا فائدة فيها أصلاً ، قيل له : فإذا اعترفت أنها من باب المجاز فقد سلمت قول الغزالي ، فلائى معنى تنتقصه ، وتقول هو معذور في ألا يعرف هذا ، لأنه ليس من فنه ؟ والغزالي إنما أراد بقوله إن (ما) زائدة لا معنى لها في خصوص المقصد المطلوب بالآية لا غير ذلك .

قال المصنف : القسم الثالث عشر تسمية الشيء بحُكْمِهِ ، كقوله تعالى (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) فسمى النكاح هبةً .

قال : وهذا القسم داخلٌ في القسم الأول ، للمشابهة بين النكاح والهبة في التَّمَكِين من الانتفاع والتصرف^(١) .

أقول : إن هذا الاعتراض الذي ذكره صحيحٌ لامنازعة فيه ، ثم إنا نقولُ إن تمثيل هذا القسم بالنكاح هبة فلم يُسمَّ الشيء بحكمه ، بل بما يفيد مثلَ حكمه ، وفرَّق بين الحكم وبين المفيد لمثل الحكم . على أن أكثر المفسرين لم يذهبوا إلى أنه سَمِيَ النكاح هبة ، بل جعلوا لفظة الهبة حقيقةً صريحةً في هذه الواقعة .

قال المصنف : القسم الرابع عشر النقصان الذي لا يَبْطُلُ به المعنى ، كحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، نحو قوله : (ثم يَرَمُ به بَرِيثًا)^(٢) أى شخصاً ، وكحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، كقوله (واسأل القرية) أى أهلها . قال : وهذا القسم داخل في القسم الأول ، لأن الصفة لازمةٌ للموصوف . وقوله (واسأل القرية) دل على الساكن بالمسكن .

قال : فهذه أقسام المجاز التي ذكرها الغزالي قد انتهت في تقسيمها ، وإنما يَرْجِعُ إلى ثلاثة أقسام : التوسع ، والتشبيه ، والاستعارة^(٣) .

أقول : قد تكرر منا إيضاحُ غلطه في إعادة هذه الأقسام إلى القسم الأول ،

(١) المثل السائر ٢/٩٥ .

(٢) المثل السائر ٢/٩٥ (ومن يكسب خطيئة أو إثمًا ثم يرم به بريثًا) سورة النساء ١١٢ .

(٣) المثل السائر ٢/٩٦ .

الذى يَتَوَهَّمُ عَوْدَهَا إليه ، لأن الصفة لولازمت الموصوف لما كانت من باب
المشابهة الموجودة في السَّبْعُ والشجاع ، بل كانت بابا آخر ، وكذلك الدلالة
بالمسكن على الساكن ، هي مجاز باعتبار آخر غير ذينك الاعتبارين .

وكل قسم من هذه الأقسام له خصوصيةٌ ينفرد بها ، ويمتاز عن غيره بها ،
ولو أن هذا الرجل يَقِفُ على التقسيمات العقلية الدقيقة في العلوم الحكيمة
والكلامية التي يمتاز كل قسم منها عن الآخر بما هو أدقُّ من الشعر ، ولا يفهمه
إلا الراسخون في العلم ، لسكانت هذه التقسيمات في امتياز بعضها عن بعض
أَجَلَى من فَلَتِ الصُّبْح ، لأنه ليس فيها من الغموض ما يُوقِعُ في مثل هذا العلط .
على أنه زعم أنه قد أعادها إلى ثلاثة : وهي الاستعارة ، والتشبيه ،
والتوسع ، ولم يُعِدْ منها إلى التشبيه شيئاً أيضاً .

قال المصنف : ومن شَرَطِ بلاغة التشبيه أن يُشَبَّه الشيء بما هو أكبرُ
منه وأعظمُ ، كما قال بعض كتاب^(١) مصر في تشبيه حصن من حصون الجبال :
« هامةٌ عليها من الغمامةِ عِمَامَةٌ ، وأُنْمَلَةٌ خَضَبُها الأصيل ، فكان الهلالُ
منها قَلَامَةٌ » : فإنه أخطأ في قوله أنملة ، وأى مقدار للأنملة بالنسبة إلى حصن
على رأس جَبَلٍ ؟ قال : فإن قلت فقد قال الله عز وجل :

(١) هو القاضي الفاضل رئيس ديوان الإنشاء وصاحب الطريقة الفاصلية ووزير صلاح
الدين الأيوبي توفي سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) .

(مَثَلُ نَوْرِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) فشبه نوره بما هو دونه ، وقد قال سبحانه في القمر : (حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) فشبه بما هو دونه ، قلت : هذه الآية تشبيها لطيف غريب ، لأنه أراد به النبي صلى الله عليه وسلم وآله ، لأن قلبه عليه السلام وما هو عليه من الصفاء والشفافية كالزجاجة التي كأنها كوكب لصفائها وإضاءتها ، والشجرة المباركة التي لا شرقية ولا غربية هي ذات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لأنه من أرض الحجاز التي لا تميل إلى المشرق ولا إلى المغرب ، وزيت هذه الزجاجة مضى من غير أن تمسه نار ، معناه أن فطرته صافية من الأكدار منيرة من قبل مصالحة الأنوار ، فهذا هو المراد من التشبيه من هذه (الآية) .

وأما الآية الثانية فإنه تعالى شبه الهلال بالمرجون في تحوله واستدارته لافي مقداره ، لأن مقدار الهلال عظيم لا نسبة للمرجون إليه ، لكنه شبهه به في الهيئة والشكل (١) .

أقول إن التشبيه يحسن ويُقْبَحُ باعتبار الجهة التي وقع التشبيه فيها ، فإذا شبه العظيم مقدارا (بأقل منه) في المقدارية قبح ، وكانت القضية كاذبة . فإن شبه به لافي المقدار ، بل في أمر آخر يتناسبان فيه كان حسنا ، وهذا كقوله تعالى في صفة الصحابة رضى الله عنهم : (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) (٢) ، فإن عاقلا

(١) المثل السائر ١٢٧/٢ .

(٢) سورة الفتح ٢٩ الشطء : فراخ الزرع أو ورقه أو ما حول أصل النبات .

لا يقول : هذا التشبيهُ قبيحٌ ، لأن أجسام الصَّحابة وجُثَثَهُمْ أكبرُ وأعظمُ مقداراً من الزرع ، لأنه ما أراد التشبيه في المقدارية ، بل في أمرٍ آخر .

وهكذا قوله : (حتى عاد كالمرجون القديم) لا يريد مقداره ، بل شكله . وكذلك تشبيه الكافر بالكلب في قوله : (فمثلُه كمثلِ الكلبِ لأنَّ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ) ^(١) .

لا يعنى الصورة والجَنَّةُ ، بل معنى آخر ، وكذلك هذا الكاتبُ المِضْرِيُّ . والذي حل هذا الرجل على أن عابه بما عاب به نفسه ، حسده له . وهو لا يعنى أن الحصنَ العظيم على ذروة الجبل الشاهقِ كالْأُمْلَةِ في مقدارها وجُثَّتْها ، بل بيَّنه وبين الأُمْلَةَ مشابهةً لطيفةً وهى أن الأُمْلَةَ جسمٌ صغيرٌ نأتى من جسمٍ كبيرٍ وهو البدنُ ، وكذلك الحصنُ على الجبل ، وهذا هو الذى أراده الرجل ، والأمرُ فيه واضحٌ بيِّنٌ .

فأما تفسير : لآية النور فظريفٌ جداً ، أما أولاً فلأنه سبحانه لو قال : (مثل نورى كالنور الذى فى قلب محمد صلى الله عليه وسلم) لكان ركيكاً .

وأما ثانياً فلأنه قال : (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة) فإذا كان قلب النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو الزجاجة ، ولا شبهة أن المصباح الذى فيها هو النور ، والمشكاة ما هى ؟ فقد زعم أنها ذات النبى صلى الله عليه

وآله وسلم ، فإنه قد قال إن ذات النبي هي الشجرة المباركة ، فلا يبقى للمشكاة ما تُحْمَلُ عليه .

وأما ثالثاً فإن الله تعالى وصف الشجرة بأنها زيتونة لاشرقية ولا غربية ، ونرى هذا المفسر قد فسر قوله لاشرقية ولا غربية ، ولم يفسر قوله زيتونة ، وقد كان الواجب عليه أن يفيدنا بتفسير ذلك .

وأما رابعاً فلأن غلاة الباطنية^(١) الذين يقولون في قوله سبحانه وتعالى : (وَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا)^(٢) المراد به على بن أبي طالب أعذر في تأويلاتهم ، وأقرب إلى الأذهان من هذا الرجل .

وأما خامساً فإنه لم ينفصل من السؤال ، لأنه لو سلم له جميع ما ذكره ، أليس قد شبه الله تعالى نوره بنور محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ونور محمد دُونَ نور الله تعالى لأنه مستفاد من نوره ، وما يستفاد من أصل يكون دون الأصل المستفاد منه ، وقد توجه الإشكال .

- ٨٠ -

قال المصنف: فأما التجريد فهو إخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك .

قال : وهو نوعان : تجريد بمعنى التوسع فقط ، وتجريد حقيقة . فأما

التجريد بمعنى التوسع ، فكقول الصِّمَّة القشيري :

(١) الباطنية أشهر ألقاب الإسماعيلية ، وهم الذين يثبتون الإمامة لإسماعيل بن جعفر ، وقد خلط القدماء منهم كلامهم ببعض كلام الفلاسفة ، وصنفوا كتبهم على هذا المنهج ، ولهم آراء غريبة ذكر الشهرستاني طرفاً منها (الملل والنحل ١/ ١٧٢) .
(٢) سورة مريم ٥٠ .

حَنَنْتَ إِلَى رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارِكَ مِنْ رِيًّا وَشَمْبَا كَمَا مَعَا

فانه قال بعد أبيات :

وَأَذْكَرَ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْذَنِي

عَلَى كَبْدِي مِنْ حَرِّهِ أَنْ تَقَطَّعَا^(١)

فانتقل إلى ذكر نفسه ، ولو لم يَقُلْ (وَأَذْكَرَ أَيَّامَ الْحِمَى) لقضينا عليه بأنه تجريد حقيقة .

ومثال التجريد الحقيقي قولُ الْحَيْصِ بَيْصَ :

إِلَامَ يَرَاكَ الْمَجْدُ فِي زِيٍّ شَاعِرٍ وَقَدْ تَحَلَّتْ شَوْقًا فِرْعَوْنَ الْمُنَابِرِ

فانه لم ينتقل إلى هذا بعد ذكر نفسه ، بل استمر على التجريد ، لأنه قال بعد هذا البيت :

كَتَمْتَ بِعَيْبِ الشَّعْرِ عِلْمًا وَحِكْمَةً يَبْعُضُهُمَا يَنْقَادُ صَعْبُ الْمَفَاخِرِ

أَمَّا وَأَبْيُكَ الْخَيْرِ إِنَّكَ فَارِسُ الْمَقَالِ وَنُحْيِي الدَّرَاسَاتِ الْفَوَابِرِ

وَأَنَّكَ أَغْنَيْتَ الْمَسَامِعَ وَالنَّهْيَ بِقَوْلِكَ عَمَّا فِي بُطُونِ الدَّفَاتِرِ^(٢)

أقول : إنه قد انتقل بعد هذا إلى ذكر نفسه ، فمدل عن كاف الخطاب ، إلى ياء الضمير ، إلى تاء المتكلم فقال :

تَطَاوَلَ لَيْلِي مَا أَرَى ذَا نَبَاهَةٍ يُجَلِّي دُجَى ظُلُمَاتِهِ عَنْ خَوَاطِرِي

(١) البيت في لائل السائر وفي ديوان الحماسة (على كبدى من خشية أن تصدعا) .

(٢) لائل السائر ١٦٣/٢ .

سَهَرَتْ لِبَرْقٍ مِنْ دِيَارِ رَبِيعَةٍ وَلَمْ أَكُ لِلْبَرْقِ اللَّامِعِ بِسَاهِرٍ
قال: كَانَ الصَّمَّةُ الْقَشِيرَى فِي شَعْرِهِ لَمْ يَأْتِ بِالتَّجْرِيدِ الْحَقِيقِيِّ ، لَعَوْدِهِ بَعْدَ
أَيَّاتٍ عَنْ كَافِ الْخُطَابِ ، فَالْحَيْصَ بَيْصَ مِثْلُهُ .

قال المصنف: وقد قال أبو علي الفارسي رحمه الله إن العرب كانت تعتقد
في الإنسان معنى كامناً فيه، كأنه حقيقته ومحصوله، فتُخْرِجُ ذلك المعنى إلى
ألفاظها تُجَرِّدُ من الإنسان، كأنه غيره، وهو هو بعينه، نحو قولهم: لئن لقيت
فلاناً لتلقين منه الأسد، ولئن سألته لتسألن منه البحر، وهو بعينه الأسد
والبحر، لا أن هناك شيئاً منفصلاً عنه ومتميزاً منه.

وهذا ليس بتجريد، بل هو تشبيه مضمَّرُ الأداة، وتقديره لتسألن منه
كالبحر، ولتلقين منه كالأسد، وليس هو من التجريد المشار إليه في الأبيات
الشعرية، ولا حقيقة التجريد موجودة فيه^(١).

أقول إن الحدَّ الذي حدَّ هذا الرجل التجريدَ به لم يأت فيه نصٌّ من كتاب
الله تعالى، ولا ورد عن رسول الله، وإنما هو حدُّ اختاره هو، وفسر التجريد
به، فإنه حَجَرَ على أبي علي رحمه الله أن يجعل التجريد شيئاً آخر. ومعلوم أن هذه
الاصطلاحات والمواصفات موكولة إلى آراء العقلاء واختياراتهم، فأبو علي

(١) المثل السائر ١٦٧/٢ وفي كلام ابن أبي الحديد زيادة لا تخل بالمعنى، ليست
في المثل السائر.

رحمه الله قد اختار أن يُسمّى قولهم (إذا سألت زيدا سألت البحر) تجريدا ، وقد شرح ذلك وأوضحه بقوله إن ظاهر هذه اللفظة أنَّ المسؤلَ غيرَ زيد ، لأنَّ الفاظها تقتضى ذلك ، ألا ترى أنك تقول صحبتُ زيداً فاقبستُ منه العلم ، وقتلتُ فلانا فأخذتُ منه السِّلَبَ . فيقتضى ظاهره بأن العلم غير المصحوب ، وأن السِّلَبَ غير المقتول ، فهكذا يقتضى ظاهر قوله سألته فسألت منه البحر ، أن البحر غيره .

فأبو على رحمه الله سمّاه تجريداً ، وهو غير مانع لك من اصطلاحك ولا مُشاحٍّ لك في حدِّك الذى ذكرتهُ للتجريد ، فكذلك أنت لا تجور ولا تضايقه في اصطلاحه وتجريده .

قال المصنف : وأيضاً فهذا يتنقض بقول العرب : لئن رأيت الأسدَ لترينَّ منه هُضْبَةً ، ولئن لقيتهُ لتلقينَّ منه الموتَ . فأى معنى لتخصيص أبى على ذلك بالإنسان ؟ مع أن العرب تستعمل هذا اللفظ فى الإنسان وغيره (١) .

أقول إن أبا على لم يرد أن هذا الاستعمال مقصورٌ على الإنسان فقط ، ولا صرَّح بذلك ، ولا كنى عنه ، ولا هو مفهومٌ من فحوى قوله إن العرب تعتقدُ فى الإنسان معنى كامناً فيه لا يدلُّ على نفى الحكم عما عداه ، وإنما مثَّلَ بالإنسان ، لأنه أشهر ، ولأن استعماله فيه ودورانه على ألسنتهم وفى ألفاظهم أكثر .

قال المصنف : وقد سبق القولُ بأن التجريد هو أن تُطْلَقَ الخطابَ على غيرك ولا يكونَ هو المرادَ ، بل المراد شيئاً آخر ، وهذا لا يوجد في هذا الموضع ، لأن قوله إن لَقِيَّتَهُ اِتِّلَقَيْنِ منه الأسدُ ، لم يُجَرِّدْ عن المنقول عنه شيئاً ، وإنما شَبَّهَ بالأسد في شجاعته ، وأداة التشبيه مُضْمَرَةٌ ، وما أعلم كيف ذهب هذا عن أبي على رضي الله تعالى عنه (١) .

أقول : قد بينّا أن المنازعةَ في هذا الموضعَ لفظيةٌ لا طائِلَ تحتها ، ولو أن أبا على رضي الله تعالى عنه اختار أن يسمى المجاز تجريداً بمعنى أنه لفظ قد جُرِّدَ عن موضوعه الأول ، أى خُلِعَ عنه ، وجُعِلَ لغيره ، واصطَلَحَ هو ونفسه ، أو هو وأصحابه على ذلك ، هل كان لنا أن نخاصمهم ، وننازعهم ، ونقول لهم قد أخطأتم في هذا الاصطلاح وهذه المواضع ؟ وهل المعاني تَسْتَحِقُّ الأسماءَ المخصوصةَ لذاتها حتى يكون الإنسانُ مخطئاً إذا وَضَعَ لفظاً مخصوصاً لمعنى مخصوص ؟ وقد فسرنا نحن قول أبي على رضي الله عنه المقصد الذي قصده .

قال المصنف : وقول أبي علىَّ إن العربَ تعتقد أن في الإنسانَ معنًى كامناً فيه كأنه حقيقة ومحصولة ، ففیر العرب أيضا تعتقد ذلك

الكامن معنى الإنسانية ، وهو الاستعداد للعلوم والصنائع ، فكلُّ أحدٍ يَعْرِفُ ذلك ، ولا خصوصية للعرب فيه . وإن عَنَى بالمعنى الكامن الأخلاق كالشجاعة والسخاء ، فليس هذا مختصاً بالإنسان ، بل جميعُ الحيواناتِ يُوجدُ فيها ذلك ، كالشجاعة في الأسد ، والسخاء في الدَّيِّك ، وما أعلم ما أراد أبو علي بهذا الكلام .

على أن هذا القسمَ الأخيرَ ليس عبارةً عن حقيقةِ الإنسانِ ، فإنه لا يقال في حَدِّه حيوانٌ شجاعٌ ، ولا حيوانٌ سَخِيٌّ ، بل حيوانٌ ناطقٌ ، فقد أخطأ أبو علي من وجهتين : أحدهما أنه جعلَ حقيقةَ الإنسانِ عبارةً عن خُلُقِهِ ، والثاني أنه أدخلَ في التجريد ما ليس منه ^(١) .

أقول : إن أبا علي رضى الله عنه لا يُلْزَمُهُ تفسيرُ ما كانت العربُ تَتَخَيَّلُهُ وتَوَهَّمُهُ في الإنسان ، ولا هذا من وظيفته ، ولكنَّ أبا علي قال إننا لما وجدنا العرب الذين صناعتنا البحث عن تجاري كلامهم يُخَاطِبُونَ في الشعر أنفسهم ، فيقولون : قلت لقلبي ، وقال لي ، وقلت لنفسى ، وقالت لي ، ويقولون : سألت منه لباساً به البحر ، فيأتون بلفظة منه ، كما يأتون بها في قولهم غَصَبْتُ منه السَّيْفَ ، وأخذتُ منه الثوب ، فيفيد ظاهر كلامهم أن المسئولَ منه غيره ، كما أن المنصوب منه غيره ، أفادنا إكثارهم من هذا وتكرارهم لاستعماله أنهم يتوهمون أن في هذه البنيةِ المشاهدةِ أمراً كامناً ، هو محصول الإنسان ، وهذا الهيكلُ الظاهرُ هو

كالقالبِ لذلك المعنى ، وكالتفسير لذلك اللبِّ ، ومن الجائز أن يكون هذا المعنى
الباطنُ غَيْرَ القسمين اللذين قد ذكرهما المصنف ، وهما مُجَرَّدُ الاستعدادِ للعلوم
والمُخْلَقُ فلينظر في نقيضِ ، خصوصا ومذاهب العقلاء في هذا الموضع كثيرة
جداً ، وكلها خارجة عن هذين القسمين اللذين قد ظنَّ هذا الرجل أنه لا يمكن
تفسيرُ ما تَوَهَّمَهُ العربُ إلا بواحد منهما ، ثم يقال له لم لا تفسر قول أبي على
رحمه الله بالوجه الأول وهو قولك إن غير العرب أيضا تعتقد ذلك ، فيقال لك
إن أبا على ما قال إنه لا يعتقد ذلك أحدٌ من الأمم إلا العرب خاصةً ، وإنما
كانت صناعتهُ البَحْثَ عن مجارى كلام العرب ، وقال إنهم لا يعتقدون كذا
وكذا ، لأنه لا يَنْظُرُ في لغة أمة أخرى غير العرب ، وإنما كتبه وتصانيفه
مقصورة على البحث عن لغاتهم خاصةً ، فلا يدل كلامه على نفى هذا الحكم
عن غير العرب .

وأيضاً فلو فسّر قوله بالتفسير الثاني - وإن كنا نعلم أنه رحمه الله لم يرِده -
لما تَوَجَّهَ عليه ما اعترض به ، لأنه لم يُفَرِّدِ الإنسانَ خاصةً من دون سائر
الحيوان بهذا الحكم ، وإنما ضربه مثلاً ، لأنه النوع الأعرف
ومن العجب قوله : ولا أعرف ما أَرَادَهُ أبو على بقوله : إنهم يتوهمون
في الإنسان معنى كامناً هو حقيقته ومحصوله ، إلا أن يكون أحدَ هذين القسمين
اللذين أشرتُ إليهما .

ولا شبهة أن هذا الرجل ما وقَفَ على أقوال العقلاء في هذا الموضع ، فإن
مذاهبهم كثيرة ، وكل منهم يذهب إلى أن حقيقة الإنسان ومحصولة أمر وراء

هذه البنية المشاهدة ، ولم يذهب منهم ذاهبٌ إلى أحد هذين القسمين اللذين قد توهم هذا الرجل أنه لا يمكنُ المصير إلى غيرها .

فأما قوله إن أبا علي رضى الله عنه أخطأ حيث جعل حقيقة الإنسان عبارةً عن الخلق ، فإن أبا علي رضى الله عنه أخطأ ، وقال هذا الكلام لا عن نفسه ولا عن غيره ، أما إنه لم يقله عن نفسه فمعلوم ، وأما إنه لم يقله عن غيره فلا أنه قال عن العرب إنهم اعتقدوا أن في الإنسان معنىً كامناً كأنه حقيقة ومحصوله ، فصَرَخَ بأداة التشبيه وهي كَأَنَّ ، وما قال عنهم إنهم قالوا إن ذلك للمعنى هو حقيقة الإنسان ، ليقول لهم ذلك للمعنى وهو خلقه ، وخلقُه غير داخل في حَدِّه وحقيقته .

وينبغي للناس إذا حَكَمُوا شيئاً شرعوا في تَقْضِيهِ أَنْ يَتَأَمَّلُوا ما حَكَمُوا ، ثم يَنْقُضُوا ، وبالجملة فقام الشيخ أبي علي رضى الله عنه مقامٌ جليلٌ يقتضى أَنْ يُحْتَرَمَ وَيُصَانَ ، ولا يُسْتَعْمَلَ معه التَّسْرُّعُ بِالتَّخْطِئَةِ وَالرَّدِّ ، وإذا وجدَ في كلامه ما يُسْتَذْرَكُ اسْتَذْرَكَ مع استعمال الأدب .

قال المصنف في الالتفات : هو الانتقال من خطاب الحاضر إلى الغائب وبالعكس ، وما يجري مجرى ذلك . وقال إن الزَّحَّشَرِيَّ قال إن الرجوع من أَحَدِ هذين النوعين إلى الآخر إنما استعمله العربُ تَقْنُنًا في الكلام ، وانتقالاً من أسلوب إلى أسلوب ، تَطَرُّبَةً لِسَمَاعِ السَّامِعِ ، وإيقاظاً للاستماع إليه .

قال : وليس الأمر كما ذكر ، لأن هذا الكلام يتضمن أن السامع قد يَمَلُّ من أسلوب واحدٍ ، فينتقلُ إلى غيره لينشط السمع للاستماع ، وهذا قدح في الكلام ، لا وَصْفٌ له ، لأنه لو كان حسناً لما مَلَّ (١) :

أقول : لكم قلت إنه إذا كان حسناً لا يَمَلُّ ، وهل اللالُ إلا من المذَّ ؟ ألا تراهم كيف يقولون مَلَّ فلان التنزه في البستان ، ويقولون قد مَلَّيتُ من أكل الحلواء ، ومَلَّيتُ من سماع الأغاني ؟ ولأن الأشياء الكريهة المملولة لا يقال لها مَلَّيتُها ، ألا تراهم يستقبحون قول من يقول قد مَلَّ المحبوسُ من الحبس ، والمضروب من الضرب ؟ فالذي ذكره المصنف عكسُ الصحيح .

قال المصنف : وأيضاً فلو صحَّ ما قاله لكان الالتفات إنما يوجد في الكلام المطوَّل الذي من شأنه أن يَمَلَّه السامع لطوله ، والأمر بخلاف ذلك ، لأننا قد وجدنا الالتفات في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، ومجموع الجانبين معا لا يبلغ عشرة ألفاظٍ (١) .

أقول : لما كان مُرادُ الواضع الإِفْهَامَ للسامع ، وكان الإِفْهَامُ لا يَحْضُلُ إلا بالإِضْفَاءِ ، احتالَ الواضعُ لتحصيل الإِضْفَاءِ بكلِّ طريقٍ ، فكان من تلك الطرق نَقْلُ الخطابِ من الحضورِ إلى الغيبةِ وبالعكس ، ليجد السامع ما يوقظه

(١) المثل السائر ٢/ ١٧١ .

(٢) للمثل السائر ٢/ ١٧٢ .

وينبهي على الاستماع ، لأنه باستمرار الخطاب على نمط واحد ربما قد يُملّ ، فنقل من أسلوب الخطاب إلى أسلوب آخر مستأنف ، ليُطرأ على ذلك السهو الذي عساه حصل فيزيله ، ثم لفرط العناية بالإفهام وقع ذلك في قصير الكلام حسب وقوعه في طويله ، لافي كل قصير منه ، كما أنه لم يقع في كل طويل منه ، ولكن بحسب ما تقتضيه المصلحة .

ولهذه العلة أنزل في القرآن الكريم ألفاظٌ وحروفٌ غير مفهومة ، مثل طسم والمص وغيرها ، ليُعارض المشركون فيها عند سماعها ، فيكون ذلك كالاستعجار لهم إلى سماع غيرها من الآيات المنزلة ، فإنها إذا قرئت أسماءهم قرعها أمر غريب تنزع النفس عند سماعه ، وتتشوّق إلى معرفته ، فينبعث الداعي إلى سماع ما بعدها ليفسر ما به ، كما يفسر بعض الكلام ببعض ، فتحصل الفائدة من وقوفهم على فصاحة القرآن وسرِّ إعجازه .

ونظير اعتراض المصنف وهو قوله : لو كان هذا خوفاً لللال لكان في طويل الكلام دون قصيره ، أن يعترض هنا المثال الذي قد مثلنا به فيقال : لو كان هذا هو المراد من هذه الحروف لكانت في جميع السور بل في السورة الواحدة مرات كثيرة ، لتكون أدعى للمشركين إلى تأمله . والجواب عن الموضعين واحد ، وهو أن ذلك إنما يكون بحسب ما تقتضي به المصلحة ، ولهذا كرر سبحانه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ^(١) مزاراً كثيرة في سورة واحدة ، لما كانت

(١) سورة الرحمن .

المصلحة تسكراره ، فالخطيبُ أعرفُ بما يخاطبُ به ، وأدرى بما يتوصلُ به إلى اجتناء ثمرة الخطابة ، سواء كان البارى سبحانه أو واحدا منا .

قال المصنف : وعلى هذا فيجب إذا وجدنا كلاما قد استعمل فيه الإيجاز أو الإطناب - ولكنه لم يقع فيه الالتفات لكن كل واحدٍ من الطرفين واقعٌ موقعه - أن نقول هذا ليس بحسنٍ إذا لم يُنقل فيه من أسلوب إلى أسلوب ، وهذا قول فيه ما فيه ، وما أعلم كيف ذهب على مثل الزخشرى مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة^(١) .

أقول : إن هذا الاعتراض من أعرف ما يحكى وذلك أن الزخشرى ما جعل حُسن الكلام مقصورا على الالتفات كالشروط التى تُقدم عند عدم شروطها ، ولكنه قال إن الالتفات مما تستعمله العرب ، ووجه استعمالها له أنه يحصلُ منه نوعٌ تنبيهٍ ما للسامع وتجديدٌ لنشاطه إلى سماع الخطاب ، فلا يلزم من ذلك أن كل خطاب لا التفات فيه فإنه لا يكون حسنا ، كما إذ قلنا إنما حُسن استعمال المطابقة والتجنيس فى الشعر الكذا وكذا ، لا يلزم منه أن يكون كل شعر لا تجنيس فيه ولا مطابقة غيرُ حسنٍ .

وغير هذا الكلام أن محسنات الشعر والخطابة أمور كثيرة ، فإذا قُدِّ بعضها قام غيره مقامه ، فحصل الحُسن المطلوب .

لكن لو فقدت كلُّ المحسنات لَزِمَ لا محالة ألا يكون الكلامُ حسنًا .
فقد بان أن هذا الموضع ما ذَهَبَ على الزمخشري ، وإنما ذهب على
من اعترضه .

ثم يقال له : أَلَسْتَ الْقَائِلُ : قد يُمدَّلُ عن لفظة الغيبةِ إلى لفظةِ الحضورِ
تعظيمًا ، كقوله تعالى (إياك نعبد) فإنه عدَلَّ عن لفظ الغيبة وهو قوله (الحمد
لله رب العالمين) لأن العبادة أعظم من الحمد ، فجعل العبادة بكاف الخطاب
لمعظم شأنها ، وكاف الخطاب أَصْرَحُ وَأَدْلُّ من هاء الغيبة ، فجعل الأعظم للأعظم .
فيقال لك : فقد قال سبحانه في موضع آخر (واعبدوه واشكروا لله إليه ترجعون)^(١)
فيجب أن تكون هذه الآية غيرَ حسنةٍ لفقدِ المعنى الذي ذكرته ، كما قلت
إنه لو كان الالتفات حسنًا كما قاله الزمخشري لوجب أن يكون كلُّ خطابٍ واقعٍ
موقعه ، والالتفات فيه غيرُ حَسَنٍ ، فكل ما يجيب به فهو جوابُ الزمخشري .

قال المصنف : وقد يؤكِّدُ الضميرُ المتَّصلُ ، كقوله تعالى : (لا تَخَفْ إِنْكَ
أَنْتَ الْأَعْلَى) وقد يؤكِّدُ الضميرُ المنفصلُ بالمنفصل : وذلك مثل قول أبي تمام :
لَا أَنْتَ أَنْتَ وَلَا الدِّيارُ دِيارُ خَفَّ الْهُوى وَتَوَلَّى الْأَوْطارُ
ومثل قول المتنبي :

قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدَّكَ جَدُّكَ الْمَلِكُ الْهُمامُ^(٢)

(١) سورة النكبت ١٧ .

(٢) رواية الدبوان والمثل السائر (وجدك بشر) المثل السائر ١٩٧/٢ .

أقول : إن هذين البيتين لا يَضْلُحُ أن يُمَثَّلَ بهما على تأكيد الضمائر ، وذلك أن التوكيد ما لو حَذَفَ وبقي المؤكِّدُ يَبْقَى اللفظ دالاً على المعنى ، إلا أنه غير مؤكِّد له كالأية التي استشهد بها ، فإنه لو حَذَفَ أنت لبقى إنك الأعلى ، وهو كلام مفيد للمعنى ، إلا أنه غير مؤكِّد .

وكقوله تعالى : (إنك أنت علام الغيوب)^(١) وكقوله : (إِمَّا أَنْ تُنْقِىَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمَلْقِينَ)^(٢) ولو حَذَفَ أنت الثانيةُ من بيت أبي تمام أو من بيت المتنبي لخرج الكلام عن الإفادة أصلاً . وكيف يفيد وهو مبتدأ وخبر ، وقد حَذَفَ الخبر ؟ ومراد أبي تمام لست أيتها المرأة كما كنتُ أَعْهَدُ ولا الديارُ كما كنتُ أَعْهَدُ ، ولو كان قوله لا أنت أنت من باب التوكيد لكان قوله ولا الديار ديار من باب التوكيد .

وكذلك قول القائل :

فما الناسُ بالناسِ الذين عهَدْتَهُمْ ولا الدارُ بالدار التي كنتُ أعرفُ

وفي ذلك امتزاج أبواب البيان بعضها ببعض ، وهو غير جائز .

ومراد المتنبي بقوله أنت أى أنت المشهور الذى يَسْتَغْنِي عن شرح صفاته وممادحه ، كما يقول : قد قتل زيد بيده أسداً والأسد الأسد . وكقول الراجز :
(أنا أبو النجم وشعري شعري) وهذا معنى آخر غير التوكيد ، ولكنه قد اشتبه على هذا المصنف لا محالة .

(١) سورة المائدة ١١٦ .

(٢) سورة الأعراف ١١٥ .

قال المصنف : ومثال تأكيد الضمير المتصل بالمتصل قوله تعالى : (أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) ثم شرع يبين لماذا قال لك ها هنا ، وقال من قبل (أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ) ولم يقل لك في خرق السفينة^(١) .

أقول : أما قوله لك فوجهه مشهور قد قاله الناس من قبل ، وذكره مَنْ يَتَعَاطَى استخراج الدقائق والمعاني الغامضة من القرآن ، وليس غرضنا الآن عن البحث في صحة ذلك وفساده ، ولكن تمثيله بهذه الآية على تأكيد الضمير المتصل فليس من هذا الباب أصلاً ، وإنما عدّى الفعل منها إلى المفعول بحرف الجر لا غير ، ولو كان هذا تأكيداً للضمير لكان قولنا مررت بزيد تأكيداً للضمير ، وهذا مالا يقوله أحدٌ .

وكيف يَتَوَهَّمُ أن قوله لك تأكيد للضمير في قوله إِنَّكَ ، وأين أحدهما من الآخر ؟ نعم لو قال سبحانه (أَلَمْ أَقُلْ أَنَا لَكَ) كان قوله أَنَا تأكيداً للضمير في قوله (أَلَمْ أَقُلْ) فيكون تأكيداً للمتصل بالمنفصل لا بالمتصل .

فإن قيل لعله لم يتكلم في التأكيد على الاصطلاح النحوي ، بل على اصطلاح آخر يرجع إلى علم البيان والبلاغة ، فلا يلزمه ما ذكرت .

قيل : لعمرى إن غرضه البحث في علم البيان ، ولكنه لم يخرج هذا الفصل

والكلام فيه إلا على الاصطلاح النحوى ، فلما أراد أن يطبق الآيات والأشعار عليها وقع فى الغلط كما رأيت .

قال المصنف فى باب العام والخاص إنه تعالى قال : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِّى اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) ولم يقل بضوئهم ، لأن الضوء نورٌ وزيادة .

فلو قال بضوئهم لكان المعنى يُعْطَى ذهاب تلك الزيادة ، وبقاء ما يسمى نوراً ، لأن الإضاءة هى فَرْطُ الإنارة ، ولذلك قال تعالى : (هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً) فكل ضوء نور ، وليس كل نور ضوءاً ، فقال سبحانه (ذهب الله بنورهم) لأنه إذا أزال النورَ فقد أزال الضوء أصلاً^(١) .

أقول : إن هذا الرجل قد شحن كتابه بأمثال هذه الترهات ، وأطال فيها وأسهب ، وأعجب بها ، وظن أنه أتى بفريب .

وهذه المعانى قد صُنِفَتْ فيها الكتب الكثيرة ، وتكلف الناس من قبله فى استنباط أمثال هذه الوجوه الغامضة والمعانى الخفية من القرآن العزيز ، وإنه لَمِ أتى بهذه اللفظة دون تلك ؟ ولم قدم هذا وآخر هذا ؟ وقد قيل فى هذا الفن أقوالٌ طويلةٌ عريضةٌ أكثرها بارد غثٌ ، ومنها ما يشهد العقل وقرائن الأحوال أنه مرادٌ .

وقد ورد إلينا في مدينة السلام في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة رجل من وراء النهر كان يتعاطى هذا ، ويحاول إظهار وجوه نظرية في هذه الأمور في جميع آيات الكتاب العزيز ، نحو أن يقول في قوله تعالى : (ما يأتيهم من ذِكْرٍ من ربهم مُخَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْمِيزُونَ)^(١) .

ثم قال : لم قال (ما) ولم يقل (لا) ولم قال (يأتيهم) ولم يقل (يجيئهم) ، ولم قال (من ذكر) ولم يقل (من كتاب) ولم قال (من ربهم) ولم يقل (من إلههم) . ولأى حال قال في موضع آخر (من الرحمن) وما وجه المناسبة في تلك الآية في لفظها وسياقة كلامها وبين لفظة الرحمن ؟ وما وجه المناسبة بين هذه الآية وسياقها ؟ وبين لفظة ربهم .

وعلى هذا القياس .

وكذلك كان يتكلف تعليل كل ما في القرآن من الحروف التي تَسْقُطُ في موضع وتثبت في موضع ، نحو قوله تعالى : (أولم يروا إلى الطير فوقهم)^(٢) وقوله : (ألم يروا إلى ما خلق الله)^(٣) لم أثبت الواو هناك ، وأسقطها هاهنا ، ونحو قوله : (ومن يُشَاقِقِ الرسولَ من بَعْدِ ما تَبَيَّنَ له الهدى)^(٤) وقوله : (ومن يُشَاقِقِ الله) لم فكَّ الإدغام في موضع ولم يَفْكُكْهُ في موضع آخر ؟ .

(١) سورة الأنبياء ٢ .

(٢) سورة الملك ١٩ .

(٣) سورة النحل ٤٨ .

(٤) سورة النساء ١١٥ .

كنا نَعَجِبُ منه ونستظرفه ، حتى وصل إلينا هذا الكتاب ، فقلنا إنه فوق كل ذى علم عليم .

ولو أخذنا تناقضه في هذا لأطلنا كما أطل ، وسمجنا كما سمج .

ومتى يتسع الوقت لمناقضة هذه التـكـلفات القبيحة ؟ ولكننا قد نكلمه .
في بعض المواضع منها لكيلا يخلو كتابنا هذا عن مجادلاته في هذا الفن بالكلية ،
فنقول له : لم قلت إن الضوء نور وزيادة ؟ أمن كتب اللغة أخذت هذا ؟ أم من
غيرها ؟ فقد تصفحنا كتب اللغة فلم نجد ما نشاهده بما ذكرت ، ولا الاصطلاح
مساعدا لك في عرّف الناس ومواضعاتهم .

وإذا لم يكن موجودا في أصل اللغة ولا الإصطلاح العرفي لم يجوز لك أن
تحمل كلام الله تعالى عليه وتفسره به .

وقد قال ابن السكيت في كتاب إصلاح المنطق — وهو عين الكتب
اللغوية ، ومصنّفه إمامُ الناس كلهم في اللغة ، ومن لا يختلف اثنان في كتبه —
في باب فعل وفعل باختلاف المعنى : النيرَ علمُ الثوب والنور الضياء شيئا واحدا .
وليس في قوله تعالى (وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ^(١)) ما يدل
على اختلاف المعنيين ، ولا قوله : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ^(٢))
ما يدل على اختلاف المعنيين .

(١) سورة الم نشر ٤ .

(٢) سورة البائدة ٤٨ .

قال المصنف : وإنما قال سبحانه (ذهب الله بنورهم) ولم يقل أذهب الله نورهم ، لأن كل من ذهب بشيء فقد أذهب به ، وليس كل من أذهب شيئاً فقد ذهب به ، لأن قولنا ذهب به يُفهم منه أنه استصحبه معه ، وأمسكه عن الرجوع إلى حالته الأولى ، وليس كذلك أذهب به^(١) .

أقول : إن قوله إن الله تعالى ذهب بنورهم معناه أنه استصحبه ومضى ، كما يقول القائل مررت بزيد وعنده سيف فذهبت به ، أى أخذته ومضيت ، وكما قال سبحانه : (فلما ذهبوا به وأجمعوا)^(٢) معناه أخذوا يوسف صحبتهم ومضوا ، فإن قال نعم هكذا تفسير الآية فهذا كفر وتهجم . فأما قوله : كل من ذهب بشيء فقد أذهب به فهو على إطلاقه غير صحيح ، لأنه ليس كل من ذهب بشيء فقد أذهب به ، بمعنى أنه أَعَدَمَهُ عن الوجود أصلاً ، لكنه قد أذهب به عن موضعه الأول الذى أخذه منه .

واعلم أن الغلط دخل عليه من اشتراك لفظة ذَهَبَ ، فإنها تستعمل في معنيين أحدهما قولهم ذهب فلان في الطريق الفلاني ، أى مَضَى فيه ونَقَدَ فيه .

ومنه سمي السبيل مَذْهَباً ، لأنه يُذْهَبُ فيه أى يُمَضَى فيه ، وسمي قول الشاعر وغيره مَذْهَباً ، كأنه صار طريقاً فسلكه الفقهاء وغيرهم .

(١) المثل السائر ٢/٢١٠ .

(٢) سورة يوسف ١٥ (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يحملوه في غيابة الجب) .

والمعنى الثانى ذهبَ بمعنى عُدِمَ وفُقِدَ ، وقولهم ذهب الشبابُ وذهبَ العمرُ ، أى فنى وعُدِمَ .

ولعل هذا الاعتبار الثانى هو الحقيقة الأصلية ، والمحمل الأول هو المجاز ، لأنه لما مضى زيدٌ فى تلك الطريق ، فقد تقدم بالنسبة إلى غيرها ، فسمى مُضِيَّهٌ فيها ذهاباً .

وإذا بان لك اشتراك اللفظ ظهر غلطه ، لأنه توهم أن قوله تعالى (ذهب الله بنورهم) مثل قولنا : ذهب زيدٌ بثياب عمرو واحتملها ومضى ، وقد صرح بتفسير الآية على هذا الوجه ، وهذا معنى لا يجوز أن يُنسَبَ إلى الله تعالى ، لأنه لا تصح عليه الحركة ، ولا استصحاب الأشياء واحتمالها من مكان إلى مكان ، وعلى أنه لو صحَّ عليه سبحانه ذلك لكان قوله أذهب الله نورهم أبلغ فى المعنى من قوله ذهب الله بنورهم على هذا التفسير ، لأن إعدام النور بالسكينة أبلغ من قوله : (وتركهم فى ظلماتٍ لا يبصرون) من أين يذهب بالنور بالتفسير الذى زعمه فيكون للنور وجودٌ فى الجملة ، وإنما نُقِلَ من موضع إلى موضع ؟

وإذا ظهر لك غلطه فاعلم أن معنى قوله (ذهب الله بنورهم) هو معنى قوله (أذهب الله نورهم) .

كلا اللفظتين تدل على معنى واحدٍ ، كما أن قولك فقدتُ زيدٌ مثل قولك فقدتُ زيدا ، لا فرقَ بين الكلامين ، لأن الأفعال اللازمة إذا أردتَ تعديتها عدَّيتها تارةً بحرف الجر وتارةً بالهمزة ، وتقول ذهب الشبابُ وذهب

الدهر بالشباب وأذهب الدهر الشباب ، كما تقول خرجت بريد من البلد ، وأخرجت زيدا من البلد ، ولست تعنى بقولك خرجت بريد من البلد أنك استصحبته زيدا معك .

كلّا ليس هذا هو المراد من تعديّة اللازم ، بل تحضُّ قولك أخرجت زيدا لا زيادة على ذلك .

قال المصنف . فأما الأسماء المفردة الواقعة على الجنس التي يكون بينها وبين أحدها ثاء التانيث فإنه متى أريد التنقي كان استعمال أحدها أبلغ ، ومتى أريد الإنبات كان استعمالها أبلغ ، نحو قوله تعالى في قصة نوح : (وقال للملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين ، قال يا قوم ليس بي ضلالة) .

كان أبلغ في نفي كونه ضالاً من أن يقول ليس بي ضلال ، كما لو قيل : ألا تتمرّ؟ فقلت في الجواب : مالى تمرّة ، فإنه أنفى للتمر ، ولو قلت : مالى تمر لم يؤدّ المعنى الذي أداه القول الأول .

قال : ولا يظن أنه لما كان الضلال والضلالة مصدرين من قولك ضلّ يضلّ كان القولان سواء ، لأن الضلالة في هذه الآية ليست عبارة عن المصدر ، بل عن المرة الواحدة ، كما يقال ضربت ضرباً وأكلت أكلة ، بمعنى مرة واحدة ، فإذا نفى نوح عن نفسه المرة الواحدة من الضلال فقد نفى ما فوقها من المرات والكثيرة^(١) .

(١) المثل السائر ٢/٢١٠ وهنا تفصيل ليس في المثل السائر .

أقول إن الذى ذكره غيرُ صحيح، لا إن كانت لفظة ضلالة فى الآية مصدراً
ولا إن كانت المرة الواحدة .

أما الأول فلأنه إذا كانت هذه اللفظة مَصْدَراً وقد وافق على أنَّ ضلال
مصدر أيضاً وجب أن تكون دالتهما سواء فى نفي كونه ضالاً على الإطلاق ،
فلا يكون أَحَدُ اللفظين أبلغَ فى الدلالة من الآخر ، لأنهما معاً يدلّان على نفي
ما هيّة الضلال نفسه ، فإن المصدر يدل على الماهية فقط من غير دلالة على شيء
آخر ، فاذا نُفِيَ فقد نُفِيت الماهية نفسها ، فلا فَرْقَ على هذا التقدير بينَ
الضلالِ والضَّلالةِ .

وأما الثانى وهو أنه لا يصحُّ ما قاله بتقدير أن يكون المراد بالضلالة المرة
الواحدة ، لأنه لو قال القائل ما عندى تمرّة بمعنى تمرّة واحدة وعنده تمر كثير
بصِحِّ ذلك ، ولم يكن كاذباً .

ألا يرى أنه لو أظهر ما أضمر فقال ليس عندى تمرّة واحدة فقط ، بل عندى
تمرّة كثير، لم يكن فيما قاله متناقضاً ؟ فالمثال الذى ذكره يدلُّ على عكس ما أراده .

وقول نوح (ليس بى ضلالة) ، لو كان يريد به العدد بمعنى ليس بى ضلالة
واحدة كما زعمَ هذا الرجل ، ثم تركناه وظاهر اللفظ ، لم يكن نافياً لكونه
ضالاً ، لأنه إذا كانت الضلالة مختلفة الأنواع ، وقال ليس بى ضلالة واحدة
فقط ، لم يكن هذا اللفظ مُفِيداً لانتفاء كونه ضالاً ، اجواز ألا تكون ضلالة
واحدة بل ضلالاته مختلفة متنوعة ، فاللفظ لو تركناه وظاهره لم يدل على

انتفاء كونه ضالاً ، بتقدير أن يراد بالضلالة المرة على الواحدة على ما قد تَوَهَّمه هذا الرجل .

وأما قوله إذا نَفَى عن نفسه المرة الواحدة من الضلالة فقد نَفَى ما فوقها من المرتين والمرات الكثيرة ، فكلامٌ من لم يُعَيِّن النظر في قوله المرة الواحدة ، لأنه إذا أخذ في تفسير الضلالة أن تكون واحدةً وجملت الضلالات أشياء متعددة مختلفة كالضَّرَبَات المختلفة والأَكَلَات المتنوعة ، ثم نفى عن نفسه ضلالةً واحدةً مشروطاً فيها أن تكون واحدةً ، لم يلزم من انتفاءها بهذا القيد أن تنتفى عنه ضلالاتٌ كثيرةٌ ، لأن وجود الضلالات الكثيرة ملحوظاً فيها كونها كثيرة لا يُنافي اقتضاء الضلالة الواحدة عنده ، لأن معنى الواحدة ليس معها غيرها ، ومن وَجِدَتْ عنده ضلالاتٌ كثيرةٌ ، فقد صَدَقَ عليه أنه وَجِدَتْ عنده ضلالةً واحدةً ، بمعنى أنه ليس معها غيرها .

واعلم أن مراده تعالى بقوله حاكياً عن نوح (ليس بي ضلالة) نَفَى الضلالة الذى هو المصدر ، لأنه هو الذى بانتفائه ينتفى كون نوح ضالاً انتفاءً مطلقاً ، لا كما تَوَهَّمه هذا الرجل من أنه عبارةٌ عن المرة الواحدة ، واللفظ واضح ، والمعنى ظاهر ، وعند التعمق الزلل .

قال المصنف : واعلم أن القياسَ يَقْتَضِي أن يقال : (ما لهذا الكتاب لا يُفادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها) لأنه إذا قَدَّمَ الصغيرة لم يَحْتَجْ إلى

أن يقولَ ولا كبيرةً ، لأن وجود المؤاخذة على الصغيرة يلزمُ منه وجودُ المؤاخذة على الكبيرة ، وإذا لم يَعْفُ عن الصغيرة لم يَعْفُ عن الكبيرة .

وإذ قدم في اللفظ الكبيرة احتاج إلى أن يقول ولا صغيرة ، لأنه لم يَعْفُ عن الكبيرة فيجوز أن يعفو عن الصغيرة ، فاحتاج إلى أن يذكر ما قال .

غير أن الكتاب العزيز أحقُّ أن يُتَّبَعَ فيقاسَ عليه ، فوجب تركُ القياس لأجل هذه الآية ^(١) .

أقول: أمّا أولاً فإن هذه الآية لم تذكر لبيان المؤاخذة والعفو ، ولا أن معنى قوله (لا يفادر صغيرة ولا كبيرة) العقابُ والغفرانُ ، بل معناه الإحصاء والعَدُّ .

ألا ترى إلى قوله سبحانه : (ووضَعَ الكتابُ فترىَ المجرمينَ مُسْفِقِينَ تَمِمَّا فِيهِ ، ويقولون يا وَيْلَتَنَا ما لهذا الكتابِ لا يفادر صغيرةً ولا كبيرةً) ^(٢)

[ليس المراد فيه] العقاب والغفران ، بل معناه الإحصاء والعَدُّ ؟ ألا ترى قوله (إلا أحصاها) فهو أمرٌ راجعٌ إلى إحاطةِ عِلْمِ الباري سبحانه بأفعال العباد خَفِيَّهَا وظَاهِرِهَا وجَلِيلِهَا وَحَقِيرِهَا ، فالذى تَوَهَّمَهُ هذا الرجل من كَوْنِ هذه الآية لتفصيل أحوال المؤاخذة تَوَهَّمٌ باطل .

وأما ثانياً فلأن هذه الآية وردت لبيان أنه تعالى يعلم الكبائر من الذنوب والصغائر ، وللناس خلافٌ مشهورٌ في الكبائر والصغائر من الذنوب ما هي ؟ فعنى الآية أنه تعالى يَعْلَمُ كِبَائِرَ الذنوبِ وصغائرها .

(١) للتل السائر ٢/٢١٣ .

(٢) سورة الكهف ٤٩ .

وعلى هذا التفسير إذا قدّم الصغيرة لا يلزم منه أن يستغنى عن ذكر الكبيرة ،
لأنه ليس إذا علم الصغائر كان بأن يعلم الكبائر أولى ، كما يقول القائل
إذا أبصرت من عشرة فراسخ كنت بأن أبصر من فرسخ واحد أولى ، لأنه
ليس أحدٌ نوعى الكبائر والصغائر بالنسبة إلى عالميته تعالى أجلى من الآخر
على جميع مذاهب العقلاء ، والإبصار على حدّ فرسخ واحد أولى لمن يبصر
على حد عشرة فراسخ .

وأما ثالثاً فلو سلمنا أنه لم يعنِ كبائر الذنوب وصغائرها ، بل عنى الخفى
من أفعال العباد وهى أفعال القلوب ، والجليّ الظاهر منها وهى أفعال الجوارح ،
فإنه لا يمكن حمل الآية إلا على أحد هذين الحملين ولا ثالث لهما ، فلم يقتض
القياس أن يقول لا يفادر صغيرة ولا كبيرة ، لأنه قد قال التفسير عوض ، وذلك
بأن يقول ما لهذا الكتاب لا يفادر خفياً ولا جلياً إلا أحصاه ، لأن كل من
أثبت أن البارئ تعالى عالم بأفعال الجوارح أثبت أنه عالم بأفعال القلوب ،
كالدلالة على أنه تعالى يعلم الجزئيات عامة فى القسمين ، وليس أحدهما أولى
بالتقدم من الآخر .

فإن قلت أليس قد ثبت فى الإنس أن الجلىّ أولى بالمعلومية من الخفى ،
والقرآن العزيز يدلّ على ما يتعارفه الناس وخطبوا به على قدر أذهانهم ؟
قلت : إنه لو قال تعالى ما لهذا الكتاب لا يفادر صغيرة إلا أحصاها ، فربما
يتوهم أن الكتاب موضوع لإحصاء فعل القلوب فقط ، لا بمعنى أنه تعالى
يعلم أفعال القلوب فقط ، بل بمعنى أنه قد بتوهم أن الكتاب الذى فيه ذنوب

بنى آدم وحسناتهم موضوع لإحصاء أفعال قلوبهم خاصة ، ولا يكون فيه شيء
 هي معدودة مضبوطة فيه ، والمراد من هذه الآية وأمثالها إرهابُ المصاة ،
 وهم إذا سمعوا أن أعمالهم كلها مضبوطة مكتوبة في كتاب يشتمل عليها كما
 يشتمل على سائر الحساب لا على ما فيها ، كانوا أخوف وأشدّ تباعداً
 من المعاصي .

فعلى هذه الطريقة قال (ولا كبيرة) لتكون الآية بعيدة عن التوهم
 الذي يُحِلُّ نظام الزجر .

— ٩٤ —

قال المصنف : وكذلك قد كان القياس أن يقول (فلا تنهرها ولا تقل لهما أف)
 لأنه إذا لم يقل لهما أف فقد امتنع أن ينهرها .
 قال : نظير ذلك في الترتيب الواقع على وفق القياس قول البحترى يصف
 نُحول الركائب .

كالقسي المعطّفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار^(١)
 فشبهها أولاً بالقسي ، ثم قال بل كالأسهم ، لأنها أبلغ في النحول من القسي
 ثم قال بل كالأوتار ، لأنها أبلغ في النحول من الأسهم .

(١) من قصيدة له في مدح أبي جعفر بن حميد ، مطلعها :
 أبكاء في الدار بعد الدار وسلو بزئيب عن نوار
 ثم يصف نُحول الفلائس ، فيقول قبل هذا البيت :
 بقرقرن كالسراب وقد خضن غماراً من السراب الجاري
 وكان بالأصل (الأسهم ميزته) .

قال : لكنى قد رفضتُ القياسَ ، وقدَّمتُ ما استعمل في الكتاب العزيز عليه ^(١) .

أقول إن الله تعالى لو قال : (فلا تقل لهما أف بل لاتنهرها) لكان على خلاف القياس ، لأن لفظة بل للاستدراك ، فيُعطى في الثانى معنى لم يكن في الأول ، فيصح أن يقال لا تنهر السائل بل لا تضربه ، وبقتضى القياس أن يقال لا تضرب السائل بل لاتنهره

وبيت البحترى إنما وقع موافقا للقياس لاستعماله لفظة بل ، فأما الآية فوردت بالواو العاطفة ، وهى غير مقتضية للترتيب ، فلا فرقَ بين أن يقول فلا تنهرها ولا تقل لهما أف ، وأن يقول فلا تقل لهما أف ولا تنهرها . . .

قال المصنف : وقد أغفل كثيرٌ من الشعراء التَّرقُّى من الأدنى فالأدنى إلى الأعلى كالمتنبي في قوله :

يا بَدْرُ يا بَحْرُ يا غَمَامَةَ يا لَيْثَ الشَّرَى يا حِمَامُ يا رَجُلُ

فإن الواجب أن يقول يابدرُ ، لأنه اسم الممدوح ، ثم يقول بعده يارجل ، ياليث الشرى ، ياغمامة ، يا بحر ، يا حمام ، لأن البدر أعظم من الليث ، والبحر أعظم من الغمامة ، والحمام أعظم من البحر ، ويرتفع من شىء إلى ما هو أعلى منه ، لأنه مقام مدح ، ولو كان مقام ذمٍّ لعكس القضية ^(٢) .

(١) المثل السائر ٢ / ٢١٤ بتصرف .

(٢) المثل السائر ٢ / ٢١٥ بتصرف .

أقول : إن أبا الطيب لم يقصد إلا مقصداً صالحاً ، ولكن هذا الرجل لم يَتَفَتَّنْ له ، لأنه مدَّحه بالسَّخاء والشَّجاعة ، وهما المعنيتان الشريقتان الجليلتان ، فقال في القسم الأول وهو قسم السَّخاء يا بحر يا غمامة ، وابتدأ بالبحر لأنه دُونَ الغمامة مكاناً ، لأنه تحتها وهي رَبَّتُهُ ، لأنه منها يتكون ، ولولا الغمامة لم تكن مياهُ الغدران والأمطار ، وما يتكون منها كالأنهار ، فإن هذه الأشياء هي التي يَعْنِيهَا بالبحر لا البحر الذي هو الماء المِلْحُ ، ولا الأَسْطَقْسُ الكلى (١) .

ثم قال في قسم الشَّجاعة : ياليتَّ الشَّرى يا حِمَام ، فابتدأ بالليث وانتقل إلى الحِمَام بعده ، لأن الليث لولا الحِمَامُ لم يُرْهَبْ ، فالحِمَامُ أشدُّ رهبةً في الصدور من الليث ، ثم ختم البيت بقوله يا رجل ، أي أنت هذه الأشياء كلها ، وأنت مع ذلك إنسانٌ من البشر ، وذلك أعجَبُ وأطْرَفُ .

وإنما قدَّم السَّخاء على الشَّجاعة ، لأن حاجةَ بُجْهَوْرِ الناسِ إلى السَّخاء أكثر من حاجتهم إلى الشَّجاعة ، والناسُ إلى رئيسٍ عظيمٍ السَّخاء أَمِيلُ منهم إلى رئيسٍ عظيمٍ الشَّجاعة ، لأن انتفاعهم به أكثر ، فأبو الطيب قصَّدَ هذا المَقْصِدَ ، أو يصحُّ أنه يقصد هذا المقصد ، ولو أتى بالبيت على الترتيب الذي ذكره المصنف لم يَحْصُلْ له هذا المعنى .

(١) الأَسْطَقْسُ : والأسْتَقْسُ هو الشيء البسيط الذي يتركب منه الشيء المركب مثل الحجارة والقراميد والخشب التي يتركب منها البناء ، والحروف التي يتركب منها الكلام ، والواحد الذي يتركب منه العدد : والأسطقسات الأربعة هي النار والهواء والماء والتراب (مفاتيح العلوم للغوارزمي ٨٢) .

قال المصنف : ونظيرُ هذا قول أبي تمام في الافتخار بقوله :
 نجومٌ طوالعٌ جبالٌ فوارعٌ غيوثٌ هوامعٌ سيولٌ دوامعٌ
 فإن السيول دون الغيوث ، والجبال دون النجوم ، ولو قدّم ما آخر لما اختلَّ
 النظم ، بأن يقول :

سيولٌ دوافعٌ غيوثٌ هوامعٌ جبالٌ فوارعٌ نجومٌ طوالعٌ^(١)
 أقول إن في بيت أبي تمام لسرّاً خفياً إما أن يكون قد قصده ، أو يمكن
 أن يقصده ، وذلك أن قبْلَهُ :

سمّابى أوسٌ في السّماءِ وحاتمٌ وزيدُ القنا والأثرمانِ ورافعٌ^(٢)
 فأوس هو أوسُ بن حارثة الطّائى ، وكان وضيئاً جميلاً ، وحليماً ذكياً ،
 فضربَ به المثل في وضاءته ورصّانته ، فهو المراد بقوله (نجوم طوالع
 جبال فوارع) .

وحاتم بن عبد الله الجواد هو المراد بقوله (غيوث هوامع) ، وأما زيدُ القنا
 والأثرمان ورافع وهو رافع بن عُميّة بن جابر فهم بالشجاعة أشهر ، وهم المراد
 بالسيول التى تهلك وتخترق ماتأنى عليه ، فهذا هو وجه ترتيب البيت .

(١) اللؤلؤ السائر ٢/ ٢١٥ .

(٢) البيت في اللؤلؤ السائر والديوان (سمابى أوس في افتخار) .

قال المصنف : فأما تقديمُ المفعول على الفعل ، فهو كقولك زيداً ضربت ، وضربت زيداً ، لأن اللفظَ الأول يفيد أنك لم تضرب إلا زيداً خاصةً ، والثاني لا يقتضى ذلك .

قال : وذلك لأنك إذا قَدَّمْتَ الفعل كنت بالخيار في إبقائه على أى مفعول شئت ، بأن تقول بَكْرًا أو عَمْرًا أو خالداً ، وإذا أَخَّرْتَ الفعل لَزِمَ الاختصاصُ بزيد وحده^(١)

أقول : إننا لا نُنْكِرُ أَنَّ قوماً من أهل العربية قد ذهبوا إلى هذا المذهب ، ولكنَّ أربابَ النظر في هذه المباحثِ وهم الأصوليون لا يعرفون هذا ، وقولهم فيه هو الصحيح المُفسَّر ، ولا فَرْقَ عِنْدَهم بين قولك ضربت زيداً وزيداً ضربت ، في أن كِلَا اللفظين لا يَدُلُّ واحدٌ منهما على اختصاص الضرب بزيد وَحْدَهُ .

وكذلك لو قلت زيداً ضربت وعَمْرًا أَلَمْ يَكُنِ الكلام متناقضاً ؟ ولو كان قولك زيدا ضربت يدل على أَنَّ الضربَ مقصورٌ على زيد وحده لكان قولك وعمرًا نَقْضاً لذلك .

فأما قوله : لأنك إذا قَدَّمْتَ الفعل كنت بالخيار في تعيين المفعول ، وإذا أَخَّرْتَهُ لَزِمَ الاختصاصُ ، فيقال له أَيْكون بالخيار إذا قَدَّمَ الفِعْلَ وإن كان قد

تَلَفَّظَ بالمفعول أو قَبْلَ أن يَتَلَفَّظَ بالمفعول ؟ الأولُ ممنوعٌ ، لأنه بَعْدَ تَعْيِينِ المفعول لا يَبْقَى خيارٌ ، والثاني مُسَلَّمٌ ، لكنَّ مثلَ هذا موجودٌ في تأخير الفعل ، لأنك إذا قَدِّمْتَ المفعولَ فأنت بالخيار قَبْلَ أن تَتَلَفَّظَ بالفعل ، فيمكن أن تقول أكرمت وضربت أو رأيت ، فليست مضطراً عند ذكر المفعول وقَبْلَ ذكر الفعل إلى أن تقول زيدا ضربت لا غير ذلك من الألفاظ .

فالحاصل أن الصَّوْرَتَيْنِ سواءٌ في التَّخْيِيرِ وعدم التَّخْيِيرِ ، لكنَّ تَقْدِيرَ المفعولُ يَتَخَيَّرُ فِيهِ في الفعل لافي المفعول ، لأنك قد ذكرته وسبق منك تعيينه ، فإن قولك زيدا ضربت يفيد في اللغة أنك لم تضرب إلا زيدا ، كأن قولك ضربت زيدا يفيد أنه لم يقع منك في حَقِّ زيد إلا الضرب فقط ، وهذا محال ، لأنك لا تَمْنِي بقولك ضربت زيدا ألا تكون قد شتمته ولا رأيتَهُ ولا أصبته ولا عترضته ، كما لم يدل تعيينُ الفعل أولاً والابتداء به على انتفاء غيره من المفعولين .

ويَدُلُّ على فساد هذا الكلام قوله تعالى : (ووهبنا له إسحاق ويعقوبَ كُلًّا هدينا ونوحا هدينا من قبل)^(١) فإن ذلك لا يدل على اختصاص إسحاق ويعقوب بالهداية ، لأنه قد هَدَى غَيْرَهُ مِمَّنْ كان في زمانِهِ .

قال المصنف: وعلى هذا ورد قوله تعالى : (بل الله فاعبدُ وكنْ من الشاكرين) فإنه يفيد الأمرَ باختصاص العبادة به دُونَ غيره ، ولو قال اعْبُدِ الله وكن من الشاكرين لم يَقْدِر الاختصاص^(٢) .

(١) سورة الأنعام ٨٤ .

(٢) للذيل السائر ٢١٨ .

أقول إن الاختصاصَ ما استفيد في هذه الآية من مُجَرَّدِ تقديمِ المفعولِ ، بل من القرينةِ ، لأنه تعالى قال : (ولقد أَوْحَى إِلَيْكَ وإلى الذين من قبلكَ لئنِ أَثَرْتُمْ كُتَّ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكُم وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . بل الله فاعبد) وهذا تصريحٌ بالاختصاصِ ، لأنه قال لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ فَتُخْسِرَ ، بل وَحْدَ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ .

فالاختصاصُ مفهومٌ من سياقِ الكلامِ ، لا من تقديمِ المفعولِ . ولو قال في هذا السَّيَاقِ بل اعبد الله لا أفاد الاختصاصَ لاحتالةً ، فلا تأخيرَ ها هنا في الاختصاصِ المعلومِ ، لا لتقديمِ المفعولِ ولا لتأخيره .

قال المصنف : وقد قال الزمخشري إن قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) لاختصاصِ العبادة والاستعانة به سبحانه دون غيره .

قال : وليس الأمر كذلك ، بل ها هنا مراعاةُ السَّجْعِ الذي جاء في الآياتِ السابقة على حَرْفِ الثُّونِ ، فلو قال نَعْبُدُكَ ونُسْتَعِينُكَ زالت طلاوةُ السَّجْعِ^(١) .

أقول : إن كان تقديمُ المفعولِ يَقْتَضِي الاختصاصَ كما يراه الزمخشري وجماعةٌ من أهل العربية ، فلا مانعَ من أن يكون المرادُ من قوله إياك نعبدُ

وإياك نستعين كلا الأمرَيْن : الاختصاص والسجع ، ولا منافاة بين هذين المطلوبين .

— ١٠٠ —

قال المصنف وكذلك قوله تعالى : (ثم الجحيم صلّوه) ليس تقديم المفعول ها هنا للاختصاص ، بل للفضيلة السجعية فقط ، فإنه لو قال خذوه فغلّوه ثم صلّوه الجحيم لم يكن في الحسن كالأول .

قال : فإن قلت بل تقديم المفعول ها هنا للاختصاص ، لأنها نار عظيمة ، ولو أخرت لجاز وقوع الفعل على غيرها ، فالجواب عن ذلك أن الدرك الأسفل أعظم من الجحيم ، فكان ينبغي أن يخص بالذكر دون الجحيم ، على ما ذهب إليه ، لأنه أعظم ، لكن استعمال هذه اللفظة هنا أحسن من استعمال غيرها من الألفاظ نحو لظى وجهم ونحوها ، والطلاوة عليها دون غيرها أكثر^(١) .

أقول : إن كان تقديم المفعول يقتضى الاختصاص كما قد قال قوم فلا مانع أن يكون الاختصاص مراداً في قوله : (ثم الجحيم صلّوه) لأن الجحيم والجاحم في اللغة هو أشد النار ، قال أبو تمام .

إِنْ يَمْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدَوَ الظِّلِمِ فَقَدْ

أَوْسَعَتْ جَاثِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْخَطْبِ^(٢)

(١) المثل السائر ٢/٢٢٠ ومنه أصلنا النص .

(٢) من قصيدته في مدح المعتصم بعد فتح عمورية التي مطلعها :
السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
والبيت من أبيات يصف فيها فرار توفلس القانده الرومي .
(الديوان ١/٢٤)

ولا منافاة بين أن يُراد الاختصاصُ وتُرَادَ الفضيلة السَّجِّيةُ معاً .

وأما قوله : فهلا ذكر الدَّرَكَ الأَسْفَلَ من النار ؟ فيقال له لم لا يكون الدركُ الأَسْفَلُ هو الجحيم بَعِيْفُهُ أيضاً ؟ ولم يكون الجحيم أشدَّ إحراقاً وتعذيباً من الدرك الأَسْفَلُ ؟ وليس في قوله إن المنافقين في الدرك الأَسْفَل ما يقتضى أن يكون هذا الموضع أشدَّ المواضع النَّارِيَّةِ إحراقاً ، فالجوازُ أن يكون غيرُ المنافقين أشدَّ عذاباً منهم ، وأيضاً فلو كان الدَّرَكُ الأَسْفَلُ أهولَ وأضعبَ لم يلزم ما ذكره ، لأنَّ التَّزْغِيَّاتِ والتَّزْهِيْمَاتِ تُذَكِّرُ على حَسَبِ ما يراه المتكلم من المصلحة ، وقد رَهَّبَ ورَغَّبَ بأشياءَ غيرِها أبلغَ في التَّهْيِيبِ والتَّغْيِيبِ منها .

ألا تَرَى أنه لو قال عَوْضَ قَوْلِهِ تعالى : (في جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)^(١) في جِيدِهَا ثَعْبَانٌ مِّن نَّارٍ لَّكَانَ أَرْهَبَ وَأَزْعَجَ ، ولم يَقُلْ ذلك .

وأما قوله إن الطَّلَاوةَ في لفظةٍ فقط دُونَ غيرها من الألفاظ فإنه يقال : له قد قلتَ ذلك ، ومعلوم أنه لو بَدَّلَ عَوْضَ الجحيمِ السَّعِيرِ لكان على عَدَدِ حروفها أو وَزْنِها ، ولا يتغير انتظامُ الكلامِ وأسلوبُهُ باستعمالها حسب استعمال لفظِ الجحيمِ حَذْوُ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ^(٢) .

(١) سورة المسد .

(٢) القُدَّة بضم القاف الريشة المنفردة ، يقال حذو القُدَّة بالقُدَّة (أساس البلاغة مادة قذ)

قال المصنف : ومن مقتضيات الاختصاص أيضا تقديم خبر المبتدأ عليه ، فإنك إذا قلت قائمٌ زيدٌ فقد أثبتت له القيام دون غيره ، وإذا قلت زيدٌ قائمٌ لم تكن قد خصصته بالقيام دون غيره من الناس ، والعلة فيه ما ذكرناه في تقديم المفعول ، فإنك إذا قلت زيدٌ قائمٌ كنت بالخيار ، حيث ابتدأت بذكر زيد ، إن شئت قلت جالسٌ أو ضاحكٌ أو غيرها . وإذا قدمت قولك قائمٌ حصل الاختصاص لزيد بالقيام دون غيره من الناس ^(١) .

أقول : إننا لا نعرفُ ذاهبا ذهب إلى أن قولنا قائمٌ زيدٌ يقتضى اختصاص زيدٍ بالقيام دون غيره من الناس .

لكن جماعة من النحاة الذاهبين إلى أن تقديم المفعول يقتضى الاختصاص ، يقولون إن قولنا (القائمُ زيدٌ) بالآف واللام يقتضى اختصاص زيد بالقيام ، كما نقول (الشجاعُ عليٌّ والجوادُ حاتمٌ) أى لا شجاع إلا ذاك ، ولا جواد إلا هذا .

فأما تقديم خبر المبتدأ عليه مع بقاءه على التمسك فإنه لا يُعرفُ ذاهبٌ ذهبَ إلى أنه يقتضى الاختصاص .

والعلة في اختصاص زيدٍ بالقيام إذا قلت (القائمُ زيدٌ) علةٌ تعودُ إلى

دخول الألف واللام على الخبر ، وهى أنَّ قولك (القائمُ) معناه الذى له القيام ، فكأنَّك قلت الذى له القيام هو زيد ، وقولك الذى له القيام هو زيد من طريق الاصطلاح العرفيِّ فى قوة ذلك الذى يختصُّ بالقيام أو الذى يفرد بالقيام ونحو ذلك .

والقائلون بهذا القول يلزمهمُ عليه أن يفيد قولنا (زيدُ القائمُ) الاختصاص الذى يذكرونه أيضا ، لأنك إذا أزلتَ عن نفسك الوهم فى كون القائمُ صفة زيد ، وأطبقت ذلك بالمبتدأ والخبر ، صار تقديره زيد الذى له القيام ، وذلك فى قوَّة قولك زيد هو الذى يختص بالقيام ، فلو كان غيره قائما لما صدَّق قولك زيد هو الذى له القيام .

فقد ظهر أنه لا فرق بين تقديم قائم وتأخيرهِ ، وأنَّ هذا لو صحَّ لكان فى الأخبار المعرَّفة باللام لافى الأخبار المنكَّرة ، كما توهمه هذا الرجل .

وأما احتجاجه بأنك تكون مخبرا إذا أخرتَ الخبر ، ولا تكونُ مخبرا إذا قدَّمته ، فاحتجاجٌ ضعيفٌ قد تكامنا عليه فى تقديم المفعول .

قال المصنف : ومن باب تقديم خبر المبتدأ الذى يفيد الاختصاص قوله تعالى : (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ) قال سبحانه ذلك ، ولم يقل وَظَنُّوا أَنَّ حُصُونَهُمْ تمنعهم أو مانعهم ، لأنَّ فى تقديم الخبر الذى هو مانعهم على المبتدأ الذى هو حُصُونَهُمْ دليلاً على قرطِ اعتقادهم فى حصانتها ، وزيادة وثوقهم بمنعها إياهم ، وفى جعل ضميرهم اسما لأنَّ ، وفى إسناد الجملة إليه دليلُ

على تقريرهم في أنفسهم أنهم في عِزَّةٍ وامتناع لا يُبَالَى معها بقَصْدٍ قاصِدٍ ولا تَعَرُّضٍ مُعْتَرِضٍ^(١) .

أقول : إن حصونهم لا تُرْفَعُ بأنه مبتدأً كما ظنه إلا على وجهٍ ضعيف ، والصحيح أنه فاعل ، تقديره وظفوا أنهم تمتعهم حصونهم ، فما نعتهم اسم فاعلٍ معتمد على ما قبله ، لأنه في الحقيقة خبرٌ مبتدأ ، من حيث كان خبراً لأنَّ ، وأنَّ من شأنها أن تدخل على المبتدأ والخبر ، ومتى كان اسم الفاعل خبراً لمبتدأ كان معتمداً عليه ، فعملٌ فيما بعده عملَ الفعلِ ، كقولك (زيد قائمٌ أبوه) فأبوه رفع بالفاعلية ، وليس بمبتدأ على القول الصحيح في صناعة العربية .

وكذلك إذا اعتمد اسم الفاعل على همزة الاستفهام أو حرف النفي ، أو وقع حالاً لذي حال ، أو صفةً لموصوف ، أو صلةً لموصول .

وَحُكْمُ الظَّرْفِ حُكْمُ اسمِ الفاعل إذا وقع معتمداً أيضاً في كونه يَرْفَعُ ما بعده بالفاعلية لا غَيْرُ ، كقوله تعالى : (فأولئك لهم جزاء الضَّعْفِ)^(٢) وقوله : (أفي الله شكٌ)^(٣) وقوله : (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)^(٤) فجزاء ، وشكٌ ، وعلمٌ ، كلها مرفوعةٌ بالفاعلية ، لاعتمادِ الظرفِ تارةً على المبتدأ ، وتارةً على همزة الاستفهام ، وتارةً لوقوعه صلةً .

(١) المثل السائر ٢/٢٢٢

(٢) سورة سبأ ٣٧

(٣) سورة إبراهيم ١٠ [قالت رسلهم : أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ؟] .

(٤) سورة الرعد ٤٣

ومما جاء من ذلك شعراً قول حَسَّان :

ظَنَنْتُمْ بَأَنِّ يَخْفَى الَّذِي قَدْ صَنَعْتُمْ وفيكم نَبِيٌّ عِنْدَهُ الْوَحْيُ وَاضِعُهُ^(١)

فالوحى فاعل . وقول الشاعر .

أَحَقًّا بَنَى أَبْنَاءَ سَلَمَى ابْنِ جَنْدَلٍ تهْدُوكُمُ إِبَّائِي وَسَطَ الْمَجَالِسِ ؟

فَتَهْدُوكُمُ فاعل وليس بمبتدأ .

فأما قوله إن في تقديم ما نعتهم زيادة معنى فقد تكلمنا عليه فيما سبق .

قال المصنف . ومن باب هذا الباب قوله تعالى : (أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي

يَا إِبْرَاهِيمَ) فَقَدَّمَ خَبَرَ الْمُبْتَدَأِ عَلَيْهِ .

ومثل قوله : (فَادَاهِيَّ شَاخِصَةً أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) ، قال : فهذا

يَدُلُّ عَلَى تَخْصِصِ الشُّخُوصِ بِالْأَبْصَارِ دُونَ غَيْرِهَا ، وَعَلَى تَخْصِصِ الْكُفَّارِ

بِالشُّخُوصِ دُونَ غَيْرِهِمْ .

أما الأول فلا أنه لو قال فإذا أبصارُ الذين كفروا شاخِصَةً جاز أن يَضَعَ

مَوْضِعَ شَاخِصَةٍ حَائِرَةٍ أَوْ مَطْمُوسَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، فَلَمَّا قَدِمَ الضَّمِيرُ اخْتَصَتْ

الْأَبْصَارُ بِالشُّخُوصِ دُونَ غَيْرِهَا

وَأما الثاني فلا أنه لما أَرَادَ أَنْ الشُّخُوصَ خَاصَّةً بِالْكَفَّارِ دُونَ غَيْرِهِمْ دَلَّ

(١) ديوان حسان ٧٢ وفي الفلك الدائر (وفيهنا) .

عليه بتقديم الضمير أولاً ، ثم بصاحبه ثانياً ، كأنه قال فإذا هم شاخصون دون غيرهم ، ولولا أنه أراد هذين الأمرين المشار إليهما لقال فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة ، لأنه أخصّ بحذف الضمير من الكلام .

قال ومن هذا النوع قول النبي صلى الله عليه وسلم في البحر : « هو الطهور ماؤه ، الحِلُّ مَيْتَتُهُ » وتقدير الكلام هو الذي ماؤه طهور ، ومَيْتَتُهُ حِلٌّ ، لأن الألف واللام هاهنا بمعنى الذي ^(١) .

أقول : لا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ الضمير وهو هي في قوله تعالى (فإذا هي) ضمير الشأن والقصة أو ضمير الأبصار ، وقد قُدِّمَ بشرطِ التفسير ، فإن كان ضمير الأبصار لم يكن قوله (أبصار الذين كفروا) مرفوعاً بالابتداء ، بل كان فاعلاً ، لأن (شاخصة) اسمُ فاعلٍ معتمدٌ على ما قبله ، وهو (هي) الذي موضعهُ رَفَعٌ بالابتداء ، وقد تقدم أن اسم الفاعل إذا وقع خبراً لمتبداً يَرَفَعُ ما بعده على القول الصحيح ، كما يرفعه الفعلُ الطَّرِيعُ ، نحو قولهم زيد قائمٌ أبوه ، وقوله تعالى : (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ) ^(٢) فعلى هذا التقدير بطلَ قولهم إن شاخصة خبرٌ مقدَّمٌ .

وإن كان هي في قوله تعالى : (فإذا هي) ضمير الشأن والقصة كان شاخصة خبراً مقدماً كما ذكره ، وبصير تقديره فإذا الشَّأْنُ والأمرُ أبصارُ الذين كفروا

(١) المثل السائر ٢/٢٢٢

(٢) سورة النحل ٦٩ .

شاخصةً ، ولا يكون على هذا التقدير شاخصة اسم فاعل معتمداً على ما قبله ، لأن ضمير الشأن والقصة لا تعتمد عليه اللفظة الواقعة بعده ، لأنه موضوع لأن يقع بعده جملة مركبة من المبتدأ والخبر ، أو لأن تقع بعده لفظة مفردة تعتمد عليه ، وتصير هذه الآية كقوله تعالى : (إنه مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ)^(١) فإن الضمير في إنه للشأن ، وبعده جملة مركبة من مبتدأ وخبر ، والمبتدأ مؤخر والخبر مقدم ، وكل موضع جاء فيه ضمير الشأن والقصة وبعده مثل هذه الجملة فهي ليست فاعلاً لعدم الاعتماد الذي هو شرط الفاعلية ، لكن على هذا التقدير يبطل قوله إنه لما أراد تعالى أن الأشخاص خاص بالكفار دون غيرهم دل عليه بتقديم الضمير أولاً ، ثم بصاحبه ثانياً ، كأنه قال : فإذا هم شاخصون دون غيرهم ، لأن هذا الكلام يقتضي أن الضمير وهو هي في قوله تعالى (فإذا هي) ضمير الأبصار لا ضمير الشأن ، ألا تراه كيف قال دل عليه بتقديم الضمير أولاً ثم بصاحبه ثانياً ؟

فالحاصل أن كلام هذا الرجل لا يستقيم ، سواء جعلنا الضمير للشأن أو للأبصار .

فأما قوله إن قوله تعالى (أراغب أنت) قد قَدَّمَ فيه خبر المبتدأ عليه فغير صحيح أيضاً ، لأن قوله (أراغب) اسم فاعل معتمد على همزة الاستفهام ، فيكون قوله (أنت) في موضع الرفع بالفاعلية ، إلا على القول الضعيف المتروك ، والمسألة مشهورة .

ففي نحو أذهب وأقامَّ الزيدان ، يرتفع قائمٌ وذاهبٌ بالابتداء ،
ويسدُّ كل واحدٍ من الفاعلين مسدَّ الخبر .

قال النحاة إن همزة الاستفهام تستدعي الفعل بذاتها ، لأن الاستفهام
إنما يكون من فعل ، ألا ترى أنك إذا فرضت شيئاً مجرّداً عن فعل لم يستفهم
عنه ، فأجروا قوله (أراغب) مجرى أترغب .

لذلك قلنا إن قوله تعالى : (إذا السماء انشَقَّتْ)^(١) السماء مرفوع بالفاعلية
بتقدير فعل دلَّ عليه انشقت ، لأنَّ (إذا) تستدعي الفعل ، وكذلك ما جرى
مجرى (إذا) في هذا المعنى ، نحو قولهم : لو ذاتُ سوارٍ لَطَمْتَنِي^(٢) ، وإنَّ
اللهُ أمكنني من فلان .

فأما قوله في البحر : (هو الطهور ماؤه والحلّ ميّنته) وتوهمه أن ذلك من
باب تقديم الخبر على المبتدأ فنلُّ الوهم الأوّل في الغلط ، بل هما مرفوعان
بالفاعلية ، كأنه قال هو الشيء الذي طهر ماؤه ، وحلّت ميّنته ، فحذفَ
الموصوف وأقام الصفة المركبة من الموصول والصلة مقامه ، والصفة تعمل كالفعل
في هذا الموضع ، فيكون ماؤه وميّنته فاعلين .

(١) سورة الانشقاق ١

(٢) لو ذات سوار للمتنى : أي لو لطمتني ذات سوار ، لأن لو طالبة للفعل داخلة عليه :
والمعنى لو ظفني من كان كفئاً لي لكان على ، ولكن ظفني من هو دوني . وقيل أراد لو لطمتني
حرة ، فجعل السوار علامة للحرية ، لأن العرب فلما تليس الإمام السوار ، فهو يقول لو كانت
اللاطمة حرة لكان أخف علي ، وهذا كما قال الشاعر :

فلو أني بليت بهاشمي خولته بنو عبد المدان
لكان على ما أني ولكن تعاملوا فانظروا بمن ابتلائي
(بحجم الأمثال للميداني ٨١/٢)

ومثله في التنزيل : (عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ) ^(١) في قول من جعل عليهم صفة لقوله تعالى : (وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ) فأما استنباطه زيادة المعنى في التقديم والتأخير فشيء قد تكلمنا عليه .

— ١٠٤ —

قال المصنف : ومن المواضع التي تفيد الاختصاص تقديم الظرف إذا كان الكلام إثباتاً ، كقولك إن إلى مَصِيرَ هذا الأمر ، فإنه يدل على أنه ليس مصيرُ هذا الأمر إلا إليك ، بخلاف ما إذا أُخِّرَتِ الظرف ، فقلت إن مصيرَ هذا الأمر إلى ، فإنه لا يفيد الاختصاص ، لأنه يحتمل أن تُوقِعَ الكلام [بعد الظرف] على غيرك فتقول عِوَصٌ ضميرك إلى زيد أو عمرو .

ومنه قوله تعالى : (إِن إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) ^(٢) .

أقول : إنه إنما فهم أن الإياب والحساب إلى الله تعالى من دليل آخر لا من مُجَرَّدِ هذا اللفظ ، ولو خُلِّينا ومُجَرَّدَ هذا اللفظ لم يدل على أن الإياب والحساب ليس إلا إليه وعليه سبحانه ، فإنك لو قلت إن في الدار زيدا ، لم يدل ذلك على أن غيره ليس في الدار ، وكذلك لو قلت وعمراً لم يتناقض الكلام .

وقد قال سبحانه : (وجعلنا في الأرض رَوَاسِيً) ^(٣) ولا يدل ذلك على أن

غير الرواسي لم يجعله تعالى في الأرض .

(١) سورة الإنسان ٢١ .

(٢) المثل السائر ٢/٢٢٤ .

(٣) سورة الأنبياء ٣١ .

وقال لآدم : (إِنَّ لَكَ أَلَا تَجُوعَ فِيهَا)^(١) ولم يكن ذلك مختصاً به ، فقد كانت أمثلة .

وقال تعالى : (إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ)^(٢) ، ولا يدل ذلك على أن ما نَفَسَتْ إلا فيه ، لأنَّ النَّفْسَ هو انتشار الغم من غير راعٍ ، سواء كانت في حرث أو في غير حرث .

وقال تعالى : (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ)^(٣) فقدم الظرف ، ولا يدل ذلك على أنه لم يشهد إلا حكمهم .

وقال : (فَوَهَبْنَا لَهُ نَجْوَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ)^(٤) ولا يدل ذلك على أنه ما أصلح زَوْجَ أَحَدٍ قَطُّ إلا زوج زكريّا .

وفي الكتاب العزيز ألف آية مثل هذا تُبْطَلُ دَعْوَى الحَصِيرِ والاختصاص .

فأما قول القائل إن إلى مصير هذا الأمر ، فإما ألا يدل ذلك على الاختصاص وهو الصحيح ، أو يدل لكن كما يدلُّ مع تقديم الظرف يدلُّ مع تأخيره إذا قلت إن مصير هذا الأمر إلى ، ولا فرق بين الموضعين .

والصحيح أن القرينة تدل على الاختصاص ، وهو الصحيح في هذا

(١) سورة طه ١١٨ .

(٢) سورة الأنبياء ٧٨ .

(٣) سورة الأنبياء ٧٨ .

(٤) سورة الأنبياء ٩٠ .

الموضع ، لا يُجَرَّدُ الصِّفَةُ ، لأنه ما جرت العادة أن الولاية وما يجري مجراها لا تنتقل إلا إلى واحد فقط .

وأما قوله إنك إذا أخرت احتمال توقيع الكلام على غيرك فضعيف ، وقد تكلمنا عليه في تقديم المفعول .

قال المصنف : فأما إذا كان الكلام نَفْيًا فقد يتقدم الظرف ويكون القصدُ به تَفْضِيلُ النَفْيِ على غيره ، كقوله تعالى : (لا فيها غَوْلٌ) والمراد تفضيلها على خور أهل الدنيا .

وقد يتأخر الظرف ويكون القصد به النفي فقط لا التفضيل كقوله تعالى : (ذلك الكتابُ لا رَيْبَ فيه) .

فإن القصد في إبلاء حَرْفِ النَفْيِ الرَّيْبَ نَفْيُ الرَّيْبِ عنه ، وإثبات أنه حق ليس كما يزعم المشركون ، ولو أَوْلَاهُ الظَّرْفُ وقال لافيه رَيْبٌ لكان قد قَصَدَ أن كتابا آخر فيه الرَّيْبُ لافى هذا الكتاب ، كما قلنا في قوله : (لا فيها غَوْلٌ) قال ومثل ذلك أن يقال لَاعْيَبَ في الدار ، ويقال لا فيها عَيْبٌ ، في أن الأول يقتضى نَفْيَ الْعَيْبِ عن الدار فقط ، والثاني يقتضى تفضيلها على غيرها ، أى ليس فيها ما في غيرها من العيب ^(١) .

أقول: إن هذا الذى ذكره شيء لا يعرفه أهل العربية ، ولا أهل الفقه ، ولا فرقَ عندهم فى النفي المطلق بين قولهم لا رَبِّبَ فيه ولا فيه رَبٌّ ، إلا من جهة أخرى ، وهى أنه يَقْبَحُ الاختصار على قوله لا فيه رب فى القواعد النحوية ، حتى يَضُمَّ إليه شيء آخر ، فيقول ولا شك مثلاً أو نحو ذلك .

فأما ما يعود إلى نفي الرب فاللفظان بدلان عليه دلالة واحدة ، ولعله ظن أن حرف النفي إذا شافه المنفى بغير واسطة كان أبلغ فى النفي من أن يتخلل بينهما واسطة ، ويجريه مجرى المؤثرات الحسية ، فإن السيف إذا شافه الجسم بلا واسطة كان أبلغ فى القطع من أن يتخلل بينهما ثوب أو درع ، فيظن أن هذا مثلُ ذاك ، وهذا وهمٌ عامٌّ لا يلتفت إليه مُحَصِّلٌ .

وما نعلم كيف وقعَ له أنه قال: لو أنه قال ليس فيه رب لدلَّ على أنه ليس كغيره من الكتب التى فيها رَبِّبٌ ، وأنه لو قال : ليس فى الدار عيب لدلَّ على أنها ليست كغيرها من الدورِ المميبة ، وأنه إذا قال: ليس فى خمر الجنة غَوْلٌ يدل على أنه ليس كخمر الدنيا التى فيها غول ، فإنه ليس فى اللفظ تعرُّضٌ لذلك لا بصريحه ولا فحواه ، ولو جاز أن ينسب إلى الألفاظ دلالة لا تقضيها لا بصريحها ولا فحواها لجاز أن يُنسَبَ إليها أمورٌ لا تتناهى ، وذلك محالٌ .

وقال سبحانه : (يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَنَفْوٍ فِيهَا وَلَا تَأْنِيهِ)^(١) وليس

تفسير هذا الرجل لقوله تعالى (لا فيها غَوْلٌ) بأن المراد تفضيلها على الخمر التي فيها غَوْلٌ بأوّلَى من أن تُعكّس القضية عليه ويُفسّر نحو قوله تعالى (لا لغوٌ فيها) بأنه يدل على تفضيلها على خمر الدنيا التي فيها اللغو والتأنيب ، فيجعل حرف النفي إذا باشر المنفى وتأخر الظرف دالاً على الأفضلية ، وإذا تقدّم الظرف دالاً على النفي المطلق على مناقضة ما ذكره ، فإنه لأفضل بين القولين إلا مجرّداً التسمي والتحكيم .

— ١٠٦ —

قال المصنف : وتقديم الحال على ذى الحال يفيد الاختصاص ، نحو قولك جاء راكباً زيدٌ ، بخلاف ما إذا قلت جاء زيد راكباً ، فإنه لا يدل على ذلك ، لجواز أن يكون ضاحكاً أو ماشياً أو غير ذلك^(١) .

أقول : أتزعم أنك إذا قلت جاء راكباً زيدٌ فإنك قد قصرت زيدا من دون سائر الأحوال والهيئات على الركوب فقط ، وأنّ ذلك بنفى كونه لابساً وضاحكاً وجائعاً وغير ذلك من الأمور التي يُحتمل أن يكون عليها ؟ فإن قيل نعم قيل له : كيف زعمت ذلك ، ولا مُعاقاة بين كونه راكباً وكونه على هذه الأوصاف ، وأى دلالة في تقديم الحال على انتفاء غيرها ؟ وهذا لغوٌ من القول .

قال المصنف : والاستثناء المتقدم جارٍ هذا المجزئ ، نحو قولك : ما قام إلا زيدا^(١) ، وأنه يدل على الاختصاص بخلاف قولك ما قام أحدٌ إلا زيدا^(٢) .

أقول : لمجرى إن قولك ما قام إلا زيدا أحدٌ يدل على اختصاص زيد بالقيام ، لا لأجل تقديمه على الفاعل ، بل لأجل الاستثناء الذى يدل على إخراجهم مما حكم به على غيره ، فلولا اختصاصه بذلك لبطلت فائدة الاستثناء ، ولكن هذا المعنى مظهرٌ في حالتى تقديم زيد وتأخير ، لأن الاستثناء يدل في كلا الموضعين دلالةً واحدةً على اختصاص زيد بالقيام دون غيره ، لأنه لو قام غيره لكذب في قوله إلا زيدا .

ألا ترى أن من يحاول تكذيبه تقول له كذبت ، لأن خالدا قد قام أيضا ، فلا فرق في هذا الاختصاص بين تقديم المستثنى وتأخير .

فإن كان هذا الرجل بذوقه وحسّه قد تَفَقَّن لاختصاص زائدٍ على هذا المعنى عند تقديم المستثنى لا يؤخذ عند تأخير ، فهذا الرجل قد أدرك ما غفل عنه الأولون والآخرون ، ورزقَ حسًّا وذوقًا وقَفَ بهما على ما لم يَقِفْ عليه غيره ، ولا كلامَ لنا مع من هو بهذه الصفة ، وإنما نتحدث مع أمثالنا وأشكالنا ، وأما من تَرَفَّقَ إلى طبقةٍ أخرى فإن أمره يحلُّ عن ذلك . .

قال المصنف : وقد اختلف الناس في حَمَلِ مَرْيَمَ عليها السلام كم مدَّته ، فقال قوم كَحَمَلِ غيرها من النساء ، وقيل ثلاثة أيام ، وقيل أقل ، وقيل أكثر . قال : والصحيح أن حملها ووضعها كانا متقاربين على الفور من غير مُهْلَةٍ ، وربما كان ذلك في يوم واحد أو أقل ، لقوله تعالى : (لَحْمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) لأنه عطف بالفاء وهي للفَورِ ، ولو كان هناك تراخ ومُهْلَةٌ لعطف بثم التي هي تفيد المهلة ^(١) .

أقول : إن الفاء ليست للفَورِ ، بل هي للتعقيب على حَسَبِ ما يَصِحُّ إمَّا عقلاً أو عادةً ، ولهذا صحَّ أن يقال دخلت البصرة فَبَغْدَادَ ، وكان بينهما زمانٌ كثير ، لكن تعقيب دخول هذه عن دخول تلك على ما يمكن ، بمعنى أنه لم يمكث بواسطه مثلاً سنة أو مدةً طويلةً ، بل طَوَى المنازل بَعْدَ البصرة ولم يُقِمْ بواحد منها إقامةً يخرج بها عن حَدِّ السفر إلى أن دَخَلَ بَغْدَادَ ، وهذا هو الذي يقوله أهل اللغة وأهل الأصول ، وليست الفاء للفَورِ الحقيقي .

أقول : معناه حصول هذا بعد هذا ^(٢) بغير فصل ولا زمان كما توهمه هذا الرجل ، ألا ترى إلى قوله تعالى : (لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ) ^(٣) والعذابُ مترائحٌ عن الافتراء .

(١) المثل السائر ٢/٢٣٧ .

(٢) يريد حدوث الوضع بعد الحمل .

(٣) سورة طه ٦١ .

وقال : (فلا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى)^(١)
والرَّدَى متراحٍ عن الصَّدِّ عنها . وقال : (وأنزلَ من السماء ماءً فأخرجنا به
أزواجاً من نباتٍ شَتَّى)^(٢) وليس خروج النبات عَقَبَ إنزالِ المطر ، بل هو
متراحٍ عنه . وقال : (ولقد عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَدَى)^(٣) ولم يكن النسيان
عَقَبَ العهد ، فإنه قد دام مُكْنُهُ متجنباً للشجرة التي نَسِيَ عَنْ أَكْلِهَا مائة
عام ، ثم أَكَلَهَا .

وفي القرآن من هذا الجنس الكثير الواسع ، فإذا ن لا يدل قوله تعالى :
(فاصْبِرْ بِهِ مَكَامًا قَصِيًّا فَاجْأَهَا الْخَاضُ) ، أن ذلك كله كان في يوم
واحد أو أقل كما اعتقده هذا الرجل .

قال المصنف : ومن هذا الباب قوله تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان
من سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثم جعلناه نَظْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثم خلقنا النُّطْفَةَ
عَلَقَةً ، ثم خلقنا العلقَةَ مُضْغَةً ، ثم خلقنا المِضْغَةَ عِظَامًا ، ثم فكسونا العِظَامَ لَحْمًا ،
ثم أنشأناه خَلْقًا آخَرَ) قال فذَا كَرَّ الْخَلْقَ الْأَوَّلَ مِنَ الطِّينِ وَهُوَ آدَمَ ،
ثم عَطَفَ عَلَيْهِ الْخَلْقَ الثَّانِي بِثَمِّ لَمَّا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّرَاخِي ، وَلَمَّا صَارَ إِلَى الْقَدَرِ
الَّذِي يَتَّبِعُ بَعْضُهُ بَعْضًا مِنْ غَيْرِ تَرَاحٍ عَطَفَهُ بِالْفَاءِ ، وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى جَعْلِهِ ذَكَرًا
أَوْ أُنْثَى وَهُوَ آخِرُ الْخَلْقِ عَطَفَهُ بِثَمِّ .

(١) سورة طه ١٦ .

(٢) سورة طه ٥٢ .

(٣) سورة طه ١١٥ .

ثم اعترض على نفسه فقال قد وَرَدَتْ آيَةٌ أُخْرَى بلفظة ثم لهذه التقلبات بعينها ، وهى قوله تعالى : (إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُثَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ، ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ) ثم أمسك عن الجواب ^(١) ، فلم يقل شيئاً . هكذا وجدته فى نسخة هذا الكتاب التى وصلت إلينا من الموصل فطلبت نسخة أخرى ، ثم تأملتها فوجدته أيضاً قد أَخْلَى بياضاً للجواب .

أقول : قد كان الواجبُ عليه أنْ يتفطن من ها هنا لحقيقة الفاء ، وأنها ليست كما يظن أنها تقتضى القَوَرَّ الحقيقى ، وإن وُجد أحدهما فى الزمان الأول ، والآخر فى الزمان الثانى بلا فصل ، بل تقتضى التّعقيبَ على ما يصح ويمكن كما قدمنا ، فأما ثم فتقتضى تراخيا ومُهْلَةً أكثر مما فى الفاء .

ومن العجيب ظنه أنَّ الفاء فى قوله تعالى : (خَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عَظَامًا ، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) للتعقيب الذى يتوهمه ، وهو عَدَمُ الزمان المحسوس بين الحالتين ، وكيف يمكن أن نعتقد هذا ، وَبَيْنَ صَيْرُورَةِ الْعَلَقَةِ مُضْغَةً زَمَانٌ طَوِيلٌ ، وبين صيرورة المضغة عظاماً مثْلُ ذلك ، ولو كان الأمر كما تصوره هذا الرجل لوجبَ القول بأن الزمان الذى تتكون فيه النطفة علقية ، تتكون فى الزمان الثانى منه بلا فَصْلٍ مُضْغَةً ، وتتكون فى الذى يليه بلا فصل عظاماً ، وتتكون فى الزمان الذى يليه على تلك العظام لحم ، وتتكون هذه المراتب كلها ، وتقع جسيمها فى أقل من عاشرة من عواشر الدقائق ، وهذا أمرٌ ما قاله مخلوق قَطُّ :

(١) للائل السائر ٢٣٨/٢ وليس فى الكتاب جواب عن السؤال .

وهو مع ذلك مخالفٌ للحسِّ والوجدان ، فالآية الثانية الواردة بلفظة ثم غنيةٌ عن التأويل بحكمة واضحة ، لأن لفظة ثم واقعة موقعها .

فإننا إذا استقبحنا على سياق كلامه أن يقول قام زيد يوم السبت ، فقام عمرو يوم الأحد ، لأجل أن بينهما يوما واحدا ، وأوجبنا أن يقول ثم قام عمرو يوم الأحد ، وجعلنا مدة اليوم فقط مهلةً وتراخيا يليق أن يؤتى بهم لأجلها ، قالاً ولئى أن يؤتى بهم فى أطوار الخلقة التى لا ينتقل طور منها إلى طور آخر إلا فى الأيام الطويلة التى تتجاوز الشهر .

فأما قوله : ولما صار إلى جعله ذكرا أو أنثى وهو آخر الخلق عطفه بهم ، فنقول له : أين فى الآية ذكرُ جعله ذكرا وأنثى ؟ فإن كنت تعنى قوله (ثم أنشأناه خلقاً آخر) فإن تقسيم الحيوان المخصوص إلى ذكر أو أنثى ما كان فى آخر المراتب كما يتوهم ، بل إنما فى أول التكوين وابتداء الأطوار على ما يعتقده قوم ، أو عند جعله عظاما ولحما ، لأنه لا يُغيّرهُ أن يجعله لحما وعظاما فيكون إنسانا كاملا ، ومع ذلك فليس بذكر ولا أنثى .

فالذى سبق إلى ذهن هذا الرجل من أن المراد بقوله (ثم أنشأناه خلقاً آخر) الذكورة والأنوثة قد سبق قبْلَهُ إلى أذهان قومٍ من صنعة المفسرين ، وهو غلط ، بل المراد بذلك أننا أخرجناه من ذلك الوعاء إلى خارجه ، وجعلناه مستقلاً بنفسه بعد أن كان جزءاً من أمه ، لأنه كان يفتدى باغتذائها ، كما يفتدى عضو من أعضائها ، فلما استقل بنفسه فى الغذاء وغيره وجميع صورته ، وظهر شخصه صار خلقاً آخر .

قال المصنف : ومن الألفاظِ أَلْفَاظٌ يراد بها المبالغةُ والتكثير ، كالألفاظِ التي تبيء على وزن فَعَالٍ كَتَوَّابٍ وَغَفَّارٍ فإنهما يفيدان كثرة التَّوبَةِ والمَغْفِرَةِ وتكررها من الفاعل ، وليسَا كَتَائِبٍ وَغَافِرٍ ، فإنهما يدلان على وقوع المغفرة والتوبة من الفاعل ولو مرة واحدة .

قال وقد وَهَمَ بعضُ شعراءِ الحماسة في هذا الموضع فقال :

لِلَّهِ تَيْمُّ أَيْ رُمَحِ طَرَادٍ لَاقِيَ الْحِمَامِ وَأَيْ تَصُلَّ جَلَادٍ ؟
وَحِشٌّ حَرْبٍ مُقَدَّمٍ مَتَعَرِّضٍ الْمَوْتِ غَيْرِ مُكَذِّبٍ حَيَّادٍ

قال فانعكس عليه القصد ، لأنه إذا نفى كونه حَيَّادًا فقد نفى عنه كونه كثير المزيعة والانحراف عن قريبه ، وذلك أن يكون قليلهما ، ولا شبهة أن يكون غير حَيَّادٍ وليكنه حائد ، أي وجدت منه الحيدودة مرة واحدة ، وإذا وجدت منه مرة كان ذلك جُبْنًا ، ولم يكن شجاعة ، والأولى أن كان قال : غير مكذب حائد^(١) :

أقول : فعلى هذا القياس يكون قوله تعالى : (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ)^(٢) يقتضى أن يكون دالا على نفي تكرر الظلم ، وبكون مفهوم ذلك وخفواه أنه

(١) اللؤلؤ المائر ٢/٢٥٤ ومنه أصلنا النص .

(٢) سورة فصلت ٤٦ .

يُظْلَمُ العبادَ ظلماً قليلاً ، كما كان فحوى بيت الشاعر أن هذا المرثى يَحْبُنُ نادراً ، وأن يكون قوله صلى الله عليه وسلم لعلى عليه السلام : « لأُعْطِينَ الزَايَةَ غداً لرجلٍ يحبُّ اللهَ ورسولَهُ ، ويحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ ، كَرَّارٍ غيرِ فرَّارٍ » أى لا يكثر الفرَّ بل يَفَرُّ أحياناً فى النادر ، مع أن علياً لم يَفَرَّ قطُّ على ما نقل عنه المخالف والمؤلف ، وأن يكون قول سَطِيحٍ ^(١) فى كَهَانَتِهِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس بَفَظٍّ ولا صَخَّابٍ » يقتضى ألا يَصْخَبَ كثيراً ، بل يَصْخَبُ فى وقت بعيدٍ .

واعلم أنَّ العربَ إذا استعملت هذه اللفظة فى التثنية لا يَعْنُونَ بها إلا ما يعنون بلفظة فاعل فقط ، ولو شئتُ أن أذكر من ذلك الأمثلة الكثيرة لذكرتها ، فأما فى الإثبات فإنهم قلَّ أن يستعملوها إلا فى السكثرة والتكرير كما ذكره هذا الرجل ، وكان الواجب أن يَتَصَفَّحَ كلامَهُمْ ، ويُفَرِّقَ بَيْنَ استعمالهم لها نفياً واستعمالهم لها إثباتاً .

قال المصنف : وينبغى أن يُعْلَمَ أنه إذا وردت لفظة من الألفاظ ، ويجوز حملها على التضعيف الذى هو طريقُ المبالغة ، وحملها على غيره ، أن يُنْظَرَ فيها .

(١) سَطِيحُ كاهن بنى ذئب ، كان يتكهن فى الجاهلية ، وأخبر ببعثته صلى الله عليه وسلم . ومات بعد مولد النبى . قالوا إنه سُمى بذلك لأنه كان إذا غضب قعد منبسطاً فيما زعموا ، وقبل إنه سُمى بذلك لأنه لم يكن بين مفاصله فصب تعتمده فكان أبداً منبسطاً منسطحاً على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود . وهو خال عبد المسيح بن عمرو بن بَقِيلَةَ النَسَائِي ، وابن خالة شوق السكاهن (هامش القاموس مادة سَطِيح) .

فإن اقتضى حملها على المبالغة ، فهو الوجه .

وذلك أن قوة اللفظ لقوة المعنى لاستقيم إلا في نقل صيغة إلى صيغة أكثر منها ، كنقل الثلاثي إلى الرباعي .

وإلا فإذا كانت صيغة الرباعي مثلاً موضوعة لمعنى ، فإنه لا يراد بها ما أريد من نقل الثلاثي إلى مثل تلك الصيغة .

ألا ترى أنه إذا قيل في الثلاثي (قَتَلَ) ثم نقل إلى الرباعي ففعل (قَتَلَ) بالتشديد ، فإن الفائدة من هذا النقل هي التأكيد ، أي أن القتل وجد منه كثيراً ؟ .

وهذه الصيغة الرباعية بعينها لو وردت من غير نقل لم تكن دالة على التأكيد ، كقوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليماً) ، إذ أنه لا ثلاثي لهذه اللفظة^(١) .

أقول : إنه لا يصح أن يقال على الإطلاق متى كان لهذه الصيغة وهي فعَّل بالتشديد ثلاثي ، فإنها تعطى معنى التأكيد والقوة ، وذلك أننا قد وجدناها في مواضع بخلاف هذه الصفة ، نحو قولك قلصت شفته إذا انزوت بالتخفيف ، ومثله قلصت بالتشديد ، ولا فرق بينهما عند أهل اللغة في كثرة ولا قلة ، وقد نصوا عليه ، وذكر ذلك صاحب ديوان الأدب فقال : قصر من الصلاة وقصر منها^(٢) .

(١) التل الصادر ٢/٢٥٣ — ٢٥٥ ومنه نقلنا النص وصحناه .

(٢) في أساس البلاغة : قصر من الصلاة قصرأ وأقصر وقصر (بتشديد الصاد في الأخيرة) .

فأما قوله إنَّ فعلً مشدداً إذا لم يكن له ثلاثي قد نُقِلَ عنه فإنه لا يبدلُ على الكثرة فصحيحٌ ، لكنَّ تمثيله بقولهم رَتَّلَ القراءة غير صحيح ، لأن هذه اللفظة لها فعلٌ ثلاثيٌّ وهو رَتَّلَتْ قراءته بالكسر رَتَّلًا أيضاً ، ويقال منهما فَعَرَّ مُرَتَّلٌ ، وكلام مُرَتَّل .

فأما تمثيله بكلمة فتمثيلٌ صحيحٌ لانزعاج فيه .

قال المصنف : وقد ذهب جمهورُ علماء العربية إلى أن علياً أبلغُ في معنى العلم من عالم .

قال : ولا أرى ذلك صواباً ، لأنك تجد الحروف في الموضعين على عِدَّةٍ واحدةٍ لم ينتقل فيها الأدنى عدداً إلى الأعلى ، بل الذي يُوجبُه القياس يقتضي عكس ما قالوا ، لأن فِعِيلاً في وزن طريق وكريم وأمثالهما من أمثال الأخلاق والطبائع التي لا تقع إلا قاصرة^(١) ، وفاعلها على هذا الوزن هو فَعِيل^(٢) لا غير ، وليس بناءً فاعِلٍ كذلك ، لأنه يحىء من المتعدي كضارب ومن اللازم كقائم ، وما يشبهه ما لا يكونُ إلا للقاصر أضعف مما يكون بناؤه للمتعدى والقاصر معا^(٣) .

(١) يريد بالقاصرة اللازمة .

(٢) قال ابن الأنبر : عالم اسم فاعل من علم وهو متعدي ، وعليه اسم فاعل من علم (بضم اللام) إلا أنه أشبه وزن الفعل القاصر ، نحو شرف فهو شريف وكرم فهو كريم ، فهذا الوزن لا يكون إلا في الفعل القاصر . فلما أشبهه (علم) انحط عن رتبة (عالم) الذي هو متعدي .

(٣) المثل السائر ٢/٢٥٦ بتصرف .

أقول إن فعيلًا وإن لم يَنْصُ العرب على أنه للمبالغة فقد نهوا على ذلك باستعمالهم إياه خبراً عن الجماعة، وإجراء صفتِهِ على المذكر والمؤنث ، أما كونه خبراً عن الجماعة فنحو قول جرير :

جَلَوْنَ العيونَ النُّجْلَ ثم رَمِينَا

بَأَعْيُنِ أَعْدَاءِ وَهْنٍ صَدِيقٍ^(١)

ومثله في الخبر قوله تعالى : (إن رحمةَ اللَّهِ قَريبٌ منَ المحسنين)^(٢) ، ولم يقل قريبة .

وإذا وُصِفَ به المذكر والمؤنث ووقع خبراً عن الجماعة صار كالمصادر الواقعة للأجناسِ المشتركِ في الوصفِ بها المفردُ والجمعُ والمذكرُ والمؤنثُ ، نحو قولهم رجل فِطِرٌ وامرأة فِطِرٌ ورجال فِطِرٌ ونساء فِطِرٌ ، ومثل هذا لم يجيء في وزن فاعل ، وعلة ذلك أن فعيلاً أشبهَ فعولاً ، لأنه صفةٌ مثلهُ وثالثهُ حَرْفٌ مدٌّ ، وفِعُولٌ قد وقع للجمع والمفرد والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ، قال الله تعالى : (فإِنيهم عَدُوٌّ لِي إِلا رَّبُّ العالمين)^(٣) فَعَدَوْ فِعُولٌ ، وقد أَخْبَرَ به عن الجماعة ، أَيْ أَنَّهُمْ لِي أَعْدَاءُ .

(١) البيت في الديوان (٣٩٨) :

دَعَوْنَ الهوى ثم اَرْتَمَيْنِ قُلُوبَنَا بِأَسْهَمِ أَعْدَاءِ وَهْنٍ صَدِيقِ

من قصيدته في مدح الحجاج التي مطلعها :

بِتِ أَرَأَيْتِ صَاحِبِي تَجَلَدَا وَقَدْ عَلِقَتْنِي مِنْ هَوَاكَ عُلُوقِ

(٢) سورة الأعراف ٥٦ .

(٣) سورة الشعراء ٧٧ .

وقالوا امرأة شكورٌ كما قالوا رجل سكورٌ ، وإنما استعملوا فعولا للمبالغة والكثرة ، لأنه على لفظ فعول الذي يقع مصدرًا ، نحو الدُّخول وليس بينه وبينه إلا ضمُّ هذا وفتح هذا .

وقال أبو الفتح رحمه الله سرى التذكير من فعول المصدرى إلى فعول الوصفى ، يعنى أنَّ المصدرَ للجنس ، والغالبُ على الجنس التذكير ، فلذلك لم يؤنث فعول إذا وقع للمؤنث بمعنى فاعل ، نحو امرأة صبورٌ ، وامرأة شكورٌ ، وشذَّ قولهم امرأة عدوَّةٌ ، حملوه على قولهم امرأة صديقةٌ بالهاء الفارقة في الواحد بين المذكر والمؤنث .

فأما قوله إن فعيلًا يحىء من أفعال الفرائز فذلك لا ينافى وقوعه للمبالغة ، لأن قولنا قدَّم فهو قديمٌ فيه مبالغة ، وكذلك عَتَقَ فهو عَتِيقٌ بمعنى قدَّم في الزمان على جهة المبالغة ، وقال سبحانه : (حتى عاد كالعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) (١) .

قال المصنف : ومن التطويل الذى لاحاجة إليه قولُ العَجِيزِ السَّالُوِّ من شعراء الحماسة :

طلوعُ الثَّنايا بالمطايا وسابقٌ إلى غايةٍ مَنْ يَبْتَدِرُهَا يُقَدِّمُ

قال : فالزيادة قوله بالمطايا ، لأنه أراد ما أراد العجيج بقوله : (أنا ابنُ جَلَا

وطلا عُ الثنايا) أى سامى المهمة إلى معالى الأمور ، فالمطايا فضلة ، لأن معالى الأمور لا يُرَقى إليها بالمطايا ، وإن أراد به أنه كثير الأسفار فتخصيصه الثنايا بالذكر دون سائر الأرض من المفاوز وغيرها لا فائدة فيه .

وعلى كلا الوجهين فذكرُ المطايا فضلةً لاحتاجة إليها ، وهو تطويل بارد غث^(١) .

أقول : إن هذا الكلام مدخولٌ من ثلاثة أوجه : الأول أنه لو أراد ما أراده الحجاج من سموّ همته إلى معالى الأمور ، وإحاطة علمه بالخفايا كما يحيط علمُ الرّبيثة الذى يطلع الثنايا بأحوال الأرض ومن يصير فيها ، لم يكن قوله بالمطايا زيادة لا معنى تحتها ، لأنه كنى بالمطايا عن مساعيه وآثاره ومقاماته التى تقدّم بها فى معالى الأمور ، واكتسبها ، وسمّاها مطايا لأنها هى التى أوصلته إلى المعالى ، كما يصل الإنسان بالمطية إلى مقصده .

ولهذه العلة استعاروا هذه اللفظة ، فقالوا الليل والنهار مطيّتان تقرّبان البعيد ، وسمى أبو الطيب نعله ناقّة ، فقال :

لاناقي تقبلُ الرديفَ ولا

بالسوّط يومَ الرّهانِ أجهدُها^(٢)

(١) المثل المائر ٢/٢٧٠ .

(٢) من قصيدته فى مدح محمد بن عبيد الله العلوى التى مطلعها :

أهلاً بدار سبّاك أغيدها أبعد ما بان هناك خردها

الديوان ١/١٩٥ .

والبيت فى انفلك الدائر هكذا :

لاناقي تقبل الرديف لما كانت توصله إلى مقصوده

فهرأ الشاعر إذن أننى نلتُ معالى الأمور بالسَّعى والآثار والتَّوصُّل ،
لابالميراث ولا الاقتصار على شرف الأنساب .

والوجهُ الثانى لو أراد الإبانة عن كثرة الأسفار لكان لقوله الثنايا مزيةً
ظاهرةً على غيرها من الأرض ، لأن الثنايا والعقاب والروابى أشقُّ الأرض
سيراً ، قال الشاعر :

وَتَنِيَّةٍ قَذَفَ يَحَارِبُهَا الْقَطَا

وَيَضِلُّ فِيهَا حِينَ يَفْدُو الْأَحْقَبَ^(١)

وقال :

وَمَزْنَاءٌ لَا تَسْتَطَاعُ قَطْعُهَا

بِهَيْتٍ كَتَابَتِ النَّصَارَى شَمْرَؤَلَ^(٢)

وأشعارهم فى هذا الباب كثيرة جداً .

الوجه الثالث أنه ادَّعى أن لفظة المطايا هى الفضلة الزائدة ، ثم برهن على
ذلك بأن قَسَمَ المعنى إلى قسمين ، ثم بيَّن أن أحد القسمين إن كان هو المراد
فالمطايا فَضْلَةٌ زائدة ، وهو المطلوب ، ثم قال وإن كان القسم الثانى هو المراد

(١) الأحقَب : الحمار الوحشى الذى فى بطنه بياض .

(٢) المزْنَاءُ : مكان الصعود فى الجبل ، زناً فى الجبل أى صعد .

الهيئ : ذكر النعام ، شبه به الجمل .

الشمر دل : القوى السريع الحسن الخلق الفنى من الإبل وغيرها :

والبيت بالأصل (ومزناة) وقد رجحنا أن يكون تصويبها (ومزناة) أو (ومنقبة)

لأن المنقبة الطريق الظاهر على رؤوس الجبال والآكام والربا .

فالتنايا فضلةٌ زائدة ، فأذن استدلاله لا ينتج المطلوب ، لأنه إنما كان ينتج المطلوب لو ثبتت زيادة قوله بالمطايا على كلا القسمين ، فأما إذا كان أحد القسمين لا يقتضى زيادتها ، بل زيادة غيرها ، فقد بطلَ قوله ودعواه أن ذكر المطايا فضلةٌ لا حاجة إليها ، على كلا الوجهين .

— ١١٤ —

قال المصنف : فأما بيتُ أبي تمام وهو :

يَتَجَنَّبُ الْآثَامَ ثُمَّ يَخَافُهَا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامُ
فإنه قد جاء في بعض النسخ :

يَتَجَنَّبُ الْآثَامَ خِيفَةً غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامُ
وليس بشيء ، لأن المعنى لا يصح به ، والوجه الرواية الأولى .

وقد خطر لى فى معناه أنه نظير قوله تعالى : (والذين يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) وتقديره أنه يتجنب الآثام ، فيكون قد أتى بحسنة ، ثم يخاف تلك الحسنة ، فكأنما حسناته آثام ، وهو على طباق الآية سواء ^(١) .

أقول : إن هذا التفسير يكاد يكون التفسير ، ولكنه لم يوضحه ، لأنه قال ثم يخاف تلك الحسنة ، ولا ريب أن الحسنة التى صَدَرَتْ مِنْهُ هى تجنبُ الآثامِ ، وهى طاعةٌ لا يخافها أحد ، فما باله خاف التجنب حتى صار كأنه من الآثام ؟

(١) المثل السائر ٢/ ٢٨٨ .

فقد بان أنه قد أعوزته كلمة لم يذكرها ، وهو أنه لا يخاف تجنب الآثام ، بل يخاف ألا يُقبلَ منه وألا يُثاب عليه ، فيكون خوفه من ذلك خوفه من الآثام نفسها ، ويكون هذا من باب حذف المضاف ، كأنه قال يتجنب الآثام ثم يخاف ردها أو يخاف إحباطها ، والضمير يرجع إلى مصدر قوله يَتَجَنَّبُ ، لأن يتجنب قد دلَّ على التجنب .

فإن قلت ضمير المؤنث هاهنا كيف جاء والتجنب مذكر ؟ قلت : هو محمولٌ على المعنى ، لأن التجنب كالخفوة والهجرة والمفارقة ، وإعادة الضمير على المعنى في باب التذكير والتأنيث كثيرة مشهورة .

وعلى هذا التحقيق ظهرت مطابقتها بالآية على أحد تفسيرَيها .

فأما قوله إن رواية (خيفة غيها) لا يصح المعنى بها ، فإن بعض المفسرين قال إن هذا البيت محمولٌ على القلب ، وتقديره : فكأنما آثامه حسنات ، قال ومعناه كأن آثامه حسنات غيره ، لأنه من الأبرار الأولياء الذين حسناتُ الناس سيئاتٌ بالنسبة إلى عباداتهم ، ومن كلامهم : حسناتُ الأبرار سيئاتُ المقرَّبين ، يَعْنُونَ عُلُوَّ طَبَقَةِ الْمُقَرَّبِينَ عَلَى طَبَقَةِ الْأَبْرَارِ .

والقلب قد جاء في الكلام كثيرا نحو قولهم : أدخلتُ الخاتمَ في إصبعي ، والتحقيق أدخلتُ إصبعي في الخاتم ، لأن الإصبع هي التي أُدْخِلْتُ في الخاتم ، وقولهم كأن الزَّنا فريضة الرِّجَم ، وقال الآخر :

وبَلَدٍ عَامِيَةٍ أَعْمَاؤُهُ كَأَن لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ^(١)

وقد جاء في التنزيل شيء من ذلك قال : (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي)^(٢) أى فَإِنِّي عَدُوٌّ لَهُمْ وعداوته تعالى لهم براءته منهم ولعنقه لهم ، وإذا ثبت هذا فالرواية التى أفسدها وزعم أنها لا تصح صحيحةٌ غير منكورة ...

قال المصنف : فأما بيت أبي نواس ، وهو قوله :

سُنَّةُ الْعُشَاقِ وَاحِدَةٌ — فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكِنِ

ومن الناس من يرويه فاستم بالنون ، وهذا لا معنى له ، لأنه إذا لم يُبَيَّنْ سُنَّةُ الْعُشَاقِ ماهى ، فبأى شيء يَسْتَكِنُ الْمُسْتَكِنُ مِنْهَا^(٣) ؟ .

أقول : إن البيت الذى قبله يُوَضِّحُ سُنَّةَ الْعُشَاقِ التى أمره أن يَسْتَكِنَ بِهَا ، ألا ترى أن مَنْ قَالَ لغيره إذا دخلت على الملك فاسْجُدْ ، ثم قال عَقِيبَ ذَلِكَ عَادَةُ عَبِيدِ الْمَلِكِ وَخَوَلِهِ مشهورةٌ ، فإذا أَحْبَبْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ فاعمل بِهَا ، فإنه يفهم من هذا الكلام أنه إشارةٌ بِالْعَادَةِ إِلَى مَا قَدَّمَهُ أَوَّلًا من السجود للملك .

(١) البيت لرؤبة ، والأعمام المجاهل ، وأعمام عامية على المبالغة ، على حد قولهم ليل لائل ، وشغل شاغل . وقال الأزهري : عامية دارسة وأعمامه مجاهله (لسان العرب مادة عمى) .

(٢) سورة الشعراء ٢٧ .

(٣) المثل السائر ٢/٢٨٩ .

قال المصنف : بعد أن ذكر آيات كثيرة من الكتاب العزيز تتضمن حذف جمل مفيدة وغير مفيدة : ومن هذا الباب قوله تعالى : (قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلونى أشكر أم أكفر ؟ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربي غنى كريم . قال نكروا لها عرشها) لأن الأمر بتفكيكه لا يكون إلا بعد أن جاء به إليه^(١) .

أقول : تقدير هذا الحذف غير محتاج إليه في هذه الآية ، لأننا إن جعلنا الضمير في (رآه وفي عنده) راجعاً إلى الذى عنده علم من الكتاب جعلنا الضمير في (قال نكروا لها) راجعاً إلى سليمان ، فيكون تقدير الكلام : فلما رأى الرجل الذى عنده علم من الكتاب عرش بلقيس مستقراً عنده ، قال : هذا من فضل ربي إلى آخر الآية ، ثم هذا يحكى قول سليمان (نكروا لها عرشها) فلا تحتاج الآية إلى حذف ولا إضمار .

وإن جعلنا الضمائر كلها راجعة إلى سليمان لم يحتاج أيضاً إلى الحذف الذى ذكره ، بل يكون قوله نكروا لها عرشها إما معطوفاً حذف منه حرف النطف ، تقديره وقال نكروا لها عرشها ، كما قال : (لا تتخذوا بطانة من دُونكم لا يأتونكم خبائلاً ، ودُّوا ما عنيتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم)^(٢) .

(١) المثل السائر ٢/٢٩٣ .

(٢) سورة آل عمران ١١٣ .

أوجوابا ثانياً للمّا ، أو كلاماً مستأنفاً ، كأنه فرَغَ من تلك القصة ، ثم شرعَ في جملة أخرى ، وهي أنه لا حاجة إلى حذف المذكور ، لأنه لما قال فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ، وهذا يغني عن أن يقدر مرة ثانية (فلما جرى به) لأن معناهما واحد .

— ١١٧ —

قال المصنف : وقد نص أبو الفتح ابن جني على أن حذف الفاعل لا يجوز ، قال : وبیت حاتم يشهد بخلاف قوله وهو :

أماوى ما يُغني الثراء عن الفتى إذا حشرت يوماً وضاق بها الصدرُ

وقال الله تعالى : (حتى توارت بالحجاب) ولم يذكرها^(١) .

أقول : إن البصريين كلهم قد منعوا حذف الفاعل لقاعدة مقررة عندهم ، وهي أن الفاعل ينزل منزلة جزء من الكلمة ، لأنهم سكنوا لام الفعل إذا اتصل به ضمير الفاعل ، نحو ضربت ، كيلاً تتوالى أربع متحركاتٍ لوازم في كلمةٍ واحدةٍ ، فإن ذلك لا يوجد إلا أن يكون قد حُذِفَ حرفٌ من الكلمة للتخفيف ، نحو عَلِيط^(٢) ، فإسكانهم لام الكلمة تنزيل الضمير المتكلم وهو الفاعل منزلةً حرف من نفس الكلمة ، ولذلك لم يُسَكَّنوا

(١) المثل السائر ٢/٢٩٦ ولم يذكر ابن الأنبار هذه الآية ، بل ذكر آية أخرى هي : (كلا إذا بلغت التراقي) وقال إن الضمير في بلغت للنفس ولم يجر لها ذكر .

(٢) العليط والعلابط بضم عنيهما وفتح لامهما وكسر بائهما الضخم والقطيع من الغنم (القاموس المحيط) .

لام الفعل إذا اتصل به ضمير المفعول كقوله تعالى : (ما وعدنا الله ورسوله ^(١))
لأنه في نية الانفصال ، بخلاف قوله : (وإذ واعدنا موسى) ^(٢) قالوا وكذلك
جعلوا النون في يَفْعَلانِ وبابه علامة الرفع ، فلولا أن الألف بمنزلة حرف
من نفس الكلمة لما جعلوا الإعراب بعده ، ولأنهم ألحقوا علامة التانيث
بالفعل في قولهم : قامت هند ، والفعل لا يؤنث ، فلم يكن الفاعل بمنزلة جزء
من الفعل لما جاز إلحاق علامة التانيث به .

وقد نسبوا إلى (كُنْتُ) فقالوا كُنْتِي ، قال الشاعر :

فأصبحتُ كُنْفِيًّا وأصبحتُ عاجنًا وشرُّ خصال المرء كُنْتُ وعاجنٌ ^(٣)

فأثبتوا الياء ، ولولا تميز يلها منزلة جزء من الكلمة لم يثبتوها في النسب ،
ولهم على هذه القاعدة أدلة كثيرة مذكورة في مواضعها .

وإذا كان الفاعل بمنزلة جزء من الكلمة لم يُجْزُ حذفه ، كما لا يجوز
حذف الدال من زيد ، واسكنه يُمْرُ ، فتارة يَرْجِعُ إلى شيء متقدم
في اللفظ ، كقولنا زيدٌ قام ، وتارة إلى ما يدلُّ عليه لفظ مُصرَّح به ،
وإن لم يكن المضمرة راجعا إلى ذلك اللفظ ، كقولهم : من كذب كان شرًّا له .

(١) سورة الأحزاب ١٢ (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) .

(٢) سورة البقرة ٥١ .

(٣) السكتي : السكير العمر (الناموس مادة كان) .

العاجن : الشيخ السكير ، يقال فلان عجن وخبز أي شاخ وكبر ، لأنه إذا أراد القيام
اعتمد على ظهور أصابع يديه كالناجن ، وعلى راحتيه كالتغابز (أساس البلاغة مادة هجن) .

فاسم كان مضمر دلَّ عليه لفظ كَذَبَ ، والمعنى كان الكذب شرًّا له ، قال
الله سبحانه : (ثُمَّ بَدَأْهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنُنُهُ)^(١) أى بدأهم
بَدَأَ ، فأضمر الفاعل لدلالة بدا عليه .

وقد أضمره الشاعر فقال :

لعلك والموعودُ حَقٌّ لَقَدْ ————

بَدَأَ لَكَ فِي تِلْكَ الْقُلُوصِ بَدَأَ^(٢)

وقد تقدم أن قوة العلم بالفاعل في بعض المواضع تقوم مقام ذكره أو ذكر
ما يدل عليه ، كقوله تعالى : (حَتَّى تَوَارَتْ)^(٣) وقول حاتم (إذا حشرجت).
والضابط في ذلك ألا يزيد ذِكْرُ الفاعل في قوة العلم به على ما يحصل من
قوة العلم وهو غير مذكور كما في الآية والبيت ، فإنه لو ذكر الشمس والنفس
لم تَرَدِّ قُوَّةُ العلم على مانجده الآن ، وإن لم يذكرها ، وهذا هو الفرق بين حذف
الفاعل وحذف غيره ، فإن هذا الضابط غير معتبر في شيء من المواضع إلا في الفاعل
إذا لم يذكر .

(١) سورة يوسف ٣٥ .

(٢) الفلوس : الناقة الفتية أو الباقية على السير . بداء : رأى ناشئ .

(٣) سورة ص ٣٢ (حتى توارت بالحجاب) أى الشمس .

— ١١٨ —

قال المصنف : وقد يحذف الفعل لدلالة المفعول عليه ، كقولهم : (أَهْلَكَ والليل) بنصبهما معا أى الحقَّ أَهْلَكَ وبادرِ الليل^(١) .

أقول : ظاهرُ هذا الكلام أنه انتصب اللفظان بإخمار فعلين ، وهو خلاف ما تقوله النحاة ، لأنهما عندهم منصوبان بفعل واحد ، تقديره بادرْ أَهْلَكَ والليلَ ، ومعناه بادرْ أَهْلَكَ قبل الليل ، وتحقيق ذلك أن معنى المبادرة مسابقتك الشيء إلى الشيء ، كقولك بادرت زيدا للمنزل ، كأنك سابقته إليه ، فلما عطف الليل على الأهل وجعلهما مُبَادِرَيْن أمره بمبادرتيهما قَبْلَ أن يسبقه أحدهما إلى الآخر .

— ١١٩ —

قال المصنف : حَذَفُ الفعل ينقسم إلى قسمين : أحدهما يَظْهَرُ بدلالة المحذوفِ عليه ، كما ذكرناه من قولهم أَهْلَكَ والليل ، وكقول المتنبي :

وما أَرْضَى لمقلتيه — بحلمٍ إذا انتبَهَتْ تَوْهَمُهُ ابْتِشَاكاً^(٢)

ولا إلا بأنْ يُصْنَى وأَحْكِي فليتـك لا يُتِمِّمَهُ هَوَاكَ

فقوله ولا إلا بأنْ تصنى فيه محذوف ، تقديره ولا أَرْضَى إلا بأنْ تصنى

وأحكى .

(١) المثل السائر ٢/٢٩٧ .

(٢) الابتشاك : الكذب .

قال : والقسم الثاني لا يظهر فيه الحذف ، لأن هناك منصوبا يدلّ عليه ، بل بالنظر إلى ملاءمة الكلام ، كقوله تعالى : (وَعَرِّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا ، لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ) وكقوله : (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) وكقوله : (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ، وَإِنْ جَاهَدَاكَ) فتقدير ذلك كله : وقلنا لقد جئتمونا ، وقلنا أذهبتم طيباتكم ، وقلنا وإن جاهدك^(١) .

أقول : لا فرق بين هذا القسم وبين قوله إلا بأن تصفى وأحكى ، لأنه لو أظهر (وقلنا) لكان ما بعده منصوبا لأنه مفعول به ، كما لو أظهر للمفعول فقال ولا أرضى شيئاً إلا بأن تصفى ، فالقول ينصب ما بعده إذا كان كلا مقولاً كما ينصب الفعل مفعوله ، وكما أن موضع (لقد جئتمونا) هو المنصب لالفظه ، ولا فصل بين الموضعين ، فدعواه أن هذه الآيات علم الحذف منها بالنظر إلى ملاءمة الكلام لا بأن في الكلام مفعولا يدل على حذف الفاعل ، وأن قوله (ولا إلا بأن تصفى وأحكى) خلاف ذلك دعوى غير مقبولة .

لو كنت من مازن لم تستبح أبلى

بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

إذا القام بنصرى مفسر خشن
عن الحفيظة إن ذو لونة لانا

فجواب الشرط قد استوفاه في البيت الأول ، فلا بد في البيت الثاني من تقدير
لو دفعة ثانية ، أى لو كنت منهم إذن لقام بنصرى معشر خشن^(١) .

أقول: إن هذه المسألة تنبئ على أن العامل في البديل هو العامل في المبدل منه
أم لا ، فإن لم يثبت ذلك لم يصح هذا الكلام ، لأنه جاز أن يكون قوله (إذن
لقام بنصرى) بدلا من قوله (لم تستبح إبلى) لأنه في معناه ، والفعل يبدل من
الفعل إذا كان في معناه ، نحو أدنُ يا فتى أحسنُ إليك أعطك مالا ، وإذا لم يحتاج
في البديل إلى تكرير العامل لم يحتاج هنا إلى تكرير لو ، وإن لم تثبت هذه القاعدة
فإن ما ذكره صحيح لا ريب فيه .

— ١٢١ —

قال المصنف في باب التكرير : التكرير على قسمين تكرير في اللفظ
والمعنى جميعا ، وتكرير في المعنى فقط دون اللفظ ، فالأول نحو قولك لمن تستدعيه
أسرع أسرع ، ونحو قوله تعالى : (يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع
دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) ومثل قول
أبي الطيب المتنبي :

ولم أر مثلَ جبرانى ومِثلى لمثلَى عندِ مِثلهمْ مقام^(٢)

أقول التمثيل باللفظة المذكورة وبالآية تمثيلٌ جيدٌ .

وأما التمثيل بالبيت فغير جيد ، لأنه لم يتكرر فيه اللفظ والمعنى حسب

(١) المثل السائر ٢/٣٢١ .

(٢) المثل السائر ٣/٣ .

تكرره في الآية وفي اللفظة المذكورة ، لأنه لم يَدْ كُرْ في صدر البيت إلا نَفَى
رؤية مثله ومثلي جيرانه ، ولم يُبَيِّنْ في ماذا ، ولا هذه المثلثة والمشابهة في أى
شئ ، فمن الممكن أنه كان يعنى لم أر مثلى ومثلهم في حُبِّ بعضنا لبعض ،
أو في بغض بعضنا لبعض ، أو في جودنا أو في شجاعتنا ، أو في ديانتنا ، فلما قال في عجز
البيت (لمثلى عند مثلهم مقام) كشف ذلك الإجمال ، وأزال ذلك الإبهام ،
وأبان عن أن مراده لم أر مثلى مُقِيمًا بين ظهرا نى مِثْلِهِمْ ، يعنى أنهم على
غاية الإساءة لعِشْرَتِهِ ، وأنه على غاية الصَّبْرِ عليهم ، والاحتمال لهم ، وأن مقامه
عظيم لا يصلح أن يكون مثله مُقِيمًا بَيْنَ هؤلاء الرُّعَاع .

فالشاعر لم يكرر كما تكررت ألفاظ الآية ، ولا وُجِدَ اللفظ والمعنى معا
مُرَدَّدَيْنِ مكرَّرين في هذا البيت ، ولكن أول ألفاظه يُعْطَى معنى مجملا ،
والثانى يُعْطَى معنى مفصلا ، وهو شرح ذلك المَجْمَلِ ، فلم يكن ذلك تكريرا
مشملا على إعادة اللفظ والمعنى معا ، فلم يَجْزِ إدخاله في هذا القسم ، وذكره
في جملة أمثله .

قال المصنف : فأما قوله تعالى : (فصيامُ ثلاثةِ أيامٍ في الحجِّ وسبعةٍ إذا
رجعتم ، تلكَ عشرةٌ كاملة) فليس كما يُتَوَهَّمُ من أنه تكرير فقط ، بل المراد
به إيجاب صَوْمِ الأيام السبعة عند الرجوع في الطريق على الفور لا عند الوصول
إلى البلد ، كما ذهب إليه بعض الفقهاء ، وقال : لأن الأمر إذا صَدَرَ بلفظ
التكرير مجرداً عن قرينة تُخْرِجُهُ عن وَصْفِهِ ، ولم يكن مؤقتاً بوقت معين ،

كان ذلك حثًا للامور على المبادرة على الفور ، كما نقول لصاحبك قم قم ، فإنما تريد بهذا اللفظ المكرر أن يبادر إلى القيام في الحال الحاضر^(١) .

أقول: إن المذهب الذى قد اختاره هو مذهب مجاهد ، والاحتجاج الذى قد احتجَّ به لنصرته ضعيف ، لأن أقوى كلامه أنه يذهب إلى أن الأمر إذا ورد مجرداً عن التكرير لم يدلَّ على الفور ، ألا تراه كيف قد قيد كلامه فقال إذا صدر بلفظ التكرير غير مؤقت ، فهو كأنَّ يذهب إلى أن الأمر يقتضى على الفور مجرّداً لم يحتجَّ إلى هذه القيود .

وإذا كان كذلك فأدلة القائلين بأن الأمر لا يقتضى الفور جميعها موجودة في أن الأمر المكرر قرينة يفهم منها الفورية ، مثل أن يقول له قم قم قول غضب أو إزهاق ، أو يشاهد وجهه أو يسمع كلامه ، فيدرك منها ما يدل على ذلك ، أو يظهر من حركاته وقرائن أحواله أمارات تقتضى ذلك .

فأما مجرّد الأمر فقط فلا يدل تكريره على الفورية ، لأن الزمان من ضروريات وقوع الامتثال ، كما أن المكان من ضرورياته أيضاً ، وكما لا يدل تكرار الأمر على وجوب إيقاع الأمور به في مكان مُعَيَّن ، فكذلك لا يدل تكرار على وجوب إيقاعه في زمان مُعَيَّن .

ولا حيلة في دفع هذا لمن ذهب إلى أن الأمر يقتضى الفور سواء كرّر

أو لم يُكْرَرْ ، فإنه يتكلم على هذا الدليل كلامٌ مَنْ أثبت الفورية للأمر ، حيث كان أمراً لا باعتبار التكرير .

ثم يقال له لو سلمنا أن الأمر المكرَّر اللفظ يدلُّ على الفور ، لكن ليس قوله (فصيام ثلاثة أيامٍ في الحج وسبعةٍ إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) مثل قول الإنسان لغيره قم قم ، ولا تكون السبعة والثلاثة والحكم بأنها عشرة كاملة كذلك التكرير اللفظي في مبادرة الأفهام إلى أن المراد منه تعجيل امتثال الأمور به ، فإنما نظيره أن يقول مَنْ تمتع بالعمرة إلى الحج فقد أُوجِبَتْ عليه صيام ثلاثة أيامٍ في الحج وسبعةٍ إذا رجع .

فأما قوله سبحانه (تلك عشرة كاملة) فلا يعطى هذا المعنى ، لأنه ليس إعادة لفظ الأمر كقولك قم قم ، ولا معناه كقولك قم لا تقعد ، وإنما هو نعتُ المأمور به فقط .

وقد اختلف الناس في فائدة هذا النعت ، فقال قوم معناه عشرة كاملة ثواب الهدى ، أى إذا وقعت بدلا منه استكمل ثوابه ، وقال قوم غير ذلك ، والمقصود أنه ليس قوله (تلك عشرة كاملة) تـكـرير الأمر بللفظه لإفادة الفورية منه ، إذ ثبت أنه لا يفيد الفورية .

قال المصنف : فإن قلت بل الغرض بتكرير الأمر أن يتـكـرَّر في نفس المأمور أنه مراد منه ، وليس الغرضُ الحثُّ على المبادرة إلى امتثال الأمر قلتُ

في الجواب : المرة الواحدة كافية في تعريف المأمور أن المأمور به مراد منه ،
فالزيادة على المرة الواحدة إن دلت على مادات عليه المرة الواحدة لاغير كان
ذلك تطويلاً لا فائدة فيه ، وهو يناقإ إعجاز القرآن وفصاحته ، وإن دلت على
أمراض فذلك الزيادة ليست إلا الحث على المبادرة إلى الامتثال ، وإلا
فليبين الخضم معنى هذه الزيادة ، ولا سبيل إلى ذلك ^(١) .

أقول : إنه قد قال قبل هذا الموضع بأسطر إن قوله تعالى : (وأن تغفوا
وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) أن هذه الألفاظ كلها بمعنى واحد ،
وإنما كررها للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده والزوج عن زوجته .

وكذلك قوله تعالى : (إنما أشكو بني وحزني إلى الله) وزعم أن ذلك
من باب البلاغة .

فإذا كان هذا قوله فما المانع من أن يكون المراد بالمرة الثانية والثالثة
في الأمر زيادة التكرير في نفس المأمور ، وأن المأمور به مراد منه ؟ فإن هذا
غرض صحيح ، لأنه لو قال له اعلم أن هذا الشيء مما أريده منك ، وكررها هذا
مرتين أو سراً لم يكن قبيحاً ، إذا قصدت تأكيد تلك الحال وتقريرها في نفس
المخاطب فلم يذهب إلى أن المرة الثانية أفادت عين ما أفادته المرة الأولى
من غير زيادة ، بل أفادت زيادة بيّنة ، وهي قوة اعتقاد المخاطب أن ذلك
الشيء المأمور به مراد لا محالة ، كما أفاد قوله (وأن تغفوا وتصفحوا وتغفروا)

زيادة تحسين العفو كما ذكره ، فقد بطل قوله : فليبيِّن الخصمُ معنى هذه الزيادة ، ولا سبيلَ إلى ذلك ، وقد بيَّنتُ أن سبيل الخصم إليها أوضح سبيل .

— ١٢٤ —

قال المصنف : وقد قال قومٌ إن الواو هاهنا إنما أُكِّدتْ قوله تلك عشرة كاملة ، لئلا يتوهم أنها بمعنى (أو) قال : وهذا باطلٌ ، لأن الواو تجعل بمعنى (أو) مخالفةً لأصلها ، لمرجحٍ يرجحُ ذلك على كونها عاطفةً الذي هو الأصلُ ، ولا مرجحٌ هاهنا^(١) .

أقول : صاحبُ هذا القول إنما يقوله بعد ثبوتِ مقدماتٍ ، منها أنه لا بُدَّ في كلام الله تعالى من فائدة ، ومنها أنه لا فائدة إذا جعلناها عاطفةً ، فإذا ثبتَ ذلك له قال صحَّتْ حينئذٍ ، وجعلها بمعنى أو ، ولا نزاعَ أنه إذا ثبت له ذلك كانت بمعنى أو .

— ١٢٥ —

قال المصنف : وأيضاً فإن القرآن منتهى البلاغة والفصاحة ، فهلاً قال : (وبدأ بيننا وبينكم العداوة) ، ولم يقل والبغضاء ، وهلاً قال إنما (أشكو بئى) ، ولم يقل وحزنى^(٢) .

(١) للثل السائر ٣/٣٢ .

(٢) لم يعلق ابن أبي الحديد بشيء .

قال المصنف : وأيضاً فإن الصومَ عبادةٌ يجب فيها الاحتياطُ والإتيانُ بها على أكمل صورةٍ ، فكيف يظن أن الواو هاهنا بمعنى (أو) ^(١) .

أقول : أليس قد وردت الواو بمعنى أو في قوله تعالى : (مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) ^(٢) وهو في النكاح ، والخطأ فيه أَضْعَبُ من الخطأ في هذا الصوم ، فيجوز أن يكون سبحانه قال : (تلك عشرة كاملة) لإزالة توهمٍ مَنْ يتوهمُ أن هذه الواو كتلك الواو .

قال المصنف : وأيضاً فالسبعة ليست مماثلةً للثلاثة حتى تُجْعَلَ مُقَابِلَتَهَا ، لأن معنى الآية إذا كانت الواو فيها بمعنى (أو) : إما أن تصوموا ثلاثة أيام في الحج أو سبعة إذا رجعت ^(٣) .

أقول : ولا إطعامُ المساكينِ يماثلُ في الصورة لكَسْوَتِهِمْ ، ولا لِعِتْقِ الرِّقَةِ ، فكيف قال : (فكفارته إطعامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ، أَوْ كَسْوَتُهُمْ ، أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) ^(٤) فليس من شرط (أو) أن تتوسط بين المتماثلين في الصورة ، وهذا الكلام ناقصٌ جداً .

(١) المثل السائر ٣/٣٢٢ .

(٢) سورة النساء ٣ .

(٣) المثل السائر ٣/٣٢٢ ومنه صحفنا النص .

(٤) سورة المائدة ٨٩ .

قال المصنف : فأما عطف لفظة على لفظة ومعناها واحد فكثير ، كقول
الْمَنْخَلِ الْيَشْكِرِيَّ :

السَّكَّابُ الْحَسَنَاءُ تَرَى فُلًا فِي الدَّمَقْسِ فِي الْحَرِيرِ
فَإِنَّ الدَّمَقْسَ هُوَ الْحَرِيرُ ، وكقول آخر من شعراء الحماسة :
إِنِّي وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَمِي غَائِبًا لِمَقَازِفٍ مِنْ خَلْفِهِ وَوَرَانِهِ
فَإِنْ أَخْلَفَ هُوَ الْوَرَاءُ^(١) .

أقول : المثال الأول لا بأس به ، والثاني غير جيد ، لأن الوراق قد وردت
والمراد القدماء في قوله تعالى : (وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)^(٢)
لأنه لو لم يكن قَدْ آمَهُمْ ما خافوا منه ، ولا احتاج إلى خرق السفينة .
وقال لبيد :

أليس ورأى إِنْ تَرَخَتْ مَنِيتِي
لَزُومُ الْعَصَا تَحْتَ عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ^(٣)
ومنه أيضا قوله سبحانه وتعالى : (مَنْ وَرِاثَتُهُ جَهَنَّمُ)^(٤) .

(١) المثل السائر ٣ / .

(٢) سورة الكهف ٧٩ .

(٣) من قصيدته التي مطلعها :

بَلِينَا وَمَا تَبَلَى النُّجُومُ الطُّوَالِغَ وَتَبَقَى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
[الديوان ٢٣ طبعة فبنا بتحقيق ضياء الدين الغالدي المقدسي]

(٤) سورة إبراهيم ١٦ .

وقال آخر :

أثر جُو بنو مرَّوانَ سَمِعِي وطاعتي وقوى تَيْمُّ والفلاةُ ورائيا؟^(١)

قال المصنف : فأما حَدُّ الكنايةِ فهي ما إذا وَرَدَتْ تَجَاذِبُهَا جَانِباً حقيقةً وَتَجَازٍ ، وَجَازَ حَمْلُهَا عَلَى الْجَانِبَيْنِ مَعاً لَوْصَفٍ جَامِعٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (أَوْ لَا مَسْتَمُ السَّاءِ) فَإِنَّهُ يَصِحُّ الْمَعْنَى وَلَا يَحْتَلُّ بِالْحَمْلِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَعْنِيَيْنِ وَهُمَا الْجَمَاعُ وَالصَّاقُ الْجَسَدُ بِالْجَسَدِ ، وَلِذَلِكَ ذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَوْلَيْنِ^(٢) .

ولهذا الحد تنفصل الكناية عن التشبيه والاستعارة وسائر المجازات ، لأنه لا يجوز حمل ذلك أجمع إلا على الجهة المجازية فقط ، كقولنا زيد أسدٌ ، فإنه لا يجوز حمله إلا على المجاز خاصةً ، لأنه يستحيل أن يكون زيد سبعة حقيقةً .

قال : والدليل على صحة ما قلناه أن الكناية أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره ، فإما أن يكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقةً ومجاز ، أو في لفظ تجاذبه جانباً مجاز ومجاز ، أو في لفظ تجاذبه جانباً حقيقةً وحقيقة .

ولا يصح أن تكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقةً وحقيقة ، لأن ذلك هو

(١) كان بالأصل (وقوى تيم) .

(٢) عبارة ابن الأنير : ولهذا ذهب الشافعي رحمه الله إلى أن اللبس هو مصافحة الجسد الجسد ، فأوجب الوضوء على الرجل إذا لمس المرأة ، وذلك هو الحقيقة في اللبس . وذهب غيره إلى أن المراد باللبس هو الجماع ، وذلك مجاز فيه ، وهو الكناية .

اللفظ المشترك ، وإذا أُطلق من غير قرينة تَحْصُّصُهُ كان مُبْهِمَا غير مفهوم ، وإذا أُضيف إليه القرينة صار مختصا بشيء بعينه ، والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وذلك مخالفا للفظ المشترك إذا أُضيف إليه القرينة ، لأنه يختص بشيء واحد لا يتعداه .

وكذلك لا يصح أن تكون الكناية في لفظ تجاذبه جانبا مجاز ومجاز ؛ لأن المجاز لا بُدَّ له من حقيقة نُقِلَ عنها ، لأنه فرعٌ عليها .

وذلك اللفظ الدالُّ على المجازين إما أن يكون للحقيقة شركة في الدلالة عليه أولا يكون لها شركة في الدلالة ، فيكون اللفظ الواحد قد دلَّ على ثلاثة أشياء : أحدها الحقيقة ، وهذا مخالف لأصل الوضع ، وإن لم يكن للحقيقة شركة في الدلالة كان ذلك مخالفا للوضع أيضا ، لأن أصل الوضع أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره .

وإذا أخرجت الحقيقة عن أن يكون لها شركة في الدلالة لم يكن الذي تكلمت به دالًّا على ما تكلمت به ، وهذا محال .

فتحقق حينئذ أن الكناية أن تتكلم بالحقيقة وأنت تريد المجاز (١) .

أقول: إنا ما عرفنا أن الحدود يُبَيِّنُ عَنْهَا ، ولا هي من باب الدعاوى التي تحتاج إلى الأدلة ، لأنَّ مَنْ وَضَعَ لَفْظَ الكناية لأمر من الأمور لا يحتاج إلى دليله ،

نم يقال له : ألم تَعُدَّ في أمثلة الكناية قول النبي للحادي بالحث : (رفقاً بالقوارير) بمعنى النساء ؟ وقول عبد الله بن سلام لمن رأى عليه ثوبا معصفا (لو أن ثوبك في تنور أهلك أو تحت قدورهم لكان خيرا) وقول الشاعر :
إن لم تسكن نضلاً ففمذ نصال^(١) .

بمعنى امرأة هلكت ، فهل هذه المواضع مما يتجاوزها الجانبان ، ويجوز حملها على كل واحد منهما ؟ وهل يتوهم عاقل أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أنجشة أن يرفق بالزجاج ؟ وأن عبد الله بن سلام أمر صاحب الثوب للمصفر أن يحرق ثوبه ؟ والبيت الشعري أبعد ، لأن المرأة إنسان ، والإنسان لا يكون غمدا لل سيف ، لأن الحيوان لا يكون جمادا ، فإن جاز أن تكون هذه المواضع كنايةات مع أن الأذهان لا تحملها إلا على تحمل واحد ، ولا يسوغ حملها على غيرها جاز أن يكون قوله تعالى : (وإن كان مكرهم ليتزول منه الجبال)^(٢) وقول الشاعر : (ولو سكتوا أمنت عليك الحفائب) كناية ، وإن كان لا يجوز حملها على كلا الحملين ، وإلا فما الفرق ؟

نم يقال له : أهذا الاستدلال هو استدلال على أن الكناية هي ما جاز حمله على واحد من تخملي الحقيقة والجاز ، أم على أن الكناية لابد أن يتجاوزها جانبا حقيقة و مجاز ، مع قطع النظر عن جواز الحمل عليهما وعدم جوازه ؟ فإن أردت الأول فالاستدلال لا يماثل ذلك بحال ، ولا تعلّق له به ، وإن أردت

(١) راجع التعليق في ٧٠/٣ .

(٢) سورة إبراهيم ٤٦ .

الثانى فإن أصحاب علم البيان قَبَلَك لم يخالفوك فى ذلك لتُحاجَّجَهُمْ وتُعَيَّبَ عليهم ، وأنت لما حكيت أقوال أصحاب هذه الصناعة لم تَحْكِ عنهم أنهم لم يشترطوا ذلك فى الكناية ، أعنى أن تكون مترددةً بين تحمل حقيقى ومحمل مجازى ، وإنما حكيت عنهم أنهم لم يشترطوا أن يجوز حملُ الكلام على كلا المحملين ، فهذا هو الذى حكيت عنهم ، وخالفهم ، وزعمت أنك استنبطت وتكلفتم الدلالةَ عليه ، فكيف تتركه جانباً ، وتستدل على ما لا تَعْلُقُ له به أصلاً ؟

ثم يقال له : قد نزلنا على ما تريد ، ونحن نكلمك فيما يتعلق دَلِيلُكَ به ، لم قُلْتَ إنه لا بد أن يتردد لفظ الكناية بين محمل حقيقى ومجاز ، ولم يتردد بين مجازين ؟ والذى تكلمت به على ذلك ليس بشيء ، أما أولاً فإنك أردت أن تقول : إما أن يكون اللفظُ الدالُّ على المجازين شركةً فى الدلالة على الحقيقة التى هى أصلُهما ، فأما قولك هذا فإنه يقتضى أن يكون الإنسانُ متكلماً بشيء ، وهو يريدُ تبينَ غيره ، وأصلُ الوَضْعِ أن يتكلمَ بشيء وهو يريدُ شيئاً غيره ، فيقال لك : أليس معنى قولك الكناية أن تتكلمَ بشيء وأنت تريدُ غيره أن قولك (شيئاً) تريد واحداً غيره ؟

كلا ، ليس هذا هو المقصود أن تتكلمَ بشيء وأنت تريد غيره ، فإن أردت شيئاً واحداً فقد أردتَ غيره ، وإن أردتَ شيئين أو ثلاثة أشياء أو ما زاد فقد أردتَ غيره ، لأن كلَّ ذلك غيرُ ما دلَّ عليه ظاهر لفظك ، فليس فى لفظة (غير) ما يقتضى التَّوْحِيدَ والإفرادَ .

وأما ثالثاً فلم لا يجوز ألا يكون اللفظ الدالُّ على المجازين شركةً في الدلالة على الحقيقة أصلاً ، بل لا بدُّ إلا على المجازين فقط ؟

فأما قولك إذا خرجت الحقيقة من أن يكون لها في ذلك شركة لم يكن الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به ، وهو محالٌّ ، فيقال لك : لم قلت ذلك ؟ ولم لا يجوز أن يكون للحقيقة مجازان قد كثُر استعمالهما حتى نُسيت تلك الحقيقة ، فإذا تكلم الإنسان بذلك اللفظ كان دالاً به على أحدِ ذينك المجازين ، ولا يكون له تعرضٌ ما لتلك الحقيقة ، فلا يكون الذي تكلم به حقيقة ، لأن حقيقة ذلك اللفظ قد صارت منسيةً ، فلا يكون عدم إرادتها موجباً أن يكون اللفظ الذي قد تكلم به المتكلم غير دالٍّ على ما تكلم به ، لأنها قد خرجت بترك الاستعمال عن أن تكون هي ما تكلم به المتكلم .

قال المصنف : فأما حدث الألفاظ والأحاجي فهو معنى يستخرج بالحزر والحدس لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازاً ولا تعريضاً ، كقول القائل في الضرس :

وصاحب لا أمل الدهر صُحبته يشقى لنفقى ويسعى سعى مجتهد
ما إن رأيت له شخصاً فذ وقعت عيني عليه افترقنا آخر الأبد^(١)

قال : فهذا كلامٌ لا يفهم منه أنه الضَّرْسُ حقيقةً ولا مجازاً ولا من طريق المفهوم ، بل هو شيءٌ يُحدَسُ ويُحْزَرُ ، والخواطر تختلف في الإسراع والإبطاء عند عثورها عليه^(١) .

أقول : هذا يلزم عليه أن يكون كلامُ الرَّجُلِ إذا تعاظمي العربيُّ حَزَرَ معناه من باب الأحاجي والألغاز ، والصحيح أن يقال عَوَضَ هذا : هو كلُّ معنى يُستخرجُ لا بدلالة اللفظ عليه حقيقةً ولا مجازاً ولا تعريضاً ، بل بالحدسِ مِنْ صفةٍ أو مِنْ صفاتٍ تُنبهُ عليه .

وعلى هذا فالضَّرْسُ إنما عُرِفَ من هذا الشعر حدساً من مجموع هذه الصفات ، وهي كونه صاحباً لا تُكَلُّ صحبته ، وأنه يسعى لينتفع به الإنسان ، وأن الإنسان لا يراه ، فإذا رآه فقد افتراقاً فراق الأبد ، ومجموعُ هذه الصفات ليست إلا للضَّرْسِ ، فتَذَبَّهَ الذهنُ من هذه الصفات والخصائص على مُرادِ المُلَغِزِ .

قال المصنف : ومن الحذاقة في هذه الصناعة أن تجعَلَ التَّحْمِيدَاتُ في أوائل الكتب السلطانية مناسبةً لمعاني تلك الكتب ، قال : ووجدتُ أبا إسحاق الصَّابِي على تَقْدِيمِهِ في فَنِّ الْكِتَابَةِ في فتح بغداد وهزيمة الأتراك عنها الذي أوله (الحمد لله رب العالمين المَلِكِ الْحَقِّ) ثم ذكر منه نحو عشرة أسطر سنذكرها في الجواب عن كلامه ، ثم قال : وهذه التَّحْمِيدَةُ لا تناسبُ هذا الكتابَ ، ولكنها

تَصْلُحُ أَنْ تُوضَعَ فِي صَدْرِ كِتَابِ مُصَنَّفَاتِ أَصُولِ الدِّينِ كَالشَّامِلِ لِلجُؤَيْنِيِّ .
أَوْ الْاِقْتِصَارِ لِلغَزَالِيِّ أَوْ مَا جَرَى مَجْرَاهُمَا ، فَأَمَّا فِي كِتَابِ فَتَحِ فَلَا^(١) .

أَقُولُ : إِنَّ أَبَا إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ يُخَلِّ هَذِهِ التَّحْمِيدَةَ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى مَعْنَى .
الْكِتَابِ الَّذِي هُوَ مَقْزَاهُ وَمَقْصَدُهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ كَتَبَ فِي اِقْتِصَارِ .
عَضْدِ الدَّوْلَةِ أَبِي شِجَاعٍ وَعِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورٍ عَلَى الْأَتْرَاكِ الَّذِينَ تَرَأَسَ عَلَيْهِمُ
سُبُكْتُكَيْنِ الْحَاجِبُ الَّذِي كَانَ أَمِيرَ جِيُوشِ مَعِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ وَعِزِّ
الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورٍ بَعْدَهُ ، وَهِيَ سُلْطَانَا الْخِزْرَةِ بِبَغْدَادَ ، وَكَانَ مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَتْرَاكِ
الطَّائِعُ لِلَّهِ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ وَالْمُطِيعُ لِلَّهِ الْفَتْكَيْنِ الْقَائِدَانِ الْجَلِيلَانِ الْقَدْرَانِ الْمَشْهُورَانِ بِالشَّجَاعَةِ
بَيْنَ الْأَتْرَاكِ^(٢) وَبِأَيْدِيهِمْ بَغْدَادُ وَأَعْمَالُهَا ، فَإِنَّ عَضْدَ الدَّوْلَةِ وَعِزَّ الدَّوْلَةِ تَضَافَرَا
عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى هَؤُلَاءِ مِنْ فَارَسٍ وَالْأَهْوَازِ ، وَصَدَمَا الْأَتْرَاكِ صَدْمَةً عَظِيمَةً فَطَحْنُوهُمْ ،
وَانْحَازَ الطَّائِعُ لِلَّهِ إِلَى تِسْكَرِيَتٍ مَتَحَصَّنًا بِالْقَلْعَةِ ، وَطَارَ الْأَتْرَاكِ وَهُمْ زِيَادَةً عَلَى
عَشْرَةِ آلَافٍ فَارَسٍ إِلَى الشَّامِ وَمِصْرَ ، وَدَخَلَ عَضْدُ الدَّوْلَةِ وَمَعِزُّ الدَّوْلَةِ إِلَى
مَدِينَةِ الشَّامِ ، وَاسْتَقَرَّ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكَةِ ، بَعْدَ أَنْ وَقَعَ الْيَأْسُ مِنْ ذَلِكَ .

فَقَوْلُ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ (الْأَبْدِيُّ بَلَا أَنْتَهَاءُ) وَقَوْلُهُ (الدَّائِمُ لَا إِلَى .
أَجَلٍ مَعْدُودٍ) وَقَوْلُهُ (لَا تُخْلَقُ الْمَصُورُ ، وَلَا تُغَيَّرُ الدَّهْورُ) وَقَوْلُهُ (لَا تُزَاحِمُهُ
مَنَاقِبُ الْقُرْنَاءِ ، وَلَا تَحَازِيهِ أَقْدَامُ النُّظَرَاءِ) وَقَوْلُهُ (الصِّمْدُ الَّذِي لَا كِفَاءَ لَهُ ،

(١) الْمَثَلُ السَّائِرُ ١٠٨/٣ .

(٢) ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ٢٧٧/١١ أَنَّ الْأَتْرَاكِ انْفَجَرُوا حَوْلَ أَمِيرِ

يُقَالُ لَهُ الْفَتْكَيْنِ .

والفَذَّ الذي لا تؤام له) وقوله (الحى الذى لا تخترمه منون ، والقيوم الذى لا تسغله
الشئون) وقوله (القدير الذى لا تشوده المعضلات ، والخبير الذى لا تُعييه المشكلات)
كل ذلك إشارة إلى أن المُلْكَ ليس إلا لله تعالى ، وأن ملك البشر لاحقيقة له ،
لسرعة زواله وانقضائه ، وأن كل أحد من ملوك الأرض وإن عظم شأنه وقهر
الملوك سلطانهُ يزول سريعاً ، وينقضى وشيكاً ، فمؤلاء الملوك الذين طعنهم الدهر
بكلـكـله فى هذه الواقعة فإن منهم من مات كالمطيع لله ، وسبكتكين وهما خليفة
وملكٌ مانا فى الطريق قبل الواقعة ، ومنهم من قرَّ ولاذ بالمعاقل ، ونَحَصَنَ
خوفاً على نفسه كالطائع ، ومنهم من حمّله الرعبُ على أن صار رعيةً وسُوقَةً
تحت أيدي ملوكٍ أُخَرَ كافقتكين ، فإنه لم يَبِنْ وجهه إلا بمصرَ ، وصار من
جملة رعية العزيز زارين معدَّ صاحبها ، ومنهم من تَشَرَّدَ فى البلاد ، وفارق
الأموال والأولاد ، كالأتراك ، لجميع ماؤماً إليه الصَّابى ملائمٌ للواقعة التى
كتب هذا الكتاب فيها ، وغير خارجٍ عن مقصدها ومغزاها .

والعَجَبُ قولُهُ ينبغى أن تكون هذه التحميدةُ فى صدر كتابٍ من أصول
الدين كالشامل للجَوَابِى والاقتصار للفرالى ، وأين الاقتصار من الشامل حتى
يَجْمَعَ بينهما فى التمثيل ، والاقتصار مقدمةٌ فى نحو خمسة كراريس ، والشامل
كتاب كبير فى أكثر من خمسة مجلدات ؟ .

وهذا مثل أن يقال : هذا ينبغى أن يكون فى كتاب فقهى كالبُغْيَةِ لأبى
إسحاق الشيرازى أو الحاوى للماوردى ، ومثل أن يقال : هذا ينبغى أن يكون
فى كتاب نحوى كاللَّع لابن جِئٍّ أو شرح سيديوبه للسَّيرافى ، ومثل أن يقال :

هذا ينبغي أن يكون في كتاب لغوى كالفصيح لمعلب أو تهذيب اللغة للأزهري ،
وكان الواجب حيث ذكر الشامل أن يذكر ما يناسبه كالهداية لابن الباقلاني .
وإذ ذكر الافتصار ضم إليه ما يجري مجراه كالإرشاد للجويني ، وهذا يدل
على أنه قد سمع بهذين السكتابين سماعاً ولم يرهما عياناً .

- ١٣٢ -

قال المصنف : فأما للطابقة فهي اصطلاح أهل هذه الصناعة على أنها الجمع
بين الشيء وضده ، كالليل والنهار ، والسواد والبياض .

قال : ولا أعلم من أي شيء اشتقوا هذا الاسم ، ولا وجعة مناسبة بينه وبين
مُسَمَّاه ، ولعلهم قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن ^(١) .

أقول : الطَّبَقُ في اللغة المشقة قال الله سبحانه : (اتركبنَّ طبقاً عن طبق) ^(٢)
أي مشقة بعد مشقة ، فلما كان الجمع بين الضدين على الحقيقة شاقاً بل متعذراً ،
ومن عادتهم أن تعطى الألفاظ حكم الحقائق في نفسها توسعاً سموها كل كلام
يُجمع فيه بين الضدين مطابقةً .

- ١٣٣ -

قال المصنف : فأما ترتيب التفسير فنقل قوله تعالى : (وجعلنا آية النهار
مبصرة) فقَدَّم الليل ثانياً لما قَدَّمه أولاً ^(٣) ، وقوله تعالى : (فمنهم شقي وسعيدٌ ،

(١) الليل السائر ١٤٣/٣ .

(٢) سورة الانشقاق ١٩ .

(٣) [وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فجعلنا آية الليل ، وجعلنا آية النهار مبصرة]

سورة الإسراء ١٢ .

فأما الذين شَقُّوا في النار) ، فابتدأ بتفصيل أحوال الأشقياء ، لأنه ابتدأ بذكرهم أولاً .

قال : ومن ذلك قول أبي تمام :

وكان لهم غيتاً وعِلاًماً فمُقدِّمٌ فيسأله أو باحث فيسأله

وقول علي بن جبلة :

قَتَى وَقَفَ الْأَيَّامَ بِالسُّخْطِ وَالرِّضَا

عَلَى بَذْلِ عُرْفٍ أَوْ عَلَى حَدِّ مُنْصُلٍ^(١)

أقول : إنه سها في إدخال بيت علي بن جبلة في جملة هذه الأمثلة ، لأن الشاعر لما فسَّرَ قَدَّمَ بَذْلَ العُرْفِ وهو المراد بالرضا وآخر حَدَّ المُنْصُلِ ، وهو المراد بالسُّخْطِ ، وهما في صدر البيت على خلاف هذا الترتيب ، ولكن هذا نظير قوله تعالى : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ، فأما الذين اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ^(٢)) . .

قال المصنف : وفيما يُؤخذ على الأعشى قوله .

وما مُزْبِدٌ من خليج الفُرا تِ جَوْنٌ غوارِبُهُ تَلْتَطِمُ
بأجودَ منه يماً عونِهِ إذا ماسمأؤهم لم تَغِمُ

(١) اللؤلؤ السائر ٣/ ١٧٥ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٦ .

قال : فمدح ملكا بالجود بالماعون ، والماعون كل ما يستعار من قدوم
أو قصعة أو قدير وما أشبه ذلك ، ومدحُ الملوك بل السوقَ بذلك قبيح^(١) .
أقول : إن الماعون هنا هو الصدقة ، ذكر ذلك علماء التفسير ، وأنشدوا
بيت الراعي .

قومٌ على الإسلام لما يمنعوا ما عونهم ويضيعوا التهليل^(٢)
وقال صاحب ديوان الأدب : الماعون الزكاة ، وقال أبو عبيدة : الماعون
المنافع كلها .

(٣) للثل السائر ١٢٩/٣ .
(٤) الراعي هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل ، سمى راعى الإبل لكثرة
وصفه لها . طبقات الشعراء لابن سلام ٢٥٠ ، ٤٣٤ .
والبيت من قصيدته في مدح عبد الملك بن مروان وشكواه من عمال الصدقات ومن
الخوارج ، ومطلعها :
ما بال دفتك بالفراش مذبلا أقذى بعينك ام أردت رحبلا ؟
الدب : الجنب . مذبل : قلق غير مستقر .
والقصيدة كلها في جهرة أشعار العرب ٣٥٣ وفي خزانة الأدب للبغدادى ٤٠٣/٢
كثير من أبياتها .

وقبل البيت الذي استشهد به ابن أبي الحديد قوله :
أخليفة الرحمن إن عشرين أسمى سوامهم عرين فلولا
أى أن فقر عشرينه وسوء حالها تمثل في أن ماشيتهم صارت عارية من الأحمال والرجال
ومتفرقة مبثرة ، ويصح أن تكون الكلمة (هزين) جمع عزة وهى الفرقة والجماعة .
والبيت في اللسان مادة حال وفي تفسير الطبرى وتفسير الزمخشري في سورة الماعون هكذا :
قوم على الإسلام لما يمنعوا ما عونهم ويضيعوا التهليل
وفي اللسان مادة ممن وفي خزانة الأدب ٣٠٤/٢ :
قوم على التنزيل لما يمنعوا ما عونهم ويبدلوا التنزيلا
وفي جهرة أشعار العرب :
قوم على الإسلام لما يتركوا ما عونهم ويضيعوا التهليل
وأما الماعون فقد ذكر المفسرون واللفويون أن معناه المال أو الزكاة المفروضة أو الطاعة
والزكاة أو ما يستعان به ويستعار كالفأس والقدر ، وذكروا أن المراد بالتهليل
التوحيد ورفع الصوت بالشهادتين .

قال المصنف : وقد وقعت على كلام لابي إسحاق الصابي في الفرق بين المترسل والشاعر ، ثم ذكر الفصل وهو منشور ، وسيأتى في حكاية اعتراضه ، وقال في آخر حكايته : وقد عجبتُ من ذلك الرجل الموصوف بذلاقة اللسان وبلاغة البيان ، كيف يصدر عنه مثلُ هذا القول الناكب عن الصواب ، الذى هو في باب ونصى ^(١) النظر في باب ، اللهم غفرأ .

قال : أما قوله إن خير المترسل ما وضح معناه ، وأعطاك سماعه في أول وهلة ما تضمنت ألفاظه ، وأفخر الشعر ما غمض فلم يعطك غرضه إلا بعد ماطلة منه ، فإن هذه دعوى لا مستند لها ، بل الأحسن في الأمرين معاً هو الوضوح والبيان ، فإن احتج أبو إسحاق بما قد ذكره في نصرته ذلك من قوله إن الشعر بُنى على حدود مقررة ، وأوزان مقدرة ، وفصلت أبياته ، فكان كل بيت منها قائماً بذاته ، فليس يحتاج إلى غيره إلا ما جاء على وجه التضمين ، وهو عبثٌ ، فلما كان النفس لا يمتد في البيت الواحد بالنثر من مقدار عروضة وضربه وكلاهما قليل ، احتيج إلى أن يكون الفضل في المعنى ، واعتمد أن يلطف ويدق ، والترسل مبنى على مخالفة هذه الطريق إذ كان كلاماً واحداً لا يتجزأ ولا يتفصل إلا فصولاً طوالاً ، وهو موضوع وضع ما يثر على أسماع شئ من خاصة ورعية وذوى أفهام ذكية ، وأفهام غبية ، فإذا كان سهلاً

(١) نصى النظر : لعلمها من نصى الرجل الثوب إذا كشفه .

ساع فيها وقرب ، فجميع ما يُستحبُّ في الأول يكره في الثانى حتى إن التضمين عيبٌ في الشعر ، وفضيلةٌ في الترسل ، فإن هذا الذى ذكره أبو إسحاق ليس بجواب .

وهَبُ أن الشعر كان كل بيت منه قائماً بذاته فلم كان مع ذلك غامضاً ؟
وهَبُ أن الكلام المنشور كان واحداً لا يتجزأ فلم كان مع ذلك واضحاً ؟
ثم سلمت إليه هذا فإذا يقول في الكلام المسجوع الذى كل فقرة منه بمنزلة بيتٍ من الشعر (١) .

أقول : إن من أظرف الأشياء أنك تحكى جواب أبي إسحاق من أوله إلى آخره ، ثم تعيد السؤال الأول بعينه الذى قد حكى جوابه ، وذلك أن أبا إسحاق قد سأل نفسه فقال : ولم صار الأحسن في الشعر الغموض وفي الرسائل الوضوح ؟ وأجاب عنه بما قد ذكره ، ومن يحكى ذلك الجواب لا يحسن له أن يقول في الاعتراض عليه : وهَبُ أن الشعر كان كل بيت قائماً بذاته ، فلم كان مع ذلك غامضاً ؟ وهَبُ أن الكلام المنشور كان واحداً لا يتجزأ فلم كان مع ذلك واضحاً ؟

وذلك أن الجواب قد أتى على الفرق بين الموضعين ، ونحن نعيده فنقول إن البيت الشعرى لما كان محجوراً على الشاعر أن يزيد فيه أو ينقص منه أو يُلحق به بيتاً آخر فيحصل أحدهما مرتبطاً بصاحبه بخلاف الرسائل ،

فكان المعنى قد يساوى ألفاظ البيت تارةً ، ويزيد عليها تارةً ، وينقص عنها أخرى ، فكان الأحسن أن يزيد المعنى ، لأن اللفظ الحسن بغير معنى كامرأة مينة حسنة الصورة .

وكما كانت معانى الكلام أكثر ، ومدلولات ألفاظه أكثر ، كان أحسن ، ولهذا قيل خير الكلام ما قلّ ودلّ ، فإذا كان أصل الحسن معلولا لأصل الدلالة .

وحينئذ يتم إشباع الجملة ، لأن المعانى إذا كثرت ، وكانت الألفاظ تنفى بالتعبير عنها احتيج بالضرورة إلى أن يكون الشعر يتضمن ضرباً من الإشارة وأنواعاً من الإيماءات والتنبيهات ، فكان فيه غموضٌ ، كما قال البحرى :

والشعر لمحٌ تكفى إشارته وليس بالهذرٍ طوّلت خطبته (١)

ولسنا نغنى بالغموض أن يكون كأشكال إقليدس والجسطى والكلام فى الجزء ، بل أن يكون بحيث إذا ورد على الأذهان بلغت منه معانى غير مُبتذلة ، وحكما غير مطروقة ، فلا يجوز أن يكون الشعر الذى يتضمن الحكم ليس بالأحسن ، فثبت أن الشعر الذى يتضمن الحكم هو أحسن الشعر ، ومعلوم أن

(١) يقول قبل هذا البيت :

كفتمونا حدود منطقكم والشعر يفتى عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلهم بالنطق ما نوعه وما سيبه
من قصيدته التى ردّها على عبيد الله بن عبد الله (ولعله ابن ماهر) التى مطلعها :
لا الدهر مستنفذ ولا عجيبة تسومنا الخسب كله نوبه
قال الرضا مادم ومتمدح فقل لهذا الأمير ما غضبه ؟
الديوان ١٣٢/١ .

أحسن الشعر الذى يتضمن الحكم هو المعنوى كشعر أبى تمام ومن أخذ إخذه ،
فذلك القدر من المعنى هو لذى يعنيه أبو إسحاق بالعموض لا غير .

فأما قوله : فماذا تقول فى الكلام المسجوع الذى كل فقرة منه بمنزلة بيت
من الشعر ؟ نجوابه أن السجع ليس شرطا فى المنشور فقد تكون الرسائل
غير مسجوعة ، ولا يمكن أن يكون الشعر إلا وزنا محدودا .

وبعد فالرسائل المسجوعة لا يلزم فيها ما ذكرناه فى الشعر ، لأن الفقرة
الواحدة قد يطيلها الكاتب ، وقد يقصرها ، وقد يأتى بفقرتين طويلتين ،
ثم يأتى بعدها باثنتين قصيرتين ، ثم يأتى بعد ذلك بفقرتين إحداها قصيرة
والأخرى طويلة ، فهو يضرب يمينا وشمالا ، ويمد نفسه تارة ويقصره أخرى ،
وليس كذلك القصيدة ، فإن صاحبها عند ابتدائها يلتزم عروضا واحدة ،
ولو زاد فيها حرفا واحدا أو نقصه لكان شعره فاسدا ، فأين أحد النوعين
من الآخر ؟

قال المصنف : قال أبو إسحاق : والفرق بين المترسلين والشعراء أن الشعراء
إنما أغراضهم التى يرmon إليها وصف الديار والآثار ، والحنين إلى الأهواء
والأوطان ، والتشبيب النساء ، والطلب والاستدعاء والمدح والهجاء ،
فأما الكتاب فإنما يترسلون فى سداد نفي ، أو إصلاح فساد ، أو تحريض
على جهاد ، واحتجاج على فئة ، أو مجادلة لملفة ، أو دعاء لألفة ، أو نهى

عن فرقة ، أو تهنتئة بمطية ، أو تعزية . قال : وهذا من أبى إسحاق تحكّم
محض لا يستند إلى شبهة فضلا عن بيّنة .

وأى فرق بين الشاعر والكاتب فى هذا المقام ؟ وكما يصف الشاعر الآثار
والديار ويحنّ إلى الأهواء والأوطان ، فكذلك يكتب الكاتب فى الاشتياق
إلى الأوطان ، ومنازل الإخوان والأحباب ، ولهذا كانت الكتب الإخوانيات
بمنزلة الغزل والتشبيب من الشعر ، وكما يكتب الكاتب فى إصلاح فساد
أو سدّاد نعر أو دعاء إلى ألفة أو نهى عن فرقة أو تهنتئة أو تعزية فكذلك
الشاعر . فإن نَدَّتْ عن الصابى قصائد الشعراء فى أمثال هذه المعانى فكيف
خَفِيَ عنه قصيدة أبى تمام فى استعطاف مالك بن طوق على قومه التى مطلعها :

حسم الصلح ما اشتهته الأعادى

وقصيدة البحترى التى يذكر فيها غزو البحر ، ومطلعها :

ألم ترَ تَمْلِيسَ الرِّبْعِ المبكر

والقصائد التى تجرى على هذا المجرى^(١) كثيرة .

أقول : السؤال فى هذا المقام قد يقع عن أمرين أحدهما أن يقال ما الفرق بين
الشعر والكتابة ؟ والثانى أن يقال لم كانت منزلة الشاعر دون منزلة الكاتب ؟
وأحد هذين السؤالين غير الثانى ، وكلام أبى إسحاق هو فى السؤال الثانى ،
لأنه هكذا قال : إنما كانت حقيقة الشاعر دون الكاتب لسكذا وكذا ، وهذا
جواب صحيح .

أما أولاً فإنه بنى الشعر على الاجتداء والطلب حتى إن امرأ القيس وهو الملك ابن الملك اجتدى سعد بن الضباب بالشعر ، وقد كان ابن المنصور الخليفة ابن الخلائف يحتدى بالشعر من عبيد الله بن سليمان بن وهب ومن ولده القاسم ابن عبيد الله وزير المعتضد والمكتفي ، فان لم يكن يحتدى مالا فإنه كان يحتدى جاها .

ولم تبين الكتابة على هذا ، ولا عرفت بهذا .

وأما ثانياً فلأن المراد من الكتابة ومقصدها الذي وُضِعَتْ لأجله ما ذكره أبو إسحاق من سداد النفور ، وإصلاح الأمور ، والدعاء إلى الألفة ، والنهي عن الفرقة ، والاستعداد لحرب ، والإعلام بفتح ، ولم يوضع الشعر لذلك .

ألا ترى أننا رأينا ولا سمعنا ملكاً كتب إلى ملك آخر في إصلاح فساد ، أو استعداد على عدو ، أو إعلام بفتح قصيدة من الشعر ، وإنما كتب الرسائل ؟ .

وأما القصائد التي ذكرها هذا الرجل لأبي تمام وأبي عباد وأبي الطيب فإننا لم ننْفِ كون الشعر قد يشتمل على ذلك ، ولكننا قلنا إنه ليس هو الغرض الأصلي الذي وُضِعَ الشعر له ولا يكون أصلاً فيه بل عارضا وطارئاً ، والرسائل بخلاف ذلك ، لأن هذا المعنى هو الغرض الأصلي فيها .

وكذلك نجد هذا الفن في الديوان الذي حجمه عشرون كراساً في قصيدة أو قصيدتين ، ونجده في الرسائل التي حجمها عشرون كراساً في خمسة عشر كراساً

ونحن فما غرضنا إلا الفرق بين مقصدي النوعين ، وقد اتضح .

فأما قوله قد يكتب كاتب الإخوانيات ، ويذكر فيها الحنين والشوق ،
فهى فى المنثور كالنسيب فى المنظوم ، فيقال له إن القصائد التى وضعت للمدح
يستحب أن يكون أولها نسيبا وغزلا ، وهكذا وجدنا كتابا فى فتح أو استنجداد
أو تعريض أو تحذيل فى صدره رسالة إخوانية تتضمن الحنين والبكاء ، وذكر
الآثار والديار ، فيمكنفى أبا إسحاق فى الفرق بينهما هذا القدر فقط ، فإن ذلك
من أدل الدلائل على أن الشعر فى الأصل موضوع لهذا المعنى ، والاجتهاد
والطلب ، فذلك لم يحتج أحدها للآخر ، وجعل منه الرسائل بخلاف ذلك .

— ١٣٧ —

قال المصنف : فهذه الفروق كلها ضعيفة ، والذى عندى أن الفرق بين
النوعين من ثلاثة أوجه :

أحدها أن هذا منظوم ، وذلك منثور ، والآخر أن من الألفاظ ألفاظا
لا يحسن استعمالها فى الكتابة ويحسن فى الشعر ، كبعض الألفاظ العربية .
والثالث أن الشاعر إذا أطال فى شرح معان متعددة واحتاج أن يأتى بمائتى
بيت أو أكثر فإنه لا يحتذى فى الجميع ، بل فى الأول ، والكاتب لا يأتى من
ذلك جميعه ^(١) .

أقول : قد بينا أن إسحاق الصائى لم يتعرض لبيان الفرق بين الكتابة

(١) ماخض من المثل السائر ١٠/٤ .

والشعر من حيث ها كتابةً وشعرٌ، وإنما تكلم عن العِلَّةِ التي كانت لأجلها مرتبة الكتاب أعلى من مرتبة الشاعر، فأما الفروقُ بين الكتابة والشعر فهي كثيرة، وليست مقصورة على هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرها هذا الرجل . فإن من جملة الفروق أن للشاعر أن يُطَرِّى نفسه ويَمْدَحُها في شعره، وليس ذلك للكاتب .

ومنها أن للشاعر أن يبالغ ويُوغِلَ حتى يَدْخُلَ في الإحالة، وليس ذلك للكاتب .

ومنها أن الشعر يَحْسُنُ فيه الكذبُ ولا يستحسن في الكتابة . ومنها أن الشاعر يخاطبُ الملك بالكاف كما يخاطبُ السوق، ويدعوه باسمه، وينسبه إلى أمه، وليس ذلك للكاتب .

والفروق بين الشعر والكتابة كثيرة، وإنما نبهنا على بعضها لإبطالاً لقوله إن الفروقَ هذه الثلاثةُ فقط .

فهذا ما سنَح لي بأدنى النظر من الاعتراضِ على هذا الكتاب، وقد اعترضتُ على مواضع كثيرةٍ منه للقول فيها مجالٌ فلم أذكرها إثارةً للايجاز، رموضع يَرْجِعُ كلامه فيها إلى الجدلِ وتخصُّصِ العِنَادِ، لا في المعنى، فكان الاشتغالُ بها والبحثُ فيها تضييعاً للوقت من غير فائدة .

ورأيت أن يَمَّ الكتابُ هاهنا حامداً الله، ومُصَلِّياً على خير خلقه

﴿ محمد النبي الأُمى صلواتُ الله عليه وسلامه ﴾

« الفهارس العامة »

« للفلك الدائر على المثل السائر »

فهرس الشعراء

(١)

ابراهيم بن العباس ج ٣ ص ١٧٥
ابن بابك = أبو القاسم عبد الصمد
ابن بابك .

ابن جعفر = علي بن عبد الله بن
جعفر .

ابن جعفر ج ٣ ص ٢٤٥
ابن الحجاج البغدادي = أبو عبد الله
الحسن بن أحمد بن الحجاج .

ابن الحجاج البغدادي ج ٣ ص ١٣٧
ابن حمديس = ابن محمد عبد الجبار
ابن أبي بكر بن محمد بن حمديس .

ابن حمديس الصقلي ج ٢ ص ٩٨ ، ٣٢
ابن الخطاط = أحمد بن محمد بن
علي بن صدقة .

ابن الخطاط ج ٣ ص ٢٢٤ ،

٢٢٥

ابن هريد ج ٢ ص ٣٢٨

ابن الرقاع (عدى) ج ٣ ص ٢٠٢
ابن الرومي = أبو الحسن علي بن
العباس الرومي .

ابن الرومي ج ١ ص ٩٩ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
١٤٨ ، ١٦٥ ، ج ٢ ص ١٤١ ، ٢٩٩ ،

ج ٣ ص ١٨٦ ، ٢٢١ ، ٢٤٠ ،

٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ ،

٢٥٩ ، ٢٦٠

ابن الزقاق الأندلسي ٣٥٧

ابن الزمكرم اللوصلي ج ٣ ص ١٣٥

ابن السراج ج ٢ ص ١٦

ابن عبد الله بن عبيدة ج ٢ ص ٢٧٠

ابن قسيم = مسلم بن الخضر الحموي
التنوخى .

ابن قلاص = أبو الفتوح نصر بن
عبد الله بن قلاص .

ابن قيس بن زهير = المساور بن

هند .

ابن مسهر ج ٢ ص ١٦

٤٠٧ ، ٤٠٠ ، ٣٩٩ ، ٣٩٨
 ٧٠٤ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ج ٢ ص ٧٤ ،
 ٨ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٦ ، ٥٨ ،
 ٦١ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٧ ،
 ١٠١ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣٠ ،
 ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ،
 ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ،
 ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
 ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٨ ، ٢٧٠ ،
 ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ١٨٨ ، ٢٩٩ ،
 ٣١٠ ، ٣٢٣ ، ٣٤٨ ، ٣٥٩ ،
 ٣٥٣ ، ٣٦٥ ، ج ٣ ص ١٠ ،
 ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٨ ،
 ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٦٧ ،
 ٨٣ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،
 ١٠٤ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٤٧ ،
 ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ،
 ١٧٥ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢١٢ ،
 ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ،
 ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ،
 ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،

ابن المعتز = أبو العباس عبد الله بن
 للمعتز بالله الخليفة العباسي .

ابن المعتز بن غيلان ج ٣ ص ٢٥١
 ابن نباتة السعدي ج ٣ ص ٢٠٦ ،

٢٥٦ ، ٢٩٢

ابن هانيء المغربي ٢٥٣

أبو الأسود الدؤلي ج ٣ ص ٢٦٢
 أبو أمامة زياد بن معاوية : النابغة

الذبياني : ج ٢ ص ١٥

أبو بكر = محمد بن أحمد بن حمدان
 الخباز البليدي .

أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين

الأرجاني ج ٩ ص ٤٠٤

أبو تمام حبيب بن أوس ج ١ ص ٩٨ ،

١٠٤ ، ١٠٠ ، ١١٧ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،

١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،

١٦٣ ، ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،

٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٢ ،

٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ،

٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ،

٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٧٢ ،

٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ،

١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٣ ،
 ١٥٧ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ،
 ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٦ ،
 ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ،
 ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ٢٧٧ ،
 ٣٢٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٦ ، ٣٨٢ ،
 ٣٩١ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ،
 ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ،
 ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٣ ،
 ٤١٤ ، ج ٢ ص ٤ ، ٩ ، ١٠ ،
 ١١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٦١ ،
 ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ،
 ١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ،
 ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،
 ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٧٨ ، ٢٩٤ ،
 ٢٩٨ ، ٣٥٧ ، ج ٣ ص ٣ ، ٢١ ،
 ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٦١ ،
 ٦٨ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٣ ،
 ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،
 ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،
 ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٦١ ، ١٦٥ ،
 ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،

٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،
 ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
 ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ،
 ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
 ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ ،
 ٢٩٠ ، ج ٤ ص ٦ ، ٩ ، ١٠ ،

أبو الحسن علي بن العباس الرومي
 ج ٢ ص ٢٤ ، ١٢٥

أبو الحسن محمد بن الحسين الرضي
 ج ١ ص ١٥٦ ، ج ٢ ص ١٠٩

أبو زهير = تأبط شرا .

أبو سعيد الضرير ج ١ ص ٣٥٨
 أبو السمط مروان بن أبي الجنوب =
 مروان الأصفر .

أبو الشغب العيسى ج ١ ص ١٦٦
 أبو الشيخ ج ٣ ص ٢٤٥

أبو صخر الهذلي ج ١ ص ٢٥٥ ،
 ٢٥٦ ، ٢٥٦

أبو الطيب المتنبي ج ١ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ،

ج ١ ص ٣٤٧، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٧١،
 ٢٧٣، ج ٣ ص ٢١٥، ٢٥٦،
 أبو العلاء محمد بن غانم الفانمي ج ٣
 ص ٤٩، ١٢٨
 أبو العميثل ج ١ ص ٣٥٨
 أبو الفتوح نصر بن عبد الله بن
 قلاقس ج ٢ ص ٣١
 أبو فراس = الفرزدق .
 أبو فراس همام بن غالب التميمي
 الدارمي ج ٢ ص ١١٩
 أبو الفوارس سمد بن محمد بن سمد
 ابن صيفي التميمي ج ٢ ص ١٦٣
 أبو القاسم عبد الصمد بن بابك
 ج ١ ص ٤٠٧
 أبو كرام التميمي ج ٢ ص ٢٥٣
 أبو المجد = مسلم بن الخضر بن مسلم
 بن قسيم الحموي التنوخي .
 أبو محجن الثقفي = أبو محجن بن
 حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي
 ج ٢ ص ٣٢٨

٢١٣، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢١،
 ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧،
 ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤١،
 ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥،
 ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٥٤،
 ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٦٣،
 ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨،
 ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤،
 ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧،
 ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١،
 ٢٩٢، ج ٤ ص ٤، ١١
 أبو عبادة البحتري ج ١ ص ١١٨،
 ١٢٢، ج ٢ ص ٢١٤، ٣٢٧،
 ٣٥٩، ج ٣ ص ٢١٩، ٢٢٦
 أبو العباس بن المعتز بالله الخليفة
 العباسي ج ٢ ص ١٢٣
 أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن
 الحجاج ج ١ ص ٣٣٩
 أبو العتاهية ج ١ ص ١٦٤، ٢٥٠،
 ٢٥١، ٣٨٣، ج ٣ ص ٢٦٠
 أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان
 المعري

أبو محمد (شاعر الرشيد) ج ٣ ص

١٠٦

أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن

محمد بن حمديس ج ٢ ص ١٤

أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد

الأيوردي ج ٢ ص ٦

أبو نصر عبد العزيز محمد بن نباتة

السعدي ج ٣ ص ٢٥٦

أبونواس ج ١ ص ١٧ ، ١٠٢ ، ١٤٠ ،

١٤١ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٦ ،

١٥٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ،

٣٤٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ،

٣٧٦ ، ٣٩٠ ، ج ٢ ص ٤ ،

١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢١ ، ٧٢ ،

٧٩ ، ٨٠ ، ١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ،

١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ،

٢٠٧ ، ٢٥١ ، ٢٨٩ ، ٣٤٦ ،

٣٤٧ ، ج ٣ ص ٢٤ ، ٦٦ ،

٦٩ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،

١٢٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ،

١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،

١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،

١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،

٢٠٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ،

٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،

٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ،

٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ج ٤ ص ٣

أبو يعقوب = إسحاق بن حسان .

الأيوردي = أبو المظفر محمد بن

أبي العباس أحمد .

أحمد بن عبد الله بن سليمان المرعي

= أبو العلاء المرعي .

أحمد بن محمد بن علي بن صدقة التظلي

المعروف بابن الخياط ج ٣

ص ٢٢٣

الأحوص ج ٣ ص ٢٦

الأخطل ج ٢ ص ١٢٠ ، ٣١١ ،

ج ٣ ص ٩٨ ، ١٠١ ، ٢٦٢ ،

٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،

امرو القيس ج ١ ص ١٠٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،

٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ج ٢

ص ٦٢ ، ٦٣ ، ١١٠ ، ١١١ ،

١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ٢٥٩ ،

٣٢٧ ، ٣٤٥ ، ٣٥٠ ، ج ٣

ص ٣٦ ، ٤٧ ، ٤٣ ، ٤٩ ،

٥٠ ، ٥٧ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٦٥ ،

١٦٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،

٢١٩ ، ٢٣٠ ، ٢٧٤

أمية بن أبي الصلت ج ٢ ص ٣٣٢ ،

ج ٣ ص ٢٤٦

أوس بن حجر ج ١ ص ٣٩٧

(ب)

البحتري (أبو عبادة) ج ١ ص ٩٨ ،

١١١ ، ١٣٣ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،

٢٢٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٣٤٧ ،

٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ،

٤١٣ ، ج ٢ ص ٤ ، ٨ ، ٩ ،

٦١ ، ٧٨ ، ١٠٤ ، ١١٧ ،

١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،

١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،

الأخنس بن شهاب ج ٣ ص ٢٤٩

الأخيطل (الأخطل) ج ٣ ص ٢٧٩

الأرجاني = أبو بكر أحمد بن محمد

ابن الحسين الأرجاني .

الأرجاني (القاضي) ج ٣ ص ١٧٦

إسحاق بن حسان ج ٢ ص ٣٠٧

الأشتر النخعي ج ٢ ص ٢١٢

أشجع بن عمرو السلمي ج ١ ص ٣٩٤ ،

ج ٣ ص ١٠٠

الأضبط بن قريع ج ١ ص ٣٥٦

الأعرج ج ١ ص ٢١٢ ، ج ٣ ص ٢٣

الأعشى ج ٢ ص ١٦٧ ، ٣٤٢ ،

٣٤٣ ، ج ٣ ص ٣٤ ، ١٧٩ ،

١٨٦ ، ٢٠٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٤

أعشى قيس = ميمون بن قيس بن

جندل بن وائل .

الأفوه الأودي ج ٣ ص ٢٨٢

الأفطع = خلف بن خليفة .

الأقشير الأسدي ج ٣ ص ٦٨ ، ٨٤

أم النخيف ج ٣ ص ١٥٢

بكر بن النطاح ج ٢ ص ١٤٣

(ت)

تأبط شرا ج ١ ص ٢٣٦، ٢٣٥

٢٦٣، ج ٢ ص ١٨٧

(ج)

جعظة ج ٣ ص ٢٠٣

جرير ج ١ ص ٣٨٥، ٣٩١، ج ٢ ص

١١٩، ١٢٠، ١٣٢، ٣٠٥، ٣١١،

٣١٦، ٣٤٣، ٣٤٤، ج ٣

ص ٢٠، ٤٤، ٩٥، ١٤٦،

١٨٢، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٣٠،

٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٤٢،

٢٤٩، ٢٥٢، ٢٧١، ٢٧٤،

١٧٥، ١٨٦، ٢٧٩، ٢٨٠،

٢٨١

جميل (بثينة) ج ٣ ص ١٦٩

(ح)

حاتم طي ج ٢ ص ١٩٦، ٢٩٧

الحارث بن خالد الخزومي ج ٢

ص ٦٠

الحافظ ج ٢ ص ٣١

حبیب بن أوس = أبو تمام

١٥٠، ١٦١، ٢٠٦، ٢٤٨،

٢٥٤، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٩٥،

٣٠٧، ٣٠٢، ج ٣ ص ١٥،

١٦، ٣٩، ٤٠، ٩٩، ١٠١،

١٢٦، ١٤١، ١٤٩، ١٧٠،

١٧١، ١٧٢، ١٨٣، ١٨٤،

١٨٩، ١٩٠، ١٩٥، ١٩٧،

٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٧، ٢٣٥،

٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٧،

٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٥،

٢٥٧، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٧٢،

٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٠،

٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨،

٢٨٩، ٢٩٠، ج ٤ ص ١٠

بشار بن برد ج ١ ص ٢٥١، ج ٣ ص

١٩١، ٢٤٢، ٢٥٨، ٢٧٢،

بشر ٢٣٧

بشر بن عوانة ج ٣ ص ١٨٤

البعيث التغلبي ج ٢ ص ٣٠٥،

٣٤٤، ج ٣ ص ٢٣٨، ٢٢٥،

٢٧٦، ٢٧٦

البعيث بن حريث بن جابر ج ٢

ص ٣٠٥

دعبل بن علي بن رزين ج ١ ص
٤١١، ٤١٢
ديك الجن الحمصي = عبد السلام
ابن رغبان.
(ذ)

ذوالرمة ج ١ ص ٣٦٤، ج ٢ ص ١٥٩،
ج ٣ ص ٩٨، ٩٩، ١٥٤،
١٧١، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٠٩،
٢١٠، ج ٤ ص ٣
ذو الرمة = غيلان بن عقبة بن
هنس .

(ر)
الراعي النميري ج ٣ ص ٧٨، ٩٥،
٢٥٢

ربيعة بن ذؤابة ج ١ ص ٣٨٠
ربيعة بن عامر ج ٢ ص ٩٩
ربيعة بن مقروم الضبي ج ١ ص ١٢٩
(ز)

زاهر = أبو كرام التميمي .
زهير بن أبي سلمى ج ١ ص ٣٩٦،
٣٩٧، ج ٣ ص ٤٧، ٢٧٤
(س)

سالم بن دارة ج ٣ ص ٩٥
سالم بن وابصة ج ٣ ص ١٧٨
سحيم عبد بن الحسحاس ج ١ ص ١٤٧

حجر بن حية العبسي ج ١ ص ٣٧٠
حريث بن جابر ج ٢ ص ٣٠٥
الحريري ج ١ ص ٤٠١، ج ٣ ص ٢١٧
الحزين الكثاني = عمرو بن عبيد
ابن وهب .

حسان بن ثابت ج ٢ ص ١٨٦،
٢٤٠

الحسين بن الضحاك ج ٣ ص ٢٣٣
الحسين بن مطير ج ٢ ص ١٤٨
الحيص ييص = أبو الفوارس سعد
ابن محمد بن سعد التميمي

الخطيئة ج ٢ ص ٣٦، ج ٤ ص ٣
حيان بن ربيعة ج ٣ ص ١٩٨

(خ)
خالد بن نضلة ج ٣ ص ٢٠٣
الخياز البلدي = بوبدر محمد بن
أحمد بن حمدان .

الخريمي = إسحاق بن حسان .
خلف بن خليفة ج ٣ ص ٢٠
الخنساء ج ١ ص ٣٦٠، ج ٢ ص ١٨٦

(د)
دريد بن الصمة ج ٢ ص ٢٠٧
دعبل الخزاعي ج ٣ ص ٢٤٥

ابن جندل بن وائل .

(ط)

الطاهر الجزري ج ٣ ص ١٣٥

طرفة بن العبد البكري ج ١ ص

٣٧٠ ، ج ٣ ص ٢٣٠ ، ٢٧١

الطرماح ج ٣ ص ٩٥ ، ٢٣٤

(ع)

العباس بن الأحنف ج ١ ص ٢٤٨ ،

ج ٢ ص ١٤٥ ، ١٤٦ ،

ج ٣ ص ١٧٠

عبد الله بن المعتز ج ١ ص ٣٤٢ ، ٢

ص ١٦١ ، ج ٣ ص ١٤٤

عبد الرحمن بن حسّان، ج ٣ ص

٢٤٠

عبد السلام بن رغبان ج ١ ص ١٧٠ ،

٤٠٥ ، ج ٣ ص ٢٩١ ، ٢٣١

عبد الصمد بن المعذل = ابن المعذل

عبيد بن الأبرص ج ١ ص ٣٤٠

العتّابي ج ٣ ص ١٩٢

العجير السلولي = ابن عبد الله بن

عبيدة .

عدى بن زيد العبادي ج ٢ ص ٣٥٧

عروة بن أذينة ج ١ ص ٢٤٦

عروة بن الورد ج ٢ ص ٢٩٦ ، ج ٣

ص ٢٣٦

سُدَيْف ج ٣ ص ١٠٦

سعيد بن عبد الرحمن ج ٣ ص ٢٤٠

السلامي ج ٣ ص ١٨٨

سلم بن عمرو الخاسر ج ٣ ص ٢٥٨

السموئل بن غريض بن عاهياء ج ٢

ص ٣٥٠

سوار بن المضرب ج ٣ ص ٤٥

(ش)

الشريف الرضى ج ١ ص ١٦٧ ، ٢٦٢ ،

٢٦٣ ، ٣٥٦ ، ج ٣ ص ٧٠ ،

٧١ ، ٢٧١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،

ج ٤ ص ٤

الشريف الرضى = أبو الحسن محمد

بن الحسين الرضى .

الشمّاخ (بن ضرار) ج ٤ ص ٣

الشميذر الخارثي ج ٣ ص ٧٤

شهاب الدين ، حيص بيص

= أبو الفوارس سعد بن محمد

ابن سعد بن صيفي التميمي .

(ص)

صالح بن عبد القدوس ج ١ ص ١٦٤

صريع الفوائى = مسلم بن الوليد

الصمة بن عبد الله ج ١ ص ٣٨٤ ، ج ٢

ص ١٦٤

صناجة العرب = ميمون بن قيس

عمرو بن معد يكرب الزبيدي ج ٣

ص ٤٨

عمرو بن يثرب ج ١ ص ٢١٢

عنترة ج ١ ص ٥٨ ، ٣٨٨ ، ج ٣ ص

٣٩ ، ٥٨ ، ١٩١ ، ١٩٨ ، ٢٤٦

عوف القوافي ج ١ ص ٣٩٠

عياش بن لهيعة ص ٢ ج ١

(ع)

الغانمي = أبو العلاء محمد بن غانم .

غيلان بن عقبة بن بهنس ج ٢ ص

١٥٩ ، ١٦١

(ف)

الفرزدق ج ١ ص ١ ، ١٠١ ، ٢١٧ ، ٢٣٧ ،

٢٦٠ ، ٣٧١ ، ٣٩١ ، ٣٩٧ ،

٤٠٩ ، ج ٢ ص ٩٩ ، ١٢٠ ،

١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٥٦ ، ٢٢٨ ،

٢٢٩ ، ٢٩٦ ، ٣٠٥ ، ٣١٦ ،

٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ج ٣ ص ٢٠ ،

٤٤ ، ٧١ ، ١٣٧ ، ١٤٦ ،

١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٦٥ ، ١٧ ،

٢٠٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،

٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،

٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،

عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى

ج ٢ ص ٦٦

العكوك = علي بن جبلة .

علقمة بن عبدة ج ٢ ص ٣٣١ ،

٣٩٦ ، ٣٣٢

علقمة الفحل = علقمة بن عبدة .

علي بن جبلة ج ٣ ص ٣٥٥ ، ج ٢ ص

٢٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٣٤٦ ، ج ٣

ص ١٤٨ ، ١٧٥ ، ٢٣٩ ،

٢٤٧

علي بن الجهم ج ٣ ص ٢٥١

علي بن عبد الله بن جعفر ج ٣

ص ٢٤٤

عمارة اليماني ج ٣ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥

عمر بن أبي ربيعة ج ٢ ص ٦٠ ،

ج ٣ ص ٦٠ ، ٢٤٦

عمرو بن أحمد الباهلي ج ٢ ص ٢٥٨

عمرو بن الإطنابة ج ٢ ص ١٦٦

عمرو بن سعد = المرقش الأكبر

عمرو بن عبيد بن وهب الحزين

الكناني ج ٣ ص ١٩٥

(م)

المتنبى = أبو الطيب

المتوكل اللبني ج ٣ ص ٢٦٢

محمد بن أحمد بن حمدان الخباز البلدي

ج ٣ ص ١٤٠

محمد بن ظفر بن عمير (المقنع

الكندى) ج ٣ ص ٢٨ ، ١٥١

محمد بن عبد الله بن رزين ج ٣

ص ٢٤٥

محمد بن غانم المعروف بالفانمي ج ٣

ص ١٢٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٨ ،

٢٠٩

محمد بن وهيب الحيري ٣٥٥

محمود بن الحسين المعروف بكشاجم

ج ١ ص ٤٠٢

المرقس الأكبر ج ٢ ص ٣٤٥

مرة بن مركان التميمي ج ١ ص ٣٩١

مروان الأصغر ج ٣ ص ٢٣

مروان الأكبر = مروان بن أي

حفصة ج ٣ ص ٢٣

المساور بن هند ج ٣ ص ٢٠

٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ج ٤

ص ٣

الفرزدق = أبو فراس هام بن غالب

التميمي الدارمي .

(ق)

قتيلة بن النضر ج ٣ ص ١٨١

قريط بن أنيف ج ١ ص ١٣٠ ، ج ٢ ص

٣٢١ ، ج ٣ ص ١٥١

القطامي ج ٣ ص ٩٩

قطري بن الفجاءة ج ١ ص ٣٩٩

قعنب بن أم صاحب ج ١ ص ١٥٨

قيس بن الخطيم ج ٣ ص ١٩٤

قيس بن ذريح ج ٣ ص ١٣٨

القيسراني ج ٣ ص ٢٥٦

(ك)

كثير عزة ج ١ ص ١٢٧ ، ج ٢ ص

٦٦ ، ج ٣ ص ٤٤ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ،

٢٠٢

كشاجم = محمود بن الحسين

السكيت ج ٣ ص ١٥٤

(ل)

ليبد بن الأعصم ج ١ ص ٢٠٦

ليبد بن ربيعة ج ٢ ص ١٤٢ ،

٣٣٢ ، ج ٣ ص ٢٠٣

(ن)

الغابغة الذبياني ج ص ٢٥٩، ج ٢ ص
٥٩، ٢٩٦، ٣٤٢، ج ٣ ص
٤٧، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٢،
٢٠٦، ٢٧٤، ٢٨١، ٢٨٢
الغابغة الذبياني = أبو أمية زياد بن
معاوية .

نصر بن سيار ج ٣ ص ٥٥، ٥٦
نصيب ج ٣ ص ٧٠، ١٥٤

(هـ)

الهذيل بن مشجعة البولاني ج ٣ ص
٣٨ .

(و)

الوأواء الدمشقي ج ٢ ص ٧٥

(ي)

يزيد بن الحكم الثقفي ج ٢ ص ٣١٦
يزيد بن الطثرية ج ١ ص ٢٤٨، ج ٢
ص ٦٦

مسكين الدارمي = ربيعة بن عامر
مسلم بن الخضر بن مسلم بن قسيم
الحموي التنوخي ج ٣ ص ٢٥٩، ٢٦٠
مسلم بن الوليد ج ١ ص ١٤٦، ٢٥٠،
ج ٢ ص ٤، ٩، ٢١، ٧٩، ١٤٥،
ج ٣ ص ١٥٦، ٢٤٤، ٢٤٩،
٢٥١، ٢٨٢، ٢٨٣

المضرب = عقبة بن كعب بن زهير
ابن أبي سلمى .

المضرب السعدي ج ٢ ص ٤٥

مفرس بن ربيع ج ٢ ص ٢٤٦

المقنع السكندري = محمد بن ظفر

المخلل الشكري ج ٣ ص ٣٧، ٣٨

منصور النمرى ج ٣ ص ٢٤١

مهيار (الدبلي) ج ٣ ص ١٠٧، ١٠٨

ميمون بن قيس بن جندبيل بن

وائل ، أعشى قيس ج ٢

ص ٥٩

فهرس الأعلام

(١)

آدم ج ١ ص ١٨٢ ، ١٩٦ ، ج ٢ ص

٢٠ ، ٢٣٨ ، ٢٦٣ ، ٣٧٠ ، ج ٣

ص ١٣١

الأمدي ج ٢ ص ٣٠٥

الأمدي = أبو القاسم الحسن بن
بشر الأمدي .

إبراهيم عليه السلام ج ١ ص ٣٧٧ ،

ج ٢ ص ٢٢٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،

ج ٣ ص ٣٤ ، ١٢٩ ، ١٨٧ ،

إبراهيم البندنجي ٣٧٥

إبراهيم بن سيار النظام ج ٢ ص ١٣

إبراهيم بن عبيد الله الحجبي ج ١ ص ١٤١

إبراهيم بن المدبر ج ٢ ص ٧٨ ، ج

٣ ص ١٩٧

إبراهيم الموصلي ١٦٧

إبراهيم بن هشام الخزومي ج ١ ص ٣٩٧

ج ٢ ص ٢٢٩

أبرويز ج ٢ ص ١٠

ابن أبي الحسن بن عبد الملك بن

صالح الهاشمي ج ٢ ص ١٢١

ابن أبي دواد (أحمد) ج ٣ ص

٢٤١ ، ٢٥٢

ابن أبي سعيد ج ٢ ص ١١٩

ابن أبي عتيق ج ٣ ص ١٣٨ ، ١٣٩

ابن أبي كبشة ج ٣ ص ١١٣ ، ١١٤

ابن الأثير ٢١٣ ، ٢٩٥ ، ج ٢ ص

٧ ، ٢٥ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٧٢ ،

٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٣ ، ١١١ ،

١١٢ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٥٨ ،

١٥٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٧ ، ٣٠٩ ،

٣٣٨ ، ٣٤٧ ، ٣٥٦

ابن الأثير = ضياء الدين بن الأثير

ابن إسحاق ج ٢ ص ٣٤١

ابن الأعرابي ج ١ ص ٩١ ، ج ٣ ص

٣٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤

ابن الأعرابي = أبو عبد الله محمد

ابن زياد .

- ابن أفلح ج ۲ ص ۶۲ ، ۶۳
 ابن الأنباري ج ۲ ص ۸۴
 ابن بسطام ج ۳ ص ۱۲۷
 ابن بويه = عز الدولة بن معز الدولة
 أبي الحسين أحمد بن بويه الديلمي
 ابن ثوبة ج ۲ ص ۱۴۰
 ابن جني ج ۲ ص ۸۴ ، ۱۰۷
 ابن جني = أبو الفتح .
 ابن الجواليقي = أبو منصور بن
 أحمد البغدادي
 ابن الجوزي ج ۲ ص ۳۱۵
 ابن حذام ج ۲ ص ۶۲
 ابن حرب = معاوية بن أبي سفيان
 ابن الحريري = أبو محمد القاسم بن
 علي بن محمد بن عثمان الحريري
 ابن حمدون = محمد بن الحسن محمد
 ابن علي .
 ابن حمديس = أبو محمد عبد الجبار
 ابن أبي بكر بن محمد بن حمديس
 ابن حمديس الصقلي ج ۲ ص ۱۴
 ابن حنبل (أحمد) ج ۳ ص ۷۸
 ابن خزيمة = عمر بن الخطاب
 ابن خريم ج ۲ ص ۳۰۷
 ابن خلكان ج ۱ ص ۳۰
 ابن دريد ج ۱ ص ۳۶
 ابن دريد = أبو بكر محمد بن الحسن
 ابن دريد الأزدي .
 ابن الربيع ج ۱ ص ۳۴۶
 ابن الزبير ج ۱ ص ۲۵۵ ، ج ۲ ص ۶۰
 ابن زياد الكاتب البغدادي ج ۱ ص
 ۹ ، ۱ ، ۶۷ ، ۶۹
 ابن السراج ج ۱ ص ۳۶
 ابن السكيت ج ۲ ص ۳۷۱
 ابن سلام الجعفي ج ۱ ص ۴۶ ، ج ۲
 ص ۶۲ ، ۲۷۰ ، ۳۲۸
 ابن سنان الخفاجي ج ۱ ص ۲۲۲ ،
 ۲۲۴ ، ۲۲۶ ، ۲۶۲ ، ۲۶۴ ، ۲۶۵ ،
 ۳۳۸ ، ج ۲ ص ۱۱۰ ، ۱۱۱ ،
 ۱۱۳ ، ۱۱۴ ، ۱۱۵ ، ج ۳ ص
 ۳۵ ، ۵۰ ، ۵۷ ، ۹۶ ، ۲۱۴
 ابن سنان الخفاجي = أبو محمد
 عبد الله بن محمد بن سعيد .

ص ١٧، ٦٧، ٨١، ٢٥٩، ٣٢٨

ابن الكلبي ج ٢ ص ٢٩٦

ابن كوز ج ١ ص ٩١

ابن المزرع = يموت بن المزرع

ابن المستوفى ج ٣ ص ٣٥

ابن المسيب ج ٢ ص ١٤١

ابن المقفع = أبو محمد عبد الله .

ابن المقلد ج ٣ ص ١٣٥

ابن منذر ج ٣ ص ٢٣٣

ابن منظور ج ١ ص ٣٧١ ، ٣٧٥

ابن منقذ ج ٣ ص ٩٣

ابن منير ج ٣ ص ٢٥٩

ابن نباتة ج ١ ص ٢٣٨

ابن الهيثم = أبو الحسين محمد بن

الهيثم .

ابن وكيع التنيسي = أبو محمد الحسن

ابن علي الضبي .

ابنا محرق ج ٣ ص ١٨٦

أبو إبراهيم العلوي ج ٣ ص ٢٥٦

أبو أحمد ج ٢ ص ٣٠٨

ابن سينا ج ١ ص ٢٢٩

ابن سينا = أبو علي الحسين بن

عبد الله بن الحسن .

ابن شبانة ج ٣ ص ٢٤٧

ابن الشمشقيق ج ٣ ص ١٠٥

ابن صالح = محمود بن صالح .

ابن طليل ج ٢ ص ٣٠

ابن عباد ج ١ ص ٢٧٨

ابن عباس ج ٢ ص ٢٦٨

ابن عدي ربه ج ١ ص ١٧ .

ابن عبد القيس ج ٣ ص ١٩٤

ابن عبيد الله = أبو محمد الحسن بن

عبيد الله بن طفيج .

ابن عدي بن حبيب = أبو عثمان المازني

ابن عساكر ج ٣ ص ٢٦٠

ابن العميد ج ١ ص ٢٧٨ ، ج ٢

ص ٥١

ابن العميد = أبو الفضل محمد بن

الحسين بن العميد .

ابن فارس ج ١ ص ٢٠٠

ابن فورجة ج ٢ ص ١٠٨

ابن قتيبة ج ١ ص ٣٥٦ ، ج ٢

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد

الأزدى ج ١ ص ٢٤٨

أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن

زياد بن هارون النقاش ج ١ ص ٦٠

أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ج ١

ص ١٥، ١٧، ٢٢، ٣٢، ٥٣،

٥٤، ٨٤، ٢٦٤

أبو جابر ج ٣ ص ١٣٥، ١٣٦

أبو جعفر بن حميد ج ٢ ص ٢١٤،

٣٢٧، ج ٣ ص ٢٣٨

أبو جعفر المنصور ج ٢ ص ٣٥٣

أبو جعفر هارون بن محمد الضبي ج ١

ص ٣٦

أبو جهل ج ٢ ص ٥٧، ج ٣ ص ٨٠

أبو حاتم السجستاني ج ٢ ص ٣٤٧

أبو حامد الغزالي = محمد بن محمد بن

محمد بن أحمد الغزالي .

أبو حرب بن أبي الأسود ج ١ ص ٤٧

أبو حزة = جرير بن عطية بن الخطفي

أبو الحسن = سيبويه .

أبو الحسن أو أبو بكر = أحمد بن يحيى

ابن جابر البلاذري

أبو إسحاق = سعد بن أبي وقاص

أبو إسحاق الصابي ج ١ ص ١٠، ١٢،

٧١ ج ٣ ص ١٠٨، ج ٤ ص ٨،

أبو الأسود الدؤلي ج ١ ص ٤٧

أبو الأسود الدؤلي = ظالم بن عمرو

ابن سفيان بن جندل .

أبو أيوب أحمد بن عمران ج ١ ص ٢٦٤،

٤١٤، ج ٣ ص ١٢٥، ٢٩٢،

ج ٤ ص

أبو أيوب ابن أخت أبي الوزير ج ٣

ص ١٤٩

أبو البركات بن المستوفي ج ١ ص ٣٢

أبو بشر = سيبويه .

أبو بكر الصديق ج ١ ص ٦٧، ١٩٥،

٣٠٠، ج ٣ ص ٢٤٠

أبو بكر البرقاني ج ١ ص ٦٠

أبو بكر بن دريد ج ٢ ص ١٤٥

أبو بكر عاصم بن أيوب البطلوسي

ج ١ ص ١٥٩

أبو بكر علي بن صالح ج ١ ص ٢٥٨

أبو بكر بن مجاهد ج ٢ ص ١٢

ص ١٣٠ ، ج ٣ ص ١٢٣ ، ١٨٥ ،

٢٥٠ ، ج ٤ ص ٦

أبو حمزة = أنس بن مالك بن النضر

ابن ضمضم بن زيد .

أبو حنيفة النعمان ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٨ ،

ج ٣ ص ٧٧

أبو الخطاب الأخفش ج ٢ ص ٣١٤

أبو داف القاسم بن عيسى العجلي

ج ١ ص ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،

٣٥٠ ، ج ٢ ص ٢٢ ، ٢٧ ،

٨٢ ، ١٤٣ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،

ج ٣ ص ١٢٣ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ،

٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦

أبو ذؤاب الأسدي = ربيعة بن عبيد

ابن سعد بن جذيمة .

أبو زيد ج ١ ص ٥١

أبو سعيد السيرافي ج ٢ ص ١٢

أبو سعيد الضرير ج ١ ص ٣٥٨

أبو سعيد بن عبد الملك بن قريب

ابن عبد الملك الأصمعي ج ٢

ص ١٤

أبو الحسن الأخفش = سعيد بن

مسعدة أبو الحسن الأخفش

الأوسط .

أبو الحسن بن ركن الدولة أبو علي

ابن بويه ج ١ ص ٣٠١

أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني

ج ١ ص ١٩ ، ج ٣ ص ٢٢٢

أبو الحسن علي الملقب عز الدين ج ١

ص ٣٢

أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى

ج ١ ص ١٨

أبو الحسن محمد بن أبي سلافة ج ١

ص ١٤٨

أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن

صالح الهاشمي ج ١ ص ١٦٢

أبو الحسن المدائني ج ٢ ص ٣٣٨

أبو الحسن الواحدى ج ١ ص ٦١

أبو الحسين = علي بن أحمد المرى

انخراساني

أبو الحسين محمد بن الهيثم ج ١

ص ١١٧ ، ٢٦٤ ، ٣٧٢ ، ج ٢

أبو سعيد علي بن محمد بن أبي خلف

ج ٣ ص ٧٠ ، ٧٢

أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري

ج ١ ص ١٥٢ ، ٢٥٧ ، ٣٥٣

٣٨٧ ، ٣٩٩ ، ج ٢ ص ٥٨

أبو سعيد محمد بن يوسف الطائي

ج ٢ ص ٨٧ ، ١٠١ ، ١٠٤

١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٩٧ ، ج ٣

ص ٤٥ ، ٤٦ ، ١٠١ ، ١٠٤

١٢٧ ، ١٤٩ ، ١٨٤ ، ٢٣٣

٢٦٣ ، ٢٣٩

أبو سفيان بن حرب ج ٢ ص ٦

ج ٣ ص ١٠٧ ، ٢٢٦

أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال

ابن عبد الله الحزومي ج ٢

ص ٣٢٦

أبو سليمان داود بن علي بن خلف

الأصبهاني المعروف بالظاهري

ج ٢ ص ٣١٨

أبو سهل سعيد بن عبد الله ج ١

ص ٣٤١

أبو شجاع فاتك ج ٢ ص ٥١

أبو شعيب القلال ج ٢ ص ٣٤٧

أبو طالب ج ٣ ص ٢٤٤

أبو الطيب المتنبي ج ١ ص ١٥

٢٢ ، ٣٨ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٧

٨٥

أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي

البحري ج ١ ص ١٤ ، ١٥ ، ٣٢ ، ٥٤

أبو العباس بن بسطام ج ٣ ص ١٤٩

أبو العباس عبد الله بن طاهر بن

الحسين ج ١ ص ١٥٢ ، ٣٤٦

٣٦٠ ، ج ٢ ص ٢٥١ ، ج ٣

ص ٢٣٥

أبو العباس محمد بن يزيد بن

عبد الأكبر المبرد ج ٢ ص ١٢

ج ٣ ص ١٠٥

أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد ج ١

١٣١ ، ٣٧٣ ، ج ٢ ص ٢٣

١٥٠ ، ج ٣ ص ٢٥٢

أبو عبد الله محمد بن زياح ج ٣ ص ٢٧٣

أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادی

ج ١ ص ٣٢

أبو عبد الله الفاتلي ج ٢ ص ٥

أبو عبد الرحمن بن أحمد البصري

بالقاضي ج ١ ص ١٨ ج ٢ ،

الفرهودي ج ١ ص ٤٨

ص ١١٠

أبو علي الحاتمي ج ١ ص ٣٤٢

أبو عبد الرحمن السلمي ج ٢ ص ٢٦٨

أبو علي الحسن بن أحمد بن

أبو عبد الرحمن الهذلي المكي =

عبد الغفار بن أبان الفارسي

عبد الله بن مسعود بن الحارث .

ج ٢ ص ١٦٢

أبو عبيد الله محمد بن عبد الله

أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن

القاضي الأنطاكي ج ٣ ص ٢١

ابن سينا ج ٢ ص ٦٠٥ ،

أبو عبيدة بن الجراح ج ١ ص ٥١ ،

أبو علي الفارسي ج ٢ ص ٨٤ ،

٦٧ ، ٢٠٤ ، ج ٢ ص ٣١٤

١٤٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،

أبو عبيدة (معمر بن المثنى) ج ٣

١٧٠

ص ٢٧٢

أبو علي الفارسي = أبو علي الحسن بن

أبو عثمان الجاحظ ج ١ ص ١٧ ،

أحمد بن عبد الغفار .

١٨ ، ٣٥ ، ٨٢ ج ٢ ص ١٣ ، ٢١ ،

أبو عمر الجري ج ٢ ص ٢٢

٣٤٧ ج ٣ ص ٧٠ ، ٢١٢

أبو عمرو بن العلاء ج ١ ص ٤٧ ،

أبو عثمان المازني ج ١ ص ١٢ ،

ج ٢ ص ٣٠٣ ، ج ٣ ص ٢٧١

١٧ ، ٥١ ، ج ٢ ص ٣٤٧

أبو العميثل ج ١ ص ٣٥٨

أبو المشائر الحسين بن علي بن

أبو غالب أحمد بن المدبر ج ٣ ص ٢٤٨

حمدان ج ١ ص ١٤٩ ، ٤٠٢ ،

أبو الفوث بن أبي عبادة البجترى

ج ٣ ص ١٠٥

ج ٣ ص ٢٧٤

أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري

ج ١ ص ١٧ ، ٣٦ ، ٤١١

ص ٥٥ ، ٢٣٨ ، ٢٧٧ ، ج ٢

ص ٤ ، ١٨٠ ، ج ٣ ص ٢١٣

أبو الفوارس ج ١ ص ٣٤٠ ، ج ٢
ص ٢٧

أبو القاسم التنوخي ج ١ ص ٣٥
أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي
ج ١ ص ١٨ ، ٣٥ ، ج ٢ ص
١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣

أبو القاسم طاهر بن الحسين ج ٣
ص ٢٩١

أبو القاسم علي بن أفلح ج ١ ص ٤١
أبو القاسم الفردوسي ج ٤ ص ١٢
أبو القاسم = محمود بن عمر الزنجشیری
أبو كبير الهذلي ج ١ ص ٨٤

أبو لهب ج ١ ص ١٥٩ ، ج ٣ ص ٨٠
أبو محمد الأعرابي ج ٢ ص ٣٢١
أبو محمد = الحجاج بن يوسف الثقفي

أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج
ج ٣ ص ١٢٦ ، ٢٨٤

أبو محمد الحسن بن علي المضبي ، ابن
وكيع التنيسي : ج ٢ ص ١٢٣

أبو الفيث الرافقي ج ٣ ص ٩١٣ ،
٢٥٧

أبو الفتح بن جني ج ١ ص ١٧ ،
٧٩ ، ١٢٩ ، ٤٠٨ ، ٤١٣ ،
٤١٤ ، ج ٢ ص ٦٧ ، ٨٥ ، ٦٩ ،
٨٦ ، ١٠٨ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ،
١٨١ ، ٢٤٩ ، ج ٣ ص ٤٥

أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم
ابن الأنير ج ١ ص ٣٠

أبو الفرج الأصفهاني ج ١ ص ١٧ ،
٣٦٧ ، ج ٣ ص ١٠٦

أبو الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي
ج ٢ ص ٦١ ، ج ٣ ص ١٧١ ،
٢٣٤

أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن
إبراهيم الميداني النيسابوري ج ١
ص ٦١

أبو الفضل بن بشر ج ٣ ص ١٣٦
أبو الفضل الربيع بن يونس وزير
المنصور ج ١ ص ٣٤٦

أبو الفضل محمد بن العميد ج ١

ابن كعب بن قيس
 أبو منصور الجواليقي ج ١ ص ١٧ ،
 ٢٥٦ ، ج ٢ ص ١٢٤
 أبو موسى الأشعري ج ١ ص ٦٤ ،
 ٦٥ ، ج ٣ ص ٩٦
 أبو الندى ج ٢ ص ٣٢١
 أبو نصر بن عضد الدولة وتاج الملة
 ج ١ ص ٢٨٧
 أبو نصر محمد بن حميد الطائي ج ١
 ص ٣٤٢ ، ج ٣ ص ١٠٤
 أبو نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد
 الطوسي ج ٢ ص ١٣٦
 أبو نواس ج ١ ص ١٧ ، ٢٢ ، ٥٢ ،
 ٥٤ ، ٢٥٠
 أبو هريرة ج ١ ص ١٩٧ ، ج ٢
 ص ٢٦٨
 أبو هلال العسكري ج ١ ص ١٨ ،
 ٢٧ ، ١٠٩ ، ٣٦٤ ، ج ٢
 ص ٧ ، ١٧ ، ٦٧ ، ١٣٤ ،
 ٣١٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ،
 ٣٥٩ ، ج ٣ ص ٣٥ ، ١٦٩ ،

أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي
 ج ١ ص ١٨ ، ج ٢ ص ١٠٩ ،
 ج ٣ ص ٢١٢
 أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب
 ج ١ ص ٤٣ ، ١٠٤
 أبو محمد عبد الله بن المقفع ج ٣
 ص ٢٣٧
 أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن
 محمد بن حمديس ج ٢ ص ١٤
 أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن
 عثمان الحريري ج ١ ص ٤١ ،
 ٤٢ ، ٤٣
 أبو محمد المظفر عضد الدين بن محمد
 ابن علي بن زهير الدمشقي ج ٢
 ص ١٦١
 أبو المستهل محمد بن شقيق الطائي
 ج ٢ ص ٨٠
 أبو مسلم الخراساني ج ٣ ص ٥٥
 أبو المكارم بن منصور الباشنای
 الموصلی ج ٢ ص ١٦١
 أبو المنذر الأنصاري المدني = أبيّ

أحمد (بن شيخ) ج ٣ ص ٢٥٩
 أحمد بن عبد الله الأنطاكي ج ١ ص
 ٢٣٩
 أحمد بن عبد الكريم الطائي ج ١
 ص ٣٨١ ، ج ٣ ص ٢٥٨
 أحمد بن علي ج ١ ص ١٧٠
 أحمد بن عمران ج ٣ ص ٧١ ،
 ٢٩٢ ، ج ٤ ص ٣
 أحمد بن المدبر ج ٢ ص ٧٨ ، ج ٣
 ص ١٩٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨
 أحمد بن المعتصم ج ١ ص ٣٥٣ ،
 ج ٢ ص ٢٣ ، ج ٣ ص ٢٢٠
 أحمد ، معز الدولة ج ٢ ص ٥١
 أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري
 ج ١ ص ٦٠
 أحمد بن يحيى المعروف بشعرب ج ١
 ص ١٨ ، ٣٥١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٧
 أحمد بن يوسف الكاتب ج ٢ ص ٣٠٧
 الأحنف بن قيس ج ٣ ص ٨٠ ، ٢٢٠
 الإخشيد سيد كافور ج ٣ ص ١٠٤
 الأخفش ج ١ ص ٣٦
 الأخنس بن شريق الثقفي ج ٣ ص ٢٤٩
 أردشير ج ١ ص ٦٠

٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٨ ،
 ٢٥٧
 أبو هلال العسكري = الحسن بن
 عبد الله بن سهل بن سعيد .
 أبو الهيجاء بن حمدان ج ٢ ص ٥٢
 أبو الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة
 ج ٣ ص ٢٦٧
 أبو وائل تغلب بن داود ج ٢
 ص ١٣٧ ، ج ٣ ص ٢٤١
 أبو يحيى علي بن عيسى بن ماهان
 ج ٢ ص ٣٣٧
 أبي بن كعب بن قيس ج ٢ ص ٢٦٨ ،
 ٣٠٧
 أتابك زنكي ج ٣ ص ٢٦٠
 أحمد بن أبي دواد ج ١ ص ٣٣٩ ،
 ج ٢ ص ١٠٢ ، ١٣٨ ، ج ٣ ص ٢٣ ،
 ١٦٩ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢
 أحمد بن إسماعيل بن شهاب ج ٣
 ص ١٢٦
 أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٥١ ، ج ٣
 ص ٧٧

ص ٢٠٩ ، ٢٤٦ ، ٢٧٢
الأصمى = أبو سعيد بن عبد الملك
ابن قريب بن عبد الملك الأصمى.
الأعشى ج ١ ص ٢١
الأفشين ج ١ ص ٣٥٤ ، ج ٣ ص ١٧٥ ،
٢٨٢
أفلاطون ج ١ ص ٨٣ ، ٢٢٩
أقليدس ج ٣ ص ١٧٠
أم حصن بن حذيفة ج ٢ ص ٣٢١
أم سلمة بنت أبي أمية ج ٢ ص ٣٣٦
أم عمرو ج ٢ ص ١٦٦
أم موسى (زوجة الرشيد) ج ٣ ص ١٨٠
الإمام الطائع ج ١ ص ٧١ ، ٣٣٢
امروء القيس ج ١ ص ٢٢ ، ٢٩ ،
٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥
الأمين ج ١ ص ٥٢ ، ج ٢ ص ٣٣٧ ،
٣٧٢ ، ج ٣ ص ١٠١ ، ١٨٠ ،
١٨٣ ، ج ٤ ص ٣
أنجشة ج ٣ ص ٤٤
أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم
ابن زيد ج ١ ص ٨١ ، ج ٢
ص ٣٢٩

أرسطاطاليس ج ١ ص ٢٢٩
أسامة بن منقذ ج ١ ص ١٨٠ ، ج ٣
ص ٧٨
إسحاق عليه السلام ج ١ ص ٨٠
إسحاق بن إبراهيم المصعب ج ١ ص
٦١ ، ٣٤٦ ، ج ٣ ص ١٠٠ ،
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٤
إسحاق بن كندج ج ٣ ص ٢٥٥
أسد بن عبد الله القسري ج ٢ ص ٢٢٨ ،
٢٢٩
أسد الدين ج ٢ ص ٥٠ ، ٥١
أسماء بنت أبي بكر ج ٢ ص ٣٩
إسماعيل عليه السلام ج ١ ص ٨٠
إسماعيل بن أبي سهل بن يوحنا ج ١
ص ١٥٦
إسماعيل بن شهاب ج ١ ص ١٦٨ ،
٢٤٠
إسماعيل بن القاسم ج ١ ص ٢٤٩
أشجع بن عمرو السلمي ج ١ ص ٣٩٤ ،
ج ٣ ص ٢٥١
الأصمى ج ١ ص ٥١ ، ٢٥٨ ، ج ٣

البرقيدي ج ٣ ص ١٣٥ ، ١٣٦
برة بنت عبد المطلب بن هاشم ج ٢
ص ٣٣٩

بروكلمان ج ٣ ص ٢٢٩
بشر ج ١ ص ٢٢٧
بشر بن سفيان الكعبي ج ٣ ص ٢٣
بشر (بن عوانة) ج ٣ ص ٢٨٨
البطليوسي = أبو بكر عاصم بن أيوب
البطليوسي :

البفدادى ج ٢ ص ٣٢١
بكر بن محمد بن بقية ج ١ ص ٥١
البلاذرى أبو الحسن أو (أبو بكر) =
أحمد بن يحيى بن جابر .
بلال بن أبي بردة بن أبي موسى
الأشعري ج ٢ ص ١٥٩ ، ج ٤ ص ٣
بلعاء بن قيس ج ٢ ص ٣١

بلقيس ج ١ ص ١٨٥ ، ج ٢ ص ٢٩١
بورور ج ٢ ص ٥١
بوران ج ١ ص ٧١

(ت)

تاج الملوك بوري ج ٢ ص ٥٠
تأبط شرا ج ١ ص ٢٢

أنوشروان ج ٢ ص ١٠ ، ٣١٢
أنيس المقدسى ج ٢ ص ٣٩٧
أوس بن لام ج ٢ ص ٢١٦ ، ٣٤٢ ،
٣٤٣

إياس بن الأثر ج ٢ ص ٢١٦ ، ج ٣
ص ١٨٤ ، ٢٢٠

(ب)

بابك الخرمي ج ٣ ص ١٠٤
باقل ج ١ ص ١٩٢ ، ج ٣ ص ٢٧٢
البحترى = أبو عبادة
بدر بن عمار ج ١ ص ٢٢٩ ، ج ٢
ص ٢٦ ، ٢٩ ، ١٠٦ ، ٣١٦ ،
ج ٣ ، ص ١٩٣ ، ٢٨٦ ، ج ٤
ص ١١

بدر الدين أبو الفضائل النورى ج ١
ص ٣١

بدوى طبانه ج ١ ص ٣٩٦ ، ج ٢
ص ١١٠ ، ٣٣٢

بديل بن ورقاء ج ٢ ص ٣٤١ ، ج ٣
ص ٦٤

- التبريزي ج ١ ص ٩١ ، ٢٤٧ ، ج ٢
ص ٣١٠
- تدوس المطار ج ١ ص ٥٣
- تقلب بن داود الخارجي ج ٣ ص ٢٤١
- تماضر ج ٢ ص ١٠١
- التوزي ج ٣ ص ٢٠٩
- توما ج ٣ ص ٢١٥
- (ث)
- ثعلب = أحمد بن يحيى المعروف
بثعلب .
- (ج)
- جابر ج ٢ ص ٢٩٨
- الجاحظ = أبو عثمان الجاحظ .
- جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن
أحمد الزمخشري ج ٢ ص ١٧١ ،
١٧٢
- جبريل عليه السلام ج ١ ص ١٩٦ ،
ج ٢ ص ٢٠٥ ، ٢١٦ ، ج ٢ ص ٣٤١
- جمير بن مطعم ج ٣ ص ١٠٧
- جثامة بن قيس ج ٢ ص ٣١٠
- جذيمة الأبرش ج ٢ ص ٩٤
- جذيمة الوضاح ج ١ ص ٢٨٠
- جرير بن الخطفي ج ١ ص ٩١ ، ٤٧ ،
ج ٢ ص ١٠٢
- جرير بن عبد الله البجلي ج ١
ص ٣٤٣
- جزء بن كليب الفقمسي ج ١ ص ٩١
- جساس ج ٢ ص ١٥ ، ١٦
- جعفر بن علي ج ١ ص ١٧٠ ، ج ٢
ص ٢٩١
- جعفر بن كلاب بن ربيعة ج ١
ص ٨٣
- جعفر بن يحيى ج ٣ ص ١٠٠
- جعونة بن شعوب الشجعي ج ١
ص ٥٠
- جمال الدين بن الحسن بن سليمان
ج ٣ ص ١٧٦
- جميل سميد ج ١ ص ١٨

(ح)

حاتم ج ٢ ص ٢١٦ ، ٣٠٧ ، ج ٣
ص ٢٢٠

الحاجب مجاشن بن عجم ج ١ ص ٣٠
حارثة ج ٢ ص ٢١٦

حاطب بن أبي بلتعة ج ٣ ص ٢٥ ،
٢٦

الحامض ج ١ ص ٣٦
الحباب بن المنذر الأنصاري ج ١
ص ٦٧

الحباحب ج ٢ ص ٣٣٢
حبيب بن أوس الطائي = أبو تمام
حبيش بن المعافى ج ٣ ص ١٥

الحجاج بن يوسف ج ١ ص ٣٠١ ،
٣٩٠ ، ج ٢ ص ٢٠ ، ٩٨ ، ٢٧٠ ،

٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ج ٣
ص ١٤٥

حجر بن الحارث الكندي ج ١
ص ٢٤٣ ، ٢٤٤

حجة الإسلام = محمد بن محمد بن

محمد بن أحمد الغزالي .

حدراء ج ١ ص ٢٦٠

حذام ج ١ ص ١٤

حرب بن أمية ج ١ ص ٤٠١

الحريري ج ١ ص ٣٦٢ ، ج ٣
ص ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٢١٠ ،
٢١١

الحسن البصري ج ٣ ص ١٦٩

الحسن بن رجاء ج ٢ ص ٢٤ ، ج ٣
ص ١٦١

حسن ، ركن الدولة ج ٢ ص ٥١

الحسن بن سهل ج ١ ص ٧٩ ، ج ٢

ص ١١٠ ، ١٤٤ ، ج ٣ ص ٤٩

الحسن بن عبيد الله بن طفج ج ٣
ص ٢٨٤

الحسن (بن علي) ج ٣ ص ٨٠

الحسن بن هانيء بن عبد الأول بن

الصباح ج ١ ص ٥٢

الحسن بن وهب ج ١ ص ١٢٢ ،

٢٣٦ ، ج ٢ ص ٢٦٤ ، ج ٣

ص ١٤٨

ج ٢ ص ٢٤ ، ١٠٢ ، ٢٢٨ ، ٤

ج ٣ ، ٢٧١ ، ٣٠٧ ، ٣٤٨ ، ٣

ص ٢٨ ، ٨٣ ، ١٤٧

خديجة ج ١ ص ١٩٩

خريم الناعم ج ٢ ص ٣٠٧

الخصيب ج ٢ ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٤

١٥٢ ، ١٥٦ ، ج ٣ ص ١٢٤

الحضر ج ١ ص ١٧٦ ، ١٨٧

الحفاجي ج ٢ ص ١١٢

الخليفة الطائع ج ١ ص ٣٠١

الخليل بن أحمد ج ١ ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٤

ج ٢ ص ٣٠٨ ، ٣١٤

الخوارزمي ج ٢ ص ١٠ ، ج ٣

ص ٧١

الخيران (جدة الأمين) ج ٣

ص ١٨٠ ، ١٨١

(د)

داود ج ٢ ص ٢٩١ ، ٢٩٢

داود بن حاتم بن خالد بن المهلب

ج ٢ ص ١٤٥

داود بن سلم ج ٣ ص ١٩٥

الحسين بن إسحاق التنوخي ج ١

ص ٢٥٥

الحسين بن الضحاك ج ٣ ص ٢٣٢

الحسين بن علي ج ١ ص ١٧٠ ،

٢٨٧ ، ج ٢ ص ٢٦٤ ، ج ٣

ص ١٠٧

الحسين بن مومي ج ١ ص ٢٩٢

حفص بن عمر الأزدي ج ١ ص ٣٤٣

حكيم بن حزام ج ٢ ص ٣٤١

الحكيم الكندي ج ٣ ص ٢٢٠

حمدان ج ٢ ص ٥٢

حمزة بن عبد المطلب ج ٣ ص ١٠٧

حميد بن عبد الحميد الطوسي ج ٣

ص ١٤٨ ، ٢٣٩

(خ)

خالد بن عبد الله القسري ج ١

ص ١٦٦

خالد بن الوليد ج ١ ص ٨٢ ، ج ٣

ص ٢٢٦

خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني :

ج ١ ص ٣٤٤ ، ٣٩٨ ، ٤٠٧ ، ٤

الرشيد هارون ج ١ ص ٥٢ ، ١٦٧

ج ٢ ص ١٤ ، ٢١

ج ٣ ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٨٣ ،

١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٤١٠ ، ٢٤٥

ركن الدولة بن بويه ج ٢ ص ٤

الرماني = أبو الحسن علي بن

عيسى الرماني .

رملة ج ٣ ص ٧٣

روزبة = عبد الله بن المقفع

رطا ج ٢ ص ١٦٤

(ز)

زبد ج ٢ ص ٣٢٨

الزرقان بن بدر ج ١ ص ٣٥٦

زبيدة (أم الأمين) ج ٣ ص ١٨١

الزيدى ج ٢ ص ٣٤٧

الزير بن صفية ج ٣ ص ١٨٢

الزير بن العوام ج ٢ ص ١٨٦ ،

١٨٨ ، ٢٨٥ ، ج ٣ ص ٢٤ ،

٢٦

الزجاج ج ١ ص ٣٦

داود الظاهري = أبو سليمان داود

ابن علي بن خلف الأصماني ،

المعروف بالظاهري .

داود بن يزيد بن حاتم بن المطلب

ج ٢ ص ٩

ديك الجعن = عبد السلام بن

رغبان .

دينار بن عبد الله ج ٤ ص ١١

(ذ)

ذو اليمينين ج ٢ ص ٣٣٨

(ر)

رافع ج ٢ ص ٢١٦ ، ٣٤١

الربيع بن زياد الحارثي ج ١ ص ٦٤ ،

٦٥ ، ٣٢٧

ربيعة خاتون ج ٢ ص ٥٠

ربيعة بن سفيان ج ٢ ص ٢٤٥

ربيعة بن عبيد بن سعد بن جذيمة

ج ١ ص ٣٨٠

ربيعة الفرس ج ١ ص ٤١

رزيق بن ماهان ج ٢ ص ٣٣٧

زرعة بن عبد الرحمن ج ٢ ص ٣٠٥
 زليخا (امرأة العزيز) ج ٤ ص ١٢
 الزمخشري = جار الله أبو القاسم
 محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري .
 زياد بن أبي سفيان ج ١ ص ٤٧ ،
 ج ٢ ص ٩٩ ، ج ٣ ص ٧٣ ،
 ١٧١
 زياد بن أبيه ج ٢ ص ١٢٠
 زياد بن المهبولة ج ٢ ص ١٩٨
 زيد ج ٢ ص ٢١٦
 زيد بن علي زين العابدين بن الحسين
 ج ٣ ص ١٠٧
 زينب ج ١ ص ٨١ ، ج ٢ ص ٢١٤
 (س)
 سابور بن أردشير الماهي ج ٢
 ص ٥١
 سالم بن عبد الله بن عمر الأخباري
 ج ٣ ص ٢٤٣
 سبكتكين ج ١ ص ٣٢٢
 صت الشام ج ٢ ص ٥٠
 سحبان وائل ج ٤ ص ١٩٣
 سديد الملك ج ٣ ص ٩٢
 السريحي (المفتي) ج ٣ ص ٢٣٣
 سطيج ج ١ ص ٢٧٤
 سعد أبو إسحاق = سعد بن أبي
 وقاص .
 سعد بن أبي وقاص ج ٢ ص ٣٢٨
 سعد بن زيد ج ٣ ص ٢٢٦
 سعد بن قرط ج ٣ ص ١٤٢
 سعيد بن جبير ج ٣ ص ١٤٥
 سعيد بن عبد الله بن الحسن السكلابي
 المنبجي ج ٣ ص ١٣٨
 سعيد بن عبد الرحمن ج ٣ ص ٦٩
 سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش
 الأوسط ج ٢ ص ٣٠٨
 السفاح (الخليفة) ج ٣ ص ٨٩ ،
 ج ٢ ص ١٠٦
 السكاكي ج ١ ص ٢٠
 سلمان الفارسي ج ١ ص ١٥٩
 سلمى ج ١ ص ٣٤٥ ، ج ٣ ص ٤٥
 سلول بن مرة ج ٢ ص ٢٧٠

زرعة بن عبد الرحمن ج ٢ ص ٣٠٥
 زليخا (امرأة العزيز) ج ٤ ص ١٢
 الزمخشري = جار الله أبو القاسم
 محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري .
 زياد بن أبي سفيان ج ١ ص ٤٧ ،
 ج ٢ ص ٩٩ ، ج ٣ ص ٧٣ ،
 ١٧١
 زياد بن أبيه ج ٢ ص ١٢٠
 زياد بن المهبولة ج ٢ ص ١٩٨
 زيد ج ٢ ص ٢١٦
 زيد بن علي زين العابدين بن الحسين
 ج ٣ ص ١٠٧
 زينب ج ١ ص ٨١ ، ج ٢ ص ٢١٤
 (س)
 سابور بن أردشير الماهي ج ٢
 ص ٥١
 سالم بن عبد الله بن عمر الأخباري
 ج ٣ ص ٢٤٣
 سبكتكين ج ١ ص ٣٢٢
 صت الشام ج ٢ ص ٥٠

ص ٣٩ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٨٧ ،
 ٨٨ ، ١٠٥ ، ١١٨ ، ١٢٤ ،
 ١٢٥ ، ١٣٥ ، ١٦٥ ، ١٩٣ ،
 ١٩٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ،
 ٢٤٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٨٣ ،
 ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،
 سيف الدين بن نجم الدين أيوب :
 ج ٢ ص ٥٠

(ش)

الشافعي ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٨ ،
 ج ٢ ص ٩٠ ، ٣١٨ ، ج ٣
 ص ٥١ ، ٧٧ ، ٧٨ ،
 شاه رمان ج ١ ص ٣٣٢
 شاه شاه ج ٢ ص ٥٠
 شاهنشاه جلال الدولة أبي طاهر بن
 بويه ج ٣ ص ١٠٧
 شبيب الخارجي ج ٣ ص ٧٦ ، ٧٧
 شجاع بن محمد الطائي المنبجي ج ٣
 ص ١٥٠
 شرف الدولة ج ٣ ص ١٣٦
 شريح الحضرمي ج ١ ص ٧٧

سليمان عليه السلام ج ١ ص ١٧٥ ،
 ١٧٦ ، ١٨٥ ،
 سليمان بن عبد الملك ج ٣ ص ٧٠ ،
 ١٠٦ ، ٢٠٢ ،
 سليمان بن فهد الأزدي ج ٢ ص ٥٨٤ ،
 ١٠٨ ، ج ٣ ص ١٣٥ ، ١٣٦ ،
 سليمان بن وهب ج ٢ ص ١١٨ ،
 ٢٩١ ، ٢٩٣ ،
 السموءل بن عاديء ج ١ ص ٢٤٥
 سمية جارية الحارث بن كلدة ج ١
 ص ٤٧
 سيبويه ج ١ ص ٤٨ ، ٥١ ، ج ٢
 ص ٣٠٨ ، ٣١٤ ،
 سيف الإسلام بن نجم الدين أيوب
 ج ٢ ص ٥٠
 سيف الدولة أبو الحسن علي ج ٢
 ص ٥٢
 سيف الدولة بن حمدان ج ١
 ص ١٦ ، ٥٤ ، ١٣٤ ، ٢٥٨ ،
 ٣٨٢ ، ٤٠٠ ، ج ٢ ص ١٠ ،
 ٢٦ ، ٢٨ ، ١٠٦ ، ١٣٥ ،
 ١٣٧ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ج ٣

صاعد بن مخلد ج ٣ ص ١٢٧ ،
ص ٢٥٧

صفية بنت عبد المطلب ج ٣ ص ٢٦٦ ،
١٨٢

صلاح الدين يوسف بن أيوب ج ١
ص ٩ ، ٢٠ ، ج ٢ ص ٥٠ ،
٥١ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٤٢ ،
٣٠١ ، ٣٢١ ، ٣٧٤ ، ج ٣

ص ٢٢٤

الصولي = محمد بن يحيى

(ض)

ضبة بن أدلم ج ١ ص ١٣٠

ضمضم الجاشعي ج ٣ ص ١٧٦

ضياء الدين بن الأثير ج ١ ص ٣ ،

٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ،

١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ،

١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ،

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،

٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٦

الشريف الرضي ج ١ ص ٧١

الشريف المرتضى ج ٢ ص ٦٦

شريك النمرى ج ٣ ص ٩٤ ، ٩٥

شقران مولى بنى سلامان بن سعد

ج ١ ص ٩٥

شكري فيصل ج ٣ ض ٢٦٠

شمر ج ٢ ص ٣٩

شمس الدين بن صاحب تكريت

ج ٢ ص ٦٢

شن بن أفضى ج ٣ ص ٩٢

شيبة ج ٢ ص ٥٧

(ص)

الصابي ج ١ ص ٢٧٨ ، ٢٨٢ ،

٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٠١ ،

٣٠٢ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ج ٢

ص ٤ ، ج ٤ ص ٩

الصابي = أبو إسحق إبراهيم بن

هلال الصابي .

الصاحب بن عباد ج ١ ص ١١ ،

٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٤٠٧ ، ج ٢

ص ٥١ ، ج ٣ ص ٧١

(ط)

ظه ج ٢ ص ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ،
٢٩٣ ، ٣١٠ ، ٣٤٨

طاهر بن الحسين ج ٢ ص ٣٣٧ ،
٣٣٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ج ٣

ص ٢٩١

الطائع (الخليفة) ج ٣ ص ١٠٩

طلائع بن رزيك ج ٣ ص ٢٢٤

طاحنة الطلاحات الخزاعي ج ٢ ص ٣٢٧

طاحنة بن محمد بن جعفر ج ١ ص ٦٠

طهفة بن أبي زهير النهدي ج ١

ص ٢٣١

طويس (المغني) ج ٣ ص ٢٣٣

(ظ)

ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل

ج ١ ص ٤٦

(ع)

عاتكة بنت شهدة ج ١ ص ١٩٧

عارف ج ٢ ص ٢١٦

عاصم ج ٢ ص ٣٠٩

العاقد ج ٢ ص ٣٧٤

عامر بن لؤي ج ٣ ص ٦٤

عائشة أم المؤمنين ج ١ ص ١٩٩ ، ٢٠٥ ،

٢٠٦ ، ج ٣ ص ٦٠ ، ٦٥

عائشة بنت طاحنة ج ٢ ص ٦٠

العباس : ج ١ ص ٢٤٩ ، ٣٢١ ،

ج ٢ ص ١٩ ، ٢٩ ، ٢٤٨

العباس بن عبد الله بن أبي جعفر

المنصور : ج ٢ ص ٧٩

العباس بن عبيد الله ج ٣ ص ١٧٦ ،

٢٨٢

العباس بن عبد المطلب ج ٢

ص ٣٩١

العباس بن الفضل بن الربيع ج ٣

ص ١٧٩

عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي

ج ١ ص ٤٧

عبد الله بن بديل ج ٢ ص ٣٤١

عبد الله بن جدعان ج ٣ ص ٢٤٦

عبد الله بن دينار ج ٣ ص ٢٨٥

عبد الله بن الزبير ج ٢ ص ٣٩ ، ١٠٠

عبد الله بن السفاح ج ٣ ص ١٨٣

عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان

ج ٣ ص ١٣

عبد الله بن مسعود بن الحارث ج ٢

ص ٣٠١

عبد الله بن المعتز ج ١ ص ١٩

عبد الله بن المقفع ج ٢ ص ٢٣٧

عبد الله بن همام السلولي ج ٣ ص ١٧١

عبد الحميد بن يحيى الكاتب ج ٢

ص ٤

عبد الرحمن بن أخى الأصمى ج ٢

ص ٣٤٧

عبد الرحمن بن نباتة ج ٣ ص ٢٠٤

عبد الرحيم بن على اليبسانى ج ١

ص ٨، ٩، ٣٠، ٦٥، ٦٦، ٦٧،

ج ٢ ص ٣٧٤

عبد الرحيم بن نباتة ج ١ ص ٣٦٣

عبد السلام بن رغبان ج ١ ص

١٧٠، ج ٢ ص ١٠١

عبد الصمد بن عبد الأعلى ج ٣

ص ٦٩

عبد الصمد بن الفضل بن عيسى

الرقاشى ج ١ ص ٢٧٥

عبد الله بن سلام ج ١ ص ٢٧٣،

ج ٢ ص ٦٥

عبد الله بن مسلم السهمى ج ١

ص ٢٥٥

عبد الله بن سيف الدولة ج ٣ ص

٦١، ٢٦٧

عبد الله بن الصمة ج ٢ ص ٢٠٧

عبد الله بن طاهر بن الحسين ج ١

ص ٣٥٨، ج ٢ ص ٢٢، ج ٣

ص ١٢٢، ٢٣٥، ٢٥٦

عبد الله بن عامر ج ٣ ص ٧٣

عبد الله بن عباس ج ١ ص ٣٥٧

عبد الله بن عبد الأسد = أبو سلمة

ابن عبد الأسد بن هلال

الحزومى .

عبد الله عبد الكريم الطائع لله ج ١

ص ٣٠٢

عبد الله بن عبد الملك ج ٣ ص ١٩٥

عبد الله بن على ج ٣ ص ٢٥٠

عبد الله بن عمرو بن العاص ج ٣

ص ٦٥، ٦٦

عبد الله بن عيَّاش ج ٢ ص ٢٦٨

- عبد القاهر الجرجاني ج ١ ص ٢١٤ ،
٢١٥ ، ٣٨٤ ، ج ٢ ص ٦٧ ، ٧٢
عبد الكريم بن أبي العوجاء ج ٣
ص ٢٣٧
عبد المسيح بن بقليلة ج ١ ص ٨٢
عبد الملك بن مروان ج ١ ص ٢٥٥ ،
ج ٢ ص ٢٠ ، ٦٠ ، ١٠٠ ،
ج ٣ ص ٩٨
عبيد الله بن خراسان الطرابلسي
ج ١ ص ٤٠٨
عبيد الله بن زياد ج ٣ ص ١٧٦
عبيد الله بن العباس ج ٣ ص ١٩٥
عبيدة بن سفيان بن العاص ج ٢
ص ١٨٦
عقب ج ١ ص ٢٥٠
عتبة بن أبي عامر ج ٢ ص ٢٣ ،
٥٧
عثمان بن جني ج ٢ ص ٢٩٦
عثمان بن عفان ج ١ ص ٦٤ ، ٨٢ ،
١٤٧ ، ج ٣ ص ٢٥ ، ٢٦ ،
٧٣ ، ١٤٥ ، ١٩١
عدوان ج ٢ ص ١٨٧
عرابة بن أوس ج ٤ ص ٣
عروة بن حزام ج ٢ ص ٣٤٥
عز الدولة بنختيار بن معز الدولة بن
بويه ج ١ ص ٧١
عز الدولة أبو منصور بن معز الدولة
أبي الحسين ج ١ ص ٣٠٢ ،
٣٠٣ ، ٣٣٢
العزيز ج ١ ص ١٧٣ ، ج ٢
ص ٣٧٤
المسكري = أبو هلال المسكري .
عضد الدولة أبو شجاع بن بويه ج ١
ص ٨٥ ، ٣٣٢ ، ٣٤٠ ، ٣٩١ ،
ج ٢ ص ٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٨٢ ،
١٠٧ ، ١٦٢ ، ٢٩٨ ، ج ٣
ص ٢٤٨ ، ٢٤١
عقيد ج ١ ص ١٦٧
عقيل ج ١ ص ٢٨٠
علي بن إبراهيم التنوخي : ج ٢

العماد الأصهباني ج ١ ص ٤٠٤ ،

ج ٣ ص ٢٥٩ ، ٢٦٠

عماد الدين زنكي (الأتابك) :

ج ٢ ص ٥١

عمر بن الخطاب ج ١ ص ٤٧ ،

٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ،

٣٢٧ ، ٢٩٦ ، ٣٩٧ ، ج ٢ ص

٢١٢ ، ٢٤٨ ، ٣٠١ ، ٣٢٨ ،

٣٢٧ ، ٣٥٤ ، ٣٨٣ ، ٣٩٣ ،

ج ٣ ص ٦٥ ، ٧٣ ، ١٨٢ ، ٢٤٠ ،

عمر بن سليمان الشراي ج ١ ص ٤١٠

عمر بن عبد العزيز ج ٣ ص ١٨٢ ،

عمر بن عبد العزيز الطائي ج ٣ ص ٢٥٥

عمر بن عثمان ج ٣ ص ٧٣

عمر بن هبيرة ج ٣ ص ٩٤ ، ٩٥

عمرو بن الحارث الأصغر ج ٣

ص ٢٨٩

عمرو بن ربيعة ج ٢ ص ١٩٨ ،

٢٥٩

عمرو بن العاص ج ٣ ص ٦٥ ،

٩٦ ، ٢٢٠

ص ١٥٢ ، ج ٣ ص ٢٥٦ ، ١٣٧

علي بن أبي طالب ج ١ ص ٤٦ ،

٨٢ ، ٣٠٠ ، ٣٥٧ ، ج ٢ ص

٢١٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥ ، ٣٧٠ ، ج ٣

ص ١٤٥ ، ٢٢٦ ، ٢٦٠ ، ١ :

علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي

ج ٣ ص ٢٦١ ، ٢٦٢

علي بن أحمد المري الخراساني ج ٣

ص ٢٦٤

علي بن الحسين ج ٣ ص ١٩٥

علي بن حمزة ج ١ ص ٤١٣

علي بن عبد الله ج ٢ ص ١٤١

علي بن عبد العزيز الجرجاني ج ٣

ص ٢١٨ ، ٢٢٢

علي ، عماد الدولة ج ٢ ص ٥١

علي بن عيسى بن ماهان ج ٢ ص

٣٣٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤

علي بن المبارك ج ١ ص ٤٧

علي بن محمد بن سيار التميمي ج ٣

ص ٢٤٢

علي بن نصر الجهمي ج ١ ص ٤٨

علي بن يوسف ج ٢ ص ٥٠

أحمد الفزالي ،

غسان بن ذهل السليطي ج ٣

ص ٢٧٨

(ف)

فاتك الإخشيدى ج ٢ ص ١٦٥ ،

٢٩٤

الفارابي ج ١ ص ٢٢٩

فاطم (فاطمة) ج ٣ ص ٢٨٤

فاطمة بنت رسول الله ج ٢ ص

٢٦٤ ، ج ٣ ص ٨٠

الفائز (الخلفة) ج ٣ ص ٢٢٤

الفتح بن خاقان ج ١ ص ٥٤ ،

٣٤٧ ، ج ٢ ص ٢٠٦ ، ٢٤٨ ،

٣٦٨ ، ج ٣ ص ٣٩ ، ٤٠ ،

١٢٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٨٣ ،

٢٤٧ ، ٢٦٥

نجر الدولة أبو الحسن بن ركن

الدولة . ج ١ ص ٣٠٢

الفراء النخوى ج ٢ ص ٦٣

الفردوسى = أبو القاسم

عمرو بن عثمان بن قنبر = سيويو .

عمرو بن قميئة ج ٢ ص ٢٤٥

عمرو بن مسعدة ج ٣ ص ٧٥

عمرو بن معد يكرب ج ٢ ص ٣٢٨

عنان (جارية النطاف) : ج ١

ص ٢٧١

عنبسة بن معدان المهرى ج ١

ص ٤٧

عياش بن لميعة ج ١ ص ٢٣٥ ،

ج ٣ ص ١٠٢

عيسى بن عمر ج ٢ ص ٣١٤

عيسى (عليه السلام) ج ٣ ص ١٨٢

عيننة بن أسماء الفزارى ج ١

ص ٣٩٠

(غ)

غازى بن يوسف ، الملك الظاهر

ج ٢ ص ٥٠

الغانى = أبو العلاء محمد بن غانم ،

المعروف بالغانى .

الفزالي = محمد بن محمد بن محمد بن

القاضي الفاضل = عبد الرحيم البيساني

قباث بن أشيم ج ٣ ص ١٩١

قباذ (ملك الفرس) ج ٣ ص ١٤٥

قبيصة بن نعيم ج ١ ص ٢٤٣ ،

٢٤٤ ، ٢٤٥

قثم بن العباس ج ٣ ص ١٩٥

قدامة بن جعفر الكاتب ج ١ ص

١٨ ، ٢٧ ، ٣٤٢ ، ٣٥٧ ،

٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ج ٢ ص ٦٧ ،

٣٣٢ ، ج ٣ ص ١٤٣ ، ٢٠٧ ،

٢٠٩

قُدُور ج ٣ ص ١٠١

قرواش (شرف الدولة) ج ٣

ص ١٣٥

قس بن ساعدة الإيادي ج ١ ص

١٩٣

قطرب ج ٢ ص ٣٠٨

قطري بن الفجاءة ج ٢ ص ٣٣٨ ،

٣٣٩

الفرزدق ج ١ ص ٢٢ ، ٢٩ ، ٤٧

فرعون ج ٣ ص ١٨٧

فضالة بن كعدة ج ١ ص ٣٩٧

الفضل بن الربيع ج ٢ ص ٢٥١

الفضل بن سهل ج ٢ ص ٣٣٧ ،

٣٢٨

الفضل بن صالح الهاشمي ج ١

ص ٤٠٠

الفضل بن محمد اليزيدي ج ١ ص ٥١

الفضل بن يحيى ج ١ ص ١٦٧ ،

ج ٣ ص ١٠٠ ، ١٣٨ ، ٢٥٤

فهم ج ٢ ص ١٨٧

فوز ج ١ ص ٢٤٩

(ق)

القاسم بن طوق ج ١ ص ٣٧٣ ،

ج ٢ ص ٣٦٥ ، ج ٣ ص ١٧٥

القاسم بن عيسى المجلي ج ٣ ص ٢٣٥

القاضي الجرجاني = أبو الحسن على

ابن عبد العزيز الجرجاني .

(ل)

لبنى (محبوبة قيس بن ذريح) ج ٣

ص ١٣٨

لبيد بن الأعصم ج ١ ص ٢٠٦ ،

٢٠٧

اللعين المنقري ج ٣ ص ١٩٥

لقمان ج ٢ ص ٣٧١ ، ٣٩٦

لقيط بن زرارة ج ١ ص ٣٦٧

اللقطة = أم حصن بن حذيفة .

لؤلؤ أمير حمص ج ١ ص ٥٤

لويس شيخو اليسوعي ج ١ ص

٣٦٤

الليث بن المظفر ج ١ ص ٤٨

ليلي العقيلية ج ٣ ص ٢٣١

(م)

مأجوج ج ٢ ص ٣٠٩

مالك بن أنس ج ١ ص ١٢٦ ،

١٢٨ ، ٢٤٦ ، ٢٨٠ ، ج ٣

ص ٧٨

مالك (خازن النار) ج ٣ ص ٧٨

مؤلف من

القعقاع بن عوف ج ٣ ص ١٧٦

قمنب بن أم صاحب ج ١ ص ١٥٨

قيس بن ثعلبة ج ٣ ص ٢٠

قيس بن خالد بن ذى الجدين :

ج ١ ص ٣٦٧

قيس بن عبادة ج ٣ ص ٧٤

قيس بن معد يكرب ج ٣ ص ١٧٩

القيسراني ج ٣ ص ٢٥٩

قيصر : ج ٢ ص ٢٥٩

(ك)

كافور ج ١ ص ٣٥٦ ، ج ٢ ص

٢٧٨ ، ج ٣ ص ٧٧ ، ١٠٤ ،

١٠٥ ، ١٥٣ ، ٢٤٧ ، ج ٤

ص ١٠

كسرى ج ١ ص ٢٣٨ ، ج ٢

ص ١٣ ، ٣١٢ ، ٣٤٧ ، ج ٣

ص ٧٥

كعب بن لؤي بن عامر بن لؤي

ج ٢ ص ٣٤١ ، ج ٣ ص ٦٤

كليب ج ٢ ص ١٥

ج ١ ص ٢٢
 محمد صلى الله عليه وسلم ج ١ ص ٩ ،
 ٣٥ ، ٩٤ ، ٢٢٣ ، ٣٠٦ ، ج ٢
 ص ٢٤٨ ، ٣٠٢ ، ٣٨٧ ، ج ٣
 ص ١١١ ، ١٨١ ، ١١٠ ، ج ٤
 ص ١٢
 محمد بن إسحاق التتوخي ج ٣
 ص ١٦١
 محمد (الأمين) ج ٣ ص ٢٥٣
 محمد جمال ج ٣ ص ٢٦٦
 محمد بن حسان الضبي ج ٣ ص
 ١٠٢ ، ٢١٢
 محمد بن الحسن محمد بن علي بن
 حمدون : ج ٢ ص ٢٩
 محمد بن الحسين بن موسى العلوي
 ج ١ ص ٢٨٧
 محمد بن حميد الطوسي ج ٣
 ص ١٨٤ ، ٢٣٩
 محمد بن زياد بن الأعرابي ج ٣
 ص ٢٧٣

زهرة ج ٢ ص ٢٢٨
 مالك بن بشير ج ٢ ص ٢٣٨
 مالك بن طوق ج ١ ص ٣٤٥ ،
 ج ٢ ص ١٤٧ ، ج ٣ ص ٣٥ ،
 ٦٧ ، ٢٥٤ ، ج ٤ ص ٩
 المأمون ج ٢ ص ٢٨٨ ، ٣٣٧ ،
 ٣٣٨ ، ٢٧٢ ، ج ٣ ص ٧٤ ،
 ١٤٨ ، ٢٣٩ ، ٢٥٢
 المبرد = أبو العباس محمد بن يزيد
 بن عبد الأكبر .
 المتنبى = أبو الطيب أحمد بن
 الحسين .
 المتوكل (على الله) ج ١ ص ٥٤ ،
 ٦٠ ، ٣٥١ ، ج ٢ ص ١١٧ ،
 ١٥٩ ، ٢١٨ ، ٢٥٤ ، ٢٩٥ ،
 ج ٣ ص ١٥ ، ٢٣ ، ٤٠ ،
 ١٢٧ ، ١٩٥ ، ج ٣ ص ٢٠٦ ،
 ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥
 محمد الدين أبو السعادات المبارك

محمد بن يزيد المبرد ج ١ ص ١٧ ،

١٢٣، ٥١، ٢٤٨، ج ٢ ص ٣٠٨ ،

ج ٣ ص ٢٠٩

محمد بن يوسف ج ٢ ص ١٣٧

محمد بن يوسف الثغرى = أبو سعيد

محمود بن صالح ج ٣ ص ٩٢

محمود الفزنوى (السلطان) ج ٤ ص ١٢

مخارق ج ١ ص ١٦٧

مربع (راوية جرير) ج ٣ ص ٢٧٧

مرزوق ج ٢ ص ١٤٦

المرقس الأصفر = ربيعة بن

سفيان .

مرة بن ربيعة ج ٢ ص ٣٤٢

مروان بن الحكم ج ٣ ص ٧٣

مروان بن محمد ج ٢ ص ٤ ، ج ٣

ص ٢٥٠

مريم ج ١ ص ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،

٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٣٤ ، ٣٧٨ ،

ج ٢ ص ١٣٤ ، ١٧٤ ، ٢٢٢ ،

٢٣٧ ، ٢٦٢ ، ٢٩٤ ، ٢٨٤ ،

٢٩٣

المستضيء بالله ج ١ ص ٣١١

محمد بن سلام الجحى ج ٢ ص ٣٤٥

محمد بن سيار بن مكرم التيمي ج ٣

ص ١٠٢ ، ١٤٩

محمد بن عبد الله بن طاهر ج ٢

ص ٢٧٣

محمد بن عبد الملك الزيات ج ١ ص

١٦٧ ، ٣٥٤ ، ج ٢ ص ١٠٣ ،

ج ٣ ص ٢٦٣ ، ٢٩٠

محمد بن علي بن عيسى القمى ج ١

ص ٣٤٨ ، ج ٢ ص ١٠٤ ،

ج ٣ ص ١٧١

محمد بن العميد ج ٣ ص ٢١٣

محمد بن غانم = الفاننى

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الفزالى :

ج ٢ ص ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢

محمد بن منصور بن زياد ج ٢ ص ٣٠٧

محمد بن الهيثم ج ١ ص ٣٨٤ ،

٤١٣ ، ج ٣ ص ١٢٣ ، ٢٥٠ ،

ج ٤ ص ٦

محمد بن يحيى للعروف بالصولى ج ٢ ص

١١٨ ج ٣ ص ١٨٦ ، ١٨٧

٦١ ، ١٠٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،

١٥٢ ، ٣٢٣ ، ج ٣ ص ١٠٠ ،

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٨ ، ١٢٢ ،

١٧٢ ، ١٧٥ ، ٢٥٢ ، ٢٦١ ،

٢٨٢

المعتضد ج ٢ ص ٥٢

المعتمد بن عباد ج ٢ ص ١٤

المعز ج ١ ص ٢٥٣

معن بن زائدة ج ٢ ص ١٤٨ ،

٣٥٣

معن طي ج ١ ص ٢١٢

المفيث بن علي العجلي ج ٢ ص

١٩٧ ، ج ٣ ص ٣

المغيرة بن شعبة ج ٣ ص ٢٦٦

المفضل بن محمد الضبي ج ١ ص ٦٢

ج ٣ ص ٢٧٢

المقتدر ج ٢ ص ٦ ، ١٢٣

المقداد بن عمرو ج ٣ ص ٢٦

المكتفي بالله ج ١ ص ٢٩٦

الملك الأشرف ابن الملك العادل بن

أيوب ج ١ ص ٢٢

المستظهر ج ٢ ص ٦

المستعين ج ١ ص ٦٠

المستكفي ج ٢ ص ٥١

المستنجد ج ٢ ص ٢٩

مسلمة بن عبد الملك ج ٣ ص ٢٥٠

المسيح ج ١ ص ١٨٦

مصعب بن الزبير ج ١ ص ٣٩١ ،

ج ٢ ص ١٠٠

مصطفى جواد ج ١ ص ١٨

مضر الحمراء ج ١ ص ٤١

الطبيع ج ١ ص ٧٠ ، ج ٣ ص ١٠٩

معاذ بن جبل ج ٢ ص ١٣٨

معاوية بن أبي سفيان ج ٢ ص ١٦٦ ،

٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،

ج ٣ ص ٧٣ ، ٢٤٠

معاوية بن عقبة ج ١ ص ٣٩٠

معبد ج ١ ص ١٦٧ ، ج ٣ ص

٢٣٢ ، ٢٣٣

المعز بالله ج ١ ص ٦٠ ، ٣٤٩ ،

ج ٢ ص ٣٥٩ ، ج ٣ ص ١٨٩

المعتصم بالله : ج ١ ص ٣٤٤ ،

٣٥٤ ، ٣٩٠ ، ج ٢ ص ٧ ،

مهرويه الرازي ج ٢ ص ١٤٦
 المهلب بن أبي صفرة ج ٢ ص ٣٣٨ ،
 ٣٣٩ ، ج ٣ ص ٣٤ ، ٨٠
 مهمل بن يموت ج ٢ ص ٣٤٧
 مؤرج السدوسي ج ١ ص ٤٨
 موسى (عليه السلام) ج ١ ص ١٨٦ ،
 ١٨٧ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،
 ٢٩٣ ، ٣٠٥ ، ج ٣ ص ١٣ ،
 ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٥٩ ، ١٨١
 موسى بن جعفر ج ١ ص ٣٢
 محب بنت مقاتل المنقري ج ٢ ص ١٥٩
 الميداني = أبو الفضل
 ميمون الأقرن ج ١ ص ٤٧
 مية ج ٣ ص ٢٠٩
 (ن)
 النابغة الذبياني ج ١ ص ٢١
 الناشئ ج ٢ ص ٣٠٨
 ناصر الدين محمود بن الملك القاهر
 عز الدين ج ١ ص ٣١
 الفاصر لدين الله أبو العباس أحمد
 (الخليفة) ج ٣ ص ١٩٠

الملك الأفضل = نجم الدين أيوب
 ابن شاذي بن مروان .
 الملك الأفضل على بن يوسف ج ١
 ص ٣١ ، ١٧٦ ، ٣٦٧ ، ج ٣
 ص ١١٦
 الملك الظاهر عز الدين مسعود بن
 أرسلان بن مسعود ج ١ ص ١٧٩
 الملك الظاهر « غازي صاحب حلب »
 ج ١ ص ٣١ ، ج ٢ ص ٥١
 الملك الظاهر = غازي بن يوسف .
 الملك العادل ج ١ ص ٣١
 الملك العادل أبو بكر بن أيوب ج ١
 ص ١٧٧
 الملك العزيز عثمان ج ٣ ص ١١٦
 الملك المنصور = المنصور
 الملك الناصر ج ١ ص ٩ ، ٢٠
 المنصور ج ١ ص ٣١ ، ٣٤٦ ، ج ٢ ص
 ١٤٦ ، ج ٣ ص ٨١ ، ١٨٣
 منصور بن يزيد ج ٣ ص ٢٨٣
 المهدي بن المنصور ج ١ ص
 ٢٥٠ ، ج ٣ ص ١٨٣ ، ٢٥٨
 مهرة بن حيدان ج ٣ ص ١٢٢

نوح (عليه السلام) ج ١ ص ١٥٩ ،

ج ٢ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٥١ ،

٣٧٠ ، ج ٣ ص ١٣١

نور الدين أرسلان بن مسعود ج ٣

ص ١١٦

نور الدين (الملك الأفضل) ج ١

ص ٣٠

نور الدين اسماعيل بن نور الدين

محمود ج ١ ص ٢٢٣

(هـ)

الهادي (الخليفة) ج ٣ ص ١٨٣ ، ٢٤٨ ،

هارون (عليه السلام) ج ٢ ص

٢٩٣ ، ج ٣ ص ١٥٩ ، ١٨١ ،

٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ،

هيرة بن ضمضم الجاشي ج ٣

ص ١٧٦

هشام بن عبد الملك ج ١ ص ٤٧ ،

٣٩٧ ، ج ٢ ص ٢٢٩ ، ج ٣

ص ٥٦ ، ٦٩ ، ١٠٧ ، ١٩٥ ، ٢٥٣ ،

نافع بن أبي نعيم ج ١ ص ٥٠

نافع بن عبد الرحمن = نافع بن أبي

نعيم .

النبي صلى الله عليه وسلم = محمد

نجم الدين أيوب بن شاذي بن

مروان « الملك الأفضل » ج ٢

ص ٥٠ ، ٥١

النسفي ج ٢ ص ٣٠٩

نصر بن عاصم الليثي ج ١ ص ٤٧

نصر بن علي الجهضمي ج ٢ ص ٣٤٧

النضر بن شميل ج ١ ص ٤٨ ، ج ٣

ص ٣٥

النفطاف ج ١ ص ٣٧٦

نظام الملك ج ١ ص ٤٠٤ ، ج ٢

ص ١١٠ ، ج ٣ ص ٤٩ ، ١٢٨ ،

النعمان بن المنذر ج ٢ ص ١٥ ،

٣٤٢ ، ج ٣ ص ٤٧ ، ١٨٨ ، ٢٠٦ ،

النقاش = أبو بكر محمد بن الحسن

ابن محمد بن زياد .

نقفور (ملك الروم) ج ٣ ص

١٠٥ ، ١٠٦

هند بنت عتبة ج ١ ص ٢٧٤

هود ج ٢ ص ١٨٣ ، ١٩١ ، ٢٢٥ ،

٢٢٢ ، ٢٨٢ ، ٢٢٣

(و)

الواقق (الخليفة) ج ٣ ص ٢٣ ، ٢٥٢

الواحدى ج ٢ ص ١٠٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩

والبة بن الحباب ج ١ ص ٥٢

وخشى (غلام جبير بن مطعم)

ج ٣ ص ١٠٧

الوضاح = جذيمة الأبرش .

الوليد بن عبد الملك ج ١ ص ١٥٨ ،

ج ٢ ص ٢٢٨

الوليد بن المعيرة ج ٢ ص ٢٣٥

الوليد بن يزيد ج ٣ ص ٦٩ ، ٢٢٢

(ى)

يأجوج ج ٢ ص ٣٠٩

يافث بن نوح ج ٢ ص ٣٠٩

ياقوت ج ٢ ص ١١٠

يحيى ج ١ ص ١٨٠

يحيى بن ثابت ج ٢ ص ١٥٥

يحيى بن خالد ج ٣ ص ١٠٦

يحيى بن زياد ج ٣ ص ٢٣٧

يحيى بن على المنجم ج ٣ ص ٢٥٩

يحيى بن مالك ج ١ ص ٢٤٦

يرفأ مولى عمر ج ١ ص ٦٤

يزيد ج ٢ ص ٢٦٤ ، ٣٠٦

يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى

ج ٢ ص ٣٥٣

يزيد بن مزيد الشيبانى ج ٢ ص

٢١٠ ، ٧٩ ، ج ٣ ص ١٥٦ ، ٢٨٢

يزيد بن معاوية ج ٢ ص ٦٠

يعقوب ج ١ ص ١٧٥

يموت بن المززع ج ٢ ص ٣٤٧

يوسف (عليه السلام) ج ١ ص ٩١٠ ،

١٥٢ ، ١٧٢ ، ١٠٤ ، ١٧٥ ،

٣٥٨ ، ج ٢ ص ٢٤١ ، ٢٤٤ ،

٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٨٩ ، ٣٠٣ ،

٣٠٩ ، ٣٢٧ ، ج ٣ ص ١٣ ،

١٤ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ج ٤ ص

١٢

يوسف بن عمر النقفى ج ١ ص ١٦٦

يوسف بن محمد ج ٢ ص ١٣٦ ، ٢٧٢ ،

٣٠٧

يونس ج ٢ ص ١٨١ ، ٢١٠ ،

٢٣٤ ، ٣٠١ ، ٣١٤

يونس بن حبيب البصرى ج ١ ص ٤٧

فهرس القبائل والطوائف والأمم

(١)

أسلم ج ٣ ص ١٩٧	آل بويه ج ٢ ص ٥١
الأشراف ج ١ ص ٤٦، ١١	آل البيت ج ١ ص ١٧٠
أشراف بغداد ج ٢ ص ١٠٩	آل عبد الواحد ج ١ ص ٣٦
الأشراف العلويون ج ١ ص ٢٨٦	آل منصور بن زياد ج ٢ ص ٣٠٧
الأطباء ج ١ ص ٨٣	آل المهلب ج ٣ ص ٣٤
الأعراب ج ١ ص ٥٥ ، ج ٢ ص	آل النبي صلى الله عليه وسلم ج ١
١٦٣ ، ٣٤٩ ، ج ٣ ص ١٦٨	ص ٢٩٩
الأرمن ج ٣ ص ٨١	الأثرالك ج ٢ ص ٥١ ، ١٢٣ ، ج ٣
الأكسرة ج ٢ ص ٣١٢	ص ١٠٨ ، ١٠٩
الأمرء ج ١ ص ٤٦ ، ٦٧ ، ٧٠	الأدباء ج ١ ص ٣ ، ٢٢ ، ٢٥ ،
الأمويين ج ١ ص ٣٩٩	٢٢٥ ، ج ٢ ص ٤٧
أمية ج ٣ ص ٥١	أدباء العراق ج ٢ ص ٢٣
الأنباط ج ١ ص ١٠١	أدباء مصر ج ٢ ص ١٢٣
الأنبياء ج ١ ص ٦٨	الأراقم بنو تغلب ج ١ ص ٣٤٥
الأنصار ج ١ ص ٦٤ ، ج ٢ ص	أرباب الشرائع ج ٢ ص ٢٦٧
٢٤٠ ، ٣٩ ، ٢٣٧ ، ج ٣ ص ٢٤٠	أرباب الفصاحة ج ١ ص ٥٨
أهل الأدب ج ٢ ص ١٠ ، ٨٤ ، ١٠٨	الأزارقة ج ٢ ص ٣٢٨
أهل البصرة ج ١ ص ٤٦ ، ٤٨ ، ج ٢	الأسرة النبوية : ج ١ ص ٢٩٥
ص ٣١٤ ، ج ٣ ص ٢١٥	

أولياء الله ج ١ ص ٣٢٨

إياد ج ١ ص ١٩٣

الإيرانيون ج ٤ ص ١٢

أئمة الاجتهاد ج ١ ص ١٢٨

أئمة الفقه ج ٣ ص ٦٣

(ب)

البحر الأشرف ج ١ ص ٤٦

البرامكة ج ٢ ص ٣٠٧ ، ج ٣

ص ١٠٠ ، ٢٥٨

البصريون = أهل البصرة

بكر بن وائل ج ٢ ص ١٢٠ ، ٣٤٥

البلاغيون ج ١ ص ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٦

ج ٢ ص ٢٧٥ ، ٣٣٢ ، ٣٥٧

البلغاء ج ٢ ص ٣٠٧ ، ٣٥٢

بنو أبي بكر بن كلاب ج ٢ ص ٣١٠

بنو أسد ج ١ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤

٣٨٠ ، ٣٨١ ، ج ٢ ص ١٠٠

١٤٨ ، ٢٤٦ ، ٢٥٩

بنو إسرائيل ج ٢ ص ٣٣٢

بنو إسرائيل ج ٢ ص ١٧٥

أهل جُدّة ج ٣ ص ١٠٦

أهل الخطابة والشعر ج ١ ص ١١٠

أهل دمشق ج ٣ ص ٧٧

أهل الشام ج ٣ ص ١٩٥

أهل الشورى ج ٣ ص ٢٦

أهل الصين : ج ٢ ص ٤

أهل الطائف ج ٣ ص ٢٢٦

أهل العراق ج ١ ص ٣٠١ ، ج ٣

ص ١٢٤

أهل العلم ج ١ ص ٤٣

أهل الكوفة ج ١ ص ٥٤

أهل المزار ج ٢ ص ١٤٦

أهل مصر ج ١ ص ٢٥٩ ، ج ٢

ص ١٢٦ ، ج ٣ ص ٢٢٥

أهل المغرب ج ٢ ص ٤ ، ج ٣

ص ٢١١

أهل الموصل ج ٢ ص ١٦

أهل النجامة (المنجمون) ج ٣

ص ١٠٣

أهل اليمن (اليمنيون) ج ٣ ص ٢٢٤

الأوس ج ٣ ص ٢٢٦

بنو خفاجة ج ١ ص ٣٦
 بنو الخوارج ج ٢ ص ١٦٦
 بنو ربيع ج ١ ص ٣٩١
 بنو سعد ج ١ ص ٣٥٦ ، ج ٢
 ص ١٤٨ ، ج ٣ ص ١٧٦ ،
 بنو السوداء ج ٢ ص ٢٠٧
 بنو شيبيان ج ٢ ص ١٩٨
 بنو العباس ج ١ ص ٩٥ ، ٢٤٨ ،
 ج ٢ ص ١٤٨ ، ٢٤٨ ، ٣٥٣ ،
 ج ٣ ص ٥٦ ، ٨١ ، ١٨٣ ،
 ٢٣٧
 بنو عبدالكريم ج ١ ص ٣٨١ ، ٣٤٨ ،
 ٤١٤ ، ج ٣ ص ١٨٤
 بنو المعجلان ج ١ ص ٤٠٠ ، ج ٣
 ص ٧٦
 بنو عدي ج ١ ص ٦٤ ، ٢٤٨
 بنو عقيل ج ١ ص ٤٠٠ ، ج ٣
 ص ١٣٥ ، ٧٦ ،
 بنو عمار ج ٣ ص ٩٢
 بنو العنبر ج ١ ص ١٣٠ ، ج ٢
 ص ٣٢١
 بنو العنقاء ج ٣ ص ١٨٦

بنو إسرائيل ج ٣ ص ٤٣
 بنو أمية ج ١ ص ٩٥ ، ج ٢ ص ٤ ،
 ٦ ، ٦٠ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٤٨ ،
 ٣٢٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ج ٣ ص ٢٨ ،
 ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٣ ، ١٠٦ ،
 ١٠٧ ، ٢٣٧
 بنو برمك = البرامكة
 بنو بكر ج ٢ ص ٣٤٥
 بنو تغلب ج ٢ ص ١٢٠ ، ٢٥٤ ،
 ٣٤٥ ، ج ٣ ص ٢٥٥
 بنو تميم ج ١ ص ٢٨٠ ، ج ٢
 ص ١٩٩ ، ج ٢ ص ٢٠٣ ،
 ج ٣ ص ٢٥٢
 بنو ثعلبة بن سعد بن ضبة ج ١
 ص ٦٢
 بنو جعفر بن كلاب بن ربيعة بن
 صعصعة ج ١ ص ٨٣
 بنو الحارث بن كعب ج ١ ص ٣٥٦
 بنو الحسحاس ج ١ ص ١٤٧
 بنو حمدان ج ٣ ص ٣٩ ، ١٣٥
 بنو حميد ج ٣ ص ٢٤٣

بنو هاشم ج ١ ص ١٥٦ ج ٢ ، ص
١٠٩

بنو هذيل بن مدركة ج ١ ص ٢٥٥

بنو هند ج ٣ ص ٢٠

بنو يسار ج ٢ ص ١٠٠

البويهيون ج ٢ ص ٥١ ، ٥٢

البياسرة ج ٢ ص ١٥٧

(ت)

التابعون ج ١ ص ٤٦ ، ٨٦

تغلب ج ١ ص ٣٧٣ ، ج ٢ ص

٥٢ ، ١٣٢ ، ج ٣ ص ٢٤٩

تميم ج ٢ ص ٣٤٤ ، ج ٣ ص ٩٥

(ث)

تقيف ج ٢ ص ٣١٦ ، ٣٢٨ ، ج ٣

ص ٢٢٦

الثنوية : ج ٣ ص ١٠ سطر ١٥

(ج)

جباة أهل الذمة ج ١ ص ٣١٦

جرم ج ١ ص ٢٤٨

بنو عوف بن كعب ج ١ ص ٣٥٦

بنو فزارة بن ذبيان ج ١ ص ٣٩٠ ،

ج ٢ ص ٣٢١ ، ج ٣ ص ٩٥

بنو فهم ج ٢ ص ١٨٧

بنو قشير ج ١ ص ٤٠٠

بنو كلاب ج ١ ص ٤٠٠ ، ج ٣

ص ٧٤ ، ٧٦ ، ٢٣٨

بنو كلب ج ١ ص ٥٤

بنو كفانة ج ٣ ص ٢٢٦

بنو لبد ج ١ ص ٢٢٧

بنو اللقيطة ج ١ ص ١٣٠ ، ج ٢

ص ٣٢١

بنو ليث بن بكر ج ١ ص ٢٤٦

بنو مازن ج ١ ص ٥١

بنو محارب ج ٢ ص ٣٣٢

بنو مخزوم ج ٣ ص ١٨٨

بنو مروان ج ١ ص ٢٥٥

بنو ناهل ج ١ ص ١١٢

بنو النخع ج ٢ ص ٢١٢

بنو نصر بن قعين ج ١ ص ٣٨٠

بنو نهد ج ١ ص ٢٣٣

(ح)

حجاج بيت الله الحرام ج ١ ص ٢٩٣

الحجيج ج ١ ص ٢٨٨

حجيج بيت الله ج ١ ص ٢٩٢

الحرورية ج ١ ص ٨٢

حكاه اليونان ج ٢ ص ٣، ٤، ٥

حمير ج ١ ص ٢٤٥

(خ)

الخرمية ج ٣ ص ٢٦١

خزاعة ج ١ ص ٤١١

الخزرج ج ٣ ص ٢٢٦

الخطباء ج ١ ص ٢١٣ ؛ ٣٩٩ ،

ج ٢ ص ١٥١

الخلفاء ج ١ ص ٥٣ ، ٦٨ ، ج ٢

ص ١٠ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،

١٢٣ ج ٣ ص ١٠١ ، ٢٢٥

خندف ج ٢ ص ٣١١

الخوارج ج ١ ص ٨٢ ، ٢١٢ ، ج ٣

ص ٨٠ ، ١٤٥ ، ٣٩٩

(د)

دارم من تميم ج ٢ ص ١٢٠ ج ٣ ص ٧١

الدهاة ج ١ ص ٤٦

(ذ)

ذبيان ج ٢ ص ١٥

ذهل بن شيبان ج ٢ ص ٣٢١

(ر)

الرافضة ج ٢ ص ٣٨٩

ربيعة ج ١ ص ٢٥٨

رجال الهند ج ٢ ص ١٥٧

الرواة ج ١ ص ٥٢ ، ٨٦ ، ١٨٤ ،

٣٤٠ ، ج ٢ ص ١٦٧

الروم ج ١ ص ١٣٤ ، ١٤٥ ج ٢

ص ١٠ ، ٢٩ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ،

٣١٢ ، ٣٢٣ ، ج ٣ ص ٣٩ ،

٧٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٥ ، ١٣٣ ،

١٥٦ ، ٢٦١

(ز)

الزعار ج ١ ص ٣٠٩

الزنادقة ج ١ ص ٢٣٠

الزنج ج ٣ ص ٨٨

٢٣٦، ٢٣٤، ٢٠٣، ١٨٤

شعراء حماة ج ٣ ص ٢٥٩

شعراء الدولة الأموية = الشعراء

الأمويون ج ٣ ص ١٥١

شعراء رسول الله ج ٣ ص ٢٤٠

شعراء الشام ج ٣ ص ٢٥٩، ٢٦٠

شعراء الصحابة ج ٢ ص ٢١٢

شعراء العرب ج ١ ص ٢٤٦

شعراء الفرس ج ٤ ص ١٢

شعراء قریش ج ٢ ص ٦٠

شعراء المدينة ج ١ ص ١٤١

شعراء مصر ج ٢ ص ٣١

شعراء النصرانية ج ٢ ص ٣٣١

الشيعية ج ١ ص ٣٦ ج ٢ ص ٥١

(ص)

الصحابة ج ٢ ص ٢٦٨، ٣٠١

الصلح الاشراف ج ١ ص ٤٦

الصوفية ج ٢ ص ٨٨

(ط).

الطالبيون ج ١ ص ٤١١

طبقات الشعراء ج ١ ص ٥٢

زوار قبر رسول الله ج ١ ص ٢٩٣
(ش)

الشعراء ج ١ ص ١٤، ٢٢، ٤٦،

٥٢، ٥٣، ٥٤، ٩٨، ١٤١،

١٥٠، ٢١٣، ٢٣٦، ٢٥٠،

٢٥٥، ٢٦٧، ٢٩٦، ٣٩٩،

٤٠٩، ج ٢ ص ١٠، ٢٢، ٢٧،

٢٨، ٢٩، ٣٢، ٦١، ٦٢،

٧٣، ١٤٨، ٢٢٦، ٢٣٥، ٢٣٦،

٢٥٢، ٢٥٩، ٢٧٣، ٣١٥،

٣٢١، ٣٣٠، ٣٦٥

شعراء الإسلام ج ١ ص ٢١٢ ج ٣

ص ٢٨

الشعراء الأمويون ج ١ ص ٣٩١، ٣٩٠

ج ٢ ص ١١٩ ج ٣ ص ١٥١

شعراء بني أمية = الشعراء الأمويون

شعراء الجاهلية ج ١ ص ٥٣، ٣٤٠،

٣٥٦

شعراء الحماسة ج ١ ص ٩١، ٣٧٠،

٣٨١، ٣٨٤، ٣٩٤، ج ٢

٩٩، ١٦٤، ٣١٠، ٣١٦، ج ٣

ص ١٧، ٢٠، ٣٨، ١٥١،

١٣٧ ، ١٧٠ ، ١٩٣ ، ٢١٣ ،
 ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ،
 ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٧٤ ، ٢٩٥ ،
 ٣١٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٩٠ ،
 ٤٠٣ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤٠٩ ،
 ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ،
 ٨١ ، ٩٤ ، ١١٩ ، ١٥١ ، ١٥٩ ،
 ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،
 ١٧١ ، ٢٣٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ،
 ٢٩٧ ، ٣٠٨ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ،
 ٣٣٢ ، ٣٤٢ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢ ،
 ٣٥٣ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٣ ،
 ٥٦ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٧ ،
 ٧٩ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٢١ ،
 ١٣٥ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، ١٨٢ ،
 ٢٠٢ ، ٢١١ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٨

ج ٤ ص ١٢

المروزيون ج ١ ص ٧٢

عصية ج ٣ ص ١٩٧

طبقات العلماء ج ١ ص ٥٢

طوى ج ١ ص ٥٣ ، ١١٢ ، ج ٢

ص ٦٢ ، ٣٤٥

(ظ)

الظاهرية ج ٢ ص ٣١٨

(ع)

عاد ج ٢ ص ١٠٥

العائذون ج ١ ص ٣٠٦

عيد شمس ج ٣ ص ١٠٧

عبد قيس ج ٢ ص ٣٤٧

عبس ج ٢ ص ٣٠٦

عتاب ج ١ ص ٢٧٣

المعجم ج ١ ص ٤٧ ج ٢ ص ٣٠٧

ج ٤ ص ١٢

المدنانية ج ١ ص ٤١١

المراقبون ج ١ ص ٢١ ، ٦٩ ، ١٢٩

ج ٢ ص ٥٩ ، ج ٣ ص ٧٧ ،

٢١٥ ، ١٠٨

المرب ج ١ ص ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٢٥ ،

٢٦ ، ٢٩ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٤٨ ،

٥٣ ، ٥٤ ، ٦٢ ، ٧٢ ، ١٢٤ ،

(غ)

غطفان ج ٣ ص ٢٢٦ ، ج ٤ ص ٣

غفار ج ٣ ص ١٩٧

(ف)

فارس ج ٢ ص ١٢ ، ٢٧ ، ٣٤٧

الفاطميون ج ١ ص ٢٥٣ ، ج ٢

ص ٥٢

فحول الشعراء ج ١ ص ٢٥٠

الفرس ج ٢ ص ١٣ ، ٣٣ ، ٥١ ،

١٨٠ ، ٢١٢ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ج ٣

ص ٧٥ ، ٩٠ ، ١٤٥ ، ٢٣٧ ، ج ٤

ص ١٢

الفرسان ج ١ ص ٤٦ ، ٤٥

فرسان البلاغة ج ٢ ص ٢٦٥

فرسان العرب ج ٢ ص ٣٢٨

الفرنج ج ١ ص ١٠٣ ، ج ٢ ص ١٤٢

الفقهاء ج ١ ص ٤٦ ، ٦٠ ، ١٠٨ ،

١٠٩ ، ١٢٨ ، ٢٤٦ ، ج ٢

ص ٣٩١ ، ج ٣ ص ٢١٣

الفلاسفة ج ٢ ص ٨٨ ، ٢٦٧

عقيل ج ٣ ص ٢٣١

العلماء ج ١ ص ٣ ، ٦ ، ١٩ ، ٢٢ ،

٥٧ ، ٧٠ ، ٨٩ ، ٢١١ ، ج ٢

ص ١٣ ، ٣٤٠

علماء الأدب ج ١ ص ١٩٢ ، ٢٤٨

علماء البلاغة والتقد ج ١ ص ١٣

علماء البيان ج ١ ص ٢٥ ، ٣٤٩ ،

٤٠٩ ، ج ٢ ص ٥٥ ، ١١٦ ،

١٢١ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٣٥٥ ،

ج ٣ ص ٤٩ ، ١٣٩ ، ٢٢١ ،

٢٢٢

علماء العربية ج ١ ص ٥١ ، ٥٩ ،

٣٨٩ ، ج ٢ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧

علماء الفصاحة والبلاغة ج ٢ ص ٩٤

علماء الكلام (المتكلمون) ج ٣

ص ٢١٢

علماء اللغة ج ١ ص ٢٤

علماء النحو ج ١ ص ٢٤

علماء اليونان ج ٢ ص ٤

القبائل ج ١ ص ٣١٧

عمال الخراج ج ١ ص ٣١٣

(ق)

القراء ج ١ ص ٥٠

القراءون ٨٣ ، ٥٠

القرامطة ج ٣ ص ٧٧

قریش ج ١ ص ٦٤ ، ج ٢ ص ٣٩ ،

٦٠ ، ١٦٣ ، ٣٤١ ج ٣ ص ٢٥ ،

٢٦ ، ٦٤ ، ١١٣ ، ٢٢٦

قشير ج ٣ ص ٧٦

القصاص ج ١ ص ١٠٥

قضاة ج ١ ص ٩٥ ، ج ٣ ص ٢٦

القضاة ج ١ ص ٧٠

القوام ج ١ ص ٣٠٦

قيس عيلان ج ١ ص ٩٥ ، ج ٢

ص ٣١١ ، ج ٣ ص ٦٨ ، ٧٧

(ك)

الكتاب ج ١ ص ٨ ، ١٣ ، ٢٢ ،

١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢١٣ ، ج ٢

ص ١٥١

كعب ج ٣ ص ٩٥

كلاب ج ٣ ص ٩٥

كلب ج ٢ ص ٣٠ ، ٢٦٤

كليب ج ١ ص ٢١٧ ، ج ٢ ص ٢٢٨

كفلة ج ٣ ص ٢٨

الكمّان = الكمنّة

الكمّنة ج ١ ص ٢٧٤

الكوفيون ج ١ ص ٤٨ ، ج ٢

ص ٢٢٩ ، ٢٩٦

(م)

مازن ج ١ ص ١٣٠ ، ج ٢ ص ٣٢١

المتمبدون ج ١ ص ٣٠٦

المتكلمون ج ٣ ، ص ١٦٦ ، ٢١٢

٢١٤

المجوس ج ٣ ص ٨٩

محارب ج ٢ ص ٢٢٨

المحاسبون ج ١ ص ٧٠

المحدثون ج ١ ص ٤٦ ، ٢٤٦ ، ج ٣

ص ١٣٧ ، ٢٢٦

المخضرمون ج ١ ص ١٤٧ ، ج ٣

ص ١٢١

مذحج ج ٣ ص ٢٥

المروانيّة ج ٣ ص ٢٥٠

المشعبذون ج ١ ص ١٠٥

المصريون ج ٢ ص ٣٠

مفسر ج ٢ ص ١٥٩

المكبرون ج ١ ص ٣٠٦

الملحدة ج ٢ ص ٢٦٧

الملوك ج ١ ص ٧٠ ، ١٢٥ ، ج ٢

ص ٤٧

ملوك بني بويه ج ٢ ص ٥١

ملوك الشام ج ٢ ص ٣٧

المناذرة ج ٢ ص ١٥

المهاجرون ج ١ ص ٦٤

مهرة بن حيدان ج ٢ ص ٦٦

المهندسون ج ٣ ص ٢١٢

المؤذنون ج ١ ص ٣٠٦

المؤرخون ج ٣ ص ٢٢٦

(ن)

نهبان ج ٣ ص ١٤٦

النحاة ج ١ ص ١٩١ ، ج ٢ ص ٨٦ ،

٩٥ ، ٢٢٢ ، ٢٤٩ ، ج ٣

ص ٤ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢١٢

نحاة مصر ج ٢ ص ٣٤٧

النحويون ج ١ ص ٤٦ ، ج ٢ ص ٢٣٥

النسابون ج ١ ص ٢٩١

النصارى ج ٢ ص ٢٦٧ ، ج ٣

ص ٧٥ ، ١٠

النقاد ج ١ ص ٣ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٨

نقاد الشعر ج ١ ص ٢٧

نقاد العرب ج ١ ص ٢٩

نقباء الطالبيين ج ١ ص ٢٨٧

نمير ج ٣ ص ٩٥

(هـ)

هاشم ج ٣ ص ١٠٧ ، ٢٢٦

هذيل ج ١ ص ٢٦٣ ، ج ٣ ص ٢٢٦

(و)

وائل ج ١ ص ١٩٣ ، ٣٧٣

الوزراء ج ١ ص ٦٧ ، ١٧٢

وزراء المأمون ج ٢ ص ٣٣٧

الوعاظ ج ١ ص ٤٠٢

ص ٢٢٧	الوعيدية ج ١ ص ٨٢
ولاية العيار ج ١ ص ٣١٨	الولاية ج ١ ص ٢٩٨ ، ٢٢٧ ، ج ٢
(ى)	١٢٠
يربوع من تميم ج ٢ ص ١٢٠	ولاية الحسبة ج ١ ص ٣١٩
اليهود ج ١ ص ٢٦٧ ج ٢ ص ٢٦٧	ولاية الطرز ج ١ ص ٣١٨
اليونان ج ٢ ص ٦ ج ٣ ص ١٤٥	ولاية العراق ج ٢ ص ١١٩ ، ج ٣

فهرس الأماكن

(١)

استرا باذ ج ١ ص ٣٠٢
الإسكندرية ج ٢ ص ٣٧٤
أسواق الرقيق ج ١ ص ٣١٨
أشبيلية ج ١ ص ٢٥٣
أصبهان ج ١ ص ٤٠٤ ، ٥٠
أصفهان ج ٢ ص ٣٧٢ ، ج ٣
ص ١٢٢
الأنبار ج ٢ ص ٤ ، ج ٣ ص ١٥٥
الأندلس ج ١ ص ٢٥٣ ، ج ٢
ص ١٤
أنطاكية ج ٣ ص ٢٤٢
أوريا ج ٢ ص ٣٤٣
إيوان كسرى ج ١ ص ٢٣٨ ، ج ٢
ص ٣١٢

(ب)

باب النصر ج ٢ ص ٥٠
بادية السماوة ج ١ ص ٥٤
بارق ج ٢ ص ٣٠ ، ج ٣ ص ١٠١

آمد ج ٢ ص ١٠ ، ج ٣ ص ٣٩
الأبلى ج ٢ ص ٣٥٠
ابن شمام ج ٢ ص ١٤٢
أبيورد ج ٢ ص ٦
الأميل ج ٣ ص ٩٠ ، ج ٣ ص ١٨١
أجا ج ١ ص ١١٢
أحد ج ٢ ص ٨٢ ، ٣٣٦ ، ج ٣
ص ١٠٧
أذربيجان ج ١ ص ٣٠٢
أراك ج ١ ص ١٠١
أران ج ١ ص ٣٠٢
إربل ج ١ ص ٣١ ، ٣٢
أرتجان ج ٢ ص ٢٧
أرشق ج ١ ص ٣٤٥
أرض الحرم ج ٢ ص ٢٦١
أرض الحبشة ج ٢ ص ٣٣٦
أرض مراد ج ٢ ص ٣٤٥
إرم ذات العماد ج ٢ ص ٣٨٣

١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ،

١٦٢ ، ١٦٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٨ ،

٣٣٧ ، ٣٤٧ ، ٣٧٤ ، ج ٣ ،

ص ٢٣ ، ٢٤ ، ١٠٨ ، ٢٥٦ ،

٢٥٨

البيق ج ٢ ص ٣٠١

بلاد الأرمن ج ٣ ص ٨١

بلاد الجزيرة ج ٣ ص ١٤٠

بلاد الروم ج ٣ ص ١٠٥ ، ١١٣ ،

١٣٣

بلاد الشام ج ١ ص ٣٢٣

البلاد الشرقية ج ١ ص ٣١

بلاد قبس ج ١ ص ٢٣٢

بلاد المشرق ج ١ ص ٣١

البلاد المصرية ج ١ ص ٣٢٣

بلخ ج ٢ ص ٣٠٨

بهاء ج ٣ ص ٢٦

بيت الله الحرام ج ١ ص ٢٩٢ ، ٣٢٩

ج ٣ ص ٦٤ ، ١٩٥

البيت الأيوبي ج ٢ ص ٥٢

ص ٢٦٣

البحر الأحمر ج ٢ ص ٣١

بخارى ج ٢ ص ٥

بدر ج ٢ ص ٥٧ ، ١٨٦ ، ٣٢٨ ،

٣٣٦ ، ج ٣ ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٧٩ ،

١٨١

برك الغناد ج ١ ص ٣٢٢

البصرة ج ١ ص ٣٦ ، ٤١ ، ٤٦ ،

٤٧ ، ٤٨ ، ج ٢ ص ١٢ ، ١٤ ،

٣٠ ، ١١٩ ، ٣٠٨ ، ٣١٤ ،

٣٢٩ ، ج ٣ ص ١٧٦ ، ٢١٥ ،

٢٣٧

بصرى ج ١ ص ١٠٣

البطائح ج ١ ص ١٠١

بطن خبت ج ٣ ص ٢٨٤

بغداد ج ٩ ص ٩ ، ١١ ، ١٨ ،

٣٢ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٦٠ ، ٦٥ ،

٧١ ، ١٢٤ ، ١٥٦ ، ١٧٦ ،

١٧٩ ، ٢٥٠ ، ٢٨٦ ، ٣٧٥ ،

ج ٢ ص ١٩ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٥٠ ،

٥١ ، ٨٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،

(ث)

ثبير ج ٣ ص ١٣٧ ، ٢١٦ ، ٢١٧
الثغور الشامية ج ٢ ص ٣١٢
الثوية ج ٢ ص ٢٩٩

(ج)

جاسم ج ١ ص ٥٣
جامع القصر ج ١ ص ٣٢
جبال حروراء ج ١ ص ٨٢
الجحفة ج ١ ص ١٩٨ ، ج ٣ ص ٦٤
جدة ج ٣ ص ١٠٦
جرجان ج ١ ص ٢٥٠
الجرف ج ٣ ص ٢٦
الجزيرة ج ٢ ص ٩٤ ، ج ٣ ص ١٤٠
جزيرة ابن عمر ج ١ ص ٣٠ ، ٣٢

ج ٣ ص ٨٨

جزيرة صقلية ج ٢ ص ١٤
جزيرة العرب ج ١ ص ٣٠٢
الجزيرة العمرية ج ٢ ص ٢٧٤
جزيرة ميرة ج ٢ ص ١٤
جو ج ٣ ص ٢٠

البيت المقدس ج ٢ ص ٨٨ ، ٢٠

٣٧٤ ، ٣٧٥

البيت الناصري ج ٣ ص ١١٦

بئر ذروان ج ١ ص ٢٠٦

بيروت ج ٢ ص ١٣٠ ، ج ٣

ص ١٩٧

البيضاء ج ٢ ص ٣١٤

بيوت الله ج ١ ص ٣٠٦

(ت)

تبوك ج ٢ ص ٣٤١ ، ج ٣

ص ٧٤

تدمر ج ١ ص ١٠١

تستر ج ١ ص ٤٠٤

تعار ج ١ ص ٢٣٢

تكريت ج ٢ ص ٥٠ ، ٥١ ،

٥٢ ، ٥٣

التلاع ج ٢ ص ٣٤٢

تنيس ج ٢ ص ١٢٤

تهامة ج ١ ص ٢٣١ ، ج ٣ ص ٦٤

توريز ج ١ ص ٣٠٢

تيماء ج ٢ ص ٣٥٠

(ح)

الحاجر ج ٢ ص ٢٧٣

الحجاز ج ٢ ص ١٦٦، ١٨٨، ج ٣

ص ١٣٧

الحديبية ج ١ ص ٩، ٦٤، ٦٥،

ج ٢ ص ٣٢٨، ٣٤١، ج ٣

٢٥، ٦٤

حراء ج ٣ ص ٢١٦

حراض ج ٣ ص ٢٢٦

الحرم ج ١ ص ١٣٠

الحرّة ج ٢ ص ٢٨٥

حزوى ج ٢ ص ١٥٩

الخطيم ج ٣ ص ١٥٥

حلب ج ١ ص ٣٦، ١٠١، ٣٢٣،

ج ٢ ص ١٠، ٥٠، ٥٢،

١٦٢، ٣١٢، ج ٣ ص ٩٢،

٩٣

حلوان، ج ١ ص ٢٨٠، ج ٢ ص ١٤٣

حماة ج ٣ ص ٢٥٩

حراء الأسد ج ٣ ص ٢٩

حمص ج ١ ص ٥٤، ١٠١، ١٧٠،

الحجى ج ١ ص ٣٤٥، ٤٠٧، ج ٢

ص ١٦٤

حنين ج ١ ص ١٩٥، ج ٢ ص ٢٠٠

٣٤١، ج ٣ ص ٧٤

الحوض ج ٣ ص ١٥٥

حومل ج ٣ ص ٣٧، ٩٩

الحيرة ج ١ ص ٨٢، ج ٢ ص ١٥

ج ٣ ص ١٠٦

(خ)

الخابور ج ٣ ص ١٤٦

خانق ج ٣ ص ٢٦

خراسان ج ١ ص ٣٥٨، ج ٢ ص

٦، ٥١، ٢٢٨، ٣١٨، ٣١٩،

٣٢٧، ٣٣٨، ج ٣ ص ٥٦،

١٢٢، ١٤٨

خوارزم ج ٢ ص ١٧١

خوزستان ج ١ ص ٥٢

(د)

دار ابن المعتز ج ٢ ص ١٢٣

دار الخلافة ج ١ ص ٢٧٩

١١٢، ٨٢، ٣٧٤، ١٤٢ ج ٣ ص

ديوان الرسائل ج ١ ص ٧١

ديوان الزمام ج ٢ ص ٢٩

الديوان العزيز ج ١ ص ٢٠٧ ،

٢٠٨ ، ج ٢ ص ٣٨٥

(ذ)

ذات عرق ج ٣ ص ٧٤

الذرب ج ١ ص ٣١٥

ذو حسي ج ٢ ص ٣٤٢

ذوا الخليفة ج ١ ص ٣٢٢

ذوقار ج ٣ ص ١٥٥

(ر)

رامة ج ٣ ص ١٠١

رحى بطان ج ٢ ص ١٨٧

رضوى ج ١ ص ٢٣٨

الرقعة ج ٣ ص ١٠٦

الرقيم ج ٢ ص ٥٦

الركن ج ٣ ص ١٥٥

الروحاء ج ٢ ص ١٢٠

روضة خاخ ج ٣ ص ٢٦

الروم ج ٢ ص ١٠٧

الرى ج ٢ ص ١٦٣ ، ٣٧٢

دار الكتب المصرية ج ٢ ص ١٦١

دار المأمون ج ٢ ص ١٢٤

دار المعارف ج ٣ ص ١٤٤

دجلة : ج ٢ ص ٥٠ ، ج ٣ ص ١٣٦

الدخول ج ٣ ص ٣٧ ، ٩

دمشق ج ١ ص ٣٠ ، ٥٣ ، ١٠٩ ،

٣٠١ ، ج ٢ ص ١١٩ ، ٢٦٤ ،

٣٤٧ ، ج ٣ ص ٧٧ ، ١٤٦ ،

٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٦٠

دهلك ج ٢ ص ٣١

دور الضرب والطرز ج ١ ص ٣١٨

ديار بكر ج ٢ ص ١٠

الديار الشامية ج ١ ص ٣٣١

الديار المصرية ج ١ ص ٩ ، ٣١ ،

٦٥ ، ٢٦٧ ، ٣٣١ ، ج ٣

ص ٢٢٤

دياف ج ٢ ص ٢٥٩

الدينور ج ١ ص ٣٠٢

ديوان الخلافة ج ١ ص ٩ ، ٤١ ،

٦٥ ، ٦٦ ، ١٢٥ ، ١٧٢ ،

١٨٢ ، ١٩٣ ، ٢٥٢ ، ٣٥٨ ،

٣٦٦ ، ج ٢ ص ١٩ ، ٣٥ ،

(ز)

الزايون ج ۲ ص ۳۶۵

زخشر ج ۲ ص ۱۷۱

زمزم ج ۳ ص ۱۵۵

(س)

ساباط ج ۲ ص ۳۴۷

ساوة ج ۲ ص ۳۱۵

سجستان ج ۲ ص ۳۵۳

السجائين ج ۱ ص ۳۰۲

سر من رأى ج ۳ ص ۱۰۰

سقد سمرقند ج ۲ ص ۲۷

سقط اللوى ج ۳ ص ۳۷ ، ۹۹

سقيفة بنى ساعدة ج ۱ ص ۶۷

سلى ج ۱ ص ۱۱۲

الساوة ج ۲ ص ۳۰

سيمساط ج ۱ ص ۳۱ ، ج ۲ ص ۸۱

ستجار ج ۱ ص ۳۱

السند ج ۲ ص ۱۵۷

سوق عكاظ ج ۳ ص ۱۸۶

(ش)

الشام ج ۱ ص ۹ ، ۳۱ ، ۵۴ ، ۶۵ ،

، ۱۷۰ ، ۱۹۸ ، ۳۲۳ ، ج ۲ ص ۱۵ ،

، ۳۰ ، ۳۷ ، ۵۱ ، ۸۸ ، ۱۴۲ ، ۲۵۹ ،

ج ۳ ص ۹۲ ، ۱۲۷ ، ۱۹۵ ،

۲۲۳ ، ۲۵۹ ، ۲۶۰ ، ۲۸۱ ،

شعب بوان ج ۱ ص ۳۴۰ ، ج ۲ ص ۲۷

شيراز ج ۲ ص ۳۱۵

(ص)

صرخد ج ۱ ص ۳۰

الصفاء ج ۳ ص ۱۵۵

صفين ج ۱ ص ۴۶

صقلية ج ۲ ص ۳۱

صنماء ج ۱ ص ۳۵۶

الصين ج ۲ ص ۴

(ض)

الضمار ج ۱ ص ۲۴۷

(ط)

الطائف ج ۲ ص ۳۴۱ ، ج ۳ ص ۷۴ ،

۲۲۶

طبرستان ج ۱ ، ۳۹۹ ، ج ۳ ص ۱۲۲

ص ١٠٢ ، ٣٢٣ ، ج ٣ ص ١٠٣ .

١١٨ ،

عذاب ج ٢ ص ٣١

(غ)

الغدير ج ٣ ص ٧٤

غوطة دمشق ج ٢ ص ٢٧ ، ٢٦٤

الغوير ج ٢ ص ٣٠ ، ج ٣ ص ١٠١

(ف)

فارس ج ١ ص ٤٧ ، ج ٢ ص ٥١ ،

١٦٢ ، ٣١٤ ، ٣٢٨

الفرات ج ٢ ص ٣٠ ، ٩٤ ج ٣ ص

٨٧ ، ١٧٩ ، ٢٥١ ، ٢٨٧

فسا ج ٢ ص ١٦٢

فلسطين ج ١ ص ١٠٣ ، ج ٢ ص ٣٧٤

(ق)

القادسية ج ٢ ص ٣٠ ، ٢١٢ ، ٣٢٨

القاع ج ٢ ص ٣٠

القاهرة ج ١ ص ٣١ ، ج ٢ ص ٥٠ ،

١١٠ ، ١٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٩٦ ،

٣٧٤

طبرية ج ٢ ص ٣٤٧

طرابلس ج ٣ ص ٩٢

الطف ج ٢ ص ٣٢٩

الطور ج ١ ص ٩٥

طوس ج ٢ ص ٨٨

(ع)

العذيب ج ٢ ص ٣٢٨ ، ج ٣ ص ١٠١ ،

٢٦٣

العراق ج ١ ص ٣٠١ ، ج ٢ ص ٣٠ ،

٣٨ ، ٥١ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١١٩ ، ١٢٣ ،

ج ٣ ص ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،

١٣٤ ، ١٨٨ ، ٢٣٧ ، ٢٨٧

العراقية ج ١ ص ١٠١

عسفان ج ٣ ص ٦٤

عسقلان ج ٢ ص ٣٧٤

عسكر مكرم ج ١ ص ٤٠٤

العسيب ج ١ ص ١٤٥

العقبة ج ٢ ص ٣٠

العقيق ج ٣ ص ١٠١

عكا ج ٢ ص ١٤٢

عمورية ج ١ ص ٣٤٤ ، ٣٦٠ ج ٢

ج ٣ ص ١٠٧ ، ٢٧٣

(ل)

اللاوى ج ٢ ص ١٠٢ ، ٣٤٤

(م)

مجمع البحرين ج ٢ ص ١٢٠

المحجة ج ٢ ص ٥٠

المحصب ج ٣ ص ١٥٥

المدرسة النظامية بأصبهان ج ١

ص ٨٠٤ ج ٢ ص ٨٨

المدينة ج ١ ص ٥٠ ، ١٦٧ ، ١٩٨

٢٤٦ ج ٢ ص ٨٢ ، ١٢٠ ،

٣٢٩

مدينة السلام ج ١ ص ٣٦ ، ٢٨٧

٢٩٣ ، ٣١٨ ج ٣ ص ٢٥ ، ٢٦ ،

٧٣ ، ٢٣٢

مر الظهران ج ٢ ص ٣٤١

مرو ج ٣ ص ١٤ ، ٣٣٧

المسجد الأقصى ج ٢ ص ٢٠ ، ١٧٥

المسجد الحرام ج ١ ص ٧٦ ، ٧٧ ،

١٧٥

مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ج ١ ص ٧٦

قبر رسول الله ج ١ ص ٢٩٣

قدس ج ١ ص ٢٣٨

قران ج ١ ص ٣٤٦

قرماسين ج ١ ص ٣٠٢

القلزم ج ١ ص ٢١٢

القليب ج ٢ ص ٥٧

قم ج ٢ ص ٣٧٢

قوس ج ٣ ص ١٢٢

(ك)

كاظمة ج ٣ ص ١٩٧

الكرخ ج ٢ ص ١٤٦ ج ٣ ص

١٨٨

الكوبة ج ١ ص ٣٢٢ ج ٣ ص ٣٥

كندة ج ١ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥

ج ٣ ص ٢٦

الكهف ج ٢ ص ٥٦ ، ١٩٣ ، ٢١٣

٢٢٩ ، ٣٠٠ ، ٣١٥ ، ٣٧١

كور الجبل ج ٢ ص ٣٧٢

كور همدان ج ١ ص ٣٠٢

الكوفة ج ١ ص ٤٧ ، ٥٤ ، ١٦٧

٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٣٩٠ ، ٤١١ ج ٢

ص ٣٠ ، ٢٩٩ ، ٣١٨ ، ٣٢٨

المشان ج ١ ص ٤١

مشهد موسى بن جعفر ج ١ ص ٣٢

مصر ج ١ ص ٩، ٣١، ٥٤، ٦٥،

١٩٨، ٢٥٣، ٢٥٩، ٣٦٧ ج ٢

ص ٩، ١٢٣، ١٢٦، ١٤٥، ١٤٦،

١٦٥، ٢١٢، ٣٤٤، ٣٧٤ ج ٣

ص ٢٦، ١٠٥، ١١٦، ٢٢٤،

٢٨٧، ٢٢٥

مطبعة المجموع العلمي العراقي ج ١ ص ١٨

المطبعة الوهية ج ٢ ص ٢٩٦

معركة النعمان ج ٢ ص ٧٧، ٧٨

المغرب ج ١ ص ٢٥٣ ج ٢ ص ٤

ج ٣ ص ٢١١

مقابر قریش ج ١ ص ٣٢ ج ٢ ص

١٦٣

المقبرة الكبرى ج ٢ ص ١٢٤

المكتبات العربية ج ١ ص ٣

مكة ج ١ ص ٩، ٦٤، ٦٥، ٦٧،

١٩١، ١٩٧، ٢٣٢، ٢٣٢، ٢ ج ٢

٣٠، ٦٠، ١٠٤، ٣٤١، ٣ ج ٣

ص ٢٦، ٣٣، ٦٤، ١٠٦،

٢٢١، ٢١٦

منبج ج ١ ص ٥٤

منى ج ٢ ص ٦٠، ٦٧، ٦٨،

المنيفة ج ١ ص ٢٤٧

المهراس ج ٣ ص ١٠٧

مهيعة ج ١ ص ١٩٨

الموصل ج ١ ص ١١، ٣٠، ٣١،

٥٣، ٢٨٧، ٢ ج ٢ ص ١٦، ٥٠،

٥١، ٥٢، ١٦١، ٣ ج ٣ ص ١١٣

١١٦، ١٣٠، ١٣٥، ٣ ج ٣ ص

١٤٠، ١٤٦

موقان ج ١ ص ٣٤٥، ٣٠٢ ج ٢

ميا فارقين ج ٢ ص ١٠، ٣ ص ٨٢

ميدان ج ١ ص ٦١، ٣ ص ١٠٠

(ن)

نجد ج ١ ص ٢٤٧ ج ٣ ص ٢٣،

٢٤

نجران ج ٣ ص ١٢٦

نحلة ج ٣ ص ٢٢٦

نصيبين ج ٢ ص ١٠، ٣ ص ٨٢

نهاوند ج ٢ ص ٢٧٢

نهر الأبله ج ٢ ص ٢٧

هفزيط ج ٢ ص ١٠٧	نهر أبي الخصيب ج ٢ ص ١٤٦
(و)	النوبندجان ج ٢ ص ٢٧
واسط ج ٢ ص ٣٥٣	نيسابور ج ١ ص ٩١ ج ٢ ص ٢٧٢
وحّ ج ٣ ص ٧٤	النيل ج ٣ ص ٢٨٧
(ي)	(هـ)
يافا ج ١ ص ١٠٣	هرقلة ج ٣ ص ١٠٦
يئرب ج ٣ ص ٢٢٦	هضبة الحمى ج ١ ص ٨٣
اليامة ج ٢ ص ١٢٠	همدان ج ١ ص ٣٠٢ ج ٢ ص ٥٥
اليمين ج ١ ص ٣٢٢ ج ٢ ص ٣١	٣٧٢ .
ج ٣ ص ٧٧ ، ٩١ ، ٢٤٠	الهند ج ١ ص ٣٤٨

تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٢ ج ٣ ص

١٤٨

تاريخ الطبري ج ٣ ص ٦٤

تأويل مشكل القرآن ج ٢ ص ٨١

تبين غلط قدامة بن جعفر في كتاب

نقد الشعر ج ١ ص ٣٥

القد كرة ج ٢ ص ٢٩ ج ٣ ص ٥٠

الترمذي ج ١ ص ١٧

التصريف ج ١ ص ١٧

تفسير البلاذري ج ١ ص ١٧

تفسير الطبري ج ٣ ص ٢٢٦

تفسير النقاش = شفاء الصدور

تفضيل شعر امرئ القيس على

الجاهليين ج ١ ص ٣٥

التلخيص ج ٢ ص ١١٠

التنبيه على أوهام أنى على في أماليه

ج ٢ ص ١٤٥

التهذيب ج ١ ص ٢٢٠

(ج)

الجامع الكبير ج ١ ص ١٨

الجمهرة ج ١ ص ٢٤٨

جمهرة اشعار العرب ج ٣ ص ٢٣٠

جمهرة الأمثال ج ٢ ص ١١٠

الأمثال للميداني ج ١ ص ٦١ ج ٢

ص ٣٧٦

أمثال العرب ج ١ ص ١٣٠

إنباء الرواة على أنباء النجاة ج ١

٤٦

الانتصار ج ٣ ص ١٠٩

أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء

ج ١ ص ٣٦٤

الأوائل ج ٢ ص ١٧ ، ١١٠

الأوساط في النحو ج ٢ ص ٣٠٨

(ب)

البداية والنهاية ج ٣ ص ١٣٥

البديع ج ١ ص ١٩ ج ٢ ص ١٢٣

البرهان للزركشي ج ٣ ص ١٣٢

بغية الوعاة ج ٢ ص ٣٠٨

البيان والتبيين ج ١ ص ١٧ ، ٨٢ ،

٢٧٥ ج ٢ ص ٣٤ ، ٢٠٣

(ت)

تاج العروس ج ٤ ص ١١

تاريخ إربل ج ١ ص ٣٢

تاريخ الاشراف ج ١ ص ٦٠

دلائل الإعجاز ج ١ ص ١٩ ، ٢٠ ،

٣٨٤ ، ٢١٤

ديوان ابراهيم بن العباس بن محمد

ابن صول ج ٣ ص ١٧٥

ديوان ابن الرومي ج ١ ص ١٨ ، ٩٩

١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٦٥ ج ٢

ص ٢٥ ، ١٤١ ج ٣ ص ١٨٦

٢٥٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٠

ديوان ابن المعتز ج ٣ ص ٢٥١

ديوان ابن نباتة السعدي ج ٣ ص

٢٩٢

ديوان أبي تمام ج ١ ص ١٤ ، ١٨ ،

٨٤ ، ٩٠ ، ٩٨ ، ١١٧ ، ١٣١ ،

١٣٤ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ،

١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٣٥ ،

٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٣ ،

٢٥٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٣٩ ،

٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،

٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ،

٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٧٢ ،

٣٧٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ،

٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٧ ،

جواهر الألفاظ ج ١ ص ١٨ ، ٣٥٧

الجواهر للغزالي ج ٣ ص ٦٣ ،

(ح)

حاشية الصبان على شرح الأشموني

ج ٢ ص ٢٢٢

حلية المحاضرة للحاتمي ج ١ ص ١٩

الحماسة ج ١ ص ٥٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٧ ،

٣٨٠ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ج ٢ ص

١٠٠ ، ٢١٣ ، ٢٤٦ ، ٣٠٦ ،

الحيوان للجاحظ ج ٣ ص ٢٠٣

(خ)

الخراج وصناعة الكتابة ج ١ ص

١٨ ، ٣٩٦

الخريدة ج ١ ص ٤٠٤ ج ٣ ص

٢٥٩ ، ٢٦٠

خزانة الأدب ج ١ ص ١٤٧

الخصائص ج ١ ص ١٧ ج ٢ ص ٦٧ ،

٦٨ ، ٦٩ ، ٨٤ ، ١٠٨ ، ١٥٨ ،

١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٤٩

(د)

درة الفواص في أوهام الخواص ج ١

ص ٤١

ديوان أبي نواس ج ١ ص ١٨ ،

١٥٠، ١٤١، ١٤٠، ٥٤، ٥٢

٢٦٠ ، ٢٥١ ، ١٥٦، ١٥١

٣٧٤، ٣٤٦، ٣٤١، ٢٦١

٣٩٠، ج ٢ ص ١٢، ١٢،

١٣٦، ١٢٥، ٨٠، ٧٩، ٢١

١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٤٩ ، ١٤٦

٣٤٦، ج ٣ ص ٦٦، ٧٠،

١٣٨ ، ١٢٤ ، ١٠١ ، ٨٧

١٥٧ ، ١٥٥ ، ١٤٨ ، ١٤١

١٩٢ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٠

٢٤٤ ، ٢٣٢ ، ٢٠٤ ، ١٩٣

٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥١

٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٨٢ ج ٤ ص ٣

ديوان الأخطل ج ٣ ص ٩٨ ،

٢٧٥

ديوان الأعشى ج ٣ ص ١٧٩ ،

٢٠٤

ديوان امرئ القيس ج ٣ ص ٣٦ ،

٣٧ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ج ٣ ص ٩٩ ،

١٦٦ ، ٢٠٢ ، ٢٣٠

ديوان البحترى ج ١ ص ١٨ ، ٩٨ ،

٤١٣ ، ٤١٤ ج ٢ ص ٢٢، ٧ ،

٢٣ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٨٠ ، ٨٧ ،

١٠٢ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣٠ ،

١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ،

١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧٨ ،

١٩٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٨ ،

٣٤٨ ، ٣٥٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ،

ج ٣ ص ١٥ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٥ ،

٤٦ ، ٦٧ ، ٨٣ ، ٩٩ ، ١٠٢ ،

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٨ ، ١٢٢ ،

١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ،

١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ،

١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،

٢٢٠ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ،

٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،

٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ،

٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ،

٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٨٢ ،

ج ٤ ص ٦ ، ٩ ، ١١ ،

ديوان أبي العتاهية ج ١ ص ١٨ ج ٣

ص ٢٦٠

ديوان أبي الملاء ج ٣ ص ٢٥٦

٢٨١ ، ٢٨٠ ، ٢٧٩
 ديوان جميل ج ٣ ص ١٦٩
 ديوان حاتم الطائي ج ٢ ص ٢٩٦
 ديوان الحريري ج ١ ص ٤١
 ديوان حسان بن ثابت ج ٣ ص ٢٤٠
 ديوان الخطيئة ج ٣ ص ٣٦
 ديوان الحماسة ج ١ ص ١٧ ، ٤١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ج ٢ ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٠٠ ، ١٤٨ ، ١٦٨ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٥٠ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٩١ ، ج ٣ ص ١٠ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٧٤
 ديوان ديك الجن ج ١ ص ١٨
 ديوان ذى الرمة ج ٣ ص ١٥٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩
 ديوان الشريف الرضي ج ١ ص ١٦٧ ، ج ٢ ص ١٠٩ ، ج ٣ ص ٧٠ ، ٧٢ ، ٢٩٠ ، ج ٤ ص ٤

١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ؛ ١٤٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ؛ ٢١٤ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٤١٤ ، ج ٢ ص ٦١ ، ٧٨ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ٢٤٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٧ ، ٣٢٧ ، ٣٦٨ ، ج ٣ ص ١٥ ، ٣٩ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨٣ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ج ٣ ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ج ٤ ص ١٠
 ديوان بشار ج ٣ ص ٢٤٢ ، ٢٥٨
 ديوان الترسيل ج ١ ص ٣٢
 ديوان جرير ج ٢ ص ٣١١ ، ٣٤٤ ، ج ٣ ص ٤٤ ، ٩٥ ، ١٤٦ ، ١٨٢ ؛ ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨

٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ،

٢٦٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ،

٣٥٩ ، ٣٨٢ ، ٣٩١ ، ٤٠٠ ،

٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ،

٤١٣ ، ٤١٤ ج ٢ ص ٩ ،

١٠ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٦١ ، ٨٢ ، ١٠٦ ،

١٠٧ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٥٢ ،

١٥٧ ، ١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢٧٨ ،

٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ج ٣ ص ٣ ، ٢٩٤ ،

٦١ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٧٧ ،

٨٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،

١١٨ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ،

١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٦١ ،

١٦٥ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٩٣ ،

١٩٤ ، ٢١٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ،

٢٢٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ،

٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣ ،

٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦١ ،

٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ،

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ،

٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،

ج ٤ ص ٤ ، ١٠ ، ١١

ديوان الشماخ ج ٤ ص ٣

ديوان العباس بن الأحنف ج ١

ص ١٨ ، ج ٢ ص ١٤٥ ، ج ٣

ص ١٧٠ ، ٢٣٦

ديوان عروة بن الورد ج ٣ ص ٢٣٦

ديوان عمارة المني ج ٣ ص ٢٢٤

ديوان عنقرة بن شداد ج ١ ص ٣٨٨

ج ٣ ص ١٩١

ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٨ ، ٢١٧ ،

٢٣٧ ، ٢٦٠ ، ٣٩٧ ، ج ٢ ص

١٢٠ ، ١٥٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،

ج ٢ ص ٧١ ، ١٣٧ ، ١٤٦ ،

١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ،

٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٣ ،

ديوان كثير ج ٣ ص ٤٤

ديوان كشاجم ج ١ ص ١٨

ديوان المتنبي ج ١ ص ١٤ ، ٣٨ ،

٥٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٥ ،

١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٣ ،

١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ،

١٥٧ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،

٢١٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ؛

ص ١٨١ ، ١٩٥ ، ٢٨٢
 زبني دحلان على هامش السيرة
 الحلبية ج ٣ ص ٢٢٦
 (س)
 السامي في الأسماء ج ١ ص ٦١
 سر الصفاة ج ٢ ص ٨٤ ، ١٠٨
 سر الفصاحة ج ١ ص ١٨ ، ٢١ ،
 ٢٨ ، ٣٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٣٣٨
 ٣٧١ ، ج ٢ ص ١١٠ ، ١١٢ ،
 ج ٣ ص ٣٥ ؛ ٤٩ ، ٥٠ ، ٩٦ ،
 ١٠٠ ، ٣١٢
 سرقات أبي الطيب المتنبى ج ٢ ص
 ١٢٤
 سقط الزند ج ٣ ص ٧٨ ، ٢٥٦
 سنن أبي داود ج ١ ص ١٧ ، ١٩١
 سنن النسائي ج ١ ص ١٧ ، ١٩١
 سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٤ ، ١٨١ ،
 ٢٢٦
 (ش)
 الشامل للجويني ج ٣ ص ١٩٩
 الشاهنامة ج ٤ ص ١٢
 شذرات الذهب ج ٣ ص ٩٤٨

ديوان مسلم بن الوليد الأنصاري ج ٢
 ص ٩ ، ج ٣ ص ١٥٦ ، ٢٤٤ ،
 ٢٤٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ،
 ديوان المعاني ج ٢ ص ٣٠٨
 ديوان مهيار الديلمي ج ٣ ص ١٠٧
 ديوان النابغة ج ٢ ص ٣٤٢ ، ج ٣
 ١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٢٨١ ،
 (ر)
 الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام
 ج ١ ص ٣٥
 رسالة الخشاب في الرد على الحريري
 في مقاماته ج ١ ص ٤٣
 رسائل ابن الأثير ج ٢ ص ٣٩٧ ،
 ٣٩٩
 رسائل أبي اسحاق الصابي ج ١ ص
 ١٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣
 رسائل صاحب بن عباد ج ١ ص
 ١٧
 الروضة ج ١ ص ١٧ ، ج ٢ ص ١٢ ،
 ج ٣ ص ١٠٥
 (ز)
 زهر الآداب للحصري القيرواني ج ٣

٣٨٥ ، ج ٢ ص ٦٧ ، ٢٥٩ ،

٣٢٨ ، ج ٣ ص ٩٥ . ١٤٨ ،

٢٣٩ . ١٩١

شعراء النصرانية ج ٢ ص ٣٤٥

الشفاء ج ٢ ص ٥

شفاء الصدور ج ١ ص ١٧ ، ٦٠

الشهاب ج ١ ص ١٧ ، ١٩١

(ص)

صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٥

صحيح البخاري ج ١ ص ١٧ ،

١٩١ ، ج ٣ ص ٦٠

صحيح الترمذي ج ١ ص ١٩١

صحيح مسلم ج ١ ص ١٧ ، ١٩١

الصناعتين ج ١ ص ١٨ ، ٣٦٤ ،

٤١١ ، ج ٢ ص ٧ ، ٦٢ ، ٦٧ ،

١١٠ ، ١٣٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ،

ج ٣ ص ٣٥ ، ٤٩ ، ٧٠ ، ٧١ ،

٧٣ ، ٧٥ ، ١٠٠ ، ١٦٩ ، ١٨٥ ،

٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ،

٢٣٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٧٣ ،

٢٧٥ ، ٢٨٢ ، ج ٤ ص ٣

شرح التبريزي ج ٢ ص ١٦٦ ،

٢٥٣

شرح التنوير على سقط الزند ج ٣

ص ٢١٥

شرح الحماسة ج ٢ ص ١١٠ ج ٣ ص

٣٤ ، ٤٥ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٨٤ ،

٢٣٧

شرح الحماسة للمرزوقي ج ٣ ص ٣٤ ،

٣٥ ، ٣٨ ، ٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،

١٧١ . ١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٩٤ ،

١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ،

٢٤٩ ، ٢٤٥ ، ٢٣٧

شرح ديوان بشار ج ٣ ص ٢٥٨

شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ج ٣

ص ٦٠

شرح ديوان الفرزدق ج ٤ ص ٢٢٩ ،

٣٤٣

شرح ديوان المتنبي ج ١ ص ١٧ ،

ج ٣ ص ٣٩

شرح ملحمة الإعراب ج ١ ص ٤١

الشعر والشعراء ج ١ ص ٣٥٦ .

الفصول لأبقراط ج ٣ ص ١٤٥
 الفصيح ج ١ ص ١٧ ، ٣٥١ ، ٣٨٩
 الفلك الدائر على المثل السائر ج ١
 ص ٤٠ ، ٤٥ ، ١٤٥
 الفهرست ج ١ ص ٣٥ ، ج ٣ ص
 ٢٧٣

فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي
 ج ٣ ص ١٣٥
 (ق)

القاموس المحيط ج ١ ص ٥٩ ، ١٠١ ،
 ١٨٦ ، ١٩٦ ، ٣٢٢ ، ج ٢ ص
 ٣٣ ، ٥٦ ، ١٥٧ ، ١٩٨ ،
 ٣٨٠ ، ج ٣ ص ٣٥ ، ٧٤ ،
 ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ١٤٠ ، ٢٠٥ ،
 ٢٥٢

قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ج ١
 ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ج ٣ ص ٣٣٢
 (ك)

الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢ ،
 ج ٣ ص ١٣٥ ، ٢٢٣
 كتاب الحروف ج ١ ص ٣٥
 كتاب الحماسة ج ١ ص ٢٣٧

صناعة الشعر للغامبي ج ١ ص ١٨
 (ط)
 طبقات الشعراء ج ٢ ص ٦٢ ، ٣٢٨ ،
 ٣٤٥ ، ج ٣ ص ١٤٨ ، ٢٢٩ ،
 ٢٥٨

(ع)
 العرب والامبراطورية العربية ج ٣
 ص ٢٢٦
 العروض والقوافي ج ٢ ص ٣٠٨
 العصا لأسامة بن منقذ ج ٣ ص
 ٧٨

العقد الفريد ج ١ ص ١٧ ج ٢ ص
 ٣٣٨ ، ٣٢٩ ، ٣٤٠ ، ج ٣ ص
 ٥٦ ، ٧٣ ، ٢٤٥
 العسكري ج ٢ ص ٢٧٨

العمدة (لابن رشيق) ج ٣ ص ١٨١
 عيون الأخبار ج ٣ ص ٣٤ ، ٧٠
 (ف)

فتوح البلدان ج ١ ص ٦٠
 فحول الشعراء ج ١ ص ٥٣
 فرق ما بين الخاص والمشارك من
 معاني الشعر ج ١ ص ٣٥

مجمع الأمثال ج ١ ص ١٧ ، ٦١ ،

٦٢

المختار من رسائل أبي إسحاق الصابي

ج ١ ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٣٠٢ ،

٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ،

٣١٩ ، ٣٣٢ ، ج ٢ ص ٩١

المختلف والمؤتلف في أسماء الشعراء

ج ١ ص ٣٥

مدارك التنزيل وحقائق التأويل

لنفسى ج ٢ ص ٢٢٢

مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة

والبقاع ج ٢ ص ٢٦٤

المرأة في الشعر الجاهلي للدكتور

أحمد الحوفي ج ٣ ص ٩٨٢

مروج الذهب المسمودى ج ٣ ص

٥٦

المسائل ج ٢ ص ٣٠٨

المعارف ج ٢ ص ١٧

معاني شعر البحترى ج ١ ص ٣٥

معاني القرآن ج ٢ ص ٣٠٨

المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء

كتاب سيبويه ج ١ ص ٤٨

كتاب العين ج ١ ص ٤٨

كتاب فعلت وأفعلت ج ١ ص ٣٥

كتاب في أن الشاعرين لا تتفق

خواطرهما ج ١ ص ٣٥

كتاب مافي معيار الشعر لابن طباطبا

من الخطأ ج ١ ص ٣٥

كليمة ودمنة ج ١ ص ١٠٩

(ل)

الالباب لابن الأنير ج ٣ ص ٤٩ ،

١٢٨ ، ١٣٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ،

لحن الخاصة ج ٢ ص ١١٠

لزوم ما لا يلزم ج ١ ص ١٧ ، ٣٦٥ ،

٣٦٨

اللزوميات ج ٣ ص ٧٨

لسان العرب ج ١ ص ٣٧٥ ، ج ٢

ص ٣٩ ، ٢٥٩ ، ٣٣٢ ، ج ٣ ص

٦٤ ، ٧٨ ، ٧٩

(م)

المثل السائر ج ١ ص ٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٣ ،

١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ،

٢٩ ، ٣١ ، ٢١٧

المنصف ج ٢ ص ٨٤ ، ١٠٨ ،

١٢٤

لموازنة بين البحترى وأبي تمام ج ١

ص ٢٦ ، ج ٣ ص ١٤٤

الموازنة بين الطائين ج ١ ص ٢١ ،

١١٠ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ،

١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،

المؤلف والمختلف ج ٢ ص ٣٠٥ ،

ج ٣ ص ٢٦٢

الموشح ج ٢ ص ٣٤٥ ، ج ٣ ص

١٧٩ ، ١٨٦ ،

الموطأ ج ١ ص ١٧

(ن)

نثر المنظوم ج ١ ص ٣٥

نزهة الألباء في طبقات الأطباء ج ٢

ص ٨٤

النقائض ج ١ ص ١٨ ، ج ٢ ص

٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ج ٣ ص ٢٧٥ ،

٢٧٨

نقد الشعر ج ١ ص ١٨ ، ٩٧ ،

٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ج ٢ ص ٦٢ ،

٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ج ٣ ص ١٤٤ ، ٢٠٧

ج ١ ص ٣١

معاهد التنصيص ج ٣ ص ٣٦ ،

١٣٧

معجز أحمد ج ١ ص ١٧

معجم الأدياء لياقوت ج ٢ ص

١٠٨ ، ج ٣ ص ١٣٥

معجم البلدان ج ٣ ص ١٠٤ ، ١٣٥ ،

١٨١

معجم المرزباني ج ٣ ص ٢٦٢

المعلقات ج ١ ص ٢٦٦

مفاتيح العلوم ج ١ ص ٢٠

المفسر ج ٢ ص ١٠٨

مقامات بدیع الزمان الهمداني ج ٣

ص ٢٨٤

مقامات الحريري ج ١ ص ١٧ ،

٤٠١ ، ج ٢ ص ٤٧ ، ج ٣ ص

٨٨

المقاييس في النحو ج ٢ ص ٣٠٨

المقتضب ج ٢ ص ١٢

مقدمة ابن أفلح البغدادي ج ١ ص ١٩ ،

٢٠ ، ج ٢ ص ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ،

ملحة الإعراب ج ١ ص ٤١

النسكت في إعجاز القرآن ج ١ ص

١٨

النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ٦٤ ،

١٨٢

نوادير المخطوطات ج ٣ ص ٧٨

النيسابوري على هامش الطبري ج ٣

ص ٢٢٦

(ه)

المهشميات للكميت ج ٣ ص ١٥٣

(و)

الوساطة بين المتنبي وخصومه ج ١

ص ١٩ ، ج ٢ ص ٧٢ ، ج ٣

ص ٢٢٢ ، ٢١٨

الوشى المرقوم في حل المنظوم ج ١

ص ٣١ ، ١٦١ ، ج ٢ ص ٣٦

وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٠ ، ج ٢

ص ١٢٤ ج ٣ ص ٣٤ ، ٢٥٢ ،

٢٧٣

(ي)

ياقوت ج ١ ص ٣٥

يقيمة الدهر ج ١ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ،

٤٠٧ ، ج ٢ ص ١٢٤ ، ج ٣ ص

١٤٠ ، ١٨٨ ، ٢٠٦ ، ٢٩٢

فهرس القوافى

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
وما العيش	وماء	طويل	٢	٨٩
ملكْتُ	ورءها	»	٣	١٩٤
لنا إبل	وسماؤها	»	٣	١٧٥
لَمَلَكْ	بداء	»	١	٢٨١
دَعُ	الداءُ	بسيط	٣	٢٣٢
لهفى	شاءوا	»	٣	٢٣٣
لا تملذ	أحشائه	كامل	١	١٣٣
إن القتل	بدمائه	»	١	»
وكأنها	الندماء	»	٢	١٣١
يا غاديا	وضجانه	»	٢	١٤٦
جدة	مائه	»	٢	»
يمشون	نهاء	»	٢	١٤٧
خرقاءُ	بالأسماء	»	٣	٢١٢
قد ذبتُ	هواء	»	١	٣٥٠
غيرى	ثفائه	»	٢	٢٤
كل امرئ	هجاءه	»	»	»
يا صالبا	سمائه	»	»	٣٢
زعم	بتنائى	»	»	٢٤٧
قدك	سجرائى	»	»	١٥٥

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
لا تسقى	بكائي	كامل	٢	١٥٥
لاني	وورائه	»	٣	٣٨
اسلم	حراء	»	»	٢٠٦
لو قلت	يفدائه	»	»	٢٢٤
أحبه	أعدائه	»	»	٢٤٥
إن للبين	بيضاء	خفيف	٣	١٠١
أحسن	البلاء	»	»	١٤٩
جاد حتى	ابتداء	»	»	١٢٩
أقروا	الفناء	متقارب	٢	١٣٧
نعماء	الفناء	»	»	٢٧١

(ب)

لعمري	مركب	طويل	١	٢٩
وأظلم	يتقلب	»	»	٧٧
أهابك	حبيبها	»	»	١٠٢
يرى	خائب	»	»	١٠٤
إذا سار	السهب	»	»	١١٨
أهنّ	صاحبه	»	»	١٥٢
وركب	غياهبه	»	»	»
عشقت	ضروب	»	»	١٦٧
إذا الخيل	الكتائب	»	»	٣٤٤
لقد أخذت	أم نهب	»	»	٣٤٤

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
على مثلها	السواكب	طويل	١	٣٤٤
يمدون	قواضب	»	»	٣٥٠
الم تر	نواصب	»	»	٣٧٠
وما مثله	يقاربه	»	»	٣٩٧
إلى خالد	نكب	»	»	٣٩٨
لقد أخذت	نهب	»	»	٣٩٨
ولو كان	على خطب	»	٢	٤٨
أميدان لموى	والجنائب	»	»	٨٢
على مثلها	السواكب	»	»	٨٢
وصاعقة	سحائب	»	»	١٠٥
هبيه لمنهل	لواعب	»	»	١٠٥
هنيئاً	السكتائب	»	»	١٤٣
وركب	قاطب	»	»	١٧٨
على مثلها	السواكب	»	»	١٧٨
وما مثله	يقاربه	»	»	٢٢٩
ولا فضل	شعوب	»	»	٢٧٥
وأظلم	يتقلب	»	»	٢٧٨
خيال لأم	المذبذب	»	»	٣٠٥
ولست	المهذب	»	»	٣٤٢
أتانى	أنصب	»	»	٣٤٢

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
ولا فضل	شعوب	طويل	٢	٢٥٧
جزى الله	نوائبة	»	٣	٢٠
فما جوا	الحقائب	»	»	٧٠
بكل فتى	والضرب	»	»	٨٣
وركب	بالعصائب	»	»	١٣٧
عمدتك	خلبا	»	»	١٤٢
وصالكم	حرب	»	»	١٧٠
الايقنا	ونعزب	»	»	١٧٩
أجرك	تأوبا	»	»	١٨٣
أنت	القلائب	»	»	١٨٥
حلفت	مذهب	»	»	١٨٨
المعري	مركب	»	»	٢٠٣
كان	ينقب	»	»	٢٠٨
عوامل	نصب	»	»	٢١٤
خذا	بلبه	»	»	٢٢٣
رعته	ساكبه	»	»	٢٢٥
إذا قصرت	فنضارب	»	»	٢٤٩
غرائب	غرائب	»	»	٢٤٩
وأهوى	الترب	»	»	٢٥٦
وقد	خيّب	»	»	٢٦٥
إذا ما	بمصائب	»	»	٢٨١

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
وما تنعم	مهذبا	طويل	٣	٢٨٥
يرى	لغائب	»	»	٢٩١
قلب يطل	الغيب	بسيط	١	٩٨
بكل فتى	والضرب	»	»	٣٤٤
عداك	الخصب	»	»	»
كم أحرزت	في كسب	»	»	»
السيف	واللعب	»	»	»
بيض الصفائح	والرب	»	»	٣٦٠
كحلاء	ذهب	»	»	٢٦٤
ما بال	سرب	»	»	٣٦٤
ياربة البيت	والقربا	»	»	٣٩١
ماذا ترين	قبيا	»	»	٣٩١
يا أيها الملك	كسب	»	٢	٢٢
صبرا	عقب	»	»	»
كم أحرزت	في كسب	»	»	١٠٢
إن يمد	الخطب	»	»	»
السيف	واللعب	»	»	»
أحسن قراينه	من الحرب	٢	»	١٠٣
صدفت عنه	يحب	»	»	١٤٤
أبدت	عجب	»	»	»
لو يعلم	والفضب	»	»	٢٢٣

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
قالت	غلبا	بسيط	٣	٣٦
السيف	والعجب	»	»	١٠٣
بقصرت	التعب	»	»	١١٨
أم هل	والشذب	»	»	١٥٤
لمياه	شذب	»	»	١٥٤
يا أخت	العرب	»	»	٢١٨
فكل ذي	لا يثوب	مخلع البسيط	١	٣٤٠
أفقر	فالذنوب	»	»	»
ان الذي	قلبي	»	٣	٢١٢
قال	أركب	»	»	٢١٥
وما أحد	التراب	وافر	١	٢٩
شرابك	التراب	»	٢	٢١
رأينا الجود	ذنوب	»	»	٢٣
وأنت تدير	قطبا	»	»	٢٣
أعتبة	نصبا	»	»	٢٣
عدوك	الصحاب	»	»	٢٥
وناظرة	مستراب	»	٣	٦٧
فمض	كلابا	»	»	٩٥
انا البازي	انصبابا	»	»	٩٥
وما أحد	التراب	»	»	٢٠٢

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
وغير	جوابا	وافر	٣	٢٢١
ومن	خضاب	»	»	٢٣٨
فلا زالت	التروبا	»	»	٢٤٢
أسالم	الخطوب	»	»	٢٤٣
إذا غضبت	غضابا	»	»	٢٥٢
إذا آباؤنا	العرا ب	»	»	٢٨٠
باللفظ	في قربه	كامل	١	٦٢٢
سلبوا	يسلبوا	»	»	١٨٤
يزهى به	ذا بكعوب	»	»	١٧٠
جاذبتها	العقرب	»	»	٣٥٩
إن يقتلوك	شهاب	»	»	٣٨٠
عفت الرسوم	فتذهب	»	٢	٦١
عارضنا	الأشنب	»	»	٦١
يا بن المسيب	ومن عطب	»	»	١٤١
أدرك	العنب	»	»	١٤١
وتراه	بكوكب	»	»	٦٤٧
رحلوا	لم تعلم	»	»	١٤٧
يذرين	الحبا	»	»	٢٢٢
ولقد	طاي	»	٣	١٩٩
ذهب	الأجرب	»	»	٢٠٣
عفت	القلوب	»	»	١١٩

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
أدميت	القلب	كامل	٣	٢٤٠
قالوا	يركب	»	»	٢٤٤
إن المطية	وتركب	»	»	٢٤٤
ركبوا	ويُمرَّبُ	»	»	٢٥١
ذكرتُ	والوصب	هزج	٢	٣٥٨
إن بكاء	على طربة	منسرح	١	١٦٢
سلبته	في سلبه	»	»	١٦٢
ليس	ظلا به	خفيف	»	١٢٦
سكن	أربيا	»	»	١٥٢
من سجايا	نصوبا	»	»	١٥٢
لوراينا	بالتنويب	»	»	١٦٢
أى مرعى	في ملحوب	»	٢	١٣٢ ، ١
أن دعاه	فأصابه	»	»	١٤٠
خلق	عصابه	»	»	»
وكفانى	ابن شهاب	»	٣	١٢٦
جرحته	الندوب	»	»	٢٤٠
غرّبه	بالتفريب	»	»	٢٥٩
وقد حلفت	لا تكذب	مجتث	»	١٥٥
أنام	العسب	مقارب	١	١٤٥
ترددنى	مهيّبا	»	٢	٣٦٨

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
لَوْت	الطروبا	متقارب	٢	٣٦٨
اِذَا كَانَ	حبيبا	»	٣	٢٥٧

(ت)

طموح	جَنَّة	طويل	١	١٥٥
خليلي	حَلَّتْ	»	»	٣٧١
أصاب الردى	جَنَّتْ	»	»	٣٧١
نَهَوْضُ	وَجَلَّتْ	»	٣	١٥
تسائها	وَابَتْ	»	»	١٥
تيمم	ضَلَّتْ	»	»	٩٥
ومطالب	بَاتَهَا	كامل	»	١٢٥
يوم التيمم	أَتَى	»	»	١٧٦
إن السكرام	سَوْدَاوَاتَهَا	»	»	٤١٤ ، ٢٦٤
سرب	موصوفاتها	»	»	٢٦٤
لاخلق	هَاتَهَا	»	»	٤١٤
سرب محاسنه	موصوفاتها	»	»	٤١٤
مَآئِي	سراويلاتها	»	٣	٧١
مَآئِي عَلَى	سراويلاتها	»	٤	٤
بنت	ولا أخت	سريع	»	٣٦٨

(ث)

قسم	أثلاثا	»	٣	٣٥
-----	--------	---	---	----

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
(ح)				
ملا حاجيك	وبارحُ	طويل	٢	١٥٦
إذا أخذت	تسرحُ	»	»	٣١١
أجدّ رواح	مترحُ	»	»	»
ومن يك	مطرح	»	٣	٢٣١
لولا	يمتدحُ	بسيط	»	٢٤٦
وكلتُ	جرّحاً	»	»	٢٥٩
من راقب	اللمجُ	»	»	٢٥٨
دار أجلّ	مفانحها	»	١	٤٠٠
أهدى الدموع	سوافحها	»	»	»
تراهم	الملاحُ	وافر	٢	١٤٣
أقول لها	أو تستريحى	»	»	١٦٦
فقد	يصيحُ	»	»	٢١٧
فقد	يصيحُ	»	٣	٤٨
إذا ما كفت	السلام	»	»	٦٩
فلم أمدحك	المدح	»	»	٢٤٠
أعدد	السماح	كامل	»	٢١٠
الدهرُ	بالإصلاح	»	»	٢٥٩
نحّ صوت	ويصيحُ	رمل مجزوء	٢	٧٩
غرد الديك	الصبح	»	»	٧٩
وجوه	بالزاج	سريع	١	٢٦٠

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
فأنا	فأرح	طويل	١	٣٩٤
مضى ابن	مادح	»	»	»
وشدت	رائح	»	٢	٦٦
ولما قضينا	ماسح	»	»	»
قل للأمة	الريح	بسيط	١	٣٩٩
كانه لاجتماع	روح	»	»	٣٩٩
بالتار	روحي	كامل	»	٤٠٤
ثقلت	الراح	»	٢	٣٢
ثلاثة	وقدح	رجز	١	٣٨٦

(د)

من القوم	بالجمد	طويل	١	٣٤٣
فإن نلت	ورده	»	١	٧٨
فلا مجد	قل مجده	»	»	٣٥٦
أود من	جفده	»	»	٣٥٦
مريب	وهد	»	»	٦١٢
إذا بي	شهد	»	»	٢١٣
وتسعدني	شواهد	»	»	٤٠٠
قراني	وفوائدي	»	١	٤١٣
عفت أربع	القد	»	»	٣٤٣
حباء شقيق	وافد	»	٢	١٥
لما تؤذن	يولد	»	»	٢٥

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
أبين	تتجدد	طويل	٢	٢٥
أجزنى	مرددا	»	»	٢٦
لكل امرئ	في المدا	»	»	٢٦
وحدثنى	ياسعد	»	»	٦٨
شهدت	من برد	»	»	٨٠
وكم أحرزت	القد	»	»	٨٠
صبا ماصبا	ابعد	»	»	٢٠٧
نصحت	شهدي	»	»	»
سقى الله	والبعد	»	٣	٢٣
وإن الذي	جدا	»	»	٢٨
يعاتبني	حدا	»	»	»
ألم تقمض	مسهدا	»	»	٣٤
أربع	ودادى	»	»	١٠٠
عواذل	لماجد	»	»	١٢٤
نقال	عدوا	»	»	١٤٩
لهم جل	رفدا	»	»	١٥١
فيأبها	المدا	»	»	١٧٧
وانى	واجد	»	»	١٨٤
أقبله	رؤده	»	»	١٩٠
فإن يك	عمد	»	»	٢١٣
وقوفا	وتجلد	»	»	٢٣٠

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
أجاد	لمعبد	طويل	٣	٢٢٣
محاسن	لمعبد	»	»	»
أعانتك	مُبْعِدِي	»	»	٢٢٦
يصد	ناهد	»	»	٢٥٠
أمام	وجياد	»	»	٢٥٤
كان	عقد	»	»	٢٥٧
كأنى	أبعدا	»	»	٢٥٩
مخصرة	عقودها	»	»	٢٥٧
إذا أطفأ	عقودها	»	»	»
سأجهد	بجاهد	»	٤	٦
لو كان	بنو لبد	بسيط	١	٢٢٧
وأهل	ولا سند	»	»	٣٤٥
يابعد غاية	والسهد	»	»	»
نصبته	الييد	»	٢	٩
لاتدع بي	الرعايد	»	»	٩
يابدد	والسهد	»	»	١٠١
لما غدا	يقد	»	»	١٠١
تبسم	البرد	»	»	١٣٦
إني تركت	ولا فند	»	»	١٣٦
تلقى المنية	مجلود	»	»	١٤٥
لاتدع بي	الرعايد	»	»	١٤٥

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
أقول لأنفس	ولم ترد	بسيط	٢	١٦٦
كلأها	ولدي	»	»	»
قوم إذا	قودا	»	»	٦٢
فأمطرت	بالبرد	»	»	٧٥
تركت ضائي	الأبد	»	»	٦٢
وصاحب	مجنهد	»	»	٨٥
يقول	القوق	»	٣	١٢٢
للعيد	عيد	»	»	٢٢٩
إن قصر	بتعريد	»	»	٢٤٩
تسكارت	ما يصيد	وافر	١	١٤٨
وإن تصفح	جديد	»	»	٣٤١
ولو جربني	ولا يصادي	»	»	٣٧٣
سقى	وباد	»	»	»
فإن يبرأ	القوق	»	»	٣٨٨
ملأت	مرادى	»	»	٤٠٣
رددت	الحديدا	»	٢	٢٥
ولا سيما	تبيدا	»	»	»
أظن	وجيد	»	»	٨٧
لبست سواه	بالصعيد	»	٢	٨٧
أقلنى	المجود	»	٣	١٤٨
وتبنى	الجمادا	»	»	١٨٢

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
لقد علم	الحديد	وافر	٣	١٩٨
وقد عزى	يمود	»	»	٣٣٧
إذا ما ازددت	ازدياد	»	»	٢٥٦
لو يسمعون	وسجودا	كامل	١	١٢٧
خذاء	وريد	»	»	١٣١
أودمية	بقرمد	»	»	٢٥٩
أعزز	القواد	»	١	١٦٢
عامى وعام	صيهود	»	»	٣٤٤
أرايت أى	وبرود	»	»	٣٤٥
والى بنى	نخورا	»	»	٣٨١
ذهب الرقاد	المواد	»	»	٢٩٠
وإذا أراد	حسود	»	٢	٢٣
أرايت	وبرود	»	»	٢٣
أسرى	بطريد	»	»	١٠٢
أرايت	فزرود	»	»	»
خذها	كنود	»	»	١٥٠
خذاء	وريد	»	»	١٥٠
إنا لنصمخ	الأصيد	»	»	٢٤٦
لله تيم	جلاد	»	»	٢٥٣
لو شئت	خالد	»	»	٣٠٧
مجبأ	المتباعد	»	»	٣٠٧

صدر	عجز	بحر	جرء	صفحة
إن القوافي	فريدا	كامل	٢	٣٤٨
طلال الجميع	شهيدا	»	»	٢٤٨
دمن	وحقودا	»	٣	٢٨
ولقد	يتفصد	»	»	٨٤٠٦٨
راحت	الواعد	»	»	٩٠
قصدت	ماجد	»	»	١٢٦
ما إن ترى	سودا	»	»	١٤٧
شرف	جديدا	»	»	١٤٧
أشكو	اليد	»	»	١٤٩
ما إن	بمحمد	»	»	٢٤٠
وليس	واحد	»	»	٢٥٢
برزت	منجدا	»	»	٢٥٨
له اعتدال	البرد	رجز	»	١٥٤
إنه والله	عبد الصمد	رمل	»	٦٩
اسقنيها	المنادي	رمل مجزوء	٢	١٢٥
ثم لما	الجراد	»	»	١٢٦
مالكتيب	عقد	منسرح	١	٣٤٥
يا مضافنا	في خلد	»	»	٣٤٥
ومر	جسده	»	»	٤٠٨
إليك	من نضده	»	»	٤٠٨
وهو المرء	الجنود	خفيف	١	١٥٣

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
مستميل	وعقيد	خفيف	١	١٦٧
كم عزيز	في عود	»	٢	٨
أحلم	أعيدا	»	»	٢٦
إنما النى	أو فزيدا	»	»	٣٦٧
فهى الشمس	وجيدا	»	»	٣٦٨
غاورتهم	وسجود	»	٣	١٧٣
كل عيد	عيد	»	»	٢٢٨
خل عفا	المعاد	»	»	٢٥١
فهو كالسهم	بعدا	»	»	٢٥٩
بهجر	الفمودا	مقارب	٢	٢٦

(ر)

إذا جعفر	قبورها	طويل	١	٨٣
عجبت	الدهر	»	»	٨٤
تردى	خضر	»	»	١٣٤
تعزيت	أجدر	»	»	١٣٩
فقلت	كفر	»	»	١٥١
إلى ملك	تصايره	»	»	٢٢٨
كم من	مفاقره	»	»	٢٢٨
لملك أن	تمطر	»	١	٢٤٤
أقول للحيان	معور	»	»	٢٦٣
قسمت	واتر	»	»	٣٥٥

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
إذا أنت	القمر	طويل	٢	١٠٩
غمام سماح	وتر	»	»	١٣٢، ١١٧
متى لاح	ولا نزر	»	»	»
إلام	المنابر	»	»	١٦٤
ولست	أميرها	»	»	٢٢٨
على لاحب جرجرا	»	»	»	٢٥٩
أرى أم عمرو أصبرا	»	»	»	»
أماوى	الصدر	»	»	٢٩٦
أماوى	العذر	»	»	»
ويوم	السحر	»	٣	١٥
متى لاح	نزر	»	»	»
أحن	المآزر	»	»	٧٢
لنا هجمة	والخطر	»	»	٨٧
وراءك	الخامر	»	»	١٠٨
تقول	تسير	»	»	١٢٤
لعمرك	والقطر	»	»	١٤٢
وأعور	فبصير	»	»	١٤٦
فلا الجود	مدبر	»	»	١٤٧
ترجس	مستسر	»	»	١٥٢
ألايا اسلى	القطر	»	»	١٧١

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
إليك	القصر	طويل	٣	١٨٨
وظي	وعر	»	»	٢٠٤
شتجان	المبصر	»	»	٢٣٥
فتى مات	النصر	»	»	٢٣٦
ترفع	الإعذار	»	»	٢٤٧
ولست	الفقر	»	»	٢٥٠
ركبت	بحر	»	»	٢٥١
إذا شئت	أجدر	»	»	٢٥٦
وإني	عذري	»	»	٢٦٠
وأستكبر	الخبر	»	»	٢٦١
دمن	الفقر	»	»	٢٦٢
إذا ابن	جازر	»	٤	٣
أحن	المآزر	»	»	٤
لا اذود	ثمره	مديد	٣	٦٦
أيها	سمير	»	»	»
تقمنى	جزره	»	»	٢٨٢
بالشعر طول	قصر	بسيط	١	٨٤
خامى	وضرار	»	»	٣٦٤
ما هاج	الدار	»	»	٣٦٤
فأصبحت	الفرر	»	»	٣٤٣
كأنما	حافره	»	٢	١٥

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
تقول هذا	الزناير	بسيط	٢	١٢٥
في زخرف	تعبير	»	»	»
كانت	والنور	»	»	١٤٨
ولاح ضوء	الظفر	»	»	١٦٠
على	البقر	»	»	٢٦٩
لأنامن	بأسيار	»	٣	٩٥
لم يخف	الصفير	»	»	٢٢٨
إن الكرام	كثروا	»	»	٢٥٥
كانت	الخبر	»	»	٢٦٠
من راقب	الجسور	مخلع البسيط	»	٢٥٨
شهور	ولا سرار	واقر	١	١٥٨
أقلنى	الجحود	»	»	٣٤١
أبا العباس	عار	»	»	٣٦٠
تبیت	اغتنار	»	»	٤٠٠
طوال قنا	بحار	»	»	٤١٣ و ٤٠٠
يوسطه	الاتظار	»	»	»
إذا لاقیت	خبيرا	»	٢	٢١٠
يشلهم	الخيار	»	٣	٧٦
ألاباء	عمري	»	»	١٢٦
عجاجة	خبار	»	»	١٩٣
ولا تمنك	والخمار	»	»	٢٣٨

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
كأن الناس	القطار	وافر	٣	٢٤٢
أفاطم	بشرا	»	»	٢٨٤
باد هواك	أو جرى	كامل	١	٥٥
ذكرت	المصار	»	١	١٥٠
باد هواك	أو جرى	»	»	٢٧٧، ٢٣٨
وملحة	الشطار	»	»	٢٦١
أنت الوحيد	غضنفرا	»	»	٢٧٧
إن	تذكر	»	»	٣٥١
لا أنت	الأوطار	»	»	٣٥٣
كادوا النبوة	المضمار	»	»	٣٥٤
الحق أبلج	حذار	»	»	»
إن الليالي	الأعمار	»	»	٣٥٧
وقبر حرب	قبر	»	»	٤٠٠
بكروا	النجار	»	٢	٧
الحق أبلج	حذار	»	»	١٤٤، ٦
لله من	النظار	»	»	٨
انظر	بالأقدار	»	»	٣٠
زد رفعة	أثرى	»	»	٣١
لما نظرت	النوار	»	»	١٠١
كم نعمة	وإسار	»	»	١٤٤

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
يا صاحبي	تصورُ	كامل	٢	١٥٢
رقت	يتكسرُ	»	»	»
لا أنت	الأوطارُ	»	»	١٩٧
لا تنزع	ينجحرُ	»	»	٢٨٥
أدين	غبارُ	»	»	٢٥٩
قوم أهانوا	وافرِ	»	»	٢٧٣
لا زال	الحاجرِ	»	»	»
الله أعطاك	لا ينكرُ	»	»	٢٩٥
أخفى	وأغدرُ	»	»	»
ولقد	المطيرِ	»	٣	٣٧
سمع	زهرِ	»	»	٨٧
الحق ابلجُ	حذارِ	كامل	»	١٠٤
نقضى	تدورُ	»	»	١٠٦
خلق	المتيسرُ	»	»	١٢٢
إني ليمجبنى	زيرُ	»	»	١٤٠
قبح الإله	لجارِ	»	»	١٤٦
نفضتَ	الأمصارُ	»	»	١٥٦
إني لأعلم	غرورُ	»	»	١٦١
لو أن	المفهرُ	»	»	١٩٥
ولقيتُ	والأعصر	»	»	٢١٣

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
أسلم	نمير	كامل	٣	٢١٧
يا خاطب	الأكدار	»	»	»
كان القداء	مُثار	»	»	٢٤٢
قلّ السكّام	يسكّثا	»	»	٢٥٥
لا يخفين	طاروا	»	»	٢٧٧
علق	للعائر	»	»	٢٧٩
وُجد	والمنشار	»	»	٢٨٠
اشربت	تطير	»	»	٢٨٥
ونشري	النشر	هزج	»	٣٤٧
له وجه	عذري	»	»	٢٩٠
عز على	الفمير	رجز	١	٣٧٥
عجب	ظاهره	»	»	٩٤
قد سقيت	الأوار	»	٣	٨٦
ليس	الصدر	»	»	٢٢٥
جن	بالإبر	»	»	٢٩٢
ولقد	لفرور	رمل	»	٤٨
فإذا ما	استدارا	رمل مجزوء	٢	١٣٦
دع لباكيها	الحمارا	»	»	»
لا زلت	فاخر	سريع	»	٥٨
قل للأمير	وللحاضر	»	»	»
يرجو ويخشى	والنار	»	٣	١٠٦

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
لا ، ومكان	الخصير	منسرح	٢	١٠١
أحسن	وخار	»	٣	١٥٥
يتفرقن	الجارى	خفيف	٢	٢١٤
أبكاء	نوار	»	»	»
كل عذر	المذار	»	»	٣٢٧
فوق ضعف	الكبار	»	»	٢٣٨
قل لمن	ظفر	»	»	٢٥١
أخاف	غيره	مبحث	١	٣٧٦

(ز)

كفر ندى	للبراز	خفيف	١	٢٥٨
ومن الناس	الحازباز	»	»	»

(س)

وما الفخر	بنفسه	طويل	١	١٣٨
رأيت	يلبس	»	»	١٤٠
تدار علينا	فارس	»	٢	١٢
ودار نداهى	ودارس	»	»	١٢
ورمل	الحفادس	»	٢	١٥٩
ألم تسأل	البسابس	»	»	»
ودار	ودارس	»	»	٣٤٦
ولم أدر	البسابس	»	»	٣٤٧

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
أقنا	خامس	طويل	٣	٢٤
ودار ندای	ودارسُ	»	»	»
ومدرع	وبطلسُ	»	»	٨٨
سؤالک	أطلسُ	»	»	»
وما زال	حابسُ	»	»	١٩٧
قد قلت	دهاريسا	بسيط	١	٢٣٥
أحيا	مألوسا	»	»	»
دان	شرسُ	»	»	٤٠٨
أظبية	تعيس	»	»	»
كانوا	آساسا	کامل	»	١٤٠
بدر أطالت	بشماس	»	»	٣٤٣
وافی	الأدراس	»	»	»
لا تنكروا	والباس	»	٢	٢٣
وافی	الأدراس	»	»	٢٣
لا تنكروا	والباس	»	»	٢٦
بقيت	عبوس	»	»	٢١٢
والشيب	متنفسُ	»	»	٢٤٦
يارب	للا کؤس	»	٣	١٨٠
لا تنكروا	والياس	»	»	٢٢٠
إقدام	١١			»

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
ورث	سدس	كامل مجزوء	٣	١٨٣
شيخ لنا	الموس	منسرح	١	٤١
نعم مقاع	ولا جيس	»	»	٢٣٦
هل أثر	والوعس	»	»	٢٣٦
مشمخر	وقدس	خفيف	»	٢٢٨
عرّضن	إبليس	»	٢	٤٥
وإذا ما رأيت	وفرس	»	»	٣١٢
صنت نفسى	كلّ جيس	»	»	»
أصبح	العباس	»	٣	١٠٧
إذا جالت	النفوسا	متقارب	١	٢٤٤

(ش)

وفيشة	وطيش	رجز	١	٣٧٢
-------	------	-----	---	-----

(ص)

فرعاء	الدعص	كامل	٢	٧٦، ٧٥، ٧٣
-------	-------	------	---	------------

(ض)

هى العرمس	خافص	طويل	١	٢٣٩
مهاة	ما حض	»	»	»
مودة	عرض	بسيط	٣	٢١٤، ٢١٢
منع الحياة	مراض	كامل	١	٣٧١

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
سارية	محض	رجز	٣	٢٧٣
يا بياضا	بياضا	خفيف	١	٣٤٨
معشر	والأعراض	»	٢	١٣٨
بدآت	بالأغراض	»	»	١٣٨
وإذا المحبر	المتقاضى	»	٣	٢٤١

(ع)

سقى الله	ما تقطعا	طويل	١	٩٩
أصم بك	بلقعا	»	»	٣٤١
فتى كان	مرتما	»	»	»
إذا العين	الأضالع	»	»	٣٤٧
ألمت	هواجم	»	»	»
منى النفس	وولوعها	»	»	٣٥١
شواجر	قطوعها	»	»	»
جدير	ناقع	»	»	٣٥٥
ألمت	هواجم	»	»	»
تلفت	وأخذعا	»	»	٣٨٤
حمامة	ومسمع	»	»	٤٠٧
إذا ما تردى	الشوارع	»	٢	١٤٤
فتى عيش	مرتما	»	»	١٤٨
ألمت	مربعا	»	»	»

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
حننت	معاً	طويل	٢	١٦٤
وأذكر	تصدعاً	»	»	١٦٤
بعيد مقيل	المخادعُ	»	»	٢٠٦
ألمت	هواجعُ	»	»	٢٠٦
ألا صنع	جازعُ	»	»	٢١٥
ألم ترى	أنخشمُ	»	»	٣٠٨
وإنك	واسعُ	»	»	٣٤٢
عفا ذو حسا	الدوافعُ	»	»	»
وما لاسرى	المطالعُ	»	»	٣٤٦
ألمت	هواجعُ	»	٣	٣٩
وإن الفنى	أطوعُ	»	»	٤٥
أصم بك	بلقما	»	»	١٠٤
إذا كانت	متبعُ	»	»	١٤٧
فتى كلما	مصرعاً	»	»	١٨٤
وإنك	واسعُ	»	»	١٨٨
فدونكمُ	القطعُ	»	»	٢١٥
أتعدل	راجعُ	»	»	٢٣٠
وآنلَ	تابعُ	»	»	٢٤٧
إذا احتربت	دموعها	»	»	٢٥٥
هو الصنع	أنفعُ	»	»	٢٦٣
بنى مالك	تيفما	»	»	٢٧٨

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
إذا سمرت	البراقعُ	طويل	٣	٢٧٩
وعارى	الأشاجع	»	»	٢٩٠
فقد جرّ	الجزعُ	»	»	٣٣٧
تشقكم	ما يدع	بسيط	١	٣٨٢
غيرى	شجعوا	»	»	»
كأما	ما يسعُ	»	٣	١٩٤
قد كدت	منقطعُ	»	»	٢٤١
غيرى	شجعوا	»	»	٢٤٣
ما غابَ	والشيعُ	»	»	٢٤٤
وليست	الوداع	وافر	٢	٢٩٩
غدا بك	خليما	»	»	١٣٧
عباس	ربيعُ	كامل	١	٣٤٦
فكارم	متورعا	»	»	٣٦٢
في معرك	ضلوعا	»	٢	١٣٧
فيم ابتداركم	وربوعا	»	»	»
هل يجلبن	وتسمعُ	»	»	٢٤٨
شوق	الأضلع	»	»	»
ما أحسن	لم ترجع	»	»	٢٧٢
بين الشقيقة	الأربع	»	»	٢٧٢
ألوم	صنيما	»	٣	٢٦٢
زعم	يامربعُ	»	»	٢٧٧
قد بجمع	جمعة	منسرح	١	٣٥٦

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
أثروا	جمعوا	منسرح	١	٣٨٣
وذات هدم	جدعاً	»	»	٣٩٧
أبتها	قد وقعا	»	»	»
أمن خوف	يجمع	متقارب	٣	٢٦١

(ف)

وأصبح مبيض	مندف	طويل	١	٢٦٠
ألا ليتنا	ونقدف	»	٣	١٧٩
كتبت	والصلفا	بسيط	١	١٤٤
وبوم	قصفا	»	»	٣٤٥
أما الرسوم	أويكفا	»	١	٣٤٥
مفتقات	القضفا	»	٣	١٥٤
لا أظلم	قذا	»	»	٢٢٥
تدعى	مؤتففا	»	»	٢٤٦
أسمح	قضيف	مخلع البسيط	»	٢١٠
لك هضبة	خفيفا	كامل	١	٢٥٧
أطلالهم	عكوفاً	»	»	»
كانوا	الصوفا	»	»	٣٨٧
أطلالهم	عكوفاً	»	»	»
والحب	انصرفا	»	٢	٧٢
إدفع	استمغف	سريع	٣	٢٤٨

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
نطقت مقلة	ذروف	خفيف	٢	١١٩
(ق)				
إذا شئت	فأعشق	طويل	١	١٣٣
إذا شاء	الحق	»	»	٢٤٩
وملومة	اللقالقي	»	»	٢٥٨
تذكرت	السوابق	»	»	»
شفيعك	وهو يخلق	»	»	٤١١
وإن امرأ	لأحق	»	»	»
حلفت لها	المتعلق	»	»	٤١٤
أقول	مشفق	»	٢	١٠٠
إذا امتحن	صديق	»	»	١٠٩
أيارب	رقيق	»	»	»
كساها رطيب	الفوارق	»	»	١٥٦
رفعت	صديقها	»	»	٢٥٤
رباع	لموثق	»	٣	١٢٧
فهل أنت	وتشرق	»	»	١٨٩
إذا ارتفعت	بفرق	»	»	١٩٢
وما يؤلم	رازق	»	»	٢٦٣
إن كنت	الخلق	بسيط	١	١٤٧
ونقطته	بالحدق	»	٢	١٧
وقد أشق	طرقاً	»	»	٢٨

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
ما من صديق	من طبق	بسيط	٢	٤٠
مضى بها	الباقى	»	»	٢٠٧
عليك	الحلق	»	٣	١٧٨
جزى الرحمن	صديق	واقر	»	١٣٨
ألا يابن	لتبقى	»	»	١٥٧
وإذا الجنازة	كله بتفرق	كامل	١	١٦٤
بأبى غزال	بارق	»	٢	٣٠
لما اعتنقنا	ناطق	»	٣	١٥٠
الحد	معرق	»	»	١٨١
وأخفت	تخاق	»	»	١٩٢
ومضروب	ممشوق	هزج	»	٨٩
أنا مسكين	نطق	رمل	٢	٩٩
وكذا	زاق	»	٣	٢٣
وأتمر	وشقرا	سريع	١	٢٦١
عيون تبر	من الفسق	منسرح	٢	٣١
أيها البرق	غيداق	خفيف	١	٢٤٠
أتراها	المآقي	»	٣	١٠٥
يقط	مسروق	»	»	١٨٤
تخير الله	يرتقى	متقارب	٢	٢٩

(ك)

يظل بمومة	المسالك	طويل	١	٢٣٥
-----------	---------	------	---	-----

صدر	عجز	بحر	جرء	صفحة
وما أرضى	ابتشاكنا	وافر	١	٢٨٢
يادهر	من خرقك	منسرح	»	٣٨٤
قد مات	ورقك	»	»	»
أهديت	والتهرك	مخلع البسيط	»	٣٥٩

(ل)

وقد أغتدى	هيكل	طويل	»	١٠٩
إذا هي	برحيل	»	»	١٠٥
وما خبزه	ولا سهل	»	»	١٥٦
فإن تدفنوا	في القبائل	»	»	١٦٦
بنفسى	أنامله	»	»	٢٤٨
جوى ساور	هامله	»	»	٣٧٣
لقد فجمت	ووائله	»	»	»
فإن تسجنوا	في القبائل	»	١	١٦٦
ولولا حياء	تغلى	»	»	٢٣٧
ألا استهزأت	الحجل	»	»	»
إذا المرء	جميل	»	»	٢٤٥
غداثره	ومرسل	»	»	٢٦٦
وقفت	منازلُه	»	٢	٦١
أجل أيها	ما تحاولُه	»	»	»
نزلتُ	الحل	»	٣	٣٤

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
أفاطم	فأجلى	طويل	١	٣٣٨
قفانبك	فومل	»	»	٣٣٩
ألا	بأمثل	»	»	٣٤١
فقل	بالفضل	»	»	٣٤٦
أأسلتنى	يا أبا الفضل	»	»	٣٤٧
إذا أحسن	تتطولا	»	»	٣٥٤
لهان عليها	فتفضلا	»	»	»
تحمل	شمال	»	٢	٨٠
بلوناك	أسفل	»	»	»
تطل الطلول	الموائل	»	»	١٠٣
متى أنت	آهل	»	»	»
فقد	الخمائل	»	»	»
فقلت له	بكل كل	»	»	١١٠
فقلت	وأوصالى	»	»	٣٢٧
ألا عم	الخالى	»	»	»
تمنى	مثلى	»	»	٣٤٤
عوجى علينا	قتلى	»	»	»
أهاج	المجل	»	»	»
وإن هو	سبيل	»	»	٣٥٠
إذا المرء	جميل	»	»	»
جوى	هامله	»	»	٣٥٦

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
زكى	سائله	طويل	٢	٢٦٥
صبحناهم	أجادله	»	»	٣٤٣
ألم تر	مخابله	»	»	»
سمونا	مقاوله	»	»	»
إلى معدن	الجزل	»	٣	٢٠
وقلقت	قلاقل	»	»	٢٥
وهل	بأوجال	»	»	٣٦
قفانبك	وحومل	»	»	٣٧
ولو أن	الملل	»	»	٤٣
يقول	غافل	»	»	٤٧
دعاك	شامل	»	»	»
نظرت	عقل	»	»	٤٨
فصرنا	إدلال	»	»	٤٩
ألست	النجل	»	»	٦١
من مبلغ	الرسائل	»	»	٧٧
يطيع	مقاتله	»	»	٩٤
أما وهوأها	فأنحلا	»	»	١٠٧
هو الأمل	يحول	»	»	١٤٨
إلى رب	شمل	»	»	١٥٠
كأنى	خلخال	»	»	١٦٥
وما هو	ماثل	»	»	١٧٥

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
فتى وقف	منفصل	طويل	٣	١٧٥
وكان لهم	فيسائله	»	»	»
فقلت	بكل كل	»	»	٢٠٢
قف العيس	المسلسل	»	»	٢٠٩
وقوفا	وتحمل	»	»	٢٣٠
ولما	بمنجل	»	»	٢٤٤
إذا كان	عليل	»	»	٢٥٦
ولو حاردت	حافل	»	٣	٢٦٣
عزاءك	للفصل	»	»	٢٦٨
نخون	والرجل	»	»	٢٦٩
ألت	البخل	»	»	»
وقد زعموا	قبلي	»	»	٢٧٦
وقد ضللت	نواهل	»	»	٢٨٢
فتى	مقاتل	»	»	٢٩٠
أحارث	فواضله	»	»	٢٧٧
وإذا	الغزل	مديد	٢	١٥٨
يا مبيع	أمل	»	»	»
وإنما	شمال	بسيط	١	٣٨
بالقائم	الطول	»	»	٥٣
تمسى الأمانى	ذلك لى	»	»	٢١٦
كيف السرور	إقبال	»	»	٣٥٩

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
أقل أنا	سر صل	بسيط	١	٤٠٥
تنافس الليل	المقل	»	٢	١٦
أجبرت	في العذل	»	»	٢١
تنال	على مهل	»	»	«
تفاير	سنةقتل	»	٣	٤٥
علّ الأمير	مثلاً	»	»	١٣٨
وموقف	متصل	»	»	١٧٢
ما زلت	حيلي	»	»	١٩٢
فقلت	مقتبل	»	»	٢٠٣
قد عود	مرتحل	»	»	٢٨٢
لم يبق	أمل	»	»	١٩٢
اختصم	إلى جدال	مخلع البسيط	»	٢٥٧
نسيم الروض	شمول	وافر	»	٢٥٥
أكنت	في الممول	»	١	«
تكفل	عيالا	»	٢	٢٢
فإن تفق	الغزال	»	»	٢٨
نعمّة المشرفية	بلا قتال	»	»	»
كأن العيس	سالا	»	»	٢٩
بقاى	الجمالا	»	»	»
لو أن	المطالا	»	٣	٤٤
فداء	وخالى	»	»	٢٠٦

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
نعدّ	قتال	وافر	٣	٢٨٩
إذا التوديع	فاكا	»	٢	٢٩٨
كم صارم	حمال	كامل	١	٩٨
والدّ	في مرجل	»	»	١٢٩
من عزّه	القمّل	»	١	٢١٧
جفغت	دلائل	»	»	٢٣٦
لاك يا منازل	أواهل	»	» ، ٦١	»
وأغرّ	محتجل	»	»	٣٤٨ ، ١٠٤
أهلا	يفعل	»	»	»
إن الرماح	معالى	»	»	٣٥٤
ألت أمور	وصيال	»	»	»
لا تطلبين	مفزل	»	»	٣٦٨
لا تنكرى	العالى	»	٢	٢٤
يكفى	بتوال	»	»	»
غدرت به	وشماله	»	»	٣٢
إني وما	العقل	»	»	٦٠
فيكاد	والحل	»	»	»
إثاث	الإبل	»	»	٨٧ ، ٨٢
أهلا	يفعل	»	»	١٠٤
حات حماله	تذبل	»	»	١٠٥
أهلا	يفعل	»	»	»

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
في الخلد	محولاً	كامل	٢	١٠٦
وإذا علاها	الحجل	»	»	١٣٦
كان الشباب	والهزل	»	»	»
خط	بدلال	»	»	١٤٣
آلت أمور	وصيال	»	»	١٤٤
وكأنما	وأرجل	»	»	١٥٠
مجد	راحلا	»	٣	٢٦٥
لهفي	شمالا	»	»	٢٦٧
بجمان	يأفلا	»	»	٢٦٨
واستعار	الأطفال	خفيف	»	١٤٣
أى ربع	الليالى	»	١	٣٥٤
فسد	الهزال	»	»	٤٠٥
وإذا اهتز	نصلاً	»	٢	١٣٥
إن يكن صبر	الأجلاً	»	»	»
ما رأى	إسرا	»	»	٣٣٢
يوسطه	الانتظار	»	٣	٢٣٩
وإذا شئت	رئبال	»	»	»
وإذا	ريق	»	»	٢٥٥
إن يكن	الأجلاً	»	»	٢٩١
تضيّق	الجحفل	متقارب	٢	١١
إلام	للعاقل	»	»	١٣٧

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
خرجن	في وابل	مقارب	٢	١٣٨
ترى فوقها	اتصالا	»	»	١٤٥
فدى	الذابل	»	٣	٢٤١
أذلّ	ويبلّا	»	»	٢٥٠
وملومة	مُخْمَلُ	»	»	٢٥٣
وإن جادَ	الأولُ	»	»	٢٥٤

(م)

وكان بها	تمامُ	طويل	١	١٣٤
بناها	مقلاطمُ	»	»	١٣٥
وما كلّ	بمقيم	»	»	١٧١
أذاق الفوانى	بالصرم	»	»	٢٥٥
ملام	الظلم	»	»	»
إذا كان	مقيم	»	»	٣٣٩، ١٠٦
ألم يأن	ناظمُ	»	»	»
فلا يبرم	يبرمُ	»	»	٤١٠
نرى عظما	منهمُ	»	»	»
قوارص	فيفعمُ	»	٢	١٤٠
تعزّ	قائمه	»	»	١٣٢، ١٢١
لآية حال	لائمه	»	»	١٢١
قوارص	فيفعمُ	»	»	١٣٢
سحاب	صوارمه	»	»	١٤٣

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
طلوع	يقدمُ	طويل	٢	٢٧٠
أن ابن تعى	بالدم	»	»	»
فقلت لها	بقادم	»	»	٢٩٩
ولا غرو	دى	»	٣	١٠
أسجنا	لعظيم	»	»	١٧
وإن امرأ	لكريمُ	»	»	»
سئمت	يسأم	»	»	٤٧
أمن أم	فالنتنم	»	»	»
بميدة	وهاشمُ	»	»	٦٠
فراق	يتمم	»	»	١٠٥
ومن طلب	الصوارم	»	»	١١٨
إذا صلتُ	لعالم	»	»	١٢٦
لمن تطلب	محرم	»	»	١٥٣
وقفت	نائمُ	»	»	١٦٥
وقفت	باسمُ	»	»	١٦٦
وكنتُ	علم	»	»	١٧١
لقد جئتُ	مفرم	»	»	١٧٦
سحابُ	صوارمه	»	»	٢٨٣
ويالحقه	مِلدَم	»	»	١٨٥

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
لنا الجففات	دبّا	طويل	٣	١٨٦
إليك	كريم	»	»	١٨٨
إذا ما	دما	»	»	١٩١
أحلت	كلأى	»	٢	٢٠٦
ولولا	المكارم	»	٣	٢٤٦
ومثلاك	وتتما	»	»	٢٤٧
نزاتم	بالسلام	»	»	٢٤٨
غرائب	مُعَلِّما	»	»	٢٤٩
وما كلفه	العظم	»	»	٢٥٦
فإن تك	بالطفل	»	»	٢٦٦
بمولودهم	الفصل	»	»	٢٦٧
بداوله	الحل	»	»	٢٦٨
وعاوي	الدما	»	»	٢٧٥
ألا إنما	ضبارم	»	»	٢٧٨
تفدى	والقشاعم	»	»	٢٨٣
وذى لجب	بسالم	»	»	٢٨٤
مهلا بنى	الرقم	بسيط	١	٣٤٥
سلم	والقدم	»	»	»
من الردينية	ذا الشم	»	»	٣٤٦
قوت بقران	فاصلحا	»	»	»

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
أصفي	لَمَّا	بسيط	١	٣٤٦
سودّ	من السكرم-	»	»	٣٦٥
صدقتهم بخميس عمم	»	»	٢	٢٨
عقبى اليمين	القسمُ	»	»	»
تظلم	ظلاما	»	»	٧٩
طيف الخيال	أسقاما	»	»	»
لا أبغض	السقم-	»	»	٢٩٤
حتام	ولا قدم-	»	»	»
كان ابريقهم	ملثومُ	»	»	٣٣٢ ، ٣٣١
هل ما علمت	مصرومُ	»	»	٣٣١
ليست	سليم	»	٣	٢٦
رددت	الخدم-	»	»	٤٦
وشرّ	والرخمُ	»	»	٦٨
عقبى	القسمُ	»	»	١٠٥
هل الشباب	أيام-	»	»	١٢٧
يكاد	يسَلمُ	»	»	١٩٥
فهل	حرم-	»	»	٢٢٤
يامن	وملتزم-	»	»	٢٢٥
لا تطلبنّ	ختموا	»	»	٢٢٨
قد قلصت	مبتسما	»	»	٢٣٩

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
جذلان	بدم	بسيط	٣	٢٥٤
يسابق	هرم	»	»	٢٦١
قد قلصت	مبتسمًا	»	»	٢٦٤
وجاهل	وقم	»	»	»
بداك	من المحرم	وافر	١	١٤١
أظن	الرسوم	»	»	٣٤٨
أرامة	المقيم	»	»	»
وغير لون	واعتمى	»	»	٣٧١
فلو عاينتهم	الحميم	»	»	٤١٤
أرامة	المقيم	»	»	»
وزائرتى	الظلام	»	٢	٩
ملومكما	الكلام	»	»	»
أناخ اللؤم	لا يريم	»	»	٦١
فهل نبئت	ابنى شمام	»	»	١٤٢
قبيل أنت	الهامم	»	»	١٩٧
فؤاد	اللاثام	»	»	»
إذا أنا	فن ألوم	»	»	٢٧٢
صريع هوى	له حميم	»	»	»
رأيت الخمر	الحلما	»	»	٣٢٨
فؤاد	اللاثام	»	٣	٣
ولم أر	مقام	»	»	٢٥

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
فؤاد	اللائم	وافر	٣	٢٥
أرى	ضيرام	»	»	٥٦، ٥٥
وخلطتم	الأنعام	»	»	٧٧
نفق	رجيم	»	»	١٨٤
علام	أمامى	»	»	٢٥٣
علام	أمامى	»	٤	٣
ولم	مظلم	كامل	١	١١٧
نثر	لمغرم	»	»	»
بالشذقيات	إكام	»	»	١٥٥
أعطيت	قديم	»	»	٢٦٤
أسقى	ونعيم	»	»	»
خدم	تخدم	»	»	٣٧٢، ١٣٠
نثر	المغرم	»	»	»
ولقد أراى	وأمامى	»	»	٣٩٩
لايركنن	متخوفا لحام	»	»	٣٩٩
عوجا على	حدام	»	٢	٦٢
يا بن المراجعة	الخصمان	»	»	١٢٠
وفسكت بالمال	المغرم	»	»	١٣٠
وتقاسم	وسفاميه	كامل	٢	١٥٤
قل للأمر	إكرامه	»	»	»
يتجنب الأيام	آنام	»	»	٢٨٨
دمن ألم	الإلام	»	»	»

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
كل امرئ	يئيم	كامل	»	٣١٦
يا بدر	الحكيم	»	»	»
سرت	مرام	»	٢	٣٤٤
عنى المنازل	نعام	»	»	»
الدار	قلم	»	»	٣٤٥
عوجا	حذام	»	»	»
وظلمت	تظلم	»	»	٣٥١
وأخافكم	الدم	»	»	٣٥٣
أرض مصدره	تحرم	»	»	»
حيث	أم الهيثم	»	٣	٣٩
هل	توهم	»	»	»
ولقد أرانى	كرام	»	»	٤٤
بزجاجة	مقدم	»	»	٥٨
مالى	تهدم	»	»	٦٧
قصر	الأيام	»	»	١٠٠
يادار	تُستام	»	»	١٠١
عسى وطن	فرما	»	»	١٠٤
زعمت	ورسوم	»	»	١٢٣
أصبحت	استحكam	»	»	١٨٠
مازال	محموم	»	»	١٨٥
قم فاسقنيها	أكنافهم	»	»	٢٠٣
أجد	اللوم	»	»	٢٤٥

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
كلف	يشتم	كامل	٣	٢٤٧
وإذا المظن	حرام	»	»	٢٥٣
لا فنه	عظيم	»	»	٢٦٢
مهلا	الأحلام	»	٣	٢٧٨
وإذا المظن	حرام	»	٤	٣
أنهم	وأنهم	رجز	٣	١٤٨
قد كان	بالصرم	سريع	١	٢٥٥
تشرق	شيم	منسرح	٢	١٥٢
أحق	القدم	»	»	»
فأصبحت	قلما	»	»	٢٢٧
قد بلونا	قدما	خفيف	١	٩٠
إن عهدا	أو تنبا	»	»	»
إن بعضا	أحكام	»	»	٢٥٨
فيه ما يجب	البرسام	»	»	٢٥٩
شعلة	صميما	»	٢	٢٤
لا تضع	بالتعظيم	»	»	٣١
قد مررنا	والرسوم	»	»	١٠٤
أين أزمعت	الفمام	»	٣	٢٤٢
انتج	المعم	»	»	٢٤٨
مثل	عظيما	»	»	٢٥٠
ومن الخير	الجهام	»	»	٢٦٤

صدر	عجز	بحر	جرو	صفحة
وما مزيد	تلتطم	مقارب	٣	١٧٩
ولى خالة	عمها	»	»	٨٩

(ن)

عددك	القمران	طويل	١	٧٨
عهدتك	بالأذن	»	»	١٤٨
وكم لك	جفان	»	»	٣٥٥
كان	عيونها	»	٢	١٥٧
كانا حلول	طينها	»	»	١٥٨
فدى لبنى	والأبوان	»	٣	٢٠
برغم	بسطحبان	»	»	٧٦
وليل	قرويه	»	»	١٣٥
سأشكو	بيننا	»	»	١٣٨
جلست	يخون	»	»	٢٣١
عطاؤك	يزبن	»	»	٢٤٦
سنة	فاستكن	مديد	»	٢٨٩
فاسقنى	أذنى	»	»	١٤١
يا كثير	السكن	»	»	»
لو كنت	شيبانا	بسيط	١	١٣٠
رأيتكم	اللبن	»	»	١٥٧
م.	ولا سكن	»	»	»

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
إن يسموا	دفعوا	بسيط	١	١٥٨
قد علم	أحزاننا	»	»	٣٤١
تقول	أجفاناً	»	»	٣٤٧
لوزارنا	أحياناً	»	»	»
إن العميون	قتلنا	»	»	٣٨٥
لو كنت	شيباناً	»	٢	٣٢١، ٢٨٣
العارضُ	المتن	»	٣	٢١
أفاضل	الفطن	»	»	»
يجزون	إحساناً	»	»	١٥٢
لو كنت	شيباناً	»	»	»
تشكى	مرنانُ	»	»	٢٢١
أنا ابن	تعرفوني	وافر	١	٣٠١
مفاني الشعب	الزمان	»	»	٣٤٠
وفر الحائن	ما أمان	»	»	٣٤٩
زويدك	من نهائي	»	»	»
إذا سمرت	غصن بان	»	٢	٧٨
عناني	كما بداني	»	»	»
بأني قد	صححان	»	»	١٨٧
ألا من	بطان	»	»	»
فقد درت	ومينا	»	»	٣٥٧

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
رويدك	من نهائى	وافر	٢	٣٥٩
قلو	زمانى	»	٣	٤٥
وماأشياء	تكون	»	»	٨٢
وليس	كانخيزران	»	»	١٨٠
وانت	اثنتان	»	»	٢٢١
إذا بَلَقْتَنى	الوتين	»	٤	٣
ياخير	الميمون	كامل	١	٥٤
فى جحفل	بالآذان	»	»	١٤٦
أسراب	الفرلان	»	»	١٦٠
الرأى	الثانى	»	»	٣٣٩ ، ١٥٧
ماضر تطلب	البحران	»	٢	١٢٠
وجرى على	الأغصان	»	»	١٥٧
بحر	الحدثان	»	٣	٣٨
وحشاه	الألوان	»	»	٨٨
وتوقى	الإحسانا	»	»	١٤٩
ذهب	المران	»	»	١٨٦
كدت	الأجفان	»	»	١٩٣
عقدت	لأمكننا	»	»	»
كم من	ياسين	رجز	١	٣٧٤
ووردة	فحياناً	سريع	»	١٠٣

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
وازور	عرفانه	سريع	١	٤٠١
لم يخلق	الحزن	منسرح	»	١٦٥
من شروط	المسكان	خفيف	»	٣٤٠
لا جرى الله	لسانى	»	٢	١٤٥
ذكر الكرخ	أوان	»	»	١٤٦
شفقتنى	جفى	»	٣	٢١٠
ولقد	منى	»	٣	٢٤٥
أنت فى الجود	ثان	»	»	٢٥٤
بارك الله	الحن	خفيف مجزوء	١٠	٧٩

(٥)

تنازع	فيها	طويل	١	٣٦٨
وفى	البصره	مديد	٣	٢١٥
ولا آدم	أثافيها	بسيط	»	٣٧٠
فى طلعة	تنبيها	»	٢	١٦٠
أنافى	وأخفيها	»	»	١٥٩
كأنها	واديها	»	٣	١٢٧
خذها	قوافيها	»	»	٢٠٦
لا أحرم	أخزيها	»	١	٣٧٠
لا يعرف الشوق	يعانيها	»	»	٢٢١
يقظان	يلقى به	كامل	١	١٦٨
إن آتى	هوى لها	»	»	٣٧٠

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
ما من يد	أدلاها	كامل	٢	٢٥١
فمفوت	فألفاها	»	»	»
صلبُ	إفناها	رجز	٣	٧٨
أترك الأطلال	دانيه	رمل	١	٢٧٤
ومن البلوى	كنه	رمل مجزوء	»	٢٩
وَمِنْ	كنه	»	٣	٢٠٢
لوفظنت	يرضاها	منسرح	١	٨٥
كل جريح	عينها	»	٢	١٠٧
الناس	معناه	»	١	١٤٩
أوه بديل	ذكرها	»	٢	١٠٧
يا قوم من	معه	»	»	٣٥٦
إياي	عميره	مجثث	»	٢٧٦
أما	قطيره	»	»	»
إنما	أنتَ فيها	خفيف	١	١٦٤

(و)

يدُلُّ	يَهْوَى	طويل	٣	٢٥٥
--------	---------	------	---	-----

(ي)

بني عى	القوافيا	طويل	»	٧٤
وجفن	البواكيا	»	٣	٧١

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
سأ كذب	القوافيا	طويل	١	٣٩٠
تبقي ابن كوز	لياليا	»	»	٩٢
فلو كان	مواليا	»	»	٤٧
وناصرة	اليدى	وافر	»	١٤٨
أسف	الدنايا	وافر	١	٣٥٦
إن جرى	بنايه	رجز	»	٣٧٢

انصاف الآيات

(أ)

٢٣٩	١	كامل	الوجناء	يا موضع
١٠٢	٣	»	العلواء	قَدَّكَ

(ب)

١٠٤	١	طويل	المطالب	بماض
»	»	»	الصبا	وأحسن
»	»	»	وملاعب	على مثلها
١٠٢	٣	»	مؤنبي	تقى
٢٨٤ ، ١٤٢	»	»	لزيبا	أجدك
٩٨	»	بسيط	ينسكب	مال
٢٥٢	»	كامل	ويغرب	جذلان
٩	٤	»	جوابي	لو أن
٢٥٠	١	رمل مجزوء	وطابا	عذب
»	»	»	شرابا	حبذا

(ث)

٢٥٣	»	كامل	علائنا	مف
-----	---	------	--------	----

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
(ح)				
ومستح	ماسح	طويل	٢	٦٨
عبرتنا	والنحي	مجزوء الخفيف	١	٣٥٧
(خ)				
سرى	أفتح	طويل	»	٢٥٣
(د)				
سلام	عهد	طويل	٣	٢٩٠
أفل	مجد	»	»	١٠٢
تجوع	الفرد	»	»	٩٩
عتابك	واقصدى	»	»	٤٧
من آل	مفتد	كامل	١	٢٥٩
حسم	الأعادي	خفيف	٤	١٠
(ذ)				
مبيد	الذي	طويل	٢	٢٠٦
(ر)				
مقي لاح	قفر	طويل	٣	١٤٢
أجارة	غيور	»	»	١٢٤
الم تر	المبكر	»	٤	١٠
خف	بكروا	بسيط	٣	٩٩، ٩٨
سقى	والشجر	»	٢	١٦٠

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
داو	خمر	مخلع البسيط	١	٤٠٢
ولا ترى	يفججر	كامل	»	٢٦٠
العيش	غريز	»	٣	١٤٠
لا جرى	خير	خفيف	٢	١٤٦
		(س)		
مافى	باس	كامل	٣	٢٢٠
		(ش)		
مبيتى	فراش	وافر	١	٢٥٣
		(ص)		
عجل	الدعص	كامل	٢	٨٤
		(ع)		
فؤاد	تصدعا	طويل	٣	٩٩
مِلث	رُجوعاً	وافر	»	١٣٧
		(ف)		
عزفت	تعزف	طويل	١	٢٦٠
		(ق)		
احفت	التفرق	طويل	٣	١٢٧
أتراها	العشاق	خفيف	١	٤٠٢

صدر عجز بحر جزء صفحة

(ك)

يا دار	أبلاك	كامل	٣	١٠٠
فلا ملك	فداكا	وافر	٢	٢٩٨
فدى لك	مداكا	وافر	٢	٢٩٧
دك طود	سيفك	رمل مجزوء	»	١٠٥

(ل)

رويدك	تنجلي	طويل	٢	١٠٠
ألا أنعم	البالي	»	٣	٢٩٨، ٣٦
وشجم	المقتل	»	»	»
قفانبك	ومنز	»	»	»
كأنحدار	عجل	مديد	٢	١٥٨
وهل تطيق	الرجل	بسيط	»	١٦٧
ودع	مرتحل	»	»	»
أحيا	ماقتلا	»	٣	»
إنا محيوك	الطلل	»	»	»
أهلا	المقبل	كامل	٢	٢٥٠
إن لم تكن	قتال	»	»	»
في الخلد إن	رحيلا	»	»	»
فعل	يفعل	»	»	»

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
أينفع	المدلُ	مقارب	٢	١٠
وتشمل	يشمل	»	»	»
ذاك	قليلا	خفيف	٣	١٧٠

(م)

على قدر	المزائمُ	طويل	١	١٣٤
يمدّ يديه	ضيقمُ	»	٢	١٠٦
وعينه	أرقمُ	»	»	»
كان	خبائثا	»	٣	٢٠٩
الا يا أسلى	أسلى	»	»	١٠
ثلاث	تكلمى	»	»	»
على قدر	المزائم	»	»	١٦٥
واحر قلباه	شمُ	بسيط	»	٦٨
نصيب	وتسجام	»	»	١٢٧
كفى أراى	ألوما	كامل	»	١٠٣
أرض	منجمُ	»	»	٦٧
ماذا يزيدك	القسمُ	بسيط	٢	١٠٦
عقبى اليمين	ندمُ	»	»	»
أم هل	نوم	كامل	»	٥٨
هل غادر	متردم	»	»	»

صدر	عجز	محر	جرء	صفحة
فمجببت	تظلم	كامل	٢	٣٥١
أن تناما	أو تنيا	خفيف	٢	١٠٤
إن عهدا	زبيا	»	»	»

(ن)

أخذنا	بيننا	طويل	٢	٦٨
يا كثير	الدمن	مديد	»	١٤١
وألقي قولها	ومينا	وافر	٢	٢٧٥
متى أضع	تعرفوني	»	٢	٢٧٠
مغانى	المغانى	»	»	٢٧
درس المنا	فأبان	كامل	»	٣٣٢
الرأى قبل	الشجمان	»	٣	٨٧
ذكر السكرخ	الأوطان	خفيف	٢	١٤٦

(هـ)

منى النفس	تستطيعها	طويل	»	٢٥٤
بها وجدها	وولوعها	»	»	»
فمرزما فقدا	صاحبه	»	١	٣٥٨
ألا هكذا	كاسبه	»	»	١٣٦
أهن عوادى	وصواحبه	»	»	٣٥٨
فى حره	تلهمها	بسيط	٢	١٦٠

صدر	عجز	بحر	جزء	صفحة
ميلوا إلى الدار نعيمها	»	»	٣	١٢٧
سرب ذواتها	كامل	»	٣	١٢٥
ما بال جرعائه جرده	منسرح	»	١	٤٠٧
ما لكثيب عقده	»	»	»	»
لم نأت ذكراها	»	»	»	٨٥
أوه بديل قولتي واه	»	»	»	»

(٥)

أنا	الثنایا	وافر	٢	٢٧٠
-----	---------	------	---	-----

فهرس الأمثال

- | | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| ص ٣٧٦ | إن البغاث بأرضنا يستنير ج ١ |
| لا تهر الأحمق شيئا فيظنه له ج ٢ | ص ١٩٢ |
| ص ٦٤ | إن يبيع عليك قومك لا يبيع عليك |
| لا تقال المكارم إلا بالمكاره ج ١ | القمر ج ١ ص ٦٢ ، ٦٣ |
| ص ٣٥٠ | أهل مكة أخير بشماها ج ١ ص ١٩١ |
| الليل جنة الهارب ج ٢ ص ١٣٥ | أهلك والليل ج ٢ ص ٢٩٧ |
| من أطاع غضبه أضاع أدبه ج ١ | سبق السيف العذل ج ١ ص ١٠ |
| ص ٣٦٣ | قلب له ظهر الجن ج ٣ ص ٦٦ ، |
| نار الجحاح ج ٢ ص ٣٣٢ | كل الصيد في جوف القرا ج ٢ |

فهرس الحكم

الإنسان بصره ج ١ ص ١٠١	ظلام الليل يهديني إلى باب من
الماء أروى لشدوق النيب ج ٢	أودّه ، وضوء النهار يضل بي
ص ١٠١	عن باب من لا أوده ج ١
من تروى فترت عظامه ج ١ ص ١٠١	ص ١٠٢
الموت طعام لا تجشّه المعدة ج ١ ص ١٠٣	قد ظهر الصبح إلا أنه لم يملك

فهرس الأيام

يوم بدر ج ١ ص ٤٧	يومعة الرضوان ج ١ ص ٦٤
يوم حنين ج ١ ص ٩٧ ، ١٠٩	عام الفتح ج ١ ص ٩
يوم الفجار الثاني ج ٢ ص ٣١٠	عمرة القضاء ج ١ ص ٩
يوم القادسية ج ٢ ص ٣٢٨	غزوة الفتح ج ٣ ص ٢٥
يوم اليمامة ج ١ ص ٣٨١ ، ج ٢	فتنة الجمل ج ٣ ص ٢٦
ص ١٠٠	يوم أحد ج ٣ ص ١٠٧

فهرس الآيات

(١)

أأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن

بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا

ولا ينقذون ج ٢ ص ٢٨٢

أنذا متقا وكما ترابا وعظاما أننا

لمدينون ج ١ ص ٢٨

أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن

المنزلون ج ٢ ص ٢٤٤

أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون

ج ٢ ص ٢٤٤

أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم

وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون

ج ١ ص ٢٨٩ ، ٣٥٠

اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

ج ١ ص ٣٠٤

إذ أوحينا إلى أمك ما يوحي ج ٢

ص ٢٠٢

إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم

ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه

هيناً ، وهو عند الله عظيم ج ١

ص ٣٦٠

إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا

لا تخف خصمان بغى بعضنا على

بعض ج ٣ ص ١٦٠

إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ج ٣

ص ١٢٨

إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع

ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا

ج ٢ ص ٢٦٢

إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون

ج ٣ ص ٧

(إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني

رأيت أحد عشر كوكبا والشمس

والقمر رأيتهم لي ساجدين ج ٣

ص ١٨

إذ قالوا ليعوسف وأخوه أحب إلى

أبينا منا ج ٢ ص ٢٤٥

إذ نسو بكم رب العالمين ج ٣ ص ١٢٩

إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن

الشمال قعيد ج ٢ ص ٣٣٦

إذ يريكم الله في منامك قليلا ولو

أراكم كثيرا لفشلتكم ولتنازعتكم

في الأمر ولكن الله سلم فإنه عليم

بذات الصور ج ١ ص ٣٣٧

إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم

ج ١ ص ١٧٣

و إذ اتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا

إلا رجل يريد أن بصدكم عما كان

يعبد آباؤكم ج ٢ ص ٢٠١

إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك

لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله

والله يشهد إن المنافقين لكاذبون

ج ٢ ص ٢٤٣

إذا رأيتم من مكان بعيد سمعوا لها

تنفيذا وزفيرا ج ١ ص ٣٣٣

إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم

ج ٢ ص ٢٨٦

إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول

عنهم فانظر ماذا يرجعون ج ٢

ص ٢٩١

أرأيت إذ أوفينا إلى الصخرة ج ١

ص ١٨٧

أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا

له لحافظون ج ٢ ص ٢٤٤، ٣٠٣

إرم ذات العماد ج ٢ ص ٣١٩

أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى

ج ٢ ص ٣٠٥

أشداء على الكفار رُحَاء بينهم

ج ٣ ص ١٥٢

اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا

داود ذا الأيد إنه أواب ج ٢

ص ٢٩١

أفرأيت إن متعتناهم سنين ج ٣

٢٨، ٢٠٢

أفرأيتم اللات والعزى ج ٢ ص ٣٦٢،

ألا إلى الله نصير الأمور ج ٢
ص ٢٢٥

ألا لأنهم هم المفسدون ولكن
لا يشعرون ج ٣ ص ١٦٣

ألا تتبعني أفعصيت أمرى ج ٢
ص ٢٩٣

إلا تذكرة لمن يخشى ج ١ ص ٢٧٢
إلا من أتى الله بقلب سليم ج ٣

ص ١٢٩
إلا من هو صال الجحيم ج ٣ ص
٢٠١، ٢٨

التي لم يخلق مثلها في البلاد ج ٢
ص ٣١٩

الذي خلقني فهو يهدين ج ٣ ص ١٢٨
الذين إذا اختلفوا على الناس
يستوفون ج ١ ص ٣١٩

الذين يتبعون الرسول النبي الأمي
الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والإنجيل يأمرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ج ٣ ص ١٣١

أفرأيتم الماء الذي تشربون ج ٢
ص ٢٤٤

أفرأيتم ما تحرثون ج ٢ ص ٢٤٤
أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ج ١
ص ١٤٩

أفلم يروا إلى ما بين أيديهم
وما خلفهم من السماء والأرض
إن نشأ نخسف بهم الأرض أو
نسقط عليهم كسفا من السماء إن
في ذلك لآيات لكل عبد منيب
ج ٣ ص ١٧٣

أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف
بنيناها وزيناها وما لها من فروج
ج ١ ص ٢٧٢

أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو
على نور من ربه فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله أولئك في
ضلال مبين ج ٢ ص ٢٨٧

أقربت الساعة وانشق القمر ج ١
ص ٣٣٦

اقرأ باسم ربك الذي خلق ج ١
ص ٣٧٦

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون
الصلاة وما رزقناهم ينفقون ج ٢

ص ٢٨١

الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج
الناس من الظلمات إلى النور ج ٢

ص ٩٦

ألكم الذكر وله الأنثى ج ١ ص

٢٢٩

الله الذى أنزل الكتاب بالحق
والميزان وما يدريك لعل الساعة

قريب ج ١ ص ١٧٩

الله الذى خلق سبع سموات ومن

الأرض مثلهن ج ١ ص ٣٨٧

الله الذى رفع السموات بغير عمد

ترونها ج ١ ص ١٨١

الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا

فيبسطه فى السماء كيف يشاء

ويجمله كسفا فترى الودق يخرج

من خلاله فإذا أصاب به من

يشاء من عباده إذا هم يستبشرون

ج ٣ ص ١١

الله لا إله إلا هو الحى القيوم ج ٢

ص ٢٦٨

الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى

ج ١ ص ٢٧٢

الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو

القوى العزيز ج ١ ص ٣٧٩

الله نور السموات والأرض مثل

نوره كشكاة فيها مصباح ج ٢

ص ٢٤، ١٢٧، ١٢٨

الله يتوفى الأنفس حين موتها

والتي لم تمت فى منامها ج ٣

ص ١٨٧

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء

فأنصبه فى الأرض مخضرة إن

الله لطيف خبير ج ٣ ص ١٨٩

١٩٣

ألم تر أن الله سخر لكم ما فى

الأرض والفلك تجري فى البحر

بأمره ويمسك السماء أن تقع على

الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس

لرؤوف رحيم ج ٣ ص ١٦٤

ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات

إلى ربك يومئذ المستقر ج ٢ ص

٢٢٥

إلى ربها ناظرة ج ٢ ص ٣٥٠ ،

٢٢٤ ، ٢٢٥

أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين

ما لم يأذن به الله ج ١ ص ٣٧٩

أم يقولون شاعر نتربص به ريب

المنون ج ١ ص ٢٧٦

أما السفينة فكانت لمساكين يعملون

في البحر فأردت أن أعيبها وكان

وراءهم ملك يأخذ كل سفينة

غصبا ج ٢ ص ٣١٥

أمرنا من عندنا إنا كنا مرسلين ج ٢

ص ١٧٨

إن الأبرار لفي نعيم ج ١ ص ٣٦١

إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا

ولم يك من المشركين ج ٣

ص ١٨٧

أن أُنذقيه في التابوت فاقدفيه في

اليوم ج ٢ ص ٢٠٢

وما في الأرض ما يكون من

نجوى ثلاثة إلا هو رابعم ولا

خسة إلا هو سادسم ج ٣

ص ١٨٣

ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على

الكافرين توزّهم أزا ج ١

ص ٣٧٨

ألم تر أنهم في كل واد يهيمون

ج ٢ ص ٩٧

ألم تركيف فعل ربك بهاد ج ٢ ص

٣١٩

ألم . ذلك الكتاب لاريب فيه ج ٢

ص ٢٢٥ ، ٢٨١

آلم . غلبت الروم في أدنى الأرض

وهم من بعد غلبهم سيفليون

ج ٢ ص ٣٦٧

ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا

فيه والنهار مبصرا ج ١ ص

٨٦

إلى ربك يومئذ المساق ج ١ ص

٣٥١ ج ٢ ص ٢٢٥

إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه
وهذا النبيّ والذين آمنوا ج ٣
ص ١١٩

إن تصبك حسنة تسؤهم وإن
تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا
أمرنا من قبل ج ٣ ص ١٥٢
إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا ج ١ ص ٣٠٦

إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب
الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس
وذلك يوم مشهود ج ٢ ص ١٩١
إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب
ج ١ ص ٣٨٥

إن في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب أو ألقى السمع وهو شهيد
ج ١ ص ٢١٢

إن قارون كان من قوم موسى فبغى
عليهم، وآتيناهم الكنوز ما إن
مفاتيحهن نزوء بالمصيبة أولى القوة
ج ١ ص ١٨٩

إن كلّ إلا كذب الرسل فحق عقاب
ج ٣ ص ٩

إن أكرمكم عند الله اتقاكم ج ١
ص ١٨٨

إن الذين كفروا ويصدون عن
سبيل الله ج ٢ ص ١٨٨

إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة
في الذين آمنوا لهم عذاب أليم
في الدنيا والآخرة ج ٢ ص ٣٢٥
إن الله لا يحب الفرحين ج ١ ص
٣٩٤

إن الله لا يهدي القوم الظالمين ج ٢
ص ٣١٩

إن الله لمن الكافرين وأعدّ لهم
سعيرا ج ١ ص ٢٧١

إن الله يأمر بالعدل والإحسان
وإيتاء ذى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى بمظلمكم

أعلمكم تذكرون ج ٢ ص ٣٣٥
إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
إلى أهلها ج ١ ص ٣١٢

إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
ج ٢ ص ٢٥١

إن إلينا إيابهم ج ٢ ص ٢٢٤

إن الذين في جنات ونعيم - ١
ص ١٨٨

إن الحرمين في ضلال وسحر - ١
ص ٢٦٨

إن اللأ يأخرون بك فتقوله - ٣
ص ١٩٣

إن قول إلا اعتراك بين آلهما
سوء - ٣ ص ١٨٣

إن هذا الذي في سبع وأربعون نسخة
ولي نسخة واحدة - ٣ ص ٥٣
٢١٦

إن هذا القرآن ينزل من فوق
ص ٢٠٥

إن هذه أسكن الله واحدة وأنا ربكم
فاحفظون - ٢ ص ٢٨٥

إن هم إلا كالأنعام - ٣ ص ٢١
إن يسرق فليسرق أخيه من قبل

ص ١٧٥
إنا أنزلناه من السماء في الليل

ص ١٣٨
إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا

منذرين - ٢ ص ١٧٧

إنا أنشأناهم إنشاء - ٢ ص ٢٧

إنا عرضنا الأمانة على السموات
والأرض والجبال فأبين أن يحملها

- ٣ ص ٢٨
إنا كذلك نجزي المحسنين - ٢

ص ٣٢٦
إنا كنا لكم نبيا - ١ ص ١٨٧

أنتم وآبائكم الآلهة - ٣ ص ١٢٨
أنزل من السماء ماء فصالت آودية
بقدرها فاحصل السيل زبدارايما

- ٣ ص ٦٣
إنك أنت الأعلى - ٢ ص ١٩٥

إما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
ويسمون في الأرض فسادا أن
يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم
وأرجلهم من خلاف - ١ ص ٣١٤

إما الصدقات للفقراء والمساكين
والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم
وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل
الله وابن السبيل - ٢ ص ٢٤١

إنما بمر مساجد الله من آمن بالله
واليوم الآخر ج ١ ص ٢٩٣ ،
٣٠٧

إنه لقرآن كريم ج ٣ ص ٤١
إنها كلمة هو قائلها ج ١ ص ١٨٤
إني آمنت بربكم فاسمعون ج ٢ ص
١٧٧ ، ٢٨٢

إني إذا لقي ضلال مبين ج ٢ ص
٢٨٢

إني أراي أعصر خمرأ ج ٢ ص ٨٩
إني لسكم رسول أمين ج ٣ ص ٧
إهدنا الصراط المستقيم ج ٢ ص
١٧٣ ، ٢٠٣

أو جاء أحد منكم من الغائط ج ١
ص ١٠٨

أو لامستم النساء ج ٣ ص ٥١ ، ٥٣ ،
٥٤

أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء
يتفياً ظلاله عن البين والشمائل
ج ٣ ص ٤٨

أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف
الناس من حولهم ج ١ ص ٢٩٨

إنما الصدقات للفقراء والمساكين
والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم
وفي الرقاب ج ١ ص ٣١٦

إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه
من السماء فاخاط به نبات
الأرض مما يأكل الناس والأنعام
ج ٢ ص ١٣٩

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا ج ٣ ص ٨
إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
وإذا كانوا معه على أمر جامع
لم يذهبوا حتى يستأذنه ج ١
ص ٩٥ ، ج ٣ ص ٦

إنما يخشى الله من عباده العلماء ج ١
ص ٤٥

إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت ويطهركم تطهيراً ج ١
ص ٢٩١

إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله
واليوم الآخر ، وأرتابت قلوبهم ،
فهم في ريبهم يترددون ج ٢
ص ٣٦٦

أولم يروا كيف يبدى الله الخلق
ثم يعيده إن ذلك على الله يسير

ج ٢ ص ١٩٩

أولى لك فأولى ج ٣ ص ١٠

أولئك الذين طبع الله على قلوبهم
وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم

الفاقلون ج ٣ ص ١٥٨

أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم
في الآخرة هم الأخسرون ج ٣

ص ١٢

أولئك على هدى من ربهم وأولئك
هم المفلحون ج ٢ ص ٢٨١

أولئك لهم الأمن ج ٢ ص ٣٤٩

أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويمثل
من يشاء عقيما إنه عليم قدير

ج ٢ ص ٢٣٣

أو ينفعونكم أو يضرون ج ٣ ص
١٢٨

إياك نعبد وإياك نستعين ج ٢ ص

١٧٣ ، ٢١٨ ، ٢٣٠ ج ٣ ص

١٨٧

إِثْنُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلِمَ
قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ

ج ٢ ص ٣٠٤

أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ

مَيْتًا ج ٣ ص ٦٢

أَنَذَا مَتَنَا وَكُنَّا تَرَابًا ذَلِكَ رَجَمٌ بِهِد

ج ٢ ص ٣٢٠

أَنَذَا مَتَنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظَامًا أَنَا

لِلْمُؤْمِنِينَ ج ٣ ص ٢٠١

(ب)

بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ

عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقٍ الْجُفَّةِ ج ١ ص

١٧٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ج ٣ ص ٧

بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ

ج ٢ ص ٢١٨

بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ

فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ

عَجِيبٌ ج ٢ ص ٣٢٠

بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي

أَمْرٍ مَرِيجٍ ج ١ ص ٢٧٢

بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب

بالساعة سميراً ج ١ ص ٢٣٣

بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين

ج ٢ ص ٢٨٢

بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز

الرحيم ج ٢ ص ٣٦٧

(ت)

تالله إن كنا لفي ضلال مبين ج ٣

ص ١٢٩

تقيمها الرادفة ج ٢ ص ٣٢٠

ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو

واقع ج ١ ص ٢٧٩

تكاد السموات ينفطرن منه وتفشق

الأرض وتخرّ الجبال هدا ج ١

ص ٣٣٨

تلك إذا قسمة ضيزى ج ١ ص ٣٢٩

تلك النار الآخرة مجملها للذين

لا يريدون علواً في الأرض ولا

فساداً ج ١ ص ٣٢١

تلك عشرة كاملة ج ٣ ص ٣٠

تنزيلاً من خلق الأرض والسموات

العلم ج ١ ص ١٢٠

ثم إذا غاب السحاب فبشرهم

بأنهم لهم يومهم

ثم اسطر إلى الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

ثم تأمل من أسطر الساعات

(ح)

حافظوا على الصلوات والصلاة

الومطى ج ٣ ص ٢٨، ٣٥

حتى إذا فتحت بأجوج ومأجوج

وهم من كل حدب يشملون ج ٢

ص ٣٠٩

حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمهم

وأبصارهم وجلودهم بما كانوا

يملكون ج ٣ ص ١٥٨

حتى توارت بالغطاب ج ٣ ص ٢٩١

سم والغطاب الذين ج ٣ ص ٢٩١

الحدود والظلم ج ٣ ص ٢٩١

الحدود والظلم ج ٣ ص ٢٩١

الحدود والظلم ج ٣ ص ٢٩١

الحدود والظلم ج ٣ ص ٢٩١

الحدود والظلم ج ٣ ص ٢٩١

الحدود والظلم ج ٣ ص ٢٩١

الحدود والظلم ج ٣ ص ٢٩١

الحدود والظلم ج ٣ ص ٢٩١

الحدود والظلم ج ٣ ص ٢٩١

(ر)

رب إني نذرت لك مافي بطني

محررا ج ١ ص ٢١٩

رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين

ج ٣ ص ١٢٨

الرحمن الرحيم ج ٢ ، ١٧٣ ، ٢١٩ ، ٢١٩

ج ٣ ص ٧

الرحمن على العرش استوى ج ١ ص

٢٧٢

رحمة من ربك إنه هو السميع العليم

ج ٢ ص ١٧٨

(س)

سأصليه سقر ج ١ ص ٣٨٣

سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من

المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

الذي باركنا حوله ج ٢ ص ١٧٥

(ش)

شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى

صراط مستقيم ج ٣ ص ١٨٧

خالدين فيها لا يجدون وليا ولا نصيرا

ج ١ ص ٢٧١

خالدين فيها ما دامت السموات

والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك

فعال لما يريد ج ٣ ص ١٧٤

خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض

عن الجاهلین ج ٢ ص ٣٤٩

حذوه فتلوه ج ٢ ص ٢١٩

خلق الإنسان من علق ج ١ ص ٣٧٦

(ذ)

ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ج ١ ص

٣٨٣

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله

ذو الفضل العظيم ج ١ ص ١٢٣

ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير

له عند ربه ج ٢ ص ١٨٨

ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض

بغير الحق وبما كنتم تفرحون

ج ١ ص ٣٥٠

ذلكم قولكم بأفواهكم ج ٢ ص

٣٦٠

(ص)

ص . والقرآن ذى الذكر ج ٢

ص ٢٠١

صراط الدين أنعمت عليهم ج ٢

ص ١٧٣ ، ٢٠٣

صفراء قانع لونها تسر الناظرين ج ١

ص ٦٠

(ط)

طه ج ١ ص ٢٧٢

(ع)

عربا أنزبا ج ١ ص ٣٧

(غ)

غير المفضوب عليهم ج ٢ ص ١٧٤

(ف)

فأتبهم فرعون بحنوده ففشيهم

من اليم ماغشيهم ج ٢ ص ٣٤٨

فأتت به قومها تحمله ج ١ ص ١٨٣

فأتقوا الله وأطيعون ج ٣ ص ٧

فأثرن به قعما ج ١ ص ٢٧٢ ، ٣٣٣

فأجاءها الحاض إلى جذع النخلة

قالت ياليتنى مت قبل هذا

وكنت نسيا منسيا ج ٢ ص ٢٢٧

فأجمعوا أمركم وشركاءكم ج ٢ ص

٣٠١

فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ج ٢ ص

٢٥٠

فأدخلناه في رحمتنا ج ٢ ص ٨٥

فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا

المشركين حيث وجدتموهم ج ١

ص ٤٠٦

فإذا طعتم فانتشروا ولا مستأنسين

لحديث ج ١ ص ٢١٥

فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من

الشیطان الرجيم ج ٢ ص ٢٨٥

فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب

الرقاب ج ٢ ص ٣٠٢

فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ج ٢

ص ٣٦٢

فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم

عسير على الكافرين غير يسير ج ٣

ص ٣٣

فأرسلنا عليهم الطوفان والقمل

والضفادع والدم آيات مفصلات

ج ١ ص ٢١٧

فالسباقيات سبقا ج ٢ ص ٣٢٠

فاستقنمهم أم أشد خلقا أم من خلقها

إنا خلقناهم من طين لازب ج ١

ص ١٤٩

فأصبح في الدنيا خائفا يخوف فإذا

الذي استنصره بالأمس يستصره

قال لا مؤمن إنك لنوى مبين

ج ٣ ص ١٢

فاعبدوا ما شئتم من دونه ج ٣ ص ٥

فأقبل بعضهم على بعض يتسائلون ج

٣ ص ٢٨ ، ١٠٢

فاكبه ونخل ورمان ج ١ ص ٨٨

فاكبين بما آتاكم ربكم وواقعهم ربهم

عذاب الحميم ج ١ ص ٢٧٦

فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه

واتبعوا النور الذي أنزل معه

أولئك هم الفلاحون ج ١ ص ٢٦١

فالعاصفات عصفا ج ١ ص ٢٣٦

فالمدرات أمرا ج ٢ ص ٣٢٠

فالمفريات صبيحا ج ١ ص ٢٧٢ ،

٣٣٣

فالمفريات قدحا ج ١ ص ٣٧٢ ،

٣٣٣

فأما الذين جردت رؤسهم فليس لهم

بشر أبشكم ج ١ ص ٢١٨

فأما الذين ظلموا في الدين ظلما

ركبوا شيطان ج ٢ ص ٢٧٢ ج ٣

ص ١٧٧

فأما من أتت كتابه عليه يقول

هذه أمروا كتابكم ج ١ ص ١٨

٣٧٦

فأما الذين جردت رؤسهم فليس لهم

بشر أبشكم ج ١ ص ٢١٨

فإن تولوا فإلّا ج ١ ص ١٨٨

أهو عليه لو كنت ليرد ابن العرس

التشديد ج ١ ص ٢٧٦

فانطلقا حتى إذا كنتم في الصلوة

ج ١ ص ١٨٨

فانطلقا حتى إذا كنتم في الصلوة

أقلت نفسا زكية ج ١ ص ٢٧٢

ج ١ ص ٢٧٢

فانظروا إلى النار رحمة من ربكم

الذي من بديعهم ج ١ ص ٢٧٢

مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ

عظيم ج ١ ص ١٩٠

نخرج على قومه من الخراب فأوحى
إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ج ٢

ص ٢٩٣

نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة

واتبعوا الشهوات فسوف يلقون

غيا ج ١ ص ٣١١

فذرهم يخوضوا ويلعبوا ج ٢ ص ٣٠٢
فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن

ولا مجنون ج ١ ص ٣٧٦

فذوقوا عذابي ونذر ج ٣ ص ١٩

فرددناه إلى أمه كي تقرّ عينها ج ٢

ص ٢٩٠

فسقى لهم ما ثم تولى إلى الظل فقال رب
إني لما أنزلت إلى من خير فقير

ج ٢ ص ٣٠٥

فسيكفكم الله ج ١ ص ٢٦٥

فمشاها ما غشى ج ٢ ص ٢٠٦

فقال لهم رسول الله ناقة الله وستياها

ج ٢ ص ٢٩٨

فإنكم وما تعبدون ج ٣ ص ٢٨ ،

٢٠١

فإنها لاتعنى الأبصار ولكن تعنى
القلوب التي في الصدور ج ٢ ص

٤٠٠ ، ٣٦٤

فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ج ٣

ص ١٢٨

فأوجس في نفسه خيفة موسى ج ٢

ص ١٩٤ ، ٢١٩

فبأى آلاء ربكما تكذبان ج ٣

ص ٢٠

فما رحمة من الله أنت لهم ج ٢ ص

٩٣

فجعلناهم أنكاراً ج ٢ ص ٣٧

فعملته فانتبذت به مكانا قصيا ج ٢

ص ٢٢٧

نغر عليهم السقف من فوقهم ج ٢

ص ٣٦١

نخرج على قومه في زينته قال الذين

يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا

فقال الملأ الذين كفروا من قومه
ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك
اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي
الرأى وما نرى لكم علينا من
فضل ج ٣ ص ٧٢
فقبضت قبضة من أثر الرسول ج ٢
ص ٣١٠
فقتل كيف قدر ج ٣ ص ٩
فقد صفت قلوبكما ج ١ ص ٥٥
فقضاهن سبع سموات فى يومين
وأوحى فى كل سماء أمرها ج ٢
ص ١٧٦
فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا
ج ٢ ص ٢٥١
فقلنا أذهبوا إلى القوم الذين كذبوا
بآياتنا فدمرناهم تدميرا ج ٢ ص ٣٠٢
فقلنا أضرب بمصاك الحجر فانهجرت
منه اثنتا عشرة عينا ج ٢ ص ٢٨٧
فقلنا أضربوه ببعضها كذلك يحيى
الله الموتى ويريكم آياته لعلكم
تعقلون ج ٣ ص ٤٣

فكان عاقبتهم أهما فى النار خالدین
فیها ج ٣ ص ١٢
فككبوا فیها هم والفاوون ج ٢ ص ٠
٢٥٢، ج ٢ ص ١٢٩
فلا أقسم بمواقع النجوم ج ٣ ص ٤١
فلا تمجل علیهم إنما نعدّ لهم عدا
ج ١ ص ٢٧٨
فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ج ٩
ص ٢١٤
فلما أتاها نودی من شاطئ الواد
الأيمن فى البقعة المباركة من
الشجرة أن یا موسى إنی أنا الله
ج ١ ص ٣٨٨
فلما أسلما وتله للجبین ج ٢ ص ٥
فلما أن أراد أن یبطش بالذى هو
عدوّ لهما قال یا موسى أتريد أن
تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس
ج ٣ ص ١٢
فلما أن جاء البشیر ألقاه على وجهه
فارتدّ بصیرا قال ألم أقل لكم
إنی أعلم من الله ما لا تعلمون ج ٢
ص ٢٩٠، ج ٣ ص ١٣

فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا

سحر مبين ج ٣ ص ١٨٧

فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه
وقال أدخلوا مصر إن شاء الله

آمنين ج ٢ ص ٢٩٠

فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يحملوه في

غيابة الحب ج ٢ ص ٣٠٣

فله ماسلف ج ٢ ص ٣٢٧

فلو أن لنا كرة ففككون من المؤمنين

ج ٣ ص ١٢٩

فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن

تصيبهم فتنه أو يصيبهم عذاب أليم

ج ١ ص ٣٥٢

فليضحكوا قليلا وليكوا كثيرا ج ٣

ص ١٤٤

فما بكت عليهم السماء والأرض

وما كانوا منظرين ج ٢ ص ٨١

فما لنا من شافعين ج ٣ ص ١٢٩

فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله

ماسلف ج ٢ ص ٢٣٥

فمن كان منكم مريضا أو به أذى من

رأسه ففدية ج ١ ص ٣١٧

فمن كان منكم مريضا أو على سفر

فعدة من أيام أخر ج ٢ ص ٣١٨

فمن نكث فإنما ينكث على نفسه

فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد

ومنهم سابق بالخيرات ج ١

ص ٣٣

فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم

من أخذت الصيحة ومنهم من

خسفنا به الأرض ومنهم من

أغرقنا وما كان الله ليعظلمهم

ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

ج ٣ ص ٢٠٧

فورب السماء والأرض إنه لحق

مثل ما أنكم تنطقون ج ٣

ص ٢٠٤

فوسطان به جما ج ١ ص ٢٧٢ ،

٣٣٣

في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن

بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ج ٢

ص ٣٦٧

قال ألم أؤل لك إنك لن تستطيع معي

صبرا ج ٢ ص ١٩٣

قال إنما أشكو بني وحزنى إلى الله

وأعلم من الله مالا تعلمون ج ١

ص ٨٦

قال إني ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف

أن يأكله الذئب وأنتم عنه

غافلون ج ٢ ص ٣٠٣

قال تزرعون سبع سنين دأبا فما

حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلا

مما تأكلون ج ٢ ص ٢٨٦

قال رب أجمل لى آية قال آيتك

ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا

ج ٢ ص ٢٩٢

قال رب أنى يكون لى غلام وكانت

امرانى عاقرا وقد بلغت من

الكبر عتيا ج ٢ ص ٢٩٢

قال سننظر أصدقت أم كنت من

الساكذين ج ٢ ص ٢٩١

قال سوف أستغفر لكم ربى إنه هو

الغفور الرحيم ج ٢ ص ٢٩٠

فى سدر مخضود ج ١ ص ٣٣٥ ،

٣٧٧

ففيها يفرق كل أمر حكيم ج ٢ ص

١٧٨

فيهما فاكهة ونخل ورمان ج ٣ ص

٢٨

فيهما من كل فاكهة زوجان ج ٢

ص ٣٦٩

(ق)

ق . والقرآن المجيد ج ٢ ص ٣٢٠

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا

باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم

الله ورسوله ولا يدينون دين

الحق ج ٣ ص ١١ ، ٩

قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم

لئن لم تنته لأرجنك واهجرنى

مايا ج ٣ ص ٣٧٧ ، ٢٢٢

قال الذى سطوته علم من الكتاب

أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك

طرفك ج ٢ ص ٢٩٤

قال أفرأيتكم ما كنتم تعملون ج ٣

ص ٢٩٤

قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف

عن نفسه ج ٢ ص ٣٠٤

قال للملأ من قومه إنا لنراك في ضلال

مبين ج ٢ ص ٢١١

قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى

أم تسكون من الذين لا يهتدون

ج ٢ ص ٢٩٤

قال هل يسمعونكم إذ تدعون ج ٢

ص ١٢٨

قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا

برأسي ج ٣ ص ١٨١

قال يا أيها الملأ أياكم يأتيني بعمرها

قبل أن يأتوني مسلمين ج ٢ ص

٢٩٣

قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني

رسول من رب العالمين ج ٢ ص

٢١١

قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم

ضلوا ج ٢ ص ٢٩٣

قالت أي يكون لي غلام ولم يمسسني

بشر ولم أك بغيا ج ٢ ص ٢٨٤

قال عفريت من الجن أنا آتيتك به

قبل أن تقوم من مقامك وإني

عليه لقوى أمين ج ٢ ص ٢٩٣

قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل

علينا مائدة من السماء ج ١ ص

١٨٢

قال قائل منهم إني كان لي قرين ج ٣

ص ٢٠١

قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ج ٢

ص ٢٠٢

قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن

كان في ضلال بعيد ج ١ ص

٣٧٧

قال كذلك قال ربك هو علي هين

وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا

ج ٢ ص ٢٩٢

قال كذلك قال ربك هو علي هين

ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان

أمراً مقضيا ج ٢ ص ٢٨٤

قال لا تخصموا الذي وقد قدمت إليكم

بالوعيد ج ١ ص ٣٧٧

قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به
حل بمير وأتابه زعيم ج ٣ ص ٤٢
قالوا وهم فيها يختصمون ج ٣ ص
١٢٩

قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا
خاطئين ج ٢ ص ١٩٠
قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف
وإناله لنا صون ج ٢ ص ٢٤٤ ،
٣٠٣

قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا ج ١
ص ١٢٧
قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن
نسكون نحن الملقين ج ٢ ص
١٩٢

قتل الإنسان ما أكرهه ج ٢ ص ٢٣٦ ،
٢٣٧ ، ٣٢٣
قد جعل ربك تحتك سريا ج ١ ص
١٢٧

قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي
المحسنين ج ٢ ص ٣٢٥

قالت يا أيها الملاء إني ألقى إلى
كتاب كريم ج ٢ ص ٢٩١
قالوا أ أنت فعلت هذا بالهتنا
يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم
هذا فاسألهم إن كانوا ينطقون
ج ٣ ص ٧٢

قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون
ج ٣ ص ١٢٨
قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم
ج ٢ ص ٢٤١
قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف ج ٢ ص
٣٢٧

قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد
في الأرض وما كنا سارقين ج ٣
ص ٤٢

قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى
يرجع إلينا موسى ج ٢ ص ٢٩٣
قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة
إنا إذا لخاسرون ج ١ ص ٣٠٣
قالوا نعبد أصناما فنظّل لها عاكفين
ج ٣ ص ١٢٨

قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم
عند كل مسجد وادعوه مخلصين
له الدين ج ٢ ص ١٨٤

قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي
وإن اهتديت فبما يوحي إليّ
ربي ج ٣ ص ١٦٢

قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا
للّه مثنى وفرادى ثم تتفكروا
ما بصاحبكم من جنة ج ٢ ص
٢٠٥

قل إنما أمرت أن أعبد الله مخلصا
له الدين ج ٣ ص ٥

قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب
يوم عظيم ج ٣ ص ٥

قل الروح من أمر ربي ج ١ ص ١٢٣
قل سيروا في الأرض فانظروا كيف

بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة
الآخرة ج ٢ ص ١٩٩

قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة
في القربى ج ٢ ص ٢٩٠

قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم
والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا
برآء منكم وما تمبدون من دون
الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم
المدواة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا
بالله وحده ج ٣ ص ٣٤

قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله
بنبيائهم من القواعد فخر عليهم
السقف من فوقهم وأتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون ج ٢ ص
٣٩١

قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم
به وشهد شاهد من بني إسرائيل

على مثله ج ٢ ص ٣١٩
قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها
الجاهلون ج ٢ ص ٢١٨

قل الله أعبد مخلصا له ديني ج ٣
ص ٥

قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من
تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز
من تشاء وتذل من تشاء بيدك
الخير ج ٢ ص ١٩٥

كل حزب بما لديهم فرحون ج ١
ص ٣٩٤

كلا إذا بلغت التراقي ج ٢ ص ٢٦٦
كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون

عليهم ضدا ج ١ ص ٣٧٨
كلا لما يقض ما امره ج ٢ ص ٣٣٣
كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا
ولات حين مناص ج ٢ ص ٢٠١

كفتم خیرامة أخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله ج ١ ص ٣١١

(ل)

لا أعبد ما تعبدون ج ٣ ص ٧
لا تبقي ولا تذر ج ١ ص ٣٨٣
لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا ج ١ ص ٩٣

لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا
ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
ج ٣ ص ١٦، ١٨

قل من يرزقكم من السموات
والأرض قل الله وإنا أوياكم
لعلى هدى أو فى ضلال مبين
ج ٢ ص ٢٤٠

قل يا قوم أعمالوا على مكانتكم إني
عامل فسوف تعلمون ج ٢ ص
٢٨٣

قل يا أيها الكافرون ج ٣ ص ٧
قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ج ٢
ص ١٩٤، ١٩٦، ٢١٩

قم فأنذر ج ١ ص ٣٣٦، ٤١٢
قيل أدخل الجنة قال يا ليت قومي

يعلمون ج ٢ ص ٢٨٢
قيل أدخلوا أبواب جهنم خالدين
فيها فبئس مثوى المتكبرين
ج ١ ص ٢٤١

(ك)

كأنهم بيض مكنون ج ٢ ص ١٣٠
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون
ذو الأواد ج ٣ ص ٩

لا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا

ج ١ ص ١٨٧

لأصحاب اليمين ج ٢ ص ٣٧

لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت

العليم الحكيم ج ١ ص ٣٢٤

لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ج ٢

ص ٢٢٥

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه تنزيل من حكيم حميد ج ١

ص ٢٨٨ ، ٣٠٥

لا يستأذك الذين يؤمنون بالله واليوم

الآخر أن يجاهدوا بأموالهم ،

وأنفسهم ، والله عليم بالمتقين ج ٢

ص ٢٦٦

لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة

أصحاب الجنة هم الفائزون ج ٣

ص ١٦٨

لا يستوى منكم من أنفق من قبل

الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة

من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا

ج ٢ ص ٢٠٧

لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن

قوم مسحورون ج ٢ ص ٣٢٤

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز

عليه ما عنتم حريص عليكم

بالمؤمنين رؤوف رحيم ج ١ ص

٣٣٧

لقد جئتم شيئا إذا ج ٢ ص ٣٣٤ ،

٤٨١

لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا

عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد

ج ٢ ص ٣٣٦

لكل أجل كتاب ج ١ ص ٢٠٧

لكم دينكم ولي دين ج ٣ ص ٧

لكيلا تأسوا على ما فاتكم

ولا تفرحوا بما آتاكم ج ٣ ص ١٤٤

لله الأمر من قبل ومن بعد ج ٢ ص

٣١١

لله ملك السموات والأرض يخلق

ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب

لمن يشاء الذكور ج ٢ ص ٢٣٣

(م)

ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من
إله إذا لذهب كل إله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض ج ٢
ص ٣٢٠

ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ج ٣
ص ٢٠٢، ٢٨

ما أغنى غنى ماليه ج ١ ص ٢١٦
ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة ج ١ ص
١٨٩

ما أنتم عليه بفاتنين ج ٣ ص ٢٨
٢٠١

ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ج ١
ص ٢٧٢

ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
ج ٢ ص ٣٦٠، ٣٦٤
ما ضل صاحبكم وما غوى ج ١ ص
٢٢٩، ٣٣٦

ما فرطنا في الكتاب من شيء
ج ٣ ص ١٧٨

ما كذب الفؤاد ما رأى ج ١ ص
٢١٢

له الحكم وإليه ترجعون ج ٢ ص
٢٢٥

له ما في السموات وما في الأرض
وما بينهما وما تحت الثرى ج ١ ص
٢٧٢

لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى
بما يخلق ما يشاء ج ٢ ص ٣٠٧
لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن
شديد ج ٢ ص ٣٢٣

لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون
ج ٢ ص ٢٤٤

لو نشاء لجعلناه حطاما فظلمتم تفكهنون
ج ٢ ص ٢٤٤

لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم
ولا هم ينصرون ج ٢ ص ٣٢٢
ليبلوكم أيكم أحسن عملا ج ١ ص ٣٥٨
ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره
المجرمون ج ٣ ص ٥

ليس كمثل شيء وهو السميع البصير
ج ٣ ص ٦١

ليستخلفنهم في الأرض ج ١ ص ٢٦٥

من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون

ج ٣ ص ١٢٩

من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها

ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى

وهو مؤمن فأولئك يدخلون

الجنة ج ٢ ص ٢٠٤

من كان يريد حرث الآخرة نزد له

في حرثه ومن كان يريد حرث

الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة

من نصيب ج ١ ص ٣٧٩

من كفر فعليه كفره ج ٢ ص ٣٣٥

ج ٣ ص ١٥٩

من نطفة خلقه فقدره ج ٢ ص ٢٣٩

٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٣٣٣

من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب

وارتقبوا إلى معكم رقيب ج ٢

ص ٢٨٢

من يأتيه عذاب يخزيه ويحمل عليه

عذاب مقيم ج ٢ ص ٢٨٣

(ن)

النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم

تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون

أشد العذاب ج ١ ص ١٨٧

مالك يوم الدين ج ٢ ص ١٧٣ ،

٣١٩ ج ٣ ص ٧

ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة

ولا كبيرة إلا أحصاها ج ٢ ص ٢١٣

ما ودعك ربك وما قلى ج ١ ص ٢٤٢

ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب

عتيد ج ٢ ص ٣٣٦

مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء

كمثل العنكبوت اتخذت بيتا

وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت

ج ٣ ص ٢٠٧

مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم

كرما د اشتدت به الريح في يوم

عاصف ج ٢ ص ١٤٩

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما

أضأت ماحوله ذهب الله بنورهم

وتركهم في ظلمات لا يبصرون

ج ٢ ص ١٣٩ ، ٢١٠

من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة

وزرا ج ١ ص ٣٧٩

من أى شئ خلقه ج ٢ ص ٢٢٦ ،

٢٣٧ ، ٢٣٣

(و)

وآتيناهم ثمود الناقة مبصرة ج ٢ ص

٣١٣

وآتيناهم الحكم صبيا ج ١ ص ١٨٠

وآتيناهم الكتاب المستبين ج ١ ص

٣٧٨

وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا

هم مظلومون ج ٢ ص ١٢٤

واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا

لهم عزا ج ١ ص ٣٧٨

واتل عليهم نبأ إبراهيم ج ٣ ص ١٢٨

واجعل لى لسان صدق فى الآخرين

ج ٣ ص ١٢٩

واجعلنى من ورثة جنة النعيم ج ٣

ص ١٢٩

واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا

فلما أخذتهم الرجفة قال رب

لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى

أنهلكذا بما فعل السفهاء منا ج ٣

ص ١٣١

نساؤكم حرث لكم ج ٢ ص ١٣٣

نسوا الله فنسيهم ج ٣ ص ١٥٩

(هـ)

هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين

من دونه ج ٢ ص ٣٧١

هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب

ج ٣ ص ١٢٩

هل فى ذلك قسم لذى حجر ج ٢

ص ٣١٩

هلك عنى سلطانيه ج ٢ ص ٢١٦

هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ج ٢

ص ١٣٣

هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر

نورا ج ٢ ص ٢١٠

هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا

فيه والنهار مبصرا ج ٣ ص ١٧٤

هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى

إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم

ريح طيبة وفرحوا بها جاءتها

ريح عاصف ج ٢ ص ١٨١

وإذا بعدكم الله إحدى الطائفتين أنهما
لكم وتودون أن غير ذات الشوكة
تكون لكم ويريد الله أن يحقّق
الحق بكلماته ويقطع دابر

الكَافِرِينَ ج ٣ ص ٥

وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين
دعوا هنالك ثبورا ج ١ ص ٣٣٣
وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم
بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل
أكثرهم لا يعلمون ج ٣ ص ٤٢
وإذا سألك عبادي عني فإني قريب
أجيب دعوة الداع إذا دعان ج ١

ص ٢٤٢

وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس
قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء
ألا إنهم هم السفهاء ولكن

لا يعلمون ج ٣ ص ١٦٣

وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم
وما خلفكم لعلكم ترحمون

ج ٢ ص ٣٢١

وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض

قالوا إنما نحن مصلحون ج ٣

ص ١٦٣

واخفض لهما جناح الذل ج ٢ ص ٨٧
وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء
من غير سوء في تسع آيات إلى
فرعون وقومه إنهم كانوا قوما

قاسقين ج ٣ ص ١٨٧

وإذا غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين

مقاعد للقتال ج ١ ص ٢٦٢

وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت

قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين

من دون الله قال سبحانه ما يكون

لي أن أقول ما ليس لي بحق إن

كنت قلته فقد علمته ج ٢ ص

١٩٦، ج ٣ ص ١٨٢

وإذا قتلتم نفسا فادّارأتم فيها والله

مخرج ما كنتم تكتمون ج ٣

ص ٣٣

وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت

واسماعيل ج ٢ ص ٢٠٥

وإذا يريكمهم إذ التفتيم في أعينكم

قليلًا ويقللكم في أعينهم ليقضى

الله أمراً كان مفعولا وإلى الله

ترجع الأمور ج ١ ص ٣٣٧

وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ج ١

ص ٣١٩

وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا
خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم

ج ٢ ص ٢٤٢

وإذا مرضت فهو يشفين ج ٢ ص

٢٣٦، ج ٣ ص ١٢٨

واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل

وكل من الأخيار ج ٣ ص ١٣٩

واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق
ويعقوب أولى الأيدي والأبصار

ج ٣ ص ١٣٩

واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان

صديقاً نبياً ج ٢ ص ٢٦٢

واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان

صادق الوعد وكان رسولاً نبياً

ج ١ ص ٢٨٥

والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي

وأنبأنا فيها من كل زوج زوجين

ج ١ ص ٢٧٢

وأزلفت الجنة للمتقين ج ٣ ص ١٢٩

واسأل القرية ج ١ ص ٨٥، ١١٠،

ج ٢ ص ٨٢، ٩٥، ٣٠٩

واشتعل الرأس شيباً ج ٢ ص ١٣٤

وأشرق الأرض بنور ربها ووضع
الكتاب وحى بالنبين والشهداء

ج ١ ص ٢٤١

وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ج ١

ص ٣٣٥، ٣٧٧

وأضل فرعون قومه وما هدى ج ٢

ص ٣٤٨

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن
رباط الخيل ترهبون به عدو الله

وعدوكم ج ١ ص ٣١٨

واغفر لأبي إنه كان من الضالين

ج ٣ ص ١٢٩

واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة

أبصار الذين كفروا ج ٢ ص

٢٢٢

واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة

وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال

عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي

وسعت كل شيء ج ٣ ص ١٣١

والتفت الساق بالساق ج ١ ص ٣٥١ ،

ج ٢ ص ٢٢٥

والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتي

يوم الدين ج ٣ ص ١٢٨

والذى هو يطعمنى ويسقنى ج ٢ ص

٢٣٥ ، ج ٣ ص ١٢٨

والذى يمتحنى ثم يحين ج ٢ ص ٢٣٦

ج ٣ ص ١٢٨

والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم

يقتروا وكان بين ذلك قواما

ج ٣ ص ١٧٨

والذين تبوءوا الدار والإيمان من

قبلهم ج ٢ ص ١١٩

والذين سعوا فى آياتنا معاجزين

أولئك لهم عذاب من رجز اليم

ج ٣ ص ١٥

والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة

بمثلها ج ٣ ص ١٦٠

والذين كفروا أعمالهم كسراب

بقيعة ج ٢ ص ١٣٠

والذين يحاجون فى الله من بعد

ما استجيب له حجهم داحضة

عند ربهم ج ١ ص ٣٧٩

والذين يرمون أزواجهم ولم يكن

لهم شهاداء إلا أنفسهم فشهادة

أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن

الصادقين ج ٢ ص ٣٢٤ ، ج ٣

ص ١٦٤

والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة

ج ٢ ص ٢٨٨

والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما

أنزل من قبلك وبالأخرة هم

يوقنون ج ٢ ص ٢٨١

والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا

فسقناه إلى بلد ميت فأحييناه به

الأرض بعد موتها ج ٢ ص ١٨٥

والله خلق كل دابة من ماء فمنهم

من يمشى على بطنه ومنهم من

يمشى على رجلين ومنهم من

يمشى على أربع ج ٢ ص ٢٣٢

وأما الذين أبيضت وجوههم ففي

رحمة الله هم فيها خالدون ج ٢

ص ١٧٣

وأما الذين سعدوا فى الجنة خالدون

من قبله لمبلسين ج ٣ ص ١١
 وإن الفجار لفي جحيم ج ١ ص ٣٦١
 وأن ليس للإنسان إلا ما سعى
 ج ١ ص ٢٩٤، ٣١٥
 وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر
 مستمر ج ١ ص ٣٣٦
 وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة
 فرح بها وإن تصبهم سيئة مما
 قدمت أيديهم فإن الإنسان
 كفور ج ٢ ص ٢٢٣
 وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع
 فمن يستمع الآن يجد له شهابا
 رصدا ج ١ ص ٢٦٣
 وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت
 حرسا شديدا وشهبا ج ١ ص ٢٦٣
 وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون
 ج ٢ ص ٢٤٥
 وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك
 ج ٢ ص ٣١٤
 وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي
 به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا
 أنعاما وأنا بآيات كثير ج ٢ ص ٢٣٠
 وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ج ٣ ص ٤١

فيها ما دامت السموات والأرض
 إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ
 ج ٢ ص ٢١٢، ج ٣ ص ١٧٤
 وأما السائل فلا تنهر ج ١ ص ٣٤٣،
 ج ٢ ص ٢٢١
 وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي
 إن أراد النبي أن يستنكحها
 ج ٢ ص ٩٥
 وأمرت لأن أكون أول المسلمين
 ج ٣ ص ٥
 وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر
 وأخفى ج ١ ص ٢٧٢
 وإن تعجب فعجب قولهم أنذا كنا
 ترابا أننا لفي خلق جديد أولئك
 الذين كفروا برّبهم وأولئك
 الأغلال في أعناقهم وأولئك
 أصحاب النار هم فيها خالدون
 ج ٣ ص ١١
 وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم
 نعم المولى ونعم النصير ج ١
 ص ٣٧٧
 وأن سعيه سوف يرى ج ١ ص
 ٣١٥، ٢٩٤
 وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم

وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الإثم والعدوان ج ١ ص ٣١٤
وتقطعوا أئسرهم بينهم كل إلينا
راجعون ج ٢ ص ١٨٢

والتين والزيتون ج ١ ص ٩٥
ونمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة

أولئك الأحزاب ج ٣ ص ٩
وثيابك فطهر ج ١ ص ٣٣٦، ٤١٢،
ج ٣ ص ٥٣

وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك
ما كنت منه تحيد ج ١ ص ٣٣٦
وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
ج ٢ ص ٣٣٦

وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما
وعلوا فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين ج ٣ ص ١٨٧

وجزاء سيئة سيئة مثلها ج ٣ ص ١٥٩
وجزاءهم بما صبروا جنة وحريرا ج ٣
ص ٣٧

وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا
تستخفونها يوم ظعنكم ويوم
إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها

وإنه لكتاب عزيز ج ١ ص ٢٨٨،
وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا
يكونون عليه لبدا ج ٣ ص ١٩٤
وأنه هو أضحك وأبكى ج ٢ ص ٣٠٤

وأنه هو أمات وأحيا ج ٢ ص ٣٠٤
وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار

ج ٣ ص ١٢٩
وأنهم يقولون ما لا يفعلون ج ٢
ص ٩٧

وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ
لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا
بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر

المؤمنين ج ٢ ص ١٨١
وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم
وأرضا لم تطئوها ج ٣ ص ٦٢
وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا
ج ١ ص ٣١٧

وبرزت الجحيم للفاوين ج ٣ ص ١٢٩
والبلة الطيب يخرج نباته بإذن ربه
والذى خبث لا يخرج إلا نكدا
ج ١ ص ٣١٥

والخامسة أن غضب الله عليها إن
كان من الصادقين ج ٢ ص

٣٢٤، ج ٣ ص ١٦٤

والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان
من الكاذبين ج ٢ ص ٣٢٤،

ج ٣ ص ١٦٤

ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال
ما أظن أن تبديد هذه أبدا ج

٢ ص ٢٧١

وربك فكبر ج ١ ص ٣٣٦، ٤١٢

ورتل القرآن ترتيلا ج ٢ ص ٢٥٦

والرجز فاهجر ج ١ ص ٣٣٦

والساحات سمحا ج ٢ ص ٣٢٠

وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة

عرضها السموات والأرض ج ٢

ص ٢١١

وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة

زمرا ج ١ ص ٢٤١

وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا

ج ١ ص ٢٤١

وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل

على الله : ج ١ ص ٣٠٨

وأشعارها أناثا ومتاعا إلى حين

ج ١ ص ٣٨٧

وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم

له برازقين ج ١ ص ٥٠

وجعلنا الليل لباسا ج ٤ ص ١٢٣

وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا

آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة

ج ٣ ص ١٧٤

وجنود إبليس أجمعون ج ٢ ص ١١٩

وجوه يومئذ ناضرة ج ١ ص ٣٥٠،

ج ٢ ص ٢٢٤، ٢٢٥

وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت

هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه

لكم وهم له ناحسون : ج ٢

ص ٢٩٠

وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة

واحدة ج ٢ ص ٣٩٢

وحفانا من لدنا وزكاة وكان تقيا

ج ١ ص ١٨١

وحيل بينهم وبين ما يشتهون ج ١

ص ٩٤

الصالحات ليستخلفنهم في الأرض

كما استخلف الذين من قبلهم

ج ٢ ص ٢٤٥، ٢٤٧

وعد الله لا يخلف الله وعده ولا يكن

أكثر الناس لا يعلمون ج ٢

ص ٣٦٧

وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا

كما خلقناكم أول مرة ج ٢

ص ٣٠٠

وعندهم قاصرات الطرف عين ج ٢

ص ١٣٠

والفجر ج ٢ ص ٣١٩

وفعلت فعلتك التي فعلت ج ٢ ص ٢٠٥

وفي السماء رزقكم وما توعدون ج ١

ص ١٨١

وفيها ما تشبهه الأنفس وتلد الأعين

ج ١ ص ٩٤

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون

الدين كله لله ج ١ ص ٣٧٧

وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم

سبيل الرشاد ج ٢ ص ٢٠٤ ،

ج ٣ ص ٩

والشعراء يتبعهم الغاؤون ج ٢

ص ٩٧

والشفع والوتر ج ٢ ص ٣١٩

والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير

العزیز العليم ج ٢ ص ٢٢١

والشمس وضحاها ج ١ ص ٢٠٨

والضحى ج ١ ص ٢٤٢

وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة

مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل

مكان ج ٢ ص ١١٤

وطلح منضود ج ١ ص ٣٣٥، ٢٧٧

والطور ج ١ ص ٢٧٦

وظل ممدود ج ١ ص ٣٣٥

وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من

الله ج ٢ ص ٢٢١

والعاديات ضبحا ج ١ ص ٢٧٢ ،

٣٣٣

والعاقبة للتقوى ج ١ ص ١٨٨

وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال

الكافرون هذا ساحر كذاب

ج ٢ ص ٢٠١

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

وقال الذى نجا منهما وادّكر بعد أمة
أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ج ٢

ص ٣٠٣

وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبئتم
فى كتاب الله إلى يوم البعث
فهذا يوم البعث ولا كننكم كنتم

لا تعلمون ج ٢ ص ٣١٨

وقال إني ذاهب إلى ربى سيهدين

ج ١ ص ٨٠

وقال رجل مؤمن من آل فرعون
يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول

ربى الله وقد جاءكم بالبينات

من ربكم ج ٢ ص ٢٦١

وقال فرعون يأيها الملائم اعلمت لكم

من إله غيرى فأوقد لى يا هامان

على الطين ج ١ ص ٢٥٩

وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا

لعلى أبلغ الأسباب ج ٢ ص ٢٠٥

وقال الملك انتونى به فلما جاءه الرسول

قال ارجع إلى ربك فأسأله ما بال

النسوة اللاتى قطعن أيديهن

إن ربى بكيدهن عليم ج ٢

ص ٢٨٩ ، ٣٠٣

وقالوا انخذ الرحمن ولدا : ج ٢

ص ٣٣٤ ، ١٧٤

وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده

وأورثنا الأرض نقيبوا من الجنة

حيث نشاء فنعم أجر العاملين :

ج ١ ص ٢٤١

وقالوا ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم

الحساب ج ٢ ص ٢٩١

وقد مكروا مكرمهم وعند الله مكرمهم

وإن كان مكرمهم لتزول منه الجبال

ج ٢ ص ٩٦

وقضيهما إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء

مقطوع مصبحين ج ٢ ص ٢٠٢

والقمر إذا تلاها ج ١ ص ٢٠٨

والقمر قدرناه منازل حتى عاد

كالعرجون القديم ج ١ ص ٢٢١

ج ٢ ص ١٢٧

وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون ج ٣

ص ١٢٩

وقيل من راق ج ٢ ص ٢٩٦
وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء
أقلعي وغيبض الماء وقضى الأمر
ج ١ ص ٢١٤

وكتاب مسطور ج ١ ص ٣٧٦
وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر
مستقر ج ١ ص ٣٣٦

وكل شيء عنده بمقدار ج ١ ص ١٨٢

وكل شيء فعلوه في الزبر ج ١ ص ٢٦٩

وكلم الله موسى تكليماً ج ٢ ص ٢٥٥

ولا أنا عابد ما عبدتم ج ٣ ص ٧

ولا أنتم عابدون ما أعبد ج ٣ ص ٧

ولا تحزنى يوم يبعثون ج ٣ ص ١٢٩

ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا

واتبع هواه ج ٢ ص ٢٣٩

ولا تقتلوا أنفسكم ج ١ ص ٧٩

ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن

تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال

طولا : ج ٢ ص ٣٩٤

ولا صديق حميم ج ٣ ص ١٢١

واللأنى يئسن من المحيض من

نسألكم إن ارتقبتم فجدهن ثلاثة
أشهر واللائى لم يحضن وأولات
الأحمال أجلهن أن يضعن
حملهن ج ٢ ص ٣٢٦

واتسكن منكم أمة يدعون إلى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المفكر ج ٣ ص ٢٧ ، ٣٥ ،

١١٨

ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا

معه أخاه هارون وزيراً ج ٢

ص ٣٠٢

ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث

فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً

ج ٢ ص ٢٠٨

ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر

ج ١ ص ٢١٩

ولقد أوحى إليك وإلى الذين من

قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك

ج ٢ ص ٢١٨ ، ج ٣ ص ٤٨

ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر

بعبادى فأضرب لهم طريقاً في

دكر ج ٣ ص ١٩
ولسكم في القصص حياة ج ٢
ص ٣٥٢ ، ٣٥٤
ولكن البرمن اتقى ج ٢ ص ٣٠٩
ولسكنا أنشأنا قرونا ففتاؤل عليهم
العمر : ج ٢ ص ٢٨٣
ولله على الناس حج البيت من استطاع
إليه سبيلا : ج ١ ص ٢٩٣
ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من
الناس يسقون ج ٢ ص ٣٠٥
وله الجوار المنشآت في البحر
كالأعلام ج ٢ ص ١٢٩
ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ج ٢
ص ٤٢٣
ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت وأخذوا
من مكان قريب : ج ٢ ص ٣٢٢
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ج ٢
ص ٣٠٦ ، ٣٠٨
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم
ج ٢ ص ٢٠٦

البحر يبسالا تخاف دركا ولا تخشى
ج ٢ ص ٣٤٨
ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول
مرة وتركتم ما خولفناكم وراء
ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم
ج ١ ص ٢٤٢
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من
طين : ج ٢ ص ٢٣٨
ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس
به نفسه ونحن أقرب إليه من
حبل الوريد ج ٢ ص ٣٣٦
ولقد علموا لمن اشتراه ج ٣ ص ٤٨
ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم
إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن
فانبعثوني وأطيعوا أمرى : ج ٢
ص ٢٩٣
ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا
لكم فيها ما عيش قليلا ما تشكرون
ج ١ ص ٥٠
ولقد مننا عليك مرة أخرى ج ٢
ص ٢٠٢
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من

نزعناها منه إنه ليثوس كفور

ج ١ ص ٣٣٧

ولئن أذقناه نعاء بعد ضراء مسته

ليقولن ذهب السيئات عني إنه

لفرح فخور ج ١ ص ٣٣٧

ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض

ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله

كنتم تستهزئون ج ٣ ص ١٦٠

وما أدراك ما سقر ج ١ ص ٣٨٣

وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى

إلا على رب العالمين ج ١ ص ٧

وما أضلنا إلا المجرمون ج ٣ ص ١٢٩

وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون

ج ٢ ص ٣٣٠

وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب

معلوم ج ٢ ص ٣٣٠

وما تأتيهم من آية من آيات ربهم

إلا كانوا عنها معرضين ج ٢

ص ٣٢٦

وما تكون في شأن وما تتلو منه من

قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا

عليكم شهودا ج ٢ ص ٢٣٤

ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا

فيه يمرجون ج ٢ ص ٣٢٤

ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه

اختلافا كثيرا ج ٢ ص ٣٩٣

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن

الله تواب حكيم ج ٢ ص ٣٢٥ ،

ج ٣ ص ١٦٤

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن

الله رؤوف رحيم ج ٢ ص ٣٢٥

ولو نشاء لأرينا لهم فلعرقتهم

بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول

والله يعلم أعمالكم ج ٢ ص

٣٨٧

ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا

ما ترك على ظهرها من دابة :

ج ٢ ص ٣١١

وليال عشر ج ٢ ص ٣١٩

وليتذكر أولو الألباب ج ١ ص ٣٨٥

والليل إذا سجي ج ١ ص ٢٤٢

والليل إذا يصر ج ٢ ص ٣١٩

ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم

مرضاة الله وتثبيتنا من أنفسهم
كمثل جنة بربوة ج ٢ ص ٣٨
والمرسلات عرفا ج ١ ص ٣٣٦
ومكروا مكرا ومكرونا مكرا ج ٣

ص ١٥٩

والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية ج ١ ص ١٨٦
ومن الأرض مثلهن ج ١ ص ٣٨٧
ومن تاب وعمل صالحا فإن يتوب إلى
الله متابا ج ٢ ص ٣١٤

ومن شر النقائات في العقدة ج ٢ ص ٤٢
ومن الناس من يشتري لهو الحديث

ج ٢ ص ٣٩٦

ومن يتعد حدود الله فأولئك هم
الظالمون ج ١ ص ٣١٠ ، ٢٩١
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب ج ١ ص ٣٠٤
ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به

بريئا ج ١ ص ٩٥

ومنائة الثالثة الأخرى ج ٢ ص ٣٦٢
والمؤنسكة أهوى ج ٢ ص ٢٠٦
وناديهنا أن يا إبراهيم ج ٢ ص ٣٢٥

وما كان الناس إلا أمة واحدة
فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضى بينهم فيما فيه يختلفون
ج ٣ ص ٢٠٧

وما كنت بجانب الطور إذ نادينا
واسكن رحمة من ربك لتنذر
قوما ما أتاهم من نذير من قبلك
لعلهم يتذكرون ج ٢ ص ٢٨٤
وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا
إلى موسى الأمر وما كنت من
الشاهدين ج ٢ ص ٢٨٣

وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب
المبطلون ج ٢ ص ٣٢١

ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه
ترجعون ج ٢ ص ١٧٧ ، ٢٨٢
وما تؤخره إلا لأجل معدود ج ٢
ص ٢٢٢ ، ج ٣ ص ١٧٤

وما ينطق عن الهوى ج ١ ص ٣٣٦
وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة
مالها من فواق ج ٢ ص ٢٩١
ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء

لك به علم فلا تطعمهما ج ٢

ص ٣٠١

ووصينا الإنسان بوالديه حملة أمه

وهنا على وهن وفصالة في عامين

أن اشكر لى ولوالديك ج ٣

ص ٤٣

ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم

بما يفعلون ج ١ ص ٢٤١ ج ٣

ص ١٦٠

ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه

أواب ج ١ ص ١٧٦ .

ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم

ما يشتهون ج ٣ ص ٤٢

ويدراً عنها العذاب أن تشهد أربع

شهادات بالله إنه لمن الكاذبين

ج ٢ ص ٣٤ ، ج ٣ ص ١٦٤

ويقولون خمسة سادسهم كلهم ج ٣

ص ١٨٣

ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم

صادقين ج ٢ ، ٣٢٢

وبل للمطففين ج ١ ص ٣١٩

والنازعات غرقا ج ٢ ص ٣٢٠

والناشطات نشطا ج ٢ ص ٣٢٠

والنجم إذا هوى ج ١ ص ٢٢٩ ،

٣٣٦ ، ج ٢ ، ٣٦٣

ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ج ٢

ص ٣٣٦

ونفخ في الصور فصعق من في السموات

ومن في الأرض إلا من شاء الله

ج ١ ص ٢٤١

وهديناهما الصراط المستقيم ج ١

ص ٣٧٨

وهل أتاك نبؤ الخصم إذ تسوروا

الحراب ج ١ ص ١٨٨ ، ج ٣

ص ١٦٠

وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ج ١

ص ٣٥١

وهم ينهون عنه ويتأون عنه ج ١

ص ٣٥٠

وهو الله في السموات وفي الأرض

ج ١ ص ٩٦

ووصينا الإنسان بوالديه حسنا، وإن

جاهداك لتشرك بي ما ليس

ج ١ ص ٣٧٧
يا أيت إني أخاف أن يمك عذاب
من الرحمن فتكون للشيطان
وايا ج ٢ ص ٢٦٢
يا أيت إني قد جاءني من العلم
مالم يأتك فاتبعني أهلك صراطا
سويا ج ٢ ص ٢٦٢
يا أيت لا تعبد الشيطان إن الشيطان
كان للرحمن عصيا ج ٢ ص ٢٦٢
يا أيها الذين آمنوا ج ٢ ص ٣١٤
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق
تقائه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون
ج ١ ص ٣٠٤
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين ج ١ ص ٢٨٨
يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة
من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر
الله ذروا البيع ج ١ ص ٣٠٧
يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم
وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم
وإن تغفوا وتصفحوا وتغفروا فإن
الله غفور رحيم ج ٣ ص ٢٩

ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
مالبثوا غير ساعة : ج ١ ص ٢٤٣
ج ١ ص ٤١٨
ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيرتكم
فلم تفن عنكم شيئا وضاقت عليكم
الأرض بما رحبت : ج ٢
ص ٢٠٠
ويوم نسّ الجبال وترى الأرض
بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم
أحدا ج ٢ ص ١٩٠
ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم
يوزعون ج ١ ص ٨٧
ويوم يعرض الذين كفروا على النار
أذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا ج ٢ ص ٣٠٠
ويوم ينفخ في الصور ففرع من
في السموات ومن في الأرض
ج ٢ ص ١٩٠
(ي)
يا أيت إني أخاف أن يمك عذاب
من الرحمن فتكون للشيطان وليا

والأرض لا إله إلا هو يحيي

ويعيت ج ٢ ص ١٨٢

ياداوذا إنا جعلناك خليفة فى الأرض

فاحكم بين الناس بالحق ج ١

ص ٣١٣

يا زكريّا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيي

لم نجعل له من قبل سميا ج ٢

ص ٢٩٢

يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى

واسعة فإياى فاعبدون ج ٢ ص

٣١٧

يا قوم اعملوا على مكاتكم إنى عامل

سوف تعلمون ج ٢ ص ٢٨٢

يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع

وإن الآخرة هى دار القرار ج ١

ص ٢٠٤ ج ٣ ص ٩

يا هود ما جئنا ببيعة وما نحن بتاركي

آلهتنا عن قولك وما نحن لك

بمؤمنين ج ٢ ص ١٨٣

يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه

يايها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ج ١

ص ٢٠٩

يايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة

من دونكم لا يألونكم خبالا

ودّوا ما غنم ج ٢ ص ٣٢٩

يايها الساحر ج ٢ ص ٣١٤

يايها المدثر ج ١ ص ٣٢٦ ، ج ١

ص ٤١٢

يايها الملا إنى ألقى إلى كتاب كريم

ج ١ ص ١٨٥

يايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم

من نفس واحدة ج ٣ ص ٩٨

يايها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة

الساعة شىء عظيم ج ٣ ص ٩٨

يايها الناس إن كنتم فى ريب من

البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم

من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة

ج ٢ ص ٢٣٩

يايها الناس إنى رسول الله إليكم

جميعا ، الذى له ملك السموات

يوقد من شجرة مباركة زيتونة
لاشرقية ولا غربية ج ٢ ص ١٢٧
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما
الذين سودت وجوههم أكفرتم
بعد إيمانكم فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون ج ٣ ص ١٧٣
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا وما عملت من سوء تود
لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ج ٣
ص ٢٠٥

يوم ترجف الراجفة ج ٢ ص ٣٢٠
يوم لا ينفع مال ولا بنون ج ٣ ص
١٢٩

يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه
فمنهم شقي وسعيد ج ٢ ص ٢٣٢،
ج ٣ ص ١٧٤

يوم يجمعكم ليوم الجمع ج ٢ ص ١٩١
يوم يقوم الروح والملائكة صفا
لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن
وقال صوابا ج ٣ ص ٢٠٥

الحكم صبيا ج ٢ ص ٢٩٣
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ج ١ ص ٣٥٧
يخوضوا ويلعبوا ج ١ ص ٣٨٢
يسبح لله ما في السموات وما في
الأرض له الملك وله الحمد ج ٢
ص ٢١٤

يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها
والذين آمنوا مشفقون منها
ويعلمون أنها الحق ج ١ ص ٣٧٩
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا، وهم
عن الآخرة هم غافلون ج ٢،
ص ٣٩٧

يقول إنا لك لمن المصدقين ج ١ ص ٢٨،
ج ٣ ص ٢٠١

يكاد البرق يخطف أبصارهم ج ٣
ص ١٩٤ البقرة

يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع
بقرات سمان ج ٢ ص ٣٠٣

فهرس الأحاديث النبوية

ارجعن مأزورات غير مأجورات

ج ١ ص ٢٧٤

استحيوا من الله حق الحياء ج ١

ص ٢٧٢

أسجعا كسجع السكمان ج ١ ص

٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥

اسق يا زبير ، ثم احبس الماء حتى

يرجع إلى الجدر ج ٢ ص ٢٨٥

« أسلم سالمها الله » ، « وغفار غفر

الله لها » ، « وعُصية عصت الله »

ج ٣ ص ١٩٧

أطع ولو عبدا حبشيا مجدعا ما أقام

عليك كتاب الله ج ٢ ص ٤٥

أطوا-كن يدا أسرعكن لحوقا بي

ج ٢ ص ٨١

أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان

كل نبي يبعث في قومه ويبعث

إلى كل أحر وأسود وأحاث

لى الغنائم وجعلت لى الأرض

الآن حتى الوطيس ج ١ ص ٩٧ ،

١٠٩

آية الكرسي سيدة آى القرآن ج ٢

ص ٢٦٨

إذا ابتلت النعال فالصلاة فى الرحال

ج ١ ص ٨٩

إذا أتاك أحد الخصمين ، وقد فقت

عينه ، فلا تحكم له ، فربما أتى

خصمه وقد فقت عيناه ج ١ ص ٢٠١

إذا التقى المهاجران ، فأعرض هذا ،

فخيرها الذى يبدأ بالسلام ج ١ ص

٢٠٢

إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا ج ٢

ص ١٨

إذا قام أحدكم إلى الصلاة فليتوضأ

ج ٢ ص ٢٨٦

إذا لم تستح فأصنع ما شئت ج ٢ ص

٧٧

إذا لم تستح فافعل ما شئت ج ٣

ص ٥١

طيبة وطهوراً ونصرتُ بالرعب
بين يدي مسيرة شهر وأوتيت
جوامع السكلم ج ٤ ص ٤ ، ٥
الأعمال بالنيات ولكل امرئ

ما نوى ج ٢ ص ١٨٤ ، ٣٤٠
أعيذه من الهامة والسامة ، وكل عين

لامه ج ١ ص ٢٧٣
أقبل وأدبر واتق الدبر والحيفة ج ٣

ص ٦٥ ، ١٣
اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل
في الدنيا فان منزلتك عند آخر
آية تقرؤها ج ٣ ص ١٢٠

اقرأوا القرآن بالحن والعرب وأصواتها،
وياكم ولحون أهل الفسق ولحون
أهل السكتابين ، وسيجيء بعدى
قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء
والنوح ج ٢ ص ٢٩٥

ألا يكفيك آية الصيف ج ٣ ص ٣٥٥
التمسوا الرزق في خبايا الأرض ج ١
ص ٨٩

اللهم ارفع درجته في المهتدين ،
واخلفه في عقبه في الغابرين لنا وله

بارب العالمين ج ٢ ص ٣٣٦
اللهم اقطع أثره ج ١ ص ٨١
اللهم بارك لهم في محضها، ونحضها ومذقها
وقرقها ، وابعث راعيها في الدنر
بيانع الثمر ، وافجر له الثمد ج ١
ص ٢٣٢

اللهم حببها إلينا كما حببت إلينا مكة
ج ١ ص ١٩٨

اللهم كما أحسنت خلقي حسن خلقي
ج ١ ص ٣٤٩

أما إنكم لو أكثرتم من ذكر هاذم
الذات لشغلكم عما أرى ج ٢
ص ٩٨

أمسك عليك هذا ج ٢ ص ١٣٨
أمكم النخلة ج ٢ ص ٣٩

إن إبليس له عرش على البحر ، فيبث
بنيه في آفاق الأرض فيأتى أحدهم ،
فيقول : فعلت كذا ، وفعلت
كذا . فيقول : ما فعلت شيئا ،
ويأتى أحدهم فيقول زيلت بينه
وبين أخيه ، أو بينه وبين زوجته ،
فيقول : نعم الولد أنت ج ٢ ص ٢٠٣

إن الأعمال تعرض على الله يوم الإثنين
ويوم الخميس، فيغفر لكل امرئ
لا يشرك بالله شيئاً إلا أمراً كانت
بينه وبين أخيه شجناً ج ١ ص
إن الله خلق آدم من قبضة قبضها
من جميع الأرض، فجاء بنو آدم
على قدر الأرض، منهم الأحمر
والأبيض والأسود، وبين ذلك،
والحزن والسهل والخبيث والطيب

ج ١ ص ٢٠٦

إن الله لا ينظر يوم القيامة إلى من
جرّ ثوبه خيلاء ج ٢ ص ٢٩٤
« إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى
أن ينسكحوا بئتهم علياً فلا آذن
ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن
أطلق على ابنتى وينسكح بئتهم »

ج ٣ ص ١٠

إن جبريل عليه السلام عرض على
صورتك فى سرقة وقال هذه زوجتك
فى الدنيا والآخرة، فقلت : إن
يكن ذلك من عند الله يمضه ج ١

ص ٢٠٥

إن سورة الإخلاص تعدل ثلث

القرآن ج ٢ ص ٢٦٨

إن قريشا قد نهكتهم الحرب، فإن
شاءوا ماددناهم مدة، ويدعوا

بينى وبين الناس، فإن أظهر
عليهم وأحبوا أن يدخلوا فيما دخل

فيه الناس ج ٢ ص ٣٤٢

أنا ابن الذبيحين ج ١ ص ٨٠

أنا أفصح من نطق بالضاد ج ٤

ص ٥، ٤

أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فن
مات وترك مالا فلورثته ومن ترك

دينا أو كلاً أو ضياعاً فبلى

وعلى ج ٣ ص ١٢٠

انتقلنا عن الجهاد الأصغر إلى الجهاد

الأكبر ج ١ ص ٩٤

الأنصار كرشى وعينى ١٩٤

إنكم تحشرون على أرض بيضاء

كقرصة النقي ج ٢ ص ١٩

إنكم ترون أهل الدرجات الملا

فى الجنة كما ترون السكوا كفى

أفق السماء ج ١ ص ٢٠٩

(ث)

تكلتك أمك يا معاذ ! وهل يكب
الناس على مناخرهم في نار جهنم
إلا حصائد ألسنتهم ج ٢ ص ١٣٨
ثلاثة لا ترد : الطيب ، والريحان ،
والدهن ج ٢ ص ٤٤

(ج)

جاءني جبريل عليه السلام ومعه
سرقة من حرير وفيها صورة
عائشة وقال : هذه زوجتك في
الدنيا والآخرة ج ٢ ص ٤٣
جار الدار أحق بدار الجار ج ١
ص ٣٥٧

(ح)

حاج آدم موسى ج ١ ص ١٩٦
حرمت على الصدقة وأحلت لي الهدية
ج ٢ ص ٤٣

الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور
متشابهات ج ٢ ص ٣٤٠

(خ)

خذى فرصة من مسك فتطهرى بها
ج ٣ ص ٦٠
الخراج بالضمان ج ٢ ص ٣٥٠

إنما تنكح المرأة لأربع لحسبها ، أو
لدينها ، أو لماله ، أو لجمالها ج ١ ص ٢٠٥
إنه إذا كذب الكاذب تباعد الملك
عنه ميلا لفتن كذبه ج ١ ص ٢٠٤
إنه كانت امرأة فيمن كان من قبلنا
وكان لها ابن عم يحبها فراودها
عن نفسها فامتنعت عليه حتى
إذا أصابتها شدة فجاءت إليه
تسأله فراودها فكفته من نفسها
فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة
قالت له لا يحل لك أن تفض
الخاتم إلا بحقه ج ٣ ص ٦٤

إنه ليس منه وقد لعن الواصلة
والمستوصلة ، والواشمة
والمستوشمة ، والواشرة
والمستوشرة ج ٢ ص ٣٩٦

إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله
وعترتي ج ١ ص ١٩٥
أوتيت جوامع الكلم ج ١ ص ٩٦ ،
ج ٢ ص ٣٣٧

(ب)

بعثت أنا والساعة كهاتين ج ١ ص ٩٧
بعثت في نفس الساعة ج ١ ص ٩٧

المسجد الحرام ج ١ ص ٧٦
صومكم يوم تصومون ، وفطركم يوم
تفطرون ، وأضحاكم يوم تضحون

ج ١ ص ١١٧

(ض)

ضالة المؤمن حرق النار ج ١ ص ٣١٢

(ع)

عرضت على الجنة والنار في عرض
هذا الجدار ، فلم أر كاليوم في

الخير والشر ج ١ ص ٢٠٣

(غ)

غربوا لا تصوموا ج ١ ص ٢٠٠

(ف)

فحج آدم موسى ج ١ ص ١٩٦

فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك ج ٢

ص ٢٩٨

في سائمة الغنم زكاة ج ٢ ص ٩١

(ق)

القدرية مجوس هذه الأمة ج ٢

ص ٣٨٨

قوم يخضبون بالسواد كخواصل الحمام،

لا يريحون رائحة الجنة ج ٢ ص ٣٩٦

(ك)

كانوا إذا خرجوا من عنده لا يتفارقون

إلا عن ذواق ج ٢ ص ٢٧٨

خلوا بين جرير والجرير ج ١ ص ٣٤٣

خير المال عين ساهرة لعين قائمة ج ٣

ص ١٤٤

الخليل معقود بنواصيهما الخير ج ١

(ذ)

ذاك من مدد السماء الثالثة ج ١

ص ١٩٦

ذوالوجهين لا يكون وجهها ج ٢ ص ٤٦

(ر)

رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب

لو أقسم على الله لأبره ج ١

ص ٢٠٤

رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم

على الله لأبره ج ١ ص ٢٠٩

رويدك سوقك بالقوارير ج ٣ ص ٦٤

(س)

سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر

ج ١ ص ٢٠١

سيروا بسير أضعفكم ج ٢ ص

٣٤١ ، ٣٤٠

(ش)

شاهت الوجوه ج ١ ص ١٩٥

(ص)

صلاة في مسجدى هذا خير من ألف

صلاة في غيره من المساجد إلا

لعن الله اليهود ، حرمت عليهم
الشحوم فجملوها ، وباعوها وأكلوا
أثمانها ج ٢ ص ٣٩١

لومدّ لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع
له المتعمقون تعمقهم ج ١ ص
٣٨٢

ليأتين على أمّتي ما أتى على بني إسرائيل ،
تفرق بنو إسرائيل على اثنتين
وسبعين ملة ، وستفرق أمّتي على
ثلاث وسبعين ملة ج ٢ ص ٣٨٧
ليهنك العلم أبا المنذر ج ٢ ص ٢٦٨
(م)

ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله
كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك
ج ٢ ص ٢٤١

ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل
مثل أم القرآن ، وهي السبع
المثاني ج ١ ص ٢٣١
مادخلت هذه دار قوم إلا ذلوا ج ٢
ص ٣٣

ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب
للب الحازم من إحداكن يا معشر
النساء ج ١ ص ٣٨٥

الكريم ابن الكريم يوسف بن
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم
ج ٣ ص ٢٢ : ٤

الكامة الحكمة ضالة المؤمن ج ١
ص ١٠٠
الكامة جدرى الأرض ج ٢ ص ١١٧
١٣٢

(ل)

لا تبيعوا القينات المغنيات ، ولا
تشتروهن ، ولا تعلموهن ، ولا
خير في تجارة فيهن ، ونمنهن حرام
ج ٢ ص ٣٩٦

لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة
ولا تمثال ج ١ ص ١٩٣
لا تستضيئوا بنار المشركين ج ٢
ص ٩٧

لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد
ج ٢ ص ٣١٧
لا مدّ ولا تجريد ج ١ ص ٢٠٧ ، ١٦٢

لا يتوسد القرآن ج ١ ص ٧٧
لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق
ثلاث ج ١ ص ٢٠٢

ما فضلكم أبو بكر بصلاة وصيام ،
ولكن فضلكم بسر وقر في
صدره ج ١ ص ٢٠٩

مثل المجلس الصالح مثل حامل المسك
أما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ،
وإما أن تجد منه عرفا طيبا ومثل
جلس السوء مثل نافخ الكبر ،
إما أن يحرق ثوبك وإما أن تجد

منه رائحة كريهة ج ٢ ص ٤٤
مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل
الأترجة ، طعمها طيب وريحها
ظلي ج ٢ ص ١٤٠

المسلم من سلم الناس من لسانه ويده
ج ١ ص ٣٥١

المضعف أمير الركب ج ٢ ص ٣٤٠
من أتى الجحفة فليقتل ج ٣ ص ٧٣
من أحق الناس بصحابتي قال أمك
قال ثم من قال أمك قال ثم من
قال أمك قال ثم من قال أبوك
ج ٣ ص ٤٣ ، ١١

من جعل قاضيا بين الناس فقد ذبح

بغير سكين ج ١ ص ٩٣
من شاء يرقع في الرياض الأناثق
فعليه بآل حم ج ٢ ص ٣٥٠
من صبر على حر مكة ولأواء المدينة
ضمنت له على الله الجنة ج ١
ص ١٩٨

من غش أمتي فليس مني ج ٢ ص ٣٩٦
من غشنا فليس منا ج ٢ ص ٢٩٦
منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب
مال ج ١ ص ١٨٨
المؤمن لا يلسع من حجر مرتين ج ١
ص ٢٦٣

(٨)

هذا جبل يحبنا ونحبه ج ٢ ص ٨٢
هذا هو البلاغة ج ٢ ص ٣٤٩
هذه كانت تأتينا في زمن خديجة ، وحسن
المهد من الإيمان ج ١ ص ١٩٩
هل يكب الناس على مناخرهم في نار
جهنم إلا حصائد ألسنتهم ج ٢
ص ١٣٢

هو الطهور ماؤه ، الحل ميقته ج ٢
ص ٢٢٣

هو الواد الخفي ج ٢ ص ١٥١

هو الوادة الصفري ج ٢ ص ١٥١

(و)

والله إنكم لتجبنون وتبخلون وتجهلون
وإنكم من ربحان الله ، وإن
آخر وطأة وطئها الله بوجّ ج ٣

ص ٧٤ ، ٤

الولد للفراش وللماهر الحجر ج ١
وهل يكب الناس على مناخرهم في
نار جهنم إلا حصاد السنتهم

ج ٢ ص ١١٨

(ي)

يا أباذرّ ، إلى أحب لك ما أحب
لنفسى ، لا تأمرن على اثنين ،
ولا تولين مال يتيم ج ١ ص ٣٢٥
يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق
ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ،
فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ
ج ١ ص ٣٦١

« الفهارس العامة »

« للفلك الدائر على المثل السائر »

(١)

ابن أثير الجزيرة ج ٤ ص ٣٢

ابن أثير الجزيرة = نصير الدين بن

محمد الموصلي .

ابن الأعرابي ج ٤ ص ١٤٣ ، ١٤٤ ،

١٥٤

ابن جنبل ج ٤ ص ٢٥٣

ابن السكيت ج ٤ ص ١٥٠ ، ٢٣٣ ،

ابن سنان الخفاجي ج ٤ ص ١٧٢ ،

١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٤

ابن سينا = أبو علي بن سينا .

ابن الملقمي = مؤيد الدين محمود

ابن الملقمي .

ابن العميد = أبو الفضل محمد بن

العميد .

ابن قتيبة ج ٤ ص ١٢٢

ابن السكابي ج ٤ ص ١٤٢

ابن المقفع ج ٤ ص ٢٨ ، ٥١ ،

ابن المقفع = عبد الله بن المقفع .

ابن المنصور ج ٤ ص ٣٠٨

آدم ج ٤ ص ٢٤١ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ،

ابراهيم الخليل ج ٤ ص ٦٥ ، ٢٤٤ ،

ابراهيم بن سيار بن هاني البصري

ج ٤ ص ٩٢ .

ابراهيم بن عبد الله بن حسن ج ٤

ص ١٤٢

ابراهيم بن علي بن سلمة ج ٤ ص

١٧٠ .

ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٢٣ ، ٢٤ ،

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ١٥٦ ،

٢١٩ ، ٣٠٣

ابن أبي الحديد = عز الدين عبد الحميد

ابن هبة الله بن محمد بن الحسين .

ابن الأثير ج ٤ ص ٢٣ ، ٢٤ ،

٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٤٠ ،

٤٨ ، ٤٩ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ١٧٥ ،

٣٠٦ ، ٢١١ ، ٢٩٢

(١) هذه الفهارس خاصة بالملك الدائر وحده وهو يبدأ من صفحة ١٣ من القسم الرابع فليلاحظ .

(م — ٢٣ الملك الدائر)

أبو شجاع عضد الدولة ج ٤ ص ٦٣

أبو عبد الله البصري ج ٤ ص ٢١١

أبو عبيدة ج ٤ ص ١٢٧ ، ٣٠٢

أبو علي ج ١ ص ١٥٤

أبو علي بن سيناج، ص ١٩١ ، ١٩٢

أبو علي الفارسي ج ٤ ص ٢١٩ ،

٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤

أبو عمرو = الحباب بن المنذر

الأنصاري

أبو عمرو الجاحظ ج ٤ ص ٦٤

أبو الفتح عثمان بن جني ج ٤ ص

٢٤ ، ٦٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،

١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،

١٩٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٧٢ ،

٢٧٩

أبو الفضل محمد بن العميد ج ٤ ص

١٧١ ، ١٧٨

أبو كبير الهذلي ج ٤ ص ٧٠

أبو محمد بن الخشاب ج ٤ ص ٨٦

أبو مخلد ج ٤ ص ٦٤

أبو موسى الأشعري ج ٤ ص ٩٨

أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن

زهرون الصابي ج ٤ ص ١٧٨ ،

١٨٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ،

٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،

٣٠٩

أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن

عثمان ج ٤ ص ١٦٠

أبو بكر الصديق ج ٤ ص ١٤١ ، ٥٤

١٧١

أبو جعفر بن حميد ج ٤ ص ٢٤١

أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن

الظاهر ج ٤ ص ٢١

أبو جباحب ج ٤ ص ٣٤

أبو الحسن الأخفش ج ٤ ص ٤٤

أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري

ج ٤ ص ١٨

أبو حنيفة ج ٤ ص ٢٩٢

أبو دلف القاسم بن عيسى المجلي

ج ٤ ص ١٨٨

أبو زكريا ج ٤ ص ٤٥

أبو سعيد ج ٤ ص ١٥٢

أبو سعيد محمد بن يوسف ج ٤ ص ١٧٥

أبو سهل سعيد بن عبد الله الأنطاكي

ج ٤ ص ١٨٣

الأصمى ج ٤ ص ١٤٤	أبو نصر محمد بن حميد الطائي ج ٤
أفلاطون ج ٤ ص ٦٩	ص ١٨٢
إقليدس ج ٤ ص ٣٠٥	أبو هلال المسكري ج ٤ ص ٨٦ ، ٨٧
الأمين ج ٤ ص ٤٦	أبو الهيجاء ج ٤ ص ٩٨
الأنباري ج ٤ ص ١٢٢	الأثرمان ج ٤ ص ٢٤٤
أنجشة ج ٤ ص ٢٩٤	أحمد بن أبي دواد ج ٤ ص ١٨١
أوس ج ٤ ص ٢٤٤	أحمد بن محمد بن أبي للمعالى القوطى
(ب)	ج ٤ ص ١٥
بدر ج ٤ ص ٢٤٢	أردشير بن بابك ج ٤ ص ١٤٧
رزويه ج ٤ ص ١٢١	أرسطاليس ج ٤ ص ١٧١
بطليموس ج ٤ ص ١٧١	الأزهري ج ٤ ص ٢٧٧
بلقيس ج ٤ ص ٢٧٨	إسحاق ج ٤ ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٢٤٦
بهرام جور بن يزدجرد ج ٤ ص ١١٥	إسحاق بن إبراهيم بن كيفلغ ج ٤
البيهقي ج ٤ ص ١٣٢	ص ١٦٨
(ت)	إسحاق بن أبي ربيع ج ٤ ص ١٣٩
تاج الدين على بن أنجب ج ٤ ص ١٦	إسرافيل ج ٤ ص ٦٤
توفلس القائد الرومى ج ٤ ص ٢٤٨	الإسكندر ج ٤ ص ٦٥ ، ١٧١ ،
(ث)	ص ١٧٢
ثعلب ج ٤ ص ١٢٢	إسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق ج ٤
(ج)	ص ٢١٧ ، ٧٧
الجاحظ ج ٤ ص ٤١ ، ٩٢ ، ١٧٨	الأشعري = أبو الحسن على بن
	إسماعيل الأشعري .

(خ)

خالد بن الوليد ج ٤ ص ٦٧ ، ٦٨ ،
١٤١

خوات بن جبير الأنصاري ج ٤
ص ٥٣

خولة ج ٤ ص ١١٣ ، ١١٤

(د)

داود ج ٤ ص ٤٦ ، ٩٨

داود الظاهري الأصفهاني ج ٤ ص ٩٢

الدعاء بنت المنقشر ج ٤ ص ١٥٧

(ذ)

ذات النجيين ج ٤ ص ٥٣

(ر)

رافع الطائي ج ٤ ص ١٤٦

رافع بن عميرة ج ٤ ص ٢٤٤

ركن الدولة الحسن بن بويه ج ٤

ص ١٧٨

ريا ج ٤ ص ٢١٨

(ز)

الزباء ج ٤ ص ١٣٨ ، ١٥٤ ، ٢١١

جالينوس ج ٤ ص ٦٩

جبريل ج ٤ ص ٦٤

جذيمة الأبرش ج ٤ ص ٢١١

(ح)

حاتم ج ٤ ص ٢٤٤ ، ٢٧٩

الحارث بن سليل الأسدي ج ٤

ص ١٣٨

الحارث بن كعب ج ٤ ص ١٢١

الحباب بن المنذر الأنصاري ج ٤

ص ٥٤ ، ٥٥

الحجاج ج ٤ ص ١٢٢ ، ١٥٨ ،

١٦٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣

حذام ج ٤ ص ١٤٢

الحسن ج ٤ ص ١٠٣

الحسن بن محمد الصباح ج ٤ ص ٧٧

الحسين بن إسحاق التنوخي ج ٤

ص ٩٤

الحسين بن علي ج ٤ ص ٩٤

خفص بن عمر الأزدي ج ٤ ص ١٨٦

٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،
١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ،
١١٠ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،
١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ،
١٥٣ ، ١٨١

(ش)

الشافعي ج ٤ ص ١٣٢ ، ٢٠٢ ، ٢٩٢
شق الكاهن ج ٤ ص ٢٦٨

(ص)

الصابي = أبو اسحاق إبراهيم بن هلال
ابن زهرون .
صلاح الدين الأيوبي ج ٤ ص ٢١٤

(ض)

ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس
ابن مضر ج ٤ ص ١٢١
ضياء الدين الخالدي المقدسي ج ٤
ص ٢٩١

(ط)

الطائع لله الخليفة العباسي ج ٤
ص ٢٩٨ ، ٢٩٩

الزبير ج ٤ ص ٥١

زكريا ج ٤ ص ٢٥٨

الزنجشري ج ٤ ص ٢٢٤ ، ٢٢٧ ،
٢٢٨ ، ٢٤٧

زياد ج ٤ ص ٢٨ ، ٤١

زيد القنا ج ٤ ص ٢٤٤

زينب ج ٤ ص ٢٤١

(س)

سبكتكين الحاجب ج ٤ ص ٢٩٨ ،
٢٩٩

سحبان وأهل ج ٤ ص ٢٨ ، ٤٠

سطيح ج ٤ ص ٢٦٨

سعد بن الضباب ج ٤ ص ٣٠٨

سقراط ج ٤ ص ٦٩

سليمان ج ٤ ص ٤٦ ، ٢٧٨

سليمان بن وهب ج ٤ ص ١٤٩

سيبويه ج ٤ ص ٤٤

السيد الحميري ج ٤ ص ٦٣

السيد المرتضى ج ٤ ص ١٥٧

سيف الدولة بن حمدان ج ٤ ص ٢٥ ،

٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٩٧ ،

عتيبة بن الحارث بن شهاب ج ٤

ص ١٩٠

عثمان ج ٤ ص ٦٦ ، ٦٧

عز الدولة أبي منصور ج ٤ ص ٢٩٨

عز الدولة بن بختيار بن معز الدولة

ابن بويه ج ٤ ص ١٧٨

عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد

ابن الحسين بن أبي الحديد ج ٤

ص ١٥

العزيز نزار بن معد ج ٤ ص ٢٩٩

عضد الدولة أبو شجاع ج ٤ ص ٦٢ ،

١٨٢ ، ١٧٨

عقراء ج ٤ ص ١٠٣

علقمة بن خصفة الطائي ج ٤ ص ١٣٨

علي بن أبي طالب ج ٤ ص ١٦ ،

١٧ ، ٤٠ ، ٥١ ، ٦٤ ، ٦٦ ،

٦٧ ، ١١٤ ، ١٤٧ ، ٢١٧ ، ٢٦٨

علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي

ج ٤ ص ١٦٨

عمر بن الخطّاب ج ٤ ص ١٥٤ ، ١٠٩ ، ٥٤

عمران ج ٤ ص ٦٦

عمرو ج ٤ ص ١٠٩

طلحة ج ٤ ص ٥١

طه ج ٤ ص ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٢٥٨ ،

٢٦٣ ، ٢٦٤

(ع)

عاصم بن الظرب العدواني ج ٤

ص ١٤٣ ، ١٤٤

عائشة ج ٤ ص ٥١ ، ١٤٧

عبد الله بن سلم السهمي ج ٤ ص ٧٠

عبد الله بن عباس ج ٤ ص ٤٠

عبد الله بن المقفع ج ٤ ص ٥١

عبد الحميد بن يحيى ج ٤ ص ٢٨ ،

١٥٥ ، ٥١

عبد الرحيم بن علي البيسانى ج ٤

ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٢١٤

عبد المسيح بن بقليلة ج ٤ ص ٦٧ ،

٢٦٨ ، ٦٨

عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي

ج ٤ ص ١٦٧

عبد الملك بن مروان ج ٤ ص ٣٠٢

عميد الله بن سليمان بن وهب ج ٤

ص ٣٠٨

عيسى ج ٤ ص ١٤٣

(غ)

الغزالي ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،

٢١٣

(ف)

الفقه-كين ج ٤ ص ٢١٨ ، ٢٩٩

نجر الدين (الامام) ج ٤ ص ١٧ ، ١٩

الفضل بن الربيع ج ٤ ص ١٨٣

فنا خسرو ج ٤ ص ٦٣

(ق)

القاسم بن عبيد الله ج ٤ ص ٣٠٨

القاضي الفاضل = عبد الرحيم بن علي

قس بن ساعدة ج ٤ ص ٢٨ ، ٤٩

قطري بن الفجاءة ج ٤ ص ١٠٦

(ك)

كافور ج ٤ ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ،

٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣

الكسائي ج ٤ ص ٤٤

كسرى ج ٤ ص ٥١

(ل)

لجيم بن صعب ج ٤ ص ١٤٢

لقمان ج ٤ ص ٧٦

(م)

مالك بن طوق التغلبي ج ٤ ص ١٤١ ،

٣٠٧

المتوكل بن نـ شـ ل بن مسافع الليثي

ج ٤ ص ١٦٩

محمد ﷺ ج ٤ ص ٣١ ، ٣٧ ، ٤٤ ،

٧٨ ، ١٤٠ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٣١٠

محمد بن الأمين ج ٤ ص ٤٥

محمد بن عبد الملك الزيات ج ٤ ص ٤٩

محمد بن عبيد الله العلوي ج ٤ ص ٢٧٣

محمد بن الهيثم بن شبانة ج ٤ ص ٩٥

محمد بن يوسف ج ٤ ص ١٢٨

مروان ج ٤ ص ٥١

مريم ج ٤ ص ١٦٦ ، ٢١٧

مساور بن محمد الرومي ج ٤ ص ١٨٥

المستمصم بالله ج ٤ ص ١٥

المستنصر ج ٤ ص ٢١

المسيح ج ٤ ص ٦٩

المطيع لله ج ٤ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩

معاوية بن أبي سفيان ج ٤ ص ٢٨ ،

النظام = إبراهيم بن سيار بن هاني*

البصري .

النعمان بن المنذر ج ٤ ص ١٦٠

نوار ج ٤ ص ٢٤١

نوح ج ٤ ص ٤٤ ، ٧٩ ، ١٧٢ ،

٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨

(هـ)

هارون ج ٤ ص ٤٦

هشام ج ٤ ص ٤٤

هشام بن الكلبي ج ٤ ص ١٤٤

هود ج ٤ ص ١٧٧ ، ٢٥٥

هولاكو ج ٤ ص ١٥

الهيثم بن الربيع ج ٤ ص ٦٤

(و)

وهشودان ج ٤ ص ٦٢

(ي)

يزيد بن معاوية ج ٤ ص ١٦٩

يس ج ٤ ص ٢٧٢

يقتوب ج ٤ ص ١٥٠ ، ٢٤٦

يوسف ج ٤ ص ٨٣ ، ١٦٧ ، ٢٣٤ ،

٢٨١

٤٠ ، ٤١ ، ٥١

المعتصم ج ٤ ص ١٨٧ ، ٢٤٨

المعتضد ج ٤ ص ٣٠٨

معز الدولة ج ٤ ص ٥٩ ، ٢٩٨

المفضل ج ٤ ص ١٤١

المكتفي ج ٤ ص ٣٠٨

المصور ج ٤ ص ١٧٠

موسى ج ٤ ص ٦٦

موفق الدين أحمد بن أبي الحديد ج ٤

١٥ ، ٢١

مؤيد الدين أبي المعالي ج ٤ ص ١٦

مؤيد الدين محمود بن الملقم ج ٤

ص ١٥ ، ١٦

الميرزا محمد الشيرازي ج ٤ ص ٢٢

ميكال ج ٤ ص ٦٤

(ن)

نصير الدين الطوسي ج ٤ ص ١٦

نصير الدين بن محمد الموصلي ج ٤

ص ٣١

فهرس الشعراء

(١)

أبو ذؤابة الأسدي = ربيعة

ابن عبيد الله بن سعد بن جذيمة

أبو صخر الهذلي ج ٤ ص ٢٦ ، ٧٠

أبو الطيب المتنبى ج ٤ ص ٢٤ ، ٢٦ ،

٤٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٩٤ ،

٩٧ ، ١١٤ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،

١٧٢ ، ٢٤٣ ، ٢٧٣ ، ٣٠٨

أبو عبادة = البحتري .

أبو العتاهية ج ٤ ص ٣٥

أبو القاسم محمد بن هانيء الأزدي

ج ٤ ص ٥٩

أبو كبير الهذلي ج ٤ ص ٧٠

أبو نواس ج ٤ ص ٤٣ ، ٤٥ ،

١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ،

٢٧٧

الأبيوردى ج ٤ ص ١٩١

الأخطل ج ٤ ص ١٦٩

الأخنس بن شهاب بن شريق الثقلي

ج ٤ ص ١٢٢

ابن صفان الخفاجي ج ٤ ص ١٧٦

ابن هانيء ج ٤ ص ٥٩ ، ١٧١

ابن هانيء = أبو القاسم محمد بن هانيء

الأزدي .

ابن هرمة ج ٤ ص ١٧٠

ابن هند ج ٤ ص ١٠٧

أبو الأسود الدؤلي ج ٤ ص ١٦٩

أبو تمام ج ٤ ص ٢٧ ، ٤٥ ، ٤٩ ،

٩٥ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٩ ،

١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ،

١٧٦ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ،

١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٤ ،

٢٤٨ ، ٢٧٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ ،

٣٠٨ ، ٣٠٧

أبو الحسن علي بن الحسن الباهري

ج ٤ ص ١٣٢

أبو حية النيري ج ٤ ص ٦٤ ، ١١٧

ديك الجن = عبد السلام بن رغبان

(ر)

الراعى ج ٤ ص ٣٠٢

الراعى = عبيد بن حصين بن معاوية

ابن جندل .

ربيعة بن عبيد بن سعد ج ٤ ص ١٩٠

ربيعة بن مقروم ج ٤ ص ١٢٢

الرضى الموسوى ج ٤ ص ٩٤ ، ١٠١

رؤبة ج ٤ ص ٢٧٧

(ز)

زهير بن أبى سلمى ج ٤ ص ١١٤ ، ١٣١

زينب بنت الطائرية ج ٤ ص ٤٦

(س)

سحيم بن وثيل الرياحى ج ٤ ص ١٤٣

السموأل بن عاديا ج ٤ ص ١٢٢ ،

١٦٧

السيد الجيرى ج ٤ ص ٦٣ ، ٦٤

(ش)

شبيب بن البرصاء ج ٤ ص ١٥٠

الشريف الرضى أبو الحسن محمد

ابن الحسين ج ٤ ص ٩٤ ، ١٧٨ .

الأعشى ج ٤ ص ٣٠١

أعشى باهلة ج ٤ ص ١٥٨

اسرو القيس ج ٤ ص ٩٥ ، ٩٨ ،

٣٠٨ ، ١٨٣ ، ١٨١

(ب)

الباخرزى = أبو الحسن على بن

الحسن الباخرزى .

البحترى ج ٤ ص ١١٤ ، ١٢٨ ،

١٥١ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٣٠٥ ،

٣٠٨ ، ٣٠٧

بشار بن برد ج ٤ ص ١٤١

بشامة بن جزء ج ٤ ص ٤٣

(ج)

جرير ج ٤ ص ٢٧١

(ح)

الحجاج النقفى ج ٤ ص ١٨٢

حسان بن ثابت ج ٤ ص ١٦٩ ،

٢٥٣

الحيص بيض ج ٤ ص ٢١٨ ، ٢١٩

(د)

ديك الجن ج ٤ ص ١٥٦

(ص)

صلاح الدين الصفدي ج ٤ ص ١٩

الصمة القشيري ج ٤ ص ٢١٧، ٢١٩

(ض)

ضرار بن الخطاب الفهري ج ٤ ص ١٢٢

(ط)

طرفة بن العبد ج ٤ ص ٢٠، ١١٤

الطرماح بن حكيم الطائي ج ٤

ص ١٠٠، ١٥٦، ١٦٩

(ع)

عامر بن الحارث بن رباح ج ٤

ص ١٥٨

عبد السلام بن رغبان = ديك الجن

عبيد بن الأبرص ج ٤ ص ١٨٢

عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل

ج ٣ ص ٣٠٢

عثمان بن محمد الكلبي الأشهب ج ٤

ص ١٦٠

المجير السلولي ج ٤ ص ٢٧٢

عروة بن حزام ج ٤ ص ١٠٣

علي بن جبلة ج ٤ ص ٣٠٩

عمر بن أبي ربيعة ج ٤ ص ١١١

عمرو بن الإطناية ج ٤ ص ٥١،

١٦٨

(غ)

الغزي ج ٤ ص ١٦٠

(ق)

قطري بن الفجاءة ج ٤ ص ١٠١،

١٦٨

قيس بن الخطيم ج ٤ ص ١٢٢

(ك)

كعب بن مالك الأنصاري ج ٤

ص ١٢٢

الكهيت ج ٤ ص ١٠٠

(ل)

ليبيد ج ٤ ص ٢٩١

(م)

المتلس ج ٤ ص ١٤٣

المتنبي ج ٤ ص ٢٥، ٣٠، ٦١،

٩٧، ١١٦، ١٢٦، ١٤٧،

المنفل الشكري ج ٤ ص ٢٩١

(ن)

النايفة ج ٤ ص ١٦٠ ، ٣٤

نهل بن حري ج ٤ ص ١٤٩

(هـ)

المهيم بن الربيع ج ٤ ص ٦٤

١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٦ ،

١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،

١٨٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤٢

المتوكل بن عبدالله اللتي ج ٤ ص ١٦٩

محمد بن وهيب ج ٤ ص ١٨٩

المقتدر بن وهب الباهلي ج ٤

ص ١٥٧ ، ١٥٨

فهرس القوافى وأنصاف الأبيات

(١)

صدر	عجز	بحر	ص
وما العيش	وماء	طويل	٢٠١
إنى وإن كان	وورائه	كامل	٢٩١
لا تعذل	أحشائه	»	١١١
إن القتيل	بدمائه	»	١١١
ما الخلل	بسوائه	»	١٠٨
القلب أعلم	وبمائه	»	١٠٧
لا تعذل	أحشائه	»	١٠٧
عذل العواذل	سودائه	»	١٠٢
وبلد	سماؤه	رجز	٤٧٧
فإذا شوفى	شفاء	رمل	١٥٦

(ب)

وأظلم	يتقلبُ	طويل	٥٨
أغالب فيك	أعجب	»	٥٨
تريد بك	المذرب	»	٥٩
فدينك	والغربا	»	١١٧
ولم تفترق	حبًا	»	١١٨
وإن قصرت	نضاربُ	»	١٢٢

صدر	عجز	بحر	ص
إذا قصرت	ففضارب	طويل	١٢٢
ولست	المهذبُ	»	١٦٠
أناس	الكتائب	»	٣٨٨
على مثلها	السواكب	»	١٨٨
إن يقتلوك	شهاب	»	١٩٠
كأن صفري	الذهب	بسيط	٤٣
وأزرق	ينسكبُ	»	١٥٦
فلا تنلك	بالقرب	»	١٢٧
وأزرق الفجر	ينسكبُ	»	١٣٩
كم أحرزت	كذب	»	١٨٦
السيف أصدق	واللاعب	»	١٨٧
إن يعدُّ	الخطاب	»	٢٤٨
السيف أصدق	واللاعب	»	٢٤٨
أفقر	فالذنوب	مخلع البسيط	١٨٣
وكل ذي	لا يؤوب	»	١٨٢
يهز الجيش	العقاب	وافر	١٢٨
بغيرك	الضراب	»	١٢٨
وشيوخ	المشيبا	»	١٦٨
ضروب الناس	حبيبا	»	١٦٨
فاضمم قواصمهم	شهاب	»	١٤١
تقد السلوقي	الحياحب	كامل	٣٤

صدر	عجز	بحر	ص
ولو أن دهرًا	عقاب	وافر	١٤١
وثنية	الأحقبُ	»	٢٧٤
أحسن	والفضبُ	منمّرح	١٢٦
والشعر	خطبة	»	٣٠٥
كلّفتونا	كذبه	»	٣٠٥
لا تذيلن	قضيّب	خفيف	٢٤٩
أى مرعى	ماحوب	»	١٤٩

(ت)

هنيئًا	حزنا	طويل	١١٧
إن الكرام	سويداواتها	كامل	١٧٦

(ح)

جللاً	الشيخُ	»	١٨٥
-------	--------	---	-----

(د)

ولولا ثلاث	عوّدى	طويل	٢٠
فإن نات	ورده	»	٥٩
أود	جنده	»	٥٩
هنيئًا لك	وعيدًا	»	٩٧
وما قتل	اليدّا	»	١٠٠
لكل امرئٍ	في المدّا	»	١٠٧، ١٠٠
سيوفك	العدّا	»	١٠٧

صدر	عجز	بحر	ص
فلم يبك	النواهد	طويل	١١١
عواذل	لما جد	»	١١١
تدكسهم	المسكايد	»	١١٣
نخوة أطلال	اليدي	»	١١٤
ووضع	الندي	»	١٤٠
ما ابيض	البيد	»	١٤٥
وقيدت نفسي	تقيدا	»	١٤٧
لكل امرئ	في العدا	»	١٤٧
ووضع	الندي	»	١٥٢
إذا شد	مُعَمِّدا	»	١٥٣
لكل امرئ	في العدا	»	١٥٣
ووضع الندي	الندي	»	١٦٩
من القوم	بالجمد	»	١٨٦
يهززن	تبريدا	بسيط	١٣٢
أقلنى	الجمود	وافر	١٨٣
لبست	بالصعيد	»	١٩٧
يمز على	القواد	كامل	٩٤
لله تيم	جلاد	»	٢٦٧
وهب الدهر	فخد	رمل	٥٩
من رأى	الأسود	»	١٦٠
لولا ثلاث	العبد	سريع	٢٠

صدر	عجز	بحر	ص
وليت يوي	ولا شاهد	منسرح	٦٢
إن كان	عامد	»	٦٢
لا ناقي	مقصوده	»	٢٧٣
حالك اليوم	غدا	خفيف	١٦٧

(ر)

عجبت	الدهر	طويل	٧٠، ٢٦
أما والذي	الأمر	»	٧٠
إذا أنت	البذر	»	١٤٦
وإني أترك	أستثيرها	»	١٥١
قسمت	وآثر	»	١٨٩
إلام يراك	المنابر	»	٢١٨
كتمت	المفاخير	»	٢١٨
تطاول	خواطري	»	٢١٨
أماوى	بها الصدر	»	٢٧٩
لا يأمن	ينتظر	بسيط	١٥٨
تقول هذا	الزناير	»	١٩٢
أهدى	مطير	مخلع البسيط	١٥٤
طوال قما	بحار	وافر	١٢٢
إذا ما أول	انتصار	»	١٤٦
وتكرمت	أذفرا	كامل	٤٦
نسقوا	مؤخرا	»	١٧١

صدر	عجز	بحر	ص
باد هواك	أوجرى	كامل	١٧١
من مبلغ	والاسكندرا	»	١٧١
وقبر حرب	قبر	»	١٧٧
لا أنت	الأوطار	»	٢٢٨
الكاعب	وفي الحرير	»	٢٩١
المثل السائر	الدأرا	سريع	٢١
لازلت	فاخر	»	١٥٢
قل الأمير	ولاحاضر	»	١٥٢
كالقسي	الأوتار	خفيف	٢٤١
أبكاء	نوار	»	٢٤١
يتفرقن	الجاري	»	٢٤١
وعين لها	أخر	مقارب	٩٥
أحقا	الجالس	طويل	٢٥٣
فتى كان	مرتعا	»	١٨٢
أصم بك	باقعا	»	١٨٢
حنفت	معا	»	٢١٨
وأذكر	تقطعا	»	٢١٨
نجوم	دوامع	»	٢٤٤
سيول	طوالع	»	٢٤٤
سما بي أوس	ورافع	»	٢٤٤
ظلتهم	واضمة	»	٢٥٣

صدر	عجز	بحر	ص
أليس ورأى	الأصابعُ	طويل	٢٩١
بلينا	والصانعُ	»	٢٩١
في الناسُ	أعرف	»	٢٢٩
نفذ القضاء	أزما	كامل	٦٣
ودماعة	ظريفا	»	١٧٥
لك هضبة	خفيفا	»	٧٥
وحلاوة	ظريفا	»	١٧٦
أخلاقك	سُلافُ	»	١٠٥

(ق)

إذا سمعت	محنق	طويل	٢٥
وما ينصر	الموقف	»	٦١
لعينيك	وما بقى	»	٦١
إذا ضمت	محنق	»	٦١
نودعهم	فيلقى	»	٩٨
لعينيك	وما بقى	»	٩٨
وما الحسن	والخلائق	»	١٢٤
تذكرت	السوابق	»	١٢٤
جلون	صديق	»	٢٧١
دعون الهوى	صديق	»	٢٧١
وبت أرأى	علوق	»	٢٧١
أيارب العباد	ربقى	وافر	١٧

صدر	عجز	بحر	ص
فصل السيوف	تلقح	كامل	١٢٢

(ك)

وأيا شئت	هلاكا	وافر	٦٢
فدى لك	فداكا	»	٦٣
إن كنت	الفلك	منسرج	٣٥

(ل)

فنى	وأباجله	طويل	٤٦
ملأت	حابل	»	١٠٠
إذا هبت	العواذل	»	١٠٠
دروع للملك	ويُشاغل	»	١٠١
وقد سقت	المماقلا	»	١١٤
إذا قصرت	فتطول	»	١١٢
إذا المرء	جميل	»	١٢٢
شريك المنايا	غلول	»	١٢٤
ليالى	طويل	»	١٢٤
طليقتهم	قافلا	»	١٢٨
أرى بين	موائلا	»	١٢٨
تسيل على	تسيل	»	١٦٧
إذا المرء	جميل	»	١٦٧
كريم له	باسل	»	١٧٠

صدر	عجز	بحر	ص
أفاطم مهلا	فأجلى	طويل	١٨١
قفانبك	فَحَوَمَل	»	١٨١
ألا أيها	بأَمَتَل	»	١٨٣
ومزنأة	شمر دل	»	٢٧٤
قوم	التهليل	»	٣٠٢
وكان لهم غيثا	فيسائله	»	٣٠٩
فتى وقف	مُنْصَل	»	٣٠١
بالقائم	الطَّوَلُ	بسيط	٤٥
قال الأقارب	الرجل	»	١٤٩
اختصم	جدال	مخلع البسيط	١٧٤
اختصم	جدال	»	١٨٥
فما بقيا	النَّبَالِ	وافر	٩١٨
لو لم تكن	إقباله	كامل	٢٥
لو لم تكن	إقباله	»	٦١
ما بال	رحيلا	»	٣٠٢
أخليفة	فلولا	»	٣٠٢
قوى	التهليل	»	٣٠٢
قوم على	التهليل	»	٣٠٢
ونثرة	الهلل	رجز	١٥٤
من لنا	أبل	رمل	١٥١
أصل النز	وصل	»	١٥١

صدر	عجز	بحر	ص
أقسم بالله	مستول	سريع	٦٤
نظمهم	نابل	»	٩٩
يا دار	عاقل	»	٩٩
يا بدر	يا رجل	منسرح	٢٤٢
واقدرمت	كلاً	خفيف	٢٥
إن يكن	الاجلا	»	٦١
ولقد رمت	كلاً	»	٦١
والميان	اختالا	»	٩٩
كتب القتل	الذيول	»	١١١
فأنتهم خوارق	والأبطال	»	١٢٩
هم يطلبون	يقبل	متقارب	٢٥
هم يطلبون	يقبل	»	٦١
أيقده	يشمل	»	٦٢
وملومة	مُخَمَل	»	١٠٦
أيقده	يشمل	»	١٠٦
أيقده	يشمل	»	١١٥
فدى الدار	الحابل	»	١٢٧
إلام	للعاقل	»	١٢٨

(م)

بناها فاعلى	متلاطم	طويل	٣٠
أذاق الفوانى	العصرم	»	٩٤

صدر	عجز	بحر	ص
ملاى النوى	السقم	طويل	٩٤
تقبل أفواه	وبراجه	»	١٠١
وفاؤ كما	ساجه	»	١٠١
بناها فأعلى	متلاطم	»	١٠٣
على قدر	المكارم	»	١٠٣
أتوك يجرون	قوائم	»	١٠٦
وما ضرها	والقوائم	»	١٠٦
على قدز	المكارم	»	١٠٦
ديار لها	ممعصم	»	١١٤
أمن	فالمتملم	»	١١٤
أما إيه	الليازم	»	١١٧
ونجمل	بالتكلم	»	١١٨
تبارى	وأذهم	»	١١٨
وأحسن	شائمه	»	١٢٠
وفاؤ كما	ساجه	»	١٢١
له عسكرا	جاجة	»	١٢٥
وفاؤ كما	ساجه	»	١٢٥
ولو غبت	ختم	»	١٣٢
ولا نجمل	للقوادم	»	١٤٢
لذى الحلم	ليعلما	»	١٤٣
له يوم	أنعم	»	١٧٠

صدر	عجز	بحر	ص
فأما الليالى	وتندّم	طويل	١٧١
ألم يأن	ناظم	»	١٨١
إذا كان	مقيم	»	١٨١
ألم يأن	ناظم	»	١٨١
طلوع التنايا	يقدم	»	٢٧٢
عقبى اليمين	القسم	بسيط	٩٩
يا أعدل	والحكم	»	١٠٥
وفى أكفهم	تضطرم	»	١٠٩
عقبى اليمين	القسم	»	١٠٩
هذا عتابك	كلم	»	١١٠
وأحر قلباه	سقم	»	١١٠
إن المعالى	بنضج دم	»	١٣٤
تنافس	بأعوام	»	١٧٠
واحر قلباه	سقم	»	١٠٥
إذا قالت	حذام	وافر	١٤٢
لهوى	أسلم	»	١٦٨
أظن	الرسوم	»	١٨٦
قبيل	الهمام	»	٢٢٨
ولم أر	مقام	»	٢٨٤
أعطيتنى دية	قديم	كامل	٩٥
أسقى طلوعهم	ونعيم	»	٩٥

صدر	عجز	بحر	ص
لا يسلم	الدم	كامل	١٠٧
لهوى النفوس	انى أسلم	»	١٠٧
هذا الهلال	لنّامه	»	١٣٩
لولا	زمامه	»	١٣٩
لا يسلم	الدم	»	١٦٨
لاتنه	عظيم	»	١٦٩
حسدوا	وخصوم	»	١٦٩
للفانيات	قديم	»	١٦٩
يتجنب	آثام	»	٢٧٥
وأرضك	حلم	متقارب	١١٤
وما مزبد	تلتطم	»	٣٠١

(ن)

فمالك	سنان	طويل	٢٤
لمن طلل	جون	»	٤٦
ولى عهد	خدين	»	٤٦
فمالك	سنان	»	٦٠
ضمت	شفيانى	»	١٠٣
فأصبحت	وعاجن	»	٢٨٠
سفة	فاستكن	مديد	٢٧٧
وإن دعوت	فادعينا	بسيط	٤٣
إنا نحيوك	سقيننا	»	٤٣

صدر	عجز	بحر	ص
ليس الشفيع	عريانا	»	١١١
قد علم	أحزانا	»	١٨٣
أنا ابن جلا	تعرفوني	وافر	١٤٣
مفاني	الزمان	»	١٨٢
فلو أنى	المدان	»	٢٥٦
يا خير	الميمون	كامل	٤٥
إن السيوف	الجمعان	»	١١٠
الرأى قبل	الثاني	»	١٢٣، ١١٠
من شروط	المكان	خفيف	١٨٢

(هـ)

أهلا	خردها	منسرح	٢٧٣
لا ناقي	أجهدا	»	٢٧٣

(وى)

أترجو	وراثيا	طويل	٢٩٢
ما مقامى	حى	خفيف	١٠

أنصاف الأبيات

صدر	عجز	بحر	ص
منازل	ربوعها	طويل	٤٩
متى أنت	ذاهل	»	٤٩ ، ٢٧
تطل الطلول	موقف	»	٤٩
فتعركم	بثقالها	»	١٣١
يبيح	صفارها	»	١٥٠
سرى	المتخابل	»	١٧٠
ألا أيها	انجل	»	١٨٤
قفا نيك	ومنزله	»	١٨٤
وإن كنت	فأجلى	»	١٨٥
أمن	ومصيف	»	١٨٨
ولو سكتوا	الحقائب	»	٢٩٤
ولا رهل	وبآدله	»	٤٦
ألم تر	المبكر	»	٣٠٧
إن لم تكن	نصال	كامل	٢٩٤
عقد الصباح	الشري	»	١٤١
أنا	شعري	رجز	٢٢٩
حسم	الأعادي	خفيف	٣٠٧

فهرس الآيات

(١)

أتأمرون الناس بالبر وتنسون

أنفسكم ص ١٦٧

إذ نفشت فيه غم القوم ص ٢٥٨

إذا السماء انشقت ص ٢٥٦

أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم

ص ٢٥٣

أعوذ برب الناس ملك الناس إله

الناس ص ١٧٩

أفى الله شك ص ٢٥٢

أقتلوا المشركين ص ٢٠٦

الله نزل أحسن الحديث ص ٥٠

ألم أقل لك إني لن تستطيع معى

صبرا ص ٢٣٠

إما أن تلقى وإما أن تكون نحن

الملقين ص ٢٢٩

إن الله مع الذين اتقوا ص ١٦٢

إن الله يفر الذنوب جميعا ص ٤٤

إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم

ص ٢٥٧

إن رحمة الله قريب من المحسنين

ص ٢٧١

إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك

كان عنه مشغولا ص ٧٦

إن كنتم فى ريب من البعث فإننا

خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم

من علقه ، ثم من مضغة ص ٢١٥

إن لك ألا تجوع فيها ص ٢٥٨

إنك أنت علام الغيوب ص ٢٢٩

إنما أشكو بى وحزنى إلى الله ص ٢٨٨

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله

وإذا كانوا معه على أمر جامع

لم يذهبوا حتى يستأذنه ص ٧٩

إنما يخشى الله من عباده العلماء ص ٤٢

إنه مصيبها ما أصابهم ص ٢٥٥

إنها ترى بشر كالأقصر ص ١٠٩

إنهم كانوا لا يرجون حسابا ص ١٨٠

كانوا يعملون ص ٧٣
حتى توارت بالحجاب ص ٢٧٩ ،
٢٨١

حتى عاد كالمرجون القديم ص
٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٧٢

الحمد لله رب العالمين ص ٢٢٨
ذلك الكتاب لا ريب فيه ص ٢٥٩
ذهب الله بنورهم ص ٢٣٤ ، ٢٣٥

رب هب لي من الصالحين ص ٦٦
سنفرغ لسكن أيها الثقلان ص ١٩٦
شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم
ص ٧٣

صراطك المستقيم ص ١٦٧
عاليهم ثياب سندس ص ٢٥٧
فأجاءها الخاض إلى جذع النخلة
ص ٢٦٣

فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا
ص ٢٥٣
فاكبه ونخل ورمان ص ٧٤
فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح
المؤمنين والملائكة بعد ذلك
ظهير ص ٧٥

إني أراقي أعصر خرا ص ١٩٩
أهدك صراطا سويا ١٦٦
أولامستم النساء ص ٢٩٢
أو لم يروا إلى الطير فوقهم ص ٢٣٢
أو لم يروا إلى ما خلق الله ص ٢٣٢
إياك نعبد ص ٢٢٨

إياك نعبد وإياك نستعين ص ٢٤٧
بسلام منا وبركات عليك وعلى أم
ممن معك وأم سمتهم ثم يسمهم
منا عذاب اليم ص ١٧٧
بل الله فاعبد وكن من الشاكرين
ص ٢٤٦

تلك عشرة كاملة ص ٢٨٧
ثم أنشأناه خلقا آخر ص ٢٦٤ ،
٢٦٦

ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات
ليسجنفنه ص ٢٨١
ثم الجحيم صلوه ص ٢٤٨
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ص ٢٦٤
ثم خلقنا النطفة علقة ص ٢٦٤
ثم يرم به بريثا ص ٢١٣

حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم
سمعهم وأبصارهم وجنودهم بما

فانتبذت به مكانا قصيا فأجأها
الحاض ص ٢٦٤

فلهم عدو لى إلا رب العالمين ص
٢٧١، ٢٧٧

فأولئك لهم جزاء الضعف ص ٢٥٢
فبأى آلاء ربكما تكذبان ص ٢٢٦
فبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين
ص ٦٥

فبشرناه بغلام حلیم ص ٦٥، ٦٦
فبما رحمة من الله لنت لهم ص ٢١٠
فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها
وموعظة للمتقين ص ١٣٤

فجعلته فانتبذت به مكانا قصيا
ص ٢١٣

فخلقنا الملقمة مضفة ص ٢٦٤، ٢٦٥
فخلقنا المضفة عظاما ص ٢٦٤، ٢٦٥
فسيكفيكم الله ص ١٧٧

فشرد بهم من خلفهم ص ١٦٦
فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة
إذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة
ص ٢٨٥

فكسونا العظام لحما ص ٢٦٤
فكفارتة إطعام عشرة مساكين
من أوسط ما تطعمون أهليكم
أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة
ص ٢٩٠

فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها
واتبع هواه فتردى ص ٢٦٤
فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى

فى المنام أنى أذبحك ص ٦٥
فلما ذهبوا به وأجمعوا ص ٢٣٤
فليحذر الذين يخالفون عن أمره
أن تصيبهم فتنة ص ٧٩

فشله كئل الكلب إن تحمل عليه
يلامئ ص ٢١٦

فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم ص ٢٠٦
فمنهم شقى وسعيد ، فأما الذين شقوا
ففى النار ص ٣٠١

فى جيدها جبل من مسند ص ٢٤٩
فبها من برد ص ٤٤

قال الذى عنده علم من الكتاب
أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك
طرفك ، فلما رآه مستقرا عنده
قال هذا من فضل ربي ص ٢٧٨

قال نكروا لها عرشها ص ٢٧٨
قل كل يعمل على شاكته ص ٣١
كأني نقصت غرلها من بعد قوة
أنكاثا ص ١٤٠

كزرع أخرج شطأه ص ٢١٥
كلأ إذا بلغت التراقي ص ٢٧٩
كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها ص ٧٤

لا تتخذوا بطانة من دونكم
لا يآلئونكم خبالا ودوا ما عنتم
قد بدت البغضاء من أفواههم
ص ٢٧٨

لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا ص ٧٨

لا تخف إنك أنت الأعلى ص ٢٢٨
لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ص ١٦٦
لا تغفروا على الله كذبا فيسحقكم
بمذاب ص ٢٦٣

لا فيها غول ص ٢٥٩ ، ٢٦١
لا لغوفها ص ٢٦١
لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم
الملائكة هذا يومكم الذي كنتم
توعدون ص ٥٢

اتركن طبقا عن طبق ص ٣٠٠
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
ص ٢٣٣

لنخرج به حبا ونباتا ص ١٧٩
ليس كئله شيء ص ٢١١
ليستخلفنهم في الأرض ص ١٧٢
ما كان لنبي أن يكون له أسرى
حتى يشخن في الأرض ص ١٦٧
ما لهذا الكتاب لا يفادر صغيرة
ولا كبيرة إلا أحصاها ص ٢٣٨
ما وعدنا الله ورسوله ص ٢٨

ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث
إلا استمعوه وهم يلعبون ص ٢٣٢
مثل نوره كشكاة فيها مصباح

ص ٢١٥ ، ٢١٦
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ،
فلما أضاءت ما حوله ذهب الله
بنورهم ص ٢٣١

والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلّة

ص ٢٧٥

وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم
على سواء إن الله لا يحب الخائنين

ص ١٣٤

وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي

ص ٢١٢

وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله

غفور رحيم ص ٢٨٨

وإن كان مكرمهم أنزل منه الجبال

ص ٢٩٤

وإن أنكم في الأنعام لعبرة نسقيكم

بما في بطونه من بين فرث ودم

لبنًا خالصًا سائلًا للشاربين ص ١٣٦

وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به

أزواجًا من نبات شتى ص ٢٦٤

وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم ص ٧٩

والبلد الطيب يخرج نباته بإذن

ربه ، والذي خبث لا يخرج إلا

نكدًا ص ١٢٦

وتركهم في ظلمات لا يبصرون

ص ٢٣٥

مثنى وثلاث ورباع ص ٢٩٠

مع الذين اتقوا ص ١٦٦

من ورائه جهنم ص ٢٩١

هذا بلاغ للناس ص ٨٧

هذا يومكم الذي كنتم توعدون

ص ٥١

هل من خالق غير الله يرزقكم

ص ٤٤

هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر

نورا ص ٢٣١

وآتوا حقه يوم حصاده ص ١٣٧

واخفض لها جناح الذل ص ١٩٧ ،

ص ٢١٢

وأدخلناه في رحمته ص ١٩٣ ، ١٩٥

وإذ واعدنا موسى ص ٢٨٠

واسأل القرية ص ٨٣ ، ٨٤

واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون

ص ٢٢٨

واقعدوا لهم كل مرصد ص ١٦٧

والذين اهتموا زادهم هدى ص ١٤٠

والذين هم لفروجهم حافظون ص ٧٦

ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله

ص ١٦١

ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها

من بعد قوة أنكاثا ص ١٣٧

ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به

أزواجنا منهم ص ١٦٦

ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به

أزواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا

انفتحهم فيه ورزق ربك خير وأبقى

ص ١٦٣

ولدان مخلدون ص ٢٥٧

ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك

الذين أشركت ليجبطن عملك

وانتكونن من الخاسرين ص ٣٤٧

ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى

ص ٣٦٤

ولما سكنت عن موسى الغضب ص ١٩٧

ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا

من حولك ص ١٦٦

وليمبدلنهم من بعد خوفهم أمنا

ص ١٦٦

وجزاء سيئة سيئة مثلها ص ٢٠٦

وجعلنا آية النهار مبصرة ص ٣٠٠

وجعلنا في الأرض رواسي ص ٢٥٧

وجنات ألفافا ص ١٧٩

وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله

ص ٢٥١

والعاقبة للمتقين ص ١٦٦

وعرضوا على ربك صفا، لقد جئتمونا

كما خلقناكم ص ٢٨٣

وفوق كل ذي علم عليم ص ١٦٧

وقال الملائ من قومه إنا نراك في ضلال

مبين ص ٢٣٦

وقدّمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه

هباء منثورا ص ١٩٧

وقل للمؤمنات يفضن من أبصارهن

ويحفظن فروجهن ص ٧٦

وقودها الناس والحجارة ص ١٠٩

وقولوا للناس حسنا ص ١٦٦

وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة

غصبا ص ٢٩١

وكذبوا بآياتنا كذابا ص ١٨٠

وكنّا لحكمهم شاهدين ص ٢٥٨

أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
ص ٢٨٣

يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان
كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع
عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما
ص ١٣٣

يأخذون عرض هذا الأدنى ص ١٦٦
يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله
والرسل إذا دعاكم لما يحييكم
ص ٧٩

يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها
ولا تأثيم ص ٢٦٠
يخرج من بطونها شراب مختلف
ألوانه ص ٢٥٤

يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع
دابر الكافرين ليحق الحق
ويبطل الباطل ولو كره المجرمون
ص ٢٨٤

يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
ص ١٣٣
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى
نورهم بين أيديهم وبأيمانهم
ص ١٢٥

وما ربك بظلام للعبيد ص ٢٦٧
ومن عنده علم الكتاب ص ٢٥٢
ومن يشاق الله ص ٢٣٢
ومن يشاق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى ص ٢٣٢

وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا ص ٢٣٣
ووصينا الإنسان بوالديه حسنا ،
وإن جاهداك ص ٢٨٣

ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين
مما فيه ، ويقولون يا ويلتنا ما لهذا
الكتاب لا يفاد رصيفة ولا كبيرة
إلا أحصاها ص ٢٣٩

ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا
ونوحا هدينا من قبل ص ٢٤٦
ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان
صدق عليا ص ٢١٧

ويعلم ما فى الأرحام ص ٧٦
ويفغر لكم من ذنوبكم ص ٤٤
ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة ص ٥١
ويوم يعرض الذين كفروا على النار

فهرس الأحاديث النبوية

أعيذكما من عين العائن ونفس النافس ص ١٠٣	إلا المسجد الحرام ص ٥٦
اللهم اشد دوطأتك على مضر ص ١٧١	ليس الصيد لمن أثاره ، بل لمن حصله ص ١٤٥
رفقا بالقواوير ص ٢٩٤	من جعل نفسه قاضيا للمسلمين فقد ذبح بغير سكين ص ٧٦
صلاة في مسجدى هذا خير من ألف	هو الطهور ماؤه الحل ميتته ص ٢٥٤
صلاة في غيره من المساجد	وإنكم لتقدمون على ما قدمتم ص ١٤٩

فهرس الأمثال

لو ذات سوار لطمقني ص ٢٥٦

ملكت فأسجح ص ١٤٧

من أشبه أباه فما ظلم ص ١٥٠

هما رضيعا لبان ص ١٥٠

هما شريكا عفان ص ١٥٠

الأعمال بخواتيمها ص ١٤٥

أول الفيث ظل ص ١٣٩

سيق السيف العذل ص ١٢١

عسى الفوير أبؤسا ص ١٥٤

عند جهينة الخبر اليقين ص ١٤٤

مراجع التحقيق

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - أخبار أبي تمام . الصولى . تحقيق الأستاذة خليل عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الإسلام الهندى . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦ - ١٩٣٧
- ٣ - الأغاني . الأصفهاني . طبعة الساسى وطبعة دار الكتب .
- ٤ - الأصمعيات . تحقيق الأستاذين أحمد شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف بمصر .
- ٥ - الأملى . القالى . طبعة دار الكتب ١٣٤٤ هـ .
- ٦ - أمالى الشريف المرتضى . مطبعة السعادة ١٣١٥ هـ .
- ٧ - البداية والنهاية . ابن كثير . مطبعة السعادة بمصر ١٣٥١ - ١٩٣٢
- ٨ - البيان والتبيين . الجاحظ . تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .
- ٩ - تاريخ بغداد . الخطيب البغدادي . مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩ - ١٩٣١
- ١٠ - تاريخ الرسل والملوك . الطبرى . المطبعة الحسينية بالقاهرة .
- ١١ - تأويل مشكل القرآن . ابن قتبية . تحقيق الأستاذ سيد أحمد صقر .
- ١٢ - الجامع الكبير فى صفاة المنظوم من الكلام والنثور . ابن الأثير . تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد . مطبعة المجمع العلمى العراقى .
- ١٣ - جواهر الألفاظ . قدامة بن جعفر . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٣٢
- ١٤ - خزانة الأدب . البغدادي . تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد .

- ١٥ — الخصائص . ابن جنى . مطبعة الهلال بمصر ١٣٣١ ١٩١٣
- ١٦ — دلائل الإعجاز . عبد القاهر الجرجاني . مطبعة المنار بمصر ١٣٣٦ هـ .
- ١٧ — ديوان ابن الرومي : (١) شرح الشيخ محمد شريف سليم . مطبعة الهلال ١٣٣٥ - ١٩٠٧
- (٢) طبعة الأستاذ كامل كيلاني والشيخ عبد الرحمن خليفة .
- ١٨ — ديوان ابن نباتة : نشر الأستاذ محمد القلقيلي .
- ١٩ — ديوان أبي تمام . (١) بشرح الخطيب التبريزي تحقيق الدكتور محمد عبده عزام مطبعة دار المعارف .
- (٢) طبعة صبيح .
- (٣) طبعة محمد جمال .
- ٢٠ — ديوان أبي نواس . (١) تحقيق الأستاذ أحمد الغزالي مطبعة مصر ١٩٥٣
- (٢) طبعة المطبعة العمومية بالقاهرة ١٨٩٨
- ٢١ — ديوان الأخطل . تحقيق الأب أنطون صالحاني .
- ٢٢ — ديوان الأعشى الكبير . تحقيق محمد حسين . النموذجية بالقاهرة ١٩٥٠
- ٢٣ — ديوان امرئ القيس . تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف .
- ٢٤ — ديوان أمية بن أبي الصلت . المطبعة الوطنية ببيروت .
- ٢٥ — ديوان البحترى . مطبعة هندية بمصر ١٢٢٩ - ١٩١١
- ٢٦ — ديوان جرير . نشر الأستاذ عبد الله الصاوي . مطبعة الصاوي بمصر .
- ٢٧ — ديوان جميل . تحقيق الأستاذ بطرس البستاني . مكتبة صادر ببيروت .
- ٢٨ — ديوان حسان بن ثابت . تحقيق الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي . المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٧ - ١٩٢٩

- ٢٩ — ديوان الخطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني . تحقيق الأستاذ نعمان طه .
- ٣٠ — ديوان الحماسة لأبي تمام : شرح المرزوقي . تحقيق الأستاذين أحمد أمين وعبد السلام هارون . مطبعة لجنة التأليف ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م
- ٣١ — ديوان ذى الرمة . المكتبة الأهلية ١٩٣٤
- ٣٢ — ديوان سقط الزند . بشرح التنوير . مطبعة مصطفى محمد .
- ٣٣ — ديوان الشريف الرضى (١) المطبعة الأدبية ببيروت ١٣٠٩ هـ (٢) مطبعة الحلبي بمصر .
- ٣٤ — ديوان الصولي
- ٣٥ — ديوان العباس بن الأحنف . طبعة الجوانب ١٢٩٧ هـ .
- ٣٦ — ديوان عمر بن أبي ربيعة . تحقيق الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة بمصر .
- ٣٧ — ديوان عنقرة بن شداد . تحقيق الأستاذين عبد المنعم شلبي وإبراهيم الإيباري .
- ٣٨ — ديوان الفرزدق . نشره الأستاذ عبد الله الصاوى . مطبعة الصاوى بمصر .
- ٣٩ — ديوان القاضى الأرجانى . طبعة بيروت .
- ٤٠ — ديوان كثير عزة . طبعة الجزائر .
- ٤١ — ديوان المتنبي . بشرح الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي . الطبعة الثانية .
- ٤٢ — ديوان مسلم بن الوليد . تحقيق الدكتور سامى الدهان . دار المعارف بمصر .
- ٤٣ — ديوان المعانى . أبو هلال العسكري ، القاهرة حسام الدين القدسي ، ١٣٥٢ هـ .
- ٤٤ — ديوان مهيار الديلمي . دار الكتب بمصر ١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م

٤٥ — ديوان النابغة الذبياني (١) طبعة مصر ١٩٠٠ (٢) ضمن مجموعة دواوين
طبعة المطبعة الأهلية ببيروت .

٤٦ — رسائل ابن الأثير . تحقيق الأستاذ أنيس المقدسي بيروت ١٩٥٩

٤٧ — زهر الآداب للحصري . تحقيق الأستاذ علي البجاوي . مطبعة الحلبي

١٩٥٣ — ١٣٧٢ م

٤٨ — سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي . تحقيق الأستاذ علي فوده . المطبعة

الرحمانية ١٣٥٠ — ١٩٣٢

٤٩ — سيرة ابن هشام . تحقيق الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الإيباري
وعبد الحفيظ شابي .

٥٠ — شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ابن العماد الحنبلي . القدس ١٣٥٠

٥١ — الشعر والشعراء . ابن قتيبة (١) تحقيق الأستاذ أحمد شاكر . مطبعة

الحلبي ١٣٧٠ هـ

(٢) طبعة الحلبي ١٣٣٢ هـ

٥٢ — صبح الأعشى . القلقشندي . مطبعة دار الكتب بمصر .

٥٣ — صبح البخاري . مطبعة الحلبي ١٣٧٢ — ١٩٥٣ م

٥٤ — الصناعتين . أبو هلال العسكري . تحقيق الأستاذين علي البجاوي

ومحمد أبو الفضل إبراهيم .

٥٥ — طبقات الشعراء . ابن سلام . تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر . مطبعة

دار المعارف بمصر .

٥٦ — طبقات الشعراء . ابن المعتز . تحقيق الأستاذ عبد الستار فراج .

دار المعارف .

- ٥٧ — المقد الفريد . ابن عبد ربه . تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبيارى . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤١ — ١٩٤٩
- ٥٨ — فوات الوفيات . ابن شاكر . تحقيق الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة بمصر ١٩٥١
- ٥٩ — القاموس المحيط . الفيروز آبادى . المطبعة الحسينية بمصر . ١٣٤٤ هـ .
- ٦٠ — الكامل فى التاريخ . ابن الأثير . إدارة الطباعة المنيرية بمصر ١٣٥٣
- ٦١ — اللباب فى الأساليب . ابن الأثير . القدس ١٣٥٧ هـ
- ٦٢ — لزوم مالا يلزم . أبو العلاء المعرى ، مطبعة الشرفيين الأدبية بمصر ، ١٩٣٠
- ٦٣ — لسان العرب . ابن منظور . المطبعة الأميرية ، ١٣٠٠ — ١٣٠٧ هـ .
- ٦٤ — مجمع الأمثال . الميدانى . المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣١٠ هـ .
- ٦٥ — المختار من رسائل أبي إسحاق الصابى . المطبعة العثمانية ببلنن ، ١٨٩٨ م .
- ٦٦ — مروج الذهب . المسعودى . المطبعة البهية المصرية ١٣٤٦ هـ
- ٦٧ — معاهد التنصيص على شواهد التلخيص . العباسى . تحقيق الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة بمصر .
- ٦٨ — معجم الأدباء . ياقوت . طبعة (دار المأمون) بالقاهرة ١٣٥٥ هـ .
- ٦٩ — معجم البلدان . ياقوت . طبعة القاهرة ١٣٣٣ هـ .
- ٧٠ — مقامات الحريرى . المطبعة الحسينية بمصر ١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م
- ٧١ — الموازنة بين أبي تمام والبحتري . الأمدى . دار المعارف بمصر ١٩٦١
- ٧٢ — الموشح . الرزبانى . السلفية ١٣٤٣ هـ
- ٧٣ — نزهة الألباء فى طبقات الأدباء . الأنبارى . طبع جمعية إحياء مآثر العرب .

- ٧٤ — الفقا ئض . رواية أبى عبيدة . ليون ١٩٠٥ م .
- ٧٥ — النهاية . ابن الأثير . مطبعة الشيخ عثمان عبد الرازق بمصر ، ١٣١١ هـ .
- ٧٦ — الهاشميات الكميت . مطبعة شركة التمدن ١٣٣٠ هـ .
- ٧٧ — الوساطة بين المتنبي وخصومه . على بن عبد العزيز الجرجاني . تحقيق الأستاذين محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى البجاوى .
- ٧٨ — وفيات الأعيان . ابن خلكان . المطبعة الميمنية بالقاهرة ١٣١٠ هـ .
- ٨٩ — بريمة الدهر . الثعالبي . مطبعة الصاوى بالقاهرة ١٩٣٥
-

